COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU09552200

# حياة الحيوان الكبرى

للأستاذ العلامة والقدوة الفهامة

## الشيخ كمال الدين الدميرى

نفعنا الله بعلومه

آمين

---

وبهامشه كتاب

﴿عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات﴾

الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزوينى رحمه الله تعالى

---

## الجزء الأول

---

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

---

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

شارع نوبار باشا رقم ١٢

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم
العظمة لك والكبرياء
لجلالك اللهم يا قائم
الذات ويا مفيض الخيرات
واجب الوجود وواهب
العقول وفاطر الأرض
والسموات، مبدى الحركة
والزمان، ومبدع الحيز
والمكان، فاعل الأرواح
والأشباح وجاعل النور
والظلمات، محرك الأفلاك
ومزينها بالثوابت
والسيارات، ومقرر
الأرض وممهدها لأنواع
الحيوان وأصناف المعادن
والنبات، دام حمدك
وجل ثناؤك وتعالى ذكرك
وتقدست أسماؤك لا إله
إلا أنت وسعت رحمتك
وكثرت آلاؤك ونعماؤك
أفض علينا أنوار معرفتك
وطهر قلوبنا عن كدورات
معصيتك وأمطر علينا
سحائب فضلك ومرحمتك
واضرب علينا سرادقات
عفوك ومغفرتك وأدخلنا
فى حفظ عنايتك ومكرمتك
وصل على ذوى الأنفس
الطاهرات والمعجزات
الباهرات خصوصا على
سيد المرسلين وإمام
المتقين وقائد الغر المحجلين
محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم الذى
اخترته للنبوة وآدم بين
الماء والطين

QL
41
D3
1954

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف نوع الإنسان، بالأصغرين القلب واللسان، وفضله على سائر الحيوان بنعمتى المنطق والبيان، ورجحه بالعقل الذى وزن به قضايا القياس فى أحسن ميزان، فأقام على وحدانيته البرهان. أحمده حمدا يمدنا بمواد الإحسان.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يدرك كنه ذاته بالحدود والرسوم ذوو الأذهان.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المخصوص بالآيات البينات كل البيان، ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة وسلاما يدومان مادام الملوان، ويبقيان فى كل زمان وأوان.

(وبعد) فهذا كتاب لم يسألنى أحد تصنيفه، ولا كلفت القريحة تأليفه، وإنما دعانى إلى ذلك أنه وقع فى بعض الدروس، التى لا نخبأ فيها لعطر بعد عروس: ذكر مالك الحزين والذيخ المنحوس، فحصل مايشبه فى ذلك حرب البسوس، ومزج الصحيح بالسقيم، ولم يفرق بين نسر وظليم، وتحككت العقرب بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى، وصيروا الأروى مع النعام ترعى، وقضوا باجتماع الحوت والضب قطعا، واتخذ كل أخلاق الضبع طبعا، ولبس جلد النمر أهل الإمامة، وتقلدها الجميع طوق الحمامة:

والقوم إخوان وشتى فى الشيم * وقيل فى شأنهم اشتدى زيم

وظن الكبير أنه أصدق من القطا، وأن الصغير كالفاختة غلطا، وصار الشيخ الأفيق كذات النحيين، والمعيد ذو التحقيق كالراجع بخفى حنين، والمفيد كالأشقر تحيرا، والطالب كالحبارى تحسرا، والمستمع يقول كل الصيد فى جوف الفرا، والنقيب كصافر يكرر أطرق كرا، فقلت عند ذلك فى بيته يؤتى الحكم، وبإعطاء القوس باريها تتبين الحكم، وفى الرهان سابق الخيل يرى، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

واستخرت الله تعالى وهو الكريم المنان، فى وضع كتاب فى هذا الشان، وسميته ﴿حياة الحيوان﴾ جعله الله موحيا للفوز فى دار الجنان، ونفع به على ممر الأزمان، إنه الرحيم الرحمن.

ورتبته على حروف المعجم، ليسهل به من الأسماء ما استعجم.

﴿ باب الهمزة ﴾

﴿ الأسد ﴾ من السباع معروف وجمعه أسود وأسد وآساد والأنثى أسدة وفى حديث أم زرع زوجى إن دخل فهد وإن خرج أسد وله أسماء كثيرة قال ابن خالويه للأسد خمسمائة اسم وصفة وزاد عليه على بن قاسم بن جعفر اللغوى مائة وثلاثين اسما فمن أشهرها أسامة والبهيس والتآج والجخدب والحرث وحيدرة والدواس والرئبال وزفر والسبع والصعيب والضرغام والضيغم والطيثار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والمتأنس والمتهيب والهرماس والورد وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ومن كناه أبو الأبطال وأبو حفص وأبو الأخياف وأبو الزعفران وأبو شبل وأبو العباس وأبو الحرث * وإنما ابتدأنا به لأنه أشرف الحيوان المتوحش إذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته وشراسة خلقه ولذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبسالة وشدة الإقدام والجراءة والصولة ومنه قيل لحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أسد الله ويقال من نبل الأسد أنه اشتق لحمزة بن عبد المطلب من اسمه وكذلك لأبى قتادة فارس النبى ﷺ فى صحيح مسلم فى باب إعطاء القاتل سلب المقتول فقال أبو بكر رضى الله عنه كلا والله لا نعطيه لضبيع من قريش وندع أسدا من أسد الله تعالى يقاتل عن الله ورسوله وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة * وهو أنواع كثيرة قال أرسطو رأيت نوعا منها يشبه وجه الإنسان وجسده شديد الحمرة وذنبه شبيه بذنب العقرب ولعل هذا هو الذى يقال له الورد ومنه نوع على شكل البقر له قرون سود نحو شبر وأما السبع المعروف فإن أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون إن الأنثى لا تضع إلا جرواً واحداً تضعه لحمة ليس فيه حس ولا حركة فتحرسه كذلك ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك لينفخ فيه المرة بعد المرة حتى يتنفس ويتحرك وتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه إلا بعد سبعة أيام من تخلقه فإذا مضت عليه بعد ذلك ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب * قالوا وللأسد من الصبر على الجوع وقلة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع * ومن شرف نفسه أنه لا يأكل من فريسة غيره فإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها وإذا جاع ساءت أخلاقه وإذا امتلأ من الطعام ارتاض ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب وقد أشار إلى ذلك الشاعر بقوله :

وأترك حبها من غير بغض * وذاك لكثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام * رفعت يدى ونفسى تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء * إذا كان الكلاب ولغن فيه

وقد ألغز بعضهم فى القلم فقال :

وأرقش مرهوف الشباه مهفهف * يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقا ومغربا * وتعنو له ملاكها وتطيع
حمى الملك مفطوما كما كان تحتمى * به الأسد فى الآجام وهو رضيع

وإذا أكل نهس من غير مضغ وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر ويوصف بالشجاعة والجبن فمن جبنه أنه يفزع من صوت الديك ونقر الطست ومن السنور ويتحير عند رؤية النار وهو شديد البطش ولا يألف شيئا من السباع لأنه لا يرى فيها ما يكافئه ومتى وضع جلده على شىء من جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد ولا يزال محموما ويعمر كثيرا وعلامة كبره سقوط أسنانه روى ابن سبع السبتى فى شفاء الصدور عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى

وأرسلته رحمة للعالمين وأيدته بنصرك وبالمؤمنين وختمت به الأنبياء والمرسلين وعلى إخوانه من النبيين والصالحين وآله وصحبه أجمعين (يقول) العبد الأصغر زكريا بن محمد ابن محمود القزوينى تولاه الله بفضله وهو من أولاد بعض الفقهاء الذين كانوا موطنين بمدينة قزوين وينتهى نسبه إلى أنس ابن مالك خادم رسول الله ﷺ لما حكم الله تعالى ببعد الدار والوطن ومفارقة الأهل والسكن أقبلت على مطالعة الكتب على رأى من قال * وخير جليس فى الزمان كتاب * وكنت مستغرقا بالنظر فى عجائب صنع الله تعالى فى مصنوعاته وغرائب إبداعه فى مبدعاته كما أرشد الله سبحانه إليه حيث قال تعالى أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج وليس المراد من النظر تقليب الحدقة ونحوها فإن البهائم تشارك الإنسان فيه ومن لم ير من السماء إلا زرقتها ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالا منه وأشد غفلة كما قال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين إلى أن قال أولئك كالأنعام

edz 80/09/26
Exchange

بل هم أضل والمراد من هذا المحسوسات والبحث عن حكمها وتصاريفها ليظهر له حقائقها فإنها سبب اللذات الدنيوية والسعادات الأخروية ولهذا قال ﷺ أرنى الأشياء كما هى وكلما أمعن النظر فيها ازداد من الله تعالى هداية ويقينا ونورا وتحقيقا ولهذا قال ﷺ تفكروا فى خلق الله والفكر فى المعقولات لايتأتى إلا لمن له خبر بالعلوم والرياضات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس فعند ذلك تنفتح له عين البصيرة ويرى فى كل شىء من العجب مايعجز عن إدراك بعضها فلو ذكر طرفا منها لغيره لأنكره ولله در القائل : إنى سمعت عجيبا كنت أحسبه

طيفا من النوم أو هجرا من السمر

لما ألفت به ألفيت صحته وقد رأيت ألوفا مثل ذا العبر

ومن هذا القبيل ما أخبر الله تعالى فى كتابه عما جرى بين الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وماذكر أيضا أن موسى اجتاز بعين ماء فى سفح جبل فتوضأ ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس وشرب من ماء.

الله عنهما أنه خرج فى بعض أسفاره فبينما هو يسير إذ هو بقوم وقوف فقال ما لهؤلاء القوم قالوا أسد على الطريق قد أخافهم فنزل عن دابته ثم مشى إليه حتى أخذ بأذنه ونحاه عن الطريق ثم قال له ما كذب عليك رسول الله ﷺ بقوله إنما سلطت على ابن آدم لخافته غير الله ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله تعالى لم تسلط عليه ولو لم يرج إلا الله تبارك وتعالى لما وكله إلى غيره وفى سنن أبى داود من حديث عبد الرحمن بن آدم وليس له عنده سواه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض وكأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل وأنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال وتقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ولا يضر بعضهم بعضا ثم يبقى فى الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة ثور بن يزيد قال بلغنى أن الأسد لا يأكل إلا من أتى محرما وقصة سفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد مشهورة رواها البزار والطبرانى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم وذكر البخارى فى تاريخه أنه بقى إلى زمن الحجاج روى محمد بن المنكدر عنه أنه قال ركبت سفينة فى البحر فانكسرت فركبت لوحا فأخرجنى إلى أجمة فيها أسد فأقبل إلى فقلت أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ وأنا تائه فجعل يغمزنى بمنكبه حتى أقامنى على الطريق ثم همهم فظننت أنه السلام وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن المنكدر أيضا أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم وأسر فى أرض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد فقال له يا أبا الحرث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ كان من أمرى كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جنبه وكلما سمع صوتا أهوى إليه ثم يمشى إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش فرجع الأسد واختلف فى اسم سفينة رضى الله عنه فقيل رومان وقيل مهران وقيل طهمان وقيل عمير روى مسلم له حديثا واحدا والترمذى والنسائى وابن ماجه ودعا النبى ﷺ على عتبة بن أبى لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام رواه الحاكم من حديث أبى نوفل بن أبى عقرب عن أبيه وقال صحيح الإسناد وروى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى الأسود بن هبار قال تجهز أبو لهب وابنه عتبة نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا الشراة قريبا من صومعة راهب فقال الراهب ما أنزلكم ههنا، هنا سباع فقال أبو لهب أنتم عرفتم سنى وحقى قلنا أجل قال إن محمدا دعا على ابنى فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه وناموا حوله ففعلنا ذلك وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق المتاع فجاء الأسد فشم وجوهنا ثم وثب فإذا هو فوق المتاع فقطع رأسه فقال سيني يا كلب ولم يقدر على غير ذلك وفى رواية فوثب الأسد فضربه بيده ضربة واحدة فخدشه فقال قتلنى فمات لساعته وطلبنا الأسد فلم نجده وإنما سماه النبى ﷺ كلبا لأنه يشبهه فى رفع رجله عند البول ﴿فائدة﴾ روى البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ قال فر من المجذوم فرارك من الأسد وفى حديث آخر أنه ﷺ أخذ بيد مجذوم وقال بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأدخلها معه الصحفة قال الشافعى رحمه الله فى عيوب الزوجين أن الجذام والبرص يعدى وقال إن ولد المجذوم قلما يسلم منه ﴿قلت﴾ ومعنى قول الشافعى رضى الله عنه أنه يعدى أى بتأثير الله تعالى لا بنفسه لأن الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلى وقد يوافق قدرا وقضاء فيظن أنه عدوى وقد قال ﷺ لا عدوى ولا طيرة كما سيأتى ذلك إن شاء الله تعالى وأما قوله فى الولد قلما يسلم منه فقد قال الصيد لانى معناه أن الولد قد ينزعه عرق من الأب فيصير أجذم وقد قال ﷺ لرجل قال له إن امرأتى قد ولدت غلاما أسود لعل عرقا نزعه وبهذا الطريق يحصل الجمع بين هذه الأحاديث وجاء فى الحديث أنه ﷺ قال لا يورد ذو عاهة على مصح وأنه

ﷺ أتاه مجذوم ليبايعه فلم يمد يده إليه بل قال له أمسك يدك فقد بايعتك وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال لا تطيلوا النظر إلى المجذوم وإذا كلمتموه فليكن بينكم وبينه قدر رمح * وقد ذكر الشيخ صلاح الدين العراقي في القواعد أن الأم إذا كان بها جذام أو برص سقط حقها من الحضانة لأنه يخشى على الولد من لبنها ومخالطتها واستدل بقوله ﷺ لا يورد ذو عاهة على مصح والذي ذكره ظاهر وهو المختار ويؤيده ما أفتى به ابن تيمية صاحب المحرر من الحنابلة رحمه الله وصرح به أئمة المالكية أن المبتلى لو أراد مساكنة الأصحاء في رباط أو غيره منع إلا بأذنهم ولو كان ساكنا وابتلي أزعج وأخرج وأما أصحابنا فصرحوا بأن الأمة إذا كان سيدها مجذوما وجب عليها تمكينه من الاستمتاع وهذا مع إشكاله قد أورد في الروضة في الزوجة المختارة للمقام مع الزوج المجذوم وقد يفرق بينهما بقوة الملك والله أعلم وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وروى الطبراني وأبو منصور الديلمي والحافظ المنذري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال أتدرون ما يقول الأسد في زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف ﴿ فائدة أخرى ﴾ روى ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنه قال إذا كنت بواد تخاف فيه الأسد فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد اه أشار بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب أن دنيال عليه السلام طرح في جب وألقت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه ملك فقال يا دنيال فقال من أنت فقال أنا رسول ربك أرسلني إليك بطعام فقال دانيال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره اه وروى ابن أبي الدنيا أن يحتنصر ضرى أسدا بن وألقاهما في جب وأمر بدانيال فألقي عليهما فمكث ما شاء الله ثم أنه اشتهى الطعام والشراب فأوحى الله تعالى إلى أرمياء وهو بالشأم أن يذهب إلى دانيال بطعام وشراب وهو بأرض العراق فذهب به إليه حتى وقف على رأس الجب وقال دانيال دانيال فقال من هذا فقال أرمياء فقال ما جاء بك قال أرسلني إليك ربك فقال دانيال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه والحمد لله الذي من وثق به لا يكله إلى سواه والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذي يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين سوء ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل منا ثم روى ابن أبي الدنيا من وجه آخر أن الملك الذي كان دانيال في سلطانه جاءه المنجمون وأصحاب العلم فقالوا له إنه يولد في ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فأمر بقتل كل من يولد في تلك الليلة فلما ولد دانيال ألقته أمه في أجمة أسد ولبوة فبات الأسد ولبوته يلحسانه فنجاه الله تعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ وكان من أمره ما قدره العزيز العليم ثم روى بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه أنه قال رأيت في يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه خاتما نقش فصه أسدان بينهما رجل وهما يلحسان ذلك الرجل فقال أبو بردة هذا خاتم دانيال أخذه أبو موسى حين وجده ودفنه فسأل أبو موسى علماء تلك البلدة عن ذلك فقالوا إن دانيال نقش صورته وصورة الأسدين وهما يلحسانه في فص خاتمه كما ترى لئلا ينسى نعمة الله عليه في ذلك اه فلما ابتلي دانيال عليه السلام أولا وآخرا جعل الله تعالى الاستعاذة به في ذلك تمنع شر السباع التي لا تستطاع * وفي المجالسة للدينوري عن معاذ بن رفاعة قال مر يحيى بن زكريا عليهما السلام بقبر دانيال النبي عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت فمضى فإذا هو بصوت من السماء أنا الذي تعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت من قالهن استغفرت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن وكان دانيال عليه السلام قد أتاه الله تعالى النبوة

العين وترك عنـ
فيه دراهم فجاء بعده راعي
غنم فرأى الكيس فأخذه
ومضى ثم جاء بعده شيخ
عليه أثر البؤس والسكينة
على ظهره حزمة حطب
فحط حزمته هناك واستلقى
ليستريح فما كان إلا قليل
حتى عاد الفارس يطلب
كيسه فلما لم يجده أقبل
على الشيخ يطالبه به فلم
يزل يضربه حتى قتله فقال
موسى يا رب كيف العدل
في هذه الأمور فأوحى الله
عز وجل إليه أن الشيخ
كان قد قتل أبا الفارس وكان
على أبي الفارس دين لأبي
الراعي مقدارما في الكيس
فجرى بينهما القصاص
وقضى الدين وأنا حكيم
عادل ولقد حصل لي بطريق
السمع والبصر والفكر والنظر
حكم عجيبة وخواص غريبة
فأحببت أن أقيدها لتثبت
وكرهت الذهول عنها مخافة
أن تفلت وقد كثرت على
عواطف المولى الصاحب
الصدر الكبير العاذل المؤيد
المظفر شمس الدولة ظهير
الملة علاء الدين عماد الإسلام
نظام الملك غياث الأمة
عطاء الملك بن محمد بن محمد
ضاعف الله جلاله وأدام
في العز والعلاء إقباله فإنه
مع شريف منزلته وعلو
مرتبته مشهور بالكرم

والإحسان مذكور لوفور الفضل عن أهل الزمان وقد خصه الله تعالى بمكارم الأخلاق وفضائل الحسب والمجد الموروث والمجد المكتسب فخدمت بهذا الكتاب مجلسه الرفيع أدام الله رفعته وكبت أعداءه وحسدته فإنه منبع الخيرات ومعدن المسرات شكرا لأياديه السابقة وقضاء لحقوقه اللاحقة ورجاء أن يتخلد اسمى بتخليد ذكره الشريف ويتأبد وسمى بتأبيد عزه المنيف والله ولى التوفيق وعلى مايشاء قدير وبالإجابة جدير .

﴿فصل﴾ وعلى الناظر فى كتابى هذا أن يعنى فى جمع ماكان مبددا وتلفيق ماكان مشتتا وقد ذكر فيه أسبابا تأباها طباع الغبى الغافل ولا ينكرها نفس الذكى العاقل فإنها وإن كانت بعيدة عن العادات المعهودة والمشاهدات المألوفة لكن لايستعظم شىء مع قدرة الخالق وجبلة المخلوق وجميع مافيه إما عجائب صنع البارى تعالى وذلك إما محسوس أو معقول لاميل فيهما ولاخلل وإما حكاية ظريفة منسوبة إلى رواتها لاناقة لى فيها ولا جمل

والحكمة وكان فى أيام بختنصر قال أهل التاريخ إن بختنصر أسر دانيال مع من أسر من بنى إسرائيل وحبسهم ثم رأى بختنصر رؤيا أفزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال فأعجبه وأكرمه قالوا وقبره بنهر السوس ووجده أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه فأخرجه وكفنه وصلى عليه ثم قبره فى نهر السوس وأجرى عليه الماء * وفى المجالسة أيضا قال عبد الجبار بن كليب كنا مع إبراهيم بن أدهم فى سفر فعرض لنا الأسد فقال إبراهيم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا لانهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد عنا هاربا قال فأنا أدعو به عند كل أمر مخوف فما رأيت إلا خيرا ﴿فائدة﴾ قال بعض العلماء المحققين ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين ويحملهما فإن الله تعالى يبارك له فى جميع أحواله وينصره على أعدائه وهما ينفعان للأمراض الباطنة وكل ألم يحدث فى بدن الإنسان وكل آية منهما تجمع الحروف المعجمة بأسرها وتكتب فى إناء نظيف وتمحى بدهن ورد أو زيت طيب أو شيرج ويطلى به الألم كالدمل والطلوع والحرارة والريح والتآليل والنفخ والقروحات بأسرها فإنه يزول ويبرأ من يومه فى الغالب كما جرب مرارا وهما من الأسرار المخزونة كذا قاله شيخنا اليافعى رحمه الله * الآية الأولى من سورة آل عمران قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا إلى قوله تعالى عليم بذات الصدور الآية الثانية من سورة الفتح قوله تعالى محمد رسول الله إلى آخر السورة انتهى وذكر بعض أهل التاريخ أن ملكا من الملوك خرج يدور فى ملكه فوصل إلى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت إليه امرأة جميلة بكوز فيه ماء وناولته إياه فلما نظرها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لاتقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت انظر فى هذا إلى أن أصلح من أمرى مايجب وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه فإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعد الله تعالى لفاعله من العذاب الأليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ومر ذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر أخبرته الخبر فتحير الزوج فى نفسه وخاف أن يكون وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه إلى الملك فلما مثل بين يدى الملك قال أقارب المرأة أعز الله مولانا الملك إن هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها للمؤجر هالمن يزرعها وقد حصل الضرر للأرض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لأن الأرض إذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع أرضك فقال أعز الله مولانا الملك إنه قد بلغنى أن الأسد دخل أرضى وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها العلمى بأن لا طاقة لى بالأسد ففهم الملك القصة فقال يا هذا إن أرضك أرض طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها فإن الأسد لن يعود إليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه * وفى تاريخ ابن خلكان أنه لما دخل المازريا على المعتصم وكان قد اشتد غضبه عليه فقيل له يا أمير المؤمنين لاتعجل فإن عنده أموالا جمة فأنشد المعتصم بيت أبى تمام :

أن الأسود أسود الغاب همتها * يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وقد أحسن خالد الكاتب حيث قال :

علم الغيث الندى حتى إذا * ماوعاه علم البأس الأسد
فإذا الغيث مقر بالندى * وإذا الليث مقر بالجلد

ومن شعره

ظفر الحب بقلب دنف * بك والسقم بجسم ناحل

وبكى العاذل لى من رحمتى * فبكائى لبكاء العاذل

وكان خالد شيخا كبيرا تأخذه السوداء أيام الباذنجان وكان الصبيان يتبعونه ويصيحون به ياخالد يابارد فأسند ظهره يوما إلى قصر المعتصم وقال لهم كيف أكون باردا وأنا الذى أقول:

بكى عاذلى من رحمتى فرحمته * وكم مسعد من مثله ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعى لادموع جفونى

وفى روضة العلماء أن نوحا عليه السلام لما غرس الكرمة جاءه إبليس فنفخ فيها فيبست فاغتم نوح لذلك وجلس متفكرا فى أمرها فجاءه إبليس وسأله عن تفكيره فأخبره فقال له يانبى الله إن أردت أن تخضر الكرمة فدعنى أذبح عليها سبعة أشياء فقال افعل فذبح أسدا ودبا ونمرا وابن آوى وكلبا وثعلبا وديكا وصب دماءهم فى أصل الكرمة فاخضرت من ساعتها وحملت سبعة ألوان من العنب وكانت قبل ذلك تحمل لونا واحدا فمن أجل ذلك يصير شارب الخمر شجاعا كالأسد وقويا كالدب وغضبان كالنمر ومحدثا كابن آوى ومقاتلا كالكلب ومتملقا كالثعلب ومصوتا كالديك فحرمت الخمر على قوم نوح * ونوح اسمه عبد الجبار وإنما سمى نوحا لنوحه على ذنوب أمته وأخوه صابئ بن لامك وإليه ينسب دين الصابئين فيما ذكروا والله أعلم ﴿ تذنيب ﴾ كان أبو مسلم الخراسانى واسمه عبد الرحمن بن مسلم بعد فراغه من أمر بنى أمية ينشد كل وقت:

أدركت بالحزم والكتمان ماعجزت * عنه ملوك بنى مروان إذ حشدوا

ما زلت أسعى بجهدى فى دمارهم * والقوم فى غفلة بالشأم قد رقدوا

حتى ضربتهمو بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

قال ابن خلكان فى ترجمته وكان أبو العباس السفاح شديد التعظيم لأبى مسلم لما صنعه ودبره فلما مات السفاح وولى أخوه المنصور صدرت من أبى مسلم أشياء أوغرت صدر المنصور عليه وهم بقتله وبقى حائرا بين الاستبداد برأيه فى أمره والاستشارة فقال يوما لمسلم بن قتيبة ماترى فى أمر أبى مسلم فقال ياأمير المؤمنين لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فقال حسبك يا ابن قتيبة لقد أودعتها أذنا واعية ولم يزل المنصور يخدعه حتى أحضره إليه والمنصور بالمدائن فأمر بإدخاله عليه وكان المنصور قد رتب جماعة لقتله وقال لهم إذا رأيتمونى قد مسحت بيدى وجهى فاضربوه فلما أدخل عليه أخذ المنصور بقرعه بما صدر منه ثم مسح وجهه فبادروه فصاح استبقنى لأعدائك ياأمير المؤمنين فقال له المنصور وأى عدو أعدى منك ياعدو الله فلما قتل هاج أصحابه فأمر المنصور بنثر الدراهم والدنانير عليهم فسكنوا ورمى برأسه إليهم ثم أدرج فى بساط فدخل على المنصور جعفر بن حنظلة فرأى أبا مسلم فى البساط فقال ياأمير المؤمنين عد هذا اليوم أول خلافتك فأنشد المنصور متمثلا:

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم أقبل المنصور على من حضره وأبو مسلم طريح بين يديه وأنشد:

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكاس كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

وكان يقال له أبو مجرم أيضا وفيه يقول أبو دلامة:

أبا مجرم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد * أفى دولة المنصور حاولت غدره

ألا إن أهل الغدر آباءك الكرد * أبا مجرم خوفتنى القتل فانتحى * عليك بما خوفتنى الأسد الورد

وأما خواص غريبة و
مما لا يفى العمر بتجربتها
ولا معنى لذكرك كلها لأجل
الميل فى بعضها فإن أحببت
أن تكون منها على ثقة فشمر
لتجربتها وإياك أن تغتر
أو تلم أو تمل إذا لم تصب
فى مرة أو مرتين فإن ذلك
قد يكون لفقد الشرط أو
حدوث مانع وحسبك
ماترى من حال المغناطيس
وجذبه الحديد فإنه إذا
أصابه رائحة الثوم بطلت
تلك الخاصية فإذا غسلته
بالخل عاد إليه فإذا رأيت
مغناطيسا لايجذب الحديد
فلا تنكر خاصيته فاصرف
عنايتك إلى البحث عن
أحواله حتى يتضح لك أمره
على أنى أشهد الله تعالى أن
شيئا منها ما افتريته بل
كتبت الكل كما افتريته
فإن نظرت إليها بعين
الرضا فإنها عن كل عيب
كليلة وإن نظرت بعين
السخط فالمساوى كثيرة
وعين الكريم عن المعائب
عميا وأذنه عن المساوى
صما ولله در القائل:

فقلت لهم لا تنسوا
الفضل بينكم.
فليس يرى عين الكريم
سوى الحسن.

﴿ وسميته ﴾ عجائب
المخلوقات وغرائب
الموجودات ولا بد من
ذكر مقدمات أربع

ولما قتله المنصور خطب الناس فذكر أن أبا مسلم أحسن أولا وأساء آخرا ثم قال فى آخر خطبته وما أحسن ما قال النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر :

فمن أطاعك فانفعه لطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

والضمد بفتح الضاد المعجمة والميم الحقد وكان قتله فى شعبان سنة ست أو سبع وثلاثين ومائة قال ابن خلكان وغيره وكان أبو مسلم قد سمع الحديث وروى عنه وأنه خطب يوما فقام إليه رجل فقال ما هذا السواد الذى أراه عليك فقال أبو مسلم حدثنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيبة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه قلت حديث جابر هذا فى صحيح مسلم قال ابن الرفعة وفى الحديث الصحيح أن النبى ﷺ صعد المنبر وعلى رأسه عمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه وهو أيضا فى صحيح مسلم قال ابن الرفعة ومن ثم كان شعار بنى العباس فى الخطبة السواد اه * قيل أحصى من قتله أبو مسلم صبرا وفى حروبه فكانوا ستمائة ألف واختلف فى نسبه فقيل من العرب وقيل من العجم وقيل من الأكراد وروى أنه قيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله أبو مسلم خير أم الحجاج فقال لا أقول أن أبا مسلم كان خيرا من أحدكم ولكن كان الحجاج شرا منه اه وكان أبو مسلم فصيحا عالما بالأمور ولم ير قط مازحا ولم يظهر عليه سرور ولا غضب ولا يأتى النساء إلا مرة واحدة فى السنة وكان يقول الجماع جنون ويكفى الإنسان أن يجن فى السنة مرة واحدة وروى أنه قيل لأبى مسلم ما كان سبب خروج الدولة عن بنى أمية قال لأنهم أبعدوا أولياءهم ثقة بهم وأدنوا أعداءهم تألفا لهم فلم يصر العدو صديقا بالدنو وصار الصديق عدوا بالإبعاد وكان أبو مسلم ممن دولة بنى أمية ومحى دولة بنى العباس ذكر ابن الأثير وغيره أن أبا جعفر المنصور لما حاصر ابن هبيرة قال إن ابن هبيرة يخندق على نفسه مثل النساء فبلغ ذلك ابن هبيرة فأرسل إليه أنت القائل كذا وكذا فابرز إلى لترى فأرسل إليه المنصور وما أجد لى ولك مثلا فى ذلك إلا كأسد لقى خنزيرا فقال له الخنزير بارزنى فقال له الأسد ما أنت لى بكفء فإن نالنى منك سوء كان ذلك عارا على وإن قتلتك قتلت خنزيرا فلم أحصل على حمد ولا فى قتلى لك فخر فقال له الخنزير إن لم تبارزنى لأعرفن السباع أنك جبنت عنى فقال الأسد احتمال عار كذبك أيسر من تلطخ راحتى بدمك (الحكم) قال الشافعى وأبو حنيفة وأحمد وداود والجمهور يحرم أكل الأسد لما روى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ قال كل ذى ناب من السباع فأكله حرام قال أصحابنا المراد بذى الناب ما يتقوى بنابه ويصطاد وفى الحاوى للماوردى قال الشافعى إنه ما قويت أنيابه فعدا بها على الحيوان طالبا غير مطلوب فكان عدوه بأنيابه علة تحريمه وقال أبو إسحاق المروزى هو ما كان عيشه بأنيابه فإن ذلك علة تحريمه وقال أبو حنيفة هو ما افترس بأنيابه وإن لم يبتدئ بالعدو وإن عاش بغير أنيابه فهذه ثلاث علل أعمها علة أبى حنيفة وأوسطها علة الشافعى وأخصها علة المروزى فعلى العلتين الأوليين يحل الضبع لأنه يتناوم حتى يصطاد وتحل السنانير على قول الشافعى لأنها لم تتقوى بأنيابها وتكون مطلوبة لضعفها لكن قد صحح الأصحاب تحريمها كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة ويحل ابن آوى على ما علله الإمام الشافعى لأنه لا يبتدئ بالعدو ويحرم على ما علله المروزى لأنه يعيش بنابه وهذا هو الأصح كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى وقال مالك يكره أكل كل ذى ناب من السباع ولا يحرم واحتج بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلى محرما على طاعم يطعمه الآية واحتج أصحابنا بالحديث المذكور قالوا والآية ليس فيها إلا الإخبار بأنه لم يجد فى ذلك الوقت محرما إلا المذكورات فى الآية ثم أوحى إليه بتحريم كل ذى ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به قال الشافعى رضى الله عنه ولأن

ى شرح هذه الألفاظ ليتبين منها مقصود الكتاب والله الموفق للصواب ﴿المقدمة الأولى﴾ فى شرح العجب قالوا العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشىء أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل ولم يكن شاهده قبل لكثرته حيره لعدم معرفة فاعله فلو علم إنه من عمل النحل لتحير أيضا من حيث أن ذلك الحيوان الضعيف كيف أحدث هذه المسدسات المتساوية الأضلاع الذى عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ومن أين لها هذا الشمع الذى اتخذت منه بيوتها المتساوية التى لا تخالف بعضها بعضا كأنها أفرغت فى قالب واحد ومن أين لها هذا العسل الذى أودعته فيها ذخيرة للشتاء وكيف عرفت أن الشتاء يأتيها وأنها تفقد فيه الغذاء وكيف اهتدت إلى تغطية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطا بالعسل من جميع جوانبه فلا ينشفه الهواء ولا يصيبه الفأر ويبقى كالبرنية المنضمة الرأس فهذا معنى العجب وكل ما فى العالم بهذه المثابة

العرب لم تأكل أسدا ولا ذئبا ولا طبا ولا نمرا ولا دبا ولا كانت تأكل الفأر ولا العقارب ولا الحيات ولا الحدأ ولا الغربان ولا الرخم ولا البغاث ولا الصقور ولا الصوائد من الطير ولا الحشرات * وأما بيع الأسد فلا يصح لأنه لا ينتفع به وحرم الله أكل فريسته ﴿الأمثال﴾ إنما كانت العرب أكثر أمثالها مضروبة بالبهائم فلا يكادون يذمون ولا يمدحون إلا بذلك لأنهم جعلوا مساكنهم بين السباع والأحناش والحشرات فاستعملوا التمثيل بها لذلك روى الإمام أحمد بإسناد حسن والحسن ابن عبد الله العسكرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال حفظت من رسول الله ﷺ ألف مثل فلذلك ذكر العسكرى فى كتابه الأمثال ألف حديث مشتملة على ألف مثل من كلام النبى ﷺ فما يخص الأسد من ذلك أنهم قالوا أكرم من الأسد وأبخر من الأسد وأكبر من الأسد وأشجع من الأسد وأجرأ من الأسد وضربوا المثل بالخوف من الأسد قال مجنون ليلى واسمه عامر ابن قيس على خلاف فيه :

يقولون لى يوما وقد جئت حيهم * وفى باطنى نار يشب لهيبها
أما تخشى من أسدنا فأجبتهم * هوى كل نفس أين حل حبيبها

وضربوا المثل أيضا بأسد الشرى وهو طريق بسلمى كثيرة الأسد ﴿قال الفرزدق﴾ :

وإن الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

قيل معنى يستبيلها يأخذ أولادها وينسب إلى الفرزدق مكرمة يرجى له بها الجنة وهى أنه لما حج هشام ابن عبد الملك فى أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل إلى الحجر الأسود ليستلمه فلم يقدر على ذلك لكثرة الزحام فنصب له كرسى وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان أهل الشام فبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم وكان من أجمل الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر فقال رجل من أهل الشأم لهشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشأم وكان الفرزدق حاضرا فقال أنا أعرفه فقال الشامى من هو يا أبا فراس فقال الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى إلى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال أثقال أقوام إذا اقترحوا * حلو الشمائل يحلو عنده نعم

صباه عند فقد التجربة ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم فى قضاء حوائجه وتحصيل شهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته فسقط عن نظره بطول الأنس بها فإذا رأى بغتة حيوانا غريبا أو فعلا خارقا للعادات انطلق لسانه بالتسبيح فقال سبحان الله وهو يرى طول عمره أشياء تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء فمن أراد صحة أو صدق هذا القول فلينظر بعين البصيرة إلى هذه الأجسام الرفيعة وسعتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد إلى أن يبلغ الكتاب أجله فإن الأرض والهواء والبحار بالإضافة إليها كحلقة ملقاة فى فلاة قال الله تعالى والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (ثم) إلى دورانها مختلفا فإن بعضها يدور بالنسبة إلينا رحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعا وبعضها يدور بطيئا (ثم) إلى دوام حركاتها من غير فتور وإلى إمساكها من غير عمد تعمد بها أو علاقة تدلى بها (ثم) لتنظر إلى كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فإن بعضها

ماقال لاقط إلا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عم البرية بالإحسان فانقشعت * عنها الغيابة والإملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهمو * كفر وقربهمو منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أوقيل من خير أهل الأرض قيل همو
لايستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهمو قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت * والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لاينقص العسر بسطاً من أكفهم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهمو * فى كل بدء ومختوم به الكلم
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لاولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام على الفرزدق وأمر بحبسه فأنفذله زين العابدين اثنى عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله تعالى لا للعطاء فأرسل إليه زين العابدين وقال له إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لانستعيده والله عز وجل يعلم نيتك ويثيبك عليها فشكر الله لك سعيك فلما بلغته الرسالة قبلها * والفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة وإنما لقب به لأنه أصابه جدرى وبرئ منه فبقى وجهه جهما محمرا منتفخاً وقيل لقب به لغلظه وقصره قال ابن خلكان ومحمد بن سفيان أحد أجداد الفرزدق هو أحد الثلاثة الذين سموا بمحمد فى الجاهلية فإنه لايعرف أحد سمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا الثلاثة كان آباؤهم قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبى ﷺ وباسمه وكان كل منهم قد خلف زوجته حاملا فنذر كل منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح أخو عبد المطلب لأمه والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وأما أحمد فلم يتسم به أحد قبله ﷺ

﴿فائدة﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنى الليث قال حدثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال لما حمل نوح عليه السلام فى السفينة من كل زوجين اثنين قال له أصحابه وكيف تطمئن أو تطمئن مواشينا ومعنا الأسد فسلط الله عليه الحمى فكانت أول حمى نزلت فى الأرض فهو لا يزال محموما ثم شكوا الفأرة فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا وشرابنا ومتاعنا فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها وهذا مرسل * وفى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة وهب بن منبه أنه قال لما أمر نوح عليه السلام أن يحمل من كل زوجين اثنين قال يارب كيف أصنع بالأسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والثعلب فأوحى الله تعالى إليه من ألقى بينهم العداوة فقال أنت يارب قال عز وجل فإنى أؤلف بينهم فلا يتضررون ﴿الخواص﴾ قال عبد الملك بن زهير صاحب الخواص المجربة من لطخ بشحم الأسد جميع بدنه هربت منه السباع ولم ينله منها مكروه وصوته يقتل التماسيح إذا سمعته ومرارة الذكر منه تحل المعقود عن النساء إذا سقى منها فى بيضة فى مستهل الشهر ومن علق عليه قطعة من جلده بشعرها أبرأته من الصرع قبل البلوغ فإن كان الصرع قد أصابه بعده لم تنفعه وإذا أحرق من شعره فى مكان هربت منه سائر السباع ولحمه ينفع من الفالج وإذا وضعت قطعة من جلده فى صندوق مع ثياب لم يصبها السوس ولا الأرضة وسنه إذا استصحبها إنسان معه أمن من وجع الأسنان وشحمه إذا طلى به اليدان والرجلان أمنت من مضرة البرد وإذا طلى به البدن لم يقربه القمل وذنبه إذا استصحبه إنسان لاتؤثر فيه حيلة محتال وقال هرمس الجلوس على جلد الأسد يذهب البواسير والنقرس قال ومن

يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى لون الرصاص (ثم) إلى مسير الشمس وفلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم لاختلاف الليل والنهار ومعرفة الأوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة (ثم) إلى إما لنهار عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف وقد اتفق الباحثون على أنها مثل كرة الأرض مائة مرة ونيفا وستين مرة وفى لحظة تسير أكثر من قطر كرة الأرض وقد عرض ذلك جبريل عليه السلام حيث قال للنبى ﷺ من وقت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام (ثم) لينظر إلى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل (ثم) إلى امتلائه وانمحاقه ثم إلى كسوف الشمس وخسوف القمر ومن العجائب السواد الذى فى جرم القمر فإنه لم يسمع فيه قول شاف إلى زماننا هذا وكذلك فى المجرة وهى البياض الذى يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة إلينا رحوية ﴿وعجائب﴾ السموات لانستطيع إحصاء عشر عشرها لكن القدر الذى جرى فى جرم

أخذ من شحم جبهته وذوبه بدهن ورد ومسح به وجهها بته الملوك وجميع الناس وقال الطبرانى الاكتحال بمرارة الأسد يحد البصر قال ومرارة الأسد إذا سقى منها وزن دانق للبرقان بماء بزر قطونا ونعنع نفع نفعا بينا وخصيته إذا ملحت ببورق أحمر ومصطكى وجففت وسحقت وخلطت بسويق وشربت نفعت من جميع الأوجاع التى فى الجوف مثل المغص والقولنج والبواسير والزحير ووجع الأرحام وتشرب بماء حار على الريق ودماغ الأسد يداف بزيت عتيق ويدهن به الاختلاج والارتعاش يذهبهما ومن دهن وجهه وجميع بدنه بشحم الأسد ذهب عنه الكسل والكلف وكل عيب يكون فى الوجه وزبله إذا جفف وخلط به الدلوك الذى يتدلك به نفع من البهق الظاهر وهو نافع لذلك جدا وإن سقى منه أى من زبله إنسان لا يصبر عن الخمر ولا يعلم به وزن دانق أبغضه حتى لا يشربه ولا يشتهى أن يراه ومرارته تداف بالعسل ويجعل منها على الخنازير تزول وشحمه إذا دق بالثوم وطلى به إنسان جسده لم تقربه السباع والله أعلم ﴿التعبير﴾ الأسد فى المنام سلطان شديد البطش والبأس ظالم غاشم مجاهر متسلط بجراءته لا يأمنه صديق ولا عدو ويعبر أيضا بعدو مسلط وربما دل على الموت لأنه يقبض الأرواح وربما دلت رؤيته على عافية المريض فمن رأى أسدا من حيث لا يراه وهرب منه الرائى فإنه ينجو مما يخاف وينال حكما وعلما لقوله تعالى ففرت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين فإن كان قد استقبله وهرب منه نال هما من ذى سلطان ثم ينجو من الهلاك والمرض ومن رأى أن أسدا صرعه ولم يقتله فإنه يحم حمى دائمة لأن الأسد لا تفارقه الحمى كما تقدم أو يسجن لأن الحمى سجن المؤمن وربما دلت مصارعته على المرض ومن رأى أنه أخذ شيئا من شعره أو عظمه أو لحمه نال مالا من سلطان أو من عدو ومن رأى أنه ركب أسدا وهو يخافه فإنه يقع فى بلية فإن كان لا يخافه قهر عدوا فإن ضاجعه وهو لا يخافه أمن من عدوه ومن رأى أسدا يثب على الناس فإن السلطان يظلم رعيته ومن رأى أنه أكل رأس أسد نال ملكا ومن رأى أنه يرعى أسدا فإنه يؤاخى ملكا ظالما ومن رأى أنه أخذ جرو أسد فى حجره فإن امرأته تضع غلاما إن كانت حاملا وإلا فإنه يحمل ولد أمير فى حجره كما عبره ابن سيرين رحمه الله ومن رأى أن أسدا ندزاره فإنه يمرض ومن رأى أن الأسد قد قتله فإن كان عبدا فإنه يعتق وإلا حصل له خوف من سلطان وصوت الأسد يدل على تهدد من سلطان ومن رأى أن أسدا يتملق له جرى على يديه أمور عجيبة وربما دل على قهر عدو والله أعلم ﴿تتمة﴾ قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه لو يعلم الناس ما فى علم الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد قال فى الإحياء فإن قلت تعلم الجدال والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا فمن قائل إنه بدعة وحرام وإن العبد إن لقى الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو فرض عين وإنه من أفضل الأعمال وأعلى القربات فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى * وممن ذهب إلى التحريم الشافعى ومالك والإمام أحمد وسفيان وأهل الحديث قاطبة قال ابن عبد الأعلى سمعت الشافعى يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لأن يلقى الله تبارك وتعالى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشئ من علم الكلام وقال أيضا قد اطلعت لأهل الكلام على شئ ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام وحكى الكرابيسى أن الشافعى سئل عن شئ من الكلام فغضب وقال يسئل عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال أنت حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد أنه من أهل الكلام ولا دين له وقال أيضا حكمى فى أهل الكلام

القمر ذكرناه تبصرة لكل عبد منيب (ثم) لينظر إلى ما بين السماء والأرض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبرق والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب وليتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع فى جوصاف لا كدورة فيه وكيف حمل الماء وتسخر الرياح فإنها تتلاعب به وتسوقه إلى المواضع التى أرادها الله تعالى فترش وجه الأرض وترسله قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الأرض برفق فلو صبه صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الأرض ويرسلها مقدرا كافيا لا كثيرا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ولا قليلا ناقصا عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر (ثم) إلى اختلاف الرياح فإن منها ما يسوق السحب ومنها ما ينشرها ومنها ما يجمعها ومنها ما يعصرها ومنها ما يلقح الأشجار ومنها ما يربى الزرع والثمار ومنها ما يجففها ثم لينظر إلى الأرض وجعلها قرارا لتكون فراشا ومهادا ثم إلى سبعة أكنافها وبعد أقطارها عجز الآدميون

عن بلوغ جميع

جوانبها والأرض فرشناها فنعم الماهدون (ثم) إلى جعل ظهرها محلا للأحياء وبطنها مقرا للأموات فتراها وهي ميتة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأظهرت أجناس المعادن وأنبتت أنواع النبات وأخرجت أصناف الحيوان (ثم) إلى إحكام أطرافها بالجبال الشامخات كأوتاد لها يمنعونها من أن تميد ثم إلى إيداع أوشال المياه في خزانات ليخرج منها قليلا قليلا فتتفجر منها العيون وتجرى منها الأنهار دائما ثم لينظر إلى البحار العميقة التي هي خلجان من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجبال بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء (ثم) إلى ما فيها من الحيوان والجواهر وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله وأضعافه وفيها أجناس لا يعهدها نظير في البر (ثم) لينظر إلى خلق اللؤلؤ في صدفه تحت الماء (ثم) إلى إنبات المرجان في صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر (ثم) إلى ما عداه من

أن يضربوا بالجريد ويطاف إنهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام وقال الإمام أحمد رحمه الله لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض وبالغ في ذمه حتى هجر الحرث المحاسبي مع زهده وورعه لتصنيفه كتابا في الرد على المبتدعة وقال له ويحك ألست تحكي بدعتهم أولا ثم تردعليهم ألتست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة كلام أهل البدعة والتفكير فيه فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث وقال أحمد أيضا علماء الكلام زنادقة وقال مالك لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء قال بعض أصحابه في تأويل ذلك إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا وقال أبو سيف من طلب العلم بالكلام تزندق وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا يحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه * وأما الفرقة الأخرى فاحتجوا بأن المحظور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم يعدها الصحابة رضي الله تعالى عنهم فالأمر في ذلك قريب إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير وتصنيف الفقه من وضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخارا ليوم وقوعها وإن كان نادرا أو تشحيذا للخاطر فنحن أيضا نرتب طريق المحاجة لتوقع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة إليها على البديهة ووالارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال قال فإن قلت فما المختار فيه عندك فاعلم أن الحق فيه إطلاق القول بذمه في كل حال أو بمدحه في كل حال خطأ بل لا بد فيه من التفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف ذاته وهو الإسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر لإساغة ما يغص به الإنسان من الطعام إذا لم يجد ما يسيغه به سوى الخمر وقد يحرم لغيره كالبيوع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الأضرار وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثرته تضر بالمحرور وكأكل الطين وكان إطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال فإن تصدى لشيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى أن نفصل فنرجع إلى علم الكلام ونقول إن فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الإضرار حرام فأما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم وذلك مما يحصل في حالة الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه وتختلف فيه الأشخاص فهذا ضرورة في الاعتقاد وله أيضا في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر يحصل بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات هيهات بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل إذ العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع والناس متعبدون بصحة العقيدة التي أجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة وهو من فروض الكفاية كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما مالم تستعد العلماء لنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة مالم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه أيضا من فروض الكفايات لكن ليس من الصواب تدريسه على العوام كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر

الغداء لا يحذر وضرورة الدواء محذور فإن قيل قد جعل جماعة التوحيد عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بكثرة الأسئلة وإثارة الشبهات وتأليف الإلزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد فاعلم أن التوحيد عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وإن فهموه لم يتصفوا به وهو أن ترى الأمور كلها من الله رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر إلا منه تبارك وتعالى وهذا مقام شريف فالتوحيد جوهر نفيس له قشران (أحدهما) أبعد عن اللب من الآخر وهو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله وهذا يسمى توحيداً مناقضا للتثليث الذى تصرح به النصارى لكنه قد يصدر من المنافق الذى يخالف سره جهره (وأما الثانى) فأن لا يكون فى القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ذلك والتصديق به وهذا توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة فخصص الناس الاسم بهذين القشرين وتركوا لبابهما وأهملوه بالكلية واللباب هو التوحيد المحض وهو أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات إلى الأسباب والوسائط وأن تعبده عبادة تفرده بها فلا تعبد غيره واتباع الهوى يخرج عن هذا التوحيد فكل متبع هواه قد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال ﷺ أبغض إله عبد فى الأرض عند الله هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس إلى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات إليهم فإن من يرى الكل من الله تعالى كيف يسخط على غيره فالتوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر إلى ماذا حول وبأى قشر قنع فالموحد هو الذى لا يرى إلا الواحد ولا يتوجه وجهه إلا إليه أى يكون قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص اه وقد تكلمت على هذا المقام فى كتابنا الجوهر الفريد فى علم التوحيد بكلام يشفى النفس ويزيل اللبس وهو كلام طويل مشبع جمعت فيه غالب أقوال الصحابة والعلماء فليراجع وهو فى الجزء الثامن من الباب الخامس من كتاب التوحيد فليراجع * واعلم أنه قد تقدم أن تعلم علم النجوم مذموم فنقول قد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال إذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا وإذا ذكر أصحابى فأمسكوا وقال ﷺ أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدوا به فى البحر والبر ثم أمسكوا * وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه (أحدها) أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقى إليهم أن هذه الآثار تحدث عقب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية يعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا إليها ويرى الشر والخير محذورا من جهتها ومرجوا منها وينمحى ذكر الله تعالى من القلب فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو الذى يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى (الوجه الثانى) أن أحكام النجوم تخمين محض وليس يدرك فى حق آحاد الأشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث إنه جهل لا من حيث إنه علم وقد كان ذلك علما لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب ولا يحصل المسبب عقبها إلا بعد شروط كثيرة ليس فى قدرة البشر الاطلاع عليها فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الإصابة وإن لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الإنسان فى



البحار وسرعة جريها وإلى إيجاد الأنهار ومعرفة النواتى موارد الرياح ومهابها وسواقيها (وعجائب) البحار كثيرة لا مطمع فى إحصائها وقد قيل حدث عن البحر ولا حرج وفيما ذكرناه كفاية (ثم) لينظر إلى أنواع المعادن المودعة تحت الجبال فمنها ما ينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص ومنها ما لا ينطبع كالفيروزج والياقوت والزبرجد ثم إلى كيفية استخراجها وتنقيتها واتخاذ الحلى والآلات والأوانى منها ثم إلى معادن الأرض كالنفط والقير والكبريت وغيرها وأقلها الملح فلو خلت منه بلد لتسارع الفساد إلى أهلها (ثم) لينظر إلى أنواع النبات وأصناف فواكهها مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأرابيج تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل مع اتحاد الأرض والهواء والماء فيخرج من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب وبرة حبة سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة (ثم) لينظر إلى أرض

البوادى وتشابه أجزائها من كل زوج بهيج (ثم) إلى كثرتها واختلاف أصنافها متشابهة وغير متشابهة ثم إلى كثرة أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها فلم ينبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فيهم البشر دون إدراكها (ثم) لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويقوم ويمشى وانقسام الماشى إلى ما يمشى على بطنه وإلى ما يمشى على رجلين وإلى ما يمشى على أربع وإلى أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها ليرى عجائب تدهش منها العقول بل فى البقة أو النمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها القوت لوقت الشتاء وحذقها فى هندستها ونصبها الشبكة للصيد ولا من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى وانما سقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة (وعجائب) السموات والأرض كما قال تعالى (قل انظروا ماذا فى

أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويتبدد الغيم وربما يكون بخلافه فإن مجرد الغيم ليس كافيا فى مجىء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة فى الرياح ولذلك الرياح أسباب خفية لا يطلع عليها الملاح فتارة يصيب فى تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوى عن النجوم، (الوجه الثالث) لا فائدة فيه وأقل أحواله أنه خوض فى فضول لا يغنى وتضييع للعمر الذى هو أنفس بضائع الإنسان بغير فائدة وغايته الخسران فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال ﷺ إنما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فإذا الخوض فى النجوم إنما يشبه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير فائدة فإن ما قدر كائن والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فإن الحاجة إليه ماسة وأكثر أدلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وإن كان تخمينا لأنه جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه ولذلك أكثرنا فى كتابنا هذا من النقل من هذين العلمين لضرورة الحاجة إليهما ولقلة الخطأ فيهما لإمكان الاطلاع على أكثر أدلتهما والله الموفق للصواب.

﴿الإبل﴾ بكسر الباء الموحدة وقد تسكن للتخفيف الجمال وهو اسم واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع إنما هو دال على الجنس كذا قاله ابن سيده وقال الجوهرى ليس لها واحد من لفظها وهى مؤنثة لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم وإذا صغرتها أدخلت عليها الهاء فقلت أبيلة وغنيمة ونحو ذلك وربما قالوا للإبل إبل بإسكان الباء كما تقدم والجمع آبال والنسبة إبلى بفتح الباء وروى ابن ماجه عن عروة البارقى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة وفى حديث وهب تأبل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عاما لم يصب حواء أى امتنع عن غشيانها أعواما وتوحش عنها ويقال للإبل بنات الليل ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا أجذع ويجمع على أبعرة وبعران والشارف الناقة المسنة وجمعها شرف والعوامل الإبل ذوات السنامين والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها وهو أنها حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به وتأخذ زمامه فأرة فتذهب به إلى حيث شاءت ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه وسائده كأنه فى بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشى بكل هذه ولهذا قال تعالى (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) وقد جعلها الله تعالى طوال الأعناق لتثور بالأثقال وعن بعض الحكماء أنه حدث عن الإبل وعن بديع خلقها وكان قد نشأ بأرض لا إبل فيها ففكر ساعة ثم قال يوشك أن تكون طوال الأعناق وحيث أراد الله تعالى بها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى إلى ظمأها ليرتفع إلى العشر وجعلها ترعى كل شىء نابت فى البرارى والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم روى عن سعيد بن جبير أنه قال لفيت شريحا القاضى ذاهبا فقلت له أين تريد فقال أريد الكناسة فقلت وما تصنع بالكناسة قال أنظر إلى الإبل كيف خلقت وقال تعالى (وعليها وعلى الفلك تحملون) قرنها بالفلك التى هى السفائن لأنها سفن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدى زمامها * يريد صيدح التى يخاطبها بقوله:

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وصيدح اسم ناقته وهذا البيت أنشده سيبويه ورواه برفع الناس على الحكاية أى سمعت هذه الكلمة ورواه غيره بالنصب وكل له وجه وسيأتى إن شاء الله ذكر الصيدح فى باب الصاد المهملة وربما تصبر الإبل عن الماء عشرة أيام وإنما جعل الله تعالى أعناقها طوالا لتستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل وفى

الحديث لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم ومهر الكريمة أى أنها تعطى فى الديات فتحقن بها الدماء وتمنع من أن يهراق دم القاتل هذه عبارة الفصيح وفى الحديث لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى أى مما يوسع الله تعالى به على الناس حكاه ابن سيده والذى نعرفه لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن جل وعلا وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال إنما مثل القرآن مثل الإبل المعقلة إن تعاهدها صاحبها على عقلها أمسكها وإن أغفلها ذهبت إذا قام صاحب القرآن بقراءته بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقرأه نسيه وفيها عنه أيضا أن النبى ﷺ قال الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وسيأتى بيان معناه إن شاء الله تعالى فى باب الراء المهملة فى لفظ الراحلة * والإبل أنواع : الأرحبية منسوبة إلى بنى أرحب من همدان وقال ابن الصلاح إنها من إبل اليمن والشذقمية إبل منسوبة إلى شذقم وهو فحل كريم كان للنعمان بن المنذر والعيدية بكسر العين المهملة إبل منسوبة إلى بنى العيد وهم فخذ من بنى مهرة قاله صاحب الكفاية والمجدية إبل باليمن منسوبة إلى المجد وهو الشرف والشدنية إبل منسوبة إلى فحل أو بلد قاله فى الكفاية والمهرية إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة والجمع المهارى قاله ابن الصلاح وما قاله الغزالى من أن المهرية هى الرديئة من الإبل ليس كذلك ومنها إبل وحشية تسمى إبل الوحش يقولون إنها من بقايا إبل عاد وثمود ومن لقب الإبل العيس وهى الشديدة الصلبة والشملال وهى الخفيفة واليعملة وهى التى تعمل والوجناء وهى الشديدة أيضا والناجية وهى السريعة والعوجاء وهى الضامرة والشمردلة وهى الطويلة والهجان وهى الإبل الكريمة والكوماء بضم الكاف وهى الناقة العظيمة السنام والحرف وهى الناقة الضامرة قال كعب بن زهير : حرف أبوها أخوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شملیل والقوداء الطويلة العنق والشمليل السريعة وقوله من مهجنة أى من إبل كرام ومهجان وقوله أبوها أخوها أى أنها من جنس واحد فى الكرم وقيل إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها وكانت الناقة التى هى أم هذه بنت أخرى من الفحل لأكبر فعمها خالها على هذا وهو عندهم من أكرم النتاج والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبى سعيد ومما يستحسن ويستجاد من كلام كعب رضى الله عنه قوله : لو كنت أعجب من شىء لأعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا ينتهى العين حتى تنتهى الأثر

قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ليس لشىء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه إذ يسوء خلقه ويظهر زبده ورغاؤه فلو حمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل ويقل أكله ويخرج الشقشقة وهى الجلدة الحمراء التى يخرجها من جوفه وينفخ فيها فتنظر من شدقه لا يعرف ما هى قال الليث ولا تكون إلا لعربى وفيه نظر قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إن الخطب من شقاشق الشيطان شبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر ولسانه بشقشقته وروى الحاكم فى حديث فاطمة بنت قيس رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لها أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فإنى أخاف عليك من شقاشقه * والفحل لا ينزو إلا مرة واحدة فى السنة ويطول فيها مكثه وينزل فيها مرارا كثيرة ولذلك يعقبه فتور ووهن والأنثى تلقح إذا مضى لها ثلاث سنين ولذلك سميت حقة لأنها استحقت ذلك قالوا والجمل أشد الحيوان حقدا وفى طبعه الصبر والصولة وذكر صاحب المنطق أنه لا ينزو على أمه قال وقد كان رجل فى سالف الدهر ستر ناقة بثوب ثم أرسل ولدها عليها فلما عرف ذلك قطع ذكره ثم حقد على الرجل حتى قتله وآخر فعل مثل ذلك فلما عرف

أوائلها ولا أواخرها والله الموفق للصواب

﴿ المقدمة الثانية ﴾ فى تقسيم المخلوقات . المخلوق كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى وهو إما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير والقائم بالذات إما أن يكون متحيزا أو لم يكن فإن كان متحيزا فهو الجسم وإن لم يكن فهو الجوهر الروحانى وهو إما أن يكون متعلقا بالأجسام تعلق التدبير وهو النفس أولا يكون وهو إما أن يكون سليما عن الشهوة والغضب وهو الملك أولا يكون وهو الجن والقائم بالغير إن كان قائما بالمتحيزات فهو الأعراض الجسمانية وإن كان قائما بالمفارقات فهو الأعراض الروحانية كالعلم والقدرة والأعراض الجسمانية إما أن يلزم من صدقها حصول صدق النسبة أو صدق قبول النسبة أولا هذا ولا ذاك فإن كان الأول بالنسبة إما حصول فى المكان وهو الأين أو فى الزمان وهو الشىء أو نسبة متكررة وهو الإضافة أو تأثير الشىء فى الشىء وهو الفعل أو تأثر الشىء عن الشىء وهو الانفعال وكون الشىء محيطا بالشىء يجب أن ينتقل المحيط بانتقال المحاط

به هو الملك أو هيئة حاصلة بمجموع الجسم بسبب حصول النسب بين أجزائه بعضها إلى بعض وبين أجزائه والأمور الخارجية وهو الوضع وإن كان يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فهو إما أن يكون بحيث لا يحصل بين أجزائه حدود مشتركة وهو العدد أو يحصل وهو المقدار وإن كان لا يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فإما أن يكون مشروطا بالحياة أو لم يكن فإن كان فإما أن يتوقف على الشهوة والبقرة وهو التحريك أو لا يتوقف وهو الإدراك ثم الإدراك إما إدراك الكليات وهو العلوم والظنون والجهالات أو إدراك الجزئيات وهو الحواس الخمس، وإن لم يكن مشروطا بالحياة فهو الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس، أما المحسوسات بالقوة الباصرة فكالأضواء والألوان، وأما المحسوسات بالقوة الشامة فكالطيب والنتن، وأما المحسوسات بالقوة السامعة فالأصوات والحروف، وأما المحسوسات بالقوة اللامسة فكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة والملامسة فهذه جملة أقسام الممكنات

أنها أمه قتل نفسه وكل الحيوان له مرارة إلا الإبل ولذلك كثر صبرها وانقادت وكنى الجمل بأبي أيوب وإنما يوجد على كبدها شيء يشبه المرارة وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من العشا العتيق ومن طبعها أنها تستطيب الشجر الذي له شوك وتهضمه أمعاؤها ولا تستطيع في غالب الأوقات أن تهضم الشعير ومن عجيب ما ذهبت إليه العرب أنها إذا أصاب إبلها العركوا السليم ليشفى العليل وفي هذا المعنى قال النابغة:

وحملتني ذنب امرئ وتركته * كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وأخذ منه غيره فقال:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم * فكأنني سبابة المتندم

وأنكر أبو عبيد القاسم بن سلام ذلك وروى الجماعة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال إن امرأتي ولدت غلاما أسود فقال له النبي ﷺ هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال ﷺ هل فيها من أورق قال إن فيها لورقا قال هو ذاك قال فأنى أتاها ذلك قال ﷺ عسى أن يكون نزعه عرق وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث في الكلام على لفظ الأسود وإنما قال ﷺ عسى أن يكون نزعه عرق ولم يرخص له النبي ﷺ في الانتفاء عنه والرجل المذكور في هذا الحديث ضمضم بن قتادة العجلي ولم يذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب وليس له سوى هذا الحديث وهو مسمى في بعض المسندات وذكره عبد الغني في الحديث بزيادة حسنة فقال كانت المرأة من بني عجل فقدم المدينة عجائز من بني عجل فسئلن عن المرأة التي ولدت الغلام الأسود فقلن كان في آبائها رجل أسود قال والرجل اسمه ضمضم بن قتادة العجلي وقال الخطيب أبو بكر قلن كان للمرأة جدة سوداء ﴿الحكم﴾ يحل أكل الإبل بالنص والإجماع قال الله تعالى (أحلت لكم بهيمة الأنعام) وأما تحريم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه أكل لحوم الإبل وشرب ألبانها فكان ذلك باجتهاد منه على الصحيح والسبب في ذلك أنه كان يسكن البدو فاشتكى عرق النساء فلم يجد شيئا يؤلمه إلا لحوم الإبل وألبانها فلذلك حرمها وإسرائيل لفظة عبرانية وقد اختلف العلماء في انتقاض الوضوء بأكل لحومها فذهب الأكثرون إلى أنه لا ينتقض الوضوء بأكل لحومها وذهب الباقون إلى أنه ينتقض الوضوء به فممن ذهب إلى الأول الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وأبو الدرداء وأبو طلحة الأنصاري وأبو أمامة الباهلي وعامر بن ربيعة رضي الله عنهم وجماهير التابعين ومالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم رحمهم الله وممن ذهب إلى انتقاض الوضوء به أحمد وإسحق بن راهويه ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي من أصحاب الشافعي وهو قول الشافعي القديم وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر دليله في باب الجيم في الجزور وعن أحمد في أكل سنامها روايتان ولأصحابه في شرب ألبانها وجهان وتكره الصلاة في أعطانها وهي الأمكنة التي تأوي إليها بعد الشرب روى أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن البراء بن عازب قال سئل رسول الله ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل فقال توضؤا منها وسئل عن لحوم الغنم فقال لا تتوضؤا منها وسئل عن الصلاة في مبارك الإبل فقال لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها من أوى الشياطين وسئل عن الصلاة في مرابض الغنم فقال صلوا فيها فإنها مباركة وروى النسائي وابن حبان من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال أن الإبل خلقت من الشياطين * وأما زكاتها فالواجب في كل خمس منها سائمة شاة وفي عشر شاتان وفي خمسة عشر ثلاث شياه وفي عشرين أربع شياه ثم في خمس وعشرين بنت مخاض وفي ست وثلاثين بنت لبون وفي ست وأربعين حقة وفي إحدى وستين جذعة وفي ست وسبعين بنتا لبون وفي إحدى وتسعين حقتان وفي

مائة وإحدى وعشرين ثلاث بنات لبون ثم فى كل أربعين بنت لبون وفى كل خمسين حقة وبنت المخاض لها سنة وبنت اللبون لها سنتان والحقة لها ثلاث سنين والجذعة لها أربع سنين والشاة الواجبة لها جذعة ضأن وهى ما لها سنة أو ثنية معز وهى ما لها سنتان وبقية أحكام الزكاة معروفة ﴿ تتمة ﴾ قال المتولى إذا أوصى لشخص بإبل جاز أن يعطى ذكرا أو أنثى فإن أعطى فصيلا أو ابن مخاض لم يلزمه قبوله لأنه لا يسمى إبلا (الأمثال) روى مسلم والترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال الناس كإبل مائة ليس فيها راحلة يعنى أن المرضى من الناس قليل وسيأتى معناه إن شاء الله تعالى فى باب الراء المهملة فى الراحلة وقال الأزهرى معناه أن الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها والرغبة فى الآخرة قليل كقلة الراحلة فى الإبل وقالوا أشبعهم سباورا حوا بالإبل قيل أول من قاله كعب بن زهير بن أبى سلمى يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام وقالوا ماهكذا ياسعد تورد الإبل يضرب لمن تكلف أمرا لا يحسنه ويتمثل بذلك على رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى وغيره وقالوا يا إبل عودى إلى مباركك يضرب لمن يفر من الشىء الذى لا بد له منه (الخواص) قال ابن زهير وغيره إذا وقع بصر الجمل على سهيل مات لوقته ولحوم الإبل والكباش الحولية الجبلية رديئة كلها وإذا أحرق وبر الإبل وذر على الدم السائل قطعه وقراده يربط فى كم العاشق فيزول عشقه وإذا شرب السكران من بول الجمل أفاق من ساعته ولحمه يزيد فى الباه والإنعاظ بعد الجماع وبول الإبل ينفع من ورم البكد ويزيد فى الباه ومخ ساق الجمل إذا تحملت به المرأة فى قطنة أو صوفة بعد الطهر ثلاثة أيام وجومعت فإنها تحمل وإن كانت عاقرا وسيأتى إن شاء الله تعالى قريبا فى الكلام على لفظ الإنسان قاعدة ذكرها حذاق الأطباء تعرف بها العاقر من النساء (التعبير) قال أهل التعبير من رأى أنه ملك منها هجمة فى منامه فإنه يدل على أنه يحكم على جماعة ذوى أقدار ويملك مالا طائلا وكذلك إذا رأى أنه نال ثلة أو ثاغلة أو راغية والهجمة مائة من الإبل والثلة قطيع من الغنم والثاغية الشاة والراغية الإبل قالوا ومن رأى أنه ملك إبلا فى منامه نال عقبى حسنة وسلامة فى دينه ومعتقده لقوله تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت فإن قال رأيت جمالا فربما دل على الأعمال السيئة لقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ولقوله تعالى أنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر وإن قال رأيت أنعاما وأنا أسرحها فى المنام فإنه يدل على تذلل الأمور الصعاب وظهور النعمة عليه لقوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون إلى قوله تسرحون ومن رأى أنه يرعى إبلا عرابا ولى على قوم من الأعراب ومن رأى إبلا كثيرة فى بلد فإنها تدل على أمراض وحروب وقال الجيلى من رأى أنه يملك إبلا نال مقدرة وسطوة وقال أرطاميدورس من أكل لحم الإبل فى منامه مرض وقال محمد بن سيرين إمام المعبرين ومن أعلام التابعين لا بأس بأكل لحم الإبل لقوله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون وستأتى بقيته إن شاء الله تعالى فى باب الجيم فى لفظ الجمل والله أعلم ﴿ الأبابيل ﴾ واحدته إبالة وقال أبو عبيد القاسم بن سلام لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها أبول كعجول وقيل إبيل كسكيت وقيل إبال كدينار ودنانير وذكر الفارسى أنه سمع فى واحده إبالة بالتشديد وحكى الفراء إبالة بالتخفيف واختلفوا فى قوله تعالى وأرسل عليهم طيرا أبابيل فقال سعيد بن جبير هى طير تعشش بين السماء والأرض وتفرخ ولها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وعن عكرمة أنها طيور خضر خرجت من البحر لها رؤس كرؤس السباع وقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث الله الطير على أصحاب الفيل كالبلسان وقيل كانت كالوطاويط وقال عبادة بن الصامت أظنها الزرازير وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها هى أشبه

السير أنه وحد فى السفر الأول من التوراة أن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ورسب منه رسوب فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض ويدل على ذلك قوله تعالى إن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وأحكم جلت قدرته خلق المجموع فى ستة أيام قال بعض العلماء إن اليوم فى اللغة الكون الحادث والأيام ههنا مراتب مصنوعاته لأن قبل الزمان لا يمكن تجدد الزمان فمن الأيام الستة يوم لمادة الأرض ويوم لصورتها ويوم لمادة السماء ويوم لصورتها ويوم لمكملاتها من الجبال والكواكب والنفوس وغيرها وقال أيضا كلما فوق الأرض فهو سماء فى طريق اللغة يقولون ما علاك فهو سماؤك وما دونك فلك القمر فهو بالنسبة إلى الأفلاك أرض قال تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يعنى سبعا فالأولى كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الماء والرابعة كرة الأرض وثلاث طبقات ممتزجات بين الأربعة الأولى من النار

والهواء والثانية من الهواء والماء والثالثة من الماء والأرض ثم دبر بعنايته بعد الجماد أمر المعادن الداخلة فى الجماد ثم النبات ثم الحيوان فهذا هو القول الكلى فى المخلوقات وسيأتى القول فى جزئياتها فى مقالتين إن شاء الله تعالى والله الموفق للصواب

﴿المقدمة الثالثة﴾ فى معنى الغريب: الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدر الله تعالى وإرادته (فمن ذلك) معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر وانفلاق البحر وانقلاب العصا ثعبانا وكون النار برداً وسلاما وخروج الناقة من الصخرة الصماء وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى (ومنها) كرامات الأولياء الأبرار فإن تأثير نفوسهم تتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة فى العالم فيشفى المريض باستشفائهم وتسقى الأرض باستسقائهم (وربما) يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ويصرف الوباء والمونان باستدعائهم وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدو

شىء بالخطاطيف وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين إنها السنونو الذى يأوى الآن فى المسجد الحرام الواحد سنونة والأبيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى بن مريم عليهما السلام أبيل الأبيليين قال الشاعر:

أما ودماء مائرات تخالها * على قنة العزى وبالنسر عندما
وما سبح الرهبان فى كل بيعة * أبيل الأبيليين عيسى ابن مريما
لقد ذاق منا عامر يوم لعلع * حساما إذا ماهز بالكف صمما

والإبالة بالكسر الحزمة من الحطب وفى المثل ضغث على إبالة أى بلية على أخرى كانت قبلها والله الموفق ﴿الآتان﴾ بفتح الهمزة وبالتاء المثناة فوق الحمارة ولا تقل أتانة ويقال ثلاث آتن مثل عناق وأعنق والكثير أتن وأنن واستأتن الرجل أى اشترى أتانا واتخذها لنفسه قال محمد بن سلام حدثنى رجل من قريش قال خرج خالد بن عبد الله القشيرى يوما يتصيد وهو أمير العراق فانفرد عن أصحابه فإذا هو بأعرابى على أتان له هزيل ومعه عجوز فقال له خالد ممن الرجل فقال من أهل المآثر والحسب والمفاخر قال فأنت إذن من مصر فمن أيها أنت قال من الطاعنين على الخيول المعانقين عند النزول قال فأنت إذن من عامر فمن أيها أنت قال من أهل الرفادة والكرم والسيادة قال فأنت إذن من جعفر فمن أيها أنت قال مزبدورها وشموسها وليوثها فى خميسها قال فأنت إذن من الخواص فما أقدمك هذه البلاد قال تتابع السنين وقلة رفد الرافدين قال فمن أردت بها قال أمير كم هذا الذى رفعته امرأته وحطته أسرته قال فما أردت منه قال كثرة ماله لاكرم آبائه قال ما أراك إلا قد قلت فيه شعرا فقال لامرأته أنشديه فقالت كم تجشمنا مدح اللئيم مه اليوم إن مدح اللئيم ذل قال أنشديه فأنشدته:

إليك ابن عبد الله بالجد أرقلت * بنا البيد عيس كالقسى سواهم
عليها كرام من ذؤابة عامر * أضر بهم جدب السنين العوارم
يردن امرأ يعطى على الحمد ماله * وهانت عليه فى الثناء الدراهم
فإن تعط ما تهوى فهذا ثناؤنا * وإن تكن الأخرى فما ثم لائم

فقال له خالد يا عبد الله ما أعجبك وشعرك جئت على أتان هزيل وتزعم أنك جئت على عيس وقد ذكرت الرجل فى شعرك بخلاف ماذكرت فى كلامك فقال يا ابن أخى ما تجشمنا من مدح اللئيم كان أشد من الكذب فى شعرنا فقال له خالد أتعرف خالدا قال لا قال فأنا هو خالد قال أسألك بالله هو أنت خالد قال إى والذى سألتنى به أنا خالد وأنا معطيك غير مكافئك فقال يا أم جحش اصرفى وجه أتانك فقال لها خالد لا تفعلى وأقيمى أنت وزوجك فقال الرجل لا والله لا رزأت امرأ درهما بعد أن أسمعته ما يكره وصرف وجه أتانه ومضى فقال خالد بمثل هذا الفعل نال هذا وآباؤه ما نالوا

وروى البيهقى عن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال من لبس الصوف وحلب الشاة وركب الآتن فليس فى جوفه من الكبر شىء وهو كذلك فى الكامل فى ترجمة عبد الرحمن بن عمار بن سعد وعن جابر وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال براءة من الكبر لباس الصوف ومجالسة فقراء المؤمنين وركوب الحمار واعتقال العنز وأكل أحدكم مع عياله وفى الاستيعاب وغيره أن زرارة بن عمرو النخعى قدم على رسول الله ﷺ فى النصف من رجب سنة تسع فقال يا رسول الله إنى رأيت فى طريقى رؤيا هالتنى قال وما هى قال رأيت أتانا خلفتها فى أهلى قد ولدت جديا أسفع أحوى ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى فقال له النبى ﷺ أخلفت فى أهلك أمة مسرة حملا قال نعم قال ﷺ فإنها قد ولدت غلاما وهو ابنك قال

فإنى له أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال أبك برص تكتمه قال والذى بعثك بالحق نبيا ما علمه أحد قبلك قال فهو ذاك وأما النار فإنها فتنة تكون بعدى قال وما الفتنة يا رسول الله قال ﷺ يقتل الناس إمامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس وخالف بين أصابعه دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء يحسب المسىء أنه محسن إن مت أدركت ابنك وإن مات ابنك أدركتك قال فادع الله لى أن لا تدركنى فدعا له وقد قال العلماء إن هذه الفتنة هى الفتنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه والأسفع الأحوى الأبلق (الأمثال) قالوا كان حمار آفاستأتن يضرب لمن يهون بعد العز (التعبير) الحمارة امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخير ذات ربح متواتر ونسل ولفظ الأتان من الإتيان .

﴿الأخطب﴾ كالأحمر يقال إنه الصرد وأنشد :

ولا أثنى من طيرة عن مريرة * إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصرا

والأخطب حمار يعلو ظهره خضرة وقال الفراء الخطباء الأتان التى لها خط أسود فى ظهرها والذكر أخطب ﴿الأخيضر﴾ ذباب أخضر على قدر الذباب الأسود قاله ابن سيده .

﴿الأخيل﴾ طائر أخضر فيه على أجنحته لمع تخالف لونه وسمى بذلك لخيلان فيه وقيل الأخيل الشقراق الآنى فى باب الشين المعجمة وهو مشئوم ولفظه ينصرف فى النكرة لا إذا سميت به ومنهم من لا يصرفه فى معرفة ولا نكرة ويجعله فى الأصل صفة من التخيل ويحتج بقول الشاعر :

ذرينى وعلمى بالأمور وشيمتى * فما طائرى فيها عليك بأخيلا

﴿الأربد﴾ ضرب من الحيات يعض فيربد منه الوجه ومنه ما حكاه عبد الملك بن عمير قال رأيت زياداً واقفاً على قبر المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وهو يقول :

إن تحت الأحجار حزما وعزما * وخصيما ألدّ ذا معلاق

حية فى الوجار أربد لا ينـ * ـفع منـه السليم نفث الراقى

ثم قال أما والله لقد كنت شديد العداوة لمن عاديت شديد الأخوة لمن آخيت والمعلاق بالعين المهملة قال الجوهرى يقال ذو معلاق أى شديد الخصومة ثم أنشد الشاعر وهو مهلهل :

إن تحت الأحجار حزما وجودا * وخصيما ألدّ ذا معلاق

﴿الأرخ﴾ قال ابن درستويه هى الأنثى الثنية من البقر التى لم ينز عليها الفحل وجمعها أروخ وأراخ قال وأنشدنى أعرابى من مزينة فى طريق مكة لنفسه فقال :

أيام عهدى مى فيك كأنها * أرخ يرود بروضة مثقال

وقال الجوهرى الأرخ وحش البقرة وقال صاحب المغرب الأرخ ولد البقرة الوحشية .

﴿الأرضة﴾ بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة صغيرة كنصف العدسة تأكل الخشب وهى التى يقال لها السرفة بالسين والراء المهملة والفاء وهى دابة الأرض التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة ولما كان فعلها فى الأرض أضيفت إليها قال القزوينى فى الأشكال إذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهى دابة الأرض التى دلت الجن على موت سليمان عليه السلام والنمل عدوها وهو أصغر منها فيأتيها من خلفها فيحملها ويمشى بها إلى جحره وإذا أتاها مستقبلا لا يغلبها لأنها تقاومه انتهى ومن شأنها أنها تبنى لنفسها بيتا حسنا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت منخرطاً من أسفله إلى أعلاه وله فى إحدى جهاته باب مربع وبيتها ناووس ومنها تعلم الأوائل بناء النواويس على موتاهم وفى الصحيحين وغيرهما أن قريشا لما بلغهم إكرام النجاشى لجعفر وأصحابه كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله

باللين والخضوع (ومنها) أخبار الكهنة والكهانة اندرست بمبعث النبى ﷺ وكانوا يأتون الجاهلية بأمور غريبة زعموا أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن (ومنها) الإصابة بالعين فإن العاين إذا تعجب من شىء كان تعجبه مهلكا للمتعجب منه بخاصية لنفسه لا يوقف عليها (ومنها) اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجد مثله لغيرها كما ذكر أن فى الهند قوما إذا اهتموا بشىء اعتزلوا عن الناس وصرفوا اهتمامهم إلى ذلك الشىء فيقع على وفق اهتمامهم (ومن هذا القبيل) ما حكى أن السلطان محمود اغزا بلاد الهند وكان فيها مدينة كل من قصدها مرض فسأل عن ذلك فقالوا إن عندهم جمعا من الهند يصرفون هممهم على ذلك فيقع المرض على وفق اهتمامهم فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة ليشوش هممهم ففعلوا ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة (ومن هذا القبيل) ما ذكر أن رجلا فيلسوفا فى زمن خوارزم شاه محمد ابن تكش جاء من بلاد الهند إلى خراسان فأسلم وكان

ﷺ وأصحابه وكتبوا كتابا على بنى هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم وكان الذى كتب الصحيفة بغيض بن عامر فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من مبعثه ﷺ وانحاز إليهم بنو عبد المطلب وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ثم أطلع الله رسوله ﷺ على أمر الصحيفة وأن الأرضة قد أكلت ما كان فيها من ظلم وجور وبقى ما كان فيها من ذكر الله تعالى فأخبرهم أبو طالب بذلك فارتقوا إلى الصحيفة فوجدوها كما قال رسول الله ﷺ فأخرجوهم من الشعب وروى ابن سعد وابن ماجه فى سننه من حديث أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان يصلى إلى جذع فاتخذ له المنبر فحن ذلك الجذع إليه حنين العشار حتى مسحه رسول الله ﷺ بيده فسكن فلما هدم المسجد وغير أخذ ذلك الجذع أبىّ بن كعب فكان عنده فى داره حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رفاتا وسيأتى إن شاء الله تعالى للأرضة ذكر فى باب الدال المهملة فى لفظ الدابة وفى دود الفاكهة (الحكم) يحرم أكلها لاستقذارها وإذا استخرجت من الأرض ترابها، قال القاضى حسين إن استخرجته من مدر جاز التيمم به ولا يضر اختلاطه بلعابها فإنه طاهر فصار كتراب عجن بخل أو ماء وردو إن استخرجت شيئا من الخشب أو الكتب لم يجز لعدم التراب (الأمثال) قالوا آكل من أرضة وأصنع من أرضة ﴿التعبير﴾ هى فى الرؤيا تدل على منازعة فى العلم وطلب الجدال. ﴿الأرقم﴾ الحية التى فيها بياض وسواد كأنه رقم أى نقش روى أصحاب الغريب أن رجلا كسر منه عظم فجاء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب منه القود فأبى أن يقيده فقال الرجل هو إذن كالأرقم إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم أى إن تركته أكلك وإن قتلته قتلت به وقال ابن الأثير فى النهاية كانوا فى الجاهلية يزعمون أن الجن تطلب بثأر الجان وهى الحية الدقيقة فربما قاتلها وربما أصابه خبل وهذا مثل لمن يجتمع عليه شران لا يدرى كيف يصنع فيهما يعنى أنه اجتمع عليه كسر العظم وعدم الفود وقيل الأرقم الحية التى فيها حمرة وسواد قال مهذب الملك فى ذلك مشبها:

كانون أذهب برده كاننا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تلغلغ باللسان الأزرق

﴿الأرنب﴾ واحدة والأرانب هو حيوان يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين عكس الزرافة يطأ الأرض على مؤخر قوائمه وهو اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى وقال الجاحظ فإذا قلت أرنب فليس إلا الأنثى كما أن العقاب لا يكون إلا للأنثى فتقول هذه العقاب وهذه الأرنب وقال المبرد فى الكامل إن العقاب يقع على الذكر والأنثى وإنما يميز باسم الإشارة كالأرنب وذكر الأرنب يقال له الخزز بالخاء المعجمة المضمومة وبعدها زايان وجمعه خزان كصرد وصردان ويقال للأنثى عكرشة والخرنق ولد الأرنب فهو أولا خرنق ثم سخلة ثم أرنب وقضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب وربما ركبت الأنثى الذكر عند السفاد لما فيها من الشبق وتسافد وهى حبلى وتكون عاما ذكرا وعاما أنثى فسبحان القادر على كل شىء ﴿غريبة﴾ ذكر ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة أن صديقا له اصطاد أرنبا له أنثيان وذكر وفرج أنثى فلما شقوا بطنه رأوا فيه ما يدل على ذلك قال وأعجب من ذلك أنه كان لنا جار له بنت اسمها صفية بقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة ثم طلع لها ذكر ونبت لها لحية وصار لها فرج رجل وفرج امرأة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الضبع نظير ذلك والأرنب تنام مفتوحة العين فربما جاءها القناص فوجدها كذلك فيظنها مستيقظة

يقال له داناى هند يستخرج طالع ذلك له بواسطة حساب يعرفه فرفع أمره إلى السلطان فقال له هل تقدر على استخراج غير الطوالع قال نعم قال أخبرنى عما رأيت البارحة فى نومى فرجع إلى نفسه وحسب ثم قال رأى السلطان أنه فى سفينة وبيده سيف فقال السلطان لقد أصاب لكنا لا ننتفع بهذا القدر لأنى على طرف جيحون كثيرا ما أركب السفينة والسيف لا يفارقنى فربما قال اتفاقا فامتحنه مرة أخرى فأصاب فقربه من نفسه وكان يستعين به فى أموره (ومن) ذلك أمور سماوية كظهور الكواكب ذوات الأذناب والتماثيل والشآنين وانقضاض شهب يستضىء الجو منها (ومنها) سقوط جسم من الجو ثقيل كما ذكر الشيخ الرئيس أنه سقط فى زمانه بأرض جوزجانان جسم كقطعة حديد قدر خمسين منا مثل حبات الجاورش المنضمة فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد ألبتة (ومنها) سقوط ثلج أو برد فى غير أوانه كما حكى عن بعض شيوخ قزوين أنه أتاهم فى زمن الشمس برد عظيم كل واحدة على قدر الجوزة

ويقال إنها إذا رأت البحر ماتت ولذا توجد فى السواحل وهذا لايصح عندى وتزعم العرب فى أكاذيبها أن الجن تهرب منها لموضع حيضها قال الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا * كمثل دم الحرب يوم اللقا

﴿فائدة﴾ الذى يحيض من الحيوان أربعة المرأة والضبع والخفاش والأرنب ويقال إن الكلبة أيضا كذلك روى أبو داود فى سننه من حديث جابر بن الحويرث عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال فى الأرانب أنها تحيض وجابر بن الحويرث قال ابن معين لاأعرفه وذكره ابن حبان فى الثقات ولايعرف له إلا هذا الحديث وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ جىء له بأرنب فلم يأكلها ولم ينه عنها وزعم أنها تحيض وهى تأكل اللحم وغيره وتجتر وتبعر وفى باطن أشداقها شعر وكذلك تحت رجليها (الحكم) يحل أكل الأرنب عند العلماء كافة إلا ماحكى عن عبد الله بن عمرو ابن العاص وابن أبى ليلى رضى الله عنهم أنهما كرها أكلها وحجتنا ماروى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال أنفجنا أرنبا بمر الظهران فسعى القوم عليها فلغبوا فأدركتها فأخذتها وأتيت بها أبا طلحة فذبحها وبعث إلى النبى ﷺ بوركها وفخذها فقبله وفى البخارى فى كتاب الهبة أن النبى ﷺ قبله وأكل منه ولفظ أبى داود كنت غلاما حزورا فصدت أرنبا فشويتها فبعث معى أبو طلحة رضى الله عنه بعجزها إلى النبى ﷺ والحزور بالتشديد والتخفيف المراهق وقد سئل رسول الله ﷺ عنها فقال هى حلال وروى أحمد والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن حبان عن محمد بن صفوان أنه صاد أرنبين فذبحهما بمروتين وأتى النبى ﷺ فأمره بأكلهما وهو فى معجم ابن قانع عن محمد بن صفوان أو صفوان بن محمد واحتج ابن أبى ليلى ومن وافقه بماروى الترمذى عن حبان بن جزء عن أخيه خزيمة بن جزء رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ماتقول فى الأرنب قال ﷺ لا آكله ولا أحرمه قال فقلت ولم يارسول الله قال إنى أحسب أنها تدمى قال فقلت يارسول الله ماتقول فى الضبع قال رسول الله ﷺ ومن يأكل الضبع قال الترمذى إسناده ليس بالقوى ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة وذكر فيه الثعلب والضب أيضا وفى بعض الروايات وسألته عن الذئب فقال لا يأكل الذئب أحد فيه خير وليس فى شىء من الأحاديث وإن ضعفت مايدل على تحريم الأرنب وغاية مافى هذين الخبرين استقذارها مع جواز أكلها (الأمثال) قالت العرب أقطف من أرنب وأطعم أخاك من كلية الأرنب وهو كقولهم أطعم أخاك من عقنقل الضب يضربان للمواساة ومن أمثالهم المشهورة فى ذلك قولهم فى بيته يؤتى الحكم وهو مما زعمته العرب على ألسنة البهائم قالوا إن الأرنب التقطت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الأرنب ياأباحسل قال سميعا دعوت قالت أتيناك لنختصم إليك قال عادلا حكما قالت فاخرج إلينا قال فى بيته يؤتى الحكم قالت إنى وجدت تمرة قال حلوة فكلها قالت فاختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك أخذت قالت فلطمنى قال حرا انتصر لنفسه قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت أقواله كلها أمثالا ومثل هذا أن عدى بن أرطاة أتى شريحا القاضى فى مجلس حكمه فقال له أين أنت قال بينك وبين الحائط قال فاسمع منى قال للاستماع جلست قال إنى تزوجت امرأة قال بالرفاء والبنين قال وشرط أهلها أن لا أخرجها من بينهم قال أوف لهم بالشرط قال فأنا أريد الخروج قال فى حفظ الله قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالك وشريح هذا هو ابن الحرث بن قيس الكندى استقضاه عمر رضى الله تعالى عنه على الكوفة وأقام قاضيا بها خمسا وسبعين سنة لم يبطل إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء وذلك أيام فتنة ابن الزبير

فأهلك كثيرا من الحيوان والنبات والمشمش لايدرك بقزوين إلا فى الصيف (ومنها) سقوط أحجار من الحديد والنحاس فى وسط الصواعق وذلك يوجد ببلاد الترك وربما يوجد بأرض جيلان أيضا وحكى أبو الحسن على بن الأثير الجزرى فى تاريخه أنه نشأت بافريقية فى سنة إحدى عشرة وأربعمائة سحابة شديدة الرعد والبرق فأمطرت حجارة كثيرة وأهلكت كل من أصابته وأغرب من هذا ماحكاه الجاحظ أنه نشأت سحابة بايدج وهى مدينة بين أصبهان وجوزستان سحابة طحيا تكاد تمس رءوس الناس وسمعوا منها كهدير الفحل ثم إنها دفعت بأشد مطر ثم استسلموا للغرق ثم دفعت بالضفادع والشبابيط العظام السمان والشبوط نوع من السمك فأكلوا وملحوا وادخروا كثيرا ومن ذلك أمور أرضية مثل صيرورة اليبس بحرا كأرض يونان فإنها كانت بلاد معمورة والآن استولى الماء عليها وصيرورة البحر يبسا كأرض ساوة فإنها كانت بحرا والآن لايرى فيها أثر البحر (ومنها) مازعموا أنه يصعد من الأرض بخار لايصيب شيئا من الحيوان والنبات إلا جعله حجرا صلدا وآثار ذلك ظاهرة بانضا من

أرض مصر ومثله شم بأرض قزوين (ومنها) وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها وقد شوهد ذلك فى كثير من النواحى منها مدينة عنجره بأرض الروم وقرية درکزين من أعمال همدان (ومنها) زلزلة تبقى شهراً أو أكثر ببعض النواحى وقد شوهد ذلك بأرض نيسابور والرى وحدثنى أبو القاسم الرافعى قدس الله روحه أنه شاهد فى هذه الزلزلة سقفا قد انشق حتى رأى الكواكب من جانبه ثم عاد إلى حاله ولم يظهر عليه أثر الشق (ومنها) ظهور معدن ببعض الأصقاع لم يعرف قبل ذلك من الزمان كظهور معدن الذهب عند الإسماعيلة ومنها ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك كظهور الترنجبين بأرض ساوه (ومنها) تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله كما روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه رأى باليمن إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أياد ورأسين ووجهين وهما يأكلان ويشربان ويختصمان ويصطلحان وذكر أن امرأة بكلوسامان من قرى بلخ ولدت شخصا له نصف بدن ونصف رأس ويد واحدة ورجل واحدة على

رضى الله عنهما فاستعفى الحجاج من القضاء فأعفاه فلم يقض بين اثنين حتى مات رحمة الله عليه وكان شريح من سادات التابعين وأعلامهم وكان من أعلم الناس بالقضاء وكان أحد السادات الطلس وهم أربعة عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس الذى يضرب بحلمه المثل ورابعهم شريح هذا والله أعلم والأطلس الذى لا شعر بوجهه وروى أن شريحا مرض له ولد فجزع عليه جزعا شديدا فلما مات لم يجزع فقيل له فى ذلك فقال إنما كان جزعى رحمة له وإشفاقا عليه فلما وقع القضاء رضيت بالتسليم قاله ابن خلكان وغيره قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى كتب زياد بن أبيه إلى معاوية يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالى وفرغت يمينى لطاعتك فولى الحجاز فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وهو بمكة فقال اللهم اشغل عنا يمين زياد بما شئت فأصابه الطاعون فى يمينه فأجمع رأى الأطباء على قطعها فاستشار شريحا فلما رآه الأطباء فأشار عليه بعدم القطع وقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم وإنى أكره إن كانت مدة أن تعيش فى الدنيا بلا يمين وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد فإذا سألك لم قطعتها قلت فرارا من قضائك وبغضا فى لقائك قال فمات زياد من يومه فلام الناس شريحا على منعه من القطع لبغضهم له فقال إنه استشارنى ولولا أن المستشار مؤتمن لوددت أنه قطع يوما يده ويوما رجله وسائر أعضائه يوما يوما اه وفى هذا المعنى قال أبو الفتح البستى من قصيدة طويلة :

لا تستشر غير ندب حازم فطن * قد استوى منه إسرار وإعلان

فللتدابير فرسان إذا ركضوا * فيها أبروا كما للحرب فرسان

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذه القصيدة فى باب الثاء المثلثة فى الثعبان وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة شريح أنه سئل عن الحجاج أكان مؤمنا قال نعم بالطاغوت كافرا بالله تعالى توفى شريح سنة تسع وسبعين وقيل ثمانين من الهجرة وهو ابن مائة وعشرين سنة رحمه الله تعالى (الخواص) قال الجاحظ كانت العرب فى الجاهلية تقول من علق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر وذلك لأن الجن يهرب منها لمكان حيضها وإذا شوى الأرنب البرى وأكل دماغه نفع من الارتعاش العارض من المرض وإذا شرب من دماغه وزن حبتين فى أوقيتين من لبن البقر لم يشب شاربه أبدا ومن أبدا عجب ما فى أنفحته إنك إذا طليت بها داء السرطان رأيت العجب وإذا شربت المرأة أنفحة الأرنب الذكر ولدت ذكرا وإذا شربت أنفحة الأنثى ولدت أنثى وإذا علق زبله على المرأة لم تحمل مادام عليها قال أبقراط لحم الأرنب حار يابس يغسل البطن ويدر البول وأجوده صيد الكلاب وهو ينفع من بهظة السمن لكنه يحدث أرقا ويولد السوداء والأبازير الرطبة تدفع ضرره ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة ودماغه يؤكل مشويا بالفلفل ينفع من الرعشة وإنما صار يابسا لرعيه الغياض لأن كل ما يرعى الغياض فهو أيبس مما يرعى فى البيوت اه إن سقى إنسان من دماغ الأرنب دائما مدافا بعد أن يلقى عليه وزن حبتى كافور لم يلقه أحد إلا أحبه ولم تنظر إليه امرأة إلا وشغفت به وطلبت معاشرته ودم الأرنب إذا شربت منه المرأة لم تحبل أبدا وإذا طلى به البهق والكلف أزالهما ودماغه إذا أكلت منه المرأة وتحملت منه وباشرها زوجها فإنها تحبل بإذن الله تعالى وإذا مزج به مواضع أسنان الصبى أسرع نباتها ودم الأرنب إذا اكتحل به منع من نبات الشعر فى العين قاله القزوينى فى عجائب المخلوقات وقال مهراس مرارة الأرنب إذا عجنت بسمن وديفت بلبن المرأة واكتحل به أزال البياض من العين وأبرأ القروح وإذا طلى بدمها البهق الأسود أزاله ولحم الأرنب إذا أطعم من يبول فى فراشه نفعه إذا أدامه وقال أرسطو إذا شربت أنفحة الأرنب بالخل نفعت من سم الأفاعى وإذا شرب منها قدر باقلاة أذهب حمى الربع المتناهية وإذا شرب منها وزن درهم أسقط الأجنة وسهل الولادة وإن

خلطت أنفحة الأرنب بخطمى ووضعت على النصل أخرجته وتخرج الشوكة من البدن بإذن الله تعالى بسهولة وزبل الأرنب إذا بخر به فى الحمام وقع الضراط على من شمه ولم يتمالك أسفله وإذا طلى به الفوابى والنمش أذهبهما وخصية الأرنب تبرئ من السم القاتل إذا طلى موضع اللسعة بها وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة تكلمت فى نومها بفعلها وضرس الأرنب إذا علق على من يشتكى ضرسه سكن وجعه (التعبير) الأرنب فى المنام امرأة حسناء لكنها غير آلفة فإن ذبحها فإنها زوجة ليست بباقية ومن رأى أنه يأكل لحم أرنب مطبوخا فإنه يأتيه رزق من حيث لا يحتسب ومن صاد أرنبا أو أهديت إليه أو ابتاعها حصل له رزق أو تزوج إن كان عزبا أو أرزق ولدا أو ظفر بغريم ﴿الأرنب البحرى﴾ قال القزوينى هو حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبدن السمك وقال الرئيس ابن سينا أنه حيوان صغير صدفى وهو من ذوات السموم إذا شرب منه قتل ﴿الحكم﴾ يحرم أكله لسميته ويستثنى هذا من قولهم ما أكل شبهه فى البر أكل شبهه فى البحر لأنه ليس يشبهه فى الشكل وإنما هو موافق له فى الاسم ﴿الأروية﴾ بضم الهمزة وإسكان الراء وكسر الواو وتشديد الياء الأنثى من الوعول والجمع أراوى وبها سميت المرأة وهى أفعولة فى الأصل إلا أنهم قلبوا الواو الثانية ياء وأدغموها فى التى بعدها وكسروا الأولى لتسلم الياء وثلاث أراوى على أفاعيل فإذا كثرت فهى الأروى بفتح الهمزة على أفعل بغير قياس وقيل الأروى غنم الجبل وفى الحديث أنه ﷺ أهدى له أروى وهو محروم وفيه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما كان يوم أحد قال كنت أتوقل كما تتوقل الأروية فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى نفر من أصحابه وهو يوحى إليه وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وفى جامع الترمذى فى الإيمان عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن الدين ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل إن الدين بدأ غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى قوله ليعقلن أى ليمتنعن كما تمنع الأروية من رءوس الجبال وفى تفسير ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال طرح يونس بن متى عليه السلام بالعراء فأنبت الله تعالى عليه اليقطينة وهيأ له أروية وحشية ترعى فى البرية وتأتيه فتنفشح عليه فترويه من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه وقال ابن عطية أنعشه الله تعالى فى ظل اليقطينة بأروية تراوحه وتغاديه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة ويجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته وهذا من لطف الله تعالى به ونعمته عليه وإحسانه إليه وحكى ابن الجوزى عن الحسن فى قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم أنه ذكر من الأروى أهبط عليه من ثبير وفى حديث عوف أنه سمع رجلا تكلم فأسقط فقال جمع بين الأروى والنعام يريد أنه جمع بين كلمتين متناقضتين لأن الأروى تسكن شعف الجبال والنعام يسكن فى السهولة من الأرض وفى طبعها الحنو على أولادها فإذا صيد منها شىء تبعته ورضيت أن تكون معه فى الشرك وفى طبعه البر بأبويه وذلك أنه يختلف إليهما بما يأكلانه فإذا عجزا عن الأكل مضغ لهما وأطعمهما ويقال إن فى قرنيه ثقبين يتنفس منهما فمتى سدا هلك سريعا (وحكمها) الحل كما سيأتى إن شاء الله فى الوعل (الأمثال) قالوا إنما فلان كبارح الأروى وذلك أن مأوها الجبال فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا فى الدهر مرة يضرب لمن يرى منه الإحسان فى بعض الأحايين وقالوا تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعام كما تقدم وقالوا ما يجمع بين الأروى والنعام يضرب فى الشيئين المختلفين جدا أى كيف يتألف الخير والشر ﴿تنبيه﴾

حملت مرة أخرى فولدت بدنا له رأسان (وزعم) الحكماء أنهم وجدوا ثلاثة معان من الأمور غريبة وقد وضعوا لكل معنى اسما (وأحد) هذه المعانى الآثار النفسانية والانفعالات التابعة للتصورات من غير واسطة أمر طبيعى فاستعمال تلك التصورات فى الخير معجزة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامة من الأولياء عليهم الرحمة والرضوان واستعمالها فى الشر سحر من النفوس الشريرة (وثانيها) أمور غريبة تحدث من قوى سماوية وأجسام عنصرية مخصوصة بهيآت وأشكال وأوضاع تسمى الطلسمات (وثالثها) أمور غريبة تحدث من أجساد أرضية كجذب المغناطيس الحديد وتسمى النيرنجات وهذا هو القول الكلى فى الأمور الغريبة وسيأتى الكلام فى جزئياتها إن شاء الله تعالى ﴿المقدمة الرابعة﴾ فى تقسيم الموجودات كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق وكل ذرة من جوهر وعرض وصفة وموصوف فيها غرائب وعجائب يظهر فيها حكم الله تعالى وقد

وإحصاء ذلك غير ممكن لكنا نشير إلى ذلك ونقول إجمالا فنقول الموجدات مقسمة إلى مالا تعرف أصلها ولا يمكننا النظر فيها فكم من موجود لا نعلمه كما قال الله تعالى ويخلق مالا تعلمون وإلى ما نعرف جملها ولا نعرف (تفصيلها) وهى منقسمة إلى مالا يدرك بالبصر كالعرش والكرسى والملائكة والجن والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها ولا يمكن أن يقال فيها إلا ماصح بالنصوص والأخبار والآثار (وأما المدركتان بالبصر) كالسموات والأرض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها) وما بين السماء والأرض (وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها فهذه هى أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أصناف وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولا نهاية لاستيعاب ذلك وانقسامها فى اختلاف صفاتها وهيآتها ومعانيها الظاهرة والباطنة وفى جميع ذلك محال البصر فلا تتحرك

روى مسلم أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضى الله عنهم خاصمته أروى بنت أويس إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة فى أرض فى الحيزة وقالت إنه قد أخذ حقى واقتطع قطعة من أرضى فقال سعيد رضى الله عنه كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول من اقتطع شبرا من أرض ظلما طوقه يوم القيامة من سبع أرضين ثم ترك لها الأرض وقال دعوها وإياها اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واجعل قبرها بئرها فعميت أروى وجاء سيل فأظهر حدود أرضها ثم لما أعمى الله تعالى أروى فكانت تلتمس الجدران وتقول أصابتنى دعوة سعيد بن زيد فبينما هى تمشى إذ وقعت فى البئر فماتت وروى أنها سألت سعيدا أن يدعو لها فقال لا أرد على الله شيئا أعطانيه قال وكان أهل المدينة إذا دعا بعضهم على بعض يقولون أعماه الله كما أعمى أروى يريدونها ثم صار أهل الجهل يقولون أعماه الله كما أعمى الأروى يريدون الأروى التى بالجبل يظنونها شديدة العمى والصواب الأول (الخواص) إذا أخذ قرنه وظلفه وخلطا فى دهن ومسح به الساعى الذى يمشى كثيرا بدنه وساقيه أزال عنه ضرر التعب كأنه لم يمش شيئا

﴿الأساريع﴾ بفتح الهمزة دود أحمر يكون فى البقل ينسلخ فيصير فراشا قال ابن مالك قال ابن السكيت والأصل يسروع بالفتح إلا أنه ليس فى الكلام يفعول وقال قوم الأساريع دود أحمر الرءوس بيض الأجساد تكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء اه وبعض الناس يقول الأساريع شحمة الأرض والصواب أنها غيرها كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة قال فى الكفاية الأساريع دود تكون فى الرمل بيض طوال يشبه بها أصابع النساء ويقال لها بنات النقا وذكر فى أدب الكاتب نحوه وقال الأساريع دود فى الرمل بيض ملس يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع وذكر ابن مالك فى شرحه المنتظم الموجز فيما يهمز ومالا يهمز أن اليسروع والأسرع ودود يكون فى البقل ينسلخ فيصير فراشا قال وهذا قول ابن السكيت وقال غيره الأساريع واليساريع دود حمر الرءوس بيض الأجساد يكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء اه وما ذكره عن ابن السكيت ليس كذلك فقد ذكر ابن السكيت فى إصلاح المنطق أنها تكون فى الرمل تنسلخ فتصير فراشة ولعله تصحف عليه الرمل بالبقل (الحكم) يحرم أكلها لأنها من الحشرات (الخواص) إذا سحق هذا الدود ووضع على العصب المقطوع نفعه من ساعته منفعة عظيمة وقال الرازى فى الحاوى إذا غسلت الأساريع وجففت وسحقت ناعما ونقعت فى دهن السمسم وطلى بها الذكر فإنه يغلظ (التعبير) اليسروع فى المنام يعبر برجل لص يسرق قليلا قليلا ويتزيا بالورع ولا يخفى حاله ونفاقه قال أهل التعبير وهو دود أخضر يكون فى المقاتى والكروم

﴿الأسفع﴾ الصفر والصفور كلها سفع والسفعة بالضم سواد مشرب بحمرة وهى فى الوجه سواد فى خدى المرأة وفى الصحيح فقامت امرأة سفعاء الخدين ويقال للحمامة سعفاء لما فى عنقها من السعفة

﴿الأسقنقور﴾ قال ابن بختيشوع أنه التمساح البرى لحمه حار فى الدرجة الثانية إذا ملح وشرب منه مثقال زاد فى الباه وهيج الشهوة وسخن الكلى الباردة ونفع من وجعها وقال ابن زهر هى دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته إذا علقت عينه على من يفزع بالليل أبرأته إذا لم يكن من خلط وقال أرسطاطاليس فى كتاب الحيوان الكبير إن شربه يهيج الباه ويزيد فى الإنعاظ فى سائر البلاد إلا بمصر وهو أنفس ما يهدى منها لملوك الهند فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك إلى أرضهم فإذا وضعوا مثقالا من ذلك الملح على بيض أو لحم وأكل

نفع فى ذلك نفعاً بليغاً وسيأتى إن شاء الله تعالى فى التمساح أنه يبيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا وما بقى فى البر صار اسقنقورا وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة حكمه وحكم السقنقور الهندى .

﴿الأسود السالخ﴾ هو نوع من الأفعوان شديد السواد سمى بذلك لأنه يسلخ جلده كل عام يقال أسود سالخ ولا يقال للأنثى سالخة وأسودان سالخ ولا تثنى الصفة فى قول الأصمعى وأبى زيد وحكى ابن دريد تثنيتها والأول أعرف وأساود سالخة وسوالخ قاله ابن سيده روى أبو داود والنسائى والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك أعوذ بالله من أسود وأسود من الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد ساكن البلد الجن وقيل الوالد وما ولد إبليس والشياطين وفى الصحيحين أن النبى ﷺ أمر بقتل الأسودين فى الصلاة الحية والعقرب وأنشد ابن هشام فى كتاب التيجان :

ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت أماقيها بسم الأسود
حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم أسود

وللإمام الشافعى رضى الله عنه من أبيات :

والشاعر المنطيق أسود سالخ * والشعر منه لعابه ومجاجه
وعداوة الشعراء داء معضل * ولقد يهون على الكريم علاجه

روى البيهقى فى الشعب عن عبد الحميد بن محمود قال كنت عند ابن عباس رضى الله عنهما فأتاه رجل فقال أقبلنا حجاجا حتى إذا كنا فى الصفاح توفى صاحب لنا فحفرنا له فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال فحفرنا له قبرا آخر فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال فحفرنا له ثالثا فإذا أسود سالخ قد أخذ اللحد كله قال فتركناه وأتيناه نسألك ماذا تأمرنا به قال ذاك عمله الذى كان يعمله اذهبوا فادفنوه فى بعضها فو الله لو حفرتم له الأرض كلها لوجدتم ذلك قال فألقيناه فى قبر منها فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عنه فقالت كان يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يوم ثم يخلط فيه مثله من قصب الشعير ثم يبيعه فعذب بذلك وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط والبيهقى أيضاً فى كتاب الدعوات الكبير من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد فذهب يوما فقعدت تحت شجرة فنزع خفيه وقال ولبس أحدهما فجاء طائر فأخذ الخف الآخر فحلق به فى السماء فانسل منه أسود سالخ فقال ﷺ هذه كرامة أكرمنى الله بها اللهم إنى أعوذ بك من شر من يمشى على بطنه ومن شر من يمشى على رجلين ومن شر من يمشى على أربع وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة فى الغراب حديث نظير هذا وهو صحيح الإسناد وروى أحمد فى كتاب الزهد عن سالم بن أبى الجعد قال كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا يا نبى الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه قال وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يوما ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شىء فجاءوا إلى صالح عليه السلام وقالوا قد جاء بحطبه سالما لم يصبه شىء فدعاه صالح وقال أى شىء صنعت اليوم قال خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر فقال صالح حل حطبك فحله فإذا فيه أسود سالخ مثل الجذع عاض على جزل من الحطب فقال بهذا دفع عنك يعنى بالصدقة وسيأتى إن شاء الله تعالى نظير هذا فى الذئب فى باب الذال المعجمة وروى الطبرانى فى معجمه الكبير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أن

والأرض إلا وفى تحريكها حكمة أو حكمتان أو عشرة أو ألف وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته كما قال بعضهم

ولله فى كل تحريكة
وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه واحد

﴿المقالة الأولى فى العلويات والنظر فيها فى أمور﴾

(النظر الأول) فى حقيقة الأفلاك وأشكالها وأوضاعها وحركاتها بطريق الإجمال ذهب الحكماء إلى أن الفلك جسم بسيط كروى مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار ولا رطب ولا يابس ولا قابل للخرق ولا للالتئام ولهم على ذلك أدلة مذكورة فى الكتب الحكمية وكتبنا هذا ليس بصددها والأفلاك كرات محيطة بعضها ببعض حتى حصلت من جملتها كرة واحدة يقال لها العالم وأدناها إلى العناصر فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشترى ثم فلك زحل ثم فلك الثوابت ثم فلك الأفلاك (واعلم) أن لكل فلك مكانا لا ينتقل عنه لكنه متحرك فيه بأجرامه لا يقف طرفة عين وسرعة

نفرا مروا على عيسى بن مريم عليه السلام فقال عيسى بن مريم يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله تعالى فمضوا ثم رجعوا عليه بالعشى ومعهم حزم الحطب فقال ضعوا وقال للذى قال إنه يموت اليوم حل حطبك فحله فإذا فيه حية سوداء فقال ما عملت اليوم قال ما عملت شيئا قال انظر ما عملت قال ما عملت شيئا إلا أنه كان معى فى يدى فلقة من خبز فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها فقال بها دفع عنك ﴿ الأصرمان ﴾ الذئب والغراب قال ابن السكيت لأنهما انصرما من الناس أى انقطعا والأصرمان الليل والنهار لأن كل واحد منهما ينصرم من الآخر روى أحمد بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو فيقول أصيرم بن عبد الأشهل قال عامر بن ثابت بن قيس فقلت لمحمود بن لبيد كيف كان شأن الأصيرم قال كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله ﷺ إلى أحد بدا له الإسلام فأسلم وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل فذكروه لرسول الله ﷺ فقال إنه لمن أهل الجنة رضى الله عنه ﴿ الأصلة ﴾ بفتح الهمزة والصاد واللام حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله قاله ابن الأنبارى وقيل حية خبيثة لها رجل واحدة تقوم عليها ثم تدور ثم تثب والجمع أصل وأنشد الأصمعى رحمه الله تعالى:

يا رب إن كان يزيد قد أكل * لحم الصديق عللا بعد نهل
فاقدر له أصله من الأصلة * كيساء كالقرصة أو خف الجمل

وقال الجاحظ الأعراب تقول إنها لا تمر بشىء إلا احترق وكأنها سميت بذلك لاستهلاكها واستئصالها وفى الحديث فى صفة الدجال كأن رأسه أصلة وقيل وجه الأصلة كوجه الإنسان وهو عظيم جدا ويقال أنها تصير كذلك إذا مر عليها ألف سنة من العمر (ومن خواصها) أنها تقتل بالنظر إليها وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة ذكر شىء من ذلك.

﴿ الأطلس ﴾ الذئب الذى فى لونه غبرة إلى السواد وكل ما كان على لونه فهو أطلس وقال الكميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمى:

تلقى الأمان على حياض محمد * ثولا محزقة وذئب أطلس
لا ذى تخاف ولا لهذا جرأة * تهدى الرعية ما استقام الريس

استشهد به الجوهرى على أن الرئيس يقال فيه ريس مثل قيم.

﴿ الأطوم ﴾ كالأنوق السلحفاة البحرية قاله الجوهرى وقيل هى سمكة غليظة الجلد تشبه جلد البعير يتخذ منه الخفاف للجمالين وقيل الأطوم القنفذ وقيل البقرة قيل إنما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها قاله ابن سيده.

﴿ الأطيش ﴾ طائر قاله ابن سيده والطيش خفة العقل قال إمامنا الشافعى رحمه الله تعالى ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه وأشهب المذكور هو ابن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكى المصرى ولد فى السنة التى ولد فيها الشافعى وهى سنة خمسين ومائة وتوفى بعد الشافعى بثمانية عشرة يوما قال ابن عبد الحكم سمعت أشهب يدعو على الشافعى بالموت فذكر ذلك للشافعى فقال:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى * تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

قال فمات الشافعى فاشترى أشهب من تركته عبدا فاشتريته من تركته بعد ثلاثين يوما (وفى مصابيح الظلم)

حركاتها أسرع من كل شىء الشديد من الوقت الذى رفع يديه إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف فرسخ (ثم) أن الأفلاك منها ما يتحرك من المشرق إلى المغرب كالفلك الأعظم ومنها ما يتحرك من المغرب إلى المشرق كفلك الثوابت وأفلاك السيارات ومنها ما يتحرك بالنسبة إلينا دولابية ومنها ما يتحرك حمائلية ومنها رحوية ومنها ما يشتمل على الوسط ولكن ليس مركزه مركز العالم كالأفلاك التسعة ومنها ما يشتمل على الوسط لكن ليس مركزه مركز العالم كخارج المراكز ومنها ما ليس مشتملا على الوسط كأفلاك التداوير وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى (ومن الأفلاك) ما لم يعرف له إلا كوكب واحد كأفلاك السيارات ومنها ما لم يعلم عدد كواكبها إلا الله تعالى كفلك الثوابت ومنها ما ليس له كوكب أصلا كالفلك الأعظم ويقال له الفلك الأطلس (وجميع الحركات) الموجودة فى العالم بحسب ما عرف من آراء المتقدمين وأصحاب الأرصاد سيما بطليموس فإن اعتماد القوم على رصده خمسة

قال ابن عبد الحكم لما حملت أم الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ووقع في كل بلدة منه شظية فأوله أصحاب الرؤية أنه يخرج منها عالم يختص علمه بأهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان واتفق العلماء قاطبة على ثقته وورعه وأمانته وزهده وهو أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه وكان يؤتى بالرطب فيقول مخاطبا له ما أطيبك وأحلاك والعلم أطيب منك وأحلى ولا يناله واشترى جارية فلما كان الليل أقبل على الدرس والجارية تنتظر اجتماعه معها فلم يلتفت إليها فسارت إلى النخاس وقالت حبستموني مع مجنون فبلغ ذلك الشافعي فقال المجنون من عرف قدر العلم وضيعه أو توانى فيه حتى فاته وكان الشافعي جوادا كريما مفضالا لا يبقي على شيء ولا يدخر شيئا وكان شجاعا ومناقبه أكثر من أن تحصى ولد بغزة في سنة خمسين ومائة كما تقدم وقيل إنها التي توفي فيها أبو حنيفة وفي تهذيب الاسماء واللغات توفي سنة إحدى وخمسين وقيل في سنة ثلاث وخمسين وقال غيره توفي في اليوم الذي ولد فيه الشافعي لا في السنة وقيل ولد الشافعي بعسقلان وقيل باليمن قال ابن خلكان والأصح الاول وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن ست سنين ووصل إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة وقيل سنة إحدى ومائتين وأقام بها إلى أن مات سنة أربع ومائتين وقبره بقرافة مصر مشهور وعاش أربعا وخمسين سنة رحمة الله عليه ورضوانه .

﴿الأغثر﴾ طائر ملتبس الريش طويل العنق وهو من طير الماء قاله ابن سيده .

﴿الأفال﴾ والأفائل صغار الإبل من بنات المخاض ونحوها واحدها أفيل والأنثى أفيلة وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في تبيع .

﴿الأفعى﴾ الأنثى من الحيات والذكر أفعوان بضم الهمزة والعين قال الزبيدي الأفعى حية رقشاء دقيقة العنق عريضة الرأس وربما كانت ذات قرنين وكنية الافعوان أبو حيان وأبو يحيى لانه يعيش ألف سنة وهو الشجاع الأسود يواثب الإنسان وهو شر الحيات وشرها أفاعي سجستان * ومن عجيب أمرها ما حكاه ابن شبرمة أن أفعى منها نهشت غلاما في رجله فانصدعت جبهته ويحكى أن شبيب بن شبة دخل على المنصور فقال يا شبيب أدخلت سجستان فإنه بلغني أنها كثيرة الحيات فقال نعم يا أمير المؤمنين دخلتها قال صف أفاعيها فقال دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسي أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف وقال القزويني هي حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات إذا فقئت عينها تعود ولا تغمض حدقتها ألبتة تختفي في التراب أربعة أشهر في البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شجر الرازيانج فتحك عينها به فيرجع إليها ضوؤها * وقال الزمخشري يحكى أن الافعى إذا أتى عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن مسح عينها بورق الرازيانج الرطب يرد إليها بصرها فربما كانت برية وبينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينها فترجع باضرة بإذن الله تعالى وإذا قطع ذنبها عاد كما كان وإذا قلع نابها عاد بعد ثلاثة أيام وإذا ذبحت تبقى تتحرك ثلاثة أيام وهي أعدى عدو للإنسان وبقر الوحش يأكلها أكلا ذريعا * وحكى أنها نهشت ناقة في مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل في الحال قبل موت أمه وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون فتشفى ومن الافاعي ما تتساقد بأفواهها فإذا وطئ الذكر الانثى وقع مغشيا عليه فتعمد الانثى إلى موضع مذاكيره فتقطعها نهشا فيموت من ساعته قال الجوهري وكشيش الافعى صوتها من جلدها لا من فيها وقد كشت تكش كشيشا قال الراجز :

كأن صوت شخبها المرفض * كشيش أفعى أزمعت لعض * فهي تحك بعضها ببعض

﴿النظر الثاني في فلك القمر﴾

وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الاعلى منهما لمقعر فلك عطارد والادنى لمحدب كرة النار ويتم دورته في كل ثمانية وعشرين يوما بحركته التي تختص به من المغرب إلى المشرق وفلك تدويره يدور في الفلك الحاوي في كل أربعة عشر يوما مرة ففي الدورة الأولى يكون القمر بوجهه الممتلئ إلى مركز الأرض ثم أن فلكه الكلي ينقسم إلى أربعة أفلاك ثلاثة منها شاملة للأرض وواحد صغير غير شامل أما الشاملة فالأول منها يسمى فلك الجوزهر وهو الذي يماس السطح الأعلى منه السطح الأدنى من فلك عطارد والثاني منها يماس السطح الاعلى منه مقعر فلك الجوزهر والثالث منها

قال الشيخ أبو الحسن على بن محمد المزين الصغير الصوفى كنت ببادية تبوك فقدمت إلى بئر أستقى منها فزلفت رجلى فوقعت فى جوف البئر فرأيت فى البئر زاوية واسعة فأصلحت موضعاً وجلست فيه فبينما أنا كذلك إذا أنا بخشخشة فتأملت فإذا أنا بأفعى سقطت علىّ ودارت بى وأنا ساكن السر لا أضطرب ثم لفت علىّ ذنبها وأخرجتنى من البئر وحلت عنى ذنبها ثم ذهبت عنى وعن جعفر الخلدى قال ودعت أبا الحسن المزين الصغير فقلت له زودنى شيئا فقال لى إذا ضاع منك شىء أو أردت أن يجمع الله بينك وبين إنسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد اجمع بينى وبين كذا فإن الله تعالى يجمع بينك وبين ذلك الشىء أو ذلك الإنسان قال فما دعوت بها فى شىء إلا استجيب لى توفى الشيخ أبو الحسن بمكة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة والحارية نوع منها وهى التى قال فيها النابغة الذبيانى :

حارية قد صغرت من الكبر * مهزوءة الشدقين حولاء النظر

وفى الحديث أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما مات النبى ﷺ أصابه حزن شديد فما زال يحرى بدنه حتى لحق بالله تعالى أى يذوب وينقص (الأمثال) قالوا أظلم من أفعى وذلك أنها لا تحفر جحراً وإنما تأتى إلى جحر قد احتفره غيرها فتدخل فيه قال الشاعر :

وأنت كالأفعى التى لا تحتفر * ثم تجى مبادراً فتحتجر

فكل بيت قصدت إليه هرب منه أهله وخلوه لها وقالت العرب تحككت العقرب بالأفعى إذا تكلم الضعيف مع القوى أو ناظره وسيأتى إن شاء الله تعالى فى العقرب أيضا وقالوا رماه الله تعالى بأفعى حارية وهى التى يموت لديغها من ساعته وقالوا من لسعته أفعى من جر الحبل يخاف وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى :

المرء يجمع والزمان يفرق * ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولأن يعادى عاقلا خير له * من أن يكون له صديق أحمق
فارأ بنفسك أن تصادق أحمقا * إن الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما * يبدى عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم * من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف مايقول فينطق
لا ألفينك ثاوياً فى غربة * إن الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس إلا عاملان فعامل * قدمات من عطش وآخر يغرق
والناس فى طلب المعاش وإنما * بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم * ألفيت أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم * هذا عليه موسع ومضيق
وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذى تبع العروس مبهتا * ورأيت من تبع الجنازة ينطق
وإذا امرؤ لسعته أفعى مرة * تركته حين يجر حبل يفرق
بقى الذين إذا يقولوا يكذبوا * ومضى الذين إذا يقولوا يصدقوا

ومن محاسن شعره قوله :

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه

يماس مقعر سطحيه السطح الأعلى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الأوج ويماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الحضيض فيحصل سطحان مختلفا الثخن أحدهما حاو للفلك الخارج المركز والآخر محوى فيه ورقة الحاوى مما يلى الأوج وغلظه مما يلى الحضيض ورقة المحوى وغلظه بالعكس يقال لكل واحد منهما المتمم وأما الفلك الصغير فهو فى ثخن الفلك الخارج المركز يقال له فلك التدوير والقمر مركوز فيه يتحرك بحركته وحركة هذا الفلك حركة مختصة به مغايرة لحركة الفلك الكلى (وزعموا) أن ثخن فلك القمر وهو بعد ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى مائة ألف وثمانية عشر ألفا وستة وستون ميلا وبطليموس قد ذكر ثخن الأفلاك ومقادير أجرام الكواكب ودوائرها وأقطارها ولا تستصعبن ذلك فإنه لا يصعب إلا على من لا دراية له بعلم الهندسة وأما من حل الثانية من أقليدس

إذا ارعوى عاد إلى جهله * كذى الضنى عاد إلى نكسه
وإن من أدبته فى الصبا * كالعود يسقى الماء فى غرسه
حتى تراه مورقا ناضرا * بعد الذى أبصرت من يبسه

قوله والشيخ لايترك أخلاقه البيت والذى يليه هما كان سبب قتله وذلك أن المهدى اتهمه بالزندقة وأمر بإحضاره فلما خاطبه أعجبه كلامه فخلى عنه فلما ولى رده وقال له ألست القائل والشيخ لايترك أخلاقه البيتين المتقدمين قال بلى ياأمير المؤمنين قال فأنت لاتترك أخلاقك فأمر به فقتل وصلب على الجسر وذلك سنة سبع وتسعين ومائة ومن محاسن شعره أيضا قوله :

إذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه إلى ماتستطيع

وهو كقول ابن دريد :

من لم يقف عند انتهاء قدره * تقاصرت عنه فسيحات الخطا

وصالح هذا هو صاحب الفلسفة قتله المهدى على الزندقة كان يعظ ويقص بالبصرة وحديثه يسير وليس بثقة قيل إنه رؤى فى المنام فقال إنى وردت على الذى لاتخفى عليه خافية فاستقبلنى برحمته وقال قد علمت براءتك مما قذفت به وقد أحسن بعض الشعراء فى وصف القنديل حيث قال مشبها :

وقنديل كأن الضوء منه * محيا من هويت إذا تجلى
أشار إلى الدجى بلسان أفعى * فشمر ذيله فرقا وولى

والأفعوان هو الشجاع الأسود يواثب الإنسان وكنيته أبو حيان وأبو يحيى لأنه يعيش ألف سنة وما أحسن قول بعضهم :

صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تغير وتقلب
نشرت ذوائبها التى تزهو بها * سودا ورأسك كالثغامة أشيب
واستثغرت لما رأتك وطالما * كانت تحن إلى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فإنه * آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه * وازهد فعمرك مر منه الأطيب
ذهب الشباب فما له من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ماقد كان فى زمن الصبا * واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فإنه * لابد يحصى ماجنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته * بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها * سترديها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التى تسعى لها * دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما * أنفاسنا فيها تعد وتحسب
وجميع ماخلفته وجمعته * حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لايدوم نعيمها * ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة أولاكها * بر نصوح للأنام مجرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا * ورأى الأمور بما تؤب وتعقب
لاتأمن الدهر الخؤون فإنه * مازال قدما للرجال يؤدب

فيسهل عليك ذلك إن كان فطنا

﴿فصل﴾ وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعى الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور من الشمس على أشكال مختلفة ولونه الدانى إلى السواد يبقى فى كل برج ليلتين وثلث ليلة ويقطع جميع الفلك فى شهر وهو أصغر الكواكب فلكا وأسرعها سيرا وزعموا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءا وربع جزء من جرم الأرض ودورة القمر أربعمائة واثنان وخمسون ميلا بالتقريب (هذا) ماوصل إليه آراء الحكماء بحكم المقدمات الحسابية

﴿فصل فى زيادة ضوئه ونقصانه﴾ القمر جرم كثيف مظلم قابل للضياء إلا القليل منه على مايرى فى ظاهره فالوجه الذى يواجه الشمس مضىء أبدا فإذا كان قريبا من الشمس كان الوجه المظلم مواجها للأرض وإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذى يلى المغرب إلى الأرض تظهر من النصف المضىء قطعة هى الهلال ثم يتزايد الانحراف وتزداد بتزايده القطعة من النصف المضىء حتى إذا كان فى مقابلة الشمس ينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول

وعواقب الأيام فى غصاتها * مضض يذل له الأعز الأنجب
فعليك تقوى الله فالزمها تفز * إن التقى هو البهى الأهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا * إن المطيع له لديه مقرب
واقنع ففى بعض القناعة راحة * واليأس مما فات فهو المطلب
فإذا طمعت كسيت ثوب مذلة * فلقد كسى ثوب المذلة أشعب
وتوق من غدر النساء خيانة * فجميعهن مكايد لك تنصب
لاتأمن الأنثى حياتك إنها * كالأفعوان يراع منه الأنيب
لاتأمن الأنثى زمانك كله * يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغرى بلين حديثها وكلامها * وإذا سطت فهى الصقيل الأشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن * منه زمانك خائفا تترقب
واحذره إن لاقيته متبسما * فالليث يبدو نابه إذ يغضب
إن العدو وإن تقادم عهده * فالحقد باق فى الصدور مغيب
وإذا الصديق لقيته متملقا * فهو العدو وحقه يتجنب
لاخير فى ود امرئ متملق * حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف أنه بك واثق * وإذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وإن رموك بجفوة * فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا * إن القرين إلى المقارن ينسب
إن الغنى من الرجال مكرم * وتراه يرجى مالديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه * ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فإنه * حقا يهون به الشريف الأنسب
واخفض جناحك للأقارب كلهم * بتذلل واسمح لهم إن أذنبوا
ودع الكذوب فلايكن لك صاحبا * إن الكذوب يشين حرا يصحب
وزن الكلام إذا نطقت ولاتكن * ثرثارة فى كل ناد يخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به * إن الزجاجة كسرها لايشعب
وكذاك سر المرء إن لم يطوه * نشرته ألسنة تزيد وتكذب
لاتحرصن فالحرص ليس بزائد * فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا * والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز فى الناس يأتى رزقه * رغداً ويحرم كيس ويخيب
وارع الأمانة والخيانة فاجتنب * واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب
وإذا أصابك نكبة فاصبر لها * من ذا رأيت مسلما لاينكب
وإذا رميت من الزمان بريبة * أو نالك الأمر الأشق الأصعب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن * يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن مااستطعت عن الأنام بمعزل * إن الكثير من الورى لايصحب

حتى إذا صار فى مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فتراه بدراً ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس ينمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول وينزل كل ليلة منزلا من المنازل الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلة فإن كان الشهر تسعة وعشرين استتر ليلة ثمانية وعشرين وإن كان ثلاثين استتر ليلة تسعة وعشرين ويقطع فى استتاره منزلا ثم يتجاوز الشمس فيرى هلالا وذلك قوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم يريد أنه ينزل كل ليلة منزلا منها حتى يصير كأصل العذق إذا قدم ورق واستقوس

(فصل) وسببه فى خسوفه توسط الأرض بينه وبين الشمس فإذا كان القمر فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منه عند الاستقبال تتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع فى ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلى فيرى منخسفا والشمس أعظم من الأرض فيكون ظل الشمس مخروطا قاعدته دائرة صفحة الإرض لأن الخطوط الشعاعية التى يخرج من الشمس إلى

واحذر مصاحبة اللئيم فإنه * يعدى كما يعدى الصحيح الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا * واعلم بأن دعاءه لا يحجب
وإذا رأيت الرزق عز ببلدة * وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا * طولا وعرضا شرقها والمغرب
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى * فالنصح أغلى ما يباع ويوهب

﴿تتمة﴾ ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى الأذكياء وغيره قال لما حضرت نزار بن معد الوفاة قسم ماله بين بنيه وهم أربعة مضر وربيعة وإياد وأنمار وقال يا بنى هذه القبة وهى من أدم حمراء وما أشبهها من المال لمضر وهذا الخباء الاسود وما أشبهه من المال لربيعة وهذه الخادم وما أشبهها من المال لإياد وهذه البدرة والمجلس لانمار يجلس فيه ثم قال لهم إن أشكل عليكم الامر فى ذلك واختلفتم فى القسمة فعليكم بالافعى بن الافعى الجرهمى وأنه لما مات نزار توجهوا إلى الافعى وكان ملك نجران فبينما هم يسيرون إذ رأى مضر كلأ قد رعى فقال إن البعير الذى رعى هذا أعور فقال ربيعة وهو أزور وقال إياد وهو أبتر وقال أنمار وهو شرود فلم يسيروا إلا قليلا حتى لقيهم رجل فسألهم عن البعير فقال مضر أهو أعور قال نعم قال ربيعة أهو أزور قال نعم قال إياد أهو أبتر قال نعم قال أنمار أهو شرود قال نعم هذه صفة بعيرى دلونى عليه فحلفوا له أنهم ما رأوه فلزمهم وقال كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ثم سار معهم حتى قدموا نجران ونزلوا بالافعى الجرهمى فنادى الشيخ صاحب البعير هؤلاء أصابوا بعيرى فإنهم وصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره أيها الملك فقال الافعى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور وقال ربيعة رأيت إحدى يديه ثابتة الاثر فعرفت أنه أفسدها بشدة وطئه لازوراره وقال إياد رأيت بعره مجتمعا فعلمت أنه أبتر ولو كان ذيالا لمصع به وقال أنمار رأيته رعى الملتف نبته ثم جاوزه إلى مكان آخر أرق منه فعلمت أنه شرود فقال الافعى للشيخ ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ثم سألهم من هم فأخبروه فرحب بهم ثم قال أتحتاجون إلى وأنتم كما أرى فدعا لهم بطعام وشراب فأكلوا وشربوا فقال مضر لم أر كاليوم خمرا أجود ولا أنها على مقبرة وقال ربيعة لم أر كاليوم لحما أجود ولا أنه ربى بلبن كلبة وقال إياد لم أر كاليوم رجلا أسرى منه ولا أنه ليس بابن أبيه الذى يدعى إليه وقال أنمار لم أر كاليوم خبزا أجود ولا أن التى عجنته حائض وكان الافعى قد وكل بهم من يستمع كلامهم فأعلمه بما سمع منهم فطلب صاحب شرابه وقال له الخمرة التى جئت بها ما قصتها قال هى من كرمة غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها وقال للراعى اللحم ما أمره قال من لحم شاة أرضعناها بلبن كلبة ولم يكن فى الغنم أسمن منها فدخل داره وسأل الامة التى عجنت العجين فأخبرته أنها حائض ثم أتى أمه وسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له فكرهت أن يذهب الملك فأمكنت رجلا نزل بهم من نفسها فوطئها فأتت به فعجب من أمرهم ودس عليهم من سألهم عما قالوا فقال مضر إنما علمت أنها من كرمة غرست على قبر لأن الخمر إذا شربت أزالت الهم وهذه بخلاف ذلك لأنا لما شربناها دخل علينا الغم وقال ربيعة إنما علمت أن اللحم لحم شاة رضعت من لبن كلبة لان لحم الضأن وسائر اللحوم شحمها فوق اللحم إلا الكلاب فإنها عكس ذلك فرأيته موافقا له فعلمت أنه لحم شاة رضعت من كلبة فاكتسب اللحم منها هذه الخاصية وقال إياد إنما علمت أن الملك ليس بابن أبيه الذى يدعى إليه لانه صنع لنا طعاما ولم يأكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لان أباه لم يكن كذلك وقال أنمار إنما علمت أن الخبز عجنته حائض لان الخبز إذا فات انتفش فى الطعام وهو بخلاف ذلك فعلمت أنه عجين حائض فأخبر الرجل الافعى بذلك فقال ما هؤلاء إلا شياطين ثم أتاهم فقال لهم قصوا قصتكم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم وما كان من

فيحصل ظل الأرض على شكل المخروط فإذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج عند الاستقبال وقع كله فى جرم المخروط فيخسف كله حينئذ وإن كان له عرض يخسف بعضه وربما يماس جرم القمر مخروط الظل ولا يقع فيه شىء وذلك إذا كان عرض القمر مساويا لنصف مجموع القطرين أعنى قطر القمر وقطر الظل وإذا كان أقل من نصف القطرين يخسف بعضه

﴿فصل﴾ فى خواص القمر وتأثيراته العجيبة زعموا أن تأثيراته بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة ويدل عليها اعتبار أهل التجارب ومنها أمر البحار فإن القمر إذا صار فى أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه فى المد مقبلا مع القمر ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه فإذا أزال القمر

اختلافهم فقال ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر فصارت له الدنانير والإبل وهي حمر فسميت مضر الحمراء ثم قال وما أشبه الخباء الأسود من دابة ومال فهو لربيعة فصارت له الخيل وهي دهم فسميت ربيعة الفرس ثم قال وما أشبه الخادم وكانت شمطاء من مال فهو لإياد فصارت له الماشية البلق من الخيل وغيرها وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فساروا من عنده على ذلك وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الكاف في الكلام على الكلب ما نقله السهيلي من أن ربيعة ومضر كانا مؤمنين وفي وفيات الأعيان في ترجمة ابن التلميذ شيخ النصارى والأطباء أنه كان بينه وبين أوحد الزمان هبة الله الحكيم المشهور تنافس وكان يهوديا فأسلم في آخر عمره وأصابه الجذام فعالج نفسه بتسليط الأفاعي على جسده بعد أن جوعها فبالغت في نهشه فبرئ من الجذام وعمي فعمل فيه ابن التلميذ شعرا :

لنا صديق يهودي حماقته * إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة * كأنه بعد لم يخرج من التيه

وكان ابن التلميذ متواضعا وأوحد الزمان متكبرا فعمل فيهما البديع الأسطرلابي شعرا :

أبو الحسن الطبيب ومقتفيه * أبو البركات في طرفي نقيض
فهذا بالتواضع في الثريا * وهذا بالتكبر في الحضيض

وقد ألغز أبو الحسن بن التلميذ في الميزان وأجاد :

ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الإرشاد كل راء
أخرس لا من علة وداء * يغني عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو امتراء * بالرفع والخفض عن النداء
يفصح إن علق في الهواء

وقوله مختلف الأسماء يعني ميزان الشمس للاسطرلاب وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله يعدل في الأرض وفي السماء وميزان الكلام النحو وميزان الشعر العروض وميزان المعاني المنطق وهذه الميزان وغير ذلك الاسطرلاب بفتح الهمزة وإسكان السين وضم الطاء ومعناه ميزان الشمس لأن أسطر اسم للميزان ولاب اسم للشمس بلسان اليونان وأول من وضعه بطليموس بفتح الباء واللام وإسكان الطاء والياء وضم الميم وله في وضعه قصة عجيبة تركناها لطولها وكان ابن التلميذ قد جمع أنواعا من العلوم حتى كان يتعجب من أمره كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه وغزارة عقله وعلمه وهذا سر قوله تعالى ومن يضلل الله فلا هادي له نسأل الله الوفاة على التوحيد آمين توفي ابن التلميذ في صفر سنة ستين وخمسمائة (الخواص) دمها يكتحل به يجلو البصر وقلبها يجفف ويشد على الإنسان فلا يؤثر فيه السحر وإذا علق ضرس الأفعى الأيسر على من يشتكي ضرسه نفعه وإن علق على فخذ امرأة لم تحبل مادام عليها وقال القزويني وابن زهر وابن بختيشوع إن قلب الأفعى إذا علق على من به حمى الربع أبرأه وشحمها ينفع من لسع سائر الهوام دلكا وإن تتف الشعر من مكان ما وطلي ذلك المكان بشحمها منعه من النبات وإذا أمسك إنسان نوشادرا في فمه حتى يذوب ثم بصق في فم الحية والأفعى ماتا من وقتهما وسلخ الأفعى إذا طبخ بالخل وتمضمض به نفع من وجع الأسنان والأضراس وإذا سحق بالتراب واكتحل به نفع من ظلمة البصر وشحمها ينفع البواسير وبياض العين طلاء وكحلا ومرارتها سم ساعة وقال أبقراط من أكل لحم الأفعى أمن من الأمراض الصعبة (وحكى) عن عمرو بن يحيى العلوي أنه قال كنا في طريق مكة فأصاب رجلا منا استسقاء فاتفق أن العرب سرقوا قطارا منا فيه ذلك

من مغرب ذلك الموضع ابتدأ القمر في وتد الأرض فحينئذ ينتهي المد منتهاه في المرة الثانية في ذلك الموضع ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود المد إلى ما كان عليه أولا فيكون في كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيهما في ذلك البحر مدان وجزران (ومنها) أمر أبدان الحيوانات فإنها في وقت زيادة القمر وضوئه تكون أقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها أغلب وتكون الأخلاط في بدن الإنسان في ظاهره والعروق تكون ممتلئة وبعد الامتلاء تكون الأبدان أضعف والبرد عليها أغلب والنمو أقل والاخلاط في غور البدن والعروق أقل امتلاء وذلك أمر ظاهر عند علماء الطب (ومنها) أن الاطباء ذهبوا إلى أن أحوال البحر أنات وتقارب أيامها مبنية على زيادة ضوء القمر ونقصانه وكتب الطب ناطقة بذلك وزعموا أن الذين يمرضون في أول الشهر أبدانهم وقواهم على دفع المرض أقوى والذين يمرضون في آخر الشهر بالضد (ومنها) أن شعور

الرجل العليل فلما رجعنا إلى الكوفة وجدناه معافى فسألناه عن حاله فقال أن الأعراب لما انتهوا بي إلى مساكنهم وهي على فراسخ طرحوني في أواخر بيوتهم فكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يوما قد أخرجوا أفاعي اصطادوها فقطعوا رءوسها وأذنابها وشووها فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوا أكلها فلا تضرهم فلعلي إن أنا أكلت منها مت واسترحت فاستطعمتهم فرمى إلي رجل منهم واحدة فأكلتها فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتي أكثر من مائة مرة فلما أصبحت وجدت بطني قد ضمر فطلبت منهم ما أكولا فأكلت وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسي بالشفاء ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة .

﴿الأقهبان﴾ الفيل والجاموس قال رؤبة يصف نفسه بالشدة :

ليث يدق الأسد الهموسا * والأقهبين الفيل والجاموسا

﴿الأمول﴾ دويبة تكون في الرمل تشبه القطاة قاله ابن سيده .

﴿الإنس﴾ البشر الواحد إنسي وأنسي أيضا بالتحريك والجمع أناسي وإن شئت جعلته إنسانا ثم جمعته على أناسي فتكون الياء عوضا عن النون قال تعالى وأناسي كثيرا وكذلك الأناسية مثل الصيارفة والصياقلة ويقال للمرأة أيضا إنسان ولا يقال إنسانة والعامة تقوله قال الجوهري وأنشدوا على ذلك

إنسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل * إذا زنت عيني بها * فبالدموع تغتسل

﴿الإنسا﴾ نوع العالم والجمع الناس قال الجوهري وتقدير إنسان على فعلان وإنما زيد في تصغيره ياء وقيل أنيسيان كما زيد في تصغير رجل فقيل رويجيل وقال قوم أصله أنسيان على وزن أفعلان فحذفت الياء تخفيفا لكثرة ما يجري على الألسنة وإذا صغروها ردوها لأن التصغير لا يكبر واستدلوا عليه بقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه إنما سمي إنسانا لأنه عهد إليه فنسي والأناس لغة في الناس وهو الأصل فخفف قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وهو اعتداله وتسوية أعضائه لأنه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلقه سويا وله لسان ذلق ينطق به ويد وأصابع يقبض بها مزينا بالعقل مؤدبا بالأمر مهذبا بالتمييز يتناول مأكوله ومشروبه بيده وروى الطبراني في معجمه الأوسط بإسناد صحيح عن أبي مزينة الدارمي وكانت له صحبة قال كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر والعصر إن الإنسان لفي خسر ﴿فائدة﴾ قال ابن عطية من الدليل على أن القرآن غير مخلوق أن الله تعالى ذكر القرآن في كتابه العزيز في أربعة وخمسين موضعا ما فيها موضع صرح فيه بلفظ الخلق ولا أشار إليه وذكر الإنسان على الثلث من ذلك في ثمانية عشر موضعا كلها نصت على خلقه وقد افترق ذكرهما على هذا النحو في قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي الإمام العلامة ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان فإن الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب جل وعلا وعنها وقع البيان بقوله ﷺ إن الله تعالى خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها ﴿قلت﴾ وهنا مجال رحب لأصحاب الكلام في أصول الدين أضربنا عنه إذ ليس هو من غرضنا في هذا الكتاب وروى أبو بكر المتقدم ذكره بإسناده أن موسى بن عيسى الهاشمي كان يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما أنت طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر فاحتجبت عنه وقالت طلقت فبات بليلة عظيمة فلما أصبح أتى المنصور وأخبره بذلك فاستحضر الفقهاء وسألهم عن ذلك فأجاب كل منهم بالطلاق إلا واحدا منهم فقال لا تطلق لقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فقال المنصور الأمر كما ذكرت ثم أرسل إلى زوجته بذلك وهذا الجواب ينقل عن الإمام

الشافعي رضى الله تعالى عنه وعندى فى قول موسى بن عيسى نظر والذى أظنه أنه عيسى بن موسى فإنه كان ولى عهد المنصور ثم خلعه من ولاية العهد لولده المهدى وقد تقدم أن الشافعى رضى الله عنه ولد فى سنة خمسين ومائة والمنصور كانت وفاته على ماذكره ابن خلكان وغيره فى سنة ثمان وخمسين ومائة فكيف يتصور أن يكون الشافعى المفتى فى هذه الواقعة فليتأمل ذلك ﴿قلت﴾ وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما ذكره الزمخشرى عند قوله تعالى ويستفتونك فى النساء أن عمران بن حطان الخارجى كان شديد السواد وكانت امرأته من أجمل النساء فأطالت نظرها فى وجهه يوما وقالت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله تعالى على أنى وإياك فى الجنة قال وكيف قالت لأنك رزقت مثلى فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله عباده الصابرين والشاكرين الجنة وذكر ابن الجوزى فى الأذكياء وغيره أن عمران بن حطان هذا كان أحد الخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله على قتل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

يا ضربة من تقى ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الأرض أقبرهم * لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضى أبا الطيب الطبرى هذه الأبيات فقال مجيبا له :

إنى لأبرأ مما أنت قائله * فى ابن ملجم الملعون بهتانا
إنى لأذكره يوما فألعنه * دينا وألعن عمران بن حطانا
عليك ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله إسرارا وإعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء لنا * نص الشريعة برهانا وتبيانا

أشار أبو الطيب إلى قوله ﷺ «الخوارج كلاب النار» ﴿عجيبة﴾ رأيت فى ذيل تاريخ بغداد لابن النجا فى ترجمة على بن نصر الفقيه ابن أحمد المالكى والد القاضى عبد الوهاب وكان ثقة عدلا قال زوجت أيام عضد الدولة بن بويه بعض غلمانه الأتراك صبية فى جوارنا وكان لها ولوالدتها أنس بدارنا وكانت من الموصوفات بالستر والعفاف ومضى على ذلك سنتان فحضر إلى الغلام التركى وقال ياسيدى هذه المرأة التى زوجتنى بها قد ولدت منى ابنا ولا أشكو شيئا من أمرها ولا أنكر غير أنها ما أرتنى ولدى منذ ولدته وكلما طالبتها به دافعتنى عنه وأريد أن تستدعيها وتسألها عن ذلك قال فاستدعيت والدتها فحضرت وخاطبتها من وراء الستر على ما قاله زوج ابنتها فأسرت إلى وقالت ياسيدى صدق فيما حكاه وإنما دافعناه عن هذا لأنا قد بلينا ببلية قبيحة وذلك أن زوجته ولدت منه ولدا أبلق من رأسه إلى سرته أبيض وبقية بدنه أسود قال فسمع التركى قولها أبلق فصاح ابنى ابنى وهكذا كان جدى ببلاد الترك وقد رضيت ففرحت المرأة بقوله وانصرفت وأظهرت له الولد وافتتح ابن بختيشوع ومعناه عبد المسيح كتابه فى الحيوان بالإنسان وقال إنه أعدل الحيوان مزاجا وأكمله أفعالا وألطفه حسا وأنفذه رأيا فهو كالملك المسلط القاهر لسائر الخليقة والآمر لها وذلك بما وهبه الله تعالى له من العقل الذى به يتميز على كل الحيوان البهيمى فهو بالحقيقة ملك العالم ولذلك سماه قوم من الأقدمين العالم الأصغر ﴿فائدة﴾ نقل الشيخ شهاب الدين أحمد البونى رحمه الله فى كتابه المسمى بسر الأسرار عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال من كانت له حاجة فليصم الأربعاء والخميس والجمعة فإذا كان يوم الجمعة تطهر وراح إلى الجمعة وقال اللهم إنى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

كاملا جيدين وإن وقع والقمر ناقص النور أو زائلا من وسط السماء لم يسرع النبات وأبطأت فى الحمل وربما يبست (ومنها) أن الفواكه والرياحين والزرع والبقول والأعشاب زيادتها من وقت زيادة القمر إلى الامتلاء أكثر من زيادتها ونموها من الامتلاء إلى المحاق وهذا أمر ظاهر عند أرباب الفلاحة حتى عند عامتهم فضلا عن علمائهم فإنهم يجدون تأثير ذلك ظاهرا سيما فى البقول والخوخ والبطيخ والسمسم والقثاء والخيار والقرع من أول الشهر إلى نصفه يزيد أكثر مما يزيد من نصف الشهر إلى آخره (ومنها) أن الفواكه إذا وقع عليها ضوء القمر أعطاها لونا عجيبا من حمرة أو صفرة فالذى يقع عليها الضوء فى النصف الأول من الشهر أحسن لونا مما يقع عليها فى النصف الأخير (ومنها) أن نبات القصب والكتان إذا وقع عليها ضوء القمر فى النصف الأول أشد تقطعا مما وقع عليها آخر الشهر (ومنها) أن المعادن التى تتكون يكون جوهرها وصفاؤها أشد إذا كان تولدها من أول الشهر ولو كان فى آخره لا يكون كذلك

الرحيم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم الذى ملأت عظمته السموات والأرض وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذى لا إله إلا هو عنت له الوجوه وخشعت له الأبصار ووجلت القلوب من خشيته أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تعطينى مسئلتى وتقضى حاجتى «وتسميها» برحمتك يا أرحم الراحمين وهو سر لطيف مجرب وقال من كتب محمد رسول الله أحمد رسول الله خمسا وثلاثين مرة يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة على طهارة كاملة وحملها معه رزقه الله تعالى القوة على الطاعة ومعونة على البركة وكفاه همزات الشياطين وإن هو استدام النظر إلى تلك البطاقة كل يوم عند طلوع الشمس وهو يصل على محمد ﷺ كثرت رؤيته للنبى ﷺ وهو سر لطيف مجرب وروى الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه أنه رأى رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة فقال إن رأيته تمام المائة لأسألنه فرآه تمام المائة فسأله وقال يا رب بماذا ينجو العباد يوم القيامة فقال له من قال كل يوم بكرة وعشيا ثلاث مرات سبحان الأبدى الأبد سبحان الواحد الأحد سبحان الفرد الصمد سبحان من رفع السماء بغير عمد سبحان من بسط الأرض على ماء جمد سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وقال الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه من قال كل يوم بين صلاة الفجر والصبح أربعين مرة يا حى يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيى قلبى بنور معرفتك يا أرحم الراحمين أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب ﴿فائدة أخرى﴾ فى كتاب البستان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ من أحب أن يحفظ الله عليه الإيمان حتى يلقاه يوم القيامة فليصل كل ليلة بعد سنة المغرب قبل أن يتكلم ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق مرة وقل أعوذ برب الناس مرة ويسلم منهما فإن الله تعالى يحفظ عليه الإيمان حتى يوافى ربه يوم القيامة (قال الراوى) وهذه فائدة عظيمة غنيمة وذكر النسفى هذا الحديث بسند طويل وزاد فيه إنا أنزلناه فى ليلة القدر قبل الإخلاص ويسبح خمس عشرة مرة بعد السلام ويقول عقب التسبيح اللهم أنت العالم ما أردت بهاتين الركعتين اللهم اجعلهما لى ذخرا يوم لقائك اللهم احفظ بهما دينى فى حياتى وعند مماتى وبعد وفاتى آمنه الله سلب الإيمان وهذه فائدة عظيمة من أعظم المهمات ✲ وسئل بعض الحكماء وذوى الفصاحة من العلماء أى الخصال من الانسان خير قال الدين قال فإذا كانت اثنتين قال الدين والمال قال فإذا كانت ثلاثا قال الدين والمال والحياء قال فإذا كانت أربعة قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق قال فإذا كانت خمسا قال الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء فمن اجتمع فيه هذه الخصال الخمس فهو تقى نقى لله ولى من الشيطان برى وقال المؤمن شريف ظريف لطيف لا لعان ولا نمام ولا مغتاب ولا قتات ولا حسود ولا حقود ولا بخيل ولا مختال يطلب من الخيرات أعلاها ومن الأخلاق أسناها إن سلك مع أهل الآخرة كان أورعهم غضيض الطرف سخى الكف لا يرد سائل ولا يبخل بنائل متواصل الأحزان مترادف الإحسان يزن كلامه ويحرس لسانه ويحسن عمله ويكثر فى الحق أمله متأسف على ما فاته من تضييع أوقاته كأنه ناظر إلى ربه مراقب لما خلق له لا يرد الحق على عدوه ولا يبطل الباطل من صديقه كثير المعونة قليل المؤنة يعطف على أخيه عند عشرته لما مضى من قديم صحبته فهذه صفات المؤمنين الخالصين الموحدين لرب العالمين وكان رجل من عباد الله الصالحين الموحدين يصحب إبراهيم بن أدهم رضى الله تعالى عنه فقال له علمنى اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى فقال قل هذه الكلمات صباحا ومساء فإنه ما دعا بهن خائف إلا أمن

لم يسمع فى حقيقتها قول شاف زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض والعرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم فيها وزعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضا فصارت كأنها سحاب وهى ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية من السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتدا من الشمال إلى الجنوب وبالنسبة إلينا تدور دورا رحويا فتراها نصف الليل ممتدة من المشرق إلى المغرب وفى آخر الليل من الجنوب إلى الشمال فما كان منها شماليا يكون جنوبيا وما كان جنوبيا يكون شماليا والله أعلم بحقيقتها وتكون على فلك يختص بها يدور بالنسبة إلينا رحويا أو على شىء من الأفلاك المذكورة

﴿النظر الثالث﴾

فى فلك عطارد وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركز هما مركز العالم السطح الأعلى منهما يماس لمقعر فلك الزهرة والأدنى لمحدب فلك القمر ويتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة

ولا سائل إلا أعطاه الله مسئلته وهى هذه الكلمات يا من له وجه لا يبلى ونور لا يطفى واسم لا ينسى وباب لا يغلق وستر لا يهتك وملك لا يفنى أسألك وأتوسل إليك بجاه محمد ﷺ أن تقضى حاجتى وتعطينى مسئلتى * وقال بعض العلماء اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى هو لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله الأحد اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم وسئل الإمام النووى رحمه الله تعالى عن اسم الله الأعظم ما هو وفى أى سورة هو فأجاب رضى الله تعالى عنه فيه أحاديث كثيرة ففى سنن ابن ماجه وغيره عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال فى ثلاث سور فى البقرة وآل عمران وطه قال بعض الأئمة المتقدمين هو الحى القيوم لأنه فى البقرة فى آية الكرسى وفى أول آل عمران وفى طه فى قوله تعالى وعنت الوجوه للحى القيوم وهذا استنباط حسن والله أعلم وقد ثبت فى صحيح مسلم رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء ﴿فائدة﴾ فيمن يستجاب دعاؤهم قطعا المضطر والمظلوم مطلقا ولو كان فاجرا أو كافرا والوالد على ولده والإمام العادل والرجل الصالح والولد البار بوالديه والمسافر حتى يرجع والصائم حتى يفطر والمسلم للمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقل دعوت فلم أجب ﴿ومن الفوائد المجربة﴾ العظيمة البركة الكثيرة الخير لقضاء الحوائج وتفريج الهم والغم وهى من الأسرار المخزونة المكنونة كما قاله شيخنا اليافعى أن تقرأ بعد صلاة العشاء على طهارة كاملة فى جلسة واحدة اسمه تعالى لطيف ستة عشر ألف مرة وستمائة مرة وإحدى وأربعين مرة والحذر ثم الحذر من الزيادة والنقص فإنه يبطل السر والحيلة فى معرفة ضبط ذلك أن تأخذ سبحة عدتها ١٢٩ فتقرأ الاسم عليها ١٢٩ فيحصل المقصود وهذه أقرب الطرق المستقيمة لمعرفتها فإن عدة حروفه أربعة وهى ل ط ى ف جملتها ١٢٩ فاضربها فى مثلها فتكون جملتها ستة عشر ألفا وستمائة وإحدى وأربعين وتسمى حاجتك فإنها تقضى إن شاء الله تعالى لا محالة وفى كل مائة وتسع وعشرين مرة تقول لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهذه للدعاء على الظالم ومنها لجلب الخير والرزق والبركة تقول عقب كل صلاة مائة ثم تقول الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز ومنها لدفع كيد الظلمة لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير والدعاء بعد تمام قراءة الاسم المبارك اللهم وسع على رزقى اللهم عطف على خلقك اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصنه عن ذل السؤال لغيرك برحمتك يا أرحم الراحمين قال سيدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بسعادة الدارين لا تتخذ من الكافرين وليا ولا من المؤمنين عدوا وارتحل بزادك من التقوى فى الدنيا وعد نفسك من الموتى واشهد لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة وحسبك عمل صالح وإن قل وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فمن كان متمسكا بهذه الصفات الحميدة ضمن الله عز وجل له أربعة فى الدنيا الصدق فى القول والإخلاص فى العمل والرزق كالمطر والوقاية من الشر وأربعة فى الآخرة المغفرة العظمى والقربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق بالدرجة العليا وإن أردت الصدق فى القول فداوم على قراءة إنا أنزلناه فى ليلة القدر وإن أردت الرزق كالمطر فداوم على قراءة قل أعوذ برب الفلق وإن أردت السلامة من شر الناس فداوم على قراءة قل أعوذ برب الناس وإن أردت جلب الخير والرزق والبركة فداوم على قراءة

الكلى ويقال له المدير وينفصل عن فلك المدير فلك آخر خارج المركز يقال له خارج المركز الثانى والكوكب فى الفلك التدويرى ويلزم أن يكون لعطارد أوجان أحدهما فى الفلك الكلى والثانى فى المدير ويكون له أيضا خضيضان (وزعموا) أن ثخن فلك عطارد وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى ثلثمائة ألف وثمانمائة وثمانون ألفا واثنان وثمانون ميلا على رأى بطليموس صاحب الرصد فانه استخرج ذلك بالبراهين الهندسية والله أعلم

﴿فصل﴾ وأما عطارد فسماه المنجمون منافقا لكونه مع السعد سعدا ومع النحس نحسا - على زعمهم - وجرمه جزء من اثنين وعشرين جزءا من جرم الأرض ودورة جرمه مائتان وستة وثمانون فرسخا وقطر جرمه مائتان وثلاثة وسبعون ميلا ويبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوما تقريبا وهو كثير الرجعة والاستقامة يدور حول الشمس

﴿النظر الرابع﴾

فى فلك الزهرة وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما

بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المبين وهو نعم المولى ونعم النصير وقراءة سورة الواقعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ويرزقك من حيث لا تحتسب فالزم الاستغفار وإن أردت أن تأمن مما يروعك ويجزعك فقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون وإن أردت أن تعرف أي وقت تفتح فيه أبواب السماء ويستجاب الدعاء فاشهد وقت نداء المنادي فأجبه ففي الحديث من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادي والنادي هو المؤذن وإن أردت أن تسلم من أمر يكربك فقل توكلت على الحي الذي لا يموت أبدا والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ففي الحديث ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت أبدا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيبك فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي فيذهب عنك همك وغمك وحزنك وإن أردت أن يداويك الله من تسعة وتسعين داء أيسرها اللمم فقل ما ورد في الحديث لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها دواء مما ذكر وإن أردت أن تؤجر بما يصيبك من مصيبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسبت مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني خيرا منها ومنه حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله وعلى الله توكلنا وإن أردت أن يذهب همك ويقضى دينك فقل إذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال وإن أردت أن توفق للخشوع فاترك فضول النظر وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام وإن أردت أن توفق لحلاوة العبادة فاترك فضول الطعام وعليك بالصوم وقيام الليل والتهجد فيه وإن أردت أن توفق للهيبة فاترك المزح والضحك فإنهما يسقطان الهيبة وإن أردت أن توفق للمحبة فاترك فضول الرغبة في الدنيا وإن أردت أن توفق لإصلاح عيب نفسك فاترك التجسس عن عيوب الناس فإن التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان وإن أردت أن توفق للخشية فاترك التوهم في كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق وإن أردت أن توفق للسلامة من كل سوء فاترك الظن السيئ بكل الناس وإن أردت العزلة فاترك الاعتقاد في الناس وتوكل على الله وإن أردت أن لا يموت قلبك فقل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت وإن أردت أن ترى النبي ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات واترك كل المحرمات وارفض الشهوات وإن أردت أن تكون غنيا فلازم القناعة وإن أردت أن تكون خير الناس فكن نافعا للناس وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكا بقوله ﷺ من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي وعد خمسا قال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة

عماس لفلك الشمس والأدنى لفلك عطارد وتتم دورته المختصة من المغرب إلى المشرق في سنة واحدة مثل فلك الشمس غير أن فلك تدويره يسرع تارة فتصير الزهرة قدام الشمس ويبطىء أخرى فتصير الزهرة خلف الشمس وثخن جرم فلك الزهرة وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى والأدنى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعون ميلا وصورته مشابهة لصورة فلك القمر سواء وفلك الشمس على تقدير أن يكون جرم الشمس فلك التدوير من غير فرق ﴿فصل﴾ وأما الزهرة فسماها المنجمون السعد الأصغر لأنها في السعادة دون المشتري وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو وجرم الزهرة جزء من أربعة وثلاثين جزء وثلث جزء من جرم الأرض وقطر جرمها أربعمائة وتسعة وأربعون ميلا وسدس ميل تبقى في كل برج سبعة وعشرين يوما وأما خواصها فزعموا أن النظر إليها مما يوجب فرحا وسرورا وإذا كان بالناظر اليها حرارات السل تخفف عنه وزعموا أن من شأنها الشبق والباه والألفة حتى لو نكح رجل مرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه

الضحك تميت القلب، وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين ففى الحديث إذا أحب الله عبداً صير حوائج الناس إليه وإن أردت أن تكون من المطيعين فأد ما فرض الله عليك وإن أردت أن تلقى الله تعالى نقيا من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله تعالى يوم القيامة وما عليك ذنب وإن أردت أن تحشر يوم القيامة فى النور الهادى وتسلم من الظلمات لا تظلم أحدا من خلق الله تعالى وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق طموما كالمطر فلازم الدوام على الطهارة الكاملة وإن أردت أن تكون آمنا من سخط الله فلا تغضب على أحد من خلق الله وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الحرام وأكل الربا وأكل السحت وإن أردت أن لا يفضحك الله على رؤس الخلائق فاحفظ فرجك ولسانك وإن أردت أن يستر الله تعالى عليك عيبك فاستر على عيوب الناس فإن الله تعالى ستار ويحب من عباده الستارين وإن أردت أن تمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار والخشوع والخضوع والحسنات فى الخلوات وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والصبر على البلية وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم وإن أردت أن يقضى الله عنك الدين فقل ما قاله النبى ﷺ للأعرابى حين سأله وقال عليه الصلاة والسلام له لو كان عليك مثل الجبال دينا أداه الله عنك قل اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك وفى الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب دينا فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو اللهم فارج الكرب اللهم كاشف الهم اللهم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أسألك أن ترحمنى رحمة تغنينى بها عمن سواك وإن أردت أن تنجو وإذا وقعت فى هلكة فالزم ما فى الحديث إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ما ساءه من أنواع البلاء والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد فى الحديث اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ومنه اللهم اكفناهم بما شئت إنك على كل شىء قدير وإن أردت أن تأمن إن خفت من سلطان فقل ما ورد فى الحديث لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السمرات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عز وجل ثناؤك لا إله إلا أنت ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك فى نحورهم إلى آخره وفى الحديث إذا أتيت سلطانا مهابا تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر أعز من خلقه جميعا الله أعز مما أخاف وأحذر والحمد لله رب العالمين وإن أردت ثبات القلب على الدين فقد أسند مرفوعا أنه كان من دعائه ﷺ اللهم ثبت قلبى على دينك وفى رواية يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ﴿فائدة﴾ مجربة لمن دخل على سلطان يخاف شره فليقرأ الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وإن أردت كثرة الخير والرزق فداوم على قراءة ألم نشرح وسورة الكافرون وإن أردت الستر من الناس فداوم على قول اللهم استر نى بسترك الجميل الذى سترت به نفسك فلا عين تراك وإن أردت عدم الجوع والعطش فداوم على قراءة لإيلاف قريش إيلافهم وقد جرب ذلك مرارا وصح وإن خفت على تجارتك أو مالك فاكتب سورة الشعراء

﴿النظر الخامس فى فلك الشمس﴾

وهو يحده سطحان كرويان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما يماس لمقعر فلك المريخ والأدنى منهما يماس لمحدب فلك الزهرة ودورته من المشرق إلى المغرب تتم فى ثلثمائة وستين يوما وربع يوم وينفصل عنه فلك شامل للأرض مركزه خارج المركز كما مر ذكره فى أفلاك الكواكب الثلاثة من غير فرق إلا أن الشمس ههنا بمنزلة فلك التدوير إذ ليس للشمس فلك التدوير وذلك من لطف الله تعالى وعنايته بالعباد لأنه لو كان لها فلك التدوير كما لسائر الكواكب السيارة رجعت وبرجعتها يتمادى الصيف ستة أشهر وكذلك الشتاء فيؤدى إلى هلاك الحيوان والنبات لأن الشمس إذا بقيت مسامتة لرؤس قوم ستة أشهر لتغير مزاج حيوانهم واحترق نباتهم وإن بعدت عن قوم ستة أشهر استولى البرد على مزاجهم وانطفأت حرارتها وفسد نباتهم (وثخن جرم فلك الشمس) ثلثمائة ألف وخمسة وخمسون ألفا وأربعة وسبعون ميلا

﴿فصل﴾ فى الشمس وهى أعظم الكواكب جرما وأشدها ضوأ ومكانها

وعلقها فى موضع تجارتك يكثر فيه البيع والشراء ومن كتب سورة القصص وعلقها على من يخاف عليه التلف فإنها أمان له من ذلك وهو سر لطيف مجرب ﴿فائدة﴾ عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يتولّ قبض روحه إلا الله تعالى وعن أبى نعيم قال سمعت معروفا الكرخى يقول لما اجتمعت اليهود على قتل عيسى عليه السلام أهبط الله تعالى جبريل عليه السلام مكتوبا فى باطن جناحه اللهم إنى أعوذ باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذى ملأ الأركان كلها أن تكشف عنى ضرما أمسيت وأصبحت فيه فقال ذلك عيسى فأوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن ارفع عبدى إلىّ ﴿فائدة﴾ مما جرب للصداع فصحّ ما روى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه قال وجد فى بعض دور بنى أمية درج من فضة وعليه قفل من ذهب مكتوب على ظهره شفاء من كل داء وفى داخله مكتوب هذه الكلمات بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أسكن أيها الوجع سكنتك بالذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اسكن أيها الوجع سكنتك بالذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فما احتجت معه إلى طبيب قط بإذن الله تعالى فإنه هو الشافى * ومما جرب للصداع أيضا أن يكتب على ورقة بيضاء وتلصق على المحل الذى فيه الصداع فإنه يزول بإذن الله تعالى وهو صحيح مجرب دم م م ل ه ووجد أيضا فى ذخائر بنى أمية ترس مربع من ذهب وعليه أزرار من الزمرد الأخضر مملوء بالمسك والكافور والعنبر الخام وكان من جعله على رأسه أزال عنه الصداع ألبتة فى الوقت والساعة ففتقوا الترس فوجدوا فى باطن أزراره بطاقة مكتوبا فيها بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم * ومما جرب للصداع أيضا أن تكتب هذه الأحرف على لوح خشب أو مكان طاهر وتدق فى الحرف الأول مسمارا وتقرأ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم وتدق دقا خفيفا فإن سكن الصداع فبالغ عليه بالدق إلى قرصه وإن لم يسكن فانقل المسمار من حرف إلى حرف إلى أن يسكن الصداع فلا بد أن يسكن فى حرف منها كما جرب ذلك مرارا وهى هذه ا ح ا ك ك ح ع ح ا م ح والسواد موضع وضع المسمار ويجمعها قولك :

إنى حملت إليك كل كريمة * حوراء عن حظ المتيم ماحنت

فأوائل الكلمات منها مقصدى * لصداع رأس يافنى قد جربت

ثم قال أى (ابن بختيشوع) ومما ذكر من الخواص وشهدت به التجربة ما قاله الحكيم جالينوس إذا أخذت شعر ابن آدم وأحرقته وخلطته بماء الورد ووضعته المرأة على رأسها عند الطلق تسهل عليها الولادة وإن طليت البرص والبهاق بمنى ابن آدم أبرأه وإذا حططته فى البيت اجتمعت عليه البراغيث وبصاق ابن آدم سم الحيات فإنك إن بصقت فى فم الحية ثلاث مرات تموت من ساعتها وإذا أوقدت سراجا من دهن ابن آدم فى ليلة ذات رياح سكنت الرياح وشعر المرأة بطوله إذا طرح فى ماء البحر بحيث لا يخرج منه صار حية مائية وإذا اكتحل

كالأعوان والجنود فالقمر كالوزير وولى العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشترى كالقاضى وزحل كصاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى والأفلاك كالأقاليم والبروج كالبلدان والحدود والوجوه كالمدن والدرجات كالقرى والدقائق كالمحال والثوان كالمنازل وهذا تشبيه جيد ومن لطف الله تعالى جعلها فى وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات فى هذا العالم بحركاتها على حدها الاعتدالى إذ لو كانت فى فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد ولو انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية وخلقها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة فى موضع والبرودة فى موضع ولا يخفى فسادهما بل تطلع كل يوم من المشرق ولا تزال تمشى موضعا بعد موضع إلى أن تنتهى إلى المغرب فلا يبقى موضع مكشوف مواز لها إلا ويأخذ موضع شعاعها وتميل كل سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدتها وأما جرمها

فضعف جرم الأرض مائة وستة وستين مرة وقطر جرمها أحد

{فصل} فى كسوفها وسببه كون القمر حائلا بين الشمس وبين أبصارنا لأن جرم القمر كدفيحجب ماوراءه عن الأبصار فإذا قارن الشمس وكان فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريباً منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلا بينها وبين الأبصار لأن الخطوط الموهومة الشعاعية التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر فإذا حال بيننا وبين الشمس يتحصل مخروط الشعاع أولا بالقمر فإن لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج وقع جرم القمر فى وسط المخروط فتنكسف الشمس كلها وإن كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس بمقدار ما يوجب العرض فينكسف بعضها وذلك إذا كان العرض أقل من مجموع نصف القطرين فإن كان يماس جرم القمر مخروط الشعاع لا تنكسف الشمس ثم الشمس إذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه فى الحال فتبتدئ الشمس بالانجلاء ولكن يختلف قدر الكسوفات

الإنسان بلبن النساء مع سكر طبرزد ينفع لبياض العين والطفل الأزرق العينين إذا رضع من لبن الجارية الحبشية أربعين يوما اسودت عيناه وإذا أخذ بول الصبى وخلط برماد حطب الكرم وحط على القرحة نفعها وإذا علقت المرأة عليها سن الطفل الذى وقع فى أول سنة لا تحبل قال جالينوس ويحيى ابن ماويشه مرارة ابن آدم سم قاتل ومن اكتحل بمرارة ابن آدم نفعته من بياض العين وقال ابن ماويشه سرة الطفل أول ما تقطع إذا علقتها المرأة على يدها وبها ألم سكن وإذا أخذ عظم ابن آدم وأحرق وسحق وخلط معه صبر ونفخ فى أنف الذى فيه الباسور أبرأه بإذن الله تعالى وإذا أخذت الحيات التى تخرج من بطن ابن آدم وجففت وسحقت ناعماً واكتحل بها من فى عينه بياض ذهب وإذا أخذ رجيع ابن آدم يابساً وسحق ونخل وعجن بالخل وعسل النحل وطلى به على الأكلة برئت بإذن الله تعالى وكذلك إذا طليت به الخوانيق التى فى الحلق برئت وشعر ابن آدم إذا علق على من يشتكى الشقيقة سكنت وإذا بل الشعر بالخل ووضع على عضة الكلب برئت ودم ابن آدم إذا أخذ وعجن بدقيق الحلبة وبماء السذاب وطلى به كل قرحة تكون فى البدن برئت لوقتها ألبتة لاسيما التى تكون فى الساقين والقروح الرطبة التى يسيل منها الدم والقيح وإذا أخذ دم الحيض من جارية بكر أو ثيب وخلط معه خمر عتيق واكتحل به من فى عينيه بياض أبرأه وخرقة الحيض إذا علقت على مؤخر السفينة لا يدخلها ريح ولا زوبعة وإذا أصاب المرأة وجع السرة تأخذ خرقة الحيض فتحرقها حتى تصير رمادا ثم تأخذ من ذلك الرماد جزءا ومن الكزبرة جزءا ويدق الجميع بماء فاتر ويطلى به ما حول السرة تبرأ بإذن الله تعالى وكذلك إذا أصابها عند النفاس فإنه يسكن بذلك بإذن الله تعالى ورجيع الطفل عند الولادة يجفف ويسحق ويكتحل به من فى عينه بياض فإنه يذهب بإذن الله تعالى وإذا أخذت قلفة الصبيان وهى طهارتهم وجففت وسحقت وخلط معها شىء من المسك وماء الورد وسقى من ذلك صاحب البرص والجذام وقف عنه بإذن الله تعالى وإذا أحرقت وسحقت وسقيت لمن غلب عليه البرص ذهب عنه بإذن الله تعالى ويؤخذ من رجيع ابن آدم مقدار حمصة ويسحق ويذاب بماء فاتر ويسقى لصاحب القولنج يبرأ بإذن الله تعالى وإذا سحق وديف بالخل كان أبلغ وإذا أخذ رجيع ابن آدم أول ما يخرج وهو حار ويخلط بخمر عتيق ويسقى للدابة المريضة تبرأ بإذن الله تعالى وإذا غسلت وسخ رجلى ابن آدم ويديه بالماء وأسقيته لمن شئت فإنه يحبك محبة شديدة ولا يكاد يطيق فراقك وهو سر عجيب مجرب ومثله إذا أردت أن يحبك إنسان حبا شديدا فاغسل جيب قميصك واسقه ماءه وهو لا يعلم فإنه يحبك حبا شديدا وإن أردت أن تجمع الحمام فى البرج فخذ رأس ابن آدم وهو ميت قد مضى عليه من السنين مدة وادفنه فى ذلك البرج فإن الحمام يعمره ويجتمع إليه من كل مكان حتى يضيق به وإذا أصاب إنسانا اللقوة والفالج يسعط بلبن جارية سوداء أو حبشية مع شىء من دهن الزئبق فإنه يبرأ بإذن الله تعالى ومقدار السعوط منه وزن قيراط للرجل الكامل وللطفل والصبى وزن حبة ويخلط معه فى بعض الأوقات أنزروت أبيض ويقطر فى العين المحمرة تبرأ وإذا أردت أخذ الكاشم ودق ناعما وديف ببول صبى لم يبلغ الحلم وسقى للدابة المغولة برئت بإذن الله تعالى وإذا أردت أن لا يقرب المرأة أحد غيرك فخذ ما تستخرجه من شعرها من تسريح أو غيره واحرقه حتى يصير رمادا ثم اجعل منه على رأس إحليلك عند الجماع معها فلا أحد يجامعها بعد ذلك مثلك ولا تقبل أحدا غيرك وهو سر عجيب مجرب ويؤخذ من منى الرجل جزء ومن الزئبق جزء ويخلط الجميع ويسعط منه صاحب اللقوة ثلاثة أيام متوالية يبرأ بإذن الله تعالى وإذا أخذ رجيع إنسان وأحرق وسحق ناعما وخلط معه ملح اندرانى وشىء من حرنبل وخلط الجميع ونفخ فى عين الدابة التى فيها البياض برئت وإذا أخذ بول صبى قبل أن يبلغ الحلم وجعل فى وعاء وترك على النار حتى حمى وغمست صوفة فى ذلك البول وطلى به على العين التى بها ورم أو حمرة برئت وإذا أخذ منى ابن آدم

وهو حار وطلى به البرص غير لونه بقدرة الله تعالى وإذا أخذ شيء من أبوال وجعل فى قدر نحاس وطبخ حتى انعقد ثم جفف وخلط معه ملح الطعام وسحق وعجن بماء الزعفران وجعل فى بودقة وأوقد عليه حتى يدور كالدور الفضة فاجعله سبيكة وحكه على المسن بالماء والمسك وكحل به العين التى غلب عليها البياض تبرأ بإذن الله تعالى ألبتة وهو سر لطيف مجرب وكان الحكماء المتقدمون يسمونه الجوهر النفيس ويؤخذ لبن جارية سوداء فيذاب فيه شيء من الزعفران وشيء من لعاب السفرجل ويقطر فى العين التى بها الوجع والضربان والنقطة فإنها تبرأ بإذن الله تعالى وإذا أردت أن تكون نهود الجارية قائمة لا تنكسر فخذ دم حيض الجارية من أول حيضها واطل به رؤوس الهدين فإنهما لا ينكسران ولا يزالان قائمين وهذا سر عجيب مجرب وإذا أخذ دم الحيض وهو حار طرى ولطخ به فى العين يزول ما بها من الحمرة والنقطة والورم وإن أردت أن تسمن المرأة فخذ شحم أوزة أنثى يدق ويخلط معه بورق وكمون كرمانى ودقيق الحلبة يمزج الجميع ويجعل مثل البنادق ويبلع ذلك لدجاجة سوداء سبعة أيام متوالية ثم تذبح وتصاق فكل من أكل من تلك الدجاجة أو من مرقتها يسمن حتى يكاد يغلب عليه الشحم من ذكر كان أو أنثى وإن أردت أبلغ من ذلك فخذ مرارة آدمى وخذ ما تيسر من القمح وضع تلك المرارة عليه مع قليل من الماء واصبر على القمح حتى ينتفخ وبلعه لدجاجة سوداء وافعل ما تقدم ذكره فمن أكل من تلك الدجاجة رأى العجب العجاب من السمن والشحم حتى لا يستطيع القيام ذكرا كان أو أنثى وهو سر لطيف مجرب وإذا أردت أن تقطع لبن المرأة فخذ حلبة واسحقها واعجنها بالماء واطل ثدى المرأة ينقطع اللبن ألبتة بإذن الله تعالى وإذا أردت أن يدر اللبن فخذ حنظلة ودقها واعجنها بالزيت وخذ صوفة زرقاء ولفها على عود واغمسها فى الزيت والحنظلة واطل بها رأس الثدى يدر اللبن بقدرة الله تعالى وكلاهما صحيح مجرب ومتى صور صورة صبى حسن الوجه ونصب قبالة المرأة بحيث يتراه وقت الجماع خرج الولد يشبه تلك الصورة فى أكثر الأعضاء ألبتة قال وضرس الميت إذا علق على من به وجع الضرس سكن وجعه وإذا أخذ ضرس إنسان وعظم جناح الهدهد الأيمن وجعلا تحت رأس النائم لم يزل كذلك حتى يؤخذا من تحت رأسه وبصاق الإنسان ينفع من لدغ الهوام والقوباء والثآليل إذا طلى عليها قبل أن يأكل الإنسان شيئا ولبن النساء إذا شرب مع عسل فتت الحصا من المثانة وبول الإنسان إذا وضع على عضة الكلب الكلب نفعها نفعا بينا وقال قوم أن المكلوب إذا شرب من دم إنسان شريف برئ من ساعته وأنشدوا على ذلك قول الشاعر :

أحلامكم لسقام الجهل شافية * كما دماؤكم تبرى من الكلب

وقلامة ظفر الإنسان إذا أحرقت وسقيت لإنسان آخر أحبه ذلك الإنسان حبا شديدا وشرب بول الإنسان ينفع من لسع جميع ذوات السموم وإن طلى به بعد أن يغلى رجل صاحب النقرس سكن الوجع والضربان وينفع من جميع القروح الحادثة فى أصابع القدم والقروح التى فيها دود خصوصا البول العتيق وينفع من عضة الإنسان والقرد وجميع الحيوان السمى وإذا بال رجل على الجرح حين يجرح قطع الدم لساعته وأبرأه وهو صحيح مجرب وعرق الإنسان إذا أخذ منه وعجن بغبار الرحا ووضع على الثدى الوارم نفعه من جمود اللبن فى الضرع والثدى ويعقده بعد الولادة ومنى الإنسان إذا أخذ وهو يابس ومعه سذاب مدقوق وذر على الأكلة أبرأها ألبتة وإن عجن بعسل وطلى به الحلق من خارج نفع الخناق وإذا أخذ نجو صبى حين يولد وجفف وسحق وكحل به بياض العين نفع وينفع من الغشاوة نفعا جيدا وإذا أخذ من نجو إنسان قدر حمصة وديف بخل خمر وسقى

باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المنظر وقد لا تنكسف فى بعض البلاد أصلا .

﴿فصل﴾ فى خواص الشمس وعجيب تأثيرها فى العلويات فإخفاؤها جميع الكواكب لكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور بسبب قربه منها وبعده عنها وجميع ما ذكرنا من فوائد القمر فائدة من فوائد الشمس (وأما) فى السفليات فمنها تأثيرها فى البخار فإنها إذا أشرقت على الماء صعد منه أبخرة بسبب السخونة فإذا بلغ البخار إلى الهواء البارد تكاثف من البرد وانعقد سحابا ثم تذهب به الرياح إلى الأماكن البعيدة عن البحار فينزل مطرا يحيى الله به الأرض بعد موتها وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سببا لبقاء الحيوان وخروج النبات وتكون المعادن وقد قال الله عز وجل وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات (ومنها) أمر المعادن فإن العصارات التى تنحلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار إذا اختلطت بالأجزاء الأرضية تصحبها الشمس

فتتولد منها الأجساد المعدنية بحسب موادها كالذهب والفضة وسائر الفلزات وكالياقوت والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة وكالزئبق والكبريت والزرنيخ والملح والنوشادر ولا يخفى عموم فوائد هذه الأشياء كلها (ومنها) أمر النبات فإن الزروع والأشجار لا تنبت إلا في المواضع التي تطلع عليها الشمس وكذلك لا ينبت تحت النخل والأشجار العظيمة التي لها ظلال واسعة شيء من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بسبب الحركة اليومية في النيلوفر والأدريون وورق الجزوع فإنها تنمو وتزداد عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت في الذبول حتى إذا غابت ذبلت وضعفت ثم عادت في اليوم الثاني إلى حالها (ومنها) تأثيرها في الحيوانات فإنا نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى في أبدانها قوة فتظهر فيها قوة حركة وزيادة نشاط وانتعاش وكل ما كان طلوع نور الشمس أكثر كان ظهور قوة الحيوان في أبدانها أكثر إلى أن تصل إلى وسط سمائهم فإذا مالت عن وسط سمائهم أخذت حركاتهم وقواهم في الضعف

لصاحب القولنج وعسر البول نفعهما إذا كان حارا نفع الفرس الحمر وينفع من عضة الإنسان من ساعته ولعاب الصائم إذا قطر في الأذن أخرج الدود منها وإن خلط مع الرزاو ووضع على البواسير أبرأها وسرة الصبي عندما تقطع إذا أخذ منها شيء ووضع تحت فص خاتم فإنه ينفع لابسه من القولنج وقال ابن زهر سن الصبي الذكر أول ولد من المرأة إن جعل تحت فص خاتم ذهب أو فضة بحيث يكون فصه لم يصب من لبسه من الرجال القولنج ألبتة وإن بخرت المرأة بشعر إنسان نفعها من جميع أوجاع الرحم وإذا طليت المرأة بدنها بدم النفاس من أول ولد لها منعها من الحبل ما عاشت وإن جعل سن الصبي أول ما يسقط قبل أن يصل إلى الأرض تحت فص خاتم وعلق على امرأة منعها الحبل وعرق النسا يطلى به الجرب يبرأ وبول الصبي الذي لم يبلغ عشرين سنة إذا شرب به صاحب البرص برىء وبول الإنسان مع رماد الكرم يوضع على موضع نزف الدم يقف ورماد العيشوم ورماد الشونيز مع الزيت العتيق ينبت اللحية ودم الحيض إذا طلي به عضة الكلب الكلب تبرأ وكذلك البهق والبرص * وقال القزويني في عجائب المخلوقات إذا رعف الإنسان فليكتب اسمه بدمه على خرقة وتجعل نصب عينيه فإنه ينقطع رعافه ونطفة الإنسان إذا طلي بها البهق والبرص والقوباء أبرأتها وإذا خلط بها زهر الغبيراء وجفف وأسقاه إنسان لامرأة عشقته ودم البكارة حين افتضاضها إذا طلي به الثدي لا يكبر ﴿قاعدة﴾ قال الأطباء إذا أردت أن تعلم هل المرأة عقيم أم لا فرها أن تتحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فإن فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالأدوية فإنها تحمل بإذن الله تعالى وإلا فلا قال الرازي وهي مجربة لذلك والله أعلم ﴿التعبير﴾ الإنسان في المنام كل شخص يعرف فهو ذاك بعينه ذكرا كان أو أنثى أو سميه أو نظيره والشاب المجهول هو والشيخ جد وسعادة وربما عبر بالصديق فمن رأى شيخا ضعيفا أو صغير الصورة فذاك نقص في جد الإنسان وسعده والكهل إذا لم ينق البياض أقوى لجد الإنسان وسعده والصبي هم إذا كان طفلا يحمل لقوله تعالى فأتت به قومها تحمله والبالغ قوة وبشارة لقوله تعالى يا بشرى هذا غلام والصبي الحسن الصورة إذا دخل مدينة محاصرة أو كان بها طاعون أو قحط فرج عنهم وكذلك إذا أنزل من السماء أو خرج من الأرض فهو بشارة لكل ذي هم ويعبر أيضا بملك من الملائكة مثال أن يرى المريض أو يرى له كأن صبيا أمرد أخذه أو ضرب عنقه فإنه ملك الموت والشاب الأشقر عدو شحيح والشاب التركي عدو لا أمان له والشاب الضعيف عدو ضعيف والشاب الأسمر عدو غني والشاب الأبيض عدو دين والمرأة في المنام دنيا والمجهولة أقوى من المعروفة وحسنها أحسن شيء وقبحها أقبح شيء والزانية زيادة في الخير والصلاح لقول النبي ﷺ عرضت على الدنيا ليلة أسري بي في صورة امرأة حاسرة الذراعين فقال لها طلقتك ثلاثا أرادها الدنيا والمرأة السوداء تعبر بليلة مظلمة والبيضاء بالنهار فمن رأى امرأة سوداء غابت عنه وظهرت له امرأة بيضاء فإن ذلك دليل الصباح وزوال الظلام والمرأة التي تكون للسلطان أو هي سلطانة فإنها تعبر بملك ظالم معجب أو تكون بمنزلة العروس لأهله ومال حرام لغير ذلك والشابة إذا رأتها المرأة فهي عدو لها إذا كانت مجهولة والعجوز المجهولة لها جد وتعبر المرأة بالسنة فإن كانت سمينة فهي خصب وإن كانت هزيلة فهي جدب وإنما شبهت المرأة بالسنة لأنها كالأرض قال الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ولأنها ذات نتاج وكذلك الأرض والمرأة المتنقبة عسر لمن رآها والمكشوفة الوجه دنيا ليس فيها تعب والنساء زينة الدنيا فمن أقبلن عليه أقبلت عليه الدنيا ومن أدبرن عنه أدبرت عنه الدنيا والإنسان القبيح الصورة أمر مكروه والأسود سوء والخصي المجهول يعبر بملك من الملائكة لانتزاع الشهوة منه فمن رأى أنه خصي أو كأنه خصي ناله ذل وخضوع وقالت النصارى من رأى نفسه خصيا

نال منزلة فى العبادة وعفة الفرج ومن رأى بيده رأى إنسان فإنه ينال ألف دينار أو ألف درهم أو مائة درهم والرءوس المقطعة فى المنام رؤساء الناس فمن أخذ شيئا من لحمها أو شعرها نال مالا من قوم رؤساء ومن رأى رأسه كبيرا حسنا نال رياسة ومن قطع رأسه وكان مملوكا عتق أو مهموما فرج الله همه أو مريضا شفى فإن كان ممن يخدم فارق خدمه ومن رأى رأسه يرضخ بحجر فإنه قد نام عن صلاة العشاء ومن رأى رأسه رأس كلب أو فرس أو جمل أو حمار أو بغل أو غير ذلك من البهائم التى تنالها مشقة التعب والعمل نال تعبا لأن هذه الحيوانات خلقت للكلف والتعب وإن رأى رأسه رأس طير كثر سفره ومن رأى رأسه بيده وكان له رأس آخر فإن ذلك يدل على تدبير الأمور الرديئة وإصلاحها وأكل الرأس من الحيوان مال لم يكن يرجوه وطول حياة إذا كان غير نىء والرأس يعبر بالرئيس والسيد والأب ويعبر أيضا برأس المال فما رؤى فيه من زيادة أو نقص أو وجع فهو عائد إلى ما ذكرناه ومن رأى رأسه تحول رأس أسد فإنه ينال ملكا إن كان من أهله أو رياسة أو ولاية أو وجاهة ومن رأى أنه يأكل لحم إنسان فإنه يغتابه ومن أكل لحم نفسه فإنه يغتاب وقيل أكل اللحم النىء خسارة فى المال واللحوم فى الرؤيا أموال إذا كانت مطبوخة ناضجة وإذا أكلت المرأة لحم امرأة فإنها تساحقها وإن أكلت لحم نفسها فإنها تزنى وأكل لحم البقر الهزيل مرض وأنسب كل لحم إلى حيوانه فلحم الحية مال من عدو فإن كان نيئا فهو غيبة ولحم السبع مال من سلطان وكذلك لحوم السباع الضوارى وجوارح الطير ولحم الخنزير مال حرام والله تعالى أعلم

﴿إنسان الماء﴾ يشبه الإنسان إلا أن له ذنبا قال القزوينى وقد جاء شخص بواحد منها فى زماننا مقدر كما ذكرنا وقيل إن فى بحر الشأم فى بعض الأوقات من شكله شكل إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقال للولد ما يقول أبوك قال يقول أذناب الحيوان كلها فى أسفلها فما بال هؤلاء أذنابهم فى وجوههم وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الباء الموحدة فى بنات الماء قريب من هذا (الحكم) سئل الليث بن سعد رضى الله عنه عن أكله فقال لا يؤكل على شىء من الحالات والله تعالى أعلم

﴿الأنقد﴾ بالنون الساكنة وفتح القاف وبالدال المهملة القنفذ (الأمثال) يقال بات فلان بليل أنقد لأنه لا ينام الليل كله وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى القنفذ قال الميدانى أنقد معرفة لا تدخله الألف واللام يضرب لمن سهر ليله أجمع قال وقيل الأنقد الذى يشتكى سنه من النقد وهو فساد الأضراس يحركها وصاحبه لا ينام (فائدة) ومما جرب لوجع الضرس أن يكتب ويحمل قوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) محوصه سمه ولها ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم جهكر طكفوم طسم طس طسم حم حم حم حم حم حم اسكن أيها الوجع بالذى سكن له ما فى الليل والنهار وهو السميع العليم اليقس تقس قسا مسقس أن البهربهر هراوراب * ويكتب لوجع الضرس أيضا على جدار هذه الأحرف وهى ح ب ر ص لا و ع م لا ونأمر الموجوع أن يضع أصبعه على الضرس الضارب ويكون ذلك فى حال ضربانه وتضع مسمارا على أول حرف من الحروف المتقدمة وتدق عليه دقا خفيفا وأنت تقرأ ولو شاء لجعله ساكنا وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم فى حالتى الدق والكتابة فإذا علق رأس المسمار يسير أسأله هل سكن الوجع فإن قال نعم فبلغ المسمار بالدق إلى نرصه وإن قال لا فانقل المسمار إلى الحرف الثانى وافعل ما تقدم ذكره ولا تزال تنقله حرفا حرفا إلى آخر

طلعت الشمس عليهم فى اليوم الثانى عادوا إلى الحالة الأولى ومن عجيب تأثيرها فى الحيوانات أن تجعل أهل البلاد القريبة من مسامتتها كبلاد السودان الذين هم فى الإقليم الأول سودا محترقين وتجعل وجوههم من شدة الحرارة قحلة وجثثهم خفيفة وأخلاقهم وحشية شبيهة بأخلاق السباع والمواضع البعيدة عن مسامتتها كبلاد الصقالبة والروس تجعلهم لضعف حرارتها بيضا وتجعل شعورهم سبطة شقرا وأبدانهم رخصة عظيمة وأخلاقهم شبيهة بأخلاق البهائم (ومنها) ما زعمت البراهمة أن أوج الشمس فى كل برج ثلاثة آلاف سنة وتقطع الفلك فى ستة وثلاثين ألف سنة والآن فى وقتنا هذا وهو إحدى وستون وستمائة فى برج الجوزاء (زعموا) أن الأوج إذا انتقل إلى البروج الجنوبية انقلبت أحوال الأرض وهيآتها فصار العامر غامرا والغامر عامرا والبحر يبسا واليبس بحرا والجنوب شمالا والشمال جنوبا

الحروف فني أى حرف سكن الوجع فبلغ المسمار فيه بالدق إلى قرصه فإنه لابد أن يسكن فى حرف منها كما جرب مرارا ومادام المسمار مدقوقا دام الوجع ساكنا فإذا قلع المسمار عاد الوجع والنقط الحمر فى الحروف موضع وضع المسمار وهو سر عجيب مجرب صحيح وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فى أبيات ومر:

وللضرس فاكتب فى الجدار مفرقا * بما جمعه حبر صلاء وعملا
ومره على الموجوع يجعل أصبعا * وضع أنت مسمارا على الحرف أولا
ودق خفيفا ثم سله ترى به * سكونا نعم إن قال بلغه موصلا
وإن قال لا فاقله ثانى حروفه * وفى كل حرف مثل ماقلت فافعلا
وفى سورة الفرقان تقرأ ساكنا * كذا آية الأنعام فاتل مرتلا
وتترك ذا المسمار فى الحيط مثبتا * مدى الدهر فالأسقام تذهب والبلا
فخذها أخى كنزا لديك مجربا * ذخيرة أهل الفضل من خيرة الملا

وقد أحسن الأمير أسامة بن منقذ حيث قال ملغز فى ضرسه وقد قلعه:

وصاحب لاأمل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت * عينى عليه افترقنا فرقة الأبد

وله أيضا فى الصبر:

اصبر إذا ناب خطب وانتظر فرجا * يأتى به الله بعد الريب والياس
إن اصطبارا ابنة العنقود إذ حبست * فى ظلمة القار أداها إلى الكاس

وله أيضا فيه:

من يرزق الصبر نال بغيته * ولاحظته السعود فى الفلك
إن اصطبار الزجاج حين بدا * للسبك أدناه من فم الملك

﴿الأنكليس﴾ بفتح الهمزة واللام وكسرهما سمك شبيه بالحيات ردىء الغذاء وهو الذى يسمى الجرى الآتى فى باب الجيم إن شاء الله تعالى ويسمى المار ماهى وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد فى لفظ الصيد فان البخارى ذكره فى صحيحه وفى حديث على رضى الله تعالى عنه أنه بعث عمارا إلى السوق فقال لاتأكلوا الأنكليس من السمك وإنما كرهه لما تقدم لا لأنه حرام وفيه لغتان الأنكليس والأنقليس بفتح الهمزة واللام ومنهم من يكسرهما قال الزمخشرى وقيل أنه الشلق وقال ابن سيده هو على هيئة السمك صغير له رجلان عند ذنبه كرجلى الضفدع ولايد له يكون فى أنهار البصرة وليس لفظه عربيا ﴿الآتن﴾ بضم الهمزة وبالنونين طائر يضرب إلى السواد وله طوق كطوق الدبسى أحمر الرجلين والمنقار مثل الحمامة إلا أنه أسود وصوته أنين أوه أوه حكاه فى المحكم ﴿الأنيس﴾ وتسميه الرماة الأنيسة طائر حاد البصر يشبه صوته صوت الجمل ومأواه قرب الأنهار والأماكن الكثيرة المياه الملتفة الأشجار وله لون حسن وتدبير فى معاشه قال أرسطو إنه يتولد من الشرقراق والغراب وذلك بين فى لونه وهو طائر يحب الإنسان ويقبل الأدب والتربية وفى صفيره وقرقرته أعاجيب وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات كالقمرى وربما أبهم كحمحمة الفرس وغذاؤه الفاكهة واللحم وغير ذلك ويألف الغياض (الحكم) يحل أكله لأنه من الطيبات وينبغى أن يخرج فيه وجه بالحرمة لأكله اللحم ولسبب تولده من الغراب والشرقراق ﴿الأنوق﴾ على فعول الرخمة أو طائر أسود له شىء كالعرف أو أصلع الرأس أصفر المنقار قبل إن فى أخلاقها أربع خصال تحضن بيضها وتحمى فرخها وتألف ولدها ولاتمكن من

﴿النظر السادس﴾ فى فلك المريخ وهو يحده مماس لفلك الشمس وتتم دورته التى تختص به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة وعشر أشهر واثنين وعشرين يوما وصورته كفلك القمر وفلك الزهرة من غير فرق ولاحاجة إلى إعادته وكذلك فلك زحل وعلى رأى بطليموس نحن فلك المريخ وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة ألف وستة وسبعون ألفا وتسعمائة وثمانية وتسعون ميلا

﴿فصل﴾ والمنجمون يسمون المريخ النحس الأصغر لأنه دون زحل فى النحوسة وأضافوا إليه البطش والقتل والقمر والغلبة وجرم المريخ مثل جرم الأرض مرة ونصف مرة بالتقريب وثخن جرمه تسعمائة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون ميلا ويبقى فى كل برج إذا كان مستقيما أربعين يوما

﴿النظر السابع فى فلك المشترى﴾ وهو يحده سطحان متوازيان الأعلى منهما مماس لفلك زحل مماس لفلك المريخ مركزهما مركز العالم ويتم دورته

نفسها غير زوجها (وفى المثل) أعز من بيض الأنوق وأبعد من بيض الأنوق فلا يكاد يظفر به لأن أوكارها فى رؤس الجبال والأماكن الصعبة وهى تحمق مع ذلك قال الشاعر :

وذات اسمين والألوان شتى * وتحمق وهى كيسة الحويل

وقال غيره : وكنت إذا استودعت سرا كتمته * كبيض أنوق لا ينال لها وكر

وقال رجل لمعاوية زوجنى هند يعنى أمه فقال إنها قعدت عن الولد فلا حاجة لها إلى الزواج قال فولنى ناحية كذا فأنشد معاوية رضى الله عنه :

طلب الأباق العقوق فلما * أعجزته أراد بيض الأنوق

ومعناه أنه طلب ما لا يكون فلما لم يجده طلب ما يطمع فى الوصول إليه وهو مع ذلك بعيد كذا قاله جماعة ممن تكلم على الأمثال وهو غلط لأن أم معاوية ماتت فى المحرم سنة أربع عشرة فى اليوم الذى مات فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما والصواب الذى فى نهاية ابن الأثير وغيرها أن رجلا قال لمعاوية رضى الله تعالى عنه افرض لى قال نعم قال ولولدى قال لا قال ولعشيرتى قال لا ثم تمثل معاوية رضى الله تعالى عنه بقول الشاعر طلب الأباق العقوق إلى آخره ، والعقوق الحامل من النوق والأباق من صفات الذكور والذكر لا يحمل فكأنه قال طلب الذكر الحامل وبيض الأنوق مثل يضرب للذى يطلب المحال الممتنع وقال السهيلى فى أوائل الروض الأنوق الأنثى من الرخم يقال فى المثل أراد بيض الأنوق إذا طلب ما لا يوجد لأنها تبيض حيث لا يدرك بيضها فى شواهق الجبال وهذا قول المبرد فى الكامل ولم يوافق عليه فقد قال الخليل الأنوق الذكر من الرخم وهذا أشبه بالمعنى لأن الذكر لا يبيض فمن أراد بيض الأنوق فقد أراد المحال كمن أراد الأباق العقوق وقال القالى فى الأمالى الأنوق يقع على الذكر والأنثى من الرخم وحكم الأنوق يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الراء فى الرخمة

﴿تتمة﴾ السهيلى اسمه عبد الرحمن بن محمد السهيلى الخثعمى الإمام المشهور قال أبو الخطاب بن دحية أنشدنى السهيلى أبياتا وقال ما سأل الله تعالى بها أحد حاجة إلا قضاها وفى رواية إلا أعطاه الله إياها وكذلك من استعمل إنشادها وهى :

يا من يرى ما فى الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه فى قول كن * أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالى سوى فقرى إليك وسيلة * فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة * فلئن رددت فأى باب أقرع
ومن الذى أدعو وأهتف باسمه * إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا * فالفضل أجزل والمواهب أوسع

وكان السهيلى مكفوف البصر توفى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب

﴿الإوز﴾ بكسر الهمزة وفتح الواو البط واحدته إوزة وجمعوه بالواو والنون فقالوا الإوزون وقد أجاد فى وصفها أبو نواس حيث قال :

كأنما يصفرن من ملاعق * صرصرة الأقلام فى المهارق

وأبو نواس شاعر ماهر وهو من شعراء الدولة العباسية وله أخبار عجيبة ونكت غريبة وخمريات أبدع فيها واسمه الحسن بن هانئ بن عبد الأول قال ابن خلكان فى ترجمة أبى نواس قال المأمون لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبى نواس :

وعشرين سنة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوما وصورته كصورة فلك المريخ والزهرة وقد مضى ذكرهما وثخن جرمه وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة واثنان وثلاثون ألفا وأربعمائة واثنان وثلاثون ميلا بالتقريب

﴿فصل﴾ وأما المشترى فسماه المنجمون السعد الأكبر لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادات العظيمة وجرم المشترى مثل جرم الأرض أربعة وثمانون مرة وثلث وربع وقطر جرم المشترى كقطر جرم الأرض أربع مرات وربعا وسدسا يقطع فى كل يوم خمس دقائق

﴿النظر الثامن﴾

فى فلك زحل وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما يماس لفلك الكواكب الثابتة والأدنى منهما يماس لفلك المشترى وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى تسع وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام قال بطليموس ثخن جرم فلك زحل أحد وعشرون ألف ألف ميل وستمائة وستة

ألا كل حى هالك وابن هالك * وذو نسب فى الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

قال ومن أحسن ما أتى به من المعانى وأغربها ويدل على حسن ظنه بالله تعالى قوله:

تكثر ما استطعت من الخطايا * فإنك بالغ ربا غفورا
ستبصر إن وردت عليه عفوا * وتلقى سيداً ملكا كبيرا
تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار الشرورا

قال محمد بن نافع رأيت أبا نواس فى المنام بعد موته فقلت يا أبا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن ابن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر لى بأبيات قلتها فى علتى قبل موتى هى تحت الوسادة قال فأتيت أهله فقلت هل قال أخى شعراً قبل موته قالوا لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندرى ما هو قال فدخلت ورفعت وسادته فإذا أنا برقعة مكتوب فيها:

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن * فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا * فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا * وجميل عفوك ثم إنى مسلم

(قال) وسئل أبو نواس عن نسبه فقال أغنانى أدبى عن نسبى وتوفى سنة أربع وتسعين ومائة * والإوز يحب السباحة وفرخه يخرج من البيضة فيسبح فى الحال وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج أفراخها فى أواخر الشهر روى الإمام أحمد فى المناقب عن الحسين ابن كثير عن أبيه وكان قد أدرك عليا رضى الله تعالى عنه قال خرج على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إلى صلاة الفجر فإذا أوز يصحن فى وجهه فطردوهن فقال دعوهن فإنهن نوائح فضربه ابن ملجم فقلت يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مراد فلا تقوم لهم ثاغية ولا راغية أبدا فقال لا ولكن احبسوا الرجل فإن أمت فاقتلوه وإن أعش فالجروح قصاص انتهى * وسبب ذلك على ما ذكره ابن خلكان وغيره أنه اجتمع قوم من الخوارج فتذاكروا أصحاب النهروان وترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فتحالف عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمى على أن يأتى كل واحد منهم واحداً من على ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهم فقال ابن ملجم وهو أشقى الآخرين أنا أكفيكم على بن أبى طالب وقال البرك وأنا أكفيكم معاوية وقال ابن بكر وأنا أكفيكم عمرو بن العاص ثم سموا سيوفهم وتواعدوا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فدخل ابن ملجم الكوفة فرأى امرأة حسناء يقال لها قطام كان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قد قتل أباها وأخاها يوم النهروان فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى أشترط قال وما شرطك قالت ثلاثة آلاف وعبد ووصيفة وقتل على فقال لها وكيف لى بقتل على فقالت تروم ذلك غيلة فإن سلمت أرحت الناس من شره وأقمت مع أهلك وإن أصبت خرجت إلى الجنة ونعيم لا يزول فأنعم لها وقال ما جئت إلا لقتله ثم أقبل ابن ملجم حتى جلس مقابل السدة التى يخرج منها على رضى الله تعالى عنه إلى الصلاة فلما خرج لصلاة الفجر ضربه ابن ملجم على صلعته فقال على رضى الله تعالى عنه فزت ورب الكعبة شأنكم بالرجل فحذوه فحمل ابن ملجم على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقاه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وجلس على صدره قالوا وأقام على رضى الله عنه يومين ومات وقتل الحسن بن على عبد الرحمن بن ملجم فاجتمع الناس وأحرقوا جثته وأما البرك فإنه ضرب

﴿فصل﴾ وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم وجرم زحل جرم الأرض إحدى وثمانين مرة وقطره كقطر جرم الأرض أربعين مرة وثلثى مرة وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا

﴿النظر التاسع﴾

فى فلك الثوابت وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما يماس للفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك المحرك لكلها والأدنى منهما يماس لفلك زحل وهذا الفلك أيضا يتحرك من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة فيقطع فى كل مائة سنة جزأ من الأجزاء التى بها تكون الدائرة ثلثمائة وستين جزءا ودورته تتم فى ستة وثلاثين ألف سنة وقطباها قطبا دائرة البروج التى ترسمها الشمس وسيأتى ذكر ذلك إن شاء الله تعالى وقد وجد فى رصد بطليموس وأرصاد من كان قبله أن جميع الكواكب الثابتة مركوزة فى جرم هذا الفلك ولذلك لا تختلف أوضاعها وكلها تتحرك بحركة فلكها البطيئة على

معاوية رضى الله عنه فأصاب أوراكه وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك فلما أخذ قال الأمان والبشارة فقد قتل على فى هذه الليلة فاستبقاه حتى جاءه الخبر بذلك فقطع معاوية يده ورجله وأطلقه فرحل إلى البصرة وأقام بها حتى بلغ زيادا بن أبيه أنه ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله قالوا وأمر معاوية رضى الله عنه باتخاذ المقصورة من ذلك الوقت وأما ابن بكر فإنه رصد عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فاشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة فصلى بالناس رجل من بنى سهم يقال له خارجة فضربه ابن بكر فقتله فأخذ ابن بكر فلما أدخل على عمرو رضى الله تعالى عنه ورآهم يخاطبونه بالإمارة قال أو ما قتلت عمرا قال له لا وإنما قتلت خارجة قال أردت عمرا أو أراد الله خارجة فقتله عمرو رضى الله تعالى عنه وقيل إن عليا رضى الله عنه كان إذا رأى ابن ملجم يتمثل ببيت عمرو بن معديكرب بن قيس بن مكشوح المرادى وهو قوله :

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

فقيل لعلى رضى الله تعالى عنه كأنك عرفته وعرفت ما يريد أفلا تقتله قال كيف أقتل قاتلى ولما انتهى إلى عائشة رضى الله تعالى عنها قتل على رضى الله تعالى عنه قالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

وعلى رضى الله تعالى عنه أول إمام خفى قبره قيل أن عليا رضى الله عنه أوصى أن يخفى قبره لعلمه أن الأمر يصير إلى بنى أمية فلم يأمن أن يمثلوا بقبره وقد اختلف فى قبره فقيل فى زاوية الجامع بالكوفة وقيل فى قصر الإمارة بها وقيل بالبقيع وهو بعيد وقيل إنه بالنجف فى المشهد الذى يزار اليوم وسيأتى إن شاء الله تعالى ما ذكره ابن خلكان فى ذلك فى باب الهاء فى لفظ الفهد والله الموفق .

﴿فائدة أجنبية﴾

ولما كان الحديث شجون * وإفادة العلم تحقق للطالبين ما يرجون * وتجدد لهم ما ينسى الخليع أيام المجون * أحببت أن أذكر ههنا فائدة غريبة ذكرها المؤرخون * وهو أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع وها أنا أذكر ما ذكروه وأزيد عليه قدرا يسيرا من سيرة كل واحد منهم وأيامه وسبب موته ومدة خلافته وعمره لتكمل بذلك الفائدة وتحصل الجدوى والفائدة ﴿قال المؤرخون مر أن أول قائم بأمر الأمة النبى ﷺ بعثه الله تعالى على فترة من الرسل رحمة للعالمين فبلغ الرسالة وجاهد فى الله حق جهاده ونصح الأمة وعبد ربه حتى أتاه اليقين فهو أفضل الخلق وأشرف الرسل نبى الرحمة وإمام المتقين وحامل لواء الحمد وصاحب الشفاعة والمقام المحمود والحوض المورود آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو خير الأنبياء وأمته خير الأمم وأصحابه أفضل الناس بعد الأنبياء وملته أشرف الملل له المعجزات الباهرة والخلق العظيم والعقل الكامل الجسيم والنسب الأشرف والجمال المطلق والكرم الأوفر والشجاعة التامة والحلم الزائد والعلم النافع والعمل الأرفع والخوف الأكمل والتقوى الباهرة فهو أفصح الخلق وأكملهم فى كل صفات الكمال وأبعد الخلق عن الدناءات والنقائص وفيه قال الشاعر

لم يخلق الرحمن مثل محمد * أبدا وعلى أنه لا يخلق

قالت عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ إذا كان فى بيته فى مهنة أهله أى فى خدمتهم وكان يفلى ثوبه ويرقعه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعطف ناضحه ويقم البيت أى يكنسه ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته فى السوق وكان عليه الصلاة والسلام متواصل الاحزان دائم الفكر ليست له راحة وقد قال على رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى

مثبتة فى جميع جرم هذا الفلك قال بطليموس ثخن فلك الثوابت وهى المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى أربعة وثلاثون ألفا وسبعمائة وأربعة وأربعون ميلا بالتقريب وهذا المقدار هو قطر الكواكب الثابتة التى هى فى العظم الأول وجرم الكواكب الذى هو فى العظم الأول مثل جرم الأرض أربعة وسبعين مرة وخمس وجرم أصغر الكواكب الثابتة وهو الذى يكون فى العظم السادس مثل جرم الأرض ثمانية عشر مرة وقطر فلك الكواكب الثابتة وهو محدد فلك البروج مائة وأحد وخمسون ألف ألف ميل وخمسمائة وسبعة وثلاثون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا ولعل البعض يستبعد معرفة مقادير هذه الأجرام ويخطر له أن الذى على سطح الارض كيف يدرى ثخن الفلك الثامن وأجرام كواكبه فالأولى تركه الاستبعاد فإن الأمر الذى لا يعرفه هو لا يستحيل أن يعرفه غيره ومن مارس علم الهندسة لا يتعذر عليه براهين هذه الأمور

فإن لكل عمل رجالا فسبحان من أبدع هذه

والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وأما حلمه وجوده وشجاعته وحياؤه وحسن عشرته وشفقته ورأفته ورحمته وبره وعدله ووقاره وصبره وهيبته وثقته وبقية خصاله الحميدة التي لا تكاد تحصر فكثيرة جدا فقد صنف العلماء رضي الله تعالى عنهم في سيرته وأيامه ومبعثه وغزواته وأخلاقه ومعجزاته ومحاسنه وشمائله كتبا جمة ولو أردنا ذكر قدر يسير منها لجاء في مجلدات كثيرة ولسنا بصدد ذلك في هذا الكتاب قالوا وكانت وفاته ﷺ بعد أن أكمل الله تعالى لنا ديننا وأتم علينا نعمته في وسط يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة وله ﷺ ثلاث وستون سنة وتولى غسله علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ودفن ﷺ في حجرته التي بناها لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

## ﴿خلافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه﴾

ثم قام بالأمر بعده ﷺ خليفته على الصلاة أيام مرضه وابن عمه الأعلى ونسيبه وصهره ومؤنسه في الغار ووزيره وصديقه الأكبر وخير الخلق بعده أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بويع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ بسقيفة بني ساعدة ولذلك قصة تركناها لطولها واشتهارها فقام بالأمر أتم قيام وفتح في دولته اليسيرة اليمامة وأطراف العراق وبعض مدن الشام وكان رضي الله عنه كبير الشأن زاهدا خاشعا إماما حليما وقورا شجاعا صابرا رؤفا عديم النظير في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ولما مات النبي ﷺ ارتدت العرب ومنعت الزكاة فلما استخلف الصديق جمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وشاورهم في القتال فاختلفوا عليه وقال له عمر رضي الله تعالى عنه كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني دمه وماله إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال الصديق رضي الله عنه والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها قال عمر رضي الله عنه والله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق وفي رواية قال عمر رضي الله عنه فقلت تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام يا عمر أنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي ثم خرج لقتالهم وذكر جماعة من المؤرخين وغيرهم أن رسول الله ﷺ كان قد وجه أسامة بن زيد رضي الله عنهما في سبعمائة بطل إلى الشام فلما نزل بذي خشب قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب فاجتمعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا للصديق رضي الله عنه رد هؤلاء أي أسامة ومن معه فقال والله الذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج النبي ﷺ ما رددت جيشا جهزه رسول الله ﷺ ولا حللت عقد لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لو علمت أن السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته وأمر أسامة رضي الله عنه أن يمضي لوجهه وقال له إن رأيت أن تأذن لعمر رضي الله عنه بالمقام عندي أستأنس به وأستعين برأيه فقال له أسامة رضي الله عنه قد فعلت وسار أسامة رضي الله تعالى عنه فجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلا قال لو أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هذا الجيش من عندهم فلقوا الروم فقاتلوهم وهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت خرج أبي يوم الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فجاء علي رضي الله تعالى عنه حتى أخذ بزمام راحلته وقال أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك لا تفجعنا بنفسك

الأجسام الرفيعة وزينها بما شاء من المقدار وأعطى الإنسان آلة يدرك بها هذه الأمور الغامضة فقال تعالى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا.

﴿فصل﴾ في الكواكب الثابتة اعلم أن عددها مما يقصر ذهن الإنسان عن ضبطه لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفا ومائتين وعشرين كوكبا ثم وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وسبعة عشر كوكبا تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كوكبها وهي الصور التي أثبتها بطليموس في كتاب المجسطي بعضها في النصف الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التي هي طريقة السيارات وبعضها في النصف الجنوبي فسمي كل صورة باسم الشيء المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان وبعضها على صورة الحيوانات البرية كالحمل وبعضها على صورة الطير كالعقاب وبعضها خارجة عن شبه الحيوانات كالميزان والسنبلة ووجدوا من هذه الصور ما لم يكن تام الخلقة مثل قطعة الفرس ومنها ما بعضه.

فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبدا ومعنى شم اغمد وقال ابن قتيبة ارتدت العرب إلا القليل منهم فجاهدهم الصديق حتى استقاموا وفتح اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب بها والأسود العنسى الكذاب بصنعاء وبعث الجيوش إلى الشام والعراق وقال أبو رجاء العطاردى دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول أنا فداؤك والله لولا أنت لهلكنا فقلت من المقبل والمقبل فقالوا عمر يقبل رأس أبى بكر رضى الله تعالى عنهما من أجل قتال أهل الردة وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبى مالو نزل على الجبال الراسيات لهاضها وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والله الذى لا إله إلا هو لو لم يستخلف أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما عبد الله تعالى ثم قال الثانية ثم قال الثالثة قالوا وكان من اللين والتواضع على جانب عظيم ولما مرض ترك التطبب تسليما لأمر الله تعالى فعاده الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقالوا ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك فقال نظر إلى قالوا وما قال لك قال قال لى إنى فعال لما أريد * توفى رضى الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخر سنة ثلاث عشرة من الهجرة وله ثلاث وستون سنة وكان سبب موته كمداً لحقه على رسول الله ﷺ مازال يديبه والكمد الحزن المكتوم ودفن فى حجرة عائشة أم المؤمنين مع سيدنا رسول الله ﷺ وكانت خلافته رضى الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام .

﴿خلافة عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه﴾

ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بوصية من أبى بكر إليه رضى الله تعالى عنهما فقام بعده بمثل سيرته وجهاده وثباته وصبره على العيش الخشن وخبز الشعير والثوب الخام المرقع والقناعة باليسير وفتح الفتوحات الكبار والأقاليم الشاسعة وهو أول من سمى بأمير المؤمنين وهو من المهاجرين الأولين صلى إلى القبلتين وشهد بدرا وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله ﷺ ولما أسلم رضى الله تعالى عنه أعز الله به الإسلام وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض وبشره بالجنة ومناقبه رضى الله عنه كثيرة جدا وحسبك أنه كان وزير سيدنا محمد ﷺ وعاش حميدا وتوفى فقيراً سعيداً شهيداً فما يبغضه إلا زنديق أو حمار مفرط الجهل وهو أول من عس فى عمله رضى الله تعالى عنه أى كان يمشى ليلا لحفظ الدين والناس وهابه الناس هيبة عظيمة حتى تركوا الجلوس بالأفنية فلما بلغه رضى الله تعالى عنه هيبة الناس له جمعهم ثم قام على المنبر حيث كان أبو بكر رضى الله عنه يضع قدميه فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبى ﷺ ثم قال بلغنى أن الناس قد هابوا شدتى وخافوا غلظتى وقالوا قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر رضى الله تعالى عنه والينا دونه فكيف الآن وقد صارت الأمور إليه ولعمرى من قال ذلك فقد صدق كنت مع رسول الله ﷺ فكنت عبده وخادمه حتى قبضه الله عز وجل وهو عنى راض والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك ثم ولى أمر الناس أبو بكر رضى الله تعالى عنه فكنت خادمه وعونه أخلط شدتى بلينه فأكون سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فما زلت معه كذلك حتى قبضه الله تعالى وهو عنى راض والحمد لله وأنا أسعد الناس بذلك ثم إنى وليت أموركم اعلموا أن تلك الشدة قد تضاعفت ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدى على المسلمين وأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم

تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك منهما مثل ممسك الأعنة فإن صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذى على طرف القرن الشمالى من النور مشتركا بينهما فصار على قرن الثور وعلى رجل ممسك الأعنة وإنما ألغوا هذه الصورة وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه وقد ذكروا موقعه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده فى الشمال أو الجنوب عن الدائرة التى تمر بأوساط البروج لمعرفة أوقات الليل والطالع فى كل وقت ( وأما ) الكواكب الأخر وهى مائة وثمانية عشر كوكبا فإنها لم ينتظم منها شىء من الصور فأضافوا كل ما وجدوه منها قريبا من صورة إلى تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذى فوق رأس الحمل الذى تسميه العرب الناطح وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهى ثمان وأربعون صورة منها فى النصف الشمالى من الكرة إحدى وعشرون صورة ومنها على البروج اثنتا عشرة صورة ومنها فى النصف الجنوبى

من الكرة خمسة عشر صورة

فلنذكر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد كواكبها وأسمائها وألقابها على مذهب العرب ومذهب المنجمين ليستدل بأحدهما على الآخر ويعمل صورها المسماة باسمها المشبهة بها وبرسم كل كوكبة على موقعها من الصورة ليكون مشاكلا لما يرى فى السماء والتى هى خارجة عن الصورة ليستدل الإنسان بأخذ ارتفاعها على الأوقات وبها على قدرة الله تعالى صانعها جلت قدرته وتقدست أسماؤه له الحمد كثيرا .

﴿فصل﴾ فى الصور الشمالية وهى إحدى وعشرون صورة وعدد كواكبها من نفس الصورة ثلثمائة وأحد وثلاثون كوكبا والتى حوالى الصورة وليست من نفسها تسعة وعشرون كوكبا فجميع الكواكب التى فى هذا النصف من الكرة ثلثمائة وستون كوكبا وهذه أسماؤها

﴿كوكب الدب الأصغر﴾ هى أقرب كوكبة إلى القطب الشمالى وكواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة خمسة والعرب تسمى هذه السبعة بنات نعش الصغرى فالأربعة التى على المربع نعش والثلاثة التى على الذنب بنات وتسمى النيرين

من بعضهم لبعض واستأدع أحدا يظلم أحدا ويتعدى عليه حتى أضع خده على الأرض وأوضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق ولكم على أيها الناس أن لا أخبأ عنكم شيئا من خراجكم وإذا وقع عندى أن لا يخرج إلا بحقه ولكم على أن لا ألقيكم فى المهالك وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم قال سعيد بن المسيب وفى والله عمر وزاد فى الشدة فى مواضعها واللين فى مواضعه وكان رضى الله تعالى عنه أبا العيال حتى كان يمشى إلى المغيبات أى التى غاب عنهن أزواجهن ويقول لكن حاجة حتى أشترى لكن فإنى أكره أن تخدعن فى البيع والشراء فيرسلن بجواريهن معه فيدخل فى السوق ووراءه من جوارى النساء وغلمانهن ما لا يحصى فيشترى لهن حوائجهن ومن كان ليس عندها شىء اشترى لها من عنده رضى الله تعالى عنه وروى أن طلحة رضى الله عنه خرج فى ليلة مظلمة فرأى عمر رضى الله تعالى عنه قد دخل بيتا ثم خرج فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعدة فقال لها طلحة ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى تعنى القذر ولما رجع رضى الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز فى خبائها فقصدها فقالت يا هذا ما فعل عمر قال قد أقبل من الشام سالما فقالت لا جزاه الله عنى خيرا قال ولم قالت لأنه والله ما نالنى من عطائه منذ مولى أمر المؤمنين دينار ولا درهم فقال وما يدرى عمر بحالك وأنت فى هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت أن أحدا يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضى الله عنه وقال واعمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا أمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر فإنى أرحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال لست بهزاء فلم يزل بها حتى اشترى منها ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك إذ أقبل على بن أبى طالب وابن مسعود فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين فى وجهه فقال لها عمر رضى الله تعالى عنه لا بأس عليك رحمك الله ثم طلب رقعة يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعى عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر منه برىء وشهد على ذلك على بن أبى طالب وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما ثم دفع الكتاب إلى ولده وقال إذا أنا مت فاجعله فى كفنى ألق به ربى وأخباره رضى الله تعالى عنه فى مثل هذا كثيرة جدا وذكر الفضائلى أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه وهو بالقادسية بأن يوجه نضلة الأنصارى رضى الله عنه إلى حلوان العراق ليغير على ضواحيها فبعث سعد نضلة فى ثلثمائة فارس فساروا حتى أتوا حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبيا فأقبلوا بذلك حتى أرهقهم العصر وكادت الشمس تغرب فألجأ نضلة السبى والغنيمة إلى سفح جبل ثم قام فأذن فقال الله أكبر الله أكبر فأجابه مجيب من الجبل كبرت كبيرا يا نضلة فقال أشهد أن لا إله إلا الله فقال كلمة الإخلاص يا نضلة ثم قال أشهد أن محمدا رسول الله فقال هو الذى بشرنا به عيسى بن مريم عليه السلام وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال حى على الصلاة فقال طوبى من سعى إليها وواظب عليها ثم قال حى على الفلاح فقال قد أفلح من أجاب داعى الله ثم قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص كله يا نضلة حرم الله بها جسدك على النار فلما فرغ من أذانه قام فقال من أنت يرحمك الله أملك أنت أم من الجن أم طائف من عباد الله قد أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فإن الوفد وفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانفلق الجبل عن هامة كالرحا أبيض الرأس واللحية عليه طمران من صوف فقال السلام عليكم

عليكم ورحمة الله وبركاته فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا رزين ابن برثملا وصى العبد الصالح عيسى ابن مريم عليه السلام أسكننى فى هذا الجبل ودعالى بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء فاقرؤا عمر منى السلام وقولوا له يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال فى أمة محمد ﷺ فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا إلى غير مناسبهم وانتموا إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك الأمر بالمعروف فلم يؤمر به وترك النهى عن المنكر فلم ينه عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنيا وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وأظهروا الرشا وشيدوا البناء واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعت الأرحام ومنعت الأحكام وأكلوا الربا وحاز الغنى عزّا والفقير ذلا وخرج الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه وركبت الفروج السروج ثم غاب عنهم فلم يروه فكتب نضلة إلى سعد بذلك فكتب سعد بذلك إلى عمر رضى الله تعالى عنهم أجمعين فكتب إليه عمر رضى الله تعالى سر أنت بنفسك ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبل فإن لقيته فاقرئه منى السلام فخرج سعد رضى الله تعالى عنه فى أربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى نزلوا بذلك الجبل ومكث سعد رضى الله تعالى عنه أربعين يوما ينادى بالصلاة فلا يجد جوابا ولا يسمع خطابا فكتب بذلك إلى عمر رضى الله تعالى عنه * وعمر رضى الله تعالى عنه أول من أرخ التاريخ وذلك فى سنة ست عشرة وفيها كان فتح بيت المقدس صلحا وفيها نزل سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه الكوفة ومصرها وهو أول من دون الدواوين ومصر الأمصار وحقق كلمته فى إعلاء كلمة الله تعالى ففتح الله تعالى على يديه مواضع عديدة ففتح رضى الله تعالى عنه دمشق ثم الروم ثم القادسية ثم انتهى الفتح إلى حمص وحلوان والرقة والرها وحران ورأس العين وخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس وما يليها من الساحل وبيت المقدس وبيسان واليرموك والأهواز وقيسارية ومصر وتستر ونهاوند والرى وما يليها وأصبهان وبلاد فارس واصطخر وهمذان والنوبة والبرلس والبربر وغير ذلك وكانت درته أهيب من سيف الحجاج وها به ملوك فارس والروم وغيرهم ومع ذلك كله بقى على حاله كما كان قبل الولاية فى لباسه وزيه وأفعاله وتواضعه يسير منفردا فى حضره وسفره من غير حرس ولا حجاب لم تغيره الإمرة ولم يستطل على مسلم بلسانه ولا حابى أحدا فى الحق وكان لا يطمع الشريف فى حيفه ولا ييأس الضعيف من عدله ولا يخاف فى الله لومة لائم ونزل نفسه رضى الله تعالى عنه من مال الله تعالى منزلة رجل من المسلمين وجعل فرضه كفرض رجل من المهاجرين وكان يقول أنا فى مالكم كولى مال اليتيم إن استغنيت استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف أراد بذلك أنه يأكل ما تقوم به بنيته ولا يتعداه وقال مجاهد تذاكر الناس فى مجلس ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فأخذوا فى فضل أبى بكر ثم فضل عمر رضى الله تعالى عنهما فلما سمع ابن عباس ذكر عمر رضى الله تعالى عنه بكى بكاء شديد حتى أغمى عليه ثم قال رحم الله عمر قرأ القرآن وعمل بما فيه فأقام حدود الله كما أمر لا تأخذه فى الله لومة لائم لقد رأيت عمر رضى الله تعالى عنه وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه وستأتى الإشارة إلى ذلك فى باب الدال المهملة فى لفظ الديك وقتل رضى الله تعالى عنه فى سنة ثلاث وعشرين قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة واسمه فيروز وكان المغيرة رضى الله تعالى عنه يستغله كل يوم أربعة دراهم لأنه كان يصنع الأرحاء فلقى عمر يوما فقال له يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل على غلتى فكلمه ليخفف عنى فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب أبو لؤلؤة وقال يا عجباه قد وسع الناس عدله غيرى وأضمر على

وجميع الكواكب الداخلة فى الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة وتسمى الفأس لشبهها بفأس الرحا الذى يكون القطب فى وسطه وقطب معدل النهار عنده أقرب شىء إلى كوكب الجدى

﴿كوكبة الدب الأكبر﴾

كواكبه تسعة وعشرون كوكبا من الصورة وثمانية حوالى الصورة والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع المستطيل والثلاثة التى على ذنبه بنات نعش الكبرى فالأربعة التى على المربع المستطيل نعش والثلاثة التى على الذنب بنات وتسمى الذى على طرف الذنب القائد والذى على وسطه العناق والذى يلى النعش وهو الذى على ذنب الجوزاء وفوق العناق كوكب صغير ملاصق له تسميه العرب السها وهو الذى يمتحن الناس به أبصارهم زعموا أن من نظر إليه وقال أعوذ برب السهية من كل عقرب وحية أمن ليلته وتسمى الستة التى على الأقدام الثلاثة على قدم منها اثنان قفزات الظباء كل اثنين منهما قفزة والقفزة الأولى وهى التى على الرجل اليمنى تتبعها الصرفة وهى

الكوكب النير الذى على ذنب ضرب الأسد بذنبه الأرض ففزت الظباء والكواكب السبعة التى على عنقه وصدره وعلى الركبتين كأنها نصف دائرة تسمى سرير بنات نعش وتسمى الحوض أيضا والكواكب التى على الحاجب والعينين والأذن والخطم تسمى الظباء تقول العرب إن الظباء لما قفزت من الأسد وردت الحوض وأما الثمانية التى حول الصورة اثنان منها ما بين الهقعة والقائد وأحدهما أنور من الآخر تسميه العرب كبد الأسد والستة الباقية تحت القفزة الثالثة التى على اليد اليسرى ثلاثة منها أنور هى ظباء والبواقى خفية أولاد الظباء

﴿فصل﴾ فى خواص القطب الشمالى ظاهر حوله بنات نعش الصغرى وكواكب خفية إذا جمعتها صارت فى صورة سمكة والقطب فى وسط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب زعموا أن لهذا القطب فوائد (ومنها) أن النظر إليه وإلى الدب الأصغر يشفى من الرمد وجرب العين وذلك أن يقوم صاحب الجرب أو الرمد ليلة

قتله واصطنع له خنجرا له رأسان وسمه وتحين به عمر رضى الله تعالى عنه فجاء عمر إلى صلاة الغداة قال عمرو بن ميمون إنى لقائم فى الصلاة وما بينى وبين عمر إلا ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول قتلنى الكلب حين طعنه وطار العلج بسكين كانت ذات طرفين لا يمر على أحد يمينا وشمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات سبعة وقيل تسعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه فقال عمر رضى الله تعالى عنه قاتله الله لقد أمرت به معروفا ثم قال الحمد لله الذى لم يجعل منيتى بيد رجل يدعى الإسلام وكان أبو لؤلؤة مجوسيا ويقال كان نصرانيا توفى فى ذى الحجة لأربع عشرة ليلة مضت منه فى السنة المذكورة بعد طعنه بيوم وليلة عن ثلاث وستين سنة ودفن مع صاحبه فى الحجرة النبوية ولما توفى عمر رضى الله تعالى عنه أظلمت الأرض فجعل الصبى يقول يا أماه أقامت القيامة فتقول لا يا بنى ولكن قتل عمر رضى الله تعالى عنه وسيأتى طرف من هذا وذكر الشورى فى لفظ الديك أيضا قال ابن إسحق وكانت خلافته رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وقال غيره وثلاثة عشر يوما والله أعلم.

﴿خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه﴾

ثم قام بعده بالأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه اشتور أهل الحل والعقد بعد دفن عمر بثلاثة أيام واتفقوا على مبايعته وهو ابن عم المصطفى ﷺ الأعلى بويع له بالخلافة فى أول يوم من سنة أربع وعشرين قال أهل التاريخ إنه لم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عثمان ويكنى أبا عمرو وأبا عبد الله والأول أشهر وينسب إلى أمية بن عبد شمس فيقال الأموى يجتمع مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف ويدعى بذى النورين قيل لأنه تزوج بابنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم رضى الله تعالى عنهما ولم يعلم أحد تزوج بابنتى نبى غيره رضى الله تعالى عنه وقيل لأنه إذا دخل الجنة برقت له برقتين وقيل لأنه كان يختم القرآن فى الوتر والقرآن نور وقيام الليل نور وقيل غير ذلك وهو رضى الله تعالى عنه من السابقين الأولين وصلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين وهو أول من هاجر إلى الحبشة فارا بدينه ومعه زوجته رقية رضى الله تعالى عنهما وعد من البدريين ومن أهل بيعة الرضوان ولم يحضرهما وكان سبب غيبته عن بدر أن بنت رسول الله ﷺ كانت تحته وهى مريضة فأذن له رسول الله ﷺ فى الجلوس عندها ليمرضها وقال له لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأما غيبته عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز منه ببطن مكة لبعثه رسول الله ﷺ مكانه وأن رسول الله ﷺ قال بيده اليمنى هذه يد عثمان وتوفى رسول الله ﷺ وهو عنه راض وبشره بالجنة ودعا له بالخصوصية غير مرة فأثرى وكثر ماله وكانت له شفقة ورأفة فلما ولى زاد تواضعه وشفقته ورأفته برعيته وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويأكل الخل والزيت وجهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسا وقال قتادة حمل عثمان رضى الله تعالى عنه على ألف بعير وسبعين فرسا وقال الزهرى حمل على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا وعن حذيفة بن اليمان قال بعث رسول الله ﷺ إلى عثمان رضى الله تعالى عنه فى تجهيز جيش العسرة فبعث عثمان إليه بعشرة آلاف دينار فصبت بين يديه فجعل ﷺ يقلبها بيده ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة وفى رواية ما يضر عثمان ما فعل بعد اليوم واشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألفا وسبلها وله رضى الله تعالى عنه من الخيرات وأفعال البر ما يطول ذكره قال ابن قتيبة وافتتح فى أيامه الإسكندرية وسابور وإفريقية وقبرس وسواحل الروم واصطخر الأخرى وفارس

الأولى وخوزستان وفارس الأخرى وطبرستان وكرمان وسجستان والأساورة وأفريقية من حصون فارس وساحل الأردن ومرو ولما عمرت المدينة وصارت وافرة الأنام وقبة الإسلام وكثرت فيها الخيرات والأموال وجبى إليها الخراج من الممالك وبدرت الرعية من كثرة الأموال والخيل والنعم وفتحوا أقاليم الدنيا واطمأنوا وتفرغوا أخذوا ينقمون على خليفتهم عثمان رضى الله عنه لأنه كان له أموال عظيمة وكان له ألف مملوك ولكونه يعد المال لأقاربه ويوليهم الولايات الجليلة فتكلموا فيه إلى أن قالوا هذا لا يصلح للخلافة وهموا بعزله وثاروا لمحاصرته وجرت أمور يطول ذكرها فحاصروه فى داره أياما وكانوا أهل جفاء ورؤس شر فوثب عليه ثلاثة فذبحوه فى بيته والمصحف بين يديه وهو شيخ كبير وكان ذلك أول وهن وبلاء على هذه الأمة بعد نبيهم ﷺ فإنا لله وإنا إليه راجعون قتلوه قاتلهم الله يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة الحرام سنة خمس وثلاثين ومناقبه رضى الله عنه كثيرة جدا شهد له رسول الله ﷺ بالجنة وقال ألا أستحيي مما تستحي منه الملائكة وأخبر ﷺ بأنه شهيد وأنه يبتلى وتفرقت الكلمة بعد قتله رضى الله تعالى عنه وماج الناس واقتتلوا للأخذ بثأره حتى قتل من المسلمين تسعون ألفا وقال ابن خلكان وغيره لما بويع عثمان رضى الله عنه نفى أبا ذر الغفارى رضى الله عنه إلى الربذة لأنه كان يزهد الناس فى الدنيا وردّ الحكم بن أبى العاص وكان قد نفاه رسول الله ﷺ إلى الربذة ولم يرده أبو بكر ولا عمر فرده عثمان رضى الله تعالى عنهم قيل إنما رده بإذن من النبى ﷺ قاله غير واحد وولى مصر عبد الله بن أبى سرح وأعطى أقاربه الأموال فكان ذلك مما نقم عليه الناس فلما كانت سنة خمس وثلاثين قدم المدينة مالك بن الأشتر النخعى فى مائتى رجل من أهل الكوفة ومائة وخمسين من أهل البصرة وستمائة من أهل مصر كلهم مجمعون على خلع عثمان رضى الله تعالى عنه من الخلافة فلما اجتمعوا فى المدينة سير إليهم عثمان رضى الله تعالى عنه المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فردوهما أقبح رد ولم يسمعوا كلامهما فبعث إليهم عليا رضى الله عنه فردهم إلى ذلك وضمن لهم ما يعدهم به عثمان رضى الله تعالى عنه وكتبوا على عثمان كتابا بإزاحة عللهم والسير فيهم بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وأخذوا عليه عهدا بذلك وأشهدوا على على رضى الله تعالى عنه أنه ضمن ذلك واقترح المصريون على عثمان رضى الله تعالى عنه عزل عبد الله بن أبى سرح وتولية محمد ابن أبى بكر فأجابهم إلى ذلك وولاه وافترق الجمع كل إلى بلده فلما وصل المصريون إلى إيلة وجدوا رجلا على نجيب لعثمان رضى الله تعالى عنه ومعه كتاب مختوم بخاتم عثمان مصطنع على لسانه وعنوانه من عثمان إلى عبد الله بن أبى سرح وفيه إذا قدم محمد بن أبى بكر ومعه فلان وفلان فاقطع أيديهم وأرجلهم وارفعهم على جذوع النخل فرجع المصريون ورجع البصريون والكوفيون لما بلغهم ذلك وأخبروه الخبر فحلف عثمان رضى الله تعالى عنه أنه ما فعل ولا أمر به فقالوا هذا أشد عليك يؤخذ خاتمك ونجيب من إبلك وأنت لا تعلم ما أنت إلا مغلوب على أمرك ثم سألوه أن يعتزل فأبى فأجمعوا على حصاره فحاصروه فى داره وكان من أكبر المؤلبين عليه محمد بن أبى بكر وكان الحصار فى سلخ شوال واشتد الحصار ومنع من أن يصل إليه الماء قال أبو أسامة الباهلى رضى الله تعالى عنه كنا مع عثمان وهو محصور فى الدار فقال وبم يقتلونى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلام أو زنى بعد إحصان أو قتل نفسا بغير حق فيقتل بها فوالله ما أحببت بدينى بدلا منذ هدانى الله تعالى ولا زنيت فى جاهلية ولا إسلام ولا قتلت

من غيبوبة الشمس حيال القطب الشمالى والدب الأصغر فينظر إليه ثم يأخذ ميلا من فضة يغمسه فى الماورد الخالص ويكحل به العين وإن كان المريض إحداهما فعل ذلك من ليلة الأحد فى كل ليلة وكلما كان أكثر كان أجود فإن الرمد والجرب يذهبان بإذن الله تعالى إلا أن الرمد أسرع (ومنها) ما زعموا أن الأسد والببر والنمر والدب إذا قامت حيال هذا القطب وأطالت النظر إليه شفيت (ومنها) أن اللبوة إذا حملت فإنه ينالها عناء فربما بقيت تلك الليلة لا تأكل شيئا ثم تأتى إلى نهر فيه ماء حار أو عين ينبع منها ماء فتقوم فى الماء إلى نصف ساقها وتنظر إلى القطب الشمالى فإنها تبرأ من الوصب

﴿كوكبة التنين﴾

التنين كواكبه أحد وثلاثون كوكبا فى الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة والعرب تسمى الكوكب الذى على اللسان الرابض والأربعة التى على الرأس العوائذ وفى وسط العوائذ كوكب صغير جدا تسميه العرب

الربع وهو ولد الناقة وتسمى النيرين اللذين على مؤخرة الذنبين

والاثنين اللذين هما فى غاية الخفاء قبل الذائبين أظفار الذئب قد وقعت العوائد بين الذئبين وبين النسر الواقع منعطفين على الربع فشبهت العرب النيرين بذئبين قد طمعا فى استلاب الربع وشبهت العوائد بأربع أينق قد عطفن على الربع وفى أصل الذئب كوكب يسمى الذيخ وهو ذكر الضباع

﴿ كوكبة قيقاوس ﴾

كواكبه أحد عشر كوكبا فى الصورة وعشرة خارج الصورة وهى من كوكبة ذات الكرسى وبين كواكب الجدى وهو النير الذى على ذنب الدجاجة الذى يسمى الردف والعرب تسمى الكوكب الذى على صدره النثرة والذى على منكبه الأيمن الفرقد والدائرة التى تحصل من كواكب ذراعه وما هو خارج وهو من كوكب الدجاجة من جناحها الأيمن تسمى القدر والذى على الرجل اليسرى يسمى الراعى وبين رجليه كوكب يسمى كلب الراعى وبين رجليه وبين الجدى كواكب صغار تسميها العرب الأغنام

﴿ كوكبة العواء ﴾

كواكبها اثنان وعشرون كوكبا فى الصورة وواحد خارجها وهو صورة رجل بيده اليمنى عصا فيما بين

نفسا بغير حق فبم يقتلونى رواه الإمام أحمد وعن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه أنه قال لما اشتد الحصار بعثمان رضى الله تعالى عنه يوم الدار رأيت عليا رضى الله تعالى عنه خارجا من منزله معتما بعمامة رسول الله ﷺ متقلدا بسيفه وأمامه ابنه الحسن وعبد الله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار رضى الله تعالى عنهم فحملوا على الناس وفرقوهم ثم دخلوا على عثمان رضى الله تعالى عنه فقال له على رضى الله تعالى عنه السلام عليك يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ لم يلحق هذا الأمر حتى ضرب بالمقبل المدبر وإنى والله لا أرى القوم إلا قاتليك فمرنا فلنقاتل فقال عثمان أنشد لله رجلا رأى الله عز وجل عليه حقا وأقر أن لى عليه حقا أن يهريق بسببى ملء محجمة من دم أو يهريق دمه فى فأعاد علىّ عليه القول فأجابه بمثل ما أجابه قال فرأيت عليا رضى الله تعالى عنه خارجا من الباب وهو يقول اللهم إنك تعلم أنا قد بذلنا المجهود ثم دخل المسجد فاقتحموا على عثمان رضى الله تعالى عنه الدار والمصحف بين يديه فأخذ محمد بن أبى بكر بلحيته فقال له عثمان رضى الله تعالى عنه أرسل لحيتى يا ابن أخى فوالله لو رأى أبوك مقامك هذا لساءه فأرسل لحيته وولى فضربه بتار بن عياض وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وجلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن صابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه وروى الإمام أحمد عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال ذكر رسول الله ﷺ فتنة وعظمها وقربها ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال هذا يومئذ على الحق فإذا هو عثمان رضى الله تعالى عنه وروى الترمذى معناه فقال هذا يومئذ على الهدى وقال إنه حديث حسن صحيح وكان لأمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه شيئان ليسا لأبى بكر ولا لعمر رضى الله تعالى عنهما صبره على نفسه حتى قتل مظلوما وجمعه الناس على المصحف قاله ابن مهدى وغيره وقال المدائنى قتل رضى الله عنه يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وقال المهدوى قتل فى وسط أيام التشريق وأقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه وقيل صلى عليه رضى الله تعالى عنه جبير بن مطعم ودفن رضى الله تعالى عنه ليلا واختلف فى مدة الحصار فقيل أكثر من عشرين يوما وقيل تسعة وأربعون يوما قاله الواقدى وقال الزبير بن بكار وغيره ثمانون يوما وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه اثنتى عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما وقتل رضى الله تعالى عنه وهو ابن ثمانين سنة قاله ابن إسحق وقال غيره كانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما وقتل رضى الله تعالى عنه وعمره ثمان وثمانون سنة وقيل كانت خلافته اثنتى عشرة سنة وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة وقيل ابن ثلاث وثمانين سنة وقيل تسعين وقيل غير ذلك والله أعلم.

﴿ خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ﴾

ثم قام بعده بالأمر أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه بويع له بالخلافة يوم قتل عثمان رضى الله عنه كما سيأتى إن شاء الله تعالى وهو رضى الله تعالى عنه يجتمع مع رسول الله ﷺ فى عبد المطلب الجد الأدنى وينسب إلى هاشم فيقال القرشىّ الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ لأبويه ولم يزل اسمه فى الجاهلية والإسلام عليا ويكنى أبا الحسن وأبا تراب كناه به رسول الله ﷺ وكان أحب الناس إليه أسلم رضى الله تعالى عنه وهو ابن سبع وقيل ابن تسع وقيل ابن عشر وقيل خمس عشرة وقيل غير ذلك وشهد رضى الله تعالى عنه المشاهد كلها إلا تبوك فإنه ﷺ خلفه فى أهله وكان رضى

الله تعالى عنه غزير العلم ولما هاجر رسول الله ﷺ أقام بعده ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع ثم لحق به ويقال إنه رضى الله تعالى عنه أول من أسلم وأول من صلى وزوجه ﷺ ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها وبعث معها خميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين وشهد له بالجنة ﷺ ومناقبه رضى الله تعالى عنه كثيرة جدا ويكفى منها قوله ﷺ أنا مدينة العلم وعلى بابها ﴿فائدة لطيفة﴾ قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه سادات الأنبياء خمسة نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد ﷺ أجمعين (ذكر أسماء من ولد من الأنبياء مختونا) عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه أنه قال هم ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ عليه وعليهم أجمعين وقال محمد بن حبيب الهاشمى هم أربعة عشر آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكرياء وعيسى وحنظلة بن صفوان نبى أصحاب الرس ومحمد ﷺ عليه وعليهم أجمعين (ذكر أسماء من كان يكتب لرسول الله ﷺ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبى بن كعب وهو أول من كتب له وزيد بن ثابت الأنصارى ومعاوية بن أبى سفيان وحنظلة بن الربيع الأسدى وخالد بن سعيد بن العاص وكان المداوم له على الكتابة زيداً ومعاوية (ذكر من جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله ﷺ) أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصارى وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصارى (ذكر من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ) على والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد وعاصم بن أبى الأفلح (ذكر من كان يحرسه ﷺ) سعد بن أبى وقاص وسعد ابن معاذ وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصارى ومحمد بن مسلمة الأنصارى فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس ترك الحراسة (ذكر من كان يفتى على عهد رسول الله ﷺ من أصحابه) أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى (ذكر من انتهت إليهم الفتوى من التابعين بالمدينة) سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحرث وقاسم وعبيد الله وعروة وسليمان وخارجة (ذكر من تكلم فى المهد) وهم أربعة صاحب جريج ببراءته من الزنا وشاهد يوسف ببراءته من زليخا وابن الماشطة التى لبنت فرعون حذرها من الكفر وعيسى بن مريم ببراءة أمه عليهما السلام وتكلم بعد الموت أربعة يحيى بن زكرياء حين ذبح وحبيب النجار حيث قال يا ليت قومى يعلمون وجعفر الطيار حيث قال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أخ والحسين بن على رضى الله تعالى عنهما حيث قال وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون (ذكر من حملته أمه أكثر من مدة الحمل) سفيان بن حيان ولد لأربع سنين خلون فى بطن أمه ومحمد بن عبد الله بن حسن الضحاك بن مزاحم ولد وهو ابن ستة عشر شهراً خلون فى بطن أمه ويحيى بن على بن جابر البغوى كذلك وسلمان الضحاك ولد بن سنتين خلتا فى بطن أمه (ذكر النمارذة) وهم ستة فالأول نمرود بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو أحد ملوك الأرض الذين ملكوا الدنيا بأجمعها وقد كان فى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام الثانى نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو صاحب النسور وقصته مشهورة الثالث نمرود بن ماش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام الرابع نمرود بن سنجار بن نمرود ابن كوش بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام الخامس نمرود بن ساروع بن أرغو بن مالخ السادس نمرود بن كنعان بن المصاص بن نقطا (ذكر الفراعنة) وهم ثلاثة فأولهم سنان

نعش الكبرى وتسمى العرب الكواكب الذى على الرأس والذى على المنكبين وعصا الضباع والذى على يده اليسرى وعلى الساعد من هذه البلد وما حول اليد من الكواكب الخفية أولاد الضباع والخارج عن الصورة كوكب أحمر نير بين فخذيه يسمى السماك الرامح والسماك يسمى مفرداً حارس السماء وحارس الشمال لأنه يرى أبداً فى السماء لا يغيب تحت شعاع الشمس والكواكب الذى على الساق اليسرى تسمى الرامح (كوكبة الفكة) كواكبها ثمانية يقال لها بالفارسية كاسة دورشان وهى على استدارة خلف عصا الضباع وفى استدارتها ثلمة ولأجل ثلمتها يقال لها قصعة المساكين ومن كواكبها كوكب يقال له النير من الفكة (كوكبة الجاثى) ويقال لها الراقص هى صورة رجل قد مد يده وجثا على ركبتيه إحدى رجليه على طرف عصا العواء هى اليمنى والأخرى عند الأربعة التى على رأس التنين التى تسمى العوائذ وكواكبه ثمانية وعشرون كوكباً فى الصورة خلاف الكواكب المشترك بينه وبين العواء وواحد خارج الصورة

الأشعل بن علوان بن العميد بن عمليق وهو فرعون إبراهيم عليه السلام الثانى الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام الثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عليه السلام (ذكر أصحاب المذاهب المتبعة ووفاتهم من كتاب علوم الحديث للنووى رحمه الله) سفيان الثورى مات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ومولده سنة سبع وعشرين مالك بن أنس مات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة وولد سنة تسعين وأبو حنيفة النعمان بن ثابت مات ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة وأبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى مات بمصر آخر رجب سنة أربع ومائتين وولد سنة خمسين ومائة وأبو عبد الله أحمد بن حنبل مات ببغداد فى شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائة رضى الله تعالى عنهم أجمعين (ذكر أصحاب الأحاديث المعتمدة) أبو عبد الله البخارى ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ومات ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ومسلم مات بنيسابور لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين وأبو داود مات بالبصرة فى شوال سنة خمس وسبعين ومائتين وأبو عيسى الترمذى مات بترمذ لثلاث عشرة مضت من رجب سنة تسع وستين ومائتين وأبو عبد الرحمن النسائى مات سنة ثلاث وثلثمائة وأبو الحسن الدارقطنى مات ببغداد فى ذى القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وولد فى سنة ست وثلثمائة رحمة الله عليهم أجمعين .

﴿قال أهل التاريخ﴾ ولما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه أتى الناس عليا وضربوا عليه الباب ودخلوا فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا للناس من إمام ولا نعلم أحد أحق بها منك فردهم عن ذلك فأبوا فقال إن أبيتم إلا بيعتى فإن بيعتى لا تكون سرا فأتوا المسجد فحضر طلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص والأعيان وأول من بايعه طلحة ثم بايعه الناس واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار وتخلف عن بيعته نفر فلم يكرههم وقال قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل وتخلف عن بيعته أيضا معاوية ومن معه بالشام إلى أن كان منهم ما كان فى صفين ثم خرج عليه الخوارج فكفروه وكل من معه وأجمعوا على قتاله - قاتلهم الله - وشقوا العصا يعنى عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل فخرج إليهم بمن معه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصل جمهورهم ولم ينج منهم إلا القليل وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قد قال حين طعن إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق المستقيم يعنى عليا وكان كما قال سلك بهم والله الطريق المستقيم وكان له رضى الله عنه شفقه على رعيته متواضعا ورعا ذا قوة فى الدين وكان قوته رضى الله تعالى عنه من دقيق الشعير يأخذ منه قبضة فيضعها فى القدح ثم يصب عليها ماء فيشربه وكان قد تفرق عليه الخوارج واعتقد بعض الناس فيه الإلهية فأحرقهم بالنار وسأل رجل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أكان على رضى الله تعالى عنه يباشر القتال بنفسه يوم صفين فقال والله ما رأيت رجلا أطرح لنفسه فى متلفة مثل على رضى الله تعالى عنه ولقد كنت أراه يخرج حاسرا عن رأسه بيده السيف إلى الرجل الدارع فيقتله قال فى درة الغواص ومما يؤثر من شجاعة على رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط فالقد قطع الشىء طولا والقط قطعه عرضا وقد تقدم ذكر قتله رضى الله تعالى عنه ومن قتله وكان طعن ابن ملجم له فى ليلة الجمعة السابعة عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة وثب عليه فضربه بخنجر على دماغه فمات بعد يومين وأخذوا ابن ملجم فعذبوه إربا بعد موت على وكان أفضل من بقى من الصحابة رضى الله تعالى عنه ومناقبه كثيرة جدا جمعها الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى مجلد وذكر

(كوكبة السلياق) كواكبه بنسر قد ضم جناحه إلى نفسه كأنه واقع على شىء والعامة تسميه الأثافى وقدام النير كوكب خفى تسمية العرب الأظفار

(كوكبة الدجاجة) كواكبها سبعة عشر كوكبا فى الصورة واثنان خارج الصورة والعرب تسمى الأربعة المصطفة الفوارس وقد قطعت المجرة عرضا والنير الذى على الذنب الردف لأنه يتلو الأربعة وجعله بعضهم الذى على الصدر فى الوسط واثنان عن يمينه واثنان عن يساره والردف خلفه

(كوكبة ذات الكرسى) هى صورة امرأة قاعدة على كرسى له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجليها وهى فى نفس المجرة فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشر كوكبا والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف المخضب وهى كف الثريا اليمنى المبسوطة فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة

(كوكبة سياوس) وهو حامل رأس الغول وهو صورة رجله قائم على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى

غير واحد أنه رضى الله تعالى عنه لما ضربه ابن ملجم قاتله الله أوصى الحسن والحسين وصية طويلة وفى آخرها يا بنى عبد المطلب لا تخوضوا دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن بى غير قاتلى اضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا به فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول إياكم والمثلة ولو بالكلب رضى الله تعالى عنه قتل الحسن رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن ملجم فقطع يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى فى النار كل ذلك ولم يتأوه ولم يجزع فلما أراد قطع لسانه تأوه وجزع فسئل عن ذلك فقال والله ما أتأوه فزعا ولا جزعا من الموت وإنما أتأوه لأن تمر على ساعة من ساعات الدنيا لا أذكر الله تعالى فيها فقطعوا لسانه فمات بعد ذلك وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال لعلى رضى الله تعالى عنه يا على أتدرى من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح ثم قال أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال الذى يضربك على هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته وكان على رضى الله تعالى عنه يقول والله لوددت لو انبعث أشقاها فضربه ابن ملجم الخارجى قاتله الله كما تقدم وكانت وفاته رضى الله تعالى عنه فى سنة سبع وقيل ثمان وخمسين وقيل ثلاث وقيل ثمان وستين وقال ابن جرير الطبرى مات على رضى الله تعالى عنه وعمره خمس وستون سنة وقال غيره ثلاث وستون سنة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ويوما واحدا وكانت مدة إقامته رضى الله تعالى عنه بالمدينة أربعة أشهر ثم سار إلى العراق وقتل بالكوفة كما تقدم وللناس خلاف فى مدة عمره وفى قدر خلافته رضى الله تعالى عنه والله أعلم

﴿خلافة أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله تعالى عنه﴾

وهو السادس فخلع كما سيأتى قالوا ثم قام بالأمر بعده أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكنيته أبو محمد ولقبه الزكى وأمه فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهما بويع له بالخلافة بعد وفاة والده ثم سار إلى المدائن واستقر بها فبينما هو بالمدائن إذ نادى مناد أن قيسا قد قتل فانفروا وكان الحسن رضى الله تعالى عنه قد جعله على مقدمة الجيش وهو قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهما فلما خرج الحسن رضى الله تعالى عنه عدا عليه الجراح الأسدى قاتله الله وهو يسير معه فوجأه بالخنجر فى فخذه ليقتله فقال الحسن رضى الله تعالى عنه قتلتم أبى بالأمس ووثبتم على اليوم تريدون قتلى زهدا فى العادلين ورغبة فى القاسطين والله لتعلمن نبأه بعد حين ثم كتب إلى معاوية رضى الله تعالى عنهما بتسليم الأمر إليه واشترط عليه شروطا فأجابه معاوية رضى الله تعالى عنه إلى ما التمسه منه وصير له ما اشترط عليه فسلم الأمر إلى معاوية وبايع له لخمس بقين من شهر ربيع الأول وذلك لأنه رأى المصلحة فى جمع الكلمة وترك القتال وظهرت المعجزة فى قوله ﷺ إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله به وفى رواية ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ويقال إنه أخذ منه - يعنى من معاوية - ألف ألف درهم وقالت فرقة إنه صالحه بأذرح فى جمادى الأولى وأخذ منه مائة ألف دينار ويقال أربعمائة ألف درهم ويقال إنه شرط عليه أن يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته وأن يكون ولى العهد من بعده ففرح معاوية بذلك وأجاب فخلع الحسن رضى الله تعالى عنه نفسه وسلم الأمر إلى معاوية وصالحه ودخل هو وإياه الكوفة فسمى عام الجماعة لاجتماع الأمة بعد الفرقة على خليفة واحد قال الشعبى شهدت خطبة الحسن رضى الله تعالى عنه حين صالح معاوية وخلع نفسه من الخلافة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) فإن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وأن هذا الأمر الذى اختلفت أنا ومعاوية فيه إن كان له فهو أحق



وثلاثة خارجة الصورة (كوكبة ممسك الأعنة) هى صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين الثريا وبين كوكبة الدب الأكبر وكواكبه أربعة عشر كوكبا وفى وسط الصورة كوكب تسميها العرب الخباء والنير الذى على المنكب الأيسر تسميه العرب العيوق والذى على المرفق الأيسر الغفر والاثنين للذين على المعصم الأيسر الجديين ويسمى العيوق معها العناق ويسمى أيضا رقيب الثريا ويسمى الذى على المنكب الأيمن والاثنان اللذان على الكعبين توابع العيوق (كوكبة الحور والحية) أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حية وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة وخمسة خارجها وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقا شاميا والمصطفة تحت عنقه نسقا يمانيا ويسمى ما بين النسقين الروضة والكوكب التى بين النسقين فى الروضة الأغنام والذى على رأس الحور يسمى

منى به وإن كان لى فقد تركته له إرادة لإصلاح الأمة وحقن دماء المسلمين وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ثم رجع إلى المدينة وأقام بها فعوتب على ذلك فقال رضى الله تعالى عنه اخترت ثلاثا على ثلاث الجماعة على الفرقة وحقن الدماء على سفكها والعار على النار وفى الحديث الصحيح عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ويروى عن الحسن رضى الله تعالى عنه أنه قال إنى لأستحيى من ربى عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين مرة على رجليه من المدينة إلى مكة وأن النجائب لتقاد معه وخرج رضى الله عنه من ماله مرتين وقاسم الله عز وجل ماله ثلاث مرات حتى أنه يعطى نعلا ويمسك أخرى قال ابن خلكان لما مرض الحسن رضى الله تعالى عنه كتب مروان بن الحكم إلى معاوية بذلك فكتب إليه معاوية أن أقبل المطى إلى بخبر الحسن فلما بلغ معاوية موته سمع تكبيره من الخضراء فكبر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاخته بنت قريظة لمعاوية أقر الله عينك ما الذى كبرت لأجله فقال مات الحسن فقالت أعلى موت ابن فاطمة تكبر فقال والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبى ودخل عليه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال له يا ابن عباس هل تدرى ما حدث فى أهل بيتك فقال لا أدرى ما حدث إلا أن أراك مستبشرا وقد بلغنى تكبيرك فقال مات الحسن فقال ابن عباس يرحم الله أبا محمد ثلاثا والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد عمره فى عمرك ولئن كنا قد أصبنا بالحسن فلقد أصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين فجبر الله تلك الصدعة وسكن تلك العبرة وكان الله الخلف علينا من بعده وكان الحسن رضى الله تعالى عنه قد سم سمته امرأته مقدمة بنت الأشعث فمكث شهرين يرفع من تحته فى اليوم كذا وكذا مرة طست من دم وكان رضى الله تعالى عنه يقول سقيت السم مرارا ما أصابنى فيها ما أصابنى فى هذه المرة وكان قد أوصى لأخيه الحسين رضى الله تعالى عنهما وقال إذا أنا مت فادفنى مع جدى رسول الله ﷺ إن وجدت إلى ذلك سبيلا وإن منعوك فادفنى ببقيع الغرقد فلما مات رضى الله تعالى عنه لبس الحسين وموالية السلاح وخرجوا ليدفنوه مع جده فخرج مروان بن الحكم فى موالى بنى أمية وهو يومئذ عامل على المدينة فمنع الحسين رضى الله عنه من ذلك وكانت وفاته فى شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن مع أمه فاطمة رضى الله تعالى عنهما وقيل دفن بالبقيع فى قبر فى قبة العباس ودفن فى هذا القبر أيضا على زين العابدين وابنه محمد الباقر وابن ابنه جعفر بن محمد الصادق فهم أربعة فى قبر واحد فأكرم به قبرا وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام وقيل ستة أشهر إلا يوما وهى تكملة ما ذكره رسول الله ﷺ من مدة الخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون جبروتا وفسادا فى الأرض وكان كما قال رسول الله ﷺ ومات الحسن رضى الله تعالى عنه وعمره سبع وأربعون سنة

﴿ خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه ﴾

قالوا ولما خلع الحسن رضى الله تعالى عنه نفسه من الخلافة تم الأمر لمعاوية رضى الله تعالى عنه واستقام له الملك وصفت له الخلافة وكان قد بويع له بالخلافة يوم التحكيم بايعه أهل الشام واختلف عليه أهل العراق إلى أن صالحه الحسن رضى الله تعالى عنه فأجمع الناس على بيعته ومولده رضى الله تعالى عنه بالخيف من منى أسلم قبل أبيه أبى سفيان وصحب رسول الله ﷺ وكتب له وكان فى عسكر أخيه يزيد بن أبى سفيان وكان عاملا لعمر رضى الله تعالى عنه استعمله على إمرة دمشق فلما احتضر استخلف أخاه عليها فأقره عمر رضى الله تعالى عنه على ذلك فى ستة وعشرين فلم يزل متوليا على الشام

الراعى والذى على رأس الجانى كلب الراعى (كوكبة السهم) هى خمس كواكب بين منقار الدجاجة وبين النسر الطائر فى نفس المجرة العظيمة نصله إلى ناحية المشرق والفوق إلى ناحية المغرب وطول السهم فى رأى العين إذا كان فى كبد السماء نحو ذراعين (كوكبة العقاب) كواكبه تسعة فى الصورة وستة خارجها وفى الصورة ثلاثة مشهورة تسمى النسر الطائر وبإزائه النسر الواقع والعامة تسمى الثلاثة المشهورة من خارج الصورة الميزان لاستواء كواكبه والاثنين اللذين فوقها الظليمين (كوكبة الدلفين) كواكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر والنير الذى على ذنبه يسمى ذنب الدلفين والعرب تسمى الأربعة التى فى وسط العنق الصليب والذى على الذنب عمود الصليب (كوكبة قطعة الفرس) كواكبها أربعة تتبع الدلفين اثنان منها متضايقان بينهما شبرا واثنان بينهما ذراع والأول فى موضع الفم والآخرون على الرأس (كوكبة الفرس الأعظم) كواكبه عشرون وهى على صورة فرس له رأس ويدان وبدن إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان والأول من كواكبه على

عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وخلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وفى خلافة على رضى الله تعالى عنه متغلبا عليها إلى أن سلم إليه الحسن رضى الله تعالى عنه الخلافة فاجتمع له الأمر وبعث نوابه إلى البلاد وذلك فى سنة إحدى وأربعين فسمى عام الجماعة لأن الأمة اجتمعت فيه بعد الفرقة على إمام واحد وكانت امرأة استشارت النبى ﷺ فى أن تتزوج به فقال إنه صعلوك لا مال له ثم بعد هذا القول بإحدى عشرة سنة صار نائب دمشق ثم بعد الأربعين صار ملك الدنيا وكان مليح الشكل عظيم الهيبة وافر الحشمة يلبس الثياب الفاخرة والعدة الكاملة ويركب الخيل المسومة وكان كثير البذل والعطاء محسنا إلى رعيته كبير الشأن يجتمع مع رسول الله ﷺ فى عبد مناف بن قصى وينسب إلى أمية بن عبد شمس فيقال الأموى وخرج عليه مرة بن نوفل الأشجعى الحرورى وورد الكوفة وهو أول الخوارج فكتب معاوية إلى أهل الكوفة ألا لا ذمة لكم عندى حتى تكفونى أمره فقاتلوه وقتلوه وهو أول من اتخذ المقاصير وأقام الحرس والحجاب وأول من مشى بين يديه صاحب الشرطة بالحربة وأول من تنعم فى مأكله ومشربه وملبسه وكان رضى الله عنه حليما وله فى الحلم أخبار كثيرة ولما حضرته الوفاة جمع أهله فقال ألستم أهلى قالوا بلى فداك الله بنا فقال وعليكم حزنى ولكم كدى وكسبى قالوا بلى فداك الله بنا قال فهذه نفسى قد خرجت من قدمى فردوها على إن استطعتم فبكوا وقالوا والله مالنا إلى هذا من سبيل فرفع صوته بالبكاء ثم قال فمن تعرّه الدنيا بعدى وذكر غير واحد أنه لما ثقل فى الضعف ونحدث الناس أنه الموت قال لأهله احشوا عينى أثمدا وسبغوا رأسى دهنا ففعلوا وبرقوا وجهه بالدهن ثم مهدوا له مجلسا وأسندوه وأذنوا للناس فدخلوا وسلموا عليه قياما فلما خرجوا من عنده أنشد قائلا :

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لريب الدهر لا أتضعضع

فسمعه رجل من العلويين فأجابه :

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

ثم إنه أوصى أن تدق قلامة أظفار رسول الله ﷺ وتجعل فى منافذ وجهه وأن يكفن بثوب سيدنا رسول الله ﷺ وتوفى بدمشق فى نصف رجب وقيل فى مستهل رجب سنة ستين وصلى عليه الضحاك الفهرى لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس واختلف فى عمره فقيل ثمانون وقيل خمس وسبعون سنة وقيل خمس وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل تسعون وكانت خلافته منذ خلص له الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أميرا وخليفة أربعين سنة منها أربع سنين فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه والله أعلم .

## ﴿ خلافة يزيد بن معاوية ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه يزيد بويع له بالخلافة يوم مات أبوه وذلك أن أباه كان قد جعله ولى العهد من بعده وكان بحمص فقدم منها وبادر إلى قبر أبيه ثم دخل دمشق إلى الخضراء وكانت دار السلطنة فخطب الناس بها وبايعوه بالخلافة وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه ولم يبايعه الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ولا عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه واختفيا من عامله الوليد بن عقبة بن أبى سفيان وأقاما مصرين على الامتناع إلى أن قتل الحسين رضى الله تعالى عنه بكربلاء وكان الذى باشر قتله الشمر بن ذى الجوشن وقيل سنان بن أنس النخعى وقيل إن الشمر ضربه على وجهه وأدركه سنان فطعنه فألقاه عن فرسه ونزل خولى بن يزيد الأصبحى ليحز رأسه فارتعدت يداه فنزل أخوه شبل ابن يزيد فاحتز رأسه ودفعه إلى أخيه خولى وكان أمير الجيش عبيد الله بن زياد ابن أبيه من

متن الفرس وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس وآخر عند منشأ العنق يسمى عنق الفرس وآخر على جحفلته خلف الأربعة التى على قطعة الفرس يسمى فم الفرس والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع أحدها عند منتهى العنق متن الفرس ومنكب الفرس وجناح الفرس والكوكب المشترك الدلو وتسمى الاثنين المتقدمين عليها العرقوة والاثنين اللذين فى البدن النعائم والكرب أيضا شبهتها العرب بمجموع العرقوتين فى الوسط فى رأس الدلو حيث يشد فيه الحبل وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب وتسمى الاثنين اللذين على الرأس سعد البهائم والاثنين اللذين على العنق سعد الهمام والاثنين المتقاربين اللذين فى الصدر سعد البارع والاثنين اللذين على الركبة اليمنى سعد المطر (كوكبة المرأة المسلسلة) كواكبها ثلاثة وعشرون من الصورة سوى النير الذى على الرأس فإنه على سرة الفرس وسميت هذه المرأة مسلسلة لامتداد إحدى يديها وهى اليمنى نحو الشمال

قبل يزيد بن معاوية قالوا ثم إن عبيد الله بن زياد جهز على بن الحسين ومن كان مع الحسين من حرمه بعد أن اعتمدوا ما اعتمدوه من سبي الحريم وقتل الذرارى مما تقشعر من ذكره الأبدان وترتعد منه الفرائص إلى البغيض يزيد بن معاوية وهو يومئذ بدمشق مع الشمر بن ذى الجوشن فى جماعة من أصحابه فساروا إلى أن وصلوا إلى دير فى الطريق فنزلوا ليقيلوا به فوجدوا مكتوبا على بعض جدرانه :

أترجو أمة قتلت حسينا ✲ شفاعة جده يوم الحساب

فسألوا الراهب عن السطر ومن كتبه فقال إنه مكتوب هنا من قبل أن يبعث نبيكم بخمسمائة عام وقيل إن الجدار انشق فظهر منه كف مكتوب فيه بالدم هذا السطر ثم ساروا حتى قدموا دمشق ودخلوا على يزيد بن معاوية ومعهم رأس الحسين رضى الله تعالى عنه فرمى به بين يدى يزيد ثم تكلم شمر بن ذى الجوشن فقال يا أمير المؤمنين وردعلينا هذا يعنى الحسين فى ثمانية عشر رجلا من أهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم عند شروق الشمس وأحطنا بهم من كل جانب فلما أخذت السيوف مأخذها جعلوا يلوذون لوذان الحمام من الصقور فما كان إلا مقدار جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مزملة وخدودهم معفرة تسفى عليهم الرياح زوارهم العقبان ووفودهم الرخم فلما سمع يزيد ذلك دمعت عيناه وقال ويحكم قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله بن مرجانة أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال يرحم الله أبا عبد الله ثم تمثل بقول الشاعر :

يفلقن هاما من رجال أعزة ✲ علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم أمر بالذرية فأدخلوا دار نسائه وكان يزيد إذا حضر غداؤه دعا على بن الحسين وأخاه عمر بن الحسين فأكلا معه ثم وجه الذرية صحبة على بن الحسين إلى المدينة ووجه معه رجلا فى ثلاثين فارسا يسير أمامهم حتى انتهوا إلى المدينة وكان بين وفاة رسول الله ﷺ وبين اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله تعالى عنه خمسون عاما وقيل إن الحسين رضى الله عنه لما وصل إلى كربلاء سأل عن اسم المكان فقيل له كربلاء فقال ذات كرب وبلاء لقد مر أبى بهذا المكان عند مسيره إلى صفين وأنا معه فوقف وسأل عنه فأخبروه باسمه فقال ههنا محط رحالهم وههنا مهراق دمائهم فسئل عن ذلك فقال نفر من آل محمد ينزلون ههنا ثم أمر بأثقاله فحطت فى ذلك المكان وكان قتله رضى الله عنه يوم عاشوراء فى سنة ستين ذكره أبو حنيفة رضى الله عنه فى الأخبار الطوال وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى لفظ الكلب ما ذكره ابن عبد البر فى بهجة المجالس وأنس المجالس أنه قيل لجعفر الصادق كم تتأخر الرؤيا فقال خمسين سنة لأن النبى ﷺ رأى كأن كلبا أبقع ولغ فى دمه فأوله بأن رجلا يقتل الحسين ابن بنته فكان الشمر بن ذى الجوشن الكلب قاتل الحسين رضى الله تعالى عنه وكان أبرص فتأخرت الرؤيا بعده ﷺ خمسين سنة وفى هذه السنة أى سنة ستين دعا ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما إلى نفسه بالخلافة بمكة وعاب يزيد بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين وأظهر ثلبه وتنقصه فبايعه أهل تهامة والحجاز فلما بلغ يزيد ذلك ندب له الحصين بن نمير السكونى وروح بن زنباع الجذامى وضم إلى كل واحد جيشا واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المرى وجعله أمير الأمراء ولما ودعهم قال يا مسلم لا ترد أهل الشام عن شىء يريدونه بعدوهم واجعل

الكواكب بين رجليها شبهوها بمن سلسل ويسمى الكوكب النير الذى فوق مئزرها بطن الحوت (كوكبة الفرس التام) هو أحد وثلاثون كوكبا وهو فرس آخر أحسن شبها بالفرس من الأول وبعض الفرس الأول داخل فيه ومن السطر الذى من الكوكب على وجهه ورأسه تولدت صورة الرأس وتمر على عرفه على تقويس فيفصل بكوكب على متنه وهو من كواكب الفرس الأعظم الذى على طرف اليد اليمنى ثم يمر على كوكبه على كفله ثم على كوكبين على ذنبه وهو طرف اليد اليسرى من الفرس الأعظم ثم على كوكبين أحدهما فى وسط ذنبه والآخر على طرف الذنب ويخرج من الجحفلة سطر يمر على الغلصمة والنحر وبه تتم صورة العنق والصدر (كوكبة المثلث) كواكبه أربعة بين الشرطين وبين النير الذى على الرجل اليسرى من صورة المرأة وهو على شكل مثلث فيه طول أحدهما على رأس المثلث ويسمى هذا الاسم وثلاثة على قاعدتها .

﴿ فصل ﴾ فى البروج الاثنى عشر هذه صورة قريبة من الدائرة التى تمر على أوساط

طريقك على المدينة فإن حاربوك فحاربها فإن ظفرت بهم فأبحها ثلاثا فصار مسلم بن عقبة حتى نزل الحرة وخرج أهل المدينة فعسكروا بها وأميرهم عبدالله بن حنظلة الراهب وهو غسيل الملائكة فدعاهم مسلم ثلاثا فلم يجيبوه فقاتلهم فغلب أهل الشام وقتلوا أمير المدينة عبدالله بن حنظلة وسبعمائة من المهاجرين والأنصار ودخل مسلم المدينة وأباحها ثلاثة أيام وقد جاء فى الحديث عنه ﷺ أنه قال من أباح حرمى فقد حل عليه غضبى ثم شخص بالجيش إلى مكة وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة فلما بلغ مسلم هرشى اعتل ومات فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير السكونى فسار حتى وافى مكة فتحصن منه ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام بجميع من كان معه فنصب الحصين المنجنيق على أبى قبيس ورمى به الكعبة المعظمة فبينما هم كذلك إذ ورد الخبر إلى الحصين بموت يزيد بن معاوية فأرسل إلى ابن الزبير يسأله الموادعة فأجابه إلى ذلك وفتح الأبواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت فبينما الحصين يطوف ليلة بعد العشاء إذ استقبله ابن الزبير فأخذ الحصين بيده وقال له سرا هل لك فى الخروج معى إلى الشام فأدعو الناس إلى بيعتك فإن أمرهم قد مرج لا أرى أحد أحق بها اليوم منك ولست أعصى هناك فاجتذب ابن الزبير يده من يده وقال وهو يجهر بقوله دون أن أقتل بكل واحد من أهل الحجاز عشرة من أهل الشام فقال الحصين لقد كذب الذى يزعم أنك من دهاة العرب أكلمك سرا فتكلمنى علانية وأدعوك إلى الخلافة وتدعونى للحرب ثم انصرف بمن معه إلى الشام وتوفى يزيد بن معاوية فى شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وله تسع وثلاثون سنة ودفن بمقبرة باب الصغير وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر وقد وقع للغزالى والكيا الهراسى فيه كلام وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفهد .

## ﴿ خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه معاوية وكان خيرا من أبيه فيه دين وعقل بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فأقام فيها أربعين يوما وقيل أقام فيها خمسة أشهر وأياما وخلع نفسه وذكر غير واحد أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر فجلس طويلا ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء ثم ذكر النبى ﷺ بأحسن ما يذكر به ثم قال أيها الناس ما أنا بالراغب فى الإئتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم وإنى لأعلم أنكم تكرهوننا أيضا لأنا بليناكم وبليتم بنا إلا أن جدى معاوية رضى الله تعالى عنه قد نازع فى هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظم فضله وسابقته أعظم المهاجرين قدرا وأشجعهم قلبا وأكثرهم علما وأولهم إيمانا وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأخوه زوجه ﷺ ابنته فاطمة وجعله لها بعلا باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له أبو سبطيه سيدى شباب أهل الجنة وأفضل هذه الأمة تربية الرسول وابنى فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية فركب جدى معه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى انتظمت لجدى الأمور فلما جاءه القدر المحتوم واخترمته أيدى المنون بقى مرتهنا بعمله فريدا فى قبره ووجد ما قدمت يداه ورأى ما ارتكبه واعتداه ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبى فتقلد أمركم لهوى كان أبوه فيه ولقد كان أبى يزيد بسوء فعله وإسرافه على نفسه غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ فركب هواه واستحسن خطاه وأقدم على ما أقدم من جراءته على الله وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله ﷺ فقلت مدته وانقطع أثره وضاجع عمله وصار حليف حفرته رهين خطيئته وبقيت أوزاره وتبعاته وحصل على ما قدم وندم حيث لا ينفعه الندم وشغلنا الحزن له عن الحزن عليه فليت شعرى ماذا قال وماذا قيل له هل عوقب بإساءته

البروج فى الماء عن طريقة الكواكب السيارة وهى التى سميت البروج الاثنا عشر بأسمائها كل اسم باسم الصور التى كانت فيه فلنذكر كوكبة كل صورة وعدد كواكبها وموقعها من الصورة وألقاب بعضها على رأى المنجمين والعرب ولنبدأ بالصورة التى فى الوجه الأول منها (كوكبة صورة الحمل) كواكبه ثلاثة عشر فى الصورة وخمسة خارجها مقدمه إلى إلى جهة المغرب ومؤخره إلى المشرق ووجهه على ظهره والنيران اللذان على القرن يسميان الشرطين والنير الخارج عن الصورة يسمى النطح واللذان على الآلية مع الذى على الفخذ وهى على مثلث متساوى الأضلاع يسمى البطين والعرب جعلت بطن الحمل منزلا للقمر كبطن السمكة وسمته البطين (كوكبة الثور) صورته صورة ثور مؤخره إلى المغرب ومقدمه إلى المشرق وليس له كفل ولا رجلان تلتفت رأسه إلى جنبه وقرناه إلى ناحية المشرق وكواكبه اثنان وثلاثون سوى النير الذى على طرف قرنه الشمال فإنه على الرجل اليمنى من ممسك الأعنة مشترك بينهما والخارج عن الصورة أحد

وجوزى بعمله وذلك ظنى ثم اختنقته العبرة فبكى طويلا وعلا نحيبه ثم قال وصرت أنا ثالث القوم والساخط علىّ أكثر من الراضى وما كنت لأتحمل آثامكم ولا يرانى الله جلت قدرته متقلدا أوزاركم وألفاه بتبعاتكم فشأنكم أمركم فخذوه ومن رضيتم به عليكم فولوه فلقد خلعت بيعتى من أعناقكم والسلام فقال له مروان بن الحكم وكان تحت المنبر أسنة عمرية يا أبا ليلى فقال اغدعنى أعن دينى تخدعنى فوالله ما ذقت حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها ائتنى برجال مثل رجال عمر رضى الله تعالى عنه على أنه ما كان من حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يشك فى عدالته ظلوما والله لئن كانت الخلافة مغنما لقد نال أبى منها مغرما ومأثما ولئن كانت سوءا فحسبه منها ما أصابه ثم نزل فدخل عليه أقاربه وأمه فوجدوه يبكى فقالت له أمه ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك فقال وددت والله ذلك ثم قال ويلى إن لم يرحمنى ربى ثم أن بنى أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص أنت علمته هذا ولقنته إياه وصددته عن الخلافة وزينت له حب على وأولاده وحملته على ما وسمنا به من الظلم وحسنت له اليدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال فقال والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب على فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات وتوفى معاوية بن يزيد رحمه الله بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة وقيل بسبعين ليلة وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وقيل إحدى وعشرين سنة وقيل ثمانى عشرة ولم يعقب .

﴿ خلافة مروان بن الحكم ﴾

ثم قام بالأمر بعده مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بويع له بالخلافة بالجابية ثم دخل الشام فأذعن أهلها له بالطاعة ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها وكان يقال له بن الطريد لأن النبى ﷺ كان قد طرد أباه إلى الطائف فرده عثمان رضى الله تعالى عنه حين ولى - كما تقدم قريبا - وتوفى مروان فى سنة خمس وستين وثبت عليه زوجته لكونه شتمها فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم وقعدت هى وجواريها فوقها حتى مات وكان قد لحق النبى ﷺ وهو صبى وولى نيابة المدينة مرات وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضى الله تعالى عنهم وكان كاتب السر لعثمان رضى الله تعالى عنه وبسببه جرى عليه ما جرى وكانت خلافته عشرة أشهر وكان عمره ثلاثا وثمانين سنة روى الحاكم فى كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به رسول الله ﷺ فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون ثم قال صحيح الإسناد ثم روى أيضا عن عمرو بن مرة الجهنى وكانت له صحبة أن الحكم بن أبى العاص استأذن على النبى ﷺ فعرف صوته فقال ائذنوا له عليه وعلى من يخرج من صلبه لعنة الله إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يترقبون فى الدنيا ويضيعون فى الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من خلاق وسيأتى هذا إن شاء الله تعالى فى باب الواو فى لفظ الوزغ

﴿ خلافة عبد الملك بن مروان ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه عبد الملك بويع له بالخلافة يوم موت أبيه مروان وهو أول من سمى بعبد الملك فى الإسلام وأول من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الإسلام وكان على الدنانير نقش بالرومية وعلى الدراهم نقش بالفارسية قلت ولهذا سبب وهو أنى رأيت فى كتاب المحاسن والمساوى للإمام إبراهيم بن محمد البيهقى ما نصه قال الكسائى دخلت على الرشيد ذات يوم وهو فى إيوانه وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقا وأمر بتفريقه فى خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان

عشر كوكبا وعلى موضع الدبران وعين الثور أيضا وتالى النجم وحادى النجم والفنيق وهو الجمل الضخم والتى حواليه من الكواكب القلاص وهى صغار النوق والعرب تسمى الكواكب التى على كاهل الثور الثريا وهما كوكبان نيران فى خلالها ثلاث كواكب صارت مجتمعة متقاربة كعنقود العنب ولذلك جعلوها بمنزلة كوكب واحد وسموها النجم وزعموا أن فى ذلك المطر عند نوئها الثروة وتسمى الاثنين المتقاربين على الأذنين الكلبين ويزعمون أنهما كلبا الدبران والعرب تتشاءم بالدبران وتقول أشأم من حادى النجم ويزعمون أنهم لا يمطرون بنوء الدبران إلا وسنتهم مجدبة (كوكبة التوأمين) كواكبها ثمانية عشر فى الصورة وسبعة خارجها وهى صورة إنسانين رأسيهما فى الشمال والشرق وأرجلهما إلى الجنوب والمغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما بكواكب الآخر والعرب تسمى الاثنين النيرين اللذين على رأسيهما الذراع المبسوطة واللذين على ثدى التوأم الثانى الهقعة واللذين

كثيراً ما يحدثني فقال هل علمت أول من سن هذه الكتابة في الذهب والفضة قلت لا ياسيدي هو عبد الملك ابن مروان قال فما كان السبب في ذلك قلت لا علم لي غير أنه أول من أحدث هذه الكتابة فقال سأخبرك كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أباوابناوروحا فلم يزل كذلك صدر الإسلام كله يمضي على ما كان عليه إلى أن ملك عبد الملك ابن مروان فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم إذ مر به قرطاس فنظر إلى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس وهي تحمل في الأوانى والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله والبلد يخرج منه هذه القراطيس تدور في الآفاق والبلاد وقد طرزت بسطر مثبت عليها فأمر بالكتاب إلى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك وأن يأمر صناع القراطيس أن يطرزوها بصورة التوحيد شهد الله أنه لا إله إلا هو وهذا طراز القراطيس خاصة إلى هذا الوقت لم ينقص ولم يزد ولم يتغير وكتب إلى عمال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها بالضرب الوجيع والحبس الطويل فلما ثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد وحمل إلى بلاد الروم ومنها انتشر خبرها ووصل إلى ملكهم وترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا فكتب إلى عبد الملك أن اعمل القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك للروم ولم يزل يطرز بطراز الروم إلى أن أبطلته فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الأغلاق حاجة أشكوك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه ورد الرسول وأعلمه أنه لا جواب له ورد الهدية فانصرف بها إلى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول إلى عبد الملك وقال إني ظننتك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبني عن كتابي فأضعفت الهدية وإني أرغب إليك إلى مثل ما رغبت فيه من رد الطراز إلى ما كان عليه أولا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب إليه ملك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أولا مرن بنقش الدنانير والدراهم فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلا ما ينقش في بلادي ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته رفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتي وترد الطراز إلى ما كان عليه ويكون فعل ذلك هدية تودني بها ونبقى على الحال بيني وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه الأمر وغلظ وضاقت به الأرض وقال أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام لأني جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب إذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع أهل الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه فقال ويحك من فقال عليك بالباقر من أهل بيت النبي ﷺ قال صدقت ولكنه ارتج على الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة أن أشخص إلى محمد بن علي بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وبثلثمائة ألف درهم

على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه البخاتى

﴿كوكبة السرطان﴾

كواكبه تسعة من الصورة وأربعة خارجها والعرب تسمى الكوكب النير منها النثرة وفى المجسطى ذكر النثرة باسم المعلف واسم الكوكبين التاليين للنثرة الحمارين والكوكب النير الذى على الرجل المؤخرة الجنوبى الطرف

﴿كوكبة الأسد﴾

كواكبه سبعة وعشرون فى الصورة وثمانية خارجها والعرب تسمى الكوكب الذى على وجهه مع الخارج عن الصورة سرطان الطرف وتسمى الأربعة التى فى الرقبة والقلب الجبهة وتسمى التى على البطن وعلى الحرقفة الزبرة والذى على مؤخرة الذنب قلب الأسد وتسميه أيضا الصرفة لانصراف البرد عند سقوطه بالمغرب بالغدوات وانصراف الحر عند طلوعه من تحت شعاع الشمس بالغدوات

﴿كوكبة العذراء﴾

وهى ستة وعشرون فى الصورة وستة خارجها وهى صورة امرأة رأسها على جنوب الصرفة وقدمها الزبانان اللذان على كفتى الميزان والعرب تسمى التى على طرف منكبها الأيمن العواء وهو المنزل الثالث عشر من منازل القمر وزعم بعضهم أن الكواكب

لنفقته وأرح عليه فى جهازه وجهاز من تخرج معه من أصحابه وحبس الرسول قبله إلى موافاة محمد بن على فلما وافاه أخبره الخبر فقال له محمد رحمه الله تعالى لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشىء من جهتين إحداهما أن الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم فى رسول الله ﷺ والأخرى وجود الحيلة فيه قال وما هى قال تدعو فى هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد ذكر رسول الله ﷺ أحدهما فى وجه الدرهم والدينار والآخر فى الوجه الثانى وتجعل فى مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذى يضرب فيه والسنة التى يضرب فيها تلك الدراهم والدنانير وتعمد إلى وزن ثلاثين درهما عددا من الأصناف الثلاثة التى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ستة مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا إحدى وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان فتضرب الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم فى ذلك الوقت إنما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لأن رأس البغل ضربها لعمر رضى الله تعالى عنه بسكة كسروية فى الإسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية نوش خور أى كل هنيئا وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالا والدراهم التى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرة بوزن خمسة مثاقيل هى السمرية الخفاف والثقال ونقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمره محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه أن يكتب السكك فى جميع بلدان الإسلام وأن يتقدم إلى الناس فى التعامل بها وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكة من الدراهم والدنانير وغيرها وأن تبطل وترد إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى السكك الإسلامية ففعل عبد الملك ذلك وردّ رسول ملك الروم إليه بذلك يقول إن الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد تقدمت إلى عمالى فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبإبطال السكك والطروز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهددت به ملك العرب فقال إنما أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنى كنت قادرا عليه والمال وغيره برسوم الروم فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام وامتنع من الذى قال وثبت ما أشار به محمد بن على بن الحسين رضى الله تعالى عنه إلى اليوم ثم رمى يعنى الرشيد بالدرهم إلى بعض الخدم * وتمكن عبد الله بن الزبير فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق واستناب على العراق وما يليه أخاه مصعب بن الزبير وتفرقت الكلمة فبقى فى الوقت خليفتان أكبرهما ابن الزبير رضى الله تعالى عنه ثم لم يزل عبد الملك إلى أن ظفر به وقتله بعد حروب عظيمة وذلك أنه سار من دمشق إلى العراق فبرز إليه نائبها مصعب بن الزبير وكان عبد الملك قد كاتب جيشه بأمور فخذلوه وتسللوا عنه فسار مصعب فى نفر يسير والتحم بينهما القتال فظهرت من مصعب شجاعة عظيمة ولم يزل كذلك حتى قتل فاستولى عبد الملك حينئذ على العراق وخراسان واستناب عليها أخاه بشر بن مروان وكر راجعا إلى دمشق ثم جهز الحجاج بن يوسف الثقفى فى جيش لحرب بن الزبير فحاصروه وضايقوه ونصبوا المنجنيق على جبل أبى قبيس فكان يضرب بشجاعته المثل كان رضى الله تعالى عنه يحمل عليهم وحده فيهزمهم ويخرجهم من أبواب المسجد واستمر يقاتلهم أربعة أشهر فى آخرها حمل عليهم فسقطت على رأسه شرافة من شرافات المسجد فخرمته فأبادروا إليه واحتزوا رأسه رضى الله عنه فأمر اللعين الحجاج أخزاه الله وقبحه بصلب جسده وكان عبد الملك قبل الخلافة متعبدا ناسكا عالما فقيها واسع العلم وكان طويل العنق رقيق الوجه مشدود الأسنان بالذهب حازما لا يكل أمره إلى سواه شديد البخل يلقب برشح الحجر لبخله

التى على بطنها وتحت إبطها كأنها كلاب تعوى خلف الأسد وتسمى عواء البرد أيضا لأنها إذا طلعت أو سقطت جاءت بالبرد والكوكب النير الذى بقرب يدها التى فيها السلسلة السماك الأعزل سمى أعزل لأنه بإزائه السماك الرامح ويسمى أعزل لأنه لا سلاح معه والمنجمون يقولون لهذا الكوكب السنبلة ويسمى أيضا ساق الأسد والذى على قدمه اليسرى الغفر وإنما سمى بالغفر لنقصان ضوء كواكبه كأنه قد سترها

﴿كوكبة الميزان﴾

ثمانية كواكب فى الصورة بين كوكبة العذراء وكوكبة العقرب وتسعة خارجها وليس فيها شىء من الكواكب المشهورة

﴿كوكبة العقرب﴾

أحد وعشرون كوكبا من الصورة وثلاثة خارجها وهى صورة مشهورة والعرب تسمى الثلاثة التى على الجبهة الإكليل وتسمى النير الأحمر الذى على البدن قلب العرب وتسمى الذى قدام القلب والذى خلفه النياط وتسمى الذى فى الخروات الفقرات وتسمى الاثنين اللذين على طرف الذنب الشولة

﴿كوكبة الرامى﴾

وهو القوس أحد وثلاثون كوكبا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب

ويلقب أيضا بأبى ذباب لبخره محبا للفخر مقداما على سفك الدماء وكذلك كان عماله الحجاج بالعراق والمهلب بن أبى صفرة بخراسان وهشام بن اسمعيل وعبد الله ابنه بمصر وموسى بن نصير بالمغرب ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن ومحمد بن مروان بالجزيرة وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جبار قاله ابن خلكان * ومن غريب ما سمع فيما حكاه ابن خلكان أن على بن عبد الله بن عباس ومحمدا ابنه دخلا على عبد الملك بن مروان وعنده قائف فأجلسهما ثم قال للقائف أتعرف هذا قال لا ولكن أعرف من أمره أن هذا الفتى الذى معه ابنه وأنه يخرج من عقبه فراعنة يملكون الأرض لا يناويهم مناو إلا قتلوه فتغير لون عبد الملك ثم قال زعم راهب إيليا وكان قد رآه عنده أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكا ووصفهم بصفاتهم وذكر أبو حنيفة فى الأخبار الطوال أن عبد الملك بن مروان أوصى ابنه الوليد لما ثقل فى مرضه فقال يا وليد لا ألفينك إذا وضعتنى فى حفرتى تعصر عينيك كالأمة الولهاء بل اتزر وشمر والبس جلد النمر وادع الناس إلى البيعة فمن قال برأسه كذا أى لا فقل بالسيف كذا أى اضرب عنقه اهـ وكان عبد الملك يلقب بحمامة المسجد لقبه به ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وجاءته الخلافة وهو يقرأ فى المصحف فطبقه وقال سلام عليك هذا فراق بينى وبينك وقيل إنه قيل لابن عمر رضى الله تعالى عنه أرأيت لو تفانى أصحاب رسول الله ﷺ فمن نسأل بعدهم فقالوا سلوا هذا الفتى يعنى عبد الملك توفى عبد الملك بن مروان فى شوال سنة ست وثمانين وله ثلاث وستون سنة وقيل ستون وخلف سبعة عشر ولدا أولى الخلافة منهم أربعة وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما منها ثمان سنين مزاحما لابن الزبير ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى أن مات رحمه الله

﴿ خلافة عبد الله بن الزبير وهو السادس نخلع وقتل كما سيأتى ﴾

قد تقدم أن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان خلع نفسه من الخلافة فكيف يكون رضى الله عنه سادسا وسبق قبل ذلك أن الحسن رضى الله عنه خلع من الخلافة أيضا فعلى هذا الحال لا يستقيم أن يكون ابن الزبير رضى الله عنهما سادسا وبويع له يعنى ابن الزبير رضى الله عنهما بالخلافة بمكة لسبع بقين من رجب سنة أربع وستين فى أيام يزيد بن معاوية كما تقدم وبايعه أهل العراق وأهل مصر وبعض أهل الشام إلى أن بايعوا لمروان بعد حروب واستمر له العراق إلى سنة إحدى وسبعين وهى التى قتل فيها عبد الملك بن مروان أخاه مصعب بن الزبير وهدم قصر الإمارة بالكوفة (وسبب هدمه) أنه جلس ووضع رأس مصعب بين يديه فقال له عبد الملك بن عمير يا أمير المؤمنين جلست أنا وعبد الله بن زياد فى هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه ثم جلست أنا والمختار بن أبى عبيد فإذا رأس عبد الله بن زياد بين يديه ثم جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه ثم جلست مع أمير المؤمنين فإذا رأس مصعب بين يديه وإنى أعيذ أمير المؤمنين بالله من شر هذا المجلس فارتعد عبد الملك وقام من فوره وأمر بهدم القصر وكان مصعب شجاعا جوادا حسن الوجه كالقمر ليلة البدر رحمه الله تعالى ولما قتل مصعب انهزم أصحابه فاستدعى بهم عبد الملك بن مروان فبايعوه وسار إلى الكوفة ودخلها واستقر له الأمر بالعراق والشام ومصر ثم جهز الحجاج فى سنة ثلاث وسبعين إلى عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق ثم ظفر به فقتله واحتز الحجاج رأسه وصلبه منكسا ثم أنزله ودفنه فى مقابر اليهود وقيل إن الحجاج قال لا أنزله حتى تتشفع فيه أمه أسماء فتم على تلك الحال مدة فمرت به أمه يوما فقالت أما آن لهذا الفارس أن يترجل فبلغ الحجاج ذلك فأمر بإنزاله وأن يعطى لأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم فأخذته ودفنته وسيأتى ذكر قتله أيضا فى باب الشين المعجمة فى لفظ الشاة وكانت

خلافته رضى الله تعالى عنه بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوما قتل رضى الله تعالى عنه وله من العمر ثلاث وسبعون سنة وقيل اثنتان وسبعون سنة .

﴿ خلافة الوليد بن عبد الملك ﴾

ثم قام بالأمر بعد عبد الملك بن مروان ابنه الوليد فإنه كان ولى عهده وكان دميما سائل الأنف يختال فى مشيته قليل العلم وكان يختم القرآن فى ثلاث ليال قال إبراهيم بن أبى عبلة كان يختم فى رمضان سبع عشرة مرة وكان يعطينى أكياس الدراهم أقسمها فى الصالحين وعن الوليد قال لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه ماظننت أن أحدا يفعله بويع له بالخلافة يوم توفى والده ولم يدخل المنزل حتى صعد المنبر فقال الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون والله المستعان على مصيبتنا بأمير المؤمنين والحمد لله على ما أنعم به علينا من الخلافة قوموا فبايعوا قال الحافظ بن عساكر كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم بنى المساجد بدمشق وأعطى الناس وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا وكان يبر حملة القرآن ويقضى عنهم ديونهم وبنى الجامع الأموى وهدم كنيسة مريوحنا وزادها فيه وذلك فى ذى القعدة سنة ست وثمانين وذكر أنه كان فى الجامع وهو يبنى اثنا عشر ألف مرخم وتوفى الوليد ولم يتم بناؤه فأتمه سليمان أخوه فكان جملة ما أنفق على بنائه أربعمائة صندوق فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل ومازالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فجعلها فى بيت المال واتخذ عوضها صفرا وحديدا وبنى قبة الصخرة ببيت المقدس وبنى المسجد النبوى ووسعه حتى دخلت الحجرة النبوية فيه وله آثار حسنة كثيرة جدا ومع ذلك فقد روى أن عمر بن عبد العزيز قال لما ألحدت الوليد ارتكض فى أكفانه وغلت يداه إلى عنقه نسأل الله العافية والسلامة وفتحت فى أيام خلافته الفتوحات العظام مثل السند والهند والأندلس وغير ذلك من الأماكن المشتهرة وكان يركب المركوب الحسن الجيد ويتقى الركوب والسفر والحرب فى هذه الأيام الآتى ذكرها وينهى عن ذلك وهى فائدة جليلة عظيمة القدر روى علقمة بن صفوان عن أحمد بن يحيى مرفوعا قال: قال رسول ﷺ توقوا اثنى عشر يوما فى السنة فإنها تذهب بالأموال وتهتك الأستار فقلنا ماهى يارسول الله قال ثانى عشر المحرم وعاشر صفر ورابع ربيع الأول وثامن عشر ربيع الثانى وثامن عشر جمادى الأولى وثانى عشر جمادى الثانية وثانى عشر رجب وسادس عشر شعبان ورابع عشر رمضان وثانى شوال وثامن عشر ذى القعدة وثامن ذى الحجة اه وقوله إن الوليد بنى قبة الصخرة فيه نظر وإنما بنى قبة الصخرة عبد الملك بن مروان فى أيام فتنة ابن الزبير لما منع عبد الملك أهل الشام من الحج خوفا من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له فكان الناس يقفون يوم عرفة بقبة الصخرة إلى أن قتل ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما كما سيأتى إن شاء الله تعالى عن ابن خلكان وغيره ولعلها تشعثت فهدمها الوليد وبناها والله تعالى أعلم وتوفى الوليد بن عبد الملك فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بدير مروان عن ست وأربعين سنة وقيل ثمان وأربعين وقيل خمسين سنة وترك أربعة عشر ولدا وحمل على أعناق الرجال ودفن فى مقابر باب الصغير وتولى دفنه عمر بن عبد العزيز وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وقيل عشر سنين والله أعلم .

﴿ خلافة سليمان بن عبد الملك ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه سليمان وذلك لأن أباهما عقد لهما جميعا بالأمر من بعده بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الوليد وكان سليمان بالرملة فلما جاءته الخلافة عزم على الإقامة بها ثم توجه إلى دمشق وكمل عمارة

بين هذين الاثنين أوسع من البعد بين الذابح فشبهتها بفم مفتوح ليبلع وتسمى الذى على ساعده مع الثلاثة التى على يده اليمنى سعد الأخبية وإنما سمى بذلك لأنه إذا طلع اختبأت الهوام تحت الأرض من البرد وتسمى النير الذى على فم الحوت الجنوبى الضفدع الأول (كوكبة السمكة وهى الحوت) وكواكبها أربعة وثلاثون فى الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان أحدهما السمكة المتقدمة وهى التى على ظهر الفرس الأعظم فى الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة وبينها خيط من كواكب يصل بينهما على تعريج ﴿ فصل فى الصورة الجنوبية ﴾ هى الكواكب التى فى النصف الجنوبى من الكرة وهى خمسة عشر صورة نذكر مواضع كواكبها من الصورة إن شاء الله تعالى ومواضع صورها وأسمائها على مذهب العرب والمنجمين على ما رسمنا فيما تقدم (كوكبة قيطس) هى صورة حيوان بحرى مقدمه فى ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل

الجامع الأموى كما تقدم وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك فى سنة سبع وتسعين إلى غزو الروم فانتهى إلى القسطنطينية فنازلها وستأتى الإشارة إلى شىء من ذلك فى باب الجيم فى لفظ الجراد ومما يحكى من محاسنه رحمه الله تعالى أن رجلا دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله والإذان فقال له سليمان أما أنشدك الله فقد عرفناه فما الإذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فقال له سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عامل فلان فنزل سليمان رحمه الله عن سريره ورفع البساط ووضع خده بالأرض وقال والله لا رفعت خدى من الأرض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده رحمه الله لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى على نفسه من لعنة الله تعالى وطرده قيل إنه أطلق من سجن الحجاج ثلثمائة ألف ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وزيرا ومشيرا وأنه أراد أن يستكتب يزيد بن أبى مسلم وزير الحجاج فقال له عمر بن عبد العزيز سألتك بالله يا أمير المؤمنين لا تحى ذكر الحجاج باستكتابك يزيد فقال له يا عمر إنى لم أجد عنده خيانة فى درهم ولا دينار فقال يا أمير المؤمنين إن إبليس أعف منه فى الدرهم والدينار وقد أغوى الخلق كلهم جميعا فأضرب سليمان عما عزم عليه وفى كامل المبرد وغيره أن يزيد هذا دخل على سليمان بن عبد الملك وكان يزيد مليحا قبيحا فقال له سليمان قبح الله رجلا أجرك رسنه وأشركك فى أمانته فقال يا أمير المؤمنين لا تقل هذا قال ولم قال لأنك رأيتنى والأمر عنى مدبر ولو رأيتنى والأمر على مقبل لاستحسنت ما استقبحت منى ولاستعظمت ما استصغرت منى فقال له سليمان ويحك أوقد استقر الحجاج فى قعر جهنم بعد أم لا فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فى الحجاج قال ولم قال لأن الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وأنه يأتى يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك فحيثما كانا كان وكان سليمان رحمه الله فصيحا بليغا أديبا مؤثرا للعدل محبا للغزو ومحسنا لعلم العربية ويرجع إلى دين وخير واتباع القرآن وإظهار شعائر الإسلام مترفعا عن سفك الدماء وكان شرها نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته إنه كان يأكل فى كل يوم نحو مائة رطل شامى وكان به عرج ولما ولى رد الصلاة إلى ميقاتها الأول وكان من قبله من خلفاء بنى أمية يؤخرونها إلى آخر وقتها ولذلك قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى إن سليمان افتتح خلافته بخير واختتمها بخير افتتحها بإقامة الصلاة لميقاتها الأول وختمها باستخلافه لعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وذكر المفضل وغيره أن سليمان ابن عبد الملك خرج من الحمام فى يوم جمعة فلبس حلة خضراء واعتم بعمامة خضراء وجلس على فراش أخضر وبسط ما حوله بالخضرة ثم نظر فى المرآة وكان جميلا فأعجبه جماله فشمر عن ذراعيه وقال كان فينا نبينا محمد ﷺ نبيا ورسولا وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه صديقا وكان عمر رضى الله تعالى عنه فاروقا وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حييا وكان على رضى الله تعالى عنه شجاعا وكان معاوية رضى الله تعالى عنه حليما وكان يزيد صبورا وكان عبد الملك سائسا وكان الوليد جبارا وأنا الملك الشاب ثم خرج لصلاة الجمعة فوجد حظية له فى صحن الدار فأنشدته هذه الأبيات .

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى * غير أن لا بقاء للإنسان

ليس فيما بدا لنا منك عيب * عابه الناس غير أنك فانى

فلما فرغ من الصلاة ودخل داره قال لتلك الحظية ما قلت لى فى صحن الدار وأنا خارج قالت ما قلت لك شيئا ولا رأيتك وأنى لى بالخروج إلى صحن الدار فقال إنا لله وإنا إليه راجعون نعيت إلى نفسى فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات وقيل إنه صعد المنبر وخطب وأن صوته ليسمع من أقصى المسجد فأخذته الحمى فما زال صوته يخفى حتى لم يسمعه من تحته ثم دخل داره ومؤخره فى ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه اثنان وعشرون والعرب تسمى الكواكب التى فى الرأس الكف الجذماء لأن امتداده دون امتداد الكف الخضيب وتسمى الخمسة التى على يديه النعامات والكواكب التى على أصل الذنب تسمى النظام والتى على الشعبة الجنوبية من الذنب تسمى الضفدع الثانى والأول مذكور فى الدلو (كوكبة الجبار) كواكبه ثمانية وثلاثون كوكبا فى الصورة وهو صورة رجل قائم فى ناحية الجنوب على طريقة الشمس بيده عصا وعلى وسطه سيف والعرب تسمى الكواكب الثلاثة التى على الوجه الهنعة والنير الأعظم الذى على منكبه اليمنى منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضا والكوكب النير الذى على المنكب اليسرى الناجذ والمرزم أيضا والثلاثة المصطفة التى على وسطه منطقة الجوزاء والثلاثة المنحدرة المتقاربة سيف الجبار والنير العظيم الذى على قدمه اليسرى رجل الجبار وتسمى التسعة المقسومة التى على الكم تاج الجوزاء (كوكبة النهر) كواكبه

يسحب وجليه بين رجلين فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات وقال ابن خلكان أنه حم ومات من ليلته وقيل إنه مات بذات الجنب وتوفى فى صفر فى عاشره سنة ثمان وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين بمرج دابق من أرض قنسرين وله تسع وثلاثون سنة وقيل خمس وأربعون سنة وكانت خلافته سنتين وثمانية شهور رحمه الله تعالى عليه .

﴿خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه﴾

ثم قام بالأمر بعده الخليفة الراشد والإمام العالم أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه بويع له بالخلافة يوم مات سليمان بن عبد الملك بعهد له منه بذلك وكان يقال له أشج بنى أمية وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما فعمر رضى الله تعالى عنه جده من قبل أمه وهو تابعى جليل روى عن أنس بن مالك والسائب ابن يزيد رضى الله تعالى عنهما وروى عنه جماعة ومولده رضى الله تعالى عنه بمصر سنة إحدى وستين قال الإمام أحمد ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز وفى طبقات ابن سعد عن عمر بن قيس أنه قال لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع صوت لا يدرى قائله:

من الآن قد طابت وقر قرارها * على عمر المهـــدى قام عمودها

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا وهو أول من اتخذ دار الضيافة من الخلفاء وأول من فرض لأبناء السبيل وأزال ما كانت بنو أمية تذكر به عليا على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية وقال فيه كثير عزة :

وليت لم تسبب عليا ولم تخف * مريبا ولم تقـــبل مقالة مجرم
وصدقت القول الفعال مع الذى * أتيت فأمسى راضيا كل مسلم
فما بين شرق الأرض والغرب كلها * مناد ينادى من فصيح وأعجم
يقول أمير المؤمنـــين ظلمتنى * بأخذك ديناري وأخذك درهمى
فاربح بها من صفقة لمبايع * وأكرم بها من بيعة ثم أكرم

وكتب إلى عماله أن لا يقيدوا مسجونا بقيد فإنه يمنع من الصلاة وكتب إلى عامله بالبصرة عدى بن أرطاة عليك بأربع ليال من السنة فإن الله تبارك وتعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغا وهى أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين وكتب إلى عماله إذا دعتكم قدرتكم على الناس إلى ظلمهم فاذكروا قدرة الله تعالى عليكم ونفاد ما تأتون إليه وبقاء ما يأتى إليكم من العذاب بسببهم وذكر غير واحد عن محمد المروزى قال أخبرت أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه لما دفن سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هدة أو رجة فقال ما هذه فقيل مراكب الخلافة قربت إليك يا أمير المؤمنين لتركبها فقال مالى ولها نحوها عنى وقربوا إلى دابتى فقربت إليه فركبها فجاء صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة جريا على عادة الخلفاء قبله فقال له تنح عنى مالى ولك إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار مختلطا بين الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى ﷺ ثم قال أيها الناس إنى ابتليت بهذا الأمر من غير رأى منى فيه ولا طلبة ولا مشورة من المسلمين وإنى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فاختاروا لأنفسكم غيرى فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضيناك أميرنا باليمن والبركة فلما سكتوا حمد الله تعالى وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله تعالى خلف من كل شىء وليس من تقوى الله خلف واعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته وأصلحوا سرائركم

أربعة وثلاثون فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة يبتدئ من عند النير الذى على قدم الجوزاء فيمر فى المغرب على تعريج إلى قرب الأربعة التى على صدر قيطس ثم فى الجنوب على ثلاثه كواكب ثم ينعطف إلى المشرق فيمر على ثلاثة كواكب أيضا ثم ينعطف إلى الجنوب فيمر على ثلاثة كواكب مجتمعة ثم يتقطع فيمر فى الجنوب على كوكبين متقاربين ثم ينعطف إلى المغرب فيمر على كوكبين متقاربين أيضا على ثلاثة كواكب متقاربة ثم ينتهى إلى كوكب نير على آخر النهر والعرب تسمى الأول والثانى والثالث من كوكبة الكرسى الجوزاء وتسمى الأربعة التى فى وسط النهر مع الخمسة التى فى جانبه الآخر أدحى النعام وهى عشه والتى حوالى هؤلاء الكواكب تسمى البيض والنير الذى على آخر النهر يسمى الظليم وبين هذا الظليم والظليم الذى على فم الحوت كواكب كثيرة تسمى الرئال وهى فراخ النعام (كوكبة الأرنب) هى اثنا عشر كوكبا فى الصورة وليس حواليه شىء من الكواكب المرصودة وهى تحت رجل الجبار وجهه إلى المغرب ومؤخره إلى

المشرق والعرب تسمى الأربعة التى اثنان منها على يديه واثنان على رجليه كرسى الجوزاء وعرش الجوزاء

يصلح الله علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا له الاستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هاذم اللذات وإنى والله لا أعطى أحداً باطلا ولا أمنع أحداً حقا يا أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعونى ما أطعت الله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم ثم نزل ودخل دار الخلافة فأمر بالستور فهتكت وبالبساط فرفعت وأمر ببيع ذلك وإدخال أثمانه فى بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقيلا فأتاه ابنه عبد الملك فقال ما تريد أن تصنع يا أبت قال أى بنى أقيل قال تقيل ولا ترد المظالم قال أى بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم قال يا أمير المؤمنين من أين لك أن تعيش إلى الظهر فقال ادن منى يا بنى فدنا منه فقبله بين عينيه وقال الحمد لله الذى أخرج من ظهرى من يعيننى على دينى فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادى ألا كل من كانت له مظلمة فليرفعها فتقدم إليه ذمى من أهل حمص فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال وما ذاك قال إن العباس بن الوليد اغتصبنى أرضى والعباس جالس فقال عمر ما تقول يا عباس قال إن أمير المؤمنين الوليد أقطعنى إياها وهذا كتابه فقال عمر ما تقول يا ذمى قال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله تعالى فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد ارددها إليه أرضه يا عباس فردها إليه ثم جعل لا يدع شيئا مما كان فى يد أهل بيته من المظالم إلا رده مظلمة مظلمة فلما بلغ الخوارج سيرته وما رد من المظالم اجتمعوا وقالوا ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل ولما بلغ عمر بن الوليد رد الضيعة على الذمى كتب إلى عمر بن عبد العزيز إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضا لهم وشينا لمن بعدهم من أولادهم وقطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم فأدخلتها بيت المال جورا وعدوانا ولن تترك على هذا الحال والسلام فلما قرأ كتابه كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿أما بعد﴾ فقد بلغنى كتابك أما أول شأنك يا ابن الوليد فأمك بنانة أمة السكون كانت تطوف فى سوق حمص وتدخل فى حوانيتها ثم الله أعلم بها ثم اشتراها ذبيان من بيت مال المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المولود ثم نشأت فكنت جبارا عنيدا تزعم أنى من الظالمين إذ حرمتك وأهل بيتك مال الله الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك ولم يكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده فويل لأبيك ما أكثر خصماء يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج يسفك الدم ويأخذ المال الحرام وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة أعرابيا جافيا على مصر وأذن له فى المعازف واللهو والشرب وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لغانية البربرية فى خمس العرب نصيبا فرويدا يا ابن بنانة فلو التقمت حلقتا البطان ورد الفيء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأخذتم فى الباطل ومن وراء ذلك ما أرجو أن أكون رأيته من بيع رقبتك وقسم ثمنها بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقا والسلام على من اتبع الهدى ولا ينال سلام الله القوم الظالمين وروى أنه وقع فى زمانه غلاء عظيم فقدم عليه وفد من العرب فاختاروا رجلا منهم لخطابه فتقدم إليه وقال يا أمير المؤمنين إنا وفدنا إليك من ضرورة عظيمة وراحتنا فى بيت المال وماله لا يخلو إما أن يكون لله أو لعباده أو لك فإن كان لله فالله غنى عنه وإن كان لعباده فأتهم إياه وإن كان لك فتصدق به علينا إن الله يجزى المتصدقين فتغرغرت عينا عمر رضى الله تعالى عنه بالدموع وقال هو كما ذكرت وأمر بحوائجهم فقضيت فهم الأعرابى بالانصراف فقال عمر أيها الرجل كما أوصلت حوائج عباد الله إلى فأوصل

أيضا (كوكبة الكلب الأحمر) كواكبه ثمانية عشر فى الصورة وأحد عشر خارجها وهى صورة كلب خلف كوكبة الجوزاء ولذلك سمى كلبا والعرب تسمى النير الأعظم الذى على موضع الفم الشعرى العبور وكان قوم فى الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضا دون غيره من الكواكب وذلك قوله تعالى وأنه هو رب الشعرى وسمى عبورا لأنه عبر المجرة إلى سهل وتسمى اليمانية لأن مغيبها فى شق اليمن وتسمى الأربعة التى منها على كتفه وعلى ذنبه وما بينهما وعلى فخذه العذارى والأربعة المصطفة التى على الاستقامة خارج الصورة تسمى القرود والنيران من خارج الصورة حضار الوزن ومن العرب من يسميها مختلفين لأنهما يطلعان قبل سهيل فيظن أحدهما سهيلا فيخلف عليه والآخر يعلم أنه غير سهيل فيخلف له (كوكبة الكلب المتقدم) وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمين وبين النير الذى على فم الكلب الأكبر يتأخر عنهما

حاجتى وارفع فاقتى إلى الله فقال الأعرابى إلهى اصنع بعمر بن عبدالعزيز كصنيعه فى عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم عظيم وأمطرت السماء مطراً كثيراً فجاء فى المطر بردة كبيرة فوقعت على جرة فانكسرت فخرج منها كاغد مكتوب فيه هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبدالعزيز من النار قال رجاء بن حيوة كان عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه من أعظم الناس وأكيس الناس وأجملهم فى مشيته ولبسه فلما استخلف قومت ثيابه وعمامته وقميصه وقباؤه وخفاه ورداؤه فإذا هن يعدلن اثنى عشر درهما وذكر ابن عساكر وغيره أن عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه كان قد شدد على أقاربه وانتزع كثيراً مما فى أيديهم فتبرموا به وسموه ويروى أنه دعا بخادمه الذى سمه فقال له ويحك ماحملك على أن سقيتنى السم قال ألف دينار أعطيتها قال هاتها فجاء بها فأمر بطرحها فى بيت مال المسلمين وقال لخادمه أخرج بحيث لايراك أحد وعن فاطمة بنت عبدالملك زوج عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه أنها قالت والله مااغتسل عمر من حلم ولامن جنابة منذ ولى هذا الأمر وكان نهاره فى أشغال الناس ورد المظالم وليله فى عبادة ربه تعالى قال مسلمة بن عبدالملك دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه أعوده فى مرضه الذى مات فيه فإذا عليه قميص وسخ فقلت لفاطمة بنت عبدالملك يافاطمة اغسلى قميص أمير المؤمنين فقالت نفعل إن شاء الله تعالى ثم عدت فإذا القميص على حاله فقلت يافاطمة ألم آمرك أن تغسلى قميص أمير المؤمنين فإن الناس يعودونه فقالت والله ماله قميص غيره وكان عمر رضى الله تعالى عنه كثيراً مايتمثل بهذه الأبيات :

نهارك يامغرور سهو وغفلة * ولليلك نوم والردى لك لازم
يغرك مايفنى وتفرح بالمنى * كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

واعلم أن مناقب عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه كثيرة جدا فمن أراد معرفة ذلك فعليه بسيرة العمرين والحلية وغيرهما وكان مرضه رضى الله تعالى عنه بدير سمعان من أرض حمص ولما احتضر قال أجلسونى فأجلسوه فقال إلهى أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ولكن لاإله إلا الله وتوفى رضى الله تعالى عنه لخمس وقيل لست مضين وقيل لعشر بقين من رجب الفرد سنة إحدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر وقيل وهو ابن أربعين سنة وكان رضى الله تعالى عنه أبيض مليحا جميلا مهابا نحيف الجسم حسن اللحية بجبهته شجة من حافر فرس ضربه وهو صغير وكان إليه المنتهى فى العلم والفضل والشرف والورع والتألف . نشر العدل جدد الله تعالى به للأمة دينها وصار فيها بسيرة جده لأمه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكانت دولته فى طول مدة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقبره رضى الله تعالى عنه بدير سمعان ظاهر يزار قال الشافعى رضى الله تعالى عنه الخلفاء الراشدون خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم أجمعين وذكر الحافظ ابن عساكر أنه لما وضع فى قبره بدير سمعان هبت ريح شديدة فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار فأخذوها ووضعوها فى أكفانه وكانت خلافته رضى الله تعالى عنه سنتين وخمسة أشهر

## ﴿خلافة يزيد بن عبد الملك﴾

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن عبدالملك بن مروان بويع له بالخلافة يوم مات ابن عمه عمر بن عبدالعزيز

---

إلى المشرق أحدهما أنور الغميصاء لأنه عندهم أحب سهيلا وقد عبرت اليمانية المجرة إلى ناحية سهيل وبقيت هذه فى الشمال الشرقية فبكت على سهيل وغمضت عيناها وتسمى الاثنين أيضا ذراع الأسد المقبوض وسميت مقبوضة لتأخرها عن الذراع الآخر وهما النيران اللذان على رأس التوأمين (كوكبة السفينة) كواكبها خمسة وأربعون كوكبا من الصورة وليس حواليها شىء من الكواكب المرصودة وذكر بطليموس أن النير العظيم الذى على المجداف الجنوبى هو سهيل وهو أبعد كوكب عن السفينة فى الجنوب يرسم على الاسطرلاب وأما العرب فالروايات عنهم فى سهيل وفى كواكب السفينة مختلفة فرأى بعضهم أن النير الذى على طرف المجداف الثانى يسمى سهيلا على الإطلاق ﴿فصل﴾ فى فوائد القطب الجنوبى أما القطب الجنوبى فإنه فى مقابلة القطب الشمالى وأنه خارج عن كواكب السفينة بقرب نير المجداف وتدور حوله كواكبه أسفل من سهيل وزعموا أن لهذا

---

وتسميه العرب الشعرى الشامية لأنها تغيب فى شق الشام وتسميه الشعرى

بعهد له من أخيه سليمان فى ذلك ولما ولى قال خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز فساروا بسيرته أربعين يوما فدخل عليه أربعون رجلا من مشايخ دمشق وحلفوا له أنه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فى الآخرة وخدعوه بذلك فانخدع لهم وكان طائفة من جهال الشاميين يعتقدون ذلك وكان أبيض جسيما مليح الوجه وقال بعض المؤرخين أن يزيد هذا هو المعروف بالفاسق وهو غلط وإنما الفاسق ولده الوليد- كما سيأتى قريباً إن شاء الله تعالى -وذكر الحافظ ابن عساكر رحمه الله وغيره أن يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى فى أيام أخيه سليمان جارية من عثمان بن سهل بن حنيف بأربعة آلاف دينار وكان اسمها حبابة بتشديد الباء الموحدة وأحبها حباً شديداً فبلغ أخاه سليمان ذلك فقال هممت أن أحجر على يزيد فبلغ ذلك يزيد فباعها خوفا من أخيه سليمان فلما أفضت الخلافة إليه قالت له زوجته يا أمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شىء قال نعم قالت وما هو قال حبابة فاشترتها له وهو لا يعلم وزينتها وأجلستها من وراء ستر لها ثم قالت يا أمير المؤمنين هل بقى فى نفسك من الدنيا شىء قال أوما أعلمتك إنها حبابة فرفعت الستر وقالت ها أنت وحبابة وتركته وإياها فحظيت عنده وغلبت على عقله ولم ينتفع به فى الخلافة وأنه قال يوما إن بعض الناس يقولون إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم كامل من الدهر وإنى أريد أن أكذبهم فى ذلك ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبابة وأمر أن يحجب عن سمعه وبصره كل ما يكره فبينما هو على تلك الحالة فى صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره إذ تناولت حبابة حبة رمان وهى تضحك فغصت بها فماتت فاختل عقل يزيد وتكدر عيشه وذهب سروره ووجد عليها وجداً شديداً وتركها أياما لم يدفنها بل يقبلها ويترشفها حتى أنتنت وجافت فأمر بدفنها ثم نبشها من قبرها ولم يعش بعدها إلا خمسة عشر يوما وكان مرضه بالسل وقال فيها :

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى * فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وكل خليـــل زارنى فهو قائل * من اجلك هذا هالك اليوم أو غد

وسيأتى إن شاء الله تعالى قريب من هذا فى باب الدال المهملة فى الدابة عن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام * وتوفى يزيد بن عبد الملك بأربل من أرض البلقاء وقيل بالجولان وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق ودفن بين باب الجابية وباب الصغير وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون وقيل ثمان وثلاثون سنة وشهر وكانت خلافته أربع سنين وشهرا .

## ﴿ خلافة هشام بن عبد الملك ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه هشام بن عبد الملك بن مروان بويع له بالخلافة يوم مات أخوه يزيد بعهد منه إليه ولما أتته الخلافة كان بالرصافة فسجد وسجد أصحابه لما بشرها وسار إلى دمشق قال مصعب الزبيرى زعموا أن عبد الملك بن مروان رأى فى منامه أنه بال فى المحراب أربع مرات فدس من سأل سعيد بن المسيب وكان يعبر الرؤيا فقال يملك من صلبه أربعة فكان آخرهم هشاما انتهى وكان هشام حازما عافلا صاحب سياسة حسنة أبيض جميلا سمينا أحول يخضب بالسواد وكان ذا رأى ودهاء وحزم وفيه حلم وقلة شره وقام بالخلافة أتم قيام وكان يجمع الأموال ويوصف بالبخل والحرص يقال إنه جمع من الأموال ما لا جمعه خليفة قبله فلما مات احتاط الوليد بن يزيد على تركته فما غسل وكفن إلا بالقرض والعارية وكان به حول وتوفى بالرصافة فى شهر ربيع الآخر بدمشق سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل أربع وخمسين سنة وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل عشرين عاما .

القطب فوائد منها أن كل حيوان أنثى إذا تعسرت ولادتها تنظر إلى القطب وإلى سهيل تضع فى الحال (ومنها) أن من انقطعت عنه شهوة الباه من غير شرب دواء يداوم النظر إلى القطب الجنوبى فى ليال متوالية ترجع إليه شهوته (ومنها) أن صاحب الثآليل إذا أخذ بعدد كل ثؤول ورقة من شجر الغرب ويومئ إلى سهيل وإلى القطب ويقول هذا لقلع الثآليل حتى يقول اثنين وأربعين مرة إما فى ليلة واحدة أو فى ليال ثم يدق الورق فى هاون اسفيدوز ويجعله على الثآليل فإنها تجف وتنفرك وزعموا أنها من الخواص العجيبة المجربة (ومنها) أن صاحب المالخوليا إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل مرة بعد أخرى أو فى ليلة مرات يزول عنه ذلك وزعموا أنهم جربوه فوجدوه صحيحا (ومنها) أن النظر إلى هذا القطب وسهيل يحدث للإنسان طربا وسرورا ولهذا صنف الزنج مخصوصون بمزيد الطرب لأنهم متقاربون من مدار القطب وسهيل (ومنها) أن صاحب الظفرة فى العين إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل تزول ظفرته وذلك بأن يديم النظر إلى القطب وسهيل ويحدق النظر إليهما ويكون

النظر موالياً أوله ليلة الثلاثاء ولا يقطعه إلا أن تزول الظفرة فإنها تذهب إلى تمام اثنين وأربعين أو تسع وأربعين

﴿ كوكبة الشجاع ﴾

كواكبه خمسة وعشرون كوكباً في الصورة واثنان خارجها رأسه على زبانى الجنوبى من صورة السرطان وهى بين الشعرى الغميصاء وقلب الأسد يميل عنهما إلى الجنوب ميلا يسيرا ثم ينعطف إلى كوكب نير على آخر عقدته عند منشأ الظهر فوقه أربع كواكب على شمال النير والعرب تسمى الذى على آخر العنق الفرد لانفراده عن أشباهه وأما سائر كواكب الشجاع فعن العرب فيها روايات كثيرة لا طائل تحتها

﴿ كوكبة البلطية ﴾

هى سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع والعرب تسمى هذه الكواكب المتلف

﴿ كوكبة الغراب ﴾

هى سبع كواكب خلف البلطية على جنوب السماك الأعزل والعرب تسمى هذه الكواكب عجز الأسد وتسميها أيضا عرش السماك الأعزل وتسميها أيضاً الاحمال

﴿ كوكبة قطورش ﴾

هي سبعة وثلاثون كوكبا وصورته صورة حيوان مقدمه مقدم إنسان من رأسه إلى آخر ظهره ومؤخره

﴿ خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو السادس فخلع كما سيأتى ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد الفاسق كان أبوه حين احتضر عهد بالأمر إلى هشام أخيه بأن يكون العهد من بعده لولده الوليد بن يزيد فلما مات هشام بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام وهو إذ ذاك بالبرية فارّاً من عمه هشام لأنه كان بينه وبين عمه منافسة لأجل استخفافه بالدين وشربه الخمر واشتهاره بالفسق فهمّ هشام بقتله ففر منه وصار لا يقيم بأرض خوفا من هشام فلما كانت الليلة التى قدم عليه البريد فى صبيحتها بالخلافة قلق تلك الليلة قلقا شديدا فقال لبعض أصحابه ويحك إنه قد أخذنى الليلة قلق فاركب بنا حتى ننبسط فسارا مقدار ميلين وهما يتحدثان فى أمر هشام وما يتعلق به من كتبه إليه بالتهديد والوعيد ثم نظر افرأيا من بعد رهجا وصوتا ثم انكشف ذلك عن بريد يطلبونه فقال لصاحبه ويحك إن هذه رسل هشام اللهم اعطنا خيرهم فلما قرب البرد منهما وأثبتوا الوليد معرفة ترجلوا وجاؤا فسلموا عليه بالخلافة فبهت وقال ويحكم أمات هشام قالوا نعم ثم أعطوه الكتب فقرأها وسار من فوره إلى دمشق فأقام فى الخلافة سنة واحدة ثم أجمع أهل دمشق على خلعه وقتله لاشتهاره بالمنكرات وتظاهره بالكفر والزندقة قال الحافظ ابن عساكر وغيره انهمك الوليد فى شربه الخمر ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنين وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشى بالدف وكان قد انتهك محارم الله تعالى حتى قيل له الفاسق وكان أكمل بنى أمية أدبا وفصاحة وظرفا وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث وكان جواداً مفضالا ومع ذلك لم يكن فى بنى أمية أكثر إدمانا للشراب والسماع منه ولا أشد مجونا وتهتكا واستخفافا بأمر الامه من الوليد بن يزيد يقال إنه واقع جارية له وهو سكران وجاءه المؤذنون يؤذنونه بالصلاة فخلف أن لا يصلى بالناس إلا هى فلبست ثيابه وتنكرت وصلت بالمسلمين وهى جنب سكرى ويقال إنه اصطنع بركة من خمر وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وشرب منها حتى يبين النقص فى أطرافها وحكى الماوردى فى كتاب أدب الدنيا والدين عنه أنه تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده اه وسيأتى هذا أيضا إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة فى الكلام على الطيرة فى لفظ الطير وأخباره فى مثل هذا كثيرة مشهورة فى كتب التواريخ فلا نطيل بذكرها وقد جاء فى الحديث ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر من فرعون فتأوله العلماء الوليد بن يزيد هذا ولما خلعه أهل دمشق بايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقال من أحضر رأس الوليد فله مائة ألف درهم وكان الوليد بالبحوة فحصره أصحاب يزيد فهمّ أصحاب الوليد بالقتال فنهاهم عن ذلك فانفضوا من حوله ثم دخلوا عليه فى قصره فقال يوم كيوم عثمان فقيل له ولا سواء فقطع رأسه وطيف به فى دمشق ونصب على قصره ثم على أعلى سور دمشق ولما قتل الوليد اضطربت البلاد واستنصر على بنى أمية أعداؤهم ولم تقم لهم قائمة بعده وقتل فى جمادى الأولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت خلافته سنة واحدة وقيل سنة وشهران وكان من أجمل الناس وأحسنهم وأقواهم وأجودهم شعرا وكان فاسقاً مشتهراً منهمكا متهتكا فقاموا عليه لفسقه وارتكابه القبائح فخرج عليه تدينا ابن عمه يزيد بن عبد الملك بن الوليد الملقب بالناقص وتغلب على دمشق وكان الوليد بناحية تدمر فى الصيد فجهز يزيد عسكراً فحاربه إلى أن أحاطوا به

بحصن البحرة من أرض تدمر ثم تسوروا عليه وذبحوه وأتوا برأسه على رمح ثم نصبوه على سور دمشق

﴿ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ﴾

ثم قام بالأمر بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه الوليد بن يزيد وهو أول خليفة كانت أمه أمة وكان بنو أمية يتحرزون ذلك تعظيما للخلافة ولما سقط إليهم أن ملكهم يزول على يد خليفة أمه أمة وكانوا يتخوفون من ذلك إلى أن تولى الخلافة الوليد بن يزيد فعلموا أن ملكهم قد انقضى وكان يزيد يسمى الناقص وإنما سمى بذلك لأنه نقص أعطيات الناس وردهم إلى ما كانوا عليه أيام هشام وقيل لنقصان كان في أصابع رجليه وأول من سماه بهذا مروان ابن محمد وأقام يزيد في الخلافة والأمور مضطربة عليه وكان مظهراً للنسك وقراءة القرآن وأخلاق عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وكان ذا دين وورع إلا أنه لم يمتنع وبغتته المنية توفي في ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وهو ابن أربعين سنة وقيل ست وأربعين وقال الشافعي رحمه الله تعالى ولي يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وكانت خلافته خمسة أشهر ونصفا وقيل ستة أشهر والله أعلم.

﴿ خلافة إبراهيم بن الوليد ﴾

ولما مات يزيد بويع أخوه إبراهيم بن الوليد بعهد من أخيه يزيد بن الوليد ولم يثبت له أمر فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة وجمعة بالإمارة وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة وما زالت الأمور مضطربة عليه إلى أن قتله مروان بن محمد وصلبه وكانت ولايته شهرين وعشرة أيام وفي هذا نظر لأن مروان بن محمد بن مروان الحمار لما سمع بمبايعته وكان نائبا على أذربيجان وتلك النواحي وصاحب الفتوحات سار لحينه ودعا إلى نفسه وقدم الشام فجهزله إبراهيم بن الوليد أخويه بشرا ومسرورا فالتقوا وانتصر عليهم مروان فزحف حتى نزل مرج عذراء فبرز إليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فانكسر فبرز إليه الخليفة إبراهيم بن الوليد وعسكر بظاهر دمشق فخذله جنده وخامروا عليه بعد أن أنفق عليهم الخزائن فاختفى أمرهم فبايع الناس مروان واستوثق له الأمر فظهر إبراهيم ودخل عليه ونزل له عن الخلافة.

﴿ خلافة مروان بن محمد ﴾

ولما قتل إبراهيم بن الوليد بويع لمروان بن محمد المنبوذ بالحمار بالخلافة وفي أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة وظهر السفاح بالكوفة وبويع له بالخلافة وجهز عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم لقتال مروان بن محمد فالتقى الجمعان بالزاب زاب الموصل واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم مروان وقتل من عسكره وغرق ما لا يحصى وتبعه عبد الله إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقي جماعة من بني أمية وكانوا نيفا وثمانين رجلا فقتلهم عن آخرهم ثم أمر عبد الله بسحبهم فسحبوا وبسط عليهم بساطا وجلس هو وأصحابه فوقهم واستدعى بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم فقال عبد الله يوم كيوم الحسين ولا سواء ثم جهز السفاح عمه صالح بن علي على طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله وقد نازل دمشق ففتحها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ونقض عبد الله سورها حجرا حجرا وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح وقتل مروان بأبي صير قرية من قرى الصعيد كما سيأتي في باب الهاء في لفظ الهر وكان قد عزم على الدخول إلى الحبشة فبيتوه فقال حين قتل انقرضت دولتنا وكان بطلا شديدا شجاعا مهابا ذا هيئة أبيض ربعة أشهل ضخما كث اللحية وكان حازما سائسا وتمزقت بموته دولة بني أمية وكان قتل مروان الجعدي في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة وكانت

المغرب وبيده شمراخان وقد قبض بيده الأخرى على يد السبع وعلى بطن الدابة نير يسمى بطن وعلى حافر يده اليمنى كوكب حضار وعلى يده الأخرى الوزن وهما اللذان يسميان المخلفين كما ذكرنا قبل (كوكبة السبع) وهي تسعة عشر كوكبا من الصورة خلف كوكبة قيطورش وبعضها مختلط بكوكبة قيطورش وقد قبض قيطورش على يده والعرب تسمي كوكبة قيطورش والسبع الشماريخ الجملة لكثرتها وكثافة جمعها وليس حولها شيء من الكواكب المرصودة (كوكبة المجرة) كواكبها سبعة في الصورة ولم يقع عن العرب شيء في هذه الكواكب (كوكبة الإكليل الجنوبي) وهي ثلاثة عشر كوكبا في الصورة قدام الاثنين اللذين على عرقوب الرامي فمن العرب من يسمي هذه الكواكب القبة لاستدارتها ومنهم من يسميها أدحي النعام وهو عشه لأنها على جنوب النعامين الصادر والوارد اللذين قد مضى ذكرهما (كوكبة الحوت الجنوبي) وهي أحد عشر كوكبا في الصورة على

جنوب كواكب الدال وقد تمت الكواكب الثابتة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

﴿فصل﴾ فى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بواحد منها من مستهله إلى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستسر واستساره محاقه حتى لايرى منه شيء فإن كان الشهر تسعا وعشرين استسر ليلة ثمان وعشرين وإن كان ثلاثين استسر ليلة تسع وعشرين وهو فى السرار يقطع منزله فهذه المنازل الثمانية والعشرون يبدو منها أبدا أربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبه والعرب تسمى أربعة عشر من هذه المنازل شامية وأربعة عشر يمانية فأول الشامية الشرطين وآخرها السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشا والعرب تسمى سقوط النجم فى الغرب وطلوع مقابله مع الفجر نوأ وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يوما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوما فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر

رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب ويسمى النير الذى على فمه فم الحوت.

خلافته خمس سنين قيل وشهرين وعشرة أيام وهو آخر خلفاء بنى أمية وهم أربعة عشر خليفة أولهم معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وآخرهم مروان الجعدى المنبوذ بالحمار وكانت مدة خلافتهم نيفا وثمانين سنة وهى ألف شهر ولما انقضت دولتهم علم ماقال الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما لما قيل له تركت الخلافة لمعاوية فقال ليلة القدر خير من ألف شهر وبدولة مروان اختل النظام فى أن كل سادس يخلع لأن العدة لم تكمل لأن الوليد بن يزيد المخلوع لم يل بعده من بنى أمية سوى ثلاثة يزيد بن الوليد ابن عبد الملك ثم أخوه إبراهيم ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وبه انقرضت دولة بنى أمية وجاءت الدولة العباسية ثبتها الله إلى قيام الساعة.

## ﴿الدولة العباسية﴾

### ﴿خلافة أبى العباس السفاح﴾

قال المؤرخون ولما أتى الله تعالى بالدولة العباسية كان أولهم السفاح وهو أبو العباس عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الهاشمى بويع له بالخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الأول واستوزر أبا سلمة حفصا الخلال وهو أول من لقب بالوزير واستمر اللقب لمن بعده إلى زمن الصاحب بن عباد وإنما سمى بالصاحب لأنه صحب ابن العميد واستمر على هذا الوزراء بعده إلى زمننا قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى وغيره إن السفاح خطب يوما فسقطت العصا من يده فتطير بذلك فقام شخص من أصحابه ومسح العصا وناوله إياها وأنشد

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

فسرى عنه وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه نظر يوما فى المرآة وكان من أجمل الناس وجها فقال اللهم إنى لاأقول كما قال سليمان بن عبد الملك ولكنى أقول اللهم عمرنى طويلا فى طاعتك متمتعا بالعافية قال فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لغلام آخر الأجل بينى وبينك شهران وخمسة أيام فتطير من كلامه وقال حسبى الله ولاحول ولاقوة إلا بالله عليه توكلت وبه استعنت فما مضت الأيام المذكورة حتى أخذته الحمى فمرض ومات بعد شهرين وخمسة أيام بالجدرى بالأنبار بمدينته التى بناها وسماها الهاشمية وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وكان أبيض مليحا جميلا حسن اللحية والهيئة.

### ﴿خلافة أبى جعفر المنصور﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد المنصور بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه بعهد منه وكان السفاح قد ولاه أمرة الحج فأتته الخلافة بمكان يعرف بالصافية فقال صفا أمرنا إن شاء الله تعالى فيبايعه الناس وحج بهم فلما رجع ودخل الهاشمية بايعه الناس البيعة العامة وأنه حج ثانيا فلما قرب من مكة رأى على جدار سطرين مكتوبين وهما.

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * لك اليوم من ريب المنية دافع

فلما قرأهما تيقن انقضاء أجله فمات بعد ثلاثة أيام وكان قد رأى فى نومه قبل موته قائلا يقول

كأنى بهذا القصر قد باد أهله * وعرى منه أهـــله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة * إلى جدث تبنى عليه جنادله

وكانت وفاته فى سنة ثمان وخمسين ومائة ببئر ميمونة على أميال من مكة وهو محرم بالحج وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما وأمه بربرية وكان طويلا أسمر نحيفا خفيف اللحية رحب الجبهة كأن عينيه لسانان ناطقان صارما مهيبا ذا جبروت وسطوة وحزم ورأى وشجاعة وكمال عقل ودهاء وعلم وفقه وخبرة بالأمور تقبله النفوس وتهابه الرجال وكان يخلط أبهة الملك بزى النسك وكان بخيلا بالمال إلا عند النوائب .

﴿خلافة محمد المهدى﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو عبد الله المهدى بالله بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المنصور بعهد منه وهو يومئذ ببغداد ثم بويع له بها لإحدى عشرة من ذى الحجة البيعة العامة وتوفى بقرية من قرى ماسبذان ساق خلف صيد فدخل خربة فدق ظهره باب الخربة من قوة سوق الفرس فتلف لوقته وقيل بل سمته جاريته قيل إنها جعلت السم فى طعام لضرتها فدخل ومد يده فأكل فما جسرت أن تقول له مسموم وكانت وفاته لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يوجد له نعش يحمل عليه فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز وله اثنتان وأربعون سنة ونصف وقيل ثلاث وأربعون سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وكان جواداً ممدوحا محببا إلى رعيته حسن الخلق يقال إن أباه خلف فى الخزائن مائة ألف ألف درهم وستين ألف ألف درهم ففرقها ويقال إنه أجاز شاعراً بمائة ألف درهم .

﴿خلافة موسى الهادى﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه موسى الهادى بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وكان مقيما بجرجان يحارب أهل طبرستان بويع له بماسبذان ثم أخذ له أخوه الرشيد البيعة ببغداد وبعث إليه يعزيه فى والده ويهنيه بالخلافة فقدم بغداد على خيل البريد فتلقاه الناس وبايعوه ثم عزم على خلع أخيه الرشيد من ولاية العهد فعاجله القضاء وحال بينه وبين مراده وكانت وفاة الهادى ببغداد رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وله أربع وعشرون سنة وقيل نحو من خمس وعشرين سنة بقرحة أصابته وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة وأربعين يوما وقيل سنة وشهرين وكان طويلا مليحا جسيما ذا ظلم وجبروت سامحه الله تعالى .

﴿خلافة هرون الرشيد﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه هرون الرشيد بن محمد المهدى وكان أبوهما قد أخذ لهما ولاية العهد معا بويع له بالخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه وولد له فى تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولد فيها خليفة وولى فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد يحيى بن خالد بن برمك وزارته وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى لفظ العقاب إيقاع الرشيد بالبرمكة وقتله جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وتخليد يحيى وولده الفضل فى السجن إلى أن مات وسبب ذلك مبينا إن شاء الله ✲

ومن غريب ما اتفق لهرون الرشيد أن أخاه موسى الهادى لما ولى الخلافة سأل عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه المهدى فبلغه أن الرشيد أخذه فطلبه منه فامتنع من إعطائه فألح عليه فيه فخنق عليه الرشيد ومر على جسر بغداد فرماه فى الدجلة فلما مات الهادى وولى الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص فرماه فى ذلك المكان وأمر الغطاسين أن يلتمسوه ففعلوا فاستخرجوا الخاتم الأول فعد ذلك من سعادة الرشيد وإبقاء ملكه ونظير هذا ما حكاه ابن الأثير فى حوادث سنة ستين وخمسمائة قال لما فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة بانياس وأخذها من الفرنج

إلى الأول فى ابتداء السنة المستقبلة وما كان فى هذه الثلاثة عشر يوما من مطر أو ريح أو حر أو برد فهو من نوء ذلك النجم الساقط عند الحكماء ولهم أقوال طويلة فى أحكام نزول النيرين فأول هذه المنازل (الشرطين) يقال لها قرنا الحمل ويسميان الناطح وبينهما فى رأى العين قاب قوسين وهذه صورتهما ٥٥ إذا حلت الشمس بهما اعتدل الزمان واستوى الليل والنهار وطلوعهما الستة عشرة ليلة تخلو من نيسان وسقوطهما لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول وحلول الشمس بهما لعشرين ليلة تخلو من إدار وكلما نزلت الشمس الشرطين فقد مضت سنة وإنما سميا شرطين لأنهما علامة دخول أول السنة وفى نوء الشرطين يطيب الزمان وتكثر المياه وتنعقد الثمار ويحصل الشعير ورقيب الشرطين الغفر (البطين) يقال له بطن الحمل وهو ثلاث كواكب خفية كأنها أثافى وهو بين الشرطين والثريا وهذه صورته ٥ ٥ ٥

وطلوعه لليلة تبقى من نيسان وسقوطه لليلة تبقى من تشرين الأول وعند سقوطه يرتج البحر فلا تجرى فيه جارية ويذهب الحداء والرخم والخطاطيف إلى الغور ويستكن النمل

وتقول العرب إذا طلع البطين فقد اقتضى الدين وحكى ابن الأعرابى أنهم يقولون ما أتى البطين والدبران أو أحدهما وكان لنوئه مطر إلا كاد أن يكون ذلك العام جديبا وقالوا إنه أشر الأنواء وأقلها مطرا وفى نوئه يجف العشب ويتم حصاد الشعير ويأتى أول حصاد الحنطة ورقيب البطين الزبانا (الثريا) ويقال له النجم وهو أشهر هذه المنازل وهى ستة أنجم

٥ ٥

وهذه صورتها ٥ ٥

٥ ٥

وفى خلالها نجوم كثيرة خفية والعرب تقول إن طلع النجم غديه ابتغى الراعى كسيه وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار وسقوطها لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الآخر والثريا تظهر فى المشرق عند ابتداء البرد ثم ترتفع فى كل ليلة حتى تتوسط السماء مع غروب الشمس وفى ذلك الوقت أشد ما يكون البرد ثم تنحدر عن وسط السماء فتكون فى كل ليلة أقرب من أفق المغرب إلى أن يهل الهلال معها ثم تمكث يسيرا وتغيب نيفا وخمسين ليلة وهذا المغيب هو استسرارها ثم تبدو بالغداة من المشرق فى قوة الحر وقال النبى ﷺ إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شىء أراد

ملأها ذخائر وعدة ورجالا ثم عاد إلى دمشق وفى يده خاتم بفص ياقوت قيمته ألف ومائة دينار فسقط من يده فى شجرة نياس وهى كثيرة الأشجار ملتفة الأغصان فلما بعد عن المكان الذى ضاع فيه الخاتم علم به فأعاد بعض أصحابه فى طلبه ودلهم على مكانه وقال أظنه هناك سقط فرجعوا إليه فوجدوه انتهى وكان الرشيد مع عظم ملكه يعتريه خوف الله تعالى فمن ذلك ما ذكر الإمام العلامة محمد بن ظفر وغيره أن خارجيا خرج عليه فقتل أبطاله وانتهب أمواله مرارا ثم إنه جهز إليه مرة جيشا كثيفا فقاتلوه فغلبوه بعد جهد وأمسكوه وأتوا به الرشيد فجلس مجلسا عاما وأمر بإدخاله عليه فلما مثل بين يديه قال له يا هذا ما تريد أن أصنع بك قال ما تريد أن يصنع الله بك إذا وقفت بين يديه فعفا عنه وأمر بإطلاقه فلما خرج قال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين رجل قتل أبطالك وانتهب أموالك تطلقه بكلمة واحدة تأمل هذا الأمر فإنه يجرئ عليك أهل الشر فقال الرشيد ردوه فعلم الرجل أنه قد تكلم فى أمره فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم فلو أطاع الله فيك الناس ما ولاك طرفة عين قال صدقت ثم أمر له بصلة وصرفه وسيأتى إن شاء الله تعالى ما اتفق له مع الفضيل بن عياض وسفيان الثورى فى باب الباء الموحدة والفاء وتوفى الرشيد فى سنة ثلاث وتسعين ومائة بطوس ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة وهو ابن سبع وأربعين سنة وقيل خمس وأربعين وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وقيل ثلاثا وعشرين فقط وولد بالرى وكان جوادا ممدوحا غازيا مجاهدا شجاعا مهيبا مليحا أبيض طويلا عبل الجسم قد وخطه الشيب يقال إنه منذ استخلف كان يصلى كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله بألف درهم وكان له معرفة جيدة بالعلوم .

﴿خلافة محمد الأمين وهو السادس نخلع وقتل كما سيأتى﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد الأمين بويع له بالخلافة يوم توفى والده بطوس واستناب أخاه المأمون على ممالك خراسان وهو إذ ذاك ببغداد فورد بها عليه خاتم الخلافة والبردة والقضيب ثم بويع له بها البيعة العامة وفى سائر الآفاق وكان الرشيد قد جدد البيعة بطوس بولاية العهد لابنه المأمون بعد الأمين وأشهد على نفسه أن جميع ما معه من مال وسلاح وغير ذلك للمأمون وأوصى أن يكون ما معه من الجيوش مضمومين إليه بخراسان فلما مات الرشيد نادى الفضل بن الربيع فى عسكر الرشيد بالرحيل إلى بغداد وخالف وصية الرشيد فعظم ذلك على المأمون وكتب إلى الفضل يذكره العهود التى أخذها عليه الرشيد ويحذره البغى ويسأله الوفاء فلم يلتفت الفضل إليه فكان هذا الأمر سبب ابتداء الوحشة بين الأمين والمأمون وذكر أبو حنيفة فى الأخبار الطوال وغيره عن الكسائى أنه قال إن الرشيد ولانى تأديب الأمين والمأمون فكنت أشد عليهما فى الأدب وآخذهما به أخذا شديدا وخاصة الأمين فأتتنى ذات يوم خالصة جارية زبيدة وقالت يا كسائى إن السيدة تقرأ عليك السلام وتقول لك حاجتى إليك أن ترفق بابنى محمد فانه قرة عينى وثمرة فؤادى وأنا أرق عليه رقة شديدة فقلت لخالصة إن محمدا مرشح للخلافة بعد أبيه ولا يجوز التقصير فى أمره فقالت خالصة أن لرقة هذه السيدة سببا أنا أخبرك إياه إنها فى الليلة التى ولدته فيها رأت فى منامها كأن أربع نسوة أقبلن إليه فاكتنفنه عن يمينه وشماله وأمامه ووراءه فقالت التى بين يديه ملك قليل العمر عظيم الكبر ضيق الصدر وهى الأمر كبير الوزر شديد الغدر وقالت التى من ورائه ملك قصاف مبذر متلاف قليل الإنصاف كثير الإسراف وقالت التى عن يمينه ملك عظيم الطغم قليل الحلم كثير الإثم قطوع للرحم وقالت التى عن يساره ملك غدار كثير العثار سريع الدمار ثم بكت خالصة وقالت يا كسائى وهل ينفع الحذر من القدر ثم إن المأمون خلع الأمين من الخلافة

وجهز لقتاله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين فسار إليه وحاصراه ببغداد بعد حروب كثيرة وتراموا بالمجانيق وجرت بينهم وقائع فى أيام متعددة وعظم الأمر واشتد البلاء حتى خرب بسبب ذلك منازل المدينة ووثب العيارون على أموال الناس فانتهبوها وأقام الحصار مدة سنة فتضايق الأمر على الأمين وفارقه أكثر أصحابه وكتب طاهر إلى وجوه أهل بغداد سرا يعدهم إن أعانوه ويتوعدهم إن لم يدخلوا فى طاعته فأجابوه وصرحوا بخلع الأمين وتفرق عنه أكثر من معه فالتجأ إلى مدينة أبى جعفر فحاصره طاهر بها ومنعه من كل شىء حتى كادهو وأصحابه يموتون جوعا وعطشا فلما عاين الأمين ذلك كاتب هرثمة بن أعين وطلب منه أن يؤمنه حتى يأتيه فأجابه إلى ذلك فبلغ ذلك طاهرا فشق عليه كراهية أن يظهر الفتح لهرثمة دونه فلما كان يوم الخميس لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة خرج الأمين إلى هرثمة فلقيه هرثمة فى حراقة فركب الأمين معه وكان طاهر قد أكمن للأمين فلما صار الأمين فى الحراقة خرج عليه كمين طاهر ورموا الحراقة بالحجارة فغرق من فيها فشق الأمين ثيابه وسبح إلى بستان فأدركوه وأخذوه وحملوه على برذون وأتوا به طاهرا فبعث إليه جماعة وأمرهم بقتله فهجموا عليه وبأيديهم السيوف فركبوا عليه وذبحوه من قفاه وأخذوا رأسه وأتوا به طاهرا فأمر بنصبه فلما رآه الناس سكنت الفتنة ثم جهزه طاهر إلى المأمون وصحبته خاتم الخلافة وبردة رسول الله ﷺ وقضيبه فلما وضع الرأس بين يديه خر ساجدا شكرا لله تعالى على ما رزقه من الظفر وأمر للرسول بألف ألف درهم وذكر عن الأصمعى أنه قال دخلت على الرشيد وكنت قد غبت عنه بالبصرة حولا فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلى بالجلوس قريبا منه فجلست قليلا ثم نهضت فأومأ إلى أن أجلس فجلست حتى خف الناس ثم قال لى يا أصمعى ألا تحب أن ترى محمدا وعبد الله ابنى قلت بلى يا أمير المؤمنين إنى لأحب ذلك وما أردت القصد إلا إليهما لأسلم عليهما فقال يكفى ذلك ثم قال على بمحمد وعبد الله فانطلق الرسول إليهما وقال أجيبا أمير المؤمنين فأقبلا كأنهما قمران أفق قد قاربا خطاهما ورميا ببصرهما الأرض حتى وقفا على أبيهما فسلما عليه بالخلافة فأومأ إليهما بالجلوس فجلس محمد عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم أمرنى بمطارحتهما الأدب فكنت لا ألقى عليهما شيئا من فنون الأدب إلا أجابا فيه وأصابا فقال كيف ترى أدبهما قلت يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما فى ذكائهما وجودة فهمهما وذهنهما فأطال الله تعالى بقاءهما ورزق الأمة من رأفتهما ومعطفتهما فضمهما إلى صدره وسبقته عبرته فبكى حتى تحدرت دموعه لحيته ثم أذن لهما فى القيام فنهضا حتى إذا خرجا قال يا أصمعى كيف بهما إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويود كثير من الأحياء أنهم كانوا موتى قلت يا أمير المؤمنين هذا شىء قضى به المنجمون عند مولدهما أو شىء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء فى أمرهما وكان المأمون يقول فى خلافته كان الرشيد سمع جميع ما يجرى بيننا من موسى بن جعفر ولذلك قال ما قال وذكر صاحب عيون التواريخ وغيره أن المأمون مر يوما على زبيدة أم الأمين فرآها تحرك شفتيها بشىء لا يفهمه فقال لها يا أماه أتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه فقالت لا والله يا أمير المؤمنين قال فما الذى قلته قالت يعفينى أمير المؤمنين فألح عليها وقال لابد أن تقوليه قالت قلت قبح الله الملاحة قال وكيف ذلك قالت لأنى لعبت يوما مع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضا فغلبنى فأمرنى أن أتجرد من أثوابى وأطوف القصر عريانة فاستعفيته فلم يعفنى فتجردت من أثوابى وطفت القصر عريانة وأنا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته أن يذهب إلى المطبخ فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فيه فاستعفانى من ذلك فلم أعفه فبذل لى خراج مصر والعراق فأبيت

وهو خير نجوم الوسمى لأن مطره فى الوقت الذى فقدت الأرض فيه الماء فإذا طلعت الثريا ارتج البحر واختفت الرياح وسلط الله الجن على المياه وقال ﷺ من ركب البحر بعد طلوع الثريا فقد برئت منه الذمة وفى نوء الثريا تتحرك الرياح ويشتد الحر ويدرك التفاح والمشمش ويجف العشب وفى آخره يمد النيل ويكثر اللبن ورقيب الثريا الإكليل (الدبران) وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع النجم وسمى دبرانا لاستدباره الثريا وهذه صورته

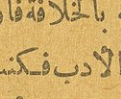

ونوؤه غير محمود والعرب تتشاءم به وطلوعه لست وعشرين ليلة من إيار وسقوطه لستة وعشرين ليلة من تشرين الأول قال الساجع إذا طلع الدبران يبست الغدران وفى نوئه يشتد الحر وهو أول البوارح وتهب السمائم ويسود العنب ورقيب الدبران القلب (الهقعة) هى رأس الجوزاء وهى ثلاثة كواكب صغار تشبه الأثافى وهذه صورتها

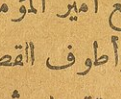

وإنما سميت هقعة تشبيها بعرض زور الفرس الذى يقال له الهقعة وتطلع لتسع خلون من خزيران وتسقط لتسع خلون

وقلت والله لتفعلن ذلك فأبى فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به للمطبخ فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل فأمرته أن يطأها فوطأها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون وهو يقول لعن الله الملاحة أى التى ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر * وقتل الأمين وهو ابن ثمان وعشرين سنة وقيل سبع وعشرين وكان طويلا أبيض بديع الحسن وكانت خلافته أربع سنين وثمان شهور وقيل ثلاثة أعوام وأياما لأنه خلع فى رجب سنة ست ومن حسب له إلى موته فخلافته خمس سنين خلا أشهرا وكان مبذرا للأموال لعابا لا يصلح للخلافة وكان مشتغلا باللهو والقصف والإقبال على اللذات فقال فيه بعضهم من أبيات :

إذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والخرب
أما ترى الشمس فى الميزان هابطة * لما غدا وهو برج اللهو والطرب

﴿ خلافة عبد الله المأمون ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه عبدالله المأمون بويع له بالخلافة البيعة العامة صبيحة الليلة التى قتل فيها الأمين بإجماع من الأمة على ذلك خلافا كان من أمير الأندلس فإنه كان والأمراء قبله وبعده لم يتقيدوا بطاعة العباسيين لبعد الديار قال فى الأخبار الطوال كان المأمون شهما بعيد الهمة أبى النفس وكان نجم بنى العباس فى العلم والحكمة وكان قد أخذ من العلوم بقسط وضرب فيها بسهم وهو الذى استخرج كتاب إقليدس وأمر بترجمته وتفصيله وعقد المجالس فى خلافته للمناظرة فى الأديان والمقالات وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل البصرى المعتزلى الذى يقال له العلاف وستأتى الإشارة إليه فى باب الباء الموحدة فى لفظ البرذون وفى أيامه ظهر القول بخلق القرآن وقال غيره إن القول بخلق القرآن ظهر فى أيام الرشيد وكان الناس فيه بين أخذ وترك إلى زمن المأمون فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلق القرآن عاقبه أشد عقوبة وكان الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه إمام أهل السنة من الممتنعين من القول بخلق القرآن فحمل إلى المأمون مقيدا فمات المأمون قبل وصوله إليه وسيأتى ذكر محنته فى خلافة المعتصم وقالوا دخل المأمون بلاد الجزيرة والشام وأقام بها مدة طويلة ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وأبلى بلاء حسنا وتوفى بنهر بردى لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب وقيل لثمان مضين منه سنة ثمان عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة وقيل تسع وثلاثين والأول أصح ثمان وأربعين وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر ودفن بطرسوس قال ابن خلكان كان المأمون عظيم العفو جوادا بالمال عارفا بالنجوم والنحو وغيرهما من أنواع العلوم خصوصا علم النحو وكان يقول لو يعلم الناس ما أجد فى العفو من اللذة لتقربوا إلى بالذنوب وقال غيره إنه لم يكن فى بنى العباس أعلم من المأمون وكان يشتغل بعلم النجوم كثيرا وفى ذلك يقول الشاعر:

هل علوم النجوم أغنت عن المأ * مون شيئا أو ملكه المأنوس
خلفوه بساحتى طرسوس * مثلما خلفوا أباه بطوس

وكان أبيض مليح الوجه مربوعا طويل اللحية دينا عارفا بالعلم فيه دهاء وسياسة .

﴿ خلافة أبى إسحاق إبراهيم المعتصم ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم المعتصم بن هارون الرشيد بويع له بالخلافة يوم موت أخيه بعهد منه فأمر بهدم ما بنوا من طوانة وغزا عمورية وأناخ عليها وحاصرها حصارا شديدا ولم يكن فى بنى العباس مثله فى القوة والشجاعة والإقدام قيل إنه أصبح ذات يوم برد عظيم وثلج فلم يقدر

من كانون الأول ونوؤها لا يكادون يذكرون إلا بنوء الجوزاء والعرب تقول إذا طلعت الهقعة رجع الناس عن النجعة وفى نوئها ما يدرك البطيخ وسائر الفواكه ويشتد الحر ويكثر هبوب السمائم ورقيب الهقعة الشولة ( الهنعة ) هى كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط فى المجرة وهذه صورتها ٥٥ ويقال لأحد الكوكبين الزر والآخر النيسان وثلاثة تحيط بهما فجموعها خمسة أربعة متتابعة إلى جانب وواحد فى جهة العرض على هيئة الألف الكوفى وطلوع الهنعة لاثنين وعشرين ليلة تخلو من حزيران وسقوطها لاثنين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول ونوؤها من أنواء الجوزاء وتقول العرب إذا طلعت الجوزاء كسب الصبا وفى نوئها انتهاء شدة الحر وإدراك الرطب والتين وتغيير المياه ورقيب الهنعة النعائم ( الذراع ) وهو ذراع الأسد المقبوضة وللأسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمبسوطة تلى اليمن والمقبوضة تلى الشام وطلوعها لأربع ليال تخلو من تموز وسقوطها لأربع تخلو من كانون الآخر ونوؤها محمود قل ما يخلف وزعمت العرب أنه إذا لم يكن فى السنة مطر

أحد على إخراج يده ولا إمساك قوسه فأوتر المعتصم فى ذلك اليوم أربعة آلاف قوس ولم يزل يحاصرها حتى فتحها عنوة واحتوى على ما فيها من الأموال وغيرها وأخذ أهلها أسرى ولما ولى طلب الإمام أحمد وكان فى سجن المأمون كما تقدم وامتحنه بخلق القرآن كما سنذكره إن شاء الله تعالى وتلخيص ما كان من أمره أن هرون الرشيد لم يقل بخلق القرآن مدة خلافته ولهذا السبب كان الفضيل بن عياض يتمنى طول عمر الرشيد لأنه والله أعلم كان قد كشف له بأن فتنة تحدث بعد موت الرشيد ولم تحدث فى أيام خلافته فتنة ولكن كان الأمر فى زمن ولايته بين أخذ وترك كما قدمنا قريبا إلى أن ولى ابنه المأمون فقال بخلق القرآن وبقى يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى دعواه الناس إلى ذلك إلى أن قوى عزمه فى السنة التى مات فيها فحمل الناس على القول بخلق القرآن وكل من لم يقل بخلقه عاقبه أشد عقوبة وأنه طلب الإمام أحمد بن حنبل وجماعة فحمل إليه الإمام أحمد فلما كان ببعض الطريق توفى المأمون وعهد إلى أخيه المعتصم بالخلافة وأوصاه بأن يحمل الناس على القول بخلق القرآن واستمر الإمام أحمد محبوسا إلى أن بويع المعتصم فأحضر الإمام أحمد إلى بغداد وعقد له مجلسا للمناظرة وفيه عبد الرحمن بن إسحق والقاضى أحمد بن أبى دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام ولم يزل معهم فى جدال إلى اليوم الرابع فأمر بضربه فضرب بالسياط ولم يزل عن الصراط إلى أن أغمى عليه ونخسه عجيف بالسيف ورمى عليه بارية وديس عليه ثم حمل وصار إلى منزله وكانت مدة مكثه فى السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل بعد ذلك يحضر الجمعة والجماعات ويفتى ويحدث إلى أن مات المعتصم وولى الواثق فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة وقال للإمام أحمد لا تجتمعن إليك أحدا ولا تساكنى فى بلد أنا فيه فأقام الإمام أحمد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولى المتوكل فرفع المحنة وأمر بإحضار الإمام أحمد وإكرامه وإعزازه وأطلق له مالا كثيرا فلم يقبله وفرقه على الفقراء والمساكين وأجرى المتوكل على أهله وولده فى كل شهر أربعة آلاف درهم فلم يرض الإمام أحمد بذلك رحمه الله تعالى وذكر العراقى فى مجمع الأخبار وغيره أنه نوظر فى الأيام الثلاثة وأن المعتصم كان يخلو به ويقول له ويحك يا أحمد أنا والله عليك شفيق وإنى لأشفق عليك مثل شفقتى على ابنى هرون يعنى الواثق فأجبنى فوالله لئن أجبتنى لأطلقن غلك بيدى ولأطأن عتبتك ولأركبن إليك بجندى فيقول يا أمير المؤمنين أعطونى شيئا من كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله ﷺ فإذا طال به المجلس ضجر وقام ورد أحمد فى الموضع الذى كان فيه وتتردد إليه رسل المعتصم يقولون يا أحمد أمير المؤمنين يقول لك ما تقول فى القرآن فيرد عليهم كما رد أولا فلما كان فى اليوم الثالث طلب للمناظرة فأدخل على المعتصم وعنده محمد بن عبد الملك الزيات والقاضى أحمد بن أبى دؤاد فقال المعتصم كلموه وناظروه فلم يزالوا معه فى جدال إلى أن قالوا يا أمير المؤمنين اقتله ودمه فى أعناقنا فرفع المعتصم يده ولطم بها وجه الإمام أحمد فخر مغشيا عليه فتمعرت وجوه قواد خراسان وكان عم أحمد فيهم فخاف الخليفة منهم على نفسه فدعا بماء ورش على وجهه فلما أفاق من غشيته رفع رأسه إلى عمه وقال يا عم لعل هذا الماء الذى رش على وجهى غصب عليه صاحبه فقال المعتصم ويحكم أما ترون ما يتهجم به على هذا وقرابتى من رسول الله ﷺ رفعت السوط عنه حتى يقول القرآن مخلوق ثم التفت إلى أحمد وأعاد عليه القول فرد أحمد كالأول فلم يزل كذلك حتى ضجر وطال المجلس فعند ذلك قال عليك لعنة الله لقد كنت طمعت فيك قبل هذا خذوه اخلعوه اسحبوه فأخذوه سحب ثم خلع ثم قال المعتصم السياط قال الإمام أحمد وكان عندى شعرات من شعر النبى ﷺ قد صررتها فى كم قميصى فجاء

يخلف الذراع والعرب قد تقول إذا طلع الذراع ترقرق الشراب فى كل قاع وفى نوئها تشتد بوارح الصيف حرا وسموما وفيه يدرك الرمان ويحمر البسر ويقطع القصب النبطى ورقيب الذراع البلدة (النثرة) هى ثلاثة كواكب متقاربة وهى أنف الأسد وطلوعها لسبع عشرة ليلة من تموز وتسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر وتقول العرب إذا طلعت النثرة قناة البسرى أى اشتدت حمرتها وعند سقوط النثرة يجرى الماء فى العود ويصلح تحويل الفشيل وفى نوئها غاية شدة الحر وفيه سموم حارة حتى قيل إن فى نوئها كل يوم تظهر آفة تفسد شيئا من الزرع والثمار ورقيب النثرة سعد الذابح (الطرف) هو طرف الأسد وهما كوكبان صغيران مثل الفرقدين وطلوعه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليلة تبقى من كانون الثانى وتقول العرب إذا طلعت الطرفة كثرت الطرفة وعند ذلك قطاف أهل مصر وفى نوئه بوارح وسموم وفيه يؤكل الرطب ويقطف العنب ورقيب الطرف سعد بلع (الجبهة) هى جبهة الأسد وهى أربعة كواكب فيها عوج بين كل كوكبين فى رأى العين قيد سوط وهى

بعض القوم إلى قميصى ليحرقوه فقال له المعتصم لا تحرقوه وانزعوه عنه وإنما درئ عن القميص الحرق ببركة شعر النبى ﷺ وشد وايديه فتخلعت ولم يزل أحمد يتوجع منها حتى مات ثم قال المعتصم للجلادين تقدموا ونظر إلى السياط فقال ائتوا بغيرها ثم قال لأحدهم أذمه وأوجع قطع الله يدك فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ثم قال الآخر أذمه وشد قطع الله يدك فتقدم وضربه سوطين ثم تنحى ولم يزل يدعو رجلا رجلا فيضربه كل واحد سوطين ويتنحى ثم قام المعتصم وجاءه وهم محدقون به وقال يا أحمد تقتل نفسك أجبنى حتى أطلق غلك بيدى وجعل بعضهم يقول يا أحمد إمامك على رأسك قائم فأجبه وعجيف ينخسه بالسيف ويقول أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم وبعضهم يقول يا أمير المؤمنين اجعل دمه فى عنق فرجع المعتصم إلى الكرسى ثم قال للجلاد أذمه قطع الله يدك ثم جاء المعتصم إليه ثانيا وقال يا أحمد أجبنى فقال كالأول فرجع المعتصم وجلس على الكرسى ثم قال للجلاد شد عليه قطع الله يدك قال أحمد فذهب عقلى فما عقلت إلا وأنا فى حجرة مطلق عنى وكل ذلك وهو صائم لم يفطر رضى الله تعالى عنه وضرب ثمانية عشر سوطا فلما كان فى أثناء الضرب انحلت وزرته فهمهم بشفتيه فخرجت يدان فربطتاها فسئل عن ذلك بعد إطلاقه فقال قلت اللهم إن كنت على الحق فلا تفضحنى ثم وجه المعتصم رجلا ينظر الضرب والجراحات ويعالجه فنظر إليه وقال والله لقد رأيت من ضرب ألف سوط فما رأيت أشد ضربا من هذا ثم عالجه وبقى أثر الضرب بينا فى ظهره إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه وقال صالح سمعت أبى يقول والله لقد أعطيت المجهود من نفسى ولوددت أنى أنجو من هذا الأمر كفافا لا علىّ ولا لى * وحكى الشافعى رضى الله تعالى عنه لما كان بمصر رأى فى المنام سيد المرسلين ﷺ وهو يقول له بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن فلا يجيب إلى ذلك بل يقول هو منزل غير مخلوق فلما أصبح الشافعى رضى الله تعالى عنه كتب صورة ما رآه فى منامه وأرسله مع الربيع إلى بغداد إلى أحمد فلما وصل إلى بغداد قصد منزل أحمد واستأذن عليه فأذن له فلما دخل عليه قال له هذا كتاب أخيك الشافعى فقال له هل تعلم ما فيه قال لا ففتحه وقرأه وبكى وقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله ثم أخبره بما فيه فقال الجائزة وكان عليه قميصان أحدهما على جسده والآخر فوقه فنزع الذى على جسده ودفعه إليه فأخذه ورجع إلى الشافعى فقال له الشافعى ما أجازك قال أعطانى القميص الذى على جسده فقال أما أنا فلا أجعك فيه ولكن اغسله وائتنى بمائه فغسله وأتاه بالماء فأضافه على سائر جسده وقال إبراهيم الحربى جعل الإمام أحمد بن حنبل جميع من ضربه أو حضره أو ساعد عليه فى حل إلا ابن أبى دؤاد وقال لولا أنه ذو بدعة لأحللته ولو تاب من بدعته لأحللته وقال أحمد بن سنان بلغنا أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم فى حل يوم فتح بابل أو فتح عمورية وقال هو فى حل من ضربى قال عبد الله بن الورد رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت له يا رسول الله ما شأن أحمد بن حنبل فقال ﷺ سيأتيك موسى بن عمران فاسأله فإذا بموسى بن عمران ﷺ فقلت يا كليم الله ما شأن أحمد بن حنبل فقال أحمد بن حنبل بلى فى السراء والضراء فوجد صابرا صادقا فألحق بالصديقين والحكمة فى إحالة النبى ﷺ على موسى عليه السلام أمور منها بيان فضيلة أمة محمد ﷺ على الأمم حتى أن موسى عليه السلام يبين ذلك ويقرره ومنها بيان فضل الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه وما جعل له من الثواب العظيم فى المحنة لما جرى عليه حتى أنه شهد بعظيم فضله وعلو منزلته نبى كريم ومنها أن محنة الإمام أحمد فى كون القرآن مخلوقا وهو كلام الله تعالى وموسى بن عمران عليه السلام كليم الله تعالى كلمه الله تكليما وهو

الشمالى والجنوبى منها تسميه المنجمون قلب الأسد وطلوعها لأربع عشرة ليلة معترضة من الجنوب إلى تمضى من آب مع طلوع سهيل وسقوطه لاثنتى عشرة ليلة تخلو من شباط وعند سقوطها ينكسر حد الشتاء وتوجد الكمأة ويورق الشجر وتهب الرياح اللواقح وتقول العرب لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفعة ونوءها محمود يقال ما امتلأ واد من نوء الجبهة ماء إلا امتلأ عشيا وسهيل يطلع بالحجاز مع طلوع الجبهة ومع طلوعها يصير البسر رطبا وفى نوئها ينكسر البرد ويكبر الرطب ويسقط الطل ورقيب الجبهة سعد السعود (الزبرة) هى زبرة الأسد أى كاهلة وهى كوكبان نيران بينهما قيد سوط والزبرة شعر الأسد الذى ينزل عند الغضب وأحدهما أنور من الآخر وفيهما قليل عوج وطلوعهما لأربع ليال تخلو من آب وسقوطهما خمس ليال تخلو من شباط ويكون فى نوئها مطر شديد فإن أخلف قصر وعند طلوع الزبرة يرى سهيل بالعراق ويبرد الليل مع السموم بالنهار ورقيب الزبرة سعد الأخبية (الصرفة) هى كوكب واحد على أثر الزبرة أزهر مضىء جدا عنده كواكب صغار طمس

يعلم أن القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق فناسب الإحالة ليعرف الناس ذلك ليزداد يقينهم بأنه منزل غير مخلوق وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه ولد فى سنة أربع وستين ومائة وتوفى سنة إحدى وأربعين ومائتين وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الإمام النووى فى تهذيب الأسماء واللغات أن المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الإمام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف ووقع المأتم فى أربعة أصناف فى المسلمين واليهود والنصارى والمجوس انتهى قال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الإمام أحمد بن حنبل اغتممت غما شديدا فرأيته من ليلتى فى المنام وهو يتبختر فى مشيته فقلت يا أبا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق ثم قال تبارك وتعالى يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعو بهن فى دار الدنيا قال فقلت يا رب كل شىء أسألك بقدرتك على كل شىء لا تسألنى عن شىء واغفر لى كل شىء فقال جل وعلا يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها فدخلتها فإذا أنا بسفيان الثورى له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقول الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال قلت ما فعل الله بعبد الوهاب الوراق قال تركته فى بحر من نور فى زورق من نور يزور ربه الملك الغفور فقلت فما فعل ببشر بن الحرث فقال لى بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدى الله جل جلاله وبين يديه مائدة من الطعام والجليل جل جلاله مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم ينعم وفى سنة سبع وعشرين ومائتين احتجم المعتصم بسر من رأى فحم ومات وذلك لاثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول وهو ابن ثمان أو سبع وأربعين سنة وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية شهور وثمانية أيام وهو الثامن من خلفاء بنى العباس وخلف من الذهب ثمانية آلاف دينار ومن الدراهم ثمانية عشر ألف ألف درهم ومن الخيل ثمانية آلاف فرس ومثلها من الجمال والبغال ومن المماليك ثمانية آلاف مملوك وثمانية آلاف جارية وكان يقال له الثمانى لأجل ذلك وكان أميا وذلك أنه كان له مملوك صغير يذهب معه إلى الكتاب فمات فقال له الرشيد مات مملوكك يا إبراهيم فقال استراح من الكتاب يا أمير المؤمنين فقال أو بلغ الكتاب منك إلى هذا الحد اتركوا ولدى لا تعلموه فكان أميا لذلك وكان أبيض أصهب اللحية مربوعا وكان شجاعا مهيبا قوى البدن إلى الغاية فتح الفتوحات الكبار مثل عمورية من أقصى بلاد الروم ودانت له الأمم وكان فيه ظلم وعنف وبذلك أرهب الأعداء سامحه الله تعالى .

## ﴿ خلافة هرون الواثق بالله ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه هرون الواثق بالله بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم موت أبيه ونفذت البيعة إلى بغداد واستقر له الأمر ببغداد وغيرها ولما ولى قتل أحمد نصر الخزاعى على القول بخلق القرآن ونصب رأسه إلى الشرق فدار إلى القبلة فأجلس رجلا معه رمح أو قصبة فكان كلما دار الرأس إلى القبلة أداره إلى الشرق وروى أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى ورحمنى إلا أنى كنت مهموما منذ ثلاث قيل ولم قال لأن النبى صلى الله عليه وسلم مر علىّ مرتين فأعرض بوجهه الكريم عنى فغمنى ذلك فلما مر علىّ صلى الله عليه وسلم الثالثة قلت له يا رسول الله ألست على الحق وهم على الباطل قال بلى قلت فما بالك تعرض عنى بوجهك الكريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم حياء منك إذ قتلك رجل من أهل بيتى وقد رأيت حكاية تدل على أن الواثق رجع عن هذا

ويزعمون أنه قلب الأسد وسميت صرفة لانصراف الحر والبرد عند طلوعها وسقوطها وطلوعها لتسع ليال تخلو من إيلول وسقوطها لتسع ليال تخلو من أدار ومع طلوعها يزيد النيل وأيام العجوز فى نوئها وزعموا أن الصبى إذا فطم بنوء الصرفة لم يكد يطلب اللبن وفى نوئها مطر ورياح وبرد بالليل ويأتى المطر الوسمى ورقيب الصرفة فرع الدلو المقدم (العواء) هى أربعة أنجم على أثر الصرفة تشبه الهاء المردودة الأسفل بالخط الكوفى والعرب شبهوها بكلاب تتبع الأسد وقال قوم هى وركا الأسد وطلوعها لاثنتى عشرة ليلة تخلو من إيلول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من أدار ونوؤها يسير والعرب تقول إذا طلعت العوا طاب الهواء وفى نوئها يستوى الليل والنهار ويأخذ الليل فى الزيادة والنهار فى النقصان وهو ابتداء الخريف ورقيب العواء فرع الدلو المؤخر (السماك) هو السماك الأعزل وأما السماك الرامح فلا ينزله القمر وهو كوكب أزهر وإنما سمى أعزل لأن الرامح عنده كوكب يقال له راية السماك وأما الأعزل فلا شىء عنده والأعزل هو الذى لا سلاح معه والعرب يجعلون السماكين ساقا الأسد وطلوع

الاعتقاد والامتحان وذلك فيما ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمته قال سمعت طاهر بن خلف يقول سمعت محمد بن الواثق الذي يقال له المهتدي بالله يقول كان أبي إذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا ذلك المجلس فبينما نحن ذات يوم عنده إذ أتي بشيخ مصفود مقيد فقال أبي ائذنوا لابي عبد الله يعني ابن أبي دؤاد وأصحابه وأدخل الشيخ في مصلاه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له لا سلم الله عليك فقال يا أمير المؤمنين بئسما أدبك به مؤدبك قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها فقال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال كلمه فقال يا شيخ ما تقول في القرآن قال انصفني في السؤال فقال له سل فقال له الشيخ ما تقول أنت في القرآن قال مخلوق فقال الشيخ هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه فقال شيء لم يعلموه فقال سبحان الله شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون تعلمه أنت فخجل وقال أقلني فقال قد فعلت والمسئلة بحالها قال نعم قال فما تقول في القرآن قال مخلوق قال هذا شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس إليه فقال أفلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام أبي فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهو يقول هذا شيء لم يعلمه النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا الخلفاء الراشدون تعلمه أنت سبحان الله شيء علمه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم ثم دعا عمارا الحاجب فأمره أن يرفع القيود عنه ويعطيه أربعمائة دينار ويأذن له في الرجوع وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن بعد ذلك أحد رحمة الله تعالى عليه كذا وقع في هذه الرواية أن المهتدي بالله بن الواثق اسمه محمد وبذلك سماه الحافظ أبو عبد الله الذهبي في كتاب دول الإسلام وذكر المؤلف بعد ترجمته أن اسمه جعفر وقد جاء في رواية غير هذه ما يدل على أن اسمه أحمد وفيها زيادة ونقص ومغايرة في بعض الألفاظ والمعنى وذلك فيما ذكره الحافظ أبو نعيم في حليته قال قال الحافظ أبو بكر الآجري باغني عن المهتدي رحمه الله تعالى أنه قال ما قطع أبي يعني الواثق إلا شيخ جيء به من المصيصة فمكث في السجن مدة ثم إن أبي ذكره يوما فقال علي بالشيخ فأتي به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له الشيخ يا أمير المؤمنين ما استعملت معي أدب الله عز وجل ولا أدب رسول الله ﷺ قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وأمر النبي ﷺ برد السلام فقال له وعليك السلام ثم قال لابن أبي دؤاد سله فقال يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلي في الحبس وأتيمم للصلاة فمر لي بحل القيد وبالوضوء فأمر بحله وأمر بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن أبي دؤاد سله فقال الشيخ المسئلة لي فمره أن يجيبني فقال سل فأقبل الشيخ على بن أبي دؤاد فقال أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ قال لا قال فشيء دعا إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعده قال لا قال فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعدهما قال لا قال فشيء دعا إليه عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بعدهم قال لا قال فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بعدهم قال لا قال الشيخ فشيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضي الله تعالى عنهم تدعو أنت الناس إليه ليس يخلو أن تقول علموه أو جهلوه فإن قلت علموه وسكتوا عنه وسعني وإياك من السكوت ما وسع القوم وإن قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع بن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله تعالى عنهم شيئا وتعلمه

تخلو من نيسان ونوؤه غزير قلما يخلف مطره إلا أنه مذموم لأنه ينبت البسر وهو نبت إذا رعته الإبل مرضت والعرب تقول إذا طلعت السماك ذهبت العكاك وفي نوئه صرام النخل وقطع العنب ويأتي المطر الولي ورقيب السماك بطن الحوت وهذا آخر المنازل الشامية (وأما) المنازل اليمانية فأولها (الغفر) وهو ثلاث كواكب خفية وإنما سمي غفرا لأن عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها وطلوعه لثمان عشرة ليلة تخلو من تشرين الأول وسقوطه لستة عشرة ليلة تخلو من نيسان قال الساجع إذا طلع الغفر اقشعر السفر وذيل النضر وفي نوئه يؤبر النخل ويقطع القصب الفارسي ومطره ينبت الكمأة ورقيب الغفر الشرطين (الزبانا) هي زبانا العقرب أي قرناها وهما كوكبان مفترقان بينهما في رأي العين مقدار خمسة أذرع وطلوع الزبانا آخر ليلة من تشرين الأول وسقوطها لليلة تبقى من نيسان والعرب يصفونها بهبوب البوارح وهي الشمال الشديدة الهبوب وتكون في الصيف

أنت وأصحابك قال المهتدى فرأيت أبى وثب قائما ودخل الحجرة وجعل ثوبه فى فيه وهو يضحك ثم جعل يقول صدق ليس يخلو من أن يقول علموه أو جهلوه فإن قلنا علموه وسكتوا عنه وسعنا من السكوت ما وسع القوم وإن قلنا جهلوه وعلمته أنت فيالكع بن لكع بجهل النبى ﷺ شيئا وأصحابه وتعلمه أنت وأصحابك ثم قال يا أحمد فقلت لبيك قال لست أعنيك إنما أعنى ابن أبى دؤاد فوثب إليه فقال أعط هذا الشيخ نفقته وأخرجه عن بلدنا فدل هذا على أن المهتدى كان اسمه أحمد لقوله لست أعنيك لأنه ربما قال قائل إنما كان استجابة المهتدى لأبيه عن طريق الأدب فقوله إنما أعنى ابن أبى دؤاد يبطل ذلك لأن اسمه أحمد وسيأتى إن شاء الله تعالى فى ترجمة المهتدى هذه الحكاية بطريقة أخرى بسياق غير هذا وهذا الذى قاله الشيخ إلزام صحيح وبحث لازم للمعتزلة وكان الواثق موثراً لكثرة الجماع فقال لطبيبه اصنع لى دواء للباه فقال له الطبيب يا أمير المؤمنين لا تهدم بدنك بالجماع واتق الله فى نفسك فقال لا بد من ذلك فأمره الطبيب أن يأخذ لحم سبع فيغلى عليه سبع غليات بخل خمر ويتناول منه إذا شرب وزن ثلاثة دراهم ولا يجاوز هذا القدر فأمر بذبح سبع فذبح وطبخ له من لحمه وصار يتنقل منه على شرابه فلم يكن إلا قليلا حتى استسقى فأجمع رأى الأطباء على أن لا دواء له إلا أن ينزل بطنه ثم يترك فى تنور قد سجر بحطب زيتون حتى يصير جمرا ثم يجلس فيه ففعل ذلك ومنع الماء ثلاث ساعات فجعل يستغيث ويطلب الماء فلم يسقوه فصار فى جسده نفاطات مثل البطيخ ثم أخرجوه فجعل يقول ردونى فى التنور وإلا مت فردوه فسكن صياحه ثم انفجرت تلك النفاطات وقطر منها ماء فأخرج من التنور وقد اسود جسده ومات بعد ساعة ولما احتضر جعل يقول :

الموت فيه جميع الناس تشترك * لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ماضر أهل قليل فى مقابرهم * وليس يغنى عن الملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت وألصق خده بالأرض وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ولما مات سجى بثوب واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون من البستان فاستل عينيه وذهب بهما ولم يعلموا به حتى غسلوه وهذا من أغرب ما سمع * حكى أن ذلك له سبب وهو أن الواثق قال كنت أمرض الواثق إذ لحقته غشية فما شككت أنه قد مات فقال بعضنا لبعض تقدموا فما جسر أحد منا فتقدمت أنا فلما أردت أن أضع أصبعى على أنفه فتح عينيه فكدت أن أموت فزعا وتأخرت إلى موقفى فتعلقت قبيعة السيف بالعتبة وعثرت فاندق السيف فكاد أن يدخل فى لحمى فخرجت وطلبت سيفاً غيره ثم رجعت فوقفت عنده فوجدته مات بلا شك فشددت لحيته وغمضته وسجيته وأخذ الفراشون تلك الفرش الثمينة ليردوها إلى الخزانة وترك وحده فى البيت فقال لى أحمد بن أبى دؤاد القاضى إنا نشتغل بعقد البيعة فاحفظه حتى يدفن فرجعت وجلست عند الباب فسمعت بعد ساعة حركة أفزعتنى فدخلت فإذا بجرذون قد جاء فاستل عينيه فأكلهما فقلت لا إله إلا الله هذه العين التى فتحها من ساعة فعثرت واندق سيفى هيبة لها وتوفى الواثق بسر من رأى فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وأشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وكان أبيضا مليحا يعلوه اصفرار حسن اللحية فى عينيه نكتة عالما أديبا جيد الشعر شجاعا مهابا حازما فيه جبروت كأبيه سامحهما الله تعالى .

## ﴿ خلافة جعفر المتوكل ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه جعفر المتوكل بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم موت أخيه الواثق بعهد منه فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فرفع المحنة بخلق القرآن وأظهر السنة

حارة قال الساجع إذا طلعت الزبانا فاجمع لأهلك ولا تتوانا وفى نوئه يدخل الناس بيوتهم فى إقليم بابل ويشتد البرد ومطره ينبت الكمأة والزبانا رقيبه البطين (الإكليل) هو رأس العقرب وهو ثلاثة كواكب زاهرة مصطفة معترضة وطلوع الإكليل لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لثلاث عشرة ليلة تخلو من إيار والعرب يقولون إذا طلع الإكليل هاجت السيول فإذا سقط غارت مياه الأرض ولا تزال تغور إلى سقوط بطن الحوت وذلك لخمس مضين من تشرين الأول وفى نوئه تكثر الأمطار والغيوم ورقيب الإكليل الثريا (القلب) هو قلب العقرب وهو الكوكب الأحمر وراء الإكليل بين كوكبين يقال لهما النياط وليسا على حمرته وأول النتاج بالبادية عند طلوع القلب وطلوع النسر الواقع وهما يطلعان معا فى البرد وذلك لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الثانى وسقوطه لست وعشرين ليلة تخلو من إيار وما نتج فى هذا الوقت يكون سيئ الغذاء لشدة البرد وقلة اللبن والزيت والعرب يقولون إذا طلع القلب جاء الشتاء كالكلب ونوء القلب تتشاءم به العرب ويكرهون السفر إذا كان

وأمر بنشر الآثار النبوية وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه قال ركبت إلى دار الواثق فى مرضه الذى مات فيه لأعوده فجلست فى الدهليز أنتظر الإذن فبينا أنا جالس إذ سمعت النياحة عليه وإذا إيداخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأمران فى أمرى فقال محمد نقتله فى التنور وقال إيداخ بل ندعه فى الماء البارد حتى يموت ولا يرى عليه أثر القتل فبينما هما على ذلك إذ جاء أحمد بن أبى دؤاد القاضى فدخل وحدثهما كلاما لا أعقله لما داخلنى من الخوف وشغل القلب بأعمال الحيلة فى الهرب فبينما أنا كذلك وإذا بالغلمان يتعادون ويقولون انهض يا مولانا فلم أشك أنى داخل لا بايع ولد الواثق ثم ينفذ فىّ ماقدر فلما دخلت بايعونى فسألت عن الحال فأعلمت أن ابن أبى دؤاد كان سبب ذلك ثم إن المتوكل قتل إيداخ بالماء البارد وابن الزيات فى التنور قال وهذا من أغرب الاتفاق وعجيب الظفر ومن العجب أيضا أن محمد بن عبد الملك الزيات هو الذى صنع التنور ليعذب فيه الناس فعذبه الله فيه وكان التنور من حديد داخله مسامير غير مثنية وكان يسجر بحطب الزيتون حتى يصير كالجمر ثم يدخل الإنسان فيه نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة ولما ولى المتوكل أحيا السنة وأمات البدعة وكتب للآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وتكلم فى مجلسه بالسنة وأعز أهلها وأخمد المعتزلة وكانوا فى قوة ونماء إلى أيام المتوكل فخمدوا ولم يكن فى هذه الملة الإسلامية أهل بدعة أشر منهم نعوذ بالله من شر مقالتهم ونسأل الله السلامة من الزيغ والردى وكان المتوكل يبغض عليا رضى الله تعالى عنه ويتنقصه فذكر عليا رضى الله تعالى عنه يوما وغض منه فتمعر وجه ابنه المنتصر لذلك فشتمه المتوكل وأنشد مواجها له :

غضب الفتى لابن عمه * رأس الفتى فى حر امه

فحقد عليه وأغراه ذلك على قتله لما كان يغلو فى بغض على رضى الله تعالى عنه ويكثر الوقيعة فيه والاستخفاف به فبينما المتوكل فى قصره يشرب مع ندمائه وقد سكر إذ دخل بغا الصغير وأمر الندماء بالانصراف فانصرفوا ولم يبق عنده إلا الفتح بن خاقان فإذا الغلمان الذين عينهم المنتصر لقتل المتوكل قد دخلوا وبأيديهم السيوف مصلتة فهجموا عليه فقال الفتح بن خاقان ويلكم أمير المؤمنين ثم رمى نفسه عليه فقتلوهما جميعا ثم خرجوا إلى المنتصر فسلموا عليه بالخلافة وكان قتل المتوكل فى شوال سنة سبع وأربعين ومائتين وعمره أربعين سنة وكانت خلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وقيل خمس عشرة سنة وكان أسمر رقيقا مليح العينين خفيف اللحية ليس بالطويل فيه قصف وانهماك على اللهو والمكاره لكنه أحيا السنة وأمات بدعة القول بخلق القرآن وله كرم زائد وكان قد عزم على خلع ولده المنتصر من ولاية العهد وتقديم ابنه المعتز عليه لفرط محبته لأمه وأخذ يؤذيه ويتهدده إن لم يخلع نفسه واتفق مصادرته لوصيف وبغا فعملوا على قتله فدخل عليه خمسة نصف الليل وهو فى مجلس لهوه ففتكوا به وضربوه بسيوفهم وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان كما تقدم

## ﴿ خلافة محمد المنتصر بالله ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد المنتصر بالله بويع له بالخلافة فى الليلة التى قتل فيها أبوه وبويع له من الغد البيعة العامة فلم تطل دولته ولم يمتع بالملك روى أنه بسط بين يديه بساط فرأى عليه شيئا مكتوبا فلم يعلم ما هو فأمر بإحضار من قرأه فإذا كتابته بقلم اليونان وإذا عليه مكتوب عمل هذا البساط للملك قباذ بن كسرى قاتل أبيه وفرش قدامه فلم يلبث غير ستة أشهر ومات فتطير المنتصر واغتم لذلك وأمر برفع البساط ومات فى آخر الستة أشهر وكانت خلافته ستة

(الشولة) هى كوكبان متقاربان يكادان يماسان ذنب العقرب وسميت شولة لارتفاعها يقال شال بذنبه وبعدها إبرة العقرب كأنها لطخة غيم وهى تطلع لتسع ليال خلون من كانون الأول وتسقط لتسع تخلو من حزيران وتقول العرب إذا طلعت الشولة اشتدت على العيال العولة وفى نوئها يسقط الورق كله وتكثر الأمطار وتتفرق الأعراب الذين حضروا المياه ورقيب الشولة الهقعة

(النعائم) هى ثمان كواكب على أثر الشولة أربعة فى المجرة وهى النعائم الواردة سميت واردة لأنها شرعت فى المجرة كأنها تشرب وأربعة خارجة عن المجرة وهى النعائم الصادرة سميت صادرة لأنها خارجة عن المجرة كأنها شربت ثم صدرت عن الماء وكل أربعة منها على تربيع وطلوعها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول وسقوطها لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من حزيران والعرب تقول إذا طلعت النعائم توسعت البهائم وفى نوئها أول الشتاء واستواء الليل والنهار ورقيب النعائم الهنعة

(البلدة) هى فضاء فى السماء لا كوكب

أشهر وأياما وعمره ست وعشرون سنة وأمه رومية وكان مربوعا سمينا أعين أقنى الأنف مليحا مهابا كامل العقل يحب الخير قيل إن أمراء الترك خافوه فلما حم دسوا إلى الطبيب بكيس فيه ألف دينار فقصده بريشة مسمومة وقيل بل سم فى طعامه فقال لأمه ذهبت عنى الدنيا والآخرة عاجلت أبى فعوجلت .

﴿خلافة أحمد المستعين بالله وهو السادس فخلع وقتل﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المستعين بالله بن محمد المعتصم بويع له بالخلافة ليلة الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر وعمره إذ ذاك ثمان وعشرون سنة وكان كثير الجماع مغرما بحب النساء وكانت له ابنة عم بديعة الحسن والجمال فطلبها من أبيها فامتنع فأحضر الأصمعى والرقاشى وأبا نواس وقال كل من أنشد لى بطبق مرادى فى ابنة عمى أعطيته الجائزة العظمى فأنشد أبو نواس :

ماروض ريحانكم الزاهر * وما شذا نشركم العاطر * وحق وجدى والهوى قاهر
مذ غبتمو لم يبق لى ناظر * والقلب لاسال ولا صابر

قالت ألا لاتلجن دارنا * وكابد الأشواق من أجلنا * واصبر على مر الجفا والضنا
ولا تمرن على بيتنا * إن أبانا رجل غائر

فقلت إنى طالب غرة * يحظى بها القلب ولو مرة * قالت بعيد ذاك مت حسرة
قلت سأقضى غرتى جهرة * منك وسيفى صارم باتر

قالت فإن البحر من بيننا * فابرح ولاتأت إلى حينا * واشرب بكأس الموت من هجرنا
قلت ولو كان كثير العنا * يكفيك أنى سابح ماهر

قالت فإن القصر عالى البنا * قلت ولو كان عظيم السنا * أوكان بالجو بلغت المنى
قالت منيع فى الورى قصرنا * قلت وإنى فوقه طائر

قالت فعندى لبوة والد * فقلت إنى أسد شارد * غشمشم مقتنص صائد
قالت لها شبل بها لابد * قلت وإنى ليثها الكاسر

قالت فعندى إخوة سبعة * جمعا إذا ماالتقوا عصبة * قلت ولى يوم اللقا وثبة
قالت لهم يوم الوغى سطوة * قلت وإنى قاتل قاهر

قالت فإن الله من فوقنا * يعلم مانبديه من شوقنا * نمضى إلى الحق غداً كلنا
ونختشى النقمة من ربنا * قلت وربى ساتر غافر

قالت فكم أعييتنا حجة * تجى بها كاملة بهجة * فيالها بين الورى خجلة
إن كنت ماتمهلنا ساعة * فأنت إذا ماهجم الساهر

واسقط عينا كسوط الندى * إياك أن تظهر حرف الندا * يستيقظ الواشى ويأتى الردى
وكن كضيف الطيف مسترصد * ساعة لا ناه ولا آمر

حاجتها عشرا وصافحتها * على دنان الخمر صافيتها * رامت مواثيقا فوافيتها
ملتحفا سيفى ولاقيتها * آخر ليلى والدجى عاكر

ياليلة قضيتها خلوة * مرتشفا من رايقها قهوة * تسكر من قد يبتغى سكرة
ظننتها من طيبها لحظة * ياليت لاكان لها آخر

بها بين النعائم وبين سعد الذابح وليس فيه الانجم واحد خامد لا يكاد يرى وهى ست كواكب مستديرة صغار خفية تشبه القوس ويسميها بعض العرب القوس وطلوع البلدة لأربع ليال خلون من كانون الآخر وسقوطها لأربع ليال مضين من تموز وتقول العرب إذا طلعت البلدة حمت الجعدة وفى نوئها يجمد الماء ويشتد كلب الشتاء وتنقى البساتين من الأدغال والحشيش وتكرب الكروم ورقيب البلدة الذراع (سعد الذابح) هو كوكبان غير نيرين بينهما فى رأى العين قدر ذراع وأحدهما مرتفع فى الشمال والآخر هابط فى الجنوب وطلوعه لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر وسقوطه لسبع عشرة ليلة تمضى من تموز والعرب تقول إذا طلع سعد الذابح حمى أهله الناب وفى نوئه يصعد الماء إلى فروع الشجر ويدرك الجوز واللوز ويرجى المطر ورقيب سعد الذبح النثرة (سعد بلع) هو نجمان مستويان فى المجرى أحدهما خفى وسمى الأكبر بالعا كأنه بلع الآخر الخفى وأخذ ضوءه وطلوعه لليلة تبقى من كانون الآخر وسقوطه لليلة تبقى من آب وتقول العرب إذا طلع سعد بلع صار فى الأرض لمع وفى

فلما أنشد ذلك أبو نواس بحضرة الخليفة أعجبه ذلك وأمر له بالجائزة العظمى ووفى بما عهد ثم إن المستعين أشهد على نفسه أنه قد خلعها من الخلافة وأنه قد أحل الناس من بيعته بشروط وخطب للمعتز بن المتوكل فنقل المستعين إلى قصر الحسن بن وهب فاعتقل به تسعة أشهر ووكل به من يحفظه ثم أحدر به إلى واسط ودس عليه المعتز سعيد الحاجب فقتله صبرا فى أول شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجىء برأسه إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل له هذا رأس المخلوع فقال دعوه هناك حتى أفرغ من اللعب فلما فرغ أحضره ونظره ثم أمر بدفنه وكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر وعمره إحدى وثلاثين سنة وكان مربوعا مليح الوجه به أثر جدرى وكان ألثغ يجعل السين ثاء وكان كريما مبذراً للأموال رحمه الله تعالى .

﴿خلافة أبى عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه محمد المعتز بن المتوكل بويع له بالخلافة لما خلع المستعين نفسه فى أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ثم دبر عليه صالح بن وصيف حاجبه فجاء إليه ومعه جماعة وبعثوا إليه أن اخرج فاعتذر بأنه تناول دواء فأمر صالح أن يدخل إليه بعضهم فدخلوا وجروا برجله إلى باب الحجرة فأقيم فى الشمس الحارة فصار يرفع قدما ويضع أخرى وهم يلطمونه ويقولون له اخلعها وهو يتقى بيديه ويأبى ثم أجابهم وخلع نفسه فتسلمه صالح بن وصيف ومنعه من الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم أنزله إلى سراب مجصص وأطبقه عليه حتى مات ثم أخرجه وأشهد عليه أنه لا أثر به وقيل إنه بعد خلعه بخمسة أيام أدخله الحمام ومنعه الماء حتى عاين التلف ثم أتوه بماء مالح فشربه فسقط ميتا وذلك فى رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة وخلافته أربع سنين وستة أشهر وكان بديع الحسن رحمه الله تعالى .

﴿خلافة جعفر المهتدى بالله بن هارون﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه جعفر بن هرون الواثق بن المعتصم ورأيت فى غير هذا الموضع أن المهتدى اسمه محمد ويلقب بأبى إسحق بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز بالله ولما ولى أخرج الملاهى وحرم سماع الغناء والشراب وأمر بنفى المغنيات وطرد الكلاب والسباع وألزم نفسه الإشراف على الدواوين والجلوس للناس وإزالة المظالم وتغيير المنكرات وقال إنى أستحيى من الله أن لا يكون فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أمية فتبرم بابك التركى وكان ظلوما غشوما فأمر المهتدى بقتله ولما قتل هاجت الأتراك ووقع الحرب بينهم وبين المغاربة فقتل من الفريقين أربعة آلاف وخرج المهتدى والمصحف فى عنقه وهو يدعو الناس إلى نصرته والمغاربة معه وبعض العامة فحمل عليهم طبيغا أخو بابك فهزمه ومضى المهتدى منهزما والسيف فى يده وقد جرح جرحين حتى دخل دار محمد بن يزداد فتجمعت الأتراك وهجموا عليه وأخذوه أسيرا وحمله أحمد بن خاقان على دابة وأردف خلفه سائسا بيده خنجر فأدخل إلى دار أحمد بن خاقان وجعلوا يصفعونه ويقولون اخلعها فأبى عليهم فسلم إلى رجل فوطئ مذاكيره حتى قتله وذلك فى رجب سنة ست وخمسين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكانت خلافته أحد عشر شهرا رحمة الله تعالى عليه وقيل سنة وكان أسمر مليح الصورة دينا ورعا عابدا عادلا حازما شجاعا خليقا للإمارة لكنه لم يجد ناصرا يقال إنه كان يسرد الصوم وربما كان فطوره فى بعض

نوئه يكثر المطر وتبقى ويبيض الهدهد وتهب الجنوب ويقل اللبن ورقيب سعد بلع الطرف (سعد السعود) هو ثلاث كواكب أحدها نير والآخران دونه والعرب تتيمن به فلهذا سمى بهذا الاسم وطلوعه لاثنتى عشرة ليلة تمضى من شباط وسقوطه لأربع عشرة ليلة تمضى من أدار وتقول العرب إذا طلع سعد السعود ذكره فى الشمس القعود ونوؤه محمود وفى نوئه يتحرك أول العشب ويصوت الطير وتهيج السنانير ويورق الشجر وتأتى الخطاطيف وتصيب الإبل مرعاها ويدرك الورد وسائر الرياحين ورقيب سعد السعود الجبهة (سعد الأخبية) هو أربعة كواكب متقاربة واحد منها فى وسطها وهو مثل رجل بطة اثنان منها على الطول واثنان منها على العرض يقال إن السعد منها واحد وهو أنورها والثلاثة خفية وقيل إنما سمى سعد الأخبية لأن عند طلوعه تخرج الحشرات المختبئة فى الأرض وطلوعه لخمس وعشرين ليلة تخلو من شباط وسقوطه لأربع ليال تبقى من آب وتقول العرب إذا طلع سعد الأخبية خلت من الناس الأبنية ونوؤه غير محمود ويكثر فيه المطر جدا ويقطع الكرم ورقيب سعد .

الليالى على خبز وخل وزيت وكان قد سد باب اللهو والطرب والغناء وحسم الأمراء عن الظلم وكان يجلس لحساب الدواوين بنفسه (ومما يحكى) من محاسنه ماذكره الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى فى كتابه قال إن أبا الفضل صالح بن على بن يعقوب بن المنصور الهاشمى وكان من وجوه بنى هاشم وأهل الخلافة والسبق منهم قال حضرت المهتدى بالله أمير المؤمنين وقد جلس ينظر فى أمور الناس فى دار العامة فنظرت إلى قصص الناس تقرأ عليه من أولها إلى آخرها فيأمر بالتوقيع فيها وإنشاء الكتب لأصحابها فتختم وتدفع إلى أصحابها بين يديه فسرنى ذلك وجعلت أنظر إليه ففطن لى ونظر إلى فغضضت عنه حتى كان ذلك منى ومنه مراراً إذا نظر إلى غضضت وإذا اشتغل عنى نظرت فقال ياصالح قلت لبيك ياأمير المؤمنين وقمت قائما فقال أفى نفسك منى شىء تحب أن تقوله فقلت نعم ياسيدى فقال لى عد إلى موضعك فعدت وعاد فى النظر حتى قام وقال للحاجب لا يبرح صالح فانصرف الناس ثم أذن لى وقد أهمتنى نفسى فقمت فدخلت ودعوت له فقال لى اجلس فجلست فقال ياصالح تقول مادار فى نفسك أو أقول أنا مادار فى نفسى أنه دار فى نفسك فقلت ياأمير المؤمنين ماتعزم عليه وتأمر به أطال الله بقاءك فقال كأنى بك وقد استحسنت مارأيت فقلت أى خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول القرآن مخلوق فورد على قلبى أمر عظيم وأهمتنى نفسى ثم قلت يانفس هل تموتين إلا مرة وهل تموتين قبل أجلك وهل يجوز الكذب فى جد أو هزل فقلت والله ياأمير المؤمنين مادار فى نفسى إلا ماقلت ثم أطرق مليا وقال ويحك اسمع منى ماأقول فوالله لتسمعن الحق فسرى عنى فقلت ياسيدى من أولى بقول الحق منك وأنت أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين من الأولين والآخرين فقال لى مازلت أقول القرآن مخلوق صدراً من خلافة الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبى بن أبى دؤاد شيخنا من أهل الشام من أهل أدنة فأدخل الشيخ على الواثق مقيداً وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة فرأيت الواثق قد استحيا منه ورق له فمازال يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم الشيخ بأحسن السلام ودعا بأبلغ الدعاء وأوجز فقال له الواثق اجلس ثم قال له ياشيخ ناظر ابن أبى دؤاد على ماينا ظرك عليه قال الشيخ ياأمير المؤمنين إن ابن أبى دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا فقال أبو عبد الله بن أبى دؤاد يقل ويصغر ويضعف عن مناظرتك أنت فقال الشيخ هون عليك ياأمير المؤمنين ما بك وائذن لى فى مناظرته فقال الواثق مادعوتك إلا للمناظرة فقال الشيخ ياأحمد بن أبى دؤاد إلام دعوت الناس ودعوتنى إليه فقال إلى أن تقول القرآن مخلوق لأن كل شىء من دون الله مخلوق فقال الشيخ ياأمير المؤمنين إنى رأيت أن تحفظ على وعليه ماتقول قال أفعل فقال الشيخ ياأحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أواجبة داخلة فى عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ماقلت قال نعم قال الشيخ ياأحمد أخبرنى عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله عز وجل هل ستر شيئا مما أمره الله به فى دينه قال لا قال الشيخ فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى مقالتك هذه فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ له تكلم فسكت فالتفت الشيخ إلى الواثق وقال ياأمير المؤمنين واحدة فقال الواثق واحدة فقال الشيخ ياأحمد أخبرنى عن آخر ما أنزل الله من القرآن على رسوله ﷺ فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فقال الشيخ أكان الله تبارك وتعالى الصادق فى إكمال دينه أم أنت الصادق فى نقصانه فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ أجب ياأحمد فلم يجب فقال الشيخ ياأمير المؤمنين اثنتان فقال الواثق اثنتان فقال الشيخ ياأحمد أخبرنى عن مقالتك هذه أعلمها رسول الله ﷺ أم جهلها فقال ابن أبى دؤاد علمها فقال الشيخ

كواكب واسعة مربعة فاثنان منها هما الفرع الأول واثنان هما الفرع المؤخر وفرع الدلو هو مصب الماء بين العرقوتين وطلوع الفرع الأول لتسع ليال خلون من أدار وسقوطه لتسع ليال مضين من أيلول والعرب تقول إذا طلع الدلو طلب اللهو ونوؤه محمود وفيه تسقط الجمرة الثالثة وينعقد اللوز والتفاح والمشمش بالحر وبرده يهلك الثمار ورقيب الفرع الأول الصرفة (الفرع الثانى) قدوصف عند الفرع الأول وطلوعه لاثنتين وعشرين ليلة تخلو من إدار وسقوطه لاثنتين وعشرين ليلة تمضى من أيلول ونوؤه محمود وطلوع الفرعين وغروبهما يكون فى إقبال البرد وإدباره وعند سقوط الفرع المؤخر يجز النخل بالحجاز وتهامة وكل غور ويشتار العسل وفى نوئه آخر أمطار الشتاء وفيه يكثر العنب ويدرك النبق والباقلاء ويستوى الليل والنهار ورقيب الفرع الثانى العواء (بطن الحوت) هى كواكب كثيرة فى مثل حلقة السمكة وتسمى الرشاء أيضا وهى كواكب معترضة ذنبها نحو اليمن ورأسها نحو الشام وطلوعها لأربع ليال تخلو

من نيسان وسقوطها لخمس تمضى من تشرين الأول وعند سقوطه ينتهى غور المياه ويطلع بعده الشرطين ويعود الأمر إلى ما كان عليه فى السنة الأولى وتقول العرب إذا طلعت السمكة أمكنت الحركة ورقيب بطن الحوت السماك ونوؤه غزير المطر قلما يخلف وهو أوان حصاد الشعير بالجروم قال أبو إسحق الزجاجى أن السنة أربعة أجزاء كل جزء منها سبعة أنواء كل نوء منها ثلاثة عشر يوما وزادوا فيها يوما لتتم السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وهو مقدار قطع الشمس فلك البروج والله الموفق (النظر العاشر فى فلك البروج) اعلم أنه ليس فلكا كسائر الأفلاك بل هو أمر موهوم وذلك لأنهم ذهبوا إلى أن لكل كوكب من الكواكب كرة تخصه وإن لكل كرة حركة تخصها وإن الكوكب مركوز فى جرم الفلك كنقطة وإن كل كرة يتحرك على قطبين وإن النقطة التى عليها برسم دائرة موهومة على سطح الكرة فإذا تحرك فلك الشمس من المشرق إلى المغرب كانت حركته قسرية وإنما حركة فلك الشمس المختصة به من المغرب إلى المشرق فإذا تمت دورته تحدثت من مركز الشمس

أدعا الناس إليها فسكت ابن أبى دؤاد فقال الشيخ يا أمير المؤمنين ثلاث فقال الواثق ثلاث فقال الشيخ يا أحمد فاتسع لرسول الله ﷺ كما زعمت فلم يطالب أمته بها قال نعم فقال الشيخ واتسع لأبى بكر رضى الله تعالى عنه وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم قال ابن أبى دؤاد نعم فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين قد قدمت القول أن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة يا أمير المؤمنين إن لم يتسمح لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله عليه السلام ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم فلا وسع الله علينا اقطعوا قيد الشيخ فلما قطعوا قيده ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه فجذبه الحداد إليه فقال الواثق دع الشيخ ليأخذه فأخذه الشيخ فوضعه فى كمه فقيل للشيخ لم جاذبت عليه فقال الشيخ لأنى نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه إذا أنامت أن يجعله بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة وأقول يا رب سل عبدك هذا لم قيدنى وروع أهلى وولدى وإخوانى بلا حق أوجب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكيت ثم سأله الواثق أن يجعله فى حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك فى حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلا من أهله فقال الواثق لى إليك حاجة فقال الشيخ إن كانت ممكنة فعلت فقال الواثق تقيم قبلنا فتنتفع بك فتياننا فقال الشيخ يا أمير المؤمنين إن ردك إياى إلى الموضع الذى أخرجنى منه هذا الظالم أنفع لك من مقامى عندك وأخبرك لم ذلك أصير إلى أهلى وولدى فأكف دعاءهم عليك فقد خلفتهم على ذلك فقال له الواثق أفتقبل مناصلة تستعين بها على دهرك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين لا تحل لى أنا عنها غنى وذو ثروة فقال له أتسأل حاجة قال أو تقضيها يا أمير المؤمنين قال نعم قال تخلى سبيلى إلى السفر الساعة وتأذن لى قال قد أذنت لك فسلم عليه الشيخ وخرج قال صالح فقال المهتدى بالله فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم وأظن أن الواثق بالله كان رجع عنها من ذلك الوقت ولى طرق أخرى وفيها بعض المغايرة لهذه وقد سبق فى ترجمة الواثق ما يدل على رجوعه والله تعالى أعلم.

## ﴿ خلافة أبى القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدى بالله بسر من رأى وكان له اسم الخلافة ولأخيه الموفق بن المتوكل تدبير الملك ولما مات الموفق قام بتدبير الملك بعده ابنه أحمد المعتضد بن الموفق وغلب على عمه المعتمد كما كان أبوه غالبا عليه فكان المعتمد يطلب الشىء الحقير فلا يناله ولم يكن له سوى الاسم فقال فى ذلك:

أليس من العجائب أن مثلى * يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً * ومامن ذاك شىء فى يديه

قيل إنه شرب يوما على الشط شرابا كثيراً فتغشى ومات وقيل إنه غمّ ومات وهو نائم فى بساط وقيل إنه سم فى لحم وذلك فى شوال سنة تسع وسبعين ومائتين وله خمسون سنة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وتوفى ببغداد وكان أسمر ربعة رقيقاً مدور الوجه مليح العينين صغير اللحية أسرع إليه الشيب منهمكا على اللهو واللذات يسكر ويعض يده

﴿خلافة أبى العباس أحمد المعتمد بالله بن الموفق﴾

بويع له بالخلافة يوم مات عمه المعتمد فاستقل بالأمر وكان شجاعا عادلا ذا هيبة عظيمة مع سطوة وجبروت وحزم ورأى وذكاء مفروط فى أحكامه وسيأتى ذكر شىء من ذلك وكان كثير الجماع فاعتراه فساد مزاج وكان ذلك سبب وفاته وكان محبا للعدل مؤثرا له وله فيه حكايات نادرة توفى سنة تسعين ومائتين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر وهو ابن ست وأربعين سنة وقيل أربعين سنة وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وقيل عشر سنين وكان أسمر مهابا معتدل الشكل

﴿خلافة أبى محمد على المكتفى بالله بن المعتضد﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه على أبو محمد المكتفى بالله المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بويع له بالخلافة يوم توفى أبوه المعتضد وتوفى ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائتين وهو ابن أربع وثلاثين سنة وقيل ثلاثين وخلافته سنتان وثمانية أشهر هكذا ذكروا وفاته وعمره وخلافته والذى رأيته فى كتب الذهبى أنه كانت وفاته فى ذى القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين عن إحدى وثلاثين سنة وكانت خلافته ست سنين ونصفا وكان وسيما جميلا بديع الحسن درى اللون معتدل الطول أسود الشعر وكان حسن القيدة كارها لسفك الدماء ووطأ له أبوه المعتضد الأمور وكان المكتفى مائلا إلى حب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بارا بأولاده يحكى أن يحيى بن على الشاعر أنشده بالرقة قصيدة يذكر فيها فضل أولاد العباس على أولاد على فقطع المكتفى عليه إنشاده وقال يا يحيى كأنهم ليسوا بنى عم ما أحب أن يخاطب أهلنا بشىء من ذلك وإن كانوا خلفاء ولم يسمع القصيدة ولا أجازه عليها رحمة الله عليه .

﴿خلافة أبى الفضل جعفر المقتدر بالله وهو السادس فخلع مرتين كما سيأتى﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو الفضل جعفر المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة ببغداد يوم وفاة أخيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وأربعين يوما ولم يل الخلافة بعده قبل ولا قبله أصغر منه وضعف دست الخلافة فى أيامه وذكر صاحب النشوان وغيره عن صافى مولى المعتضد أنه قال مشيت يوما بين يدى المعتضد وهو يريد دار الحرام فلما بلغ باب دار المقتدر وقف وتسمع وتطلع من خلل فى الستر فإذا هو بالمقتدر وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس وحوله قدر عشر وصائف من أترابه فى قدر سنه بين يديه طبق فضة وفيه عنقود عنب فى وقت فيه العنب عزيز جدا والصبى يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الجماعة عنبة عنبة على الدور حتى إذا بلغ الدور إليه أكل واحدة مثل ما أكلوا حتى فنى العنقود والمعتضد يتمزق غيظا ثم رجع ولم يدخل الدار فرأيته مهموما فقلت يا مولاى ما سبب ما فعلته فقال يا صافى والله لولا العار والنار لقتلت هذا الغلام اليوم يعنى المقتدر فإن فى قتله صلاحا للأمة فقلت يا مولاى ما شأنه وأى شىء عمل أعيذك بالله يا مولاى من هذا فقال ويحك أما أبصر بما أقول أنا رجل قدست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ولا بد من موتى وأنا أعلم أن الناس بعدى لا يختارون أحدا على ولدى وأنهم سيجلسون ابنى عليا يعنى المكتفى وما أظن عمره يطول للعلة التى به يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه فيتلف عن قريب ولا يرى الناس إخراجها عن ولدى ولا يجدون بعده أمثل من جعفر يعنى المقتدر وهو صبى وله من الطبع والسخاء هذا الذى قد رأيته من أنه أطعم الوصائف مثل ما أكل وساوى بينه وبينهم فى شىء عزيز فى العالم والشح على مثله فى طباع الصبيان غالب فتحتوى عليه النساء لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الأموال كما قسم العنب ويبدد ارتفاع الدنيا فتضيع الثغور وتعظم الأمور وتخرج الخوارج وتحدث الأسباب الى

الدائرة التى تسمى فلك البروج ثم إن الدائرة التى هى أعظم الدوائر التى تمر بمركز العالم وتقطع العالم نصفين وقطباها قطبا العالم اللذان يسميان الشمالى والجنوبى تسمى دائرة معدل النهار (فنقول) دائرة فلك البروج تقطع دائرة معدل النهار نصفين على نقطتين متقابلتين تسمى إحداهما نقطة الاعتدال الربيعى والأخرى نقطة الاعتدال الخريفى ثم تتوهم دائرة أخرى تمر بنقطتى معدل النهار وهما قطبا العالم ونقطتى فلك البروج فتقطع دائرة فلك البروج على نقطتين متقابلتين إحداهما مما يلى الشمال والأخرى مما يلى الجنوب أما الشمالية فتسمى نقطة الانقلاب الصيفى وأما الجنوبية فتسمى نقطة الانقلاب الشتوى فهاتان الدائرتان تقسمان فلك البروج أربعة أقسام متساوية (أما) الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الربيعى وبين الانقلاب الصيفى فهو الذى يحدثه زمان الربيع لأن الشمس ما دامت بحركة فلكها الخاص مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان ربيعا وأما الربع الذى بين نقطتى الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى فهو الذى يحدثه زمان الصيف لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى ذلك الزمان صيفا

(وأما) الربع الذى بين نقطتى الاعتدال الخريفى (٩٠) والانقلاب الشتوى فهو الذى يحدثه زمان الخريف لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان خريفا (وأما) الربيع الذى بين نقطتى الانقلاب الشتوى والاعتدال الربيعى فهو الذى يحدثه زمان الشتاء لأن الشمس مادامت مسامتة لهذا القوس يسمى الزمان شتاء وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج فيقطعان الربع الربيعى ثلاثة أقسام متساوية ويقطعان أيضا الربع الخريفى المقابل لهذا الربع ثلاثة أقسام متساوية وتتوهم أيضا دائرتان عظيمتان تخرجان من قطبى دائرة البروج وتقطعان الربع الصيفى والربع الشتوى المقابل له كل واحد منها ثلاثة أقسام متساوية فتصير جملة الدوائر الخارجة من قطبى دائرة البروج ستة فإذا توهمنا ست دوائر قاطعة للعالم تمر بقطبى الدائرة بنقطتين متقابلتين انقسم كل واحد من الأفلاك التسعة اثنى عشر قسما يسمى كل قسم منها برجا وكل برج منها مقسوم ثلاثين قسما يسمى كل قسم منها درجة فالدوائر بجملتها ثلثمائة وستون درجة ثم قسموا فلك الثوابت بهذه الدوائر الست اثنى عشر قسما فى كل قسم كواكب متشكلة بأشكال مختلفة ففى أحد هذه الأقسام كواكب متشكلة بشكل يشبه صورة الحمل فسمى ذلك القسم برج الحمل ثم يلى هذه

يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس رأسا فقلت يا مولاى يبقيك الله حتى ينشأ فى حياة منك ويصير كهلا فى أيامك ويتأدب بآدابك ويتخلق بأخلاقك ولا يكون هذا الذى ظننت فقال ويحك احفظ عنى ما أقول لك فإنه كما قلت قال ومكث يومه مغموما مهموما وضرب الدهر ضرباته ومات المعتضد وولى المكتفى فلم يطل عمره ومات وولى المقتدر فكانت الصورة كما قال مولاى المعتضد بعينها فكنت كلما ذكرت قوله أعجب منه فوالله لقد وقفت يوما على رأس المقتدر وهو فى مجلس لهوه فدعا بالأموال فأخرجت إليه ووضعت البدر بين يديه فجعل يفرقها على الجوارى والنساء ويلعب بها ويمحقها ويهبها فذكرت قول مولاى المعتضد ثم أن الجند وثبوا على العباس وزيره فقتلوه وأحضروا عبد الله بن المعتز وبايعوه وخلعوا المقتدر .

## ﴿ خلافة عبد الله بن المعتز المرتضى بالله ﴾

بويع له بالخلافة بعد خلع المقتدر بعد أن شرط عليهم أن لا يكون فى ذلك حرب ولا سفك دم فلما بويع له كتب إلى المقتدر يأمره بلزوم دار ابن طاهر بوالدته وجواريه وأمر الحسن بن حمدان وابن عمرويه صاحب الشرطة أن يصيرا إلى دار المقتدر فمضيا فخرج إليهما الغلمان ورموهما بالحجارة وجرى بينهم حرب شديد آخره أن أصحاب المقتدر ظهروا عليهما فانهزما وانهزم المرتضى بالله وتفرق أصحابه واستتر عند ابن الجصاص ولم يتم له أمر غير يوم وليلة ولذلك لم يعد المؤرخون خلافته فى هذه المدة ثم عاد المقتدر إلى ما كان عليه ثم ظفر بالمرتضى بالله فقتله خنقا وأظهر أنه مات حتف أنفه وأخرج وهو ميت من دار الخلافة فدفنوه فى خرابة بإزاء داره وكان عمره خمسين سنة قال ابن خلكان فى ترجمته كان شاعرا ماهرا فصيحا مجيدا مخالطا للعلماء والأدباء وهو صاحب التشبيهات التى أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره وكان قد اتفق معه جماعة وخلعوا المقتدر وبايعوه ولقبوه بالمرتضى بالله فأقام يوما وليلة ثم أن أصحاب المقتدر تحزبوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم فاستخفى ابن المعتز ثم أخذ ليلا فلما دخل على المقتدر أمر به فطرح على الثلج عريانا وحشى سراويله ثلجا فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب إلى أن مات وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتين رحمه الله وليس هو بمعدود فى الخلفاء لأنه لم يثبت له أمر واستمر للمقتدر الأمر إلى أن بلغ مؤنسا الخادم أن المقتدر قد عزم على اغتياله وكان مؤنس مقدم جيش المقتدر فبلغ المقتدر ما نقل إلى مؤنس فحلف على بطلان ذلك وأسرها مؤنس فى نفسه ثم جرى بين العامة وبين بعض مماليكه حرب فظن أن ذلك بأمر المقتدر فوافى مؤنس دار الخلافة فى اثنى عشر ألف فارس فدخل إلى المقتدر وقبض عليه وعلى والدته السيدة وحملهما إلى قصره ونهب الجند دار الخلافة وخلع المقتدر نفسه من الخلافة وكتب بذلك إلى الآفاق فلما كان ثانى يوم خلعه شغب الجند وقتلوا صاحب الشرطة وهرب ابن مقلة الوزير وهرب الحجاب وجاء المقتدر فجلس وأحضر أخاه القاهر وأجلسه بين يديه وقبل ما بين عينيه وقال يا أخى لا ذنب لك فجعل القاهر يقول الله الله فى نفسى يا أمير المؤمنين فقال المقتدر والله وحق رسول الله ﷺ لا جرى عليك منى سوء أبدا وعاد ابن مقلة الوزير وكتب إلى الآفاق بخلافة المقتدر ثم جرى بين المقتدر وبين مؤنس الخادم حرب فاقتحم المقتدر نهر السكران فأحاط به جماعة من البربر فقتله رجل منهم وأخذوا رأسه وسلبه وثيابه ومضوا إلى مؤنس الخادم فمر بالمقتدر رجل من الأكراد فستر عورته بحشيش ودفنه وأخفى أثره وكان قتله يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ست عشرة وثلثمائة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وشهر وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا خلع فيها مرتين ثم قتل كما تقدم وحكى

القطعة قطعة عليها كواكب متشكلة بصورة شبيهة بالثور فيسمى هذا القسم برج الثور وهكذا إلى آخر الأقسام وذكر بطليموس أن دائرة البروج أربعمائة وستة وثمانون ألف ألف ومائتان وتسعة وخمسون ألف وسبعمائة وأحد وعشرون ميلا وسبع ميل فطول كل برج تسعة وثلاثون ألف ألف وثلثمائة وثمانية وثمانون ألفا وثلثمائة وعشرة أميال ونصف وسدس ميل وعرض كل برج ألف ألف وثلثمائة واثنان وعشرون ألفا وتسعمائة وثلاثة وأربعون ميلا وثلث ميل والله الموفق للصواب (النظر الحادى عشر فى فلك الأفلاك) سمى بهذا الاسم لإحاطته بجميع الأفلاك وتحريكه كلها ويقال له الفلك الأعظم لأنه أكبر الأفلاك ويقال له الفلك الأطلس لأنهم لم يعرفوا له كوكبا وحركة هذا الفلك من المشرق إلى المغرب على قطبين ثابتين يقال لأحدهما القطب الشمالى وللآخر القطب الجنوبى وتتم دورته فى أربع وعشرين ساعة وبحركته تتحرك الأفلاك كلها مع كواكبها وحركته أسرع من كل شىء شاهده الإنسان حتى صح فى الهندسة أن الشمس تتحرك بحركتها القسرية وهى حركة الفلك الأعظم فى مقدار ما يرفع الإنسان قدمه للخطو إلى أن يضعها ثمانمائة فرسخ ويشهد بصحة هذا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن دخول وقت

الذهبى أن خلافته كانت خمسا وعشرين سنة وأنه عاش ثمانية وثلاثين سنة وأنه كان مسرفا مبذرا للمال ناقص الرأى أعطى جارية الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاثة مثاقيل وما كانت تقوم وقيل إنه محق من الذهب ثمانين ألف ألف دينار فى أيامه وأنه خلف من الأولاد عدة منهم الراضى بالله والمقتفى بالله وإسحق والمطيع لله .

﴿ خلافة محمد القاهر بالله ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو منصور محمد بن المعتضد بالله بويع له بالخلافة ببغداد لليلتين بقيتا من شوال ولما ولى قبض على ابن أخيه المكتفى وأمر به فأقيم فى بيت وسد عليه بالآجر والجص حتى مات غما وقبض على السيدة أم المقتدر وطالبها بمال لم تقدر عليه فتهددها وضربها بيده وعذبها بأنواع العذاب وعلقها منكسة حتى كان يجرى بولها على وجهها وهى تقول له ألست أمك فى كتاب الله وخلصتك من ابنى فى المرة الأولى وأنت تعاقبنى بهذه العقوبة ولم يبق عندى مال ثم إنها ماتت عقب ذلك ثم إن الجند شغبوا عليه وجاؤا إلى داره وهجموا عليه من سائر الأبواب فهرب إلى سطح حمام واستتر فيه فأتوا إليه وقبضوا عليه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسملوا عينيه وذلك فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة قال ابن البطريق فى تاريخه كان القاهر قدار تكب أمورا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الإسلام وذكر منها طرفا طويلا حكى أن رجلا قال صليت فى جامع المنصور ببغداد فإذا أنا بإنسان عليه جبة عنابية وقد ذهب وجهها وبقى بعض قطن بطانتها وهو يقول أيها الناس تصدقوا علىّ بالأمس كنت أمير المؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين فسألت عنه فقيل لى إنه القاهر بالله وفى هذه الحكاية أعظم عبرة نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه وكانت خلافته ست سنين وستة أشهر وسبعة أيام وكان أقاوج طائشا سفاكا للدماء يدمن السكر وكان له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل إنسانا ولولا وجود الحاجب سلامة لأهلك الناس .

﴿ خلافة أبى العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو العباس أحمد الراضى بالله بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم خلع عمه القاهر واستوزر أبا على بن مقلة وأطلق كل من كان فى حبس القاهر ثم استدعى بالأمير محمد بن رائق وكان بواسط متغلبا عليها لأن الضرورة ألجأته إلى ذلك لاضطراب الأمور عليه ولضعف من يلى الوزارة عن القيام بها فقدم ابن رائق بغداد فجعله الراضى أمير الأمراء وفوض إليه تدبير المملكة وخلع عليه وأعطاه اللواء ومن ذلك اليوم بطل أمر الوزارة ببغداد ولم يبق إلا اسمها والحكم للأمراء والملوك المتغلبين وكان قدومه لخمس بقين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثلثمائة ثم دخلت سنة خمس والدنيا فى أيدى المتغلبين وهم ملوك الأرض وكل من حصل فى يده بلد ملكه ومانع عنه فالبصرة وواسط والأهواز فى يد عبد الله البريدى وأخويه وفارس فى يد عماد الدولة بن بويه والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر فى يد بنى حمدان ومصر والشام فى يد الإخشيد بن طغج والمغرب وأفريقية فى يد المهدى والأندلس يد بنى أمية وخراسان وما والاها فى يد نصر بن أحمد السامانى واليمامة وهجر والبحرين فى يد أبى طاهر القرمطى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ولم يبق فى يد الراضى وابن رائق سوى بغداد وما والاها فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعمّ الخراب لذلك وتوفى الراضى ليلة السبت خامس عشر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة بعلة الاستسقاء والتنخنخ وكان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وأشهر

وخلافته ست سنين وعشرة أشهر وكان سمحا جوادا واسع الصدر أديبا شاعرا حسن البيان وقيل إن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة وخلافته ست سنين وعشرة أيام وكان قصيرا أسمر نحيفا وله شعر جيد مدون وخطب بالناس فى سامرا فأبلغ وأجاد ومرض أياما ثم قاء دما كثيرا ومات .

﴿ خلافة إبراهيم المتقى بالله ﴾

ثم قام بالأمر بعده أخوه أبو العباس إبراهيم المتقى بالله بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الراضى فصلى ركعتين وصعد على السرير وكان ذا دين وورع ولهذا لقبوه المتقى بالله فكان تدبير المملكة إلى الأمير حكم التركى وليس للمتقى إلا الاسم ثم أن نوروز استولى على بغداد وخلع المتقى بالله وسلمه لابن عمه المستكفى بالله فأخرجه إلى جزيرة بقرب السندية وأكحله بعد أن أشهد على نفسه بالخلع وذلك يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا وقيل كانت أربع سنين وتوفى سنة سبع وسبعين وثلثمائة وكان مولده فى سنة سبع وتسعين ومائتين فأبوه أكبر منه بخمس عشرة سنة وكان كثير الصوم والتهجد يدمن التلاوة فى المصحف ولا يشرب مسكرا وعاش بعد خلعه أربعا وعشرين سنة .

﴿ خلافة عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى ﴾

ثم قام بالأمر بعده بن عمه أبو العباس عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى بن المعتضد بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقى بالله ولما ولى الخلافة خلع على نوروز وفوض إليه تدبير المملكة وفى أيامه قدم معز الدولة بن بويه بغداد فخلع عليه وفوض إليه ما وراء بابه وضرب السكة باسمه وأمر أن يخطب له على المنابر ولقبه بمعز الدولة ولقب أخاه أبو الحسن عليا بعماد الدولة وهو أكبر بنى بويه وله خبر عجيب سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحية ولقب أدهما الفتح بركن الدولة وهو أوسطهم وله خبر عجيب أيضا يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الدال المهملة فى لفظ الدابة وكان قدوم معز الدولة فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وفيها كان خلع المستكفى بالله وسبب ذلك أن معز الدولة بلغه أن المستكفى قد دبر على هلاكه فدخل على المستكفى وقبل الأرض ثم قبل يديه فطرح له كرسى فجلس عليه ثم تقدم بين يديه رجلان من الديلم ومدا أيديهما إلى المستكفى فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها إليهما فجذباه من على السرير وجعلا عمامته فى عنقه ثم سحب إلى معز الدولة واعتقل ثم خلع وسملت عيناه وانتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى فى دار معز الدولة فى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وهو ابن ست وأربعين سنة وكانت خلافته ستة وأربعة شهور .

﴿ خلافة أبى الفضل المطيع لله بن المقتدر وهو السادس فخلع ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أبو الفضل المطيع لله بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة وله يومئذ أربع وثلاثون سنة يوم خلع ابن عمه المستكفى بالله وتدبير المملكة إلى معز الدولة بن بويه وفى أيامه توفى معز الدولة ببغداد فى سنة ست وخمسين وثلثمائة وكانت مدة ملكه بالعراق إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وكان ملكا شجاعا مقداما قوى القلب إلا أنه كان فى أخلاقه شراسة فما زالت التجارب تحنكه والسعادة تخدمه وترفعه إلى أن بلغ الغاية التى لم يبلغها قبله أحد فى الإسلام إلا الخلفاء ولما توفى قام ولده عز الدولة بختيار بتدبير المملكة وقلده المطيع لله موضع والده وخلع عليه واستقل بالأمور وفى أيامه أيضا توفى كافور الإخشيدى صاحب مصر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكانت مدة ملكه اثنتين وعشرين سنة وفيها قدم جوهر القائد

خمسمائة فرسخ بحركة هذا الفلك يتكون الليل والنهار فإذا طلعت الشمس بدوران هذا الفلك على جانب من الأرض أضاء جوها وأشرق سطحها وتحركت حيواناتها وربى نباتها وفاح نسيمها وإذا غابت بدوران هذا الفلك عن جانب من الأرض أظلم جوها واسود وجهها وسكنت حيواناتها وذبل نباتها فما دامت هذه الحركة محفوظة فهـذه الحالة موجودة وأشار إليها بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والحكماء سموا هذا الفلك محددا لاعتقادهم أن ليس وراء ذلك خلاء وملاء وقال أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بعد ما أظهر فساد القول بالمحدد من أراد أن يكتال مملكة البارى تعالى بمكيال العقل فقد ضل ضلالا بعيدا وقد أحب بعض السالفين التوفيق بين الآيات والأخبار وقول الحكماء فزعم أن الكرسى هو الفلك الثامن الذى ذكرنا سعته وعجائبه والعرش هو الفلك التاسع الذى هو أعظم الأفلاك والله تعالى أعلم بصحة هذا القول أو فساده ولا شك فى وجود العرش والكرسى لنصوص الآيات ولما رواه أبو الدرداء رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصلاة فقال لا نعم فسأل رسول الله ﷺ عن قوله لا نعم فقال من وقت قلت لا إلى أن قلت نعم مرت الشمس

غلام المعز لدين الله صاحب القيروان مصر فأقام الدعوة بها للمعز لدين الله وبايعه بها الناس على ذلك وانقطعت الخطبة بمصر عن بنى العباس وشرع جوهر القائد فى بناء القاهرة لإسكان الجند بها ثم دخل المعز لدين الله مصر لثمان مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر ولما تغلب سبكتكين التركى على بغداد وكان أكبر حجاب معز الدولة ولم يزل منزلته ترتفع عند معز الدولة حتى أعظم مره ونفذت كلمته خاف المطيع لله منه على نفسه وانضاف إلى ذلك أنه لازمه مرض فخلع نفسه من الخلافة طائعا وسلمها لولده عبد الكريم وقيل أبى بكر وقيل إنها كنية وسماه الطائع لله وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ثم توفى بدير العاقول سنة أربع وستين وثلثمائة وكان بين خلعه وموته شهران وكان عمره ثلاثا وستين سنة وكان وطىء الجانب كثير الصدقات غير أنه كان مغلوبا على أمره وليس له من الخلافة إلى الاسم وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة شهور رحمة الله تعالى عليه .

﴿خلافة أبى بكر عبد الكريم الطائع لله﴾

ثم قام بالأمر بعده ولده عبد الكريم أبو بكر الطائع لله بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه من الخلافة وعمره سبع وأربعون سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس من هو أكبر منه سنا قال صاحب رأس مال النديم إنه لم يتقلد الخلافة من أبوه حى سوى الطائع لله والصديق رضى الله تعالى عنه وكلاهما اسمه أبو بكر وهو السادس فخلع كما سيأتى إن شاء الله تعالى وذلك إذا لم يعد ابن المعتز وإن عد فالمطيع هو السادس وقد خلع نفسه لما حصل له من الفالج ولما ولى أعنى الطائع خلع على سبكتكين التركى وولاه ماوراء بابه وفى أيام الطائع استولى الملك عضد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه على بغداد وملكها فخلع عليه الطائع لله الخلع السلطانية وتوجه وطوقه وسوره وعقد له لواءين وولاه ماوراء بابه وتسلم عضد الدولة الوزير أبا طاهر بن بقية وزير عز الدولة فقتله وصلبه فرثاه أبوه الحسن بن الأنبارى بمرثية لم يسمع فى مصلوب مثلها فلنأت بها وهى هذه :

علو فى الحياة وفى الممات * لحق أنت إحدى المعجزات * كأن الناس حولك إذ أقاموا
وفود نداك أيام الصلات * كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء * كمدهما إليهم بالهبات * ولما ضاق بطن الأرض عن أن
يضم علاك من بعد الممات * أصاروا الجو قبرك واستعاضوا * عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك فى النفوس تبيت ترعى * بحراس وحفاظ ثقات * وتوقد حولك النيران قدما
كذلك كنت أيام الحياة * ركبت مطية من قبل زيد * علاها فى السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأس * تباعد عنك تعيير العداة * ولم أر قبل جذعك قط جذعا
تمكن من عناق المكرمات * أسأت إلى النوائب فاستارت * فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجيرنا من صرف دهر * فعاد مطالبا لك بالترات * وصير دهرك الإحسان فيه
إلينا من عظيم السيآت * وكنت لمعشر سعدا فلما * مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك فى فؤادى * حقيق بالدموع الجاريات * ولو أنى قدرت على قيام
بفرضك للحقوق والواجبات * ملأت الأرض من نظم القوافى * ونحت بها خلاف النائحات
ولكنى أصبر عنك نفسى * مخافة أن أعد من الجناة * ومالك تربة فأقول تسقى
لأنك نصب هطل الهاطلات * عليك تحية الرحمن تترى * برحمات غواد رائحات

العرش فإنه مخلوق عظيم من مخلوقات الله تعالى قبلة لأهل السموات كما أن الكعبة قبلة لأهل الأرض فسبحان العظيم (النظر الثانى عشر) فى سكان السموات وهم الملائكة زعموا أن الملك جوهر بسيط ذو حياة ونظر وعقل والاختلاف بين الملائكة والجن والشياطين كالاختلاف بين الأنواع . واعلم أن الملائكة جواهر مقدسة عن طلب الشهوة وكدورة الغضب لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس وأنسهم بذكر الله تعالى وفرحهم بعبادته خلقوا على صور مختلفة وأقدار متفاوتة لإصلاح مصنوعاته وإسكان سمواته وقال ﷺ أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها قدر شبر إلا وفيه ملك راكع أو ساجد وقال بعض الحكماء إن لم يكن فى فضاء الأفلاك وسعة السموات خلائق فكيف يليق بحكمة البارى جلت قدرته تركها فارغة مع شرف جوهرها فإنه لم يترك قعر البحار المالحة المظلمة فارغا حتى خلق فيه أجناس الحيوانات وغيرها ولم يترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له أنواع الطير ولم يترك البرارى اليابسة والآجام والجبال حتى خلق فيها أجناس الهوام والحشرات وأما أصناف الملائكة فلا يعرفهم غير خالقهم كما قال تعالى ومايعلم

ذرة من ذرات العالم إلا وقد وكل بها ملك أو ملائكة وما من قطرة إلا ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها في المكان الذي قدر الله تعالى هذا حال الذرات والقطرات فما ظنك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان فبالملائكة صلاح العالم وكمال الموجودات بتقدير العزيز العليم ولنذكر بعض من أخبر بهم صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وهم الملائكة المقربون عليه وعليهم السلام فمنهم (حملة العرش) صلوات الله عليهم وهم أعز الملائكة وأكرمهم على الله تعالى تتقرب إليهم سائر الملائكة ويسلمون عليهم بالغدو والرواح لمكانتهم عند الله تعالى وهم يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فمنهم من هو على صورة النسر ومنهم من هو على صورة الثور ومنهم من هو على صورة الأسد ومنهم من هو على صورة البشر قال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله حملة العرش وهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم بالله تعالى بأربعة أخرى فذلك قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهو عظيم لا يوصف فمنهم كما تقدم من هو على صورة ابن آدم .

وتوفي الملك عضد الدولة ابن بويه في ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة وهو ابن تسع وأربعين سنة وأحد عشر شهرا وكان له ملك العراق وكرمان وعمان وخوزستان والموصل وديار بكر وحران ومنبج وكانت مدة ملكه ببغداد خمس سنين وكان ملكا فاضلا جليلا عظيما مهابا صارما كريما شجاعا بطلا ذكيا وله في الذكاء أخبار عجيبة ونكت غريبة ليس هذا موضع ذكرها وهو أول من تسمى بملك في الإسلام ولما احتضر جعل يقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه ويرددها حتى مات ولما مات كتم موته ودفن بدار المملكة ببغداد ثم ظهر موته وأخرج من قبره وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فدفن به وكان عضد الدولة قد بنى المشهد قبل موته كما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في لفظ الفهد ومما يحكى أن عضد الدولة خرج يوما إلى بستان له متنزها فقال ما أطيب يومنا هذا لو ساعدنا فيه الغيث فجاء المطر في الوقت فقال :

ليس شرب الراح إلا في المطر * وغناء من جوار في السحر * ناعمات سالبات للنهى
ناغمات في تضاعيف الوتر * مبرزات الكأس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الأملاك غلاب القدر * سهل الله له بغتة
في ملوك الأرض ما دار القمر * وأراه الخير في أولاده * ليساس الملك منهم بالغرر

فلم يفلح بعد هذه الأبيات وعوجل بقوله غلاب القدر ولما مات عضد الدولة قام بتدبير المملكة بعده ولده بهاء الدولة فخلع عليه الطائع لله وقلده ما كان بيد أبيه ثم إن بهاء الدولة أمسك الطائع لله واعتقله ونهب دار الخلافة ثم أشهد على الطائع بخلع نفسه من الخلافة وذلك في شهر شعبان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وأقام مخلوعا معتقلا إلى أن توفي في ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وعمره ثمان وسبعون سنة وكان مربوعا أشقر كبير الأنف شديد القوة في خلقه حدة كريما شجاعا بطلا جواداً سمحا إلا أن يده كانت قصيرة من ملوك بني بويه رحمة الله تعالى عليه .

﴿خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله بن إسحق﴾

ثم قام بالأمر بعده أبو العباس أحمد بن إسحق بن المقتدر بن المعتضد بويع له بالخلافة ليلة خلع الطائع لله وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة وكان كثير البر والصدقات مريدا للفقراء مؤثرا للتبرك بهم لكنه كان مقهورا على أمره وتوفي في ذي القعدة ويقال في ليلة الأضحى ويقال ليلة الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وهو ابن ست وثمانين سنة وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وشهورا قيل هي ثلاثة وقيل إنه كان ابن سبع وثمانين سنة وكان أبيض طويل اللحية كبيرها يخضبها لشيبه وكان دائم التهجد كثير الصدقات من الديانة على عفة اشتهرت عليه له مصنف في السنة وذم المعتزلة والروافض وكان يقرأ القرآن في كل جمعة مرة ويحضره الناس .

﴿خلافة أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله بويع له بالخلافة يوم موت والده وفي أيامه كان ابتداء دولة السلاطين السلجوقية وانقراض دولة بني بويه وكانت مدة ملكهم مائة سنة وسبعا وعشرين سنة وذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة ذكر ذلك ابن البطريق في تاريخه في حوادث سنة ست وأربعين وكان القائم بأمر الله أبيض اللون مليح الوجه مشربا بالحمرة ورعا زاهدا عابدا مريدا لقضاء حوائج المسلمين موقرا لأهل العلم معتقدا في الفقراء والصالحين حسن

الطوية ولم يقم أحد فى الخلافة قدر إقامته وكان كثير الصداقة له فضل وعلم من خيار الخلفاء لاسيما بعد عوده للخلافة فى نوبة البساسيرى فإنه صار يكثر الصيام والتهجد وما كان ينام إلا على سجادة وما تجرد من ثيابه لنوم قط وتوفى القائم بأمر الله فى سنة سبع وستين وأربعمائة لعشر ليال مضت من شعبان وكانت خلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وقيل تسعة أشهر وقيل خمسا وأربعين سنة وأمه أرمينية رحمه الله تعالى .

﴿ خلافة أبى القاسم المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم ﴾

ثم قام بالأمر بعده ولد ولده أبو القاسم عبد الله المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم بأمر الله بويع له بالخلافة يوم وفاة جده القائم بأمر الله فى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وذلك أن جده كان لما مرض افتصد فانفجر فصاده وخرج منه دم عظيم فخارت قوته وعجز فطلب ابن ابنه وعهد إليه بالأمر ولقبه المقتدى بأمر الله بمحضر من الأئمة والعلماء وكان ولد بعد موت أبيه ذخيرة الدين بست أشهر وعمرت بغداد فى أيامه وخطب له بالحجاز واليمن والشام * حكى أن المقتدى قدم إليه يوما طعاما فتناول منه وغسل يديه وهو على أكمل حال وأحسن هيئة فى نفسه وجسمه وبين يديه قهرمانته شمس فقال لها ما هذه الأشخاص الذين دخلوا بغير إذن فالتفتت فلم تر أحداً ثم نظرت إليه فرأته قد تغير وجهه واسترخت يداه وانحلت قواه وسقط إلى الأرض فظنت أنه قد غشى عليه فإذا هو قد مات فأمسكت نفسها عن البكاء واستدعت الخادم فاستدعى الوزير أبا منصور فبكيا وأحضروا أبا العباس أحمد المستظهر بن المقتدى وكان قد عهد إليه أبوه فعزياه وهنآه وكان عمره ثلاثا وثلاثين سنة وكانت خلافته تسع عشرة سنة وأشهراً قيل هى ثلاثة وقيل إن عمره كان تسعا وثلاثين سنة وكان موته فى المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ويقال إن جاريته سمته وقد كان السلطان صمم على إخراجه من بغداد إلى البصرة وكانت حرمته وافرة بخلاف من كان قبله من الخلفاء رحمه الله تعالى

﴿ خلافة المستظهر بالله أبى العباس أحمد ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه المستظهر بالله أبو العباس أحمد بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه وكان مولده فى سنة سبعين وأربعمائة وكان المستظهر كريم الأخلاق سخى النفس محبا للعلماء حافظاً للقرآن منكرا للظلم وكان لين الجانب محبا للخير جيد الأدب والفضيلة قوى الكتابة مسارعا فى أعمال البر توفى لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وخمسمائة وله إحدى وأربعون سنة وقيل اثنتان وأربعون أو ثلاث بعلة التراقى وهى الخوانيق وخلف أولادا عدة وتوفيت جدته أرجوان بعده بيسير فى خلافة ابنه المسترشد وهى سرية محمد الذخيرة وكانت خلافته أربعا وقيل خمسا وعشرين سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى .

﴿ خلافة أبى منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر بالله بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد من أبيه وسنه يومئذ سبع وعشرون سنة وروى أنه ورد إليه رسل فجلس لهم فى جماعة من أهل بيته فلما أحضروهم بين يديه شخم عليه الفداوية بالسكاكين فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه يقال إن مسعود أخا السلطان محمود جهز عليه الفداوية وذلك فى سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وقيل سبعة أو ستة أشهر وعاش أربعا وأربعين سنة وقيل خمسا وأربعين ولم يل الخلافة

---

يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم ومنهم من هو على صورة الثور يشفع للبهائم فى أرزاقها ومنهم من هو على صورة النسر يشفع للطيور فى أرزاقها ومنهم من هو على صورة الأسد يشفع للسباع فى أرزاقها (ومنهم الروح الأمين) عليه السلام وهو ملك يقوم صفا والملائكة كلهم صفا لكرامته عند الله تعالى وعظمته وإنما سمى روحا لأن كل نفس من أنفاسه يصير روحا لحيوان وقد وكله الله تعالى بإدارة الأفلاك وحركات الكواكب بما تحت فلك القمر من العناصر والمولدات من المعادن والنبات والحيوانات وهو أكبر من الفلك وأقوى منه وأعظم وأشرف وأعلى من الجسمانيات وهو قادر على تسكين الأفلاك كما هو قادر على تحريكها بإذن الله تعالى (ومنهم إسرافيل) عليه السلام وهو مبلغ الأوامر ونافخ الأرواح فى الأجساد قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وأصغى بالإذن حتى يؤمر فينفخ قال مقاتل القرن الصور وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن وهو كهيئة البوق ودائرة رأس البوق كعرض السموات والأرض وهو شاخص ببصره نحو العرش ينظر متى يؤمر فينفخ فإذا نفخ فى الصور صعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله تعالى قالت عائشة رضى الله عنها قلت لكعب الأحبار رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول يا رب جبريل وميكائيل

بعد المعتضد بالله أشهم منه وكان بطلا شجاعا مقداما شديد الهيبة ذا رأى وفطنة وهمة عالية ضبط الأمور وأحيا مجد بنى العباس وجاهد غير مرة.

﴿ خلافة أبى منصور جعفر الراشد بالله وهو السادس نخلع كما سيأتى ﴾

(هذا إذا لم يعد ابن المعتز وإلا فالسادس المسترشد وقد هجم عليه قاعدته أى الباطنة أرسلهم إليه السلطان سنجر الملقب ذو القرنين فقتلوه) ثم قام بالأمر بعده يعنى المسترشد ابنه أبو منصور جعفر الراشد بالله بن المسترشد بن المستظهر بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه فمكث ما شاء الله ثم وقع بينه وبين السلطان مسعود فاستخدم الراشد أجنادا كثيرة وتهيأ للقائه فكاتب السلطان مسعود أتابك زنكى واستماله وكذلك فعل بأرتقش فأشار على الراشد بالتوقف وأقبل السلطان مسعود بجيوشه فدخل بغداد فى ذى القعدة وقيل فى ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة فنهب دور الجند ومنع من نهب البلد واستمال الرعية وأحضر القضاة والشهود فقدحوا فى الراشد بأنه صدرت منه سيرة قبيحة من سفك الدماء المحرمة وارتكاب المنكرات وفعل مالا يجوز فعله وشهدوا عليه بذلك فحكم قاضى قضاة المماليك وهو ابن الكرخى والعلم عند الله تعالى بخلعه فخلعوه لأربع عشرة من ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة وكان الراشد قد هرب هو وأتابك زنكى إلى الموصل فطلبه السلطان مسعود فهرب إلى فارس ثم دخل اصبهان فحاصرها وتمرض هناك فوثب عليه جماعة من الفداوية فقتلوه وله إحدى وعشرون سنة وقيل ثلاثون سنة وكانت خلافته إلى أن خلع منها سنة إلا أياما وكان قتله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وهو صائم فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان وقيل إنه كان قد سقى أيضا ودفن فى جامع حي وخلف بضعا وعشرين ولدا ذكرا وخطب له بولاية العهد أكثر أيام أبيه وكان شابا أبيض مليحا تام الشكل شديد البطش شجاع النفس حسن السيرة شاعرا فصيحا جوادا كريما لم تطل دولته رحمه الله تعالى.

﴿ خلافة أبى عبد الله محمد المقتفى لأمر الله ﴾

ثم قام بالأمر بعده عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بن المقتدى بويع له بالخلافة يوم خلع ابن أخيه ولقب بالمقتفى لأمر الله وسبب لقبه بهذا أنه رأى ﷺ فى المنام قبل خلافته بستة أشهر وقيل بسنة وهو يقول له إنه سيصل إليك هذا الأمر فاقتف بى وكان آدم اللون بوجهه أثر جدرى مليح الشيبة عظيم الهيبة سيدا عالما فاضلا دينا حليما شجاعا فصيحا مهيبا خليقا للإمارة كامل السؤدد عظيم المملكة بيده أزمة الأمور كان لا يجرى فى خلافته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه وكانت أمه حبشية كتب فى أيام خلافته ثلاث ربعات وكانت وفاته بالخوانيق فى شهر ربيع الأول سنة خمسا وخمسين وخمسمائة وهو ابن ست وستين سنة وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وقيل خمسا وعشرين سنة وقد جدد باب الكعبة وعمل لنفسه من العقيق تابوتا دفن فيه وقد رأيت فيما نقلته من خط صاحبنا الحافظ صلاح الدين خليل بن محمد الأفقهسى فيما نقله من خط الصدر عبد الكريم العلامة ابن العلامة علاء الدين القونوى أن القائم بالأمر بعد المقتفى المستظهر كذا ذكر ولا أعلم من هذا المستظهر فليحرر ذلك وقد ذكر الخلفاء كما هنا الذهبى على هذا الترتيب.

﴿ خلافة أبى المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفى وكان أبوه ولاه العهد فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة بويع له بالخلافة بعد موت أبيه بيوم وقيل بل يوم مات أبوه قال ابن خلكان فى

---

وميكائيل فسمعت بهما فى القرآن وأما إسرافيل فأخبرنى عنه فقال كعب وإسرافيل أما جبريل إنه ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة أحدهما سد به المشرق والآخر سد به المغرب والثالث ينزل به من السماء إلى الأرض والرابع التثم به من عظمة الله تعالى قدماه تحت الأرض السابعة ورأسه ينتهى إلى أركان قوائم العرش وبين عينيه لوح من جوهر فإذا أراد الله عز وجل أن يحدث أمرا فى عباده أمر القلم أن يخط فى اللوح ثم أدنى اللوح إلى إسرافيل فيكون بين عينيه ثم هو ينهى إلى ميكائيل صلوات الله عليهم فهم له أعوان فى جميع العالم حتى على الأركان والمولدات ينفخون أرواحها فيها فيصير معدنا ونباتا وحيوانا وهى القوى التى بها صلاحها وحياتها فسبحان الخالق البارئ المصور.

(ومنهم جبريل الأمين) عليه السلام وهو أمين الوحى وخازن القدس ويقال له الروح الأمين وروح القدس والناموس الأكبر وطاووس الملائكة جاء فى الخبر أن الله تعالى إذا تكلم بالوحى سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا

ترجمته وهنا نكتة لطيفة وهى أن المستنجد رأى فى منامه فى حياة والده المقتفى إن ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه أربع خاءات فطلب معبرا وقص عليه ما رآه فقال له تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك وتوفى فى سنة ست وسبعين وخمسمائة فى ثامن شهر ربيع الثانى وحبس فى حمام وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وكان موصوفا بالعدل والديانة وأبطل المكوس وقام كل القيام على المفسدين وله شعر وسط وأمه طاوس الكوفية أدركت دولته

﴿ خلافة المستضىء بنور الله بن المستنجد ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو الحسن على المستضىء بنور الله بن المستنجد بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه وخطب له بالديار المصرية واليمن وكانت الدولة العباسية منقطعة منهما من زمن المطيع وكان جوادا كريما مؤثرا للخير كثير الصدقات معظما للعلم وأهله وتوفى فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة وكانت خلافته تسع عشرة سنة وعاش تسعا وثلاثين سنة وكان سمحا جوادا محبا للسنة أمنت البلاد فى زمنه وأبطل مظالم كثيرة واحتجب عن أكثر الناس ولم يكن يركب إلا مع مماليكه ولم يدخل عليه غير الأمير قيمار

﴿ خلافة أبى العباس أحمد الناصر لدين الله ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضىء بويع له بالخلافة فى بغداد يوم وفاة أبيه فى أول ذى القعدة سنة خمس وتسعين وخمسمائة وعمره ثلاث وعشرون سنة فبسط العدل وأمر بإراقة الخمور وكسر الملاهى وإزالة المكوس والضرائب فعمرت البلاد وكثرت الأرزاق وقصد الناس بغداد وتبركوا به وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهو ابن خمسين سنة وذلك فى سلخ شهر رمضان وحمل على أعناق الرجال إلى البدرية ودفن بها رحمة الله تعالى عليه وكانت خلافته سبعا وعشرين سنة وكان أبيض تركى الوجه أقنى الأنف مليحا خفيف العارضين أشقر اللحية رقيق المحاسن فيه شهامة وإقدام وله عقل وكان فيه دهاء وفطنة وتيقظ ونهضة بأعباء الخلافة وكان فى أكثر الليل يشق الدروب والأسواق وكان الناس يتهيبون لقاءه وكان مستقلا بالأمور فى العراق متمكنا من الخلافة يتولى الأمور بنفسه ومازال فى عز وجلالة واستظهار وسعادة أظهر القسى والبندق والحمام فى أيامه وهو أطول بنى العباس خلافة وكان له عيون على كل سلطان يأتونه بالأخبار ويحكى أن بعض الكبار كان يعتقد فيه أن له كشفا واطلاعا على المغيبات وفى آخر أيامه أصابه الفالج بقى معه سنتين وذهب عنه وكان فيه عسف للرعية

﴿ خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله ﴾

ثم قام بالأمر بعده ابنه محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله بويع له بالخلافة يوم موت أبيه فعمل عزاءه ثلاثة أيام وأحسن إلى الناس وأبطل المكوس وأزال المظالم وأرسل الخلع إلى أولاد الملك العادل أبى بكر بن أيوب ثم إن حاجبه قريغدى بلغه أنه يريد قتله فهجم عليه وأمسكه وأشهد عليه بالخلع وقتله فعمل له العزاء فى البلاد كلها لأجل إحسانه إليهم وكان ذلك فى سنة أربعين وستمائة وهو ابن ثلاثين سنة وكانت خلافته ثمانى عشرة سنة هكذا لقيت هذه الترجمة فى النسخة التى نقلت منها وفيها تخليط لأنها تحتوى على بعض ترجمة الظاهر بأمر الله وبعض ترجمة المستنصر بالله وأظن أن ذلك من الناسخ (وهذه ترجمة كل واحد منهما على حدته والله الموفق * فالظاهر بأمر الله هو أبو النصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضىء بنور الله حسن بن أبى الحسن المستنجد بالله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبى عبد الله محمد العباس كان أبوه قد خطب له بولاية

على صورتك التى صورك الله فيها فقال إنك لا تطيق ذلك فقال ﷺ أرنى فواعده جبريل بالبقيع فى ليلة مقمرة فأتاه فنظر إليه النبى ﷺ فإذا هو قد سد الآفاق فوقع مغشيا عليه فلما أفاق عاد جبريل عليه السلام إلى صورته الأولى فقال ﷺ ما ظننت أن أحدا من خلق الله تعالى هكذا فقال له جبريل عليه السلام كيف لو رأيت إسرافيل وإن العرش لعلى كاهله وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله تعالى حتى يصير كالوصع والوصع العصفور الصغير وقال كعب الأحبار رضى الله عنه إن جبريل عليه السلام من أفضل الملائكة له ست أجنحة فى كل واحد مائة جناح وله وراء ذلك جناحان لا ينشرهما إلا عند هلاك القرى ولما نزل على رسول الله ﷺ إنه لقول رسول كريم ذى قوة سأله رسول الله ﷺ عن قوته فقال رفعت قرى قوم لوط بجناحى وصعدت بها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبتها وأعوانه موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث القوة الغضبية

الأحبار فى السماء السابعة البحر المسجور وعليه من الملائكة ما شاء الله وميكائيل قائم على البحر المسجور لا يعرف وصفه وعدد أجنحته ألا الله تعالى ولو أنه فتح فاه لم تكن السموات فيه إلا كحردلة فى بحر ولو أشرف على أهل السموات والأرض لاحترقوا من نوره وله أعوان موكلون على جميع العالم من شأنهم إحداث قوة النهوض فى الأركان والمولدات وغيرها التى بها الوصول إلى الغايات وبلوغ الكمال فى الكائنات (ومنهم عزرائيل) عليه السلام وهو مسكن الحركات ومفرق الأرواح من الأجساد قال كعب الأحبار عزرائيل فى سماء الدنيا وخلق الله تعالى رجليه فى تخوم الأرضين ورأسه فى السماء العليا ووجهه مقابل اللوح المحفوظ له أعوان بعدد من يموت والخلق كلهم بين عينيه لا يقبض روح مخلوق إلا بعد أن يستوفى رزقه وينقضى أجله وعن أشعث ابن أسلم أن إبراهيم عليه السلام سأل ملك الموت عليه الصلاة والسلام فقال له ماذا تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان فقال أدعو الأرواح بإذن الله تعالى فتكون بين أصبعى هاتين وعن وهب بن منبه رضى الله عنه أن سليمان بن داود عليهما السلام تمنى أن يرى ملك

العهد فلما توفى تسلم الخلافة وبايعه الكبار فى يوم موته وكان مولده فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ووفاته فى ثالث عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة وله اثنتان أو ثلاث وخمسون سنة وكانت خلافته تسعة أشهر وقيل ونصفا وكان جميل الصورة أبيض مشربا بحمرة حلو الشمائل شديد القوى فيه دين وعقل ووقار وخير وعدل حتى بالغ فيه ابن الأثير فقال لقد أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين قيل له ألا تتفسح وتتنزه فقال لقد يبس الزرع فقيل له يبارك الله فى عمرك فقال من فتح دكانه بعد العصر إيش يكسب ثم قال إنه أحسن إلى الرعية وبذل الأموال وأزال المظالم وأبطل المكوس وكان يقول الجمع شغل التجار أنهم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال اتركونى أفعل الخير فيكم ما بقيت أعيش وقد فرق ليلة العيد مائة ألف دينار على العلماء والصالحين * والمستنصر بالله هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله العباسى أمه تركية ولد فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه بايعه إخوته وكان أكبرهم وبنو عمه وهو إذ ذاك ابن خمس وثلاثين سنة مات فى بكرة يوم الجمعة عاشر جمادى الثانية سنة أربعين وستمائة وكان مليح الشكل كأبيه وكان أشقر ضخما كثيرا وخطه الشيب فخضب بالحناء ثم ترك قال ابن الساعى حضرت بيعته فلما رفعت الستارة شاهدته وقد كمل الله صورته ومعناه كان أبيض مشربا بحمرة أزج الحاجبين أدعج العينين سهل الخدين أقنى الأنف رحب الصدر عليه ثوب أبيض وقباء أبيض وطرحة قصب بيضاء فجلس إلى الظهر وبلغنى أن عدة الخلع التى خلعها بلغت ثلاثة آلاف خلعة وخمسمائة خلعة وسبعين خلعة كانت خلافته وافرة الحشمة وفيه عدل ودين وقمع للمتمردين ونهضة بأعباء الخلافة ووقف المدارس والمساجد وبذل الأموال ودانت له الملوك وكان جده الناصر يحبه ويسميه القاضى لعقله ومحبته للحق وأنشأ المدرسة التى لا نظير لها فى الدنيا واستخدم عسكرا عظيما إلى الغاية حتى أن جريدة جيشه بلغت نحو مائة ألف استعدادا لحرب التتار وقد خطب له بالأندلس وبعض بلاد المغرب وكانت خلافته سبع عشرة سنة فالله يتغمده برحمته ومغفرته فلم يخلع هو ولا أبوه بهذا انقضت القاعدة إلا أن التتار كان أمرهم قد عظم فى أيامهما فأخذوا جملة مستكثرة من بلاد الإسلام وفقد جلال الدين خوارزم شاه فى أيام المستنصر فى وافعة كانت بينه وبين التتار وهذا أعظم وأطم من الخلع ثم لم ينتظم لبنى العباس فى العراق أمر بحيث أن من ولى بعدهؤلاء لم يكملوا العدة المشروطة فإن الذى جاء بعدهم واحد وهو المستعصم بالله بن المستنصر وهو الذى قتله التتار وانقرضت الدولة العباسية من العراق سنة ست وخمسين وستمائة فإن المستعصم قتل فى الثامن والعشرين من المحرم كما ستراه فى ترجمته إن شاء الله تعالى.

## ﴿ خلافة المستعصم بالله ﴾

ثم قام بالأمر بعده المستعصم بالله وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبى جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسى آخر الخلفاء العراقيين وكانت دولتهم خمسمائة سنة وأربعا وعشرين سنة وكان مولد أبى أحمد فى خلافة جد أبيه قال المؤلف رحمه الله تعالى بويع له بالخلافة يوم قتل الظاهر البيعة العامة وذلك فى جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة فظهر بهذه العبارة أن المؤلف جعل الترجمة السابقة للظاهر ولم يجعل للمستنصر ترجمة وأن الناسخ نقل ذلك كما وجده فالاعتماد على ما ذكرته من ترجمتهما وهو السادس فخلع وقتل فى أيام هولاكو لما أخذ بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة وكان ذلك بمواطأة وزيره ابن العلقمى وسوء تدبير المستعصم

واشتغاله بلعب الحمام وبما لا يليق به وكان قد خرج إلى هولاكو ومعه الفقهاء والصوفية فقتلوا عن آخرهم وأخذ المستعصم فخلع ووضع في جوالق وضرب بالمرازب وقيل بمداق الجص إلى أن مات ولم ينتظم لبني العباس بعده أمر وذلك في الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وخمسين وستمائة وكان السبب في قتله أن الطاغية هولاكو بن قبلان خان بن جنكزخان المغلي لما كان في أوائل سنة ست وخمسين وستمائة قصد بغداد بجيش عرمرم فخرج عليه الدويدار بالعسكر فالتقوا بطلائع هولاكو وعليهم تايجو فانكسروا لقلتهم ثم أقبل تايجو فنزل غربي بغداد ونزل هولاكو على شرقيها فأشار الوزير على الخليفة أن يخرج إلى هولاكو في تقرير الصلح فخرج الكلب وتوثق لنفسه ثم رجع فقال إن هولاكو رغب في أن يزوج ابنته بابنك وأن تكون الطاعة له كالملوك السلجوقية ويرحل عنك فخرج الخليفة في أكابر الوقت وأعيان دولته ليحضروا العقد فضربوا رقاب الجميع وقتل الخليفة وكان حليما كريما سليم الباطن قليل الرأي حسن الديانة مبغضاً للبدعة وبالجملة ختم له بخير فإن الكافر هولاكو أمر به وبولده أبي بكر فرفسا حتى ماتا وذلك في حدود آخر المحرم وكان الأمر أشغل من أن يوجد مؤرخ لموته أو لمواراة جسده فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبقي الوقت بلا خليفة ثلاث سنين فلما كان في شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة بايع المصريون بمصر المستنصر بالله .

﴿ خلافة المستنصر بالله أحمد بن الخليفة الظاهر بالله ﴾

هو أحمد بن الخليفة الظاهر بالله محمد بن الناصر العباسي الأسود كانت أمه حبشية وكان بطلا شجاعا قدم مصر فعرفوه وهو عم المستعصم المقتول ونهض بإقامة دولته ومبايعته السلطان الملك الظاهر ففوض أمر الأمة إليه ثم خرجا إلى الشام ثم إن الخليفة فارقه من ثم وسار بعسكر نحو ألف ليملك بغداد فكان القتال بينه وبين التتار في آخر السنة فعدم في الوقعة وكان في خدمته الحاكم أبو العباس أحمد فانهزم إلى الشام .

﴿ خلافة الحاكم بأمر الله ﴾

فلما كان في ثامن المحرم سنة إحدى وستين وستمائة عقد مجلس عظيم لعقد البيعة للخليفة فأحضروا أبا العباس أحمد بن الأمير أبي علي بن أبي بكر بن المسترشد بالله بن المستظهر بالله العباسي فأثبت نسبه فعند ذلك مد السلطان الملك الظاهر يده وبايعه بالخلافة ثم بايعه القضاة والأمراء ولقب بالحاكم بأمر الله فلما كان من الغد خطب خطبة أولها الحمد لله الذي أقام لبني العباس ركنا وظهرا ثم كتب بدعوته وإمامته إلى الأقطار وبقي في الخلافة أربعين سنة وأشهرا وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة ودفن عند السيدة نفيسة رحمة الله تعالى عليهما .

﴿ خلافة المستكفي بأمر الله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ﴾

عهد إليه بالأمر أبوه الحاكم بأمر الله وقرئ تقليده بعد عزائه بوالده وخطب له على المنابر في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعمائة واستمر في الخلافة تسعا وثلاثون سنة ومات بقوص في شعبان سنة أربعين وسبعمائة وهو ابن بضع وخمسين سنة رحمة الله تعالى عليه .

﴿ خلافة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله ﴾

كانت خلافته في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة بويع للحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي وكان ولي عهد أبيه هكذا ذكره الحسيني في ذيله على العبر وذكر الذهبي في آخر ذيله عليه في سنة أربعين وسبعمائة أن المستكفي لما مات يوم لأخيه إبراهيم بغير عهد واستمر الحاكم في الخلافة إلى أن أتاه حمامه وهو بالقاهرة في سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

الموت ليتخذه صديقا فلم يشعر سليمان حتى أتاه كأنه خرج من تحت سريره فقال له سليمان من أنت فقال ملك الموت فصعق سليمان عليه السلام فلما رأى ملك الموت ذلك قال اللهم إن عبدك سليمان تمنانى ونزل به ما ترى اللهم إني أسألك أن تقويه على رؤيتي فأوحى الله تعالى إليه أن ضع يدك على صدره ففعل ذلك فأفاق سليمان عليه السلام وقال يا ملك الموت إني أراك عظيم الخلق أو كل الملائكة مثلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا إن رجلي الآن على منكبي ملك قد جاوزت رأسه السموات السبع وارتفع فوق ذلك بمسيرة خمسمائة عام ورجلاه قد جاوزتا الثرى بمسيرة خمسمائة عام وهو فاتح فاه رافع رأسه باسط يديه فلو أذن الله تعالى له أن يطبق شفته العليا والسفلى لأطبق على ما بين السماء والأرض فقال له سليمان عليه السلام لقد وصفت أمرا عظيما فقال له كيف لو رأيتني على صورتي التي أقبض فيها أرواح الكفار فصار ملك الموت صديقا له ويأتيه كل خميس ويقعد عنده إلى أن تزول الشمس فقال له سليمان عليه السلام يوما مالي أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا فقال له ملك الموت

ليس المسئول بأعلم من السائل إنما هي كتب فيها أسماء المقبوضين تلقى إلي ليلة الصك وهي ليلة النصف من شعبان إلى مثلها من السنة

القابلة فأما أهل التوحيد فأقبض أرواحهم بيميني في حريرة بيضاء مغموسة في المسك وترفع إلى عليين وأما أهل الكفر فأقبض أرواحهم بشمالي في سربال من قطران وتنزل إلى سجين وأمرهم إلى عالم الغيب والشهادة فينبئهم بما كانوا يعملون وعن الأعمش عن خيثمة قال دخل ملك الموت على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى أحد جلسائه ويديم النظر إليه فلما خرج ملك الموت قال الرجل يا نبي الله من كان هذا قال إنه ملك الموت قال رأيته ينظر إليّ كأنه يريدني أريد أن تخلصني منه بأن تأمر الريح لتحملني إلى أقصى بلاد الهند فأمر سليمان الريح بذلك ففعلت فلما عاد ملك الموت إلى سليمان عليه السلام قال له رأيتك تديم النظر إلى بعض جلسائي قال كنت أعجب منه لأني أمرت أن أقبض روحه بأقصى بلاد الهند في ساعة قريبة ورأيته عندك وقال وهب قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة فقالت الملائكة لملك الموت لمن كنت أشد رحمة بمن قبضت أرواحهم فقال أمرت بقبض روح امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولوداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا أحد بها فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود فقال ملك الموت سبحان اللطيف بعباده (ومنهم الكروبيون) عليهم السلام وهم العاكفون في حضيرة القدس لا التفات لهم إلى غير الله تعالى

## ﴿ خلافة المعتضد بالله ﴾

بويع له بالخلافة بعهد من أخيه الحاكم بأمر الله ولقب بالمعتضد بالله وهو ابن أبي الفتح أبو بكر بن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن أبي علي بن المسترشد بالله العباسي فكانت خلافته نحواً من عشرين سنة ومات في رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالقاهرة .

## ﴿ خلافة المتوكل على الله ﴾

بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه بعهد منه في سابع جمادى الثانية سنة ثلاث وستين وسبعمائة وكان مولده في سنة نيف وأربعين وسبعمائة أو قريب منها وهو عبد الله محمد وقيل حمزة المتوكل على الله بن المعتضد بالله العباسي فاستقر في الخلافة إلى أن مات في شعبان سنة ثمان وثمانمائة غير أنه تخلل فيها أعوام خلع فيها وبويع لقريبه زكريا بن إبراهيم في ثالث عشر صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة ثم أعيد بعد شهر واستمر إلى شهر رجب سنة خمس وثمانين فخلع وحبس وبويع لعمر بن المعتضد ولقب بالواثق ثم مات فبويع لأخيه زكريا ولقب بالمستعصم واستمر المتوكل محبوساً إلى صفر سنة إحدى وتسعين فأفرج عنه ثم ضيق عليه ومنع الناس من الدخول إليه فلما كان في سابع عشر شهر ربيع الأول أفرج عنه فلما كان اليوم الأول من جمادى الأولى بويع ونزل إلى داره وفي خدمته الأمراء والقضاة وكان يوما مشهودا واستمر إلى أن مات رحمة الله تعالى عليه .

## ﴿ خلافة المستعين بالله ﴾

هو أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر بن سليمان بن أحمد العباسي عهد إليه أبوه بالخلافة وكان قد عهد قبله لولده الآخر المعتمد على الله أحمد ثم خلعه وولى هذا واستمر أحمد مخلوعا إلى أن مات فلما مات المتوكل بويع ابنه العباس في شهر رجب سنة ثمان وثمانمائة واستمر في الخلافة إلى أن حوصر الملك الناصر فرج بن برقوق بدمشق وقيل بويع له بالسلطنة مضافة إلى الخلافة في يوم السبت خامس عشر المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة اجتمع أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء ومن حضر فسألوه في ذلك فامتنع واشتد امتناعه وصمم ثم إنه أجابهم إلى ذلك بعد أن توثق منهم بالأيمان ولم يغير لقبه وضربت سكة الذهب والفضة باسمه وتصرف بالولاية والعزل وفي الحقيقة إنما كانت إليه العلامة والخطبة فلما توجه العسكر إلى مصر كانت الأمراء كلهم في خدمته على هيئة السلطنة ولكن الحل والعقد للأمير شيخ فلما كان اليوم الثامن من شهر ربيع الثاني دخل مصر فشقها والأمراء بين يديه وكان يوما مشهودا فاستمر إلى القلعة فنزلها ونزل شيخ في الاصطبل بباب السلسلة فلما كان في اليوم الثامن ( بياض بالأصل )

دخل شيخ والأمراء إلى القصر وجلس الخليفة على تخت المملكة وخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثله وفوض إليه أمر المملكة ولقبه بنظام الملك فكان يدعى لهما على المنابر في الحرمين وغيرهما وصار الأمراء إذا فرغوا من الخدمة في القصر نزلوا إلى خدمة شيخ في الاصطبل فأعيدت الخدمة عنده ووقع الإبرام والنقض ثم يتوجه ويداره إلى الخليفة فيعلم على المناشير والتواقيع واستمر الأمر على ذلك مدة وكان شيخ يظن أن الخليفة يتوجه إلى بيته ويستعفي من السلطنة فلما لم يفعل أعرض عنه ولم يبق عنده إلا من يخدمه من حاشيته فلما كان في يوم الاثنين

لاستغراقهم بجمال حضرة الربوبية يسبحون الليل والنهار لا يفترون وفى الخبر أن الله تعالى أرضا بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوما محشورة خلقا من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين قالوا يا رسول الله أمن ولد آدم هم قال لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم قيل يا رسول الله أفى غفل عنهم إبليس قال لا يعلمون أن الله تعالى خلق إبليس ثم تلا قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون (ومنهم ملائكة سبع سموات) قال كعب الأحبار هؤلاء ملائكة مداومون على التسبيح والتهليل فى القيام والقعود والركوع والسجود يسبحون الليل والنهار لا يفترون حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال ملائكة سماء الدنيا على صورة البقر وقد وكل الله تعالى بهم ملكا اسمه إسمعيل وملائكة السماء الثانية على صورة العقاب ووكل الله بهم ملكا اسمه ميخائيل وملائكة السماء الثالثة على صورة النسر والملك الموكل بهم اسمه صاعديائيل وملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل والملك الموكل بهم اسمه صلصائيل وملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين والملك الموكل بهم اسمه كلكائيل وملائكة السماء السادسة على صورة الولدان والملك الموكل بهم اسمه سمخائيل وملائكة السماء السابعة على صورة بنى آدم والملك

مستهل شعبان أحضر شيخ أهل الحل والعقد والقضاة والأمراء والمباشرين فبايعوه بالسلطنة ولقبوه بالملك المؤيد أبى النصر ثم إنه صعد القصر وجلس على تخت المملكة فقبل الأمراء الأرض بين يديه وصافحه القضاة وأهل الوظائف وأرسل إلى الخليفة يسأله أن يشهد عليه بتفويض السلطنة له على عادة من تقدمه فأجابه بشرط أن يذهب إلى بيته فلم يوافقه على ذلك أياما ثم إنه نقله من القصر وأنزله فى دار من دور القلعة ومعه أهله ووكل به من يمنع الناس من الدخول إليه فلما كان فى ذى القعدة قطع الدعاء للخليفة على المنابر وكان قبل أن يلى السلطنة يدعى له مع السلطان واستمر فى الخلافة إلى أن خلع فى سنة ست عشرة فلما خرج المؤيد إلى نيروز أرسله إلى الاسكندرية فعقل بها ولم يزل بها إلى أن استقر ططر فى المملكة فأرسل فى إطلاقه وأذن له فى المجىء إلى القاهرة فاختار الإقامة فى الإسكندرية لأنها لاقت بحاله واستطابها وحصل له بها مال جزيل من التجارة فاستمر إلى أن مات فيها شهيدا بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

﴿فصل﴾ فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين والملوك والسلاطين قال الشعبى قال لى عبد الله بن عباس قال لى العباس يا بنى إنى أرى هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقدمك على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ وإنى أوصيك بكلمات أربع لا تفشين لهم سرا ولا تحدثهم كذبا ولا تطرين عندهم نصيحة ولا تغتابن إليهم أحدا قال الشعبى فقلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف قال أى والله ومن عشرة آلاف قال بعض الحكماء إذا زادك السلطان إكراما فزده إعظاما وإذا جعلك ولدا فاجعله سيدا وإذا جعلك أخا فاجعله والدا ولا تديمن النظر إليه ولا تكثر من الدعاء له ولا تتغير منه إذا سخط ولا تغتر به إذا رضى ولا تلح فى مسئلته وقد قيل فى المعنى.

قرب الملوك يا أخا البدر السنى * حظ جزيل بين شدق ضيغم

قال الفضل بن الربيع من كلم الملوك فى حاجة فى غير وقتها جهل مقامه وضاع كلامه وما أشبه ذلك إلا بأوقات الصلاة التى لا تقبل إلا فى وقتها قال خالد بن صفوان من صحب السلطان بالنصيحة والأمانة كان أكبر عدو له ممن صحبه بالفسق والخيانة لأنه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد فعدو السلطان يبغضه لنصيحته وصديقه ينافسه فى مرتبته قال أفلاطون الحكيم إذا خدمت ملكا فلا تطعه فى معصية ربك فإن إحسانه إليك أفضل من إحسانه إليك وإيقاعه بك أغلظ من إيقاعه بك وقال رسول الله ﷺ من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثا دينه رواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود وأنس بلفظ من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه ومن أصبح يشكو مصيبته فإنما يشكو ربه ومن دخل لغنى فتضعضع له ذهب ثلث دينه وأخرج الديلمى من حديث أبى ذر لعن الله فقيرا يتواضع لغنى من أجل ماله من فعل ذلك فقد ذهب ثلثا دينه وقد قال ﷺ من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه وروى أحمد عن بعض الصحابة مرفوعا إنك لا تدع شيئا إتقاء الله إلا أعطاك الله خيرا منه وقال أفلاطون الحكيم من لم يعتبر بالتجارب أوقعه الله فى المهالك وقال كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الأيام عظة وقال الملك كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار فإن كان عذبا عذبت وإن كان ملحا ملحت وسئل عن الرجل العاقل فقال من اجتمعت فيه خصال الأدب ولا يقهره الغضب لأن العقل أصله التثبت فى الأمور وثمرته السلامة وقال السلطان كالسوق ما راج فيه حمل إليه

الموكل بهم اسمه روقائيل قال وهب وفوق السموات السبع حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة عددهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفة كالرعد القاصف (ومنهم الحفظة) عليهم السلام وهم الكرام الكاتبون قال ابن جريج هما ملكان موكلان بابن آدم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وقال بعضهم هم أربعة اثنان بالليل واثنان بالنهار وخامس لا يفارق ليلا ولا نهارا وللكفار أيضا حفظة لأن آية الحفظة نزلت فى شأن الكفار وهى قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وفى الخبر إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإذا تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبه وفى رواية أخرى فإذا كتبه عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمين عليه ألق هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع تسع حسنات فيفعل صاحب صاحب الشمال وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يارب قبضت عبدك فلانا فإلى أين نذهب قال الله تعالى سمائى مملوءة من ملائكتى يعبدوننى وأرضى مملوءة من

وصاحب الملك كراكب الأسد تهابه الناس وهو لمركوبه أهيب وقال من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أطلق بصره طال أسفه ومن طال أمله ساء عمله ومن أطلق لسانه قيد نفسه ومن أصلح فاسده أرغم حاسده ومن قاسى الأمور عرفهم المستور ومن أحب المكارم اجتنب المحارم ومن حسنت به الظنون رمقته الرجال بالعيون وقال الأدب ينوب عن الحسب العفو يفسد اللئيم بقدر ما يصلح الكريم من شاور ذوى الألباب دل على الصواب من أمل إنسانا هابه ومن قصر عن شىء عابه من بالغ فى الخصومة أثم ومن قصر عنها ظلم ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم من فرط فى الأمانة ضدها عمل من عرض نفسه لما قصر عنه فعله فقد نقص فى عين غيره من جاد ساد ومن ساد قاد ومن قاد بلغ المراد ظلم الأيامى واليتامى مفتاح للفقر لا يصلح للصدر إلا من يكون واسع الصدر ما ناله إلا وضيع ولا فاخر إلا لفيط ولا تعصب إلا بخيل ولا أنصف إلا كريم الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين الكريم يلين إذا استعطف واللئيم يقسو إذا لوطف أقرب الناس إلى الله أكثرهم عفوا عند القدرة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ من رضى بالقضاء صبر على البلاء من عمر دنياه ضيع ماله ومن عمر آخرته بلغ آماله القناعة عز المعسر والصدقة كنز الموسر من سره فساده ساء معاده الشقى من جمع لغيره وبخل على نفسه الخير أجل بضاعة والإحسان أفضل صناعة من استغنى عن الناس أمن من عوارض الإفلاس من رفع حاجة إلى الله استظهر فى أمره ومن رفعها إلى الناس وضع من قدره من أبدى سر أخيه أبدى الله أسرار مساويه اعص الجاهل تسلم وأطع العاقل تغنم ازدياد الأدب عند الأحمق كازدياد الماء العذب فى أصول الحنظلة لا يزيدها إلا مرارة مكتوب فى الانجيل كما تدين تدان بالكيل الذى تكيل تكال وكان بعض الخلفاء يتلطف فى إدخال السرور على إخوانه فيضع عندهم الصرة فيها ألف درهم ويقول لبعضهم امسكها حتى أعود إليك ثم يرسل إليه بعض غلمانه فيقول له أنت فى حل من ذلك وقال بعض الحكماء أحزم الناس من وقى نفسه بماله ووقى دينه بنفسه وأجود الناس من عاش الناس فى فضله وأفضل اللذات التفضل على الإخوان وقال المعروف ذخيرة الأدب والبر غنيمة الحازم والخير عطر الأخيار من بذل ماله استعبد أمثاله ومن أذل فلسه أعز نفسه وإن صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد متكأ وقال إمام عادل خير من مطر وابل وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم وقال فضل الملوك فى الإعطاء وشرفهم فى العفو وعزهم فى العدل والعدل هو نظام العالم وقال ﷺ سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل فبدأ بالعدل وقال عليه الصلاة والسلام عدل السلطان يوما يعدل عبادة سبعين سنة وقال عليه الصلاة والسلام عدل ساعة فى الحكومة خير من عبادة ستين سنة وقال ﷺ السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر وإن جار كان عليه الإثم وعلى الرعية الصبر

## ﴿خلافة المعتضد بالله أبى الفتح داود﴾

بويع له بالخلافة فى سابع عشر ذى الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة عوضا عن أخيه المستعين بالله لما خلعه الملك السلطان المؤيد فاستدعاه وأجلسه بينه وبين القاضى الشافعى صالح البلقينى وقرره فى الخلافة فاستمر فيها إلى أن مات يوم الأحد الرابع من شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثمانمائة وقد قارب السبعين بعد مرض طويل رحمه الله تعالى عليه .

﴿ خلافة المستكفى بالله ﴾

هو سليمان أبو الربيع بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن سليمان بن أحمد العباسى بويع له بالخلافة يوم موت أخيه شقيقه المعتضد بالله بعهد منه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وأربعين وثمانمائة قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم قلت وكذلك العبيديون الذين تسموا بالفاطميين خلفاء مصر فأول من ملك منهم بالمغرب المهدى ثم القائم ابنه المنصور ثم المعز وهو أول من ملك مصر منهم كما تقدم ثم العزيز ثم كان السادس الحاكم فقتلته أخته وسيأتى له ذكر إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار ثم قال وأنها لما قتلته ولت ابنه الظاهر ثم كان المستنصر ثم المستعلى ثم الآمر ثم الحافظ ثم كان السادس الظافر فخلع وقتل ثم ولى ابنه الفائز ثم العاضد وهو آخرهم قال وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر فأولهم صلاح الدين الملك الناصر ثم ابنه العزيز ثم أخوه الأفضل بن صلاح الدين ثم العادل الكبير أخو صلاح الدين ثم الكامل ولده ثم كان السادس العادل الصغير فقبض عليه أرباب دولته وخلعوه وولوا الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم ولده المعظم توران شاه وهو آخرهم قال وكذلك دولة الأتراك فأولهم المعز عز الدين أيبك الصالحى ثم ابنه منصور ثم المظفر قطز ثم الظاهر بيبرس ثم ابنه السعيد محمد ثم كان السادس العادل سلامش بن الظاهر بيبرس فخلع ثم ملك الناس السلطان المنصور فلاوون الألفى انتهى وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى دولة العبيديين وغيرهم من ملوك مصر على الإجمال مختصرا وها أنا أذكرهم مفصلا مبينا وذلك أن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله القداح وذلك أنه كان يعالج العيون ويقدحها ابن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم قدم إلى سلمية قبل وفاته وكان له بها ودائع وأموال من ودائع جده عبد الله القداح فاتفق أنه جرى بحضرته ذكر النساء فوصفوا له امرأة يهودى حداد مات عنها زوجها وهى فى غاية الحسن والجمال وله منها ولد يماثلها فى الجمال فتزوجها وأحبها وحسن موضعها منه وأحب ولدها فعلمه فتعلم العلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة وكان الحسين يدعى أنه الوصى وصاحب الأمر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه ولم يكن له ولد فعهد إلى ابن اليهودى الحداد وهو عبيد الله المهدى أول من ملك من العبيديين ونسبتهم إليه وعرفه أسرار الدعوة من قول وفعل وأمر الدعاة وأعطاه الأموال والعلامات وأمر أصحابه بطاعته وخدمته وقال إنه الإمام والوصى وزوجه بابنة عمه فوضع حينئذ المهدى لنفسه نسبا وهو عبيد الله بن الحسين بن على بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وبعض الناس يقول إنه من ولد القداح فلما توفى الحسين وقام بعده المهدى انتشرت دعوته وأرسل إليه داعيه بالمغرب يخبره بما فتح الله عليه من البلاد وأنهم ينتظرونه فشاع خبره عند الناس أيام المكتفى فطلب فهرب هو وولده أبو القاسم نزار الملقب بالقائم وهو يومئذ غلام ومعهما خاصتهما وموالهما يريدان المغرب فلما وصلا إلى إفريقية أحضر الأموال منها واستصحبها معه فوصل إلى رقادة فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين ونزل فى قصر من قصورها وأمر أن يدعى له فى الخطبة يوم الجمعة فى جميع تلك البلاد ويلقب بأمير المؤمنين والمهدى وجلس للدعاء فى يوم الجمعة فأحضر الناس بالعنف ودعاهم إلى مذهبه فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبسه فابتداء دولتهم فى سنة سبع وتسعين ومائتين فأولهم المهدى عبيد الله ثم ابنه القائم نزار ثم ابنه المنصور إسمعيل ثم ابنه المعز معد وهو أول من ملك مصر من العبيديين وكان ذلك فى سابع عشر شعبان سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ودعى له فيها يوم الجمعة العشرين من شعبان على المنابر

عبدى إلى يوم القيامة (ومنهم المعقبات) عليهم الصلاة والسلام وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بأرواح بنى آدم وأعمالهم بالليل والنهار فإذا واظب الإنسان على الصلوات فى أول أوقاتها فإذا صلى الفجر أتاه ملائكة النهار وجدوه مصليا وفارقوه ملائكة الليل وتركوه مصليا وهكذا إذا صلى المغرب وما بين الصلاتين من الذنوب تكفرها الصلاة وإذا كان كذلك فلا يرفعون له غير الحسنات ويحقق أمر هذه الملائكة ما روى عن النبى ﷺ أنه قال يقول الله تعالى يا ابن آدم ما تنصفنى أتحبب إليك بالنعم وتمقت إلى بالمعاصى خيرى إليك نازل وشرك إلىّ صاعد ولا يزال ملك كريم يأتينى عنك فى كل يوم وليلة بعمل قبيح يا ابن آدم لو سمعت وصفك من غيرك وأنت لا تعلم من الموصوف لأسرعت إلى مقته (ومنهم منكر ونكير) عليهما السلام وهما ملكان فظان غليظان يسألان فى القبر كل أحد عن ربه ونبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان

وانقطعت خطبة بنى العباس من الديار المصرية من يومئذ وكان الخليفة العباسى إذذاك المطيع لله الفضل بن جعفر وفى يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة دخل المعز مصر بعد مضى ساعة من اليوم المذكور وكل هذا جاء بطريق الاستطراد فإن المقصود خلافه ثم العزيز بن المعز ثم ابنه الحاكم أبو العباس أحمد وهو السادس من العبيديين فقتل لأنه خرج عشية يوم الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة وطاف على عادته فى البلد ثم توجه إلى شرقى حلوان ومعه ركابيان فردهما وانتظره الناس إلى ثالث ذى القعدة ثم خرجوا فى طلبه فبلغوا ذيل القصر وأمعنوا فى الطلب فشاهدوا حماره على ذروة الجبل مضروب اليدين بالسيف فتتبعوا الأثر فانتهوا إلى بركة هناك ونزل شخص فيها فوجد سبع حبات مزررة وفيها أثر السكاكين فلم يشكوا حينئذ فى قتله ثم ابنه الظاهر أبو الحسن على ثم ابنه المستنصر ثم ابنه المستعلى ثم ابنه الآمر ثم الحافظ عبد المجيد بن أبى القاسم محمد ابن المستنصر ثم ابنه الظافر وهو السادس فقتل ولم يل الخلافة بعده منهم إلا اثنان ابنه الفائز ثم العاضد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وانقرضت دولة العبيديين فى سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك فى أيام المستضىء بنور الله أبى محمد الحسن بن المستنجد العباسى وخلفهم بمصر السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم ابنه الملك العزيز عثمان ثم أخوه الأفضل ثم الملك العادل الكبير أبو بكر بن أيوب ثم ابنه الملك الكامل محمد ثم ابنه الملك العادل الصغير وهو السادس فخلع ثم الملك الصالح أيوب بن الكامل ثم ابنه الملك المعظم توران شاه ثم أخوه الأشرف يوسف وهو ابن شجرة الدر ثم المعز أيبك ثم ابنه المنصور على ثم المظفر قطز وهو السادس فقتل ثم الظاهر بيبرس ثم ابنه السعيد محمد بن بركة خان ثم أخوه العادل سلامش ثم المنصور قلاوون ثم ابنه الأشرف خليل ثم القاهر بيدر وهو السادس أقام نصف يوم وقتل ثم الناصر بن المنصور فخلع مرة بالعادل كتبغا وخلع نفسه مرة أخرى فتسلطن مملوك أبيه المظفر بيبرس ثم العادل كتبغا ثم المنصور لاجين ثم المظفر بيبرس ثم المنصور أبو بكر الناصر بن المنصور ثم أخوه الأشرف كجك فخلع ثم قتل وهو السادس ثم أخوهم الناصر أحمد ثم أخوهم الصالح اسمعيل ثم أخوهم الكامل شعبان ثم أخوهم المظفر حاجى ثم أخوهم الملك الناصر حسن ثم أخوهم الملك الصالح صالح وهو السادس فخلع وسجن وأعيد الملك لمن كان قبله وهو الملك الناصر حسن ثم المنصور على بن الصالح ثم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر ثم المنصور على بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر ثم أخوه الصالح حاجى بن الأشرف ثم الظاهر برقوق ثم أعيد حاجى ولقب بالمنصور ثم أعيد برقوق ثم ولده الناصر فرج ثم أخوه العزيز ثم أعيد فرج فخلع وقتل ثم الخليفة المستعين بالله العباسى ثم الملك المؤيد أبو النصر شيخ ثم ابنه الملك المظفر أحمد فخلع ثم الملك الظاهر ططر ثم ولده الملك الصالح محمد فخلع ثم الملك الأشرف برسباى ثم ابنه الملك العزيز يوسف فخلع ثم الملك الظاهر جقمق ثم ولده الملك المنصور عثمان فخلع ثم الملك الأشرف أينال ثم ولده الملك المؤيد أحمد فخلع ثم الملك الظاهر خشقدم ثم الملك الظاهر بلباى فخلع ثم الملك الظاهر تمربغا فخلع ثم الملك الظاهر خاربك فخلع من ليلته ثم الملك الأشرف قايتباى ثم ولده الملك الناصر محمد فقتل ثم الملك الظاهر قانصوه خال الملك الناصر محمد فخلع ثم الملك الأشرف جانبلاط فخلع وقتل ثم الملك العادل طومان باى فخلع وقتل ثم الملك الأشرف قانصوه الغورى ثم السلطان سليم بن محمد بن بايزيد بن عثمان ثم ولده السلطان سليمان ثم ولده السلطان سليم ثم ولده السلطان مراد نصره الله نصرا عزيزا وفتح له فتحا مبينا بمحمد وآله والحمد لله وحده وقد أطلنا الكلام فى ذلك ولكن لا يخلو من فائدة أو فوائد * ولنرجع إلى ما قصدناه من الكتاب والله تعالى الموفق للصواب فنقول وهو أى الإوز يحب السباحة فى الماء وفرخه يخرج من

له ما كنت تقول فى هذا الرجل يعنى محمدا ﷺ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدل بمقعد من الجنة فيراهما جميعا وأما المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا أدرى أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين (ومنهم السياحون) عليهم السلام وهم صنف من الملائكة يحبون مجالس الذكر فإذا رأوا مجالس احتوا عليها وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال إن لله تعالى ملائكة سياحون فى الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى ينادون هلموا إلى بغيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا فإذا انصرفوا يقول الله تعالى على أى شىء تركتم عبادى يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويقدسونك فيقول الله تعالى وهل رأونى فيقولون لا فيقول كيف لو رأونى فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أى شىء يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد تعوذا فيقول أى شىء يطلبون فيقولون الجنة فيقول وهل رأوها فيقولون لا فيقول كيف

البيض فيسبح فى الحال وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لايفارقها طرفة عين وتخرج فراخها فى أواخر الشهر * وفى المجالسة للدينورى والأذكياء لأبى الفرج بن الجوزى عن محمد بن كعب القرظى قال جاء رجل إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال يانبى الله إن لى جيرانا يسرقون إوزى فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم فقال فى خطبته وأحدكم يسرق إوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل رأسه بيده فقال سليمان خذوه فإنه صاحبكم (وحكمه) حل الأكل بالإجماع (الخواص) لحم الأوز والبط كثير الحرارة والرطوبة وبقراط الحكيم يقول إنه أرطب الطير الحضرى وأجودها المخاليف وهو يخصب الأبدان لكنه يملؤها فضولا ودفع ضررها نفخ البورق فى حلوقها قبل الذبح وهو يولد خلطا بلغميا ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة ويختار أن يطلى لحمها قبل الشىّ بالزيت لتذهب زهومته وفى طبخه أن يكثر من الأبازير الحارة ليزول غلظه وزهومته لأنه كثير الفضول غير موافق للمعدة لعسر انهضامه وهو لتكثيره الفضول يسرع إلى توليد الحميات قال القزوينى إذا شويت خصية الإوز وأكلها الرجل وجامع زوجته من وقته فإنها تعلق بإذن الله تعالى وفى جوفه حصاة تمنع من الاستطلاق إذا شربها المبطلون نفعته ودهنه ينفع من ذات الجنب وداء الثعلب إذا طلى به وأكل لسانه ينفع من تقطير البول إذا ديم عليه وغذاؤه جيد إلا أنه بطىء الهضم وأما بيضه فمعتدل الحرارة ولكنه غليظ وأنفعه النيمرشت لكنه يضر بأصحاب القولنج والرياح والدوار واكله بالصعتر والملح يدفع ضرره وهو يولد دما منتنا ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة وهو وبيض النعام غليظان بطيئا الانهضام فمن أحب أكلهما فليقنع بصفرتهما ويجب أن يعلم أن الصفرة من كل بيض ألطف من البياض والبياض أرطب من الصفرة وأغذى البيض وألطفه ذو الصفرة وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها وهذا النوع لايتولد منه حيوان ولا مما يباض فى نقصان القمر على الأكثر لأن البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلىء ويرطب فيصلح للكون وبالضد من الإبدار إلى المحاق وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر بيض الحجل والدجاج فى أماكنهما .

﴿الألفة﴾ السعلاة وقيل الذئبة وسيأتيان إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة والذال المعجمة

﴿الإلق﴾ بالكسر الذئب والأنثى إلقة وجمعهما إلق وربما قالوا للقردة الإلقة ولايقال للذكر إلق ولكن قرد ورياج .

﴿الأودع﴾ اليربوع قال الجوهرى وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء آخر الحروف

﴿الأردق﴾ من الإبل الذى لونه بياض إلى سواد قاله الجوهرى وهو أطيب الإبل لحما وليس بمحمود عندهم فى عمله وسيره .

﴿الأوس﴾ الذئب وبه سمى الرجل وأويس اسم للذئب جاء مصغراً مثل الكميت واللجين قال الهذلى: ياليت شعرى عنك والأمر أمم * ما فعل اليوم أويس بالغنم

وقال الكميت: كما خامرت فى حضنها أم عامر * لذى الحبل حتى عال أوس عيالها

لأن الضبع إذا صيدت ولها ولد من الذئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر قاله الجوهرى قال وقوله لذى الحبل أى للصائد الذى يعلق الحبل فى عرقوبها وسيأتى إن شاء الله تعالى فى العسبار أيضا روى الحافظ أبو نعيم بسنده إلى حمزة بن أسد الحارثى قال خرج رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار إلى بقيع الغرقد فإذا ذئب مفترش ذراعيه فقال رسول الله ﷺ هذا أويس فافرضوا له فلم يفعلوا انتهى وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذئب قصة واقد

لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد طلبا لها فيقول أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم الذين لايشقى بهم جليسهم (ومنهم هاروت وماروت) هما ملكان معذبان ببابل عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج آدم ﷺ من الجنة عريانا نظرت إليه الملائكة وقالت إلهنا هذا آدم بديع فطرتك أقله ولا تخذله فمر بملأ من الملائكة فوبخوه على نقضه عهد ربه وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت فقال آدم يا ملائكة ربى ارحموا ولا توبخوا فذلك الذى جرى على كان قضاء ربى فأبلاهما الله تعالى حتى عصيا ومنعا من الصعود إلى السماء فلما كان أيام إدريس عليه السلام صارا إليه وذكرا له قصتهما ثم قالا له هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا فقال إدريس عليه السلام كيف لى العلم بالتجاوز عنكما قال ادع لنا فإن رأيتنا فهو الاستجابة

وإن لم ترنا هلكنا فتوضأ إدريس عليه السلام وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما فعلم أن العقوبة قد حلت بهما واختطفا إلى أرض بابل ثم خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مسلسلان معذبان فى بئر بأرض بابل منكسين إلى يوم القيامة وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال أشرفت الملائكة على أهل الدنيا فرأوهم يعصون الله فقالوا يارب ناما أقل معرفة هؤلاء بعظمتك فقال الله تعالى لو كنت فى سلاحهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال اختاروا ملكين فاختاروا هاروت وماروت ثم اهبطا إلى الأرض وركبت فيهم شهوات بنى آدم ومثلت لهما فما عصما حتى واقعا المعصية فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال له ماتقول فقال

الذئاب على رسول الله ﷺ وبهذا سمى أويس بن عامر القرنى أدرك النبى ﷺ ولم يره وسكن الكوفة وهو من أكبر تابعيها روى مسلم عن أسيد بن جابر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال خير التابعين رجل يقال له أويس القرنى يأتى عليكم فى أمداد أهل اليمن لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فلما قدم على عمر رضى الله تعالى عنه سأله أن يستغفر له فاستغفر له الحديث بطوله وقتل أويس يوم صفين مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وروى أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه فى الزهد عن حسن البصرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر قال الحسن هو أويس القرنى وهو منسوب إلى قرن بفتح الراء قبيلة من مراد للجوهرى رحمه الله فى ذلك غلط مشهور وخرج ابن السماك عن يحيى بن جعفر قال حدثنا شبابة بن سوار قال حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبيد الرحبى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى مثل أحد الحيين ربيعة ومضر قيل يارسول الله وما ربيعة من مضر قال رسول الله ﷺ إنما أقول ما أقول قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وذكر القاضى عياض فى الشفاء عن كعب أن لكل رجل من الصحابة شفاعة وذكر ابن المبارك قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال يكون فى أمتى رجل يقال له صلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا .

﴿أيلس﴾ قال القزوينى أنه نوع من السمك عظيم جدا وحيوانات البحر كلها تصاد سواه ومن خواصه أنه إذا شوى وأكل منه شخصان معاً بينهما عداوة وخصومة تبدلت ألفة

﴿الأيم والأين﴾ الحية وقال الأزرقى فى تاريخ مكة الأيم الحية الذكر ثم روى بإسناد عن طلق بن حبيب قال كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما فى الحجر إذ قلص الظل وقامت المجالس وإذا نحن ببريق أيم طالع من باب شيبة فاشرأبت له أعين الناس فطاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين وراء المقام فقمنا إليه وقلنا له أيها المعتمر قد قضى الله نسكك وإن بأرضنا عبيداً وسفهاء وإنا نخشى عليك منهم فرذا هبا نحو السماء فلم نره وفى الحديث أنه أمر بقتل الأيم قال ابن السكيت أصله أيم فخفف مثل لين ولين وهين وهين والجمع أيوم وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الكعيب ماذكره الأزرقى عقب هذا مما يشبهه

﴿الأيل﴾ بتشديد الياء المكسورة ذكر الأوعال والإيل لغة فيه ويقال هو الذى يسمى بالفارسية كوزن وأكثر أحواله شبيه ببقر الوحش وهو إذا خاف من الصياد يرمى نفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وعدد سنى عمره عدد العقد التى فى قرنه وإذا لسعته الحية أكل السرطان ويصادق السمك فهو يمشى إلى الساحل ليرى السمك والسمك يقرب من البر ليراه والصيادون يعرفون هذا فيلبسون جلده ليقصدهم السمك فيصيدوا منه وهو مولع بأكل الحيات يطلبها حيث وجدها وربما لسعته فتسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الأصبع فيهما فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع فيتخذ دريا قا لسم الحيات وهو البادزهر الحيوانى وأجوده الأصفر وأماكنه بلاد الهند والسند وفارس وإذا وضع على لسع الحيات والعقارب نفعها وإن أمسكه شارب السم فى فيه نفعه وله فى دفع السموم خاصية عجيبة وهذا الحيوان لا تنبت له قرون إلا بعد مضى سنتين من عمره فإذا نبت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين وفى الثالثة يتشعبان ولا يزال التشعب فى زيادة إلى تمام ست سنين فحينئذ يكونان كالشجرتين فى رأسه ثم بعد ذلك يلقى قرنيه فى كل سنة مرة ثم ينبتان فإذا نبتا تعرض بهما للشمس ليصلبا

وقال أرسطو إن هذا النوع يصاد بالصفير والغناء ولا ينام مادام يسمع ذلك فالصيادون يشغلونه بذلك يأتونه من ورائه فإذا رأوه قد استرخت أذناه أخذوه وذكره من عصب لا لحم ولا عظم وقرنه مصمت لا تجويف فيه وهو فى نفسه جبان دائم الرعب وهو يأكل الحيات أكلا ذريعا وإذا أكل الحية بدأ بأكل ذنبها إلى رأسها وهو يلقى قرونه فى كل سنة وذلك إلهام من الله تعالى لما للناس فيها من المنفعة لأن الناس يطردون بقرنه كل دابة سوء ويسر عسر الولادة وينفع الحوامل ويخرج الدود من البطن إذا أحرق منه جزء ولعق بالعسل قاله فى النعوت ويسمن هذا الحيوان سمنا كثيرا فإذا اتفق له ذلك هرب خوفا من أن يصاد ﴿تتمة﴾ قال الزجاجى سئل ابن دريد عن معنى قول الشاعر :

هجرتك لا قلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود

كهجر الحائمات الورد لما * رأت أن المنية فى الورود * تغيظ نفوسها ظمأ وتخشى حماما فهى تنظر من بعيد * تصد بوجه ذى البغضاء عنه * وترمقه بألحاظ الودود فقال الحائم الذى يدور حول الماء ولا يصل إليه ومعنى الشعر أن الأيايل تأكل الأفاعى فى الصيف فتحمى وتلتهب لحرارتها فتطلب الماء فإذا رأته امتنعت من شربه وحامت عليه تتنسمه لأنها لو شربته فى تلك الحالة فصادف الماء السم الذى فى أجوافها هلكت فلا تزال تمتنع من شرب الماء حتى يطول بها الزمان فيذهب ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها فيقول هذا الشاعر أنا فى تركى وصالك مع شدة حاجتى إليه بمثابة الحائمات التى تدع شرب الماء مع شدة حاجتها إليه إبقاء على حياتها والزجاجى هو عبد الرحمن بن إسحق أبو القاسم الزجاجى إمام النحو صحب أبا إسحق الزجاج فعرف به ونسب إليه وصنف كتاب الجمل وطوله بكثرة الأمثلة ولم يشتغل به أحد إلا انتفع به لأنه صنفه بمكة المشرفة وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعا وسأل الله تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه ومن كلامه ما حرم الله شيئا إلا وأحل بإزائه خيرا منه حرم الميتة وأباح المذكى وحرم الخمر وأباح النبيذ وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الربا وأحل البيع توفى سنة سبع أو تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق وقيل بطبرية وما أحسن قول أبى منصور موهوب الجواليقى اللغوى :

ورد الورى سلسال جودك فارتووا * ووقفت حول الورد وقفة حائم

حيران أطلب غفلة من وارد * والورد لا يزداد غير تزاحم

وكان الجواليقى إماما فى فنون الأدب وله تصانيف مفيدة وكان إماما للخليفة المقتفى يصلى به الصلوات الخمس ولما دخل عليه أول دخلة قال السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له الطبيب هبة الله بن صاعد ابن التلميذ النصرانى ما هكذا يسلم على أمير المؤمنين يا شيخ فلم يلتفت إليه الجواليقى وقال للمقتفى يا أمير المؤمنين سلامى هو ما جاءت به السنة النبوية وروى له خبرا فى صورة السلام ثم قال يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانيا أو يهوديا لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المعتبر لما لزمته كفارة الحنث لأن الله تعالى ختم على قلوبهم ولن يفك ختمه إلا الإيمان فقال صدقت وأحسنت قال فكأنما ألقم ابن التلميذ بحجر مع فضله وغزارة أدبه ووجدت البيتين المتقدمين لابن الخشاب من أبيات توفى الجواليقى فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ببغداد (الحكم) يحل أكله لأنه مستطاب كالوعل ولم يذكره الرافعى فى باب الأطعمة وإنما ذكره فى باب الربا فقال وفى لحم الظباء مع الإبل تردد للشيخ أبى محمد واستقرجوابه على أنهما كالضأن مع المعز أى فلا يباع أحدهما بالآخر إلا مثلا بمثل انتهى وحكى المتولى فى ذلك وجهين من غير ترجيح (الخواص) إذا نخر بقرنه طرد الهوام

أقول إن عذاب الدنيا ينقطع وعذاب الآخرة لا ينقطع فاختارا عذاب الدنيا فهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وفى رواية أخرى قال لهما إنى أرسل رسولا إلى الناس ليس بينى وبينكما رسول أنزلا ولا تشركا بى شيئا ولا تقتلا ولا تسرقا قال كعب فما استكملا يومهما الذى نزلا فيه حتى أتيا ما حرم عليهما (ومنهم الملائكة والموكلون بالكائنات) لا صاحبها ودفع الفساد عنها وقد وكل بكل فرد من أفرادها من الملائكة ما شاء الله تعالى وروى أبو أمامة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لا يقدر عليه من ذلك بالبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل فى اليوم الصائف وأما المائة والستون فأمر عرفه النبى صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ولكنا نمثل جهة التغذى فإنه أمر مشترك

وكل ذى سم وإذا أحرق قرنه وسحق واستيك به قطع الصفرة والحفر من الأسنان وشد أصولها ومن علق عليه شىء من أجزائه لم ينم مادام عليه وإذا جفف قضيبه وسقى هيج الباه وإذا شرب دمه فتت الحصاة التى فى المثانة والله تعالى أعلم.

﴿ابن آوى﴾ جمعه بنات آوى وكذلك ابن عرس وابن المخاض وابن اللبون تقول بنات عرس وبنات مخاض وبنات لبون وبنات آوى ولا ينصرف قال الشاعر:

إن ابن آوى لشديد المقتنص * وهو إذا ما صيد ريح فى قفص

وكنيته أبو أيوب وأبو ذؤيب وأبو كعب وأبو وائل وسمى ابن آوى لأنه يأوى إلى عواء أبناء جنسه ولا يعوى إلا ليلا وذلك إذا استوحش وبقى وحده وصياحه يشبه صياح الصبيان وهو طويل المخالب والأظفار يعدو على غيره ويأكل مما يصيد من الطيور وغيرها وخوف الدجاج منه أشد من خوفها من الثعلب لأنه إذا مر تحتها وهى على الشجرة أو الجدار تساقطت وإن كانت عدداً كثيرا (الحكم) الأصح تحريم أكله لأنه يعدو بنابه ولو قال إن نابه ضعيف فيكون كالضبع والثعلب لكان مذهبا وملخص ما فيه عندنا وجهان الأصح فى المحرر والمنهاج والشرح والحاوى الصغير بن التحريم والثانى وهو اختيار الشيخ أبى حامد الحل وسئل الإمام أحمد عنه فقال كل ما نهش بأنيابه فهو من السباع ويحظره قال أبو حنيفة وصاحباه (الخواص) إذا ترك لسانه فى بيت وقعت الخصومة بين أهله ولحمه ينفع من الجنون والصرع العارض فى أواخر الشهر وإذا علقت عينه اليمنى على من يخاف العين أمن ولم تضره عين عائن وقلبه إذا علق على شخص أمن من سائر السباع بإذن الله تعالى والله تعالى أعلم.

﴿باب الباء الموحدة﴾

﴿البابوس﴾ الصغير من أولاد الناس وغيرهم قال ابن أحمر:

حنت قلوصى إلى بابوسها طربا * وما حنينك بل ما أنت والذكر

﴿البازى﴾ أفصح لغاته بازى مخففة الياء والثانية بازو الثالثة بازى بتشديد الياء حكاهما ابن سيده وهو مذكر لا اختلاف فيه ويقال فى التثنية بازيان وفى الجمع بزاة كقاضيان وقضاة ويقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور. ولفظه مشتق من البزوان وهو الوثب وكنيته أبو الأشعث وأبو البهلول وأبو لاحق وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها خلقا قال القزوينى فى عجائب المخلوقات قالوا إنه لا يكون إلا أنثى وذكرها من نوع آخر كالحدأ والشواهين ولهذا اختلفت أشكالها روينا عن عبد الله بن المبارك أنه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما اتجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية أى ليصلهم فقدم سنة فقيل له قد ولى ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشىء فأتى إليه ابن علية فلم يرفع رأسه إليه ثم كتب إليه ابن المبارك يقول:

يا جاعل العلم له بازيا * يصطاد أموال المساكين * احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين * فصرت مجنوناً بها بعدما * كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فى سردها * لترك أبواب السلاطين * أين رواياتك فيما مضى
عن ابن عوف وابن سيرين * إن قلت أكرهت فذا باطل * زلّ حمار العلم فى الطين

فلما وقف إسمعيل بن علية على الأبيات ذهب إلى الرشيد ولم يزل به إلى أن استعفاه من القضاء فأعفاه وعبد الله بن المبارك إمام جليل زاهد عابد جمع بين العلم والعمل ذكر ابن خلكان فى ترجمته قال عطس رجل عند عبد الله بن المبارك فلم يحمد الله عز وجل فقال له ابن المبارك أى شىء يقول العاطس إذا عطس قال الحمد لله فقال ابن المبارك يرحمك الله فعجب الحاضرون من حسن أدبه

بين الحيوان والنبات وأنت نقيس عليه غيره من الجهات (فتقول) إن جزءا من الغذاء لا يصير جزءا من المغتذى حتى يعمل فيه عدة من الملائكة ومعنى التغذى أن يصير جزء من الغذاء جزءا من المغتذى فإن الغذاء جماد لا يصير دما ولحماً وعظما بنفسه كما أن البر لا يصير طحينا وعجينا ورغيفا حتى تعمل فيه الصناع فصناع الظاهر ناس وصناع الباطن الملائكة فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة وأقول أولا لابد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولابد من ثان يمسكه حتى تعمل فيه الحرارة ثم لابد من ثالث يلبسها صورة الدم ثم لابد من رابع يدفع القدر الفاضل عن الغذاء ثم لابد من خامس يميز العظم واللحم والعروق وما يليق بها ثم لابد من سادس يلصق ما اكتسب صورة العظم بالعظم وما اكتسب صورة اللحم باللحم ثم لابد من سابع يراعى المقادير فى الإلصاق

وقال أيضاً قدم هرون الرشيد الرقة فاحفل الناس خلف عبدالله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة فأشرفت أم ولد الرشيد من قصر الخشب فلما رأت الناس قالت من هذا قالوا عالم من أهل خراسان يقال له عبدالله بن المبارك فقالت هذا والله الملك لا ملك هرون الذى لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان وذكر غيره أن عبدالله بن المبارك استعار قلما من الشام فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية وكان قد نسى القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشيا حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد وروى أن عند ذكره تنزل الرحمة توفى رحمه الله تعالى سنة إحدى وثمانين ومائة رحمة الله تعالى عليه * ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوما إلى الصيد فأرسل بازيا أشهب فلم يزل يحلق حتى غاب فى الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن العباس رضى الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش فأجاز مقاتلا على ذلك وأكرمه وهو خمسة أصناف البازى والزرق والباشق والبيدق والصقر والبازى أحرها مزاجا لأنه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران وإناثه أجرأ على عظام الطير من ذكوره وهذا الصنف تصيبه الأمراض وانحطاط اللحم والهزال وأحسن أنواعه ماقل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما كما قال الناشى :

لو استضاء المرء فى أدلاجه * بعينه كفته عن سراجه

ودونه الأزرق الأحمر العينين والأصفر دونهما ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق عريض الصدر بعيدما بين المنكبين شديد الانخراط إلى ذنبه وأن تكون فخذاه طويلتين مسرولتين بريش وذراعاه غليظتين قصيرتين وفرخ البازى يسمى غطريفا ويضرب بالبازى المثل فى نهاية الطيران كما قال الشاعر :

إذا ما اعتز ذو علم بعلم * فعلم الفقة أولى باعتزاز
وكم طيب يفوح ولا كمسك * وكم طير يطير ولا كباز

قال الشيخ الزاهد أبو العباس الفسطلانى سمعت الشيخ أبا شجاع زاهر بن رستم الأصبهانى إمام مقام إبراهيم بمكة يقول سمعت الشيخ حماد يقول دخل الشيخ عبد القادر على الشيخ حماد الدباس يزوره فنظر إليه الشيخ وكان قد رأى أنه قد اصطاد بازيا فأثرت نظرة الشيخ فيه فخرج من عنده وتجرد عن أسبابه وكان من أكابر أصحابه انتهى ولهذا كان الشيخ عبد القادر يقول

أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها * طربا وفى العليـاء باز أشهب

قال الشيخ أبو إسحق الشيرازى فى طبقاته كان ابن شريح يقال له الباز الأشهب وقال الوعيظى فى أول قصيدته :

ليس المقام بدار الذل من شيمى * ولا معاشرة الأنذال من هممى
ولا مجاورة الأوباش تجمل بى * كذلك الباز لا يأوى مع الرخم

وأما الباشق بفتح الشين وكسرها فأعجمى معرب وكنيته أبو الآخذ وهو أيضا حار المزاج يغلب عليه الفاق والزعارة يأنس وقتاً ويستوحش وقتا وهو قوى النفس فإذا أنس منه الصغير بلغ صاحبه من صيده المراد وهو خفيف المحمل ظريف الشمائل يليق بالملوك أن تخدمه لأنه يصيد أفخر مايصيده البازى وهو الدراج والحمام والورشان وهو كثير الشبق وإذا قوى عليه صيده لا يتركه إلا أن يتلف أحدهما وأحمد صفاته أن يكون صغيراً

فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض مالا يبطل عرضه وبالمجوف مالا يبطل تجويفه ويحفظ على كل واحدة مقدار حاجته ويدفع الزائد فإنه لو جمع على الأنف من الغذاء مقدار مايجمع للفخذ لتشوهت الصورة بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان رقيقها وإلى الحدقة صافيها وإلى الأفخاذ غليظها وإلى العظم صلبها مع مراعاة القدر والشكل وإلا بطلت الصورة فلو لم يراع هذا الملك هذا القسط فساق الغذاء إلى جميع البدن ولم يسق إلى رجل واحدة مثلا لبقيت تلك الرجل كما كانت فى أيام الصغر وكبر جميع البدن فترى شخصا فى ضخامة رجل وله رجل كأنها رجل صبى ولا ينتفع بنفسه ألبتة فمراعاة هذه الهندسة مفوضة إلى هذا الملك فهذا حال بعض الملائكة الموكلين ببدن بنى آدم فهم مشتغلون بك وأنت فى النوم أو تتردد فى الغفلة وهم يصلحون بدنك وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهكذا

حال جميع الكائنات فما من شيء إلا وقد وكل الله به ملكا أو ملائكة والله الموفق ﴿ النظر الثالث عشر في الزمان ﴾ زعموا أن الزمان مقدار حركة الفلك وهذا على رأى أرسطاطاليس وأصحابه وعند غيره مرور الأيام والليالى ثم مقدار حركة الفلك ينقسم إلى القرون والقرون إلى السنين والسنون إلى الشهور والشهور إلى الأيام والأيام إلى ساعات والزمان أنفس رأس مال به تكتسب كل سعادة وأنه يضمحل شيئا فشيئا وزمانك عمرك وهو معلوم القدر عند الله تعالى وإن لم يكن معلوما عندك وما مثله إلا كمسافة ساع يسعى في قطعها قوى على السير لا يفتر طرفة عين فما أعجل انقطاعها وإن كانت بعيدة وما أسرع زوالها وإن كانت كعمر لقمان مدة مديدة لنذكر شيئا من خواصها وعجيبها (القول في الليالى والأيام) وأما اليوم فهو الزمان الذى بين طلوع الفجر وغروب الشمس

في المنظر ثقيلا في الميزان طويل الساقين قصير الفخذين * وأما البيدق فلا يصيد إلا العصافير وهو قليل الغناء قريب في الطبع من العقصى قال أبو الفتح كشاجم في المعنى :

حسبي من البزاة والبيادق * بيدق يصيد صيد الباشق * مؤدب مدرب الخلائق
أصيد من معشوقة لعاشق * يسبق في السرعة كل سابق * ليس له في صيده من عائق
ربيته وكنت غير واثق * أن الفرازين من البيادق

وأما العقصى فهو أصغر الجوارح نفسا وأضعفها حيلة وأشدها ذعرا وأيبسها مزاجا يصيد العصفور في بعض الأحايين وربما هرب منه وهو يشبه الباشق في الشكل إلا أنه أصغر منه (الحكم) يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطيور رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما وبهذا قال أكثر أهل العلم وقال مالك والليث والأوزاعى ويحيى بن سعيد لا يحرم من الطير شيء واحتجوا بعموم الآيات المبيحة ولم يثبت عند مالك حديث النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع فكان على الإباحة قال الأبهرى ليس في ذى المخلب عن النبي ﷺ نهى وقال غيره لم يثبت حديث النهى عن أكل كل ذى مخلب من الطير لأن ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس وسقط بينهما سعيد بن جبير فصار هذا علة تحطه عن رتبة الصحيح وقال إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه يكره للمحرم استصحاب البازى وكل صيد من كلب وغيره لأنه ينفر الصيد وربما انفلت فقتل صيدا فإن حمله فأرسله على صيد فلم يقتله ولم يؤذه فلا جزاء عليه ولكن يأثم كما لو رماه بسهم فأخطأه فإنه يأثم بالرمى لقصده الحرام ولا ضمان لعدم الإتلاف قال ومافيه مضرة ومنفعة لا يستحب قتله لما فيه من المنفعة ولا يكره لعدوانه على الناس كالبازى والفهد والصقر والعقاب ونحوها ويصح بيع البازى وإجارته بلا خوف لأنه طاهر منتفع به روى الترمذى عن عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله ﷺ عن صيد البازى فقال ما أمسك عليك فكل (الأمثال) قالت العرب * وهل ينهض البازى بغير جناح * يضرب في الحث على التعاون والوفاق قال الشاعر :

أخاك أخاك إن من لا أخا له * كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح

ومن ملح أمثال أبي أيوب سليمان بن أبي مجالد قال بن يزيد الأرقط بينما أبو أيوب في أمره ونهيه إذ طلبه المنصور فاصفر وارتعد فلما خرج من عنده تراجع لونه وكان ذلك دأبه كلما طلبه فقيل له إنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت عليه فضرب لذلك مثلا فقال زعموا أن بازيا وديكا تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك فقال وكيف قال لأنك تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت ههنا وههنا وصحت وإن علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت وتركتها وصرت إلى غيرها وأنا أوخذ من الجبال وقد كبرت سنى فأطعم الشيء القليل وأونس يوما أو يومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدى فآخذه وأجيء به إلى صاحبى فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين في سفود ما عدت إليهم أبدا وأنا كل يوم ووقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا وأقيم معهم فأنا أوفى منك لو كنت مثلك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرف لكنتم أسوأ حالا منى عند طلبه إياكم ثم إنه قتله في سنة أربع وخمسين ومائة بعد أن عذبه وأخذ أمواله وكان قد تمكن من المنصور غاية التمكن لإحسان

فعله مع المنصور قبل خلافته ثم ابغضه وهم أن يوقع به وتطاول ذلك وكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالما * قيل إنه كان معه شيء من الدهن قد عمل فيه سحراً فكان يدهن حاجبيه إذا دخل على المنصور فصار مثلا في العامة يقولون دهن أبي أيوب قال في الجواهر الزواهر وكان المنصور يوده كثيرا ويبتسم إليه وأنشد على ذلك لناصح الدين سعيد بن الدهان سيبويه عصره في النحو قوله:

لا تجعل الهزل دأبا فهو منقصة * والجد تغلو به بين الورى القيم
ولا يغرنك من ملك تبسمه * ما سحت السحب إلا حين تبتسم

ومن محاسن شعره قوله:

بادر إلى العيش والأيام راقدة * ولا تكن لصروف الدهر تنتظر
فالعمر كالكاس يبدو في أوائله * صفو وآخره في قعره كدر

وله أيضا ويقال إنه لابن طباطبا الطالبي:

تأمل تحولي والهلال إذا بدا * لليلته في أفقه أينا أضنى
على أنه يزداد في كل ليلة * نموا وجسمي بالضنى دائما يفنى

وله أيضا: والله لولا أن يقال تغيرا * وصبا وإن كان التصابي أجدرا
لا عدت تفاح الخدود بنفسجا * لثما وكافور الترائب عنبرا

وكانت وفاته سنة تسع وستين وخمسمائة قال الغزنوي الترائب جمع تربية وهو موضع القلادة من الصدر وزاد الكواشي وقيل الصدر وقيل النحر وقيل أطراف الرجل (الخواص) مرارته من اكتحل بها أمن من نزول الماء في عينيه وأن شربت امرأة من ذرق البازي مدافا بماء أعان على الحبل وإن كانت عاقرا * وأما الباشق فدماغه ينفع من الخفقان العارض من السوداء إذا سقي منه وزن درهم بماء ورد ومرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا (التعبير) البازي في المنام يدل على سلطان لمن هو من أهل الإمارة فإن ذهب من يديه وبقي منه ساقه ذهب ملكه وبقي ذكره وإن بقي في يده شيء من الريش بقي في يده شيء من المال وذبح البازي ظفر يلصق وذبح البزاة يدل على موت الملوك الذين يأخذون الأموال جهارا ولحوم البزاة أموال السلاطين والبزاة للرجل السوقي رياسة وشرف والباشق في المنام لص وقيل ولد ذكر

﴿ البازل ﴾ البعير الذي فطر نابه أي انشق ذكرا كان أو أنثى وذلك في السنة الثامنة والجمع بزل وبزل وبوازل روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم استقرض بكرا فرد بازلا وقال «خيركم أحسنكم قضاء» وروى الخطابي عن ابن خزيمة قال سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول سئل ابن عيينة عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من استجمر فليوتر» فسكت ابن عيينة فقيل أترضى بما قاله مالك قال وما قال مالك قال: قال الاستجمار الاستطابة بالأحجار قال فقال ابن عيينة إنما مثلي ومثل مالك كما قال الأول

وابن اللبون إذا مالز في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

﴿ الباقعة ﴾ الداهية يقال رجل باقعة إذا كان ذا دهاء ونقل الهروي عن ابن عمر أنه طائر حذر إذا شرب الماء يطير يمنة ويسرة وفي حديث القبائل أن عليا قال لأبي بكر رضي الله تعالى عنهما لقد عثرت من الأعراب على باقعة وفي حديث آخر ففاتحته فإذا هو باقعة

﴿ بالام ﴾ روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال تكون الأرض يوم

(وأما الليل فهو) الزمان الذي يقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر ومجموعهما أربع وعشرون ساعة لا تزيد ولا تنقص وكلما نقص من النهار زاد في الليل وكلما نقص من الليل زاد في النهار كما قال الله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأطول ما يكون النهار سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر الجوزاء فيكون النهار خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات وهو أقصر ما يكون (ثم) يأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة إلى ثامن عشر أيلول وهو عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوي الليل والنهار ويصير كل واحد منهما اثنتي عشر ساعة (ثم) ينقص النهار ويزيد الليل إلى سبع عشرة من كانون الأول فيصيرا لليل خمس عشرة ساعة وهو أطول ما يكون والنهار تسع ساعات وذلك أقصر ما يكون (ثم) يأخذ الليل في النقصان والنهار في الزيادة إلى سادس عشر إدار

القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة قال فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن فيك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى. قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله ﷺ قال فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بادامهم قال بلى قال بالام ونون قال وما هما قال ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفا هكذا عند البخارى سبعون بتقديم السين وفى صحيح مسلم فى كتاب الظهار من حديث ثوبان قال كنت قائما عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصدع منها فقال لم تدفعنى فقلت لم لا تقول يا رسول الله فقال اليهودى إنا ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ إن اسمى محمد الذى سمانى به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيء إن حدثتك فقال أسمع بأذنى فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه وقال سل فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى ظلمة دون الجسر فقال فما أول الناس إجازة يوم القيامة قال ﷺ فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين فيها تسمى سلسبيلا قال صدقت وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان قال أينفعك إن حدثتك قال أسمع بأذنى قال سل قال أسألك عن الولد قال صلى الله عليه وسلم ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة كان ذكرا بإذن الله تعالى وإذا علا منى المرأة منى الرجل كان أنثى بإذن الله تعالى قال صدقت إنك لنبى ثم انصرف فلما ذهب قال رسول الله ﷺ قد سألنى هذا عن الذى سألنى عنه وما لى علم بشيء منه حتى أتانى الله عز وجل به وفى الصحيح البخارى من حديث أنس قريب من هذا وأن اليهودى هو عبد الله بن سلام رضى الله عنه هكذا جاء بالحديث مفسرا * أما النون فهو الحوت وسمى به يونس عليه السلام ذا النون * وأما بالام فقد تكلفوا له شرحا غير مرضى ولعل اللفظة عبرانية كذا قال فى النهاية وقال الخطابى لعل اليهودى أراد النعيمة فقطع الهجاء وقدم أحد الحرفين على الآخر وهى لام ألف وياء يريد لاى بوزن لعى وهو الثور الوحشى فصحف الراوى الياء بالباء قال وهذا أقرب ما يقع لى فيه اه والصحيح أنها لفظة عبرانية * وأما زيادة كبد الحوت فهى القطعة المنفردة المنقطعة بها وهى أطيبها وهؤلاء السبعون ألفا يحتمل أنهم الذين يدخلون الجنة بغير حساب ويحتمل أنه عبر بالسبعين ألفا عن العدد الكثير من غير إرادة حصر ورواه النسائى فى عشرة النساء أيضا.

﴿البال﴾ سمكة تكون فى البحر والأعظم بلغ طولها خمسين ذراعا يقال لها العنبر وليست بغربية قال الجواليقى كأنها عربت وقال فى الصحاح البال الحوت العظيم من حيتان البحر ليس بعربى وقال القزوينى البال سمكة طولها خمسمائة ذراع أو أكثر تظهر فى بعض الأوقات طرف جناحها كالشراع العظيم وأهل المراكب يخافون منها أعظم خوف فإذا أحسوا بها ضربوا بالطبول لتنفر عنهم فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تلصق بأذنها فلا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها حتى تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم ولها أناس من الزنج يرصدونها فإذا وجدوها طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل وشقوا بطنها واستخرجوا العنبر منها وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة ذكر هذا الحيوان وما يتعلق بالعنبر من الأحكام

عند حلول الشمس آخر الحوت فيستوى الليل والنهار ويصير كل واحد اثنتى عشر ساعة ثم يستأنف الدور وقد شبهوا أوقات اليوم والليلة بأرباع السنة فقالوا إن الغدو بمنزلة الربيع وانتصاف النهار بمنزلة الصيف والمساء بمنزلة الخريف وانتصاف الليل بمنزلة الشتاء لكن اختلافها لما كان اختلافا يسيرا لا تتأثر منه الأبدان تأثرها عن السنة وربما تأثرت منه الأبدان الضعفة ومن لطف الله تعالى بعباده جعل الليل والنهار لأن الإنسان مضطر إلى الحركات فى أعماله لمعاشه ولا تنفك قواه عن كلال فعند ذلك يغلب عليه النوم ولا بد له من ذلك لزوال الكلام كما قال الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فعين وقتا للنوم ينام فيه كلهم ووقتا للمعاش يعمل فيه كلهم ولولا ذلك لأفضى إلى عسر قضاء حوائج الناس لأن أحدهم إذا طلب غيره

﴿البير﴾ بباءين موحدتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة ضرب من السباع يعادى الأسد من العدو لا من العدوان ويقال له البريد ويقال له الفرانق بضم الفاء وكسر النون وهو هندى معرب شبيه بابن آوى ويقال إنه متولد من الزبرقان واللبوة ومن طبعه أن الأنثى منه تلقح من الريح وبهذا كان عدوه كالريح ولا يقدر أحد على صيده وإنما تسرق جراؤه فتجعل فى مثل القوارير من زجاج ويركض بها على الخيول السابقة فإذا أدركهم أبوها ألقوا إليه قارورة منها فيشغل بالنظر إليها والحيلة فى إخراج ولده منها فيفوته بقيتها فيربى حينئذ ويألف الصبيان ويأنس بالأنس وهو يألف شجرة الكافور كثيرا فإذا كان عندها لم يستطع أحد أن يأخذ منها شيئا لكنه يفارقها فى زمن معلوم فإذا علم أهل تلك النواحى بذلك أتوا إلى الشجرة وأخذوا منها الكافور (الحكم) يحرم أكله لأنه يتقوى بنابه (الخواص) من أصابه سرسام أو برسام يطلى رأسه بمرارة البير مضروبة بالماء ينفعه نفعا بينا وإذا تحملتها المرأة لا تحمل أبدا وإذا كانت حاملا أسقطت وكعبه يشد على الزند فلا يتعب حامله أبدا ولو سار كل يوم عشرين فرسخا وجلده يجلس عليه من به حب الفرع يزول عنه وذكر فى ربيع الأبرار أن البير على صورة الأسد الكبير وهو أبيض يلمع بصفرة وخطوط سود وقال أرسطو البر سبع مهيب يكون بأرض الحبشة خاصة لا بغيرها.

﴿الببغاء﴾ بثلاث باءات موحدات أولاهن وثالثهن مفتوحتان والثانية ساكنة وبالغين المعجمة وهى هذا الطائر الأخضر المسمى بالدرة بدال مهملة مضمومة قاله فى العباب وضبطها ابن السمعانى فى الأنساب ببباءين بفتح الأولى وبإسكان الثانية وقال لقب بها أبو الفرج الشاعر لفصاحته وقال القضاعى للثغة كانت فى لسانه وهو قدر الحمام يتخذها الناس للانتفاع بصوتها كما يتخذون الطاوس للانتفاع بصوته ولونه ومن الببغاء نوع أبيض وقد أهدى لمعز الدولة بن بويه درة بيضاء اللون سوداء المنقار والرجلين على رأسها ذؤابة فستقية وجميع أنواعها معدم سوى الأخضر فهو الموجود الآن وهو حيوان دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الأصوات وقبول التلقين يتخذه الملوك والأكابر لينم بما يسمع من الأخبار ويتناول مأكوله برجله كما يتناول الإنسان الشىء بيده والناس يحتالون فى تعليمه بطرق عدة قال أرسطاطاليس إذا أردت تعليم الببغاء الكلام فخذ مرآة واجعلها أمامها فترى صورتها أى صورة نفسها ثم تكلم من ظاهر المرآة وتعاودها فإنها تعيد الكلام وقال ابن الفقيه رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال ورأيت فيها صنفا من الببغاء أحمر وأبيض وأصفر يعيد الكلام بأى لغة كانت قال أبو إسحق الصابى فى وصفها:

أنعتها صبيحة مليحه * ناطقة باللغة الفصيحه * عدت من الأطيار واللسان
يوهمنى بأنها إنسان * تنهى إلى صاحبها الأخبارا * وتكشف الأسرار والأستارا
بكماء إلا أنها سميعه * تعيد ما تسمعه طبيعه * زارتك من بلادها البعيده
واستوطنت عندك كالعقيده * ضيف قراه الجوز والأرز * والضيف فى إتيانه يعز
تراه فى منقارها الخلوق * كلؤلؤ يلقط بالعقيق * تنظر من عينين كالفصين
فى النور والظلمة بصاصين * تميس فى حلتها الخضراء * مثل الفتاة الغادة العذراء
حريدة خدورها الأقفاص * ليس لها من حبسها خلاص * تحبها وما لها من ذنب
وإنما ذاك لفرط الحب * تلك التى قلبى بها مشغوف * كنيت عنها واسمها معروف
يشرك فيها شاعر الزمان * الكاتب المعروف بالبيان

لشغل وجده نائما ﴿فصل فى فضائل الأيام وخواصها﴾ (يوم الجمعة) عيد الملة الحنيفية وسيد الأيام روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنه وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وقال بعض السلف إن لله تعالى فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية يوم الخميس ويوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء وقال الأصمعى دخلت على الرشيد يوم الجمعة وهو يقلم أظفاره ويقول قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة وبلغنى أنه ينفى الفقر فقلت يا أمير المؤمنين وأنت تخشى الفقر فقال وهل أحد أخشى من الفقر منى وفى الأثر إن الملائكة يتفقدون العبد

ذلك عبد الواحد بن نصر * تقيه نفسى حادثات الدهر

فأجابه أبو الفرج بقوله :

من منصفى من محكم الكتاب * شمس العلوم قمر الآداب * أمسى لأصناف العلوم محرزا
وسام أن يلحق لما برزا * وهل يجارى السابق المقصر * أو هل يبارى المدرك المغرر
إلى أن قال فى وصفها ذات شغا تحسبه ياقوتا * لا نرتضى غير الأرز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها * حبابة تطفو على عقارها

وقال القاضى بن خلكان فى ترجمة الفضل بن الربيع أن أحمد بن يوسف الكاتب كتب إلى بعض إخوانه وقد ماتت له ببغاء وله أخ كثير التخلف يسمى عبد الحميد :

أنت تبقى ونحن طرا فداكا * أحسن الله ذو الجلال عزاكا * فلقد جل خطب دهر أتاكا
بمقادير أتلفت ببغاكا * عجباً للمنون كيف أتتها * وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أجمل للمو * ت من الببغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعاً * فقدنا هذه ورؤية ذاكا

قال الزمخشرى إن الببغاء تقول ويل لمن كانت الدنيا همه (الحكم) يحرم أكلها على الأصح فى الرافعى ونقله فى البحر عن الصيمرى وأقره وعلل ذلك بخبث لحمها وقيل حلال لأنها تأكل من الطيبات وليست من ذوات السموم ولا من ذوات المخلب ولا أمر بقتلها ولا نهى عنه وقطع المتولى بجواز استئجارها للأنس بصوتها وحكى البغوى فى ذلك وجهين وكذا كل ما يستأنس بصوته كالعندليب وغيره (الخواص) من أكل لسان الببغاء صار فصيحاً جريئا فى الكلام ومرارتها تثقل اللسان أكلا ودهنها يجفف ويسحق وينثر بين الصديقين تظهر بينهما العداوة وذرقها يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالا (التعبير) الببغاء فى المنام رجل نحس كذاب وقيل رجل فيلسوف وفرخه ولد فيلسوف وقيل هى جارية أو غلام يتيم .

﴿البج﴾ من طير الماء وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر الجنس أجمع فى باب الطاء المهملة .

﴿البجع﴾ الحوصل وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء وقد أحسن الشاعر حيث قال فيه ملغزا :

ما طائر فى قلبه * يلوح للناس عجب منقاره فى بطنه * والعين منه فى الذنب

قال التيمى فى منافع القرآن من كتب على جلد حوصلة البجع بماء ورد أو بماء مطر قوله تعالى (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) ثم جعل ذلك على صدر النائم من رجل أو امرأة فإنه يخبر بكل ما عمل

﴿البحزج﴾ بالباء الموحدة والزاى والجيم ولد البقرة الوحشية .

﴿البخاق﴾ كغراب الذئب الذكر .

﴿البخت﴾ من الإبل معرب وبعضهم يقول هو عربى الواحد الذكر بختى والأنثى بختية وجمعه بخاتى غير مصروف لأنه بزنة جمع الجمع ولك أن تخفف الياء فتقول البخاتى وكذا كل ما أشبهها مما واحده مشدد يجوز فى جمعه التشديد والتخفيف كالعورى والسوارى والعلالى والأوانى والأثافى والكراسى والمهارى وشبهها وممن ذكر هذه القاعدة ابن السكيت فى إصلاحه والجوهرى فى صحاحه قال ابن السكيت والأثفية بثاء مثلثة مفرد الأثافى وهى الأعمدة الثلاثة تتخذ لوضع القدر عليها حال الطبخ ومن كلام العرب رماه الله بثالثة الأثافى يعنى الجبل لأن الإنسان إذا لم يجد إلا اثنتين جعل الثالثة الجبل فعبروا بثالثة الأثافى عن الجبل والبخاتى جمال طوال الأعناق روى أبو داود والترمذى والنسائى وأحمد من حديث جنادة بن أبى أمية قال كنا مع بسر بن أرطاة فى البحر

إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا فيقولون ما فعل فلان وما الذى أخره عن وقته ثم يقولون اللهم إن كان أخره فقر فأغنه وإن كان أخره مرض فأشفه وإن كان أخره شغل فأفرغه لعبادتك وإن كان أخره هو فأقبل بقلبه إلى طاعتك ﴿يوم السبت﴾ هو عيد اليهود قال الكلبى أمر موسى عليه السلام بنى إسرائيل أن يفرغوا فى كل أسبوع يوما للعبادة فأبوا أن يقبلوا إلا يوم السبت وقالوا إنه يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء وزعموا أن الأمور التى تحدث فى يوم السبت تستمر إلى السبت الآخر فلذلك امتنعوا فيه من الأخذ والعطاء والمسلمون يخالفونهم فى ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم بورك لأمتى فى بكورها سبتها وخميسها وزعم أصحاب الفلاحة أن النخلة إذا غرست يوم السبت لم تحمل ﴿يوم الأحد﴾ عيد النصارى قال أصحاب السير إن أول الأيام الأحد وهو أول أيام الدنيا

فأتى بسارق قد سرق بختية فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا تقطع الأيدى فى السفر ولولا ذلك لقطعته وفى صحيح مسلم من حديث زهير عن جرير بن سهل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال فى صفة النساء اللاتى يأتين فى آخر الزمان رءوسهن كأسنمة البخت لا يجدن ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وفى المستدرك من حديث عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال سيكون فى آخر هذه الأمة رجال يركبون على المياثر حتى يأتوا أبواب مساجدهم نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهن كأسنمة البخت العجاف ألعنوهن فإنهن ملعونات وفى الكامل فى ترجمة فضل بن مختار البصرى عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ إن فى الجنة طيراً أمثال البخاتى قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه إنها لناعمة يا رسول الله فقال ﷺ أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر

﴿البدنة﴾ جمعها بدن بضم الدال وإسكانها وبالإسكان جاء القرآن وممن ذكر الضم الجوهرى رحمه الله وهو ما أشعر من ناقة أو بقرة سميت بذلك لأنها تبدن أى تسمن وقال النووى هى البعير ذكراً كان أو أنثى وشرطها أن تكون فى سن الأضحية عند الفقهاء وعند اللغويين أو أكثرهم تطلق على الإبل والبقر وقال الأزهرى تكون فى الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لعظم أبدانها ويشهد لاختصاصها بالإبل ما روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة وفى مسند الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه فى الساعة الرابعة بطة وفى الخامسة دجاجة وفى السادسة بيضة ووصف الكبش بالقرن لأنه أكمل وأحسن صورة وجمع البدنة بدن قال تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله أى من أعلام دين الله لكم فيها خير قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تقع فى الدنيا وأجر فى الآخرة * حج صفوان بن سليم وليس معه إلا سبعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له فى ذلك فقال إنى سمعت الله تعالى يقول والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير وأول من أهدى البدن إلى البيت الحرام الياس بن مضر وهو أول من وضع مقام إبراهيم عليه السلام للناس بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح عليه السلام فكان الياس أول من ظفر به فوضعه فى زاوية البيت ولم تزل العرب تعظم الياس بن مضر إلى أن مات ولما مات أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديداً وحرمت الرجال والطيب ونذرت أن لا تقيم ببلدة مات فيها ولا يأويها بيت فلم تزل سائحة حتى هلكت حزنا وكانت وفاته يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس قال السهيلى ويذكر عن النبى ﷺ أنه قال لا تسبوا الياس فإنه كان مؤمنا وذكر أن الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبى ﷺ بالحج وروى مسلم عن موسى ابن سلمة الهذلى قال انطلقت أنا وسنان بن سلمة معتمرين قال وانطلق سنان ومعه بدنة يسوقها فأرجفت عليه بالطريق فغمنى شأنها إذ هى أبدعت أى أكلت فأتينا إلى ابن عباس نسأله فقال على الخبير سقطت بعث رسول الله ﷺ بست عشرة بدنة مع رجل وأمره فيها فقال يا رسول الله وما أصنع بما أبدع على منها قال ﷺ انحرها ثم اصبغ نعلها فى دمها ثم اجعله على صفحتها ولا تأكل منها أنت ولا أحد من رفقتك وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء والكلام على الهدى وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ

وبدأ الله فيه خلق الأشياء وذكروا أن عيسى عليه السلام أمر قومه بالجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيد اليهود بعد عيدنا فاتخذوا الأحد وزعموا أنه صالح لابتداء الأمور

﴿يوم الاثنين﴾ يوم مبارك كان رسول الله ﷺ كثير المواظبة على صومه وصوم الخميس فسئل عن ذلك فقال هما يومان ترفع فيهما الأعمال فأنا أحب أن يرفع عملى وأنا صائم وفى الحديث أنه ﷺ ولد يوم الاثنين وأتاه الوحى يوم الاثنين وخرج من مكة مهاجراً يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين أورده الإمام أحمد بن حنبل فى مسند ابن عباس رضى الله عنهم

﴿يوم الثلاثاء﴾ تستحب فيه العقود وإصلاح حال النفس والحجامة وقيل إن قابيل قتل هابيل يوم الثلاثاء

﴿يوم الأربعاء﴾ يوم قليل الخير والأربعاء الأخير من الشهر يوم نحس مستمر يحمد فيه الاستحمام

﴿يوم الخميس﴾ يوم مبارك سيما لطالب

رأى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها قال يارسول الله إنها بدنة قال اركبها ويلك في الثانية أو في الثالثة وفي رواية ويلك اركبها ويلك اركبها وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال إذا أردت أن تنحر البدنة فأقمها ثم قل الله أكبر اللهم منك وإليك ثم سم وانحرها وكذلك في الأضحية وفي الصحيحين عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها فقال ابعثها قائمة مقيدة سنة محمد ﷺ وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن قرط أن النبي ﷺ قال أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر وقرب إلى رسول الله ﷺ خمس بدنات أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها وفي ركوب البدنة مذاهب للعلماء فذهب الشافعي إلى أنه يركبها إذا احتاج ولا يركبها من غير حاجة وإنما يركبها بالمعروف من غير إضرار بها وبهذا قال ابن المبارك وابن المنذر وجماعة وقال مالك وأحمد له ركوبها من غير حاجة وبه قال عروة بن الزبير وإسحق بن راهويه وقال أبو حنيفة لا يركبها إلا أن لا يجد منه بدا وحكى القاضي عن بعض العلماء أنه يجب ركوبها لظاهر الأمر ودليل الجمهور أن النبي ﷺ أهدى ولم يركب هديه ولم يأمر الناس بركوب الهدايا وقول النبي ﷺ ويلك هذه الكلمة أصلها لمن وقع في هلكة فقال له ذلك لأنه كان محتاجا قد وقع في جهد وتعب وقيل هذه الكلمة تجرى في اللسان وتستعمل من غير قصد إلى ما وضعت له أولا وهي كقولهم :لا أم له لا أب له تربت يداه قاتله الله عقرى حلقى وأشبه ذلك ﴿ البذج ﴾ بالذال المعجمة من أولاد الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز وجمعه بذجان قال الشاعر :

قد هلكت جارتنا من الهمج * وأن تجع تأكل عتودا أو بذج

قال الجوهري ومراده بالهمج سوء التدبير في المعاش وفي الحديث يخرج رجل من النار كأنه بذج ترعد أوصاله وروى ابن المبارك عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال يجاء برجل يوم القيامة كأنه بذج من الذل فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فماذا صنعت فيقول رب جمعته ونميته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به فيقول الله تعالى أرني ما قدمت فإذا هو عبد لم يقدم خيرا فيمضى به إلى النار خرجه ابن العربي المالكي في سراج المريدين وقال حديث صحيح من مراسيل الحسن قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب رواه الترمذي عن اسمعيل بن مسلم المكي وهو رواه عن الحسن والبذج بباء موحدة مفتوحة وذال معجمة ساكنة ثم جيم من أولاد الضأن شبه به هذا لما يأتي به من الذل والحقارة انتهى وفي مسند أبي يعلى الموصلي عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال:قال رسول الله ﷺ يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج من الذل فيقول الله تعالى أنا خير قسيم يا ابن آدم انظر إلى عملك الذي عملت لي فأنا أجزيك به وانظر إلى عملك الذي عملت لغيري فإن جزاءك على الذي عملت له ورواه الحافظ أبو نعيم في ترجمة الربيع بن صبيح مرفوعا بالبذج كلمة فارسية تكلمت بها العرب وعن بعض الأعراب أنه وجد متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول اللهم أمتني ميتة أبي خارجة فقيل له وكيف مات أبو خارجة قال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فلقي الله تعالى شبعان ريان دفآن المشعل إناء ينبذ فيه ( الأمثال ) قالوا فلان أذل من بذج لأنه أضعف ما يكون من الحملان .

﴿ البراق ﴾ الدابة التي ركبها سيد المرسلين ﷺ ليلة الإسراء وركبها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مشتقة من البرق الذي يلمع في الغيم كما روى في حديث المرور على الصراط فمنهم من

الحوائج وابتداء السفر روى الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ ما كان يخرج إذا أراد سفرا إلا يوم الخميس وتكره الحجامة فيه حدث حمدون بن اسمعيل قال سمعت المعتصم بالله يحدث عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال من احتجم يوم الخميس فخم مات في ذلك المرض قال دخلت على المعتصم يوم الخميس فإذا هو يحتجم فلما رأيته وقفت واجما ساكتا حزينا فقال يا حمدون لعلك تذكرت الحديث الذي حدثك به قلت نعم يا أمير المؤمنين فقال والله ما ذكرت حتى شرط الحجام فخم من ساعته وكان المرض الذي مات فيه رحمه الله تعالى (القول في الشهور) لكل صنف من أصناف الناس شهور مثل شهور العرب

يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفرس الجواد وفى الصحيح أنه دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء فى خطوة وإلى السموات السبع فى سبع خطوات وبه يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس فى لحظة واحدة وقال إنه أعدم ثم وجد وعلله بأن المسافة البعيدة لا يمكن قطعها فى هذه اللحظة وهذا أوضح دليل فى الرد عليه قال السهيلى ومما يسأل عنه شماس البراق حين ركبه فقال له جبريل عليه السلام أما تستحيى يا براق فما ركبك عبد قبل محمد أكرم على الله منه قال ابن بطال إنما كان ذلك لبعد عهده بالأنبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونقل النووى عن الزبيدى فى مختصر العين وعن صاحب التحرير أنها دابة كان الأنبياء عليهم السلام يركبونها ثم قال وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الأنبياء فيها يحتاج إلى نقل صحيح وقال صاحب المقتفى والحكمة فى كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس التنبيه على أن الركوب كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف أو لإظهار الآية فى الإسراع العجيب فى دابة لا يوصف شكلها بالإسراع فإن قيل ركب ﷺ البغلة فى الحرب فالجواب إن ذلك كان لتحقيق نبوته وشجاعته ﷺ قال وكان البراق أبيض وكانت بغلته شهباء وهى التى أكثرها بياض إشارة إلى تخصيصه بأشرف الألوان قال واختلف هل ركب جبريل عليه السلام معه ﷺ فقيل نعم كان رديفه ﷺ قال والظاهر عندى أنه لم يركب معه لأنه ﷺ هو المخصوص بشرف الإسراء لكن روى أن إبراهيم عليه السلام كان يزور ولده إسمعيل على البراق وإنه ركبه هو وإسمعيل وهاجر حين أتى بهما البيت الحرام وفى أواخر المستدرك عن عبد الله رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال أتيت بالبراق فركبت خلف جبريل إلى أن قال تفرد به أبو حمزة ميمون الأعور وقد اختلفوا فيه وفيه ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضى الله عنه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال تبعث الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة على الدواب ليوافوا بالمؤمنين من قومهم المحشر ويبعث صالح على ناقته وأبعث على البراق خطوها عند أقصى طرفها وتبعث فاطمة أمامى وقال أبو القاسم إسمعيل بن محمد الأصفهانى فى كتاب الحجة إلى بيان المحجة إن قيل لم عرج البراق به ﷺ إلى السماء ولم ينزل عند منصرفه عليه فالجواب أنه عرج به عليه إظهارا لكرامته ولم ينزل عليه أظهارا لقدرة الله تعالى وقيل دل بالصعود على النزول به عليه كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر يعنى والبرد وكقوله بيده الخير أى والشر وقال حذيفة ما زايل ظهر البراق حتى رجع ثم إن البراق يوم القيامة يركبه النبى ﷺ دون سائر الأنبياء يدل لذلك ما رواه الحاكم قريبا وما رواه أبو الربيع بن سبع السبتى فى شفاء الصدور عن سويد بن عمرو أن النبى ﷺ قال حوضى أشرب منه يوم القيامة أنا ومن استسقانى من الأنبياء عليهم السلام ويبعث الله تعالى لصالح ناقة يحلبها ويشرب هو والذين آمنوا معه ثم يركبها حتى يوافى بها الموقف ولها رغاء فقال له رجل يارسول الله وأنت يومئذ على العضباء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك تحشر عليها ابنتى فاطمة وأنا أحشر على البراق أخص به دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام * واختلف الناس فى تاريخ الإسراء فقال ابن الأثير الصحيح عندى أنه كان ليلة الاثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة وبهذا جزم شيخ الإسلام محيى الدين النووى فى شرح مسلم وجزم فى فتاويه فى كتاب الصلاة بأنه كان فى شهر ربيع الآخر وفى سير الروضة أنه كان فى رجب وإنما كان ليلا لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهارا وجليسه

والروم والفرس والقبط والزنك والهند والزنج لكن الشهور المستعملة فى زماننا هذا شهور العرب والروم والفرس فاقتصرت على ذكرها وذكر بعض خواصها والمواسم فيها وبالله التوفيق.

﴿ فصل فى شهور العرب ﴾ الشهر عندهم عبارة عن الزمان الذى بين الهلالين ويتفق ذلك فى كل سنة من سنينهم اثنتى عشرة مرة لأن سنينهم ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر من يوم فإذا جعلنا شهرا ثلاثين وشهرا تسعة وعشرين صارت الشهور منطبقة على أيام السنة وإذا صارت الكسور يوما زادوه فى آخر ذى الحجة وقد نطق بذلك الكتاب المجيد إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم والأشهر الحرم رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وثلاثة سرد وللحرم زيادة وقع عند الله تعالى فالطاعات فيها أكثر ثوابا والمعاصى أعظم عقابا

ليلا قال أهل التاريخ ولد النبي ﷺ عام الفيل وأقام في بني سعد خمس سنين ثم توفيت أمه بالأبواء وهو ابن ست سنين وكفله جده عبد المطلب ثم توفي وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم خرج ﷺ في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وثلاثين وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة رضي الله تعالى عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام ثم خرج ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها فأقام به شهرا ثم رجع إلى مكة في جوار المطعم بن عدي فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين فأسلموا فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به ﷺ وهاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وهي السنة الثالثة عشر من بعثته ﷺ وقيل هاجر في الرابعة عشرة من بعثته ﷺ ومعه أبو بكر الصديق ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط وهذه السنة عليها مبنى التاريخ الإسلامي وهي سنة واحد وفيها آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة رضي عنهم واتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخا وفيها أتمت صلاة الحضر وقصرت صلاة السفر وفيها تزوج علي فاطمة رضي الله تعالى عنهما وفي سنة اثنتين كانت غزوة ودان وهو اسم مكان وغزوة بواط وهي من ناحية رضوى وغزوة العشيرة وغزوة بدر الأولى وكانت في جمادى الآخرة وغزوة بدر الكبرى وهي التي قتل فيها صناديد قريش وأعز الله تعالى بها الدين وكانت يوم الجمعة ثالث عشر رمضان وغزوة بني سليم وكانت في ذي الحجة خرج ﷺ يريد أبا سفيان فلم يلقه وفي سنة ثلاث كانت غزوة بني غطفان وغزوة نجران وغزوة قينقاع وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد وفي سنة أربع كانت غزوة بني النضير وغزوة ذات الرقاع وفي سنة خمس كانت غزوة دومة الجندل وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وفي سنة ست كانت غزوة بني لحيان وغزوة بني المصطلق وفي سنة سبع اتخذ النبي ﷺ المنبر وغزا غزوة خيبر وفيها كانت قصة فدك وهي مشهورة وكانت فدك لرسول الله ﷺ خالصة وفي سنة ثمان كانت غزوة تبوك وفي سنة عشر كانت حجة حنين وغزوة الطائف وقسمة أموال هوازن وفي سنة تسع كانت غزوة تبوك وفي سنة عشر كانت حجة الوداع ونحر بيده الشريفة ﷺ ثلاثا وستين بدنة وأعتق ثلاثا وستين رقبة هي عدد سني عمره وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته ﷺ وكان ابتداء الوجع في مستهل شهر ربيع الأول وتوفي في الثاني عشر منه وعاش ﷺ ثلاثا وستين سنة وكانت مدة مقامه في المدينة عشر سنين وقد تقدم ذكر ذلك في باب الهمزة في الكلام على الإوز وكان أولاده ﷺ كلهم من خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية وهم الطيب والطاهر والقاسم وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وإبراهيم سلام الله ورضوانه عليهم أجمعين فأما الذكور فماتوا كلهم أطفالا ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم في حياة خديجة غيرها فلما ماتت تزوج سودة بنت زمعة رضي الله تعالى عنها وعائشة رضي الله تعالى عنها ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها وماتت رضي الله عنها في أيام معاوية رضي الله تعالى عنه سنة ثمان وخمسين عن سبع وستين سنة وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما سنة ثلاث وتوفيت في أيام عثمان رضي الله تعالى عنه وتزوج صلى الله عليه وسلم

وهذه الأشهر كانت محرمة في الجاهلية وكانت العرب في هذه الأشهر تنزع الأسنة عن رماحها وتقعد عن شن الغارات وكان الخائف فيها يأمن من أعدائه حتى أن الرجل إذا لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له فلنذكر الآن الشهور (المحرم) سمي محرما لحرمة القتال فيه فاليوم الأول منه معظم عند ملوك العرب يقعدون للهناء كما أن اليوم الأول من سنة الفرس كان عندهم معظما وهو النيروز والسابع منه هو الذي خرج فيه يونس من بطن الحوت وقيل إنه كان في رابع عشر ذو القعدة والعاشر منه يوم عاشوراء يوم معظم في جميع الملل لأنه فيه تاب الله تعالى على آدم عليه السلام واستوت السفينة على الجودي وولد الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام وبردت النار على إبراهيم عليه السلام ورفع العذاب عن قوم يونس وكشف ضر أيوب ورد على يعقوب بصره وأخرج يوسف من الجب

زينب بنت خزيمة وتوفيت فى حياته ﷺ ولم يمت عنده من نسائه غيرها وغير خديجة رضى الله تعالى عنهما وتزوج ﷺ أم سلمة رضى الله تعالى عنها سنة أربع وأمها عاتكة عمة رسول الله ﷺ وتوفيت سنة تسع وخمسين فى أيام معاوية رضى الله تعالى عنه وقيل توفيت سنة إحدى وستين فى يوم عاشوراء وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين رضى الله تعالى عنه وتزوج ﷺ زينب بنت جحش فى سنة خمس وتوفيت فى سنة عشرين فى أيام عمر رضى الله عنهما وهى أول أزواجه ﷺ لحوقا به وتزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان وتوفيت سنة أربع وأربعين فى أيام أخيها معاوية رضى الله عنهما وتزوج جويرية بنت الحرث المصطلقية وتوفيت سنة ست وخمسين فى أيام معاوية وتزوج ميمونة بنت الحرث فى سنة سبع وتوفيت سنة أربعين ومات عليه الصلاة والسلام عن تسع ﴿البرذون﴾ بكسر الباء وبالذال المعجمة والجمع براذين والأنثى برذونة وكنيته أبو الأخطل كنى به لخطل أذنيه وهو استرخاؤهما بخلاف أذن الفرس العربى وهو الذى أبواه أعجميان والأعجمى من الناس الذى لا يفصح بالكلام عجميا كان أو عربيا ألا تراهم قالوا زيادا الأعجمى لعجمة كانت فى لسانه وهو عربى قال ﷺ صلاة النهار عجماء لإخفاء القراءة فيها لكن قال النووى إنه حديث باطل ويطلق العجمى والأعجمى على من ليس من أهل الكلام قال ﷺ العجماء جرحها جبار وهى الدابة المنفلتة وإلا فالإجماع على تضمين السائق والقائد وقال صاحب منطق الطير إن البرذون يقول كل يوم اللهم إنى أسألك قوت يوم بيوم وروى الحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كأنى بالترك وقد أتتكم على براذين مجدعة الآذان حتى تربطها بشط الفرات وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه مر بمروان وهو يبنى فى داره بالمدينة قال فجلست إليه والعمال يعملون فقلت ابنوا مشيدا وأملوا بعيدا وموتوا قريبا فقال مروان إن أبا هريرة يحدث العمال فما تقول لهم يا أبا هريرة قال قلت ابنوا مشيدا وأملوا بعيدا وموتوا قريبا يا معشر قريش ثلاث مرات اذكروا كيف كنتم أمس وكيف أصبحتم اليوم تخدمون أرقاءكم فارس والروم كلوا خبز السميذ واللحم السمين لا يأكل بعضكم بعضا ولا تكادموا تكادم البراذين وكونوا اليوم صغارا تكونوا غدا كبارا والله لا يرتفع رجل منكم فى الدنيا درجة إلا وضعه الله يوم القيامة درجة وأنشد السراج الوراق فى مناهج الفكر فى أوصاف الخيل المذمومة :

لصاحب الأحباش برذونة * بعيدة العهد عن القرط * إذا رأت خيلا على مربط
تقول سبحانك يا معطى * تمشى إلى خلف إذا ما مشت * كأنما تكتب بالقبطى

قال الجاحظ سألت بعض الأعراب أى الدواب آكل قال برذونة رغوث وفى أواخر الجزء الخامس من الغيلانيات وفى المستدرك فى كتاب اللباس عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أتى رجل إلى رسول الله ﷺ على برذون وعليه عمامة وقد أرخى طرفها بين كتفه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هل رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل أمرنى أن أمضى إلى بنى قريظة وقال فى الكامل فى حوادث سنة خمس عشرة لما افتتح عمر رضى الله تعالى عنه بيت المقدس وقدم إلى الشام أربع مرات الأولى على فرس والثانية على بعير والثالثة رجع لأجل الطاعون والرابعة على حمار وكتب إلى أمراء الأجناد أن يوافوه بالجابية فركب فرسه فرأى به عرجا فنزل عنه وأتى ببرذون فركبه فجعل يتجلجل به أى يزهو فى مشيته فنزل عنه أو صرف عنه وجهه وقال لا علم الله من علمك هذه الخيلاء ثم ركب ناقته ولم يركب برذونا بعده ولا قبله أبدا وكان عمر رضى الله تعالى عنه لما أراد الخروج

وأعطى سليمان ملكه
وأجيب زكريا حين
استوهب يحيى وهو يوم
الزينة الذى غلب فيه
موسى السحرة ولما قدم
النبى ﷺ المدينة وجد
يهودها يصومون عاشوراء
فسألهم عن ذلك فقالوا
إنه اليوم الذى غرق فيه
فرعون وقومه ونجا موسى
ومن معه فقال عليه
الصلاة والسلام أنا أحق
بموسى منهم فأمر بصوم
عاشوراء وكان الإسلاميون
يعظمون هذا الشهر
بأجمعهم حتى اتفق فى
هذا اليوم قتل الحسين
رضى الله عنه مع كثير من
أهل البيت فزعم بنو أمية
أنهم اتخذوه عيدا فتزينوا
فيه وأقاموا فيه الضيافات
والشيعة اتخذوه يوم عزاء
ينوحون فيه ويجتنبون
الزينة وأهل السنة يزعمون
أن الاكتحال فى هذا
اليوم مانع من الرمد فى
تلك السنة والسادس عشر
منه جعلت القبلة لبيت
المقدس والسابع عشر
منه فيه قدوم أصحاب
الفيل فأرسل الله
عليهم طيرا أبابيل

إلى الشام استخلف على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال له على أنت تخرج بنفسك إلى هذا العدو الكلب فقال عمر رضى الله تعالى عنه أبادر بالجهاد قبل موت العباس رضى الله تعالى عنه إنكم إذا فقدتم العباس رضى الله تعالى عنه انتقض بكم الشر كما ينتقض الحبل فمات العباس رضى الله تعالى عنه لست سنين من خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وانتقض بالناس الشر كما قال عمر رضى الله تعالى عنه وفى وفيات الأعيان فى ترجمة أبى الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصرى شيخ البصريين فى الاعتزال قال خرجت من البصرة على برذون أريد المأمون ببغداد فسرت إلى ديرهرقل فإذا رجل مشدود فى حائط الدير فسلمت عليه فرد علىّ السلام وحملق إلىّ وقال أمعتزلى أنت قلت نعم قال وإمامى أنت قلت نعم قال أنت إذن أبو الهذيل العلاف قلت أنا ذاك قال فهل للنوم لذة قلت نعم قال ومتى يجدها صاحبها فقلت لقلبى إن قلت مع النوم أخطأت فإنه ذاهب العقل وإن قلت قبل النوم أخطأت أيضا لأنك أحلت على عدم وإن قلت بعد النوم غلطت لأنه شىء قد انقضى قال فتحير فهمى وجال فى الخاطر وهمى وقلت له قل أنت حتى أسمع منك وأنقل عنك فقال بشرط أن تسأل امرأة صاحب هذا الدير أن لا تضربنى يومى هذا فسألتها فأجابت فقال اعلم أن النعاس داء يحل بالبدن ودواؤه النوم فاستحسنت ذلك منه وهممت بالانصراف فقال يا أبا الهذيل قف واسمع مسألة عظمى قال ما تقول فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمين هو فى السماء والأرض قلت نعم قال أحب أن يكون الخلاف فى أمته أم الوفاق قلت بل الوفاق والاتفاق فقال قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فما باله صلى الله عليه وسلم حين مرض مرض موته ما قال هذا خليفتكم من بعدى وقد نص صلى الله عليه وسلم عن الوصية وحث عليها وحرض قال أبو الهذيل فلم أحر جوابا وسألته الجواب فتنكر حاله ففتلت عنان برذونى وانصرفت عنه فوصلت إلى المأمون فاستخبرنى عن طريقى فأخبرته بما جرى فأمر بإحضاره على حالته التى هو عليها فأحضر فقال له المأمون أعد السؤال الذى سألت عنه أبا الهذيل فأعاده وكان فى المجلس جماعة من العلماء الأفاضل فمانهم من أجاب فقال له المأمون ما الجواب فقال سبحان الله أكون سائلا ومجيبا فى حالة واحدة فقال المأمون وما عليك أن تفيدنا فقال نعم يا أمير المؤمنين اعلم أن الله عز وجل حكم فى سالف أزله وقضى وقدر فى سابق علمه وأطلع نبيه ﷺ من ذلك على حكمه فلم يكن له أن يتعداه ولا أن يتخطاه فترك الأمر على ما قدره الله تعالى وقضاه إذ لا راد لأمره ولا معقب لحكمه فاستحسن المأمون ذلك وعرض له شغل فقام داخلا إلى داره فقال له المجنون يا ابن اللخناء أخذت منفوعنا وفررت منا فعاد المأمون وقال ما تشتهى فقال ألف دينار قال وما تصنع بها قال آكل بها كسبا وتمرا فأمر له بها وحمله إلى أهله وهو على حاله وتوفى أبو الهذيل العلاف سنة سبع وعشرين ومائتين وذكروا أن السنة فى الرأس والنعاس فى العين والنوم فى القلب وهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنعه المعرفة بالأشياء وقد نفى الله ذلك عن نفسه بقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) لأنه آفة وهو سبحانه وتعالى منزه عن الآفات ولأنه تغير ولا يجوز عليه تبارك وتعالى وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الأذكياء عن خالد بن صفوان التيمى أنه دخل على أبى العباس السفاح وليس عنده أحد فقال يا أمير المؤمنين إنى والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف فى الخلوة فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب حتى أفرغ فليفعل فأمر الحاجب بذلك فقال يا أمير المؤمنين إنى فكرت فى أمرك وأجلت الفكر فيك فلم أر أحدا له قدرة واتساع على الاستمتاع بالنساء مثلك ولا أضيق فيهن عيشا منك إنك ملكت

(صفر) سمى صفرا لأن الرباع كلها كانت تصفر من أهلها لأنهم خرجوا للقتال لانقضاء الأشهر الحرم وذهب الجمهور إلى أن القعود فى هذا الشهر أولى من الحركة وروى عن النبى ﷺ أنه قال من بشرنى بخروج صفر أبشره بالجنة اليوم الأول منه عيد بنى أمية أدخلت فيه رأس الحسين رضى الله عنه بدمشق والعشرون منه ردت رأس الحسين إلى جثته وترك المأمون لبس الخضرة وعاد إلى السواد بعد ما لبسها خمسة أشهر ونصف والثالث والعشرون منه عاد الأمر إلى بنى هاشم وجلس السفاح للخلافة والرابع والعشرون منه دخل النبى صلى الله عليه وسلم الغار مع أبى بكر رضى الله عنه (ربيع الأول) سمى ربيعا لارتباع الناس والمقام فيه هو شهر مبارك فتح الله فيه أبواب الخيرات وأبواب السعادات على العالمين بوجود سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الثامن منه قدم رسول الله صلى الله

نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فإن مرضت مرضت وإن غابت غبت وإن عركت عركت وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق الجوارى ومعرفة اختلاف أحوالهن والتلذذ بما يشتهى منهن فإن منهن الطويلة التى تشتهى لجسمها والبيضاء التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة والطائف واليمامة ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر وبنات سائر الملوك وما يشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتخلل خالد بلسانه فأطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه إليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى بما شغل خاطرى والله ما سلك مسامعى كلام أحسن من هذا فأعد على كلامك فقد وقع منى موقعا فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ثم قال له انصرف فانصرف وبقى أبو العباس مفكرا فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف لها أن لا يتخذ عليها زوجة ولا سرية ووفى لها بذلك فلما رأته على تلك الحالة قالت له إنى لأنكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شىء تكرهه أو أتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بما قاله خالد فقالت وما قلت لابن الفاعلة فقال لها أينصحنى وتشتميه فخرجت إلى مواليها وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت إلى أمير المؤمنين ولم أشك فى الصلة فبينما أنا واقف إذ أقبلوا يسألون عنى فخفقت أنه أمر لى بالجائزة فقلت لهم ها أنذا فاستبق إلى أحدهم بخشبة فغمزت برذونى فلحقنى وضرب كفل البرذون فركضت ففتهم واستخفيت فى منزلى أياما ووقع فى قلبى أنى أتيت من من أم سلمة فبينما أنا ذات يوم جالس فى المجلس فلم أشعر إلا بقوم قد هجموا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فسبق إلى قلبى أنه الموت فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون والله لم أردم شيخ أضيع من دمى فركبت إلى دار أمير المؤمنين فأصبته جالسا ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا من خلف الستر فأجلسنى ثم قال ويحك يا خالد وصفت لأمير المؤمنين صفة فأعدها فقلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمتك أن العرب إنما اشتقت اسم الضرتين من الضرر وإن أحدا لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا كلامك أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس ويشيبن الرؤس فقال السفاح برئت من رسول الله ﷺ إن كنت سمعت هذا منك أو مر فى حديثك قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الأربع من النساء شر مجموع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك أولا قلت بلى والله قال أتكذبنى قلت أفتقتلنى نعم والله يا أمير المؤمنين إن أبكار الإماء رجال إلا أنهن ليس لهن خصى قال خالد فسمعت ضحكا من خلف الستر ثم قلت والله وأخبرتك إن عندك ريحانة قريش وأنت تطمح بعينيك إلى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه بهذا حدثته ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك فقال له السفاح قاتلك الله قال خالد فانسللت وخرجت فبعثت إلى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذون وتخت ثياب (الحكم) هو كعموم الخيل (الخواص) إذا شربت امرأة دم برذون لم تحمل أبدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت لخاصية فيه وإذا جفت وذر منه فى الأنف حبس الرعاف وإذا ذر على الجراحات حبس الدم (التعبير) البرذون فى المنام خصومة وقيل غلام ويعبر أيضا برجل عجمى والبراذين رجال أعاجم ويعبر أيضا بامرأة فمن سرق برذونه طلق زوجته وضياعه فجور المرأة والله أعلم.

﴿البرغش﴾ بفتح الباء والغين المعجمة نوع من البعوض وأنشد الحافظ زكى الدين عبد العظيم لشيخه الحافظ أبى الحسن المقدسى شيخ والد الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد ووفاته فى مستهل شعبان سنة إحدى وعشرين وستمائة بالقاهرة: ثلاث باءات بلينا بها * البق والبرغوث والبرغش

عليه وسلم المدينة والعاشر منه تزوج رسول الله ﷺ خديجة رضى الله عنها والثانى عشر منه مولد رسول الله ﷺ (ربيع الآخر) فى اليوم الثالث منه رمى الحجاج الكعبة بالنار فى إحصار ابن الزبير فاحترقت والرابع عشر منه فيه تقرر فرض الصلاة وفى الحادى والعشرين غزوة رسول الله ﷺ (جمادى الأولى) إنما سمى بذلك لأنهما صادفا أيام الشتاء حين اشتد البرد وجمد الماء فى الثامن منه موله على ابن أبى طالب رضى الله عنه وفى الخامس عشر وقعة الجمل (جمادى الأخرى) زعموا أن الحوادث العجيبة كثيرا ما تقع فى هذا الشهر حتى قالوا العجب كل العجب بين جمادى ورجب فى اليوم الأول منه نزل الملك على رسول الله ﷺ وفى السادس ولاية عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وفى التاسع مولد جعفر الصادق وفى الرابع عشر مولد موسى بن جعفر وفى الخامس عشر هدم ابن الزبير الكعبة بيده لحديث

ثلاثة أوحش ما فى الورى * يا ليت شعرى أيها أوحش

﴿ البرغن ﴾ بفتح الباء والغين المعجمة وضمهما ولد البقرة الوحشية .

﴿ البرغوث ﴾ بالثاء المثلثة واحد البراغيث وضم بائه أشهر من كسرها وقولهم أكلونى البراغيث لغة طيىء وهى لغة ثابتة خرجوا عليها قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا على أحد المذاهب وقوله عز وجل خشعا أبصارهم ومثله يتعاقبون فيكم ملائكة وقوله فى صحيح مسلم وغيره حتى احمرتا عيناه وأشباهه كثيرة معروفة وقال سيبويه لغة أكلونى البراغيث ليست فى القرآن قال والضمير فى وأسروا النجوى فاعل والذين بدل منه وكنية البرغوث أبو طافر وأبو عدى وأبو الوثاب ويقال له طامر بن طامر وهو من الحيوان الذى له الوثب الشديد ومن لطف الله تعالى به أنه يثب إلى ورائه ليرى من يصيده لأنه لو وثب إلى أمامه لكان ذلك أسرع إلى حمامه وحكى الجاحظ عن يحيى البرمكى أن البرغوث من الخلق الذى يعرض له الطيران كما يعرض للنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ بعد أن يتولد وهو ينشأ أولا من التراب لاسيما فى الأماكن المظلمة وسلطانه فى أواخر فصل الشتاء وأول فصل الربيع وهو أحدب نزاء ويقال أنه على صورة الفيل له أنياب يعض بها وخرطوم يمص به (وحكمه) تحريم الأكل واستحباب قتله للحلال والمحرم ولا يسب لما روى الإمام أحمد والبزار والبخارى فى الأدب والطبرانى فى الدعوات عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه فإنه أيقظ نبيا لصلاة الفجر وفى معجم الطبرانى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال ذكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال إنها توقظ للصلاة أى لصلاة الفجر وفيه عن على رضى الله تعالى عنه قال نزلنا منزلا فآذتنا البراغيث فسببناها فقال رسول الله ﷺ لا تسبوها فنعمت الدابة فإنها أيقظتكم لذكر الله تعالى ويعفى عن قليل دمها فى الثوب والبدن لعموم البلوى به وعسر الاحتراز وقال أبو عمر بن عبد البر أجمع العلماء على التجاوز والعفو عن دم البراغيث ما لم يتفاحش قال أصحابنا ولا خلاف فى العفو عن قليله إلا إذا حصل بفعله كما إذا قتله فى ثوبه أو بدنه ففى العفو عنه وجهان أصحهما العفو أيضا وكذلك كل ما ليس له نفس سائلة كالبق والبعوض وشبههما وسئل شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام عن ثوب فيه دم البراغيث هل يجوز للإنسان أن يلبسه رطبا ثم يصلى فيه وإذا عرق فيه هل يصلى فيه وهل يتنجس بذلك بدنه أو يعفى عنه وهل يندب له غسله قبل وقته المعتاد فأجاب نعم ينجس الثوب والبدن بذلك ولا يؤمر بغسله إلا فى الأوقات المعتادة وغسله فى غير ذلك ورع خارج عما كان السلف عليه وكانوا أحرص على حفظ أديانهم من غيرهم وأما الكثير من دم البراغيث فالأصح عند المحققين كما قال النووى العفو عنه مطلقا سواء انتشر بعرق أم لا ﴿ فائدة ﴾ مجربة صحيحة للبراغيث وهو أن تأخذ قصبة فارسية وتلطخها بلبن حمارة وشحم تيس وتغرسها فى وسط الدار ثم تقول ٢٥ مرة أقسمت عليكم أيها البراغيث أنكم جند من جنود الله من عهد عاد وثمود وأقسمت عليكم بخالق الوجود الفرد الصمد المعبود أن تجتمعوا إلى هذا العود لكم على المواثيق والعهود أن لا أقتل منكم والدا ولا مولودا فإنها تجتمع فإذا اجتمعت إلى العود فخذها وارمها إلى مكان آخر ولا تقتل منها أحدا يبطل السر ثم تكنس البيت وتقول عليه ٤ مرة وما لنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فإن فعل ذلك لم يدخل البيت برغوث أبدا وهو سر لطيف مجرب ﴿ فائدة ﴾ سئل مالك رحمة الله عليه عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها فأطرق مليا ثم قال ألها نفس سائلة قالوا نعم قال ملك الموت يقبض أرواحها ثم قرأ قوله تعالى

سمعه من عائشة رضى الله عنها وردها على هيئة ما كانت عليه فى زمن الخليل عليه والسلام فى العشرين منه مولد فاطمة رضى الله عنها (رجب) سمى رجب لأنه رجب أى عظم ويقال له أيضا الأصم لأنه لا يسمع فيه صوت مستغيث وقيل لأنه لا يسمع فيه قعقعة السلاح ويقال له أيضا الأصب لأن الله تعالى يصب فيه الرحمة والمغفرة على عباده وقد وردت فيه أحاديث كثيرة دلت على عظم شأنه وعلى أن الطاعات فيه مقبولة والدعاء فيه مستجاب وكان فى الجاهلية إذا أراد المظلوم أن يدعو على الظالم أخره إلى دخول رجب ودعا عليه فيستجاب له وفى اليوم الأول منه ركب نوح عليه السلام السفينة وفى الرابع وقعة صفين وفى الثانى عشر مولد جعفر الصادق وفى الخامس عشر يوم أم داود وصلواتها التى تستجاب وفى السابع والعشرين ليلة المعراج وفى الثامن والعشرين البعثة النبوية (شعبان) سمى شعبان لتشعب

الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية ويدل له ما يأتى فى البعوض (الأمثال) قالوا أطمر من برغوث وأطير من برغوث (وخاصيته) اللسع والأذى قال بعض الأعراب يصف البراغيث وقد سكن مصر :

تطاول فى الفسطاط ليلى ولم يكن * بأرض الفضا ليلى علىّ يطول
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * وليس لبرغوث علىّ سبيل

وقد أجاد مجد الدين أبو الميمون الكنانى حيث قال ملغزا فى البراغيث :

ومعشر يستحل الناس قتلهم * كما استحلوا دم الحجاج فى الحرم
إذا سفكت دما منهم فاسفكت * يداى من دمه المسفوك غير دمى

وقال أبو الحسن بن سكرة الهاشمى فى مليح يعرف بابن برغوث :

بليت ولا أقول بمن لأنى * متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عنى رقادى * فإن أغمضت أيقظنى أبوه

ومن محاسن شعره: كأنّ خالا لاح فى خده * للعين فى سلسلة من عذار
أسود يستخدم فى جنة * قيده مولاه خوف الفرار

وله أيضاً : وما عشق له وحشا لأنى * كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحا * وكل الناس يهوون المليحا

وله أيضاً : تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وإن كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب فى الهوى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

وقيل إن هذين البيتين للعباس بن الأحنف توفى ابن سكرة سنة خمس وثمانين وثلثمائة ﴿فائدة﴾ روى ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل أن عامل أفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول (ومالنا ألا نتوكل على الله) الآية قال زرعة بن عبد الله أحد رواته وينفع من البراغيث وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء آية أخرى نظير هذه ذكرها فى فردوس الحكمة * وفى كتاب الدعوات للمستغفرى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه وشرح المقامات للسعودى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إذا آذاك البرغوث فخذ قدحا من ماء واقرأ عليه سبع مرات ومالنا ألا نتوكل على الله الآية ثم تقول إن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فإنك تبيت آمنا من شرها وقال حسين بن إسحق والحيلة فى طرد البراغيث أن يؤخذ شىء من الكبريت والراوند فيدخن بهما فى البيت فإنهن يهربن أو يمتن أو يحفر فى البيت حفيرة ويلقى فيها ورق الدفلى فإنهن يأوين إليها كلهن فيقعن فيها وقال الراوى يرش البيت بطبيخ الشونيز فإنه يقتل براغيثه وقال غيره إذا نقع السذاب فى ماء ورش فى بيت ماتت براغيثه وإذا بخر البيت بمشاق الكتان القديم وقشور النارنج لا تعود البراغيث إليه أبدا وإذا أدخل البرغوث فى أذن الإنسان اليمنى فليمسك بيده اليمنى خصية نفسه اليسرى وإذا دخل فى أذنه اليسرى فليمسك بيده اليسرى خصية نفسه اليمنى فإنه يخرج سريعا (التعبير) البراغيث فى المنام أعداء ضعاف طعانون وتعبر أيضا بأوباش الناس وقال جاماسب من قرصه برغوث نال مالا .

﴿البرا﴾ بضم الباء طائر يسمى السمويل وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة .

﴿البرقانة﴾ الجرادة المتلونة وجمعها برقان قاله ابن سيده .

﴿البرقش﴾ بكسر الباء الموحدة ثم راء مهملة فقاف فشين معجمة طائر صغير مثل العصفور ويسميه أهل

القبائل فيه اليوم الثالث منه مولد الحسين وفى الرابع مولد الحسن رضى الله عنهما وفى الخامس عشر ليلة الصك وهى ليلة يغفر الله تعالى فيها أكثر من شعر غنم بنى كلب وفى السادس عشر صرفت القبلة إلى الكعبة والعشرون منه النيروز المعتضدى (رمضان) سمى رمضان لمصادفته شدة الرمضاء فى أول الوقت فى أوله فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النيران وصفدت الشياطين وفى الثالث أنزلت صحف ابراهيم عليه السلام وفى الرابع أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى السابع أنزل التوراة على موسى عليه السلام وفى الثامن أنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام وفى التاسع عشر فتحت مكة والحادى والعشرون ليلة القدر على رأى وهى الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم والثالث والعشرون قيل ليلة القدر على رأى آخر وفى الخامس والعشرون ظهور الدولة العباسية

الحجاز الشرشور وأما أبو براقش فسيأتى فى آخر الباب إن شاء الله تعالى وبراقش اسم كلبة ضرب بها المثل فقالوا على أهلها دلت براقش لأنها سمعت وقع حوافر الدواب فنبحت فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم

﴿ البركة ﴾ بالضم طائر من طيور الماء والجمع برك قال زهير يصف قطاة فرت من صقر إلى ماء جابر على وجه الأرض :

حتى استغاثت بماء لا رشاء له * بين الأباطح فى حافاته البرك

قال ابن سيده البركة من طير الماء والجمع برك وأبراك وبركان وعندى أن أبراكا وبركانا جمع الجمع والبركة أيضا الضفدع وقد فسر به بعضهم قول زهير فى حافاته البرك انتهى كلامه قال والبرك جماعة الإبل البارکة الواحد بارك والأنثى بارکة قاله فى العباب

﴿ البشر ﴾ الإنسان الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء وقد يثنى وفى التنزيل أنؤمن لبشرين مثلنا والجمع أبشر

﴿ البط ﴾ طائر الماء الواحدة بطة وليست الهاء للتأنيث وإنما هى للواحد من الجنس يقال هذه بطة للذكر والأنثى جميعا مثل حمامة ودجاجة وليس بعربى محض والبط عند العرب صغاره وكباره إوز وحكمه وخواصه كالإوز وفى مسند الإمام أحمد عن عبدالله بن رويس قال دخلت على علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى يوم نحر فقرب إلينا خزيرة فقلنا أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط يعنون الإوز فإن الله تعالى قد أكثر الخير فقال يا ابن رويس سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يحل لخليفة من مال الله تعالى إلا قصعتان قصعة يأكلها وقصعة يضعها بين أيدى الناس وفى كامل ابن عدى فى ترجمة على بن زيد بن جدعان قال سفيان بن عيينة سمعت على بن زيد بن جدعان سنة سبع وستين يقول مثل النساء إذا اجتمعن بمنزلة البط إذا صاحت واحدة صحن جميعا (فرع) الماوردى : البط الذى لا يطير من الإوز لا جزاء فيه إذا قتله المحرم لأنه ليس بصيد وقال غيره الطيور المائية التى تغوص فى الماء وتخرج منه محرمة على المحرم ومثلوه بالبط أما الذى لا يعيش إلا فى الماء كالسمك فلا يحرم صيده ولا جزاء فيه والجراد من صيد البر يجب الجزاء بقتله على الصحيح * ومن الأمثال السائرة بين العامة أو للبط تهديدين بالشط قلت وقد أذكرنى هذا ما حكاه القاضى أحمد بن خلكان رحمه الله فى ترجمة السلطان نور الدين محمود بن زنكى رحمه الله وكان بينه وبين أبى الحسن سنان بن سليمان بن محمد الملقب براشد الدين صاحب القلاع الإسماعيلية مكاتبات فكتب السلطان إليه كتابا يهدده فيه فكتب سنان جوابه أبياتا ورسالة وهما .

يا للرجال لأمر هال مفظعه * ما مرّ قط على سمعى توقعه
يا ذا الذى بقراع السيف هددنا * لا قام قائم جنبى حين تصرعه
قام الحمام إلى البازى يهدده * واستيقظت لأسود الغاب أضبعه
أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه * يكفيه ما قد تلاقى منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله وعلمنا ما نهددنا به من قوله وعمله فبالله العجب من ذبابة تطن فى أذن فيل وبعوضة تعد فى التماثيل ولقد قالها قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون أو للحق ندحضون وللباطل تنصرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما ما صدرت به من قولك من قطع رأسى وقلعك لقلاعى من الجبال الرواسى فتلك أمانى كاذبة وخيالات غير صائبة فإن الجواهر لا تزول بالأعراض كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض كم بين قوى وضعيف ودنىء وشريف وإن عدنا إلى الظواهر والمحسوسات وعدلنا عن البواطن والمعقولات قلنا

بخراسان بدعوة أبى مسلم وفى السابع والعشرين وقعة بدر ونزول الملائكة لنصرة النبى ﷺ وليلته هى ليلة القدر على رأى حسن وفى اليوم الأخير أعتق الله فيه بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره وله عند الفطر كل ليلة سبعون ألف ألف عتيق من النار ( شوال ) سمى شوالا لإشالة الإبل أذنابها عند اللقاح فى ذلك الوقت لأنه أول أشهر الحج فى اليوم الأول منه عيد الفطر ويقال له يوم الرحمة لأن الله تعالى يرحم فيه عباده وفيه أوحى الله تعالى إلى النحل صنعة العسل وفى الرابع منه خرج رسول الله ﷺ لمباهلة نصارى نجران وفى السابع عشر منه غزوة أحد ومقتل حمزة رضى الله عنه وفى الخامس والعشرين إلى آخر الشهر هى الأيام النحسات أهلك الله تعالى فيها عادا وقيل إنها أيام العجوز التى كانت تنوح عليهم كل سنة (ذو القعدة) سمى ذو القعدة لأنهم كانوا يقعدون فيه عن القتال لكونه أول الأشهر الحرم

أسوة برسول الله ﷺ فى قوله ما أوذى نبي ما أوذيت وقد علمتم ما جرى فى عترته وأهل بيته وشيعته والحال ماحال والأمر مازال ولله الحمد فى الآخرة والأولى إذ نحن مظلومون لاظالمون ومغضوبون لاغاضبون وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وقد علمتم ظاهر حالنا وكيف قتال رجالنا ومايتمنونه من الفوت ويتقربون به إلى حياض الموت قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وفى أمثال العامة السائرة أو للبط تهددين بالشط فهى للبلايا جلبابا وتدرع للرزايا أثوابا فلأظهرن عليك منك ولأفنينهم فيك عنك ولا تكونن كالباحث عن حتفه بظلفه والجادغ مارن أنفه بكفه وإذا وقعت على كتابنا فكن لأمرنا بالمرصاد ومن حالك على اقتصاد واقرأ أول النحل وآخر صاد ثم ختمها بهذين البيتين :

بنا نلت هذا الملك حتى تأثلت * بيومك فيه واستقر عمودها
فأصبحت ترمينا بنبل بنا استوى * مغارسها قدما وفينا جديدها

ويشبه هذا ماحكاه أيضا فى ترجمة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب وكان بينه وبين الأدفونش صاحب طليطلة مكاتبات قال بعث الأدفونش رسولا إلى الأمير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض الحصون وكتب إليه رسالة من إنشاء وزيره ابن النجار وهى باسمك اللهم فاطر السموات والأرض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول الفصيح (أما بعد) فإنه لايخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب أنك أمير الملة الحنفية كما أنى أمير الملة النصرانية وقد علمت الآن ماعليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل والتكاسل وإهمالهم أمر الرعية وإخلادهم إلى الراحة والأمنية وأنا أسوسهم بحكم القهر وجلاء الديار وأسبي الذرارى وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهون وشديد النكال ولا عذر لك فى التخلف عن نصرتهم إذا أمكنتك يد القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك ذو رأى وخبرة وأنتم تزعمون أن الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً رحمة منه ومنا ونحن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لاتستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حدثنا عنك أنك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد أخرى وتقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا أدرى أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بوعدربك ثم قيل لى إنك لاتجد إلى جواز البحر سبيلا ولعله لايسوغ لك التقحم فيه سبيلا وها أنا أقول لك مافيه الراحة لك واعتذر عنك ولك على أن تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان وترسل إلى جملة من عبيدك بالمراكب والشوانى والطرائد والمسطحات وإلا جزت بحملتى إليك فأفاتلك فى أعز الأماكن لديك فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك وهدية عظيمة مثلت بين يديك وإن كانت لى كانت لى اليد العليا عليك واستحقيت إمارة الملتين والحكم على البرين والله يوفق السعادة ويسهل الإرادة لارب غيره ولاخير إلا خيره فمزق يعقوب الكتاب وكتب على قطعة منه إرجع إليهم فلنأتيهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون الجواب ماترى لاماتسمع واستشهد ببيت المتنبى .

ولا كتب إلا المشرفية عنده * ولا رسله إلا الخميس العرمرم

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الأمصار وضربت السرادقات من يومه بظاهر البلد وسار إلى البحر المعروف بزقاق سبته فعبر فيه إلى الأندلس ودخل بلاد الفرنج فكسرهم كسرة

فى الأول منه واعد الله تعالى موسى ثلاثين ليلة وفى الخامس رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل عليهما السلام وفى السابع منه فلق البحر لموسى عليه السلام وفى الربع عشر خروج يونس عليه السلام من بطن الحوت وفى التاسع عشر أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين ونزل جبريل بالوحى على رسول الله ﷺ (ذو الحجة) سمى ذا الحجة لأنهم كانوا يحجون فيه العشر الأول منه الأيام المعلومات وهى أحب الأيام إلى الله تعالى فى اليوم الأول تزوج على بفاطمة رضى الله عنها والثامن منه يوم التروية وسقاية الحاج بالمسجد الحرام مملأ ويسقى الحجيج فى الجاهلية والإسلام حتى تروى والتاسع منه يوم عرفة والعاشر يوم النحر وفيه فدى الذبيح بالكبش وثلاثة أيام بعده أيام التريق الثانى عشر منه عيد الغدير وهو اليوم الذى واخى النبى ﷺ عليا رضى الله تعالى عنه فيه وفى الرابع

شنيعة وعاد بغنائمهم وكان الأمير يعقوب متمسكا بالشرع يأمر بالمعروف ويقيم الحدود حتى فى أهل بيته كما يقيمها فى الناس أجمعين وأمر برفض فروع الفقه وأن الفقهاء لا يفتون إلا بالكتاب العزيز والسنة النبوية ولا يقلدون أحداً وأن تكون أحكامهم بما يؤدى إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس وقد وصل إلينا من المغرب جماعة على تلك الطريقة منهم أبو عمرو وأبو الخطاب ابنا دحية ومحيى الدين بن عربى الصوفى صاحب الفصوص والفتوحات المكية وعنقاء مغرب وغيرهم وتوفى الأمير يعقوب فى سنة تسع أو عشر وستمائة رحمة الله تعالى عليه * ولنعد إلى ذكر السلطان محمود قال ابن الأثير بلغ من عدل نور الدين الشهيد أنه أول من بنى داراً لكشف الظلامات وسماها دار العدل وسببه أنه لما أقام بدمشق بأمرائه وفيهم أسد الدين شيركوه تعدى كل منهم على من جاوزه فكثرت الشكاوى إلى القاضى كمال الدين السهرودى فأنصف بعضهم من بعض ولم يقدر على الإنصاف من شيركوه لأنه كان أكبر الأمراء فبلغ ذلك نور الدين الشهيد فأمره ببناء دار العدل فلما سمع شيركوه قال لنوابه ما بنى نور الدين هذه الدار إلا بسببى وإلا فمن يمتنع على القاضى كمال الدين والله لئن أحضرت إلى دار العدل بسبب أحد منكم لأصلبنه فامضوا إلى كل من كان بينكم وبينه شىء فافصلوا الحال معه وأرضوه ولو أتى على جميع ما بيدى قال فظلم رجل بعد موت نور الدين الشهيد فشق ثوبه واستغاث يا نور الدين فاتصل خبره بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فأزال ظلامته فبكى الرجل أشد من الأول فسئل عن ذلك فقال أبكى على سلطان عدل فينا بعد موته وتوفى نور الدين الشهيد فى شوال سنة تسع وستين وخمسمائة بقلعة دمشق بعلة الخوانيق وكان الأطبا قد أشاروا عليه بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع ودفن بالقلعة ثم نقل إلى تربته بمدرسته التى أنشأها عند باب سوق الخوصين والدعاء عند قبره مستجاب وقد جرب وكان رحمه الله ملكا عادلا عابدا ورعا متمسكا بالشريعة مائلا إلى أهل الخير مجاهدا كثير الصدقات بنى المدارس بجميع بلاد الشام والمارستان بدمشق ودار الحديث بها وبنى بمدينة الموصل الجامع النورى وبحماه الجامع الذى على نهر العاصى وبنى الرباطات للصوفية والفنادق فى المنازل وأثر فى الإسلام آثارا حسنة لم يسبق إليها وانتزع من أيدى الكفار نيفا وخمسين مدينة ومحاسنه كثيرة رحمه الله تعالى وتوفى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة بها قال ابن خلكان ولما مات كتب القاضى الفاضل ساعة موته بطاقة إلى ولده الملك الظاهر صاحب حلب مضمونها لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة إن زلزلة الساعة شىء عظيم كتبت إلى مولانا السلطان الملك الظاهر أحسن الله عزاءه وجبر مصابه وجعل فيه الخلف فى الساعة المذكورة وقد زلزل المسلمون زلزالا شديدا وقد حفرت الدموع المحاجر وبلغت القلوب الحناجر وقد ودعت أباك مخدومى وداعا لا تلاقى بعده وقبلت عنى وعنك خده وأسلمته إلى الله عز وجل مغلوب الحيلة ضعيف القوة راضيا عن الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وبالباب من الأجناد المجندة والأسلحة والأعمدة ما لا يرد البلاء ولا يملك دفع القضاء وتدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب وإنا عليك لمحزونون يا يوسف وأما الوصية فلا يحتاج إليها والآراء فقد شغلتنى المصائب عنها وأما النائح الأمر فإنه إن وقع الاتفاق فما عدمتم إلا شخصه الكريم وإن كان غيره فالمصائب المستقبلة أهون منها موته وهو البلاء العظيم والسلام وكان رحمه الله مع سعة ملكه كثير التواضع قريبا من الناس رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة يميل لأهل الفضل ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها فى مجلسه وكان كثيرا ما ينشد قول محمد بن الحسين الحميرى

عشر تصدق على رضى الله عنه بخاتمه فى الصلاة وفى السادس والعشرين نزل الاستغفار على داود عليه السلام وفى السابع والعشرين منه وقعة الحرة وفى الثامن والعشرين منه خلافة على رضى الله عنه

﴿ خاتمة ﴾ فى معرفة أوائل هذه الشهور وقد عمل لها جدول ليسهل علمها (أما) طريق العمل بها أن تلقى عدد سنين الهجرة من أولها إلى السنة التى أنت فيها أو السنة التى تريد معرفة أول شهر من شهورها ثمانية ثمانية فما بقى تعد من تحت الشهر الذى أنت طالب أوله فاليوم الذى ينتهى فيه العدد هو أول ذلك الشهر وإن بقى ثمانية بعد أن أسقطتها كلها كان أول الشهر اليوم الذى فى البيت الأخير وهذه صفة الجدول

## جدول الشهور والأيام

| محرم | صفر | ربيع الأول | ربيع الثانى | جمادى الأولى | جمادى الثانية | رجب | شعبان | رمضان | شوال | ذو القعدة | ذو الحجة |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الاثنين | الاربعاء | الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء | الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين | الثلاثاء | الخميس |
| الجمعة | الاحد | الاثنين | الاربعاء | الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء | الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين |
| الثلاثاء | الخميس | الجمعة | الاحد | الاثنين | الاربعاء | الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء | الاربعاء | الجمعة |
| الاحد | الاثنين | الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين | الثلاثاء | الخميس | الجمعة | الاحد | الاثنين | الاربعاء |
| الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء | الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين | الثلاثاء | الخميس | الجمعة | الاحد |
| الاثنين | الثلاثاء | الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء | الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين | الثلاثاء | الخميس |
| السبت | الاحد | الثلاثاء | الخميس | الجمعة | الاحد | الاثنين | الاربعاء | الخميس | السبت | الاحد | الثلاثاء |
| الاربعاء | الجمعة | السبت | الاثنين | الثلاثاء | الخميس | الجمعة | الاحد | الثلاثاء | الاحد | الخميس | السبت |



وزارنى طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيـــل لى * نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وكان رحمه الله كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين وهما :

عجبت لمبتاع الضـــلالة بالهدى * وللمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وعمر رحمه الله ستا وخمسين سنة وشهورا

﴿ البطس ﴾ أنواع من السمك لها مرارات يكتب بها الكتب فإذا جففت قرئت فى الظلام كما تقرأ بالنهار فى ضوء الشمس ذكر ذلك صاحب المعطار

﴿ البعوض ﴾ دويبة قال الجوهرى إنه البق الواحدة بعوضة وهو وهم والحق إنه صنفان وهو يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة ويسمى بالعراق والشأم الجرجس قال الجوهرى وهو لغة فى القرقس وهو البعوض الصغار والبعوض على خلقة الفيل إلا أنه أكثر أعضاء من الفيل فإن للفيل أربع أرجل وخرطوما وذنبا وله مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة وخرطوم الفيل مصمت وخرطومه مجوف نافذ للجوف فإذا طعن به جسد الإنسان استقى الدم وقذف به إلى جوفه فهو له كالبعوم والحلقوم ولذلك اشتد عضها وقويت على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز

مثل السفاة دائما طنينها * ركب فى خرطومها سكينها

ومما ألهمه الله تعالى أنه إذا جلس على عضو من أعضاء الإنسان لا يزال يتوخى بخرطومه المسام التى يخرج منها العرق لأنها أرق بشرة من جلد الإنسان فإذا وجدها وضع خرطومه فيها وفيه من الشره أن يمص الدم إلى أن ينشق ويموت أو إلى أن يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكه ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع فيبقى طريحا فى الصحراء فتجتمع السباع حوله والطير التى تأكل الجيف فمن أكل منها شيئا مات لوقته وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذب بالبعوض فيأخذ من يريد قتله فيخرجه مجردا إلى بعض الآجام التى بالبطائح ويتركه

قال جعفر الصادق رضى الله عنه إذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر الذى صمته فى العام الماضى فإنه أول يوم من شهر رمضان الذى فى العام المقبل وقد امتحنوا ذلك خمسين سنة فكان صحيحا

﴿ فصل فى شهور الروم ﴾

وهى مختلفة العدد لأنهم أرادوا أن تكون شهورهم مساوية لمسير الشمس وحركات الشمس مختلفة فى أرباع السنة فبعضها أكثر أياما من البعض على ما نطقت به الارصاد القديمة والحديثة فلهذا جعلوا بعض الشهور ثلاثين وبعض الشهور إحدى وثلاثين وبعضها ثمانية وعشرين فأعطوا كل شهر ما يستحقه حتى صار المجموع ثلثمائة وستين يوما

فيها مكتوفا فيقتل فى أسرع وقت وأقرب زمان وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى هذا المعنى

لاتستخفن الفتى بعداوة * أبدا وإن كان العدو ضئيلا
إن القذى يؤذى العيون قليله * ولربما جرح البعوض الفيلا

وما ألطف ماقال بعضهم: لاتحقرن صغيرا فى عداوته * إن البعوضة تدمى مقلة الأسد

ونحوه قول أبى نصر السعدى:

ولا تحقرن عدوا رماك * وإن كان فى ساعديه قصر
فإن الحسام يحز الرقاب * ويعجز عما تنال الإبر

وله أيضا وقيل إنه لجمال الدين بن مطروح:

يامن لبست عليه أثواب الضنا * صفرا موشحة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لو لم تذب * أسفا عليك رميتها عن أضلعى

ومن محاسن شعره أيضا قوله:

لما وقفنا للوداع وصار ما * كنا نظن من النوى تحقيقا
نثروا على ورق الشقائق لؤلؤا * ونثرت من ورق البهار عقيقا

ونحوه قول إبراهيم بن على القيروانى صاحب زهر الآداب وغيره وكان كلفا بالمعذرين

ومعذرين كأن نبت خدودهم * أقلام مسك تستمد خلوقا
نظموا البنفسج بالشقيق ونضدوا * تحت الزبرجد لؤلؤا وعقيقا

وروى الترمذى وقال حديث حسن صحيح عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء وكذلك رواه الحاكم وصححه وقال الشاعر فى ذلك:

إذا كان شىء لايساوى جميعه * جناح بعوض عند من كنت عبده
وأشغل جزء منه كلك ماالذى * يكون على ذا الحال قدرك عنده

ومعنى هوان الدنيا على الله تعالى أنه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقا موصلة إلى ماهو المقصود بنفسه وأنه لم يجعلها دار إقامة ولا جزاء وإنما جعلها دار محنة وبلاء وأنه ملكها فى الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال وحسبك بها هوانا على الله أنه سبحانه وتعالى صغرها وحقرها وأبغضها وأبغض أهلها ومحبيها ولم يرض لعاقل فيها إلا بالتزود منها والتأهب للارتحال عنها ويكفى فى ذلك ما رواه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه أو عالم أو متعلم وهو حديث حسن غريب ولا يفهم من هذا إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقا لما روى أبو موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر إن العبد إذ قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه خرجه الشريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمى وهذا يقتضى المنع من سب الدنيا ولعنها ووجه الجمع بينهما أن المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن ذكر الله وشاغلا عنه كما قال بعض السلف كل مايشغلك عن ذكر الله من مال وولد فهو مشؤم عليك وهو الذى نبه عليه الله تعالى بقوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد وأما ماكان من الدنيا يقرب

وجعلوا يوما فى آخر السنة وهذا بمجموع أيام سنتهم وقد وضعوها على هذا الوجه

تشرين الأول تشرين الثانى
لا ل
كانون الأول كانون الثانى
لا لا
شباط إدار نيسان إيار
كح لا ل لا
حزيران تموز آب أيلول
ل لا لا ل

وقد جمعها الشاعر فى هذين البيتين فقال:

فتشرينكم الثانى
كأيلول ونيسان
ثلاثون ثلاثون
أتوا بعد حزيران
شباط خص بالنقص
وذاك النقص يومان
وباقيها ثلاثون
ويوم واحد كانى

(تشرين الأول) أحد وثلاثون يوما فى اليوم الأول تهيج الصبا وفى الثالث عيد دير الشعالب وفى الخامس عيد كنيسة القيامة ببيت المقدس يزعمون أن نارا من السماء تنزل وتسرج الشمع هنالك وفى السابع عيد التباريك وفى الثالث عشر نفور المياه

من الله ويعين على عبادته فهو المحمود بكل لسان المحبوب لكل إنسان فمثل هذا لا يسب بل يرغب فيه ويحب وإليه الإشارة بالاستثناء حيث قال إلا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم وهو المصرح به فى قوله نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وبهذا يرتفع التعارض بين الحديثين وفى الإحياء للغزالى فى الباب السادس من أبواب العلم أن النبى ﷺ قال إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب ولا يزن عند الله جناح بعوضة وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا رواه البخارى فى التفسير ومثله فى التوبة قال العلماء معنى هذا الحديث أنهم لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن فى موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو فى النار وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن عند الله شيئا وقيل المراد المجاز والاستعارة كأنه قال لا قدر لهم عندنا يوم القيامة وفيه من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما فى ذلك من تكلف المطاعم الزائدة على قدر الكفاية وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين قال وهب بن منبه لما أرسل الله تعالى البعوض على النمروذ اجتمع منه فى عسكره ما لا يحصى عددا فلما عاين النمروذ ذلك انفرد عن جيشه ودخل بيته وأغلق الأبواب وأرخى الستور ونام على قفاه مفكرا فدخلت بعوضة فى أنفه وصعدت إلى دماغه فعذب بها أربعين يوما حتى أنه كان يضرب برأسه الأرض وكان أعز الناس عنده من يضرب رأسه ثم سقطت منه كالفرخ وهى تقول كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عباده ثم هلك حينئذ وقال محمد بن العباس الخوارزمى الطبرخزى فى الوزير أبى القاسم المازنى لما قبض عليه :

لا تعجبوا من صيد صقر بازيا * إن الأسود تصاد بالخرفان
قد غرقت أملاك حمير فأرة * وبعوضة قتلت بنى كنعان

وروى جعفر الصادق بن محمد الباقر عن أبيه قال نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عليه السلام عند رأس رجل من الأنصار فقال له رسول الله ﷺ ارفق بصاحبى فإنه مؤمن قال إنى بكل مؤمن رفيق وما من أهل بيت إلا أتصفحهم فى كل يوم خمس مرات ولو أنى أردت قبض روح بعوضة ما قدرت حتى يكون من الله تعالى الأمر بقبضها قال جعفر بن محمد بلغنى أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة انتهى ومن هذا وما تقدم عن مالك فى البراغيث يعلم أن ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذى روح والبعوضة على صغر جرمها قد أودع الله تعالى فى مقدم دماغها قوة الحفظ وفى وسطه قوة الفكر وفى مؤخره قوة الذكر وخلق لها حاسة البصر وحاسة اللمس وحاسة الشم وخلق لها منفذا للغذاء ومخرجا للفضلة وخلق لها جوفا وأمعاء وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يخلق شيئا من المخلوقات سدى وأنشد الزمخشرى فى تفسير سورة البقرة :

يا من يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الأليل * ويرى مناط عروقها فى نحرها
والمخ فى تلك العظام النحل * أمنن علىّ بتوبة تمحو بها * ما كان منى فى الزمان الأول

ونقل ابن خلكان عن بعض الفضلاء أن الزمخشرى أوصى أن تكتب هذه الأبيات على قبره ويروى عوض امنن علىّ بتوبة كما قال بعضهم :

اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الأول

وفى تاريخ ابن خلكان وغيره أن الزمخشرى كان يعتقد الاعتزال ويتظاهر به وكان إذا استأذن على

ويقوم سوق أذرعات ويضطرب البحر وفى الخامس عشر يبرد الزمان وتكثر الرياح ويصرم النخل وإذا قطع خشب لم ينخر خشبه ولم يسوس وفى الثامن عشر ينقص النيل وفى الحادى والعشرين يزرع على نيل مصر وفى الثامن والعشرين يبتدئ الهواء بالبرد وفى الثلاثين تذهب الحدأ والرخم والخطاطيف إلى الغور ويسكن النمل جوف الأرض (تشرين الآخر) ثلاثون يوما فى اليوم الأول تهب الجنوب وفى الثانى أول أوقات المطر وفى الخامس تخفى الهوام وفى السابع لقط الزيتون بالشام وكثرة الغيوم واضطراب البحر فلا تجرى فيه جارية وفى الثامن غليان البحر وفى التاسع أول المرور فى بحر فارس وفى الثالث عشر ابتداء اضطرابه وإن قطع فيه خشب لا تقع فيه الأرضة والسوس وفى السابع عشر ابتداء صوم الميلاد وهو أربعون يوما وفى العشرين

صاحب له بالدخول يقول أبو القاسم المعتزلي بالباب وأول ما صنف من الكتب الكشاف فكتب في أول خطبته الحمد لله الذي خلق القرآن فقيل له إن تركته على هذه الهيئة هجره الناس فغيره وقال الحمد لله الذي جعل القرآن وجعل عندهم بمعنى خلق ويوجد في كثير من النسخ الحمد لله الذي أنزل القرآن وهو من إصلاح الناس لا من إصلاح المصنف فافهم توفي الزمخشري بليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وقد تكلم في الإحياء في باب المحبة على خلق البعوضة وصفتها وما أودعه الله تعالى فيها من الأسرار

﴿فائدة﴾ رأيت في كتاب الدعاء للشيخ الإمام العلامة أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي ويعرف بابن أبي رندة بالراء المهملة المفتوحة وتسكين النون وهو إمام ورع أديب متقلل وفاته بالاسكندرية سنة اثنتين وخمسمائة عن مطرف بن عبد الله بن أبي مصعب المدني أنه قال دخلت على المنصور فوجدته مغموما حزينا قد امتنع من الكلام لفقد بعض أحبته فقال لي يا مطرف طرقني من الهم ما لا يكشفه إلا الله الذي بلا به فهل من دعاء أدعو به عسى يكشفه الله عني فقلت يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن ثابت عن عمرو بن ثابت البصري قال دخلت في أذن رجل من أهل البصرة بعوضة حتى وصلت إلى صماخه فأنصبته وأسهرته ليله ونهاره فقال له رجل من أصحاب الحسن البصري يا هذا ادع بدعاء العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ الذي دعا به في المفازة وفي البحر فخلصه الله تعالى فقال له الرجل وما هو رحمك الله فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه بعث العلاء بن الحضرمي في جيش كنت فيهم إلى البحرين فسلكنا مفازة فعطشنا عطشا شديدا حتى خفنا الهلاك فنزل العلاء وصلى ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أسقنا فجاءت سحابة كأنها جناح طائرة فقعقعت علينا وأمطرتنا حتى ملأنا الآنية وسقينا الركاب ثم انطلقنا حتى أتينا على خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم ولا خيض بعده فلم نجد سفنا فصلى العلاء ركعتين ثم قال يا حليم يا عليم يا علي يا عظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه ثم قال بسم الله جوزوا قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر وكان الجيش أربعة آلاف قال فدعا الرجل بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه لهاطتين حتى صكت الحائط وبرأ الرجل قال فاستقبل المنصور القبلة ودعا بهذا الدعاء ساعة ثم أقبل بوجهه إلي وقال يا مطرف قد كشف الله عني ما كنت أجده من الهم ودعا بالطعام فأجلسني فأكلت معه ويقرب من هذا ما حكاه ابن خلكان في ترجمة موسى الكاظم بن جعفر الصادق أن هرون الرشيد حبسه في بغداد ثم دعا صاحب شرطته ذات يوم فقال له رأيت في منامي حبشيا أتاني ومعه حربة وقال إن لم تخل عن موسى بن جعفر وإلا نحرتك بهذه الحربة فاذهب فخل عنه واعطه ثلاثين ألف درهم وقل له إن أحببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضي إلى المدينة فامض قال صاحب الشرطة ففعلت ذلك وقلت له لقد رأيت من أمرك عجبا فقال أنا أخبرك بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ فقال يا موسى حبست مظلوما فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في السجن قل يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت أسألك بأسمائك العظام وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليما ذا أناة لا يقدر على أناته يا ذا المعروف الذي لا ينقطع معروفه أبدا ولا نحصي له عددا فرج عني فكان ما ترى وتوفي موسى الكاظم في رجب سنة ثلاث وقيل سنة سبع وثمانين ومائة ببغداد مسموما وقيل إنه توفي في الحبس وكان الشافعي يقول قبر موسى الكاظم الترياق المجرب وقد أذكرتني هذه الحكاية ما حكاه الخطيب أبو بكر في تاريخه وابن خلكان أيضا في ترجمة يعقوب بن داود أن المهدي حبسه في بئر وبني

تموت كل دابة لاعظم لها وفي الثاني والعشرين ينهى عن شرب الماء البارد بالليل وفي الثالث والعشرين لقط الزيتون عند القبط وفي الثامن والعشرين امتداد أمواج البحر (كانون الأول) أحد وثلاثون يوما في اليوم الأول منه يقوم سوق ثوما بدمشق ويغرس قضيب البان وفي الحادي عشر قيام سوق الأردن والرابع عشر أول الأربعينات وفي السابع عشر ينهى عن تناول لحم البقر والأترنج وشرب الماء بعد النوم وعن الحجامة وطلي النورة ويسمون هذا اليوم الميلاد الأكبر يعنون به الانقلاب الشتوي ويقولون إن فيه مخرج النور من حد النقصان إلى حد الزيادة وتأخذ الإنس في النشوء والنماء والجن في الذبول والفناء وفي التاسع عشر غاية طول الليل وقصر النهار وفي الثالث والعشرين تنتهي زيادة النيل وتكثر الأنداء ويسقط ورق الأشجار وفي الخامس والعشرين ميلاد المسيح عليه السلام وفي التاسع والعشرين ينهى عن شرب الما

عليها قبة فمكث فيها خمس عشرة سنة وكان يدلى له فيها كل يوم رغيف خبز وكوز ماء ويؤذن بأوقات الصلاة قال فلما كان فى رأس ثلاث عشرة سنة آتانى آت فى منامى فقال

حن على يوسف رب فأخرجه * من قعر جب وبيت حوله غمم

قال فحمدت الله تعالى وقلت أتانى الفرج فمكثت حولا لا أرى شيئا ففى رأس الحول أتانى ذلك الآتى فأنشدنى :

عسى فرج يأتى به الله إنه * له كل يوم فى خليقته أمر

قال ثم أقمت حولا آخر لا أرى شيئا ثم أتانى ذلك الآتى فى رأس الحول فأنشدنى :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان * ويأتى أهله النائى الغريب

قال فلما أصبحت نوديت فظننت أنى أؤذن بالصلاة فأدلى لى حبل فربطت نفسى به ونشلت من البئر فانطلق بى فأدخلت على الرشيد فقيل لى سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك ياأمير المؤمنين المهدى فقال لى لست به فقلت السلام عليك ياأمير المؤمنين الهادى فقال لست به فقلت السلام عليك ياأمير المؤمنين فقال الرشيد فقلت الرشيد فقال ياعقوب ماشفع فيك إلى أحد غير أنى حملت الليلة صبية لى على عنقى فذكرت حملك إياى على عنقك فرثيت لك وأخرجتك وكان يعقوب يحمل الرشيد على عنقه وهو صغير يلاعبه ثم أمر له بجائزة وصرفه ( الحكم ) يحرم أكلها لاستقذارها ﴿ فائدة ﴾ روى البخارى فى الأدب والترمذى فى مناقب الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما من حديث عبد الرحمن بن أبى نعيم قال كنت عند ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فسأله رجل عن دم البعوض فقال ممن أنت قال من أهل العراق فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انظروا إلى هذا يسألنى عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وسمعته ﷺ يقول هما ريحانتاى من الدنيا قال ولم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وروى ابن حبان والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال كان الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر والرأس والحسين أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك ﴿ فائدة أخرى ﴾ ذكر فى الروض الزاهر عن الشعبى قال لما بلغ الحجاج أن يحيى بن يعمر يقول إن الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحيى بن يعمر بخراسان فكتب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم والى خراسان أن ابعث إلى يحيى بن يعمر فبعث به إليه قال الشعبى وكنت عند الحجاج حين أتى به إليه فقال الحجاج بلغنى أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله ﷺ قال أجل ياحجاج قال الشعبى فتعجبت من جراءته بقوله ياحجاج فقال له الحجاج والله إن لم تخرج منها وتأتنى بها مبينة واضحة من كتاب الله تعالى لألقين الأكثر منك شعرا ولا تأتنى بهذه الآية «ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم» قال فإن خرجت من ذلك وأتيتك بها واضحة مبينة من كتاب الله تعالى فهو أمانى قال نعم فقال قال الله تعالى ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس ثم قال يحيى بن يعمر فمن كان أبا عيسى وقد ألحقه الله بذرية إبراهيم وما بين عيسى وإبراهيم أكثر مما بين الحسن والحسين ومحمد صلوات الله عليه وسلامه فقال له الحجاج ما أراك إلا قد خرجت وأتيت بها مبينة واضحة والله لقد قرأتها وما علمت بها قط وهذا من الاستنباطات البديعة ثم قال

عند النوم ويقولون إن الجن تتقيأ فى الماء ومن شربه يغلب عليه البله (كانون الثانى) أحد وثلاثون يوما فى اليوم الأول منه يرجى المطر وفيه القلفداس بالشام يوقدون نارا عظيمة وفى السادس عليه الذبح زعموا أن فيه ساعة تصير فيها المياه المالحة عذبة وفى العاشر صوم العذارى وفى السابع عشر يذهب البرد ببلاد فارس وفى الثانى والعشرين تنتهى الأربعينيات وفى الرابع والعشرين يدور العشب فى الأرض وتتزاوج الطيور وفى الخامس والعشرين يزرع القطن والبطيخ وتغرس الأشجار بأرض الروم وتكسح الكروم بأرض مصر وتغتلم فحول الإبل (شباط) ثمانية وعشرون يوما فى السابع منه تسقط الجمرة الأولى وفى الثالث عشر يجرى الماء فى العود من أسفله إلى أعلاه وتنق الضفادع وفى الرابع عشر صوم النصارى وتسقط الجمرة الثانية وفى العشرين يخرج الذئب

له الحجاج أخبرنى عنى هل ألحن فسكت فقال أقسمت عليك فقال أما إذا أقسمت على أيها الامير فإنك ترفع ما يخفض وتخفض ما يرفع فقال ذاك والله اللحن السيئ ثم كتب إلى قتيبة بن مسلم إذا جاءك كتابى هذا فاجعل يحيى بن يعمر على قضائك والسلام وقيل إن الحجاج قال ليحيى أسمعتنى ألحن قال فى حرف واحد قال فى أى قال القرآن قال ذلك أشنع ما هو قال تقول قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم إلى قوله أحب إليكم فتقرأها بالرفع فقال له الحجاج لاجرم لاتسمع لى لحنا وألحقه بخراسان قال الشعبى كأن الحجاج لما طال عليه الكلام نسى ما ابتدأ به وذكره ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن يعمر وفيه بعض مخالفة قلت فى كلام يحيى تصريح بأن الضمير فى ومن ذريته يعود على إبراهيم والذى فى الكواشى والبغوى وغيرهما أن الضمير يعود إلى نوح لأن الله تعالى ذكر من جملتهم يونس ولوطا فقال وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ويونس ولوط من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم لكن استدلاله صحيح على القول الثانى أيضا قال ابن خلكان كان يحيى بن يعمر تابعيا عالما بالقرآن والنحو وكان شيعيا من الشيعة الأولى يتشيع تشيعا حسنا يقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لأحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال ابن خلكان خطب أمير بالبصرة فقال اتقوا الله فإنه من يتق الله فلا هوارة عليه فلم يدروا ما قال الأمير فسألوا أبا سعيد يحيى بن يعمر العدوانى فقال الهوارة الضياع كأنه قال من اتقى الله فلا ضياع عليه والهوارات المهالك واحدها هورة وحدث الأصمعى بهذا الحديث فقال إن الغريب لواسع لم أسمع بهذا قط وتوفى يحيى بن يعمر سنة تسع وعشرين ومائة ويعمر بفتح الياء والميم بينهما عين مهملة ساكنة وقيل بضم الميم والأول أصح انتهى ﴿تتمة﴾ قال نصر الله أبو يحيى وكان من الثقاة وأهل السنة رأيت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى المنام فقلت له يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ما تم فقال لى أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا فقلت لا فقال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت إلى حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فمه ولا خطه إلى أحد وما نظمها إلا فى ليلته ثم أنشدنى قوله :

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتموا قتل الأسارى وطالما * عدونا على الأسرى فنعفو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل إناء بالذى فيه ينضح

واسم الحيص بيص سعد بن محمد أبو الفوارس التميمى شاعر مشهور ويعرف بابن الصيفى ولقب بالحيص بيص لأنه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص فبقى عليه هذا اللقب ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط وتفقه على مذهب الإمام الشافعى وغلب عليه الأدب ونظم الشعر وكان مجيدا فيه وكان إذا سئل عن عمره يقول أنا أعيش فى الدنيا مجازفة لأنه كان لا يحفظ مولده وتوفى سنة أربع وسبعين وخمسمائة ومن محاسن شعره :

ياطالب الرزق فى الآفاق مجتهداً * أقصر عناك فإن الرزق مقسوم
الرزق يسعى إلى من ليس يطلبه * وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله أيضا : ياطالب الطب من داء أصيب به * إن الطبيب الذى أبلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق فى الماء

وله أيضا : اله عما استأثر الله به * أيها القلب ودع عنك الحرق

وتتحرك البراغيث وفى الخامس والعشرين تزرع القثاء والبطيخ وتلد الوحش ويصوت الطير وتطير الخطاطيف وبلد الماعز ويغرس شجر الورد ويزرع الياسمين والنرجس ويورق الكرم ويكثر العنب وفى الحادى والعشرين سقوط الجمرة الثالثة ومعنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء محيطا بعضها بالبعض وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى وهم كانوا فى البيت الثالث وكانوا يشعلون جمرات النار فى كل بيت ويتخذون الجمر للاصطلاء فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها وهم سكنوا مكان الصغار فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة فإذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها

فقضـــاء الله لا يدفعه * حول محتال إذا الأمر سبق

وله أيضا : أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق

لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الإقبال إنفاق

(الأمثال) قالوا أعز من مخ البعوض وقالوا كلفتني مخ البعوض يضرب لمن يكلف الأمور الشاقة وأضعف من بعوضة ﴿فائدة﴾ قوله تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها قال الحسن وغيره سبب نزولها أن الكفار أنكروا ضرب الأمثال فى غير هذه السورة بالذباب والعنكبوت وقيل لما ضرب الله تعالى المثلين فى أول السورة للمنافقين يعنى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وقوله تعالى أو كصيب من السماء قالوا الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله تعالى هذه الآية قال الكسائى وأبو عبيدة وغيرهما المعنى فما فوقها فى الصغر وقال قتادة وابن جريج وغيرهما المعنى فى الكبر قال ابن عطية والكل محتمل والله أعلم .

﴿البعير﴾ سمى بعيرا لأنه يبعر يقال بعر البعير يبعر بفتح العين فيهما بعرا بإسكان العين كذبح يذبح ذبحا قاله ابن السكيت وهو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الإبل بمنزلة الإنسان من الناس فالجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة والقعود بمنزلة الفتى والقلوص بمنزلة الجارية وحكى عن بعض العرب صرعتنى بعيرى أى ناقتى وشربت من لبن بعير وإنما يقال له بعير إذا أجذع والجمع أبعرة وأباعر وبعران قال مجاهد فى قوله تعالى ولمن جاء به حمل بعير أراد بالبعير الحمار لأن بعض العرب يقول للحمار بعير وهذا شاذ ولو أوصى ببعير تناول الناقة على الأصح وهو كالخلاف فى تناول الشاة الذكر وإن كان عكسه فى الصورة والوجه الثانى عدم التناول وهو المحكى عن النص والمعروف فى كلام الناس خلاف كلام العرب تنزيلا للبعير منزلة الجمل قال الرافعى وربما أفهمك كلامهم توسطا بين تنزيل النص على ما إذا عم العرف باستعمال البعير بمعنى الجمل والعمل بما تقتضيه اللغة إذا لم يعم لا جرم قال الشيخ الإمام السبكى إن تصحيح خلاف النص فى مثل هذه المسائل بعيد لأن الشافعى رضى الله عنه أعرف باللغة فلا يخرج عنها إلا لعرف مطرد فإن صح عرف بخلاف قوله اتبع وإلا فالأولى اتباع قوله (فرع) لو وقع بعيران فى بئر أحدهما فوق الآخر فطعن الأعلى ومات الأسفل بثقله حرم الأسفل لأن الطعنة لم تصبه فإن أصابتهما حلا جميعا فإذا شك هل مات بالثقل أم بالطعنة النافذة وقد علم أنها أصابته قبل مفارقة الروح حل وإن شك هل أصابته قبل مفارقة الروح أم بعدها قال البغوى فى الفتاوى يحتمل وجهين بناء على أن العبد الغائب المنقطع خبره هل يجزى إعتاقه عن الكفارة أم لا ومن ذلك ما لو رمى غير مقدور عليه فصار مقدورا عليه ثم أصاب غير مذبحه لم يحل ولو رمى مقدورا عليه فصار غير مقدور عليه فأصاب غير مذبحه لم يحل فإن أصاب مذبحه حل وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى جارية أو غلاما أو دابة فليأخذ بناصيتها وليقل اللهم إنى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليدع بالبركة وليقل مثل ذلك ﴿فائدة﴾ قال ابن الأثير خرج خلاد ابن رافع وأخوه رضى الله عنهما إلى بدر على بعير أعجف فلما انتهيا إلى قرب الروحاء برك البعير قال فقلنا اللهم لك علينا إن انتهينا إلى بدر أن ننحره فرآنا النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما بالكما فأخبرناه فنزل النبى ﷺ فتوضأ ثم بزق فى وضوئه ثم أمرهما ففتحا فم البعير فصب فى جوفه ثم على رأسه ثم على عنقه ثم على غاربه ثم على سنامه ثم على عجزه ثم على ذنبه ثم قال ﷺ اللهم احمل

فسقطت جمرة أخرى فإذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء فسقطت الجمرات الثلاثة وفى الخامس والعشرين يظهر الدفء وتهب الرياح اللواقح وتكسح الكروم وفى السادس والعشرين أول أيام العجوز وأيام العجوز سبعة أيام ثلاثة من شباط وأربعة من إدار قيل إنها سميت أيام العجوز لأن الله تعالى أهلك قوم عاد فى هذه الأيام فتخلفت منهم عجوز كانت تنوح عليهم كل سنة فى هذه الأيام فهذه الأيام لا تخلو من برد أو رياح أو كدورة فذهب بعضهم إلى أنها من الأمور الطبيعية وأن البرد يشتد فى آخر الشتاء كما أن الحر يشتد فى آخر الصيف وذلك يجرى مجرى السراج الذى فنيت رطوبته فإنه عند انطفائه يشتد ضوؤه دفعات (إدار) أحد وثلاثون يوما فى اليوم الأول يخرج الجراد والدبيب وفى الربع منه آخر أيام العجوز وذهب بعضهم إلى أنها إنما سميت أيام

رفاعة وخلادا فقمنا نرحل فأدركنا أول الراكب فلما انتهينا إلى بدر بك فنحرناه وتصدقنا بلحمه ﴿فائدة أخرى﴾ روى أبو القاسم الطبرانى فى كتاب الدعوات عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال غزونا غزوة مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا فى بمجمع طرق المدينة فبصرنا بأعرابى آخذ بخطام بعير حتى وقف على رسول الله ﷺ ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد النبى ﷺ عليه السلام وقال كيف أصبحت فجاء رجل كأنه حرسى فقال يارسول الله هذا الأعرابى سرق بعيرى هذا فرغا البعير وحن ساعة فأنصت له النبى ﷺ يسمع رغاءه وحنينه فلما هدأ البعير أقبل النبى ﷺ على الحرسى وقال انصرف عنه فإن البعير يشهد عليك أنك كاذب فانصرف الحرسى وأقبل النبى ﷺ على الأعرابى وقال أى شىء قلت حين جئتنى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله قلت اللهم صل على محمد حتى لاتبقى صلاة اللهم وبارك على محمد حتى لاتبقى بركة اللهم وسلم على محمد حتى لايبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لاتبقى رحمة فقال ﷺ إن الله تبارك وتعالى أبداها لى والبعير ينطق بقدرته وإن الملائكة قد سدوا أفق السماء وفيه أيضا عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال جاءوا برجل إلى النبى ﷺ فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر النبى ﷺ أن يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلواتك شىء وبارك على محمد حتى لايبقى من بركاتك شىء وسلم على محمد حتى لايبقى من سلامك شىء فتكلم البعير وقال يامحمد إنه برىء من سرقتى فقال النبى ﷺ من يأتينى بالرجل فابتدر إليه سبعون من أهل بدر فجاؤا به إلى النبى ﷺ فقال ياهذا ماقلت آنفا فأخبره بما قال فقال النبى ﷺ لأجل ذلك رأيت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بينى وبينك ثم قال ﷺ لترددن على الصراط ووجهك أضوأ من القمر ليلة البدر اه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الناقة حديث رواه الحاكم فى هذا المعنى وروى ابن ماجه عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ إذ أقبل علينا بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله ﷺ ورغا فقال رسول الله ﷺ أيها البعير أسكن فإن تك صادقا فلك صدقك وإن تك كاذبا فعليك كذبك مع أن الله قد آمن عائذنا وليس بخائب لائذنا فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير فقال ﷺ هذا بعير قد هم أهله بنحره وأكل لحمه فهرب منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها فقالوا يارسول الله هذا بعير ناهرب منذ ثلاثة أيام فلم نلقه إلا بين يديك فقال ﷺ أما إنه يشكو إلى ويبث الشكاية فقالوا يارسول الله مايقول قال يقول إنه ربى فى أمنكم أحوالا وكنتم تحملون عليه فى الصيف إلى موضع الكلأ فإذا كان الشتاء حملتم عليه إلى موضع الدفء فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله تعالى منه إبلا سائمة فلما أدركته هذه السنة الخصبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا يارسول الله قد والله كان ذلك فقال عليه الصلاة والسلام ماهذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا يارسول الله فإنا لانبيعه ولا ننحره فقال النبى ﷺ كذبتم فقد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا أولى بالرحمة منكم فإن الله تعالى قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه عليه الصلاة والسلام فنهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق فأنت حر لوجه الله تعالى قال فرغا البعير على هامة رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام آمين ثم رغا الثانية فقال آمين ثم رغا الثالثة فقال آمين ثم رغا الرابعة فبكى عليه الصلاة والسلام فقلنا يارسول الله مايقول هذا البعير قال ﷺ قال جزاك الله أيها النبى عن

العجوز لأن عجوزا كاهنة من العرب أخبرت قومها ببرد شديد فى آخر الشتاء يسوء أثره على المواشى فلم يكترثوا بقولها وجزوا أغنامهم واثقين بإقبال الربيع فإذا هم ببرد شديد أهلك الزروع والضرع فنسبوا تلك الأيام إليها وفى السابع اختلاف الرياح العواصف وفى الثانى عشر يؤمر بالحجامة وفى الثالث عشر تظهر الخطاطيف والحدء وفى السادس عشر تفتح الحياة أعينها فى أيام البرد لأنها تجتمع فى باطن الأرض فيظلم بصرها وفى الثامن عشر يعتدل الليل والنهار وهو أول ربيع العجم وخريف الصين ويغلظ ماء البحر لأن الشمس تبخر لطيف أجزائه قالوا إن العقيم من الرجال إذا نظر فى ليلة هذا اليوم إلى النهر ثم جامع أهله ولدت وفى هذا اليوم تهب الرياح اللواقح وتسنبل الحنطة وويدرك النبق والباقلاء ويعقد اللوز والمشمش ويورق الشجر ويغرس الكرم ويخاف التمساح

الإسلام والقرآن خيرا فقلت آمين ثم قال سكن الله رعب أمتك إلى يوم القيامة كما سكنت رعبي فقلت آمين ثم قال حقن الله دماء أمتك من أعدائها كما حقنت دمي فقلت آمين ثم قال لا جعل الله بأسها بينها فبكيت فإن هذه الخصال سألتها ربي فأعطانيها ومنعني هذه وأخبرني جبريل عليه السلام عن الله عز وجل أن فناء أمتي بالسيف جرى القلم بما هو كائن ﴿تتمة﴾ قال الطرطوشي في سراج الملوك وابن بلبان والمقدسي في شرح الأسماء الحسنى وغيرهم عن الفضل بن الربيع قال حج الرشيد فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا قيل أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فوجدت الرشيد فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي أمر لا يخرجه إلا عالم فانظر لي رجلا أسأله عنه فقلت يا أمير المؤمنين ههنا سفيان بن عيينة قال فامض بنا إليه فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا وقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك قال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم قال يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك هذا شيئا فانظر لي رجلا أسأله قلت ههنا عبد الرزاق بن همام واعظ العراق فقال امض بنا إليه نسأله فأتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا وقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك قال جد لما جئناله فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم هذا يا عباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى عني صاحبك قال شيئا فانظر لي رجلا أسأله قال فقلت ههنا الفضيل بن عياض قال امض بنا إليه فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من كتاب الله عز وجل ويرددها فقرعت الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولأمير المؤمنين فقلت سبحان الله أما تجب عليك طاعته فقال أوليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال ليس لمؤمن أن يذل نفسه وفتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة مسرعا فأطفأ السراج والتجأ إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف الرشيد إليه فقال أواه ما ألينها من يد إن نجت غدا من عذاب الله فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب نقي فقال جد لما جئنا له قال وفيم جئت حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك ثم قال إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة وقال لهم إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن أفطارك فيها على الموت وقال له محمد بن كعب إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أبا وأوسطهم لك أخا وأصغرهم لك ولدا فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت وإني لأقول لك هذا وإني لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا قال فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق بأمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق أنا به ثم أفاق فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه السهر فكتب إليه عمر يقول يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار وخلود الآباد فيها فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائما ويقظان وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك والسلام فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك قال خلعت قلبي بكتابك لا وليت لك ولاية أبدا حتى ألقى الله سبحانه وتعالى فبكى هرون بكاء شديدا

بمصر وفي الخامس والعشرين غليان البحر (نيسان) ثلاثون يوما في اليوم الأول منه يرجى المطر وفي الرابع الشعانين وفي الحادي عشر منه عيد النصارى وفي العشرين منه تهيج الرياح الشرقية ويفرخ الطير وفي الحادي والعشرين قيام سوق فلسطين وفي الثاني والعشرين هبوط الجنوب وامتداد الأدوية وفي الثالث والعشرين موسم دير أيوب بالشام وفي التاسع والعشرين يمتلئ الفرات وفي التاسع والعشرين يهيج الدم وتنعقد الثمار ويدرك اللوز (إيار) أحد وثلاثون يوما في ثاني يوم منه عيد دير الثعلب وفي السابع عيد الصليب وفي الحادي عشر أول البوارح وفي الخامس عشر عيد الورد المستحدث وفي السادس عشر تهيج الصبا ويطيب ركوب البحر وفي الرابع والعشرين يرتفع الطاعون بإذن الله تعالى ويخضر الزرع ويركب البحر وتبدو السمائم وتهب الشمال ويسود العنب وتبين زيادة نيل مصر وتهب

ثم قال زدني يرحمك الله فقال يا أمير المؤمنين إن جدك العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ جاءه فقال يارسول الله أمرني على إمارة فقال له النبي ﷺ يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال زدني يرحمك الله فقال ياحسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل يوم القيامة عن هذا الخلق فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل وإياك أن تصبح أو تمسي وفي قلبك غش لرعيتك فقد قال النبي ﷺ من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال أعليك دين قال نعم دين لربي يحاسبني عليه فالويل لي إن سألني والويل لي إن لم يلهمني حجتي فقال هرون إنما أعني دين العباد فقال إن ربي لم يأمرني بهذا وإنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له الرشيد هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك فقال فضيل سبحان الله أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا سلمك الله ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي الرشيد إذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فإن هذا سيد المؤمنين اليوم ويروى أن امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت ياهذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال لانفرجنا به فقال إن مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه موتوا ياأهلي جوعا ولا تنحروا فضيلا فلما سمع الرشيد ذلك قال ادخل بنا فعسى أن يقبل المال قال فدخلنا فلما علم بنا الفضيل خرج فجلس على السطح فوق التراب فجاء هرون الرشيد فجلس إلى جنبه فكلمه فلم يرد عليه فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت ياهذا قد أذيت الشيخ منذ أتيته فانصرف يرحمك الله راشدا فانصرفنا وقال القاضي ابن خلكان في ترجمة الفضيل رحمه الله فبلغ ذلك سفيان الثوري فجاء إليه وقال له ياأبا علي قد أخطأت في ردك البدرة ألا أخذتها وصرفتها في وجوه البر فأخذ بلحيته وقال ياأبا محمد أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط لو طابت لأولئك لطابت لي اه ولعل المذكور إنما كان سفيان بن عيينة لا سفيان الثوري والله أعلم وقال الرشيد لفضيل بن عياض يرحمك الله ما أزهدك فقال أنت أزهد مني لأني أزهد في الدنيا وأنت تزهد في الآخرة والدنيا فانية والآخرة باقية وقيل إن الفضيل كانت له ابنة صغيرة فوجع كفها فسألها يوما وقال يابنية ما حال كفك فقالت ياأبت بخير والله لئن كان الله تعالى ابتلى مني قليلا فلقد عافى الله مني كثيرا ابتلى كفي وعافى سائر بدني فله الحمد على ذلك فقال يابنية أريني كفك فأريته فقبله فقالت ياأبت أناشدك الله هل تحبني قال اللهم نعم فقالت سوأة لك من الله والله ماظننت أنك تحب مع الله سواه فصاح الفضيل وقال ياسيدي صبية صغيرة تعاتبني في حبي لغيرك وعزتك وجلالك لأحببت معك سواك وشكا رجل إلى الفضيل بن عياض حاله فقال له ياأخي هل من مدبر غير الله تعالى فقال لا قال فارض به مدبرا وقال إني لأعصي الله تعالى فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وقال إذا أحب الله تعالى عبدا أكثر غمه وإذا بغضه وسع عليه دنياه وقال النووي في أذكاره قال السيد الجليل فضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما وسئل الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه عن المحبة فقال هي أن تؤثر الله عز وجل على ماسواه وقال رضي الله تعالى عنه لو كان لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا للإمام لأن الله تعالى إذا أصلح الإمام من البلاد والعباد وقال رضي الله تعالى عنه لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره وقال رضي الله تعالى عنه ربما قال الرجل لا إله إلا

الديور وفي الخامس والعشرين منه عيد الورد وفريك السنبل وفي التاسع والعشرين سبت القيامة (حزيران) ثلاثون يوما في الحادي عشر منه نوروز الخليفة ببغداد فيه اللعب ورش الماء وغيرهما مما هو مشهور وفي السادس عشر يتنفس نيل مصر وتفور المياه وفي الثامن عشر غاية طول النهار وقصر الليل وهو الامتلاء الأكبر يعظمه العرب والعجم وهو الانقلاب الصيفي وفي الثاني والعشرين يوضع المنجل في الزرع وتدرك الفاكهة والبطيخ والتين والعنب ويشتد الحر وفي الخامس والعشرين مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وابتداء السمائم بالهبوب وهي أحد وخمسون يوما ويمتد جيحون وفي الثامن والعشرين آخر البوارح وفي التاسع والعشرين ينظر أصحاب التجارب بمصر فإن كثر فيه الندى قالوا يمتد النيل وإن لم يكثر قالوا لا يمتد (تموز) أحد وثلاثون يوما في الخامس تطلع الشعرى

الله أو سبحان الله فأخشى عليه النار فقيل له كيف ذلك قال يغتاب بين يديه أحد فيعجبه ذلك فيقول لا إله إلا الله أو سبحان الله وليس هذا موضعهما وإنما هو موضع أن ينصح له فى نفسه ويقول اتق الله وبلغه رضى الله تعالى عنه أن ابنه عليا قال وددت أن أكون بمكان أرى فيه الناس ولا يرونى فقال ويح على لو أنهما فقال بمكان لا أرى فيه الناس ولا يرونى وكان رضى الله تعالى عنه قد جاور بمكة وأقام بها وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وفى تاريخ ابن خلكان أن سفيان الثورى بلغه مقدم الأوزاعى فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذى طوى فحل سفيان خطام بعيره من القطار ووضعه على رقبته فكان إذا مر بجماعة قال الطريق للشيخ (والأوزاعى) اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو والأوزاعى إمام أهل الشام قيل إنه أجاب فى سبعين ألف مسئلة وكان يسكن بيروت ويحمد بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة وقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات بضم الياء المثناة تحت وكسر الميم والأوزاعى من تابعى التابعين قال الأوزاعى رحمه الله تعالى رأيت رب العزة فى المنام فقال لى يا عبد الرحمن أنت الذى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قلت بفضلك يا رب ثم قلت يا رب أمتنى على الإسلام فقال عز وجل وعلى السنة أيضا وتوفى رحمه الله فى شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت وكان لصاحب الحمام شغل فأغلق الباب عليه وذهب ثم جاء وفتح الباب فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة وقيل إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك والأوزاع قرية بدمشق ولم يكن أبو عمرو منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم وهو من سبى اليمن وقال النووى إنه ولد ببعلبك سنة ثمان وثمانين وهو مدفون فى قبلة مسجد قرية حنتوس وهى على باب بيروت وأهل القرية لا يعرفونه بل يقولون ههنا قبر رجل صالح ينزل عليه النور ولا يعرفه إلا الخواص من الناس رحمة الله عليه (الحكم) البعير تقدم حكمه فى الإبل ويستحب عند ركوب الإبل أن يذكر اسم الله تعالى عليها لما روى أحمد والطبرانى عن أبى لاس الخزاعى قال حملنا رسول الله ﷺ على إبل من الصدقة ضعاف للحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال ما من بعير إلا وفى ذروته شيطان فإذا ركبتموها فاذكروا اسم الله عليها كما أمركم الله ثم امتهنوها لأنفسكم فإنما يحمل الله عز وجل وقد أشار البخارى فى صحيحه فى أبواب الزكاة إلى بعض هذا الحديث ولم يذكره بتمامه (الأمثال) قالوا أخف حملا من بعير وقالوا هما كربتى بعير إشارة إلى الاستواء كما قالوا هما كفرسى رهان والمثل لهرم بن قطبة الفزارى وقد أطال فيه الميدانى وغيره وقالوا كالحادى وليس له بعير يضرب للمتشبع بما لم يعط وأحسن من هذا وأوجز قوله ﷺ المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور وقال بعض المعمرين :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير إن نفرا * والذئب أخشاه إن مررت به وحدى وأخشى الرياح والمطرا * من بعد ما قوة أصيب بها * أصبحت شيخا أعالج الكبرا

﴿تذنيب﴾ قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى الأذكياء وغيره روى أن الحسن بن هانئ الشهير بأبى نواس قال استقبلتنى امرأة فى هودج على بعير ولم تكن تعرفنى فأسفرت عن وجهها فإذا هو فى غاية الحسن والجمال فقالت ما اسمك فقلت وجهك فقالت الحسن إذن وما يشبهه هذا الذكاء ما نقل أن المأمون غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه فى الإيقاع به وكان قد حضر ذلك المجلس صديق له فكتب له كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم يا موسى فلما فضه ووجد ذلك تعجب وبقى يطيل النظر إليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له يا سيدى إنى أفهم معنى هذا فقال وما هو فقالت إنه أراد قوله تعالى يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور إلى المأمون فثنى العزم عن ذلك للمأمون فى عدم الحضور فكان ذلك سبب سلامته وأحسن من هذا ما ذكره ابن خلكان فقال إن بغض الملوك غضب على بعض عماله فأمر

وبطلوعها يعرفون صلاح الزروع وفسادها وذلك أن أصحاب الفلاحة من العجم أخذوا الوحا قبل طلوع الشعرى بأسبوع وزرعوا عليه أصناف الحبوب فلما كانت الليلة التى طلعت فيها الشعرى وضعوا ذلك اللوح على موضع عال لا يحول بينه وبين السماء شىء فما أصبح مخضرا من ذلك النبات فهو الذى صلح فى تلك السنة وما أصبح مصفرا فهو الذى فسد وفى السابع يموت الجراد وفى العاشر يقوم سوق بصرى وفى الثامن عشر أول أيام الباحور وهى سبعة أيام متوالية يستدلون بكل يوم منها على شهر من أشهر الخريف والشتاء من تغيرات وتلون وزعموا أنها للسنة كأيام البحران للمريض وأن كل شهر من تلك الأشهر حاله كحال يوم من تلك الأيام أولها كأولها وآخرها كآخرها فى التغيرات وفى الرابع والعشرين تشتد صولة الحر ويرتفع الطاعون ويكثر الرمد ويزرع البطيخ الشتوى والجزر والذرة وفى الخامس والعشرين ينهى

وزيره أن يكتب إليه كتابا يشخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب إليه كتابا وكتب فى آخره إن شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير إذ من عادة الكتاب أن لا يشكلوا كتبهم ففكر فى ذلك فظهر له أنه أراد أن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده للوزير فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم أنه أراد إنا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها والله تعالى أعلم .

﴿البغاث﴾ بفتح الباء الموحدة وكسرها وضمها ثلاث لغات وبالغين المعجمة طائر أغبر دون الرخمة بطىء الطيران وهو من شرار الطير ومما لا يصيد منها وقال يونس من جعل البغاث واحداً فجمعه بغثان مثل غزال وغزلان ومن قال للذكر والأنثى بغاثة فالجمع بغاث مثل نعامة ونعام وبغاث الطير شرارها وما لا يصيد منها قال الشيخ أبو إسحاق فى المهذب فى باب الحجر لا يسافر الولى بمال المحجور عليه لما روى أن المسافر وماله لعلى قلت أى هلاك ومنه قول العباس بن مرداس السلمى :

بغاث الطير أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلات نزور

وقوله مقلات بكسر الميم والمقلات من النساء التى لا يعيش لها ولد ومن النوق من تلد ولداً واحداً ولا تلد بعده وقيل المقلات التى تعمل وكرها فى المهالك والنزور بفتح النون القليلة الأولاد والنزر القليل (الحكم) تحريم الأكل لخبثه (الأمثال) قالت العرب البغاث بأرضنا يستنسر أى من جاورنا عز بنا وقيل معناه أن الضعيف يستضعفنا ويظهر قوته علينا .

﴿البغل﴾ معروف وكنيته أبو الأشهب وأبو الحرون وأبو الصقر وأبو قضاعة وأبو قموص وأبو كعب وأبو مختار وأبو ملعون ويقال له ابن ناهق وهو مركب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذلك شحيجه أى صوته وولد من صهيل الفرس ونهيق الحمار وهو عقيم لا يولد له لكن فى تاريخ ابن البطريق فى حوادث سنة أربع وأربعين وأربعمائة أن بغلة بنابلس ولدت فى بطن حجرة سوداء وبغلا أبيض قال وهذا أعجب ما سمع اه وشر الطباع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة وإذا كان الذكر حمارا يكون شديد الشبه بالفرس وإذا كان الذكر فرسا يكون شديد الشبه بالحمار ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار وكذلك أخلاقه ليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار ويقال أن أول من أنتجها قارون وله صبر الحمار وقوة الفرس ويوصف برداءة الأخلاق والتلون لأجل التركيب وينشد فى ذلك قوله :

خلق جديد كل يو * م مثل أخلاق البغال

لكنه مع ذلك يوصف بالهداية فى كل طريق يسلكه مرة واحدة وهو مع ذلك مركب الملوك فى أسفارها وقعيدة الصعاليك فى قضاء أوطارها مع احتماله للأثقال وصبره على طول الإيغال وفى ذلك يقال

مركب قاض وإمام عدل * وعالم وسيد وكهل * يصلح للرحل وغير الرحل

وفى الكامل لأبى العباس المبرد قال العباس بن الفرج نظر إلى عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وهو على بغلة قد شمط وجهها هرما فقيل له أتركب هذه وأنت على أكرم باخرة بمصر فقال إنه لا مملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ولا لامرأتى ما أحسنت عشرتى ولا لصديق ما حفظ سرى إن المملل من كواذب الأخلاق وفيه أيضاً أن رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أسمنا ولا أثوبا ولا دابة منه فمال قلبى إليه فسألت عنه فقيل لى هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم فأتيته وقد امتلأ قلبى له

عن الجماع لشدة الحر وفى السابع والعشرين يحمر البشر ويقطف العنب والقصب النبطى وتفور المياه وتنضج الفواكه كلها وفى الثلاثين عيد كنيسة مريم عليها السلام

(آب) أحد وثلاثون يوما فى الأول وفاة مريم عليها السلام وفى السادس أول عيد التجلى وفى التاسع تختلف الرياح وفى العاشر يقوم سوق عمان وفى الثانى عشر يبدو هواء العراق وفى السابع عشر آخر عيد التجلى وفى الثامن عشر تهيج الرياح البوارح ويكثر الرمان ويصفر الأترنج وفى العشرين آخر السموم وفى الثانى والعشرين فتور الحر وفى السادس والعشرين يهيج الدم وفى الثامن والعشرين يطيب الماء ويكثر الرطب والعنب ويسقط الطل والمن والسلوى بالشام (أيلول) ثلاثون يوما فى الأول عيد رأس السنة وتمامها ويكون سوق منبج وفى الثالث يبتدأ بإيقاد النار فى البلاد الباردة وفى الثانى عشر يفصد ويشرب الدواء وفى الثالث عشر تنتهى زيادة النيل

بغضا فقلت له أنت ابن أبي طالب فقال لي بل أنا ابن ابنه فقلت بك وبأبيك أسب عليا فلما انقضى كلامي قال أحسبك غريبا قلت أجل قال فهل بنا إلى الدار فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال واسيناك أو إلى حاجة عاونا ك على قضائها فانصرفت من عنده وما على وجه الأرض أحب إلى منه اه قلت وكان علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما يلقب بزين العابدين وأمه سلامة وكان له أخ أكبر منه يسمى عليا أيضا قتل مع أبيه بكربلا روى الحديث عن أبيه وعن عمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم قال ابن خلكان كانت أمه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أن يزدجر كان له ثلاث بنات سبين في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فحصلت واحدة منهن لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما فأولدها سالما والأخرى لمحمد بن أبي بكر رضي الله تعالى عنهما فأولدها قاسما والأخرى للحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما فأولدها عليا زين العابدين رضي الله تعالى عنهم فكلهم بنو خالة وكان زين العابدين مع أبيه بكربلاء فاستبقى لصغر سنه لأنهم قتلوا كل من أنبت كما يفعل بالكفار قاتل الله فاعل ذلك وأخزاه ولعنه وكان قدمهم عبيد الله بن زياد بقتله ثم صرفه الله تعالى عنه وأشار بعض الفجرة على يزيد بن معاوية بقتله أيضا فحماه الله منه ثم إن يزيد بن معاوية صار يكرمه ويعظمه ويجلسه معه ولا يأكل إلا وهو معه ثم بعثه إلى المدينة فكان بها محترما معظما قال ابن عساكر ومسجده بدمشق معروف وهو الذي يقال له مشهد على بجامع دمشق قال الزهري ما رأيت قرشيا أفضل منه وقال محمد بن سعد كان زين العابدين ثقة مأمونا كثير الحديث عن رسول الله ﷺ عالما ولم يكن في أهل البيت مثله وقال الأصمعي لم يكن للحسين رضي الله عنه عقب إلا من ابنه زين العابدين ولم يكن لزين العابدين نسل إلا من ابنة عمه الحسن رضي الله تعالى عنه فجميع الحسينيين من نسله وكان إذا توضأ يصفر لونه فإذا قام إلى الصلاة أرعد من الفرق أي الخوف فقيل له في ذلك فقال أتدرون بين يدي من أقوم ولمن أناجي ويروى أنه احترق البيت الذي هو فيه وهو قائم يصلي فلما انصرف قيل له ما بالك لم تنصرف حين وقعت النار فقال إني اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخرى ويروى أنه لما حج وأراد أن يلبي أرعد واصفر وخر مغشيا عليه فلما أفاق سئل عن ذلك فقال إني لأخشى أن أقول لبيك اللهم لبيك فيقول لي لا لبيك ولا سعديك فشجعوه وقالوا لا بد من التلبية فلما لبى غشي عليه حتى سقط عن راحلته وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة وكان كثير الصدقات وكان أكثر صدقته بالليل وكان يقول صدقة الليل تطفئ غضب الرب وكان كثير البكاء فقيل له في ذلك فقال إن يعقوب عليه السلام بكى حتى ابيضت عيناه على يوسف ولم يتحقق موته فكيف لا أبكي وقد رأيت بضعة عشر رجلا يذبحون من أهلي في غداة واحدة وكان إذا خرج من منزله قال اللهم إني أتصدق اليوم أو أهب عرضي اليوم لمن يغتابني ومات لرجل ولد مسرف على نفسه فجزع عليه فقال له علي بن الحسين إن من وراء ولدك خلالا ثلاثة شهادة أن لا إله إلا الله وشفاعة رسول الله ورحمة الله واختلف أهل التاريخ في السنة التي توفي فيها زين العابدين والمشهور عند الجمهور أنه توفي سنة أربع وتسعين في أولها وقال ابن الفلاس وفيها مات سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وعروة ابن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن وقال بعضهم توفي سنة اثنتين وثلاث وتسعين أغرب المدائني في قوله إنه توفي سنة مائة وقيل توفي في سنة تسع وتسعين وكان عمره ثماني وخمسين سنة ودفن في قبر عمه الحسن رضي الله عنهما وعن آبائهم الكرام وعن أصحاب رسول الله أجمعين وفي وفيات الأعيان في ترجمة جلال الدولة الملك شاه أن المقتدي بأمر الله جهز الشيخ أبا إسحاق الشيرازي الفيروزبادي صاحب

في مصر وعيد كنيسة القيامة وفي الرابع عشر عيد الصليب وفي السادس عشر فطام الأطفال وفي الثامن عشر اعتدال الليل والنهار وهو أول الخريف عند العجم والربيع عند الصينيين وزعموا أن المطر في السحاب الذي يرتفع فيه يصبي الروح ويبرئ الجسد وفي العشرين يرجع الماء من الشجر إلى عروقه وفي الرابع والعشرين زعم أصحاب التجارب أنه تهب الريح وتأتي الغربان البقع في أكثر البلاد وهذه أمور تتكرر في كل سنة على رأي أصحاب التجارب في الأوقات المذكورة

﴿فصل في شهور الفرس﴾

وهي متساوية في العدد لأن أيام سنتهم عددها ثلثمائة وخمسة وستون يوما فجعلوا كل شهر ثلاثين يوما ووضعوا في آخر السنة خمسة أيام والشهر عندهم لا يكون على أسابيع كما هو عند العرب بل هو عندهم من أول الشهر إلى آخره ولكل يوم اسم يعرف به ذلك اليوم

التنبيه والمهذب وغيرهما إلى نيسابور سفيرا له فى خطبة ابنة الملك جلال الدولة فنجز الشغل وناظر إمام الحرمين هناك فلما أراد الانصراف من نيسابور خرج إمام الحرمين إلى وداعه وأخذ بركابه حتى ركب أبو إسحق بغلته وظهر له فى خراسان منزلة عظيمة وكانوا يأخذون التراب الذى وطئته بغلته فيتبركون به وكان رحمه الله إماما عالما عاملا ورعا زاهدا عابدا توفى فى سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفى إمام الحرمين فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وغلفت الأسواق يوم موته وكسر منبره بالجامع وكانت تلامذته قريبا من أربعمائة نفر فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا وفى تاريخ بغداد ووفيات الأعيان أن أبا حنيفة كان له جار إسكافى يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه أنشد يغنى ويقول : أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل له أخذه العسس منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى دار الأمير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير من مجلسه وقال له ما حاجتك فشفع فى جاره فقال الأمير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة إلى يومنا هذا فأطلقوهم أيضا فذهبوا فركب أبو حنيفة بغلته وخرج والإسكافى معه يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة يا فتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت فجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل واسم أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه وكان عالما عاملا قال الشافعى قيل لمالك هل رأيت أبى حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وكان الشافعى يقول الناس عيال على أبا حنيفة فى الفقه وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر وعلى محمد بن إسحق فى المغازى وعلى الكسائى فى النحو وعلى مقاتل بن سليمان فى التفسير وكان أبو حنيفة إماما فى القياس وداوم على صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ القرآن فى ركعة واحدة وكان يبكى فى الليل حتى يرحمه جيرانه وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة ولم يفطر منذ ثلاثين سنة ولم يكن يعاب بشىء سوى قلة العربية حكى أن أبا عمرو بن العلاء سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود قال لا على قاعدة مذهبه خلافا للشافعى فقال له أبو عمرو لو قتله بحجر المنجنيق فقال ولو قتله بأبا قبيس يعنى الجبل المطل على مكة وقد اعتذر عن أبى حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يعرب الأسماء الستة بالألف فى الأحوال الثلاثة وأنشدوا على ذلك :

إن أبا وأبا أباها * قد بلغا فى المجد غايتاها

وهى لغة الكوفيين وأبو حنيفة من أهل الكوفة وتوفى أبو حنيفة فى السجن ببغداد سنة خمسين ومائة وقيل غير ذلك وقيل لم يمت فى السجن وقيل مات فى اليوم الذى ولد فيه الشافعى وقيل فى العام لا فى اليوم كما تقدم وقال النووى فى تهذيب الأسماء واللغات توفى سنة إحدى وقيل ثلاث وخمسين ومائة والله أعلم قلت البيت المذكور فى حكاية الأسماء المتقدمة للعرجى عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهم وقد استشهد به النضر بن شميل على المأمون وقال ابن خلكان دخل النضر بن شميل على المأمون ليلة فتفاوضا الحديث فروى المأمون عن هشيم بسنده إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز بفتح السين فقال النضر يا أمير

ويتميز عن غيره من الأيام وهذه صورتها (ا) هرمز (ب) بهمز (ج) أردبيهشت (د) شهريز (ه) استداند (و) حودار (ز) مرداد (ح) دى بادر (ط) إحدى (ى) دى (يا) حور (يب) ماه (يج) تبر (يد) كوش (به) ذى نهمر (يو) مهر (يز) سروسن (يح) رشن (يط) قردوميز (ك) يهرام (كا) رام (كب) باد (كج) ذى بديز (كد) دى (كه) أرد (كو) اشتاد (كز) إسمان (كح) زاميار (كط) مارال (ل) (أنير) وإنما وضعوا لكل يوم من الأيام اسما لأن لهم فى كل يوم مأكولا وملبوسا ومشموما تخالف غيرها ولهم أعياد منها ما هو موضوع لأمور دنياوية ومنها ما هو لأمور دينية أما الدنياوية فقد وضعها ملوك الفرس ليتوصلوا بها إلى سرور النفس مع اكتساب الدعاء والحمد والثناء أخذها الخلف عن السلف تيمنا وتفاؤلا وأما الدينية فقد وضعها أرباب الديانات والمطلوب منها الخيرات والسعادات

المؤمنين صدق هشيم حدثنا فلان عن فلان إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها فهو سداد من عوز بكسر السين قال وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا وقال كيف قلت سداد قال قلت لأن السداد ههنا لحن فقال المأمون أتلحنني قلت إنما لحن هشيم فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال ما الفرق بينهما قلت السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئا فهو سداد فقال المأمون أو تعرف العرب ذلك قال قلت نعم هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فأخذ المأمون القرطاس وكتب فيه ثم قال لخادمه أبلغ معه إلى الفضل بن سهل فلما قرأ الفضل الرقعة قال يا نضر قد أمرلك أمير المؤمنين بخمسين ألف درهم فما كان السبب فأخبرته فأمر لي بثلاثين ألف درهم أخرى فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف واحد استفيد مني وتوفي النضر بن شميل في سنة أربع ومائتين بمرو رحمه الله تعالى وفي تاريخ بغداد عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة واسمه يعقوب أنه قال أويت ذات ليلة إلى فراشي وإذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت فإذا هرثمة بن أعين فقال أجب أمير المؤمنين فركبت بغلتي ومضيت خائفا إلى أن وصلت دار أمير المؤمنين فإذا أنا بمسرور فسألته من عند أمير المؤمنين فقال عيسى بن جعفر فدخلت فإذا هو جالس وعن يمينه عيسى بن جعفر فسلمت عليه وجلست فقال الرشيد أظن أنا روعناك فعلت أي والله ومن خلفي كذلك فسكت ساعة ثم قال أتدري يا يعقوب لم دعوتك قلت لا قال دعوتك لأشهدك على هذا أن عنده جارية وقد سألته أن يهبها لي فأبى ووالله لئن لم يفعل لأقتلنه قال فالتفت إلى عيسى وقلت له ما بلغ من قدر الجارية حتى إنك تمنعها من أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة من أجلها ثم هي ذاهبة من يدك على كل حال فقال عجلت عليّ بالتوبيخ من قبل أن تعرف ما عندي قلت وما هو قال إن عليّ يمينا بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملكه لا أبيع هذه الجارية ولا أهبها فالتفت إليّ الرشيد وقال هل لك في هذه من مخرج قلت نعم قال وما هو قلت يهبك نصفها ويبيعك نصفها فيكون لم يهبها ولم يبعها قال عيسى أو يجوز ذلك قلت نعم قال فاشهد أني وهبته نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف دينار فقال الرشيد قد قبلت الهبة واشتريت النصف بمائة ألف دينار ثم قال عليّ بالجارية والمال فأتي بالجارية والمال فقال خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها فقال الرشيد يا يعقوب بقيت واحدة فقلت وما هي قال إنها مملوكة ولا بد أن تستبرأ ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه أظن أن نفسي تخرج فقلت يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها فإن الحرة لا تستبرأ قال فإني قد أعتقتها فمن يزوجنيها قلت له أنا فدعا بمسرور وحسين فخطبت وحمدت الله تعالى وزوجته بها على عشرين ألف دينار ثم قال عليّ بالمال فجيء به فدفعه إليها ثم قال لي يا يعقوب انصرف وقال لمسرور احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختا من الثياب فحمل ذلك إليّ اهـ وكان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب فمضى يوما ليسمع المغازي وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أياما فلما أتاه قال له يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت فقال له أبو يوسف إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رءوس الناس أيما كان أول وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري ذلك وهي أهون مسائل التاريخ فأمسك عنه قيل كان يجلس إلى أبي يوسف رجل فيطيل الصمت ولا يتكلم فقال له أبو يوسف يوما ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم قال إذا غابت الشمس قال فإن لم تغب إلى نصف الليل كيف يصنع فضحك أبو يوسف وقال له أصبت في صمتك وأخطأت أنا في استدعائي نطقك وأنشد :

عجبت لإزراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

الأخروية فيما يرونه ونحن نذكر ما كان في كل شهر إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق (فروردين ماه) اليوم الأول منه النيروز وهو أول يوم من السنة واسمه بالفارسية يعطى هذا المعنى وزعموا أن الله تعالى في هذا اليوم أدار الأفلاك وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب واسم هذا اليوم هرمز وهو اسم من أسماء الله تعالى قالوا في هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر وتدهن بالزيت رفع عنه البلاء في عامة سنته ويتفاءلون بما وقع لهم في هذا اليوم وكان الملك يجلس في هذا اليوم ويأتيه كل واحد من خدمه وحشمه بطرفة عجيبة وإذا استيقظ من نومه أول ما تقع عينه على غلام حسن الوجه على فرس حسن على يده باز حسن فإن هذا الشكل أحسن الأشكال قد أهدى إلى بعض خواصه

والسابع عشر منه سروش روز وسروش

وفى الصمت ستر للغبى وإنما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وروى أن رجلا كان يجلس إلى بعض العلماء ولا يتكلم فقيل له يوما ألا تتكلم قال نعم أخبرنى لأى شىء يستحب صيام الأيام البيض من كل شهر فقال لا أدرى فقال الرجل لكنى أدرى قال وما هو قال لأن القمر لا ينكسف إلا فيهن فأحب الله تعالى أن لا يحدث فى السماء آية إلا حدث فى الأرض مثلها وهذا أحسن ما قيل فيه وذكر ابن خلكان أن رجلا كان يجالس الشعبى ويطيل الصمت فقال الشعبى يوما ألا تتكلم فقال أصمت فأسلم وأسمع فأعلم أن حظ المرء فى أذنه له وفى لسانه لغيره وتكلم شاب يوما عند الشعبى بكلام فقال الشعبى ما سمعنا بهذا فقال الشاب أكل العلم سمعت قال لا قال فشطره قال نعم قال فاجعل هذا فى الشطر الذى لم تسمعه فأفحم الشعبى وأبو يوسف هو أول من دعى بقاضى القضاة وأول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التى هم عليها إلى هذا الزمان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئا واحدا لا يتميز أحد عن أحد بلباسه وحكى أن عبد الرحمن ابن مسهر كان قاضيا على بليدة بين بغداد وواسط يقال لها المبارك فبلغه خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضى فى الحراقة فقال عبد الرحمن لأهل المبارك اثنوا على عندهما فأبوا عليه فلبس ثيابه وتلقاهما وقال نعم القاضى قاضينا ثم مضى إلى موضع آخر وأعاد عليهما هذا القول فالتفت الرشيد إلى أبى يوسف وقال يا يعقوب قاض فى موضع لا يثنى عليه إلا رجل واحد بئس القاضى فقال أبو يوسف والعجب يا أمير المؤمنين أنه هو القاضى وهو يثنى على نفسه فضحك الرشيد وقال هذا أظرف الناس هذا لا يعزل أبدا توفى أبو يوسف فى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة وقيل غير ذلك وأنشد أبو السعادات المبارك بن الأثير لصاحب الموصل وقد زلت به بغلته

إن زلت البغلة من تحته * فإن فى زلتها عذرا
حملها من علمه شاهقا * ومن ندى راحته بحرا

وروى الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخ دمشق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن البغال كانت تتناسل وكانت من أسرع الدواب فى نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فدعا عليها فقطع الله نسلها (فائدة غريبة) روى عن إسمعيل بن حماد بن أبى حنيفة قال كان عندنا طحان رافضى له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحدهما فقتله فأخبر جدى أبو حنيفة بذلك فقال انظروا الذى رمحه فإنه الذى سماه عمر فنظروا فوجدوه كذلك وفى كامل ابن عدى فى ترجمة خالد بن يزيد العمرى المكى عن سفيان بن أبان عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ ركب بغلة فحادت به فحبسها وأمر رجلا أن يقرأ عليها قل أعوذ برب الفلق فسكنت وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا فى الدابة وفيه عنه أيضا أنه روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال من ولد له ثلاثة ولم يسم أحدهم محمدا فهو من الجفاء وإذا سميتموه محمدا فلا تسبوه ولا تعيبوه ولا تضربوه وشرفوه وكرموه وعظموه وبروا قسمه (فائدة) روى أبو داود والنسائى عن عبد الله بن زرير الغافى المصرى عن على رضى الله تعالى عنه قال أهديت لرسول الله ﷺ بغلة فركبها فقالوا لو حملنا الحمير على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله ﷺ إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون قال ابن حبان معناه الذين لا يعلمون النهى عنه وقال الخطابى يشبه أن يكون المعنى فى ذلك والله أعلم أن الحمير إذا حملت على الخيل تعطلت منافع الخيل وقل عددها وانقطع نماؤها والخيل يحتاج إليها للركوب والعدو والركض والطلب وعليها يجاهد العدو وبها تحرز الغنائم ولحمها مأكول ويسهم للفرس كما يسهم للرجل وليس للبغل شىء من هذه الفضائل فأحب النبى ﷺ أن ينمو

اسم ملك هو رقيب الليل قيل إنه جبريل عليه السلام وهو أشد الملائكة على الجن والسحرة فيطلع على الخلق بالليل ثلاثا بالأولى يبرد الجو وتعذب المياه وبالمرة الأخيرة طلوع الفجر واعتزاز النبات ونماء الزهور وترويح العليق وصدق الرؤيا التاسع عشر فردورميزروز عيد يسمى فردوميزجان لموافقة اسمه اسم الشهر وذلك جار فى كل شهر يعنى إذا كان اسم اليوم يوافق اسم الشهر كان عيدا وملوك الفرس اتخذوا هذا الشهر كله أعيادا وجعلوه أسداسا كل سدس خمسة أيام فالأول للملوك والثانى للأشراف والثالث لحرم الملوك والرابع للحاشية والخامس للعامة والسادس للرعاة وكان من رسم الأكاسرة أن يأمروا بأعلام الناس بجلوسه لهم عامة وفى اليوم الثانى لمن هو أرفع مرتبة كالدهاقين والمشايخ وأرباب البيوت وفى اليوم الثالث لأساورته وعظمائه وفى اليوم الرابع لأهل

عددا الخيل ويكثر نسلها لما فيها من النفع والصلاح فإذا كانت الفحول خيلا والأمهات حميرا فيحتمل أن لا يكون داخلا فى النهى إلا أن يتأول متأول أن المراد بالحديث صيانة الخيل من مزاوجة الحمير وكراهة اختلاط مائها بمائها لئلا يكون منها الحيوان المركب من نوعين مختلفين فإن أكثر الحيوانات المركبة من نوعين من الحيوان أخبث طبعا من أصولها التى تتولد منها وأشد شراسة كالسمع والعسبار ونحوهما ثم إن البغل حيوان عقيم ليس له نسل ولا نماء ولا يذكى ولا يزكى ثم قال ولا أرى لهذا الرأى طائلا فإن الله تعالى قال والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة فذكر البغال وامتن علينا بها كامتنانه بالخيل والحمير وأفرد ذكرها بالاسم الخاص الموضوع لها ونبه على ما فيها من الأرب والمنفعة والمكروه من الأشياء مذموم لا يستحق المدح ولا يقع الامتنان به وقد استعمل ﷺ البغل واقتناه وركبه حضرا وسفرا ولو كان مكروها لم يقتنه ولم يستعمله انتهى وروى مسلم عن زيد ابن ثابت رضى الله تعالى عنه قال بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة ونحن معه إذ حادت به فكادت أن تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال ﷺ من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا فقال متى مات هؤلاء قال ماتوا على الإشراك فقال ﷺ إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم عذاب القبر الذى أسمع منه ثم أقبل النبى ﷺ علينا بوجهه الكريم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر فقالوا نعوذ بالله من عذاب القبر فقال تعوذوا بالله من عذاب النار فقالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن فقالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن فقال تعوذوا بالله من فتنة الدجال فقالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال ﴿فائدة﴾ أخرى كانت بغلة رسول الله ﷺ الدلدل التى يركبها فى الأسفار أنثى كما أجاب به ابن الصلاح وغيره وعاشت بعده حتى كبرت وزالت أضراسها فكان يحش لها الشعير إلى أن ماتت بالبقيع فى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه وكانت شهباء ونقل الحافظ قطب الدين فى شرح السيرة عن شرح الجامع الكبير أنه لو حلف لا يركب بغلا فركب ذكرا أو أنثى يحنث لأنه اسم جنس وكذلك البغلة والهاء فيها للإفراد وهاء الإفراد تقع على الذكر والأنثى كالجرادة والنمرة وكذا لو حلف لا يركب بغلة فركب ذكرا أو أنثى حنث أيضا ثم قال وأجمع أهل الحديث على أن بغلة رسول الله ﷺ كانت ذكرا لا أنثى ثم عد للنبى ﷺ خمس بغال وقال السهيلى ومما ذكر فى غزوة حنين أن النبى ﷺ أخذ وهو على بغلته حفنة من البطحاء فرمى بها فى وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا وكانت البغلة ضربت ببطنها الأرض حتى أخذ الحفنة ثم قامت قال وتلك البغلة هى التى تسمى البيضاء وهى التى أهداها له فروة ابن نعامة وفى معجم الطبرانى الأوسط من حديث أنس رضى الله تعالى عنه قال لما انهزم المسلمون يوم حنين ورسول الله ﷺ على بغلته الشهباء التى يقال لها الدلدل فقال لها رسول الله ﷺ دلدل أسدى فألصقت بطنها بالأرض حتى أخذ النبى ﷺ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم وقال حم لا ينصرون قال فانهزم القوم وما رميناهم بسهم ولا طعناهم برمح ولا ضربناهم بسيف وفيه من حديث شيبة بن عثمان أن النبى ﷺ قال يوم حنين لعمه العباس ناولنى من البطحاء فأقفه الله تعالى البغلة كلامه فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الأرض فتناول رسول الله ﷺ من الحصباء فنفخ فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون ﴿تتمة﴾ روى الطبرانى وأبو نعيم من طرق صحيحة عن خزيمة بن أوس قال هاجرت إلى النبى ﷺ فقدمت عليه عند منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعته يقول هذه الحيرة قد

بيته وخاصته وفى اليوم الخامس لأولاده وكان يوصل إلى كل أحد فى كل يوم ما يستحقه من الإنعام والإكرام وفى اليوم السادس كان فارغا عن قضاء الحقوق لم يصل إليه إلا أهل أنسه وكان يأمر بإحضار الهدايا يتأملها (أردبيهشت ماه) اليوم الثالث منه أردبيهشت روز عيد يسمى أردبيهشت كان لاتفاق العيدين وأرد بيهشت اسم ملك النار والنور وكله الله تعالى بذلك على زعمهم وبإزالة العلل والأمراض وبالأدوية والأغذية واليوم السادس منه هو اشتاذ روز وهو أول الكنهبار والكنهبارات ستة كل واحد خمسة وهى أيام عبادات للمجوس وضعها زاردشت نبى المجوس (خردادماه) اليوم السادس منه خردادماه روز سمى خرداد كان لاتفاق الاسمين وهو اسم الملك الموكل بالنبات والأشجار يربيها ويدفع النجاسات عن المياه واليوم السادس والعشرون وهو اشتاد روز أول الكهنبار

رفعت إلى وأنكم ستفتحونها وهذه الشيماء بنت نفيل الأزدية على بغلة شهباء معتجزة بخمار أسود فقلت يارسول الله إن نحن دخلنا الحيرة فوجدناها على هذه الصفة فهى لى قال عليه الصلاة والسلام هى لك فأقبلنا مع خالد بن الوليد نريد الحيرة فلما دخلناها كان أول من تلقانا الشيماء بنت نفيل كما قال رسول الله ﷺ على بغلة شهباء معتجزة بخمار أسود فتعلقت بها وقلت هذه وهبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منى خالد عليها البينة فأتيته بها فسلمها لى ونزل إلينا أخوها عبد المسيح فقال لى أتبيعنيها فقلت نعم فقال احتكم ماشئت فقلت والله لا أنقصها عن ألف درهم فدفع لى ألف درهم فقيل لى لو قلت مائة ألف درهم لدفعها إليك فقلت لا أحسب مالا أكثر من ألف درهم قال الطبرانى ويلغنى أن الشاهدين كانا محمد بن مسلمة وعبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم (الحكم) يحرم أكل المتولد منها بين الحمار الأهلى والفرس لما روى جابر قال ذبحنا يوم حنين البغال والحمير والخيل فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمير والبغال ولم ينهنا عن الخيل ولأنه متولد بين مايحل ومايحرم فغلب جانب التحريم فإن تولد بين حمار وحشى وفرس حل وأما الحديث الذى رواه البزار بإسناد صحيح عن أبى واقد أن قوما مات لهم بغل ولم يكن لهم شىء غيره فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرخص لهم فيه فهذا محمول على أنهم كانوا مضطرين يحل لهم أكل الميتة (فرع) وإذا أوصى لزيد ببغلة لا تتناول الذكر على الأصح كما لا تتناول البقرة الثور والثانى تتناوله والهاء للوحدة كتمرة وزبيبة (الأمثال) قيل للبغل من أبوك قال الفرس خالى يضرب للمخلط فى أمره وقالوا أعقر من بغل وأعقم من بغلة وقالوا أعيب من بغلة أبى دلامة واسمه زند بن الجون كوفى أسود كان مولى لبنى أسد وكان صاحب نوادر فمنها أنه مرض له ولد فاستدعى طبيبا ليداويه وشرط له جعلا معلوما فلما برئ ولده قال له والله ماعندنا شىء نعطيك إياه ولكن ادع على فلان اليهودى بمقدار الجعل وكان ذا مال كثير وأنا وولدى نشهدك بذلك فمضى الطبيب إلى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وحمل إليه اليهودى وادعى عليه بذلك المبلغ فأنكر فقال ألك بينة قال نعم قال أحضرها فدخل أبو دلامة وهو ينشد والقاضى يسمع شعره :

إن الناس غطونى تغطيت عنهم * وإن بحثوا عنى ففيهم مباحث
وإن نبشوا بئرى نبشت بئارهم * ليعلم قوم كيف تلك النبائث

فلما شهدا عند القاضى قال لهما شهادتكما مقبولة وكلامكما مسموع ثم غرم المبلغ من عنده وجمع بين المصلحتين ومنها أنه خاصم رجلا إلى عافية بن يزيد القاضى فقال :

لقد خاصمتنى غواة الرجال * وخاصمتهم سنة وافيه * فما أدحض الله لى حجة
وما خيب الله لى قافيه * فما كنت من جوره خائفا * فلست أخافك ياعافيه

فقال له عافية لأشكونك لأمير المؤمنين قال ولم قال لأنك هجوتنى قال أبو دلامة إن شكوتنى ليعزلنك قال ولم قال لأنك لا تعرف الهجاء من المدح ومنها ماقاله الإمام أبو الفرج بن الجوزى روى أن أبا دلامة دخل على المهدى فأنشده قصيدة فقال له سلنى حاجتك فقال ياأمير المؤمنين هب لى كلبا فغضب المهدى وقال أقول لك سلنى حاجتك فتقول هب لى كلبا فقال ياأمير المؤمنين الحاجة لى أم لك قال بل لك قال فإنى أسألك أن تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال ياأمير المؤمنين هبنى خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال ياأمير المؤمنين فمن يقوم عليها فأمر له بغلام فقال ياأمير المؤمنين هبنى صدت صيدا فأتيت به المنزل فمن يطبخه لى فأمر له بجارية فقال ياأمير المؤمنين هؤلاء أين يبيتون فأمر له بدار فقال ياأمير المؤمنين قد صار فى عنق جماعة من

الرابع فيه خلق الله النبات والأشجار واليوم الثلاثون هو نيران روز هو آب ريز كان يعنى عيد الاغتسال (تيرماه) اليوم السادس منه وهو يوم خردا دعيد يسمى جشن نيلوفر وهو مستحدث واليوم الثالث عشر منه نيروز يسمى النير كان لاتفاق الاسمين ذكروا أن فى هذا اليوم طلب منوجهر من أفراسياب لما تغلب على إيران شهر أن يردها عليه فأنعم عليه بها وكان منوجهر متحصنا بطبرستان واليوم السادس عشر مهر روز مهر اسم الشمس هو أول الكهنيار الخامس زعموا أنه يوم خلق الله تعالى فيه البهائم (شهريرماه) السادس عشر منه مهر روز عيد عظيم الشأن يعرف بالمهرجان لأن اسمه موافق لاسم الشهر وكانت الأكاسرة فى هذا اليوم يلبسون أبناءهم تاج الذهب الذى كان عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها الآن مهر اسم الشمس وذكروا أن هذا يوم خروج أفريدون

العيال فمن أين لى ما يقوت هؤلاء قال فإن أمير المؤمنين قد أقطعك ألف جريب عامرا وألف جريب غامرا فقال أما العامر فقد عرفته فما الغامر قال الخراب الذى لا شىء فيه فقال أنا أقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب غامرة بالبدو ولكنى أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريبا واحدا عامرا قال من أين قال من بيت المال فقال المهدى حولوا المال وأعطوه جريبا فقال يا أمير المؤمنين إذا حولوا منه المال صار عامرا فضحك المهدى منه وأرضاه قلت وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى الأذكياء بسنده عن محمد بن إسحاق السراج قال أنبأنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن عدى بأى شىء استحق سعيد بن عبد الرحمن أن ولاه المهدى القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة قال إن خبره لظريف فإن أحببت شرحته لك قلت قد والله أحببت ذلك قال اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدى فقال استأذن لى على أمير المؤمنين فقال الربيع من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرنى له فقال له الربيع يا هذا إن القوم لا يصدقون ما يرونه لأنفسهم فكيف ما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه تكون أدر عليك من هذه فقال إن لم تخبره بمكانى وإلا سألت من يوصلنى إليه وأخبره إنى سألتك الإذن عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى وقال له يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم وقد احتالوا لكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا صنع الملوك فماذا؟ قال رجل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحب أن يقصها على أمير المؤمنين فقال له المهدى ويحك يا ربيع إنى والله قد أرى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف إذا ادعاها لى من لعله افتعلها قال قد قلت له والله مثل هذا فلم يقبل قال فهات الرجل فأدخل عليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رواء وجمال وثروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له المهدى هات بارك الله عليك ما رأيت قال يا أمير المؤمنين رأيت كأن آتيا أتانى فى منامى فقال لى اخبر أمير المؤمنين أنه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك أن يرى فى ليلته هذه فى منامه كأنه يقلب ياقوتا فيعده فيجده ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له فقال له المهدى ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به فإن كان الأمر كما ذكرته أعطيناك ما تريد وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت فقال له سعيد يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة إذا صرت إلى منزلى وعيالى وأخبرتهم إنى كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفر اليدين فقال له المهدى فكيف نصنع فقال تعجل لى يا أمير المؤمنين ما أحب وأحلف لك بالطلاق إنى صادق فى رؤياى فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل فمد عينيه فرأى خادما واقفا على رأس المهدى حسن الوجه والزى فقال هذا يكفلنى فقال له المهدى أتتكفل به فاحمر وجهه وخجل وقال نعم أتكفله وانصرف سعيد بالمال فلما كان فى تلك الليلة رأى المهدى ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب قائما واستأذن فأذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال له أين مصداق ما قلت فقال له سعيد أو ما رأى أمير المؤمنين شيئا فتلجلج فى جوابه فقال له سعيد امرأته طالق إن لم تكن رأيت شيئا فقال له المهدى ويحك ما أجرأك على الحلف بالطلاق قال لأنى أحلف على صدق فقال المهدى قد والله رأيت ذلك بينا فقال سعيد الله أكبر انجز لى يا أمير المؤمنين ما وعدتنى فقال له حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب وثلاثة مراكب من أنفس دوابه وقال غيره ثلاث بغال شهب فأخذ ذلك وانصرف فلحقه الخادم الذى كان تكفل به وقال له سألتك بالله الذى لا إله إلا هو هل كان لتلك الرؤيا التى ذكرت حقيقة فقال له سعيد لا والله فقال له وكيف ذلك وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته له فقال

بعد أن أهلك الضحاك بيوراسف وكل من كان ينسب إلى جمشيد، وفريدون وضعته أمه فى غار وتركته وكانت تأتيه بقرة وحش فترضعه حتى وثب على الضحاك وطرده وخرج أفريدون ونزلت الملائكة لعونه وذكروا أن فى هذا اليوم دحا الله الأرض وجعل الأجساد قرار الأرواح وقالوا من أكل يوم المهرجان شيئا من الرمان وشم ماء الورد دفع عنه آفات كثيرة واليوم الحادى والعشرون هو رام روز وهو اليوم الذى ظفر فيه أفريدون بالضحاك وأسره فقال لأفريدون لا تقتلنى فأجابه إلى ذلك وحبسه بجبل نهاوند مسلسلا فى غار فيه (أبان ماه) اليوم العاشر منه أبان روز يسمى أبان كان لاتفاق الاسمين قالوا فيه أمر بعمارة الأرض وحفر أنهارها واتصل الخبر بالأقاليم السبعة والخمسة الأخيرة من هذا الشهر أولها اشتاد روز تسمى الفزروجان فيها وكانوا يصنعون فيها الأطعمة والأشربة فى النواويس على

هذه من المخاريق الكبار التى لا يؤبه لها أمثالكم وذلك أنى لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واشرأب به قلبه واشتغل به فكره فساعة ما نام خيل له ما كان فى قلبه مما شغل به فكره فرآه فى منامه فقال له الخادم فقد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معى على اثنتين فأزيد فى المهر عشرة دراهم وأحصل على عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من أصناف الثياب وثلاثة مراكب فبهت الخادم فى وجهه وتعجب من أمره فقال له سعيد قد والله صدقتك وجعلت صدقتى لك مكافأتك على كفالتك لى فاستر ذلك على ففعل ثم إن المهدى طلبه لمنادمته فجعل ينادمه ويحظى عنده وقلده القضاء على عسكره فلم يزل كذلك حتى مات المهدى ثم قال ابن الجوزى هكذا رويت لنا هذه الحكاية وإنى لمرتاب من صحتها وما أبعد هذا أن يحكى عن قاض من القضاة ﴿قلت﴾ وقد سئل الإمام أحمد عن سعيد بن عبد الرحمن هذا فقال ليس به بأس، وقال يحيى بن معين هو ثقة وإنما اتهم بهذا الهيثم ابن عدى فقد قال يحيى بن معين الهيثم ليس بثقة كان يكذب وقال على بن المدينى لا أرضاه فى شىء وقال أبو داود العجلى الهيثم كذاب وقال إبراهيم بن يعقوب الجرجانى الهيثم ساقط قد كشف قناعه وقال أبو زرعة ليس بشىء وفى كتاب الفرج بعد الشدة عن رجل من الجند قال خرجت من بعض بلدان الشأم أريد قرية من قراها فلما صرت فى بعض الطريق وقد سرت عدة فراسخ لحقنى التعب وكان معى بغلة عليها خرجى وقماشى وكان قد قرب المساء فإذا بدير عظيم وفيه راهب فى صومعة فنزل إلى واستقبلنى وسألنى المبيت عنده وأن يضيفنى ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيره فأخذ بغلتى وطرح لها شعيرا وعزل رحلى فى بيت وجاءنى بماء حار وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط وأوقد بين يدى نارا عظيمة وجاء بطعام طيب فأكلت ومضت قطعة من الليل فأردت النوم فسألته عن طريق المستراح فدلنى عليه وكنا فى غرفة فنزلت ومشيت فلما صرت على باب المستراح إذا بارية عظيمة فلما صارت رجلاى عليها سقطت فإذا أنا بالصحراء وإذا البارية كانت مطروحة على غير سقف وكان الثلج يسقط سقوطا عظيما فصحت بالراهب فلم يكلمنى فقمت وقد تجرح بدنى إلا أنى سالم فجئت فاستظللت بطاق باب الدير من الثلج فإذا حجارة قد أتتنى لو تمكنت من دماغى لطحنته فخرجت أعدو وأصيح فشتمنى فعلمت أنى أتيت من جانبه وأنه طمع فى رحلى فلما خرجت من ظل الدير وقع الثلج على وبل ثيابى فنظرت فإذا أنا تالف من البرد والثلج فولدلى الفكر أن أخذت حجرا قريبا من ثلاثين رطلا فوضعته على عاتقى وجعلت أعدو به فى الصحراء شوطا طويلا حتى يأخذنى التعب فإذا تعبت وحميت وعرقت طرحت الحجر وجلست أستريح فإذا سكنت وأخذنى البرد تناولت الحجر وعدوت به فلم أزل على تلك الحالة إلى الصبح فلما كان قبل طلوع الشمس وأنا خلف الدير إذ سمعت حس باب الدير وقد فتح وإذا بالراهب قد خرج وجاء إلى الموضع الذى سقطت منه فلم يرنى فقال ياقوم ما فعل وأنا أسمعه ثم مشى خلفته إلى باب الدير ودخلت الدير وهو دائر يطلبنى حول الدير ووقفت خلف الباب وكان فى وسطى خنجر لم يشعر به الراهب فطاف حول الدير فلما لم يقف لى على علم ولا خبر ولا عرف لى أثر عاد ودخل الدير وأغلق الباب فجئت عليه ووجأته بالخنجر فصرعته وذبحته وأغلقت باب الدير وصعدت إلى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك وطرحت على من رحلى ثيابا كثيرة وأخذت كساء الراهب فنمت فيه فما أفقت إلى قرب العصر فلما انتبهت طفت الدير حتى وقفت على طعام فأكلت منه وسكنت نفسى ووقعت بمفاتيح بيوت الدير فوقفت أفتح بيتا بيتا فإذا أموال عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات ورحال قوم وأخراجهم اوحمولاتهم وإذا الراهب كان من عادته ذلك مع كل من يحتاز به وحيدا ويتمكن منه قال فتحيرت فى نفسى ولم أدر كيف أعمل فى نقل المال فلبست من

ظهورها يزعمون أن أرواح موتاهم تخرج فى هذه الأيام من مواضع ثوابها وعقابها فتأتيها وتنسف قوتها ويدخنون بيوتهن بالراسن لتستلذ الموتى برائحته (آذرماه) اليوم الأول منه هو يوم هرمز فيه ركوب الكوسج وهو سنة لهم كان يركب فى هذا اليوم رجل كوسج حمارا فى أطمار من الثياب وقد تناول الأطعمة الحارة والأشربة المسخنة وطلى بدنه بالأدوية وفى يده مروحة يتروح بها ويقول الحر الحر والناس يتضاحكون ويرمونه بالثلج والجمد فيصيب بذلك خيرا من الناس وبقى بذلك فى عقبه إلى أن ضرب السلطان على ذلك ضربته وكان مع الكوسج نقيع المغرة وهى طين أحمر يلطخ به ثياب من لم يسمح له بشىء وفى هذا اليوم استخرج اللؤلؤ من البحر ولم يكن يعرف قبل ذلك قالوا إنه يوم قضى الله فيه الخير والشر وزعموا أن من طعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام سفرجلا وشم اترنجا سعد فى سائر سنته واليوم التاسع

ثياب الراهب شيئا وأقمت فى صومعته أياما أتراءى لمن يجتازبى من بعيد لئلا يشكوا أنى أنا هو فإذا قربوا منى لم أبرز إليهم وجهى إلا أن أخفى أثرى فنزعت ثياب الراهب وأخذت جوالقين كانا فى الدير من تلك الأمتعة وجعلتهما على ظهر البغلة وذهبت إلى قرية قريبة من الدير فاكتريت بها منزلا ولم أزل أنقل إليه على البغلة حتى أخذت الصامت كله مما خف حمله وكثرت قيمته ولم أدع فيه إلا الأمتعة الثقيلة فاكتريت عدة دواب ورجال وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ماقدرت عليه وسرت فى قافلة عظيمة بغنيمة هائلة حتى قدمت على بلدى وقد حصلت على مال عظيم وقد ذكر هذه الحكاية الحافظ ابن شاكر فى تاريخه عن أبى محمد البطال وفيها بعض مخالفة (الخواص) إذا جفف قلب البغل ونحت وسقى من نحاتته امرأة لم تحبل أبدا وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبدا وإن علقته فى جلد بغل عليها لم تحبل أبدا مادام عليها ورماد حافره إذا سحق وعجن بدهن الآس وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الذى لاينبت فيه شعر نبت الشعر وإذا دفن حافر البغلة السوداء أو دمها تحت عتبة باب لم يقربه فار وإذا بخر البيت بحافر بغلة ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام ونقل ابن زهر عن سقراطيس أن من كان عاشقا وأحب أن يزول عشقه فليتمرغ فى مراغة بغل ذكر إن كان عشقه من ذكر وإن كان عشقه من أنثى ففى مراغة بغل أنثى وزبله إذا شمه المزكوم وتفل عليه ورماه على الطريق فمن تخطاه انتقل الزكام إليه وبرئ التافل عليه وقال هرمس إذا أخذ وسخ أذن البغل فى بندقة من فضة وعلق على الحبالى منعهن الولادة مادام عليهن وإذا سقى منه إنسان فى نبيذ سكر من وقته وإن شربت امرأة من بول بغل مقدار ثلاثين درهما لم تحبل أبدا وإن سقيت المرأة الحامل من دماغ بغل شيئا جاء ولدها مجنونا وقال ابن بختيشوع عرق البغلة إذا تحملت به امرأة فى قطنة لم تحبل أبدا (التعبير) البغل فى المنام يدل على السفر براكبه وعلى طول العمر ويعبر أيضا بولد زنا لا أصل له فمن ركب بغلا ولم يكن من المسافرين فإنه يقهر رجلا شديدا والبغلة مرتبة وقيل امرأة عاقر فالسوداء ذات مال والبيضاء ذات حسب وقيل البغلة أيضا سفر فمن نزل عن بغلته نزول مفارقة نزل عن مرتبته أو فارق زوجته التى هى مركبه أو يطول سفره والله أعلم.

﴿البغيبغ﴾ تيس الظباء السمين وسيأتى إن شاء الله تعالى مافيه فى الظبى فى حرف الظاء

﴿البقر الأهلى﴾ اسم جنس يقع على الذكر والأنثى وإنما دخلته الهاء للوحدة والجمع بقرات قال الله تعالى سبع بقرات سمان قال المبرد فى الكامل إذا أردت التمييز قلت هذا بقرة للذكر وهذه بقرة للأنثى كما تقول هذا بطة للذكر وهذه بطة للإنثى والبقر والبقران والباقر جماعة البقر مع رعاتها والبيقور الجماعة قال الشاعر:

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة * ذريعة لك بين الله والمطر

وأهل اليمن يسمون البقر باقورة كتب النبى ﷺ إليهم كتاب الصدقة فى كل ثلاثين باقورة بقرة واشتق هذا الاسم من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحراثة ومنه قيل لمحمد بن على زين العابدين بن الحسين الباقر لأنه بقر العلم أى شقه ودخل فيه مدخلا بليغا وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ذكر فتنة كوجوه البقر يشبه بعضها بعضا ذهبوا إلى قوله تعالى إن البقر تشابه علينا وفيه أيضا رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس وروى الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه سمعت النبى ﷺ يقول إن طالت بك حياة يوشك أن ترى قوما يغدون فى سخط الله ويروحون فى لعنته فى أيديهم مثل أذناب البقر وفيه أيضا بينما رجل يسوق بقرة إذ تكلمت فقالوا سبحان الله بقرة تتكلم قال آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر وفى

هو آذور روز عيد يسمى آذر جشن لاتفاق الاسمين وفيه اصطلوا بالنار وآذر اسم الملك الموكل بجميع النيران وقد أمر زرادشت أن تزار فى هذا اليوم بيوت النيران وتقرب القرابين ويشاور فى أمور العالم (دى ماه) ويسمى أيضا جرماه اليوم الأول منه يسمى حزم روز وهو اسم الله تعالى وكان الملك فى هذا اليوم ينزل عن سرير الملك ويلبس الثياب البيض ويرفع الحجاب ويترك هيئة الملك وينظر فى مصالح الناس ويخاطبه كل من شاء من الوضيع والشريف ويجالس الدهاقين المزارعين ويواكلهم ويقول أنا كواحد منكم ولا قوام للدنيا إلا بالعمارة التى تجرى على أيديكم وقوام العمارة بالملك لا غنى لأحدهما عن الآخر ونحن كأخوين متلازمين واليوم الحادى عشر أول الكهنبار الأول وفيه خلق الله السموات واليوم الربع عشر زور كوش فيه عيد يسمى عيد سيرسو يتناول فيه الثوم والخمر ويطبخ فيه

سنن أبي داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة قال الترمذي حديث حسن وهو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفا وفي سنن أبي داود من حديث عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم وفي نهاية الغريب في باب السين المهملة وفي الحديث ما دخلت السكة دار قوم إلا ذلوا والسكة هي التي يحرث بها الأرض أي إن المسلمين إذا أقبلوا على الزراعة شغلوا عن الغزو فيأخذهم السلطان بالمطالبات والجبايات وقريب من هذا الحديث قوله ﷺ العز في نواصي الخيل والذل في أذناب البقر والبقر حيوان شديد القوة كثير المنفعة خلقه الله ذلولا ولم يخلق له سلاحا شديدا كما للسباع لأنه في رعاية الإنسان فالإنسان يدفع عنه ضرر عدوه فلو كان له سلاح لصعب على الإنسان ضبطه والبقر الأجم يعلم أن سلاحه في رأسه فيستعمله في محل القرن كما يرى في العجاجيل قبل نبات قرونها تنطح برءوسها تفعل ذلك طبعا وهي أجناس فمنها الجواميس وهي أكثرها ألبانا وأعظمها أجساما قال الجاحظ الجواميس ضأن البقر وهذا يقتضي أنها أطيب وأفضل من العراب حتى أنها تكون مقدمة عليها في الأضحية كما يقدم الضأن فيها على المعز وقال الزمخشري في ربيع الأبرار أشراف السباع ثلاثة الأسد والنمر والببر وأشراف البهائم ثلاثة الفيل والكركدن والجاموس ومنها العراب وهي جرد ملس الألوان ومنها نوع آخر يقال له الدربانة بدال مهملة ثم راء ثم باء موحدة ثم نون وهي التي تنقل عليها الأحمال وربما كانت لها أسنمة والبقر ينزو ذكورها على أناثها إذا تم لها سنة من عمرها في الغالب وهي كثيرة المني وكل الحيوان إناثه أرق صوتا من ذكوره إلا البقر فإن الأنثى أفخم وأجهر وهي تقلق إذا ضربها الذكر وتلتوي تحته لا سيما إذا أخطأ المجرى لصلابة ذكره وهي إذا اشتاقت للذكر نفرت وأتعبت الرعاة وبأرض مصر بقر يقال لها بقر الخيس طوال الرقاب قرونها كالأهلة وهي كثيرة اللبن وقال المسعودي رأيت بالري بقرا تبرك كما تبرك الإبل وتثور بحملها كما تثور وليس لجنس البقر ثنايا عليا فهي تقطع الحشيش بالسفلى ﴿فائدة﴾ في آخر كتاب المجالسة لأحمد ابن مروان المالكي الدينوري بإسناده إلى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال مر موسى عليه السلام ببقرة قد اعترض ولدها في بطنها فقالت يا كلمة الله ادع الله أن يخلصني فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها فألقت ما في بطنها قال فإذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها هذا وأسند عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال إذا عسر على المرأة ولدها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونه ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون قلت وهذا بعض حديث رواه الطبراني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب السموات والأرض ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا هما إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها برحمتك يا أرحم

النبات باللحم الذي يتحرز به عن الشياطين وبها يتداوى من العلل المنسوبة إلى الأرواح السوء واليوم الخامس عشر وهو سمهور روز عيد يتخذ فيه شخص من عجين أو طين على هيئة إنسان يوضع في مداخل الأبواب ويخدم خدمة الملوك ثم يحرق وفي هذا اليوم اتفق فطام افريدون وركوب الثور وزعموا أن من أطعم صبيحة هذا اليوم قبل الكلام تفاحا وشم نرجسا عاش سنته بخير وخصب وأن التدخين في ليلته بالسوسن أمان في العام من القحط والفقر واليوم السادس عشر هو مهرروز عيد كاوكيل زعموا أن جمعا من الفرس تخلصوا في هذا اليوم من بلاد الترك وساقوا البقر التي سبيت منهم وزعموا أن في ليلة هذا اليوم يظهر ثور عجلة القمر وهو ثور قرناه من ذهب وقوائمه من فضة يظهر ساعة ثم يغيب والموفق لرؤيته مجاب الدعوة في ساعة النظر إليه (بهمن ماه) اليوم الثاني منه بهمن

الراحمين ومما جرب لعسر الولادة أن يكتب ويسقى للمطلقة وهو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد إلى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق إلى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الناس إلى آخرها بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت اللهم يا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس يا عليم يا قدير خلص فلانة مما فى بطنها من ولدها خلاصا فى عافية إنك أرحم الراحمين ﴿فائدة أخرى﴾ روى صاحب الترغيب والترهيب والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ملكا من الملوك خرج من بلده يسير فى مملكته وهو مستخف من الناس فنزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك الليلة البقرة فحلبت مقدار ثلاثين بقرة فعجب الملك من ذلك وحدث نفسه بأخذها فلما كان من الغد غدت البقرة إلى مرعاها ثم راحت فحلبت نصف ذلك فدعا الملك صاحبها وقال له أخبرنى عن بقرتك هذه لم نقص حلابها ألم يكن مرعاها اليوم مرعاها بالأمس قال بلى ولكن أرى الملك أضمر لبعض رعيته سوءا فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو هم بظلم ذهبت البركة قال فعاهد الملك ربه أن لا يأخذها ولا يظلم أحدا قال فغدت فرعث ثم راحت فحلبت حلابها فى اليوم الأول فاعتبر الملك بذلك وعدل وقال إن الملك إذا ظلم أو هم بظلم ذهبت البركة لا جرم لا عدلن ولا كونن على أفضل الحالات وذكرها ابن الجوزى فى كتاب مواعظ الملوك والسلاطين على غير هذا الوجه فقال خرج كسرى فى بعض الأيام للصيد فانقطع عن أصحابه وأظلته سحابة فأمطرت مطرا شديدا حال بينه وبين جنده فمضى لا يدرى أين يذهب فانتهى إلى كوخ فيه عجوز فنزل عندها وأدخلت العجوز فرسه فأقبلت ابنتها ببقرة قد رعتها فاحتلبتها فرأى كسرى لبنها كثيرا فقال ينبغى أن نجعل على كل بقرة خراجا فهذا حلاب كثير ثم قامت البنت فى آخر الليل لتحلبها فوجدتها لا لبن فيها فنادت يا أماه قد أضمر الملك لرعيته سوءا قالت أمها وكيف ذلك قالت إن البقرة ما تبز بقطرة لبن فقالت لها أمها اسكتى فإن عليك ليلا فأضمر كسرى فى نفسه العدل والرجوع عن ذلك العزم فلما كان آخر الليل قالت لها أمها قومى احلبى فقامت فوجدت البقرة حافلا فقالت يا أماه قد والله ذهب ما فى نفس الملك من السوء فلما ارتفع النهار جاء أصحاب كسرى فركب وأمر بحمل العجوز وابنتها إليه فأحسن إليهما وقال كيف علمتما ذلك فقالت العجوز أبا بهذا المكان منذ كذا وكذا ما عمل فينا بعدل إلا أخصبت أرضنا واتسع عيشنا وما عمل فينا بجور إلا ضاق عيشنا وانقطعت مواد النفع عنا وذكر الإمام الطرطوشى فى سراج الملوك أنه كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرادب تمرا ولم يكن فى ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل فى ذلك العام ولا تمرة واحدة قال الطرطوشى وقال لى شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة فى الغربية تجنى عشرة أرادب ستين ويبة وكان صاحبها يبيع فى سنى الغلاء كل ويبة بدينار وذكر ابن خلكان فى ترجمة جلال الدولة ملك شاه السلجوقى أن واعظا دخل عليه فكان من جملة ما وعظ به أن بعض الأكاسرة اجتاز منفردا عن عسكره على باب بستان فتقدم إلى الباب وطلب ماء يشربه فخرجت له صبية بإناء فيه ماء قصب السكر والثلج فشربه فاستطابه فقال لها هذا كيت يعمل فقالت له إن القصب يزكو عندنا حتى نعصره بأيدينا فيخرج منه هذا الماء فقال ارجعى واعصرى شيئا آخر وكانت الصبية غير عارفة به فلما ولت قال فى نفسه الصواب أن أعوضهم غير هذا المكان وأصطفيه لنفسى فما كان بأسرع من خروجها باكية وقالت إن نية سلطاننا قد تغيرت قال ومن أين علمت ذلك قالت كنت آخذ من هذا ما أريد يغير تعب والآن قد اجتهدت فى عصره فلم أستطع فرجع عن تلك النية ثم قال لها ارجعى الآن فإنك تبلغين الغرض وعقد فى نفسه أن

روز عيد يسمى بهمنجه لاتفاق الاسمين وهو الملك الموكل بالبهائم التى يحتاج الناس إليها للعمارة وأهل فارس كانوا يطبخون فيه قدورا يجمعون فيها من كل حب ولحم ويشربون فيه اللبن ويزعمون أن ذلك يصلح للحفظ ولهذا اليوم خاصية فى لقط الأدوية من الجبال والأدوية واتخاذ الأدهان وتهيئة البخور والدخن وزعموا أن ذلك وضع جاماسب الوزير ونفعها بين واليوم الخامس وهو يوم اسفندارمذ عيد يسمى نوسده ومعناه البندق الجديد وهو من مآثر هوراسف واليوم العاشر وهو أبان يسمى أبان عيد ويسمى السدق وتفسيره المائة قيل إنه إنما سمى سدقا لأنه بقى إلى آخر السنة مائة يوم وقيل لأنه تم فى هذا اليوم عدد المائة من الآب الأول وهو كيومرت قالوا إن الشتاء يخرج من جهنم إلى الدنيا فى هذا اليوم والناس فى هذا اليوم يوقدون نيرانا وينحرون قرابين لدفع مضرته حتى صار من

رسم الملوك فى هذه الليلة إيقاد النيران وإرسال الطيور والوحش وقد شدوا فيها باقات من الشوك مشتعلة مع الشرب والتلهى واليوم الثلاثون وهو أنيران روز عيد يسمى إبريزكان بأصبهان وتفسيره صب الماء والسبب فيه أن القطر احتبس فى زمان فيروز جد أنوشروان وأجدب الناس فترك فيروز الخراج وفتح الخزائن واستدان من بيوت النيران وجاد بها على الرعية وتفقدهم تفقد الوالد لولده حتى لم يمت فى تلك السنين أحد جوعا ثم صلى ودعا الله تعالى بإزالة ذلك عن الخلق ودخل بيت النار وأدار يده وساعده حوالى اللهيب وضمه إلى صدره ثلاث مرات ضم الصديق صديقه وبلغ اللهيب لحيته ولم تحترق وكان ذا لحية كثة ثم قال اللهم إن كان هذا الاحتباس من أجلى وسوء سيرتى فبين لى حتى أخلع نفسى وإن كان لغيرى فبين لى وأزل عن أهل الدنيا ذلك وجد عليهم بالمطر ثم خرج من بيت النار فارتفعت سحابة وأقبلت

لا يفعل ما تواه فذهبت ثم جاءت ومعها ما شاءت من ماء القصب وهى مستبشرة قال وكان ملك شاه من أحسن الملوك سيرة حتى لقب بالملك العادل وكان قد أبطل المكوس والخفارات فى جميع البلاد فكثر الأمن فى زمانه وكان قد ملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام وكان لهجا بالصيد قيل إنه ضبط ما اصطاده بيده فكان عشرة آلاف فتصدق بعشرة آلاف دينار وقال إنى خائف من الله تعالى من إزهاق الأرواح لغير مأكلة وكان كلما اصطاد صيدا يتصدق بدينار وقيل إنه خرج مرة من الكوفة فاصطاد فى طريقه وحشا كثيرا فبنى هناك منارة من حوافر حمر الوحش وقرون الظباء التى صادها فى تلك الطريق قال - يعنى ابن خلكان - والمنارة باقية إلى الآن تعرف بمنارة القرون وكانت وفاته ببغداد سادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة ومن عجيب الاتفاق أن المقتدى بالله كان قد بايع لولده المستظهر بولاية العهد من بعده فلما دخل ملك شاه بغداد المرة الثالثة ألزم المقتدى أن يعزل ولده المستظهر ويجعل ولده جعفرا الذى رزقه من ابنته ولى العهد ويخرج المقتدى إلى البصرة فشق ذلك على المقتدى وبالغ فى استنزال ملك شاه عن هذا الرأى فلم يفعل فسأله المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله فجعل المقتدى يصوم ويطوى وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار وهو يدعو على السلطان ملك شاه فمرض ملك شاه ومات فى تلك الأيام ولم تشهد له جنازة ولا صلى عليه أحد فى الصورة الظاهرة وحمل فى تابوته إلى أصبهان ودفن بها وأما البقرة التى أمر الله تعالى بنى إسرائيل بذبحها فقصتها مشهورة وستأتى الإشارة إلى شىء منها فى باب العين فى لفظ العجل إن شاء الله تعالى فسبحان من فاوت بين الخلق قيل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام اذبح ولدك فتله للجبين وقيل لبنى إسرائيل اذبحوا بقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون وخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه من جميع ماله وبخل ثعلبة بن حاطب بالزكاة وجاد حاتم فى حضره وأسفاره وبخل الحباحب بضوء ناره وكذلك فاوت بين الفهوم فسحبان أنطق متكلم وباقل أعجز من أخرس وفاوت بين الأماكن فزرود تشكو العطش والبطائح تشكو الغرق ﴿غريبة﴾ كانت العرب إذا أرادت الاستسقاء فى السنة الأزمة جعلت النيران فى أذناب البقر وأطلقوها فتمطر السماء لأن الله تعالى يرحمها بسبب ذلك قال الشاعر فى ذلك :

أجاعل أنت بيقوراً مسلعة * ذريعة لك بين الله والمطر

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى يذكر ذلك :

سنة أزمة تخيل للنا * س ترى للعضاه فيها صريرا
لا على كوكب ينوء ولا ريح * جنوب ولا ترى طخرورا
ويسوقون باقر السهل للطو * د مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران فى هلب الأذ * ناب منها لكى تهيج البحورا
سلع ما ومثله عشر ما * ئل ما وعالت البيقورا

وحكى فى الإحياء أن شخصا كانت له بقرة يحلبها ويخلط فى لبنها الماء ويبيعه فجاء سيل فغرق البقرة فقال له بعض أولاده إن تلك المياه المتفرقة التى صببناها فى اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة وروى الخلال فى المجلس التاسع من مجالسه عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن بقرة انفلتت على خمر فشربت منه فذبحوها ثم أتوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال كلوها أو لا بأس بها (الحكم) يحل أكلها وشرب ألبانها إجماعا وفى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال سمن البقر وألبانها شفاء ولحمها داء ورواه ابن عدى فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ابن عباس رضى الله تبارك وتعالى عنهما بمعناه وفى الصحيح عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم ضحى عن نسائه بالبقر وروى الطبرانى عن

زهير قال حدثتنى امرأة من أهلى عن مليكة بنت عمرو الزيدية من ولد زيد بن عبد الله بن سعد قالت اشتكيت وجعا فى حلقى فأتيتها تعنى مليكة بنت عمرو فوصفت لى سمن بقر وقالت إن رسول الله ﷺ قال ألبانها شفاء وسمنها داء ولحمها دواء والمرأة التابعية لم تسم وبقية رجاله ثقات وفى المستدرك من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال عليكم بألبان البقرة وأسمانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وأسمانها دواء ولحومها داء ثم قال صحيح الإسناد وروى الحاكم أيضا وابن حبان عن ابن مسعود أيضاً أن النبى ﷺ قال ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء جهله من جهله وعلمه من علمه وفى ألبان البقر شفاء من كل داء فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل الشجر أى تأكل وفى رواية ترتم وهى بمعناها ورواه ابن ماجه عن أبى موسى خلا ذكر ألبان البقر ورواه بتمامه البزار وفيه محمد بن جابر بن سيار وهو صدوق عند الأكثرين وضعيف عند غيرهم وبقية رجاله ثقات ورواه الحاكم أيضاً فى تاريخ نيسابور من حديث عبد الله بن المبارك عن أبى حنيفة عن قيس ابن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود وفى كتاب ابن السنى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال لم يستشف الناس بشىء أفضل من السمن وإذا أوصى ببقرة لم يتناول الثور على الأصح لأن لفظها موضوع للأنثى والثانى يتناوله والهاء للوحدة قال الرافعى وقياس تكميل البقر بالجواميس فى الزكاة دخولها هنا وفى العمدة والكفاية لا تدخل إلا إذا قال من بقرى وليس له إلا الجواميس ولو لم يكن إلا بقرات وحش فوجهان كما ذكرنا فى الظباء والإبل وأما زكاتها ففى كل ثلاثين منها سائمة تبيع ابن سنة وفى كل أربعين مسنة لها سنتان لما روى مالك عن طاوس أن معاذ بن جبل رضى الله عنه أخذها كذلك وأتى بما دون ذلك فلم يأخذ منها شيئا وسمى تبيعا لأنه يتبع أمه فى المسرح وقيل لأن قرنه يتبع أذنه لو أخرج تبيعة أجزأته بل هى أولى للأنوثة وسميت مسنة لتكامل سنها فلو أخرج عن أربعين تبيعين أجزأه على الصحيح وقال البغوى لا لأن العدد لا يقوم مقام السن ﴿فائدة﴾ فى الحلية فى ترجمة مكرمة قال كانت القضاة فى بنى إسرائيل ثلاثة فمات أحدهم فولى غيره مكانه ثم قضوا ما شاء الله أن يقضوا ثم بعث الله لهم ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقى بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعا الملك وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة فتخاصما فجاء إلى القاضى الأول فدفع إليه الملك درة كانت معه وقال له احكم بأن العجلة لى قال بماذا أحكم قال أرسل الفرس والبقرة والعجلة فإن تبعت الفرس فهى لى فأرسلها فتبعت الفرس فحكم له بها وأتيا القاضى الثانى فحكم كذلك وأخذ درة وأما القاضى الثالث فدفع له الملك درة وقال احكم بيننا قال إنى حائض قال الملك سبحان الله أيحيض الذكر قال سبحان الله أتلد الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها ﴿قلت﴾ هؤلاء كما قال نبينا ﷺ قاضيان فى النار وقاض فى الجنة (الأمثال) قالوا تركت زيدا بملاحس البقر أولادها أى بحيث تلحس البقر أولادها يعنون المكان القفر وقالوا الكلاب على البقر وسيأتى معناه فى باب الكاف إن شاء الله تعالى (الخواص) شحم البقر إذا بخر به البيت مع زرنيخ أحمر طرد منه العقارب والحيات وسائر الهوام وإذا طلى به إناء اجتمعت إليه البراغيث وقرنه إذا سحق وجعل فى طعام صاحب حمى الربع زالت عنه وإذا شرب زاد الإنعاظ ودمه يحبس الدم السائل وإذا طلى بمرارتها مع ماء الكراث البواسير نفعها وسكنها وأزال وجعها وإذا طلى به الآثار السود من البدن قلعها وأزالها وإذا خلطت مع العسل واكتحل بها أزالت الظلمة وإذا طلى بها مع النطرون والعسل وشحم الحنظل المقعد نفعه وقال أرسطو مرارة البقرة السوداء إذا اكتحل بها أحدت البصر وقال كيماس إذا فقئت عين البقرة أو قلعت وكتبت بمائها على كاغد لم تبن بالنهار وتقرأ بالليل وشعورها إذا أحرقت وشربت نفعت من

بأمطار لم يعهد مثلها غزارة فأيقن فيروز بإجابة دعائه وجرت المياه فى الخيام والسرادقات وكان الناس يصب بعضهم على بعض فرحا وسرورا فصار ذلك سنة لهم إلى هذا الوقت (اسفندار مذماه) اليوم الخامس وهو اسفندار مذروز عيد لاتفاق الاسمين وهو إسم الملك الموكل بالأرض والمرأة الصالحة المحبة لزوجها وهذا عيد خاص للرجال والنساء يحسن بعضهم إلى بعض ويتخذون فيما بينهم العهود وقد بقى هذا باصبهان يسمونه مرذ كيران وهذا اليوم تكتب فيه الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيبكون من طلوع الفجر إلى طلوع

وجع الأسنان وإذا شربت بالسكنجبين أزالت الطحال وإن شربت بالعسل أخرجت حب القرع من البطن وقال يونس إذا طليت التواكيل بحثى البقر تناثرت وبرئت من وقتها وإذا طليت به الأورام الصلبة لينها وإن بخر به قرية النمل قبل ظهورها لم تظهر وإن وضع على النقرس نفع صاحبه وإن بخر به الحامل سهل الولادة وأخرج الجنين حيا وميتا والمشيمة وإن أحرق فى بيت طردهوامه وإن سحق المحرق منه ونفخ فى الأنف حبس الرعاف وإن طلى به على البدن مرارا وترك حتى يجف أخرج السهم والشوكة منه وإن طلى به مع الكبريت على خرقة كتان وبسطت على جميع البطن نشف الماء الأصفر وقال هرمس إذا طليت منخر البقر بدهن وردد هشت وشردت (التعبير) البقر فى المنام يعبر بالسنين كما عبرها يوسف الصديق عليه السلام فالسمان خصب والضعاف جدب هذا إذا كانت بيضا أو سودا وإذا كانت صفرا أو حمرا وهى تنطح الشجر بقرونها فتقلعها أو الأبنية فتسقطها فإنها فتن تحل بذلك المكان الذى دخلته لقوله عليه الصلاة والسلام إن الفتن تكون فى آخر الزمان كصياصى البقر وكعيون البقر والبقرة الصفراء سنة فيها سرور والغبرة فى البقر شدة فى أول السنة والبلقة فى أعجازها شدة فى آخر السنة والنصف من البقرة مصيبة فى أخت أو بنت وكذلك كل سهم ينسب إلى من يرثه كالربع والثمن ومن حلب بقرة غيره فإنه يخون رجلا فى امرأته ومهما رأى الإنسان ببقرته فذلك عائد إلى زوجته أو بنته وحليب البقر مال حلال جزيل وأصواتها تدل على ناس معروفين بالأدب وخدشها مرض ومن وثب عليه بقرة أو ثور ولم يفلته فإنه يموت فى تلك السنة والبقرة فى المنام للفلاحين خير وأنسب البقر فى ألوانها إلى ما تنسب إليه الخيل وبأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الخاء المعجمة ومن رأى بقرة دخلت داره ونطحته فإنه يرى خسرانا فى ماله وقالت النصارى من أكل لحم بقر فى نومه تقدم إلى حاكم والشحم مال لمن حواه خالص لا يغادره منه شىء وهو تلاعب وأما شواء البقر فهو أمن للخائف ومن كانت له زوجة وهى حامل بشر بولد ذكر والشواء بشارة فى معيشته فإن كان غير ناضج فهو هم من قبل امرأة وقيل لحم البقر رزق وخصب لمن أكله مطبوخا أو مشويا ومن الرؤيا المعبرة قول عائشة رضى الله تعالى عنها رأيت كأنى على تل وحولى بقرينحر فقصصتها على مسروق فقال إن صدقت رؤياك فإنه يكون حولك ملحمة فقتال فكان كذلك يوم الجمل ومن رأى بقرة تمص لبن عجلها فإن امرأته تقود على ابنتها ومن رأى عبدا يحلب بقرة مولاه فإنه يتزوج امرأة المولى والله تعالى أعلم.

(البقر الوحشى) هذا النوع أربعة أصناف المها والإبل واليحمور والتيتل وكلها تشرب الماء فى الصيف إذا وجدته وإذا عدمته صبرت عنه وقنعت باستنشاق الريح وفى هذا الوصف يشاركها الذئب والثعلب وابن آوى والحمر الوحشية والغزلان والأرانب فأما الإبل فتقدم ذكره واليحمور سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء آخر الحروف والكلام الآن فى المها فمن طبعه الشبق والشهوة فلذلك إذا حملت الأنثى هربت من الذكر خوفا من عبثه بها وهى حامل ولفرط شهوته يركب الذكر ذكرا آخر وإذا ركب واحد منها شم الباقى منه رائحة الماء فيثبن عليه وقرون البقر الوحشى مصمتة بخلاف قرون سائر الحيوانات فإنها مجوفة كما تقدم والبقر الوحشى أشبه شىء بالمعز الأهلية وقرونها صلاب جدا تمنع بها عن نفسها وأولادها كلاب الصيد والسباع التى تطيف بها (فائدة) لما أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل وهو أكيدر ابن عبد الملك رجل من كندة كان ملكا عليها وكان نصرانيا قال رسول الله ﷺ لخالد إنك تجده

(القول فى السنين) السنة عند العرب اثنا عشر شهرا وعند العجم كذلك إلا أن العرب تجعل شهورها على مدار الأهلة وأيامها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وأما العجم فجعلوا شهورهم على مدار الشمس وأيامها ثلثمائة وخمسة وستون يوما وفى هذه المدة تقطع الشمس دائرة الفلك فسنو العرب قمرية وسنو العجم شمسية والتفاوت بينهما كل مائة سنة ثلاث سنين قال الله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا بحساب العرب وأول السنة الشمسية مسامتة الشمس لنقطة الاعتدال الربيعى ثم تتحرك متوجهة نحو الشمال حتى تبلغ غايتها فى الشمال ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الخريفى حتى تصير مسامتة لها ثم تتحرك متوجهة نحو الجنوب حتى تبلغ غايتها فى الجنوب ثم ترجع متوجهة إلى نقطة الاعتدال الربيعى فلهذا الاعتبار قسموا السنة أربعة أقسام كل قسم فصل ومن جملة لطف الله تعالى أن أعطى كل فصل طبقة مغايرة لما بعده فى كيفية أخرى ليكون ورود الفصول على الأبدان بالتدريج فلو انتقل من الصيف إلى الشتاء دفعة واحدة لأدى ذلك إلى تغيير عظيم فى الأبدان فحسبك ما ترى من تغيير الهواء فى يوم واحد من الحر إلى البرد كيف يظهر

يصيد بقر الوحش فلما وصل إليه كان فى ليلة مقمرة فأذن الله تعالى للبقر الوحشية أن تأتيه من كل جانب تحك قصره بقرونها فأشرف عليها وقال ما رأيت أكثر منها الليلة ولقد كنت أكمن لها اليومين والثلاثة ولا أجدها ولكن قدر الله وما شاء فعله ثم أمر بفرسه فأسرج وركب هو وأخوه حسان وعليه قباء من الديباج المخوص بالذهب فلما نزل وافته خيل رسول الله ﷺ فأخذته أسيرا وأرسلوه بقبائه إلى رسول الله ﷺ فتعجب منه بعض أصحابه فقال رسول الله ﷺ لمناديل سعد فى الجنة خير من هذا ثم أن النبى ﷺ عرض عليه الإسلام فأبى فأقره بالجزية فى أرضه فى شهر رجب سنة تسع من الهجرة وأشار إلى هذه البقرات الوحشية بجير بن بجرة الطائى بقوله :

تبارك سائق البقرات أنى * رأيت الله يهدى كل هادى

فمن يك حائدا عن ذى تبوك * فإنا قد أمرنا بالجهاد

وسيأتى مزيد كلام فى المها فى باب الميم إن شاء الله تعالى (الحكم) يحل أكلها بجميع أنواعها بالإجماع لأنها من الطيبات (الأمثال) قالت العرب تتابعى بقر زعموا أن بشر بن الحارث الأسدى خرج فى سنة جهد فيها قومه فمروا ببقر فنفرت منهم فقام على رأس جبل فرماها بقوسه فجعلت تاقى نفسها وهو يقول تتابعى بقر حتى تكسرت ثم رجع إلى قومه فدعاهم لأكلها يضرب عند تتابع الأمر وسرعته (الخواص) مخه يطعم لصاحب الفالج ينفعه نفعا شديدا ومن استصحب معه شعبة من قرونه نفرت منه السباع وإذا دخن بقرنه أو جلده أو ظلفه فى بيت نفرت منه الحيات ورماده يذر على السن المتأكلة المتألمة يسكن وجعها وشعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر والخنافس وقرنه يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ويشرب فى شىء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى العصب ويزيد فى الإنعاظ وينفخ فى أنف الراعف يقطع دمه ويحرق قرناه حتى يصيرا رمادا ويداف فى الخل ويطلى به موضع البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول ويسف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدا إلا غلبه

﴿بقر الماء﴾ قال القزوينى زعموا أن بقرا يطلع من الماء يرعى الزرع وروثها العنبر والله أعلم بصحة ذلك فإن الناس ذكروا أن العنبر نبت بقعر البحر فإن صح ما قالوه فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب والله أعلم .

﴿بقرة بنى إسرائيل﴾ هى التى يقال لها أم قيس وأم عويف وهى دابة صغيرة لها قرنان تكون فى الرمل فإذا أردت أن تخرجها فاطرح فى موضعها قملة فتخرج فتأخذها فإذا صارت فى يدك فشق ظهرها وأدخل فيه ميلا وأكحل به من بعينه بياض ثلاث مرات فإنه يذهب وإذا دلك بهذه الدابة موضع القرع نبت فيه الشعر .

﴿البق﴾ قال الجوهرى البقة البعوضة والجمع البق وأنشد فى باب العين والياء واللام لزفر بن الحارث الكلابى :

ألا إنما قيس بن عيلان بقة * إذا وجدت ريح العصير تغنت

والبق المعروف هو الفسافس الآتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى يقال إنه يتولد من النفس الحار ولشدة رغبته فى الإنسان لا يتمالك إذا شم رائحته إلا رمى نفسه عليه وهو كثير بمصر وماشاكلها من البلاد (وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره كالبعوض وهو من الحيوان الذى لا نفس له سائلة أصلا كما قاله الرافعى رحمه الله فى الدم والدم الذى فيه يمتصه من بنى آدم كما يمتصه القمل والبرغوث ووقع فى كلام الرافعى والنووى وغيرهما تمثيل ما لا نفس له سائلة بالبعوض والبق قال الشيخ وفى ذكر البق المعروف فى بلادنا فيما لا نفس له سائلة نظر وقد رأيت بعض الناس

فهو نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل فعند ذلك استوى الليل والنهار فى الأقاليم واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار وتلألأ الزهر وأورق الشجر وتفتح النوار وأخضر وجه الأرض وتكونت الحيوانات ونتجت البهائم ودرت الضروع وطاب عيش أهل الزمان وأخذت الأرض زخرفها وازينت والدنيا كأنها جارية شابة تجلت وتزينت للناظرين فلا يزال كذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء فحينئذ ينتهى الربيع ويقبل الصيف ( وأما الصيف ) فهو نزول الشمس أول السرطان فعند ذلك تناهى طول النهار وقصر الليل ثم أخذ الليل فى الزيادة وأشتد الحر وسخن الهواء وأدركت الثمار وجفت الحبوب وقلت الأنداء وأضاءت الدنيا وسمنت البهائم واشتدت قوة الأبدان وانتشرت الحيوانات على وجه الأرض بعموم الخير وطاب عيش أهل الزمان وكثرت السموم ونقصت الأنهار ونضبت المياه وأدرك الحصاد ودرت الأخلاف واتسع للناس القوت وللطير الحب وللبهائم العلف وتكامل زخرف الأرض وصارت

الدنيا كأنها عروس حسناء ذات جمال كثيرة العشاق ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر السنبلة فعند ذلك انتهى الصيف وأقبل الخريف (وأما الخريف) فهو وقت نزول الشمس أول الميزان فعند ذلك استواء الليل والنهار مرة أخرى ثم ابتداء الليل بالزيادة وكما ذكرنا أن الربيع زمان استواء الأشجار وربو النبات وظهور الأزهار فبالخريف ذبول النبات وتغير الأشجار وسقوط أوراقها فحينئذ برد الماء وهبت الشمال وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون ويبست أنواع النباتات وماتت الهوام وانحجزت الحشرات وانصرف الطير والوحش لطلب البلدان الدفيئة وادخر الناس قوت الشتاء ودخلوا البيوت ولبسوا الجلود الغليظة من الثياب وتغير الهواء وصارت الدنيا كهلة تولت عنها أيام الشباب ولا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر القوس وقد انتهى الخريف وأقبل الشتاء (وأما الشتاء) فهو وقت نزول الشمس أول الجدى فعند ذلك تناهى طول الليل وقصر النهار ثم أخذ النهار فى الزيادة واشتد البرد وخشن الهواء وتعرى الأشجار عن الأوراق وانحجزت الحيوانات فى أطراف الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الندى وأظلم الجو وكلح وجه الزمان وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان ومنع البرد الناس عن التصرف ومن عيش أكثر الحيوان وبرد

يذكر أنه فى كثير من البلاد اسم للبعوض فلعل من أطلقه أراد به البعوض (الخواص) قال القزوينى فى عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات إذا بخر البيت بالفلفل والشونيز لم يدخله البق بالكلية وكذلك إذا بخر بنشارة الصنوبر طرده أيضا وقال حنين بن إسحق إذا بخر البيت بحب المحلب هرب منه البق أجمع وكذلك إذا بخر بالعاق أو العاج أو بجلد جاموس أو بأغصان شجر السرو وقال غيره إذا نقع ورق الحرمل فى خل ونضح به البيت هرب منه وإذا وضع الحرمل عند رأس الإنسان أو رجليه لم يقرب منه البق وإذا نقع السداب فى خل ونضح به البيت هرب منه وإذا أخذ كندر وكبريت ودقا وديفا بماء وطلى بذلك قضيب قنب ووضعه إنسان عند رأسه حيث ينام لم يقربه بق ألبتة وقال ابن جميع فى الإرشاد دخان الكمون والآس واليابس والترمس يطرد البق والبعوض ومما جرب فوجد نافعا لطرد البق أن يكتب على أربع ورقات ويلصق فى الحيطان الأربع ماصورته ١١١٢١٢ ﴿تذنيب﴾ قد ذكر النبى ﷺ البق فى حديث رواه الطبرانى بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت أذناى هاتان وأبصرت عيناى هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعا حسنا أو حسينا وقدماه على قدمى رسول الله ﷺ وهو يقول حزقة حزقة ترق عين بقة فيرقى الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال ﷺ افتح فاك ثم قبله ثم قال اللهم من أحبه فإنى أحبه ورواه البزار ببعض هذا اللفظ والحزقة الضعيف المتقارب الخطو ذكر ذلك على سبيل المداعبة والتأنيس وترق معناه اصعد وعين بقة كناية عن صغر العين مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وفى كامل ابن عدى وتاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن على بن الحسين بن محمد عن الأصبغ بن نباتة الحنظلى قال سمعت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول فى خطبته ابن آدم وما ابن آدم تؤلمه بقة وتقتله عرقة وتقتله شرقة والأصبغ بن نباتة الحنظلى المذكور يروى عن على رضى الله تعالى عنه أشياء لم يتابعه عليها أحد فاستحق من أجلها الترك روى له ابن ماجه حديثا واحدا نزل جبريل عليه السلام على النبى ﷺ بحجامة الأخدعين والكاهل (الحكم) يحرم أكل البق لاستقذاره كالبعوض (الأمثال) قالوا أضعف من بقة (التعبير) البق فى المنام أعداء ضعاف طعانون وهم جند لا وفاء لهم ولا جلد ويدل أيضا على الهم والحزن لأن البق يمنع النوم والهم والحزن يمنعان النوم والله أعلم.

﴿البكر﴾ الفتى من الإبل والأنثى بكرة والجمع بكار مثل فرخ وفراخ وقد يجمع فى القلة على أبكر قال أبو عبيدة البكر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس والبكرة بمنزلة الفتاة والقلوص بمنزلة الجارية والبعير بمنزلة الإنسان والجمل بمنزلة الرجل والناقة بمنزلة المرأة روى مسلم عن أبى رافع أن النبى ﷺ استلف من رجل بكر فلما جاءت إبل الصدقة أمرنى أن أقضى الرجل بكرا فقلت لم أجد فى الإبل إلا جملا خيارا رباعيا فقال ﷺ أعطه فإن خياركم أحسنكم قضاء وفى رواية باز لا بدل رباعيا وروى الحاكم عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال بعت من رسول الله ﷺ بكرا فجئت اتقاضاه فقلت يا رسول الله أقضنى ثمن بكرى قال نعم ثم قضانى فأحسن قضائى ثم جاءه أعرابى فقال يا رسول الله أقضنى بكرى فقضاه بعيرا مسنا فقال يا رسول الله هذا أفضل من بكرى فقال ﷺ هو لك إن خير القوم خيرهم قضاء ثم قال صحيح الإسناد وروى الحافظ أبو يعلى بإسناد إلى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال حج رسول الله ﷺ فلما أتى وادى عسفان قال يا أبا بكر أى واد هذا قال وادى عسفان قال ﷺ لقد مر بهذا الوادى نوح وهود وإبراهيم على بكرات لهم حمر خطمهم الليف وأزرهم العباء أرديتهم النمار يحجون البيت العتيق وروى مسلم عن سيرين بن معبد الجهنى رضى

الله تعالى عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ فى فتح مكة قال فأذن لنا رسول الله ﷺ فى المتعة فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بنى عامر كأنها بكرة عيطاء أى شابة طويلة العنق فى اعتدال فعرضنا عليها أنفسنا فقالت ما تعطينى فقلت ردائى وقال صاحبى ردائى وكان رداء صاحبى أجود من ردائى وكنت أشب منه فكانت إذا نظرت إلى رداء صاحبى أعجبها وإذا نظرت إلىّ أعجبتها ثم قالت أنت ورداءك تكفينى فمكثت معها ثلاثا ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده شىء من هذه النساء التى يتمتع بهنّ فليخل سبيلها وفى رواية فلم أخرج عنها حتى حرمها رسول الله ﷺ وروى أبو داود والنسائى والترمذى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أعرابيا أهدى لرسول الله ﷺ ناقة فعوضه منها ست بكرات فتسخطها فبلغ ذلك النبى ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن فلانا أهدى إلىّ ناقة فعوضته منها ست بكرات فظل ساخطا لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشىّ أو أنصارى أو ثقفى أو دوسى وفى حديث على رضى الله تعالى عنه صدقنى سن بكرة وهو مثل تضربه العرب للصادق فى خبره ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضارّا له وأصله أن رجلا ساوم رجلا فى بكر يشتريه فسأل صاحبه عن سنه فأخبره بالحق فقال المشترى صدقنى سن بكره * وفى مسند الشافعى عن مولى لعثمان قال بينما أنا مع عثمان رضى الله تعالى عنه فى يوم صائف إذ رأى رجلا يسوق بكرين وعلى الأرض مثل الفراش من الحر فقال ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح فدنا الرجل فقال انظر فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقلت هذا أمير المؤمنين فقام عثمان رضى الله تعالى عنه فأخرج رأسه من الباب فآذاه نفح السموم فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال ما أخرجك فى هذه الساعة قال بكران من إبل الصدقة تخلفا وقد مضى بإبل الصدقة فأردت أن ألحقهما بالحمى خشية أن يضيعا فيسألنى الله عنهما فقال عثمان هلمّ إلى الماء والظل فقال عد إلى ظلك فقال عندنا من يكفيك فقال عد إلى ظلك ثم مضى فقال عثمان من أحب أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا (الأمثال) فى الحديث جاءت هوازن على بكرة أبيها وقالوا جاؤا على بكرة أبيهم يصفونهم بالقلة أى جاؤا بحيث تحملهم بكرة أبيهم ﴿قلت﴾ وأصله أن قوما قتلوا وحملوا على بكرة أبيهم فقيل فيهم ذلك ثم صار مثلا لقوم جاؤا مجتمعين وقال أبو عبيدة معناه جاؤا جميعا لم يتخلف منهم أحد وليس هناك بكرة فى الحقيقة وقال بعضهم البكرة ههنا هى التى يستقى عليها أى جاؤا بعضهم فى أثر بعض كدوران البكرة على نسق واحد وقال قوم أراد بالبكرة الطريقة أرادوا أنهم جاؤا على طريقة أبيهم أى يقتفون أثره وقيل هو ذم ووصف بالقلة والذلة أى يكفيهم للركوب بكرة واحدة وذكر الأب احتقار وتصغير لهم (وحكمه وخواصه وتعبيره كالإبل)

﴿البلبل﴾ من أنواع العصافير ويقال له الكميت والجميل مصغران وهو النغر وسيأتى فى بابه وقد أحسن من ألغز فيه بقوله :

وما طائر نصفه كله * له فى ذرى الدوح سير ولبث
رأينا ثلاثة أرباعه * إذا صحفوها غدت وهى ثلث

وقد أجاد على بن المظفر أبو الفضل الآمدى قاضى واسط حيث قال :

واها له ذكر الحمى فتأوها * ودعا به داعى الصبا فتولها * هاجت بلابله البلابل فانثنت
أشجانه تثنى عن الحلم النهى * فشكا جوى وبكى أسى وتنبه الـ * وجد القديم ولم يزل متنبها
لا تكرهوه على السلو فطالما * حمل الغرام فكيف يسلو مكرها
لا عتب يا سعدى عليك فسامحى * وصلى فقد بلغ السقام المنتهى

وما أحسن قول يوسف بن لؤلؤ حيث يقول :

والشرب وهو زمان الراحة والاستمتاع كما أن الصيف زمان الكد والتعب قيل من لم يغل دماغه فى الصيف لم يغل قدره فى الشتاء وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة دنا موتها فلا تزال كذلك إلى أن تبلغ الشمس آخر الحوت وقد انتهى الشتاء وأقبل الربيع مرة أخرى ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(فصل) فى بعض العجائب المتعلقة بتكرار السنين قال بعض العلماء إن الله تعالى يبعث فى كل ألف سنة نبيا بمعجزات غريبة واضحة لرفع أعلام دينه القويم وظهور صراطه المستقيم ويجوز أن يكون ما بين النبيين أكثر من ألف سنة أو أقل وكان فى الألف الأول آدم أبو البشر عليه السلام وفى الألف الثانى إدريس عليه السلام ثم نوح عليه السلام على الترتيب المذكور فيه وفى الثالث إبراهيم عليه السلام وفى الرابع موسى عليه السلام وفى الخامس سليمان عليه السلام وفى السادس عيسى عليه السلام وفى السابع محمد صلى الله عليه وسلم ثم ختمت به النبوة وانتهت آلاف الدنيا بألفه لما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أن الدنيا جمعة من

مبعث نبينا محمد ﷺ يظهر صاحب علم يرفع أعلام العلم فعلى رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وعلى الثانية محمد ابن إدريس الشافعي رضى الله عنه وعلى الثالثة أبو العباس أحمد بن شريح وعلى الرابعة أبو بكر بن الخطيب الباقلاني وعلى الخامسة أبو حامد الغزالي وعلى السادسة أبو عبد الله الرازي رحمة الله عليهم وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال من عمره الله أربعين سنة كف عنه أنواعا من البلاء منها الجذام والبرص وجنون الشيطان ومن عمره الله خمسين سنة فى الإسلام خفف حسابه يوم القيامة ومن عمره الله ستين سنة رزقه الإنابة إليه بما يحب له عز وجل ومن عمره سبعين سنة أحبه أهل السموات وأهل الأرض ومن عمره ثمانين سنة محا سيئاته وكتب حسناته ومن عمره تسعين سنة غفر له ذنوبه وكان أسير الله فى الأرض وشفع فى أهل بيته وذهب العلماء إلى أن تكرر الأعوام يرى فيه حوادث عجيبة الشكل غريبة غير معهودة وبحسب اختلاف الأهوية معادن غريبة ونبات وأشجار بديعة وربما يصير العامر غامراً والغامر عامرا والبر بحرا والبحر برا والسهل جبلا والجبل سهلا كل ذلك بتقدير.

باكر إلى الروضة تستجلها * فثغرها فى الصبح بسام * والنرجس الغض اعتراه الحيا فغض طرفا فيه أسقام * وبلبل الدوح فصيح على * الأيكة والشحرور تمتام ونسمه الصبح على ضعفها * لها بنا مر وإلمام * فعاطنى الصهباء مشمولة عذراء قالواشون نوام * واكتم أحاديث الهوى بيننا * ففى خلال الروض تمام

ومن محاسن شعره أيضا قوله:

سقى الله أرضا نور وجهك شمسها * وحيا بلادا أنت فى أفقها بدر
وروى بقاعا جود كفك غيثها * ففى كل قطر من نداك بها قطر

وله أيضا: يسلسل دمعى وهو لاشك مطلق * وصح حقيقا حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة * وقالوا سيجزى بالهنا وكذا جرى

وله أيضا: بعينى رأيت الماء ألقى بنفسه * على رأسه من شاهق فتكسرا
وقام على أثر التكسر جاريا * ألا فاعجبوا ممن تكسر قد جرى

وله أيضا: أنفقت كنز مدائحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

والعرب تقول البلبل يعندل أى يصوت وروى الحافظ أبو نعيم صاحب الترغيب والترهيب من حديث مالك بن دينار أن سليمان بن داود صلى الله عليهما وسلم مر على بلبل فوق شجرة يصفر ويحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، وهو بالمد أى على الدنيا الدروس وذهاب الأثر وقيل العفاء التراب وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين فى لفظ العقعق عن الزمخشرى أنه ذكر فى تفسير قوله تعالى «وكأين من دابة لاتحمل رزقها» عن بعضهم أن البلبل يحتكر القوت حكى البويطى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أنه كان فى مجلس مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه وهو غلام فجاء رجل إلى مالك فاستفتاه فقال إنى حلفت بالطلاق الثلاث إن هذا البلبل لايهدأ من الصياح فقال له مالك قد حنثت فمضى الرجل فالتفت الشافعى رضى الله تعالى عنه إلى بعض أصحاب مالك فقال إن هذه الفتيا خطأ فأخبر مالك بذلك - وكان مالك رضى الله تعالى عنه مهيب المجلس لايجسر أحد أن يراده وربما جاء صاحب الشرطة فوقف على رأسه إذا جلس فى مجلسه - فقالوا لمالك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الفتيا إغفال وخطأ فقال له مالك من أين قلت هذا فقال الشافعى أليس أنت الذى رويت لنا عن النبى ﷺ فى قصة فاطمة بنت قيس رضى الله تعالى عنها أنها قالت للنبى ﷺ إن أباجهم ومعاوية خطباني فقال ﷺ أما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لامال له فهل كانت عصا أبى جهم دائما على عاتقه وإنما أراد من ذلك الأغلب فعرف مالك محل الشافعى ومقداره قال الشافعى فلما أردت أن أخرج من المدينة جئت إلى مالك فودعته فقال لى مالك حين فارقته ياغلام اتق الله تعالى ولاتطفئ هذا النور الذى أعطاكه الله بالمعاصى يعنى بالنور العلم وهو قوله تعالى «ومن لم يجعل الله له نورا» فما له من نور هكذا جاء فى هذه الرواية البلبل وجاء فى رواية أخرى القمرى وسيأتى إن شاء الله تعالى (التعبير) هو فى الرؤيا رجل موسر وقيل امرأة موسرة وقيل ولد قارئ لكتاب الله لايلحق.

﴿البلح﴾ بضم الباء وفتح اللام قال ابن سيده إنه طائر أغبر اللون أعظم من النسر محترق الريش لاتقع ريشة منه وسط ريش طائر آخر إلا أحرقه وقيل هو النسر القديم الهرم والجمع بلحان

﴿البلشون﴾ هو مالك الحزين وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الميم

﴿البلصوص﴾ بضم الباء واللام المشددة طائر وجمعه البلنصى على غير قياس وقال سيبويه النون زائدة لأنك تقول للواحد البلصوص والعامة تسميه أبو البلصيص قال البطليوسي في الشرح وقد اختلف اللغويون في هذين الاسمين أيهما الواحد وأيهما الجمع فقال قوم البلصوص هو الواحد والبلنصى هو الجمع وعكس ذلك آخرون وقال قوم البلصوص الذكر والبلنصى الأنثى ذكره ابن ولاد وأنشد * والبلصوص يتبع البلنصى * قال وقياس جمع البلصوص بلاصيص ولم أدر ما حكم هذا الطائر

﴿بنات الماء﴾ قال ابن أبي الأشعث هي سمك ببحر الروم شبيهة بالنساء ذوات شعر سبط ألوانهن إلى السمرة ذوات فروج عظام وثدي وكلام لا يكاد يفهم ويضحكن ويقهقهن وربما وقعن في أيدي بعض أهل المراكب فينكحونهن ثم يعيدونهن إلى البحر وحكى عن الروياني صاحب البحر أنه كان إذا أتاه صياد بسمكة على هيئة المرأة حلفه أنه لم يطأها وذكر القزويني أنه صيد لبعض الملوك رجل إذا تكلم لا يفهم ما يقول فزوجه بامرأة فرزق منها ولدا فصار يتكلم بلغة أبيه ولغة أمه وقد تقدم هذا في باب الهمزة في إنسان الماء

﴿بنات وردان﴾ يأتي ذكرها في آخر باب الواو إن شاء الله تعالى

﴿البهار﴾ بضم الباء حوت أبيض طيب من حيتان البحر قال الجوهري والبهار بالضم شيء يوزن به وهو ثلثمائة رطل وقال عمرو بن العاص إن ابن الصعبة يعني طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاثة قناطير ذهب فجعله وعاء قال أبو عبيد القاسم بن سلام والبهار في كلامهم ثلثمائة رطل وأحسبها غير عربية وأراها قبطية

﴿البهثة﴾ بالضم البقرة الوحشية وقد تقدم ذكرها

﴿البهرمان﴾ ضرب من العصفور قاله ابن سيده

﴿البهمة﴾ بفتح الباء الصغير من أولاد الغنم والبقر والوحش وغيرها الذكر والأنثى فيه سواء والجمع بهم وبهم وبهام وبهامات قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر أما أسنان الغنم فساعة تضعها أمها من الضأن والمعز ذكرا كان أو أنثى سخلة وجمعها سخال ثم هي بهمة فإذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر فإذا رعى وقوي فهو عريض وعتود وجمعها عرضان وعتدان وهو في كل ذلك جدي والأنثى عناق ما لم يأت عليها الحول وجمعها عنق والذكر تيس إذا أتى عليه الحول والأنثى عنز ثم تجذع في السنة الثانية فالذكر جذع والأنثى جذعة فعلم منه أن ما نقله النووي رحمه الله عنه في عناق فيه نوع خلل والله أعلم وروى الشافعي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأصحاب السنن الأربعة من حديث لقيط بن صبرة واللفظ لأبي داود قال كنت وافد بني المنتفق أو في وفد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ فلما قدمنا عليه لم نجده في منزله فصادفنا عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فأمرت لنا بحريرة أو قال بعصيدة فصنعت لنا وأتينا بقناع والقناع طبق فيه تمر ثم جاء رسول الله ﷺ فقال هل أصبتم شيئا أو أمر لكم بشيء قلنا نعم يا رسول الله قال فبينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ دفع الراعي غنمه إلى المراح ومعه سخلة تبعر فقال ﷺ ما ولدت يا غلام قال بهمة قال فاذبح لنا مكانها شاة ثم قال ﷺ لا تحسبن أنا من أجلك ذبحناها لنا غنم مائة ما نريد أن تزيد فإذا ولدت لنا بهمة ذبحنا مكانها شاة قلت يا رسول الله إن لي امرأة وإن في لسانها شيئا يعني البذاءة قال فطلقها إذن قلت يا رسول الله إن لها صحبة وإن لي منها

فسمع بذلك ملك زمانه فأحضره بين يديه وقال إذا جاءك الخضر فأتني به وإلا قتلتك فقال الشاب ويحك أأتيك بالخضر قال نعم وإلا قتلتك فرجع الشاب إلى مكانه متفكرا في أمره حتى جاءه الخضر عليه السلام فحدثه بحديث الملك فقال أمض بي إليه فلما دخلا على الملك قال له الملك أنت الخضر قال نعم قال حدثني بأعجب شيء رأيته فقال الخضر عليه السلام رأيت كثيرا من عجائب الدنيا وأحدثك بما حضرني الآن كنت في اجتيازي مررت بمدينة كثيرة الأهل والعمارة سألت رجلا من أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال هذه مدينة عظيمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا ثم اجتزت بها بعد خمسمائة سنة فلم أر للمدينة أثرا ورأيت هناك رجلا يجمع العشب فسألته متى خربت هذه المدينة فقال لم تزل هذه الأرض كذلك فقلت أما كان ههنا مدينة فقال ما رأينا ههنا مدينة ولا سمعنا عن آبائنا ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدت بها بحرا فلقيت هناك جمعا من الصيادين فسألتهم متى صارت هذه الأرض بحرا فقالوا مثلك يسأل عن هذا إنها لم تزل كذلك قلت أما كان قبل ذلك يبسا قالوا ما رأيناه

ولا سمعنا به عن آبائنا ثم اجتزت بعد خمسمائة عام وقد يبست فلقيت بها شخصا يختلى فقلت متى صارت هذه الأرض يبسا فقال لم تزل كذلك فقلت له أما كان بحر قبل هذا فقال ما رأيناه ولا سمعنا به قبل هذا ثم مررت بها بعد خمسمائة عام فوجدتها مدينة كثيرة الأهل والعمارة أحسن مما رأيتها أولا فسألت بعض أهلها متى بنيت هذه المدينة فقال إنها عمارة قديمة ما عرفنا مدة بنائها نحن ولا آباؤنا فقال الملك إني أريد أن أتبعك وأفارق ملكي فقال له إنك لا تقدر على ذلك ولكن اتبع هذا الشاب فإنه يدلك على الرشاد والله الموفق للصواب (تمت) المقابلة الأولى في العلويات والحمد لله رب العالمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الأزلي الذي لا أول لوجوده ولا ينتقل من حالة إلى أخرى الأبدي الذي لا آخر لدوامه وإليه المرجع والمنتهى خالق الأرض والسموات العلى وأبدع الأركان والأمزجة والأعضاء والقوى وأنشأ الجماد والحيوان وأزواجا من نبات شتى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأمام المتقين محمد خير الورى وعلى آله مصابيح الدجى ومفاتيح الهدى ﴿أما بعد﴾ فقد أردنا أن نذكر بعض

ولدا قال فعظها فإن يك فيها خير فستفعل ولا تضرب ظعينتك ضربك لأمتك قال قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء قال أسبغ الوضوء وخلل الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما وفي سنن أبي داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال إن النبي ﷺ صلى إلى جدار أتخذه قبلة ونحن خلفه فجاءت بهيمة تمر بين يديه فما زال ﷺ يدرؤها حتى لصق بطنه بالجدار فمرت من ورائه وسيأتي في الجدي نحو ذلك وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث يزيد بن الأصم عن ميمون أن النبي ﷺ كان إذا سجد جافى بين يديه حتى لو أن بهمة أرادت أن تمر بين يديه مرت.

﴿البهيمة﴾ كل ذات أربع من دواب البر والبحر قاله ابن سيده والجمع بهائم قال ﷺ أن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش سميت بهيمة لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها ومنه باب مبهم أي مغلق وليل بهيم قال الله تعالى أحلت لكم بهيمة الأنعام فأضاف الجنس إلى ما هو أخص منه وذلك أن الأنعام هي الثمانية الأزواج وما أضيف إليها من سائر الحيوان يقال له أنعام بحمرة معها وكأن المفترس كالأسد وكل ذي ناب خارج عن حد الأنعام فبهيمة الأنعام هي الراعي من ذوات الأربع وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال بهيمة الأنعام الأجنة التي تخرج عند الذبح من بطون الأمهات فهي تأكل من غير ذكاة ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أيضا وفيه بعد لأن الله تعالى قال إلا ما يتلى عليكم وليس في الأجنة ما يستثنى وحل بهيمة الأنعام من حكم الله تعالى إذ لولا الليل ما عرف قدر النهار ولولا المرض لم يتنعم الأصحاء بالصحة ولولا النار ما عرف أهل الجنة قدر النعمة كما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل وكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران فداء لأهل الإيمان بأهل الكفر هو عين العدل وما لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل فلولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنسان روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها فقال أنس نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم وهو أن يمسك من ذوات الروح شيء حي ثم يرمى بشيء حتى يموت وفي الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ لعن فاعل ذلك ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان يذكى وفي الحديث أنه ﷺ نهى عن المجثمة وهي كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل إلا أنها تكثر في الطير والأرانب ونحو ذلك مما يجسم في الأرض أي يلزمها ويلتصق بها وجسم الطائر جسوما وهو بمنزلة البروك للإبل وروى أبو داود والترمذي عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم وفي شفاء الصدور لابن سبع عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أجل البهائم وخشاش الأرض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب والبقر وما سوى ذلك في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها قبض الله عز وجل أرواحها ﴿فائدة﴾ قال ابن دحية في كتاب الآيات البينات اختلف الناس في حشر البهائم وفي جريان القصاص بينها فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري لا يجري القصاص بين البهائم لأنها غير مكلفة وما ورد في ذلك من الأخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء من القرناء ويسأل العود لم خدش العود فعلى سبيل المثل والأخبار عن شدة التقصي في الحساب وأنه لا بد من أن يقتص للمظلوم من الظالم وقال الأستاذ أبو إسحق الإسفرايني يجري القصاص بينها

ويحتمل أنها كانت تعقل هذا القدر فى دار الدنيا قال ابن دحية وهذا جار على مقتضى العقل والنقل لان البهيمة تعرف النفع والضر فتنفر من العصا وتقبل للعلف وينزجر الكلب إذا انزجر وإذا أشلى استشلى والطير والوحش تفر من الجوارح استدفاعا لشرها فإن قيل القصاص انتقام والبهائم ليست بمكلفة فالجواب أنها غير مكلفة إلا أن الله يفعل فى ملكه ما أراد كما سلط عليها فى الدنيا التسخير لبنى آدم والذبح لما يؤكل منها فلا اعتراض عليه سبحانه وتعالى وأيضاً فإن البهائم إنما يقتص منها لبعضها من بعض إلا أنها لا تطالب بارتكاب نهى ولا بمخالفة أمر لان هذا مما خص الله به العقلاء ولما كثر التنازع رجعنا لما أمرنا به ربنا بقوله فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ووجدنا القرآن العظيم يدل على الإعادة فى الجملة قال الله تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم إلى قوله ثم إلى ربهم يحشرون وقال تعالى وإذا الوحوش حشرت والحشر فى اللغة الجمع وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا فهذا يدل على حشر الإبل مع الناس وروى الإمام أحمد بسند صحيح إلى أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء حتى للذرة من الذرة فإذا كانت البهائم والذر يقتص منها فكيف يغفل من هو مكلف مأمور نسأل الله السلامة من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدين الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وفيه أيضا وفى غيره ما من صاحب إبل لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ثم يؤتى بها أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيل واحد تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها الحديث بطوله وفى صحيح البخارى لا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد بلغت وصح عنه صلى الله عليه وسلم أيضا أنه قال ما من دابة إلا وهى مصيخة يوم القيامة فرقا من قيام الساعة إلا الجن والإنس وإصاختها بإلهام الله إياها فى ذلك اليوم محمول على ما جبلها الله تعالى عليه من توقيها لما يضرها وانقيادها إلى ما ينفعها جبلة لا عقلا وإحساسا حيوانيا لا إدراكا فهميا وإذا جبل الله النملة على حمل قوتها وادخاره لزمن الشتاء فجبلة البهيمة على الإصاخة محاذرة يوم القيامة أولى ومن استقرى أحوال الحيوانات رأى حكمة الله فيها لما سلبها العقل جعل لها حساً تفرق به بين الضار لها والنافع وجبلها على أشياء وألهمها إياها لا توجد فى الإنسان إلا بعد التعلم وتدقيق النظر فمنها النحلة المحكمة لتسديس مخزن قوتها حتى يتعجب منه أهل الهندسة والعنكبوت المتقنة لخيوط بيوتها وتناسب دوائرها وكذلك السرفة فى إحكام بيتها مربعا من عيدان وقد ظهرت من البهائم الصنائع العجيبة والأفاعيل الغريبة ولم يسلبها رب العالمين سوى العبارة عن ذلك والنطق به ولو شاء أنطقها كما أنطق النملة فى عهد سليمان عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام والبهيم من الخيل الذى لا شبه فيه الذكر والأنثى فيه سواء والبهم من النعاج السود التى لا بياض فيها وأما قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث يحشر الناس يوم القيامة بهماً فمعناه أنه ليس بهم شىء مما كان فى الدنيا نحو البرص والعرج والعمى والعور وغير ذلك وإنما هى أجساد مصححة لخلود الأبد فى الجنة أو النار وقيل بل عراة ليس عليهم من متاع الدنيا شىء وهذا يخالف الأول من حيث المعنى ومن شعر مسعر بن كدام أحد الأعلام :

معادنها وخواص نباتها وأشجارها وخواص حيوانها وآثارها مستعيناً بالله ومتوكلا على الله وبالله التوفيق

﴿المقالة الثانية فى السفليات﴾ وهو مادون فلك القمر من العناصر والمولدات والنظر فيها فى أمور فى حقيقة العناصر وطباعها وترتيبها وانقلاب بعضها إلى بعض ذهبوا إلى أن العنصر هو الأصل وإنما سميت هذه الأجسام عناصر لأنها أصل المولدات أعنى المعادن والنبات والحيوان وتسمى أيضاً أركانا وهى أربعة النار والهواء والماء والتراب فالنار حارة يابسة مكانها الطبيعى تحت الفلك وفوق الهواء والهواء حار رطب ومكانه الطبيعى تحت النار وفوق الماء والماء بارد رطب ومكانه الطبيعى تحت الهواء وفوق الأرض والأرض باردة يابسة ومكانها الطبيعى الوسط ثم إن كل واحد من هذه الأركان متكيف بكيفيتين يشاكل الذى يقربه بكيفية ويضاده بأخرى فلأجل مشاكلها تقاربت مراكزها ولأجل تضادها تباينت

واختص كل بمركز لا ينفك إلا فيه إلا إذا منعه مانع فإذا ارتفع المانع كان النزوع إلى مركز العالم فهو ثقيل وإن كان إلى المحيط فهو

خفيف والله أعلم ﴿فصل﴾ فى انقلاب هذه العناصر بعضها إلى بعض أما الهواء فينقلب ماء كما يشاهد فى القطرات المجتمعة على سطح الإناء المتخذ من الصفر فإنك إذا تركت فيه ماء يرى على أطراف الإناء قطرات من الماء ومعلوم أن ذلك ليس من ترشح الإناء بل سببها أن الهواء المحيط بالكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ويقع على أطراف الإناء والماء أيضا ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة من حرارة الشمس أو النار والهواء ينقلب نارا كما يشاهد من السموم فى بعض المواضع عند شدة الحر وكما نرى من كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه فإن هواءه يصير بحيث إذا دنى منه شىء يحترق والماء ينقلب أرضا كما ترى من بعض المياه أنها تصير حجرا والأرض تنقلب ماء كما يفعله أصحاب الأكسير بسحق أجزائها وخلط بعض الأدوية بها حتى تصير كلها ماء ولا تبقى فيها أجزاء الأرضية والله تعالى هو الموفق للصواب

﴿النظر الأول فى كرة النار﴾

النار جرم بسيط طباعه أن يكون حارا يابسا مكانه تحت كرة الفلك لا لون لها زعموا أن النار الصرف لا يدركها البصر لأنا نرى الشمع إذا اشتعل كانت شعلته منفصلة عن الفتيلة ولا شك أن الحرارة عند اتصال الفتيلة أقوى وأيضا أن كير الحدادين إذا بالغوا فى نفخه صار هواء بحيث إذا دنى منه شىء

نهارك يا مغرور سهو وغفلة * وليلك نوم والردى لك لازم
وتتعب فيما سوف تكره غبه * كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

(فرع) اختلف أصحابنا فى نقض الوضوء بمس فرج البهيمة على وجهين أحدهما ينقض لعموم النقض بمس الفرج والأصح أنه لا ينقض إذ لا حرمة لها ولا تعبد عليها وأما دبرها فلا ينقض قطعا قال الدارمى ولا فرق فى الخلاف بين البهائم والطير (الأمثال) قالوا ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمية مهملة يضرب فى مدح القدرة على الكلام.

﴿البوم والبومة﴾ بضم الباء طائر يقع على الذكر والأنثى حتى تقول صدى أو فياد فيختص بالذكر وكنية الأنثى أم الخراب وأم الصبيان ويقال لها أيضا غراب الليل قال الجاحظ وأنواعها الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة وهذه الأسماء كلها مشتركة أى تقع على كل طائر من طير الليل يخرج من بيته ليلا فال وبعض هذه الطيور يصيد الفأر وسام أبرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض ومن طبعها أن تدخل على كل طائر فى وكره وتخرجه منه وتأكل فراخه وبيضه وهى قوية السلطان بالليل لا يحتملها شىء من الطير ولا تنام بالليل فإذا رآها الطير بالنهار قتلها ونتفن ريشها للعداوة التى بينهن وبينها ومن أجل ذلك صار الصيادون يجعلونها تحت شباكهم ليقع لهم الطير ونقل المسعودى عن الجاحظ أن البومة لا تظهر بالنهار خوفا من أن تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصور فى نفسها أنها أحسن الحيوان لم تظهر إلا بالليل وتزعم العرب فى أكاذيبها أن الإنسان إذا مات أو قتل تتصور نفسه فى صورة طائر تصرخ على قبره مستوحشة لجسدها والطائر ذكر البوم وهو الصدى وفى ذلك يقول توبة الحميرى أحد عشاق العرب:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا * إليها صدى من جانب القبر صائح

فيقال إنها مرت بقبره فأنشدت ذلك فارتفع شىء من القبر كالطائر نفرت منه ناقتها فسقطت ميتة ودفنت إلى جانبه * والبوم أصناف وكلها تحب الخلوة بأنفسها والتفرد وفى أصل طبعها عداوة الغربان وفى تاريخ ابن النجار أن كسرى قال لعامل له صدلى شر الطير واشوه بشر الوقود وأطعمه شر الناس فصاد بومة وشواها بحطب الدفلى وأطعمها ساعيا وفى سراج الملوك للإمام أبى بكر الطرطوشى فى الباب السابع والأربعين إن عبد الملك بن مروان أرق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه فكان فيما حدثه به أن قال يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل إلى بومة البصرة بنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا أفعل إلا أن تجعلى لى صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن إن دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ لها عبد الملك وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة ورأيت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الأكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون لبعض خدمه اذهب إلى ذلك الرجل وانظر ما يكتب وائتنى به فبادر الخادم إلى الرجل مسرعا وقبض عليه وتأمل ما كتبه فإذا هو:

يا قصر جمع فيه الشوم واللوم * متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى * أكون أول ما ينعيك مرغوم

ثم إن الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله لا تذهب بى إليه فقال الخادم لا بد

من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدى المأمون أعلمه الخادم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا أمير المؤمنين أنه لن يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الأموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والأوانى والأمتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى وإنى يا أمير المؤمنين قد مررت الآن عليه وأنا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكراً فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم أعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وأتقوت بثمنه أو ما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر قال وما قال الشاعر قال :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ * نصيب ولا حظ تمنى زوالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون أعطه باغلام ألف دينار ثم قال هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله وأنشدوا فى معنى ذلك :

إذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا * فعما قليل أنت ماض وتاركه

فكم دحت الأيام أرباب دولة * وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

(الحكم) يحرم أكل جميع أنواعها قال الرافعى ذكر أبو عاصم العبادى أن البوم حرام كالرخم وكذلك الضوع وعن الشافعى رحمه الله قول أنه حلال وهذا يقتضى أن الضوع غير البوم لكن فى الصحاح أن الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام وقال المفضل أنه ذكر البوم فعلى هذا إذا كان فى الضوع قول لزم إجراؤه فى البوم لأن الأنثى والذكر من الجنس الواحد لايختلفان فى الحل والحرمة اه وقال فى الروضة الأشهران أن الضوع من جنس الهام فنحكم بتحريمه (فائدة) روى ابن السنى عن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يفعله واختلف فى أم الصبيان فقيل البومة كما تقدم وقيل التابعة من الجن (الخواص) إذا ذبح البومة بقيت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى مضمومة المفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم من لبسه سهر ما دام عليه والأخرى بالعكس قال الطبرى فإذا اشتبه عليك المنومة من المسهرة فاجعلهما فى الماء فالتى ترفع على الماء هى المسهرة والتى ترسب هى المنومة وقال هرمس إذا أخذ قلب بومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة فى حال نومها تكلمت بكل ما فعلته فى يومها والاكتحال بمرارتها ينفع من ظلمة البصر وقلب البومة الكبيرة إذا قلع وشد فى جلد ذئب وعلق على العضد أمن حامل ذلك من اللصوص وسائر الهوام ولم يخف أحد من الناس وإن اكتحل بمذاب شحمها فأى مكان دخله بالليل رآه مضيئا وهى تبيض بيضتين إحداهما تخلق والأخرى لاتخلق فإن أردت معرفة التى تخلق من التى لاتخلق فأدخل فيها ريشة فالتى تخلق تبين لك تخلقها الريشة (التعبير) البوم فى المنام لص مكار وقيل ملك مهيب تشق مرائر الرعية هيبته ويدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل والله أعلم ﴿البوه﴾ بضم الباء وتشديد الواو طائر يشبه البوم إلا أنه أصغر منه والأنثى بوهة ويشبه بها الرجل الأحمق قال امرؤ القيس أيا هند لاتنكحى بوهه * عليه عقيقته أحسبا

الأحسب من الناس الذى فى شعره شقرة وصفه باللؤم والشح يقول كأنه لم تحلق عقيقته

فوق العناصر فى غاية القوة والخلوص فلذلك لاتدركها الأبصار انظر إلى حكمة البارى كيف جعل كرة الأثير دون فلك القمر كما يحترق بحرارتها الأدخنة الغليظة الصاعدة وتلطف البخارات العفنة ليكون الجو أبداً شفافا وجعلها طبقة واحدة شديدة الحرارة محيلة لكل ما وصل إليها من الأبخرة والأدخنة ناراً صرفا لما ذكرنا من الحكمة وخلقها غير ملونة إذ لو كانت مضيئة كالنار التى عندنا لمنعت الأبصار عن رؤية عالم الأفلاك ثم حجبها بكرة الزمهرير ليمنع برد الزمهرير وهج الأثير عن الحيوانات والنبات وإلا لأدى إلى هلاكها ثم أى شىء أعجب من خروج هذا الجرم النورانى من الحديد والحجر الكثيفين أو من الشجر الأخضر الذى يخالف طبيعة النار أو من الحرارة والضياء اللتين يلازمانها ثم من غلبتها وسلطانها على الأجسام حتى على الصخرة الصماء فتجعلها ترابا وعلى الحديد فتذيبه وإذا تفكرت فى المصابيح المتعلقة بها للخلق

فى صغره حتى شاخ وقيل إنه الرجل الضعيف الطائش والبوهة ما أطارته الريح والبوه ذكر البوم وقيل البوه الكبير من البوم قال رؤبة يذكر كبره * كالبوه تحت الظلمة المرشوش * وقيل البوه طائر يشبه البوم وقيل الأحسب الذى ابيض جلده من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض ويكون ذلك فى الناس والإبل وقيل الأحسب الأبرص (وحكمه وخواصه وتعبيره) كالبوم فى جميع ما تقدم

﴿بوقير﴾ قال القزوينى إنه طائر أبيض تجىء منه طائفة كل سنة فى وقت معلوم إلى جبل يقال له جبل الطير بصعيد مصر بقرب انصنا بلدة مارية أم إبراهيم ابن النبى ﷺ فتعلق على هذا الجبل وفيه كوة يأتى كل واحدة منها ويدخل رأسه فيها ثم يخرجه ويلقى نفسه فى النيل ثم يخرج ويذهب من حيث جاء ولم تزل هكذا حتى يدخل واحد منها رأسه فيها فيقبض عليه شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا حتى يتلف ثم يسقط بعد مدة فإذا تعلق ذلك الطائر انصرف الباقون فى الحال فلا يرى شىء من ذلك الطير فى ذلك الجبل إلى مثل ذلك الزمان من العام المقبل قال أبو بكر الصولى سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت تلك الكوة على طائرين وإن كان متوسطا قبضت على طائر واحد وإن كان مجدبا لم تقبض على شىء

﴿البينيب﴾ على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر

﴿البياح﴾ بكسر الباء مخففا ضرب من السمك وربما فتح وشد قاله الجوهرى

﴿أبو براقش﴾ طائر كالعصفور يتلون ألوانا قال الشاعر: كأبى براقش كل يو * م لونه يتخيل

يضرب به المثل فى التنقل والتحول وقال القزوينى إنه طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار فى حجم اللقلق يتلون فى كل ساعة يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر قال ولم يحضرنى شىء من خواصه

﴿أبوبرا﴾ طائر يسمى السمومل وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى

﴿أبوبريص﴾ بفتح الباء هو الوزغ الذى يسمى هو سام أبرص وسيأتى الكلام عليه فى بابى السين والواو فى لفظ الوزغ وسام أبرص إن شاء الله تعالى

## ﴿باب التاء المثناة﴾

﴿التالب﴾ الوعل والأنثى تالبة حكاه ابن سيده وسيأتى الكلام عليه فى باب الواو فى لفظ الوعل إن شاء الله تعالى

﴿التبيع﴾ ولد البقرة أول سنة وبقرة تبيع معها ولدها والأنثى تبيعة والجمع تباع وتبائع مثل أفيل وأفال وأفائل وقد تقدم فى باب الهمزة روى الإمام مالك فى الموطأ وأبو داود والترمذى والنسائى وآخرون عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه قال بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرنى أن آخذ من كل أربعين بقرة بقرة ومن كل ثلاثين مسنة تبيعا أو تبيعة قال الترمذى حديث حسن وروى مرسلا وهو أصح والمسنة ما استكملت سنتين ودخلت فى الثالثة والتبيع هو الذى يتبع أمه وإن كان له دون سنة قال الرافعى وحكى جماعة أن التبيع الذى له ستة أشهر والمسنة التى لها سنة وهذا غلط ليس معدودا من المذهب

﴿التبشر﴾ فى أدب الكاتب لابن قتيبة أنه بفتح التاء المثناة من فوق وبالباء الموحدة ثم بالشين المعجمة وقيل بضم الفاء وفتح الباء الموحده وتشديد الشين المعجمة طائر يقال له الصفارية والتاء فيه زائدة وسيأتى الكلام عليه فى باب الصاد المهملة إن شاء الله تعالى



سيما لنوع الإنسان وجد للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فسبحانه ما أعظم شأنه (ومن النيران) العجيبة نار خلقها الله لقبول القرابين تنزل من السماء تأكل القربان المقبول وهى التى أكلت قربان هابيل دون قربان قابيل وكان ذلك الامتحان فى بنى إسرائيل أيضا إذا أرادوا امتحان إخلاصهم تركوا القربان فى بيت لاسقف له ونبيهم يدخل البيت ويدعو الله تعالى والناس خارج البيت فينزل من السماء نار بيضاء لها دوى محيط بالقربان فتأكله وهى التى أخبر الله تعالى عنها حيث قال الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لانؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فهذه نار الرضا فسبحان من جعلها مرة للرضا ومرة للسخط ومنها نار جعلها الله تعالى لسخطه كنار أصحاب الجنة التى ذكرها الله تعالى وهو أنه كان لرجل صالح بستان إذ كان يوم قطافه يطعم من جاءه من المساكين فلما مات عزم أولاده على أن لايعطوا المساكين شيئا ويقطفوها سرا فلما ذهبوا إليها وجدوها قد احترقت فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون

﴿التثفل﴾ بضم التاء أوله وسكون الثاء المثلثة كقنفذ ولد الثعلب والتاء فيه زائدة .

﴿الندرج﴾ كجبرج طائر كالدراج يغرد فى البساتين بأصوات طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ويهزل عند كدورته وهبوب الجنوب يتخذ داره فى التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا يتعرض للآفات وقال ابن زهر هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس (وحكمه) الحل لعدم استخبائه وإن كان نوعا من الدراج وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى (الخواص) لحمه من أفضل لحوم الطير يزيد فى الفهم والباه وإذا أخذت مرارته وسعط بها من به خبل أو وسواس نفعه وإن شوى لحمه وأطعم منه وهو حار ثلاثة أيام أبرأه .

﴿التخس﴾ كصرد الدلفين وسيأتى فى باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى :

﴿التفلق﴾ كزبرج طائر من طير الماء قاله فى العباب .

﴿التفه﴾ ويسمى عناق الأرض والغنجل نوع من السباع نحو الكلب الصغير على شكل الفهد وصيده فى غاية الجودة والملاحة وربما واثب الإنسان فيعقره ولا يطعم غير اللحوم وربما صاد الكركى وما قاربه من الطير فيفعل به فعلا حسنا وقد وصفه الناشئ فى أبيات منها :

حلو الشمائل فى أجفانه وطف * صافى الأديم هضيم الكشح ممسود
فيه من البدر أشباه توافقه * منها له سفع فى وجهه سود
كوجه ذا وجه هذا فى تدوره * كأنه منه فى الأجفان معدود
له من الليث ناباه ومخلبه * ومن غرير الظباء النحر والجيد
إذا رأى الصيد أخفى شخصه أدبا * وقلبه باقتناص الطير مزؤد

(الحكم) يحرم أكله لعموم النهى عن أكل كل ذى ناب ومخلب من السباع وقال بعض أصحابنا أنه السنور البرى وإنه قريب من الثعلب وإنه على شكل السنور الأهلى وفى حكمه وجهان أصحهما التحريم لأنه يأكل الفأر (الأمثال) قالت العرب أغنى من التفه عن الرفه والرفه التبن والأصل فيها رفهة وتفهة قال حمزة وجمعهما تفهات ورفات قال الشاعر: غنينا عن حديثكم قديما * كما غنى التفات عن الرفات ويقال أيضا استغنت التفه عن الرفه وذلك أن التفه سبع لا يقتات الرفه أصلا وإنما يغتذى باللحم فهو يستغنى عن التبن والمعروف فى التفه والرفه تخفيف الفاء وقال الأستاذ أبو بكر مشددتان وقد أوردهما الجوهرى فى باب الهاء فقال التفه والرفه وفى الجامع مثله إلا أنه قال ويخففان وأما الأزهرى فإنه أورد الرفة فى باب الرفت بمعنى الكسر وقال ثعلب عن ابن الأعرابى الرفت التبن وفى المثل أغنى من التفه عن الرفت قال الأزهرى والتفه تكتب بالهاء والرفت بالتاء قال الميدانى وهذا من أصح الأقوال لأن التبن مرفوت أى مكسور .

﴿التم﴾ طائر نحو الإوز فى منقاره طول وعنقه أطول من عنق الإوز (وحكمه) الحل لأنه من الطيبات

﴿التمساح﴾ اسم مشترك بين الحيوان المعروف والرجل الكذاب قال القزوينى وهذا الحيوان على صورة الضب وهو من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابا فى فكه الأعلى وأربعون فى فكه الأسفل وبين كل نابين سن صغيرة مربعة ويدخل بعضها فى بعض عند الانطباق وله لسان طويل وظهر كظهر السلحفاة لا يعمل الحديد فيه وله أربع أرجل وذنب طويل وهذا الحيوان لا يكون إلا فى نيل مصر خاصة وزعم قوم أنه فى بحر السند أيضا وهو شديد البطش فى الماء ولا يقتل إلا من إبطيه ويعظم حتى يكون طوله عشرة أذرع فى عرض

نار الصاعقة وهى نار تسقط من السماء تحرق أى جسم صادفته وتتقد فى الصخرة الصماء لا يرد عليها إلا الماء ذكروا أنها ربما تحجرت فتصير الماسا فقطاع الألماس منها والله أعلم بذلك (ومنها) نار الحرتين كانت ببلاد عبس فإذا كان الليل تسطع من السماء وكانت بنو طىء تنفش بها إبلها من مسيرة ثلث وربما بدر منها عبق فيأتى كل شىء بقربها فتحرقه وإذا كان النهار كانت دخانا فبعث الله تعالى خالد بن سنان العبسى وهو أول نبى من بنى إسمعيل فاحتفرلها بئرا وأدخلها والناس ينظرون حتى غيبها وقصتها مشهورة

﴿فصل﴾ فى الشهب وانقضاض الكواكب

زعموا أن الدخان إذا صعد الهواء ولم تصبه برودة حتى يصل إلى الطبقة النارية فإن لم تنقطع مادته عن الأرض وكان فى الدخان دهنية تشتعل النار فيه ويصير كله نارا ويرجع إلى مادة الدخان مثاله أن السراج إذا أطفئ وجعل تحت شعلة سراج آخر فإذا وصل دخان المنفطئ إلى الشعلة ترجع النار عن

الشعلة وتوقد السراج المنطفئ وأما إذا كانت مادته لطيفة تأخذها النار وتصير نارا صرفا وقد ذكرنا أن النار الصرف لا ترى وإن كانت المادة كثيفة فإذا أخذت النار فيها تبقى زمانا فترى منها أشكالا بحسب مادة الدخان وهيئتها فربما يرى كوكباذا زاوية وعلى شكل تنين أو على شكل حيوان ذى قرنين أو على شكل أعمدة مخروطة وربما يرى على شكل كرة تتدحرج على شكل الفلك وربما كانت المادة الدخانية كثيرة فإذا أخذت النار فيها اشتعلت اشتعالا عظيما حتى أضاء الهواء منها واستنار وجه الارض منها والله الموفق للصواب

﴿خاتمة﴾ من الحكماء من شبه تعلق النفس الإنسانى ببدنه إذا صار مستعدا لقبول النفس بتعلق النار بالفتيلة إذا صارت مستعدة لذلك وكما أن إبطال هذا التعلق سهل بنفخه أو غيره فكذلك إبطال تعلق النفس بالبدن سهل بطريق الاحترام وكما أن السراج ينطفئ بانتهاء الدهن فكذلك النفس تفارق عند انتهاء الرطوبة الغريزية بحدوث الحمى وغيرها والإنسان يعيش فى مكان

ذراعين وأكثر ويفترس الفرس وإذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيلقى الأنثى على ظهرها ويستبطنها فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب لقصر يديها ورجليها ويبس ظهرها وهو إذا تركها على تلك الحال لم تزل كذلك حتى تقلب وتبيض فى البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحا وما بقى صار سقنقورا * ومن عجائب أمره أنه ليس له مخرج فإذا امتلأ جوفه بالطعام خرج إلى البر وفتح فاه فيجىء طائر يقال له القطقاط فيلقط ذلك من فيه وهو طائر أرقط صغير يأتى لطلب المطعم فيكون فى ذلك غذاء له وراحة للتمساح ولهذا الطائر فى رأسه شوكة فإذا أغلق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه وسيأتى ذكر هذا الطائر إن شاء الله تعالى وزعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان أن للتمساح ستين سنا وستين عرقا ويسفد ستين مرة وتبيض الأنثى ستين بيضة ويعيش ستين سنة وقال أبو حامد الأندلسى أن له ثمانين نابا أربعون نابا فى الفك الأعلى وأربعون فى الفك الأسفل وهو أبدا يحرك فكه الأعلى وفكه الأسفل عظمه متصل بصدره وليس له دبر وله فرج ينسل منه وهو شر من كل سبع فى الماء ومن شأنه أنه يغيب فى باطن الماء أربعة أشهر مدة الشتاء كله ولا يظهر والكلب البحرى عدوه فإذا نام فتح فاه فيطرح كلب الماء نفسه فى الطين ويتجفف ثم يأتيه مفاجأة فيدخل فاه ويدخل أمعاءه ويخرج من مراق بطنه بعد أن يقتله وكذلك يفعل معه ابن عرس أيضا (وحكمه) تحريم الأكل للعدو بنابه كذا علله جماعة من الأصحاب وقال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه القرش حلال ثم قال * فإن قلت أليس هو مما يتقوى بنابه فهو كالتمساح والصحيح تحريم التمساح قلت لا نسلم أن ما يتقوى بنابه من حيوان البحر حرام وإنما حرام التمساح كما قال الرافعى فى الشرح للخبث والضرر نعم كلام التنبيه يقتضى أن تحريمه لكونه مما يتقوى بنابه ولا ينبغى تعليل تحريمه بذلك فإن فى البحر حيوانا كثيرا يفترس بنابه كالقرش وغيره وهو حلال ولا ريب فى أن البحرى مخالف للبرى اهـ وهو الظاهر والله أعلم (الأمثال) قالوا أظلم من تمساح وكافأه مكافأة التمساح (الخواص) عينه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وإذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج فى نهر لم تصح ضفادعه وإذا قطر شحمه فى الأذن الوجعة شفاها وإذا أدمن تقطيره فى الأذن نفع الصمم ومرارته يكتحل بها للبياض الذى فى العين فيذهب وإذا علق شىء من أسنانه التى فى الجانب الأيمن على الرجل زاد جماعه وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات أول سن من الجانب الأيسر يشد على صاحب القشعريرة يذهبها وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه وقطعة من جلده تشد على جبهة الكبش يغلب الكباش وزبله الذى يوجد فى بطنه يزيل البياض الحادث والقديم اكتحالا ورائحته كرائحة المسك وتقول القبط إنه المسك إلا أن فيه سهوكة (التعبير) التمساح فى المنام عدو مسلط وهو نظير الأسد وقيل التمساح لص مكابر ذو مكر وغدر وخديعة

﴿التمرلة﴾ دويبة بالحجاز على قدر الهرة والجمع تملان قاله ابن سيده

﴿التنوط﴾ فى الكفاية لابن الرفعة إنه بضم التاء وكسر الواو ويجوز فتح التاء المشددة وفتح النون وضم الواو المشددة وقال غيره هو طائر يجوز فى واوه الضم والفتح قال الأصمعى إنما سمى بذلك لأنه يدلى خيطا من شجرة يفرخ فيها الواحدة تنوطة ومن شأن هذا الطائر أنه إذا أقبل عليه الليل يتنقل فى زوايا بيته ويدور فيها ولا يأخذه قرار إلى الصبح خوفا على نفسه وهذا الطائر هو الصفار وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى (وحكمه) الحل لأنه من نوع العصافير (الخواص) قال القزوينى فى عجائب المخلوقات يذبح التنوط بسكين ويسقى دمه لمن يعربد فى سكره فلا يعود إلى ذلك أبدا ومرارته تطبخ بالسكر وتسقى لصبى فيحسن خلقه وعظمه يعلق على الصبى وقت زيادة القمر فيبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كريه اللقاء

﴿التنين﴾ ضرب من الحيات كأكبر ما يكون منها وكنيته أبو مرداس وهو أيضا نوع من السمك وقال القزويني فى عجائب المخلوقات أنه شر من الكوسج فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيرا من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها فى البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر فيعظم بدنها فيبعث الله إليها ملكا يحملها ويلقيها إلى يأجوج ومأجوج روى عن بعضهم أنه رأى تنينا طوله نحو فرسخين ولونه مثل لون النمر مفلسا مثل فلوس السمك بجناحين عظيمين على هيئة جناحى السمك ورأسه كرأس الإنسان لكنه كالتل العظيم وأذناه طويلتان وعيناه مدورتان كبيرتان جدا روى ابن أبى شيبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال يسلط الله على الكافر فى قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ على الأرض ما نبتت خضرا ورواه الترمذى عنه مطولا قال دخل رسول الله ﷺ يوما مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكشرون فقال أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول أنا بيت الغربة أنا بيت الواحدة أنا بيت التراب أنا بيت الدود والهوام فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما إن كنت لمن أحب من يمشى على ظهرى إلى فمذوليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك قال فيتسع له قبره مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر يقول له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لمن أبغض من يمشى على ظهرى إلى فمذوليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى بك فيلتئم عليه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه قال وقال رسول الله ﷺ بأصابع يديه هكذا وشبكها ثم يقبض له تسعون تنينا أو تسعة وتسعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يبعث إلى الحساب قال وقال رسول الله ﷺ إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وروى الأئمة أن موسى عليه الصلاة والسلام لما قال لشعيب عليه الصلاة والسلام أيما الأجلين الآية أمره لما جن الليل أن يدخل بيتا عينه له ويأخذ منه عصا من العصى التى فيه فدخل موسى البيت وأخذ العصا التى أخرجها آدم معه من الجنة وكانت من آس الجنة فتوارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى صارت إلى شعيب عليه السلام فأمره أن يلقيها فى البيت ويدخل ويأخذ عصا أخرى فدخل وأخرجها كذلك سبع مرات فعلم شعيب أن لموسى شأنا فلما أصبح قال له سق الغنم إلى مفرق الطريق ثم خذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تأخذ عن يسارك فإنها وإن كان بها عشب كثير ففيها تنين كبير يقتل المواشى فساق موسى الأغنام إلى مفرق الطريق فأخذت نحو اليسار ولم يقدر على ردها فسرحها فى الكلأ ثم نام فخرج التنين فخاربته العصا حتى قتلته فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فعاد إلى شعيب فأخبره الخبر فسر بذلك وقال كل ما ولدت هذه المواشى ذا لونين فى هذه السنة فهو لك فقدر الله تعالى أن ولدت كلها فى تلك السنة ذا لونين فعلم شعيب أن لموسى عند الله مكانة فأقام عنده ثمانيا وعشرين سنة إلى أن تمت له أربعون سنة ثم خرج عنه بأهله (وأما حكمه) فعلى ما قال القزوينى أكله حرام لكونه من جنس الحيات وعلى أنه سمك يؤذى بنابه فالظاهر التحريم أيضا كالتمساح (الخواص) زعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع امرأته حصل لها لذة عظيمة (التعبير) التنين فى المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشره والمريض إذا رأى تنينا دل

لا ينطفئ فيه النار ولذلك إذا أراد أصحاب المعادن والخبايا دخول فتق أو مغارة أخذوا شعلة على رأس خشبة طويلة وقدموها فإن بقيت الشعلة دخلوها وإن انطفأت لم يتعرضوا لها وتركوها والمصباح عند ذهاب دهنه وانطفائه ينتعش مرتين أو ثلاثا انتعاشا ساطعا ثم يحمد كما أن الإنسان قبيل موته يزيد قوة وتسمى راحة الموت ولم يكن بعد ذلك لبث والله الموفق للصواب

﴿النظر الثانى فى كرة الهواء﴾

الهواء جرم بسيط طباعه أن يكون حارا رطبا شفافا متحركا إلى المكان الذى تحت كرة النار وفوق الماء زعموا أن الأجرام الواقعة ما بين سطح الماء وسطح فلك القمر ثلاثة أقسام أولها ما يلى القمر وآخرها ما يلى سطح الماء والأرض وأوسطها الهواء الواقع بينهما أما الهواء المماس لفلك القمر فلدوام دورانه مع الفلك وسرعة حركته صار نارا فى غاية الحرارة ويسمى الأثير وقد مر ذكرها وكلما كان منهبطا إلى أسفل كان أبطأ حركة وأقل حرارة وكلما قلت الحرارة غلبت البرودة إلى

على موته ومن الرؤيا المعبرة أن امرأة رأت فى منامها كأنها وضعت تنينا فولدت ولداً زمنا وذلك لأن التنين يجر نفسه إذا مشى وكذلك الزمن يجر نفسه .

﴿التورم﴾ القطقاط قال ابن بختيشوع هو على شكل الحمامة ويقال له طير التمساح قال وفى جناحه شوكتان هما سلاحه إذا أطبق عليه التمساح فمه نخسه فيفتح فاه فيخرج كما تقدم وقال ومن خواصه إذا أخذتا يعنى الشوكتين أو إحداهما وصيرتا فى موضع قد بال فيه إنسان مرض ذلك الإنسان ولم يزل مريضا حتى تنزع الشوكة من ذلك المكان الذى بال فيه وإذا علق قلبه على من به وجع المعدة أبرأه الله تعالى .

﴿التولب﴾ الجحش قال أطوع من تولب قال سيبويه وهو مصروف لأنه فوعل ويقال للأتان أم تولب وسيأتى حكمه فى باب الحاء المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿التيس﴾ الذكر من المعز والوعول والجمع تيوس وأتياس قال الهذلى :

من فوقه أنسر سود وأغربة * وتحته أعنز كلف وأتياس

والتياس الذى يمسكه ويقال فى فلان تيسية وناس يقولون تيوسية قال الجوهرى ولا أعرف صحتها ويقال للذكر من الظباء أيضا تيس ويقال نب التيس ينب نبيبا إذا صاح وهاج وقد مثل النبى ﷺ بذلك فيما روى مسلم عن جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه قال أتى رسول الله ﷺ برجل قصير شعث ذى عضلات عليه إزار قد عزنى فردده مرتين ثم أمر به فرجم فقال رسول الله ﷺ كلما نفر نا غازين فى سبيل الله تخلف أحدكم ينب نبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة إن الله لا يمكننى من أحد منهم إلا جعلته نكالا أو نكلته وفى كامل بن عدى فى ترجمة إبراهيم بن إسمعيل بن أبى حبيبة من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه بقطيع من غنم يقسمها بين أصحابه فبقى منها تيس فضحى به وفيه فى ترجمة أبى صالح كاتب الليث بن سعد واسمه عبد الله بن صالح عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بالتيس المستعار هو المحلل ثم قال لعن الله المحلل والمحلل له والحديث المذكور رواه الدارقطنى وابن ماجه عن كاتب الليث بن سعد عن مشرح بن هاعان المصرى عن عقبة بن عامر بإسناد حسن وكذلك رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد قيل إنما لعنه النبى صلى الله عليه وسلم مع حصول التحليل لأن التماس ذلك هتك للمروءة والملتمس ذلك هو المحلل له وإعارة التيس للوطء لغرض الغير أيضا رذيلة ولذلك شبهه بالتيس المستعار وإنما يكون كالتيس المستعار إذا سبق التماس من المطلق والعرب تعير بإعارة التيس قال الشاعر : * وشر منيحة تيس معار * وفى آخر شفاء الصدور لابن سبع السبتى عن على بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهم قال كنت مع أبى بعد ما كف بصره وهو بمكة فمررنا على قوم من أهل الشام فى صفة زمزم فسبوا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال لسعيد بن جبير وهو يقوده ردنى إليهم فردده فقال أيكم الساب لله ولرسوله فقالوا سبحان الله ما فينا أحد سب الله ورسوله فقال أيكم الساب لعلى قالوا أما هذا فقد كان فقال ابن عباس إنى أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله ومن سب الله كبه الله تعالى على منخريه فى النار ثم ولى عنهم فقال يا بنى ما رأيتهم صنعوا فقلت يا أبت :

نظروا إليك بأعين محمرة * نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدنى يا بنى فقلت : شزر العيون منكسى أذقانهم * نظر الذليل إلى العزيز القاهر اه

أن تصير فى غاية البرد ويسمى الزمهرير وأما القسم الثالث فإنه بواسطة مطارح شعاعات الشمس وغيرها من الكواكب على سطح الأرض وانعكاسها صار معتدلا ولولا ذلك لكان الهواء المماس لسطح الأرض أشد برداً مما سواه كما يعرض ذلك للموضع الذى تحت القطب الشمالى لبعد الشمس عنه فيبرد فيه الهواء ويجمد الماء ويظلم الجو ويهلك الحيوان والنبات وذكروا أن أكثر ما تكون كرة النسيم ستة عشر ألف ذراع ارتفاعا وأقله ما يطابق سطح الأرض فإن أعلى جبل يوجد على وجه الأرض لا يبلغ ارتفاعه هذا المبلغ ولا تمنع حرارة الجو هناك من انعقاد الغيم فإن المانع من انعقاد الغيم فى الهواء حرارة الجو وأما سطح كرة النسيم فإنه متداخل فى عمق الأرض إلى نهاية ما ثم يقف فإن النازلين إلى أسفل لطلب المعادن إذا احتاجوا إلى النسيم نفخوا بالمنافخ والأنابيب ليستنشقوا النسيم ويضىء سراجهم فإن النسيم متى انقطع عنهم انطفأ سراجهم واختنقوا ولا يعيش الحيوان دون البرية إلا فى موضع يوجد به النسيم

وفى تهذيب الكمال فى ترجمة عبد العزيز بن منيب القرشى وكان طويل اللحية أن على بن حجر السعدى نظر إليه وقال :

ليس بطول اللحى * تستوجبون القضا * إن كان هذا كذا * فالتيس عدل رضا

قال ومكتوب فى التوراة لايغرنك طول اللحى فإن التيس له لحية وسيأتى فى المعز بيان حكمه وفى تاريخ الإسلام للعلامة الذهبى إن فى سنة تسع وتسعين ومائتين وردت هدايا مصر على المقتدر فيها خمسمائة ألف دينار وتيس له ضرع يحلب لبنا وضلع إنسان عرض شبر فى طول أربعة عشرة شبرا وفى كتاب الترغيب والترهيب فى باب ذم الحاسد من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال يأتى على أمتى زمان يحسد فيه الفقهاء بعضهم بعضا ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس بعضها على بعض وفى الحلية عن مالك بن دينار أنه قال تجوز شهادة القراء فى كل شىء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسداً من التيوس فى الزرب اه قال الجوهرى الزرب والزريبة حظيرة الغنم من خشب وفى مروج الذهب للمسعودى وشرح السيرة للحافظ قطب الدين وغيرهما أن أم الحجاج بن يوسف وهى الفارعة بنت همام كانت تحت الحرث بن كلدة الثقفى حكيم العرب فدخل عليها ليلة فى السحر فوجدها تتخلل فطلقها فسألته عن سبب ذلك فقال دخلت عليك فى السحر فوجدتك تتخللين فإن كنت بادرت الغداء فأنت شرهة وإن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قذرة فقالت كل ذلك لم يكن لكنى تخللت من شظايا السواك فتزوجها بعده يوسف ابن الحكم بن أبى عقيل الثقفى فأولدها الحجاج وكان الحجاج مشوها لا دبر له فثقب دبره وأبى أن يقبل ثدى أمه وغيرها فأعياهم أمره فيقال إن الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كلدة فقال ماخبركم فقالوا بنى ولد ليوسف من الفارعة وقد أبى أن يقبل ثدى أمه فقال اذبحوا له تيسا أسود وألعقوه دمه ثم اذبحوا له أسود سالخا وألغوه من دمه وأطلوا به وجهه ثلاثة أيام فإنه يقبل الثدى فى اليوم الرابع ففعلوا به كذلك فقبل الثدى وكان لايصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لايقدر عليها غيره * وفى تاريخ ابن خلكان أن عبد الملك ابن مروان كتب إلى الحجاج كتابا يتهدده فى آخره بهذه الأبيات :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها * وتطلب رضايا بالذى أنا طالبه * وتخش الذى يخشاه مثلك هاربا
إلى فهما قد ضيع الدرجالبه * فإن ترمنى غفلة قرشية * فيارب ما قد غص بالماء شاربه
وإن ترمنى وثبة أموية * فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنن والحوادث جمة * فإنك تجزى بالذى أنت كاسبه

فأجابه الحجاج وقال فى آخر جوابه وأما ما أتانى من أمر يك فألينهما غرة وأصعبهما محنة وقد عبأت للغرة الجلد وللمحنة الصبر فلما قرأ عبد الملك كتابه قال خاف أبو محمد صولتى ولن أعود إلى مايكره وكان الحجاج كثيراً مايسأل القراء فدخل عليه يوما رجل فقال له الحجاج ماقبل قوله تعالى أمن هو قانت فقال له الآخر قوله تعالى قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار فما سأل أحدا بعدها وقال الحجاج لرجل من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث والله إنى لأبغضك فقال الرجل أدخل الله أشدنا بغضا لصاحبه الجنة وكان أول ماظهر من كفاءة الحجاج أنه كان فى شرطة روح بن زنباع وزير عبد الملك بن مروان وكان عسكر عبد الملك لايرحل برحيله ولاينزل بنزوله فشكا عبد الملك ذلك لروح بن زنباع فقال له ياأمير المؤمنين فى شرطتى رجل يقال له الحجاج بن يوسف لو ولاه أمير المؤمنين أمر العسكر لأرحل الناس برحيل أمير المؤمنين وأنزلهم بنزوله فولاه عبد الملك أمر العسكر فأرحل

من كثرة الأبخرة والأدخنة واختلاف الرياح والزوابع والهالة وقوس قزح والغيوم والرعود والبرق والصواعق والأمطار والضباب والطل والصقيع والثلوج والشهب وذوات الأذنان فإن بعضها يقع فى كرة الأثير وقد ذكرناه ومنها مايقع فى كرة الزمهرير وكرة النسيم فلنذكر الآن ذلك والله الموفق للصواب

﴿فصل﴾ فى السحاب والمطر وما يتعلق بهما

زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الماء والأرض حللت من الماء أجزاء لطيفة مائية تسمى بخارا ومن الأرض أجزاء لطيفة أرضية تسمى دخانا فإذا ارتفع البخار والدخان فى الهواء ودافعهما الهواء إلى الجهات ومن فوقهما برد الزمهرير ومن أسفلهما مادة البخار غلظا فى الهواء وتداخلت أجزاء بعضهما فى بعض فيكون منهما سحاب مؤلف متراكم ثم إن السحاب كلما ارتفع انضمت أجزاء البخار بعضها إلى بعض حتى يصير ماكان منها دخانا ركاما وما كان بخارا ماء

ثم تلتئم تلك الأجزاء المائية بعضها إلى بعض فتصير قطراً ثم تأخذ راجعة إلى أسفل فإن كان صعود ذلك البخار بالليل والهواء شديد البرد منعه من الصعود وأجمده أولا فصار سحابا رقيقا وإن كان البرد مفرطا أجمده البخار فى الغيم وكان ذلك ثلجا لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل بالرفق فلذلك لايكون له فى الأرض وقع شديد كما للمطر والبرد فإن كان الهواء دفيئا وارتفع البخار فى الغيوم وتراكمت منه السحب طبقات بعضها فوق بعض كما ترى فى أيام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن مندوف فإذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصار ماء وانضمت أجزاؤها فصارت قطرا عرض لها الثقل فأخذت تهوى من فوق السحاب وتلتئم القطرات الصغار بعضها إلى بعض حتى إذا خرجت من أسفلها صارت قطرا كبارا فإن عرض لها برد مفرط فى طريقها جمدت وصارت برد قبل أن تبلغ الأرض وإن لم تبلغ الأبخرة إلى الهواء البارد فإن كانت كثيرة صارت ضبابا وإن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل ولم

الناس برحيل عبد الملك وأنزلهم بنزوله فرحل يوما عبد الملك ورحل الناس وتأخر أصحاب روح بن زنباع عن الرحيل فمر عليهم الحجاج وهم يأكلون فقال لهم ما بالكم لم ترحلوا مع العسكر فقالوا له انزل وتغدو دع عنك هذا الكلام يا ابن اللخناء فقال هيهات ذهب ما هناك ثم أمر بهم فضربت أعناقهم وبخيل روح فعرقبت وبالفساطيط فأحرقت فبلغ ذلك روحا فدخل على عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين انظر ما ذا جرى علىّ اليوم من الحجاج فقال وما ذاك قال قتل غلمانى وعرقب خيلى وأحرق فساطيطى فأمر بإحضار الحجاج فلما حضر قال له عبد الملك ويلك ما ذا فعلت اليوم مع سيدك روح ابن زنباع فقال له يا أمير المؤمنين إن يدى يدك وسوطى سوطك وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الغلام غلامين والفرس فرسين والفسطاط فسطاطين ولا يكسرنى فى العسكر فقال له أفعل فتم للحجاج ما يريد وقوى من ذلك اليوم أمره وعظم شره وكان هذا أول ما عرف من كفاءته * وللحجاج أخبار كثيرة وخطب بليغة قال المبرد فى الكامل حدثنى الثورى بإسناده عن عبد الملك ابن عمير الليثى قال بينما أنا فى المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذو حالة حسنة يخرج الرجل منهم فى العشرة والعشرين من مواليه إذ قيل قدم الحجاج أميرا على العراق فنظرت فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلدا سيفا متنكبا قوسا يؤم المنبر فمال الناس نحوه فصعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق فقال عمير بن ضابئ البرجمى ألا أحصبه لكم فقيل امهل حتى ننظر فلما رأى الحجاج أعين الناس ترمقه حسر اللثام عن وجهه ونهض قائما ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

ثم قال يا أهل الكوفة إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم * قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعى إبل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

(ثم قال) قد لفها الليل بعصلبى * أروع خراج من الدوى
مهاجر ليس بأعرابى * معاود للطعن بالخطى

(ثم قال أيضا) قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد * مثل ذراع البكر أو أشد

إنى والله يا أهل العراق ما يقعقع لى بالشنان ولا يغمز جانبى كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وإن أمير المؤمنين نثل كنانته فعجم عيدانها عودا عودا فوجدنى أمرّها عودا وأصلبها مكسرا وأبعدها مرمى فرماكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرابيب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وإنى والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أحلف إلا بريت وإن أمير المؤمنين أمرنى بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة وإنى أقسم بالله لأجدرجلا تخلف بعد أخذ عطائه ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من

بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا سلامه هذا أدب ابن سمية أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن اقرأ يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ إلى قوله سلام عليكم لم يبق فى المسجد أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال أيها الأمير إنى من الضعف على ما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الأسفار أفتقبله منى بدلا فقال له الحجاج نفعل أيها الشيخ فلما ولى قال له قائل أتدرى من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا عمير بن ضابئ البرجمى الذى يقول أبوه :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى * تركت على عثمان تبكى حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله تعالى عنه يوم الدار وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعين من أضلاعه فقال ردوه فلما ردّ قال له الحجاج أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان بديلا يوم الدار إن فى قتلك لصلاحا للمسلمين يا حرسى اضرب عنقه (تفسير ما فى خطبة الحجاج من الكلام) قوله أنا ابن جلا إنما أراد المنكشف الأمر ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى والفعل إذا كان فيه فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلا حكاية كقولك قرأت اقتربت الساعة وانشق القمر لأنك حكيت وكذلك الابتداء والخبر تقول قرأت الحمد لله رب العالمين قال الشاعر * والله ما زيد بنام صاحبه * وهذه الكلمة لسحيم بن وثيل الرياحى وإنما قالها الحجاج متمثلا وقوله طلاع الثنايا هى جمع ثنية والثنية الطريق فى الجبل والطريق فى الرمل يقال لها الجلد وإنما أراد أنه جلد يطلع الثنايا فى ارتفاعها وصعوبتها كما قال دريد بن الصمة يرثى أخاه عبد الله :

كميش الإزار خارج نصف ساقه * بعيد من السوءات طلاع أنجد

والنجد ما ارتفع من الأرض وقوله إنى لأرى رؤساً قد أينعت يريد أدركت يقال أينعت الثمرة إيناعا وينعت ينعا وينعا ويقرأ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه وينعه وكلاهما جائز قال أبو عبيدة وهذا الشعر مختلف فيه فبعضهم ينسبه إلى الأحوص وبعضهم إلى يزيد بن معاوية وهو :

ولها بالماطرون إذا * أكل النمل الذى جمعا حرقة حتى إذا ارتفعت * سكنت من جلق نبعا

فى قباب عند دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وقوله * هذا أوان الشد فاشتدى زيم * يعنى فرساً أو ناقة والشعر للحطيم القيسى وقوله * قد لفها الليل بسواق حطم * الحطم الذى لا يبقى من الخبز شيئا يقال رجل حطم إذا كان يأتى على الزاد لشدة أكله ويقال للنار التى لا تبقى على شىء حطمة وقوله على ظهر وضم الوضم كل ما قطع عليه اللحم قال الشاعر:

وفتيان صدق حسان الوجو * ه لا يجدون لشىء ألم

من آل المغيرة لا يشهدو * ن عند المجازر لحم الوضم

وقوله قد لفها الليل بعصلبى أى شديد أروع أى ذكىّ وقوله خراج من الدوىّ يقول خراج عن كل غماء وشدة ويقال للصحراء دوية وهى التى تنسب للدو والدو صحراء ملساء لا علم بها ولا إمارة قال الحطيئة :

وأنى اهتدت والدو بينى وبينها * وما خلت سارى الدو بالليل يهتدى

والداوية الفلاة المتسعة التى يسمع لها دوى بالليل وإنما ذلك الدوىّ من أخفاف الإبل تنفسح أصواتها فيها وجهلة الأعراب تقول إن ذلك عزيف الجن وقوله والقوس فيها وتر عرد أى شديد ويقال عرند وقوله إنى والله ما يقعقع لى بالشنان واحدها شن وهى الجلد اليابس فإذا قعقع به نفرت الإبل منه فضرب ذلك مثلا لنفسه قال النابغة الذبيانى :

تجمد نزلت طلا وإن انجمدت نزلت صقيعا والله أعلم (واعلم) أنّ من لطف البارى عز وجل أن أنزل المطر فى كل سنة مقداراً معلوما عنده إلى مستقر الحيوان لا إلى القفار البلاقع التى لا حيوان بها فإن أهل التجربة زعموا أن كل بقعة بينها وبين البحر لا يكون أكثر من مسيرة أربعين يوما فإنها لا تصلح لمسكن الحيوان لأن المطر لا ينزل بها ثم من تمام لطفه عز وجل أن أنزل القدر الذى يكون كافياً لا قاصراً فلا ينبت شيئا ولا زائداً على الحاجة فيعفن النبات ويفسده ويضر بالحيوان كما فعل بقوم نوح عليه السلام وإلى هذا المعنى أشار جلت قدرته بقوله أنزل من السماء ماء بقدر ثم إنزاله قطرات صغيرة فلو صبه صبا خدش الأرض وأتلف الزرع فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه والله الموفق

﴿فصل فى الرياح﴾

زعموا أنّ حدوث الرياح من تموج الهواء وتحركه إلى الجهات كما أن تموج البحر هو تدافع الماء بعضه لبعض إلى الجهات فإن الهواء والماء بحران واقعان غير أنّ أجزاء الماء ثقيلة الحركة وأجزاء الهواء خفيفة الحركة وأما كيفية حدوثها

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع بين رجليه بشن

وقوله ولقد فررت عن ذكاء يعنى عن تمام سن والذكاء على ضربين أحدهما تمام السن والآخر حدة القلب فما جا فى تمام السن قول قيس بن زهير العبسى جرى المذكيات غلاب وقول زهير:

يفضله إذا اجتهدا عليه * تمام السن منه والذكاء

وقوله فعجم عيدانها عوداً عوداً أى مضغها لينظر أيها أصلب يقال عجمت العود إذا مضغته وعضضته والمصدر العجم يقال عجمه عجما ويقال لنوى كل شىء عجم بفتح الجيم ومن سكن فقد أخطأ قال الأعشى * وجذعانها كلقيط العجم * وقوله طالما أوضعتم فى الفتنة الإيضاع ضرب من السير وله أخبار كثيرة تركناها كراهية التطويل قال ابن خلكان ولما حضرته الوفاة أحضر منجما وقال هل ترى فى علمك أن ملكا يموت قال نعم ولست هو قال وكيف ذلك قال لأن الملك الذى يموت اسمه كليب فقال الحجاج أنا هو والله بذلك الاسم سمتنى أمى فأوصى عند ذلك وكان ينشد فى مرضه:

يارب قد حلف الأعداء واجتهدوا * أيمانهم أننى من ساكنى النار

أيحلفون على عمياء ويحهم * ما ظنهم بعظيم العفو غفار

وتوفى الحجاج سنة خمس وتسعين فى خلافة الوليد بواسط ودفن بها وعفى قبره وأجرى عليه الماء ولما مات لم يعلم بموته حتى خرجت جارية من قصره وهى تقول:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا * واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

فعلم بموته وقال الحافظ الذهبى وابن خلكان وغيرهما أحصى من قتله الحجاج صبرا سوى من قتل فى حروبه فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا وكذا رواه الترمذى فى جامعه ومات فى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفا مجردات وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد وعرضت سجونه بعده فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا لم يجب على أحد منهم لا قطع ولا صلب وقال الحافظ ابن عساكر أن سليمان بن عبد الملك أخرج من كان فى سجن الحجاج من المظلومين ويقال إنه أخرج فى يوم واحد ثمانين ألفا ويقال أنه أخرج من سجونه ثلثمائة ألف وقال ابن خلكان ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الشمس فى الصيف ولا من المطر فى الشتاء بل كان حوشا مبنيا بالرخام وكان له غير ذلك من أنواع العذاب وقيل إنه سأل كاتبه يوما فقال كم عدة من قتلنا فى التهمة فقال ثمانون ألفا وكانت مدة ولايته على العراق عشرين سنة ومات وله ثلاث وخمسون سنة روى أنه ركب يوم جمعة فسمع ضجة فقال ما هذا فقيل المحبوسون يضجون ويشكون مما هم فيه من الجوع والعذاب فالتفت إلى ناحيتهم وقال أخسؤا فيها ولا تكلمون فما صلى جمعة بعدها ورأيت على حاشية تاريخ ابن خلكان بخط بعض المشايخ أن بعض العلماء كفره بهذا الكلام وغيره مما وقع منه * وفى الكامل للمبرد ومما كفر به الفقهاء الحجاج أنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنما تطوفون بأعواد ورمة ﴿قلت﴾ وإنما كفروه بهذا لأن فى هذا الكلام تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من اعتقاد ذلك فإنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء خرجه أبو داود وذكر أبو جعفر الداودى هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهى زيادة غريبة قال السهيلى الداودى من أهل الفقه والعلم لكن روى عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه رأى الحجاج فى المنام بعد موته وهو جيفة منتنة فقال له ما فعل الله بك قال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة واحدة

فإن الأدخنة التى تصعد من الأرض من تأثير الشمس وغيرها إذا وصلت إلى الطبقة الباردة إما أن ينكسر حرها وإما أن تبقى على حرارتها فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح وإن بقيت على حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك فترددها الحركة الدورية إلى أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح وربما يحلل تلك الأدخنة الهواء فيتحرك من جانب إلى جانب فيحدث منها الريح أيضا وسبب تحلل الهواء لها إما من خروجها من مخرج معوج أو رد الرياح النازلة إياها من الصعود المستقيم وربما تصل إليها رياح أخر وتمدها أدخنة من أسفل فتمليها إلى جهة أخرى والله الموفق ومن الرياح العجيبة (الزوبعة) وهى الريح التى تدور على نفسها شبه منارة وأكثر تولدها من رياح ترجع من الطبقة الباردة فتصادف سحابا تذروه الرياح المختلفة فيحدث من دوران الغيم تدوير فى الريح فينزل على تلك الهيئة وربما يكون مسلك صعودها مدورا فيبقى هبوبها كذلك مدورا كما يشاهد فى الشعر الجعد فإن سبب جعودته قد يكون

إلا سعيد بن جبير فإنه قتلني به سبعين قتلة فقال له ما أنت منتظر فقال ما ينتظره الموحدون فهذا مما ينفى عنه الكفر ويثبت أنه مات على التوحيد وعند الله علم حاله وهو أعلم بحقيقة أمره ﴿تنبيه﴾ فإن قيل ما الحكمة فى أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتله قتلة واحدة إلا سعيد بن جبير رحمه الله تعالى وهو قد قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما وهو صحابى وسعيد بن جبير تابعى والصحابى أفضل من التابعى فالجواب أن الحكمة فى ذلك أن الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما كان له نظراء فى العلم كثيرون كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما من الصحابة ولما قتل سعيد بن جبير لم يكن له نظير فى العلم فى وقته وذكر غير واحد من المصنفين أن الحسن البصرى رحمه الله تعالى لما بلغه قتل سعيد ابن جبير قال والله لقد مات سعيد بن جبير يوم مات وأهل الأرض من مشرقها إلى مغربها محتاجون لعلمه فمن هذا المعنى ضوعف العذاب على الحجاج بقتله والله أعلم وسيأتى حديث قتل سعيد ابن جبير فى باب اللام فى اللبوة وقتل عبد الله بن الزبير تقدم فى باب الهمزة فى الأوز (الأمثال) قالوا أعلم من تيس بنى حمان بكسر الحاء المهملة وذلك أن بنى حمان تزعم أن تيسهم سفد سبعين عنزا بعد ما فريت أوداجه ففخروا بذلك والله أعلم ويقال للتيس قفط وسفد وفى الأذكياء لابن الجوزى أن مزينة أسرت أبا حسان الأنصارى وقالوا لا نأخذ فداءه إلا تيسا فغضب قومه وقالوا لا نفعل هذا فأرسل إليهم أعطوهم ما طلبوا فلما جاؤا بالتيس قال أعطوهم أخاهم وخذوا أخاكم فسموا مزينة التيس وصار لهم لقبا وعيبا (الخواص) جميع بدنه منتن كالإبط ولحيته تشد على صاحب حمى الربع وعلى من به صداع فيزولان وطحاله يقطعه صاحب الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول ورطوبة كبده حال شقها تقطر فى الأذن الوجيعة يزول وجعها وكعبه إذا سحق وشرب هيج الباه وبوله يغلى حتى يغلظ ويخلط بمثله سكراً ويطلى به الجرب فى الحمام فإنه يذهب وبعره إذا وضع تحت رأس صبى يبكى كثيراً يزول عنه وسيأتى له منافع أخرى فى خواص المعز والله أعلم.

﴿باب الثاء المثلثة﴾

﴿الثاغية﴾ النعجة قالوا ماله ثاغية ولا راغية أى لا نعجة ولا ناقة أى ماله شىء ومثله ماله دقيقة ولا جليلة فالدقيقة الشاة والجليلة الناقة.

﴿الثرملة﴾ بالضم أنثى الثعالب وسيأتى إن شاء الله تعالى ما فى الثعلب فى هذا الباب.

﴿الثعبان﴾ الكبير من الحيات ذكراً كان أو أنثى والجمع الثعابين والثعبة ضرب من الوزغ وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الواو وقال الجاحظ فى كتاب الأمصار وتفاضل البلدان والثعابين بمصر وليست هى فى بلد غيرها وإليها حول الله عصا موسى ﷺ قال الله تعالى فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين يعنى أنه حولها ثعبانا عظيما ومما يتعلق بخبر الثعبان أن عبد الله بن جدعان كان فى ابتداء أمره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريراً فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج فى شعاب مكة حائرا ثائرا يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا فى جبل فظن أن فيه حية فتعرض للشق يريد أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان يقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديرا بدارة عند بيت ثم خطا خطوة أخرى فصغر به الثعبان فأقبل إليه كالسهم فأفرج له فانساب عنه فوقف ينظر إليه ويفكر فى أمره فوقع فى نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيديه فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث طوال على سرر لم ير مثلهم لا عوجاج المسام وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفى الهبوب فإنهما إذا تلاقيا تمنع إحداهما الأخرى عن الهبوب فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة وربما صادفت الزوبعة السفينة فترفعها وتدورها وتغرقها وربما وقعت قطعة من الغيم فى وسط الزوبعة فتدورها فى الهواء فترى شبه تنين يدور فى الجو وهذا كله من أمر الله وقدره والله أعلم بالصواب.

﴿القول فى أصول الرياح﴾

أصول الرياح أربعة (الشمال) ومهبها من بنات نعش إلى مغرب الشمس (والجنوب) ومهبها من مطلع سهيل إلى مسرق الشمس (والصبا) ومهبها من مطلع بنات نعش إلى المشرق (والدبور) ومهبها من مطلع سهيل إلى المغرب (أما الشمال) فإنها باردة يابسة لأنها تأتى من الناحية التى لا تسامتها الشمس أصلا بل لا تقرب منها وتكون الثلوج والمياه الجامدة بها كثيرة فالريح يجتازبها ويكتسب منها وأيضا هذه الناحية قليلة البحار كثيرة البرارى والجبال فتكتسب منها يبسا وتكون أشد هبوبا من الجنوب لأنها تهب من موضع ضيق من وسط الجبال والجبال بناحية

الشمال كثيرة فيكون مهبها نحو خروج الماء من الأنبوب الضيق (وأما) الجنوب فمهبها على البحار المتسعة فتكون نحو خروج الماء من الإناء الواسع الرأس والشمال تصح الأبدان وتصلبها وتقوى الأدمغة وتصفى اللون وتصحح الحواس وتهيج الشهوة وزعموا أن الرياح الشمالية والجنوبية إذا دام هبوبها على مواضع تولد الحيوان فالشمالية تجعل أكثر أولادها ذكورا والجنوبية تجعل أكثر أولادها أناثا والله أعلم (وأما) الجنوب فحارة رطبة لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء والحر مفرط هناك لأن الشمس تسامتها فى السنة دفعتين ولا تباعد عنها فتزداد بذلك حرا وأيضا هذه الجهة كثيرة البحار فتبخر الشمس منها أبخرة رطبة فتكسب الجنوب منها رطوبة والجنوب ترخى الأبدان وتورث الكسل وتحدث ثقلا فى الأسماع وغشاوة فى البصر ويظهر عند هبوب الجنوب فى البحر سواد عظيم ومن العجب أن الجنوب إذا هبت على الماء الحار بردته والشمال إذا هبت عليه تركته على حرارته كما كان قالوا سبب ذلك أن عند هبوب الشمال تكمن

طولا وعظما وعند رؤسهم لوح من فضة فيه تاريخهم إذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتا الحرث بن مضاض صاحب العذبة الطويلة وإذا عليهم ثياب من وشى لا يمس منها شىء إلا انتثر كالهباء من طول الزمان مكتوب فى اللوح عظات قال ابن هشام كان اللوح من رخام وكان فيه أبانفيلة ابن عبد المدان بن خشرم بن عبد يا ليل بن جرهم بن قحطان بن نبى الله هود عليه السلام عشت من العمر خمسمائة عام وقطعت غور الأرض ظاهرها وباطنها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت وتحته مكتوب :

قد قطعت البلاد فى طلب الثر * وة والمجد قالص الأنواب * وسريت البلاد قفر القفر بقناة وقوة واكتساب * فأصاب الردى بنات فؤادى * بسهام من المنايا صياب فانقضت مدتى وأقصر جهلى * واستراحت عواذلى من عتابى * ورفعت السفاه بالحلم لما نزل الشيب فى محل الشباب * صاح هل رأيت أو سمعت براع * رد فى الضرع ما قرى فى الحلاب

وإذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به منه يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق ومات وفى غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله ﷺ قال كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى يعنى فى الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الأنوار وهو أن عميا رجل من عدوان وقيل من أياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قومه معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى وسط الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغداة وعمى تصغير أعمى على الترخيم فسميت الظهيرة صكة عمى وعبد الله بن جدعان تيمى يكنى أبا زهير وهو ابن عم عائشة رضى الله تعالى عنها ولذلك قالت يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة قال ﷺ لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين كذا قال السهيلى فى الروض الأنف وفى كتاب رى العاطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار أن ابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان بها مغرى وذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يديه ويقبض على ضوء القمر ليأخذه فضحك منه جلساؤه فأخبر بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا فلما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فإذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان ولقد أجاد أبو الفتح على ابن محمد البستى صاحب النظم والنثر فى هذه القصيدة وهى قصيدة طويلة طنانة تشتمل على مواعظ وحكم فلنأت بها بتمامها ونماذيل عليها أهل الفضل ويقال أنها لأمير المؤمنين الراضى بالله وهى هذه :

زيادة المرء فى دنياه نقصان * وربحه غير محض الخير خسران * وكل وجدان حظ لا ثبات له فإن معناه فى التحقيق فقدان * يا عامرا لخراب الدهر مجتهدا * بالله هل لخراب العمر عمران

ويا حريصا على الأموال يجمعها * أنسيت أن سرور المال أحزان

دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها * فصفوها كدر والوصل هجران

وأرع سمعك أمثالا أفصلها * كما يفصل ياقوت ومرجان

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم * فطالما استعبد الإنسان إحسان * وكن على الدهر معوانا لذى أمل
يرجو نداك فإن الحر معوان * من جاد بالمال مال الناس قاطبة * إليه والمال للإنسان فتان
من كان للخير مناعا فليس له * عند الحقيقة إخوان وأخدان * لا تخدشن بمطل وجه عارفة
فالبر يخدشه مطل وليان * ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته * أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان * من يتق الله يحمد فى عواقبه
ويكفه شر من عزّ وا ومن هانوا * حسب الفتى عقله خلا يعاشره * إذا تحاماه إخوان وخلان
لا تستشر غير ندب حازم فطن * قد استوى منه إسرار وإعلان * فللتدابير فرسان إذا ركضوا
فيها أبروا كما للحرب فرسان * وللأمور مواقيت مقدرة * وكل أمر له حد وميزان
من رافق الرفق فى كل الأمور فلم * يندم عليه ولم يذممه إنسان * ولا تكن عجلا فى الأمر تطلبه
فليس يحمد قبل النضج بحران * وذو القناعة راض فى معيشته * وصاحب الحرص إن أثرى فغضبان
كفى من العيش ما قد سد من رمق * ففيه للحر إن حققت غنيان * هما رضيعا لبان حكمة وتقى
وساكنا وطن مال وطغيان * من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى * أغضى عن الحق يوما وهو خزيان
من استشار صروف الدهر قام له * على حقيقة طبع الدهر برهان * من عاشر الناس لاقى منهم نصبا
لأن طبعهم بغى وعدوان * ومن يفتش على الإخوان مجتهدا * فجل إخوان هذا الدهر خوان
من يزرع الشر يحصد فى عواقبه * ندامة ولحصد الزرع إبان * من استنام إلى الأشرار نام وفى
قميصه منهم صل وثعبان * من سالم الناس يسلم من غوائلهم * وعاش وهو قرير العين جذلان
من كان للعقل سلطان عليه غدا * وما على نفسه للحرص سلطان * وإن أساء مسى فليكن لك فى
عروض ذلته صفح وغفران * إذا نبا بكريم موطن فله * وراءه فى بسيط الأرض أوطان
لا تحسبن سرورا دائما أبدا * من سره زمن ساءته أزمان * يا ظالما فرحا بالعز ساعده
إن كنت فى سنة فالدهر يقظان * يا أيها العالم المرضى سيرته * أبشر فأنت بغير الماء ريان
ويا أخا الجهل لو أصبحت فى لجج * فأنت ما بينها لاشك ظمآن * دع التكاسل فى الخيرات تطلبها
فليس يسعد بالخيرات كسلان * صن حر وجهك لا تهتك غلالته * فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم * غرائز لست تحصيها وألوان * ما كل ماء كصيداء لوارده
نعم ولا كل نبت فهو سعدان * من استعان بغير الله فى طلب * فإن ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصما * فإنه الركن إن خانتك أركان * لا ظل للمرء يغنى عن تقى ورضا
وإن أظلته أوراق وأفنان * سحبان من غير مال باقل حصر * وباقل فى ثراء المال سحبان
والناس إخوان من والته دولته * وهم عليه إذا عادته أعوان * يا رافلا فى الشباب الرحب منتشيا
من كاسه هل أصاب الرشد نشوان * لا تغترر بشباب ناعم خضل * فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم * يكن لمثلك فى الإسراف إمعان * هب الشبيبة تبدى عذر صاحبها
ما بال شيبك يستهويه شيطان * كل الذنوب فإن الله يغفرها * إن شيع المرء إخلاص وإيمان
وكل كسر فإن الله يجبره * ومالكسر قناة الدين جبران * أحسن إذا كان إمكان ومقدرة
فلا يدوم على الإنسان إمكان * فالروض يزدان بالأنوار فاغمه * والحر بالعدل والإحسان يزدان

خذها سرائر أمثال مهذبة * فيها لمن يبتغى التبيان تبيان
ماضر حسانها والطبع صائغها * إن لم يصغها قريع الشعر حسان

ومن هنا ذيل من ذيل عليها فقال:

فيبقى داخلا حارا وأما عند هبوب الجنوب فتخرج الحرارة من داخل الماء كما ترى فى الصيف فإن الحرارة تخرج من جوف الأرض إلى خارجها ويبقى داخلها بارداً فخرجت الحرارة من داخل الماء عند هبوب الجنوب والماء فى نفسه بارد يعود إلى طبعه والعرب تزعم أن اللواقح من الجنوب ولا يأتى بالمطر إلا الجنوب (وأما) الصبا فقريبة من الاعتدال فإن كان هبوبها فى أول النهار فهى مائلة إلى البرد لأنها تمر على مواضع باردة فبردت ببعد الشمس عنها بالليل فتكون طيبة جدا إلا أن زمانها قليل لأن شعاع الشمس يسوقها من خلفها فإذا طلعت الشمس ساقها إلى قدامها فلا تزال كذلك تمر قدام الشعاع والشمس تلطفها وتسخنها بحرها وضيائها حتى تصير معتدلة وهى النسيم السحرى الذى يلتذ به الإنسان ويطيب النوم عليه ويجد المريض راحة عند هبوبها ويكون هبوب هذا الريح بالأسحار من الليل والغدوات من النهار والله الموفق

وأما الدبور) فإنها مخالفة للصبا لأنها تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصبا وكذلك تهب فى آخر النهار ولا تهب قبله ولا تهب بالليل لأن الشمس تبلغ موضع مهبها فى ذلك الوقت فتتحلل منه البخارات ولهذا المعنى يكون زمن هبوبها قليلا وجميع ماذكرناه من فوائد الصبا أمر الدبور ضد ذلك وحسبك قول النبى ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور

﴿فصل﴾ فى فوائد عجيبة للرياح (منها) حكايتها لما تمر به من صوت أو رائحة أو كيفية أو بخار أو دخان ومنها إلقاحها الشجر وترطيبها الزرع وتجفيفها إياه وتغييرها طباع الحيوان حتى قيل إن لها تأثيرا فى الذكور والإناث كما ذكرنا وتأثيرها فى الحيوان أن بعضها يرخى البدن وبعضها يصلب ومنها مايصحح القوى ويصفى البشرة ويذكى الحواس ويهيج الشهوة ومنها مايكون بضد ذلك ومنها إجراء السفينة الثقيلة وقطع المسافة الطويلة بمدة يسيرة وأعجب من هذا نشرها السحاب وسوقها إياه إلى المواضع المحتاجة إلى السقى لإحياء

وكن لسنة خير الخلق متبعا * فإنها لنجاة العبد عنوان * فهو الذى شملت للخلق أنعمه وعمهم منه فى الدارين إحسان * جبينه قمر قد زانه خفر * وثغره درر غر ومرجان والبدر يخجل من أنوار طلعته * والشمس من حسنه الوضاح تزدان * به توسلنا فى محو زلتنا لربنا إنه ذو الجود منان * ومذ أتى أبصرت عمى القلوب به * سبل الهدى ووعت للحق آذان

يارب صل عليه ماهمى مطر * فأينعت منه أوراق وأغصان

وابعث إليه سلاما زاكيا عطرا * والآل والصحب لاتفنيه أزمان

ومن نثره يعنى أبا القاسم البستى من أصلح فاسده أرغم حاسده ومن أطاع غضبه أضاع أدبه عادات السادات سادات العادات من سعادة جدك وقوفك عند حدك الرشوة رشاء الحاجات أجهل الناس من كان للإخوان مذلا وعلى السلطان مدلا الفهم شعاع العقل المنية تضحك من الأمنية حد العفاف الرضا بالكفاف توفى البستى رحمه الله سنة أربعمائة .

﴿ثعالة﴾ كنخالة وزبالة وفضالة ثلاثة أخوة يشبه بعضهم بعضا اسم للثعلب وهو معرفة وأرض مثعلة بالفتح أى كثيرة الثعالب كما قالوا معقرة للأرض الكثيرة العقارب (الأمثال) قالوا أروغ من ثعالة قال الشاعر :

فاحتلت حين صرمتنى * والمرء يعجز لامحاله والدهر يلعب بالفتى * والدهر أروغ من ثعاله

والمرء يكسب ماله * والشح يورثه الفساله والعبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه المقاله

وقالوا أعطش من ثعالة واختلفوا فى تفسيره فزعم محمد بن حبيب أنه الثعلب وخالفه ابن الأعرابى فزعم أن ثعالة رجل من بنى مجاشع شرب بول رفيق له فى مفازة فمات عطشا .

﴿الثعبة﴾ ضرب من الوزغ قاله الجوهرى .

﴿الثعلب﴾ معروف والأنثى ثعلبة والجمع ثعالب وأثعل روى ابن قانع فى معجمه عن وابصة بن معبد قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول شر السباع هذه الأثعل يعنى الثعالب وكنية الثعلب أبو الحصين وأبو النجم وأبو نزفل وأبو الوثاب وأبو الحنبض والأنثى أم عويل والذكر ثعلبان وأنشد الكسائى عليه :

أربّ يبول الثعلبان برأسه * لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

هكذا أنشده جماعة وهو وهم فقد رواه أبو حاتم الرازى الثعلبان بالفتح على أنه تثنية ثعلب وذكر أن بنى ثعلب كان لهم صنم يعبدونه فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم وكان للصنم سادن يقال له غاوى بن ظالم فقال البيت المتقدم ثم كسر الصنم وأتى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما اسمك قال غاوى بن ظالم قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه وفى نهاية الغريب أنه كان لرجل صنم وكان يأتى بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له اطعم فجاء ثعلبان فأكل الخبز والزبد ثم عصل على رأس الصنم أى بال والثعلبان ذكر الثعالب وفى كتاب الهروى فجاء ثعلبان فأكلا الخبز والزبد أراد تثنية ثعلب قال الحافظ بن ناصر أخطأ الهروى فى تفسيره وصحف فى روايته وإنما الحديث فجاء ثعلبان وهو الذكر من الثعالب اسم له معروف لامثنى فأكل الخبز والزبد ثم عصل بالعين والصاد على رأس الصنم فقام الرجل فضرب الصنم فكسره ثم جاء إلى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم فأخبره بذلك وقال فيه شعرا وهو :

لقد خاب قوم أملوك لشدة * أرادوا نزالا أن تكون تحارب * فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع إذا حل نائب * أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب والحديث مذكور فى معجم البغوى وابن شاهين وغيرهما والرجل المذكور راشد بن عبد ربه وحديثه مشروح فى كتاب دلائل النبوة لأبى نعيم الأصفهانى وأهل اللغة يستشهدون بهذا البيت فى أسماء الحيوان والفرق فى ذلك بين الذكر والأنثى كما قالوا الأفعوان ذكر الأفاعى والعقربان ذكر العقارب والثعلب سبع جبان مستضعف ذو مكر وخديعة لكنه لفرط الخبث والخديعة يجرى مع كبار السباع ومن حيلته فى طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد قيل للثعلب مالك تعدو أكثر من الكلب فقال لأنى أعدو لنفسى والكلب يعدو لغيره قال الجاحظ ومن أشد سلاح الثعلب عندهم الروغان والتماوت وسلاحه سلحه فإن سلاحه أنتن وألزج وأكثر من سلاح الحبارى قالت العرب أدهى وأنتن من سلاح الثعلب والجاحظ اسمه عمرو بن بحر الكنانى الليثى وقيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين ويقال له الحدقى أيضا لذلك أصابه الفالج فى آخر عمره فكان يطلى نصفه بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول أنا من جانبى الأيمن مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت ومن جانبى الأيسر منقرص فلو مر به الذباب تألمت وقال اصطلحت على جسدى الأضداد فإن أكلت باردا أخذ برجلى وإن أكلت حارا أخذ برأسى وكان ينشد ويقول :

أترجو أن تكون وأنت شيخ * كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب * دريس كالجديد من الثياب

وفى التصانيف فى كل فن وهو من رءوس المعتزلة وإليه تنسب الطائفة الجاحظية من المعتزلة ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة قال ومن العجب فى قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله والثعلب يصيد القنفذ فيأكله والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها والأفعى تصيد العصفور فتأكله والعصفور يصيد الجراد فيأكله والجراد يلتمس فراخ الزنابير فيأكلها والزنبور يصيد النحلة فيأكلها والنحلة تصيد الذبابة فتأكلها والذبابة يصيد البعوضة فتأكلها روى صاحب الغيلانيات فى الجزء الأول عن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فقال رأيت كأنى أجرى مع الثعلب أحسن جرى فقال أجريت ما لا يجرى أنت رجل فى لسانك كذب فاتق الله عز وجل ومن شأن الثعلب إذا دخل برج حمام وكان شبعان قتلها ورمى بها لعلمه أنه إذا جاع عاد إليها وأكلها وهو من الحيوان الذى سلاحه وهو أنتن من سلاح الحبارى كما تقدم فإذا تعرض للقنفذ ولقيه كالكرة وتحصن بشوكه سلح عليه فينبسط فعندها يقبض على مراق بطنه ومن ظريف ما يحكى عنه أن البراغيث إذا كثرت فى صوفه تناول صوفة منه بفيه ثم يدخل النهر قليلا قليلا والبراغيث تصعد فرارا من الماء حتى تجتمع فى الصوفة التى فى فيه فيلقيها فى الماء ثم يهرب والذئب يطالب أولاد الثعلب فإذا ولد له ولد وضع أوراق العنصل على باب وجاره ليهرب الذئب منها وفروه أفضل الفراء ومنه الأبيض والأسود والخلنجى وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات إنه

الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات .

﴿فصل﴾ فى الرعد والبرق وما يتعلق بهما زعموا أن الشمس إذا أشرقت على الأرض حللت منها أجزاء أرضية يخالطها أجزاء نارية ويسمى ذلك المجموع دخانا ثم الدخان يمازجه البخار ويرتفعان معا إلى الطبقة الباردة من الهواء فينعقد البخار سحابا ويحتبس الدخان فيه فإن بقى على حرارته قصد الصعود وإن صار باردا قصد النزول وأيا ما كان يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث منه الرعد وربما يشتعل نارا لشدة المحاكة فيحدث منه البرق إن كان لطيفا والصاعقة إن كان غليظا كثيرا فتحرق كل شىء أصابته فربما يذيب الحديد على الباب ولا يضر بخشبه وربما يذيب الذهب فى الخرقة ولا يضر الخرقة وقد يقع على الماء فيحرق حيتانه وعلى الجبل فيشقه واعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد وذلك لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر وأما السمع

أهدى إلى نوح بن منصور السامانى ثعلب له جناحان من ريش إذا قرب الإنسان منه نشرهما وإذا بعد عنه ألصقهما بجانبيه ثم قال وكانت الثعالب تطير فى الزمن الأول وفى آخر كتاب الأذكياء لأبى الفرج بن الجوزى عن المعافى بن زكرياء قال زعموا أن أسدا وثعلبا وذئبا اصطحبوا فخرجوا يتصيدون فصادوا حمارا وظبيا وأرنبا فقال الأسد للذئب أقسم بيننا صيدنا فقال الأمر أبين من ذلك الحمار لك والأرنب لأبى معاوية يعنى الثعلب والظبى لى فخبطه الأسد فأطاح رأسه ثم أقبل على الثعلب وقال قاتله الله ما أجهله بالقسمة هات أنت يا أبا معاوية فقال الثعلب يا أبا الحرث الأمر أوضح من ذلك الحمار لغذائك والظبى لعشائك والأرنب فيما بين ذلك فقال له الأسد قاتلك الله ما أقضاك من علمك هذه الأقضية قال رأس الذئب الطائح عن جثته وفى رواية عن الشعبى فقال له الأسد قاتلك الله ما أبصرك بالقضاء والقسمة من أين تعلمت هذا قال مما رأيت من أمر الذئب ومما يروى من حيل الثعلب ما ذكره الشافعى قال كنا فى سفر فى أرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب فقمنا نصلى ثم نتعشى فتركنا السفرة كما هى وقمنا إلى الصلاة وكان فيها دجاجتان فجاء الثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا الصلاة أسفنا عليها وقلنا حرمنا طعامنا فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفى فمه شىء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة وأصبنا الذى قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة ومما وقع من فطنة البهائم مما يقارب هذا ما يحكى عن القاسم بن أبى طالب التنوخى الأنبارى قال كنت ماضيا إلى الأنبار فى رفقة فيها بازدارية السلطان قد خرجوا يروضونها فأطلقوا بازيا على دراج فطار الدراج إلى غيضة فدخل فيها وألقى نفسه بين شوك كان فيها فأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين فى رجليه ونام على قفاه ورفع رجليه فاستتر بذلك من الباز فلما قرب منه البازدارى طار فصاده البازدارى فقالوا ما رأينا قط دراجا أحذق من هذا وقد أورد هذه الحكاية القاضى أبو على الحسن بن على التنوخى أيضا فى كتابه أخبار المذاكرة ونشوان المحاضرة بألفاظ مخالفة لما سيق هنا فقال وحدثنى أبو القاسم ابن أبى طالب التنوخى الأنبارى قال كنت ماضيا إلى الأنبار مع رفقة بازدارية للسلطان فأطلقوا بازيا على دراج لاح لهم فطار الدراج ولحقه الباز فأخذوا يهللون ويكبرون ويعجبون فلحقتهم وسألتهم فإذا بالدراج قد دخل غيضة فألقى نفسه بين شوك كان فيها وأخذ من ذلك الشوك أصلين كبيرين بين رجليه ونام على قفاه وشال رجليه وفيهما الشوك ليخفى على الباز والباز قد طلبه طويلا فلم يره وقد خفى عليه أمره بذلك الشوك الذى شاله فى رجليه حتى ستر به نفسه إلى أن جاء البازدارية فرأوا الدراج فقصدتوه وقربوا منه فطار وأحس به الباز فاصطاده فسمعتهم يقولون ما رأينا قط دراجا أمكر من هذا ولا أحذق منه بالتوقى ولا سمعنا بمثل هذا وأسرفوا فى التعجب منه وهذه أخبار تقارب ما تقدم فى فطنة الطير وذكائه وقال القاضى أبو على التنوخى حدثنى أبو الفتح البصروى قال حدثنى بعض أهل الموصل ممن كان مغرى بالصيد وطلب الجوارح أن صيادا من أهل أرمينية وتلك النواحى حدثه قال خرجت إلى الصحراء يوما فنصبت شبكتى وجعلت فيها طائرا مستأنسا ودخلت فى كوخ تحت الأرض يسترنى وجعلت أنظر إلى الشبكة حتى إذا وقع فيها شىء من البزاة أو الصقورة أو الشواهين أو غير ذلك من الجوارح أخذته فلما كان قريبا من الظهر وإذا بزمجة لطيفة قد طارت على الشبكة فلما رأتها نفرت وترجلت قريبا منها فجلست على الأرض ساعة فإذا بعقاب جائز فلما رآها ترجل معها وجلسا جميعا وإذا بطائر يطير فى الجو فنهضت الزمجة قبل العقاب وطارت خلف الطائر فلم تزايله إلى أن صادته وجاءت به فنسرته وصار لحما وأقبلت

فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على تموج الهواء وذهاب النظر أسرع من وصول الصوت ألا ترى أن القصار إذا ضرب الثوب فإن النظر يرى ضرب الثوب ثم يسمع الصوت بعد ذلك بزمان والرعد والبرق لا يكونان فى الشتاء لقلة البخار الدخانى ولهذا المعنى لا يوجد فى البلاد الباردة عند نزول الثلج لأن شدة البرد تطفئ البخار الدخانى والبرق الكثير يقع عنده مطر كثير وذلك لتكاثف أجزاء الغمام فإنها إذا تكاثفت انحصر الماء فيها فإذا نزل بشدة كما إذا احتبس الماء ومنع جريه ثم أطلق فإنه يجرى جريا شديدا ولهذه العلة من أمسك نفسه عن الضحك قهقه بغتة والله الموفق

﴿فصل﴾ فى الهالة وقوس قزح وغيرهما من الأشياء التى تظهر ونراها فى الجو

قال القاضى عمر بن سهلان المناوى رحمه الله تعالى تحقيق هذه الأمور موقوف على مقدمات (المقدمة الأولى) فى معنى انعكاس البصر وهو لا يقاس على انعكاس الضوء لأن انعكاس الضوء له حقيقة فى الخارج

وأما انعكاس البصر فلا حقيقة له فى الخارج وإنما يقدر بطريق التوهم إذ

تأكل فجاء العقاب وأكل معها فلما فنى اللحم زاف العقاب عليها فضربت وجهه بجناحها فزاف ثانية فضربته أشد من الأول فزاف الثالثة فضربته أشد من ذلك ولم تزل تضربه بمنسرها إلى أن قتلته وطارت فتعجبت من نفورها من الشبكة وقلت هى كرزة ويجوز أن تعرف الشبكة بالعادة وبماسوى ذلك من مناهضتها للطائر قبل العقاب حتى صادته ثم أنها منعت العقاب من سفادها وأنها أطعمته من صيدها ثم لم ترض بذلك حتى قتلته لما ألح عليها وطعمت فى أن أصيدها لأصيد بها ما لا فيمة له فبت ليلتى فى ذلك الكوخ فلما كان من الغد فإذا هى قد ترجلت قريبا من الشبكة فى مثل ذلك الوقت فنزل إليها عقاب فجلس معها وعن لهما صيد فجرت صورتها مع العقاب الثانى كما جرت مع العقاب الأول سواء بلا اختلاف ألبتة وطارت فزاد تعجبى وحرصى عليها وبت ليلتى الثانية فى الكوخ فلما كان فى اليوم الثالث فإذا بها قد ترجلت على الصورة والرسم وإذا بعد ساعة بعقاب لطيف الجثة وحشى الريش قد ترجل فما مضت ساعة حتى عن لهما صيد فهمت الزجة بالنهوض فضربها العقاب بجناحه ضربة كاد يقتلها ونهض مسرعا إلى الطيران حتى اصطاد الطائر وجاء به فنسره وطرحه بين يديها ولم يذق منه شيئا حتى أكلت الزجة واستوفت ثم أكل هو بعدها لحم الطائر الباقى وفنى فزاف عليها فزافت له ولم تمنعه فزاف الثانية فركبها فمكنته حتى سفدها ثم طارا معا (وحكى) القاضى أبو على التنوخى أيضا قال حدثنى فارس بن مشغف أحد الجند القدماء المولدين وقد صار بوابا لأبى محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال كنت أصحاب قائد آمن قواد السلطان يعرف بأبى إسحاق ابن أبى مسعود الأزدى وكانت إليه إمارة المدائن اسبانين والمدينة العتيقة وكانت إذ ذاك عامرة آهلة والسلاطين ينزلون بها وكنت مقيما فيها معه وكان لهجا بالصيد فخرج ذات يوم وأنا معه إلى المدينة المعروفة بالرمية المقابلة للمدينة العتيقة وهى إذ ذاك خراب ومعه صقارته وآلة صيده وجنده حتى مل وسلك الطريق راجعا وكان معه صقر له فارة قد شبع مما أطعمه من صيده فمسح الصقار صدره وحمله على يده وهو يسير إذ اضطرب الصقر اضطرابا شديدا فقال له ابن أبى مسعود قد شاهد الصقر طريدة وهذا الاضطراب لأجلها فأرسله فقال ياسيدى هو صقر شره واضطرابه ليس لهذا وقد شبع ولا آمن أن أرسله على طريد وهو شبعان فيتيه فزاد اضطراب الصقر فقال أرسله وليس عليك منه شىء فأرسله فطار وتراكضنا خلفه حتى جاء إلى أجمة صغيرة تستره ونحن نراه فرفرف عليها وإذا بشىء قد صعد منها مثل النشاب فى مقدار زج النشابة فقط فخاص عنه الصقر ثم انحط فى الأجمة فدخلنا خلفه فإذا هو ترجل على حبارى واصطادها وإذا هو طلع على يد الصقار ومن عادة الحبارى أن تذوق على الجارح الذى يصيدها لتجرح جناحه وتعقره بذرقها لحماه وحدته وينسلخ جلده والصقر عارف بذلك فاحتال عليها الصقر فرفرف عليها كأنه يريد صيدها فذرقت الحبارى إلى فوق حتى صعدت ذرقتها فلما أخطأت الصقر انحط عليها فى الحال فاصطادها وكان الصقارون ومن حضر من الجند والمتصيدين المدنيين يعجبون من ذلك ويعدونه من غرائب ما شاهدوه من أفعال الجوارح وذكر القاضى التنوخى عن فارس هذا قال كنت مع هارون ابن غريب الحبال من جملة عسكره ورجاله ونحن قيام بين يدى حلوان والجند سائرون وهو يتصيد فى طويقه إذ عن له غزال فأرسل عليه صقرا كان بحضرته ولم يكن الكلابون بالقرب منه فيرسلون كلبا لأن العادة أن الصقر لا يصيد غزالا إلا إذا كان معه كلب وذلك أن الصقر يطير فيقع على رأسه فيعقره ويضرب بجناحيه بين عينيه فيمنعه من شدة العدو فيلحقه الكلب فيصيده هكذا جرت العادة فى صيد الغزلان بالصقور إلا أن ابن الحبال لما لاح له الغزال أطلق الصقر لئلا يفوته الغزال وغرر به لحوق الكلاب فى الحال وقد رأى أن يشغله الصقر عن العدو فتلحقه خيلنا ورماحنا فطار الصقر

لا فرق فى مقصودنا بين الانعكاسين أما انعكاس الضوء فهو أن يقع شعاع من جسم مضىء على جسم كثيف صقيل وينعكس منه ويقع على جسم كثيف يكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع الجسم المضىء من ذلك الصقيل لكنه يخالفه فى الجهة على وجه تكون زاوية الاتصال كزاوية الانعكاس وليس ذلك يشكل هندسى ولتكن دائرة (كر) جرم الشمس ودائرة خط المرآة الصقيلة وخط (أب) شعاع الشمس و (ح) الجسم الكثيف الذى هو فى خلاف جهة الشمس من المرآة فإن الشعاع يرجع من المرآة ويقع على الجسم الكثيف إذا لم يكن بينهما حائل فلو قدرنا أن من شعاع (اب) يقوم على سطح المرآة خط كالعمود وفرضنا على سطح المرآة خطا وهو (ده) تظهر من خط (اب) الذى هو شعاع (يه) المفرض على سطح المرآة زاوية ومن خط (ح) الذى هو العشارع الراجع ومن خط (يه) زاوية أخرى موازية للزاوية المتقدمة فزوية (أى د) زاوية اتصال الشعاع وزاوية

وتراكضنا خلفه وأنا ممن ركض وجرى الغزال فوافى إلى منحدر فى الصحراء فانحدر فيه فلما حصل منحدراً سقط الصقر على خده وعنقه فأنشب مخلبيه فيهما وحمله الغزال فرأينا الصقر قد سدل أحد مخلبيه حتى أنه يخط فى الأرض حتى إذا وصل إلى موضع من الصحراء فيه شوك فعلق بأصل شوك عظيم ثم جذب عنق الغزال بالمخلب الآخر الذى كان أمسكه به فى خده وأصل عنقه وإذا به قد دق عنقه وصرعه فلحقناه وذكيناه ووقعت البشارة أقال ابن الجبال ومن معه ما رأينا قط صقراً أفره من هذا وخلع على الصقار خلعة حسنة (وحكى) القاضى أبو على التنوخى قال أخبرنى أبو القاسم البصرى قال أخبرنى بعض الجمدارية من الجند أنه كان مع قائد من قوادهم فى الصيد ومعه عقاب يصيد به وقد اصطاد واستكفى إذا ضطرب العقاب على يد العقاب اضطراباً شديداً خاف على نفسه لأن العقاب ربما أتلف عقابه إذا منعه من إرادته وليس يجرى مجرى غيره من الجوارح فأرسله العقاب فطار وطرد وراءه فإذا به قد سقط على شيخ ضعيف كان يجر شوكا وهو يمشى على أربعة فنسره ودق عنقه وأتلفه وولغ فى دمه وأكل من لحمه وإذا بالعقاب قد جاء إلى القائد فقال له ما الخبر فقال ياسيدى اصطاد العقاب شيخا وحشيا بريا وكان يسمعنا نقول اصطد لنا غزالا وحشيا وسنورا بريا فقدر أن شيخا بريا ووحشيا مثله ولم يفكر أن العقاب أتلف رجلا مسلما فقال القائد ويحك ما تقول وحرك فحركنا وراءه فوجدنا الشيخ فاغتم لذلك غما شديدا وعجبنا من أمر العقاب (وحكى) القاضى التنوخى فى كتابه أيضا قال حدثنى أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد قال حدثنى بعض المتصيدين وقد تجارينا عجائب ما يجرى فيه فقال من أحسن وأظرف ما رأينا منه أن بازيا كان لفلان وسماه أرسله فاصطاد دراجا وقبض عليه بإحدى يديه وترجل كما جرت به العادة وأمسكه ينتظر البازدارى فيذبحه ويطعمه منه كما جرت العادة فى مثل ذلك وهو على جانبه إذ أبصر دراجا آخر يطير فطار والدراج الأول فى إحدى يديه حتى قبض على الدراج الآخر فاصطاده وترجل وقد أمسكهما بيديه جميعا فاجتمعنا وشاهدناه على هذه الحالة فاستظرفناه ثم أخذنا هما من يديه وذكر ابن الجوزى فى آخر كتاب الأذكياء والحافظ أبو نعيم فى حلية الأولياء عن الشعبى أنه قال مرض الأسد فعاده جميع السباع ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الأسد إذا حضر فأعلمنى فلما حضر أعلمه فعاتبه فى ذلك فقال كنت فى طلب الدواء لك قال فأى شىء أصبت قال خرزة فى ساق الذئب ينبغى أن تخرج فضرب الأسد بمخالبه فى ساق الذئب وانسل الثعلب فمر به الذئب بعد ذلك ودمه يسيل فقال له الثعلب ياصاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ماذا يخرج من رأسك قال الحافظ أبو نعيم لم يقصد الشعبى من هذا سوى ضرب المثل وتعليم العقلاء وتنبيه الناس وتأكيد الوصية فى حفظ اللسان وتهذيب الأخلاق والتأدب بكل طريق وفى مثل ذلك قيل : احفظ لسانك لاتقول فتبتلى ٭ إن البلاء موكل بالمنطق

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة عن ثلاثة نقرة كنقرة الديك وإقعاء كإقعاء الكلب والتفات كالتفات الثعلب وقيل للشعبى يقال فى المثل إن شريحا أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف فكان إذا قام يصلى يجىء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كميه وجعل قلنسوته عليها فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة فلذلك يقال شريح أدهى من الثعلب وأحيل ويقال ضغا الثعلب والسنور يضغو ضغوا وضغاء أى صاح وكذلك صوت كل ذليل مقهور ويقال للإمام العلامة أبى منصور عبد الملك بن محمد النيسابورى رأس المؤلفين

(ه ب ح) زاوية انعكاس كان ناكصا على أعقابه فإذا عرف انعكاس الضوء فيقاس عليه انعكاس البصر فنقول إذا كان فى محاذاة النظر جسم صقيل وتوهمنا أن خطا خرج من الحدقة واتصل بالجسم الصقيل وقدرنا خروج خط من هذا السطح بين سطح الجسم الصقيل وبين سطح الخط المتصل من الناظر فيظهر من الخطين أعنى الخط المتصل من الناظر إلى الجسم الصقيل والخط المرسوم على سطح الجسم زاويتان فإن كانتا قائمتين فانعكاس البصر ناكص على أعقابه وإن لم تكونا قائمتين فالتى تكون من طرف الناظر حادة والأخرى منفرجة فلو فرضنا خطا خارجا من النقطة المشتركة بين هذين الخطين مخالفا لجهة الناظر ويكون وضعه من هذا الجسم الصقيل كوضع خط الناظر فكل جسم كثيف وقع فى طريق هذا الخط يراه الناظر وتسمى هذه الرؤية انعكاس البصر كإذا رأى الإنسان فى المرآة من كان خلفه أو على جانبيه أو كان فوقه أو تحته إذا كان بهذه الشرائط والله الموفق

وإمام المصنفين صاحب التصانيف الفائقة والآداب الرائقة كثمار القلوب وفقه اللغة ويتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر وغير ذلك من التصانيف الثعالبى منسوب إلى خياطة جلود الثعالب لأنه كان فراء ويتيمة الدهر أكبر كتبه وأحسنها وفيها يقول أبو الفتح نصر الله بن قلاقس الاسكندرانى :

أبيات أشعار اليتيمة * أبكار أفكار قديمه ماتوا وعاشت بعدهم * فلذاك سميت اليتيمة

ومن شعر أبى منصور الثعالبى :

ياسيداً بالكرامات ارتدى * وانتعل العيوق والفرقدا * مالك لاتجرى على مقتضى
مودة طال عليها المدى * إن غبت لم أطلب وهذا سليما * ن بن داود نبى الهدى
تفقد الطير على شغله * فقال مالى لاأرى الهدهدا

وقال فى غلام له مسافر : قديت مسافراً ركب الفيافى * فأثر فى محاسنه السفار
فمسك ورد خديه السوافى * وغبر مسك صدغيه الغبار

توفى سنة تسع وعشرين وقيل سنة ثلاثين وأربعمائة (الحكم) نص إمامنا الشافعى رحمه الله على حل أكله وقال ابن الصلاح ليس فى حله حديث عن رسول الله ﷺ وفى تحريمه حديثان فى إسنادهما ضعف واعتمد الشافعى فى ذلك على عادة العرب فى أكله فيندرج فى عموم قوله تعالى قل أحل لكم الطيبات وبحله قال طاوس وعطاء وقتادة وغيرهم ونقل فى فوائد رحلته عن أبى سعيد عثمان بن سعيد الدارمى الإمام فى الحديث والفقه تليذ البويطى رحمه الله تعالى أن الثعلب حرام وكره أبو حنيفة ومالك أكله وأكثر الروايات عن أحمد تحريمه لأنه سبع (الأمثال) قالوا أروغ من ثعلب قال الشاعر:

كل خليل كنت خاللته * لاترك الله له واضحه كلهم أروغ من ثعلب * ماأشبه الليلة بالبارحه

وفى المجالسة للدينورى أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال وهو على المنبر إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ولم يروغوا روغان الثعالب وفى رواية الثعلب وفى شعب البيهقى وأمثال العسكرى عن الحسن بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال مثل الذى يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين فجعل يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الأرض يا ثعلب دينى دينى فخرج فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه فمات وقالوا أذل ممن بالت عليه الثعالب يضرب لمن يستذل كما تقدم وأدهى من ثعلب وأعطش من ثعالبة قال حميد بن ثور :

ألم تر مابينى وبين ابن عامر * من الود قد بالت عليه الثعالب
وأصبح صافى الود بينى وبينه * كأن لم يكن والدهر فيه عجائب

(الخواص) رأسه إذا ترك فى برج حمام هربت كلها ونابه يشد على الصبى الذى به ريح الصبيان يذهب عنه ولايفزع فى نومه وتحسن أخلاقه ومرارته إذا نفخت فى أنف المصروع لايصرع أبداً ولحمه ينفع من اللوقة والجذام وشحمه يذاب ويطلى به من به النقرس يزول وجعه فى الحال وخصيته تشد على الصبى فتنبت أسنانه بغير ألم وفروه أنفع شىء للبرطوبين بخورا ولبسا ودمه إذا طلى به رأس صبى نبت شعره وإن كان أقرع وإذا استصحب دمه إنسان لاتؤثر فيه حيلة محتال ورئته إذا سحقت وشربت نفعت من الريح وأنيابه إذا علقت على المصروع برئ وطحاله إذا شد على ذى الطحال الوجيع أبرأه وقال هرمس من أمسك كليتى الثعلب بيده لم يخف الكلاب ولم تنبح عليه وأذنه إذا علقت على الخنازير التى فى العنق أبرأتها وشحمه إذا أذيب وقطر فى الأذن الوجعة سكن وجعها وذكره ينفع من

(المقدمة الثانية) إن المرآة الصغيرة لايرى فيها شكل الأشياء كما هى بل يرى منها لونها كالشكل المربع والمثلث وأمثالها فإن شكلها لايرى فى المرآة الصغيرة بل يرى لونها كأحمر وأسود (المقدمة الثالثة) إن المرآة إذا كانت ملونة لايرى فيها لون الأشياء كما هى بل ترى فيها مشوبة بلون المرآة كالكافور فى الشىء الأخضر فإنه يرى أبيض مشوبا بلون الخضرة وهكذا سائر الألوان (المقدمة الرابعة) إن مايرى فى المرآة لاحقيقة له فى المرآة لأنه لو كان له فى المرآة حقيقة لكان الناظر إذا انتقل إلى مكان آخر رأى ذلك الشىء فيه على وضعه وليس كذلك لأنا نرى شجرة فى المرآة ثم إذا انتقلنا إلى جانب آخر نرى الشجرة فى جانب غير ذلك الجانب وما كان حقيقيا لايتغير مكانه بسبب تغير مكان الناظر إليه فثبت أن مايرى فى المرآة لاحقيقة له بل هو من باب الخيال ومعنى الخيال فى هذا المقام أن ترى صورة الشىء مع صورة غيره يتوهم أن إحداهما داخلة فى الأخرى ولا يكون فى الحقيقة كذلك بل إحداهما ترى بواسطة الأخرى من غير ثبوتها فيها فإذا نظر الناظر فى المرآة

فكل جسم تكون نسبته إلى المرآة كنسبة الناظر على ما بيناه فى انعكاس شعاع البصر يصير مرئيا إذا عرفت هذه المقدمات فنقول وبالله التوفيق (أما الهالة) فتحدث من أجزاء صقيلة صغيرة حدثت فى الجو وأحاطت بغيم رقيق لطيف لا يستر ما وراءه وانعكس من الأجزاء الصقيلة شعاع البصر إلى القمر لأن ضوء البصر وغيره وقع على الصقيل ينعكس إلى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك الصقيل كوضع المضىء منه إذا كان جهته مخالفة لجهة المضىء فيرى ضوء القمر ولا يرى شكله لأن المرآة إذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرئى فيها بل ضوؤه فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضوء القمر فترى دائرة مضيئة وهى الهالة (وأما قوس قزح) فإنما يكون إذا حدثت فى خلاف جهة الشمس أجزاء مائية شفافة صافية من نزول مطر أو بخار وكانت الشمس مكشوفة قريبة من الأفق المقابل ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم وإذا استدبر الناظر الشمس ونظر

الصداع إذا علق على الرأس ومرارته إذا طلى بها الذهب يصير لونه لون النحاس وخصيته تنفع من الورم الكائن عند الأذنين إذا دلك بها وكبده إذا سقى منه وزن مثقال بشراب من به وجع الطحال أبرأه من ساعته وشحمه إذا طلى به أطراف اليدين والرجلين أمنت مضرة البرد ودماغه إذا خلط بورس وطلى به الرأس أذهب القرع والحزاز والبثور وسقوط الشعر وقضيبه إذا علق على الصبى الذى يبكى بالليل ويفزع يذهب ذلك عنه وكذلك يفعل الناب وشحمه تجتمع عليه البراغيث حيث كان وخصيته إذا جففت وسقى منها رجل وزن درهم زاد فى الجماع والإنعاظ وزبله يسحق بدهن ورد ويطلى به الإحليل وقت الجماع يزيد فيه ما شاء وفى كتاب الأبدان إن طلبت شحم الثعلب فلم تجده فبدله شحم الذئب (التعبير) الثعلب فى المنام امرأة فمن رأى أنه يلاعب ثعلبا فإن له امرأة يحبها وتحبه وقيل الثعلب رجل ذو مكر وخديعة فمن نازعه فإنه ينازع غريما كذلك وأكل لحمه يدل على وجع يصيب الأكل من الرياح ويبرأ وقيل أنه عدو من قبل سلطان وقالت اليهود أنه يدل على الطبيب أو المنجم وقالت النصارى من قبل ثعلبا فإنه يصيب امرأة عزيزة وقيل من قتل ثعلبا قتل ولد رجل شريف ومن شرب لبن ثعلب شفى من مرض وقيل من نازع ثعلبا فى نومه خاصم بعض أهله وأصدقائه والله تعالى أعلم .

﴿ الثفا ﴾ بالثاء المثلثة وبالفاء والألف فى آخره السنور البرى وهو قريب من الثعلب على شكل السنور الأهلى وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى .

﴿ الثقلان ﴾ الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض وقيل لشرفهما وكل شريف يقال له ثقيل وقيل لأنهما مثقلان بالذنوب .

﴿ الثلج ﴾ فرخ العقاب قاله ابن سيده .

﴿ الثنى ﴾ الذى يلقى تثنيته ويكون ذلك فى ذوات الظلف والحافر فى السنة الثالثة وفى ذى الخف فى السنة السادسة والجمع ثنيان وثنايا والأنثى ثنية والجمع ثنيان .

﴿ الثور ﴾ الذكر من البقر وكنيته أبو عجل والأنثى ثورة والجمع ثورة وثيران وثيرة قال سيبويه قلبوا الواو ياء حيث كانت بعد كسرة قال وليس هذا بمطرد وقال المبرد إنما قلبوا ثيرة ليفرقوا بينه وبين ثورة الاقط وبنوه على فعلة ثم حركوه وسمى الثور ثورا لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها قال فى الإحياء نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان فى قرن فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف له الآخر فبكى أبو الدرداء رضى الله عنه وقال هكذا الإخوان فى الله عز وجل يعملان لله تعالى فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا فى إخائه فهو منافق والإخلاص استواء الغيب والشهادة والقلب واللسان ﴿ فائدة ﴾ قال وهب بن منبه كانت الأرض كالسفينة تذهب وتجىء فخلق الله تعالى ملكا فى غاية العظم والقوة وأمره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه ففعل وأخرج يدا من المشرق ويدا من المغرب وقبض على أطراف الأرض فأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف ثقبة يخرج من كل ثقبة بحر لا يعلم عظمه إلا الله عز وجل ثم أمر الصخرة فدخلت تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله عز وجل ثورا عظيم له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه وألسنة وقوائم ما بين كل اثنتين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرنه

واسم هذا الثور كيوثا ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد أن ينظر إليه لعظمه وبريق عينيه وكبرهما حتى قيل إنه لو وضعت البحار كلها فى إحدى مناخره لكانت كحودلة فى فلاة فأمر الله تعالى ذلك الحوت أن يكون قراراً لقوائم هذا الثور واسم هذا الحوت بهموت ثم جعل قراره الماء وتحت الماء هواء وتحت الهواء ماء وتحت الماء ظلمات ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمات هكذا نقله القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى الجزء الثالث والعشرين منه ﴿فائدة أخرى﴾ روى مسلم فى كتاب الظهار والنسائى فى عشرة النساء عن ثوبان أن أهل الجنة حين يدخلونها ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها ويأكلون من زيادة كبد الحوت وروى هناد ابن السرى وابن إسحاق بإسناد حسن أن الشهداء حين يدخلون الجنة يخرج عليهم حوت وثور من الجنة لغدائهم فيلعبان حتى إذا كثر عجبهم منهما طعن الثور الحوت بقرنه فبقره لهم كما يذبحون ثم يروحان عليهم أيضا لعشائهم فيلعبان فيضرب الحوت الثور بذنبه فيبقره كما يذبحون قال السهيلى وفى هذا الحديث من باب التفكر والاعتبار أن الحوت لما كان عليه قرار هذه الأرض وهو حيوان سابح استشعر أهل هذه الدار أنهم فى منزل قلعة وبوار وليست بدار قرار فإذا نحر لهم قبل أن يدخلوا الجنة فأكلوا من كبده كان فى ذلك إشعارهم بالراحة من دار الزوال وأنهم قد صاروا إلى دار القرار كما يذبح لهم الكبش الأملح على الصراط ليعلموا أنه لا موت ولا فناء وأما الثور فهو آلة الحرث وأهل الدنيا لا يخلون من أحد هذين الحرثين حرث لدنياهم وحرث لأخراهم ففى نحر الثور هنالك إشعار براحتهم من الكدين وترفيههم من نصب الحرثين ﴿فائدة أخرى﴾ روى البخارى فى بدء الخلق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة انفرد به البخارى وقد رواه الحافظ وأبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس ابن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن خالد بن عبد الله القشيرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول وما ذنبهما ثم قال البزار ولا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى من طريق درست بن زياد عن يزيد الرقاشى وهما ضعيفان عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار وقال كعب الأحبار يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان فى جهنم ليراهما من عبدهما كما قال تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية وخرج أبو داود الطيالسى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار وفى نهاية الغريب قيل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة فى قوله تعالى وكل فى فلك يسبحون ثم أخبر سبحانه وتعالى بجعلهما فى النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحان بها صارا كأنهما ثوران عقيران لا يبرحان كذلك ذكر ذلك أبو موسى وهو كما تراه وقيل إنما يجمعان فى جهنم لأنهما عبدا من دون الله عز وجل ولا يكون لهما عذاب لأنهما جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة على تبكيت الكافرين وخزيهم ورد ابن عباس قول كعب الأحبار وقال الله أجل وأكرم من أن يعذب الشمس والقمر وإنما يخلقهما يوم القيامة أسودين مكورين

فأدت ضوء الشمس دون الشكل لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدى ضوء الشمس دون شكلها كما بينا وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة بحيث لو جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائرة على محيط فلكها لكانت تلك الأجزاء مساماتة لتلك الدائرة وتختلف ألوان القوس بحسب تركب لون المرآة ولون الشمس كما بينا فترى قوسيا مختلفة الألوان بعضها أحمر وبعضها أخضر وبعضها أرجوانى وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية وقد ترى فى بعض الأوقات فيها أصفر أيضا فلو لم يكن وراء الأجزاء الصقيلة التى حدثت بعد المطر أو البخار جسم كثيف لا يظهر قوس قزح لأن الأجزاء الشفافة ينفذ شعاع البصر فيها ولا ينعكس كالبلور إذا جعلته فى مقابلة الشمس من غير أن يكون وراءه جسم كثيف ينعكس عنه شعاع البصر قال بعضهم سبب اختلاف ألوانها قربها من الشمس وبعدها فما يرى منها أحمر فإنه أقرب إلى الشمس وما يرى أصفر فإنه أبعد من الأحمر وما يرى أرجوانيا فبعيد عن الشمس ومخالط للظلمة وما يرى كبيتا فمركب من الصفرة والأرجوانى

والبنفسجى وحكى الشيخ الرئيس أنه كان على الجبل الذى بين باورد وطوس وأنه أعلى الجبال وكانت السماء مكشوفة فقال كنت فى

وسط الجبل بيني وبين الأرض سحاب رطب والشمس في وسط السماء فنظرت إلى السحاب الذي كان بيني وبين الأرض فرأيت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت في النزول عن الجبل والدائرة تصغر فكلما نزلت رأيتها أصغر مما كانت قبل ذلك إلى أن وصلت إلى السحاب فاضمحلت ﴿النظر الثالث في كرة الماء﴾ الماء جرم بسيط طباعه أن يكون باردا رطبا شفافا متحركا إلى المكان الذي تحت كرة الهواء وفوق كرة الأرض زعموا أن شكل الماء كروي لأن راكب البحر إذا قرب من جبل ظهر أعلاه أولا ثم أسفله مع أن البعد بينه وبين الأعلى أكثر مما بينه وبين الأسفل ولو لم يكن للماء حدبة تمنع من ذلك لما رأى أعلاه قبل أسفله لكن استدارة كرة الماء غير صحيحة لأن الباري تعالى لما أراد أن يجعل الأرض مقرا للحيوان وحيوانات البر لا بد لها من الهواء للتنفس ومن الأرض للبقر فخلق جلت قدرته الأرض ذات تضاريس خارجة من الماء بمنزلة خشونات تكون على ظاهر الكرة وذلك لا يقدح في أن يكون شكل الماء أو شكل الأرض كرويا ثم أنه تعالى جعل التضاريس محلا للحيوانات البرية والوهاد للحيوانات المائية وكل واحد من الأركان في حيزه محيط بالآخر إلا الماء فإنه منعته العناية الإلهية عن الإحاطة بجميع جوانب الأرض لما ذكرنا من الحكمة (واعلم) أن الماء عذب ومالح وكل واحد منها له فائدة لا توجد في الآخر أما المالح فملوحته من

فإذا كانا حيال العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان إلهنا قد علمت طاعتنا لك وسرعتنا في المضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة الكافرين إيانا فيقول الرب تعالى صدقتما إني قضيت على نفسي أني أبدئ وأعيد وأني أعيدكما إلى ما بدأتكما منه وإني خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه فيختلطان بنور العرش فذلك معنى قوله تعالى إنه هو يبدئ ويعيد وروى أبو نعيم في ترجمة سعيد بن جبير أنه قال أهبط الله تعالى إلى آدم ثورا أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه وهو الذي قال الله تعالى فيه فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فكان ذلك شقاءه وكان عليه السلام يقول لحواء أنت عملت بي هذا فليس أحد ولد آدم يعمل على ثور إلا قال حو دخلت عليه من قبل آدم وكانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب إما لكدر الماء أو لقلة العطش ضربوا الثور فيقتحم الماء لأن البقر تتبعه وقال في ذلك أنس بن مدركة في قتله سليك بن سلكة :

إني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر

(الأمثال) قالوا الثور يحمي أنفه بروقه والروق القرن يضرب في الحث على حفظ الحريم وفي سنن النسائي وسيرة ابن هشام أن الصديق رضي الله تعالى عنه لما قدم المدينة مع رسول الله ﷺ أخذته الحمى وعامر بن فهيرة وبلالا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت كيف أصبحت يا أبت فقال :

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون إن أبي ليهذي ثم قلت لعامر كيف تجدك فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * والمرء يأتي حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت والله هذا ما يدري ما يقول ثم قلت لبلال كيف أصبحت فقال :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بفخ وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت ثم إني دخلت على رسول الله ﷺ فأخبرته فقال اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا اللهم انقل حماها إلى مهيعة * قول عامر بطوقه الطوق الطاقة وقول بلال بفخ هو واد بمكة ومجنة سوق بأسفل مكة وشامة وطفيل جبلان مشرفان على مجنة وقوله ﷺ مهيعة الجحفة * وقالت العرب أرعى من ثور وقالوا إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض روى عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال إنما مثلي ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة أبيض وأسود وأحمر ومعها فيها أسد فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعها عليه فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر إنه لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض فإن لونه مشهور ولوني على لونكما فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمة وصفت فقالا دونك وإياه فكله فأكله ومضت مدة على ذلك ثم إن الأسد قال للثور الأحمر لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود فقال له شأنك به فأكله ثم بعد أيام قال للثور الأحمر إني آكلك لا محالة فقال دعني أنادي ثلاثة أصوات فقال افعل فنادى إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض قالها ثلاثا ثم قال علي كرم الله وجهه إنما هنت يوم قتل عثمان رضي الله تعالى عنه يرفع بها صوته (ومن خواصه) أنه إذا نزى الثور على البقرة ثم بال بعد نزوله فمن أخذ من ذلك الطين وطلى به إحليله هيج الباه

والنمط ومثانته إذا أخذت وجففت وسحقت وسقيت لمن يبول فى فراشه بخل وماء بارد نفعه وأبرأه وإذا وقف الثور عن السير فاربط خصيتيه فإنه يسير بنشاط وينساق سريعا وإذا طرح فى أذن الثور زئبق مات مكانه وإن طلى منخره بدهن ورد صرع وإن كتب ببوله على الحديد أثر فيه حتى يقرأ وقد تقدم له خواص فى باب الباء الموحدة فى البقر (وأما تعبيره) فإنه يدل على سيد شديد البأس كثير النفع والعون موافق مطواع وربما دل على الشاب الجميل لأنه من أسمائه وتدل رؤيته أيضا على ثوران الفتنة أو العون على ما يدلل الأمور والصعاب خصوصا لأرباب الحرث والزراعة والإنشاء وربما دلت رؤيته على البلادة والذهول ورؤية الثور الأبلق فرح وسرور والأسود سودد أو شفاء للمريض وربما دل الثور على الجنون لأنه من أسمائه

﴿الثول﴾ بفتح الثاء وسكون الواو ذكر النحل وقيل جماعة النحل وعلى هذا قال الأصمعى لا واحد له من لفظه والثول بالتحريك جنون يصيب الشاة فلا تتبع الغنم وتستدبر مرتعها وشاة ثولاء وتيس أثول

(الثيتل) الذكر المسن من الأوعال وفى حديث النخعى فى الثيتل بقرة يعنى إذا صاده المحرم أو فى الحرم

﴿باب الجيم﴾

﴿الجأب﴾ الأسد والحمار الوحشى الغليظ والجمع جؤوب

﴿الجارف﴾ ولد الحية

﴿الجارحة﴾ ما تعلم الاصطياد من كلب أو فهد أو بازى أو نحو ذلك والجمع الجوارح قال الله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله سمى جارحة لأنه يكسب لصاحبه والجوارح الكواسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار أى ما كسبتم

﴿الجاموس﴾ واحد الجواميس فارسى معرب وهو حيوان عنده شجاعة وشدة بأس وهو مع ذلك أجزع خلق الله يفرق من عض بعوضة ويهرب منها إلى الماء والأسد يخافه وهو مع شدته وغلظه ذكى ينادى راعيه الإناث يا فلانة يا فلانة فتأتى إليه المناداة ومن طبعه كثرة الحنين إلى وطنه ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده وإذا اجتمع ضرب دائرة وتجعل رؤسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلها والرعاة وأولادها من داخل فتكون الدائرة كأنها مدينة مسورة من صياصيها والذكر منها يناطح ذكرا آخر فإذا غلب أحدهما دخل أجمة فيقيم فيها حتى يعلم من نفسه أنه قوى فيخرج ويطلب ذلك الفحل الذى غلبه فيناطحه حتى يغلبه ويطرده وهو ينغمس فى الماء غالبا إلى خرطومه (وحكمه وخواصه) كالبقر لكن إذا بخر البيت بجلد الجاموس طرد منه البق وأكل لحمه يورث القمل وشحمه إذا خلط بملح أدرانى وطلى به الكلف والجرب والبرص أزالها وأبرأها وقال ابن زهر نقلا عن أرسطاطاليس فى دماغ الجاموس دود من أخذ منه شيئا وعلقه عليه أو على غيره لم ينم ما دام عليه (التعبير) الجاموس فى المنام رجل شجاع جلد لا يخاف أحدا يحتمل أذى الناس فوق طاقته فإن رأت امرأة أن لها قرن جاموس فإنها تتزوج ملكا وإلا كان ذلك قوة ومنعة لقيمها والله أعلم

﴿الجان﴾ حية بيضاء وقيل الحية الصغيرة قال الله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا وقال تعالى فى آية أخرى وما تلك بيمينك يا موسى إلى قوله فإذا هى حية تسعى وقال تعالى فإذا هى ثعبان مبين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وصارت تتورم حتى صارت ثعبانا وهو أعظم ما يكون من الحيات قال تعالى فإذا هى ثعبان مبين

عذوبتها لتغيرت من تأثير الشمس وكثرة الوقوف لأن من شأن الماء العذب أن ينتن من كثرة الوقوف وتأثير الشمس فيه ولو كان كذلك لسارت الرياح بنتنها إلى أطراف الأرض فأدى إلى فساد الهواء ويسمى ذلك طاعونا فصار ذلك سببا لهلاك الحيوان فاقتضت الحكمة أن يكون ماء البحر مالحا لدفع هذا الفساد ومن فوائد الماء المالح الدر والعنبر وأنواع ما يؤتى به من البحر وسيأتى شرحها مفصلا إن شاء الله تعالى والمياه المالحة فى الحمأة فيها شفاء للأمراض الصعبة وماء زمزم صالح لجميع الأمراض المتفاوتة قالوا والجمع جميع من داواه الأطباء لا يكون شطرا ممن عافاه الله تعالى بشرب ماء زمزم وأما العذب فمعظم فائدته الشرب وفيه قوة إذا نقعت فيه مطعوما كالزبيب مثلا يمص جميع حلاوتها حتى لا يترك فيها شيئا من الحلاوة وإذا خالط شيئا يأخذ طبعه ولونه فيصير عسلا وزيتا وخلا ولبنا ودما يقبل جميع الألوان والطعوم ولا لون له ولا طعم ومن عجيب لطف الله تعالى أن كل مأكول ومشروب يحتاج إلى تحصيل أو معالجة حتى يصلح للأكل إلا الماء فإن الله تعالى أكثر منه ولا حاجة إلى معالجته لعموم

فلما ألقى موسى العصا صارت جانا فى الابتداء ثم صارت ثعبانا فى الانتهاء ويقال وصف الله العصا بثلاثة أوصاف بالحية والجان والثعبان لأنها كانت كالحية لعدوها وكالثعبان لابتلاعها وكالجان لتحركها قال فرقد السنجى كان بين لحييها أربعون ذراعا قال ابن عباس والسدى إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه وروى أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هاربا قيل وأخذته أخذة البطن فى ذلك اليوم أربعمائة مرة وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ويقال كانت العصا حية موسى وثعبانا لفرعون وجانا للسحرة وأما قوله ولى فيها مآرب أخرى فكان يحمل عليها زاده وسقاءه وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج منها ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان يرد بها غنمه وكانت تقيه الهوام بإذن الله تعالى وإذا ظهر له عدو حاربته وناضلت عنه وإذا أراد الاستسقاء من البئر صارت شعبتاها كالدلو يستقى به وكان يظهر على شعبتيها نور كالشمعتين تضىء له ويهتدى بها وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها فى الأرض فتغصن أغصان تلك الشجرة وتورق ورقها وتثمر ثمرها قاله ابن عباس والله أعلم وقد تقدم فى باب التاء المثناة أن العصا كانت من آس الجنة أهبطت مع آدم إلى الأرض .

﴿الجبهة﴾ الخيل وهو المراد بقوله ﷺ فى حديث الزكاة ليس فى الجبهة ولا فى النخة ولا فى الكسعة صدقة وقيل للخيل ذلك لأنها خيار البهائم كما يقال وجه السلعة لخيارها ووجه القوم وجهتهم لسيدهم والنخة البقر العوامل مأخوذ من النخ وهو السوق الشديد والكسعة الحمير مأخوذ من الكسع وهو ضرب الآبار قاله الزمخشرى وغيره والله تعالى أعلم .

﴿الجثلة﴾ النملة السوداء وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون فى لفظ النملة ما فيه .

﴿الجحل﴾ بتقديم الجيم على الحاء الحبارى وستأتى إن شاء الله تعالى وقيل هو الحرباء وقيل هو الجعل وقيل هو الضب الكبير المسن وقيل هو اليعسوب العظيم كالجراد إذا سقط لا يضم جناحيه والجمع جحول وجحلان .

﴿الجحمرش﴾ الأرنب المرضع والعجوز الكبيرة والمرأة الثقيلة السمجة والجمع جحامر والتصغير جحيمر .

﴿الجحش﴾ ولد الحمار الوحشى والأهلى قيل وإنما يسمى بذلك قبل أن يعظم والجمع جحاش وجحشان والأنثى جحشة وربما سمى المهر جحشا تشبيها بولد الحمار والجحش ولد الظبية فى لغة هذيل ويقال للرجل إذا كان مستبدا برأيه جحيش وحده كما قالوا عيير وحده يشبهونه فى ذلك بالجحش والعير وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان عمر أجودنا نسيج وحده وقد أعد للأمور أقرانها وروى الدارقطنى أن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها كان اسم أبيها برة وقيل كان اسمه برة بالضم وقال النبى ﷺ لو كان أبوك مؤمنا لسميته باسم رجل منا أهل البيت ولكنى قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة .

﴿الجخدب﴾ بضم الجيم وبالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وجمعه جخادب ضرب من الجنادب وهو الأخضر الطويل الرجلين وقيل هو دويبة نحو من العظاءة ويقال له أبو جخادب .

﴿الجدجد﴾ بالضم صرار الليل قاله الجوهرى وهو قفاز وفيه شبه بالجراد والجمع الجداجد

---

الحاجة إليه فإن الله تعالى كفى الخلق معالجة إصلاح الماء بتأثير الشمس فى مياه البحر وارتفاع البخار منها ثم إن الرياح تسوق ذلك البخار إلى المواضع التى شاء وينزلها مطراً ثم يجون ذلك فى الأوشال والكهوف فى جوف الجبال وتحت الأرض وتخرج منها شيئا بعد شىء وتجرى الأنهار والأودية وتظهر من القنى والآبار بقدر ما يكفى العباد لعامهم فإذا جاء العام المقبل أتاهم مطر وهكذا مثل الدولاب يدور حتى يبلغ الكتاب أجله فسبحانه ما أعظم شأنه ﴿فصل﴾ فى صيرورة البحر فى جانب من الأرض إن من عجيب صنع الله تعالى انحسار الماء عن وجه بعض الأرض ولولا ذلك لكان الأمر الطبيعى يقتضى أن يكون الماء لابساً جميع وجه الأرض حتى تصير الأرض فى وسطه شبيهة بمح البيض والماء حولها بمنزلة البياض ولو كان كذلك لبطل النظام الحسى والحكمة العجيبة التى مر ذكرها من خلق الحيوان والنبات فاقتضى التدبير الإلهى المخالفة بين مركز الأرض ومركز الشمس لتدور على مركزها الخاص الذى هو غير مركز الأرض ليقرب من جانب من الأرض ويبعد من الأخرى فصارت الناحية القريبة منها تحمى ماءها ومن شأن الماء إذا حمى أن ينجذب إلى الجهة التى يحمى فيها بالبخار فإذا انجذب إلى هناك انحسر عن وجه الأرض من الجانب الذى يقابله من

وقال الميدانى الجدجد ضرب من الخنافس يصوت فى الصحارى من أول الليل إلى الصبح فإذا طلبه طالب لم يره ولذلك قالوا أمكن من جدجد وفى حديث عطاء فى الجدجد يموت فى الوضوء قال لا بأس به والوضوء بفتح الواو اسم للماء الذى يتوضأ به وبالضم اسم للفعل وسيأتى ذكر الجدجد فى باب الصاد المهملة فى الكلام على الصرار .

﴿الجداية﴾ بكسر الجيم وفتحها الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة وخص بعضهم به الذكر منها قال الأصمعى الجداية بمنزلة العتاق من الغنم وفى سنن أبى داود والترمذى عن كلدة بن حنبل الغسانى وليس له فى الكتب الستة سواه قال بعثنى صفوان بن أمية إلى رسول الله ﷺ بلبن وجداية وضغابيس والنبى ﷺ بأعلى مكة فدخلت ولم أسلم فقال ارجع وقل السلام عليكم وذلك بعدما أسلم صفوان . الضغابيس صغار القثاء والجداية الصغير من الظباء ذكرا كان أو أنثى .

﴿الجدى﴾ الذكر من أولاد المعز وثلاثة أجد فإذا كثرت فهى الجداء روى أبو داود عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ كان يصلى فذهب جدى يمر بين يديه فجعل يتقيه وروى الطبرانى والبزار بإسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال كان جدى فى غنم كثيرة ترضعه أمه فتربيه فانفلت يوما فرضع الغنم كلها ثم لم يشبع فقيل أن مثل هذا مثل قوم يأتون من بعدهم فيعطى الرجل منهم ما يكفى القبيلة أو الأمة ثم لم يشبع وفى صفوة الصفوة وغيرها عن مجاهد قال كان عمر رضى الله عنه يقول لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يطالب الله به عمر . الطف اسم موضع بناحية الكوفة وأضيف إلى الفرات لقربه منه (الأمثال) قالوا تغد بالجدى قبل أن يتعشى بك يضرب للأخذ بالحزم (الخواص) لحم الجدى أقل حرارة ورطوبة من الخروف وأسرع المعز هضما وأجوده الجدى الأحمر والأزرق ولحمه سريع الانهضام لكنه يضر بأصحاب القولنج والعسل يذهب مضرته وهو جيد الغذاء ويكره السمين من ذكورها وإناثها لعسر انهضامها ورداءة غذائها ولحوم المعز بالجملة نافعة لمن به الدمامل والبور ولحومها فى الشتاء رديئة وفى الصيف جيدة وفى باقى الفصول متوسطة (التعبير) الجدى فى المنام ولد فمن رأى جديا مذبوحا فهو موت ولد وأكل الجدى المشوى يدل على موت ولد ذكر فإن أكل منه ذراعه نجا من الهلكة وأن أكل منه الجنب اليسار فإنه يدل على هم وحزن والنصف مما يلى الرأس إلى السرة يعبر بالمرأة والبنات والنصف مما يلى السرة إلى الرجلين يعبر بالبنين والذراع المشوى فى المنام إذا كان ناضجا فهو رزق من امرأة يمكر بها وإذا كان غير ناضج فهو غيبة ونميمة ويأتى القول فيه فى باب الخروف فإنه مثله

﴿الأجدل﴾ الصقر صفة غالبة عليه وأصله من الجدل الذى هو الشدة وهى الأجادل كسروه تكسير الأسماء لغلبة الصفة ولذلك جعله سيبويه مما يكون صفة فى بعض الكلام واسما فى بعض اللغات وقد يقال للأجدل أجدلى ونظيره أعجم وأعجمى وهو ممنوع من الصرف كأخيل عند قليل والأكثر أنهما مصروفان (الأمثال) قالوا بيض القطا يحضنه الأجدل يضرب للشريف يأوى إليه الوضيع

﴿الجذاع﴾ بفتح الجيم والذال المعجمة وهو من الضأن ماله سنة تامة هذا هو الأصح عند أصحابنا وهو الأشهر عند أهل اللغة وغيرهم وقيل ماله ستة أشهر وقيل ماله سبعة وقيل ثمانية وقيل عشرة حكاه القاضى عياض وهو غريب قيل أن كان متولدا بين شابين فستة أشهر وإن كان بين هرمين فثمانية أشهر قال بعض أهل البادية الأجذاع هو أن تكون الصوفة على الظهر قائمة وإذا أجذع

فصار جانب الجنوب بحرا وجانب الشمال يبسا لتتم حكمته وينتظم أمر العالم على ما هو موجود ومانرى من البحار مستنقعات على وجه الأرض وسيأتى شرحها إن شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ فى أحوال عجيبة تعرض للبحار إن للبحار أحوالا عجيبة من ارتفاع مياهها وهيجانها فى أوقات مختلفة من الفصول الأربعة وأوائل الشهور وأواخرها وساعات الليل والنهار أما إرتفاعها فزعموا أن الشمس إذا أثرت فى مياهها لطفت وتحللت وملأت مكانا أوسع مما كان فيه قبل فدافعت أجزاؤها بعضها بعضا إلى الجهات الخمس الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق فتكون على سواحلها فى وقت واحد رياح مختلفة هذا ما ذكروه فى سبب ارتفاع مياهها وأما مد بعض البحار فى وقت طلوع القمر فزعموا أن فى قعر البحر صخورا صلدة وأحجارا صلبة وإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح أشعته إلى تلك الصخور والأحجار التى فى قرارها ثم انعكست من هناك متراجعة فسخنت تلك المياه وحميت ولطفت فطلبت مكانا أوسع وتموجت إلى ساحلها ودفع بعضها بعضا وفاضت على شطوطها وتراجعت المياه التى كانت تنصب إليها إلى خلف فلا تزال كذلك ما دام القمر مرتفعا إلى وسط سمائه

بامت والجذع من المعز ماله سنتان على الأصح وقيل سنة قال الجوهرى الجذع قبل الثنى والجمع جذعان وجذاع والأنثى جذعة والجمع جذعات تقول لولد الشاة فى السنة الثانية ولولد المعز والحافر فى السنة الثالثة وللإبل فى السنة الخامسة أجذع والجذع اسم له فى زمن وليس لسن تنبت ولا تسقط روى زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط فجاء النبى ﷺ وأبو بكر وقد نفرا من المشركين فقالا ياغلام هل عندك من لبن تسقينا فقلت إنى مؤتمن ولست بساقيكما فقال ﷺ هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل قلت نعم قال فائتنى بها قال فأتيتهما بها فاعتقلها النبى ﷺ ومسح الضرع ودعا فجعل الضرع يحفل ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها وشرب رسول الله ﷺ وشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال ﷺ للضرع اقلص فقلص أى اجتمع قال فأتيته بعد ذلك فقلت علمنى من هذا القول قال إنك عليم معلم قال فأخذت من فيه سبعين سورة لاينازعنى فيها أحد وفى حديث المبعث أن ورقة بن نوفل قال ياليتنى فيها جذعا الضمير فى فيها للنبوة أى ليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى أبالغ فى نصرتها وحمايتها وجذعا منصوب على الحال من الضمير فى فيها تقديره ليتنى مستقر فيها جذعا أى شاربا وقيل هو منصوب بإضمار كان وضعف ذلك لأن كان الناقصة لاتضمر إلا إذا كان فى الكلام لفظ ظاهر يقتضيها كقولهم إن خيراً فخير وإن شرا فشر أى إن كان خيرا فخير وروى الحافظ الدمياطى عن على بن صالح قال كان ولد عبد المطلب عشرة كل منهم يأكل جذعة وروى أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد من طريق صحيح أن أعرابيا سأل النبى ﷺ عن شجرة طوبى فقال له هل أتيت الشأم فيها شجرة يقال لها الجوزة ثم وصفها ثم إن الأعرابى سأل عن عظم أصلها فقال له لو ركبت جذعة من إبل أهلك ثم طفت بها أو قال درت بها حتى تندق ترقوتها هرما ماقطعتها وذكر السهيلى فى التعريف والأعلام أن أصلها فى قصر النبى ﷺ فى الجنة ثم تنقسم فروعها على منازل أهل الجنة كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا وهذه الشجرة من شجر الجوز.

﴿الجراد﴾ معروف الواحدة جرادة الذكر والأنثى فيه سواء يقال هذا جرادة ذكر وهذه جرادة أنثى كنملة وحمامة قال أهل اللغة وهو مشتق من الجرد قالوا والاشتقاق فى أسماء الأجناس قليل جدا يقال ثوب جرد أى أملس وثوب جرد إذا ذهب زيبره وهو برى وبحرى والكلام الآن فى البرى قال الله تعالى يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر أى فى كل مكان وقيل وجه التشبيه أنهم حيارى فزعون لايهتدون ولاجهة لأحد منهم يقصدها والجراد لاجهة له فيكون أبدا بعضه على بعض وقد شبههم فى آية أخرى بالفراش المبثوث وفيهم من كل هذا شبه وقيل إنهم أولى كالفراش حين يموج بعضهم فى بعض ثم كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعى والجرادة تكنى بأم عوف قال أبو عطاء السندى:

وما صفرا تكنى أم عوف * كأن رجيليتها منجلان

والجراد أصناف مختلفة فبعضه كبير الجثة وبعضه صغير هاو بعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان يلقب بالجرادة الصفراء وكان موصوفا بالشجاعة والإقدام والرأى والدهاء ولى أرمينية وأذربيجان غير مرة وإمرة العراقين وسار فى مائة وعشرين ألفا وغزا القسطنطينية فى خلافة سليمان أخيه وروى عن عمر بن عبد العزيز وهو مذكور فى سنن أبى داود

الأنهار على عادتها فلا يزال كذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربى ثم يبتدئ المد على مثال عادته فى الأفق الشرقى ولايزال ذلك دائما إلى أن يبلغ القمر إلى وتد الأرض وينتهى المد ثم إذا زال القمر عن وتد الأرض أخذ الماء راجعا إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقى هذا قولهم فى مد البحار وجزرها وأما هيجانها فكهيجان الأخلاط فى الأبدان فإنك ترى صاحب الدم والصفراء وغيرهما يهتاج به الخلط ثم يسكن قليلا قليلا وقد عبر النبى ﷺ عن ذلك بعبارة لطيفة فقال إن الملك الموكل بالبحر يضع رجله بالبحر فيكون منه المد ثم يرفع فيكون منه الجزر ولنذكر الآن هيآت البحار وبعض مايتعلق بها من العجائب والله الموفق ﴿البحر المحيط﴾ هو البحر العظيم الذى منه مادة سائر البحار ولم يعرف ساحله يسميه اليونانيون أوقيانوس والبحار التى تراها على وجه الأرض هى بمنزلة الخلجان له وفيها من الجزائر المسكونة والخربة مالايعلمه إلا الله تعالى قال أبو الريحان الخوارزمى رحمه الله إن البحر الذى فى مغرب المعمورة على ساحل بلاد الأندلس يسمى البحر المحيط وتسميه اليونانيون أوقيانوس لايولج فيه وإنما يسلك بالقرب

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائة (ومن الفوائد عنه) أنه لما حصر عمورية حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال أهل عمورية للمسلمين ما بال أمير المؤمنين لم يركب اليوم فقالوا حصل له صداع فأخرجوا لهم برنسا وقالوا ألبسوه إياه ليزول عنه ما يجد فلبسه مسلمة فشفي ففتقوه فلم يجدوا فيه شيئا ثم فتقوا أزراره فإذا فيه بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم فقال المسلمون من أين لكم هذا وإنما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدناه منقوشا في حجر في كنيسة قبل أن يبعث نبيكم بسبعمائة عام قال الحافظ بن عساكر ويكتب للصداع أيضا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا كهيعص حم عسق كم لله من نعمة على كل عبد شاكر وغير شاكر وكم لله من نعمة في كل قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة في كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب أيها الصداع بعز الله وبنور وجه الله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين قال يكتب ويجعل على الرأس فإنه نافع ﴿قلت﴾ وهو عجيب مجرب قال ومما جرب أيضا للصداع أن تكتب هذه الأحرف الآتية على دف خشب وتدق فيه مسمارا على حرف بعد حرف إلى أن يسكن الصداع وتقرأ وأنت تدق ولو شاء لجعله ساكنا وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم وهي هذه الأحرف ا ح ا ك ح ع ح ا م ح وذكر لها خبرا اتفق لهرون الرشيد مع بعض ملوك الروم وسيأتي إن شاء الله تعالى في السوس شيء يتعلق بهذا والجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبى فإذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء الواحدة غوغاة وذلك حين يموج بعضه في بعض فإذا بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الإناث سمي جرادا حينئذ وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتنفرج له فيلقي بيضه في ذلك الصدع فيكون له كالأخوص ويكون حاضنا له ومربيا وللجرادة ست أرجل يدان في صدرها وقائمتان في وسطها ورجلان في مؤخرها وطرفا رجليها منشاران وهو من الحيوان الذي ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعنا وإذا نزل أوله نزل جميعه ولعابه سم ناقع للنبات لا يقع على شيء منه إلا أهلكه وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال بينما أيوب عليه الصلاة والسلام يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه الله تعالى يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك قال الشافعي في هذا الحديث نعم المال الصالح مع العبد الصالح وروى الطبراني والبيهقي عن شعبة عن أبي زهير النميري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا الجراد فإنه جند الله الأعظم ﴿قلت﴾ هذا وإن صح أراد به ما لم يتعرض لإفساد الزرع وغيره فإن تعرض لذلك جاز دفعه بالقتل وغيره والجند العسكر والجمع أجناد وجنود وفي الحديث الأرواح جنود مجندة أي مجموعة كما يقال ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة ثم أسند عن ابن عمر أن جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا مكتوب على جناحيها بالعبرانية

يمر عليه سور القسطنطينية ويتضايق حتى يقع في بحر الشام ثم يمتد نحو الشمال على محاذاة أرض الصقالبة ويخرج منه خليج عظيم في شمال الصقالبة يمتد إلى أرض قريبة من أرض بلغار ﴿البحر الأبيض﴾ ينحرف نحو المشرق بين ساحله وبين أقصى أرض الترك أرضون وجبال مجهولة وخربة غير مسلوكة ثم يتشعب منه خليج من أعظم الخلجان يكون منه البحر الذي يسمى في كل موضع من الأرض التي تحاذيه باسمه فيكون أولا بحر الصين ثم بحر الهند ثم يخرج منه خليجان عظيمان أحدهما بحر فارس والآخر بحر القلزم ثم ينتهي إلى بحر معروف ببحر البربر ويمتد من عدن إلى سقالة الزنج وهذا البحر لا يتجاوزه مركب لعظم المخاطرة ثم ينتهي إلى الجبال المعروفة بالقمر التي ينبع منها عيون نيل مصر ثم إلى أرض سودان المغرب ثم إلى بلاد الأندلس وبحر أوقيانوس وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يعرفه إلا الله تعالى وأما ما وصل إليه الناس فكثير كل جزيرة من عشرين فرسخا إلى مائة

فرسخ وإلى ألف فرسخ والمشهور منها جزيرة قبرص وجزيرة شامس وجزيرة ردوس وجزيرة

نحن جند الله الأكبر ولنا تسع وتسعون بيضة ولو تمت لنا المائة لأكلنا الدنيا بما فيها فقال رسول الله ﷺ اللهم أهلك الجراد واقتل كبارها وأمت صغارها وأفسد بيضها وسد أفواهها عن مزارع المسلمين ومعايشهم إنك سميع الدعاء فجاءه جبريل عليه السلام وقال إنه قد استجيب لك فى بعضه وكذلك أسنده الحاكم فى تاريخ نيسابور أيضا ثم أسند الطبرانى أيضا عن الحسن ابن على قال كنا على مائدة نأكل أنا وأخى محمد بن الحنفية وبنو عمى عبد الله وقثم والفضل أولاد العباس فوقعت جرادة على المائدة فأخذها عبد الله وقال لى مكتوب على هذه فقلت سألت أبى أمير المؤمنين عن ذلك فقال سألت رسول الله ﷺ عنه فقال لى ما مكتوب عليها أنا الله لا إله إلا أنا رب الجراد ورازقها إن شئت بعثتها رزقا لقوم وإن شئت بعثتها بلاء على قوم فقال عبد الله هذا من العلم المكنون ثم أسند أيضا هو وأبو يعلى الموصلى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة من سنى خلافته فقد الجراد فاهتم لذلك هما شديدا فبعث إلى اليمن راكبا وإلى الشأم راكبا وإلى العراق راكبا كل يسأل هل رأوا الجراد فأتاه الراكب الذى سار إلى اليمن بقبضة منه فنثرها بين يديه فلما رأى عمر الجراد كبر وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وأن أول هلاك هذه الأمم الجراد فإذا هلك الجريد تتابعت الأمم مثل النظام إذا قطع سلكه ورواه ابن عدى فى ترجمة محمد بن عيسى العبدى وذكره الحكيم الترمذى فى نوادره وقال إنما صار الجراد أول هذه الأمم هلاكا لأنه خلق من الطينة التى فضلت من خلق آدم عليه الصلاة والسلام وإنما تهلك الأمم بهلاك الآدميين لأنها سخرت لهم وهو فى الكامل والميزان فى ترجمة محمد بن عيسى بن كيسان وفى الحلية فى ترجمة حسان ابن عطية قال الأوزاعى حدثنى حسان قال إنما مثل الشياطين فى كثرتهم كمثل رجل دخل زرعا فيه جراد كثير فكلما وضع رجله تطاير الجراد يمينا وشمالا ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم ما رؤى شىء إلا وعليه شيطان . وفيها فى ترجمة يزيد بن ميسرة قال كان طعام يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام الجراد وقلوب الشجر وكان يقول من أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر وفى الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفه وجه فرس وعينا فيل وعنق ثور وقرنا أيل وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر وفخذ جمل ورجل نعامة وذنب حية وقد أحسن القاضى محيى الدين الشهرزورى فى وصف الجراد بذلك فى قوله :

لها فخذا بكر وساقا نعامة * وقادمتا نسر وجؤجؤ ضيغم
حبتها أفاعى الأرض بطنا وأنعمت * عليها جياد الخيل بالرأس والفم

ومما يستحسن ويستجاد من شعره قوله يصف نزول الثلج من الغيم .

ولما شاب رأس الدهر غيظا * لما قاساه من فقد الكرام
أقام يميط عنه الشيب غيظا * وينثر ما أماط على الأنام

توفى الشهرزورى فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وليس فى الحيوان أكثر إفسادا لما يقتاته الإنسان من الجراد قال الأصمعى أتيت البادية فإذا أعرابى زرع برا له فلما قام على سوقه وجاد سنبله أتاه رجل جراد فجعل الرجل ينظر إليه ولا يدرى كيف الحيلة فيه فأنشأ يقول :

مر الجراد على زرعى فقلت له * لا تأكلن ولا تشغل بإفساد
فقام منهم خطيب فوق سنبلة * إنا على سفر لابد من زناد

متصل بالمحيط ولا بشىء من البحار وهو مستدير إذا أراد السائر أن يطوف به على ساحله لا يمنعه شىء وذكر السمرقندى فى كتابه أن ذا القرنين أراد أن يعرف ساحل هذا البحر فبعث مركبا فيه وأمره بالمسير سنة كاملة لعل أن يأتى بخبر فسار المركب سنة كاملة ما رأى سوى سطح الماء وأراد الرجوع فقال بعضهم نسير شهرا آخر لعلنا نطلع على شىء نبيض به وجوهنا عند الملك ونقلل الزاد والماء فى الرجوع فساروا شهرا آخر فإذا هم بمركب فيه أناس فالتقى المركبان ولم يفهم أحدهما كلام الآخر فدفع قوم ذى القرنين إليهم امرأة وأخذوا منهم رجلا ورجعوا به وزوجوه امرأة منهم فأتت بولد يفهم كلام الوالدين فقالوا له سل أباك من أين جئت فقال من ذلك الجانب فقال لأى شىء قال بعثنا الملك لنعرف حال هذا الجانب فقيل له وهل لكم ملك قال نعم أعظم من هذا الملك والله أعلم بصحة هذا القول (بحر الصين) هو متصل بالبحر المحيط حده من المشرق إلى القلزم ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط ويقال له بحر الهركند وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق قال

وقيل لأعرابى ألك زرع فقال نعم ولكن أتانا رجل من جراد بمثل مناجل الحصا فسبحان من يهلك القوى الأكول بالضعيف المأكول ﴿فائدة﴾ تكتب هذه الكلمات وتجعل فى أنبوبة قصب وتدفن فى لزرع أو فى الكرم فإنه لا يؤذيه الجراد بإذن الله تعالى وهى بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم اللهم أهلك صغارهم واقتل كبارهم وأفسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء إنى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم واستجب منا يا أرحم الراحمين وهو عجيب مجرب ومما يفعل لطرد الجراد أيضا وقد جرب وفعل فصرفه الله به وأخبرنى به الشيخ يحيى ابن عبد الله القرشى وأنه فعل ذلك غير مرة فصرفه الله سبحانه وتعالى عن البلاد التى هو فيها وكفاهم شره وأن بعض العلماء أفاده ذلك وقد سماه لى وذهب عنى اسمه الآن أنه وقع الجراد بأرض وأردت أن الله سبحانه وتعالى يصرفه فخذ منه أربع جرادات واكتب على أجنحتها أربع آيات من كتاب الله تعالى فى جناح كل جرادة آية ثم توجه إلى أى بلد تسميها وتقول لهم انصرفوا إليها ؛ على الأولى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وعلى الثانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعلى الثالثة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وعلى الرابعة فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين (الحكم) أجمع المسلمون على إباحة أكله وقد قال عبد الله بن أبى أوفى غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد رواه أبو داود والبخارى والحافظ أبو نعيم وفيه ويأكله رسول الله ﷺ وروى ابن ماجه عن أنس قال كن أزواج النبى ﷺ يهادين الجراد فى الأطباق وفى الموطأ من حديث ابن عمر أن عمر سئل عن الجراد فقال وددت أن عندى قفة آكل منها وروى البيهقى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع قلت يا أبا الفضل ما الشياع قال الصوت وتقدم أن يحيى بن زكريا كان يأكل الجراد وقلوب الشجر يعنى الذى ينبت فى وسطها غضا طريا قبل أن يقوى ويصلب واحدها قلب بالضم للفرق وكذلك قلب النخلة وقالت الأئمة الأربعة يحل أكله سواء مات حتف أنفه أو بذكاة أو باصطياد مجوسى أو مسلم قطع منه شىء أم لا وعن أحمد رحمه الله أنه إذا قتله البرد لم يؤكل وملخص مذهب مالك أنه إن قطع رأسه حل وإلا فلا والدليل على عموم حله قوله ﷺ أحلت لنا ميتتان ودمان الكبد والطحال والسمك والجراد رواه الإمام الشافعى والإمام أحمد والدارقطنى والبيهقى من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما: مرفوعا قال البيهقى وروى عن ابن عمر موقوفا وهو الأصح واختلف أصحابنا وغيرهم الجراد هل هو صيد برى أو بحرى فقيل بحرى لما روى ابن ماجه عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ دعا على الجراد فقال اللهم أهلك كباره وأفسد صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهه عن معايشنا وأرزاقنا إنك سميع الدعاء فقال رجل يا رسول الله كيف تدعو على جند من أجناد الله تعالى بقطع دابره فقال صلى الله عليه وسلم إن الجراد نثرة الحوت من البحر أى عطسته والمراد أن الجراد من صيد البحر يحل للمحرم أن يصيده وفيه عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى حج أو عمرة فاستقبلنا رجل جراد فجعلنا نضربهن بنعالنا وأسواطنا فقال ﷺ كلوه فإنه من صيد البحر والصحيح أنه برى لأن المحرم يجب عليه فيه الجزاء إذا أتلفه عندنا وبه قال عمر وعثمان وابن عمر وابن عباس وعطاء قال العبدرى وهو قول أهل العلم كافة

مشرق البحر ابتدأ بالمد ولا يزال كذلك إلى أن يبلغ القمر وسط سماء ذلك الموضع فعند ذلك ينتهى المد منتهاه فإذا انحط القمر عن وسط سمائه خرس الماء ورجع ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر مغرب ذلك الموضع فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه فإذا زال القمر من مغرب ذلك ابتدأ المد هناك مرة ثانية ولا يزال كذلك إلى أن يصل القمر إلى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد منتهاه ثانيا ويبتدئ الجزر مرة ثانية إلى أن يبلغ القمر أفق ذلك الموضع فيعود الحال المذكور مرة ثانية قال أبو الريحان فى كتابه المسمى بالآثار الباقية إن بحر الصين إذا قرب هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره إلى وجه الماء وإذا دنا سكونه يبيض طائر مشهور فى البر بجمع القرى وهو طائر لا يصير إلى الأرض أبدا ولا يعرف غير لجة البحر ووقت سكون البحر وقت بيضه وفى هذا البحر من الجزائر ما لا يحصى وفيه مغاص الدر فى الماء العذب يقع فيه الحب الجيد وفى بعض جزائره ينبت الذهب وفيه الحيوانات العجيبة الأشكال وفيه الدردور وهو الموضع الذى إذا وقعت السفينة فيه لا تخرج ولنذكرها إن شاء الله تعالى ﴿فصل﴾ فى جزائر بحر الصين

وهي جزيرة كبيرة في حدود الصين أقصى بلاد الهند يملكها ملك يقال له المهراج قال محمد بن زكريا للمهراج جباية تقع في كل يوم مائتي من من الذهب زنة كل من ستمائة درهم يتخذ منها لبنا ويطرحه في الماء وخزانته الماء وقال ابن الفقيه بها سكان شبه الآدميين إلا أن أخلاقهم بالوحش أشبه ولهم كلام لا يفهم وبها أشجار وهم يطيرون من شجرة إلى شجرة قال وبها نوع من النسانيس له أجنحة كأجنحة الخفافيس من أصل الأذن إلى الذنب وفيها وعول كالبقر الوحشية ألوانها حمر منقطة ببياض وأذنابها كأذناب الظباء ولحومها حامضة وبها دابة الزباد وهي شبه الهر يحلب منها الزباد وبها فأر المسك وبها جبل يسمى النصان وهو جبل مشهور به حيات عظام منها ما يبتلع الفيل وبها قردة بيض كأمثال الجواميس وأمثال الكباش ونوع آخر أبيض الصدر أسود الظهر قال زكريا بن يحيى بن خاقان بجزيرة الراج صنف من الببغاء بيض وحمر وصفر يتكلم بأي لغة تكون وبها خلق على صورة الإنسان يتكلم بكلام لا يفهم يأكل ويشرب كالإنسان وهم بيض وسود وخضر ولها أجنحة تطير بها وقال ابن بحر السيرافي كنت في بعض جزائر الراتج فرأيت وردا

إلا أبا سعيد الخدري فإنه قال لا جزاء فيه وحكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار وعروة بن الزبير فإنه قال هو من صيد البحر لا جزاء فيه واحتج لهم بحديث أبي المهزم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال أصبنا رجلا من جراد فكان الرجل منا يضربه بسوطه وهو محرم فقيل إن هذا لا يصلح فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال إنما هو من صيد البحر رواه أبو داود والترمذي وغيرهما واتفقوا على ضعفه لضعف أبي المهزم وهو بضم الميم وكسر الزاي وفتح الهاء بينهما واسمه يزيد ابن سفيان وسيأتي ذكره في حكم النعامة واحتج الجمهور بما رواه الإمام الشافعي بإسناده الصحيح أو الحسن عن عبد الله بن أبي عمار أنه قال أقبلت مع معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه وكعب الأحبار في أناس محرمين من بيت المقدس بعمرة حتى إذا كنا ببعض الطريق وكعب على نار يصطلي فمرت به رجل من جراد فأخذ جرادتين فقتلهما وكان قد نسي إحرامه ثم ذكر إحرامه فألقاهما فلما قدمنا المدينة دخل القوم على عمر رضي الله عنه ودخلت معهم فقص كعب قصة الجرادتين على عمر فقال ما جعلت على نفسك يا كعب فقال درهمين فقال بخ بخ درهمان خير من مائة جرادة اجعل ما جعلت على نفسك وبإسناد الشافعي والبيهقي الصحيح عن القاسم بن محمد قال كنت جالسا عند ابن عباس فسأله رجل عن جرادة قتلها وهو محرم فقال ابن عباس فيها قبضة من طعام ولتأخذن بقبضة جرادات قال الإمام الشافعي رحمه الله أشار بذلك إلى أن فيها القيمة فالجراد وبيضه مضمونان بالقيمة على المحرم وفي الحرم فلو وطئه عامدا أو جاهلا ضمن ولو عم الجراد المسالك ولم يجد بدا من وطئه فالأظهر أنه لا ضمان وقيل لا ضمان قطعا ويجوز السلم في الجراد والسمك حيا وميتا عند عموم وجودهما وكل جنس يوصف بما يليق به وحكى الرافعي في باب الربا ثلاثة أوجه أحدها أنه ليس من جنس اللحوم قال في الروضة وهو الأصح والثاني أنه من اللحوم البريات والثالث أنه من اللحوم البحريات ويظهر أثر الخلاف في جواز بيعه بلحم بحري أو بري وفيما لو حلف لا يأكل لحما وحكى الموفق بن طاهر قولا غريبا أنه من صيد البحر لأنه يتولد من روث السمك وهو شاذ (الأمثال) قالت العرب ثمرة خير من جرادة وأطيب من جرادة وجاء القوم كالجراد المنتشر أي متفرقين وأجرد من الجراد وأغوى من غوغاء الجراد وقالوا كالجراد لا يبقي ولا يذر يضرب في اشتداد الأمر واستئصال القوم وقالوا أحمى من مجير الجراد وهو مدلج بن سويد الطائي وكان من حديثه فيما ذكر ابن الأعرابي عن الكلبي أنه خلا ذات يوم في خيمته فإذا هو بقوم من طيئ ومعهم أوعيتهم فقال ما خطبكم قالوا جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه فركب فرسه وأخذ رمحه وقال والله لا يتعرض له أحد منكم إلا قتلته أيكون في جواري ثم تريدون أخذه ولم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس فطار فقال شأنكم الآن به فقد تحول عن جواري (الخواص) إذا تبخر الإنسان بالجراد البري نفعه من عسر البول وقال ابن سينا إذا أخذ منه اثنتا عشرة جرادة ونزعت رؤوسها وأطرافها وجعل معها قليل من الآس اليابس وشرب به صاحب الاستسقاء نفعه والجراد الطويل العنق إذا علق على من به حمى الربع نفعه وإذا طلي ببيضه وجوفه الكلف أبرأه (التعبير) الجراد في الرؤيا جند الله لأنه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام وهو عذاب والدبى منه ناس سيئة أخلاقهم قبيحة سيرتهم وإذا وقع في موضع يؤخذ ويؤكل فإنه خير ونعمة وإذا رأى أنه جعله في جرة أو قدر فإنه ينال دراهم ودنانير وروى أن رجلا جاء إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال رأيت كأني أخذت جرادا فجعلته في جرة فقال ابن سيرين دراهم توصلها إلى امرأة فكان كذلك ومن رأى أنه يمطر عليه جراد من ذهب عوضه الله ما ذهب منه لقصة أيوب عليه السلام.

﴿الجراد البحري﴾ قال الشريف هو حيوان له رأس مربع وله مما يلي رأسه صدف خزفي

كثيراً أحمر وأصفر وأزرق وغير ذلك فأخذت ملاءة حمراء وجعلت فيها شيئا من الورد الأزرق فلما أردت حملها رأيت نارا في الملاءة أحرقت جميع ما فيها من الورد ولم تحترق الملاءة فسألت الناس عنها فقالوا إن في هذا الورد منافع كثيرة ولا يمكن إخراجه من هذه الغيضة قال محمد بن زكريا من عجائب هذه الجزيرة شجر الكافور وهو عظيم جدا الشجرة تظل مائة إنسان وأكثر فينقر أعلى الشجرة فيسيل ماء الكافور عدة جرار ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فتنثر منها قطع الكافور وهو صمغ تلك الشجرة فإذا أخذ منها ذلك يبست (ومنها) جزيرة رامني وفيها عجائب كثيرة قال ابن الفقيه فيها ناس حفاة عراة رجال ونساء لا يعرف كلامهم مساكنهم رؤس الأشجار وعلى أبدانهم شعور تغطى سوءاتهم وهم أمة لا يحصى عددها ما كلهم ثمار الأشجار ويستوحشون من الناس فإذا حمل أحد منهم إلى مواضع الناس لا يستقر وينفر إلى الغياض وقال محمد بن زكريا الرازى بجزيرة الرامني ناس عراة لا يفهم كلامهم لأنه شبه صفير ويستوحشون من الناس طول أحدهم أربعة أشبار وجوههم عليها زغب أحمر ويصعدون على الأشجار وبها شجر الكافور والخيزران والبقم ويغرس شجر البقم غرسا وحمله أشبه بالخرنوب وطعمه طعم العلقم وقال محمد بن زكريا الرازى

ونصفه الثانى لا خزف عليه وله فى كلا الجانبين عشرة أيد طوال شبيهة بأيدى العناكب إلا أنها كبار جدا منها ما هو قدر الرغيف ومنها ما هو دون ذلك وهو كثير بساحل البحر ببلاد الغرب ويأكلونه كثيراً مشويا ومطبوخا وله قرنان دقيقان أحمران وعيناه بارزتان مدليتان من رأسه وهذا الجراد حار يابس وأجوده ما يؤكل منه مشويا فى الفرن وهو داخل فى عموم أنواع الصدف وخاصية لحمه النفع من الجذام.

﴿الجزارة﴾ نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان وتكون بعسكر مكرم وأكثر ما توجد فى كهارات السكر وفى الطين الذى هو قوالب السكر قاله فى كامل الصناعة وقال موسى بن عبدالله الإسرائيلى القرطى الجزارة نوع من العقارب صغير الجسم لا يقوم ذنبه على جسمه كما تفعل العقارب بل يجره على الأرض وكذلك توجد ببلاد المشرق قال الجاحظ وهى تكون بعسكر مكرم وجنديسابور إذا لسعت أحداً قتلته وربما تناثر لحمه وربما يعفن وينتن حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو مخمر الوجه مخافة إعدائه وهذا النوع يألف الحشوش والمواضع النادية وسمها حار محرق وقال ابن جميع فى كتابه الإرشاد والجزارة نوع من العقارب وسمها حار يابس يعرض للبدن منه التهاب وكرب وليس يجد لموضع لسعها ألما قال ومن الأشربة النافعة لها ماء الشعير وماء الجبن وسويق التفاح بالماء البارد اه وقال القزوينى والجاحظ وهذا النوع يقتل غالبا اه.

﴿الجرذ﴾ بضم الجيم وفتح الراء المهملة وبالذال المعجمة ذكر الفيران وقيل هو ضرب من الفأر أعظم من اليربوع أكدر فى ذنبه سواد حكاه ابن سيده قال الجاحظ والفرق بين الجرذ والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر والبخاتى والعراب قال وجرذان أنطاكية لا تقوى عليها السنانير لعظمها إلا للواحد بعد الواحد قال وهى ببلاد خراسان قوية جدا وربما عضت النائم فقطعت أذنه وأنا رأيت جرذاً قاتل سنورا ففقأ عين السنور وهرب منه وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار الجرذ إذا خصى أكل جميع الفأر والجرذ لا يقوم له شىء منها قال وزعموا أن الخصى من كل جنس أضعف من الفحل إلا الجرذان فإن الخصاء يحدث فيه شجاعة وجراءة والجمع جرذان كصرد وصردان وأرض جرذة أى ذات جرذان وكنيته أبو جوال وأبو راشد وأبو العدرج وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى وروى أبو داود وابن ماجه وغيرهما عن ضباعة بنت الزبير زوج المقداد بن الأسود قالت ذهب المقداد ابن الأسود لحاجة ببقيع الخبخبة وهو بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الباء الأولى موضع بنواحى المدينة فدخل خربة فإذا الجرذ يخرج من جحر دينارا دينارا حتى أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج طرف خرقة خضراء قال المقداد فقمت فمددت طرف الخرقة فوجدت فيها دينارا فكانت ثمانية عشر دينارا قالت فذهب بها المقداد فاستأذن على رسول الله ﷺ فلما دخل عليه أخبره بذلك وقال خذ صدقتها يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ هل أهويت يدك إلى الجحر قال المقداد لا والذى بعثك بالحق فقال رسول الله ﷺ بعد ذلك للمقداد خذها بارك الله لك فيها وفى رواية هذا رزق ساقه الله إليك وفى صحيح مسلم من حديث سعيد بن أبى عروبة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال إن ناسا من عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله إنا حى من ربيعة فذكر الحديث إلى أن قالوا يا رسول الله فيم نشرب قال رسول الله ﷺ فى أسقية الأدم فقالوا يا رسول الله إن أرضنا كثيرة الجرذان ولا تبقى فيها أسقية الأدم فقال رسول الله ﷺ وإن أكلتها الجرذان وإن أكلتها الجرذان (وحكى) أن امرأة جاءت إلى قيس بن سعد بن عبادة بن دليم وكان

بجزيرة الزامنى الكركندى وهو حيوان على شكل الحمار العظيم جدا على رأسه قرن واحد معقف وقال أيضا إن بها جواميس لا أذناب لها ومنها جزائر السلاهى وهى جزائر كثيرة من دخلها من الآدميين لا يخرج منها لكثرة خيرها وفيها ذهب كثير وبزاة شهب وشواهين ومن العجائب ما حكى أن ملوك السلاهى يهادون ملك الصين ويزعمون أنهم إن لم يفعلوا ذلك قحطت بلادهم ولم يمطروا حكاه ابن الفقيه فى كتابه (ومنها) جزيرة الوقواق تتصل بجزائر الراتج والمسير إليها بالنجوم قالوا إنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة قال موسى بن المبارك السيرافى دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكارا قالوا إنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرا يسمع من يمر بها صوته كأنه يقول واقواق وأهلها يفهمون من هذا الصوت شيئا فيتطيرون منه قال محمد بن زكريا هى جزيرة كثيرة الذهب حتى إن أهلها يتخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وبها شجرة الآبنوس (ومنها) جزيرة البنان فيها قوم عراة ألوانهم بيض ولهم جمال وحسن صورة يأوون إلى رؤس الجبال ويأكلون الناس ومن وراء ذلك جزيرتان عظيمتان طولا وعرضا فيهما قوم سود لهم خلق عادى أجسامهم عظيمة وشعورهم مغلغلة ووجوههم

حليما جوادا فقالت له مشت جرذان بيتى على العصا قال لأدعهن يثبن وثب الأسود ثم ملأ بيتها طعاما وودكا وإداما وروى أنه كان له ديون كثيرة فرض فاستبطأ عواده فقيل له إنهم يستحيون من أجل دينك عليهم فأمر منادياً ينادى من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو برىء منه فأتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها إليه قال عروة وكان قيس بن سعد يقول اللهم ارزقنى مالا فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال قال وكان أبوه سعد بن عبادة يقول اللهم هب لى حمدا وهب لى مجداً فإنه لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال اللهم إن القليل لا يصلحنى ولا أصلح عليه وقال يحيى بن أبى كثير كان قيس بن سعد إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال اللهم ارزقنى مالا أستعين به على الفعال فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال قال الجوهرى الفعل بالفتح مصدر فعل يفعل وقرأ بعضهم وأوحينا إليهم فعل الخيرات والفعل بالكسر الاسم والجمع الفعال مثل قدح وقداح وبئر وبئار والفعال بالفتح الكرم قال هدبة :

ضروبا بلحييه على عظم زوره * إذا القوم هشوا للفعال تقنعا

انتهى وقال ابن سيده الفعال بالفتح اسم للفعل الحسن انتهى توفى قيس بن سعد سنة ستين وقيل سنة تسع وخمسين للهجرة النبوية (وحكمه وخواصه) كالفأر وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى (التعبير) الجرذ فى المنام تدل رؤيته على الفسق والأذى والاجتماع وربما دلت رؤيته على الذل والمقت وربما دلت على نساء جفاة ومن أكل لحمه فى المنام نال رزقا من حرام وقال بعض أهل التعبير يدل على النقلة لمن أخذه أو دخل إلى منزله لقوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكان سببه الجرذ فوقعت النقلة من تلك الأرض وأكل لحمه يدل على غيبة رجل فاسق والله أعلم .

﴿الجرجس﴾ لغة فى القرقس وهو البعوض الصغار وسيأتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى .

﴿الجوارس﴾ النحل وجرست النحل العرفط تجرس جرسا إذا أكلته والجرس فى الأصل الصوت الخفى والعرفط بالضم شجرة الطلح وله صمغ كريه الرائحة فإذا أكلته النحلة حصل فى عسلها شىء من ريحه .

﴿الجرو﴾ بكسر الجيم وفتحها وضمها ثلاث لغات مشهورات الصغير من أولاد الكلب وسائر السباع وفى المثل لا تقتن من كلب سوء جروا قال الشاعر :

ولو ولدت فقيرة جرو كلب * لسب بذلك الجرو الكلاب

وقال ابن سيده الجرو الصغير من كل شىء حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء والرمان روى مسلم فى صحيحه عن ميمونة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أصبح يوما واجما فقالت ميمونة يارسول الله إنى قد استنكرت هيئتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جبريل وعدنى أن يلقانى الليلة فلم يلقنى أما والله ما أخلفنى قط قالت فظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك على ذلك الحال ثم وقع فى نفسه أن جروكلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ صلى الله عليه وسلم بيده ماء فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل فقال له صلى الله عليه وسلم قد كنت وعدتنى أن تلقانى البارحة فقال أجل ولكنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فأمر بقتل الكلاب حتى أنه أمر بقتل كلب الحائط الصغير ويترك كلب الحائط الكبير ورواه الطبرانى عن خولة خادم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بزيادة على ذلك ولفظها أن جروا

طوال وقدم أحدهم مقدار ذراع ويأكلون الناس أيضا (ومنها) جزيرة أطوران وهى جزيرة كبيرة بها الكركند ونوع من القرود كالحمر العظام وبها شجرة الكافور ذكر أن مراكب الاسكندر وقعت فى هذا البحر فوصلت إلى جزيرة فيها قوم على هيئة الإنسان رؤسهم كرءوس السباع فلما دنوا منهم غابوا عن أبصارهم ﴿فصل﴾ فى الحيوانات العجيبة التى وجدت فى هذا البحر (منها) أنه إذا كثرت أمواج هذا البحر ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الحبشة فيصعدون المركب من غير ضرر (ومنها) ما حكى التجار أنهم يرون فى هذا البحر شبه طائر من نور لا يستطيع الناظر أن ينظر إليه لأنه يملأ بصره فإن ارتفع على أعلى الرقل يرون البحر يسكن والأمواج تهدى ويكون ذلك دليل السلامة ثم أنه يفقد فلا يدرون كيف ذهب ومنها طائر يسمى خرشة أكبر من الحمام قال فى تحفة الغرائب إذا طار هذا الطائر يأتيه طائر آخر يقال له كركر يطير تحته ويتوقع وقوع ذرقه فإن غدا كركر تحته ذرق خرشنة عليه وأنه لا يذرق إلا فى طيرانه (ومنها) دابة المسك تخرج من الماء فى كل سنة فى وقت معلوم فتصاد وهى

دخل البيت ودخل تحت السرير ومات فمكث رسول الله ﷺ أياما لا ينزل عليه الوحى فقال يا خولة ما حدث فى بيت رسول الله فإن جبريل لا يأتينى فهل حدث فى بيت رسول الله حدث ثم خرج إلى المسجد قالت فقمت فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا شىء تحت المكنسة ثقيل فلم أزل حتى أخرجته فإذا هو جرو كلب ميت فأخذته بيدى وألقيته خلف الدار فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان إذا أتاه الوحى أخذته الرعدة فقال يا خولة دثرينى فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى قال ابن عبد البر وليس إسناد حديثها هذا مما يحتج به والصحيح أن هذه السورة نزلت فى أول ما نزل من القرآن لما انقطع عنه الوحى فقال المشركون إن محمداً قد ودعه ربه أى هجره فأنزل الله هذه السورة وروى البيهقى فى أواخر الباب السابع والأربعين من الشعب عن معاذ بن جبل قال كان فى بنى إسرائيل رجل عقيم لا يولد له وكان يخرج فإذا رأى غلاما من غلمان بنى إسرائيل عليه حلى يخدعه حتى يدخله بيته فيقتله ويلقيه فى مطمورة له فبينما هو كذلك إذ لقى غلامين أخوين عليهما حلى فأدخلهما بيته وقتلهما وطرحهما فى مطمورته وكانت له امرأة مسلمة تنهاه عن ذلك وتقول له إنى أحذرك النقمة من الله عز وجل فيقول لو أن الله يأخذنى على شىء لأخذنى يوم فعلت كذا وكذا فتقول له المرأة إن صاعك لم يمتلئ ولو امتلأ صاعك لأخذت فلما قتل الغلامين خرج أبوهما فى طلبهما فلم يجد أحدا يخبره عنهما فأتى نبيا من أنبياء بنى إسرائيل وذكر ذلك له فقال له ذلك النبى هل كان معهما لعبة يلعبان بها فقال أبوهما نعم كان لهما جرو فقال فائتنى به فأتاه به فوضع النبى خاتمه بين عينيه ثم خلى سبيله ثم قال أول دار يدخلها من بنى إسرائيل فيها بيان ذلك فأقبل الجرو يتخلل الدور حتى دخل داراً من دور بنى إسرائيل فدخلوا خلفه فوجدوا الغلامين مقتولين مع غلمان كثيرة قد قتلهم وطرحهم فى المطمورة فانطلقوا به إلى ذلك النبى عليه السلام فأمر به أن يصلب فلما رفع إلى الخشبة أتته امرأته وقالت قد كنت أحذرك هذا اليوم وأخبرك أن الله غير تاركك وأنت تقول لو أن الله يأخذنى على شىء لأخذنى يوم فعلت كذا وكذا فأخبرك أن صاعك لم يمتلئ بعد ألا وأن صاعك قد امتلأ وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى لفظ الكلب الحديث الذى فى مسند الإمام أحمد والطبرانى والبزار فى الكلبة التى عوى جروها فى بطنها وروى الحاكم فى المناقب من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إذ اقترب الزمان كثر لبس الطيالسة وكثرت التجارة وكثر المال وعظم رب المال بماله وكثرت الفاحشة وكثر النساء وكانت أمارة الصبيان وجار السلطان وطفف فى المكيال والميزان ويربى الرجل جرو كلب خير له من أن يربى ولدا ولا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا ويكثر الزنا حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق فيقول أمثلهم فى ذلك الزمان لو اعتزلنم عن الطريق ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أمثلهم فى ذلك الزمان المداهن وكذلك رواه الطبرانى فى معجمه الأوسط وفيه سيف بن مسكين وهو ضعيف ﴿الجريث﴾ بكسر الجيم وبالراء المهملة والثاء المثلثة وهو هذا السمك الذى يشبه الثعبان وجمعه جراثى ويقال له أيضا الجرى بالكسر والتشديد وهو نوع من السمك يشبه الحية ويسمى بالفارسية مارماهى وقد تقدم فى باب الهمزة أنه الانكليس قال الجاحظ أنه يأكل الجرذان وهو حية الماء (وحكمه) الحل قال البغوى عند قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه إن الجريث حلال بالاتفاق وهو قول أبى بكر وعمر وابن عباس وزيد بن ثابت وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهم وبه قال شريح والحسن وعطاء وهو مذهب مالك وظاهر

شبيهة بالظباء تذبح ويوجد فى سرتها دم هو المسك ولا يوجد له هناك رائحة حتى تحمل إلى غيرها من البلاد (ومنها) دابة تستوطن شيئا من الجزائر هناك لها رءوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب مقعقعة ولها جناحان تأكل دواب البحر (ومنها) سمكة تزيد على ثلثمائة ذراع يخاف على السفينة منها وتوجد عند جزيرة واقواق فإذا عرف القوم مرورها صاحوا وضربوا بالخشب لتهرب من أصواتهم فإذا رفعت جناحها يكون كالشراع (ومنها) سلاحف استدارة كل سلحفة عشرون ذراعا تبيض كل واحدة ألف بيضة وهذا أيضا يوجد بقرب جزيرة واقواق (ومنها) سمكة تسمى سيلان قال صاحب تحفة الغرائب هذه السمكة تبقى على اليبس يومين حتى تموت فإذا جعلت فى القدر وغطى رأسه تنضج وإن ترك رأس القدر مكشوفا فإذا أثرت فيها النار طفرت وهربت وتختبئ فى كل موضع كابن عرس (ومنها) سمكة يقال لها الأطم وجهها كوجه الخنزير ولها فرج كفرج النساء ولها مكان الفلوس شعر وهى طبق من لحم وطبق من شحم (ومنها) نوع من السرطان يخرج من البحر يكون كالشبر وأصغر من ذلك وأكبر فإذا بانت عن الماء بسرعة حركة وطارت إلى البر عادت حجرا وزالت عنها الحيوانية وتدخل فى أكمال

مذهب الشافعى والمراد هذه الثعابين التى لا تعيش إلا فى الماء وأما الحيات التى تعيش فى البر والبحر فتلك من ذوات السموم وأكلها حرام وسئل ابن عباس عن الجرى فقال هو شىء حرمته اليهود ونحن لا نحرمه (الخواص) مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه ولحمه يجود الصوت وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصيد ما ذكره البخارى فى صحيحه فى الجرى.

﴿الجزور﴾ من الإبل يقع على الذكر والأنثى وهو مؤنث والجمع جزر كذا قاله الجوهرى وقال ابن سيده الجزور الناقة التى تجزر والجمع جزائر وجزر وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات قالت خرنق بنت هفان:

لا يبعدن قومى الذين همو * سم العداة وآفة الجزر
النازلون بكل معترك * والطيبون معاقد الأزر

وبها سميت المجزرة وهى الموضع الذى يذبح فيه وفى كتاب العين الجزور من الضأن والمعز خاصة مأخوذ من الجزر وهو القطع وفى صحيح مسلم من حديث عبد الرحمن بن شماسة أن عمرو بن العاص قال عند موته إذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى ﴿قلت﴾ إنما ضرب المثل بنحر الجزور وتقسيم لحمها لأنه كان فى أول أمره جزارا بمكة فألف نحر الجزائر وضرب به المثل وكونه كان جزارا جزم به ابن قتيبة فى المعارف ونقله ابن دريد فى كتاب الوشاح وكذلك ابن الجوزى فى التلقيح وأضاف إليه الزبير بن العوام وعامر بن كريز فقال هؤلاء كانوا جزارين وذكر التوحيدى فى كتاب بصائر القدماء وسرائر الحكماء صناعة كل من علمت صناعته من قريش فقال كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزازا وكذلك عثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهم وكان عمر رضى الله تعالى عنه دلالا يسعى بين البائع والمشترى وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل وكان الوليد بن المغيرة حدادا وكذلك أبو العاص أخو أبى جهل وكان عقبة بن أبى معيط خمارا وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم وكان عبد الله بن جدعان نخاسا يبيع الجوارى وكان النضر بن الحرث عوادا يضرب بالعود وكان الحكم بن أبى العاص خصاء يخصى الغنم وكذلك حريث بن عمرو والضحاك بن قيس الفهرى وابن سيرين وكان العاص بن وائل السهمى بيطارا يعالج الخيل وكان ابنه عمرو بن العاص جزارا وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأى والقياس وكان الزبير بن العوام خياطا وكذلك عثمان بن طلحة الذى دفع له النبى ﷺ مفتاح الكعبة وقيس بن مخرمة وكان مالك بن دينار وراقا وكان المهلب بن أبى صفرة بستانيا وكان قتيبة بن مسلم الذى فتح بلاد العجم إلى ما وراء النهر جمالا وكان سفيان بن عيينة معلما وكذلك الضحاك بن مزاحم وعطاء بن أبى رباح والكميت الشاعر والحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الحميد بن يحيى صاحب الرسائل وأبو عبد الله القاسم بن سلام والكسائى هذه صناعة الأشراف * قال وأما أديان العرب فإن النصرانية كانت فى ربيعة غسان وبعض قضاعة واليهودية كانت فى حمير وكنانة وكندة وبنى الحرث بن كعب والمجوسية فى تميم ومنهم حاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عند كسرى ووفى به حتى ضرب المثل به فقالوا أوفى من قوس حاجب وفكت أيام النبى ﷺ وأهديت إليه والزندقة كانت فى قريش انتهى وما ذكره من كون الزبير بن العوام كان خياطا فيه نظر والصواب أنه كان جزارا ذكره ابن الجوزى وغيره كما تقدم ولأن عمرو بن العاص يومئذ كان كبير مصر وعظيم أهلها فأشبه الجزور بالنسبة إلى غيرها من بهيمة الأنعام ونحرها موته وتفرقة لحمها قسمة أمواله بعد موته وكان من جملة تركته تسعة أرادب ذهبا * وأما الوضوء من أكل لحم الجزور فقد تقدم فى باب الهمزة

فى لفظ الإبل ذكر من ذهب إليه من الأئمة وأنه المختار المنصور من جهة الدليل ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى ﷺ أنتوضأ من لحوم الغنم فقال إن شئت توضأ وإن شئت فلا تتوضأ فقال أنتوضأ من لحوم الإبل قال نعم توضأ من لحوم الإبل وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن البراء بن عازب قال سئل النبى ﷺ عن الوضوء من لحوم الإبل فقال توضؤا منها وسئل عن لحوم الغنم فقال لا تتوضؤا منها قال النووى رحمه الله هذان حديثان صحيحان ليس عنهما جواب شاف وقد اختاره جماعة من محققى أصحابنا المحدثين اه وروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم ساجد إذ جاءه عقبة بن أبى معيط بسلاء جزور فقذفه على ظهر النبى ﷺ فلم يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها فأخذته من على ظهره ودعت على من صنع ذلك فقال النبى ﷺ اللهم عليك بالملأ من قريش اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف أو أبىّ بن خلف قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر فألقوا فى بئر غير أمية أو أبى فإنه كان ضخما فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقى فى البئر

﴿الجساسة﴾ بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى قال ابن سيده هى دابة فى جزائر البحر تجس الأخبار وتأتى بها الدجال وكذا قال أبو داود السجستانى سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن وهى بجزيرة القلزم وروى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن فاطمة بنت قيس قالت خرج علينا رسول الله ﷺ فقام خطيبا فقال إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى حدثنى أنه ركب سفينة بحرية فى ثلاثين رجلا من لخم وجذام فألجأهم ريح عاصف إلى جزيرة فإذا هم بدابة فقالوا لها ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا أخبرينا الخبر قالت إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم قال فأتيناه فذكر الحديث وتميم الدارى هذا هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد أبو رقية أسلم سنة تسع من الهجرة وروى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثا روى مسلم منها حديث والدين النصيحة، ومن مناقبه العظيمة التى لا يشاركه فيها غيره أن النبى ﷺ روى عنه قصة الجساسة وروى عنه جماعة من الصحابة كابن عباس وأنس وأبى هريرة وجماعة من التابعين وكان بالمدينة ثم انتقل إلى بيت المقدس بعد قتل عثمان وكان كثير التهجد وهو أول من قص على الناس وأول من أسرج المسجد قال الحافظ أبو نعيم وكذلك رواه أبو داود الطيالسى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال أول من أسرج المسجد تميم الدارى وتوفى تميم سنة أربعين وأما تميم الدارى المذكور فى صحيح البخارى فى قصة الجام فذاك نصرانى من أهل دارين قاله مقاتل بن حبان وغيره

﴿جعار﴾ الضبع وفى المثل أعيث من جعار أى أفسد والعيث الفساد قال الشاعر:

فقلت لها عيشى جعار وجرزى * بلحم امرئ لم يشهد النوم ناظره

﴿الجعدة﴾ الشاة وستأتى فى كنى الذئب إن شاء الله تعالى فى باب الذال المعجمة

﴿الجعل﴾ كصرد ورطب وجمعه جعلان بكسر الجيم والعين ساكنة والناس يسمونه أبا جعران لأنه يجمع الجعر اليابس ويدخره فى بيته وهو دويبة معروفة تسمى الزعفران تعض البهائم فى فروجها فتهرب وهو أكبر من الخنفساء شديد السواد فى بطنه لون حمرة للذكر قرنان

على صخرة أو شجرة فتكسر عظامها فى بطنها فيسمع لكسر العظام صوت وفى هذا البحر مغاص الدردور فإذا وقعت السفينة دارت فيه ولم تكد تخرج والملاحون يعرفون مكانه ويجتنبون عنه وحكى بعض التجار قال ركبت هذا البحر فى جمع من التجار فجاءتنا ريح عاصف صرفت المركب عن طريق المقصد وكان معلم المركب شيخا حاذقا إلا أنه كان أعمى وكان يستصحب معه فى السفينة شيئا كثيرا من الحبال وأصحابه ينكرون عليه ويقولون لو حملنا مكان الحبال أحمال التجارة لأصبنا خيرا كثيرا فلما أصابتنا الريح العاصف كان المعلم يقول لأصحابه انظروا ماذا ترونه وهم يخبرونه بالحال إلى أن قالوا نرى طيرا أسود على وجه الماء فجعل يدعو بالويل والثبور ويضرب على رأسه ويقول هلكنا والله فسألناه عن سبب ذلك فقال سترون ما يغنيكم عن إخبارى فما كان إلا يسيرا حتى وقعنا فى الدردور والذى حسبناه طيرا أسود كانت مراكب فيها أناس موتى فبقينا حيارى وانقطع رجاؤنا عن الحياة وانتظرنا الموت فلما شاهد المعلم منا ذلك قال ياقوم هل لكم أن تجعلوا لى شطر أموالكم على إخراجى إياكم من هذه الغمرة فقلنا رضينا بذلك فأمر بأخذ قنينتين مملوءتين من الدهن فأدليتا

فى البحر فاجتمع عليها من التى كانت معه ورموها فى البحر فأكلها السمك ثم أمر القوم بضرب الدف والأخشاب والصياح والتصفيق فإذا المركب تحرك عن مكانه وجرى فلم يزل يفعل ذلك حتى خرجنا من الدود ثم أمر بقطع الحبال فنجونا سالمين بإذن الله تعالى (بحر الهند) هو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ولا يعلم أحد بكيفية اتصاله بالبحر المحيط لعظم اتصال الموضع وسعته وليس كالبحر الغربى فإن انفصال البحر الغربى عن المحيط ظاهر ويتشعب من الهندى خليجان وأعظمها بحر فارس والقلزم فالآخذ منه نحو الشمال بحر فارس والآخذ منه نحو الجنوب بحر الزنج قال ابن الفقيه بحر الهند حاله مخالف لبحر فارس لأن عند نزول الشمس الحوت وقربها من الاستواء الربيعى يبدأ بالظلمة وكثرة الأمواج فلا يركبه أحد لظلمته وصعوبته ولا يزال كذلك إلى قرب الاستواء الخريفى وأشد ما تكون ظلمته وصعوبته عند نزول الشمس فى الجوزاء فإذا صارت الشمس إلى السنبلة تقل ظلمته وتنقص أمواجه ويلين ظهره ويسهل ركوبه إلى أن تصير الشمس إلى الحوت وألين ما يكون عند نزول الشمس بالقوس وفى هذا البحر عجائب كثيرة من الجزائر والحيوان

يوجد كثيرا فى مراح البقر والجواميس ومواضع الروث ويتولد غالبا من أخثاء البقر ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها كما تقدم ومن عجيب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث عاش قال أبو الطيب يصفه فى شعره :

كما تضر رياح الورد بالجعل * وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار وله ستة أرجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشى القهقرى أى يمشى إلى خلف ومع هذه المشية يهتدى إلى بيته ويسمى الكبر تل وإذا أراد الطيران تنفش فيظهر جناحاه فيطير ومن عادته أن يحرس النيام فمن قام لقضاء حاجته تبعه وذلك من شهوته للغائط لأنه قوته روى الطبرانى وابن أبى الدنيا فى كتاب العقوبات والبيهقى فى شعب الإيمان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال إن ذنوب بنى آدم لتقتل الجعل فى جحره وروى الحاكم عن أبى الأحوص عن ابن مسعود أنه قرأ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ثم قال كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب بنى آدم ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال مجاهد فى قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون أنهم دواب الأرض الخنافس والجعلان يمنعون القطر بخطاياهم وروى أبو داود والترمذى وحسنه وهو آخر حديث فى جامعه قبل العلل وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء إما مؤمن تقى أو فاجر شقى أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام ما هم إلا فحم من فحم جهنم أو ليكونن على الله أهون من الجعل الذى يدفع بأنفه النتن وفى رواية أهون على الله من الجعل يدفع الخراء بأنفه وفى مسند أبى داود الطيالسى وشعب الإيمان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال لا تفخروا بآبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية فوالذى نفسى بيده لما يدحرج الجعل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا فى الجاهلية وروى البزار فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ كلكم بنو آدم وآدم من تراب لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان وكان عامر بن مسعود الجمحى الصحابى رضى الله تعالى عنه يلقب دحروجة الجعل لقصر وهو راوى حديث «الصوم فى الشتاء الغنيمة الباردة» وروى الرياشى عن الأصمعى قال مر بنا أعرابى ينشد ابنا له فقلنا له صفه لنا فقال كأنه دنينير فقلنا له لم نره فذهب فلم نلبث أن جاء بصغير أسود كأنه جعل قد حمله على عنقه فقلت له لو سألتنا عن هذا لأرشدناك فإنه لم يزل عامة يومه بين أيدينا ثم أنشد الأصمعى :

زينها الله فى الفؤاد كما * زين فى عين والد ولده

(الحكم) يحرم أكله لاستقذاره (الأمثال) قالوا ألصق من جعل لأنه يتبع الإنسان إلى الغائط كما تقدم قال الشاعر :

إذا أتيت سليمى شب لى جعل * إن الشقى الذى يغرى به الجعل

وهو يضرب للرجل يلصق به من يكرهه فلا يزال يهرب منه (الخواص) إذا أخذ الجعل غير مطبوخ ولا ملوح وجفف وشرب من غير إضافة إلى غيره نفع من لسع العقرب نفعا عظيما (التعبير) الجعل فى المنام عدو بغيض ثقيل وربما دل على رجل مسافر ينقل الأموال من بلد إلى بلد وماله حرام أو فيه شبهة والله أعلم

﴿ الجعول ﴾ ولد النعامة لغة يمانية قاله ابن سيده وسيأتى لفظ النعامة فى باب النون

﴿الجفرة﴾ بفتح الجيم ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز وفصلت عن أمها والذكر جفر سمى بذلك لأنه جفر جنباه أى عظما والجمع أجفار وجفار ﴿فائدة﴾ قال ابن قتيبة فى كتابه «أدب الكاتب» وكتاب الجفر جلد جفر كتب فيه الإمام جعفر بن محمد الصادق لآل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرى بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما * أتاهم علمهم فى مسك جفر

ومرآة المنجم وهى صغرى * أرته كل عامرة وقفر

والمسك الجلد وقيل إن ابن تومرت المعروف بالمهدى ظفر بكتاب الجفر فرأى فيه ما يكون على يد عبد المؤمن صاحب المغرب وقصته وحليته واسمه فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه وكان يكرمه ويقدمه على سائر أصحابه وينشد إذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها * فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة والكف مانحة * والنفس واسعة والوجه منبسط

ولم يصح أن ابن تومرت استخلف عبد المؤمن عند موته وإنما راعى أصحابه إشارته فى تقديمه وإكرامه فتم له الأمر وعبد المؤمن هو الذى حمل الناس فى المغرب حين تم له الأمر على مذهب مالك رحمه الله فى الفروع وعلى مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله فى الأصول وكان عبد المؤمن ملكا حازما عاقلا سفاكا للدماء يقتل على الذنب الصغير توفى فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ومدة ولايته ثلاث وثلاثون سنة وأشهر (وحكمها) الحل ويفدى بها اليربوع إذا قتله المحرم (وخواصها وتعبيرها كالمعز) والله أعلم .

﴿جلكى﴾ كمرطى نوع متولد بين الحية والسمك إذا ذبح لا يخرج منه دم وعظمه رخو يؤكل مع لحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك والله أعلم .

﴿الجلالة﴾ من الحيوان الذى يأكل الجلة والعذرة والجلة البعر يوضع موضع العذرة يقال جلت الدابة الجلة واجتلتها فهى جالة وجلالة إذا التقطتها روى أبو داود وغيره من حديث نافع عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم أن النبى ﷺ نهى عن ركوب الجلالة وروى الحاكم من حديث عبد الله ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحم الجلالة وشرب لبنها وأن لا يحمل عليها ولا يركبها الناس حتى تعلف أربعين ليلة وروى البيهقى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن الشرب من السقاء وعن ركوب الجلالة وعن المجثمة وهى كل حيوان ينصب ويرمى ليقتل إلا أنها تكثر فى الطيور والأرانب وأشباه ذلك مما يجثم بالأرض أى يلزمها ويلتصق بها وجثم الطائر جثوما وهو بمنزلة البروك للإبل وسيأتى الكلام على الجلالة فى فرع فى الكلام على السخلة .

﴿الجلم﴾ اليؤيؤ وهو نوع من الصقور وسيأتى ذكره فيها إن شاء الله تعالى وفى باب الياء أيضا .

﴿الجمل﴾ الذكر من الإبل قال الفراء هو زوج الناقة وكذا قال ابن مسعود لما سئل عن الجمل كأنه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعا وجمع الجمل جمال وأجمال وجمائل وجمالات قال الله تعالى كأنها جمالات صفر قال أكثر المفسرين هى جمع جمال على تصحيح البناء كرجال ورجالات وقال ابن عباس وابن جبير الجمالات قلوس السفن وهى حبالها العظام إذا جمعت مستديرة بعضها إلى بعض جاء منها أجرام عظام وقال ابن عباس أيضا الجمالات قطع النحاس العظام

وغيرهما فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى . ﴿فصل﴾ فى جزائر هذا البحر قال بطليموس إن فى هذا البحر من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة وفيها من الأمم ما لا يحصى عددهم لكن المشهور منها ما يصل إليه أهل بلادنا (منها) جزيرة برطايبل وهى قريبة من جزيرة الراتج قال ابن الفقيه بها قوم وجوههم كالمجان المطرقة وشعورهم كأذناب البراذين وبها الكركدن وبها جبال يسمع منها بالليل صوت الطبل والدف والصياح المزعجة والصيحة المنكرة والبحريون يقولون إن الدجال فيها ويخرج منها وفى هذه الجزيرة يباع القرنفل وذلك أن التجار ينزلون عليها ويضعون بضاعتهم وأمتعتهم على الساحل ويعودون إلى مراكبهم ويبيتون فيها فإذا أصبحوا جاءوا إلى أمتعتهم فيجدون إلى جانب كل بضاعة شيئا من القرنفل فإن رضيه أخذه وترك البضاعة وإن أخذ البضاعة والقرنفل لم تقدر مراكبهم على السير حتى يرد أحدهما إلى مكانه وإن طلب أحدهم الزيادة ترك البضاعة والقرنفل فيزاد له فيه (وذكر) بعض التجار أنه صعد هذه الجزيرة فرأى فيها قوما مرداً صفراً وجوههم كوجوه الأتراك آذانهم مخروقة ولهم شعور على زى النساء فغابوا عن بصره ثم إن التجار بعد ذلك أقاموا

مدة يترددون إلى الساحل فلم يخرجوا إليهم شيء من القرنفل فعلموا أن ذلك بسبب نظرهم إليهم ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه وخاصية هذا القرنفل أنه إذا أكله الإنسان رطبا لا يهرم ولا يشيب شعره ولباس هذه الأمة ورق شجره يقال لها اللوف يأكلون ثمرتها ويلتحفون بورقها ويأكلون أيضا السمك والموز والنارجيل ويصطادون من البحر حيوانا على شكل السرطان وهذا الحيوان إذا خرج إلى البر صار حجرا صلدا وهو مشهور يدخل فى الأودية التى تتعلق بالكحل (ومنها) جزيرة السلامط يجلب منها الصندل والنبل والكافور ويخرج إليها من البحر سمكة تصعد الأشجار وتأكل فواكهها وتمصها مصا ثم تسقط كالسكران فيأتى الناس فيأخذونها وقال فى تحفة الغرائب بهذه الجزيرة عن فوارة يفور الماء منها وبقربها ثقبة ينزل فيها فما بقى من الرشاشات على أطرافها ينعقد حجرا صلدا فما كان من الرشاشات فى النهار يصير حجرا أبيض وما كان فى الليل يصير حجرا أسود ومنها جزيرة القصر وهى جزيرة فيها قصر أبيض يتراءى للمراكب فإذا شاهدوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح والفائدة ذكروا أنه قصر مرتفع شاهق لا يدرى ما فى داخله وكان بعض الملوك سار إليها فدخل القصر بأتباعه فغلبهم النوم

وإنما يسمى البعير جملا إذا أربع ﴿فائدة﴾ كان اسم الجمل الذى ركبته عائشة رضى الله تعالى عنها يوم وقعته عسكرا اشتراه لها يعلى بن أمية بأربعمائة درهم وقيل بمائتى درهم وهو الصحيح قال ابن الأثير مر مالك بن الحرث المعروف بالأشتر النخعى وكان من الأبطال المشهورة وكان من أصحاب على يوم الجمل بعبدالله بن الزبير وكان مع عائشة رضى الله تعالى عنها وكان من الأبطال فتماسكا فصار كل واحد منهما إذا قوى على صاحبه جعله تحته وركب على صدره فعلا ذلك مرارا وابن الزبير يصيح بأعلى صوته :

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

يريد بذلك الأشتر النخعى قال ابن الزبير أمسيت يوم الجمل وفى سبع وثلاثون جراحة ما بين طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم قال ولا ينهزم من الفريقين أحد وما أخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل فأخذت الخطام فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها من أنت قلت ابن الزبير فقالت واثكل أسماء ومربى الأشتر فعرفته فاقتتلنا فوالله ما ضربته ضربة إلا ضربنى بها ستا أو سبعا فجعلت أنادى :

اقتلونى ومالكا * واقتلوا مالكا معى

وضاع الخطام منى ثم أخذ مالك برجلى فرمانى فى الخندق وقال لولا قرابتك من رسول الله ﷺ ما اجتمع منك عضو إلى عضو أبدا وفى رواية فجاء أناس منا ومنهم وتقاتلوا حتى تحاجزنا وضاع منى الخطام وسمعت عليا رضى الله عنه يقول اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت قط أشد من عجيج الجمل ثم أمر على بحمل الهودج من بين القتلى فاحتمله محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر فأدخل محمد بن أبى بكر يده فى الهودج فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها من هذا الذى يتعرض لحرم رسول الله ﷺ أحرقه الله بالنار فقال يا أختاه قولى بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا وقتل طلحة رضى الله تعالى عنه فى الوقعة وكان من حزب عائشة ورجع الزبير فقتله عمرو بن جرموز بوادى السباع وهو نائم وعاد بسيفه إلى على فلما رآه قال إنه لسيف طالما جلا الكرب عن رسول الله ﷺ وأحيط بعائشة ودخل على البصرة فبايعه أهلها وأطلق عثمان بن حنيف وجهز عائشة لما أخرج أخاها محمدا معها وشيعها على بنفسه أميالا وسرح بنيه معها يوما وقيل إن عدة المقتولين من أصحاب الجمل ثمانية آلاف وقيل سبعة عشر ألفا ومن أصحاب على نحو ألف وقطع على خطام الجمل يومئذ نحو ثمانين كفا معظمهم من بنى ضبة كلما قطعت يد رجل أخذ الخطام آخر وفى ذلك يقول الضبى :

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل * ننازل الموت إذا الموت نزل * والموت أحلى عندنا من العسل

وكانوا قد ألبسوه الأدراع إلى أن عقر * ونصب بنى عند النحويين على المدح والتخصيص وكانت وقعة الجمل يوم الخميس العاشر من جمادى الأولى أو الآخرة وقيل فى خامس عشرة سنة ست وثلاثين من ارتفاع الشمس إلى قريب العصر ويروى أن عائشة أعطت الذى بشرها بسلامة ابن الزبير لما لاقى الأشتر عشرة آلاف درهم (وذكر) ابن خلكان وغيره أن الأشتر دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها بعد وقعة الجمل فقالت له يا أشتر أنت الذى أردت قتل ابن أختى يوم الجمل فأنشدها :

أعائش لولا أننى كنت طاويا * ثلاثا لألفيت ابن أختك هالكا
غداة ينادى والرماح تنوشه * بآخر صوت : اقتلونى ومالكا
فنجاه منى أكله وشبابه * وخلوة جوف لم يكن متماسكا

ونقل أنه كان فى رأس ابن الزبير رضى الله عنه ضربة عظيمة من الأشتر لوصب فيها قارورة دهن لاستقر وروى الحاكم من حديث قيس بن أبى حازم وابن أبى شيبة من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تسير أو تخرج حتى ينبحها كلاب الحوأب والحوأب نهر بقرب البصرة، والأدبب الأدب وهو الكثير شعر الوجه قال ابن دحية والعجب من ابن العربى كيف أنكر هذا الحديث فى كتاب الغوامض والعواصم له وذكر أنه لا يوجد له أصل وهو أشهر من فلق الصبح وروى أن عائشة لما خرجت مرت بماء يقال له الحوأب فنبحتها الكلاب فقالت ردونى ردونى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب وهذا الحديث مما أنكر على قيس بن أبى حازم وأما قول الشاعر:

شكا إلى جملى طول السرى * ياجملى ليس إلى المشتكى * صبراً جميلا فكلانا مبتلى

فمعلوم أن الجمل لا ينطق وإنما أراد التجوز ومقابلة الكلام بمثله كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وكقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقول الآخر:

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوم * ومن رام تعويجى فإنى معوج

يريد أكافئ الجاهل والمعوج لأنه امتدح بالجهل والاعوجاج وأما قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط فأراد به الحيوان المعروف لأنه أعظم الحيوانات المتداولة للإنسان جثة فلا يلج إلا فى باب واسع كأنه قال لا يدخلون الجنة أبدا قال الشاعر:

لقد عظم البعير بغير لب * فلم يستغن بالعظم البعير

وقرأ ابن عباس ومجاهد الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وفسر بحبل السفينة الغليظ وسم الخياط هو بخش الإبرة أى ثقبها وقد ألغز فيها الشاعر فقال:

سعت ذات سم فى قميصى فغادرت * به أثراً والله يشفى من السم
كست قيصراً ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهى عارية الجسم

وكنية الجمل أبو أيوب وأبو صفوان وفى حديث أم زرع زوجى لحم جمل غث على رأس جبل وعر وفى سنن أبى داود عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا كان لأبى جهل بن هشام فى أنفه إبرة من فضة يغيظ بذلك المشركين قال الخطابى وفيه من الفقه أن الذكران فى الهدى جائزة وقد روى عن ابن عمر أنه كان يكره ذلك فى الإبل ويرى أن تهدى الإناث منها وفيه دليل أيضا على جواز استعمال اليسير من الفضة فى لجم المراكب من الخيل وغيرها وقوله يغيظ بذلك المشركين معناه أن هذا الجمل كان معروفا لأبى جهل فحازه النبى ﷺ فكان يغيظهم أن يروه فى يده ﷺ وصاحبه قتيل سليب وروى أبو داود والترمذى وابن ماجه عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يارسول الله هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا فقال صلى الله عليه وسلم قد تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ

ذى القرنين رأوا فى بعض الجزائر أمة رءوسهم رءوس الكلاب وأنيابهم خارجة من أفواههم مثل لهيب النار خرجوا إلى المراكب وحاربوهم فرأوا نوراً بعيداً ساطعاً فإذا هو قصر من البلور تخرج منه هذه الأمة فأراد ذو القرنين النزول عليهم ودخول القصر فمنعه بهرام الفيلسوف وقال من نزل هذا القصر يغلبه النوم والغشى ولا يستطيع الخروج فتظفر به هذه الأمة (ومنها) الجزائر الثلاث قال صاحب تحفة الغرائب هى ثلاث جزائر إحداها بجنب الأخرى فى إحداها تبرق السماء طول الليل وفى الثانية تهب ريح شديدة وفى الثالثة تمطر السحاب ولا تزال كذلك من سنة إلى سنة أخرى (ومنها) جزيرة حارة بها جبل عليه نار عظيمة بالليل ترى من بعد بعيد وبالنهار دخان ولا يقدر أحد على الدنو منها وبها العود والموز والنارجيل وقصب السكر وسكانها قوم شقر على صورة الناس إلا أن وجوههم على صدورهم (ومنها) سمكة كبيرة معروفة عندهم يكتب الكتاب برطوبتها لا يبين على الكاغد شىء فإذا كان الليل يظهر على الكاغد كتابة واضحة ويكتب برطوبتها من أراد أن لا يطلع على مكتوبه

أحد (ومنها) سمكة خضراء رأسها كرأس الحية من أكل منها اعتصم من الطعام أياما ومنها سمكة مدورة يقال لها مارماهي على ظهرها شبه عمود محدد الرأس لا تقوم لها في البحر سمكة إلا تضربها بذلك العمود وتقتلها واعلم أن في البحر حيوانات كثيرة ذات صور شتى وليس في ذكرها فائدة فالاقتصار على البعض أولى وقد قيل حدث عن البحر ولا حرج وأما الحيوانات المائية المشهورة فنذكرها إن شاء الله تعالى (بحر فارس) هو شعبة من بحر الهند الأعظم من أعظم شعبها وهو بحر مبارك كثير الخير لم يزل ظهره مركوبا واضطرابه وهيجانه أقل من سائر البحار قال محمد بن زكريا سئل عبد الغفار الشامي البحري عن مد البحار وجزرها فقال لا يكون المد والجزر في البحر الأعظم في السنة إلا مرتين مرة يمد في شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر فإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر وانحسر عن مشارقه وأما بحر فارس فإنه يكون على مطالع القمر وكذلك بحر الصين والهند وبحر طرابزندة فإن القمر إذا صار في أفق من آفاق هذا البحر أخذ المد مقبلا مع القمر ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وسط سماء ذلك الموضع فيجزر الماء ولا يزال راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك انتهى الجزر منتهاه فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدا المد هناك مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر إلى وتد الأرض

وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وعليكم بالطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنما المؤمن كالجمل الآنف حيثما قيد انقاد والآنف الجمل المخزوم الأنف الذي لا يمتنع على قائده وقيل الآنف هو الذلول ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه وفيه إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ والنواجذ بالذال المعجمة الأشهر أنها أقصى الأسنان أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه وفي الحديث أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه والمراد بها ههنا الضواحك وهي التي تبدو عند الضحك لأنه ﷺ كان ضحكه تبسما وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك الجمل وليضع يديه ثم ركبتيه قال الخطابي حديث وائل بن حجر أثبت من هذا وهو ما رواه الأربعة عنه أنه قال رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه وروى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ على جمل فأعيا فنخسه النبي ﷺ ودعا له وقال اركب فركب فكان أمام القوم قال فقال لي النبي ﷺ كيف ترى بعيرك فقلت قد أصابته بركتك قال أفتبيعنيه فاستحييت ولم يكن لي ناضح غيره فقلت نعم فما زال ﷺ يزيدني ويقول والله يغفر لك حتى بعته بأوقية من ذهب على أن لي ركوبه حتى أبلغ المدينة فلما بلغتها قال ﷺ لبلال اعطه الثمن وزده ثم رد ﷺ على الجمل وفي كتاب ابن حبان من حديث حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله تعالى عنه قال استغفر لي رسول الله ﷺ ليلة البعير خمسا وعشرين مرة وبهذا استدل على جواز بيع وشرط والخلاف فيه مقرر في كتب الفقه قال السهيلي والحكمة في شرائه الجمل ورده عليه وأعطاه الثمن بزيادة أنه عليه الصلاة والسلام كان أخبره بأن الله تعالى أحيا أباه ورد عليه روحه فاشترى الجمل منه وهو مطيته كما اشترى الله أنفس الشهداء بثمن هو الجنة ونفس الإنسان مطيته ثم زادهم فقال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ثم رد عليهم أنفسهم التي اشترى منهم فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية فأشار ﷺ بالشراء ورد الثمن والزيادة ثم رد الجمل إليه إلى تأكيد الخبر الذي أخبر به عن الله عز وجل فتشاكل الفعل والخبر وفي مسند الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل حائطا لبعض الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي ﷺ ذرفت عيناه فمسح النبي ﷺ سنامه وفي رواية فمسح زفريبه فسكن ثم قال ﷺ من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال هو لي يا رسول الله فقال ﷺ ألا تتقي الله في هذه البهيمة متى ملكك الله أياها فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه وروى الطبراني عن جابر رضي الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع حتى إذا كنا بحرة واقم إذ أقبل جمل يرقل حتى دنا من النبي ﷺ فجعل يرغو على هامته فقال رسول الله ﷺ إن هذا الجمل يستعديني على صاحبه يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين حتى إذا أعجزه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره اذهب يا جابر إلى صاحبه فائت به قلت ما أعرفه فقال إنه سيدلك عليه قال فخرج الجمل بين يدي معنقا حتى وقف بي في مجلس بني خطمة فقلت أين رب هذا الجمل فقالوا هذا لفلان بن فلان فجئته فقلت له أجب رسول الله ﷺ فخرج معي حتى جاء رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ إن جملك يزعم أنك حرثت عليه زمانا حتى إذا أعجزته وأعجفته وكبر سنه أردت أن تنحره فقال والذي بعثك بالحق إن ذلك لكذلك فقال ﷺ ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال ﷺ تبيعه قال نعم فابتاعه

منه ثم أرسله ﷺ فى الشجر حتى نصب سنامه فكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شىء أعطاه إياه فمكث كذلك زمانا (وحكى) القشيرى فى رسالته وابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن عن أحمد بن عطاء الروذبارى أنه قال كنت راكبا جملا فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت جل الله فقال الجمل جل الله (وحكى) القشيرى عنه أيضا فى باب كرامات الأولياء قال كلمنى رجل فى طريق مكة فقال إنى رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل فقلت سبحان الله سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت إلى جمل وقال قل جل الله فقلت جل الله ﴿غريبة﴾ رأيت بخط بعض العلماء المتقدمين المبرزين أنه كان بخراسان رجل عائن فجلس يوما إلى جماعة فمر بهم قطار جمال فقال العائن من أى جمل تريدون أن أطعمكم من لحمه فأشاروا إلى جمل من أحسنها فنظر إليه العائن فوقع الجمل لساعته وكان صاحب الجمل حكيما فقال من ربط جملى فليحله وليقل بسم الله عظيم الشأن شديد البرهان ما شاء الله كان حبس حابس من حجر يابس وشهاب قابس اللهم إنى رددت عين العائن عليه وفى أحب الناس إليه وفى كبده وكليتيه لحم رقيق وعظم دقيق فيما له يليق فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير فوقف الجمل لساعته كأن لم يكن به بأس وندرت عين العائن ﴿فائدة﴾ العائن إذا اعترف أنه قتل غيره بالعين فلا قود عليه ولا دية ولا كفارة وإن كانت العين حقا لأنه لا يفضى إلى القتل غالبا ويندب للعائن أن يدعو له بالبركة فيقول اللهم بارك فيه ولا تضره وأن يقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله * وذكر القاضى حسين أن نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام استكثر قومه ذات يوم فأمات الله تعالى منهم مائة ألف فى ليلة واحدة فلما أصبح شكا إلى الله من ذلك فقال الله تعالى له إنك لما استكثرتهم عنتهم فهلا حصنتهم فقال يارب فكيف أحصنهم قال تقول حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت أبدا ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قال القاضى وهكذا السنة فى الرجل إذا رأى نفسه سليمة وأحواله معتدلة يقول فى نفسه ذلك وكان القاضى يحصن تلامذته بذلك إذا استكثرهم وذكر الإمام فخر الدين الرازى فى بعض كتبه أن العين لا تؤثر ممن له نفس شريفة لأنها استعظام للشىء وما ذكره القاضى حسين يرد ذلك (وحكى) القشيرى فى رسالته عن محمد بن سعيد البصرى أنه قال بينما أنا أمشى فى بعض طرق البصرة إذ رأيت أعرابيا يسوق جملا ثم التفت فإذا الجمل قد وقع ميتا ووقع الرحل والقتب فمشيت قليلا ثم التفت فإذا الأعرابى يقول يا مسبب ويا مؤمل كل من طلب رد على ما ذهب بحمل الرحل والقتب فقام الجمل وعليه الرحل والقتب وأحياء الموتى كرامة فهو وإن كان عظيما إلا أنه جائز على القول الصحيح المختار عند المحققين المعتمدين من أئمة الأصول إذ ما جاز أن يكون معجزة لنبى جاز أن يكون كرامة لولى بشرط أن لا يدعى التحدى كالنبوة وأحياء الموتى كرامة للأولياء كثير لا ينحصر وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر طرف من ذلك فى أماكنه من هذا الكتاب ﴿فائدة﴾ قال شيخنا اليافعى رحمه الله لا يلزم أن يكون من له كرامة من الأولياء أفضل ممن ليس له كرامة منهم بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها وكمال المعرفة بالله ولهذا قال قطب العلوم وتاج العارفين وقرة أعين الصديقين أبو القاسم الجنيد قدس الله سره قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش رجال أفضل منهم وقال أيضا اليقين ارتفاع الريب فى مشهد الغيب وقال أيضا اليقين هو استقرار العلم الذى لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير وقال (يعنى اليافعى) ولأن الكرامة قد تقع لكثير من المحبين والزهاد ولا تقع لكثير من العارفين والمعرفة أفضل من المحبة عند الأكثرين وأفضل من الزهد عند الكل اه ﴿قلت﴾

ذلك الموضع فيعود الماء على مثال ما كان عليه أولا ولهذا البحر مد آخر بحسب امتلاء القمر ونقصانه فإذا كان أول الشهر أخذ الماء فى الزيادة ويزداد كل يوم إلى منتصف الشهر فعند ذلك يبلغ المد منتهاه ثم يأخذ فى النقصان وينقص كل يوم إلى آخر الشهر فعند ذلك يبلغ الجزر منتهاه ثم يعود إلى ما كان أولا ويأخذ فى المد قال ابن الفقيه بحر فارس وإن كان متصلا ببحر الهند إلا أن حالهما مختلف فى السكون والاضطراب لأن بحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند لين بحر الهند وسكونه وكذلك بحر الهند تكثر أمواجه عند سكون بحر فارس فأول ما تبدو صعوبة بحر فارس عند نزول الشمس ببرج السنبلة قريبة من الاستواء الخريفى ولا يزال يزداد فى كل يوم اضطرابه حتى تصير الشمس فى الحوت وأصعب ما يكون آخر الخريف عند نزول الشمس القوس فإذا قربت من الاستواء الربيعى يعود إلى السكون وأسهل ما يكون ظهره آخر الربيع حال نزول الشمس الجوزاء قال أبو عبد الله الحسينى خصص الله تعالى بحر فارس بمزيد الخيرات والفوائد والعجائب فإن فيه المد والجزر وغزارة الماء فإن

وفى جزائره معدن العقيق وأنواع اليواقيت والسنباذج ومعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وأنواع الطيب والأفاويه وفيه الدردور أيضا الذى لاينجو منه شىء من المراكب إذا وقع فيه إلا ماشاء الله وفيه عوير وكسير وهما موضعان قلما يسلم منهما مركب وفيه حيوانات عجيبة الأشكال والصور وسيأتى ذكر بعضها إن شاء الله تعالى ومنها جزيرة ليكالوس أهلها عراة وطعامهم الموز والسمك الطرى والنارجيل وأموالهم الحديد يتعاملون عليه وتأتى التجار ويعاملونهم فى الحر ويتحلون بالحديد كما يتحلى الناس بالذهب ومنها جزيرة التنين وهى جزيرة واسعة عامرة وفيها جبال وأشجار وعلى حصونها سور عالى يظهر به تنين عظيم فاستغاث أهلها بالإسكندر وذكروا أن التنين أتلف مواشيهم وأنهم يأخذون له كل يوم ثورين وينصبونهما قريباً من موضعه فيقبل كالسحابة السوداء وعيناه يتقدان كالبرق الخاطف والنار تخرج من فيه فيبلع الثورين ويعود إلى موضعه فلما سمع الإسكندر ذلك أمر بإحضار الثورين فسلخهما وحشا جلودهما زفتاً وكبريتا وكلسا وزرنيخاً وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وجعلهما فى ذلك المكان فخرج التنين وابتلعهما فاضطربت أحشاؤه فى جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه فانتظره الناس فى اليوم الآخر فما وجدوا له أثراً فذهبوا إليه فإذا هو ميت فاتح فاه ففرح الناس بموته وشكروا سعى الإسكندر وحملوا إليه

وهذا هو المختار عند المحققين والله أعلم وفى كتاب خير البشر الإمام العلامة محمد بن ظفر أنه كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جمل من نحاس عليه راكب من نحاس فى هيئة العرب متزر مرتد وعليه عمامة وفى رجليه نعلان كل ذلك من نحاس وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم اعطنى حقى قبل أن يخرج هذا فيأخذ بحقى منك شئت أو أبيت ولم يزل الصنم على ذلك حتى افتتح عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه أرض مصر فغيبوا الصنم وفى ذلك إشارة إلى البشارة بمحمد ﷺ (وحكمه وخواصه) تقدما فى الإبل (الأمثال) قالوا الجمل من جوفه يختر يضرب لمن يأكل من كسبه أو ينتفع بشىء يعود عليه منه ضرر وقالوا أخلف من بول الجمل وهو من الخلف لا من الخلاف لأنه يبول إلى خلف وقالوا وقع القوم فى سلا جمل يضرب لمن بلغ فى الشدة منتهى غاياتها كما قالوا بلغ السكين العظم وذلك أن الجمل لا يكون له سلا فأرادوا أنهم وقعوا فى أمر صعب والسلا الجلدة الرقيقة التى يكون فيها الولد من المواشى إن نزعت عن وجه الفصيل ساعة ما يولد وإلا قتلته وهذا كقولهم أعز من الأبلق العقوق وقالوا الثمر فى البئر وعلى ظهر الجمل وأصله أن منادياً كان فى الجاهلية يقف على أطم من آطام المدينة حين يدرك الثمر ينادى بذلك أى من سقى ماء البئر على ظهر الجمل بالسانية وجد عاقبة سقيه فى ثمره وهذا قريب من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى وقريب من قول الشاعر:

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط فى زمن الزرع

وقول الآخر:

تسألنى أم الوليد جملا * يمشى رويداً ويكون أولا

يضرب فى طلب ما لا يكون هذا إذا ذكر البيت كله وأما قولهم يمشى رويدا ويكون أولا فيضرب للرجل يدرك حاجته فى تؤدة ودعة وأما قولهم لا باقتى فيها ولا جملى فسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون فى الكلام على الناقة (التعبير) الجمل فى المنام حج لقول النبى ﷺ والجمل الأعرابى يدل على الحج لقوله تعالى وتحمل أثقالكم إلى بلد الآية والجمل البختى رجل أعجمى ومن رأى جملا يصول عليه فإنه يخاصم سفيها ومن قاد جملا بخطامه فإنه يهدى رجلا ضالا ومن أكل رأس جمل اغتاب رجلا رئيسا ومن رأى جمالا عرابا ولى على قوم من الأعراب ومن رأى جملين يقتتلان فإنهما ملكان ومن رأى أنه يجر جملا فإنه يقهر عدوا وقال أرطاميدورس رؤية الجمل تدل على مجاديف السفينة وعلى سرعة سيرها والجمال تدل على أقوام جهال لا معرفة لهم ولا رأى والغالب عليهم الذلة ومن رأى أنه سقط من ظهر جمل خشى عليه الفقر ومن رأى أنه رمحه جمل مرض والقطار من الجمال إذا كان يتلو بعضها بعضا أمطار لأن المطر يتلو بعضه بعضا وهى تحمل الأثقال كما تحمل السحب الأمطار وإذا ذبحت الجمال ولم يكن فى ذلك المكان رجل فتاك فإنها دعوة لكرام ومن رأى كأنه صار جملا فإنه يحمل أثقالا من تبعات الناس والبخت سفر بعيد لراكبها بلا عناء وربما دل الجمل على المسكن وعلى السفينة لأنه من سفن البر وربما دل على الموت لأنه يظعن بالأحباب إلى الأمكنة البعيدة وربما دل على الزوجة ويدل الجمل على الحقد وأخذ الثار ولو بعد حين وربما دل على الرجل الصبور وربما دل على البطء فى الأحوال لمن يريد الاستعجال وربما دل الجمل على الجمال لأنه مشتق من لفظها وللآية وتدل رؤيا الجمال على الجان لأنها خلقت من أعين الجان وتدل الجمال على الأرزاق والفوائد لامتهانها وملكها قال ابن المقرى ورؤية الجمال البخت تدل على الأجلاء من الناس وأرباب الأسفار كالتجار فى البر والبحر وربما دلت على الأعجام والغرباء وربما تدل رؤيتها على الهموم والأنكاد والسبى وسلب المال والله أعلم.

﴿جمل البحر﴾ سمكة طولها ثلاثون ذراعا كذا قاله ابن سيده وللعجاج فيها رجز حسن قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين وفى حديث أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه أنه أذن فى أكل جمل البحر وهو سمك شبيه بالجمل .

﴿جمل الماء﴾ البجع وهو الحوصل وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة .

﴿جمل اليهود﴾ الحرباء وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الحاء المهملة .

﴿الجملية﴾ بفتح الجيم والميم الضبع وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة .

﴿جميل وجميل﴾ طائر جاء مصغراً والجمع جملان مثل كعيب وكعبان قال سيبويه وهو البلبل .

﴿الجنبر﴾ كقمقعد فرخ الحبارى مثل به سيبويه وفسره السيرافى كذا قاله ابن سيده .

﴿الجندب﴾ ضرب من الجراد وقيل ذكر الجراد مثلث الدال والجمع جنادب قال سيبويه نونه زائدة وقال الجاحظ أنه يحفر بذراعيه ويغوص فى الطين وفى الأرض إذا اشتد الحر وربما يطير فى شدة الحر أيضا وفى الحديث «إن مثل ما بعثنى الله تعالى به كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب يقعن فيها» الحديث رواه مسلم والترمذى كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ وفى حديث ابن مسعود كان يصلى الظهر والجنادب ينفذن من الرمضاء أى تثب من شدة حرارة الأرض .

﴿الجندع﴾ كقنفذ جندب أسود له قرنان طويلان وهو أثخن الجنادب ولا يؤكل قاله ابن سيده وقال أبو حنيفة الجندع جندب صغير .

﴿الجن﴾ أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة وهم خلاف الإنس الواحد جنى ويقال إنما سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى وجن الرجل جنونا وأجنه الله فهو مجنون ولا تقل مجن وقولهم فى المجنون ما أجنه شاذ لا يقاس عليه لأنه لا يقال فى المضروب ما أضربه ولا فى المشكوك ما أشكه روى الطبرانى بإسناد حسن عن أبى ثعلبة الخشنى أن النبى ﷺ قال «الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء وصنف حيات وصنف يحلون ويظعنون» وكذلك رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الخاء المعجمة فى الكلام على الخشاش حديث أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح فى الهواء وصنف كبنى آدم عليهم الحساب والعقاب وخلق الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم قال الله عز وجل إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون وصنف أجسادهم كأجساد بنى آدم وأرواحهم كأرواح الشياطين وصنف فى ظل الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله» قال ابن حبان رواه يزيد بن سفيان الرهاوى عن أبى المنيب عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عن أبى الدرداء رضى الله عنه ويزيد بن سفيان ضعفه يحيى بن معين والإمام أحمد بن حنبل وابن المدينى (الحكم) أجمع المسلمون قاطبة على أن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث إلى الإنس قال الله تعالى وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ والجن بلغهم القرآن وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن الآية وقال تبارك وتعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال عز وجل وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

وعلى رأسها قرن واحد أسود لم يرها شىء من السباع إلا هرب والله أعلم

﴿فصل﴾ فى حيوانات هذا البحر قال صاحب عجائب الأخبار فى هذا البحر طائر يقال له فنون وهو مكرم لأبويه وذلك أن هذا الطائر إذا كبر وعجز عن القيام بأمر نفسه اجتمع عليه فرخان من فراخه يحملانه على ظهرهما إلى مكان ويبنيان له عشا وطيئا ويتعاهدانه بالماء والعلف ذكروا أن الله تعالى أكرم هذا الطائر بأن سخر له البحر فإنه إذا باض سكن البحر أربع عشرة ليلة حتى تخرج فراخه فى هذه المدة اليسيرة والبحريون يتبركون به فإذا كان أول سكون البحر علموا أن هذا الطائر قد باض ومنها سمكة وجهها كوجه الإنسان وبدنها كبدن السمك وعلى وجهها نقط وتظهر على وجه الماء (ومنها) سمكة تطفو على وجه الماء فإذا رأت حيوانا مفتوح الفم تدخل فى فمه وتصير غذاءه ذكره صاحب تحفة الغرائب (ومنها) حيوان يطلع من الماء ويرتفع والنار تخرج من منخره وتحرق ما حول مرتعه فإذا رأوا الأرض المحترقة عرفوا أنها مراتع ذلك الحيوان ذكره صاحب تحفة الغرائب (ومنها) سمكة طيارة تطير ليلا وتأكل الحشيش طول الليل فإذا

وقال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس قال الجوهرى الناس قد تكون من الإنس والجن وقال تعالى خطابا للفريقين سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان والثقلان الإنس والجن سميا بذلك لأنهما ثقلا الأرض وقيل لأنهما مثقلان بالذنوب وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ولذلك قيل إن من الجن مقربين وأبرارا كما أن من الإنس كذلك وبهذه الآية استدل الجمهور على أن الجن المؤمنين يدخلون الجنة ويثابون كما يثاب الإنس وخالف أبو حنيفة والليث فى ذلك فقالا ثواب المؤمنين منهم أن يجاروا من النار وخالفهما الأكثرون حتى أبو يوسف ومحمد* وليس لأبى حنيفة والليث حجة سوى قوله تعالى ويجركم من عذاب أليم قوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قالا فلم يذكر فى الآيتين ثوابا سوى النجاة من العذاب والجواب من وجهين أحدهما أن الثواب مسكوت عنه والثانى أن ذلك من قول الجن ويجوز أن يكونوا لم يطلعوا إلا على ذلك وخفى عليهم ما أعد الله لهم من الثواب وقيل إنهم إذا دخلوا الجنة لا يكونون مع الإنس بل يكونون فى ربضها وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الخلق كلهم أربعة أصناف مخلق فى الجنة كلهم وهم الملائكة وخلق كلهم فى النار وهم الشياطين وخلق فى الجنة والنار وهم الجن والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب وهو موقوف على ابن عباس رضى الله عنهما وفيه شىء وهو أن الملائكة لا يثابون بنعيم الجنة ومن المستغربات ما رواه أحمد بن مروان المالكى الدينورى فى أوائل الجزء التاسع من المجالسة عن مجاهد أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة فقال يدخلونها ولكن لا يأكلون فيها ولا يشربون بل يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه ما يجد أهل الجنة من لذيذ الطعام والشراب* ويدل لعموم بعثته ﷺ من السنة أحاديث منها ما روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قالوا أعطيت جوامع الكلم وأرسلت إلى الناس كافة وفيه من حديث جابر رضى الله عنه وبعثت إلى كل أحمر وأسود وفى كتاب خير البشر بخير البشر للإمام العلامة محمد بن ظفر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فلينطلق معى فانطلقت معه حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لى خطا ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيه أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انطلقوا يتقطعون كما يتقطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط ثم أتى النبى ﷺ فقال ما فعل الرهط قلت هم أولئك يا رسول الله قال فأخذ عظما وروثا فأعطاهم إياه ونهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث وفى إسناده ضعف وفيه أيضا عن بلال ابن الحرث رضى الله عنه قال نزلنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره بالعرج فتوجهت نحوه فلما قاربته سمعت لغطا وخصومة رجال لم أسمع لغة أحد من ألسنتهم فوقفت حتى جاء النبى ﷺ وهو يضحك فقال اختصم إلى الجن المسلمون والجن المشركون وسألونى أن أسكنهم فأسكنت المسلمين الجلس وأسكنت المشركين الغور وكل مرتفع من الأرض جلس ونجد وكل منخفض غور وفيه أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال انطلق النبى ﷺ فى طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وخبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب فقالوا ما ذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فالتقى الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو صلى الله عليه وسلم يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن أنصتوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين

كان قبل طلوع الشمس فى جزائر هذا البحر اعلم أن أكثر جزائر هذا البحر مسكونة معمورة يأتيها الرجال منها جزيرة خارك بها معادن اللؤلؤ ذكر البحريون أن صدف الدر لا يوجد إلا فى بحر تصب فيه الأنهار العذبة فإذا أتى وقت الربيع يكثر هبوب الرياح وارتفاع الأمواج فتحمل الرياح رشاشات من بحر أو قياس وفيه ماء شبيه بالزئبق لزج مثل الغراء فيتولد منه الدر بأن تقع تلك الرشاشات فى محل الصدف فيلقمها الصدف كما يلقم الرحم المنى فربما وقعت فيه قطرة كبيرة فتنعقد درا كبيرا وربما تقع رشاشات فتنعقد منها أجزاء صغار كما ترى فى أكثر الأصداف ثم إن الصدفة إذا التقمت المطر خرجت من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا يخرج فى وسط النهار فإن شدة حرارة الشمس ووهجها تفسد الدر فإذا خرجت فتحت فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من الأثر للشمال وحرارة الشمس ويتكون فى الصدف كما يتكون الجنين فى الرحم ثم إن جوف الصدف إن كان خاليا من الماء المر يكون الدر كدرا أو أصفر غير مهندم وإذا تم الدر فى الصدف ينتقل الصدف إلى موضع صلب وتثبت عروقه

خبر السماء ورجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً الآيتين وهذا الذى ذكره ابن عباس رضى الله عنهما أول ما كان من أمر الجن مع النبى ﷺ ولم يكن النبى ﷺ رآهم إذ ذاك إنما أوحى إليه بما كان منهم وفيه أيضا وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنا مع النبى ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال ﷺ أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن قال فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تأخذونه فيقع فى أيديكم أوفر ما كان لحماً وكل بعر علف لدوابكم ثم قال ﷺ فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم وروى الطبرانى بإسناد حسن عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ يوما صلاة الصبح فى مسجد المدينة فلما انصرف رسول الله ﷺ قال أيكم يتبعنى إلى وفد الجن الليلة فسكت القوم ولم يتكلم منهم أحد قال ذلك ثلاثاً فربى يمشى فأخذ بيدى فجعلت أمشى معه حتى تباعدت عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز وإذا رجال طوال كأنهم الرماح مستدثرى ثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتنى رعدة شديدة حتى ما تمسكنى رجلاى من الفرق فلما دنونا منهم خط لى رسول الله ﷺ بإبهام رجله فى الأرض خطا وقال لى اقعد فى وسطه فلما جلست ذهب عنى كل شىء كنت أجده من ريبة ومضى رسول الله ﷺ بينى وبينهم فتلا قرآنا رفيعا حتى طلع الفجر ثم أقبل ﷺ حتى مر بى فقال الحق بى فجعلت أمشى معه فمضينا غير بعيد فقال ﷺ لى التفت فانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد فالتفت فقلت يا رسول الله أرى سواداً كثيراً فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض فنظر عظما وروثة فرمى بهما إليهم ثم قال ﷺ هؤلاء وفد جن نصيبين سألونى الزاد فجعلت لهم كل عظم وروثة قال الزبير رضى الله عنه فلا يحل لأحد أن يستنجى بعظم ولا روثة وروى أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال استتبعنى رسول الله ﷺ ليلة فقال إن نفراً من الجن خمسة عشر بنو إخوة وبنو عم يأتون الليلة فاقرأ عليهم القرآن فانطلقت معه إلى المكان الذى أراد فجعل لى خطا ثم أجلسنى فيه وقال لا تخرج من هذا فبت فيه حتى أتانى رسول الله ﷺ مع السحر وفى يده عظم حائل وروثة وخمة فقال رسول الله ﷺ إذا أتيت الخلاء فلا تستنج بشىء من هذا قال فلما أصبحت قلت لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ فذهبت فرأيت موضع سبعين بعيرا وروى الشافعى والبيهقى أن رجلا من الأنصار رضى الله عنهم خرج يصلى العشاء فسبته الجن وفقد أعواما وتزوجت زوجته ثم أتى المدينة فسأله عمر رضى الله عنه عن ذلك فقال اختطفتنى الجن فلبثت فيهم زماناً طويلا فغزاهم جن مؤمنون وقاتلوهم فأظفرهم الله عليهم وسبوا منهم سبايا وسبونى معهم فقالوا نراك رجلا مسلما ولا يحل لنا سباؤك فخيرونى بين المقام عندهم والقفول إلى أهلى فاخترت أهلى فأتوا بى إلى المدينة فقال له عمر رضى الله عنه ما كان طعامهم قال الفول وكل ما لا يذكر اسم الله عليه قال فما كان شرابهم قال الجدف وهو الرغوة لأنها تجدف عن الماء وقيل نبات يقطع ويؤكل وقيل كل إناء كشف عنه غطاؤه وأما الإجماع فنقل ابن عطية وغيره الاتفاق على أن الجن متعبدون بهذه الشريعة على الخصوص وأن نبينا محمداً ﷺ مبعوث إلى الثقلين * فإن قيل لو كانت الأحكام بجملتها لازمة لهم لكانوا يترددون إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتعلموها ولم ينقل أنهم أتوه إلا مرتين بمكة وقد تجدد بعد ذلك أكثر الشريعة قلنا لا يلزم من عدم النقل عدم اجتماعهم

أرض البحرين يهنى الناس بعضهم بعضا بوصول قفل الصدف والغواص إذا نزل لإخراجه يقلعه من الأرض بالقوة فما أخرج فى وقته يبقى طريا صقيلا وما أخرج قبل وقته أو بعده لا يبقى كذلك بل يتغير لونه والله الموفق (ومنها) جزيرة جاشك وهى بقرب جزيرة قيس لأهلها خبرة وصبر على الحركة فى الماء فإن الرجل منهم يسبح فى الماء أياما كثيرة وهو يجالد بالسيف كما يجالد غيره على وجه الأرض وغير أهل هذه الجزيرة يعجز عن ذلك وسمع من غير واحد أن بعض ملوك الهند أهدى إلى بعضهم جوارى هنديات فى مراكب فوقع شىء من تلك المراكب إلى هذه الجزيرة فخرج الجوارى يتفسحن فى الجزيرة فاختطفتهن الجن وافترستهن فولدت هؤلاء الذين بها فلذلك فيهم من الجلادة ما يعجز عنها غيرهم (ومنها) جزيرة كندولاوذى وأنا شاك فى أن هذه الجزيرة فى بحر فارس وأظن أنها فى غيره وقد ذكر جمع من العمانيين والسرافيين أن العنبر ينبت فى قعر هذا البحر كما ينبت القطن فى الأرض فإذا اشتد اضطراب البحر قذفه البحر فلذلك يرى قطعا وربما أكل منه السمك الكبير فيموت ويطفو على الماء فإذا اجتاز به أصحاب

المراكب جذبوه بالكلاليب والحبال إلى الساحل وأخذوا العنبر من بطنه والله أعلم ﴿فصل﴾ فى ذكر بعض الحيوانات العجيبة فى هذا البحر (منها) نوع من السمك يطفو على وجه الماء وسبب طفوه هيجان البحر ويعرفه البحريون قال أبو الريحان فى الآثار الباقية فى اليوم الثالث عشر من كانون الثانى يضطرب البحر إلى فارس وإلى الإسكندرية ويبقى أياما يتغطمط وتشتد أمواجه ويتكدر هواؤه وتكثر ظلمته ذكروا أنه يقع فى قعره ريح تهيج البحر ويستدل على ذلك بنوع من السمك يظهر فيه وظهوره إنذار بتحرك الريح فى قعره وربما يتقدم بيوم (ومنها) الأسيور وهو نوع من السمك يأتى بالبصرة فى وقت معين يعرفه أهل البصرة ويبقى مقدار شهرين وبعده لا توجد هناك واحدة من هذا النوع (ومنها) الجراف وهو أيضا نوع من السمك ووصفه مثل وصف الأسيور (ومنها) البرستوح قال البحريون إن البرستوح يقبل من بلاد الزنج يستعذب ماء دجلة البصرة ويعرف هذا النوع بأرض الزنج ثم يعود ما فضل من صيد الناس إلى مكانه ولا يوجد هذا النوع فيما بين البصرة والزنج إلا فى أوان مجيئه فإذا انقضى أوانها لا يوجد فيه واحد وذكر البحريون أن البرستوح فى الوقت الذى

به وحضورهم مجلسه وسماعهم كلامه من غير أن يراهم المؤمنون ويكون هو ﷺ يراهم ولا يراهم أصحابه فإنه تعالى يقول عن رأس الجن إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فقد يراهم ﷺ بقوة يعطيها الله له زائدة على قوة أصحابه وقد يراهم بعض الصحابة فى بعض الأحوال كما رأى أبو هريرة رضى الله عنه الشيطان الذى أتاه ليسرق من زكاة رمضان كما رواه البخارى * فإن قيل ما تقول فيما حكى عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجن قلنا عجيب أن يثبت ذلك عمن يصدق بالقرآن وهو ناطق بوجودهم وروى البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن عفريتاً من الجن تفلت علىّ البارحة يريد أن يقطع علىّ صلاتى فذعته بالذال المعجمة والعين المهملة أى خنقته وأردت أن أربطه فى سارية من سوارى المسجد فذكرت قول أخى سليمان وقال ﷺ إن بالمدينة جنا قد أسلموا وقال لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شىء إلا شهد له يوم القيامة وروى مسلم عن سالم بن عبد الله بن أبى الجعد وليس له فى الكتب الستة سواه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياى إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير روى فأسلم بفتح الميم وضمها وصحح الخطابى الرفع ورجح القاضى عياض والنووى الفتح وهو المختار وأجمعت الأمة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه فأعلمنا أنه معنا لنحترز منه بحسب الإمكان وأما عصمته صلى الله عليه وسلم من الكبائر فمجمع عليها وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وفى الصغائر خلاف ليس هذا موضع ذكره والصحيح أنهم صلى الله عليهم وسلم معصومون من الكبائر والصغائر وكذلك الملائكة عليهم السلام كما قاله القاضى وغيره من المحققين فإذا علم هذا فاعلم أن الأحاديث فى وجود الجن والشياطين لا تحصى وكذلك أشعار العرب وأخبارها فالنزاع فى ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر ثم إنه أمر لا يحيله العقل ولا يكذبه الحس ولذلك جرت التكاليف عليهم ومما اشتهر أن سعد بن عبادة رضى الله عنه لما لم يبايعه الناس وبايعوا أبا بكر رضى الله عنه سار إلى الشام فنزل حوران وأقام بها إلى أن مات فى سنة خمس عشرة ولم يختلف أنه وجد ميتا فى مغتسله بحوران وأنهم لم يشعروا بموته بالمدينة حتى سمعوا قائلا يقول فى بئر :

نحن قتلنا سيد الخزرج * سعد بن عباده فرميناه بسهمين ولم نخطئ فؤاده

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذى مات فيه ووقع فى صحيح مسلم أن سعدا شهد بدرا وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس والصحيح أنه لم يشهد بدرا وكذا رواه الطبرانى من حديث محمد بن سيرين وقتادة وكلاهما أدرك سعدا وروى عن حجاج بن علاط السلمى وهو والد نصر بن حجاج الذى قيل فيه :

هل من سبيل إلى خمر فأشربها * أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

إنه قدم مكة فى ركب فأجنهم الليل بواد مخيف موحش فقال له أهل الركب قم فخذ لنفسك أمانا ولأصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسى وأعيذ صحبى * من كل جنى بهذا النقب * حتى أعود سالما وركبى

فسمع قائلا يقول يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض الآية فلما قدم مكة أخبر كفار قريش بما سمع فقالوا صبأت يا أبا كلاب إن هذا الذى قلته يزعم محمد أنه أنزل عليه فقال والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى ثم أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة

وابتنى بها مسجدا يعرف به وعند ابن سعد والطبرانى والحافظ أبى موسى وغيرهم عمرو بن جابر الجنى فى الصحابة فرووا بأسانيدهم عن صفوان بن المعطل السلمى أنه قال خرجنا حجاجا فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب فلم نلبث أن ماتت فأخرج لها رجل منا خرقة فلفها فيها ثم حفر لها فى الأرض ثم قدمنا مكة فأتينا المسجد الحرام فوقف علينا رجل فقال أيكم صاحب عمرو بن جابر قلنا ما نعرفه قال أيكم صاحب الجان قالوا هذا قال جزاك الله عنا خيرا أما إنه كان آخر التسعة من الجن الذين سمعوا القرآن من النبى ﷺ وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك فى ترجمة صفوان ابن المعطل وذكر ابن أبى الدنيا عن رجل من التابعين أن حية دخلت عليه فى خبائه تلهث عطشا فسقاها ثم إنها ماتت فدفنها فأتى من الليل فسلم عليه وشكر وأخبر أن تلك الحية كان رجلا صالحا من جن نصيبين اسمه زوبعة قال وبلغنا من فضائل عمر بن عبد العزيز الأموى أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه أنه كان يمشى بأرض فلاة فإذا بحية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فإذا قائل يقول ياسرق أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول لك ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال ومن أنت يرحمك الله فقال من الجن الذين استمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ولم يبق منهم إلا أنا وسرق هذا الذى قد مات وفى كتاب خير البشر بخير البشر عن عبيد المكتب عن إبراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه وأنا معهم يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا حية بيضاء تتثنى على الطريق يفوح منها ريح المسك قال فقلت لأصحابى امضوا فلست ببارح حتى أنظر ماذا يصير إليه أمرها فالبثت أن ماتت فظننت بها الخير لمكان الرائحة الطيبة فكفنتها فى خرقة ثم نحيتها عن الطريق ودفنتها وأدركت أصحابى فى المتعشى قال فوالله إنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من المغرب فقالت واحدة منهن أيكم دفن عمرا فقلنا من عمرو فقالت أيكم دفن الحية قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يؤمن بما أنزل الله عز وجل ولقد آمن بنبيكم محمد ﷺ وسمع صفته فى السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة قال فحمدت الله تعالى ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر رضى الله تعالى عنه فأخبرته خبر الحية والمرأة فقال صدقت سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه هذا وفيه أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه إذ جاء رجل فقال ألا أحدثك بعجيب يا أمير المؤمنين قال بلى قال بينا أنا بفلاة من الأرض لقيت عصابتين قد التقتا ثم افترقتا قال فجئت معترکها فإذا من الحيات شىء ما رأيت مثله قط وإذا ريح المسك أجده من حية منها صفراء دقيقة فظننت أن تلك الرائحة لخير فيها فأخذتها ولففتها فى عمامتى ثم دفنتها فبينما أنا أمشى إذا بمناد ينادى هداك الله إن هذين حيان من الجن كان بينهما قتال فاستشهد الحية التى دفنتها وهو من الذين استمعوا الوحى من رسول الله ﷺ وفيه أيضا أن فاطمة بنت النعمان النجارية قالت قد كان لى تابع من الجن فكان إذا جاء اقتحم البيت الذى أنا فيه اقتحاما فجاءنى يوما فوقف على الجدار ولم يصنع كما كان يصنع فقلت له ما بالك لم تصنع ما كنت تصنع صنيعك قبل فقال إنه قد بعث اليوم نبى يحرم الزنا وروى البيهقى فى دلائله عن الحسن أن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس فسئل عن قتال الجن فقال أرسلنى رسول الله ﷺ إلى بئر أستقى منها فرأيت الشيطان فى صورته فصارعنى فصرعته ثم جعلت أدمى أنفه بفهر كان معى أو حجر فقال ﷺ لأصحابه إن عمارا لقى الشيطان عند البئر فقاتله فلما رجعت سألنى فأخبرته الأمر فكان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يقول إن عمار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من موضع إلى موضع فسبحان من ألهم كل حيوان ما فيه مصالح نفسه (ومنها) الكوسج وهو نوع من السمك شر من الأسد فى الماء يقطع الحيوان بأسنانه كما يقطع السيف الماضى رأيته وهو سمك مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الإنسان ينفر الحيوان منه وإذا أدرك سمكة كبيرة قطعها وإذا أدرك آدميا قتله أو قطع يده أو رجله فإنه نائبة عظيمة فى هذا البحر وله وقت معين يكثر فيه بدجلة البصرة (ومنها) حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج فى فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل مثل النخلة وهو أحمر العينين مثل الدم كريه المنظر جدا يفر منه الكوسج وغيره ومنها سمكة خضراء اللون أطول من ذراع لها خرطوم عظمى أقصر من ذراع يشبه منشارا يكون كلا حديه أسنانا يضرب بها الحيوان يجرحه ومن هذا النوع فى بحر الحبابة كثير رأيتهم يصطادونه ويبيعونه مقليا فى السوق هناك (ومنها) سمكة مدورة ذنبها أطول من ثلاث أذرع وعلى وسط ذنبها شوكة معقفة شبه كلاب

وهى سلاحه تضرب بها وهى نمراء بياضها فى غاية البياض ونقط سوادها فى غاية السواد ولها منخران على ظهرها وفم على بطنها

بحكاية عجيبة من دردوره أوردها صاحب كتاب عجائب البحر فى كتابه قال حدثنى رجل من أصفهان أنه ركبته ديون ونفقة عيال عجز عنها ففارق أصفهان ودارت الدوائر حتى ركب البحر مع بعض التجار قال فتلاطمت بنا الأمواج حتى جعلنا فى دردور بحر فارس المشهور فاجتمع التجار إلى المعلم وقالوا هل تعرف لأمرنا مخلصا فقال المعلم ياقوم إنّ هذا دردور لا يتخلص منه مركب إلا ماشاء الله تعالى فإن سمح أحدكم بنفسه لأصحابه وأنا أبذل جهدى لعل الله يخلصنا فقلت أنا ياقوم كلنا فى معرض الهلاك وأنا رجل ستمت من الشقاء وكنت أتمنى الموت وكان فى السفينة جمع من الأصفهانيين فقلت لهم احلفوا أنكم تقضون ديونى وتحسنون إلى أولادى وأنا أفديكم بنفسى فأجابوا إلى ذلك فقلت للمعلم ماذا تأمرنى فقال أن تقف على هذه الجزيرة وكان بقرب الدردور جزيرة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها ولا تفتر عن ضرب هذا الدهل فقلت لهم أفعل ذلك فحلفوا لى إيمانا مغلظة على ما شرطت عليهم وأعطونى من الماء والزاد ما يكفينى أياما وأنا على طرف الجزيرة فذهبت ووقفت وشرعت فى ضرب الدهل فرأيت المياه تحركت وجرت

وقد أشار إليه البخارى فيما رواه عن إبراهيم النخعى قال ذهب علقمة إلى الشام فلما دخل المسجد قال اللهم يسر لى جليسا صالحا فجلس إلى أبى الدرداء فقال أبو الدرداء ممن أنت قال من أهل الكوفة قال أوليس فيكم أومنكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره يعنى حذيفة قلت بلى قال أوليس فيكم أومنكم الذى أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه محمد ﷺ يعنى عمارا قلت بلى قال أوليس فيكم أومنكم صاحب السواك والوساد قلت بلى قال كيف كان عبد الله يقرأ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى قلت والذكر والأنثى وذكر الحديث وروى أبو بكر فى رباعياته والقاضى أبو يعلى عن عبد الله بن حسين المصيصى قال دخلت طرسوس فقيل لى ههنا امرأة يقال لها نهوس رأت الجنّ الذين وفدوا على رسول الله ﷺ فأتيتها فإذا هى امرأة مستلقية على قفاها فقلت أرأيت أحداً من الجنّ الذين وفدوا على رسول الله ﷺ قالت نعم حدثنى سمحج وسماه النبى ﷺ عبد الله قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل خلق السموات والأرض قال على حوت من نور يتلجلج فى النور قالت قال تعنى سمحج وسمعته ﷺ يقول ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات ريان ودخل قبره ريان وحشر يوم القيامة ريان * وأغرب من هذا ما فى أسد الغابة تبعا لأبى موسى بإسنادهما عن مالك بن دينار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ خارجا من جبال مكة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبى ﷺ مشية جنى ونغمته قال أجل فقال النبى ﷺ من أى الجنّ قال أنا هامة بن الهيم أو ابن هيم بن لاقيس بن ابليس فقال لا أرى بينك وبينه إلا أبوين قال أجل قال كم أتى عليك قال أكلت الدنيا إلا أقلها كنت ليالى قتل قابيل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أتشوف على الآكام وأورش بين الأنام فقال رسول الله ﷺ بئس العمل فقال يارسول الله دعنى من العتب فإنى ممن آمن بنوح وتبت على يديه وإنى عاتبته فى دعوته فبكى وأبكانى وقال إنى والله لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت هودا وآمنت به ولقيت إبراهيم وكنت معه فى النار إذ ألقى فيها وكنت مع يوسف إذ ألقى فى الجب فسبقته إلى قعره ولقيت شعيبا وموسى ولقيت عيسى بن مريم فقال لى إن لقيت محمداً فأقره منى السلام وقد بلغت رسالته وآمنت بك فقال النبى ﷺ على عيسى وعليك السلام ما حاجتك ياهامة قال إن موسى علمنى التوارة وعيسى علمنى الإنجيل فعلمنى القرآن فعلمه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم علمه عشر سور من القرآن وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه إلينا فلا نراه والله أعلم إلا حيا وفيه أيضا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال ذات يوم لابن عباس حدثنى بحديث تعجبنى به قال حدثنى أبو خزيم بن فاتك الأسدى أنه خرج يوما فى الجاهلية فى طلب إبل له قد ضلت فأصابها فى أبرق العزاف وسمى بذلك لأنه يسمع فيه عزيف الجنّ قال فعقلتها وتوسدت ذراع بكر منها ثم قلت أعوذ بعظيم هذا المكان وفى رواية بكبير هذا الوادى وإذا بهاتف يهتف بى ويقول :

ويحك عذ بالله ذى الجلال * منزل الحرام والحلال * ووحد الله ولا تبال * ما هول ذا الجنى من الأهوال

فقلت : يا أيها الداعى فما تخيل * أرشد عندك أم تضليل

فقال : هذا رسول الله ذو الخيرات * جاء بياسين وحاميمات * وسور بعد مفصلات

يدعو إلى الجنة والنجاة * يأمر بالصوم وبالصلاة * ويزجر الناس عن الهنات

المركب وأنا أنظر إليه حتى غاب عن بصري قال فلما غاب عني المركب جعلت أتردد في الجزيرة فإذا أنا بشجرة عظيمة لم أر أعظم منها وعليها شبه سطح غليظ فلما كان آخر النهار أحسست بهدة شديدة فإذا طائر لم أر حيوانا أعظم منه جاء ووقع على سطح تلك الشجرة فاختفيت منه خوف أن يصطادني إلى أن بدا ضوء الصباح فنفض جناحيه وطار فلما كانت الليلة الثانية جاء ووقع على عشه وكنت أيضا آيسا من حياتي ورضيت بالهلاك ودنوت منه فلم يتعرض لي بشيء وطار مصبحا فلما كانت الليلة الثالثة قعدت عنده من غير دهشة إلى أن نفض جناحيه عند الفجر فتمسكت برجله فطار أسرع طيران إلى أن ارتفع النهار فنظرت نحو الأرض فما رأيت سوى لجة البحر فكدت أترك رجله من شدة ما بالي من الوجع فحملت نفسي على الصبر إلى أن نظرت نحو الأرض فرأيت القرى والعمارات فدنا من الأرض وتركني على صبرة تبن في بيدر لبعض القرى والناس ينظرون إليّ ثم طار نحو الهواء وغاب عني فاجتمع الناس إليّ وحملوني إلى رئيسهم فأحضر لي رجلا يفهم كلامي فقالوا لي من أنت فحدثتهم بحديثي كله فتعجبوا مني وتبركوا بي وأمر الرئيس لي بمال فبقيت عندهم أياما فمشيت يوما إلى

قال فقلت من أنت أيها الهاتف يرحمك الله قال أنا مالك بن مالك بعثني رسول الله ﷺ إلى جن أهل نجد قال فقلت لو كان لي من يكفيني إبلي هذه لأتيته حتى أومن به فقال إن أردت الإسلام فأنا أكفيكها حتى أردها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى قال فامتطيت راحلتي وقصدت المدينة فقدمتها في يوم الجمعة فأتيت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فأنخت راحلتي بباب المسجد وقلت ألبث حتى يفرغ من خطبته فإذا أبو ذر قد خرج فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسلني إليك وهو يقول لك مرحبا بك قد بلغني إسلامك فادخل فصل مع الناس قال فتطهرت ودخلت فصليت ثم دعاني وقال ما فعل الشيخ الذي ضمن أن يرد إبلك إلى أهلك أما إنه قد ردها إلى أهلك سالمة فقلت جزاه الله خيرا ورحمه الله فقال رسول الله ﷺ أجل رحمه الله فأسلم وحسن إسلامه وفي مسند الدارمي عن الشعبي قال قال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه لقي رجل من أصحاب محمد ﷺ رجلا من الجن فصارعه فصرعه الإنسي فقال له الإنسي إني أراك ضئيلا شخيتا كأن ذراعيك ذراعا كلب فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك قال لا والله إنني من بينهم لضليع ولكن عاودني الثانية فإن صرعتني علمتك شيئا ينفعك قال نعم فعاوده فصرعه فقال له أتقرأ الله لا إله إلا هو الحي القيوم قال نعم قال فإنك لا تقرؤها في بيت إلا خرج منه الشيطان له حبج كحبج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح قال الدارمي الضئيل الدقيق والشخيت المهزول والضليع جيد الاضلاع والحبج الربح وقال أبو عبيدة الحبج الضراط وسيأتي في باب الغين المعجمة في لفظ الغول حديث أبي هريرة وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنهما في ذلك إن شاء الله تعالى ﴿مسئلة﴾ يصح انعقاد الجمعة بأربعين مكلفا سواء كانوا من الجن أو من الإنس أو منهما قاله القمولي لكن نقل الشيخ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري في مناقب الشافعي رضي الله تعالى عنه التي ألفها عن الربيع أنه قال سمعت الشافعي رضي الله تعالى عنه يقول من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن ردت شهادته وعزر لمخالفته لقوله تعالى إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إلا أن يكون الزاعم نبيا ونظير هذا قول الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في الفتاوى من منع التفضيل بين الأنبياء يعزر لمخالفته القرآن ويحمل قول الشافعي رحمه الله على من ادعى رؤيتهم على ما خلقوا عليه ويحمل كلام القمولي على ما إذا تصوروا في صورة بني آدم كما تقدم قريبا * واعلم أن المشهور أن جميع الجن من ذرية إبليس وبذلك يستدل على أنه ليس من الملائكة لأن الملائكة لا يتناسلون لأنهم ليس فيهم إناث وقيل الجن جنس وإبليس واحد منهم ولا شك أن الجن ذريته بنص القرآن ومن كفر من الجن يقال له شيطان وفي الحديث لما أراد الله أن يخلق لإبليس نسلا وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته ونقل ابن خلكان في تاريخه في ترجمة الشعبي واسمه عامر أنه قال إني لقاعد يوما إذ أقبل حمال ومعه دن فوضعه ثم جاءني فقال أنت الشعبي فقلت نعم قال أخبرني هل لإبليس زوجة فقلت إن ذلك العرس ما شهدته قال ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فقلت إنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم فأخذ دنه وانطلق قال فرأيت أنه مجتاز بي وروى أن الله تعالى قال لإبليس لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها فليس من ولد آدم أحد إلا وله شيطان قد قرن به وقيل إن الشياطين فيهم الذكور والإناث فيتوالدون من ذلك وأما إبليس فإن الله تعالى خلق له في مخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة وذكر مجاهد أن من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف وهو

طرف البحر أتفرج فإذا قد وصل مركب أصحابي فلما رأوني أسرعوا إلى سائلين عن حالي فقلت لهم ياقوم إني بذلت نفسي لله تعالى فأنقذني بطريق عجيب وجعلني آية للناس ورزقني المال وأوصلني إلى المقصد قبلكم فهذه حكاية عجيبة وإن كانت غير بعيدة من لطف الله تعالى (بحر القلزم) هو شعبة من بحر الهند جنوبي بلاد البربر والحبشة وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى الغربي اليمن والقلزم اسم مدينة على ساحله سمي البحر بها وأما حديث هيجانه ومده وجزره فكما في بحر الهند فلا نعيده وهو البحر الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون لعنه الله وجنوده قالوا كان بين البحر وأرض اليمن جبل يحول الماء عنها وامتداده في أرض اليمن وكان بين البحر واليمن مسافة فقد ضرب بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليجا يهلك بعض أعدائه فقطع من الجبل غلوتي سهم وأطلق البحر في أراضي اليمن فطفا الماء وأهلك أمما كثيرة واستولى على بلاد كثيرة وصار بحرا عظيما وصل إلى بلاد اليمن وجدة وجاوا وينبع ومدين مدينة شعيب عليه السلام وأيلة إلى القلزم ﴿فصل﴾ في جزائره وأكثرها لا مسلوكة ولا مسكونة منها جزيرة ثارات وهي قريبة من أيلة يسكنها

صاحب الصحاري ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة وبثروهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأبيض وهو الذي يوسوس للأنبياء عليهم السلام والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه ووسوس له فألقى الشر بينه وبين أهله فإن أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه فإذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله ورأى شيئا يكرهه وخاصم أهله فليقل داسم داسم أعوذ بالله منه ومطوس وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يكون لها أصل ولا حقيقة والأقنص وأمهم طرطبة وقال النقاش بل هي حاضنتهم ويقال إنه باض ثلاثين بيضة عشر في المغرب وعشر في المشرق وعشر في وسط الأرض وأنه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالغيلان والعقارب والقطارب والجان وأسماء أخرى مختلفة ثم كلهم عدو لبني آدم لقوله تعالى أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو إلا من آمن منهم قال النوري رحمه الله إبليس كنيته أبو مرة واختلف العلماء في أنه هل هو من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن أم ليس من الملائكة وفي اسمه هل هو اسم أعجمي أم عربي قال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الأنباري كان إبليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن وكان اسمه بالعبرانية عزازيل وبالعربية الحرث وكان من خزان الجنة وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظمة فذاك الذي دعاه إلى الكبر فعصى وكفر فمسخه الله شيطانا رجيما ملعونا نعوذ بالله من خذلانه ومقته ونسأله العافية والسلامة في الدين والدنيا والآخرة ولذلك قيل إذا كانت خطيئة الإنسان في كبر فلاجه وإن كانت خطيئته في معصية فارجه قالوا وقوله تعالى كان من الجن أي من طائفة من الملائكة يقال لهم الجن وقال سعيد بن جبير والحسن البصري لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين وأنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس وقال عبد الرحمن بن زيد وشهر بن حوشب ما كان من الملائكة قط والاستثناء منقطع زاد شهر بن حوشب وإنما كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء وقال أكثر أهل اللغة والتفسير إنما سمي إبليس لأنه أبلس من رحمة الله والصحيح كما قاله الإمام النووي وغيره من الأئمة الأعلام أنه من الملائكة وأن اسمه أعجمي وأن الاستثناء متصل لأنه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه وقال القاضي عياض الأكثر على أنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب قال الله تعالى مالهم به من علم إلا اتباع الظن والصحيح المختار ما سبق عن النووي ومن وافقه وعن محمد بن كعب القرظي أنه قال الجن مؤمنون والشياطين كفار وأصلهم واحد وسئل وهب بن منبه عن الجن ما هم وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون فقال هم أجناس فأما الصميم الخالص من الجن فإنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون في الدنيا ولا يتوالدون ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك وستأتي في أبوابها إن شاء الله تعالى ﴿فائدة﴾ قال القرافي اتفق الناس على تكفير إبليس بقصته مع آدم عليه الصلاة والسلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود وإلا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافرا وليس كذلك ولا كان كفره لكونه حسد آدم على منزلته من الله تعالى وإلا لكان كل حاسد كافرا وليس كذلك ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه وإلا لكان كل عاص وفاسق كافرا

وقد أشكل ذلك على جماعة من متأخرى الفقهاء فضلا عن غيرهم ينبغى أن يعلم أنه إنما كفر لنسبته الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى وظهر ذلك من فحوى قوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ومراده على ما قاله الأئمة المحققون من المفسرين وغيرهم أن إلزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم فهذا وجه كفره لعنه الله وقد أجمع المسلمون قاطبة على أن من نسب ذلك للحق تعالى كان كافرا واختلف هل كان قبل إبليس كافرا أولا فقيل لا وأنه أول من كفر وقيل كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا فى الأرض انتهى وقد اختلف أيضا فى كفر إبليس هل كان جهلا أو عنادا على قولين لأهل السنة والجماعة ولا خلاف أنه كان عالما بالله تعالى قبل كفره فمن قال إنه كفر جهلا قال إنه سلب العلم الذى كان عنده كفره ومن قال إنه كفر عنادا قال إنه كفر ومعه علمه قال ابن عطية والكفر مع بقاء العلم مستبعد إلا أنه عندى جائز لا يستحيل مع خذلان الله تعالى لمن يشاء وروى البيهقى فى شرح الأسماء الحسنى فى آخر باب قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله عن عمرو بن ذر قال سمعت عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس وقد بين ذلك فى آية من كتابه وفصلها علمها من علمها وجهلها من جهلها وهى قوله تعالى ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم ثم روى من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال لأبى بكر يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس انتهى وقال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام إبليس فقال لو نام لوجدنا راحة فلا خلاص للمؤمن منه إلا بتقوى الله تعالى وقال فى الإحياء قبيل بيان دواء الصبر من غفل عن ذكر الله تعالى ولو فى لحظة فليس له فى تلك اللحظة قرين إلا الشيطان قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ لأن الشاب إذا لم يشغل ظاهره بمباح يستعين به على دينه عشش الشيطان فى قلبه وباض وفرخ ثم تزدوج أفراخه أيضا ويبيض ويفرخ مرة أخرى وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار والنار إذا وجدت الخلفاء اليابسة كثر توالدها فلا تزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع ألبتة فالشهوة فى نفس الشاب للشيطان كالخلفاء اليابسة للنار ولذلك قال الحسين الحلاج هى نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل ﴿فائدة﴾ ذكر بعض العلماء العاملين إن الله تعالى افترض على خلقه فريضتين فى آية واحدة والخلق عنها غافلون فقيل له وما هى فقال قال الجليل جل جلاله إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فهذا أمر منه سبحانه لنا بأن نتخذه عدوا فقيل له كيف نتخذه عدوا ونتخلص منه فقال اعلم أن الله تعالى جعل لكل مؤمن سبعة حصون فالحصن الأول من ذهب وهو معرفة الله تعالى وحوله حصن من فضة وهو الإيمان به تعالى وحوله حصن من حديد وهو التوكل عليه جل وعلا وحوله حصن من حجارة وهو الشكر والرضا عنه عز شأنه وحوله حصن من نحاس وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقيام بهما وحوله حصن من زمرد وهو الصدق والإخلاص له تعالى وحوله حصن من لؤلؤ رطب وهو أدب النفس فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب والمؤمن لا يبالى به لأنه قد تحصن بهذه الحصون فينبغى للمؤمن أن لا يترك أدب النفس فى جميع أحواله ويتهاون به فى كل ما يأتى فإن من ترك أدب النفس وتهاون به فإنه يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع الله تعالى ولا يزال إبليس يعالجه ويطمع فيه ويأتيه حتى يأخذ منه جميع الحصون ويرده إلى الكفر نعوذ بالله من ذلك انتهى وما ذكره الفريضتين فى الآية قد يشكل فيقال ليس فيها إلا فريضة واحدة وهى قوله تعالى فاتخذوه عدوا إذ الأمر يقتضى الوجوب عند عدم

يسألون الماء والخبز ممن يمر بهم فى الدهر الطويل وعندهم دوارة ماء فى سفح جبل إذا وقع الريح على دورته انقسمت قسمين وتلقى المركب بين شعبتين متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فيثور البحر على كل سفينة تقع فى تلك الدورات باختلاف الريحين فتنقلب ولا تسلم ومقدار طوله ستة أميال قيل هذا الموضع الذى غرق فيه فرعون بجنوده لعنه الله (ومنها) الحسامية وفيها دابة تتجسس الأخبار وتأتى بها الدجال روى الشعبى عن فاطمة بنت قيس قالت خرج علينا رسول الله ﷺ فى الظهيرة وقام خطيبا وقال إنى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى حدثنى أن نفرا من قومه أقبلوا فى البحر فأصابهم ريح عاصف ألجأهم إلى جزيرة فإذا هم بدابة قالوا لها من أنت قالت أنا الجساسة قالوا أخبرينا الخبر قالت إن أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير فإن فيه رجلا بالأشواق إليكم قال فأتيناه فقال من أنتم فأخبرناه فقال ما فعلت بحيرة طبرية قلنا تدفق بين أجوافها قال فما فعلت نخل عمان قلنا يجتنيها أهلها قال فما فعلت عين زعر قلنا يشرب منها أهلها فقال لو يبست أنقذت من

قرينة تدل على خلافه وقد سألت شيخنا الإمام اليافعي رحمه الله عن الفريضة الثانية أين هي من الآية فأجاب قدس الله روحه بأن فيها فريضة علمية وفريضة عملية فالأولى العلم بكونه عدوا والثانية العمل في اتخاذ العداوة له انتهى وأما ما تقدم من ذكر الحصون فهو في نهاية الحسن والتحقيق لكن قد يستولي الشيطان على بعض الحصون المذكورة دون بعض فيرد العبد إلى الفسق دون الكفر فيستحق النار من غير تخليد وقد لا يرده إلى الفسق ولكن يرده إلى ضعف الإيمان فلا يستحق النار ولكن يستحق النزول عن رتبة أهل الإيمان الكامل وكل هذا التفاوت بسبب تفاوت الحصون المذكورة إذ ليس أخذ حصن المعرفة والإيمان كأخذ بقية الحصون المذكورة وبقية الحصون تتفاوت أيضا فليس أخذ حصن الصدق والإخلاص كأخذ حصن الأمر والنهي وكذلك سائر الحصون والكلام في ذلك يطول ولكن مهما بقي حصن الإيمان وحصن التوكل كاملين للعبد لم يقدر عليه الشيطان لقوله تعالى إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وهؤلاء المتصفون بالعبودية الكاملة لقوله تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وهم المؤمنون حقا لقوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ثم قال في آخر وصفهم أولئك هم المؤمنون حقا وقد يكون أخذ حصن واحد مؤديا إلى الكفر وموجبا للتخليد في النار كحصن الإيمان بالله نعوذ بالله من ذلك ولكن لا يقدر على أخذ حصن الإيمان حتى يأخذ الحصون التي حوله نسأل الله الكريم الهدى والسلامة من الزيغ والردى واعلم أن أول الواجبات المعرفة وقال الأستاذ النظر وقال ابن فورك وإمام الحرمين القصد إلى النظر وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا الجوهر الفريد في علم التوحيد وما قاله في ذلك علماء الشريعة ومشايخ الصوفية رحمهم الله تعالى فليراجع ذلك في الجزء السابع من الكتاب المذكور وبالله التوفيق واختلفوا هل بعث الله تعالى من الجن إليهم رسلا قبل بعثة نبينا محمد ﷺ فقال الضحاك كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وقال المحققون لم يرسل إليهم منهم رسول ولم يكن ذلك في الجن قط وإنما الرسل من الإنس خاصة وهذا هو الصحيح المشهور وأما الجن ففيهم النذر وأما الآية فمعناها من أحد الفريقين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرجان من الملح دون العذب وقال منذر بن سعيد البلوطي قال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذين لقوا النبي ﷺ من الجن كانوا رسلا إلى قومهم وقال مجاهد النذر من الجن والرسل من الإنس ولا شك أن الجن مكلفون في الأمم الماضية كما هم مكلفون في هذه الأمة لقوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قيل المراد مؤمنو الفريقين فما خلق أهل الطاعة منهم إلا لعبادته وما خلق الأشقياء إلا للشقاوة ولا مانع من إطلاق العام وإرادة الخاص وقيل معناه إلا لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها وقيل إلا ليوحدون فإن قيل لم أقتصر على الفريقين ولم يذكر الملائكة فالجواب أن ذلك لكثرة من كفر من الفريقين بخلاف الملائكة فإن الله قد عصمهم كما تقدم * فإن قيل لم قدم الجن على الإنس في هذه الآية فالجواب أن لفظ الإنس أخف لمكان النون الخفيفة والسين المهموسة فكان الأثقل أولى بأول الكلام من الأخف لنشاط المتكلم وراحته ﴿فرع﴾ كان الشيخ عماد الدين بن يونس رحمه الله يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس ويقول لا يجوز للإنسي أن يتزوج جنية لقوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وقال تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة فالمودة الجماع والرحمة الولد ونص على منعه

وثاق فوطئت بقدمي كل منهل

المغناطيس الذي يجذب الحديد والمراكب المستعملة في هذا البحر لا يجعل فيها شيء من الحديد خوفا من أن يجذبها المغناطيس.

﴿فصل﴾ في حيوان هذا البحر أما الحيوانات التي توجد في غيره فلا نعيدها والتي توجد في هذا البحر منها سمكة عظيمة تضرب السفينة بذنبها فتغرقها طولها مائتا ذراع يخاف على المراكب منها خوفا شديدا (ومنها) سمكة مقدار ذراع بدنها بدن السمكة ووجهها وجه البوم ومنها سمكة طولها عشرون ذراعا وظهرها الذيل الجيد وأنها تلد وترضع وفيه سمكة كخلقة البقر تلد وترضع والله الموفق (بحر الزنج) وهو بحر الهند بعينه وبلاد الزنج منه في جانب الجنوب بجنب سهيل ومن ركب هذا البحر يرى القطب الجنوبي وسهيلا ولا يرى القطب الشمالي وبنات نعش أبدا وأقصى هذا البحر يتصل بالبحر المحيط وموج هذا البحر عظيم كالجبال الشواهق ونفخه يرتفع كالأطواد الشواهق وينخفض وماؤه يحفظ ليكون من الأدوية ولا ينكسر موجه ولا يظهر منه زبد كما يكون لسائر البحار وفيه جزائر كثيرة ذات

جماعة من أئمة الحنابلة وفي الفتاوى السراجية لا يجوز ذلك لاختلاف الجنس وفي القنية سئل الحسن البصري عنه فقال يجوز بحضرة شاهدين وفي مسائل ابن حرب عن الحسن وقتادة أنهما كرها ذلك ثم روى بسند فيه ابن لهيعة أن النبي ﷺ نهى عن نكاح الجن وعن زيد العمي أنه كان يقول اللهم ارزقني جنية أتزوج بها أصاحبني حيثما كنت وروى ابن عدي في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الطحاوي قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول تزوجت امرأة من الجن فلم أرجع إليه وروى في ترجمة سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ أحد أبوي بلقيس كان جنيا وقال الشيخ نجم الدين القمولي وفي المنع من التزوج نظر لأن التكليف يعم الفريقين قال وقد رأيت شيخا كبيرا صالحا أخبرني أنه تزوج جنية انتهى ﴿قلت﴾ وقد رأيت أنا رجلا من أهل القرآن والعلم أخبرني أنه تزوج أربعا من الجن واحدة بعد واحدة لكن يبقى النظر في حكم طلاقها ولعانها والإيلاء منها وعدتها ونفقتها وكسوتها والجمع بينها وبين أربع سواها وما يتعلق بذلك وكل هذا فيه نظر لا يخفى قال شيخ الإسلام شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى رأيت بخط الشيخ فتح الدين اليعمري وحدثني عنه عثمان المقاتلي قال سمعت الشيخ أبا الفتح القشيري يقول سمعت الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول وقد سئل عن ابن عربي فقال شيخ سوء كذاب فقيل له وكذاب أيضا قال نعم تذاكرنا يوما نكاح الجن فقال الجن روح لطيف والإنس جسم كثيف فكيف يجتمعان ثم غاب عنا مدة وجاء في رأسه شجة فقيل له في ذلك فقال تزوجت امرأة من الجن فحصل بيني وبينها شيء فشجتني هذه الشجة قال الشيخ الذهبي بعد ذلك وما أظن ابن عربي تعمد هذه الكذبة وإنما هي من خرافات الرياضة ﴿فرع﴾ روى أبو عبيدة في كتاب الأموال والبيهقي عن الزهري عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن قال وذبائح الجن أن يشتري الرجل الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح لها ذبيحة للطيرة وكانوا في الجاهلية يقولون إذا فعل ذلك لم يضر أهلها الجن فأبطل ﷺ ونهى عنه ﴿تتمة﴾ في كتاب مناقب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس الله سره أنه جاءه بعض أهل بغداد وذكر أن له بنتا اختطفت من سطح داره وهي بكر فقال له الشيخ اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند النل الخامس وخط عليك دائرة في الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله على نية عبد القادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف من الجن على صور شتى فلا يروعك منظرهم فإذا كان السحر مر بك ملكهم في جحفل منهم فيسألك عن حاجتك فقل قد بعثني إليك عبد القادر واذكر له شأن ابنتك قال فذهبت وفعلت ما أمرني به الشيخ فمر بي صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم على الدنو من الدائرة التي أنا فيها وما زالوا يمرون زمرا زمرا إلى أن جاء ملكهم راكبا فرسا وبين يديه أمم منهم فوقف بإزاء الدائرة وقال يا إنسي ما حاجتك قال قلت قد بعثني إليك الشيخ عبد القادر فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال لي ما شأنك فذكرت له قصة ابنتي فقال لمن حوله علي بمن فعل هذا فأتي بمارد ومعه ابنتي فقيل له إن هذا مارد من مردة الصين فقال له ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب فقال إنها وقعت في نفسي فأمر به فضربت عنقه وأعطاني ابنتي فقلت ما رأيت كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر قال نعم إنه لينظر من داره إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفرون من هيبته وأن الله تعالى إذا أقام قطبا مكنه من الجن والإنس وروى عن أبي القاسم الجنيد أنه قال سمعت سريا السقطي رحمه الله يقول كنت يوما ماشيا في

من سواحله فربما توجد قطعة كتل عظيم (ولنذكر) شيئا من جزائره وحيوانه منها الجزيرة المحترقة وهي جزيرة واغلة في هذا البحر قلما يصل إليها من بلادنا أحد حكى بعض التجار قال ركبت هذا البحر فدارت بي الدوائر حتى حصلت في هذه الجزيرة فرأيت فيها خلقا كثيرا وبقيت بها زمانا واستأنست بهم وتعلمت لغتهم فإذا الناس في بعض الأيام مجتمعون ينظرون إلى كوكب طلع من أفقهم ثم شرعوا في البكاء والعويل وقالوا إن هذا الكوكب يطلع في كل ثلاثين سنة مرة فإذا وصل إلى سمت رءوسنا يحرق ما في هذه الجزيرة فتأهبوا للنقل في المراكب فلما دنا الكوكب من سمت رءوسهم ركبوا فيها وأخذوا معهم ما خف من القماش فركبت معهم فغبنا عنها مدة فلما علموا أن الكوكب زال عن سمت رءوسهم عادوا إليها فوجدوا جميع ما كان فيها رمادا فشرعوا في استئناف العمارة (ومنها) جزيرة الضوضاء وهي جزيرة مما يلي بلاد الزنج وحكى بعض التجار أن بهذه الجزيرة مدينة من حجر أبيض يسمع منها ضوضاء وجلبة ولا ساكن بها من البشر وربما دخلها البحريون وشربوا من مائها

البادية فآوانى الليل إلى جبل لا أنيس فيه فبينا أنا فى جوف الليل نادانى منادفقال لا تدور القلوب فى الغيوب حتى تدوب النفوس من مخافة فوت المحبوب فعجبت وقلت أجنى ينادى أم إنسى فقال بل جنى مؤمن بالله سبحانه ومعى إخوانى فقلت وهل عندهم ما عندك قال نعم وزيادة قال فنادانى الثانى منهم فقال لا تذهب من البدن الفترة إلا بدوام الفكرة قال فقلت فى نفسى ما أنفع كلام هؤلاء فنادانى الثالث فقال من أنس به فى الظلام نشرت له غدا الأعلام قال فصعقت فلما أفقت إذا أنا بنرجسة على صدرى فشممتها فذهب عنى ما كان بى من الوحشة واعترانى الأنس فقلت وصية رحمكم الله فقالوا أبى الله إلا أن يحيى بذكره ويأنس به قلوب المتقين فمن طمع فى غير ذلك فقد طمع فى غير مطمع وفقنا الله وإياك ثم ودعونى ومضوا وقد أتى على حين وأنا أرى برد كلامهم فى خاطرى وفى كفاية المعتقد ونكاية المنتقد لشيخنا اليافعى عن السرى أيضا أنه قال كنت أطلب رجلا صديقا مدة من الأوقات فمررت يوما فى بعض الجبال فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى فسألت عن حالهم فقال ههنا رجل يخرج فى السنة مرة فيدعو لهم فيجدون الشفاء قال فمكثت حتى خرج ودعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت أثره فأدركته وتعلقت به وقلت له بى علة باطنة فما دواؤها فقال ياسرى خل عنى فإنه غبور وإياك أن يراك تأنس إلى غيره فتسقط من عينه ثم تركنى وذهب وفى كتاب التوحيد للإمام محمد بن أبى بكر الرازى عن الجنيد أنه قال كنت أسمع السرى يقول يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به قال وكان فى نفسى منه شىء حتى بان لى أن الأمر كذلك انتهى ﴿قلت﴾ وذلك لأن الهيبة والأنس فوق القبض والبسط والقبض والبسط فوق الخوف والرجاء فالهيبة مقتضاها الغيبة والدهش فكل هائب غائب حتى لو قطع قطعا لم يحضر من غيبته إلا بزوال الهيبة عنه والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة ثم أنهم يتفاوتون فى الهيبة والأنس فأدنى مرتبة فى الأنس أنه لو ألقى فى لظى ما تكدر أنسه لأنه لا يشهد إلا هو ولا يعرف إلا هو ألا ترى إلى قول السرى رحمه الله يبلغ العبد من الهيبة والأنس إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يشعر به وذلك لأن الأنس يتولد من السرور بالله ومن صح له الأنس بالله استوحش مما سواه فهو باق بالله فان عن السوى لم ير غيره ولم يشهد لسواه فعلا فلم ير فى الكونين إلا إياه فلا يقع نظره إلا عليه ولا بصره إلا على فعله وخلقه لأن العارف عرف الصنعة بالصانع ولم يعرف الصانع بالصنعة فلم ير إلا فعله وخلقه ولذلك قال الصديق الأكبر أبو بكر رضى الله تعالى عنه ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وهذا هو المقام الشريف من التوحيد واعلم أن العبد لا يذوق حلاوة الأنس بالله تعالى إلا إذا قطع العلائق ورفض الخلائق وغاض فى الدقائق مطلعا على الحقائق ولا ينبئك مثل خبير واعلم أن حالتى الهيبة والأنس وإن جلتا فأهل الحقيقة يعدونهما نقصا لتضمنهما تغير العبد فإن أهل التوحيد المتمكنين سمت أحوالهم عن التغير فلهم كمال فى المحو ووجود فى العين ولا هيبة لهم ولا أنس ولا علم ولا حس وارتقاؤهم عن هذا المقام بالجود والفيض الإلهى فسبحان من خص برحمته من شاء من عباده وقال السرى رحمه الله صحبت رجلا يقال له الوالدسنة لم أسأله عن مسئلة فقلت له يوما ما المعرفة التى ليس فوقها معرفة فقال أن تجد الله أقرب إليك من كل شىء وأن ينمحى عن سرائرك وظواهرك كل شىء غيره فقلت له بأى شىء أصل إلى هذا فقال بزهدك فيك ورغبتك فيه سبحانه وتعالى قال فكان كلامه سبب انتفاعى بهذا الأمر * توفى السرى لست خلون من رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين وقيل غير ذلك والله أعلم بالصواب (الخواص) لا تدخل الجن بيتا فيه الأترج روينا عن الإمام أبى الحسن على بن الحسن بن الحسن بن محمد الخلعى نسبة إلى بيع الخلع وهو من أصحاب الشافعى وقبره معروف بالقرافة والدعاء عنده مستجاب وكان يقال له قاضى الجن أنه أخبر أنهم كانوا

فوجدوه حلوا طيبا فيه منها بالليل نار عظيمة وذكر أن فى حواليها حية تظهر فى كل سنة مرة فيحتال ملوك الزنج فى أخذها فإذا أخذوها يطبخونها ويتخذون من جلدها فراشا يجلس عليه صاحب السل يأمن من غائلته ويوجد ذلك فى خزائن الملوك ومنها جزائر العور حكى يعقوب بن إسحق السراج قال رأيت رجلا من أهل رومية قال ركبت هذا البحر فالقتنى الريح إلى بعض الجزائر فوصلت بها إلى مدينة أهلها ناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور فاجتمع على جمع منهم وساقونى إلى ملكهم فأمر بحبسى فجعلونى فى شبه قفص فكسرته فأمنونى فرأيتهم فى بعض الأيام يتأهبون للقتال وقالوا الناعدو يأتينا وهذا أوان مجيئه فلم نلبث أن طلعت عليهم عصابة من الغرانيق وكان نفر من الغرانيق عور أعينهم فأخذت عصا وشددت عليها قطارت وذهبت فأكرمونى وذكر ارسطاطاليس فى كتاب الحيوان أن الغرانيق تنتقل من خراسان إلى ناحية مصر حيث يسيل ماء النيل تقاتل هناك رجالا قامتهم قدر ذراع (ومنها) جزيرة سكسار حكى يعقوب بن إسحق السراج قال رأيت

رائحة الكافور ويقولون كنا نعرف منتهاها غير أن بقربها جبالا عظيمة تتوقد

يأتون إليه ويقرؤن عليه وأنهم ابطؤا عنه جمعة ثم اتوه فسألهم عن ذلك فقالوا كان فى بيتك شىء من الأترج وإنا لا ندخل بيتا هو فيه قال الحافظ أبو طاهر السلفى وكان الخلعى إذا سمع عليه الحديث يختم مجلسه بهذا الدعاء اللهم ما منننت به فتتمه وما أنعمت به فلا تسلبه وما سترته فلا تهتكه وما علمته فاغفره توفى فى شوال سنة ثمان وأربعمائة ﴿قلت﴾ ولهذا ضرب النبى ﷺ المثل للمؤمن الذى يقرأ القرآن بالأترجة لأن الشيطان يهرب عن قلب المؤمن القارئ للقرآن كما يهرب عن مكان فيه الأترج فناسب ضرب المثل به بخلاف سائر الفواكه فى المستدرك فى يراجم الصحابة من حديث أحمد بن حنبل عن عبد القدوس بن بكير بإسناده إلى مسلم بن صبيح قال دخلت على عائشة رضى الله تعالى عنها وعندها رجل مكفوف وهى تقطع له الأترج وتطعمه إياه بالعسل فقالت هذا ابن أم مكتوم الذى عاتب الله فيه نبيه ﷺ ما زال هذا له من آل محمد ﴿قلت﴾ وفى تخصيصه بالأترج والعسل ما لا يخفى على متأمل وفى معجم الطبرانى عن حبيب بن عبد الله عن أبى كبشة عن أبيه عن جده قال كان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الحمام الأحمر والأترج وسيأتى فى باب الفاء حديث سليمان بن موسى أن النبى ﷺ قال إن الجن لا يدخلون دارا فيها فرس عتيق (التعبير) الجن فى المنام دهاة الناس أصحاب مكر وحيل لما كانوا يصنعون لسليمان عليه الصلاة والسلام من المحاريب والتماثيل فمن عالج أحداً من الجن فى المنام فإنه ينازع قوما أصحاب مكر وحيل ومن رأى أنه يعلم الجن القرآن فإنه ينال رياسة وولاية لقوله تعالى قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن والجن فى الرؤيا بمنزلة اللصوص فمن دخلت الجن داره فليحذر اللصوص والجنون فى المنام على وجوه فمن رأى أنه قد جن فإنه ينال غنى كما قال الشاعر :

جن له الدهر فنال الغنى * ياويحه إن عقل الدهر

وقيل الجنون دال على أكل الربا لقوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وربما دل على دخول الجنة لقوله عليه الصلاة والسلام اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله والمجانين فانسب الجنون إلى الرأى بما يليق به وإن رأت امرأة أنها قد جنت وعولجت بالرقى فإنها تحمل بولد يكون له دهاء فيكون الجنون جنينا تحمل به والله تعالى أعلم .

﴿جنات البيوت﴾ بجيم مكسورة ونون مفتوحة مشددة وهى الحيات جمع جان وهى الحية الصغيرة وقيل الدقيقة الخفيفة وقيل الدقيقة البيضاء روى البخارى ومسلم وأبو داود عن أبى لبابة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ نهى عن قتل الجان التى فى البيوت إلا الأبتر وذا الطفيتين فإنهما اللذان يخطفان البصر ويطرحان أولاد النساء والطفيتان بضم الطاء الخطان الأبيضان على ظهر الحية والأبتر قصير الذنب وقال النضر بن شميل هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لا تنظر إليه حامل إلا ألقت ما فى بطنها وفى كتاب الحشرات قال ابن خالويه سمعت ابن عرفة يقول الجنان حيات إذا مشت رفعت رؤسها عند المشى وأنشد يقول :

رفعن بالليل إذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا

﴿الجند بادستر﴾ حيوان كهيئة الكلب ليس كالكلب الماء ويسمى القندر وسيأتى فى باب القاف ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها ويسمى السمور أيضا وهو على هيئة الثعلب أحمر اللون ليس له يدان وله رجلان وذنب طويل ورأس كرأس الإنسان ووجه مدور وهو يمشى متكفيا على صدره كأنه يمشى على أربع وله أربع خصيات اثنتان ظاهرتان واثنتان

فألقتنا الريح إلى جزيرة لم نستطع أن نبرح عنها فأتى قوم وجوههم كوجوه الكلاب وسائر أبدانهم كأبدان الناس فسبق إلينا واحد منهم بعصا ووقف الآخرون فساقنا إلى منازلهم فرأينا هناك الجماجم والسيقان وأذرع الناس فأدخلونا بيتا رأيت فيه إنسانا فجعلوا يأتوننا بالفواكه والمأكول فقال ذلك الرجل يطعمونكم لتسمنوا ومن سمن منكم أكلوه قال فكنت أقلل المأكول حتى لا أسمن وكل من سمن من أصحابى أكلوه حتى بقيت أنا وذلك الرجل لأنى كنت هزيلا والرجل عليلا فقال ذلك الرجل أنهم قد حضر لهم عيد يخرجون كلهم إليه ثلاثة أيام فإن أردت النجاة فانج بنفسك وأما أنا فقد ذهبت رجلاى لا يمكننى الهرب واعلم أنهم أسرع شىء طلبا وأشد استنشاقا وأعرف بالأثر إلا من دخل تحت شجرة كذا فإنهم لا يطلبونه ولا يقدرون عليه قال فكنت أسير ليلا وأكمن نهارا فلما رجعوا وتفقدونى جعلوا يقصون أثرى فأدركونى وكنت تحت الشجرة فانقطعوا عنى فلما أمنت منهم جعلت أسير فى تلك الجزيرة إذ رفعت أشجار كثيرة فانتهيت إليها فإذا بها

باطنتان ومن شأنه أنه إذا رأى الصيادين له لأخذ الجندبادستر وهو الموجود فى خصيته البارزتين هرب فإذا جدوا فى طلبه قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم إذ لا حاجة لهم إلا بهما فإذا لم يبصرهما الصيادون وداموا فى طلبه استلقى على ظهره حتى يريهم الدم فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه وهو إذا قطع الظاهرتين أبرز الباطنتين عوضا عنهما وفى باطن الخصية شبه الدم أو العسل زهم الرائحة سريع التفرك إذا جف وهذا الحيوان يهرب إلى الماء ويمكث فيه زمانا حابسا نفسه ثم يخرج وهو حيوان يصلح أن يحيا فى الماء وخارج الماء وأكثر أوقاته فى الماء ويغتذى فيه بالسمك والسرطان وخصاه تنفع من نهش الهوام وتصلح لأشياء كثيرة وهو دواء محمود يسخن الأعضاء الباردة ويجفف الرطبة وليس له مضرة أصلا فى شىء من الأعضاء وله خاصية فى جميع العلل الباردة الرطبة التى تحدث فى الرئة وفى الدماغ وينفع من الصمم البارد ولا شىء أنفع للريح فى الأذن منه وينفع من لدغ العقرب إذا طلى به موضعها وإذا طلى به الرأس مدافا بأحد الأدهان نفع المصروعين وينفع من الفالج واسترخاء الأعضاء والنقرس البارد منفعة عظيمة وإذا شرب كان ترياقا للسموم الباردة كلها حيوانية ونباتية لاسيما الأفيون وهو يلطف الأخلاط ويذهب البلغم حيث كان وينفع الخفقان المتولد من أسباب باردة وجلده غليظ الشعر يصلح لبسه للمشايخ والمبرودين ولحمه نافع للمفلوجين وأصحاب الرطوبات وإذا شرب الإنسان من الجندبادستر الأسود وزن درهم هلك بعد يوم.

﴿الجنين﴾ هو ما يوجد فى بطن البهيمة بعد ذبحها فإن وجد ميتاً بعد ذبحها فهو حلال بإجماع الصحابة كما نقله الماوردى فى الحاوى وبه قال مالك والأوزاعى والثورى وأبو يوسف ومحمد وإسحق والإمام أحمد وتفرد أبو حنيفة بتحريم أكله محتجا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم وبقوله ﷺ أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وهذه ميتة ثالثة لم تذكر ودليل الجمهور أحلت لكم بهيمة الأنعام قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم بهيمة الأنعام أجنتها توجد ميتة فى بطن الأم يحل أكلها بذكاة الأمهات وهو من أحكام هذه السورة وفيه بعد لأن الله تعالى قال إلا ما يتلى عليكم وليس فى الأجنة ما يستثنى وقد تقدم ذلك فى باب الباء الموحدة وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ذكاة الجنين ذكاة أمه فجعل إحدى الذكاتين نائبة عن الأخرى وقائمة مقامها فإن قيل إنما أراد التشبيه دون النيابة فيكون المعنى ذكاة الجنين كذكاة أمه لأنه قدم الجنين على الأم فصار تشبيها بالأم ولو أراد النيابة لقدم الأم على الجنين فقال ذكاة الأم ذكاة الجنين فالجواب من ثلاثة أوجه ذكرها الماوردى أحدها أن اسم الجنين إنما يطلق عليه مادام مستجنا فى بطن أمه فأما إذا انفصل فإن الاسم يزول عنه ويسمى ولدا قال الله تعالى وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم وهو فى بطن الأم لا يقدر عليه فوجب حمله على النيابة دون التشبيه الثانى أنه لو أراد التشبيه دون النيابة لساوى الأم غيرها ولم يكن لخصوصية التشبيه بالأم فائدة الثالث أنه لو أراد التشبيه لنصب ذكاة الأم بحذف كاف التشبيه والروايتان إنما هما برفع ذكاة أمه فثبت أنه أراد النيابة دون التشبيه * فإن قيل فقد روى ذكاة أمه بالنصب ومعناها كذكاة أمه فالجواب أن هذه الرواية غير صحيحة ولو سلمت كانت محمولة على نصبها بحذف الباء الموحدة دون الكاف ويكون معناه ذكاة الجنين بذكاة أمه ولو احتمل الأمرين لكانتا مستعملتين فتستعمل الرواية المرفوعة فى النيابة إذا خرج ميتا والرواية المنصوبة فى التشبيه إذا خرج حيا

من كل الفواكه وتحتها رجال أحسن صورة فقعدت إليهم لا أفهم كلامهم ولا يفهمون كلامى فبينما أنا جالس معهم إذ دنا إلى واحد منهم ووضع يده على عاتقى فإذا هو جالس على رقبتى ثم لوى رجليه على فأنهضنى فجعلت أعالجه لأطرحه عن رقبتى فخمشنى فى وجهى وسخرنى كما يسخر أحدكم مركوبه فجعلت أدور على الأشجار وهو يقطع ثمارها ويرمى بها أصحابه وهم يضحكون فبينا أسير به فى وسط الأشجار إذ أصاب عيناه بعض عيدان الأشجار فعمى فعصرت له شيئا من العنب ثم قلت له أكرع فكرع فتحللت رجلاه فرميته وبقى أثر الخموش فى وجهى والله الموفق ﴿فصل﴾ فى حيوان هذا البحر منها المنشار قال بعض التجار إنها سمكة مثل الجبل العظيم ومن رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود مثل الأبنوس كل سن منها فى رؤية العين مقدار ذراعين وعند رأسها عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة أذرع وكانت تضرب بالعظمين البحر يمينا وشمالا فيسمع صوته صوتا هزيلا قال وكنا نرى الماء يخرج من فيها وأنفها ويصعد إلى السماء وتصل إلينا رشاشاته مثل المطر وبيننا مسافة بعيدة وهذه السمكة تقطع السفينة إذا عبرت من تحتها أو خرجت

فيكون أولى من استعمال إحدى الروايتين وترك الأخرى ويدل عليه أيضا نص لا يحتمل التأويل وهو ما رواه أبو سعيد الخدرى قال قلت يا رسول الله إنا ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة وفى بطونها الجنين أنلقيه أم نأكله فقال عليه الصلاة والسلام كلوه إن شئتم فإن ذكاة الجنين ذكاة أمه واستدل الشيخ أبو محمد كما قال الرافعى بأنه لو لم يحل الجنين بذكاة الأم لما جاز ذبح الأم مع ظهور الحمل كما لا تقتل الحامل قصاصا ولا حدا فألزم عليه ذبح رمكة فى بطنها بغلة فمنع ذبحها والرمكة أنثى الخيل كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى وهى مأكولة والبغل لا يؤكل إذا ثبت هذا فاعلم أن للجنين ثلاثة أحوال ذكرها الماوردى أحدها أن يكون كاملا كما سبق ثانيها أن يكون علقة فهذا غير مأكول لأن العلقة دم ثالثها أن يكون مضغة قد انعقد لحمه ولم تبن صورته ولم تتشكل أعضاؤه ففى إباحة أكله وجهان من اختلاف قوليه فى وجوب الغرة كونها أم ولد قال الماوردى وقال بعض أصحابنا إذا نفخ فيه الروح لم يؤكل وإلا أكل وهذا مما لا سبيل إلى إدراكه ولو خرج الجنين وبه حياة مستقرة واشترط ذبحه أو غير مستقرة حل بغير ذكاة ولو خرج رأسه ثم ذكيت الأم قال القاضى والبغوى لم يحل إلا بذكاة لأنه مقدور عليه وقال القفال يحل لأن خروج بعض الولد كعدم خروجه فى العدة وغيرها قال فى الروضة قول القفال أصح والله أعلم وذكر ابن خلكان فى تاريخه أن الإمام صائن الدين أبا بكر القرطبى كان كثيرا ما ينشد هذين البيتين متمثلا :

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وهما لأبى الخير الكاتب الواسطى رحمة الله عليه .

﴿جهبر﴾ كجعفر أنثى الدب وهى إذا أرادت الولادة استقبلت بنات نعش الصغرى فتسهل ولادتها وإذا ولدت يكون ولدها قطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقله من موضع إلى موضع خوفا من النمل وربما تركت أولادها وأرضعت ولد الضبع ولهذا قالت العرب أحمق من جهبر .

﴿الجواد﴾ الفرس الجيد العدو سمى بذلك لأنه يجود بجريه والأنثى جواد أيضا قال الشاعر :

* نمته جواد لا يباع جنينها * والجمع جود وجياد كثوب وثياب وأجياد جبل بمكة سمى بذلك لموضع خيل تبع ويسمى قعيقعان لموضع سلاحه وروى جعفر الغريانى فى كتابه فضل الذكر عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأن أصلى الصبح ثم أجلس فى مجلسى فأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس أحب إلىّ من شد على جياد الخيل فى سبيل الله عز وجل وروى النسائى والحاكم وابن السنى والبخارى فى تاريخه عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال إن رجلا جاء إلى الصلاة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فقال حين انتهى إلى الصف الأول اللهم آتنى أفضل ما تؤتى عبادك الصالحين فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال من المتكلم آنفا قال أنا يا رسول الله قال إذن يعقر جوادك وتستشهد فى سبيل الله تعالى وفى سنن ابن ماجه من حديث عمرو بن عبسة رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أى الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم من أهريق دمه وعقر جواده وفى كتاب النصائح لابن ظفر أن أمة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اسمها زائدة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول يا زائدة إنك لموفقة فأتته يوما فقالت يا رسول الله إنى عجنت عجينا لأهلى ثم ذهبت أحتطب فاحتطبت وأكثرت عليها فإذا رأى أصحاب المركب هذه السمكة يضجون إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم مكرمة (ومنها) سمكة تعرف بالبال طولها أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع فيظهر فى بعض الأوقات طرف من جناحه يكون كالشراع العظيم ويظهر رأسه وينفخ بفيه الماء فيذهب الماء فى الجو أكثر من غلوتين والمراكب تفزع منها ليلا ونهارا فإذا أحسوا بها ضربوا بالدبادب وضجوا حتى تنفر وأنها تحشو بذنبها وأجنحتها السمك إلى فيها فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله سمكة نحو الذراع تدعى اللشك تلتصق بأذنابها ولا خلاص للبال منها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض بنفسها حتى تموت وتطفو فوق الماء كالجبل العظيم وربما يقذف البحر عند اشتداده قطعا من العنبر كالتلال فيأكلها البال فيقتلها فتطفو فوق الماء ولها أناس يرصدونها فى المراكب من الزنج فإذا أحسوا بذلك طرحوا فيها الكلاليب وجذبوها إلى الساحل ويشقون بطنها ويستخرجون العنبر منها فما يكون فى بطنها يكون شهكا تعرفه التجار والعطارون بالعراق وفارس والهند وما يكون فى ظهرها يكون جيدا نقيا والله الموفق ﴿بحر المغرب﴾ هو من بحر الشام

فرأيت فارسا على جواد لم أر قط أحسن منه وجها وملبسا وجوادا ولا أطيب منه ريحا فأتانى وسلم على وقال كيف أنت يا زائدة قلت بخير والحمد لله قال وكيف محمد قلت بخير وينذر الناس بأمر الله قال إذا أتيت محمدا فأقرئه منى السلام وقولى له رضوان خازن الجنة يقرئك السلام ويقول لك ما فرح أحد بمبعثك ما فرحت به فإن الله جعل أمتك ثلاث فرق فرقة يدخلون الجنة بغير حساب وفرقة يحاسبون حسابا يسيرا ويدخلون الجنة وفرقة تشفع لهم فتشفع فيهم فيدخلون الجنة قلت نعم ثم ولى عنى فأخذت فى رفع حطبى فثقل على فالتفت إلى وقال يا زائدة أثقل عليك حطبك قلت نعم بأبى وأمى فعطف على وغمز الحزمة بقضيب أحمر فى يده فرفعها ونظر فإذا هو بصخرة عظيمة فوضع الحزمة بالقضيب عليها وقال اذهبى يا صخرة بالحطب معها فجعلت الصخرة تدهده بين يدى بالحطب حتى أتيت فسجد النبى ﷺ شكرا وحمدا لله تعالى على بشرى رضوان ثم قال لأصحابه قوموا لننظر فقاموا وانطلقوا إلى الصخرة فرأوها وعاينوا آثارها ويقرب من هذه البشرى ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال إن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب الأحبار فقال له إن فلانا الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة فقال له كعب هاتها فقال له الرجل إنه يقول لك ألم تكن فينا سيدا شريفا مطاعا فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة محمد فقال له كعب أتراك راجعا إليه قال نعم قال فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك وقل له يقول لك كعب أسألك بالله الذى فلق البحر لموسى وأسألك بالله الذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شىء ألست تجد فى كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد فإنه سيقول لك نعم فقل له يقول لك كعب اجعلنى فى أى هذه الأثلاث شئت وفى كتاب خير البشر بخير البشر لمحمد بن ظفر أيضا قال روى أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة فوفد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهنئونه فرفع الحجاب عن الوافدين وأوسعهم عطاء واشتد سروره بهم فبينما هو على ذلك إذ نام يوما فرأى رؤيا فى المنام أخافته وأذعرته وأهالته فى حال منامه فلما انتبه أنسيها حتى لم يذكر منها شيئا وثبت ارتياعه فى نفسه بها فانقلب سروره حزنا واحتجب عن الوفود حتى أساء به الوفود الظن ثم أنه حشر الكهان فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول له أخبرنى عما أريد أن أسألك عنه فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندى حتى لم يدع كاهنا علمه إلا كان إليه منه ذلك فتضاعف قلقه وطال أرقه وكانت أمه قد تكهنت فقالت له أبيت اللعن أيها الملك إن الكواهن أهدى إلى ما تسأل عنه لأن أتباع الكواهن من الجان ألطف وأظرف من أتباع الكهان فأمر بحشر الكواهن إليه وسألهن كما سأل الكهان فلم يجد عند واحدة منهن علما مما أراد علمه ولما يئس من طلبته سلا عنها ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل فى طلب الصيد وانفرد عن أصحابه فرفعت له أبيات فى ذرى جبل وكان قد لفحه الهجير فعدل إلى الأبيات وقصد بيتا منها كان منفردا عنها فبرزت إليه منه عجوز فقالت له انزل بالرحب والسعة والأمن والدعة والجفنة المدعدعة والعلبة المترعة فنزل عن جواده ودخل البيت فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرم الهجير فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها قواما ولا جمالا فقالت له أبيت اللعن أيها الملك الهمام هل لك فى الطعام فاشتد إشفاقه وخاف على نفسه لما رأى أنها عرفته وتصامم عن كلمتها فقالت له لا تحذر فداك البشر فجدك الأكبر وحظنا بك الأوفر ثم قربت إليه ثريدا وقديدا وحيسا وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سقته لبنا صريفا وضريبا فشرب ما شاء وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حسنا وقلبه هوى فقال لها ما اسمك يا جارية قالت اسمى عفيراء فقال لها يا عفيراء من

وبحر قسطنطينية مأخذه من قسطنطينية ويمتد من جهة الجنوب إلى بلاد أولها سلا ثم سبتة وطنجة إلى طرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية وفيه الجزائر العظيمة كجزائر أندلس وغيرها وذكر فى كتاب أخبار مصر أنه بعد هلاك الفراعنة كان ملوك بنى دلوكة فى شق البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والممالك العظيمة وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزا بين بلاد مصر والروم وهو الخليج الذى فى زماننا هذا على أحد ساحليه المسلمون وعلى الآخر النصارى من الفرنج وهناك مجمع البحرين وهما بحر الروم والمغرب وعرضه ثلاثة فراسخ وطوله خمسة وعشرين فرسخا وفيه يظهر المد والجزر فى كل يوم وليلة أربع مرات وذلك فى البحر الأسود وهو بحر المغرب عند طلوع الشمس يعلو فيصب فى مجمع البحرين حتى يدخل فى بحر الروم وهو البحر الأخضر إلى وقت الزوال فإذا زالت الشمس غاص البحر الأسود وانصب فيه الماء من البحر الأخضر إلى مغرب الشمس ثم يغيض الماء الأخضر ويعلو البحر الأسود إلى نصف الليل ثم يغيض البحر الأسود

الذى دعيته بالملك الهمام قالت مرثد العظيم الشأن حاشر الكواهن والكهان لمعضلة بعد عنها الجان فقال ياعفيراء أتعلمين تلك المعضلة قالت أجل أيها الملك إنها رؤيا منام ليست بأضغاث أحلام قال الملك أصبت ياعفيراء فما تلك الرؤيا قالت رأيت أعاصير زوابع بعضها البعض تابع فيها لهب لامع ولها دخان ساطع يقفوها نهر متدافع وسمعت فيما أنت سامع دعاء ذى جرس صادع هلموا إلى المشارع فروى جارع وغرق كارع فقال الملك أجل هذه رؤياى فما تأويلها ياعفيراء قالت الأعاصير الزوابع ملوك تبابع والنهر علم واسع والداعى نبى شافع والجارع ولى تابع والكارع عدو منازع فقال الملك ياعفيراء أسلم هذا النبى أم حرب فقالت أقسم برافع السماء ومنزل الماء من الغماء إنه لمطل الدماء ومنطق العقائل نطق الإماء فقال الملك إلام يدعو ياعفيراء قالت إلى صلاة وصيام وصلة أرحام وكسر أصنام وتعطيل أزلام واجتناب آثام فقال الملك ياعفيراء من قومه قالت مضر بن نزار ولهم منه نقع مثار ينجلى عن ذبح وأثآر فقال الملك ياعفيراء إذا ذبح قومه فمن أعضاده قالت أعضاده غطاريف يمانون طائرهم به ميمون يغزيهم فيغزون ويدمث بهم الحزون وإلى نصره يعتزون فأطرق الملك يؤامر نفسه فى خطبتها فقالت أبيت اللعن أيها الملك إن تابعى غيور ولأمرى صبور وناكحى مثبور والكلف بى ثبور فنهض الملك وجال فى صهوة جواده وانطلق فبعث إليها بمائة ناقة كوماء قال محمد بن ظفر أوغل فى طلب الصيد أى بالغ فى ذلك وأمعن والوغول الدخول فى الشىء بقوة وذرى جبل بفتح الذال المعجمة الكن والمدعدعة هى التى ملئت بقوة ثم حركت حتى تراص مافيها ثم ملئت بعد ذلك والعلبة بضم العين المهملة وإسكان اللام إناء من جلد والأرواح هى الرياح وصريفاً اللبن المحض يحدثان الحلاب يصرف عن الضرع إلى الشارب وضريباً اللبن الرائب وبعد عنها الجان أى جبنوا عنها ولم يطيقوها وأعاصير زوابع هى من مايثير التراب فيعليه فى الجو ويديره وساطع أى مرتفع ودعاء ذى جرس صادع الجرس الصوت المشارع المداخل إلى النهر وجارع أى من شرب جرعاً أمن وكارع أى من أمعن غرق وتبابع جمع تبع وهذا لقب لملوك اليمن وهو من الأتباع لأن بعضهم كان يتبع فى الملك بعضا والغماء هو الغيم والغمام ومنطق العقائل هن الكرائم من النساء أى يسبيهن فيشددن النطق على أوساطهن كالإماء للمهنة والخدمة ونقع مثار النقع الغبار يثيره المتحاربون والأعضاد الأنصار والغطاريف السادة والتغطرف التكبر ويدمث أى يسهل ويؤامر نفسه يراد به تعارض الرأيين المتضادين فى النفس وجال فى صهوة جواده جال أى وثب والصهوة مقعد الفارس من ظهر فرسه والكوماء الناقة العظيمة السنام * ونظير هذا من الرؤيا المنسية وليست من أخبار الكهان وإنما هو خبر رؤيا بختنصر وذلك أن بختنصر لما غزا بيت المقدس اختار من سبى بنى إسرائيل مائة ألف صبى فكان منهم دانيال عليه السلام فرأى بختنصر رؤيا ارتاع لها وحدث له فى المنام ما أنساه الرؤيا فسأل الكهان والسحرة والمنجمين عن ذلك فقالوا له إن أخبرتنا عن رؤياك أخبرناك عن تأويلها فقال إنى قد أنسيتها ولئن لم تخبرونى بها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده مذعورين ثم رجع إليه أحدهم فقال له أيها الملك إن يكن أحد عنده علم بالرؤيا فهو دانيال الغلام الإسرائيلى فأحضره وسأله فقال له دانيال إن لى ربا عنده علم ذلك فأجلنى فأجله ثلاثا فخرج دانيال فأقبل على الصلاة والدعاء فأوحى الله إليه بالرؤيا وبتأويلها فأتى إلى بختنصر وقال له إنك رأيت صنما قدماه وساقاه من نحار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب وعنقه ورأسه من حديد قال صدقت قال دانيال فبينما أنت تنظر إليه وتتعجب منه إذ أرسل الله عليه صخرة من السماء فهشمته فصار رفاتا ثم عظمت تلك

وانصباب الماء من البحر الأخضر إلى طلوع الشمس وفى هذا البحر من الجزائر والحيوان مايتعجب منه فلنذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

﴿فصل﴾ فى جزائره ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتابه الذى ألفه للوزير بن هبيرة أن بجمع الترب جزيرة فيها منارة مبينة من الصخر الصلد لايعمل فيها الحديد شيئا ولها أساس راسخ وليس للمنارة باب وعلى رأس المنارة صورة إنسان ملتحف بثوب كأنه من ذهب يده اليمنى ممدودة إلى البحر الأسود يشير بأصبع إلى شىء وعلو المنارة أكثر من مائة ذراع وقال غيره إن تلك الصورة طلسم عمله بعض الملوك صيانة لذلك الموضع من إتيان العدو وأنه مأمون مادام ذلك الطلسم باقيا (ومنها) جزيرة تيس وهى فى بحر الروم وذكر أبو حامد الأندلسى أنها جزيرة عظيمة فيها مدن وقرى كثيرة من عجائبها أنه يخرج إليها فى كل يوم طير يصطادونه ويبقى أياما ثم ينقطع ذلك النوع ويظهر نوع آخر ويبقى أياما وهكذا أبدا ويتم مائة ونيفا وثلاثين نوعا وأساميها مكتوبة

رأيت فى نقل ذلك سآمة (ومنها) جزيرة ذكرها صاحب الغرائب قال إن فى بحر الروم جزيرة كثيرة الأشجار والأزهار ومن شم

الصخرة حتى ملأت الدنيا فهى التى أنستك الرؤيا قال صدقت فما تأويلها فقال دانيال أما الصنم فهو مثل لملوك الدنيا وكان بعضهم ألين ملكا من بعض فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشد ثم كان فوقه الفضة وهى أفضل وأحسن ثم كان فوقه الذهب وهو أفضل منها وأحسن من ذلك كله ثم كان الحديد من فوقه وهو أشد منه وهو ملكك فهو أشد ملك وأعز مما كان قبله وأما الصخرة التى أرسلها الله عليه من السماء فنبى يبعثه الله فى آخر الزمان فيدق ذلك كله أجمع وتمتلئ الدنيا بدينه ويصير الأمر إليه ويقيم له ملكا لا يزول أبدا ما بقى الدهر فعجب بختنصر مما سمع وأحسن إلى دانيال وقربه وأعلى منزلته * وذكر ابن خلكان فى ترجمة ابن القرية واسمه أيوب بن زيد بن القرية بكسر القاف وتشديد الراء المهملة وكسرها وبالياء المثناة تحت وكان أعرابيا مقربا عند الحجاج أن الحجاج بعثه إلى عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندى لما خرج على عبد الملك بن مروان وخلعه ودعا إلى نفسه فقال ابن الأشعث لتقومن خطيبا ولتخلعن ابن مروان ولتسبن الحجاج أو لأضربن عنقك ففعل ابن القرية ذلك وأقام عند ابن الأشعث فلما قتل ابن الأشعث بدير الجماجم فى الوقعة التى كانت بينه وبين الحجاج جىء بابن القرية إلى الحجاج فسأله عن أشياء فمن كلامه فى جواب الحجاج ملخصا أهل العراق أعلم الناس بحق وباطل أهل الحجاز أسرع الناس إلى فتنة وأعجزهم فيها أهل الشأم أطوع الناس لخلفائهم أهل مصر عبيد من غلب أهل اليمن أهل طاعة ولزوم جماعة أرض الهند بحر هادر وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر اليمن أصل العرب وأصل البيوتات والحسب مكة رجالها علماء حفاة ونساؤها كساة عراة المدينة رسخ العلم فيها وظهر منها البصرة شتاؤها جليد وحرها شديد وماؤها ملح وحربها صلح الكوفة ارتفعت عن حر البحر وسفلت عن برد الشأم واسطة جنة بين حماة وكنة قال وما حماتها وكنتها قال البصرة والكوفة يحسدانها وما يضرها ودجلة والفرات يتجاريان بإفاضة الخير عليها الشأم عروس بين نسوة جلوس ثم قال فى أثناء كلامه لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة ولكل حليم هفوة فقال الحجاج إن العرب تزعم أن لكل شىء آفة قال صدقت العرب أصلح الله الأمير آفة الحلم الغضب وآفة العقل العجب وآفة العلم النسيان وآفة السخاء المن عند البذل وآفة العبادة الفترة وآفة الكرام مجاورة اللئام وآفة الشجاعة البغى وآفة المال سوء التدبير وآفة الكامل من الرجال العدم قال فما آفة الحجاج قال لا آفة لمن كرم حسبه وطاب نسبه وزكا فرعه فقال الحجاج امتلأت شقاقا وأظهرت نفاقا اضربوا عنقه فلما رآه قتيلا ندم على قتله وكان قتله فى سنة أربع وثمانين وقد ذكرت هذه الحكاية بطولها فى كتاب غاية الأدب فى كلام حكماء العرب وهو فى ثلاثة مجلدات ومن أمثال العرب المشهورة أن الجواد عينه فرارة أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تختبره وأن تفر أسنانه (وحكى) صاحب ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار أنه عرض على أبى مسلم الخراسانى صاحب الدعوة جواد لم ير مثله فقال لقواده لماذا يصلح هذا الجواد قالوا للغزو فى سبيل الله قال لا قالوا فيطلب عليه العدو قال لا قالوا فلماذا يصلح أصلح الله الأمير قال ليركبه الرجل ويفر به من المرأة السوء والجار السوء ومن أحسن أوصاف الخيل الصافنات قال الله تعالى إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قال أهل التفسير إنها كانت ألف فرس لسليمان عليه الصلاة والسلام وإنما عقرها لأنها كانت سببا فى فوت الصلاة قال بعض العلماء لما ترك الخيل لله عوضه الله عنها ما هو خير له منها وهى الريح التى كان غدوها شهرا ورواحها شهرا وروى الإمام أحمد قال حدثنا إسمعيل قال حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبى قتادة وأبى الدهماء وكانا يكثران السفر نحو هذا البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال البدوى أخذ بيدى

شيئا منها نام فى ساعته عليه كنيسة من الصخرة منقورة فى الجبل وعليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح من أعلى القبة وفى مقابلته القبة وهى كشبه مسجد يزوره الناس ويقولون إن الدعاء فيه مستجاب وقد شرط على القسيسين ضيافة من زار المسجد من المسلمين فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه فى روزنة على تلك القبة ويصيح وإذا قدم اثنان صاح صيحتان وهكذا كلما وصل زائر أو زوار صاح على عددهم فيخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين وتعرف الكنيسة بكنيسة الغراب وزعم القسيسون أنهم مازالوا يرون غرابا على تلك الكنيسة ولا يدرون من أين مأكله (ومنها) جزيرة مالطة قال أبو حامد الأندلسى رأيت فى بحر الروم هذه الجزيرة مملوءة من الغنم الجبلية مثل الجراد المنتشر لا يمكنها الفرار من الناس لكثرتها فإذا وصلت المراكب إليها أخذت منها ما شاء الله وهى أغنام سمان كبار نعاج وحملان وليس فيها غير الغنم وفيها أشجار وعشب كثير وهى على طريق الإسكندرية فى البحر تقصدها السفن من كل جانب وظنى أنه لو حملت كل

رسول الله ﷺ فجعل يعلمنى مما علمه الله عز وجل فكان من كلامه إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيرا منه وأخرجه النسائى من حديث ابن المبارك عن سليمان بن الحسين وأبو الدهماء اسمه قرفة بن بهيس وقيل ابن بهس روى له الجماعة إلا البخارى وقال الثعلبى كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال وإنما عقرها لتؤكل على وجه القربة بها كالهدى عندنا ونظير هذا ما فعله أبو طلحة الأنصارى بحائطه إذ تصدق به لما دخل عليه الدبسى وهو فى الصلاة فشغله * والصافن الذى يرفع إحدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله وهى علامة الفراسة كما قال فى حقه العجاج :

أنس الصفون فلا يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسير

وقال بعضهم الخير فى الآية الخيل والعرب تسمى الخيل خيرا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل أنت زيد الخير وكان رضى الله عنه إذا ركب الخيل خطت رجلاه الأرض واسمه زيد بن مهلهل ابن زيد الطائى وكان كثير الخيل لم يكن لأحد من قومه ولا لكثير من العرب إلا الفرس أو الفرسان وكان له الخيل الكثيرة منها الهطال والكميت والوردو الكامل ولاحق ودموك قدم على رسول الله ﷺ فى وفد طى سنة تسع فأسلم وقال له النبى ﷺ ما وصف لى أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته بدون تلك الصفة إلا أنت فإنك فوق ما قيل لى إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الأناة والحلم وفى رواية الحياء والحلم فقال الحمد لله الذى جبلنى على ما يحب الله ورسوله مات بعد رجوعه من عند النبى ﷺ محموما عند قومه وكان ﷺ يقول إنه نعم الفتى إن لم تدركه أم ملدم وروى أنه ﷺ قال له يا زيد الخير تقتلك أم كلبة يعنى الحمى فلما رجع إلى أهله حم ومات رضى الله تعالى عنه * وقال ابن عباس والزهرى مسح سليمان ﷺ بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف بل بيده تكريما لها ومحبة ورجحه الطبرى وقال بعضهم بل غسلها بالماء وذكر الثعلبى أن هذا المسح إنما كان وسما بالتحبيس فى سبيل الله تعالى وجمهور المفسرين على أنها كانت خيلا موروثة وقال بعضهم قتلها حتى لم يبق منها أكثر من مائة فرس فمن نسل تلك المائة كل ما يوجد من الخيل وهذا بعيد وقال بعضهم كانت عشرين فرسا أخرجها الشيطان له من البحر وكانت ذوات أجنحة وأما قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فقال الجمهور أراد أن يفرده من بين البشر ليكون خاصة له وكرامة وهذا هو الظاهر من خبر العفريت الذى ظهر للنبى ﷺ فى صلاته فأخذه وأراد أن يوثقه بسارية من سوارى المسجد كما تقدم وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة أيضا وروى النسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال إن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما فرغ من بنيان بيت المقدس سأل الله تعالى حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لأحد من بعده وأن لا يأتى هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه قال رسول الله ﷺ أما الاثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة انتهى فقد دعانى ورجانى وأما صفة كرسيه عليه الصلاة والسلام فقد روى عن ابن عباس أنه قال كان يوضع لسليمان ستمائة كرسى ثم يجىء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ثم يجىء أشراف الجن فيجلسون مما يلى الإنس ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير مسيرة شهر غدوا ورواحا وذلك أن سليمان عليه الصلاة والسلام لما ملك بعد أبيه أمر باتخاذ كرسى يجلس عليه للقضاء وأمر بأن يعمل عملا بديعا مهولا بحيث إذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت فأمر أن يجعل من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد وأن يحس بأربع نخلات من ذهب ثمارها الياقوت

دير ينكشف عنه الماء فى كل سنة يوما واحدا يحجها أهل تلك النواحى وينتظرون ذلك اليوم ويزورون الدير ويحملون إليها الهدايا حتى إذا كان ذلك اليوم ينكشف عنه الماء فيبقى ظاهرا إلى وقت العصر ثم يأخذ الماء فى الازدياد ويغطيها إلى العام القابل والله الموفق ﴿فصل﴾ فى الحيوانات العجيبة فى هذا البحر حكى عبد الرحمن بن هارون المغربى قال ركبت هذا البحر فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صقلى معه صنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفى قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله (ومنها) ما حكى أبو حامد قال رأيت ملاحا غاص فى بحر الروم فانكشف عن سنام جبل وعليه نارنج أحمر كأنه قطف الآن من شجرة فظننت أنها سقطت من بعض السفن فقبضت على واحدة منها فإذا هى حيوان التصق بالحجر لم أقدر على قلعه فرمت قطعه بالسكين فلم تعمل فيه السكين وليس له عين ولا رأس وفمه فى موضع العرجون فكنت ألف الثوب عليه وأجره بقوتى

الأحمر والزبرجد الأخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس نخلتين نسران من ذهب بعضها يقابل بعضاً وجعل بجانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزبرجد الأخضر وقد عقد على النخلات أشجار كروم من الذهب الأحمر وعناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث تظل عروش الكروم والنخل والكرسى وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى كله بما فيه دوران الراحة المسرعة وتنشر تلك الطيور والنسور أجنحتها ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما فإذا استوى على أعلاه أخذ النسران اللذان فى النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأسه ثم يستدير الكرسى بما فيه فيدور معه النسران والطاوسان والأسدان ماثلات برؤسها إلى سليمان وينضحن عليه من أجوافهن المسك والعنبر ثم تناوله حمامة من ذهب قائمة على عمود من أعمدة الجواهر فوق الكرسى التوراة فيفتحها سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء ويجلس عظماء بنى إسرائيل على كراسى الذهب المرصعة بالجوهر وهى ألف كرسى عن يمينه ويجلس عظماء الجن على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى ثم تحف بهم الطيور فتظلهم ويتقدم الناس لفصل الخصومات فإذا تقدمت الشهود لأداء الشهادات دار الكرسى بما فيه وعليه دوران الرحا المسرعة ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فيفزع الشهود فلا يشهدون إلا بالحق فلما توفى سليمان عليه الصلاة والسلام وغزا بختنصر بيت المقدس حمل الكرسى إلى أنطاكية وأراد أن يصعد عليه فلم يقدر وضرب الأسدان رجله فكسراها ثم لما هلك بختنصر حمل الكرسى إلى بيت المقدس فلم يستطع ملك قط أن يجلس عليه ولم يدر أحد ما آل إليه عاقبة أمره ولعله رفع وإنما ذكرت صفته هنا لأنه من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده وزعم الطبرى أن بختنصر ليس من الملوك الأربعة الذين ملكوا الأقاليم كلها كما قاله العتبى ومن تقدمه إلى هذا القول قال ولكنه كان عاملا على العراق للملك المالك للأقاليم فى ذلك الحين وهو كيهراسب والصحيح ما قاله العتبى وغيره وذكر أهل التاريخ وأصحاب السير أن رجلا من بنى إسرائيل اسمه إسحق فى زمن عيسى بن مريم عليهما السلام كان له ابنة عم من أجمل أهل زمانها وكان مغرما بها فماتت فلزم قبرها ومكث زمانا لا يفتر عن زيارته فمر به عيسى يوما وهو على قبرها يبكى فقال له عيسى عليه السلام ما يبكيك يا إسحق فقال له يا روح الله كانت لى ابنة عم وهى زوجتى وكنت أحبها حبا شديدا وإنها قد توفيت وهذا قبرها وإنى لا أستطيع الصبر عنها وقد قتلنى فراقها فقال له عيسى أتحب أن أحييها لك بإذن الله قال نعم يا روح الله فوقف عيسى على القبر وقال قم يا صاحب هذا القبر بإذن الله فانشق القبر وخرج منه عبد أسود والنار خارجة من مناخره وعينيه ومنافذ وجهه وهو يقول لا إله إلا الله عيسى روح الله وكلمته وعبده ورسوله فقال إسحق يا روح الله وكلمته ما هذا القبر الذى فيه زوجتى وإنما هو هذا وأشار إلى قبر آخر فقال عيسى للأسود ارجع إلى ما كنت فيه فسقط ميتا فوارى فى قبره ثم وقف على القبر الآخر وقال قم يا ساكن هذا القبر بإذن الله فقامت المرأة وهى تنثر التراب عن وجهها فقال عيسى هذه زوجتك قال نعم يا روح الله قال خذ بيدها وانصرف فأخذها ومضى فأدركه النوم فقال لها أنه قد قتلنى السهر على قبرك وأريد أن آخذ لى راحة قالت افعل فوضع رأسه على فخذها ونام فبينما هو نائم إذ مر عليها ابن الملك وكان ذا حسن وجمال وهيئة عظيمة راكبا على جواد حسن فلما رأته هويته وقامت إليه مسرعة فلما نظرها وقعت فى قلبه فأتت إليه وقالت خذنى فأردفها على جواده وسار فاستيقظ زوجها ونظر فلم يرها فقام يطلبها وقص أثر الجواد فأدركهما وقال

فيخرج من فمه مائية كاللعاب وهو لين محبب شديد الحمرة لا يغادر من النارنج شيئا فإذا تركته كان يفتح فاه ويتحرك كأنه يتنفس (ومنها) ما ذكر صاحب تحفة الغرائب أن فى بحر المغرب طائراً يقال له الماروز طائر مبارك يتبرك به أصحاب المراكب يبيض عند سكون البحر على الساحل فإذا رأوا بيضها عرفوا أن البحر يسكن وهذا الطائر إذا كانت المراكب قريبة من مكان مخوف يأتى ويطير قدام المركب ويصعد وينزل كأنه يخبرهم بالخوف حتى يدبروا أمرهم والملاحون يعرفونه والله الموفق (ومنها) الشيخ اليهودى قال أبو حامد حيوان وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه على شبه بدن الضفدع وشعره كشعر البقرة وهو فى حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت إلى البر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فإذا غابت الشمس ليلة الأحد وثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه فى الحال والله الموفق (ومنها) سمكة تعرف بالبغل قال أبو حامد الأندلسى رأيت بمجمع البحرين سمكة مثل جبل عظيم صاحبة صيحة ما سمعت أهول منها يكاد القلب ينشق منها فاضطرب

لابن الملك اعطنى زوجتى وابنة عمى فأنكرته وقالت أنا جارية بن الملك فقال بلى أنت زوجتى وابنة عمى فقالت ما أعرفك وما أنا إلا جارية ابن الملك فقال له ابن الملك أفتريد أن تفسد جاريتى فقال والله إنها لزوجتى وأن عيسى بن مريم أحياها لى بإذن الله بعد أن كانت ميتة فبينما هم فى المنازعة إذ مر عيسى ﷺ فقال إسحق ياروح الله أما هذه زوجتى التى أحييتها لى بإذن الله قال نعم فقالت ياروح الله إنه يكذب وإنى جارية بن الملك وقال ابن الملك هذه جاريتى قال عيسى ألست التى أحييتك بإذن الله قالت لا والله ياروح الله قال فردى علينا ما أعطيناك فسقطت ميتة فقال عيسى من أراد أن ينظر إلى رجل أماته الله كافراً ثم أحياه وأماته مسلما فلينظر إلى ذلك الأسود ومن أراد أن ينظر إلى امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها وأماتها كافرة فلينظر إلى هذه وأن إسحق الإسرائيلى عاهد الله تعالى أن لا يتزوج أبدا وهام على وجهه فى البرارى باكياً وفى هذه الحكاية أعظم عبرة لأولى الألباب وهى من أعجب ما يسمع فى التوفيق والخذلان نسأل الله تعالى السلامة وحسن الخاتمة بجاه محمد وآله وقد أحببت أن أذكر هنا ما أخبرنى به بعض العلماء العارفين وهو أن عيسى ﷺ اجتاز فى بعض الأيام بجبل فرأى فيه صومعة فدنا منها فرأى فيها متعبدا قد انحنى ظهره ونحل جسمه وبلغ به الاجتهاد أقصى غاياته فسلم عليه وقال له منذ كم أنت فى هذه الصومعة فقال منذ سبعين سنة أسأله حاجة واحدة وما قضاها لى بعد فعساك ياروح الله أن تكون شفيعا لى فيها فعساها تقضى فقال له عيسى وما حاجتك قال أن يذيقنى مثقال ذرة من خالص محبته فقال عيسى ها أنا أدعو الله لك فى ذلك فدعا له عيسى فى تلك الليلة فأوحى الله إليه إنى قد قبلت شفاعتك وأجبت دعوتك فعاد عيسى بعد أيام إلى ذلك الموضع فرأى الصومعة قد وقعت والأرض التى تحتها قد شقت فنزل عيسى فى ذلك الشق إلى منتهاه فرأى العابد فى مغارة تحت ذلك الجبل واقفاً شاخصاً ببصره فاتحاً فاه فسلم عليه عيسى فلم يرد عليه جوابا فعجب عيسى من حاله فهتف به هاتف ياعيسى إنه سألنا مثقال ذرة من خالص محبتنا فعلمنا أنه لا يطيق ذلك فوهبناه جزءا من سبعين ألف جزء من ذرة فهو فيها حائر كما ترى فكيف لو وهبناه أكثر من ذلك اه

(قلت) فمحبة الخواص من هذه المعادن رشحت وبهذه الأوصاف عرفت واعلم أن المحبة هى أول أودية الفناء والعقبة التى تنحدر منها إلى منازل المحو وقد اختلفت إشارات أهل التحقيق فى العبارة عنها فكل نطق بحسب ذوقه وأفصح بمقدار شوقه وليس هذا موضع حكاية أقوالهم واختلاف عباراتهم فيها وقد بسطنا الكلام فى ذلك فى كتابنا الجوهر الفريد فى أواخر الجزء الثامن ولنذكر لمعة يستأنس بها الناظر فى هذا الكتاب فاعلم أن المحبة على الإجمال موافقة المحبوب فيما شاء سواء فيما حزن أو سر نفع أو ضر وقد أشار بعضهم إلى ذلك بقوله:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيذة * حبا لذكرك فليلمنى اللوم * أشبهت أعدائى فصرت أحبهم

إذ كان حظى منك حظى منهم * فأهنتنى فأهنت نفسى صاغرا * ما من يهون عليك ممن يكرم

واعلم أن الغيرة من أوصاف المحبة والغيرة تأبى الستر والإخفاء فكل من بسط لسانه فى العبارة عنها والكشف عن سرها فليس له منها ذوق وإنما حركه وجدان الرائحة ولو ذاق منها شيئا لغاب عن الشرح والوصف فالمحبة الصادقة لا تظهر على المحب بلفظه وإنما تظهر بشمائله ولحظه ولا يفهم حقيقتها من المحب سوى المحبوب لموضع امتزاج الأسرار من القلوب وقد قيل فى ذلك:

سمكة يقال لها البغل هربت من السمكة الكبيرة وذلك أن السمكة تتبعها لتأكلها فى بحر الظلمات فتنفر منها وتعبر فى مجمع البحرين إلى بحر الروم وتأتى السمكة الكبرى خلفها لتعبر فى مجمع البحرين فلا يمكنها لعظمها هكذا ذكر أهل ذلك الموضع يعنى مجمع البحرين (ومنها) حوت موسى ويوشع عليهما السلام قال أبو حامد الأندلسى رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة وهى نسل الحوت المشوى الذى أكل موسى ويوشع نصفه فأحيا الله النصف الآخر فاتخذ سبيله فى البحر عجبا ولها نسل فى البحر إلى الآن فى ذلك الموضع وهى سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد فى أحد جنبيها شوك وعظم وجلدها رقيق ملتصق على أحشائها ورأسها نصف رأس فمن رآها من هذا الجانب استقذرها ويحسب أنها مأكولة ميتة ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى المحتشمين ويشويها اليهود ويقددونها ويحملونها إلى الأماكن البعيدة (ومنها) سمكة بلغارية كأنها قلنسوة بلغارية قال أبو حامد الأندلسى رأيتها وفى جوفها شبه المصارين ولا راس لها ولا عين ولها مرارة كمرارة البقر سوداء فإذا اصطادها أحد

تشير فأدرى ما تقول بطرفها * وأطرق طرفى عند ذاك فتفهم
تكلم منا فى الوجوه عيوننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأما محبة العوام فهى محبة تنبت من مطالعة المنة وتثبت باتباع السنة وتنمو على الإجابة للغاية وهى محبة تقطع الوساوس وتلذذ الخدمة وتسلى على المصائب وهى فى طريق العوام عمدة الإيمان فعند القوم كل ما كان من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته وإنما عين الحقيقة أن يكون العبد قائما بإقامة الحق له محبا بمحبته له ناظراً بنظره إليه من غير أن تبقى فيه بقية تقف على رسم أو تناط باسم أو تتعلق بأثر أو توصف بنعت أو تنسب إلى وقت صم بكم عمى لدينا محضرون (وروى) عن إبراهيم الخواص رحمة الله عليه أنه قال عطشت فى بعض سياحاتى عطشا شديدا حتى سقطت من شدة العطش فإذا أنا بماء قد سقط على وجهى فأحسست ببرده على فؤادى ففتحت عينى فإذا أنا برجل ما رأيت أحسن منه على جواد أشهب عليه ثياب خضر وعمامة صفراء وبيده قدح فسقانى منه شربة وقال لى ارتدف خلفى فارتدفت فلم يبرح حتى قال لى ماترى قلت المدينة قال انزل واقرأ على رسول الله ﷺ منى السلام وقل له رضوان خازن الجنة يقرأ عليك السلام وهذه كرامة عظيمة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال شيخنا اليافعى من رأيتموه يزدرى بالأولياء أو ينكر مواهب الأصفياء فاعلموا أنه محارب لله مبعد من رحمته مطرود عن حقيقة قربه والله أعلم.

﴿الجواف﴾ بالضم والتخفيف ضرب من السمك وليس من جيده ومنه قول مالك بن دينار أكلت رغيفا ورأس جوافة فعلى الدنيا العفاء أى الدروس وذهاب الأثر وقيل العفاء التراب

﴿الجوذور﴾ بفتح الذال المعجمة وضمها والجؤذور بالهمزة أيضا مع الواو ولد البقرة الوحشية قال الشاعر:

أن من يدخل الكنيسة يوما * يلق فيها جآذراً وظباء

ولقد أجاد على بن إسحق الزاهى حيث يقول:

وبيض بألحاظ العيون كأنما * هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لى يوما بمنعرج اللوى * فغادرن قلبى بالتصبر غادراً
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة * ومس غصونا والتفتن جآذراً
وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما * جعلن لحبات القلوب ضرائرا

ومما يستجاد من شعره: الريح تعصف والأغصان تعتنق * والمزن باكية والزهر مغتبق
كأنما الليل جفن والبروق له * عين من الشمس تبدو ثم تنطلق

وله أيضا وأجاد: تبدت فهذا البدر من خجل بها * وحقك مثلى فى دجى الليل حائر
وماست فشق الغصن غيظا جيوبه * ألست ترى أوراقه تتناثر

فأجيز على ذلك: وفاحت فألقى العود فى النار جسمه * كذا نقلت عنه الحديث المجامر
وقالت فغار الدر واصفر لونه * كذلك ما زالت تغار الضرائر

وله أيضا وقيل لغيره: بادر إذا حاجة فى وقتها عرضت * فللحوائج أوقات وساعات
أن أمكنت فرصة فانهض لها عجلا * ولا تؤخر فللتأخير آفات

وله وأحسن: أما ترى الغيث كلما ضحكت * كمائم الزهر فى الرياض بكى
كالحب يبكى لديه عاشقه * وكلما فاض دمعه ضحكا

وله أيضا: لحى الله امرأ أولاك سرا * فبحت به وفض الله فاه
لأنك بالذى استودعت منه * أنم من الزجاج بما وعاه

تحركت فيسود الماء الذى الشبكة يبقى ماحولها أسود جدا فيؤخذ من ذلك الماء ويكتب به أحسن من كل مداد لاينمحى وله سواد وبريق (ومنها) سمكة ذكر أبو حامد أنها تقطع قطعا وهى تتحرك وربما قليت القدر إذا أرادوا طبخها فيها ولايسكن اضطرابها حتى تصير نضجا وهى سمكة لحمها طيب الطعم جدا (ومنها) سمكة تعرف بالخطاف قال أبو حامد ولها جناحان على ظهرها أسودان وأنها تخرج من الماء وتطير فى الهواء وتعود إلى البحر (ومنها) سمكة تعرف بالمنارة ترمى نفسها على السفينة فتكسرها وتعرفها أهلها فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطشوت والبوقات لتبعد عنهم وهى محنة عظيمة فى البحر (ومنها) سمكة كبيرة إذا نقص الماء بقيت على الطين ولا تزال تضطرب إلى ست ساعات ثم تنسلخ من شدة اضطرابها وقوة تململها فيظهر لها جناحان من تحت جلدها فتطير وتتحول إلى البحر ذكرها أبو حامد والتنانين فى هذا البحر كثيرة وأكثر مايكون عند طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية وسيأتى ذكرها إن شاء الله تعالى (بحر الخزر) هو البحر الذى فى جهة الشمال على شرقيه

وقد قيل فى المعنى وأجاد قائله : ينم بسر مستر عيه سرا * كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب * ومن صافى الزجاج على عقار

توفى الزاهى سنة ستين وثلثمائة وهو شاعر ماهر رحمه الله تعالى .

﴿الجوزل﴾ بفتح الجيم فرخ الحمام والقطا وأنواعهما وسيأتى ذكره فى لفظ القطا والجمع جوازل قال الشاعر :

يا ابنة عمى لا أحب الجوزلا * ولا أحب قرصك المفلفلا * وإنما أحب ظبيا أعبلا

وربما سمى الشاب جوزلا

﴿جيال﴾ كجبال اسم للضبع على فعال وهى معرفة بلا ألف ولام (وحكمها) يأتى فى باب الضاد المعجمة (الأمثال) قالوا أنبش من جيال لأنها تنبش القبور وتخرج جيف الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها

﴿أبو جرادة﴾ هو الطائر الذى يسميه أهل العراق الباذنجان ويسميه أهل الشام البصير يؤخذ لحمه فيذوب ويتمسح به من كانت البواسير به ظاهرة ينفعه نفعا بينا والله أعلم .

## ﴿باب الحاء المهملة﴾

﴿حائم﴾ هو الغراب الأسود لأنه يحوم عندهم بالفراق قال المرقش :

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحائم * فإذا الأشائم كالأيا
من والأيامن كالأشائم * وكذاك لاخير ولا * شر على أحد بدائم

وستأتى إن شاء الله تعالى هذه الأبيات فى أول باب الواو ويسمى غراب البين وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة .

﴿الحارية﴾ نوع من الأفعى وقد تقدم فى باب الهمزة .

﴿الحباب﴾ الحية قال الجوهرى وإنما قيل لها ذلك لأن الحباب اسم شيطان والحية يقال لها شيطان روى عن سعيد بن المسيب أنه قال بلغنى أن النبى ﷺ غير اسم رجل من الأنصار كان اسمه الحباب وقال الحباب اسم شيطان وقال أبو داود فى باب تغيير الاسم القبيح وغير النبى ﷺ اسم العاص وعزيز وعتلة وشيطان والحكم وغراب وشهاب وحباب والرجل الذى غير النبى ﷺ اسمه هو عبدالله بن عبدالله بن أبى ابن سلول كان اسمه الحباب فسماه النبى ﷺ عبدالله وأبوه كان يكنى أبا الحباب .

﴿الحبتر﴾ الثعلب وقد تقدم ذكره فى باب الثاء المثلثة .

﴿الحبث﴾ حية بتراء ذات سم قاتل وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الحية فى آخر هذا الباب .

﴿حباحب﴾ كهداهد حيوان له جناحان كالذباب يضىء بالليل كأنه نار وقد ضربت العرب به المثل فقالوا أضعف من نار الحباحب وقيل الحباحب اسم رجل من محارب بن خصفة مشهور بالبخل كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان فضربوا به المثل لذلك قال الجوهرى وربما قيل نار أبى الحباحب وهو ذباب وقال فى المرصع يقال للنار القليلة التى لا ينتفع بها وللذباب الطائر فى الليل أبو حباحب غير مصروف ﴿قلت﴾ وهذا الطائر يسمى القطرب ذكره ابن البيطار وغيره وقال فى الصحاح القطرب طائر (وحكمه) تحريم الأكل لأنه من الحشرات .

﴿الحبارى﴾ بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء وإن شئت قلت فى الجمع حباريات قال الجوهرى

الجبل والديلم وهو بحر عظيم واسع لا اتصال له بشىء من البحار على وجه الأرض فلو أن رجلا طاف حوله رجع إلى مكانه الذى ابتدأ منه وهو بحر صعب المسلك سريع المهالك كثير الاضطراب شديد الأمواج لا مدفيه ولا جزر ولا يرتفع منه شىء من اللآلئ والجواهر وجزائره غير مسكونة ولكن فى جزائره غياض ومياه وأشجار وليس فيها أنيس قالوا أن دوران هذا البحر ألف وخمسمائة فرسخ وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل فلنذكر شيئا من جزائره وبحاره

﴿فصل﴾ فى جزائره وبحاره منها ماذكره أبو حامد قال رأيت فى هذا البحر جبلا من طين أسود كالقير والبحر محيط به وفى سنان ذلك الجبل شق طويل يخرج منه الماء ويوجد فى ذلك الماء سناج الدانق من الصفر وربما يكون أكبر وأصغر يحملها الناس إلى الآفاق للتعجب ومنها جزيرة الحيات قال أبو حامد إنها بقرب الجبل الذى ذكر وهى جزيرة امتلأت من الحيات وفيها حشيش كثير والحيات فى وسطها لا يقدر أحد أن

 يضع رجله على الأرض لكثرة ما فيها من الحيات المتلفة بعضها على بعض وفيها طيور

وألف حبارى ليست للتأنيث ولا للإلحاق وإنما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة أى لا تنون ﴿قلت﴾ وهذا سهو منه بل ألفها للتأنيث كسمانى ولو لم تكن لانصرفت وأهل مصر يسمون الحبارى الحبرج وهى من أشد الطير طيرانا وأبعدها شوطا وذلك أنها تصاد بالبصرة فيوجد فى حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام ولذلك قالوا فى المثل أطلب من الحبارى وإذا نتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمداً والكمد الحزن المكتوم وهو طائر طويل العنق رمادى اللون فى منقاره بعض طول وقال الجاحظ الحبارى لها خزانة فى دبرها وأمعائها لها أبدا فيها سلح رقيق فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه فينتف ريشه كله وفى ذلك هلاكه وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحا لها قال الشاعر :

وهم تركوك أسلح من حبارى * رأت صقراً وأشرد من نعام

ومن شأنها أنها تصاد ولا تصيد روى البيهقى فى الشعب من حديث يحيى بن أبى كثير عن سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال أبو هريرة كذب والذى نفسى بيده إن الحبارى لتموت هزالا من خطايا بنى آدم وهو كذلك فى تفسير الثعلبى فى آخر صورة فاطر يعنى إذا كثرت الخطايا منع القطر عن أهل الأرض وإنما يصيب الطير من الحب والثمرة على قدر المطر قال الشاعر : يسقط الطير حيث يلتقط الحبـ * ـة وتغشى منازل الكرماء

وهى من أكثر الطير حيلة فى تحصيل الرزق ومع ذلك تموت جوعا لهذا السبب فسبحان القادر على كل ما يشاء وولدها يقال له نهار وفرخ الكروان يقال له ليل ولذلك قال الشاعر :

ونهاراً رأيت منتصف الليـ * ـل وليلا رأيت وسط النهار

(الحكم) يحل أكلها لأنها من الطيبات روى أبو داود والترمذى عن يزيد بن عمر بن سفينة مولى رسول الله ﷺ عن أبيه عن جده أنه قال أكلت مع رسول الله ﷺ حبارى وقال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (الأمثال) قالوا أكمد من الحبارى كما تقدم وقال عثمان كل شىء يحب ولده حتى الحبارى وإنما خصها بالذكر لأنها يضرب بها المثل فى الحمق فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان وقالوا أسلح من الحبارى حالة الخوف وأسلح من الدجاج حالة الأمن وقالوا الحبارى خالة الكروان وقالوا أقصر من إبهام الحبارى ومن إبهام القطاة (الخواص) لحم الحبارى بين لحم الدجاج ولحم البط فى الغلظ وهو أخف من لحم البط لأنه برى وهو حار رطب جدا وأجوده المخاليف المكدودة قبل الذبح وهو نافع لتسكين الرياح لكنه يضر بالمفاصل والقولنج ويدفع ضرره الدارصينى والزيت والخل ويتولد منه دم بلغمى ويوافق أصحاب الأمزجة الباردة من الشبان لا سيما إذا أكل فى الشتاء وفى البلاد الباردة وقال صاحب تقويم الصحة يكره لحم الحبارى لغلظه وعسر انهضامه وأجوده ما طبخ بعد أن يمضى عليه يومان ثم يغرز فى صدره وأفخاذه الثوم الكثير والعلفل ويعمل بالأبازير وهو إذا انهضم ولد غذاء كثيرا وما كان منه مخلفا خير مما كان عتيقا ويجب أن يتناول بعده حلواء العسل انتهى وقال القزوينى يوجد فى حوصلته حجر إذا علق على الإنسان لا يحتلم مادام عليه وإن كان به إسهال حبس بطنه وإذا علق قلبه على من يكثر النوم قل نومه وقال ارسطاطاليس فى النعوت بيض الحبارى ما كان منه ذكرا يسود الشعر ويبقى صبغه سنة لا ينصل وما كان منه أنثى لا يسود الشعر ويعرف ما يسود بأن يؤخذ خيط فيدخل فى إبرة ويدخل فى بيضة فإذا اسود الخيط صبغ بها وإلا فلا (التعبير) الحبارى فى المنام رجل سخى صاحب دخل وخرج بلا منفعة كثير الأكل والتعب لا يفتر ليلا ولا نهارا .

كثير والحيات لا تتعرض لبيض الطيور وفراخها رأيت الناس يأخذون بأيديهم العصا ويزيلون الحيات بها عن مكان أقدامهم ويمشون بين الحيات ويأخذون بيض الطيور وفراخها والحيات لا تؤذى أحدا منهم (ومنها) جزيرة الجن وهى جزيرة ليس بها أنيس ولا شىء من الوحوش وتسمع أصوات كأنهم يقولون غلب الجن عليها ولا يجسر أحد يقر بها والله أعلم (ومنها) جزيرة الغنم قال سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر وهى جزيرة ما بين الخزر والبلغار فيها من الأغنام الجليلة مثل الجراد لا يمكنها الفرار لكثرتها وما رأيت فى تلك الجزيرة حيوانا غيرها وفيها عيون وحشيش وأشجار كثيرة فسبحان من لا تحصى نعمه .

﴿فصل﴾ فى حيوان هذا البحر ذكر أبو حامد الأندلسى فى كتاب العجائب الذى ألفه للوزير ابن هبيرة عن سلام الترجمان رسول الخليفة إلى ملك الخزر قال أقمت عند ملك الخزر أياما ورأيت أنهم اصطادوا سمكة عظيمة جدا وجذبوها بالحبال فانفتحت أذن السمكة .

﴿الحبرج﴾ ذكر الحبارى واليحبور ولدها وقيل اليحبور من طير الماء .

﴿الحبركى﴾ القراد قالت الخنساء :

فسلت بمرضع ثدبى حبركى * أبوه من بنى جشم بن بكر

والأنثى حبركاة قال أبو عمرو الجرمى قد جعل بعضهم الألف فى حبركى للتأنيث فلم يصرفه وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير اليدين .

﴿حبلق﴾ كعملس غنم صغار لاتكبر وقيل قصار الغنم ودقاقها .

﴿حبيش﴾ قال الجوهرى هو طائر جاء مصغرا كالكميت والكعيب انتهى والكعيب البلبل كما تقدم

﴿الحجر﴾ الأنثى من الخيل لم يدخلوا فيه الهاء لأنه اسم لايشركها فيه الذكر والجمع أحجار وحجور وقيل أحجار الخيل مايتخذ منها للنسل وليس بقوى وفى كامل ابن عدى فى ترجمة محمد ابن عبد الله العرزمى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال ليس فى حجرة ولابغلة زكاة وهذا يدل على أنه يقال لها حجرة بالهاء لكن فى المستدرك من حديث أبى حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يسمى الأنثى من الخيل فرسا (وحكمها) وخواصها كالخيل وسيأتى ذكر ذلك فى باب الخاء المعجمة والفاء (التعبير) الحجرة فى المنام امرأة شريفة مباركة لقوله ﷺ ظهورها عز وبطونها كنز فمن ركب حجرة فى منامه بآلة الركوب فإنه ينكح امرأة شريفة مباركة فى عقد صحيح ومن ركب حجرة بلاسرج ولالجام فإنه ينكح امرأة فى غير عصمة أو يركب أمرا لايثبت عليه وربما دلت الحجرة البيضاء على امرأة ذات حسب ونسب والحمراء على امرأة ذات زينة والصفراء على امرأة ذات مرض والسوداء على امرأة ذات ملك وسؤدد والدهماء كذلك وربما دلت الحجرة على السنة فالسمينة خصب والضعيفة جدب وقد تكون ضعف الجاه والقوى والخيل والله تعالى أعلم .

﴿الحجروف﴾ دويبة طويلة القوائم أعظم من النمل حكاه ابن سيده .

﴿الحجل﴾ بالفتح الذكر من القبج الواحدة حجلة واسم جمعه حجلى ولم يأت جمع على فعلى بكسر الفاء إلا حرفان حجلى وظربى جمع ظربان وهو دويبة منتنة الريح وسيأتى فى باب الظاء المشالة إن شاء الله تعالى والحجل طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وهو صنفان نجدى وتهامى فالنجدى أخضر اللون أحمر الرجلين والتهامى فيه بياض وخضرة وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ فى التراب وتصبه على أصول ريشها فتلقح ويقال إنها تبيض من سماع صوت الذكر أو بريح تهب من قبله وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها وهى تحضن الإناث وهما كذلك فى التربية قال التوحيدى ويعيش الحجل عشر سنين ويصنع عشين يجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد ومن طبع الحجل أنه يأتى أعشاش نظرائه فيأخذ بيضها ويحضنه فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها وفى تركيبه قوة الطيران حتى أن الإنسان إذا لم يره يظنه حجرا خرج من مقلاع والذكر شديد الغيرة على الأنثى فلذلك إذا اجتمع ذكران اقتتلا على الأنثى فأيهما غلب ذل الآخر وتبعت الأنثى الغالب منهما وفى طبع الذكر أن يخدع أمثاله بقرقرته ولهذا يتخذه الصيادون فى أشراكهم ليكثر القرقرة فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقعن معه وهو يفعل ذلك كالحاسد لها والمنتقم منها والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش غيرها وغلبتها على بيضها أو تسرقه وتحضنه ﴿فائدة﴾ ذكر

وخرجت منها جارية بيضاء حمراء طويلة الشعر حسنة الصورة فأخرجوها إلى البر وهى تضرب وجهها وتنتف شعرها وتصيح وقد خلق الله تعالى فى وسطها غشاء كالثوب الصفيق من سرتها إلى ركبتها كأنه إزار مشدود على وسطها فأمسكوها حتى ماتت (ومنها) التنين العظيم ذكروا أنه يرتفع من هذا البحر تنين عظيم شبه السحاب الأسود والناس ينظرون إليه زعموا أنها دابة تؤذى دواب البحر فيبعث الله إليه سحابا يخرجه من البحر ويحتمله وهو على صورة حية سوداء لايمر ذنبها على شىء من شجر أو بناء عظيم إلا هدته وربما تنفس فتحرق الشجر فيلقيها إلى يأجوج ومأجوج وتكون لهم غذاء وعن ابن عباس رضى الله عنه نحو هذا (ولنختم) هذا الفصل بحكاية عجيبة وهو أن كسرى أنوشروان لما فرغ من سد بليخ وأحكمه سر بذلك سرورا شديدا وأمر بنصب سريره على السد ورقى على السرير وحمد الله وأثنى عليه ثم قال يارب الأرباب أنت ألهمتنى سد هذا الثغر وقمع العدو فأحسن الموهبة إلى وعزنى وسجد سجدة أطالها ثم استوى على فراشه واستلقى وقال الآن استرحت يعنى من سطوة الخزر ومقاساة الترك ثم أغفا فطلع طالع من البحر سد الأفق بطوله

وارتفعت معه غمامة سدت الضوء فتبادرت الأساورة إليه فانتبه أنوشروان وقال ما شأنكم قالوا الذى ترى فقال أمسكوا عن سلاحكم لم يكن الله عز وجل يلهمنى الشغل اثنى عشر عاما وستة أشهر وتهده بهيمة من بهائم البحر فنحى الأساورة وأقبل الطالع نحو السد حتى علاه ثم قال أيها الملك أنا من سكان البحر رأيت هذا الثغر مسدودا سبع مرات فأوحى الله تعالى أن ملكا عصره عصرك وصورته صورتك يسد هذا الثغر فينسد أبدا وأنت ذلك الملك فأحسن الله معونتك ثم غاب عن البصر كأنه طار فى الجو أو غاص فى الماء والله الموفق (القول فى حيوان الماء) حيوان الماء على قسمين منه ما ليس له رئة كأنواع السمك فإنه لا يعيش إلا فى الماء ومنه ما له رئة كالضفدع فإنه يجمع بين الماء والهواء فأما الذى لا تعيش إلا فى الماء فلا حاجة لها إلى استنشاق الهواء لأن البارى تعالى لما خلقها فى الماء جعل حياتها منه وجعلها على طبيعة الماء وركب أبدانها تركيبا بحيث يصل إليها برد الماء وروح الحرارة الغريزية التى فى بدنها وينوب عن استنشاق الهواء فلذلك تراها لا صوت لها لفقد الرئة التى لا حاجة لها إليها والحكمة الإلهية .

فى كتاب النشوان وتاريخ ابن النجار عن أبى نصر محمد بن مروان الجعدى أنه أكل مع بعض مقدمى الأكراد على سماط فيه حجلتان مشويتان فأخذ الكردى بيده واحدة وضحك فسأله عن ذلك فقال قطعت الطريق فى عنفوان شبابى على تاجر فلما أردت قتله تضرع إلى فلم أقبل تضرعه ولم أفلته فلما رأى الجد منى التفت إلى حجلتين كانتا فى جبل وقال اشهد الى عليه أنه قاتلى ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه فى استشهادهما على فقال ابن مروان لما سمع ذلك منه قد شهدتا والله عليك عند من يقيدك بالرجل ثم أمر بضرب عنقه (الحكم) أكلها حلال اتفاقا وسيأتى إن شاء الله تعالى فى النحام فى باب النون عن كامل بن عدى أن الطير المشوى الذى أهدى للنبى ﷺ كان حجلا وقيل كان نحاما وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان بين كتفيه خاتم مثل زر الحجلة قال الترمذى المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها ﴿قلت﴾ والصواب أنها حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذى يدخل فى عروتها وروى البيهقى فى دلائل النبوة عن الواقدى عن شيوخه أنهم قالوا لما شك فى موت النبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه ثم قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا هو الذى عرف به موته ﷺ وأسماء بنت عميس كانت زوجة جعفر بن أبى طالب ثم تزوجها الصديق فأولدها محمدا ثم تزوجها على بن أبى طالب بعد وفاة الصديق وكان محمد ابن أبى بكر صغيرا فرباه على فهو ربيب على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين ﴿فائدة أخرى﴾ فى المستدرك عن وهب بن منبه أنه قال لم يبعث الله نبيا إلا وقد كان عليه شامة النبوة فى يده اليمنى إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه وقال على رضى الله تعالى عنه لأهل العراق يا أشباه الرجال ولا رجال يا عقول ربات الحجال وقال كثير عزة :

وأنت الذى حببت كل قصيرة * إلى فلا تدرك نداك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

وسيأتى الكلام على خاتم النبوة فى باب الكاف فى لفظ الكركى (الأمثال) ضرب النبى ﷺ المثل بالحجل فقال اللهم إنى أدعو قريشا وقد جعلوا طعامى طعام الحجل يريد أنه يأكل الحبة بعد الحبة لا يجد فى الأكل وقال الأزهرى أراد أنهم غير جادين فى إجابتى فلا يدخل منهم فى دين الله إلا النادر القليل وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهانى فى كتاب الترغيب والترهيب عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال أول ما يحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله قال وكان يقول حاذوا المناكب فى الصلاة فإن الشيطان يتخلل الصفوف كما يتخلل الحجل والصف الأيمن خير من الصف الأيسر قال قوله حاذوا من الحذاء وهو أن يجعل المنكب بجنب المنكب (الخواص) لحمها معتدل جيد سريع الهضم إذا ابتلع من كبدها وهى حارة قدر نصف مثقال نفع من الفزع ومرارتها تنفع الغشاوة المظلمة فى العين اكتحالا وإذا سعط بمرارتها إنسان فى كل شهر مرة احتد ذهنه وقل نسيانه وقوى بصره وقال المختار بن عبدون بيض الحجل ألطف من بيض الدجاج وهو نافع للمترفهين وضار بأصحاب الكد ويولد غذاء معتدلا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة وهو أجود هضما من بيض الدجاج وأجود ما يعمل أن يلقى فى الماء وهو يغلى وفيه الملح أو خل ويكون الماء متساويا عليه وكذلك كل بيض وأما المطجن من كل بيض فردى جدا يولد حجارة فى المثانة ويحدث غما وقولنجا والمغلى فى الماء أهضم منه وأنفع ومن المقلى فى الأدهان أيضا انتهى وقال غيره بيض الحجل إذا طبخ فى الماء المغلى فى الكمون والملح أو بخل عنصل وأكل نفع من المغص وسائر

أوجاع البطن (وأما رؤيته فى المنام) فالحجلة تدل على امرأة غير ألفة وربما تدل رؤيتها على محبة الأولاد.

﴿الحدأة﴾ بكسر الحاء المهملة أخس الطير وكنيته أبو الخطاف وأبو الصلت ولا تقل حدأة بفتح الحاء لأنها الفأس التى لها رأسان وقد جاء فى الحديث الحديا على وزن الثريا كذا قيده الأصيلى وقد جاء الحدياة بغير همزة وفى بعض الروايات الحديئة بالهمز كأنه تصغير ذكره الصاغانى قال وصواب تصغيره الحديئة بالهمز وإن ألقيت حركة الهمزة على الياء شددتها وقلت الحدية على مثال علية وفى الحديث لا بأس بقتل الحدو والأفعو قال الأزهرى هى لغة فيهما وقال ابن السراج بل هى على مذهب الوقف لا على هذه اللغة قلب الألف واوا على لغة من قال حدا وكذا أفعى انتهى وقال الأصمعى جمع الحدأة حدأ كلبأ وزاد ابن قتيبة وحدآن قال الجوهرى هى مثل عنبة وعنب وقد قال فى ع ن ب الحبة من العنب عنبة وهو بناء نادر لأن الأغلب على هذا البناء الجمع نحو قرد وقردة وفيل وفيلة وثور وثورة إلا أنه قد جاء للواحد وهو قليل نحو العنبة والنولة والطيبة والخيرة والطيرة ولا أعرف غيره انتهى وهو قد ذكر ذلك فى حدأة كما تقدم والطيبة المغنم الهنىء والنولة ما تحبب به المرأة لزوجها والخيرة والطيرة معروفتان ﴿قلت﴾ وقد يرد عليه ثومة جمعه ثوم وذبحة وهو وجع فى الحلق ومننة وهو العنكبوت ورمخة وهى البلحة وضمخة وهى السمينة وهننة وهى نوع من القنافذ وتيمة وهى شجرة بوادى إبراهيم بالحجاز والحدأة تبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وخرج منها ثلاثة أفراخ وتحضن عشرين يوما ومن ألوانها السود والرمد وهى لا تصيد وإنما تخطف ومن طبعها أنها تقف فى الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر وزعم ابن وحشية وابن زهر أن العقاب والحدأة يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا وفى نسخة الغراب بدل العقاب فسبحان القادر على ما يشاء ويقال إنها أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير فلو ماتت جوعا لا تعدو على فراخ جارها وتزعم رواة الأخبار ونقلة الآثار أنها كانت من جوارح سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وإنما امتنعت من أن تؤلف أو تملك لأنها من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده * والسبب فى صياحها عند سفادها أن زوجها قد جحد ولدها منه فقالت يا نبى الله قد سفدنى حتى إذا حضنت بيضى وخرج منه ولدى جحدنى فقال سليمان عليه السلام للذكر ما تقول فقال يا نبى الله إنها تحوم البرارى ولا تمتنع من الطير فلا أدرى أهو منى أو من غيرى قال فأمر سليمان عليه السلام بإحضار الولد فوجده شبه والده فألحقه به ثم قال لها سليمان عليه السلام لا تمكنيه أبدا حتى تشهدى عليه ذلك الطير لئلا يجحد بعدها فصارت إذا سفدها صاحت وقالت يا طيور اشهدوا فإنه سفدنى اه وتقول فى صياحها كل شىء هالك إلا وجهه وهى طرشاء ولو كانت مما يصاد بها لما كان من الكواسر أحسن صيدا منها ولا أجل ثمنا ومن طبعها أنها لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه دون شماله حتى أن بعض الناس يقول إنها عسراء لأنها لا تأخذ من شمال إنسان شيئا وقال القزوينى إنها سنة أنثى وفى صحيح البخارى وغيره أن أعرابية كانت تخدم نساء النبى ﷺ وكانت كثيرا ما تتمثل بهذا البيت:

ويوم الوشاح من أعاجيب ربنا * على أنه من ظلمة الكفر نجانى

فقالت لها عائشة رضى الله تعالى عنها ما هذا البيت الذى أسمعه منك فقالت شهدت عروسا لنا تجلى إذ دخلت مغتسلا لنا وعليها وشاح فوضعته فجاءت الحديا فأبصرت حمرته فأخذته ففقدوا الوشاح فاتهمونى به ففتشونى حتى قبلى فدعوت الله أن يبرئنى فجاءت الحديا بالوشاح حتى ألقته

أن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه ومفاصل مناسبة لحركاته وجلودا صالحة لوقايته فجعل أبدان حيوان الماء إما صدفية صلبة لا يعمل فيها الشىء الحاد أو فلوسية أو ماشاكلهما غطاء ووقاية من العاهات العارضة وجعل لبعضها أجنحة وأذنابا تسبح بها فى الماء كما يطير الطير فى الهواء وجعل بعضها آكلا وبعضها مأكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها فسبحانه ما أعظم شأنه (ولنذكر) بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف المعجم والله أعلم بالصواب (أرنب البحر) هو حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبدن السمك قال الشيخ الرئيس ابن سينا هو حيوان صدفى إلى الحمرة ما بين أجزائه شبيه بورق الأشنان ينفق الكلف والبهق ورأسه تحرق لتنبت الشعر فى داء الثعلب سيما مع شحم الدب (أليس) نوع من السمك عظيم جدا وحيوانات الماء كلها تصطاد إلا هذه السمكة من خواصه أنه لو شوى وأطعم شخصان منه

وكان بينهما خصومة شديدة تبدلت بالمحبة (إنسان الماء) يشبه الإنسان إلا أن له ذنبا وقد جاء شخص بواحد منه

بينهم كذا قيده الاصيلى الحدياعلى وزن الثريا وروى من طريق الصاغانى وغيره الحدياة بغير همز والحديثة بالهمز وفى رواية فرفعت رأسى وقلت باغياث المستغيثين فما أتممتهن حتى جاء غراب فرمى الوشاح وقالت فألقى الوشاح بيننا فلو رأيتنى يا أم المؤمنين وهن حولى يقلن إجعلينا فى حل فنظمت ذلك فى بيت فأنا أنشده لئلا أنسى النعمة فأترك شكرها وروى الحافظ النسفى فى كتاب فضائل الأعمال بإسناده إلى حماد بن سلمة أن عاصم بن أبى النجود شيخ القراء فى زمانه قال أصابتنى خصاصة فجئت إلى بعض إخوانى فأخبرته بأمرى فرأيت فى وجهه الكراهة فخرجت من منزله إلى الجبانة فصليت ماشاء الله ثم وضعت وجهى على الأرض وقلت يا مسبب الأسباب يا مفتح الأبواب يا سامع الأصوات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى فرفعت رأسى فإذا حدأة طرحت كيسا أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطنة مندوفة قال فبعت الجوهرة بمال عظيم وفضلت الدنانير فاشتريت بها عقارا وحمدت الله على ذلك انتهى وحكى القشيرى فى الرسالة فى آخر باب كرامات الأولياء عن شبل المروزى أنه اشترى لحما بنصف درهم فاستلبته منه حدأة فدخل شبل مسجدا يصلى فيه فلما رجع إلى منزله قدمت له زوجته لحما فقال لها من أين لكم هذا فقالت تنازع حدأتان فسقط هذا منهما فقال شبل الحمد لله الذى لم ينس شبلا وإن كان شبل ينساه. وفى كتاب المجالسة للدينورى فى الجزء الثالث عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال كان سعد بن أبى وقاص بين يديه لحم فجاءت حدأة فأخذته فدعا عليها سعد فاعترض عظم فى حلقها فوقعت ميتة انتهى وروينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبد القادر الجيلى قدس الله روحه جلس يوما يعظ الناس وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه فقال الشيخ يا ريح خذى رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده وأمر يده الأخرى عليها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك (الحكم) يحرم أكلها لأنها من الفواسق الخمس المأمور بقتلها قال الخطابى المراد بفسقها تحريم أكلها وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفأر بيان ذلك وفى الصحيحين من حديث ابن عمر وعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهم أجمعين أن النبى ﷺ قال خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم وفى رواية ليس على المحرم فى قتلهن جناح الحدأة والغراب الأبقع والعقرب والفأر والكلب العقور نبه ﷺ بذكر هذه الخمسة على جواز قتل كل مضر فيجوز له أن يقتل الفهد والنمر والذئب والصقر والشاهين والباشق والزنبور والبرغوث والبق والبعوض والوزغ والذباب والنمل إذا آذاه قال الرافعى وفى معنى هذه الخمسة الحية والذئب والأسد والنمر والنسر والعقاب فهذه الأنواع يستحب قتلها للمحرم وغيره وقال فى باب الأطعمة ما يخالف ذلك وهو أن قتلها على سبيل الوجوب وسيأتى بيان هذا إن شاء الله فى باب الصاد فى الكلام على الصيد (الأمثال) قالوا حدأة حداه وراءك بندقه قال أبو عبيدة يراد بذلك هذه الحدأة التى تطير والبندقة ما يرمى به يضرب للتحذير (الخواص) مرارتها تجفف فى الظل وتنقع فى إناء زجاج فمن لسعه شىء من الهوام قطر منه فى الموضع الذى لسع فيه واكتحل مخالفا إن لسع فى الجانب الأيمن اكتحل فى العين اليسرى وإن لسع فى الجانب الأيسر اكتحل فى العين اليمنى ثلاثة أميال فإنه ينجيه وإن سحقت وطرحت فى سلة الحاوى ماتت الحيات كلها ودمها إذا خلط بقليل مسك وماء ورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وإن علقت وهى حية فى بيت لم يدخله حية ولا عقرب (التعبير) الحدأة تدل رؤيتها على الحرب والقتال لما قيل حدأة حداه وراءك بندقه قال بعض

فى زماننا فى بغداد فعرضه الأوقات يطلع من الماء إلى الحاضر إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر ويبقى أياما ثم ينزل فإذا رآه الناس يستبشرون بالخصب (وحكى) أن بعض الملوك حمل إليه إنسان مائى فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فجاء منها ولد يفهم كلام الأبوين فقيل للولد ماذا يقول أبوك قال يقول أذناب الحيوانات كلها على أسافلها ما بال هؤلاء أذنابهم على وجوههم (بقرة الماء) زعموا أنه حيوان يطلع إلى البر للرعى روثه عنبر والله أعلم بصحته فإن الناس ذهبوا إلى أن العنبر ينبت فى قعر البحر كالقير والنفط فإن كان صحيحا فروث هذا الحيوان ينفع الدماغ والحواس والقلب والله أعلم (بال) نوع من السمك عظيم يأكل العنبر فيموت وقد ذكرناه فى بحر الزنج فلا نعيده وفى دماغه دهن كثير ويستعملونه لإشعال السرج (تمساح) هو حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابا فى فكه الأعلى وأربعون نابا فى فكه الأسفل وبين كل نابين سن صغير مربع يدخل بعضه فى بعض عند الانطباق ولسان طويل

وظهره كظهر السلحفاة ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل رأسه ذراعان وغاية طوله ثمانية أذرع

أهل اللغة أن حداة وبندقة كانتا قبيلتين من سعد العشيرة فأغارت حداة وتغلبت وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كسرت بندقة حداة وتغلبت عليهم وقيل هى الطائر المعروف وبندقة الرمى كما تقدم وربما دلت على الرجل المتجر أو المرأة الزانية وجماعة الحدا تدل على قطاع الطريق وربما دلت رؤيتها على من يحل قتاله لكفره وشركه فإن قتلهم مباح فى الحل والحرم وكذلك الحداة قاله ابن الدقاق وقال غيره الحداة فى المنام ملك خامل الذكر ظالم وذلك لقوة سلاحه وقربه من الأرض ومن أصاب حداة ولد له غلام وينال قبل البلوغ ملكا فإن طارت منه مات الولد وقال ارطاميدورس الحداة فى المنام تدل على اللصوص والخطافين وتدل على النساء والله أعلم .

﴿الحذف﴾ بفتح الحاء والذال المعجمة غنم سود صغار من غنم الحجاز الواحدة حذفة وفى حديث الصلاة لا يتخللكم الشياطين كأنها حذف وفى رواية كأولاد الحذف قيل يارسول الله وما أولاد الحذف قال ضأن سود جرد صغار باليمن .

﴿الحر﴾ الفرس العتيق وفرخ الحمامة وقيل الذكر منها وولد الظبية وولد الحية والصقر البازى وقال ابن سيده الحر طائر صغير أنمر أصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل إنه يضرب إلى الخضرة وهو يصيد .

﴿الحرباء﴾ كنيته أبو جخادب وأبو الزنديق وأبو الشقبق وأبو قادم ويقال له جمل اليهود كما تقدم قال الإمام القزوينى فى كتاب عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا بطيء النهضة وكان لا بد له من خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى يديه ولا قصد إليه ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة وشكل ينفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلوى انتهى والحرباء أكبر من العظاية وهى تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت وتتلون بحر الشمس كما قال الإمام الغزالى ألوانا مختلفة فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت وهو ذكر أم حبين والجمع الحرابى والأنثى حرباء قال رجل خاصمت ابن أخى إلى معاوية فجعلت أحجه فقال أنت كما قال الشاعر :

أنى أتيـــح له حرباء تنضبه * لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا

أراد بالساق هنا الغصن من أغصان الشجرة والمعنى أنه تنقضى له حجة حتى يتمسك بأخرى تشبيها بالحرباء قال الجوهرى ويقال حرباء تنضب كما يقال ذئب غضى والتنضب شجرة يتخذ منه السهام والتاء زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلل وفى الكلام تفعل مثل تقتل وتخرج الواحدة تنضبة ويقال لها أيضا حرباء الظهيرة وهى دويبة غبراء مادامت فرخا ثم تصفو وهى أبدا تطلب الشمس فحين تبدو تنحو بوجهها إليها حتى إذا استوت الشمس علت رأس شجرة وما يجرى مجراها فإذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون فلا تزال طالبة لها ولا تفتر إلى أن تتصوب إلى جهة المغرب فترجع بوجهها إليها مستقبلة لها ولا تنحرف عنها إلى أن تغيب الشمس فإذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاشه ليله كله إلى أن يصبح حتى أن طائفة من المتكلمين على

يحرك فكه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات ولا يقدر أن يتلوى ولا أن ينقبض لأنه ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعة واحدة وهو كريه المنظر جدا كثير العدوان يلتقم الآدمى والشاة ويقتل الخيل والجمال ولا يوجد إلا فى النيل ونهر السند وإذا رأى إنسانا على طرف الماء يمشى تحت الماء إلى أن يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة يأخذه ويبيض كالطيور ويشم من بيضه رائحة المسك وزبله يخرج من فيه إذ لا منفذ له وإذا أكل يبقى فى خلل أسنانه شىء يتولد منه الدود فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس فيأتيه طائر مثل الطيور ويدخل فاه ويلتقط ما فى خلل أسنانه فإذا رأى صيادا رفرف وصاح وأخبر التمساح حتى يرجع إلى الماء فإذا أحس التمساح أنه نقى خلال أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله وقد خلق الله تعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيضرب به حنك التمساح فيرفع حنكه فطير الطائر وإذا انقلب التمساح

لم يستطع أن يتحرك وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأتاه معه فيلقى الأنثى على ظهرها فإذا قضى وطره قلبها فإن تركها صيدت فإنها

لاتقدر أن تنقلب

﴿ فصل ﴾ فى خواص أجزائه زعموا أن عينيه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى وسنه الأيمن تعلق على الإنسان يزيد فى الباه وأول سن من جانب فكه الأيسر يشد على صاحب الفشعريرة تذهب فى الحال ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين وشحمه يجعل ضمادا على عضته فإنه نافع فى الحال وكبده يدهن به المصروع يزول ما به وزبله يزيل بياض العين اكتحالا وجلده يشد على جبهة الكبش يغلب الكباش فى النطاح (تنين) حيوان عظيم الخلقة هائل المنظر طويل الجثة عريضها كبير الرأس براق العينين واسع الفم والجوف كثير الأسنان يبلع من الحوان كثيرا يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لكثرة قوته والتنين أول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا عظم فسادها يبعث الله تعالى ملكا يحتملها ويلقيها فى البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر ويعظم جسمها فيبعث الله تعالى ملكا فيحملها ويقلبها إلى يأجوج ومأجوج وروى عن بعضهم انه .

طبائع الحيوان يقولون إنه مجوسى ولسانه طويل جدا مقدار ذراع كما تقدم وذلك دليل على أنه يكون مطويا فى حلقه وهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب الأنثى من هذا النوع تسمى أم حبين وستأتى فى آخر الباب وقد سمى أبو النجم فى بعض شعره الخرباء بالشقى وليس باسم للحرباء وإنما سماه به لاستقباله الشمس كذا ذكره فى المحكم فى العين والنون والباء وهذا الحيوان يوصف بالحزم لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره وهو يشبه رأس العجل وعلى هيئة السمكة الصغيرة وله أربعة أرجل كسام أبرص وذكر الشيخ جمال الدين بن هشام فى شرح بانت سعاد أن للحرباء سناما كسنام البعير وأنه يتلون ألوانا ويكنى أباقرة وهى تتلون بلون الشجرة التى تكون عليها حتى تكاد تختلط بلونها فإذا قرب منها الذباب ونحوه اختطفته بلسانها وقد تقدم عن القزوينى نظير ذلك (الحكم) قال فى الروضة إنها نوع من الوزغ غير مأكولة لكن مقتضى ما قاله الجاحظ والجوهرى من أنها ذكر أم حبين أنها تؤكل لأن أم حبين مأكولة كما سيأتى إن شاء الله تعالى لكن قالوا إن الحرباء من ذوات السموم فيكون هذا علة تحريمها لا أنها نوع من الوزغ (الأمثال) قالوا فلان يتلون تلون الحرباء يضرب لمن لا يثبت على حالة وقالوا أجود من عين الحرباء وأحزم من الحرباء لما تقدم والحزم الاحتراس والنظر فى الأمر قبل الإقدام عليه (الخواص) دمها إذا نتف الشعر النابت فى أجفان العين وجعل فى أصوله لم ينبت أبدا ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر وشحمها إذا جعل على حديدة وأحرق بالنار وخلط بالدمع شىء يسير من الماء وجدد عليه الدم والشحم وطلى به قروح الرأس والأبشار فإنه يبرئها من أول طلية (التعبير) الحرباء فى المنام وزير ملك أو خليفته لا يكاد يفارقه لأنها تدور أبدا مع الشمس ولا تفارقها كما تقدم وربما دلت على الخدمة للسلطان أو الفتنة فى الدين أو المرأة المجوسية وربما دلت على الحرب والندب على الميت والله أعلم .

﴿ الحرذون ﴾ بكسر الحاء وبالذال المعجمة دويبة شبيهة بالضب وقيل هو ذكر الضب لأن له ذكرين مثله وهو من ذوات السموم يوجد فى العمران المهجورة كثيرا له كف كف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل وجلده لا برص فيه بخلاف سام أبرص والحق أنه غير الورل خلافا لعبد اللطيف البغدادى (وحكمه) تحريم الأكل لأنه من ذات السموم (الخواص) قال أرسطو من أطلى بشحم الحرذون وألقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح وإذا شم رائحته خدر وانقلب على ظهره وإن أحرق جلده وأطلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع ولو فرق بين رأسه وجسده والعيارون يفعلون ذلك فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيره والحرذون يقتل العقرب وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع فى خرقة سوداء أبرأه وأزالها وقال مهراريس إنما يعلق قلبه على الوصف الذى تقدم (ورؤيته فى المنام) تدع على الطمع والشره فى الكسب واختلاف المزاج والذهول والنسيان والله أعلم .

﴿ الحرشاف أو الحرشوف ﴾ الجراد المهزول الكثير الأكل الواحدة حرشافة وفى حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضى الله عنهما لما قال لها أنت كظهر أمى وجاءت تستفت له رسول الله ﷺ وتشتكى إلى الله فأنزل الله عز وعلا فيها قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله إلى آخر الآيات قال لها النبى ﷺ مريه إن يعتق رقبة قالت والله ما يجد رقبة وماله خادم غيرى قال مريه فليصم شهرين متتابعين قالت والله يا رسول الله ما يقدر على ذلك أنه ليشرب فى اليوم كذا وكذا مرة قد ذهب بصره مع ضعف بدنه وإنما هو كالحرشافة شبهته بالجراد المهزول الكثير الأكل

﴿الحرقوص﴾ بضم الحاء المهملة وبالقاف المضمومة وبالصاد المهملة فى آخره وبالسين فى لغة عوض الصاد دويبة كالبرغوث صغير أرقط بحمرة أو صفرة ولونه الغالب عليه السواد وربما نبت له جناحان فطار قال الراجز:

مالقى البيض من الحرقوص * يدخل تحت الحلق المرصوص
من مارد لص من اللصوص * يمهر لا غال ولا رخيص

أراد بلا مهر أصلا وقيل هى دويبة مثل القراد وأنشدوا:

* مثل الحراقيص على حمار *

وفى ربيع الأبرار للزمخشرى أنها دويبة أكبر من البرغوث وعضها أشد من عضه وهى مولعة بفروج النساء تولع النمل بالمذاكير وينبت لها جناحان كما ينبت للنملة وقيل الحرقوص البرغوث بعينه واحتج له بقول الطرماح:

ولو أن حرقوصا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

ويقال له النهيك وقالت أعرابية:

ياأيها الحرقوص مهلا مهلا * أإبلا أعطيتنى أم نحلا * أم أنت شىء لاتبالى الجهلا

وقال ابن سيده الحرقوص دويبة محرمة لها حمة كحمة الزنبور تلدغ بها كأطراف السياط ولذلك يقال لمن ضرب بأطراف السياط أخذته الحراقيص ﴿فائدة﴾ الحرقوص السعدى رجل من الصحابة وهو ذو الخويصرة التميمى الذى بال فى المسجد وهو القائل للنبى ﷺ وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت أن لم أعدل وهو الذى خاصم الزبير فى شراج الحرة وقال إن كان ابن عمتك فأمر النبى ﷺ الزبير باستيفاء حقه * وقال ابن الأثير فى أسد الغابة الحرقوص بن زهير السعدى من الصحابة ذكره الطبرى وقال إن الهرمزان الفارسى كفر ومنع ما قبله واستعان بالأكراد وكثر جمعه فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر رضى الله عنه بذلك فكتب إليه عمر يأمره بقصده وأمد المسلمين بحرقوص بن زهير وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمره بالقتال فاقتتل المسلمون والهرمزان فانهزم الهرمزان وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها وله أثر كبير فى قتال الهرمزان وبقى حرقوص إلى أيام على رضى الله عنه وشهد معه صفين ثم صار مع الخوارج ومن أشدهم على على وكان مع الخوارج لما قاتلهم على فقتل حرقوص يومئذ سنة سبع وثلاثين (وحكمه) تحريم الأكل لأنه من الحشرات

﴿الحريش﴾ نوع من الحيات أرقط كذا قاله الجوهرى وقال بعد هذا الحريش دابة لها مخالب كمخالب الأسد ولها قرن واحد فى هامتها ويسميها الناس الكركدن وقال أبو حيان التوحيدى هى دابة صغيرة فى جرم الجدى ساكنة جدا غير أن لها من قوة الجسم وسرعة الحركة ما يعجز القناص ولها فى وسط رأسها قرن واحد مصمت مستقيم تناطح به جميع الحيوان فلا يغلبها شىء ويحتال لصيدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء أو صبية فإذا رأتها وثبت إلى حجرها كأنها تريد الرضاع وهذه محبة فيها طبيعية ثابتة فإذا هى صارت فى حجر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها حتى تصير كالنشوان من الخمر فيأتيها القناص على تلك الحالة فيشدها وثاقا على سكون منها بهذه الحيلة وقال القزوينى فى الأشكال الحريش حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شىء فى عدوه ويوجد فى غياض بلغار وسجستان انتهى (وحكمه) التحريم سواء كان من نوع الحيات أو الحيوان الموصوف لعموم النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع (الخواص) دمه يشربه من به خناق ينفتح فى الحال ولحمه يبرئ صاحب القولنج أكلا وكعبه يجعل على العرق المدمى يسكن ألمه.

على هيئة جناح السمك ورأس مثل التل العظيم كرأس الإنسان وأذنان طويلان وعينان مدوران كبيران جدا ويتشعب من عنقه ستة أعناق طول كل عنق نحو عشرين ذراعا على كل عنق رأس كرأس الحية (أما) خاصية أجزائه فزعموا أن أكل لحمه يورث الشجاعة ولحمه يوضع على عضه ينفع نفعا بينا ودمه إذا طلى به على الذكر وجامع تحصل للمرأة لذة عظيمة (جرى) هو الذى يقال له مارماهى متولد من الحية والسمك قال الجاحظ إنه يأكل الجرذان وهو آكل لها من السنانير وذلك أن جرذان السنانير تخرج بالليل إلى شارع البصرة للماء والجرى قد يكمن لها واضعا فاه على الشرعة فإذا دنا الجرذان إلى الماء التقمها مرارته يسعط بها الفرس المجنون يذهب جنونه ولحمه يجود الصوت وينفع قصبة الرئة وإذا تضمد به أخرج السلاء من أعماق اللحم وأكله يزيد فى الباه سيما الطرى (جلكا) نوع منه يشبه المارماهى يخرج من البرك والغنسى لطلب الغذاء وإذا ذبح لا يخرج منه دم وعظمه رخو يؤكل مع لحمه ولحمه يسمن النساء إذا أكل وهو نعم العلاج لذلك

﴿الحسبان﴾ الجراد واحده حسبانة وكذلك النملة الصغيرة .

﴿الحساس﴾ جنس من السمك صغار وهو الهف :

﴿الحسل﴾ ولد الضب والجمع أحسال وحسول وحسلان وحسلة يقال ذلك لولد الضب حين يخرج من بيضته وكنية الضب أبو حسل (وحكمه) كأبيه (الأمثال) قالوا لا آتيك سن الحسل أى أبداً لأن سنها لا تسقط حتى تموت وأنشد العجاج يقول :

إنك لو عمرت عمر الحسل * أو عمر نوح زمن الفطحل

والصخر مبتل كطين الوحل * كنت رهين هرم وقتل

الفطحل على وزن الهزبر زمن لم يخلق فيه الناس وكانت الحجارة فيه رطبة .

﴿الحسيل﴾ ولد البقرة الأهلية لا واحد له من لفظه والأنثى حسيلة كذا قاله الجوهرى وهو وهم والصواب الحسيل أولاد البقر واحده حسيلة لأنه سمع له واحد من لفظه وفى كفاية المتحفظ الحسيلة البقرة وجمعها حسائل .

﴿حسون﴾ عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة يسميه أهل الأندلس أبا الحسن والمصريون أبا زقاية وربما أبدلوا الزاى سينا وهو يقبل التعليم فيعلم أخذ الشىء من يد الإنسان المتباعد ويأتى به إلى مالكه وهو داخل فى عموم العصافير وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة .

﴿الحشرات﴾ صغار دواب الأرض وصغارهوامها الواحدة حشرة بالتحريك وابن أبى الأشعث يسمى جميع هذا الحيوان الأرضى لأنه لا يفارقها إلى الهواء ولا إلى الماء وهو يأوى فى حجرته ويركز فى بطها ولا يحتاج إلى شرب الماء ولا إلى شم النسيم وهو قرين الأفاعى والحيات والجرذان الأهلية والبرية واليربوع والضب والحرذون والقنفذ والعقرب والخنفساء والوزغ والنمل والحلم وأنواع أخرى سيأتى منها مالم يتقدم له ذكره ﴿فائدة﴾ قوله تعالى أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال مجاهد اللاعنون الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم رواه ابن ماجه مرفوعا إلى النبى ﷺ فإن قيل كيف جمع ما لا يعقل جمع من يعقل فالجواب أنه أسند إليهم فعل من يعقل كما قال رأيتهم لى ساجدين ولم يقل ساجدات وكقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اللاعنون كل المخلوقات ماعدا الجن والإنس وقيل ماعدا الملائكة فقط (الحكم) يحرم أكل الحشرات ولا يصح بيعها لعدم النفع بها وبه قال الإمام أحمد وأبو حنيفة وداود وقال مالك إنها حلال لقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة الآية ولحديث التلب بن ثعلبة بن ربيعة التميمى قال صحبت النبى صلى الله عليه وسلم فلم أسمع لحشرة الأرض تحريما رواه أبو داود والتلب بثاء مثلثة من فوق مفتوحة ثم لام مكسورة ثم باء ثالثة الحروف وقال شعبة الثلب بثاء مثلثة وفى سنن أبى داود فى كتاب العتاق عن أحمد أنه قال كان شعبة ألثغ لم يبين التاء من الثاء وكذلك قال الإمام الحافظ أبو عمر ابن عبد البر ثم قال وكان التلب يكنى أبا الملقام روى عنه ابنه ملقام أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال استغفر لى يارسول الله فقال اللهم اغفر للتلب وارحمه ثلاثا واحتج الشافعى والأصحاب بقوله تعالى ويحرم عليهم الخبائث وهو ماتستخبثه العرب وبقوله صلى الله عليه وسلم خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن فى الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور رواه البخارى ومسلم من رواية عائشة وحفصة وابن عمر رضى الله عنهم وعن أم شريك أنه

وربما دخل تحته وحمله وربما جعل ذنبه فى يده ويمشى به إلى الساحل وقيل له جناحان طويلان فإذا رأى المركب تسير بقلوعها رفع جناحه تشبيها بالمركب وينادى وإذا رأى الغريق قصده (رعاد) سمكة صغيرة مخدرة جدا إذا وقعت فى الشبكة والصياد ماسك حبل الشبكة يرتعد من برودة هذه السمكة والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا به شدوا حبل الشبكة فى وتد أو شجرة حتى يموت فإذا مات بطلت خاصيته وأطباء الهند يستعملونه فى الأمراض الشديدة الحر وأما فى غير بلاد الهند فلا يمكن استعماله وقال بن سينا الرعاد إذا قرب من رأس المصروع وهو حى أخدره عن الحسن وإذا علقت المرأة منه شيئا على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها والله الموفق (دامور) سمكة مباركة يحبها البحريون والصيادون إذا رأوها فى الشبكة أطلقوها زعموا أن هذه السمكة تحب الإنسان وإذا رأت مركبا فى البحر تمشى قدامه كالدليل وإذا قصد السفينة شىء من الحيات الكبار تدخل أذنها وتشغلها عن السفينة بتحريك دماغها فالسمكة

ﷺ أمر بقتل الأوزاغ رواه الشيخان وأما قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما الآية فقد قال الشافعي وغيره من العلماء معناه مما كنتم تأكلونه وتستطيبونه وقال الغزالي في الوسيط لا يؤكل من الحشرات إلا الضب وقد استدرج عليه اليربوع وابن عرس وأم حبين والقنفذ والدلدل وسيأتي الكلام عليهن في أماكنهن إن شاء الله تعالى .

﴿الحشر والحاشية﴾ صغار الإبل التي لا كبار فيها وكذلك من الناس .

﴿الحصان﴾ بكسر الحاء المهملة الذكر من الخيل قيل إنما سمي حصانا لأنه حصن ماءه فلم ينز إلا على كريمة روى البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط فغشيته سحابة فجعلت تدنو وتدنو فجعل فرسه ينفر فلما أصبح ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن والرجل المذكور أسيد بن حضير وفي الخبر أن فرعون هاب دخول البحر وكان على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون أنثى فجاءه جبريل على فرس وديق أي تشتهي الفحل على صورة هامان وقال له تقدم فخاض البحر فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوقهم لا يشرد منهم أحد فلما صار آخرهم في البحر وهم أولهم أن يخرج انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين وروى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال كان أصحاب موسى ستمائة ألف وسبعين ألفا وقال عمرو بن ميمون كانوا ستمائة ألف وقيل خرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره ولا ابن الستين لكبره وكانوا يوم دخول مصر مع يعقوب اثنين وسبعين ألفا ما بين رجل وامرأة فلما أرادوا المسير ضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم فصمت أذنه عن قولي فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمعان صوته حتى سمعته عجوز من بني إسرائيل فقالت أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي عز وجل فأمره الله أن يعطيها سؤلها فقالت إني عجوز كبيرة لا أستطيع المشي فاحملني وأخرجني من مصر هذا في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك ألا تنزل غرفة في الجنة إلا أنزلنا معك قال نعم قالت إنه في جوف الماء في النيل فادع الله حتى يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسر عنه الماء ودعا الله تعالى أن يؤخر طلوع الفجر إلى أن يفرغ من أمر يوسف ففعل فحفر موسى ذلك الموضع واستخرجه في صندوق مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام ففتح لهم الطريق فساروا وموسى على ساقتهم وهرون على مقدمتهم ونذر بهم فرعون فجمع قومه وأمرهم أن لا يخرجوا في طلب بني إسرائيل حتى تصيح الديكة قال عمرو بن ميمون فوالله ما صاح ديك تلك الليلة فخرج فرعون في طلب بني إسرائيل وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقال شيخ التفسير محمد بن جرير الطبري كان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان في الدهم وكان بين يديه ومائة ألف ناشب ومائة ألف أصحاب حراب ومائة ألف أصحاب أعمدة وكان الماء في غاية زيادته وكان قد أشرف على بني إسرائيل حين أشرقت الشمس فتحير أصحاب موسى فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله تعالى إليه أن كنه فضربه وقال انفلق أبا خالد بإذن الله تعالى فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء بين كل

ماتت خرجت من دماغها (سرطان) هو حيوان لا رأس له وعينه على قفاه وفمه على صدره وله ثمانية أرجل يمشي على أحد جانبيه وفي كل سنة يسقط جلده سبع مرات ولمكانه بابان أحدهما إلى الماء والآخر إلى اليبس فإذا انسلخ جلده يسد الباب الذي في الماء لئلا يدخل بيته شيء من حيوانات الماء في حال ضعفه وعجزه ويترك الباب الذي على اليبس مفتوحا ليهب الهواء منه وإذا كثر وقوع الهواء عليه يصلب جلده ويعود إلى حاله فحينئذ يفتح باب الماء ويخرج منه لطلب معاشه وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت في حفرة مستلقيا على ظهره في أرض أو قرية تأمن من تلك البقعة من الآفات السماوية وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وما عليها من الثمار يبقى ويذبح السرطان ويوضع على الجراحات تخرج النصول والشوك وينفع من لسع الحيات والعقارب وإذا أحرق وشرب نفع من عضة الكلب وإذا اكتحل به نفع من بياض العين ونزول الماء وإذا أحرق وطلي به يجلو الأسنان ورماده يوضع على العضو يخرج منه النصل والشوك قال ابن سينا لحمه صالح للمسلولين جدا سيما بلبن الأتن وينفع من نهش

طريقين كالجبل وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا فخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعن جانبيهم الماء كالجبل الضخم فصار لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله تعالى إلى الماء أن يشبك فصار الماء شبكات كالطاقات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر ورآه متقطعا قال لقومه انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتى حتى أدرك عبيدى الذين أبقوا ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقالوا له إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعنى موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن فى خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر فى أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئا وهو لا يرى فرس جبريل عليه السلام فاقتحمت الخيول خلفه البحر وجاء ميكائيل عليه السلام على فرس خلف القوم يسوقهم حتى لم يبق رجل وهو يقول لهم ألحقوا بأصحابكم حتى إذا خاضوا كلهم البحر وهم أولهم بالخروج أمر الله عز وجل البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم أجمعين وكان بين طرفى البحر أربعة فراسخ وذلك بمرأى من بنى إسرائيل وذلك قوله تعالى وأنتم تنظرون أى إلى مصارعهم وقيل إلى هلاكهم والبحر هو بحر القلزم وطرف من بحر فارس انتهى وقال قتادة هو بحر وراء مصر يقال له أساف ولا خلاف أن فرعون مات كافرا ولا التفات إلى قول من قال خلاف ذلك ولا تعريج عليه والنزاع فى أنه مات مسلما مكابرة وخرق للإجماع والله أعلم وذكر ابن خلكان أن عبد الملك ابن مروان لما عزم على الخروج لمحاربة مصعب ابن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه وأن يستنيب غيره وألحت عليه فى المسئلة فلما لم يسمع منها بكت وبكى من حولها من حشمها فقال عبد الملك قاتل الله كثيرا كانه رأى موقفنا هذا حين قال :

إذا ما أراد الغزو لم يثن همه * حصان عليها نظم در يزينها

نهته فلما لم تر النهى عاقه * بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها أن تقصر وخرج ويضاهى هذه الحكاية فى طرفة اتفاقها وملحة مساقها ما حكى أن المأمون حين بنى على بوران بنت الحسن بن سهل فرش له حصير منسوج بالذهب ثم نثر على قدميه لآلئ كثيرة فلما رأى المأمون تساقط اللآلئ المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال قاتل الله أبا نواس كأنه شاهد هذه الحال حين شبه حباب كأسه بقوله :

كأن كبرى وصغرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقد عيب ذلك على أبى نواس وقد اعتذر عنه بأنه جعل «من» فى البيت زائدة على ما أجازه أبو الحسن الأخفش من زيادتها فى الكلام الواجب وأول عليه قوله تعالى من جبال فيها من برد وقيل تقديره فيها برد والله أعلم .

﴿ الحور ﴾ الناقة الضيقة الإحليل والحصور من الرجال الذى لا يقرب النساء

﴿ فائدة أجنبية ﴾ ذكرها الصاغانى فى العباب قال سألنى والدى تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوحة جنته بعزته قبل سنة تسعين وخمسمائة وأنا إذ ذاك أسحب مطارق الشباب فى رغد العيش اللباب وهو يفيدنى غرر الفوائد ويزقنى درر الفرائد وكان رحمه الله ريان من الفضائل ظمآنا عن الرذائل عن معنى قولهم قد أثر حصير الحصير فى حصير الحصير فلم أدر ما أقول فقال الحصير الأول البارية والثانى السجن والثالث الجنب والرابع الملك انتهى

العقارب والرتيلاء وعينه تشد على النائم يرى منامات صالحة وإن كان به رمد زال عنه وعيناه إن علقتا على شجرة لم يسقط ثمرها وشوكه يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع ويكرر ذلك سبع مرات يبرأ ورجله يعلق على صاحب الخنازير مع الكافور والعنبر يدفع عنه الخنازير وإذا علق رجل السرطان على أحد لم تعرض له الخنازير ما دامت عليه ( سرطان البحر ) هو حيوان عجيب الشكل كأنه خمس حيات برأس واحد إذا أحرق بعظامه وسحق جلا البهق والكلف والأسنان وينفخ فى عيون الدواب يزيل عنها البياض العارض ويكتحل به مع الكحل يزيل الظفر وقال ابن سينا محرقه يجلى الأسنان ويجفف القروح وينفع من الجرب ( سقنقور ) قال ابن سينا إنه ورل مائى يصطاد من نيل مصر وقال غيره أنه من نسل التمساح إذا وضع خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا وذكروا أنه إذا عض إنسانا غسل الإنسان معضه بريقه فإن كان قبل عود السمك إلى الماء مات السمك وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان وله قضيبان كما للضب لحمه إذا أكل هيج قوة الباه وكلما كان جسمه أكبر كانت خاصية لحمه أقوى

﴿حضاجر﴾ اسم للذكر والأنثى من الضباع سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه وهو معرفة قال الحطيئة

هلا غضبت لرحل جا * رك إذ تنبذه حضاجر

كذا أنشده ابن سيده وأنشده الجوهري * هلا غضبت لجار بيتك * قال السيرافي وإنما جعل اسماً لها على لفظ الجمع إرادة للمبالغة وقال سيبويه سمعنا العرب تقول وطب حضجر وأوطب حضاجر ولذلك لا ينصرف فى معرفة ولا نكره لأنه اسم لواحد على بنية الجمع وقال ابن الحاجب فى كافيته وحضاجر اسم علم للضبع غير منصرف لأنه منقول عن الجمع ﴿قلت﴾ وهو الأوجه والله أعلم

﴿الحضب﴾ الذكر الضخم من الحيات وقيل حية دقيقة وقيل الأبيض من الحيات .

﴿الحفان﴾ فراخ النعام واحدها حفانة الذكر والأنثى فيه سواء وربما سموا صغار الإبل حفانا

﴿الحفص﴾ ولد الأسد وبه سمى الرجل حفصاً .

﴿الحقم﴾ ضرب من الطير يشبه الحمام ويقال إنه الحمام نفسه .

﴿الحلزون﴾ دود فى جوف أنبوبة حجرية يوجد فى سواحل البحار وشطوط الأنهار وهذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذى بها فإذا أحست بلين ورطوبة انبسطت إليها وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف الأنبوبة الصدفية حذراً من المؤذى لجسمها وإذا انسابت جرت بيتها معها (وحكمه) التحريم لاستخباثه وقد قال الرافعى فى السرطان أنه يحرم لما فيه من الضرر ولأنه داخل فى عموم تحريم الصدف وسيأتى الكلام عليه فى باب السين المهملة . وأما المحار الذى يسمى الدنيلس فسيأتى الكلام عليه فى باب السين المهملة (الخواص) قال ابن سينا طلى الجبهة بالحلزون يمنع انصباب المواد إلى العين والله أعلم .

﴿الحلكة والحلكاء والحلكى﴾ بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها دويبة شبيهة بالعظاية تغوص فى الرمل .

﴿الحلم﴾ القراد العظيم الواحدة حلمة وقال الجوهري هو مثل القمل وسيأتى أنه القراد المهزول قال والحلم أيضا دود يقع فى جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقا يقال حلم الأديم بكسر اللام يحلم بفتحها حلما إذا أكله قال الشاعر وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط

فإنك والكتاب إلى على * كدابغة وقد حلم الأديم

قال ابن السكيت وهذه الدويبة هى التى تأكل الكتب وتمزق الأوراق وفى الحديث أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان ينهى أن تنزع الحلمة من أذن دابته وروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ صلى بأصحابه يوما فنزع نعليه ووضعهما على يساره فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم فلما انقضت الصلاة قال مالكم خلعتم نعالكم قالوا يا نبى الله رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا فقال عليه الصلاة والسلام إنما نزعتهما لأن جبريل أخبرنى أن فيهما دم حلمة انتهى ﴿قلت﴾ والمراد به الدم اليسير المعفو عنه وإنما فعله النبى ﷺ تنزها عن النجاسة وإن كان معفواً عنها وقد أطلق أصحابنا العفو عن اليسير من سائر الدماء إلا المتولى فإنه استثنى من ذلك دم الكلب والخنزير واحتج بغلظ نجاستهما وأما الدم الباقى على اللحم وعظامه فإنه مما تعم به البلوى وقل من أصحابنا من تعرض له وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبى المفسر من أئمة أصحابنا عن جماعة كثيرة من التابعين أنه لا بأس به ونقله عن جماعة من أصحابنا لمشقة الاحتراز وصرح الإمام أحمد وأصحابه بأن ما يبقى من الدم فى اللحم معفو عنه ولو غلبت حمرة الدم فى القدر لعسر الاحتراز عنه وحكوه عن عائشة وعكرمة والثورى وبه قال

وشحمه يهيج الباه تهييجا لا يسكن إلا بحسو مرق الخس والعدس وخزته الوسطى التى فى صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيجت به الباه (سلحفاة) حيوان برى وبحرى أما البحرى فقد يكون عظيما جدا حتى ظن أصحاب المراكب أنه جزيرة وحكى بعض التجار قال وجدنا فى وسط البحر جزيرة مرتفعة عن الماء فيها نبات أخضر فخرجنا إليها وحفرنا للطبخ إذ تحركت الجزيرة فقال الملاحون هلموا إلى مكانكم فإنها سلحفاة أصابها حرارة النار لئلا تنزل بكم قال وكان من عظم جسمها ما شابه جزيرة واجتمع التراب على ظهرها بطول الزمان حتى صار كالأرض ونبت قالوا إذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطاوعه يأتى الذكر بحشيشة فى فمه من خاصيتها أن حاملها يكون مقضى الحاجة فعند ذلك تطاوعه الأنثى وهى حشيشة تسميها العجم مهر كياه لكن الناس لا يعرفونها وإذا باضت صرفت همتها إلى بيضها محاذية له ولا تزال كذلك حتى يخلق الله الولد فيها إذ لا بد لها أن تحضن البيض حتى يدرك بحرارتها فإن أسفلها صلب لا حرارة فيه وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية وتمضغ من ذنبها

ظهرها فى مكان فيه البرد لا يقع فى ذلك المكان من البرد ضرر أما خواص أجزائها فعينها تشد على صاحب الرمد يبرأ وقالوا كل عضو من أعضاء السلحفاة إذا شد على مثله من أعضاء الإنسان وكان وجعا أبرأه ورجلها تشد على المنقرس اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى تنفعه ودمها يطلى به على العانة والأبط بعد ما ينتف ما عليهما مرتين أو ثلاثا لا ينبت شعرها وتأثيرها فى النساء أقوى ومرارة البحرى أقوى منها تخلط بعسل النحل الشهد تمنع من نزول الماء إذا اكتحل بها وتزيل البياض والكدورة وتصلح الخناق شربا وإذا وضعت على منخر المصروع نفعته وظهرها إذا اتخذ منه مكبة ووضعت على رأس القدر لم تغل أصلا وبيضها إذا سقى من صفرته ثلاث مثاقيل باللبن الحليب نفع من السعال الشديد

(سمك) أصناف السمك كثيرة جدا ولكل صنف اسم خاص منها ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لعظمها ومنها ما يدركها الطرف لصغرها وحكى بعض التجار قال مرت بنا سمكة وانتهى ذنبها بعد أربعة أشهر وذكروا أن السمكة إذا باضت تأتى إلى ماء ضحضاح

إسحق لقوله تعالى إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا فلم ينه عن كل دم بل نهى عن المسفوح خاصة وهو السائل والله تعالى أعلم قال الأصمعى ويقال للقراد أول ما يكون صغيراً قمقامة ثم يصير حمنانة ثم يصير قرادا ثم يصير حلما وأنشد أبو على الفارسى :

وما ذكر فإن يكبر فأنثى * شديد الأزم ليس له ضروس

والأكثر أن يجمع ضرس على أضراس والأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب (وحكمه) تحريم الأكل لاستخباثه وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب القاف فى لفظ القراد (الأمثال) قالت العرب القردان فما بال الحلم وهو قريب من قولهم استنت الفصال حتى القرعى . وسيأتى فى بابه.

﴿الحمار الأهلى﴾ الحمار جمعه حمير وحمر وأحمرة وربما قالوا للأتان حمارة وتصغيره حمير ومنه توبة ابن الحمير صاحب ليلى الأخيلية الذى تقدم ذكره وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد قال الشاعر:

زياد لست أدرى من أبوه * ولكن الحمار أبو زياد

ويقال للحمارة أم محمود وأم تواب وأم جحش وأم نافع وأم وهب وليس فى الحيوان ما ينزو على غير جنسه ويلقح إلا الحمار والفرس وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهرا ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال ونوع لين الأعطاف سريع العدو يسبق براذين الخيل ومن عجيب أمره أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف يريد بذلك الفرار منه قال حبيب بن أوس الطائى يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه :

أقدمت ويحك من هجوى على خطر * والعير يقدم من خوف على الأسد

ويوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التى مشى فيها ولو مرة واحدة وبحدة السمع وللناس فى مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض فمن ذلك أن خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشى كانا يختاران ركوب الحمير على ركوب البراذين فأما خالد فلقيه بعض الأشراف بالبصرة على حمار فقال ما هذا يا ابن صفوان فقال عير من نسل الكداد يحمل الرحلة ويبلغنى العقبة ويقل داؤه ويخف دواؤه ويمنعنى من أن أكون جبارا فى الأرض وأن أكون من المفسدين وأما الفضل فإنه سئل عن ركوبه الحمار فقال إنه من أقل الدواب مؤنة وأكثرها معونة وأخفضها مهوى وأقربها مرتقى فسمع أعرابى كلامه فعارضه بقوله الحمار شنار والعير عار منكر الصوت لا ترقأ به الدماء ولا تمهر به النساء وصوته أنكر الأصوات قال الزمخشرى الحمار مثل فى الذم الشنيع والشتيمة ومن استيحاشهم لذكر اسمه أنهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذنين كما يكنون عن الشىء المستقذر وقد عد من مساوى الآداب أن يجرى ذكر الحمار فى مجلس قوم ذوى مروءة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت به الرحلة الجهد انتهى والمروءة بالهمز وتركه قال الجوهرى هى الإنسانية وقال ابن فارس هى الرجولية وقيل إن ذا المروءة من يصون نفسه عن الأدناس ولا يشينها عند الناس وقيل من يسير بسيرة أمثاله فى زمانه ومكانه قال الدارمى قيل المروءة فى الحرفة وقيل فى آداب الدين كالأكل والصياح فى الجم الغفير وانتهار السائل وقلة فعل الخير مع القدرة عليه وكثرة الاستهزاء والضحك ونحو ذلك انتهى وفى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ قال أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله صورته صورة حمار أو يحول رأسه رأس حمار ومعنى ذلك والله أعلم أن يمسخ صورته كلها فيجعل رأسه رأس حمار وبدنه بدن حمار وفيه دليل على جواز وقوع المسخ أعاذنا الله منه

وتحفر فيه حفرة وتبض فيها وتغطيها بالطين فتفقس فيها بإذن الله تعالى وأما خاصيته فإن السكران الثمل إذا شمه يرجع إليه عقله ويزول سكره وقال ابن سينا لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل وقال غيره يزيد فى الباه ويخصب البدن ومرارة السمك إذا شربت تنفع للخناق وكذلك إذا نفخت فى الحلق مع شىء من السكر والله أعلم (شبوط) نوع من السمك مشهور طوله ذراع وعرضه أربع أصابع طيب اللحم جدا يكثر منه بدجلة ذكر بعض الصيادين أن الشبوط ينتهى إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه ليس ينجيه إلا الوثوب فيتأخر قاب رمح ثم يقبل جامزا بجراميزه حتى يثب فربما كان وثوبه فى الهواء أكثر من عشرة أذرع فيخرق الشبكة ويخرج منها (شفنين) حيوان بحرى تسمى بهذا الاسم وله جمة وشكل عجيب وجمته منقلبة إلى خلاف الناحية التى ينبت منها قشره تدلك به السن يسكن وجعها فى الحال (صيرة) سمكة صغيرة يسميها أهل الشام بهذا الاسم يتخذ منه الرى ويتمضمض به صاحب القلاع الخبيث ينفع نفعا بينا (ضفدع) حيوان برى وبحرى له عينان بارزتان غاية البروز وحاسة سمعه وبصره

وهو لا يكون إلا من شدة الغضب قال الله تعالى هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية وهذا الحديث صريح فى تحريم مسابقة الإمام بالركوع والسجود وغيرهما من أركان الصلاة وبه صرح البغوى والمتولى وصححه النووى فى شرح المهذب وهو ظاهر إيراد الكفاية وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا وسيأتى فى باب الدال المهملة إن شاء الله تعالى ﴿غريبة﴾ رأيت فى كتاب النصائح لابن ظفر قال دخلت ثغرا من ثغور الأندلس فألقيت به شابا متفقها من أهل قرطبة فآنسنى بحديثه وذاكرنى طرفا من العلم ثم إنى دعوت فقلت يا من قال واسألوا الله من فضله فقال ألا أحدثك عن هذه الآية بعجب قلت بلى فحدثنى عن بعض سلفه أنه قال قدم علينا من طليطلة راهبان كانا عظيمى القدر بها وكانا يعرفان اللسان العربى فأظهرا الإسلام وتعلما القرآن والفقه فظن الناس بهما الظنون قال فضممتهما إلى وقمت بأمرهما وتجسست عليهما فإذا هما على بصيرة من أمرهما وكانا شيخين فقل ما لبث أحدهما حتى توفى وأقام الآخر أعواما ثم مرض فقلت له يوما ما سبب إسلامكما فكره مسئلتى فرققت به فقال إن أسيرا من أهل القرآن كان يخدم كنيسة نحن فى صومعة منها فاختصصنا به لخدمتنا وطالت صحبته لنا حتى فقهنا اللسان العربى وحفظنا آيات كثيرة من القرآن لكثرة تلاوته له فقرأ يوما واسألوا الله من فضله فقلت لصاحبى وكان أسد منى رأيا وأحسن فهما أما تسمع دعاوى هذه الآية فزجرنى ثم إن الأسير قرأ يوما وقال ربكم ادعونى أستجب لكم فقلت لصاحبى هذه أشد من تلك فقال ما أحسب الأمر إلا على ما يقولون وما بشر عيسى إلا بصاحبهم قال واتفق يوما أنى غصصت بلقمة والأسير قائم علينا يسقينا الخمر على طعامنا فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها فقلت فى نفسى يا رب إن محمدا قال عنك إنك قلت واسألوا الله من فضله وإنك قلت ادعونى أستجب لكم فإن كان صادقا فاسقنى فإذا صخرة يتفجر منها الماء فبادرت فشربت منه فلما قضيت حاجتى انقطع ووراى ذلك الأسير فشك فى الإسلام ورغبت أنا فيه وأطلعت صاحبى على أمرى فأسلمنا معا وغدا علينا الأسير يرغب فى أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا ثم إنه فارق دينه وتنصر فحرنا فى أمرنا ولم نهتد لوجه الخلاص فقال صاحبى وكان أسد منى رأيا لم لا ندعو بتلك الدعوة فدعونا بها فى النماس الفرج ونمنا القائلة فأريت فى المنام أن ثلاثة أشخاص نورانية دخلوا معبدنا فأشاروا إلى صور فيه فانمحت وأتوا بكرسى فنصبوه ثم أتى جماعة مثلهم فى النور والبهجة وبينهم رجل ما رأيت أحسن خلقا منه فجلس على الكرسى فقمت إليه فقلت له أنت السيد المسيح فقال لا بل أنا أخوه احمد أسلم فأسلمت ثم قلت يا رسول الله كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمتك فقال لشخص قائم بين يديه اذهب إلى ملكهم وقل له يحملهما مكرمين إلى حيث أحبا من بلاد المسلمين وأن يحضر الأسير فلانا ويعرض عليه العود إلى دينه فإن فعل يخلى سبيله وإن لم يفعل فليقتله قال فاستيقظت من منامى وأيقظت صاحبى وأخبرته بما رأيت وقلت له ما الحيلة فقال قد فرج الله أما ترى الصور ممحوة فنظرت فوجدتها ممحوة فازددت يقينا ثم قال لى صاحبى قم بنا إلى الملك فأتيناه فجرى فى تعظيمنا على عادته وأنكر قصدنا له فقال صاحبى افعل ما أمرت به فى أمرنا وفى أمر فلان الأسير فانتقع لونه وأرعد ثم دعا بالأسير وقال له أنت مسلم أو نصرانى فقال بل نصرانى فقال له ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه فقال لا أرجع إليه أبدا فاخترط الملك سيفه وقتله بيده ثم قال لنا سرا إن الذى

جاء إلى وإليكما شيطان ولكن ما الذى تريدان قلنا الخروج إلى بلاد المسلمين قال أنا أفعل ما تريدان لكن أظهرا أنكما تريدان بيت المقدس فقلنا له نفعل فجهزنا وأخرجنا مكرمين انتهى وروى النسائى والحاكم عن جابر بن عبدالله أن النبى ﷺ قال إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير فى الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله يبث فى الليل من خلقه ما شاء ثم قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم وفى سنن أبى داود وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة وفى تاريخ نيسابور وكامل بن عدى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال شر الحمير الأسود القصير وقال الجوهرى تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات فى طاق واحد وقال الشاعر :

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى * نهاق حمار إننى لجزوع

وذلك إنهم إذا خافوا من وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوها وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم ﴿غريبة أخرى﴾ قال مسروق كان رجل بالبادية له حمار وكلب وديك وكان الديك يوقظهم للصلاة والكلب يحرسهم والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبى من كان حولهم وبقوا سالمين وإنما أخذوا أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة فكانت الخيرة فى هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدر الله سبحانه وتعالى فمن عرف خفى لطف الله رضى بفعله ﴿فائدة﴾ روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده إلى أبى سبرة النخعى قال أقبل رجل من اليمن فلما كان فى أثناء الطريق نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال اللهم إنى جئت مجاهدا فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ولا تجعل لأحد على اليوم منة أسألك أن تبعث لى حمارى فقام الحمار ينفض أذنيه قال البيهقى هذا إسناد صحيح ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة حيث يكون فى أمته من يحيى الله له الموتى كما سبق ويأتى والرجل المذكور اسمه نباتة بن يزيد النخعى قال الشعبى أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك فى السوق فقيل للرجل أتبيع حمارا قد أحياه الله لك قال فكيف أصنع فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات حفظت منها هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الإله حماره * وقد مات منه كل عضو ومفصل

﴿فائدة أخرى﴾ قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال الحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك وابن جريج رحمهم الله تعالى كان سبب هذا السؤال من إبراهيم ﷺ أنه مر على دابة ميتة قال جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر قال عطاء بحيرة طبرية قالوا فرآها وقد توزعتها دواب البحر والبر وكان البحر إذا مد جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منها فما وقع منها يصير فى البحر وإذا جزر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير ترابا فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط منها قطعته الرياح فى الهواء فلما رأى إبراهيم ذلك تعجب منها وقال يارب قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير وأجواف دواب البحر فأرنى كيف تحييها لأعاين ذلك فأزداد يقينا فعاتبه الله على ذلك فقال أولم تؤمن قال بلى يارب قد علمت وآمنت ولكن ليطمئن قلبى أى يسكن إلى المعاينة والمشاهدة فإبراهيم ﷺ كان يعلم يقينا أن الله يحيى الموتى ولكنه أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة وما أحسن قول بعضهم :

حادة جدا عن أنس بن إبراهيم عليه السلام فحملت فى أفواهها الماء وكانت ترشه على النار وعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما لا تقتلوا الضفدع فإن نقيقهن تسبيح وأول نشء الضفادع أن تظهر فى الماء شبه معى رقيق وترى فى الماء شبه حب أسود كالدخن فإذا امتلأ ذلك الوعاء من ذلك الحب خرجت منه كالدعموص ثم بعد أيام تنبت منه اليدان والرجلان قال الشيخ الرئيس إذا كثرت الضفادع فى شىء من السنين على خلاف العادة وقع الوباء عقيبه والضفدع كثير النقيق بالليل فإذا رأى النهار ترك النقيق وقال بعضهم إذا ألقى فى النبيذ يموت وإذا ألقى فى الماء عادت حياته قال الجاحظ الضفدع لا يمكنه النقيق إلا إذا كان حنكه الأسفل فى الماء فإذا صار الماء فى فمه صاح ولهذا لا تصيح الخارجات من الماء وضفدع البر أخضر وهو سم من سقى منه فسد مزاجه وينتفخ بطنه ويعرض له الاستسقاء وإذا وضع على الثآليل قلعها وإذا شق بطنه ووضع على لسعة الحية ينفع نفعا بينا وقال الشيخ الرئيس الضفادع الأجامية الخضرة والبحرية تورث من شربها كمودة اللون وظلمة البصر وتنن الفم والدوار أيضا ويعرض له .

لئن كلمت بالتفريق قلبى * فأنت بخاطرى أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وقيل كان سبب هذا السؤال من إبراهيم أنه لما احتج على نمروذ فقال ربى الذى يحيى ويميت فقال نمروذ أنا أحيى وأميت فقتل رجلا وأطلق آخر فجعل ترك القتل إحياء فقال إبراهيم إن الله يقصد إلى جسد ميت فيحييه فقال له نمروذ أنت عاينته فلم يقدر أن يقول نعم فانتقل إلى حجة أخرى ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بقوة حجتى وإذا قيل لى أنت عاينته أقول نعم قد عاينته وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له فيبشر إبراهيم بذلك فأذن له فأتى إبراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان إبراهيم من أغير الناس إذا خرج أغلق بابه فلما جاء وجد فى داره رجلا فثار عليه إبراهيم ليأخذه فقال له من أنت ومن أذن لك أن تدخل دارى بغير إذنى فقال أذن لى رب هذه الدار فقال له إبراهيم صدقت وعرف أنه ملك فقال له من أنت فقال أنا ملك الموت جئت أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا فحمد الله تعالى ثم قال ما علامة ذلك قال إجابة الله دعاءك وإحياء الموتى بسؤالك فحينئذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى أنك قد اتخذتنى خليلا وأجبتنى إذا دعوتك وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى ورحم الله لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى وقد أخرجه مسلم عن ابن وهب أيضا وقوله نحن أحق بالشك من إبراهيم قال المزنى لم يشك النبى ولا إبراهيم صلى الله عليهما وسلم فى أن الله قادر على أن يحيى الموتى وإنما شكا فى أنه تعالى هل يجيبهما إلى ما سألاه أم لا وقال الخطابى ليس فى قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما يقول إذ لم أشك أنا فى قدرة الله على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك وإنما قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى وفيه إعلام أن المسألة من إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم تعرض من جهة الشك لكن من قبيل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعاً منه وتقديما لإبراهيم ﷺ وسيأتى الكلام على تمام الآية فى باب الطاء المهملة فى الكلام على لفظ الطير (فائدة أخرى) قوله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك الآية هذه الآية منسوقة على الآية التى قبلها تقديره ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه وإلى الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقيل تقديره هل رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه وهل رأيت كالذى مر على قرية قاله البغوى وقد اختلف المفسرون وأهل السير فى ذلك المار فقال وهب بن منبه هو أرمياء بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو الخضر وقال قتادة وعكرمة والضحاك هو عزير بن شرخيا وهو الأصح وقال مجاهد هو كافر شك فى البعث واختلفوا فى تلك القرية فقال وهب وعكرمة وقتادة هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الأرض المقدسة وقال الكلبى هى دير سابر آباد وقال السدى سلماباد وقيل دير هرقل وقيل الأرض التى أهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وقيل هى قرية العنب وهى

بليناس إن جعلت ضفدعا فوق قدر تغلى زال غليانها وإن علق على صاحب حمى الربع برئ ومن خواصه العجيبة ما ذكر أن الضفدع إذا أخذ فقد نصفين من رأسه إلى أسفله وتنظر إليه امرأة غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال فإن شهوتها تنكسر وأما خواص أجزائه فإن لسانه إذا جعل فى الخبز ويطعم من اتهم بالسرقة أقر بها وإن وضعته على امرأة نائمة تكلمت بما عملت فى اليقظة وهى نائمة وأطرافه تحرق بنار القصب ويطلى برمادها الموضع الذى ينبت عليه الشعر فإن الشعر لا ينبت عليه ودمه يطلى به على الموضع الذى تنتف شعره فإنه لا ينبت وقال بليناس من لطخ به وجهه أحبه كل من يراه وشحمه يوضع على اللثة يسقط السن بلا وجع (ولنختم) خواص الضفدع بحكاية عجيبة وهى أنى كنت بالموصل وبنى صاحب الموصل فى بستان مجلساً وبركة وتوالدت الضفادع فيها وكان نقيقها يؤذى سكان المجلس طول الليل فقال الأمير دبروا دفع هذا النقيق فما أفاد شيئا حتى جاء رجل وقال

على فرسخين من بيت المقدس وهى خاوية ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا إذا سقط وخوى البيت بالفتح يخوى خواء ممدودا إذا خلا على عروشها سقوفها واحدها عرش وكل بناء عرش وكان السبب فى ذلك على ما ذكره محمد بن إسحق صاحب السيرة أن الله تعالى بعث أرمياء إلى ناشية بن أموص ملك بنى إسرائيل ليسدده ويأتيه بالخير من الله وكان قوام أمر بنى إسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك أنبياءهم فكان الملك هو الذى يسير بالمجموع والنبى يقيم له أمره ويشير عليه برشده ويأتيه بالخير من ربه عز وجل فعظمت الأحداث فى بنى إسرائيل وركبوا المعاصى فأوحى الله إلى أرمياء أن ذكر قومك نعمى وعرفهم أحداثهم فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فألهمه فى الوقت خطبة طويلة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وإنى أحلف بعزتى لأقيضن لكم فتنة يتحير فيها الحكيم ولأسلطن عليكم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله إلى أرمياء إنى مهلك بنى إسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء ذلك صاح وبكى ومزق ثيابه ونبذ التراب على رأسه فأوحى الله إليه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسر به فأوحى الله إليه وعزتى لأهلك بنى إسرائيل حتى يكون الأمر فى ذلك من قبلك ففرح بذلك أرمياء وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى إسرائيل أبدا ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يعفو عنا فبرحمته ثم أنهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقبل الوحى ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما قصد سائرا أتى الخبر للملك فقال لأرمياء أين ما زعمت أن الله عز وجل أوحى إليك فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملكا متمثلا فى صورة رجل من بنى إسرائيل فقال له أرمياء من أنت فقال أنا رجل من بنى إسرائيل أتيتك استفتيك فى أهلى ورحمى وصلت أرحامهم ولم آت إليهم إلا حسنا ولم يزدهم إكرامى إياهم إلا سخطا فأفتنى فيهم فقال أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وأبشر بخير فانصرف الملك فمكث أياما ثم أقبل إليه فى صورة ذلك الرجل فجلس بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الذى أتيتك استفتيك فى أهلى ورحمى فقال له أرمياء إما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يا نبى الله ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحمه إلا أتيتها إليهم وأفضل قال له أرمياء ارجع فأحسن إليهم اسأل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم لك فانصرف الملك ومكث أياما ونزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد المنتشر ففزع منهم بنو إسرائيل وقال ملكهم لأرمياء أين ما وعدك ربك فقال أرمياء إنى واثق بوعد ربى ثم أقبل الملك على أرمياء وهو جالس على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه فجلس بين يديه فقال له أرمياء من أنت قال أنا الذى أتيتك مرتين استفتيك فى شأن أهلى ورحمى فقال له أرمياء ألم يأن لهم أن يفيقوا من الذى هم فيه فقال له الملك يا نبى الله كل شىء كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله عز وجل فغضبت لله وأتيتك وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق إلا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال أرمياء يا مالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح

أصلا (علق) حيوان أسود اللون بقدر الأصبع الخنصر يوجد فى المياه يستعمل فى المعالجات فإن الأطباء إذا أرادوا إخراج الدم من موضع مخصوص أخذوا هذا الحيوان فى قطعة طين وقربوه من العضو فإنه يتشبث به ويمص الدم منه وإذا أرادوا سقوطه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط فى الحال وربما يكون العلق فى الماء يشربه الحيوان يتشبث العلق بحلقه فطريقه أن يدخن بوبر الثعلب فإذا أصابها دخانه سقط فى الحال وإن دخنت البيت بالعلق هلك ما فيه من الأنحل والبق والبعوض وأمثاله وإذا ترك العلق فى قارورة حتى يموت ثم يسحق وينتف الشعر ويطلى به موضعه فإنه لا ينبت الشعر بعد ذلك أبدا (قطا) صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند فى المياه القائمة المنبثة للناردين ويوجد بأرض بابل أيضا وهو من أعجب الحيوانات له بيت صدفى يخرج منه وجلده أرق شىء وله رأس وأذن وعينان وفم فإذا دخل فى بيته يحسبه الإنسان صدفة وإذا خرج منه ينساب على الأرض ويجر بيته معه فإذا جفت المياه فى الصيف تجمع ورائحته عطرة لأن هذا الحيوان يرتعى الناردين وإذا بخر بها ينفع من الصرع وإذا أحرق

وشق ثيابه وقال يا ملك السموات والأرض اين ميعادك الذى وعدتنى فنودى أنه لم يصبهم ما اصابهم إلا بفتياك ودعائك فعلم إنها فتياه وإن ذلك السائل كان رسولا من الله إليه فطار أرمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه فى بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده كبيرهم وصغيرهم من بنى إسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد منهم أربعة أغلمة وكان من أولئك الأغلمة دانيال وحنانيا وفرقمن بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا أقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الأولى التى أنزلها الله تعالى ببنى إسرائيل بظلمهم فلما ولى بختنصر راجعا عنهم إلى بابل ومعه سبايا بنى إسرائيل أقبل أرمياء على حماره معه عصير عنب فى ركوة وسلة تين حتى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى خرابها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد فألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام وأمات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن أكل لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله تعالى ملكا من ملوك فارس يقال له نوشك إلى بيت المقدس ليعمره فانتدب فى ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونه وأهلك الله بختنصر ببعوضة دخلت فى دماغه ونجى الله من بقى من بنى إسرائيل ولم يمت أحد منهم ببابل وردهم الله إلى بيت المقدس ونواحيه وعمروه ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة سنة أحيا الله تعالى من أرمياء عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح فسمع صوتا من السماء أيها العظام البالية إن الله تعالى يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودى إن الله عز وجل يأمرك أن تكتسى لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودى إن الله عز وجل يأمرك أن تحيا فقام بإذن الله عز وجل ونهق وعمر الله تعالى أرمياء فهو الذى يرى فى الفلوات فذلك قوله تعالى فأماته الله مائة عام الآية وقوله تعالى لم يتسنه أى لم يتغير وكان التين كأنه قطف من ساعته والعصير كأنه عصر من ساعته نقله عن وهب بن منبه انتهى وسيأتى الكلام على الخضر واختلاف العلماء فى اسمه ونبوته فى لفظ الحوت من هذا الباب وقال قتادة وعكرمة والضحاك إن بختنصر لما خرب بيت المقدس وأقدم سبى بنى إسرائيل بابل كان فيهم عزير ودانيال وسبعة آلاف من أهل بيت داود عليه الصلاة والسلام فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل بدير هرقل على شط دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحدا ورأى عامة شجرها حاملا فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل الله الفاكهة فى سلة والعصير فى زق فلما رأى خراب القرية قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها قالها تعجبا لا شكا فى البعث وقال السدى أن الله تعالى أحيا عزيرا ثم قال له انظر إلى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهب بها الطير والسباع فاجتمعت وركب بعضها فى بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظم ليس فيه لحم ولا دم ثم كسيت العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه ثم أقبل ملك يمشى حتى أخذ بمنخرى الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق بإذن الله تعالى وقال قوم أراد به عظام هذا الرجل وذلك أن الله عز وجل لم يمت حماره فأحيا الله عينيه ورأسه وسائر جسده ميت ثم قال انظر إلى حمارك فنظر فإذا حماره قائم كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام وتقدير الآية وانظر إلى حمارك وانظر إلى عظامك كيف ننشرها هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما وروى عن ابن

والله الموفق (فرس الماء)

قالوا أنه كفرس البر إلا أنه أكبر عرفا وذنبا وأحسن لونا وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش وجثته دون فرس البر وفوق الحمار بقليل وربما يخرج هذا الفرس من الماء وينزل على فرس البر فيتولد منهما ولد فى غاية الحسن حكى أن الشيخ أبا القاسم ويعرف بكركان - رحمه الله - وهو من مشايخ خراسان نزل على ماء وكان معه حجرة فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض كالدراهم ونزا على الحجرة فولدت مهرا شبيها بالذكر عجيب الصورة فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المكان والحجرة والمهر معه طمعا فى مهر آخر فخرج الفحل وشم مهره ثم وثب فى الماء ووثب المهر بعده فكان الشيخ يعاود ذلك الموضع مع الحجرة فسمى أبا القاسم كركان قال عمرو بن اسعد فرس الماء بمصر يؤذن بطلوع النيل بأثر وطء فإنهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل ينتهى إلى ذلك الموضع أما خواص أجزائه فسنه نافعة لوجع البطن ذكروا أن جمعا من السودان الذين يسكنون شاطئ النيل من الحبشة يشربون الماء الكثير

عباس رضى الله عنهما انه قال لما أحيا الله عز وجل عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره وقصد بيت المقدس حتى أتى محلته فأنكره الناس وأنكروا منزله فانطلق على وهم حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها من العمر مائة وعشرون سنة كانت أمة لهم وكان عزير قد خرج عنهم وهى ابنة عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما رأيت أحدا منذ كذا وكذا سنة يذكر عزيرا قال فإنى أنا عزير قالت سبحان الله إن عزيرا فقدناه من مائة سنة لم نسمع له بذكر قال فإنى عزير كان الله قد أماتنى مائة سنة ثم بعثنى قالت فإن عزيرا كان مجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله تعالى أن يرد على بصرى حتى أراك فإن كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه سبحانه وتعالى ومسح بيده على عينيها فأبصرت ثم أخذ بيدها وقال قومى بإذن الله تعالى فأطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت إليه وقالت أشهد أنك عزير فانطلقت إلى بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم ومجالسهم وفيهم ابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فى المجلس فنادت هذا عزير قد أتاكم الله به فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا الله عزيز ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى وزعم أن الله سبحانه كان أماته مائة سنة ثم بعثه قال فأقبل الناس إليه فقال ابنه كان لأبى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فإذا هو كما قال انتهى وقال السدى والكلبى لما رجع إلى قريته وقد أحرق بختنصر التوراة ولم يكن عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فأتاه ملك بإناء من الله تعالى فيه ماء فشرب منه فمثلت التوراة فى صدره فرجع إلى بنى إسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال أنا عزير فلم يصدقوه فقال إنى عزير بعثنى الله تعالى إليكم لأجدد لكم توراتكم قالوا فأملها علينا فأملاها عليهم عن ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة فى قلب رجل بعد ما ذهبت إلا أنه ابنه فقالوا عزير ابن الله تعالى الله وتقدس عن الصاحبة والولد وكان الله قد أمات عزيرا وهو ابن أربعين سنة وبعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وكان أولاده وأولاد أولاده شيوخا وعجائز وهو شاب أسود الرأس واللحية فسبحان من هو على كل شىء قدير ﴿فائدة أخرى﴾ ذكر ابن خلكان وغيره من المؤرخين أن قيصر ملك الروم كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الحمر ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد والزبرجد الأخضر ثم تحمر فتكون مثل الياقوت الأحمر ثم تينع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج ثم تيبس فتكون عصمة المقيم وزاد المسافر فإن تكن رسلى صدقتنى فما أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك قد صدقتك هذه الشجرة عندنا وهى الشجرة التى أنبتها الله تعالى على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين وذال الزمرذ معجمة ودال الزبرجد مهملة وقيصر كلمة أفرنجية معناها شق عنه وسببه على ما قاله المؤرخون أن أم قيصر ماتت فى المخاض فشق بطنها وأخرج فسمى قيصر وكان يفخر بذلك على الملوك ويقول أنه لم يخرج من الرحم واسمه أغسطس وفى زمن ملكه ولد المسيح عليه الصلاة والسلام ثم وضع هذا اللقب لكل من ملك الروم كما لقبوا ملك الترك خاقان وملك فارس كسرى وملك الشام هرقل وملك القبط فرعون وملك اليمن تبعا وملك الحبشة النجاشى وملك فرغانة الأخشيد وملك مصر فى الإسلام سلطانا قال ابن خلكان وهنا نكتة يسئل عنها وهى أن الروم يقال لهم بنو الأصفر فما السبب فى تسميتهم بذلك فيقال إن ملك الروم كان قد احترق فى الزمن الأول فبقيت منه امرأة فتنافسوا فى الملك حتى وقع بينهم ثم اصطلحوا

ويخلط بشحمه ويضمد به السرطان يردعه ويزيل أثره فى الحال خصيته تجفف وتسحق وتشرب لنهش الهوام جلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شىء من الآفات ويحرق ويجعل على الورم يسكن (قاطوس) سمكة عظيمة تكسر السفينة والملاحون يعرفونها يتخذون خرق الحيض ويعلقونها على السفينة فإنها تهرب عنهم (قطا) سمكة عظيمة ذكروا أن عظم ضلعه يتخذ قنطرة يعبر الناس عليها شحمه إذا طلى به البرص يزول بإذن الله (قندر) برى وبحرى يكون فى الأنهار العظام فى بلاد يسودون ويتخذ من البر بيتا إلى جانب النهر ويجعل لنفسه فيه مكانا عاليا كالصفة ولزوجته دون الذى له بدرجة وعن شماله لأولاده وفى أسفل البيت لعبيده ولمسكنه بابان باب إلى البر وباب إلى البحر فإن جاءه العدو من جهة الماء أو طغى الماء خرج إلى البر وإن جاءه من جهة البر خرج إلى الماء يأكل لحم السمك وخشب الخليج والتجار فى تلك البلاد يعرفون جلد الخادم والمخدوم لأن الخادم يجذب خشب الخليج فتسقط طاقات جلده أما خواص أجزائه فخصيته تسمى الجند بيدستر تنفع من ريح أم الصبيان إذا سقى منه

على أن يملكوا أول من يشرف عليهم فجلسوا مجلسا لذلك فأقبل رجل من اليمن ومعه عبد له حبشى يريد الروم فأبق العبد منه فأشرف عليهم فقالوا انظروا فى أى شىء وقعتم فزوجوه تلك المرأة وملكوه عليهم فولدت منه غلاما فسموه الأصفر لصفرة لونه لكونه تولد بين الحبشى والمرأة البيضاء ونسب الروم إليه ثم إن سيد العبد خاصمهم فيه فقال العبد صدق أنا عبده فارضوه فأعطوه حتى أرضوه وبقى هذا النسب على الروم وفى كتاب النصائح لابن ظفر أنه لما اشتد مرض الرشيد بطوس أحضر طبيبا طوسيا فارسيا وأمر أن يعرض عليه ماءه هو مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال قولوا لصاحب هذا الماء يوصى فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته فأقيم وأمر بالذهاب ويئس الرشيد من نفسه وتمثل قائلا :

إن الطبيب بطبه ودوائه * لايستطيع دفاع نحب قد أتى

ماللطبيب يموت بالداء الذى * قد كان يبرئ مثله فيما مضى

وبلغه أن الناس قد أرجفوا بموته فاستدعى بحمار وأمر فحمل عليه فاسترخت فخذاه فقال انزلونى صدق المرجفون ثم استدعى بأكفان فتخير منها ما أعجبه وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه فتوفى فى يومه رحمه الله تعالى وفى تاريخ ابن خلكان أن بعض أصحاب الحلاج ادعى أنه رآه يوم قتله وهو راكب على حمار فى طريق النهروان وأنه قال لهم لعلكم تظنون أنى المضروب والمقتول وكان سبب قتله أنه جرى منه كلام فى مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر بالله فأفتى القضاة والعلماء بإباحة دمه فرسم المقتدر بتسليمه إلى محمد بن عبد الصمد صاحب الشرطة فتسلمه بعد العشاء خوفا من العامة أن تنزعه من يده ثم أخرجه يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلثمائة عند باب الطاق واجتمع عليه خلق كثير وأمر به فضربه الجلاد ألف سوط فما استعفى ولا تأوه ثم قطع أطرافه الأربعة وهو ساكن لا يضطرب ثم حز رأسه وأحرقت جثته وألقى رمادها فى دجلة ونصب الرأس ببغداد ثم حمل وطيف به فى النواحى والبلاد وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوما واتفق أن زادت دجلة تلك السنة زيادة وافرة فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها وادعى بعض أصحابه أنه لم يقتل وإنما ألقى شبهه عند قتله على عدو له ولما أخرج ليقتل أنشد قائلا :

طلبت المستقر بكل أرض * فلم أر لى بأرض مستقرا

أطلعت مطامعى فاستعبدتنى * ولو أنى قنعت لكنت حرا

ويحكى أن الحلاج أنشد عند قتله :

لم أسلم النفس للأسقام تتلفها * إلا لعلمى بأن الموت يشفيها * ونظرة منك ياسؤلى ويا أملى

أشهى إلى من الدنيا ومافيها * نفس المحب على الآلام صابرة * لعل متلفها يوما يداويها

وكان الحلاج قد صحب الجنيد ووقع بينه وبين الشبلى وغيره من مشايخ الصوفية رحمة الله تعالى عليهم أجمعين انتهى وذكر الشيخ الإمام عز الدين بن عبد السلام المقدسى فى مفاتيح الكنوز أنه لما أتى به ليصلب ورأى الخشب والمسامير ضحك ضحكا كثيرا ثم نظر فى الجماعة فرأى الشبلى فقال يا أبا بكر أمامعك سجاد فقال بلى قال افرشها لى ففرشها فتقدم وصلى ركعتين فقرأ فى الأولى فاتحة الكتاب وبعدها ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع الآية ثم قرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وبعدها كل نفس ذائقة الموت الآية ثم ذكر كلاما مطولا ثم تقدم أبو الحرث الغليظة كلها قال الشيخ الرئيس أنه ينفع من القروح القتالة والرعشية والتشنج والكزاز والخدر والفالج وينفع من النسيان ويخرج المشيمة والجنين وهو نافع من لسع الهوام (قنفذ الماء) هو حيوان مقدمه يشبه القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك لحمه طيب الطعم يدر البول جلده ينفع الجرب إذا طلى به زعموا أنه إذا أخذ طائر اسفيدرون وشد عليه من جلد هذا السمك فإن الهوام تموت من صوته والسباع تهرب (قوقى) صنف من السمك عجيب جدا على رأسه شوكة قوية يضرب بها حكى الملاحون أن هذه السمكة إذا جاعت رمت نفسها إلى شىء من الحيوان ليبلعها ثم إنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه وربما تخرج من شق بطنه وتتغذى به هو وغيره وإذا قصدها قاصد فى الماء تضربه بالشوكة تهلكه ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتفتحها وتغرق أهلها وتأكل منها والملاحون لما عرفو ذلك ألبسوا السفينة جلد ذلك السمك الذى تقدم ذكره فإن شوكتها لا تعبر عليه (كلب الماء) حيوان مشهور يداه قصيرتان ورجلاه أطول منها ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه

السياف ولطمه لطمة هشم وجهه وأنفه فصاح الشبلي ومزق ثيابه وغشي على أبي الحسن الواسطي وعلى جماعة من المشايخ المشهورين وكان الحلاج يقول اعلموا أن الله قد أباح لكم دمي فاقتلوني ليس للمسلمين اليوم شغل أهم من قتلي وقال إن قتلي قيام بالحدود ووقوف مع الشريعة ومن تجاوز الحدود أقيمت عليه الحدود ﴿قلت﴾ وقد اضطرب الناس في أمره اضطرابا كبيرا متباينا فمنهم من يعظمه ومنهم من يكفره وقد ذكر الإمام قطب الوجود حجة الإسلام في كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار فصلا مطولا في أمره واعتذر عن إطلاقاته كقوله أنا الحق وما في الجبة إلا الله وحملها كلها على محامل حسنة وقال هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وهو مثل قول القائل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فإذا أبصرته أبصرتنا

وحسبك هذا مدحة وتزكية وكان ابن شريح إذا سئل عنه يقول هذا رجل قد خفي على حاله وما أقول فيه وهذا شبيه بكلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وقد سئل عن علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما فقال دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر من الخوض فيهم ألسنتنا وهكذا ينبغي لمن يخاف الله أن لا يكفر أحدا من أهل القبلة بكلام يصدر عنه يحتمل التأويل على الحق والباطل فإن الإخراج من الإسلام عظيم ولا يسارع به إلا جاهل * ويحكى عن شيخ العارفين قطب الزمان عبد القادر الكيلاني قدس الله سره أنه قال عثر الحلاج ولم يكن له من يأخذ بيده ولو أدركت زمانه لأخذت بيده وهذا وما سبق عن الإمام الغزالي في أمره كاف لمن له أدنى فهم وبصيرة وسمي الحلاج لأنه جلس يوما على حانوت حلاج واستقضاه حاجة فقال له الحلاج أنا مشتغل بالحلج فقال له امض في حاجتي حتى أحلج عنك فمضى الحلاج في حاجته فلما عاد وجد قطنه كله محلوجا وكان لا يحلجه عشرة رجال في أيام متعددة فمن ثم قيل له الحلاج وقيل إنه كان يتكلم على الأسرار ويخبر عنها فسمي حلاج الأسرار وكان من أهل البيضاء بليدة بفارس واسمه الحسين بن منصور والله أعلم وذكر ابن خلكان وغيره أن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ولى محمد بن أبي بكر الصديق مصر فدخلها سنة سبع وثلاثين وأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم في آخره كذا ضبطه ابن السمعاني في الأنساب وابن عبد البر وابن قتيبة وغيرهم وقع في كثير من نسخ تاريخ ابن خلكان معاوية بن خديج بخاء معجمة ودال مكسورة وآخره جيم وهو غلط والصواب ما تقدم وأصحابه أي أصحاب معاوية بن حديج فاقتتلوا فانهزم محمد بن أبي بكر واختبأ في بيت مجنونة فمر أصحاب معاوية بن حديج بالمجنونة وهي قاعدة على الطريق وكان لها أخ في الحبس فقالت أتريد قتل أخي قال لا ما أقتله قالت فهذا محمد بن أبي بكر داخل بيتي فأمر معاوية أصحابه فدخلوا إليه وربطوه بالحبال وجروه على الأرض وأنوا به معاوية فقال له محمد احفظني لأبي بكر فقال له قتلت من قومي في قضية عثمان ثمانين رجلا وأتركك وأنت صاحبه لا والله فقتله في صفر سنة ثمان وثلاثين وأمر معاوية أن يجر في الطريق ويمر به على دار عمرو بن العاص لما يعلم من كراهته لقتله وأمر به أن يحرق بالنار في جيفة حمار وقال غيره بل وضعه حيا في جيفة حمار وأحرقه بالنار وكان سبب ذلك دعوة أخته عائشة عليه لما أدخل يده في هودجها يوم وقعة الجمل وهي لا تعرفه فظنته أجنبيا فقالت من هذا الذي يتعرض لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرقه الله بالنار فقال يا أختاه قولي بنار الدنيا فقالت بنار الدنيا وقد تقدم هذا في باب الجيم في الكلام على لفظ الجمل ودفن في الموضع الذي قتل فيه فلما كان بعد

التمساح طينا ثم يدخل جوفه ويقطع أحشاءه ويأكلها ثم يمزق ويخرج منه ولذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن من غائلة التمساح وذكر بعضهم أن جند بيدستر خصيته هذا الحيوان وأن الذكر لا يصلح جلده للفراء وإنما الأنثى جلدها جيد والذكر لا يصلح إلا خصيته والصيادون إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه فإن وقع في الشبكة مرة أخرى يرفع للصياد رجليه ليعلم أن خصيتيه قد نزعتا ليخلصه من الشبكة أما خواص أجزائه فإن دماغه ينقع من ظلمة العين اكتحالا ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل وقال ابن سينا خصيته تنفع من نهش الهوام مجرب لريح أم الصبيان إذا سقي قدر حبة الجلبان وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يزول عنه بإذن الله تعالى والله الموفق

(كوسج) صنف من السمك معروف طوله مقدار ذراع لها أسنان كأسنان الناس يضرب بها الحيوان يقطعه وأكثرها بقرب البصرة قال الجاحظ في جوف الكوسج شحمة طيبة يسمونها الكبد فان اصطادوا هذه السمكة ليلا وجدوا هذه الشحمة وافرة وإن اصطادوها نهارا لم يجدوا تلك الشحمة وقد مر ذكر كوسج في بحر فارس فلا نعيده (النظر الخامس في كرة الأرض) الأرض جسم بسيط طباعه

سنة من دفنه أتى غلامه وحفر قبره فلم يجد فيه سوى الرأس فأخرجه ودفنه فى المسجد تحت المنارة ويقال إن الرأس فى القبلة قال وكانت عائشة رضى الله عنها قد أنفذت أخاها عبد الرحمن إلى عمرو بن العاص فى شأن محمد فاعتذر بأن الأمر لمعاوية بن حديج ولما قتل ووصل خبره إلى المدينة مع مولاه سالم ومعه قميصه ودخل به داره اجتمع رجال ونساء فأمرت أم حبيبة بنت أبى سفيان زوج النبى ﷺ بكبش فشوى وبعثت به إلى عائشة وقالت هكذا قد شوى أخوك فلم تأكل عائشة بعد ذلك شواء حتى ماتت وقالت هند بنت شمر الحضرمية رأيت نائلة امرأة عثمان بن عفان تقبل رجل معاوية بن حديج وتقول بك أدركت ثارى ولما سمعت أمه أسماء بنت عميس بقتله كظمت الغيظ حتى شخبت ثدياها دما ووجد عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه وجدا عظيما وقال كان لى ربيبا وكنت أعده ولدا ولبنى أخا وذلك لأن عليا كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة الصديق ورباه كما تقدم وذكر الإمام العلامة أقضى القضاة الماوردى وغيره أن سفيان بن سعيد الثورى أكل ليلة زائدا على عادته فقال إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله ثم قام حتى أصبح قال وكان فقيا يجالس الثورى ولا يتكلم فأحب أن يعرف نطقه فقال يا فتى إن من كان قبلنا مروا على خيول سابقة وبقينا بعدهم على حمر دبرة فقال الفتى يا أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم وقال سفيان بن عيينة دعانا سفيان الثورى ليلة فقدم لنا تمرا ولبنا خاثرا فلما توسط الأكل قال قوموا فلنصل ركعتين شكرا لله تعالى فقال ابن وكيع وكان حاضر الوقدم لنا شيئا من اللوزينج لقال قوموا فلنصل التراويح فتبسم سفيان وقال سفيان الثورى ما استودعت قلبى شيئا قط فخاننى وقال له رجل أوصنى فقال اعمل للدنيا بقدر مقامك فيها والسلام وقال له رجل إنى أريد الحج فقال لا تصحب من يتكرم عليك فإنك إن ساويته فى النفقة أضر بك وإن تفضل عليك استذلك ودخل الثورى على المهدى فسلم عليه تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال يا سفيان تفرمناهها هنا وههنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك وقد قدرنا عليك الآن أما تخشى أن نحكم فيك الآن بهوانا فقال سفيان إن تحكم فى بحكم الآن يحكم فيك ملك عادل قادر يفرق بين الحق والباطل فقال الربيع يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ائذن لى أن أضرب عنقه فقال له المهدى اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بهم ويسعدوا بنا اكتبوا عهده على قضاء الكوفة بحيث أن لا يعترض عليه فى حكم فكتب عهده ودفع إليه فأخذه وخرج ورمى به فى دجلة وهرب فطلب فى كل بلد فلم يوجد وتوفى بالبصرة متواريا سنة إحدى وستين ومائة رحمه الله تعالى وهو أحد الأئمة المجتهدين أجمع الناس على دينه وورعه وثقته ويروى أن أبا القاسم الجنيد رحمه الله كان يفتى على مذهبه وهو غلط والصواب أن الجنيد كان شافعيا وقد عده شيخ الإسلام تقى الدين السبكى فى الأصحاب وكذلك عده غيره وكان سفيان الثورى كوفيا فإنه سئل عن عثمان وعن على رضى الله تعالى عنهما أيهما أفضل فقال أهل البصرة يقولون بتفضيل عثمان وأهل الكوفة يقولون بتفضيل على فقيل له فما تقول أنت قال أنا رجل كوفى يعنى إنه يقول بتفضيل على وفى كتاب ابتلاء الأخيار أن عيسى عليه الصلاة والسلام لقى إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال فسأله عن الأحمال فقال تجارة أطلب لها مشترين قال وما هى التجارة قال أحدها الجور قال ومن يشتريه قال السلاطين والثانى الكبر قال ومن يشتريه قال الدهاقين والثالث الحسد قال ومن يشتريه قال العلماء والرابع الخيانة قال ومن يشتريها قال عمال التجار والخامس الكيد قال ومن يشتريه قال النساء (ومما يحكى) من كيد النساء ومكرهن ما روى فى بعض التفاسير عن جعفر الصادق بن محمد الباقر أنه قال كان فى بنى إسرائيل رجل وكان له

أن يكون باردا يابسا متحركا إلى الوسط زعموا أن شكل الأرض كرة والقدر الخارج من الماء جذبته لأن القوم اعتبروا خسوفا واحدا فوجدوه فى البلاد الشرقية والغربية مختلف الأوقات فلو كان طلوع القمر وغروبه فى وقت واحد بالنسبة إلى الأماكن لما اختلف وإنما خلقت باردة يابسة للغلظ والتمسك إذ لولا ذلك لما أمكن قرار الحيوان على ظهرها وجذوب المعادن والنبات فى بطنها وهى مركز الأفلاك واقفة فى الوسط بإذن الله تعالى والماء محيط بها إلا القدر البارز الذى جعله الله تعالى مقرا للحيوان وبعد الأرض من السماء من جميع جهاتها متساوية ليس شىء من ظاهر سطح الأرض أسفل كما توهم كثير من الناس ممن ليس له دراية بالهيئة والهندسة ثم إن الإنسان فى أى موضع وقف على سطح الأرض فرأسه أبدا مما يلى السماء ورجله أبدا مما يلى الأرض وهو يرى من السماء ونصفها وإذا انتقل إلى موضع آخر ظهر له من السماء بقدر ما خفى من الجانب الآخر لكل تسعة وعشرين فرسخا درجة والبحر المحيط الأعظم أحاط بأكثر وجه الأرض والمكشوف منها قليل على مثال بيضة غائصة فى الماء وانكشف بعضها وعلى

قدر شبرا إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان ولا يعلم تفصيلها إلا الله وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين

﴿فصل فى اختلاف آراء القدماء﴾ القدماء فى هيئة الأرض قال بعضهم إنها مبسوطة التسطيح فى أربع جهات المشرق والمغرب والجنوب والشمال وقال بعضهم هى كشكل الترس ومنهم من زعم أنها كهيئة الطبل وذهب آخرون إلى أنها كنصف الكرة والذى يعتمد عليه جماهيرهم أن الأرض مدورة كالكرة موضوعة من جوف الفلك كالمحة فى جوف البيضة وأنها فى الوسط على مقدار واحد من جميع الجوانب ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال الأرض متحركة دائما على الاستدارة والذى نرى من دوران الفلك إنما هو من دور الأرض لا دور الكواكب وقال بعضهم إنها واقفة فى الوسط على مقدار واحد من كل جانب والفلك بها من كل وجه فلذلك لا تميل إلى ناحية من الفلك دون ناحية لأن قوة الأجزاء متكافئة مثال ذلك (حجر المغناطيس الذى يجذب

مع الله معاملة حسنة وكان له زوجة وكان ضنينا بها وكانت من اجمل اهل زمانها مفرط فى الجمال والحسن وكان يقفل عليها الباب فنظرت يوما شابا فهويته وهويها فعمل له مفتاحا على باب دارها وكان يدخل ويخرج ليلا ونهارا متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك فبقيا على ذلك زمانا طويلا فقال لها زوجها يوما وكان أعبد بنى إسرائيل وأزهدهم إنك قد تغيرت على ولم أعلم ما سببه وقد توسوس قلبى وقد كان أخذها بكرا ثم قال لها وأشتهى منك أن تحلفى لى أنك لم تعرفى رجلا غيرى وكان لبنى إسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده وكان الجبل خارج المدينة وكان عنده نهر يجرى وكان لا يحلف أحد عنده كاذبا إلا هلك فقالت له ويطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل قال نعم قالت متى شئت فعلت فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها وأنها تريد أن تحلف له عند الجبل وقالت ما يمكننى أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجى ما أحلف فهبت الشاب وتحير وقال فما تصنعين فقالت له بكر غدا وألبس ثوب مكار وخذ حمارا واجلس على باب المدينة فإذا خرجنا فأنا آمره يكترى منك الحمار فإذا اكتراه منك بادر واحملنى وارفعنى فوق الحمار حتى أحلف له وأنا صادقة أنه ما مسنى أحد غيرك وغير هذا المكارى فقال حبا وكرامة فلما جاء زوجها قال لها قومى بنا إلى الجبل لتحلفى به فقالت مالى طاقة بالمشى فقال اخرجى فإن وجدت مكاريا اكتريت لك فقامت ولم تلبس لباسها فلما خرج العابد وزوجته رأت الشاب ينتظرها فصاحت به يا مكارى أتكرى حمارك إلى الجبل بنصف درهم قال نعم ثم تقدم ورفعها على الحمار فساروا حتى وصلوا إلى الجبل فقالت للشاب أنزلنى عن الحمار حتى أصعد على الجبل فلما تقدم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال والله مالى ذنب ثم مدت يدها إلى الجبل فأمسكته وحلفت له أنه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إلى مذعرفتك غيرك وغير هذا المكارى فاضطرب الجبل اضطرابا شديدا وزال عن مكانه وأنكرت بنو إسرائيل ذلك فذلك قوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال ويقرب من هذا ما روى عن وهب بن منبه أنه كان فى زمن بنى إسرائيل فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام رجل اسمه شمشون وكان من أهل قرية من قرى الروم وكان قد هداه الله لرشده وصار من الحواريين وكان أهله أصحاب أوثان يعبدونها وكان منزلته من القرية على أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله حق جهاده فيقتل ويسبى ويصيب المال وكان ربما قهرهم بغير زاد فإذا قاتلهم وعطش انفجر له من الحجر الذى فى القرية ماء فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطى قوة فى البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره وكانوا لا يقدرون منه على شىء فتآمروا فيه فقال بعضهم لبعض إنكم لن تقدروا على أذاه إلا من قبل زوجته فدخلوا عليها وجعلوا لها جعلا إن أوثقته فقالت نعم أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها إذا نام فأوثقى يديه إلى عنقه ثم ذهبوا فجاء شمشون ونام فقامت إليه فأوثقته كتافا وجعلت يديه إلى عنقه فلما هب من نومه جذب يديه فوقع الحبل من عنقه فقال لها لم فعلت هذا قالت لأجرب قوتك ما رأيت مثلك قط ثم أرسلت إليهم أنى قد ربطته بالحبل فلم يغن شيئا فأرسلوا إليها بجامعة من حديد وقالوا لها إذا نام فاجعليها فى عنقه فلما نام جعلتها فى عنقه فلما هب من نومه جذبها فتقطعت فقال لها لم فعلت هذا قالت لأجرب قوتك ما رأيت مثلك فى الدنيا يا شمشون أما فى الأرض شىء يغلبك قال الله عز وجل يغلبنى ثم شىء واحد قالت ما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تخدعه وتمكر به وتتلطف له فى السؤال وكان ذا شعر كثير جدا فقال ويحك إن أمى كانت جعلتنى نذيرا فلا يغلبنى شىء أبدا ولا يوثقنى إلا شعرى فتركته حتى نام ثم قامت إليه فأوثقت يديه إلى عنقه بشعره فأوثقه ذلك وبعثت إلى القوم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهرانى المدينة وكانت المدينة ذات

أساطين وأشرف الملك لينظر ماذا يفعل به فدعا الله شمشون حين مثلوا به وأوقفوه أن يسلطه عليهم فرد الله عليه بصره وما أصابوا من جسده وأمره أن يأخذ بعمود من عمد المدينة الذى عليه الملك والناس ففعل فوقعت المدينة وهلك من فيها وأرسل الله على زوجته صاعقة فأحرقتها ونجى الله تعالى شمشون بمنه وفضله انتهى وحكاياتهن فى المكر والكيد لا تحصى وحسبك أن الله تعالى استضعف كيد الشيطان فقال إن كيد الشيطان كان ضعيفا واستعظم كيد النساء فقال إن كيدكن عظيم * وفى كتاب نزهة الأبصار فى أخبار ملوك الأمصار وهو كتاب عظيم المقدار ولا أعلم مصنفه أن بعض الملوك مر بغلام وهو يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه فى السوق فقال ياغلام ارفق به فقال الغلام أيها الملك فى الرفق به مضرة عليه قال وكيف ذلك قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفى العنف به إحسان إليه قال وكيف ذلك قال يخف حمله ويطول أكله فأعجب الملك بكلامه وقال قد أمرت لك بألف درهم فقال رزق مقدور وواهب مشكور قال الملك وقد أمرت بإثبات اسمك فى حشمى قال كفيت مؤنة ورزقت معونة فقال له الملك عظنى فإنى أراك حكيما فقال أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب وإذا هنأتك العافية فحدث نفسك بالبلاء وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها فى الإساءة نصيبا فأعجب الملك بكلامه وقال لولا أنك حديث السن لاستوزرتك فقال لن يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا رأى صائب وفهم ثاقب ومشورة تقع موقع التوقيع * وفى هذا الكتاب دعابات فمنها أن الرشيد خرج إلى الصيد فانفرد عن عسكره والفضل بن الربيع خلفه فإذا هو بشيخ كبير راكب على حمار فنظر إليه فإذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد قال حائطا لى قال هل لك أن أدلك على شىء تداوى به عينيك فتذهب تلك الرطوبة فقال ما أحوجنى إلى ذلك فقال له خذ عيدان الهواء وغبار الماء وورق الكمأة فصره فى قشرة جوزة واكتحل فإنه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة ثم قال هذه أجرة لوصفك وإن نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد يسقط عن دابته * ومنها أنه حضر خياط لبعض الأمراء ليفصل له قباء فأخذ يفصل والأمير ينظر إليه فلم يتهيأ له أن يسرق شيئا فضرط فضحك الأمير حتى استلقى فأخرج الخياط من القباء ما أراد فجلس الأمير وقال ياخياط ضرطة أخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء * وفى كتاب بشوان المحاضرة قال ذو النون بن موسى كنت غلاما والمعتضد إذ ذاك بكور الأهواز فخرجت يوما من قرية يقال لها سانطف أريد عسكر مكرم معى حماران واحد راكبه والآخر عليه حمل من البطيخ فمررت بعسكر المعتضد وأنا لا أعلم من هو فأسرع إلى جماعة منهم فأخذ واحد منهم من الحمل ثلاث بطيخات أو أربعة فخفت أن ينقص على عدده فأتيتهم به فبكيت وصحت والحمار يسير على المحجة والعسكر مجتاز على وإذا بكبكبة عظيمة يقدمها رجل منفرد فوقف وقال مالك يا غلام تبكى وتصيح فعرفته الخبر فوقف ثم التفت إلى القوم وقال إيه على بالرجل الساعة قال فجىء به فى أسرع من طبق البصر حتى كأنه كان وراء ظهره فقال هو هذا ياغلام قلت نعم فأمر به فضرب بالمقارع وهو واقف وأنا راكب على حمارى والعسكر واقف وجعل يقول له وهو يضرب يا كلب أما كان معك ثمن هذا البطيخ أما قدرت أن تمنع نفسك منه أهو مالك أو مال أبيك أليس صاحبه أتعب نفسه وأجهدها فى زرعه وسقيه وأداء خراجه والمقارع تأخذه حتى ضرب مائة مقرعة ثم أمر لى بأربعة دنانير وسار وأخذ الجيش يشتمونى ويقولون ضرب القائد الفلانى بسبب هذا مائة مقرعة فسألت بعضهم فقال

إنها مدورة واقفة فى الوسط وسببه دوران الفلك وسرعة حركته ودفعه إياها من كل جهة إلى الوسط كما أنه لو جعل تراب أو حجر فى قارورة مدورة وأديرت فى الخرط بقوة قام التراب أو الحجر فى الوسط والله الموفق

﴿فصل﴾ فى مقدار جرم الأرض ومعمورها وخرابها قال أبو الريحان طول قطر الأرض بالفراسخ ألف ومائة وثلاثة وستون فرسخا وثلثا فرسخ ودورها بالفراسخ ستة آلاف وثمانمائة فرسخ فعلى هذا يكون مساحة سطحها الخارج أربعة عشر ألف وسبعمائة وأربعة وأربعين ألفا ومائتين واثنين وأربعين فرسخا وخمسى فرسخ وقال المهندسون لو حفر فى الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر ولو نقب بأرض فرسخ مثلا لنفذ بأرض الصين واحتجوا على هذا ببراهين هندسية واعتبرت مساحة الأرض فى زمن أمير المؤمنين المأمون بارتفاع قطب معدل النهار فكان نصيب كل درجة فلكية ستة وخمسين ميلا وثلثى ميل

﴿فصل﴾ فى أرباع الأرض وعماراتها قال أبو الريحان

سطح معدل النهار يقطع الأرض بنصفين على دائرة تسمى خط الاستواء فيسمى أحد نصفيها شماليا والآخر جنوبيا وإذا توهمت دائرة عظيمة على الأرض مارة على قطب خط الاستواء قسمت كل واحد من نصفى الأرض بنصفين فانقسم جملتها أرباعا جنوبيان وشماليان فالربع الشمالى المسكون يسمى ربعا معمورا وهذا الربع يشتمل على ما يعرف ويسلك من البحار والجزائر والجبال والأنهار والمفاوز والبلدان والقرى إلا أنه بقى منه قطعة غير معمورة من إفراط البرد وتراكم الثلوج وقال غيره معدل النهار يقطع الأرض بنصفين كل نصف بربعين شماليين وجنوبيين فالشماليان هما المعمورة وهو من العراق إلى الجزيرة والشام ومصر والروم وفرنجة ورومية والسوس إلى جزائر السعادات فهذا الربع غربى شمالى ومن العراق إلى الأهواز والشمال وخراسان وتنبت إلى الصين إلى وافرها فهذا الربع شرقى وشمالى وكذلك النصف الجنوبى ربعان شرقى جنوبى فيه بلاد الزنج والحبشة والنوبة وربع غربى جنوبى لم يطأه أحد ألبتة وهو متاخم للسودان الذين يتاخمون البربر وحكى أن بطليموس الملك اليونانى

هذا أمير المؤمنين المعتضد * وفى كتاب الأذكياء لابن الجوزى عن الجاحظ أنه قال: قال ثمامة بن أشرس دخلت على صديق لى أعوده وتركت حمارى على الباب ولم يكن معى غلام يحفظه فلما خرجت إذا فوقه صبى يحفظه فقلت أركبت حمارى بغير إذنى فقال خفت أن يذهب فحفظته لك قلت لو ذهب لكان أعجب إلى من بقائه فقال إن كان هذا رأيك فى الحمار فقدر أنه ذهب وهبه لى وارتح شكرى فلم أدر ما أقول وأحسن من هذا الذكاء ما رواه ابن الجوزى أيضا قال ركب المعتصم إلى خاقان يعوده والفتح ابن خاقان صبى يومئذ فقال له المعتصم أيهما أحسن دار أمير المؤمنين أم دار أبيك قال إذا كان أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبى أحسن فأراه المعتصم فصا فى يده وقال يا فتح هل رأيت أحسن من هذا الفص قال نعم اليد التى هو فيها ويقرب من هذا وهو من الجواب المسكت ما ذكره الإمام ابن الجوزى قال دخل شاب على المنصور فسأله عن وفاة أبيه فقال مات رحمه الله يوم كذا وكذا وكان مرضه رحمه الله يوم كذا خلف رحمه الله كذا فانتهره الربيع وقال أما تستحيى بين يدى أمير المؤمنين تقول هذا فقال الشاب لا ألومك على انتهارى لأنك لم تعرف حلاوة الآباء وكان الربيع لفيطا فما أعلم المنصور ضحك كضحكه يومئذ انتهى * وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الحاكم العبيدى أن الحاكم بأمر الله كان له حمار أشهب يدعى بقمر يركبه وكان يحب الانفراد والركوب وحده فخرج راكبا حماره ليلة الاثنين سابع عشر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر وطاف ليلته كلها وأصبح متوجها إلى شرقى حلوان ومعه راكبان فأعاد أحدهما ثم أعاد الآخر وبقى الناس يخرجون يلتمسون رجوعه ومعهم دواب الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ثم خرج ثانى القعدة جماعة من الموالى والأتراك فأمعنوا فى طلبه وفى الدخول فى الجبل فرأوا حماره الأشهب الذى كان راكبا عليه وهو على قرنة الجبل وقد ضربت يداه ورجلاه بسيف وعليه سرجه ولجامه فتبعوا الأثر فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه فقصوا الأثر إلى البركة التى فى شرقى حلوان فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب ووجدت مزرورة لم تحل أزرارها وفيها آثار السكاكين فحملت إلى القصر ولم يشكوا فى قتله غير أن جماعة من المغاليين فى حبهم له السخيفى العقل يدعون حياته وأنه سيظهر ويحلفون بغيبة الحاكم ويقال إن أخته دست عليه من قتله وكان الحاكم جوادا بالمال سفاكا للدماء وكانت سيرته عجبا يخترع كل يوم حكما يحمل الناس عليه فمن ذلك أنه أمر الناس سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى حيطان المساجد والقياسر والشوارع وكتب إلى سائر الديار المصرية يأمرهم بالسب ثم أمر بقطع ذلك سنة سبع وتسعين وأمر بضرب من يسب الصحابة وتأديبه وأمر بقتل الكلاب فلم يركب فى الأسواق والأزقة إلا قتل ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا ثم نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره وجمع جملة كثيرة وأحرقت وأنفقوا على إحراقها خمسمائة دينار ثم نهى عن بيع العنب أصلا وألزم اليهود والنصارى أن يتميزوا فى لباسهم عن المسلمين فى الحمامات وخارجها ثم أفرد حماما لليهود وحماما للنصارى وألزمهم أن لا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة وأن تكون ركبهم من الخشب وأن لا يستخدموا أحدا من المسلمين ولا يركبوا حمار المكارى المسلم ولا سفينة نواتيها مسلمون وأمر بهدم القيامة فى سنة ثمانى وأربعمائة وجميع الكنائس بالديار المصرية ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأحباس لجماعة من المسلمين وأمر أن لا يتكلم أحد فى صناعة النجوم وأن ينفى المنجمون من البلاد وكذلك أصحاب الغناء ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف للنساء ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر مدة سبع سنين ثم أمر ببناء ما كان هدم من الكنائس ورد ما كان قد أخذ من أحباسها وحلوان

مدينة كثيرة البنزه فوق مصر بخمسة أميال كان يسكنها عبد العزيز بن مروان وبها توفي وبها ولد ولده عمر بن عبد العزيز انتهى ﴿قلت﴾ وفي قوله ليلة الاثنين سابع عشر وقوله إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور نظر ظاهر والله أعلم وفي رسالة القشيري في باب كرامات الأولياء سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الحسين بن أحمد الرازي يقول سمعت أبا سليمان الخواص يقول كنت راكبا حمارا يوما وكان الذباب يؤذيه فيطأطئ رأسه وكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي فرفع الحمار رأسه إليّ فقال اضرب فإنك هكذا على رأسك تضرب قال الحسين فقلت لأبي سليمان لك وقع هذا قال نعم كما تسمعني ﴿تذنيب﴾ روى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبون الحمر ويلبسون الصوف ويحلبون الشاة وكان للنبي ﷺ حمار اسمه عفير يعني بضم العين المهملة وضبطه القاضي عياض بالغين المعجمة وقد اتفقوا على تغليظه أهداه له المقوقس وكان فروة بن عمرو الجذامي أهدى له حمارا يقال له يعفور مأخوذ ان من العفرة وهو لون التراب فنفق يعفور في منصرف النبي ﷺ من حجة الوداع وذكر السهيلي أن يعفورا طرح نفسه في بئر يوم موت النبي ﷺ وذكر ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى أبي منصور قال لما فتح النبي ﷺ خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله ﷺ الحمار فقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حمارا لا يركبها إلا نبي وقد كنت أتوقعك لتركبني ولم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك وقد كنت قبلك عند رجل يهودي وكنت أتعثر به عمدا كان يجيع بطني ويركب ظهري فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأنت يعفور يا يعفور تشتهي الإناث قال لا فكان النبي ﷺ يركبه في حاجته وكان يبعثه خلف من شاء من أصحابه فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه فيعلم أن رسول الله ﷺ أرسله إليه فيأتي النبي ﷺ فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله ﷺ فكانت قبره قال الإمام الحافظ أبو موسى هذا حديث منكر جدا إسنادا ومتنا لا يحل لأحد أن يرويه إلا مع كلامي عليه وقد ذكره السهيلي في التعريف والإعلام في الكلام على قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي كامل ابن عدي في ترجمة أحمد بن بشير وفي شعب الإيمان للبيهقي عن الأعمش عن سلمة بن كهيل عن عطاء عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ تعبد رجل في صومعة فأمطرت السماء وأعشبت الأرض فرأى حمارا له يرعى فقال يا رب لو كان لك حمار لرعيته مع حماري فبلغ ذلك نبيا من أنبياء بني إسرائيل فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله إليه إنما أجازي عبادي على قدر عقولهم وهو كذلك في الحلية لأبي نعيم في ترجمة زيد بن أسلم وروى ابن أبي شيبة في مصنفه والإمام أحمد في الزهد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قيل لعيسى بن مريم عليهما السلام يا رسول الله لو اتخذت لك حمارا تركبه لحاجتك فقال أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئا يشغلني عنه (الحكم) يحرم أكله عند أكثر أهل العلم وإنما رويت الرخصة فيه عن ابن عباس رواه عنه أبو داود في سننه وقال الإمام أحمد كره أكله خمسة عشر رجلا من أصحاب النبي ﷺ وادعى ابن عبد البر الإجماع الآن على تحريمه قال وقد روى عن غالب بن أبجر قال أصابتنا سنة فشكونا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لم يكن عندي ما أطعم أهلي إلا سمان حمر وإنك حرمت لحوم الحمر الأهلية فقال أطعم أهلك من سمين حمرك فإنما حرمتها من أجل جوال القرية ولم يرو عن غالب بن أبجر سوى هذا الحديث ولنا ما روى جابر وغيره أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

خراب يباب ليس فيها عمارة ولا حيوان فسمي هذا الربع الخراب وقيل الربع المحترق ﴿فصل﴾ في أقاليم الأرض واعلم أن الربع المسكون قد قسم سبعة أقسام كل قسم يسمى إقليما كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب طوله وعرضه من جهة الجنوب إلى جهة الشمال وهي مختلفة الطول والعرض فأطولها وأعرضها الإقليم الأول فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من مائة وخمسين فرسخا وأقصرها طولا وعرضا الإقليم السابع فإن طوله من المشرق إلى المغرب نحو من ألف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب إلى الشمال نحو من سبعين فرسخا وأما سائر الأقاليم التي بينهما فيختلف طولها وعرضها بالزيادة والنقصان ثم إن هذه الأقسام ليست أقساما طبيعية لكنها خطوط وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا بالربع المسكون من الأرض ليعلم بها حدود البلدان والممالك مثل

افريدون واسكندر وأردشير ﴿فصل﴾ فيما يعرض للأرض من الزلزلة والخسف زعموا أن الأدخنة والأبخرة

نهى عن لحوم الحمر الاهلية وأذن فى لحوم الخيل متفق عليه وحديث غالب رواه أبو داود واتفق الحفاظ على تضعيفه ولو بلغ ابن عباس أحاديث النهى الصحيحة الصريحة فى تحريمه لم يصر إلى غيره ولو صح حديث غالب لحمل على الأكل منها حال الاضطرار وأيضا هى قضية عين لا عموم لها ولا حجة فيها واختلف أصحابنا فى علة تحريمها هل هو لاستخباث العرب لها أو للنص على وجهين حكاهما الرويانى وغيره وأفاد الحافظ المنذرى أن تحريم لحوم الحمر نسخ مرتين ونسخت القبلة مرتين ونسخ نكاح المتعة مرتين واختلف السلف فى لبنها فحرمه أكثر العلماء ورخص فيه عطاء وطاوس والزهرى والأول أصح لأن حكم اللبن حكم اللحم ويحرم ضربه وضرب غيره من الحيوانات المحترمة بالإجماع روى البخارى أن النبى ﷺ مر بحمار قد وسم وجهه فقال لعن الله من فعل هذا وفى رواية لعن الله الذى وسم هذا (الأمثال) قالوا عشر تعشير الحمار قال الجوهرى تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات فى طلق واحد قال الشاعر:

لعمرى لئن عشرت من خيفة الردى * نهاق حمار أنتى لجزوع

وذلك أنهم كانوا إذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعه وقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً أى يثقله حملها ولا ينفعه علمها وكل من يعلم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وفى الحديث يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور كما يدور الحمار فى الرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه والأقتاب الأمعاء واحدها قتب بالكسر وقالت العرب وهم يتهارجون تهارج الحمر أى يتسافدون والهرج كثرة النكاح يقال بات يهرجها ليله جميعا وروى الحافظ أبو نعيم عن أبى الزاهرية عن كعب الأحبار قال يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج فى الرخاء والخصب والدعة عشر سنين حتى أن الرجلين ليحملان الرمانة الواحدة بينهما ويحملان العنقود الوحد من العنب فيمكثون على ذلك عشر سنين ثم يبعث الله ريحا طيبة فلا تدع مؤمنا ولا مؤمنة إلا قبضت روحه ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر فى المرج حتى يأتى أمر الله والساعة وهم على ذلك وقالوا بال الحمار فاستبال أحمرة أى حملهن على البول يضرب فى تعاون القوم على ما يكره وقالوا اتخذ فلان حمارا لحاجات يضرب للذى يمتهن فى الأمور وقالوا تركته جوف حمار أى لا خير فيه وقالوا أصبر من حمار وقالوا أشر المال ما لا يذكى ولا يزكى أشاروا بذلك إليه وقالوا ما بقى منه إلا قدر ظمء حمار لأنه أقصر الحيوان ظمأ قال الجوهرى فى مادة عشا قال الشاعر:

غذونا غدوة سحرا بليل * عشاء بعد ما انتصف النهار * قصدناها حماراً ذا قرون *

أكلنا اللحم وانفلت الحمار * وفى معنى هذا البيت وجهان أحدهما أنا أتعبناه حتى أكلنا لحمه لشدة الإضرار به من العدو ثم انفلت. والثانى أنا ذبحناه فأكلناه أكلا لم يبق منه شيء فكأنه انفلت وقوله ذا قرون أى مسنا قد أتت عليه قرون من الدهر وقالوا أذل من حمار مقيد قال الشاعر:

وما يقيم بدار الذل يعرفها * إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته * وإذا يشج فلا يرثى له أحد

(الخواص) من سقى من وسخ أذنه فى شراب أو غيره سبت ونام ولم يعقل أصلا ومن نزع شعرة من ذنبه عند نزوه وربطها على فخذه أنعظ وهيج الباه وإذا ربط حجر فى ذنبه لم ينهق وكذا إذا طليت استه بدهن وقال الإمام الفخر الرازى وصاحب الحاوى إذا طبخ لحم الحمار الأهلى وقعد فى مائه من به كزاز نفعه وإذا اتخذ من حافره خاتم ولبسه

الكثيرة إذا اجتمعت تحت الأرض ولا يقاومها برودة حتى تصير ماء وتكون مادتها كثيرة لا تقبل التحليل بأدنى حرارة ويكون وجه الأرض صلبا لا يكون فيها منافذ ومسام فالبخارات إذا قصدت الصعود ولا تجد المسام والمنافذ تهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما يضطرب بدن المحموم عند شدة الحمى بسبب رطوبات عفنة احتبست فى خلال أجزاء البدن فتشتعل فيها للحرارة الغريزة فتذيبها وتحللها وتصيرها بخاراً ودخانا فيخرج من مسام جلد البدن فيهتز من ذلك البدن ويرتعد ولا يزال كذلك إلى أن تخرج تلك المواد فإذا خرجت يسكن وهذه حركات بقاع الأرض بالزلزال فربما ينشق ظاهر الأرض ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة دفعة واحدة والله أعلم

﴿فصل﴾ فى صيرورة السهل جبلا والبر بحراً وعكسهما قالوا إذا امتزج الماء بالطين وكان فى الطين لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة صار حجراً كما ترى النار إذا أثرت فى اللبن صلبتها وجعلتها آجرا فإن الآجر نوع من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثر النار فيه أكثر كان أشبه بالحجر فزعموا أن تولد الجبال من

المصروع ولم يصرع وسرجينه وسرجين الخيل إذا أحرقا أو لم يحرقا وخلطا بخل قطعا سيلان الدم وإذا علق جلد جبهته على الصبيان منعهم من الفزع وإذا رش على زبله خل وشم قطع الرعاف وقال صاحب الفلاحة إذا ركب الملسوع بالعقرب حماراً وجعل وجهه إلى ذنبه صار الوجع إلى الحمار وبرئ الراكب وكذلك إن تقدم الملدوغ إلى أذن الحمار وقال إني لدغت بعقرب في المكان الفلاني ذهب الوجع وإن ركبه مقلوبا كما تقدم كان أقوى فعلا ومخه إذا طلي به الرأس مع الزيت طول الشعر وكبده إذا أكلت مشوية على الريق منقوعة في الخل نفعت من الصرع وأمن آكلها من الصرع ولبن الحمارة إذا ضمد به الذكر أنعظ ونهيق الحمار يضر بالكلب حتى إنه ربما عوى من كثرة ما يؤلمه (التعبير) الحمار في المنام جد الإنسان وسعده وربما دل على غلام أو ولد أو خير وربما دل على السفر أو العلم لقوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفاراً وربما دل على المعيشة لقوله تعالى وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وربما دل الحمار على العالم المحصل أو اليهود لقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية وربما دل الحمار على ما يوطأ فيه كالوطاء والزربول وما أشبه ذلك وظهور حمار عزير في المنام ظهور آية وربما دلت رؤيته على الخلاص من الشدائد وعلى الرجوع إلى المناصب السنية أو المنازعة في الدين والحمير والبغال ملكها في المنام أو ركوبها دليل على الزينة بالمال أو الولد لقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وربما دل ركوب الحمار على النجاة من الهم وموت الحمار وهزاله فقر صاحبه وقيل موته موت صاحبه والنزول عن ظهره بلا نية نزول فقر وبيعه فقر أيضاً ومن ذبح حماره ليأكل لحمه نال سعة في رزقه وإن ذبحه لغير الأكل فإنه يفسد معاشه ومن رأى ذنب حماره طويلا وافر أدل على بقاء دولته أو زيادة جاهه والحمار الذي له سرج يفسر بالولد والعز فمن رأى أنه لا يحسن ركوب حماره فإنه يتحلى بما ليس من أهله والمهازيل والضعاف من الحمر مال في زيادة والسمان منها مال قد انتهى والحمار المصري وكيل وهو نعم الوكيل والحمارة امرأة معينة على المعيشة كثيرة الخيرات نسل وريح متواتر فمن ركب حمارة في منامه وخلفها جحش فإنه يتزوج امرأة لها ولد ومن رأى حمارة لا تمشي إلا بالسوط فإنه لا يطعم إلا بالدعاء ولفظ الآتان من الإتيان وربما دل صياحهما على الشر والأنكاد لقوله تعالى إن أنكر الأصوات لصوت الحمير أو ظهور عارض من الجان فإن نهيق الحمار يدل على رؤية الشيطان لأن السنة وردت بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند سماع صوته وقيل سماع صوته دعاء الظلمة ومن رأى حماراً موقوراً دخل منزله فإنه خير يسوقه الله إليه على قدر جوهر ذلك الحمل ولبن الحمار خصب في تلك السنة وربما دل الشرب منه على مرض شارب ثم ينجو منه ولحم الحمار مال لمن أكله وحمار المرأة زوجها فإن مات طلقها أو مات زوجها ومن صارع حماراً مات بعض أقاربه ومن رأى حماره صار فرساً نال خيراً من السلطان وإن صار بغلا نال خيراً من سفره ومن حمل حماره في المنام نال خيراً وقوة في السعادة حتى يتعجب منه ومن رأى له حافراً فذلك قوة في المال والتصرف وكذلك الخف ومن سمع صوت الحوافر من غير أن يرى شيئاً من البهائم فإنها أمطار ويعبر الحمار برجل جاهل وربما دلت رؤيته على الولد من الزنا ومن رأى حماراً نزل من السماء قدس ذكره في دبره نال مالا عظيما يستغني به لا سيما إذا كان الرائي ملكا والحمار أسود أو أدهم والله أعلم ﴿الحمار الوحشي﴾ ويسمى الفراء ويقال حمار وحش وحمار وحشي وهو العير وربما أطلق العير على الأهلي أيضا والحمار الوحشي شديد الغيرة فلذلك يحمى عانته الدهر كله ومن عجيب أمره أن الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكرا كدم الفحل خصيتيه فالأنثى تعمل الحيلة في الهرب منه حتى يسلم وربما كسرت رجل التولب كي لا يسعى ولا تزال ترضعه إلى أن يكبر فيسلم من أبيه وأشار إلى ذلك الحريري بقوله في المقامة الثالثة عشرة .

أن يكون بسبب زلزلة فيها خسف فتخفض بعض الأرض وترفع بعضها ثم المرتفع يصير حجرا لما ذكرنا وجاز أن يكون بسبب أن الرياح تنقل التراب من مكان إلى مكان فتحدث تلال ووهاد ثم يتحجر بسبب ما قلنا وذكر صاحب علم المجسطي أن في كل ستة وثلاثين سنة ينتقل أوجات الكواكب ويدور في البروج الاثني عشر دورة واحدة فإذا انتقلت من الشمال إلى الجنوب تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الأرض فيختلف بها الليل والنهار والشتاء والصيف والحر والبرد ويتغير أرباع الأرض فيصير العمران خرابا والخراب عمرانا والبراري بحارا والبحار براري والسهول جبالا والجبال سهولا وأما صيرورة الجبال سهولا فإن الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها بطول الزمان تنشف رطوبتها وتزداد يبسا وجفافا وتتكسر خاصته عند الصواعق فتصير أحجارا وصخورا ورمالا ثم إن السهول يحملها إلى بطون الأنهار والأودية ثم تحملها بشدة جريانها إلى البحار فتنبسط في قعرها سافا بعد ساف بطول الزمان ويتلبد بعضها فوق بعض

يارازق الغراب فى عشه * وجابر العظم الكثير المهيض
أتح لنا اللهم من عوضه * من دنس الذم نقى رحيض

وسيأتى هذا إن شاء الله تعالى فى باب النون فى الغراب ويقال إن الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر وذكر ابن خلكان فى ترجمة يزيد بن زياد أن بعض الجند حدث إنهم نزلوا على جرود فاصطادوا من حمر الوحش شيئا كثيرا وذبحوا منها حمارا وطبخوا لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج فزيد فى الإيقاد عليه يوما كاملا فلم ينضج فقام بعض الجند وأخذ رأسه وجعل يقلبه فرأى على أذنه وسما فقرأه فإذا هو بهرام جور وموضع الوسم ظاهر أسود وهو بالقلم الكوفى قال ابن خلكان وأحضروا الأذن عندى فوجدت الاسم ظاهرا وبهرام جور كان من ملوك الفرس قبل مبعث النبى ﷺ بزمان طويل وكان من عادته إذا أخذ الصيد وسمه وأطلقه والله تعالى يعلم كم كان عمر الحمار قبل الوسم وهذا الحمار لعله عاش أكثر من مائتى سنة وجرود قرية من قرى دمشق وبأرضها من حمر الوحش شىء كثير يجاوز الحصر وفى أرض جرود الجبل المدخن وإنما سمى هذا الجبل المدخن لأنه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب وقيل إن الحمار يعيش أكثر من ثمانمائة سنة وألوان حمر الوحش مختلفة والأخدرية أطولها عمرا وأحسنها شكلا وهى منسوبة إلى أخدر فحل كان لكسرى أردشير فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها فالمتولد منها يقال له أخدرى وقال الجاحظ أعمار حمر الوحش تزيد على أعمار الحمر الأهلية ولا نعرف حمار أهليا عاش أكثر من حمار أبى سيارة وهو عميلة بن خالد العدوانى كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلى منى أربعين سنة وكان يقول :

لاهم مالى فى الحمار الأسود * أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو الحمار الجعلد * فق أبا سيارة المحسد
من شر كل حاسد إذا حسد * ومن إذاة الناقشات فى العقد

اللهم حبب بين نسائنا وبغض بين رغائنا واجعل المال فى سمحائنا وفيه يقول الشاعر :

خلوا الطريق عن أبى سيارة * وعن مواليه بنى فزارة * حتى يجيز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره * فقد أجار الله من أجاره

ولذلك قيل أصح من حمار أبى سيارة وروى ابن أبى شيبة وابن عبد البر من طريقه من حديث أبى فاطمة الليثى ويقال الأزدى ويقال الدرسى أنه قال كنا جالسين عند رسول الله ﷺ فقال من أحب أن يصح فلا يسقم فابتدرناها فقلنا نحن يارسول الله فقال أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة قالوا لا يارسول الله قال ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات فوالذى نفس أبى القاسم بيده إن الله ليبتلى المؤمن بالبلاء فما يبتليه إلا لكرامته عليه لأن الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشىء من عمله دون أن ينزل به من البلاء ما لا يبلغ تلك المنزلة إلا به وكذلك رواه البيهقى أيضا فى الشعب وقال سألت عنه بعض أهل الأدب فزعم أنه أراد به حمر الوحش وقال ابن الأثير فى نهاية الغريب قوله أتحبون أن تكونوا كالحمر الصالة قال أبو أحمد العسكرى هو بالصاد غير المعجمة ورووه أيضا بالضاد المعجمة وهو خطأ يقال للحمار الوحشى الحاد الصوت صال وصلصال كأنه يريد الصحيحة الأجساد والشديدة الأصوات لقوتها ونشاطها (الحكم) يحل أكله بالإجماع وفى الصحيحين وغيرهما أن النبى ﷺ قال إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم قال الشافعى ولو توحش الحمار الأهلى حرم أكله ولو استأهل الوحشى لم يحرم ولا نعلم فى حل الوحشى خلافا إلا ما روى عن مطرف أنه قال إذا أنس واعتلف صار كالأهلى وأهل العلم قاطبة على خلاف قوله ولا

فيحصل فى البحار جبال وتلال كما يتلبد من الأحجار إذا كسرت صدفة أو عظم وذلك بسبب اختلاط طين هذا الموضع بالصدف والعظم وقد يصير البحر يبسا واليبس بحرا لأنه كلما انطمت قطعة من البحار على الوجه الذى ذكرناه فالماء يرتفع ويطلب الاتساع على سواحله ويغطى بعض البر بالماء ولا يزال كذلك حتى تصير مواضع البر بحرا وهكذا لا تزال الجبال تتكسر وتصير حصى ورمالا يحملها سيول الأمطار مع طين ممرها إلى قعر البحار وينعقد فيها كما ذكرناه حتى يستوى مع وجه الأرض فيجف وينكشف وينبت العشب عليها والأشجار فتصير مسكنا للسباع والوحوش فيقصده الناس لطلب المنافع من الصيد والحطب وغيرهما فيصير مسكنا للناس موضعا للزرع والغرس فيصير مدنا فسبحانه ما أعظم شأنه

﴿فصل﴾ فى فوائد الجبال وخواصها وعجائبها أما فائدتها العظمى فما ذكره الله تعالى فى كتابه وألفى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وقال بعضهم لو لم تكن الجبال لكان وجه الأرض مستديرا أملس فكان مياه البحار تغطيها من جميع جهاتها وتحيط به إحاطة كرة الهواء بالماء فبطلت الحكمة المودعة فى

يحل الحمار المتولد بين الأهلى والوحشى لأن الولد يتبع خير الأبوين فى الاطعمة حتى يفرض أحدهما غير مأكول كما يتبع أخسهما فى النجاسة حتى يجب الغسل من ولوغه وسائر أجزائه سبعا إذا تولد بين كلب وذئب وكما يتبع الأخس فى الانكحة حتى إذا تولد بين كتابى ووثنى لم تحل مناكحته وقد خالفوا هذا الأصل فى باب الجزية فقالوا يعقد للمتولد بين كتابى ووثنى وفى الديات ألحقوه بأكثرهما دية وهو الأصح المنصوص وقيل يتبع أقلهما دية وقيل يعتبر بالأب وهذه الأقوال حكاها الرافعى فى باب الغرة وفى الحج جعلوه تابعا للأغلظ تكليفا حتى لو قتل متولدا بين ظبى وشاة وجب عليه الجزاء وعكسوا ذلك فى الزكاة فلم يوجبوها فى المتولد بين الأهلى والوحشى وفى إيجابها فى المتولد بين أنثيين كبقر وجاموس نظروا وجعلوه تابعا لأشرفهما دينا حتى لو كان أحد الأبوين مسلما عند العلوق أو أسلم قبل بلوغه حكم بإسلام الصغير تبعا وجعلوه تابعا للأم فى الرق والحرية أعنى مادام حملا إلا فى المستولدة والمغرور بحريتها وجعلوه تابعا للأب فى النسب مطلقا لأن النسب يعتبر بالآباء دون الأمهات واستثنوا من ذلك أولاد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم ينسبون إليه دون أولاد بنات غيره وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وجعلوا ولد الزنا مقطوع النسب عن أبيه والمنفى ليس كذلك لأنه لو استلحقه لحقه ولم يتعرضوا للتبعية فى بابى الأضحية والعقيقة والاحتياط اعتبار أكثر السنين فيه حتى لو تولد بين ضأن ومعز اشترط لإجزائه فى الأضحية طعنه فى السنة الثالثة اعتبارا بأكثر الأبوين سنا وهو المعز ولم يتعرضوا أيضا له فى الربويات وفائدته أنه هل يجعل جنسا برأسه حتى يباع لحمه بلحم أى الأبوين كان مفاضلة أو يجعل كالجنس الواحد احتياطا فيحرم التفاضل وهذا هو الأقرب اعتبارا لضيق باب الربا ولم يتعرضوا له أيضا فى السلم والقرض حتى لو أقرضه حيوانا متولدا بين حيوانين أو أسلم إليه فى لحمه أو لحم ضأن أو معز فأتاه بلحم متولد بين ضأن ومعز فالمتجه عدم جواز قبوله لأنه نوع آخر والاستبدال عن النوع بنوع آخر لا يجوز على الصحيح ولم يتعرضوا له أيضا فى الشركة والوكالة والقراض كل ذلك لندوره والمتجه المنع فى الجميع لأن هذه العقود إنما تصح فيما يعم وجوده ولو أوصى لرجل بشاة فأعطاه الوارث متولدا بين ضأن ومعز لم يجبر على القبول لأن الوصية إنما تحمل على المتعارف والله تعالى أعلم (الأمثال) قالوا فلان أكفر من حمار وهو رجل من عاد كان يقال له حمار بن مويلع وقيل هو حمار بن مالك بن نصر الأزدى كان مسلما وكان له وادطوله مسيرة يوم فى عرض أربعة فراسخ لم يكن ببلاد العرب أخصب منه وفيه من كل الثمار فخرج بنوه يوما يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا فكفر وقال لا أعبد من فعل هذا ببنى ودعا قومه إلى الكفر فمن عصاه قتله فأهلكه الله وأخرب واديه فضربت العرب به المثل فى الكفر قال الشاعر :

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلى وهو أكفر من حمار

(الخواص) قال ابن وحشية وابن السويدى وغيرهما النظر إلى أعين الحمر الوحشية يديم صحة العين ويمنع نزول الماء إليها بخاصية عجيبة أودعها الله فيها والاكتحال بمرارتها يحد البصر ويزيل ظلمته ويمنع من ابتداء نزول الماء فى العين وأكل سمين لحمها ينفع من مرض المفاصل ويزيله ولحمها أيضا ينفع من النقرس نفعا بينا وشحمها إذا طلى به الكلف أزاله ومرارتها تنفع من داء الثعلب طلاء وتنفع من البول على الفراش أكلا ومخها يسخن بدهن الزنبق ويدهن به البهق يزول بإذن الله تعالى (التعبير) الحمار الوحشى فى المنام يدل على الزوجة أو الولد

لما ذكرناه من الحكمة وقال بعضهم إن الجبال لو حود الماء العذب السائح على وجه الأرض الذى هو مادة حياة النبات والحيوان وذلك لأن سبب هذا الماء انعقاد البخار فى الجو فيصير سحابا والجبال الشامخة الطوال فى المشرق والمغرب والجنوب والشمال تمنع الرياح أن تسوق البحار بل تجعلها منحصرة حتى يلحقها البرد فيصير مطرا أو ثلجا فلو فرضت الجبال مرتفعة على وجه الأرض لكانت الأرض كرة لا غور فيها ولا نتوء والبخار المرتفع لا يبقى فى الجو منحصرا إلى وقت يضربه البرد بل يتحلل ويستحيل هواء فلا يجرى الماء على وجه الأرض إلا قدر أينزل مطرا ثم تنشفه الأرض فيعرض من ذلك أن الحيوان والنبات يعدم الماء فى الصيف عند شدة الحاجة إليه كما فى البادية البعيدة فاقتضى التدبير الإلهى وجود الجبال ليحصر البخار المرتفع من الأرض من أغوارها ويمنع من السيلان ويمنع الرياح أن تسوقها كما يمنع السقف الماء فيبقى محفوظا إلى أن يلحقه البرد زمان

الشتاء فيجمده ويعصره فيصير ماء ثم ينزل مطرا وثلجا والجبال فى أجرامها مغارات وأهوية

وأوشال وكهوف فيقع على قللها الأمطار والثلوج وينصب إلى تلك المغارات والأوشال وتبقى فيها مخزونة وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة وهى العيون فساحت منها المياه على وجه الأرض فينتفع بها النبات والحيوان وما فضل ينصب إلى البحار فإذا فنى ما استفادته من الأمطار والثلوج لحقها نوبة الشتاء فعادت إلى مكان ولا يزال دأبها كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله ولنذكر بعض الجبال وخواصها العجيبة مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى

(جبل أولشان) بأرض الروم وفى وسط هذا الجبل درب فيه دوران من اجتاز فيه وهو فى حال اجتيازه يأكل الخبز بالجبن ويدخل من أوله ويخرج من آخره ولا يضره عضة الكلب الكلب وإن عض إنسانا غيره يعبر بين رجلى هذا المجتاز يأمن غائلته وهذا أمر مشهور عندهم

(جبل أبى قبيس) مطل على مكة يزعم الناس أن من أكل عليه الرأس المشوى يأمن من أوجاع الرأس وكثير من الناس يفعلون ذلك

(جبل اروند) مطل على همذان خضر نضر دخل رجل من همذان على جعفر الصادق رضى الله عنه فقال له من أين أنت قال من همذان قال أتعرف جبلها اروند قال نعم إن فيه عينا من عيون الجنة وأهل همذان

من ذى الجفاء والقسوة أو من أرباب البوادى فاعتبر ذلك وأعط الرائى حقه ومن رأى أنه ركب حماراً وحشيا فإنه يدل على معصية ومن رأى أنه ركبه وسقط عنه فليحذر من درك يناله فى معصية ومن شرب من لبن حمارة وحش نال نسكا فى دينه ومن رأى أنه حوى شيئا من لحوم حمر الوحش أو ملكها نال عزا وغنيمة ومالا والحمار الأهلى إذا استوحش فى المنام فهو ضر وشر والحمار الوحشى فى المنام إذا أنس فهو نفع وخير

(حمار قبان) قال النووى فى التحرير هو فعلان من قب لأنه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وقال الجوهرى هى دويبة وقبان فعلان من قب لأن العرب لا تصرفه وهو معرفة عندهم ولو كان فعالا لصرفته تقول رأيت قطيعا من حمر قبان غير منصرف قال الشاعر:

ياعجبا لقد رأيت عجبا * حمار قبان يسوق أرنبا خاطبها يمنعها أن تذهبا * فقالت اردفنى فقال مرحبا

وقد ذكر ابن مالك وغيره من الصرفيين أن كل اسم يكون فى آخره نون بعد ألف بينها وبين فاء الكلمة مشدد فهو محتمل لأصالة النونات وزيادة أحد المثلين وبالعكس ومثلوا ذلك بحسان ودكان وتبان وريان ونحوها فقالوا حسان إذا أخذ من الحسن فنونه أصلية وإحدى السينين زائدة وإن أخذ من الحس فنونه زائدة مع الألف ووزنه على الأول فعال وعلى الثانى فعلان ويمنع الصرف على الثانى لزيادة الألف والنون دون الأول وتبان إن أخذ من التبن فنونه أصلية وإن أخذ من التب وهو الخسران فنونه زائدة مع الألف فيمنع الصرف إذا عرف هذا فقبان يجوز أن يكون مأخوذاً من القب وهو الضمور والأقب ضامر البطن كما قال الجوهرى والخيل القب الضوامر وقد أنشد الجاحظ يصف نسوة:

يمشين مشى قطا البطاح تأودا * قب البطون رواجح الأكفال

فحمار قبان يجوز أن يكون مأخوذاً من هذا لضمور بطنه فإنه دويبة مستديرة بقدر الدينار ضامرة البطن متولدة من الأماكن الندية على ظهرها شبه المجن مرتفعة الظهر كأن ظهرها قبة إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها ورأسها لا يرى عند المشى إلا أن تقلب على ظهرها لأن أمام وجهها حاجزاً مستديراً وهى أقل سواداً من الخنفساء وأصغر منها ولها ستة أرجل تألف المواضع السبخة فى الغالب ومواضع الزبل ويجوز أن يكون لفظ قبان مأخوذاً من قبن فى الأرض قبونا إذا ذهب قال صاحب المفردات وهذه الدابة هى التى تسمى هدبة وهى كثيرة الأرجل تستدير عندما تلمس ومن حمار قبان نوع ضامر البطن غير مستدير والناس يسمونه أبا شحيمة يألف المواضع الندية والظاهر أنه صغار حمار قبان وأنه بعد يأخذ فى الكبر وأهل اليمن يطلقونه على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش والاشتقاق لا يساعده ويجوز اشتقاقه من قبن المتاع إذا وزنه فعلى هذا ينصرف لأصالة النون والقبان الذى يوزن به قال الشعبى معناه العدل بالرومية والاشتقاق الأول أظهر فلذلك التزمت العرب منعه من الصرف (الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها (الأمثال) قالوا أذل من حمار قبان (الخواص) إذا شرب حمار قبان مع شراب نفع من عسر البول ومن اليرقان وقال بعضهم إذا لف حمار قبان فى خرقة وعلق على من به حمى مثلثة قلعها أصلا (التعبير) رؤية حمار قبان فى النوم تدل على حقارة الهمة مخالطة السفل ومكاثرتهم والله أعلم.

(الحمام) قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الأطواق نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى لأن الهاء إنما دخلته على أنه واحد

من جنس لا للتأنيث وعند العامة أنها الدواجن فقط الواحدة حمامة وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وماهاج هذا الشوق إلا حمامة * دعت ساق حر برهة فترنما

والحمامة هنا القمرية وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت * إلى حمام شراع وارد الثمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما زعمت * تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد فى مضيق الجبل فقالت ياليت هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا فيكمل لنا مائة قطاة فاتبعت وعدت على الماء فإذا هى ست وستون قال أبو عبيدة رأته من مسيرة ثلاثة أيام وأرادت بالحمام القطا فقالت ذلك انتهى

وقال الأموى الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا وأنشد للعجاج :

إنى ورب البلد المحرم * والقاطنات البيت عند زمزم * قواطنا مكة من ورق الحم

يريد الحمام وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات وربما قالوا حمام للمفرد قال جران العود :

وذكرنى الصبا بعد التنائى * حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير أن اليمام هو الحمام البرى الواحدة يمامة وهو ضروب والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه انتهى ونقل النووى فى التحرير عن الأصمعى أن كل ذات طوق فهى حمام والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها وكان الكسائى يقول الحمام هو البرى واليمام الذى يألف البيوت والصواب ماقاله الأصمعى ونقل الأزهرى عن الشافعى أن الحمام كل ماعب وهدر وإن تفرقت أسماؤه والعب بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفس قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له قال الرافعى والأشبه أن ماعب هدر قال فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم ويدل عليه أن الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل وماعب من الماء عبا فهو حمام وماشرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام اه وفيما قاله الرافعى نظر لأنه لايلزم من العب الهدير قال الشاعر :

على حويضى نغر مكب * إذا فترت فترة يعب * وحمرات شربهن عب

وصف النغر بالعب مع أنه لايهدر وإلا كان حماما والنغر نوع من العصفور وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب النون إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافعى وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستفرخ فيها وعلى اليمام والقمرى وساق حر وهو ذكر القمرى كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين والفواخت والدبسى والقطا والوراشين واليعاقيب والشفنين والزاغ والوردانى والطورانى وسيأتى بيان ذلك كل واحد فى بابه إن شاء الله تعالى والكلام الآن فى الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان أحدهما البرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك وهو كثير النفور وسمى بريا لذلك والثانى الأهلى وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة منها الرواعب والمراعيش والعداد والسداد والمضرب والقلاب والمنسوب وهو بالنسبة إلى ماتقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين (قال الجاحظ) الفقيع من الحمام كالصقلاب من الناس وهو الأبيض روى أبو داود والطبرانى وابن السنة معلوم ومنبعه من شق فى صخرة وهو ماء عذب شديد البرد لايجد شاربه منه ثقلا فإذا جاوزت أيامه المعدودة انقطع إلى وقته من العام الآخر لايزيد ولاينقص وهو شفاء للمرضى يأتونه من كل وجه قالوا إنه يكثر إذا كثر الناس ويقل إذا قلوا (جبل أروند) جبل آخر بسيستان فيه ماء ينبت فيه قصب كثير فما كان من القصب فى الماء فهو كالحجر وما كان خارج الماء فهو قصب وماسقط من ذلك القصب فى الماء يصير حجراً وكذلك لو كان قشراً أو ورقا هكذا ذكره صاحب تحفة الغرائب (جبل اسبرة) بناحية الشاش بما وراء النهر قال الاصطخرى هناك جبال فيها منافع كثيرة من النفط والحديد والنحاس والآنك والصفر والفيروزج والذهب وفيها حجر كله أسود مثل الفحم ويحترق مثل الفحم يباع منه وقود وقران بدرهم فإذا احترق اشتد بياضا وماؤه يستعمل فى تبييض الثياب لايعرف مثله من المواضع أصلا (جبل التر) على ثلاث فراسخ من قزوين شامخ جدا لايخلو قلته من الثلج لاصيفا ولاشتاء وعليه مسجد يأوى إليه الأبدال

والناس يقصدونه للتبرك ويتولد من ثلجه دود أبيض إذا غرزت فيه بأدنى شيء يخرج منه ماء أبيض صاف مقدار مايروى دابة وقال بعضهم إنه ليس بحيوان (جبل أندلس) فى جبل منها غار لاترى منه النار وإذا أخذ فتيلة ودهنها وشدها على رأس خشبة طويلة ودخل الغار اشتعل وبقرب هذا الجبل جبل آخر تشعل النار على قلته بالليل والنهار يصعد منه دخان عظيم شديد الحرارة وعلى جبل من جبالها عينان بينهما مقدار شبرين ينبع من أحدهما ماء شديد الحرارة ومن الآخر ماء بارد شديد البرودة والله أعلم (جبل هجنة) بتركستان على قلته شبه خرقات من الحجر وداخل الخرقات عين ينبع الماء منها وعلى الخرقات شبه كوة يخرج منها الماء وينصب من الخرقات إلى الكوة ومنها إلى الجبل ومن الجبل إلى الأرض وتفوح من ذلك الماء رائحة طيبة والله الموفق (جبل البرانس) بأندلس فيه معدن الكبريت الأحمر والأصفر ومعدن الزئبق وهو غزير جدا يحمل إلى سائر الآفاق وبه معدن الزنجفر وليس فى جميع الأرض يعرف إلا هناك (جبل القدس) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض القدس جبل فيه شبه بيت غار يمشى إليه الزوار فإذا أظلم الليل يضيء البيت ولا سراج

ماجه وابن حبان بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى رجلا يتبع حمامة فقال شيطان يتبع شيطانة وفى رواية شيطان يتبعه شيطان قال البيهقى وحمله بعض أهل العلم على إدمان صاحب الحمام على إطارته والاشتغال به وارتقاء الأسطحة التى يشرف منها على بيوت الجيران وحرمهم لأجله وسيأتى الكلام عليه فى الأحكام وروى البيهقى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال شهدت عمر بن عبد العزيز رحمه الله يأمر بالحمام الطيار فتذبح وتترك المقصصات وروى ابن قانع والطبرانى عن حبيب بن عبد الله بن أبى كبشة عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر وروى الحاكم فى تاريخ نيسابور عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الأترج وإلى الحمام الأحمر قال ابن قانع والحافظ أبو موسى قال هلال بن العلاء الأحمر التفاح قال أبو موسى وهذا التفسير لم أره لغيره. وكان فى منزله ﷺ حمام أحمر يقال له وردان * وفى عمل اليوم والليلة لابن السنى عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل أن عليا رضى الله عنه شكا إلى النبى ﷺ الوحشة فأمره أن يتخذ زوج حمام وأن يذكر الله عند هديره ورواه الحافظ ابن عساكر وقال إنه غريب جدا وسنده ضعيف وروى ابن عدى فى كامله فى ترجمة ميمون بن موسى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له اتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلاة بتغريدها أو اتخذ ديكا يؤنسك ويوقظك للصلاة وروى أيضا فى ترجمة محمد بن زياد الطحان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ اتخذوا الحمام المفاصيص فى بيوتكم فإنها تلهى الجن عن صبيانكم وقال عبادة بن الصامت رضى الله عنه شكا رجل إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال له النبى ﷺ اتخذ زوجا من حمام رواه الطبرانى وفيه الصلت بن الجراح لايعرف وبقية رجاله رجال الصحيح وفى كامل بن عدى فى ترجمة سهل بن فرير عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال شكت الكعبة إلى الله تعالى قلة زوارها فأوحى الله إليها لابعثن إليك أقواما يحنون إليك كما تحن الحمامة إلى فراخها وفى سنن أبى داود والنسائى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال يكون فى آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لايريحون رائحة الجنة ومن طبعه أنه يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ ويحمل الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة فى المدة القريبة وفيه مايقطع ثلاثة آلاف فرسخ فى يوم واحد وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه حتى يجد فرصة فيطير إليه وسباع الطير تطلبه أشد الطلب وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره وهو أطير منه ومن سائر الطير كله لكنه يذعر منه ويعتريه مايعترى الحمار إذا رأى الأسد والشاة إذا رأت الذئب والفأر إذا رأى الهر ومن عجيب الطبيعة فيه ماحكاه ابن قتيبة فى عيون الأخبار عن المثنى بن زهير أنه قال لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته فى الحمام رأيت حمامة لاتريد إلا ذكرها وذكرا لايريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها ورأيت حمامة لها زوج وهى تمكن آخر ماتعدوه ورأيت حمامة تقمط حمامة ويقال إنها تبيض من ذلك ولكن لايكون لذلك البيض فراخ ورأيت ذكرا يقمط ذكرا ورأيت ذكرا يقمط كل مالقى ولا يزاوج وأنثى يقمطها كل مارآها من الذكور ولا تزاوج وليس من الحيوان مايستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان والحمام وهو عفيف فى السفاد يجر ذنبه ليعفى أثر الأنثى كأنه قد علم مافعلت فيجتهد فى إخفائه وقد يسفد لتمام

ستة أشهر والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين إحداهما ذكر والثانية أنثى وبين الأولى والثانية يوم وليلة والذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءا من النهار والأنثى بقية النهار وكذلك فى الليل وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما ضربها الذكر واضطرها للدخول وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى أخرج فراخه عن الوكر وقد ألهم هذا النوع إذا خرجت فراخه من البيض بأن يمضغ الذكر ترابا ما لحا ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم فسبحان اللطيف الخبير الذى آتى كل نفس هداها * وزعم أرسطو أن الحمام يعيش ثمان سنين وذكر الثعلبى وغيره عن وهب بن منبه فى قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار قال اختار من النعم الضأن ومن الطير الحمام وذكر أهل التاريخ أن أمير المؤمنين المسترشد بالله بن المستظهر بالله لما حبس رأى فى منامه كأن على يده حمامة مطوقة فأتاه آت فقال له خلاصك فى هذا فلما أصبح حكى ذلك لابن سكينة الإمام فقال له ما أولته يا أمير المؤمنين قال أولته ببيت أبى تمام :

هن الحمام فإن كسرت عيافة * من حائهن فإنهن حمام

وخلاصى فى حمامى فقتل بعد أيام يسيرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما وروى البيهقى فى الشعب عن معمر قال جاء رجل إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال رأيت فى النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة فخرجت منها أعظم مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها أصغر مما دخلت ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء فقال له ابن سيرين أما التى خرجت أعظم مما دخلت فذلك الحسن بن أبى الحسن البصرى يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ثم يصل فيه من مواعظه وأما التى خرجت أصغر مما دخلت فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه وأما التى خرجت كما دخلت سواء فهو قتادة وهو أحفظ الناس وذكر ابن خلكان فى ترجمته يعنى ابن سيرين أن رجلا أتاه فقال له رأيت كأنى أخذت حمامة لجارى فكسرت جناحها فتغير وجه ابن سيرين وقال ثم ماذا قال ثم جاء غراب أسود فسقط على ظهر بيتى فنقبه فقال له محمد بن سيرين ما أسرع ما أدبك ربك أنت رجل تخالف إلى امرأة جارك وأسود يخالفك فى امرأتك قال وكان ابن سيرين بزازا وكان من موالى أنس بن مالك خادم النبى ﷺ وحبس بدين كان عليه وكان يقول إنى لأعرف الذنب الذى حمل به على الدين قيل له ما هو قال قلت لرجل مفلس منذ أربعين سنة يا مفلس قال بعضهم قلت ذنوبهم فعلموا من أين يؤتون وكثرت ذنوبنا فليس ندرى من أين نؤتى قال وكان أنس بن مالك رضى الله عنه قد أوصى أن يغسله ويكفنه ويصلى عليه محمد بن سيرين وكان محمد بن سيرين محبوسا لما مات أنس فاستأذنوا له الأمير فأذن له فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه ثم رجع إلى السجن ولم يذهب إلى أهله وكان ابن سيرين من أعلام التابعين وكانت له اليد الطولى فى علم الرؤيا روى أن امرأة جاءته وهو يتغدى فقالت له رأيت القمر دخل فى الثريا ونادى مناد من خلفى ائتنى ابن سيرين فقصى عليه قال فتغير لونه وقام وهو آخذ على بطنه فقالت له أخته ما بالك قال زعمت هذه أنى ميت بعد سبعة أيام فمات بعد سبعة أيام سنة عشر ومائة بعد الحسن البصرى بمائة يوم رحمهما الله تعالى وفى الشعب للبيهقى عن سفيان الثورى أنه قال كان اللعب بالحمام من عمل قوم لوط وقال إبراهيم النخعى من لعب بالحمام الطيارة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر وروى البزار فى مسنده أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على فم الغار وأن ذلك مما صد المشركين عنه صلى الله عليه وسلم وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين وروى ابن

جبل يقال له تحميد وفيه قرية فى طريقها مضيق لو صاح فيه المار فيه صيحة يهب فيه هواء لا يقدر الإنسان على الوقوف فيه (جبل نيسون) بين حلوان وهمذان جبل عال ممتنع لا ترتقى ذروته قال مسعود بن مهلهل هو على فرسخ من قرمسين حفر فيه إيوان فيه صورة شبرين خطه كسرى أبرويز على حائط الإيوان وعلى وسط الإيوان صورة أبرويز على فرشه سرير منحوت من حجر عليه درع كأنه من الحديد وقد ثبت بمسامير وردة وقد بولغ فى تجويدها إلى حد من يراه يحسب أنه متحرك وبين يدى أبرويز رجل فى زى فاعل على رأسه قلنسوة وهو مشدود الوسط بيده مسحاة كأنه يحفر الأرض والماء يخرج من تحت رجله (جبل ثبير) بمكة بقرب منى وهو جبل مبارك يقصده الزوار وهو الذى أهبط عليه الكبش الذى جعله الله تعالى فداء لإسماعيل عليه الصلاة والسلام والعرب تقول أشرق ثبير كما تغير (جبل ثور الطحل) بقرب

مكة فيه الغار الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الصديق رضى الله تعالى عنه لما خرجا من مكة

وهب أن حمام مكة أظلت النبي ﷺ يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروى الطبراني بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فجعل يعيدها علي حتى نعست عنه ثم قال يا أبا ذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى مكة فأكون حمامة من حمام الحرم فقال ﷺ فكيف تصنع إذا أخرجت من مكة قلت إلى السعة والدعة أنطلق إلى الشأم والأرض المقدسة قال فكيف تصنع إذا أخرجت من الشأم فقلت والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي قال ﷺ أو خير من ذلك تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا وفي الصحيح طرف منه وفي ابن ماجه طرف من أوله وذكر أن هرون الرشيد كان يعجبه الحمام واللعب به فأهدى له حمام وعنده أبو البختري وهب القاضي فروى له بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح فزاد أو جناح وهي لفظة وضعها للرشيد فأعطاه جائزة سنية فلما خرج قال الرشيد تالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله ﷺ وأمر بالحمام فذبح فقيل له وما ذنب الحمام قال من أجله كذب على رسول الله ﷺ فترك العلماء حديث أبي البختري لذلك وغيره من موضوعاته فلم يكتبوا حديثه وكان أبو البختري المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله وتوفي أبو البختري سنة مائتين في خلافة المأمون والبختري مأخوذ من البخترة التي هي الخيلاء وهو يتصحف على كثير من الناس بالبحتري الشاعر المشهور والأول بالخاء المعجمة والثاني بالحاء المهملة قال ابن أبي خثيمة والشيخ تقي الدين القشيري في الاقتراح واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم وضعه للمهدي لا للرشيد وقال ابن قتيبة وأبو البختري هو وهب بن وهب بن وهب ثلاثة أسماء على نسق واحد ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ومثله في الطالبيين حسن بن حسن بن حسن ومثله في غسان الحرث الأصغر بن الحرث الأعرج ابن الحرث الأكبر انتهى (قلت) ومثله في المتأخرين الغزالي محمد بن محمد بن محمد أحد أصحاب الوجوه في المذهب * ومما حكي لنا واشتهر ورويناه بالسند الصحيح عن الشيخ العارف بالله تعالى أبي الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى أنه قال رأيت النبي ﷺ في المنام وقد باهى موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم بالإمام الغزالي فقال لهما أفي أمتكما حبر كهذا وأشار إلى الغزالي فقالا لا وقال الشيخ الإمام العارف بالله الأستاذ ركن الشريعة والحقيقة أبو العباس المرسي وقد ذكر الغزالي فشهد له بالصديقية العظمى وحسبك من باهى به النبي ﷺ موسى وعيسى وشهد له الصديقيون بالصديقية العظمى وقد ذكر له شيخنا جمال الدين الإسنوي في المهمات ترجمة حسنة منها هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود وروح خلاصة أهل الإيمان والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن يتقرب إلى الله تعالى به كل صديق ولا يبغضه إلا ملحد أو زنديق قد انفرد في ذلك العصر عن أعلام الزمان كما انفرد في هذا الباب فلا يترجم معه فيه إنسان انتهى وكان حجة الإسلام زين الدين محمد الغزالي قد ولي تدريس النظامية بمدينة بغداد ثم تركها وسلك طريق الزهد وقصد الحج فلما رجع توجه إلى الشأم فأقام بدمشق بزاوية الجامع وانتقل إلى القدس ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه بطوس ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها في النظامية ثم تركها وعاد إلى وطنه واتخذ خانقاه للصوفية وصرف وقته إلى وظائف الخيرات من تلاوة القرآن ومجالسة الصالحين وكثرة العبادة والتخلي عن الدنيا والإقبال على الله تعالى بكنه

ماجرين وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز حيث قال إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار (جبل حراب) بأرض الهند في ذروته نار تتقد مقدار مائتي ذراع في مثلها وبالنهار دخان وحواليه منابت العطر يجلب منها إلى سائر الآفاق (جبل جيش إرم) في بلاد طيء على ذروته مساكن لعاد إرم فيها صور منحوتة من الحجر لا يعرف حالها والله أعلم بفائدتها (جبل الجودي) بقرب جزيرة بن عمر من الجانب الشرقي استوت عليه سفينة نوح عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله تعالى وقد بنى فيه نوح عليه الصلاة والسلام مسجداً وهو باق إلى الآن تزوره الناس (جبل جوشن) في يمين حلب فيه معدن النحاس الأحمر قيل أنه بطل منذ عبر عليه الحسين رضي الله تعالى عنه وكانت زوجة الحسين رضي الله عنه حاملا فأسقطت هناك فطلبت منهم الماء في ذلك الجبل فمنعوها وشتموها فدعت عليهم فإلى الآن من عمل فيها لا يربح (جبل الحارث والحويرث) جبلان بأرمينية لا يقدر أحد على ارتقائهما قال ابن الفقيه كان على نهر الرس بأرمينية ألف مدينة فبعث الله إليهم نبيا دعاهم إلى الله تعالى فكذبوه وعصوا أمره فدعا عليهم فحول الله عليهم الحارث والحويرث من الطائف

وأرسلهما عليهم فقالوا إن أهل الرس تحت هذين الجبلين (جبل حراء) بمكة على ثلاثة أميال منها به غار كان رسول الله ﷺ قبل الوحى يأتيه للخلوة فأتاه جبريل عليه السلام هناك وهو موضع مبارك يزوره الناس والله أعلم (جبل حود قور) حدث أحمد بن يحيى التميمى أن فى ناحية قورشق فى جبل يقال له حود قور غوره مقدار خمسة أرماح وعرضه قليل ينبت فيه دكة فمن أراد أن يتعلم شيئا من السحر عمد إلى ماعز أسود ليس فيه شعرة بيضاء وذبحه وسلخه وقسمه سبعة أجزاء وأعطى جزأ منها للراعى المقيم بالجبل وستة أجزائه ينزل بها إلى الغار ويأخذ الكرش فيشقها وينطلى بما فيه ويلبس جلد الماعز مقلوبا ويدخل الغار ليلا ومن شرطه أن لايكون له أب ولا أم فإذا دخل الغار لم ير أحدا فينام فإذا أصبح ووجد جسمه نقيا مما كان عليه كأنه مغسول دل على القبول وإن أصبح بحاله دل على أنه لم يقبل فإذا خرج من الغار يحدث أحدا ثلاثة أيام بعد القبول فيصير ساحرا وحود قور بين حضرموت وعمان (جبل الحيات) بأرض تركستان فيه حيات من نظر إليها يموت إلا أنها لاتخرج من ذلك الجبل

---

الهمة والتبحر فى علوم الحقيقة وكتبه نافعة مفيدة لاسيما إحياء علوم الدين فإنه كتاب لايستغنى عنه طالب الآخرة توفى الإمام حجة الإسلام فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بطوس رحمه الله تعالى ورضى عنه وأرضاه * وذكر ابن خلكان أن أشرف الدين بن عنين حضر درس فخر الدين الرازى بخوارم فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض الجوارح فلما وقعت رجع عنها ولم تقدر الحمامة على الطيران من خوفها وشدة البرد فلما قام الإمام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها وأخذها بيده فأنشده ابن عنين بديهاً أبياتا منها :

من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف * وفدت عليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف * لوأنها تحبى بمال لانثنت * من راحتيك بنائل متضاعف

وكان بين شرف الدين بن عنين والملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر أيوب صاحب دمشق مؤانسة ومصاحبة وكان يجرى بينهما أمور تدل على حسن إدراك الملك المعظم منها أن ابن عنين حصل له توعك فكتب إليه

أنظر إلى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى

أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائى والثواب الوافى فجاء إليه بنفسه ومعه ثلثمائة دينار فقال هذه الصلة وأنا العائد وهذه لو وقعت من أكابر النحاة لاستعظمت منه فضلا عن ملك له هذه الصلة وأنا العائد لأن الذى اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد فالصلة ماوصله به من المال والعائد يحتمل معنيين أحدهما وأنا العائد لك بالصلة مرة بعد أخرى فطب نفسا والآخر من عاد يعود عيادة وهى عيادة المريض وكان الملك المعظم فاضلا حازما شجاعا حنفى المذهب وكانت له رغبة فى فن الأدب حتى أنه شرط لكل من حفظ مفصل الزمخشرى مائة دينار وخلعة فحفظه خلق كثير لهذا السبب توفى سنة أربع وعشرين وستمائة وتوفى الإمام فخر الدين الرازى المتقدم ذكره يوم عيد الفطر سنه ست وستمائة بهراة رحمهما الله تعالى ﴿فائدة﴾ قال بعض الحكماء كل إنسان مع شكله كما أن كل طير مع جنسه وكان مالك بن دينار يقول لايتفق اثنان فى عشرة إلا وفى أحدهما وصف من الآخر فإن أشكال الناس كأجناس الطير ولايتفق نوعان منه فى طيران إلا لمناسبة بينهما فرأى يوما حمامة مع غراب فعجب من اتفاقهما وليس من شكل واحد فلما مشيا إذاهما أعرجان فقال من ههنا اتفقا وكل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يأنس إلى جنسه فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان وليس بينهما مناسبة مافلا بد أن يتفرقا كما قال بعض الشعراء :

وقائل كيف تفرقتما * فقلت قولا فيه إنصاف
لم يك من شكلى ففارقته * والناس أشكال وآلاف

وسيأتى عنه فى الصعوبة شىء من هذا روى أحمد فى الزهد عن يزيد بن ميسرة أن المسيح عليه الصلاة والسلام كان يقول لأصحابه إن استطعتم أن تكونوا بلهاً فى الله تعالى مثل الحمام فافعلوا قال وكان يقال إنه ليس شىء أبله من الحمام وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود إلى مكانه ذلك فيفرخ فيه (الحكم) يحل أكله بالإجماع بجميع أنواعه لأنه من الطيبات ولأن الشارع أوجب فيه على المحرم إذا قتله شاة وفى مستند ذلك وجهان أحدهما أن ذلك لما بينهما من الشبه فإن كلا منهما يألف البيوت ويأنس بالناس والثانى وهو الأصح أن مستنده توقيف بلغهم فيه ونقل الرافعى عن الشيخ أبى محمد الخلاف فيما لو قتل طائراً أكبر من الحمام أو مثله هل ينبنى على هذا إن قلنا المستند التوقيف أوجبنا الشاة وإن قلنا المستند المشابهة أوجبنا القيمة وقد أسقط الإمام النووى رحمه الله هذه المسئلة من الروضة وكأنه ظن أن الخلاف فيها لفظى لافائدة فيه وبيض الحمام وكل طائر

---

البتة (جبل دامغان) جبل مشهور ودامغان يقرب من الرى وعلى هذا الجبل عين ماء إذا ألقى فيها نجاسة

يحرم على المحرم صيده حرام عليه فإن أتلفه ضمنه بقيمته هذا مذهبنا وبه قال الإمام أحمد وآخرون وقال المزنى وبعض أصحاب داود لا جزاء فى البيض وقال مالك يضمنه بعشر ثمن أصله قال ابن المنذر واختلفوا فى بيض الحمام فقال على وعطاء فى كل بيضتين درهم وقال الزهرى والشافعى وأصحاب الرأى وأبو ثور فيه قيمته وسيأتى فى بيض النعام حكمه إن شاء الله تعالى ومن أحكامه فى الصيد أنه إذا اختلطت حمامة مملوكة أو حمامات بحمامات مباحة محصورة لم يجز الاصطياد منها ولو اختلطت بحمام ناحية جاز الاصطياد فى الناحية ولو اختلط حمام أبراج مملوكة لا تكاد تحصر بحمام بلدة أخرى مباحة ففى جواز الاصطياد منها وجهان أصحهما الجواز وبيع الحمام فى البرج على تفصيل بيع السمك فى البركة وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى ولو باعها وهى طائرة اعتمادا على عادة عودها فوجهان أصحهما عند الإمام الجواز كالعبد المبعوث فى شغل وعند الجمهور المنع إذ لا وثوق بعودها لعدم عقلها ومن أحكامه فى الربا أنه جنس واحد بجميع أنواعه كذا قاله المراوزة وقال العراقيون إن كل نوع منه جنس فالحمام جنس والقمارى جنس والفواخت جنس وأما اتخاذه للبيض والفراخ وللأنس وحمل الكتب فجائز بلا كراهة وأما اللعب به والتطيير والمسابقة فقيل يجوز لأنه يحتاج إليها فى الحرب لنقل الأخبار والأصح كراهته لما تقدم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى قال فيه شيطان يتبع شيطانة قال ابن حبان بعد رواية هذا الحديث إنما قال له شيطان لأن اللاعب بالحمام لا يكاد يخلو من لغو وعصيان والعاصى يقال له شيطان قال الله تعالى شياطين الإنس والجن وأطلق على الحمامة شيطانة للمجاورة ولا ترد الشهادة بمجرد اللعب بالحمام خلافا لمالك وأبى حنيفة فإن انضم إليه قمار أو نحوه ردت به الشهادة * وروى أبو محمد الرامهرمزى فى كتابه المحدث الفاصل بين الراوى والواعى عن مصعب الزبيرى قال سمعت مالك بن أنس رضى الله عنه وقد قال لابنى أخته أبى بكر محمد وإسمعيل ابنى أبى أويس أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه يعنى الحديث قالا نعم قال فإن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما فأقلا منه وتفقها قال ونزل ابن مالك من فوق سطح ومعه حمام قد غطاه فعلم مالك أنه قد فهمه الناس فقال مالك الأدب أدب الله لا أدب الآباء والأمهات والخير خير الله لا خير الآباء والأمهات وروى عنه أيضا أنه قال كان يحيى بن مالك بن أنس يدخل ويخرج ولا يجلس معنا عند أبيه فكان إذا نظر إليه أبوه قال هاه إن مما تطيب به نفسى أن هذا الشأن لا يورث وأن أحدا لم يخلف أباه فى مجلسه إلا عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان أفضل أهل زمانه وكان أبوه أفضل أهل زمانه وقال البخارى فى المناسك من صحيحه حدثنا على بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه إنه سمع أباه وكان أفضل أهل زمانه يقول سمعت عائشة رضى الله عنها تقول طيبت رسول الله ﷺ بيدى هاتين الحديث وأم عبد الرحمن قريبة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه واتفق الناس على جلالته وإمامته وثقته وورعه وكثرة علمه ولد فى حياة عائشة رضى الله تعالى عنها وتوفى سنة ست وعشرين ومائة روى له الجماعة وروى أن المنصور أمير المؤمنين قال له يوما عظنى بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا فبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى له موضع القبر بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده تسعة عشر درهما ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا فورث كل واحد منهم ألف ألف درهم ثم إنى رأيت رجلا من أولاد عمر بن عبد العزيز حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله تعالى ورأيت رجلا من أولاد هشام يسأل أن يتصدق عليه انتهى (قلت) وهذا أمر غير عجيب فإن عمر وكلهم إلى ربه فكفاهم وأغناهم

النجوم ارتفاعا ويحكيها امتناعا قال مسعود بن مهلهل أنه جبل شاهق لا يفارق أعلاه الثلج شتاء ولا صيفا ولا يقدر الإنسان أن يعلو ذروته زعموا أن سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام حبس به ماردا يقال له صخر وذكروا أن أفريدون حبس به بنى راسف الذى يقال له الضحاك قال فصعدت الجبل إلى أن وصلت إلى نصفه بمشقة ومخاطرة بالنفس وما أظن أحدا يجاوز هذا الموضع الذى وصلت إليه رأيت عينا كبريتا وحولها كبريت مستحجر إذا طلعت الشمس عليها التهبت وصارت نارا وسمعت من أهل تلك الناحية يقولون إن النمل إذا كثر جمع الحب على هذا الجبل يكون بعده جدب وقحط وأنهم إذا دامت عليهم الأنداء والأمطار فصبوا ابن الماعز على النار انقطع قال فاعتبرت هذا فوجدتهم صادقين وأنه ما يرى فى وقت من الأوقات قلة الجبل منحسرا عن الثلج إلا وقد وقعت فتنة وأهريقت الدماء من الجانب الذى يرى منحسرا وهذه أيضا صحيحة بإجماع أهل تلك الناحية وقال محمد بن إبراهيم الضراب أن أبى عرف أن

وهشام وكلهم إلى دنياهم فأقفرهم مولاهم وأما بيع زرق الحمام وسرجين البهائم المأكولة وغيرها فباطل وثمنه حرام هذا مذهبنا وقال أبو حنيفة يجوز بيع السرجين لاتفاق أهل الأعصار فى جميع الأمصار على بيعه من غير إنكار ولأنه يجوز الانتفاع به فجاز بيعه كسائر الأشياء واحتج أصحابنا بحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال إن الله تعالى إذا حرم على قوم شيئا حرم عليهم ثمنه وهو حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح وهو عام إلا ما خرج بدليل كالحمار وبأنه نجس العين فلم يجز بيعه كالعذرة فإنهم وافقونا على بطلان بيعها مع أنه ينتفع بها وأما الجواب عما احتجوا به فهو ما أجاب به الماوردى وغيره أن بيعه إنما يفعله الجهلة والأراذل فلا يكون ذلك حجة فى دين الإسلام وأما قولهم إنه ينتفع به فأشبه غيره فالفرق أن هذا نجس بخلاف غيره (الأمثال) قالوا أأمن من حمام الحرم وأألف من حمام مكة وقالوا تقلدها طوق الحمامة كناية عن الخصلة القبيحة أى تقلدها كطوق الحمامة لأنه لا يزايلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثله قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه أى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه * وقال الزمخشرى فإن قلت لم ذكر حسيبا. قلت لأنه بمنزلة الشاهد والقاضى والأمين لأن هذه الأمور الغالب أن يتولاها الرجال فكأنه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا وكان الحسن البصرى إذا قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك وقيل فى قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أى يلزمون أعمالهم كما يلزم الطوق العنق يقال طوق فلان عمله طوق الحمامة أى ألزم جزاء عمله روى الإمام أحمد فى الزهد عن مطرف أنه قال إذا أنامت فلا تحبسونى لكن يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن * أمر عواقبه ندامه دار ابن عمك بعتها * تقضى بها عنك الغرامه
وحليفكم بالله رب * الناس مجتهد القسامه اذهب بها اذهب بها * طوقتها طوق الحمامه

أى لزمه عارها قال الإمام عبد الرحمن السهيلى هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة مع سبع أرضين وقوله طوق الحمامة لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبدا كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين وفى هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه وفى قوله طوق الحمامة رد على من تأول قوله ﷺ طوقه من سبع أرضين أنه من الطاقة لا من الطوق فى العنق وقاله الخطابى فى أحد قوليه مع أن البخارى قد قال فى بعض رواياته خسف به إلى سبع أرضين وفى مصنف ابن أبى شيبة من غصب شبرا من أرض جاء به اسطاما فى عنقه والاسطام كالحلق من الحديد وقالوا أخرق من حمامة لأنها لا تحكم عشها وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشها فى الموضع الذى تذهب به الريح فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم كما * عيت ببيضتها الحمامه جعلت لها عودين من * بشم وآخر من ثمامه

(الخواص) إذا سكن الخدور بقربها أو فى بيت يجاورها أو فى بيت هى فيه برئ وفى مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات وهذه خاصية عظيمة بديعة ودمها إذا اكتحل به حارا نفع من الجراحات العارضة للعين والغشاوة ودمها خاصة يقطع الرعاف الذى من حجب الدماغ وإذا خلط بالزيت أبرأ من حرق النار وزبل الحمام حار وأشده حرارة زبل البرى الذى لا يأوى البيوت وأعجب ما فى زبله أنه إذا سخن فى الماء وجلس فيه من به عسر البول أبرأه ومما جرب لعسر البول

إلا ذابت فى ساعتها وذكر أهل نهاوند أنه جاءهم رجل من خراسان ومعه مغارف حديد طوال مطلية بماء عالجها بها وأخرج الكبريت منها لبعض الملوك وذكر محمد بن إبراهيم أن الأمير موسى ابن حفص كان واليا على الرى إذ ورد عليه كتاب المأمون يأمره بالشخوص إلى نهاوند ويعرفه حال المحبوس به قال فوافينا القرية التى بحضيض الجبال ومكثنا أياما لا نرى الاهتداء حتى أتانا شيخ فعرفناه أمر الخليفة فقال أما الوصول إلى ذلك المكان فلا سبيل إليه لكن إذا أردتم صحة ذلك أريتكم فاستحسن الأمير قوله فعند ذلك صعد الشيخ بين أيدينا وصعدنا خلفه وأوقفنا على موضع فبالغنا فى حفره حتى انكشف لنا عن بيت منقور من الحجارة وفيه تمثال على صورة عجيبة يضرب بمطرقة على أعلاه ساعة بعد ساعة من غير فتور فاستخبرنا الشيخ عن شأنه فقال هذا طلسم لبيور اسف المحبوس ههنا لئلا ينحل من وثاقه ثم أمرنا أن لا نتعرض لطلسم وأن نرده إلى ما كان ففعلنا ثم دعا بسلالم أطول ما يكون فأمر الأمير بإحضارها فشد بعضها إلى بعض حتى بلغ مقدار مائة ذراع ثم رفعها ونقب موضعها

فظهر باب فوصلنا إلى أسكفته وعليها مسامير من حديد مذهبة كأن الصائغ قد فرغ منها عن قريب وفوق الأسكفة كتابة بالذهب تنطق بأن على هذه القبة سبعة أبواب من حديد على كل باب مصراع أربعة أقفال من حديد وعلى العضادة مكتوب هذا حيوان له أمد إلى غاية لا يتعرض أحد لهذه الأبواب فإن من فتحه يهجم على هذا الأقليم آفة لا تدفع فقال الأمير لا يتعرض أحد بشيء من هذا حتى نستأذن الخليفة فأمر بردالبيت على ما كان واستأذن الخليفة فيه فكتب المأمون إليه أن يترك ذلك على حاله والله تعالى الموفق للصواب (جبل ربوة) على فرسخ من دمشق ذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين هو جبل عال على قلته مسجد حسن وهو في بعض البساتين من جميع جوانبها الخضرة والأشجار والرياحين وللمسجد مناظر إلى البساتين ولما أرادوا إجراء نهر بردى وقع هذا الجبل في طريقه فنقبوا تحته وأجروا الماء فيه ويجرى على رأسه نهر يزيد وينزل من أعلاه إلى أسفله وفي هذا الجبل كهف صغير زعموا أن عيسى عليه الصلاة والسلام ولد فيه ورأيت في هذا المسجد في بيت صغير حجراً كبيراً ذا ألوان عجيبة حجمه كحجم

أن يكتب له في إناء نظيف ثم يذاب بماء ويسقى لمن به ذلك فإنه يبول من وقته وساعته قوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون رمص نفح وشفوا بفضل الله عز وجل وإذا طلى بالخل وضمد به من به وجع الاستسقاء نفعه نفعا بينا وزبل الحمام الأحمر إذا شرب منه قدر درهمين مع ثلاثة دراهم دار صيني نفع من الحصادة ولحم الحمام جيد للكلى ويزيد في المني والدم وإذا شقت وهي حية ووضعت وهي حارة في موضع لسع العقرب نفعت نفعا بينا وزبل الحمام إذا بخر به المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة (التعبير) الحمام في المنام رسول أمين أو صديق صدوق أو حبيب أنيس وربما دلت رؤية الحمام على النوح والتعديد قال الشاعر: صب ينوح إذا الحمام ينوح * وربما دلت الحمامة في الرؤيا على امرأة مباركة حسناء عربية لا تبتغي ببعلها بدلا والحمام على رأس المريض وهو حمام الموت قال الشاعر:

هن الحمام فإن كسرت عيافة * من حائهن فإنهن حمام

ووجهها بجمع النساء وفراخها بنون فمن رأى أنه يعلف الحمام ويدعوهن إليه فإنه يقود وإن حشر الحمام والغربان في مكان واحد فإنه يقود أيضا لأن الغربان فساق وكل شيء يحشر مع غير جنسه كالنعاج والكلاب وأشباه ذلك فإنه قيادة وهدير الحمام كلام باطل ومن سمع حمامة تهدر فإنه يدل على امرأة تعاتب زوجها ومن رأى حمامة قدمت عليه وتلقاها فإنه يرد عليه كتاب ومن نفرت منه حمامته ولم تعد إليه فإنه يطلق زوجته أو تموت ومن رأى كأن له حماما فإنه ممن يشترى الجوارى ومن قص جناح حمامة في المنام فقد حلف على زوجته أن لا تخرج من بيته أو تلد أو تحمل لأن النفاس والحمل يمنعان من الخروج والحمام الذي يهدى إلى الطريق فإنه خبر يأتي الرائي من مكان بعيد والحمام في المنام دليل خير لمن يصادق أو يشارك لاجتماع بعضه مع بعض في الطيران والمزاوجة وقال جاماسب من اصطاد الحمام في المنام أكل مال أعدائه ومن رأى بعين حمامته نقصا فهو نقص في دين زوجته وخلقها وقال ابن المقرى رؤية المنسوب من الحمام إلى من دونه شريف القدر أو النسب ورؤيته دالة على الأفراح والنصر على الأعداء واللهو واللعب وربما دل الحمام على الأزواج الصينات وذوات الحفظ للأسرار والكد على العيال وربما دل على الحمام الذي هو الموت وربما دل على امرأة ذات الأولاد والرجل الكثير النسل المنعكف على أهل بيته والله أعلم.

﴿الحمد﴾ فرخ القطاة وفي المثل حمد قطاة يستمى الأرانب أن يصيدها يضرب للضعيف الذي يروم أن يكيد قويا قال الميداني ولم أر له ذكراً في الكتب

﴿الحمر﴾ بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبالراء المهملة ضرب من الطير كالعصفور قال أبو المهوش الأسدي:

قد كنت أحسبكم أسود حمية * فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

لصاف اسم جبل والواحدة حمرة قال الراجز:

وحمرات شربهن عب * إذا غفلت غفلة تعب

وقد تخفف فيقال حمرة وحمرات وابن لسان الحمرة كان من خطباء العرب وهو أحد بني تيم اللات بن ثعلبة وكان من علماء زمانه ضرب به المثل في الفصاحة وطول العمر واسمه ورقاء بن الأشعر ويكنى أبا كلاب سأله معاوية يوما عن أشياء فأجابه عنها فقال له بم نلت العلم قال بلسان سؤول وقلب عقول ثم قال يا أمير المؤمنين إن للعلم آفة وإضاعة ونكداً واستجاعة وآفته النسيان

وإضاعته ان تحدث به غير اهله ونكده الكذب فيه واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبدا (الحكم) حل الأكل بالإجماع لأنها من أنواع العصافير وقال العبادى منهم من حرم الحمر لأنه نهاش وهذا قول شاذ مردود روى أبو داود الطيالسى والحاكم وقال صحيح الإسناد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنا عند النبى ﷺ فدخل رجل غيضة فأخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله ﷺ وأصحابه فقال رسول الله ﷺ لأصحابه أيكم فجع هذه فقال رجل أنا يارسول الله أخذت بيضها وفى رواية الحاكم أخذت فرخها فقال رسول الله ﷺ رده رده رحمة لها وفى الترمذى وابن ماجه عن عامر الدارى أن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ دخلوا غيضة فأخذوا فرخ طائر فجاء الطائر إلى رسول الله ﷺ يرف فقال عليه الصلاة والسلام أيكم أخذ فرخ هذا فقال رجل أنا فأمره أن يرده فرده - وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى الكلام على الفرخ الحديث الذى رواه أبو داود فى أول كتاب الجنائز عن عامر الرامى - والحكمة فى الأمر بالرد أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين أو لأنها لما استجارت به أجارها فكان الإرسال فى هذه الحالة واجبا (الأمثال) قالوا أعمر من ابن لسان الحمرة وقالوا أنسب من ابن لسان الحمرة وكان أنسب العرب وأعظمهم كبرا (وخواصه وتعبيره) ستأتى فى باب العين المهملة فى لفظ العصفور .

﴿الحمسة﴾ بتحريك الحاء والميم والسين المهملة دابة من دواب البحر وقيل هى السلحفاة والجمع حمس حكاه ابن سيده .

﴿الحماط﴾ بكسر الحاء المهملة والحمطوط بالضم دويبة تكون فى العشب .

﴿الحمك﴾ الصغار من كل شىء واحدته حمكة وقد غلب على القمل والحمك أيضا فراخ القطا والنعام والحمك أيضا أراذل الناس قال الراجز ﴿تعذلينى برذالات الحمك﴾

﴿الحمل﴾ الخروف إذا بلغ ستة أشهر وقيل هو ولد الضأن الجذع فما دونه والجمع حملان وأحمال روى ابن ماجه من حديث أبى يزيد الأنصارى رضى الله عنه قال مر النبى ﷺ بدار من دور الأنصار فوجد ريح قتار فقال من هذا الذى ذبح فخرج إليه رجل منا فقال أنا يارسول الله ذبحت قبل أن أصلى لأطعم أهلى فأمره ﷺ أن يعيد فقال والله الذى لا إله إلا هو ماعندى إلا حمل من الضأن فقال صلى الله عليه وسلم اذبحه ولن يجزى عن أحد بعدك وفى كتاب قوت القلوب لأبى طالب المكى فى أوائل الفصل الخامس والعشرين قال حدثنى بعض إخوانى عن بعض أهل هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا حملا مشويا ودعوناه فى جماعة من أصحابنا فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها فى فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فإنه قد عرض لى مانع منعنى من الأكل فقلنا له لا نأكل مالم تأكل معنا فقال أما أنا فغير آكل ثم انصرف فكرهنا أن نأكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الحمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه وسألناه ولم نزل به حتى أقر أنه كان ميتة وأن نفسه شرهت إلى بيعه حرصا على ثمنه قال فأطعمناه الكلاب ثم لقينا الرجل فسألناه عن العارض الذى معه عن الأكل فقال ماشرهت نفسى إلى الأكل منذ عشرين سنة فلما قدمتم إلى هذا الحمل شرهت نفسى إليه شرها ماعهدته قبل ذلك فعلمت أن فى الطعام علة فتركت أكله لأجل شره النفس قال فانظر كيف اتفقا فى شره النفس عن قصد واحد واختلفا فى التوفيق والخذلان فعصم الله العالم بالورع والمحاسبة وترك

تشقق ولأهل دمشق فى ذلك أقاويل والله أعلم بصحتها ولا ريب أنه شىء عجيب (جبل رضوى) قال عامر بن أصبح هو من المدينة على سبعة مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية يرى من البعد أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم فيه وأنه حى وأنه بين أسد ونمر يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ويعود بعد الغيبة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وهو المهدى المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان وقتاله ابن يزيد بن معاوية وكان السيد الحميرى على هذا المذهب وهو يقول .

ألا قل للوصى فدتك نفسى
أطلت بذلك الجبل المقاما
ومن رضوى يقطع حجر المسن
ويرفع إلى جميع الآفاق والله الموفق (جبل الرقيم) هو المذكور فى القرآن فى قوله أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قيل الرقيم اسم الجبل الذى فيه الكهف وقيل اسم القرية التى كان أصحاب الكهف منها والجبل بالروم بين عمورية ونيقية روى عن عبادة بن الصامت

الجاهل مع شره النفس بالحرص وترك المراقبة ﴿عجيبة﴾ فى معجم ابن قانع والطبرانى فى ترجمة كردم بن السائب الأنصارى قال خرجت مع أبى إلى المدينة فى أول ماذكر النبى ﷺ بمكة فآوانا الليل إلى راع فلما انتصف الليل جاء الذئب فاحتمل حملا من الغنم فوثب الراعى وقال ياعامر الوادى أوذى جارك فنادى مناد ياسرحان أرسله فجاء الحمل يشتد عدوا حتى دخل فى الغنم وأنزل الله تعالى على رسوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وهو فى الميزان فى ترجمة إسحق بن الحرث الكوفى وهو ضعيف وفى الشفاء للقاضى عياض رحمه الله تعالى يقال إن سبب ابتلاء يعقوب بيوسف صلى الله عليهما وسلم أنه اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوى وهما يضحكان وكان لهما جار يتيم فشم رائحته واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه بذلك فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن ابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه ألا من كان مضطرا فليتغد عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التى نص الله عليها انتهى ﴿قلت﴾ وهذا الكلام لاأعتقد له صحة وقد عجبت من القاضى عياض رحمه الله كيف ذكره فى كتابه والذى يجب تنزيههما عن هذه الرذيلة وإنما ذكرته لأنبه على أنه لايعتقد صحته وإن كان الطبرانى قد روى فى معجمه الأوسط والصغير من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى حديث طويل شيئا من ذلك وأن يعقوب كان بعد ذلك إذا أراد الغداء أمر مناديا ينادى ألا من أراد الغداء فليتغد مع يعقوب وإذا كان صائما نادى مناد ألا من كان صائما فليفطر مع يعقوب فإنما رواه الطبرانى عن شيخه محمد بن أحمد الباهلى البصرى وهو ضعيف جدا وكذا رواه البيهقى فى الشعب فى الباب الثانى والعشرين وذكر الواحدى فى تفسير قوله تعالى إنى لأجد ريح يوسف إن ريح الصبا استأذنت ربها عزوجل أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير فأذن لها فلذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وهى من ناحية المشرق فيرتاح إلى الأوطان والأحباب وأنشد :

أيا جبلى نعمان بالله خليا ✲ نسيم الصبا يسرى إلى نسيمها
فإن الصبا ريح إذا ماتنسمت ✲ على نفس مهموم تجلت همومها

﴿حمنان﴾ بفتح الحاء المهملة صغار القردان واحدته حمنانة وحمنة وهى من القراد دون الحلم

﴿الحمولة﴾ قال الجوهرى هى بالفتح الإبل التى تحمل وكذلك كل ما احتمل عليه الحى من حمار أو غيره سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول بها قال الله تعالى ومن الأنعام حمولة وفرشا وسيأتى له ذكر فى باب الفاء إن شاء الله تعالى .

﴿الحميمق﴾ قال ابن سيده أنه طائر يصيد القطا والجنادب ونحوهما وسمعت بعض أهل العلم يقول إنه الباشق ويفسر به قول أبى الوليد الأزرقى فى تاريخ مكة وهو قال ابن جريج قلت لعطاء إذا كنت محرما أفأقتل العقاب قال اقتل قلت والصقر والحميمق فإنهما يأخذان حمام المسلمين قال اقتل واقتل البعوض والذباب واقتل الذئب فإنه عدو ذكره فى تعظيم الحرم

﴿حميل حر﴾ بالضم وقد يكسر طائر معروف

﴿الحنش﴾ بفتح الحاء المهملة والنون وبالشين المعجمة الحية ويقال الأفعى والجمع أحناش وقيل الأحناش جميع دواب الأرض كالضب والقنفذ واليربوع وغيرها ثم خصت به الحية قال ذو الرمة :

وكم حنش ذعف اللعاب كأنه ✲ على الشرك العادى نصف عصام

أدعوه إلى الإسلام قال فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل أحمر قالوا أنه جبل أصحاب الكهف فوصلنا إلى دير فيه وسألنا أهلها عنهم فأوقفونا على سرب فى الجبل فقلنا لهم نحن نريد أن ننظر إليهم ووهبنا لهم هبة فدخلوا ودخلنا معهم فى ذلك السرب وكان عليه باب من حديد ففتحوه فانتهينا إلى بيت عظيم محفور فى الجبل فيه ثلاثة عشر رجلا مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود على كل واحد منهم جبة غبراء وكساء أغبر قد غطوا بها رؤسهم إلى أرجلهم فلم نر ما ثيابهم من صوف أووبر إلا أنها أصلب من الديباج وإذا هى تقعقع من الصفاقة وعلى أكثرهم خفاف إلى أنصاف سوقهم منتعلين بنعال مخصوفة ولنعالهم وخفافهم من جودة الخرز ولين الجلود مالم ير مثله فكشفنا عن وجوههم رجلا بعد رجل فإذا هم من وضاءة الوجوه وصفاء الألوان كالأحياء وإذا الشيب قد وخط بعضهم وبعضهم شباب وبعضهم موفورة شعورهم وبعضهم مضمومة وهم على زى المسلمين فانتهينا إلى آخرهم فإذا هو مضروب الوجه بالسيف كأنه ضرب فى يومه فسألناهم عن حالهم فذكروا أن قوما يدخلون عليهم فى كل عام يوما يجتمع أهل تلك النواحى عند باب هذا الكهف فيدخل عليهم من ينفض التراب عن وجوههم وجباههم وأكسيتهم ويقلم

وبه سمى الرجل حنشا وقيل الحنش حية بيضاء غليظة مثل الثعبان أو أعظم وقيل إنه أسود الحيات والحنش أيضا بالتحريك كل ما يصاد من الطير والهوام وفى كتاب العين الحنش ما رؤسها رؤس الحيات وسام أبرص ونحوها وفى الحديث فى قتل الدجال وترتفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده فى فم الحنش فلا يضره الحمة هى ما تلسع به الهوام وفى سنن ابن ماجه وجامع الترمذى عن خزيمة بن جزء أنه قال يا رسول الله جئتك أسألك عن أحناش الأرض ما تقول فى الثعلب قال ومن يأكل الثعلب قلت فما تقول فى الذئب قال أو يأكل الذئب أحد فيه خير وذكر الترمذى الذئب والأرنب فكل هذه من أحناش الأرض

﴿الحنظب﴾ الذكر من الجراد وقال الخليل الحناظب الخنافس الواحدة حنظب وحنظباء وقال حمزة الأصفهانى من المركبات بين الثعلب والهرة الوحشية الحنظب وأنشد لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنت ابنه * فبئس البنى وبئس الأب * وأمك سوداء نوبية
كأن أناملها الحنظب * يبيت أبوك لها سافداً * كما سفد الهرة الثعلب

وقال الطماخى يصف كلباً أسود :

أعددت للذئب وليل الحارس * مصدرا أتلع مثل الفارس
يستقبل الريح بأنف خانس * فى مثل جلد الحنظباء اليابس

﴿الحوار﴾ ولد الناقة ولا يزال حوار حتى يفصل عن أمه فإذا فصل عن أمه فهو فصيل وثلاثة أحورة والكثير حيران وحوران أيضا قاله الجوهرى وذكر ابن هشام وغيره فى سرية عبدالله بن أنيس إلى خالد بن نبيج وكانت فى المحرم فى السنة الثالثة من الهجرة وكان ينزل عرنة أنه قال فى ذلك

تركت ابن ثور كالحوار وحوله * نوائح تفرى كل جيب مقدد

الأبيات الخمسة وسيأتى ذكر القصة إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت (الأمثال) قال صاحب يسار الكواعب له يا يسار كل لحم الحوار واشرب لبن العشار وإياك وبنات الأحرار والقصة فى ذلك مشهورة وفى ذلك يقول الشاعر :

وإنى لأخشى إن خطبت إليهم * عليك الذى لاقى يسار الكواعب

وقالوا أمسح من لحم الحوار قال الشاعر :

وقد علم الغثر والطارقون * بأنك للضيف جوع وقر
مسيخ مليخ كلحم الحوار * فلا أنت حلو ولا أنت مر

المسيخ والمليخ الذى لا طعم له وقالوا كسؤر العبد من لحم الحور يضرب للشىء الذى لا يدرك منه شىء وأصله أن عبدا نحر حوارا وأكله كله ولم يبق لمولاه منه شيئاً فضرب به المثل لما يفقد ألبتة

﴿الحوت﴾ السمك والجمع أحوات وحوتة وحيتان قال الله تعالى إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الآية وهذا يمكن أن يقع من الحيتان بإرسال من الله تعالى كإرسال السحاب أو بوحى إلهام كالوحى إلى النحل أو بإشعار فى ذلك اليوم نحو ما يشعر الله الدواب يوم الجمعة بأمر الساعة حسبما يقتضيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة فرقا من قيام الساعة ويحتمل أن يكون ذلك من الحيتان شعورا بالسلامة فى ذلك اليوم على نحو شعور حمام الحرم بالسلامة قال أصحاب القصص كان الحوت يقرب ويكثر حتى

أظفارهم ويقص شواربهم ويتركهم على الهيئة التى ترونها فقلنا لهم هل تعرفون من هم وكم هم وكم مدة مالهم ههنا فذكروا أنهم يجدون فى كتبهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا فى زمان واحد وكانوا قبل المسيح بأربعمائة سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن أصحاب الكهف سبعة (وهم) مكسلمينا امليخا مرطوكش نوالس سانيوس بطنيوس اكشفوط واسم كلبهم قطمير (جبال رانك) قال صاحب تحفة الغرائب أنها بأرض تركستان وهناك جمع من الترك يقال لهم رانك وهم أناس ليس لهم زرع ولا ضرع وفى جبالهم ذهب وفضة كثيرة وربما قطعوه كرأس شاة فمن أخذ القطع الصغار ينتفع بها ومن أخذ الكبار يموت هو وأهل البيت الذى يكون فيه تلك القطع الكبار وما يزال الموت فيهم حتى يردها إلى مكانها وإذا أخذ الغريب لا يضره (جبل زغوان) بقرب تونس وهو جبل منيف يرى من مسيرة أيام لعلوه ويرى السحاب دونه وأهل أفريقية يقولون فلان أثقل من جبل زغوان وفيه قرى كثيرة ومياه وأشجار وثمار وفيها مأوى الصالحين وكثيراً ما يمطر سفحه ولا يمطر أعلاه فمن كان بيته فى سفح الجبل يشكو من شدة المطر ومن كان بيته فى أعلاه يشكون من قلة المياه وكثرة العطش (جبل ساوه) هو جبل على مرحلة منها رأيته وهو

شامخ جدا فيه غار شبه إيوان يسع ألف نفس وفى آخر الغار قد برز من سقفه أربعة أحجار شبيهة بثدى النساء يتقاطر الماء من ثلاثة والرابع يابس قالوا مصه كافر فيبس وتحتها حوض يجتمع الماء فيه وماؤه طيب غير متغير مع طول وقوفه وعلى باب الغار ثقب ذو بابين يدخلون مع أحدهما ويخرجون من الآخر زعموا أن من لم يكن له ولد يرشده لا يقدر على الخروج منها ورأيت رجلا دخل فيها فما خرج إلا بعد جهد شديد والله الموفق (جبل سيلان) وهو بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان من أعلى جبال الدنيا عن رسول الله ﷺ من قرأ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون كتب الله له من الحسنات بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان قيل وما سيلان يارسول الله قال جبل أرمينية وأذربيجان عليه عين من عيون الجنة وفيه قبر من قبور الأنبياء قال أبو حامد الأندلسى على رأس الجبل عين عظيمة ماؤها بارد جدا وحول الجبل عيون حارة تقصدها الناس وفى حضيض الجبل شجر كثير وبينها حشيش لا يتناوله شىء من الحيوانات إلا مات من ساعته قال ولقد رأيت البهائم من الخيل والحمير والبقر والغنم يقصدونها فإذا قربت منها نفرت حتى العصافير قال وفى سفح الجبل قرية اجتمعت بقاضيها وهو أبو الفرج بن

يمكن أخذه باليد فإذا كان يوم الأحد غاب بجملته وقيل يغيب أكثره ولا يبقى منه إلا القليل وستأتى القصة فى ذلك فى باب القاف فى لفظ القرد (وروينا) بالسند الصحيح عن سعيد بن جبير أنه قال لما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض لم يكن فيها غير النسر فى البر والحوت فى البحر وكان النسر يأوى إلى الحوت فيبيت عنده فلما رأى النسر آدم عليه السلام أتى الحوت وقال ياحوت لقد أهبط اليوم إلى الأرض من يمشى على رجليه ويبطش بيديه فقال الحوت لئن كنت صادقا فمالى منجا منه فى البحر ومالك مخلص منه فى البر (الأمثال) قال الشاعر :

كالحوت لا يلهيه شىء يلهمه * يصبح ظمآن وفى البحر فمه

يلهمه : يبتلعه ؛ يضرب لمن عاش بخيلا شرها (روى الطبرانى) فى معجمه الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا قليلا فلذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا فذاك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار وينادى منادى على رؤس الأشهاد هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب ويكفى الحوت شرفا أنه كان وعاء ومسكنا لنبى الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام وذلك أن الله تعالى أوحى إليه إنى لم أجعل لك يونس رزقا وإنما جعلت بطنك له حرزا وسجنا ثم استنقذه الله تعالى من بطنه واختلف فى مدة لبثه فى بطن الحوت فقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدى والكلبى ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية وأما قوله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين فالمراد باليقطين هنا القرع على قول جميع المفسرين فكل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين ﴿فائدة﴾ سئل إمام الحرمين هل البارى تعالى فى جهة فقال هو متعال عن ذلك فقيل له ما الدليل على ذلك فقال قوله ﷺ لا تفضلونى على يونس بن متى فقيل له ما وجه ذلك فقال لا أقول حتى يأخذ ضيفى هذا ألف دينار يقضى بها دينه فقام بها رجلان فقال إن يونس بن متى رمى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت وصار فى قعر البحر فى ظلمات ثلاث ونادى أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ولم يكن النبى ﷺ حين جلس على الرفرف الأخضر وانتهى إلى أن سمع صريف الأقلام وناجاه ربه بما ناجاه وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله تعالى من يونس بن متى فى بطن الحوت فى ظلمة البحر انتهى وسيأتى فى باب النون إن شاء الله تعالى جواب ابن عباس رضى الله عنهما عن رسالة ملك الروم التى سأل فيها معاوية عن القبر الذى سار بصاحبه وروى الحاكم فى المستدرك بإسناد فيه يزيد بن البلوى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كنا مع النبى ﷺ فى سفر فنزلنا منزلا فإذا فى الوادى رجل يقول اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة قال فأشرفت عليه فإذا رجل طوله ثلثمائة ذراع فقال من أنت قلت أنا أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم فقال وأين هو قلت هو ذا يسمع منك كلامك قال فائته وأقرئه منى السلام وقل له أخوك الياس يقرئك السلام قال فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فجاء حتى عانقه وقعدا يتحدثان فقال يارسول الله إنى إنما آكل فى السنة يوما واحدا وهذا يوم فطرى فآكل أنا وأنت فنزلت عليهما مائدة من السماء عليها خبز وحوت وكرفس فأكلا وأطعمانى وصليا العصر ثم ودعه ثم رأيته مر فى السحاب نحو السماء قال الحاكم صحيح الإسناد قال شيخ

الإسلام العلامة شمس الدين الذهبى رحمه الله فى الميزان أما استحيا الحاكم من الله تعالى فى تصحيح مثل هذا وقال فى تلخيص المستدرك بعد قول الحاكم هذا صحيح ﴿قلت﴾ بل هو موضوع قبح الله من وضعه وما كنت أحسب ولا أجوز أن الجهل يبلغ بالحاكم إلى تصحيح هذا اه ﴿فائدة﴾ قال القشيرى يقال إن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ربه سبحانه وتعالى أن يأذن له أن يضيف يوما جميع الحيوانات فأذن الله تعالى له فأخذ سليمان فى جمع الطعام مدة طويلة فأرسل الله تعالى له حوتا واحدا من البحر فأكل كل ما جمعه سليمان فى تلك المدة الطويلة ثم استزاده فقال سليمان لم يبق عندى شىء ثم قال له وأنت تأكل كل يوم مثل هذا فقال رزقى كل يوم ثلاثة أضعاف هذا ولكن الله لم يطعمنى اليوم إلا ما أطعمتنى أنت فليتك لم تضيفنى فإنى بقيت اليوم جائعا حيث كنت ضيفك انتهى وفى هذا إشارة إلى كمال قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه وسعة خزائنه إذ مثل سليمان مع سعة ملكه وقوة سلطانه الذى آتاه الله تعالى عجز أن يشبع مخلوقا واحدا من مخلوقات الله تعالى فسبحان المتكفل بأرزاق خلقه ﴿وهنا دقيقة﴾ يجب أن يتنبه لها وهى أن الشبع والرى ليس هو من فعل الطعام والماء وإنما أجرى الله العادة بخلق الشبع عند أكل الطعام وخلق الرى عند شرب الماء فالشبع والرى خلق الله تعالى ﴿هذا﴾ مذهب أهل الحق ولا التفات لمن قال غير ذلك (وحكمه وخواصه وتعبيره) كالسمك وسيأتى فى باب السين المهملة إن شاء الله تعالى .

﴿حوت الحيض﴾ قال ابن زهرة قال لى من رآه أنه دابة عظيمة فى البحر تمنع المراكب الكبار عن السير فإذا أشرف أهل السفينة على العطب رموا له بخرق الحيض فيهرب ولا يقربهم فهى معدة معهم لذلك وهذا الحوت اسمه الفاطوس وسيأتى فى باب الفاء إن شاء الله تعالى قال ومن عجيب أمر هذا الحيوان أنه لا يقرب مركبا فيه امرأة حائض (وحكمه) كعموم السمك ودم الحوت نجس كسائر الدماء وقيل طاهر لأنه إذا يبس ابيض بخلاف سائر الدماء فإنها تسود كذا نقله القرطبى عن بعض الحنفية (الخواص) قال الرازى وغيره إذا سعط المصروع بوزن حبة من مرارته برئ من الصرع بإذن الله تعالى وهو مجرب وكبده إذا جففت وسحقت وذر منها على الدم السائل قطعة أو على الجرح ألحمه وأبرأه وإن كان عظيما وهو أيضا مجرب ووسط لحم ظهره إذا أخذ منه قطعة ولاكها إنسان هيجت الباه وأنعظت ﴿تذنيب﴾ الحيض فى المنام نكاح حرام فمن رأى أنه حائض فإنه يأتى محرما والمرأة إذا رأت أنها حائض اختلط عليها أمرها فإن اغتسلت ذهب الهم عنها وإن رأت امرأة أنها مستحاضة وهى التى لم ينقطع الدم عنها فإنها كثيرة الذنوب لا تثبت على توبة لأن الاسم صار طبعا لها نسأل الله السلامة وقيل إن الرجل إذا رأى أنه حائض فإنه يكذب وإن رأى امرأته حائضا انغلق عليه أمره والله تعالى أعلم

﴿حوت موسى ويوشع عليهما الصلاة والسلام﴾ قال أبو حامد الأندلسى رأيت سمكة بقرب مدينة سبتة من نسل الحوت الذى أكل منه موسى وفتاه يوشع عليهما السلام فأحيا الله نصفه فاتخذ سبيله فى البحر سربا نسلها فى البحر إلى الآن فى ذلك الموضع وهى سمكة طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد فى جانبها شوك وعظام وجلد رقيق على أحشائها ولها عين ونصف رأس من رآها من هذا الجانب استقذرها ويحسب أنها ميتة ونصفها الآخر صحيح والناس يتبركون بها ويهدونها إلى الأماكن البعيدة قال ابن عطية وأنا رأيتها كذلك قال ومن غريب ما روى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصص هذه الآية أن الحوت إنما حيى لأنه مسه ماء عين هنالك تدعى عين الحياة ما مست ميتا قط إلا وحيى وقال الكلبى توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فنضح

فاحتاج إلى قواعد حجرية لأعمدة المسجد فأصبح وعلى باب المسجد قواعد من الصخر المنحوت محكمة الصنعة من أحسن ما يكون (جبال السراة) حاجزة بين تهامة واليمن عظيمة الطول والعرض وهى كثيرة الأهل والأنهار والأشجار وبأسفلها الأودية تنصب إلى البحر وكل هذه الجبال منابت القرظ وفيها الأعناب وقصب السكر والأسحل وفيه معدن البرام (جبل السماق) جبل عظيم من أعمال حلب يشتمل على مدن وقرى وقلاع أكثرها للإسماعيلية وهو منبت السماق وهو مكان نزه ترابه طيب ومن عجيب هذا الجبل أن فيه بساتين ومزارع ومياها عذبة فتنبت الحبوب والفواكه فى الحسن والطراوة كالمشقوق حتى المشمش والقطن والسمسم (جبل سرنديب) هو الجبل الذى أهبط عليه آدم عليه السلام وهو بأعلى الصين فى بحر الهركند ذاهب فى السماء يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الجبل كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل تحدره السيول والأمطار إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه

يوجد العود (جبل سمرقند) قال صاحب تحفة الغرائب جبل سمرقند فيه غار يتقاطر الماء منه فى الصيف وينعقد جمدا وفى الشتاء يكون حارا حتى لو أن أحدا غمس يده فيه احترقت (جبل السم) ذكر الهيجانى أن أهل الصين نصبوا من رأس جبل إلى رأس آخر قنطرة فى طريق حسن إلى تبت فإن من جاوزها يدخل فى هواء يأخذ بالأنفاس ويثقل اللسان ويموت من المارين كثير وأهل تبت جبل السم (جبل الشب) بأرض اليمن على قلة الجبل ماء يجرى من كل جانب وينعقد حجرا قبل أن يصل إلى الأرض والشب الأبيض اليمانى من ذلك (جبل شبام) قال محمد بن أحمد بن إسحق الهمذانى هو جبل بقرب صنعاء وبينها وبينه يوم واحد وهو صعب المرتقى ليس له إلا طريق واحد وذروته واسعة فيه ضياع كثيرة ومزارع وكروم ونخيل والطريق إليها فى دار الملك وللجبل باب واحد مفتاحه عند الملك من أراد النزول إلى السهل دخل إلى الملك وأعلمه بذلك ليأمره بفتح الباب وحول تلك الضيـــاع والكروم جبال شاهقة لا مسلك فيها ولا يعلم أحد ما وراءها ومياه هذا الجبل تنصب إلى سد هناك فإذا امتلأ السد ماء فتح فيجرى الماء إلى صنعاء ومخاليعها (جبل شرق البعل) فى طريق الشام من المدينة فيه بنيان عظيم للأصنام صنعوا فيها من النقوش العجيبة محفورة فى الحجر ما لا يتأتى حفره فى الخشب على الحوت المالح وهو فى المكتل من ذلك الماء فعاش الحوت فجعل يضرب بذنبه ولا يضرب بذنبه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يبس قال ومن غريبه أيضا أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد طريقا يبسا وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به ذلك الطريق إلى جزيرة فى البحر وفيها وجد الخضر ﴿إشارة﴾ كانت هذه القطرة مباركة فأحيا الله تعالى بها الميت لأنها قطرة من وجه متوضىء وللعبادات تأثيرات فى حياة القلب من ميراث العمل كان موسى ويوشع فى تعب ومشقة فلما حيى الحوت وجد السبيل إلى مطلبهما فكذا الجوارح والأعضاء فى خوف وحيرة حتى تحيا القلوب بذكر الله تعالى فإذا حيى القلب بالذكر أمنت الأعضاء وسكنت واعلم أن موسى عليه السلام جد فى طلب الخضر حتى وجده وكذلك يستحب لكل طالب فائدة دينية أو دنيوية أن يكون كرارا غير فرار فإما الظفر والغنيمة وإما القتل والشهامة كما اتفق للحسين الحلاج وغيره وقد تقدم ذكر قصته قريبا وروى أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم فدخل موسى على أثر الحوت فإذا هو بالخضر وقال قتادة ما سلك الحوت طريقا إلا صار ماء جامدا طريقا يبسا وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد لحقه الجوع فقال لفتاه وهو يوشع آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الآية قال ابن عطية وكان أبو الفضل الجوهرى يقول فى وعظه مشى موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع. والإشارة فى ذلك أنهما كانا متعلمين وطالب العلم من حقه أن يحتمل كل مشقة ولا يبالى بصيف ولا شتاء ولا جوع ولا ذل إذ الذى يطلب لا يعرف قيمته إلا صاحبه ومن عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن طلب العظيم خاطر بالعظيم وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى الصبر عن مقاتل طرف من ذلك مطول * وكانت حياة الحوت عند مجمع البحرين قال قتادة مجمع البحرين هما بحر فارس وبحر الروم مما يلى الشرق وقيل هما وبحر الأردن بحر القلزم وقيل هما بحر بالمغرب وبحر بالزقاق والحكمة فى جمع موسى مع الخضر عليهما السلام بمجمع البحرين أنها بحران فى العلم أحدهما أعلم بالظاهر وأعنى بالظاهر علم الشرع وهو موسى والآخر أعلم بالباطن وأعنى بالباطن علم الحقيقة وأسرار الملكوت وهو الخضر فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين فحصلت المناسبة (إشارة) اعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجد من هو دونه وهو الخضر عليه السلام حتى تجرد عن كل ما سواه فكذلك العبد لا يجد قرب مولاه وحبه حتى يتجرد عن كل ما سواه قال الشبلى انفرد بالله حتى تكون مجردا عن الأغيار وتكون واحدا للواحد فردا للفرد وقال الإمام تاج الدين بن عطاء الله السكندرى من تجرد فى وقته لوقته فأته من وقته ومن استقبل الوقت فاز بحظه وأنشد:

لا كنت إن كنت أدرى * كيف الطريق إليكا أفنيتنى عن جميعى * فكنت سلم يديكا

وقيل للجنيد متى يكون العبد منفردا متحيزا قال إذا ألزم جوارحه الكف عن جميع المخالفات وأفنى حركاته عن كل الإرادات فكان شبحا بين يدى الحق لا يتميز وما أحسن قول بعضهم:

وعن فنائى فنى فنائى * وفى فنائى وجدت أنتا
سألت عنى فقلت أنتا * أشار سرى إليك حتى
أنت حياتى وسر قلبى * فحيث ما كنت كنت أنتا

قال الشبلي اضرب بالدنيا وجه عاشقيها وبالآخرة وجه طالبيها وسلم نفسك وقد وصلت فإذا قلت الله فهو الله وإذا سكت فهو الله وهذا هو المقام العظيم واسم الخضر عليه السلام مضطرب فيه اضطرابا متباينا فقيل إنه بليا بن ملكان بن فالغ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام قاله وهب بن منبه وقيل إيليا بن عاميل بن شماخين بن أرما بن علقمان بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم عليهما السلام وقيل اسمه أرميا بن حلقيا من سبط هرون قاله الثعلبي ﴿قلت﴾ والأصح الذي نقله أهل السير وثبت عن النبي ﷺ كما قاله البغوي وغيره أن اسمه بليا بباء موحدة مفتوحة ولام ساكنة وياء مثناة من تحت وفي آخره ألف ابن ملكان بفتح الميم وبإسكان اللام وبالنون في آخره وقيل بليان قيل كان من بني إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك وكنيته أبو العباس قال السهيلي كان أبوه ملكا وأمه اسمها ألها وأنها ولدته في مغارة وأنه وجد هناك شاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية ولما وجده الرجل أخذه ورباه فلما شب طلب أبوه كاتبا وجمع أهل المعرفة والنباهة ليكتب الصحف التي أنزلت على إبراهيم وشيث فكان فيمن أقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر عليه السلام وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته بحث عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس ثم إن الخضر فر من الملك لأسباب يطول ذكرها ولم يزل سائحا إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها فهو حي إلى أن يخرج الدجال وأنه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى انتهى وسيأتي إن شاء الله تعالى عن صاحب ابتلاء الأخيار في باب السين المهملة في لفظ السعلاة أنه ابن خالة ذي القرنين واختلف في سبب تلقيبه بالخضر فقال الأكثرون لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من تحته خضراء الفروة وجه الأرض وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله والصواب الأول واختلف في حياته فقال الإمام محيي الدين النووي وجمهور العلماء هو حي موجود بين أظهرنا قال وهذا متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجواباته ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تشهر قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هو حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين انتهى وقال الحسن إنه مات وقال ابن المنادى لا يثبت حديث في بقائه وقال الإمام أبو بكر بن العربي مات قبل انقضاء المائة ويقرب من هذا جواب الإمام محمد بن إسمعيل البخاري لما سئل عن الخضر وإلياس عليهما السلام هل هما في الأحياء فقال كيف يكون لك وقد قال النبي ﷺ لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد والصحيح الصواب أنه حي وقال بعضهم إنه اجتمع مع رسول الله ﷺ وعزى أهل بيته وهم مجتمعون لغسله وقد روى ذلك من طرق صحاح وفي التمهيد لابن عبد البر إمام أهل الحديث في وقته رحمه الله أن النبي ﷺ حين غسل وكفن سمعوا قائلا يقول السلام عليكم أهل البيت إن في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا يرون أنه الخضر عليه السلام يعني أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته رضي الله تعالى عنهم قال السهيلي وقد ذكر أن الخضر عليه السلام هو أرمياء ولم يصححه محمد بن جرير الطبري وأبطله بما يطول ذكره من الحجج وذكر أيضا أنه إليسع صاحب إلياس عليهما السلام وأعجب ما في ذلك قول من قال إنه ابن فرعون صاحب موسى عليه السلام ذكره النقاش انتهى واختلف في نبوته فقال القشيري وكثيرون هو ولي وقال بعضهم هو نبي ورجحه النووي وحكى الماوردي في تفسيره ثلاثة أقوال أحدها أنه نبي والثاني أنه ولي والثالث أنه من الملائكة وهذا القول غريب باطل لما

منها (جبل شقان) بخراسان ذكر بعض فقهاء خراسان أن من داخله غارا من دخله برئ من المرض أي مرض كان وذكر أيضا أن به جبلا آخر من ارتقى ذروته لا يحس بشيء من هبوب الريح حتى يبقى بينه وبين أعلى ذروته ذراعان وهناك يحس بهبوب الريح (جبل شكران) بأرض شكران هو جبل ولست أدري أنه بالأندلس أو باليمن على قلته شبه مسرجة من الحجر في كل سنة لا يرى ثلاث ليال على تلك المسرجة سراج مضيء ولا يقدر أحد على الصعود إلى مكان المسرجة لهبوب الريح العاصف لأنه عند وصوله إلى نصف الجبل ترميه الريح وفي الليلة التي يرى فيها السراج على المسرجة ترى في منارها شبه طاوس على تلك المسرجة ولا علم للناس بحقيقة ذلك والله أعلم (جبل الصور) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض كرمان جبل من أخذ منه حجرا وكسره يرى في وسطه شبه صورة إنسان قائما أو قاعدا أو مضطجعا وإن دققت هذا الحجر ثم سحقته وحللته في الماء حتى يرسب ترى في الراسب مثل ما كان في الحجر (جبل الصفا) بين بطحاء مكة والواقف على الصفا بحذاء الحجر الأسود والمروة يقابله قيل إن الصفا والمروة كانا اسمي رجل وامرأة زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرا فوضعوا كل واحد على الحجر المسمى باسمه لاعتبار

قدمناه وقال المازرى اختلف العلماء فى الخضر هل هو ولى أو نبى فقال الأكثرون هو نبى واحتجوا بقوله تعالى وما فعلته عن أمرى فدل على أنه نبى يوحى إليه وبأنه أعلم من موسى وبعد أن يكون ولى أعلم من نبى وأجاب الآخرون بأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى نبى ذلك الزمان بأن يأمر الخضر بذلك انتهى ولم ينقل أنه كان مع موسى نبى فكيف يتأتى هذا الجواب والخضر كان فى عصر موسى فإن نقل أنه كان معه نبى آخر قبل هذا الاحتمال فى الجواب وإلا فلا، فإن قيل إن يوشع بن نون كان نبيا فى زمن موسى قبل هذه القضية كانت قبل نبوته وأيضا فهو كان مصاحبا لموسى ومرافقه حين لقيا الخضر وهو الذى أخبر موسى بانسياب الحوت فى البحر واختلف فى كونه مرسلا فقال الثعلبى الخضر نبى بعثه الله بعد شعيب وهو معمر محجوب عن أبصار أكثر الناس وقيل إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن وقصته مع موسى فى السفينة والغلام والقرية طويلة مشهورة تركناها لطولها واشتهارها لكن قال السهيلى إن القرية برقة وقيل غير ذلك ﴿فائدة﴾ لما حان لموسى والخضر أن يتفرقا قال له الخضر عليه السلام لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت فبكى موسى عليه السلام على فراقه ثم قال موسى للخضر عليهما السلام أوصنى يا نبى الله فقال له الخضر يا موسى اجعل همك فى معادك ولا تخض فيما لا يعنيك ولا تترك الخوف فى أمنك ولا تيأس من الأمن فى خوفك وتدبر الأمور فى علانيتك ولا تذر الإحسان فى قدرتك فقال له موسى زدنى يا نبى الله فقال له الخضر يا موسى إياك واللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير أحدا من الخطائين بخطاياهم بعد الندم وابك على خطيئتك يا ابن عمران فقال له موسى عليه السلام قد أبلغت فى الوصية فأتم الله عليك نعمته وعمرك فى طاعته وكلأك من عدوه فقال له الخضر عليه السلام وأوصنى أنت فقال له موسى إياك والغضب إلا فى الله ولا ترض عن أحد إلا فى الله ولا تحب الدنيا ولا تبغض الدنيا فإن ذلك يخرج من الإيمان ويدخل فى الكفر فقال له الخضر لقد أبلغت فى الوصية فأعانك الله على طاعته وأراك السرور فى أمرك وحببك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله فقال موسى عليه السلام آمين رواه السهيلى وقال البغوى روى أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر عليه السلام قال له أوصنى قال له يا موسى لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ﴿تتمة﴾ فى كتاب الهواتف لأبى بكر بن أبى الدنيا أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لقى الخضر عليه السلام وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثوابا عظيما ورحمة لمن قاله فى دبر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسائل ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين أذقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك وذكر فى كتابه أيضا عن عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا الدعاء بعينه نحو ما ذكر عن على رضى الله تعالى عنه فى سماعه من الخضر عليه السلام ﴿عجيبة﴾ روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى فى كتابه المتفق والمفترق فى ترجمة أسامة بن زيد التنوخى أنه ولى مصر للوليد بن عبد الملك بن مروان ولأخيه سليمان وهو الذى بنى مقياس النيل العتيق الذى بجزيرة فسطاط مصر ذكره ابن يونس فى تاريخه ثم روى الخطيب فى ترجمة أسامة هذا أن صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على حشفة من حشف البحر مستقبلا بأصبع من أصابع كفه القسطنطينية لا يدرى أكان مما عمله سليمان النبى عليه الصلاة والسلام أو الإسكندر تصاد عنده الحيتان وكانت الحيتان

النار وجاء فى الحديث أن الدابة التى هى من أشراط الساعة تخرج من الصفا وكان ابن عباس رضى الله عنهما يضرب عصاه على الصفا ويقول إن الدابة تسمع قرع عصاى هذه (جبل صقلية) هو جبل فى وسط بحر المغرب قال الحسن بن يحيى فى تاريخ صقلية إنه جبل مطل على البحر ذروته ثلاثة أيام فيه أشجار كثيرة أكثرها البندق والصنوبر والأرزن وحوله أبنية كثيرة وفيها أصناف الثمار وفى أعلاه منافس يخرج منها النار والدخان وربما سالت النار منه إلى بعض جهاته فتحرق جميع ما مرت عليه وتجعله مثل خبث الحديد وعلى قلة هذا الجبل السحاب والثلوج والأمطار أبدا صيفا وشتاء وزعم أهل الروم أن الحكماء كانوا يدخلون إلى هذه الجزيرة للنظر إلى عجائبها واجتماع النار والثلج فيه وفيه معدن الذهب وتسميه أهل الروم بجزيرة الذهب أو جبل الذهب (جبلا الضلعين) فى طريق مكة من البصرة يسمى أحدهما ضلع بنى مالك والآخر ضلع بنى صيصيان وهم بطن من الجن كفار فأما ضلع بنى مالك فيحل به الناس ويصطادون صيدها ويرعون كلأها وأما ضلع بنى صيصيان فلا يصطاد صيدها ولا يرعى كلؤها وربما مر عليها من لا يعرف حالها فأصابوا من كلئها أو من صيدها فأصابهم شر فى أنفسهم وأموالهم ولم يزل الناس يذكرون كفرها ولا يريدون إسلام هؤلاء ولهم حديث عجيب يأتى فى مقالة الجن إن شاء الله تعالى

تدور حوله وحول الإسكندرية وكان قدم الصنم طول قامة الرجل إذا انبطح ومد يديه فكتب أسامة بن زيد هو عامل مصر للوليد بن عبد الملك يا أمير المؤمنين إن عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل وهو من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فإن رأى أمير المؤمنين أن ننزله ونجعله فلوسا فعلنا وإن رأى غير ذلك فليكتب إلينا بما نعتمده فى أمره فكتب إليه لاتنزله حتى أبعث إليك أمناء يحضرونه فبعث إليه رجالا أمناء فأنزلوا الصنم عن الحشفة فوجدت عيناه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضربه أسامة بن زيد فلوسا فانطلقت الحيتان ولم ترجع إلى ذلك المكان أبدا بعد أن كانت لاتفارقه ليلا ولا نهارا وتصاد بالأيدى

﴿الحوشى﴾ النعم المتوحشة ويقال إن الإبل الحوشية منسوبة إلى الحوش وهى فحول جن تزعم العرب أنها ضربت فى نعم بعضهم فنسبت إليها.

﴿الحوصل﴾ طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو وجمعه حواصل قال ابن البيطار وهذا الطائر يكون بمصر كثيرا ويعرف بالبجع وجمل الماء والكى بضم الكاف وسكون الياء المثناة من تحت وهو صنفان أبيض وأسود فالأسود منه كريه الرائحة ولا يكاد يستعمل والأجود الأبيض وحرارته قليلة ورطوبته كثيرة وهو قليل البقاء ولبسه يصلح للشباب وذوى الأمزجة الحارة ومن تغلب عليه الصفراء انتهى والمعروف خلاف ماقال وأنه أشد حرارة من فرو الثعلب والحوصلة والحوصل من الطائر والظليم بمنزلة المعدة من الإنسان (وحكمه) الحل كما جزم به الرافعى وغيره عموما * فإن قيل لم لاأجرى فيه الوجه الذى فى طير الماء فالجواب أن ذلك الوجه يجرى فى طير لايفارقه الماء وهذا يألفه ثم يفارقه فهو كالأوز البلدى وقد رأيت منه بمدينة النبى ﷺ واحدا أقام بها أعواما يمشى فى أزقتها لكن غالب اقتياته فى البر اللحم وفى البحر السمك

﴿الحلان﴾ بحاء مضمومه بعدها لام ألف مشددة ثم نون هو الجدى يوجد فى بطن أمه وقال الأصمعى الحلان والحلام بالنون وبالميم صغار الغنم وقال ابن السكيت الحلان الذى يصلح أن يذبح للنسك وفى الحديث أن عمر رضى الله تعالى عنه قضى فى أم حبين يقتلها المحرم بحلان وفى حديث آخر ذبح عثمان كما يذبح الحلان أى إن دمه أطل كما أطل دم الحلان وحكمه سيأتى إن شاء الله تعالى

﴿حيدرة﴾ اسم من أسماء الأسد روى البخارى ومسلم عن سلمة بن الأكوع رضى الله تعالى عنه قال أرسلنى رسول الله ﷺ إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يوم خيبر وهو أرمد فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله قال فأتيت عليا وجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به النبى ﷺ فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية قال فبرز مرحب وهو يقول: قد علمت خيبر أنى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب * إذا الحروب أقبلت تلتهب قال فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أكيلهم بالسيف كيل السندره

وضرب مرحبا فغلق رأسه وقتله وكان الفتح. قال السهيلى ذكر قاسم بن ثابت فى تسميته حيدرة ثلاثة أقوال الأول أن اسمه فى الكتب القديمة أسد والأسد هو حيدرة والثانى أن أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائبا فسمته باسم أبيها أسدا فقدم أبوه فسماه عليا والثالث أنه كان يلقب فى صغره بحيدرة لأن الحيدرة الممتلئ لحما العظيم البطن وكذلك كان على رضى الله تعالى عنه ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذى سماه نافعا وقيل يافعا بالياء

ولو أنى مكثت لهم قليلا * لجرونى لحيدرة البطين اهـ

حركة تعرف بدكة سليمان ابن داود عليهما السلام إذا لطخت بشىء من الأقذار انفتحت السماء ولا تزال تمطر حتى يزال القذر عنها (جبل الطاهر) بأرض مصر قال صاحب تحفة الغرائب على هذا الجبل كنيسة فيها حوض يجرى من الجبل ماء عذب إلى ذلك الحوض ويسمى ذلك الماء الطاهر فإذا امتلأ الحوض ينصب الماء من جميع جوانبه فإذا ورد الحوض جنب أو حائض وقف الماء ولا يجرى حتى يراق مافى الحوض وينظف تنظيفا جيدا وبعد ذلك يجرى الماء (جبل طبرستان) قال صاحب تحفة الغرائب به حب شجر يسمى جوز مائل من قطعه ضاحكا وأكله غلب عليه الضحك ومن قطعه باكيا وأكله غلب عليه البكاء ومن قطعه راقصا فكذلك فعلى أى صفة من قطعه وأكله تغلب عليه تلك الصفة (جبل طور سيناء) بقرب مدين بين الشام وبين قرى مدين وقيل إنه بقرب أيلة كان عليه الخطاب لموسى عند خروجه من مصر ببنى إسرائيل فكان إذا جاءه سيدنا موسى ينزل عليه غمام وهو عليه يدخل فى ذلك الغمام ويكلمه ربه وهو الجبل الذى ذكر الله تعالى حيث

وكان مرحب قد رأى فى المنام كأن أسداً افترسه فأراد على رضى الله عنه أن يذكره أنه هو الأسد الذى يقتله فكاشفه بذلك فلما سمع مرحب قوله تذكر المنام فأرعد فقتله على رضى الله تعالى عنه وبهذا يستدل على جواز المبارزة فى الحرب بشرط أن لايتضرر المسلمون بقتل المبارز فإن طلبها كافر استحب الخروج إليه وروى أبو داود بإسناد صحيح عن على رضى الله عنه أنه قال لما كان يوم بدر تقدم عتبة بن ربيعة بنفسه وتبعه أخوه وابنه فنادى من يبارز فانتدب إليه شبان من الأنصار فقال من أنتم فأخبروه فقال لاحاجة لنا فيكم إنما أردنا بنى عمنا فقال رسول الله ﷺ قم ياحمزة قم ياعلى قم ياعبيدة بن الحرث فأقبل حمزة إلى عتبة بن ربيعة وأقبلت أنا إلى أخيه شيبة وأقبل عبيدة إلى الوليد بن عتبة فاختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فأثخن كل منهما صاحبه ثم ملنا إلى الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة إلى رسول الله ﷺ ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد أنا يارسول الله قال نعم قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله :

ولا نسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول: فإن تقطعوا رجلى فإنى مسلم * أرجى بها عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه * لباسا من الإسلام غطى المساويا

قال الشافعى رضى الله عنه وبارز يوم الخندق عمرو بن عبد ود لأنه خرج ينادى من يبارز فقام له على رضى الله عنه وهو مقنع بالحديد فقال أنا له يانبى الله فقال إنه عمرو اجلس فنادى عمرو ألا رجل يبارز ثم جعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم يدخلها أفلا يبرز إلى رجل منكم فقام على رضى الله عنه وقال أنا له يارسول الله فقال له إنه عمرو اجلس فنادى الثالثة وذكر شعراً فقام على وقال أنا له يارسول الله قال إنه عمرو قال وإن كان عمراً فأذن له رسول الله ﷺ فمشى إليه حتى أتاه فقال له عمرو من أنت قال أنا على بن أبى طالب قال غيرك ياابن أخى أريد من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره أن أهريق دمك فقال على رضى الله عنه لكنى والله لاأكره أن أهريق دمك فغضب ونزل عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو على رضى الله عنه مغضبا فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو فى الدرقة فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأس على فشجه وضربه على رضى الله عنه على حبل عاتقه فسقط قتيلا وثار العجاج وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف ﷺ أن عليا قد قتله اه وجاء فى بعض الروايات أن عليا رضى الله عنه لما بارز عمراً قال رسول الله ﷺ اليوم برز الإيمان كله للشرك كله وكان سيف على رضى الله عنه يقال له ذو الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر وكان لمنبه بن الحجاج سلبه منه النبى ﷺ يوم بدر وأعطاه عليا رضى الله عنه وكان من حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جرهم أو غيرهم وكانت صمصامة عمرو بن معد يكرب من تلك الحديد أيضا ﴿تتمة﴾ ينبغى لمقدم العسكر أن يتشبه بصفات من صفات الحيوان فيكون فى قوة القلب كالأسد لايجبن ولا يفر وفى الكبر كالنمر لا يتواضع للعدو وفى الشجاعة كالدب يقاتل بجميع جوارحه وفى الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل وفى الغارة كالذئب إذا يئس من وجه أغار من وجه وفى حمل السلاح كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها وفى الثبات كالحجر لا يزول من مكانه وفى الوفاء كالكلب لو دخل سيده النار يتبعه وفى الصبر كالحمار وفى التماس الفرصة كالديك وفى الحراسة كالكركى وفى التعب كاليعر وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والمشقة

العليق (جبل طور هارون) جبل مشرف على قبلى بيت المقدس وإنما سمى طور هارون لأن موسى بعد قتل عبدة العجل أراد المضى إلى مناجاة ربه فقال له هرون احملنى معك فإنى لست آمنا أن يحدث بنى إسرائيل حدث فتغضب على مرة أخرى فحمله معه فلما كان ببعض الطريق إذا هما برجلين يحفران قبراً فوقفا عليه وقالا لمن تحفران هذا القبر فقالا لأشبه الناس بهذا الرجل وأشار إلى هرون ثم قالا له بحق إلهك إلا ما نزلت وأبصرت هل هو واسع فنزع هرون ثيابه ودفعها إلى موسى أخيه ونزل القبر ونام فيه فقبض الله روحه فى الحال وانضم القبر عليه فانصرف موسى باكيا حزينا على مفارقته وانصرف إلى بنى إسرائيل بثياب هرون فاتهموه بقتله فدعا الله تعالى حتى أراهم تابوته بين الصفا على رأس الجبل فسمى الجبل جبل هرون (جبل الطير) بصعيد مصر فى شرقى النيل بقرب انصفا وإنما سمى بذلك لأن صنفا من الطير أبيض يقال له البوقير يجىء فى كل عام فى وقت معلوم فينعكف على الجبل وفيه كوة يأتى كل واحد منها ويدخل رأسه فى هذه الكوة

ثم يخرجه ويلقى نفسه فى النيل ويقوم ويذهب من حيث جاء حتى يدخل واحد رأسه فيها فيقبض على رأسه

﴿الحيرمة﴾ البقرة والجمع حيرم قال ابن أحمر * تبدل أدما من ظباء وحيرما *

كذا أنشده الجوهرى:

﴿الحية﴾ اسم يطلق على الذكر والأنثى فإن أردت التمييز قلت هذا حية ذكر وهذه حية أنثى قاله المبرد فى الكامل وإنما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس كبطة ودجاجة على أنه قد روى عن بعض العرب رأيت حيا على حية أى ذكرا على أنثى وفلان حية ذكر والنسبة إلى الحية حيوى والحيوت ذكر الحيات أنشد الأصمعى:

ويأكل الحيـــة والحيوتا * ويخنق العجـــوز أو تموتا

وذكر ابن خالويه لها مائتى اسم ونقل السهيلى عن المسعودى أن الله تعالى لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها بسجستان فهى أكثر أرض الله حيات ولولا العربد يأكلها ويفنى كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات وقال كعب الأحبار أهبط الله تعالى الحية بأصبهان وإبليس بجدة وحواء بعرفة وآدم بجبل سرنديب وهو بأرض الصين فى بحر الهند عال يراه البحريون من مسافة أيام وفيه أثر قدم آدم عليه الصلاة والسلام مغموسة فى الحجر ويرى على هذا الأثر كل ليلة كهيئة البرق من غير سحاب ولا بد له فى كل يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه الصلاة والسلام ويقال إن الياقوت الأحمر يوجد على هذا الجبل فتحدره السيول والأمطار من ذروته إلى الحضيض ويوجد به الماس أيضا وبه يوجد العود كذا قاله القزوينى ﴿قلت﴾ وهو قريب من جبل يقال له ساتيدما بكسر المثناة من فوق بعدها مثناة من تحت ودال مهملة وميم وألف وهو متصل من بحر الروم إلى بحر الهند ليس يأتى يوم من الدهر إلا ويسفك عليه دم فسمى ساتيدما لذلك وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده فاحتال له حتى انصرف عنه فاتبعه كسرى فى جنوده فأدركه بساتيدما فانهزم أصحاب قيصر مرعوبين من غير قتال فقتلهم كسرى قتل الكلاب ونجا قيصر ولم يدركه كذا حكاه البكرى فى معجمه وذكره الجوهرى نقلا عن سيبويه كذلك وأنشدوا على ذلك:

لما رأت ساتيدما استعبرت * لله در اليوم من لامها

والحية أنواع منها الرقشاء وهى التى فيها نقط سود وبيض ويقال لها الرقطاء أيضا وهى من أخبث الأفاعى قال النابغة فى وصف السليم:

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع * تبادرها الراقون من شر سمها فتطلقه يوما ويوما تراجع * تسهد من ليل التمام سليمها * لكى نساء فى يديه قعاقع

وقال غيره: هم أيقظوا رقطا الأفاعى ونبهوا * عقارب ليل نام عنها حواتها

وهم نقلوا عنى الذى لم أفه به * وما آفة الأخبار إلا رواتها

وتزعم الأعراب أن الأفاعى صم وكذلك النعام قال على بن نصر الجهضمى دخلت على المتوكل فإذا هو يمدح الرفق فأكثر فقلت ياأمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى:

لم أر مثل الرفق فى لينه * أخرج للعـذراء من خدرها

من يستعن بالرفق فى أمره * يستخرج الحيـــة من جحرها

فقال ياغلام الدواة والقرطاس فأتى بهما فكتبهما وأمر لى بجائزة سنية وقال أبو بكر بن أبى دؤاد كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن على يشخصه للقضاء فدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك فقال ارجع فاستخير الله فرجع إلى بيته فصلى ركعتين وقال اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضنى إليك ونام فنبهوه فإذا هو ميت وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين.

شىء من تلك الكوة فيضطرب ويبقى معلقا فيها إلى أن يتلف فيسقط نفسه من بعد مدة فإذا كان ذلك انصرف الباقى لوقته فلا يرى شىء من هذا الطير فى هذا الجبل إلى ذلك الوقت المعلوم من العام القابل قال أبو بكر الموصلى سمعت من أعيان تلك البلاد أنه إذا كان العام مخصبا قبضت الكوة على طائرين وإن كان متوسطا فعلى واحد وإن كان مجدبا لم تقبض شيئا والله أعلم بحاله (جبل غروان) فى ذروة الطائف ليس بجميع الحجاز موضع أبرد منه قالوا إن الماء يبرد فيه ومن هذا الجبل اعتدل هواء الطائف وليس بالحجاز موضع يجمد الماء به إلا غروان (جبل غوير وكسير) هما جبلان فى وسط البحر بين عمان والبصرة عظيما يخاف على المراكب منهما صعب مسلكهما قلما ينجو منهما مركب فالصعوبة المنجى منهما سموهما بهذا يقولون غوير وكسير وثالث ليس فيه خير (جبل فرغانة) قال صاحب تحفة الغرائب إنه ينبت به نبات على صورة الآدمى منها على صورة الرجال ومنها على صورة النساء ويوجد مع الطرقيين كثيرا يتكلمون عليها ويقولون أكلها يزيد فى الباه (جبل قيلوان) قال

الهواء جمد على شكل القضبان (جبل قاسيون) مشرف على دمشق فيه آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومغارات وكهوف منها مغارة تعرف بمغارة الدم قالوا فيها قتل قابيل هابيل وهناك حجر يزعمون أنه الحجر الذى قلق به هامته وفيه مغارة أخرى يسمونها مغارة الجوع يقولون إنه مات فيها أربعون نبيا جوعا (جبل قاف) قال المفسرون إنه جبل محيط بالدنيا وهو من زبرجدة خضراء منه خضرة السموات ووراءه عالم وخلائق لا يعلمهم إلا الله تعالى (جبل فدقد) بمكة وهو من الجبال التى لا يرتقى ذروتها وفيه معدن البرام يحمل منه إلى سائر البلاد (جبل قصران) قال الشيخ الرئيس إن العسل يقع بجبل قصران كما هو طلا ويختلف بحسب ما يقع عليه من الشجر والحجر والظاهر منه يلقطه الناس والخفى يلقطه النحل (جبل الكحل الإثمد) بالأندلس بقرب مدينة بسطة قالوا إذا كان أول الشهر أخذ الكحل يخرج من نفس الجبل وهو كحل أسود ولا يزال كذلك إلى نصف الشهر فإذا زاد عن النصف نقص الكحل ولا يزال يرجع الذى خرج إلى تمام الشهر والله الموفق للصواب

ومن أنواعها الأزعر وهو غالب فيها ومنها ما هو أزب ذو شعر ومنها ذوات القرون وأرسطو ينكر ذلك قال الراجز :

وذات قرنين طحون الضرس * تنهس لو تمكنت من نهس * تدير عينا كشهاب القبس

ومنها الشجاع وسيأتى فى باب الشين المعجمة ومنها العربد وهى حية عظيمة تأكل كل الحيات كما تقدم ومنها الأصلة وهو عظيم جدا له وجه كوجه الإنسان ويقال إنه يصير كذلك إذا مرت عليه ألوف من السنين ومن خاصية هذا أن يقتل بالنظر أيضا ومنها الصل وتسمى المكلة لأنها مكلة الرأس وقيل الصل الأول وهذه المكلة وهى شديدة الفساد تحرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول جحرها شىء من الزرع أصلا وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ولا يمر حيوان بقربها إلا هلك وتقتل بصفيرها على غلوة سهم ومن وقع عليه بصرها ولو من بعد مات ومن نهشته مات فى الحال وضربها فارس برمحه فمات هو وفرسه وهى كثيرة ببلاد الترك ومنها ذو الطفيتين والأبتر وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبالى قال الزهرى وترى ذلك من سمها وسيأتى بيان هذا الحديث فى باب الطاء إن شاء الله تعالى ومنها الناظر متى وقع نظره على إنسان مات الإنسان من ساعته ومنها نوع آخر إذا سمع الإنسان صوته مات * ومن أسماء الحية العيم والعين والصم والأزعر والأبتر والناشر والأين والأرقم والأصلة والجان والثعبان والشجاع والأزب والأفعى والأفعوان وهو الذكر من الأفاعى كما تقدم والأرقش والأرقط والصل وذو الطفيتين والعربد قال ابن الأثير ويقال للحية أبو البخترى وأبو الربيع وأبو عثمان وأبو العاصى وأبو مذعور وأبو وثاب وأبو يقظان وأم طبق وأم عافية وأم عثمان وأم الفتح وأم محبوب وبنات طبق والحية الصماء وهى الشديدة الشر قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه :

إذا تحازرت وما بى من خزر * ثم كسرت الطرف من غير حور

ألفيتنى ألوى بعيد المستمر * أحمل ما حملت من خير وشر * كالحية الصماء فى أصل الشجر

والصمة الذكر من الحيات وجمعه صمم وبه سمى والد دريد بن الصمة وزعم أهل الكلام فى طبائع الحيوان أن الحية تعيش ألف سنة وهى فى كل سنة تسلخ جلدها وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل فيفسد غالب بيضها ولا يصلح منه إلا القليل وإن لدغتها العقرب ماتت ومن أنواعها الحريش وقد تقدم ذكره وشرها الأفاعى ومساكنها الرمال وبيض الحيات مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود وأبيض وأرقط وفى بيضه نمش ولمع والسبب فى اختلاف ذلك لا يعرف وداخله شىء كالصديد وهو فى جوفها منضد طولا على خط واحد وليس للحيات سفاد يعرف وإنما هو التواء بعضها على بعض ولسانها مشقوق فيظن بعض الناس أن لها لسانين وتوصف بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ كما يفعل الأسد ومن شأنها أنها إذا ابتلعت شيء له عظم أتت شجرة أو نحوها فتلتوى عليها التواء شديدا حتى يتكسر ذلك فى جوفها ومن عاداتها أنها إذا نهشت انقلبت فيتوهم بعض الناس أنها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس كذلك ومن شأنها أنها إذا لم تجد طعاما عاشت بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع فلا تأكل إلا لحم الشىء الحى وهى إذا كبرت صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ولم تشته الطعام ومن غريب أمرها أنها لا تريد الماء ولا ترده إلا أنها لا تضبط نفسها عن الشرب إذا شمته لما فى طبعها من الشوق إليه فهى إذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب هلاكها والذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما

تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب ثم تخرج هى سائرة فإن وجدت جحرا انسابت فيه وعينها لا تدور فى رأسها بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها وكذلك عين الجراد وإذا قلعت عادت وكذلك نابها إذا قلع عاد بعد ثلاثة أيام وكذلك ذنبها إذا قطع نبت ومن عجيب أمرها أنها تهرب من الرجل العريان وتفرح بالنار وتطلبها وتتعجب من أمرها وتحب اللبن حبا شديدا وإذا ضربت بسوط مسه عرق الخيل ماتت وتذبح فتبقى أياما لا تموت وقد تقدم أنها إذا عميت أو خرجت من تحت الأرض لا تبصر طلبت الرازيانج الأخضر فتحك به بصرها فتبصر فسبحان من قدر فهدى قدر عليها العمى وهداها إلى ما يزيله عنها وليس شىء فى الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه ولذلك إذا أدخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه وربما تقطعت ولا تخرج وليس لها قوائم ولا أظفار تثبت بها وإنما قوى ظهرها هذه القوة لكثرة أضلاعها فإن لها ثمانين ضلعا وإذا مشت على بطنها فتتدافع أجزاؤها وتسعى بذلك الدفع الشديد والحيات فى أصل الطبع مائية وتعيش فى البحر بعد أن كانت برية وفى البر بعد أن كانت بحرية قال الجاحظ الحيات ثلاثة أنواع نوع منها لا ينفع للسعته ترياق ولا لغيره كالثعبان والأفعى والحية الهندية ونوع منها ينفع فى لسعته الدرياق وما كان سواهما إنما يقتل فإنما يقتل بواسطة الفزع كما حكى أن شخصا نام تحت شجرة فتدلت عليه حية فعضت رأسه فانتبه محمر الوجه وحك رأسه وتلفت فلم ير أحدا فلم يرتب بشىء ووضع رأسه ونام فلما كان بعد ذلك بمدة قال له بعض من رآها هل علمت مم كان انتباهك تحت الشجرة قال لا والله ما علمت قال إنما كان من حية تدلت عليك فعضت رأسك فلما قمت فزعا تقلصت ففزع فزعة فاضت فيها نفسه قال فهم يزعمون أن الفزع هو الذى هيج السم وفتح مسام البدن حتى مشى السم فيه انتهى ﴿فائدة﴾ فى النصائح لابن ظفر أن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما تحصن منه أهل الحيرة بالقصر الأبيض وغيره من حصونهم نزل بالنجف وأرسل إليهم أن ابعثوا إلىّ رجلا من عقلائكم فأرسلوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى وكان من المعمرين عمر أكثر من ثلثمائة وخمسين سنة فقاوله المقاولة المشهورة وكان فى يد عبد المسيح قارورة يقلبها فقال له خالد ما الذى فى هذه القارورة قال سم ساعة قال ما تصنع به قال إن وجدت عندك ما أحبه لقومى وأهل بلدى حمدت الله وقبلته وإن لم أجد ذلك شربته وقتلت نفسى به ولم أرجع إلى قومى بما يسوءهم فقال خالد رضى الله عنه هاتها فناوله القارورة فأفرغها خالد فى راحته وقال بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله بسم الله رب الأرض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثم شربه ويقال إنه شرب عليه ماء فضرب بذقنه على صدره وغشيه عرق ثم سرى عنه فانصرف عبد المسيح إلى قومه وكانوا نصارى نسطورية إلا أنهم عرب فقال لهم جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة فلم يضره فأعطوه ما سألكم وأخرجوه من أرضكم راضيا فهؤلاء قوم مصنوع لهم وسيكون لهم شأن عظيم فصالحوه على ثمانين ألف درهم فضة انتهى وقال بعضهم إن سم ساعة لا يكون إلا من الحية الهندية ولا ينفع فيها درياق ولا غيره وفى النصائح أيضا أن أمة لأبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قالت له من أى جنس أنت قال أنا آدمى مثلك قالت كيف تكون آدميا وقد أطعمتك السم أربعين يوما فما ضرك فقال لها أما علمت أن الذاكرين الله تعالى لا يضرهم شىء وإنى كنت أذكر الله باسمه الأعظم قالت وما هو قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا السماء وهو السميع العليم ثم قال ما الذى حملك على ذلك قالت بغضك قال أنت حرة لوجه الله تعالى وأنت فى حل مما صنعت انتهى ﴿عجيبة﴾ ذكر القرطبى فى تفسير سورة غافر عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن

كعب الأحبار أنه لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم منى واهتز تعاظما فطوقه الله تعالى بحية لها سبعون ألف جناح فى كل جناح سبعون ألف ريشة فى كل ريشة سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصا والثرى وعدد أيام الدنيا وعدد الملائكة أجمعين فالتوت الحية على العرش فالعرش إلى نصف الحية وهى ملتوية عليه فتواضع عند ذلك انتهى وروى أن الرشيد نام ليلة فسمع قائلا يقول :

ياراقد الليل انتبه * إن الخطوب لها سرى ثقة الفتى من نفسه * ثقة محللة العرى

فاستيقظ فوجد المصابيح قد طفئت فأمر بالشموع فأوقدت ونظر فإذا حية بقرب فراشه فقتلها

﴿غريبة﴾ ذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى فى الأذكياء عن بشر بن الفضل قال خرجنا حجاجا فمررنا بماء من مياه العرب فوصف لنا فيه ثلاث جوار أخوات بارعات فى الجمال وإنهن يتطببن ويعالجن فأحببنا أن نراهن فعمدنا إلى صاحب لنا فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه ثم حملناه وأتينا به إليهن فقلنا هذا سليم فهل من راق فخرجت إلينا الأخت الصغرى فإذا جارية كالشمس الطالعة فجاءت حتى وقفت عليه ونظرته فقالت ليس بسليم قلنا وكيف ذلك قالت إنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر والدليل على ذلك أنه إذا طلعت عليه الشمس مات قال فلما طلعت الشمس مات فعجبنا من ذلك وانصرفنا وفيه أيضا فى أواخره أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بحاو يطارد حية فقالت له الحية ياروح الله قل له لئن لم يلتفت عنى لأضربنه ضربة أقطعه قطعا فمر عيسى عليه الصلاة والسلام ثم عاد فإذا الحية فى سلة الحاوى فقال لها عيسى عليه السلام ألست القائلة كذا وكذا فكيف صرت معه فقالت ياروح الله إنه قد حلف لى والآن غدر بى فسم غدره أضر عليه من سمى * وفى عجائب المخلوقات للقزوينى أن الريحان الفارسى لم يكن قبل كسرى أنوشروان وإنما وجد فى زمانه وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم إذ أقبلت عليه حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها فقال كسرى كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة فرت تنساب فأتبعها كسرى بعض أساورته فلم تزل سائرة حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فنظر الرجل فإذا فى قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى رمحه إلى العقرب ونخسه به وأتى إلى الملك فأخبره بحال الحية فلما كان فى العام القابل أتت تلك الحية فى اليوم الذى كان كسرى جالسا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت بين يديه ونفضت من فيها بزرا أسود فأمر به الملك أن يزرع فنبت منه الريحان وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه فنفعه جدا ﴿فائدة أخرى﴾ فى حلية الأولياء للحافظ العلامة أبى نعيم رحمه الله تعالى فى ترجمة سفيان بن عيينة عن يحيى بن عبد الحميد قال كنت فى مجلس سفيان بن عيينة وقد اجتمع عنده ألف إنسان أو يزيدون أو ينقصون فالتفت فى آخر مجلسه إلى رجل كان عن يمينه وقال قم حدث الناس بحديث الحية فقال الرجل اسندونى فأسندناه فشال جفونه عن عينيه ثم قال ألا فاستمعوا وعوا حدثنى أبى عن جدى أن رجلا كان يعرف بابن الحمير وكان له ورع وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان مبتلى بالقنص فخرج يوما يتصيد فبينما هو سائر إذ عرضت له حية فقالت يا محمد بن حمير أجرنى أجارك الله فقال لها ممن قالت من عدو قد ظلمنى قال لها وأين عدوك قالت له من ورائى قال لها من أى أمة أنت قالت من أمة محمد ﷺ قال ففتحت لها ردائى وقلت لها ادخلى فيه قالت يرانى عدوى قال فبسطت لها طمرى وقلت لها ادخلى بين طمرى وبطنى قالت يرانى عدوى قلت لها فما الذى أصنع بك قالت إن أردت اصطناع المعروف فافتح لى فاك حتى أنساب فيه قلت أخشى أن تقتلينى فقالت لا والله ما أقتلك والله شاهد على بذلك وملائكته وأنبياؤه وحملة عرشه

فيه كهف ينقاطر الماء من ألف خرج من الماء ما يكفى الألف (جبل الغار) بأرض تركستان فيه غار من دخله من الحيوانات يموت فى الحال (جبل نهاوند) قال ابن الفقيه على هذا الجبل طلسمان صورة ثور وسمك يقال إنهما للماء حتى لا يقل وماؤه ينقسم قسمين قسم يجرى إلى نهاوند والآخر إلى دينور (جبل هرمز) بأرض طبرستان جبل يسمى هرمز ينزل منه الماء وينصب إلى وهدة فإذا صاح الإنسان صيحة يقف وإذا صاح أخرى يسيل وهكذا جبل الهند قال صاحب تحفة الغرائب بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يخرج من فمهما فيصير ساقيتين وعليهما شرب قريتين على كل ساقية قرية فوقعت بين القريتين خصومة على الماء فكسروا فم إحدى الصورتين فانقطع ماؤه وخربت القرية والله أعلم (جبل واسط) قال أحمد بن عمر العذرى أنه بالأندلس بقرب سدونة فى هذا الجبل كهف فيه شق وفى الشق فاس حديد متعلق تراه العيون وتناله الأيدى ومن أراد إخراجه لم يطق ذلك وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب فى الشق ثم يعود إلى حالته ذكر بعض مشايخ بسدونة أن بعض الناس

أوقد ناراً عظيمة على هذه الصخرة ورش عليها الخل لتنفتح الصخرة ويخرج الفاس فما أفاد شيئا (جبل بله سيم) بل اسم ضيعة من ضياع قزوين هناك جبل حدثنى من صعد هذا الجبل قال عليه صور الحيوانات مسخها الله تعالى حجرا منها راع متكئ على عصى يرعى غنمه وامرأة تحلب بقرة وغير ذلك من صور الإنسان والبهائم كلها مسخت حجرا وأهل قزوين يعرفون ذلك والله تعالى أعلم بالصواب

﴿فصل﴾ فى تولد الأنهار إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب إلى المغارات وتبقى مخزونة فيها فى الشتاء فإذا كان فى أسفل الجبال منافذ ينزل الماء من الأوشال بتلك المنافذ فتحصل منها الجداول ينضم بعضها إلى بعض فيحدث منها أنهار وأودية فإن كانت الخزانات فى أعلى الجبال فيستمر جريانها أبدا لأن مياهها تنصب إلى سفح الجبال ولا تنقطع مادتها لوصول مددها من الأمطار وإن كانت الخزانات فى أسافل الجبال فتجرى منها الأنهار عند وصول مددها ثم ينقطع عند انقطاع المدد وتبقى المياه فيها واقفة كما ترى فى الأودية التى تجرى فى بعض الأيام ثم تنقطع لانقطاع مادتها قال صاحب تحفة الغرائب إن فى هذا الربع المسكون مائتين

وسكان سمواته أن لا أفتك قال ففتحت لها فمى فانسابت فيه ثم مضيت فعارضنى رجل معه صمصامة فقال يا محمد فقلت له ما تشاء قال هل لقيت عدوى قلت ومن عدوك قال حية قلت اللهم لا واستغفرت ربى مائة مرة من قولى لا، لعلى أين هى ثم مضيت قليلا فإذا بها قد أخرجت رأسها من فمى وقالت انظر هل مضى هذا العدو فالتفت فلم أر أحداً فقلت لم أر أحدا فإن أردت الخروج فاخرجى فقالت الآن يا محمد اختر لنفسك واحدة من اثنتين إما أن أفتت كبدك وإما أن أنفث فى فؤادك فأدعك بلا روح فقلت يا سبحان الله أين العهد الذى عهدت إلى واليمين الذى حلفت لى ما أسرع ما نسيته وخنت فقالت يا محمد ما رأيت أحمق منك إذ نسيت العداوة التى كانت بينى وبين أبيك آدم حيث أخرجته من الجنة فليت شعرى ما الذى حملك على اصطناع المعروف مع غير أهله قال فقلت لها ولا بد لك من قتلى قالت لا بد من ذلك قال فقلت لها أمهلينى حتى أصير تحت هذا الجبل فأمهد لنفسى موضعا قالت شأنك وما تريد قال محمد فمضيت أريد الجبل وقد أيست من الحياة فرفعت طرفى إلى السماء يا لطيف يا لطيف الطف بى بلطفك الخفى يا لطيف يا قدير أسألك بالقدرة التى استويت بها على العرش فلم يعلم العرش أين مستقرك منه يا حليم يا على يا عظيم يا حى يا قيوم يا الله إلا ما كفيتنى شر هذه الحية ثم مشيت فعارضنى رجل صبيح الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لى سلام عليك فقلت وعليك السلام يا أخى فقال مالى أراك قد تغير لونك واضطرب كونك فقلت من عدو قد ظلمنى قال لى وأين عدوك قلت فى جوفى قال فافتح فاك ففتحته فوضع فيه مثل ورقة زيتون خضراء ثم قال امضغ وابلع فمضغت وبلعت قال محمد فلم ألبث إلا قليلا حتى مغصنى بطنى ودارت الحية فى بطنى فرميت بها من أسفل قطعا قطعا وذهب عنى ما كنت أجده من الخوف فتعلقت بالرجل فقلت يا أخى من أنت الذى من الله على بك فضحك ثم قال أما تعرفنى قلت اللهم لا قال يا محمد بن حمير أنه لما كان بينك وبين هذه الحية ما كان ودعوت الله بهذا الدعاء ضجت ملائكة السموات السبع إلى الله عز وجل فقال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى بعينى كل ما فعلت الحية بعبدى وأمرنى سبحانه وتعالى أن انطلق إلى الجنة وخذ ورقة خضراء من شجرة طوبى والحق بها عبدى محمد بن حمير وأنا يقال لى المعروف ومستقرى فى السماء الرابعة ثم قال يا محمد بن حمير عليك باصطناع المعروف فإنه يقى مصارع السوء وإنه وإن ضيعه المصطنع إليه لم يضع عند الله تعالى ﴿فائدة أخرى﴾ روى الحاكم وصححه عن أبى اليسر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان يدعو اللهم إنى أعوذ بك من الهدم والتردى وأعوذ بك من الحرق والغرق وأعوذ بك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك أن أموت لديغا قال الجاحظ وتأويل هذا عند العلماء أنه لا يتفق للإنسان أن يكون موته بهذا العدو إلا وهو من أعداء الله تعالى بل من أشدهم عداوة فكان عليه الصلاة والسلام يتعوذ منه لذلك ﴿فائدة أخرى﴾ يقال لسعته الحية والعقرب تلسعه لسعا فهو ملسوع قال بعض العلماء المتقدمين من قال فى أول الليل وأول النهار عقدت لسان الحية وزبان العقرب ويد السارق بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق ﴿ومن الفوائد﴾ المجربة النافعة أن يسأل الراقى الملدوغ إلى أين انتهى الوجع فى العضو ثم يضع على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يجرده وضع الألم بالحديدة حتى ينتهى فى جرد السم إلى أسفل الوجع فإذا اجتمع فى أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك وهى هذه سلام على نوح فى العالمين وعلى محمد فى المرسلين من حاملات السم أجمعين لا دابة بين السماء والأرض إلا وربى آخذ بناصيتها أجمعين كذلك يجزى عباده المحسنين إن ربى

وأربعين نهرا طولا منها ما طوله من خمسين فرسخا إلى مائة فرسخ إلى ألف فرسخ ومنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب ومنها ما يجرى من المغرب إلى المشرق ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب ومنها ما يجرى من الجنوب إلى الشمال وكلها تبتدئ من الجبال وتنتهى إلى البحار والبطائح وفى ممرها تسقى المدن والقرى وما فضل ينصب إلى البحار ويختلط بالماء المالح والشمس تشرق فيها فيصعد بخارا وينعقد غيوما وتسوقها الرياح إلى الجبال والبرارى وتمطر هناك وتجرى فى الأودية والأنهار وتسقى البلاد ويرجع فاضلها إلى البحر ولا يزال هذا دأبها وتدور كالرحا فى الشتاء والصيف إلى أن يبلغ الكتاب أجله (ولنذكر) بعض الأنهار وخواصها وعجائب أحوالها وغرائب حيوانا تها مرتبا على حروف المعجم (نهر إتل) نهر عظيم يقارب دجلة فى بلاد الخزر مجيئه من أرض الروس وبلغار ومصبه بحر الخزر وقالوا يتشعب من هذا النهر نيف وسبعون نهرا وعمقه يبقى كما كان لا يتغير لغزارة الماء فإذا انتهى إلى البحر يجرى فيه يومين فيغلب ماء البحر ويبين لونه من لون ماء البحر ويجمد فى الشتاء لعذوبته وفى هذا النهر حيوانات عجيبة ذكر

على صراط مستقيم نوح نوح قال لكم نوح من ذكرنى فلا تلدغوه إن ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورأيت بخط بعض المحققين من العلماء أن يوقف الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم قائما ثم يخط دور قدميه يبدأ بالخط من إبهام الرجل اليمنى حتى يرجع إليها ثم يخط بين قدميه خطا ويكون ذلك بسكين فولاذ ثم يأخذ من تحت مشط رجله اليمنى ومن تحت كعبه الأيسر ترابا ويرميه فى إناء نظيف ويسكب عليه ماء ثم يأخذ السكين ويوقفها فى وسط إناء آخر ويكون رأس السكين إلى فوق ويسكب الماء الذى فى الإناء على السكين التى فى الإناء الثانى ويرقى بهذه الرقية ويكون فراغ الماء مع فراغ الرقية ثم يجعل النصاب إلى فوق ويسكب الماء كأول مرة ثم يجعل رأسها إلى فوق أيضا ويفعل كأول مرة ثم يسقى الملسوع أو رسوله أو المكلوب أو شارب السم وهى سار اسارا فى سار اعاتى نور نور نورانا وار ميافاه ياطوا كاطوابر ملس أوزاتا أوصنانيما كاما يوقابانيا ساتيا كاطوط اصبأوتا ابريلس توتى تنا اوس فإنه يبرأ بإذن الله تعالى كما جرت مرارا وما أحسن قول القائل :

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم * من عقرب الصدغ أو من حية الشعر
قالوا بلى من أفاعى الأرض قلت لهم * وكيف تسعى أفاعى الأرض للقمر

ولجمال الملك بن أفلح :

وقالوا يصير الشعر فى الماء حية * إذا الشمس حاذته فما خلته صدقا
فلما التوى صدغاه فى ماء وجهه * وقد لسعا قلبى تيقنته حقا

﴿غريبة أخرى﴾ ذكر المسعودى عن الزبير بن بكار أن أخوين فى الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا فى ظل شجرة بجنب صفاة فلما دنا الروح خرجت لهما من تحت الصفاة حية تحمل دينارا فألقته إليهما فقالا إن هذا لمن كنز هنا فأقاما ثلاثة أيام وهى فى كل يوم تخرج لهما دينارا فقال أحدهما للآخر إلى متى ننتظر هذه الحية ألا نقتلها ونحفر عن هذا الكنز فنأخذه فنهاه أخوه وقال له ما تدرى لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأسا ورصد الحية حين خرجت فضربها ضربة جرح رأسها ولم يقتلها فبادرت إليه الحية فقتلته ورجعت إلى جحرها فدفنه أخوه وأقام حتى إذا كان الغد خرجت الحية معصوبا رأسها وليس معها شىء فقال يا هذه والله إنى ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخى عن ذلك فلم يقبل فهل لك أن نجعل الله بيننا على أن لا تضرينى ولا أضرك وترجعين إلى ما كنت عليه أولا فقالت الحية لا قال ولم قالت لأنى أعلم نفسك لا تطيب لى أبدا وأنت ترى قبر أخيك ونفسى لا تطيب لك أبدا وأنا أذكر هذه الشجة ثم أنشد أبيات النابغة الجعدى التى يقول فيها :

وما لقيت ذات الصفا من حليفها * وكانت تريه المال زعبا وظاهره

﴿غريبة أخرى﴾ فى رحلة ابن الصلاح وتاريخ ابن النجار فى ترجمة يوسف بن على بن محمد الزنجانى الفقيه الشافعى قال حدثنا الشيخ أبو إسحق الشيرازى رحمه الله عن القاضى الإمام أبى الطيب أنه قال كنا فى حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد فجاء شاب خراسانى يسأل عن مسألة المصراة ويطالب بالدليل فاحتج المستدل بحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الثابت فى الصحيحين وغيرهما فقال الشاب وكان حنفيا أبو هريرة غير مقبول الحديث قال القاضى فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع فهرب الناس وتبعت الشاب دون غيره فقيل له تب تب فقال تبت فغابت الحية ولم يبق لها أثر قال ابن الصلاح هذا إسناد ثابت فيه ثلاثة من صالحى

أئمة المسلمين القاضي أبو الطيب الطبري وتلميذه أبو إسحق وتلميذه أبو القاسم الزنجاني ويقرب من هذا ماروا أبو اليمن الكندي قال حدثنا أبو منصور القزاز قال حدثنا أبو بكر الخطيب قال حدثنا الأزهري قال حدثنا عبيد الله بن محمد بن حمدان قال حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم النحوي قال أخبرنا الكريمي قال حدثنا يزيد بن قرة الدراع يرفعه إلى عمر بن حبيب قال حضرت مجلس الرشيد فجرت مسألة المصراة فتنازع الخصوم فيها وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فرد بعضهم الحديث وقال أبو هريرة متهم فيما يرويه ونحا نحوه الرشيد ونصر قوله فقلت أما الحديث فصحيح وأبو هريرة رضي الله عنه صحيح النقل فيما يرويه عن النبي ﷺ فنظر إلي الرشيد نظر مغضب فقمت من المجلس إلى منزلي فلم يستقر بي الجلوس حتى قيل صاحب الشرطة بالباب فدخل إلي فقال أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم إنك تعلم أني قد دافعت عن صاحب نبيك محمد ﷺ وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه قال فأدخلت على الرشيد فإذا هو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه وبيده السيف وبين يديه النطع فلما رآني قال يا ابن حبيب ما تلقاني أحد بالرد ودفع قولي مثل ما تلقيتني به فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي حاولت عليه فيه إزراء على رسول الله ﷺ وعلى ما جاء به فقال كيف ويحك قلت لأنه إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام من الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والحدود كلها مردودة غير مقبولة لأنهم رواتها ولا تعرف إلا بواسطتهم فرجع الرشيد إلى نفسه وقال الآن أحييتني يا ابن حبيب أحياك الله ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم * ويقرب من هذه القصة ما سيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف في الكلام على لفظ القرد في الرجل الذي رد على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهو على المنبر ﴿تتمة﴾ قال طارق بن شهاب الزهري كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قد قضى في ميراث الجد مع الإخوة في قضايا مختلفة ثم أنه جمع الصحابة رضي الله عنهم وأخذ كتفا ليكتب فيه وهم يرون أنه يجعله أبا فخرجت حية فتفرقوا فقال لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه ثم إنه أتى إلى منزل زيد بن ثابت رضي الله عنه فاستأذن عليه ورأسه في يد جارية له ترجله فنزع رأسه فقال له عمر رضي الله عنه دعها ترجلك فقال زيد يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلي جئتك فقال عمر إنما الحاجة لي إني جئتك في أمر الجد وأريد أن أجعله أبا فقال له زيد لا أوافقك على أن تجعله أبا فخرج عمر رضي الله عنه مغضبا ثم أرسل إليه في وقت آخر فكتب إليه زيد رضي الله عنه مذهبه فيه في قطعة قتب وضرب له مثلا بشجرة نبتت على ساق واحد فخرج منها غصن ثم خرج من الغصن غصن آخر فالساق يسقي الغصن فإن قطع الغصن الأول رجع الماء إلى الغصن الثاني وإن قطع الغصن الثاني رجع الماء إلى الغصن الأول فلما أتى عمر رضي الله عنه كتاب زيد خطب الناس ثم قرأ قطعة القتب عليهم ثم قال إن زيدا قد قال في الجد قولا وقد أمضيته ﴿تذنيب﴾ روى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر وغيره أن أبا خراش الهذلي الشاعر واسمه خويلد بن مرة مات في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه من نهش حية وكان ممن يعدو على قدميه فيسبق الخيل وهو القائل:

رقوني وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وكان ممن أسلم وحسن إسلامه وكان سبب موته أنه أتاه نفر من اليمن قدموا حجاجا فنزلوا به وكان الماء بعيدا عنهم فقال لهم يا بني ما أمسى عندنا ماء ولكن هذه برمة وقربة وشاة فردوا الماء وكلوا شاتكم ثم دعوا قربتنا وبرمتنا عند الماء حتى نأخذهما فقالوا لا والله ما نحن بسارين ليلتنا هذه فلما رأى ذلك أبو خراش أخذ قربته وسعى نحو الماء تحت الليل حتى استقى

الخلقة فسألت الملك عنه فقال نعم ما كان من أهل بلادنا ومن خبره أن قوما خرجوا إلى نهر أتل وكان قد مد وطغى فقالوا أيها الملك قد وقف على الماء رجل إن كان من أمة تقرب منا فلا مقام لنا فركبت معهم حتى صرت إلى النهر وإذا رجل طوله اثنا عشر ذراعا ورأسه كأكبر ما يكون من القدر وأنفه أطول من شبر وعيناه عظيمتان وكل أصبع منه شبر فأقبلنا نكلمه وهو لا يزيد على النظر إلينا فحملته إلى مكاني وكتبت إلى أهل ويسو وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر فعرفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج قال يحول بيننا وبينهم البحر قالوا فأقام الرجل عندنا مدة ثم أصابه في بحره علة مات منها فخرجت ورأيت جثة هائلة جدا (نهر أذربيجان) قال محمد ابن زكريا الرازي عن الجيهاني صاحب المسالك والممالك الشرقية أن بأذربيجان نهرا يجري ماؤه فيستحجر ويصير صفائح صخر يستعملونه في البناء (نهر أسفار) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض أسفار نهر يجري الماء فيه سنة ثم ينقطع ثمان سنين ثم يعود في

النهر من موضع يعرف بفج العروس ثم يفيض ويجرى تحت الأرض لا يبقى له أثر على وجه الأرض ثم يجرى بقرية يقال لها آنه ثم يفيض ويجرى تحت الأرض ثم يبدو ثم يفيض بين ماردة وبطليوس ثم يبدو وينصب فى البحر (نهر جيحون) قال الإصطخرى جيحون يخرج من حدود بدخشان ثم ينضم إليه أنهار كثيرة فى حدود الجبل ووخش فيصير نهراً عظيما ثم يمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم ولا ينتفع به شىء من البلاد إلا خوارزم لأنها مستقلة به ثم ينصب فى بحيرة خوارزم بينها وبين خوارزم ستة أيام وجيحون مع كثرة مائه يجمد فى الشتاء عند اشتداد البرد فيجمد أولا قطعاً تجرى على وجه الماء ويلتصق بعضها ببعض حتى يصير سطح جيحون سطحاً واحداً ثم يثخن ويصير ثخنه فى أكثر الأوقات خمسة أشبار والماء يجرى تحت الجمد فيحفر أهل خوارزم آبارا بالمعاول ليستقوا منها لشربهم فإذا استحكم جموده عبرت عليه القوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق ويتظاهر عليه الغبار ويبقى على ذلك شهرين فإذا انكسر البرد عاد

ثم أقبل صادر آفنهشته حية قبل أن يصل إليهم فأقبل مسرعا حتى أعطاهم الماء وقال اطبخوا شاتكم وكلوا ولم يعلمهم بما أصابه فباتوا يأكلون حتى أصبحوا وأصبح أبو خراش فى الموت فلم يبرحوا حتى دفنوه فلما بلغ عمر رضى الله تعالى عنه خبره غضب غضباً شديدا وقال لولا أن تكون سنة لأمرت أن لا يضاف يمانى أبدا ولكتبت بذلك إلى الآفاق ثم كتب إلى عامله باليمن أن يأخذ النفر الذين نزلوا بأبى خراش فيغرمهم ديته ويؤدبهم بعد ذلك بعقوبة جزاء لفعلهم ﴿غريبة أخرى﴾ ذكر القاضى الإمام شمس الدين أحمد بن خلكان فى وفيات الأعيان فى ترجمة عماد الدولة أبى الحسن على بن بويه وكان أبوه صيادا ليست له معيشة إلا صيد السمك وكان له ثلاثة أولاد عماد الدولة أكبرهم ثم ركن الدولة الحسن ثم معز الدولة والجميع ملكوا وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم فإنهم ملكوا العراقين والأهواز وفارس وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة قال ومن عجيب ما اتفق لعماد الدولة أنه لما ملك شيراز فى أول ملكه اجتمع أصحابه وطالبوه بالأموال ولم يكن عنده ما يرضيهم به فأشرف أمره على الانحلال فاغتم لذلك فبينما هو مفكر وقد استلقى على ظهره فى مجلس قد خلا فيه للتفكير والتدبير إذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت فى موضع آخر منه فخاف أن تسقط عليه فدعا بالفراشين وأمرهم بإحضار سلم وأن يخرجوا الحية فلما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى إلى غرفة بين سقفين فعرفوه بذلك فأمرهم بفتحها ففتحت فإذا فيها صناديق فيها خمسمائة ألف دينار فحمل ذلك بين يديه فقسمه على رجاله فثبت أمره بعد أن كان قد أشفى على الانحلال والانخرام ثم إنه جهز ثيابا وسأل عن خياط حاذق فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله فأمر بإحضاره وكان أطروشا وكان عنده وديعة لصاحب البلد فوقع فى نفسه أنه سعى به إليه وأنه طلب بسبب الوديعة فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى اثنى عشر صندوقا لا يدرى ما فيها فتعجب عماد الدولة من جوابه ووجه معه من يحمل الصناديق فوجد فيها أموالا وثيابا بجمل كثيرة فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته توفى عماد الدولة سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة ولم يعقب (الحكم) يحرم أكل الحيات لضررها وكذا يحرم أكل الدرياق المعمول من لحومها وقال البيهقى كرهه أكله ابن سيرين قال أحمد ولهذا كرهه الإمام الشافعى فقال لا يجوز أكل الرياق المعمول من لحم الحيات إلا أن يكون بحال الضرورة بحيث يجوز له أكل الميتة وأما السمك الذى فى البحر على شكلها فحلال كما تقدم وأمر النبى ﷺ بقتل الحيات أمر ندب روى البخارى ومسلم والنسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى وقد أنزلت عليه والمرسلات عرفا فنحن نأخذها من فيه رطبة إذ خرجت علينا حية فقال اقتلوها فابتدرناها لنقتلها فسبقتنا فقال ﷺ وقاها الله شركم كما وقاكم شرها وعداوة الحية للإنسان معروفة قال الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال الجمهور الخطاب لآدم وحواء والحية وإبليس (وروى قتادة) رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ما سالمناهن منذ عاديناهن وقال ابن عمر رضى الله عنهما من تركهن فليس منا وقالت عائشة رضى الله عنها من ترك حية خشية من ثارها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفى سنن البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحية فاسقة والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا بالله ومن ترك حية مخافة عاقبتها فليس منا وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إن الحيات مسخ كما مسخت القردة من بنى إسرائيل وكذا رواه الطبرانى عنه عن رسول الله ﷺ وكذا رواه ابن حبان وأما الحيات التى فى

البيوت فلا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام لقوله ﷺ إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منها شيئا فآذنوه ثلاثة أيام وحمل بعض العلماء ذلك على المدينة وحدها والصحيح أنه عام فى كل بلد لا تقتل حتى تنذر روى مسلم ومالك فى أواخر الموطأ وغيرهما عن أبى السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال دخلت على أبى سعيد الخدرى فى بيته فوجدته يصلى فجلست أنتظر فراغه فسمعت حركة تحت سرير فى ناحية البيت فالتفت فإذا حية فوثبت لأقتلها فأشار إلى أن أجلس فجلست فلما انصرف من صلاته أشار إلى بيت فى الدار فقال أترى هذا البيت قلت نعم قال كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ عند انتصاف النهار ويرجع إلى أهله فاستأذنه يوما فقال ﷺ خذ عليك سلاحك فإنى أخشى عليك بنى قريظة فأخذ الفتى سلاحه ثم رجع إلى أهله فوجد امرأته بين البابين قائمة فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وقد أصابته الغيرة فقالت أكفف عليك رمحك وأدخل البيت حتى تنظر ما الذى أخرجنى منه فدخل فإذا حية عظيمة مطوقة على الفراش فأهوى إليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج به فركزه فى الدار فاضطربت عليه وخر الفتى ميتا فما ندرى أيهما كان أسرع موتا الحية أم الفتى قال فجئنا النبى ﷺ فأخبرناه بذلك وقلنا ادع الله أن يحييه فقال استغفروا ربكم لصاحبكم ثم قال إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم منهن شيئا فآذنوه ثلاثة أيام فإذا بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان وقد اختلف العلماء فى الإنذار هل هو ثلاثة أيام أو ثلاث مرات والأول هو الذى عليه الجمهور وكيفيته أن يقول أنشدكن بالعهد الذى أخذه عليكن نوح وسليمان عليهما الصلاة والسلام أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا وفى أسد الغابة عن عبد الرحمن أبى يعلى أنه قال قال رسول الله ﷺ إذا ظهرت الحية فى المسكن فقولوا لها إنا نسألك بعهد نوح وبعهد سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام لا تؤذينا فإن عادت فاقتلوها وروى الحافظ أبو عمر بن عبد البر أن عقبة بن عامر بن نافع بن عبد قيس الفهرى ولد على عهد رسول الله ﷺ وهو ابن خالة عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما افتتح أفريقية وقف على موضع القيروان وهو واد كثير الحيات وقال يا أهل الوادى إنا حالون إن شاء الله تعالى قاطنون ثلاث مرات قال فما رأينا حجرا ولا شجرا إلا خرج من تحته حية حتى هبطن بطن الوادى ثم قال انزلوا بسم الله فعمروا القيروان وكان عقبة مجاب الدعوة وعند الحنفية ينبغى أن لا تقتل الحية البيضاء لأنها من الجان وقال الطحاوى لا بأس بقتل الجميع والأولى الإنذار * ومن الفوائد العجيبة المجربة ما أخبرنى به بعض مشايخى أنه يكتب على أربع ورقات وتوضع كل ورقة فى قرنة من قرن البيت فإن الحيات تهرب منه ولا تدخله حية بإذن الله تعالى وهو هذا

١ ١ ٦ ١ ١ ١ ٨ ٧ ١ ١ ح ٥ ٥ ٧ ١ ١ ٥ ١ و و ٧

و و ١ ٥ ير و ١ ١ م ١ ١ ح ١ ١ ١ ح ط ٥ ٥ ٨

وفى الإحياء من كتاب آداب السفر يستحب لمن أراد لبس الخف فى حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب أو شوكة واستدل له بحديث أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه الآتى فى باب الغين المعجمة فى الكلام على لفظ الغراب وفى فتاوى الإمام النووى إذا اصطاد الحاوى حية وحبسها معه على عادتهم فلسعته فمات هل يأثم فأجاب إن صادها ليرغب الناس فى اعتماد معرفته وهو صادق فى صنعته ويسلم منها فى ظنه ولسعته فمات لم يأثم وإن انفلتت وأتلفت شيئا لم يضمنه * وروى الإمام أحمد فى الزهد أن حاويا معه حيات فى خرج نزل بقوم من أهل اليمن فخرج بالليل بعض الحيات فلسعت بعض أهل المنزل فقتلته فكتب بذلك عامل

المهدى ) قال صاحب تحفة الغرائب إنه بين البصرة والأهواز فى بعض الأوقات يرتفع منه شبه منارة يسمع منها أصوات الطبل والبوق ولا يعرف أحد سبب ذلك ( نهر جريح ) بأرض الترك فيه حيات إذا وقع عين أحد من الحيوان عليها يغشى عليه ( نهر دجلة ) هو نهر بغداد مخرجه من أصل جبل بقرب آمد عند حصن ذى القرنين تجرى عين دجلة من تحته وهناك ساقية وكلما امتدت انضم إليها مياه جبال ديار بكر وآمد يخاض فيه بالدواب ثم يمتد إلى مياه فارقين ثم إلى حصن كيفى ثم إلى جزيرة ابن عمر ثم إلى الموصل وينصب فيه الرايات ومنها يعظم إلى بغداد ثم إلى واسط ثم إلى البصرة ثم ينصب إلى بحر فارس وماء دجلة من أعذب المياه وأصفاها وأخفها وأكثرها نفعا لأن مجراه من مخرجه إلى مصبه فى العمارات وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى أوحى إلى دانيال عليه الصلاة والسلام أن احفر لعبادى نهرين واجعل مفيضهما البحر فقد أمرت الأرض أن تطيعك فأخذ خشبة يجرها فى الأرض والماء

اليمن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال لا شيء عليه لكن مره إذا نزل بقوم أن يخبرهم بما معه وفى كتاب الأربعين على مذهب المحققين من الصوفية للإمام الحافظ أبى مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهانى بإسناده إلى عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال أخذ النبى ﷺ بعمامتى من ورائى وقال ياعمران إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فأنفق وأطعم ولا تعسر فيعسر عليك الطلب واعلم أن الله يحب البصير الناقد عند هجم الشبهات والعقل الكامل عند نزول البليات ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية (الأمثال) قالوا فلان أسمع من حية وأعدى من حية وهو من العدو لأنها تسرع إلى جحرها إذا راعها شيء * روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها وفى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها أى مسجدى مكة والمدينة ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض ومعناه أن المؤمن إنما يسوقه إلى المدينة إيمانه ومحبته للنبى ﷺ ويحتمل أن يكون المراد بذلك عصمة المدينة من الدجال والفتن فيكون الإسلام فيها موقرا ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن الدين يؤخذ من علمائها وأئمتها وكذلك كان وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم فى لفظ المطية حديث الترمذى أن النبى ﷺ قال يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة وقالوا أبغض من ريح السذاب إلى الحيات وقالوا الحية من الحيية أى الأمر الكبير من الصغير وربما قالوا الحيوت من الحية وهذا كقولهم العصا من العصية وقد جاء معنى المثلين فى كتاب الله تعالى قال الله تعالى ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا كذا ذكره ابن الجوزى وغيره (الخواص) قال عيسى بن على ناب الحية إذا قلع فى حياتها وعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه وإن علق على من به وجع الأسنان نفعه وسكن وجعها ولحمها يحفظ الحواس ومرق لحمها يقوى البصر ولحوم الحيات من حيث الجملة يسخن ويجفف وينقى البدن ويحلل منه أسقاما وسلخها إذا وضع فى ثياب لم تسوس وإن أحرق وعجن بزيت طيب وحشى به الضرس المتأكل الوضع أبرأه وإن سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب أنبت الشعر وقال يحيى بن ماسويه يؤخذ سلخ حية مقلى وقشور أصل الكبر وزراوند طويل وبلادر أجزاء متساوية ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة فإنها تسقط وقال غيره سلخ الحية ومقل أزرق يبخر بهما البواسير الظاهرة والخفية فتبرأ وبيض الحية يدق مع بورق وخل ويطلى به البرص الجديد يقطعه وسلخ الحية إذا عجن بثلاث تمرات وأطعم لمن به الشآليل ذهبت عنه وإن أكله من ليس به شآليل لم تخرج أبدا وقلبها يذهب حمى الربع تعليقا ﴿ فائدة ﴾ روى ابن أبى شيبة وغيره أن قويكا قدم على رسول الله ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فسأله ﷺ ما أصابه فقال كنت أمرن جملا فوقفت على بيض حية ولم أشعر فأصبت ببصرى فنفث رسول الله ﷺ فى عينيه فأبصر فكان يدخل الخيط فى الإبرة وهو ابن ثمانين سنة وأن عينيه مبيضتان (التعبير) الحية فى المنام تعبر بأشياء كثيرة فهى عدو ودولة وحياة وسيل وولد وامرأة فمن نازع حية وهى تريد أن تنهسه فإنه ينازع عدوا له لقوله تعالى اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإن رأى أنه أخذ حية ولم يخف منها وصرفها حيث يشاء فإنه ينال دولة ونصرة لأن موسى عليه الصلاة والسلام نال بها النصرة على فرعون ومن رأى أن حية خرجت من فمه وكان

يتبعه وكلما مر بأرض ذلك ودجلة نهر مبارك كثيراً ما ينجو غريقها (حكى) أنهم وجدوا فيها غريقا فأخذوه فإذا فيه رمق فلما رجعت إليه نفسه سئل عن حاله وكان من موضع وقوعه إلى موضع نجاته مسيرة أيام (نهر الذهب) بالشام يزعم أهل حلب أنه وادى بطنان ومعنى قولهم نهر الذهب لأن جميعه يباع أوله بالميزان وآخره بالكيل فإن أوله تزرع عليه الحبوب وتغرس عليه الأشجار وآخر ينصب إلى بطيحة فرسخين ينعقد ملحا والعجب من هذا النهر أنه لا يضيع منه شيء بل يباع كله بالذهب (نهر الرأس) بأذربيجان شديد جرى الماء وبأرضه حجارة بعضها ظاهرة وبعضها مغطاة بالماء ولهذا ليس للسفن فيه مجرى وله أجراف هائلة ذات حجارة عظيمة لا مشارع لها زعموا أنه من عبر نهر الرأس بدجلة إذا مسح برجليه ظهر امرأة عسرت ولادتها تضع فى الحال وكان بقزوين شيخ تركمانى اسمه الخليل كان يفعل ذلك وزعموا أيضا أن نهر الرأس مساح بالغرقى كثيرا ما ينجو غريقه ومن العجائب ماذكره ديسم بن إبراهيم صاحب أذربيجان قال كنت أجتاز على قنطرة الرأس بعسكرى

مريضا فإنه يموت لأنها حيانه وقد خرجت من فمه ومن رأى حيات تمشى فى خلال الشجر أو الزرع فإنها سيول لأنهم شبهوا جريان الماء بالحيات هذا إذا كان جريها بلا نفخ ولا إحراق شىء ومن قتل حية على فراشه ماتت امرأته ومن رأى امرأته حاملا ووضعت حية أتاه ولد عاق ومن رأى حية ميتة فإنه عدو قد كفاه الله شره ومن عضته حية فورم موضع العضة نال مالا لأن السم مال والورم زيادة فيه ومن أكل لحم حية مطبوخا نال مال عدوه ومن أكله نيئا اغتاب عدوه ومن رأى حية نزلت من مكان فإن ذلك موت رئيس ذلك المكان ومن رأى حية ابتلعته فإنه ينال سلطانا ومن رأى كأنه يتخطى الحيات ولا تنهسه فإنه يأمن أعداءه وإن كان مسجونا خرج من سجنه ورؤية الحيات الكثيرة فى الطرق وهى تمنع الناس بنفخها ونهسها فإن ذلك ظلم من السلطان ومن رأى كأن الحيات قد فقدن من مكان فإن الوباء والموت يكثر فى ذلك المكان لأن الحيات هى الحياة ومن رأى كأن حية تكلمه فإنه ينال سرورا ومن رأى كأنه ملك حية ملساء وصرفها حيث شاء فإنه ينال غبى وسعادة والسود من الحيات أعداء لهم قوة فمن ملك حية سوداء نال ملكا ولاية والبيض أعداء ضعاف والثعبان يدل على العداوة فى الأهل والأزواج والأولاد وربما كان جارا شريرا حسودا والتنين يدل على سلطان جائر مهاب أو نار محرقة والأصلة تدل على امرأة ذات نسل وأصل وعمر طويل والشجاع يدل على امرأة باذلة أو ولد جسور والأفاعى تدل على أقوام أغنياء لكثرة سمها والناشر يدل على الهم أو على رجل محارب غيور وحيات البيوت خسران وحيات البوادى قطاع الطريق وحيات الماء مال فمن شد وسطه بحية منها فإنه يشده بهميان وحياة البطن أعداء من الأهل والأقارب فمن رمى حية فإنه يفارق شخصا من أقاربه خبيثا كان يواكله والله أعلم.

﴿الحيوت﴾ كسفود ذكر الحيات.

﴿الحيدوان﴾ الورشان وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب الواو

﴿الحيقطان﴾ بضم القاف ذكر الدراجة

﴿الحيوان﴾ جنس الحى والحيوان الحياة والحيوان ماء فى الجنة قاله ابن سيده والحيوان نهر فى السماء الرابعة يدخله ملك كل يوم فينغمس فيه ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يطوفوا بالبيت المعمور فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبدا ثم يقفون بين السماء والأرض يسبحون الله تعالى إلى يوم القيامة كذا رواه روح بن جناح مولى الوليد بن عبد الملك الذى روى عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وحديثه هذا فى كتابى الترمذى وابن ماجه وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى «وإن الدار الآخرة لهى الحيوان» أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها فكأنها فى ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبوا الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة فى اسم رجل وبه سمى ما فيه حياة حيوانا وفى بناء الحيوان زيادة معنى ليس فى بناء الحياة وهو ما فى بناء فعلان من الحركات ومعنى الاضطراب كالنزوان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على ذلك مبالغة فى معنى الحياة وقال ابن عطية الحيوان والحيوة بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال الأصل حييان بياءين فأبدلت أحدهما واوا لاجتماع المثلين وقال الجاحظ الحيوان على أربعة أقسام شىء يمشى وشىء يطير وشىء يعوم وشىء ينساح فى الأرض إلا أن كل شىء يطير يمشى وليس كل شىء يمشى يطير فأما النوع الذى يمشى فهو على ثلاثة

يديها فى النهر فوصل إلى الماء بعد زمان لبعد ما بين القنطرة وسطح الماء ثم غاص وطغا الماء يجرى به وسلم من الحجارة التى فى النهر وللعقبان أوكار على أجراف النهر فرآه عقاب فانقض عليه فرفعه وخرج به إلى الصحراء فأمرت جماعة بالركض فى أثر العقاب فإذا العقاب قد وقع على الأرض واشتغل بخرق القماط فأدركه القوم وصاحوا به وركضوا نحوه فطار وترك الطفل فوجدوه سالما يبكى فردوه إلى أمه

(نهر بين الموصل وأربل) يبتدئ من أذربيجان وينصب فى دجلة يقال له الزاب المجنون لشدة جريانه ولقد شربت من مائه وقت القيظ عند الظهيرة وكان باردا جدا وذلك لشدة جريه فإن الشمس لا تؤثر فيه حتى يسخن ماؤه

(نهر زرير) ونهر اصفهان موصوف باللطافة والعذوبة يغسل فيه الثوب الخشن يصير لينا مثل الحرير يخرجه من قرية يقال لها بيا كان ويعظم بانضمام المياه إليه عند أصفهان ويسقى بساتينها ورساتيقها ثم يغور فى رمل هناك ويخرج بكرمان ثم ينصب فى بحر الهند ذكر بعضهم أنهم أخذوا قصبة وعلموها وأرسلوها فى موضع

أقسام ناس وبهائم وسباع والطير كله سبع وبهيمة وهمج والحشاش ما لطف جرمه وصغر جسمه وكان عديم السلاح والهمج ليس من الطيور ولكنه يطير هو فيما يطير كالحشرات فيما يمشي والسبع من الطير ما أكل اللحم خالصا والبهيمة ما أكل الحب خالصا والمشترك كالعصفور فإنه ليس بذي مخلب ولا منسر وهو يلتقط الحب ومع ذلك يصيد النمل ويصيد الجراد ويأكل اللحم ولا يزق فراخه كما يزق الحمام فهو مشترك الطبيعة وأشباه العصافير من المشترك كثيرة وليس كل ما طار بجناحين من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك ولا تسمى طيورا وكذلك الملائكة تطير ولها أجنحة وليست من الطير وكذلك جعفر بن أبي طالب ذو جناحين يطير بهما في الجنة وليس من الطير انتهى وفي الصحيحين وغيرهما عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لعن الله من مثل بالحيوان وفي رواية لعن الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا وفي رواية نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم قال العلماء تصبير البهائم هو أن تحبس وهي أحياء لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى قوله لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا أي يرمى إليه كالغرض من الجلود وغيرها وهذا النهي للتحريم لأن النبي ﷺ لعن فاعله ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى ولمنفعته إن لم يكن مذكى ﴿تتمة﴾ في كتاب التنوير في إسقاط التدبير قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري وإنما خص الله تعالى الحيوان بالافتقار إلى التغذية دون غيره من الموجودات لأنه تعالى وهب للحيوان من صفاته ما لو تركه من غير فاقة لادعى الربوبية أو ادعى فيه ذلك فأراد الحق سبحانه وهو الحكيم الخبير أن يحوجه إلى مأكل ومشرب وملبس وغير ذلك من أسباب الحاجة ليكون تكرار أسباب الحاجة منه سببا لخمود الدعوى منه أو فيه (الحكم) يصح السلم في الحيوان لأنه يثبت في الذمة ثمنا وصداقا وفي إبل الدية وصح أن النبي ﷺ استسلف بكرا ومنع أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك لأن ابن مسعود رضي الله عنه كرهه ولأنه لا ينضبط بالصفة لما روى أبو داود والحاكم على شرط مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أنه قال أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بعيرا ببعيرين إلى أجل وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه أنه باع جملا له يدعى عصفورا بعشرين بعيرا إلى أجل واشترى ابن عمر رضي الله عنهما راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة رواه مالك في الموطأ وهو في البخاري بغير إسناد والربذة بالذال المعجمة موضع على ثلاث مراحل من المدينة وأما الحديث الذي رواه الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان فرواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي أنه حسن صحيح وسماع الحسن من سمرة صحيح هكذا قال علي بن المديني وغيره والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم في منع بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة وبه قال أحمد وقد رخص بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم في بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وهو قول الشافعي وإسحق وقال الخطابي النهي في حديث سمرة محمول على ما إذا كان نسيئة من الطرفين فيكون من باب الكالئ بالكالئ بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص المذكور وقال مالك إذا اختلفت أجناس الحيوان جاز بيع بعضه ببعض نسيئة وإن تشابهت لم يجز وقال في الإحياء تكره التجارة في الحيوان لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وقيل بع الحيوان واشتر الموتان ويضمن سائر الحيوان إذا أتلف بالقيمة لما في الصحيحين عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال من أعتق شركا له في عبد فإن كان معه ما يبلغ ثمن العبد قوم عليه وأعطى شركاءه حصصهم وعتق عليه العبد وإلا فقد عتق

مزيد يجرى تحت الأرض أربعة فراسخ ثم يظهر على وجه الأرض أخبر به الشريف محمد بن ذي الفقار العلوي المزيدي

(نهر سنجة) هو نهر عظيم بأرض مصر بين حصن المنصور وكيسوم لا يتهيأ خوضه لأن قراره رمل سيال وعلى هذا النهر قنطرة وهي إحدى عجائب الدنيا لأنها عقد واحد من الشط إلى الشط مقدار مائتي خطوة من حجر مهندم طول كل قطعة عشرة أذرع (وحكى) أنه عندهم طلسم على لوح إذا عاب موضع من القنطرة أدلى ذلك اللوح على موضع العيب فينعزل الماء عنه فيصلح ثم يرفع اللوح فيعود الماء إلى حاله الأول والله أعلم

(نهر الشلف) بأفريقية حدثني الفقيه سليمان المليانى أن في كل ستة أيام الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشبوق طيب اللحم إلا أنه كثير الشوك طوله قدر ذراع ويبقى شهرين ويكثر صيدها في هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم ينقطع فلا يرى فيها شيء إلى العام القابل

(نهر صقلاب) بأرض صقلاب في كل أسبوع يجرى فيه الماء يوما واحدا ثم ينقطع ستة أيام ثم يجرى في السابع وهكذا

منه ما عتق فأوجب القيمة فى العبد بالإتلاف بالعتق ولأن إيجاب مثله من جهة الخلقة لا يمكن لاختلاف الجنس الواحد فى القيمة فكانت القيمة أقرب إلى إيفاء حقه وتضمن أعضاء الحيوان بما نقص من قيمته وأوجب أبو حنيفة فى عين الإبل والبقر والخيل ربع القيمة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفحل أثر يشهد لذلك من حديث عروة البارقى وأوجب مالك رحمه الله فى قطع ذنب حمار ذى الهيئة وذنب بغلته تمام القيمة ويأخذ المتلف العين (الخواص) الخصى من الحيوان أبرد من فحله وإذا كان سمينا كان لذيذا مرطبا مليئا للطبيعة بطىء الانحدار وما كان مهزولا فبالضد إلا أنه سريع الانحدار وأجوده حولى المعز ومنفعته سرعة الانهضام ومضرته أنه يرخى المعدة ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة وهو يولد دما معتدلا يوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة من الشبان ومن الأزمان زمان الربيع ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ما كان معتدلا فى الهزال والسمن وأجود اللحوم لحم الضأن المتناهى الشباب والبقر التى لم تبلغ سن الشباب والخصى من المعز وأجوده على الإطلاق الضأن (التعبير) من كلمة حيوان من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال وربما دل على وقوع أمر منه يعجب الناس له وإن لم يفهم ما قاله فليحذر على مال يذهب منه لأن الحيوان مأكلة وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغى أن يفتش عنها وجلود سائر الحيوان ميراث وقيل الجلود بيوت لمن ملكها لقوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا ورب ما دلت جلود الحيوان كالسمور والسنجاب والوشق والقاقم والفنك والنمس والثعلب والأرنب والفهد للجلوس وأشباه ذلك على النعمة الطائلة والأموال والأرزاق وعلو الشأن لمن لبسها فى المنام أو رآها عنده أو ملكها وإذا رأى الإنسان كأن جلده سلخ وكان مريضا فإنه يموت وإلا افتقر وافتضح وربما دلت الجلود على ما يعمل منها فجلود الإبل تدل على الطبول وجلود الضأن تدل على الكتابة والمعز على النطوع وجلود البقر على الأوطئة والدلاء والسيور وجلود الخيل والبغال والحمير على الأوعية والأسقية وجلود الجاموس على الحصون وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة وغير موروثة أو معتصبة وأما القرون فتدل رؤيتها على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتجمل به من الأموال والأولاد والعز والجاه وأما أنياب الفيل وعظمه فإن ذلك دال على تركة من هلك من الملوك والزعماء وأما أظلاف الحيوان فإنها تدل على الكدو السعى والاجتماع بين المرأة وزوجها والوالدة وولدها والظلف فى الصورة هاء مشقوقة وأما الأخفاف فقوة سفر وربما دل الخف فى استدارته على العدو أو السقم أو التمهيد للأمور والتوطئة الحسنة وأما الأذناب فإنها دالة على مادل الحيوان عليه ومن يساعده فى مصالحه ويذب عنه ما يخشاه وأما أصوات الحيوان فنذكرها هنا مفصلة فأما ثغاء الشاة فلطافة من امرأة أو صديق أو بر من رجل كريم وأما ثغاء الجدى والكبش والحمل فسرور وخصب وأما صهيل الفرس فهو هيبة من رجل شريف أو جندى شجاع وأما نهيق الحمار فسفه من رجل سفيه وأما شحيج البغل فصعوبة من رجل صعب المرام وأما خوار العجل والثور والبقر فوقوع فى فتنة وأما رغاء الإبل فسفر طويل فى حج أو تجارة رابحة أو جهاد وأما زئير الأسد فخوف وهيبة لمن سمعه من ملك ظلوم وأما ضغاء الهرة فشهرة من خادم لص أو فاجر وأما نهيز الفأرة فضرب من رجل نقاب أو فاسق أو سرقة وأما بغام الظبى ففائدة من امرأة حسناء وأما عواء الكلب فخجل من سعى فى الظلم وأما عواء الذئب فجور من لص غشوم وأما صياح الثعلب فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة وأما وعوعة ابن آوى فصراخ نساء أو ضجة المحبوسين اليائسين وأما صياح الخنزير فظفر بأعداء حمقى وأما صوت الفهد فتهدد من رجل مذبذب طامع ويظفر به من سمعه وأما نقيق

بارداً خارج النهر (نهر العاصى) نهر حماة وحمص مخرجه من قدس ومصبه البحر قرب أنطاكية وإنما سمى العاصى لأن أكثر الأنهر تتوجه من نحو الجنوب هناك وهذا يتوجه من نحو الشمال (نهر الفرات) مخرجه من أرمينية ثم من قاليقلا قرب أخلاط ثم إلى ملطية ثم إلى سميساط ثم إلى الرقة ثم إلى غانة ثم إلى هيت ثم ينصب فى دجلة بعد ما يسقى المزارع والبساتين بهذه البلاد والفاضل منها ينصب فى دجلة بعضه وبعضه فى بحر فارس وللفرات فضائل كثيرة روى أن أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات وسيحان وجيحان وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال يا أهل الكوفة إن نهركم هذا يصب إليه ميزابان من الجنة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه أنه شرب من ماء الفرات ثم ازداد وحمد الله تعالى وقال ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلا برئ وعن السدى أن الفرات مد فى زمن على رضى الله عنه فألقى

الضفدع فدخول فى عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان وقيل إنه كلام قبيح وأما فحيح الحية فكلام من عدو كاتم للعداوة ثم يظفر به من سمعه ومن كلمته الحية بكلام لطيف فإنه عدو يخضع له ويتعجب الناس لذلك

﴿ أم حبين ﴾ بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة مخففة دويبة مثل ابن عرس وابن آوى وسام أبرص وابن فترة إلا أنه تعريف جنس وربما أدخل عليه الألف واللام ثم لا يكون بحذفهما منه نكرة وإنما سميت بذلك من الحبن تقول فلان به حبن فهو أحبن أى مستسق فشبهت بذلك لكبر بطنها وهى على خلقة الحرباء غير الصدر وقيل هى أنثى الحرابى وهما أما حبين وهن أمهات حبين وهى دابة على قدر الكف تشبه الضب غالبا قاله أبو منصور الأزهرى وما نقله من كونها أنثى الحرابى هو الذى نقله صاحب الكفاية فإنه قال الحرباء ذكر أم حبين وقال ابن السكيت هى أعرض من العظاءة وفى رأسها عرض وقال أبو زيد إنها غبراء لها أربع قوائم على قدر الضفدعة التى ليست بضخمة فإذا طردها الصيادون قالوا لها :

أم حبين انشرى برديك * إن الأمير ناظر إليك * وضارب بسوطه جنبيك

فيطردونها حتى بدركها الإعياء فتقف منتصبة على رجليها وتنشر جناحيها وهما أغبران على مثل لونها فإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة من تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض وهى طرائق بعضها فوق بعض مثل أجنحة الفراش فى الرقة فإذا رآها الصيادون قد فعلت ذلك تركوها وقال على بن حمزة الصحيح عندى أن هذه صفة أم عويف وستأتى فى باب العين المهملة إن شاء الله تعالى وقال ابن قتيبة أم حبين تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وهذه صفة الحرباء وقال فى المرصع اختلف فى أم حبين فقيل هى ضرب من العظاء وقيل هى أعرض منها وقيل هى أنثى الحرابى يتحاماها الأعراب فلا يأكلونها لبتها انتهى وما ذكره ابن قتيبة من كون أم حبين ضربا من العظاء فيه نظر فإن العظاء نوع من الوزغ كما ذكره أهل اللغة ويقال لها حبينة معرفة بلا ألف ولام تقع على الواحد والجمع وقد تجمع على أم حبينات وأمهات حبين وأمات حبين ولا ترد إلا مصغرة وفى حديث عقبة رحمه الله أتموا صلاتكم ولا تصلوا صلاة أم حبين وفسروه بأنها إذا مشت تطأطئ رأسها كثيرا وترفعه لعظم بطنها فهى تقع على رأسها وتقوم فشبه بها صلاتهم فى السجود وفى الحديث أنه ﷺ رأى بلالا وقد خرج بطنه فقال أم حبين تشبيها له بها وهذا من مزحه ﷺ قال الجاحظ وقال أبو زيد النحوى سمعت أعرابيا يقول لأم حبين حبينة وحبينة اسمها وحبين تصغير أحبن وهو الذى استلقى على ظهره ونفخ بطنه (وحكمها) الحل لأنها من الطيبات ولأنها تفدى فى الحرم والإحرام إذا قتلت بحلان كما تقدم ومن قواعد الشافعى لا يفدى إلا المأكول البرى وحكى الماوردى فيها وجهين وقال إن الحل مقتضى قول الشافعى ومقتضى ما قاله ابن الأثير فى المرصع أنها حرام وفى التمهيد لابن عبد البر عن جماعة من أهل الأخبار أن مدنيا سأل أعرابيا فقال أتأكلون الضب قال نعم قال فاليربوع قال نعم قال فالقنفذ قال نعم قال فالورل قال نعم قال أفتأكلون أم حبين قال لا قال فليهنئ أم حبين العافية انتهى والجواب أن هذا راجع لما اعتادوا أكله وترك أكله خاصة لا أنها حرام على أنه لم يثبت ذلك

﴿ أم حسان ﴾ دويبة على قدر كف الإنسان

﴿ أم حسيس ﴾ بضم الحاء المهملة دويبة سوداء من دواب الماء لها أرجل كثيرة

﴿ أم حفصة ﴾ الدجاجة الأهلية

رمانة عظيمة كان فيها كرحب فأمر المسلمين أن يقتسموه بينهم وكانوا يرون أنها من الجنة (نهر القورج) بين القاطول وبغداد وكان سبب حفره أن كسرى لما حفر القاطول أضر بأهل الأسافل فخرج أهل تلك النواحى للظلم فوافوه وقد خرج متنزها فقالوا جئناك متظلمين فقال ممن قالوا منك فثنى رحله ونزل عن دابته وجلس على الأرض فأتى بشىء يجلس عليه فأبى أن يجلس على غير التراب إذا أتاه قوم للتظلم ثم قال ما مظلمتكم قالوا حفرت القاطول وقطعت الماء عنا فخربت ديارنا فقال إنى لأسده ليعود الماء إليكم قالوا لا نحشمك ذلك لكن مر ليعمل لنا مجرى دون القاطول فعمل لهم مجرى بناحية القورج فعمرت بلادهم وأما الآن فهو بلاء على أهل بغداد فإنهم يجتهدون فى سده وإحكامه فإذا زاد الماء تعدى إلى البلد (نهر الكر) بين أرمينية وأران وهو نهر عظيم سليم أكثر ما يقع فيه من الحيوان ينجو حدثنى بعض فقهاء نقجوان قال وجدنا غريقا فى نهر الكر يحرفه الماء فبادر القوم إلى إمساكه فأدركوه وقد بقى منه رمق فلما استقرت نفسه وسكن جأشه قال أى موضع هذا قالوا نقجوان قال إنى وقعت فى الماء فى الموضع الفلانى فكان بينه وبين نقجوان ستة أيام

﴿أم حمارس﴾ بفتح الحاء المهملة الغزالة قاله بن الأثير والله الموفق للصواب

﴿باب الخاء المعجمة﴾

﴿الخازباز﴾ والخزباز لغة فيه قال الجوهرى إنه ذباب وهما اسمان جعلا اسما واحدا وبنيا على الكسر لا يتغيران فى الرفع والنصب والجر قال ابن أحمر :

تفقأ فوقه القلع السوارى * وجن الخازباز به جنونا

جوز فيه الجوهرى أن يكون من جن الذباب إذا كثر صوته وأن يكون من جن النبت جنونا إذا طال واستعمله المتنبئ كذلك فى قوله :

كلما جادت الظنون بوعد * عنك جادت يداك بالإنجاز * ملك منشد القريض لديه
يضع الثوب فى يدى بزاز * ولنا القول وهو أدرى بفحوا * ه وأهدى فيه إلى الإعجاز
ومن الناس من تجوز عليه * شعراء كأنها الخازباز
ويرى أنه البصير بهـــذا * وهو فى العمى ضائع العكاز

وقال الأصمعى الخازباز حكاية لصوت الذباب فسماه به وقال ابن الأعرابى إنه نبت وأنشد ابن نصير تقوية لقول ابن الأعرابى :

رعيتها أكرم عود عودا * الصل والصفصل واليعضيدا
والخازباز السنم النجودا * بحيث يدعو عامر مسعودا

وعامر ومسعود راعيان قال وهو فى غير هذا داء يأخذ الإبل فى حلوقها والناس قال الراجز :

ياخازباز أرسل اللهازما * إنى أخاف أن تكون لازما

وقيل هو السنور حكاه أبو سعيد فإن كان ذبابا أو سنورا فسيأتى حكمه إن شاء الله تعالى (الأمثال) قالت العرب الخازباز أخصب قال الميدانى إنه ذباب يطير فى الربيع يدل على خصب السنة والله أعلم

﴿خاطف ظله﴾ طائر من جنس العصافير قال الكميت بن زيد :

وريطة فتيان نخاطف ظله * جعلت لهم منها خباء ممددا

وقال ابن سلمة هو طائر يقال له الرفراف إذا رأى ظله فى الماء أقبل عليه ليخطفه وهذه صفة ملاعب ظله وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم

﴿الخاطف﴾ الذئب وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الذال المعجمة

﴿الخبهقعى﴾ بفتح الخاء والباء والعين مقصورة وتمد ولد الكلب من الذئبة وبه سمى أبو الخبهقعى أعرابى من بنى تميم

﴿الخثق﴾ بفتح الخاء والثاء المثلثة قال ارسطاطاليس فى النعوت إنه طائر عظيم يكون ببلاد الصين وبابل وأرض الترك ولم يره أحد حيا إذ لا يقدر عليه أحد فى حال حياته ومن شأنه أنه إذا شم رائحة السم خدر وعرق وذهب حسه وقال غيره إن له فى مشتاه ومصيفه سموما كثيرة فى طريقه فإذا شم رائحة السم خدر وسقط ميتا فتؤخذ جثته ويجعل منها أوانى ونصب للسكاكين فإذا شم العظم رائحة السم رشح عرقا فيعرف به الطعام المسموم ومخ عظام هذا الطائر سم لكل حيوان والحية تهرب من عظامه فلا تدرك

﴿الخدارية﴾ بضم الخاء وبالدال المهملة العقاب سميت بذلك للونها ويعير خدارى أى شديد السواد ومنه لون خدارى وما أحسن قول الميدانى فى خطبة كتابه بمجمع الأمثال فإن أنفاس الناس لا يأتى عليها الحصر ولا تنفد حتى ينفد العصر وأنا أعتذر للناظر فى هذا الكتاب من خلل يراه أو لفظ

تحته فتعجب القوم من مسامحة الماء وتعدى الجدار (نهر الملك) ببغداد مشتمل على كوة واسعة قيل أول من حفره سليمان عليه السلام وقيل حفره الاسكندر وقيل حفره أردشير بن مالك وأخذ ملكه فقال إنه يشتمل على ثلثمائة وستين قرية على عدد أيام السنة وإنما وضع هذا ليكون ذخيرة لفوت سنة كل قرية قوت يوم لو أجدبت غيرها من الأرض كما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام بالفيوم بمصر (نهر مهران) بالسند عرضه كعرض جيحون يقبل من المشرق إلى المغرب حتى يقع فى بحر فارس أسفل الهند قال الاصطخرى مخرجه من ظهر جبل يخرج منه بعض أنهار جيحون ويظهر بملطان ثم على المنصورة ثم يقع فى البحر وهو نهر كبير جدا ماؤه عذب فيه تماسيح كما فى النيل وأنه يرتفع ويمتد على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع على النيل بأرض مصر قالوا إن تماسيح هذا النهر أصعب من تماسيح النيل وأصغر (نهر مكران) عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة من عبر عليها يتقيأ جميع ما فى بطنه بحيث لا يبقى فيه شىء ولو كانوا ألوفا

لا يرضاه فانا كالمنكر لنفسه المغلوب على حسه وحدسه منذ حط البياض بعارضى رحاله وحال الزمان على سوادهما فأحاله وأطار من وكرها منى خداريه وأنحى على عود الشباب فمص ريه وملك يد الضعف زمام قواى وأسلمنى من كان يحطب فى حبل هواى فكأنى المعنى بقول الشاعر:

وهت عزماتك عند المشيب * وما كان من حقها أن تهى
وأنكرت نفسك لما كبرت * فلا هى أنت ولا أنت هى
وإن ذكرت شهوات النفوس * فما تشتهى غير أن تشتهى

﴿الخدرنق﴾ العنكبوت وفى داله الإهمال والإعجام قاله فى درة الغواص

﴿الخراطين﴾ قيل هى الأساريع والصواب أنها شحمة الأرض وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة وقيل إنها العلق الكبار الطوال التى تكون فى المواضع الندية من الأرض وهى إذا قليت بالزيت ثم سحقت ناعما وتحمل بها صاحب البواسير نفعته وإذا أخذ منها شىء وجعل فى زيت ودفن سبعة أيام ثم أخرج ورمى من الزيت حتى تذهب رائحته ووضع فى قارورة ووضع فيها مقدار نصفها شقائق النعمان ثم يدفن سبعة أيام ويخرج فمن اختضب به أسود شعره ولم يشب سريعا

﴿الخرب﴾ بفتح الخاء المعجمة والراء المهملة وبالباء الموحدة ذكر الحبارى والجمع خراب وأخراب وخربان ذكر أبو جعفر أحمد بن جعفر البلخى أن الرشيد جمع بين أبى الحسن الكسائى وأبى محمد اليزيدى ليتناظرا بين يديه فسأل اليزيدى الكسائى عن إعراب قول الشاعر:

ما رأينا قط خربا * نقر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائى يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان فى البيت على هذا الإقواء فقال اليزيدى الشعر صواب لأن الكلام قد تم عند قوله لا يكون ثم استأنف فقال المهر مهر ثم ضرب الأرض بقلنسوته وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى بن خالد أتكتنى بحضرة أمير المؤمنين وتسفه على الشيخ فقال له الرشيد والله إن خطأ الكسائى مع حسن أدبه أحب إلى من صوابك مع قلة أدبك فقال يا أمير المؤمنين إن حلاوة الظفر أذهبت عنى التحفظ فأمر بإخراجه واجتمع الكسائى ومحمد بن الحسن الحنفى يوما فى مجلس الرشيد فقال الكسائى من تبحر فى علم اهتدى لجميع العلوم فقال له محمد ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال لا قال لماذا قال لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر قال فما تقول فى تعليق العتق بالملك قال لا يصح قال لم قال لأن السيل لا يسبق المطر * وتعلم الكسائى النحو على كبر سنه وذلك أنه مشى يوما حتى أعيا فجلس فقال قد عييت فقيل له قد لحنت قال كيف قيل إن كنت أردت التعب فقل أعييت وإن كنت أردت انقطاع الحيلة فقل عييت فأنف من قولهم لحنت واشتغل بعلم النحو حتى مهر وصار إمام وقته فيه وكان مؤدب الأمين والمأمون وكان له اليد العظمى والوجاهة التامة عند الرشيد وولديه توفى الكسائى ومحمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة فى يوم واحد سنة تسع وثمانين ومائة ودفنا فى مكان واحد فقال الرشيد دفن ههنا العلم والأدب (الأمثال) قالوا ما رأينا صقرا يرصده خرب يضرب للشريف يقهره الوضيع

﴿الخرشة﴾ بالتحريك الذبابة قاله الجوهرى ومنه سماك بن خرشة الأحبارى سميت أمه باسم تلك الذبابة ومنه أبو خراشة السلمى فى قول عباس بن مرداس:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر * فإن قومى لم تأكلهم الضبع

أى السنة المجدبة ومنه خرشة بن الحر الفزارى الكوفى مات سنة أربع وسبعين وكان يقيم فى حجر

كان هذا حالهم فمن أراد من الناس التقى عبر على تلك القنطرة (نهر النيل) ليس فى الدنيا نهر أطول من النيل لأنه مسيرة شهر فى بلاد الإسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج بلاد القمر خلف خط الاستواء وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد فى شدة الحرحين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره وسبب مده أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسكن له فيزيد فيعم الربى والتلال ويجرى فى الخلجان حتى يملأها فإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وحضر زمان الحراثة بعث الله الريح الجنوب فأخرجته إلى البحر وانتفع الناس بما أروى من الأرض ولما كان زمان يوسف عليه السلام اتخذ مقياسا يعرف به قدر الزيادة والنقصان فيزرعون عليه فإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها الماء إذا زاد وعلى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته فأقل ما يكفى أهل مصر لسنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعا فإن زاد ستة عشر ذراعا زرعوا ما يفضل

عن عامهم وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون أصبعا وذكر عبد الرحمن بن عبد الحكم أن المسلمين لما فتحوا مصر جاء أهلها إلى عمرو بن العاص رضى الله عنه وقالوا أيها الأمير إن لبلدنا سنة لا يجرى النيل إلا بها وذلك أنه إذا كان لاثنتى عشرة ليلة من شهر بؤنة عمدنا إلى جارية بكر فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون وألقيناها فى النيل ليجرى فقال لهم عمرو إن هذا فى الإسلام لا يكون فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والماء لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهم الناس بالجلاء فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك فكتب فى جوابه أما بعد فقد أصبت فى أن هذا فى الإسلام لا يكون وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل فإذا فى الكتاب من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر «أما بعد» فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وإن كان الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فأصبحوا يوم الصليب وقد أجرى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة فإذا استوى الماء كما

عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو الذى روى عنه أن رجلا شهد عنده فقال إنى لا أعرفك ولا يضرك أنى لا أعرفك إلى آخر القصة ووقع فى المهذب فى ذلك غلط وتصحيف.

﴿الخرشقلا﴾ السمك البلطى وفى الخبر لولا الخرشقلا لوجدت أوراق الجنة فى ماء النيل.

﴿الخرشنة﴾ طائر أكبر من الحمام وسيأتى ذكره فى باب الكاف إن شاء الله تعالى.

﴿الخرق﴾ بضم الخاء وتشديد الراء المهملة وبالقاف فى آخره نوع من العصافير ذكره الجاحظ

﴿الخرنق﴾ بكسر الخاء المعجمة ولد الأرنب وبه سمى الخرنق الشاعر الذى كان فى زمن التابعين وأرض مخرنقة أى ذات خرانق وقالوا ألين من خرنق وكان للنبى ﷺ درع يقال لها الخرنق للينها ودرع أخرى يقال لها البتيراء لقصرها وأخرى يقال لها ذات الفضول سميت به لطولها أرسل بها إليه سعد بن عبادة حين سار إلى بدر وهذه هى التى رهنها عند اليهودى فافتكها منه أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأخرى يقال لها ذات الوشاح وذات الحواشى وأخرى يقال لها فضة والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة قال الحافظ الدمياطى وكانت السغدية درع داود عليه الصلاة والسلام التى لبسها حين قتل جالوت وكانت عمله بيده قال الكلبى وغيره فى قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعنى صنعة الدروع وكان يصنعها ويبيعها وكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل إلا من عمل يده وقيل منطق الطير وكلام البهائم وقيل هو الزبور وقيل الصوت الطيب والألحان فلم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان عليه الصلاة والسلام إذا قرأ الزبور تدنو منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الماء الجارى وتسكن الريح روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال إن الله تعالى أعطاه سلسلة موصولة بالمجرة ورأسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجواهر مسورة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث فى الهواء حدث إلا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة إلا برىء وكان بنو إسرائيل يتحاكمون إليها بعد داود فمن تعدى على صاحبه أو أنكر له حقا أتى إلى السلسلة فمن كان صادقا مد يده إلى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها وكانت كذلك إلى أن ظهر فيهم المكر والخديعة فروى عن غير واحد أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل أودع عند رجل جوهرة ثمينة ثم طلبها فأنكر الرجل فتحاكما إلى السلسلة فعمد الرجل الذى عنده الجوهرة إلى عكازة فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها فلما حضر إلى السلسلة قال صاحب الجوهرة ردعلى وديعتى فقال صاحبه ما أعرف لك عندى من وديعة فإن كنت صادقا فتناول السلسلة فأتاها فتناولها بيده فقيل للمنكر قم أنت وتناولها فقال لصاحب الجوهرة خذ عكازتى هذه فاحفظها لى حتى أتناول السلسلة ثم أتاها فتناولها بعد أن قال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التى يدعيها على قد وصلت إليه فقرب منى السلسلة ثم مد يده فتناولها فتعجب القوم وشكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله السلسلة قال الضحاك والكلبى ملك داود بعد أن قتل جالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود وجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يجتمع ذلك لأحد من قبله بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط وقبضه الله تعالى وهو ابن مائة سنة ﷺ قال الحافظ الدمياطى ودرعان أصابهما من بنى قينقاع فهذه تسع أدرع وكان ﷺ قد لبس يوم أحد فضة وذات الفضول ويوم حنين ذات الفضول والسغدية والله أعلم.

﴿الخروف﴾ معروف وهو الحمل وربما سمى به المهر إذا بلغ ستة أشهر حكاه الأصمعى وفى الميزان للإمام الذهبى فى ترجمة عثمان بن صالح السهمى أنه روى عن ابن لهيعة عن موسى

ذكرنا عند المقياس كسر الخلجان حتى يمتلئ جميع الأرض من مصر وتبقى التلال والقرى عليها وسائر الأرض تكون فى

ابن وردان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال مرت بالنبى ﷺ لعجة فقال هذه التى بورك فيها وفى خروفها قال أبو حاتم هذا حديث موضع أى كذب (الأمثال) قالوا الخروف يتقلب على الصوف يضرب للرجل المكفى المؤنة (التعبير) الخروف فى الرؤيا يدل على ولد ذكر طائع لوالديه فمن وهب له خروف وله امرأة حامل أتاه ولد ذكر وجميع الصغار من الحيوان فى الرؤيا هموم لأنها تحتاج إلى كلفة فى التربية هذا إذا لم ينسبوا إلى الأولاد وقيل الخروف دليل خير لمن أراد الموافقة فى أمر يطلبه لأن الخروف سريع الأنس إلى بنى آدم ومن ذبح خروفا لغير الأكل مات ولده والخروف المشوى السمين مال كثير والهزيل مال قليل ومن أكل شواء خروف فإنه يأكل من كد ولده والله أعلم.

﴿الخزز﴾ بضم الخاء المعجمة وفتح الزاى الأولى ذكر الأرانب والجمع خزان مثل صرد وصردان

﴿الخشاش﴾ بفتح الخاء المعجمة هوام الأرض وحشراتها وقيل صغار الطير وحكى القاضى عياض فتح الخاء وضمها وكسرها وحكى أبو على الفارسى فيها الضم أيضا وجعل الزبيدى ضمها من لحن العامة والفتح هو المشهور وواحد الخشاش خشاشة وقيل الخشاش دابة تكون فى جحر الأفاعى والحيات منقطة ببياض وسواد وقيل الخشاش الثعبان العظيم وقيل حية مثل الأرقم وقيل حية خفيفة صغيرة الرأس وفى الحديث الصحيح إن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلم تطعمها شيئا ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض أى هوامها وحشراتها وقال الحسن بن عبد الله بن سعد العسكرى فى كتاب التحريف والتصحيف الخشاش بالفتح النذل من كل شىء مثل الرخم من الطير وكل ما لا يصيد وأنشد:

خشاش الأرض أكثرها فراخا * وأم الصقر مقلاة نزور

والمعروف فى البيت بغاث الطير أكثرها فراخا روى ابن أبى الدنيا فى كتاب مكايد الشيطان من حديث أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنف كالريح فى الهواء وصنف عليه الحساب والعقاب وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف صنف كالبهائم لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وصنف أجسادهم أجساد بنى آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف كالملائكة فيهم ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وقال وهيب بن الورد بلغنا أن إبليس تمثل ليحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فقال له أنصحك فقال له لا أريد ذلك ولكن أخبرنى عن بنى آدم فقال هم عندنا ثلاثة أصناف صنف منهم هم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحدهم حتى نفتنه عن دينه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء نصيبه منه ثم نعود إليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن معه فى عناء وصنف منهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا مؤنة أنفسهم وصنف منهم مثلك هم معصومون لا نقدر منهم على شىء.

﴿الخشاف﴾ لغة فى الخفاف.

﴿الخشرم﴾ الزنابير قال الأصمعى لا واحد له من لفظه.

﴿الخشف﴾ بضم الخاء وفتح الشين المعجمة الذباب الأخضر والخشف بكسر الخاء وإسكان الشين المعجمة ولد الظبى بعد أن يكون جدايا وقيل هو خشف أول ما يولد والجمع خشفة قال ابن سيده وروى جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فقال أكون معك يا نبى الله وأصحبك فانطلقا حتى أتيا إلى نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقى رغيف فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد

للبحر فإذا استوفت الأرض الماء ورويت وزرعت عليها أصناف الزروع واكتفت بتلك الشربة لأنه كلما تأخر الوقت برد الجو فلا تنشف الأرض إلى أن يدرك الزرع وعاد الوقت يأخذ فى الحر والصيف حتى ينضج الزرع فيأخذوا فى حصادها وفى ذلك عبرة ومن عجائب النيل السمك الرعادة والتمساح وقد ذكرناهما فى حيوان الماء وفى النيل موضع يجتمع فيه السمك فى كل سنة يوما معلوما فالإنسان يصيد بيده ما يشاء ثم يفترق إلى ذلك اليوم من السنة القابلة (نهر هندمند) بسجستان نهر عظيم يقول أهل سجستان إنه ينصب فيه ألف نهر ولا تتبين زيادة فى عموده وينشق منه ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان وإنه فى الحالتين سواء (نهر اليمن) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض اليمن نهر عند طلوع الشمس يجرى من المشرق إلى المغرب وعند غروبها يجرى من المغرب إلى المشرق والله تعالى أعلم.

﴿فصل فى تولد العيون والآبار وعجائبها﴾

ذهبوا إلى أن فى جوف الأرض منافذ ومسام وفيها إما هواء أو ماء فإن كان هواء

الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها فدعا أحدهما فأتاه فذبحه وشوى من لحمه وأكل هو والرجل ثم قال للخشف قم بإذن الله فقام وذهب فقال للرجل أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدرى فسارا حتى انتهيا إلى نهر فأخذ عيسى بيد الرجل ومشيا على الماء فلما جازا قال عيسى أسألك بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف قال لا أدرى فسارا حتى انتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى ترابا ورملا وقال كن ذهبا بإذن الله فكان ذهبا فقسمه عيسى ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لى وثلث لك وثلث للذى أخذ الرغيف فقال الرجل أنا أخذته قال عيسى كله لك ثم فارقه عيسى وذهب ومكث هو عند المال فى المفازة فانتهى إليه رجلان فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا ثم قال فابعثنا أحدكما إلى القرية ليشترى طعاما فقال الذى بعث لأى شىء أقاسمهما المال لأجعلن لها فى الطعام سما فأقتلهما ففعل وقال صاحباه فى غيبته لأى شىء نقاسمه المال إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال نصفين فلما جاء قاما إليه فقتلاه ثم أكلا الطعام فماتا وبقى المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى حوله فمر عيسى عليه الصلاة والسلام بهم وهم على تلك الحالة فقال لأصحابه هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها .

﴿الخضارى﴾ طائر يسمى الأخيل قاله الجوهرى وقد تقدم فى باب الهمزة .

﴿الخضرم﴾ كعلبط ولد الضب .

﴿الخضيراء﴾ طائر معروف عند العرب .

﴿الخطاف﴾ بضم الخاء المعجمة جمعه خطاطيف ويسمى زوار الهند وهو من الطيور القواطع إلى الناس تقطع البلاد البعيدة إليهم رغبة فى القرب منهم ثم إنها تبنى بيوتها فى أبعد المواضع عن الوصول إليها وهذا الطائر يعرف عند الناس بعصفور الجنة لأنه زهد ما فى أيديهم من الأقوات فأحبوه لأنه إنما يتقوت بالذباب والبعوض وفى الحديث الحسن الذى رواه ابن ماجه وغيره عن سهل بن سعد الساعدى أنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال له دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس فقال ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس فأما كون الزهد فى الدنيا سببا لمحبة الله تعالى فلأنه تعالى يحب من أطاعه ويبغض من عصاه وطاعة الله لا تجتمع مع محبة الدنيا وأما كونه سببا لمحبة الناس فلأنهم يتهافتون على محبة الدنيا وهى جيفة منتنة وهم كلابها فمن زاحمهم عليها أبغضوه ومن زهد فيها أحبوه كما قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه :

وما هى إلا جيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها * وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وقد أحسن القائل فى وصف الخطاف :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى * تضحى إلى كل الأنام حبيبا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم * أضحى مقيما فى البيوت ربيبا

سماه ربيبا لأنه يألف البيوت العامرة دون الخربة وهو قريب من الناس ومن عجيب أمره أن عينه تقلع ثم ترجع ولا يرى واقفا على شىء يأكله أبدا ولا مجتمعا بأنثاه والخفاش يعاديه فلذلك إذا فرخ يجعل فى عشه قضبان الكرفس فلا يؤذيه إذا شم رائحته ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ويبنى عشه بناء عجيبا وذلك أنه يهيئ الطين مع التبن فإذا لم يجد طينا مهيأ ألفى

يصير ماء بسبب برودة تلحقها فإن كان أصابه مدد من جهة أخرى لا يسع ذلك الموضع تنشق الأرض إن كانت رخوة ويظهر على وجهها وإن لم يكن لها قوة الخروج فيحتاج إلى أن ينحى عنه التراب حتى يظهر كماء القنوات والآبار هذا إذا لم يكن لها مادة من البحار والأنهار والأوشال فإن كان لها مدد فسببها ظاهر وأما سبب اختلاف العيون فإن منها حارة وباردة وعفصية وشبية وأمثال ذلك فإن المياه تسخن تحت الأرض فى الشتاء وتبرد فى الصيف بسبب أن الحرارة والبرودة ضدان فى باطن الأرض لا يجتمعان فى مكان واحد وزمان واحد فإذا جاء الشتاء برد الجو وفرت الحرارة إلى باطن الأرض والأمر فى الصيف بضد ذلك فإن كانت مواضعها كبريتية بقيت الحراره فيها دائمة بسبب المادة الكبريتية وهى مادة رطوبة دهنية فإن أصابها نسيم الهواء وبرد الجو جمدت فصارت زئبقا أو قيرا أو نفطا أو شبا أو ملحا أو ما شابه ذلك بسبب اختلاف تراب بقاعها وتغير أهوية أماكنها (ولنذكر) بعض العيون العجيبة ثم الآبار العجيبة مرتبة على حروف المعجم والله الموفق (عين أذربيجان) قال فى تحفة الغرائب بأذربيجان عين ينبع الماء منها وينعقد حجرا والناس يتخذون قالب

نفسه فى الماء ثم يتمرغ فى التراب حتى يمتلئ جناحاه ويصير شبيها بالطين فإذا هيأ عشه جعله على القدر الذى يحتاج إليه هو وأفراخه ولا يلتى فى عشه زبلا بل يلقيه إلى خارج فإذا كبرت فراخه علمها ذلك وأصحاب اليرقان يلطخون فراخ الخطاف بالزعفران فإذا رآها صفراء ظن أن اليرقان أصابها من شدة الحر فيذهب فيأتى بحجر اليرقان من أرض الهند فيطرحه على فراخه وهو حجر صغير فيه خطوط بين الحمرة والسواد ويعرف بحجر السنونو فيأخذه المحتال فيعلقه عليه أو يحكه ويشرب من مائه يسيرا فإنه يبرأ بإذن الله تعالى والخطاف متى سمع صوت الرعد يكاد أن يموت وقال أرسطو فى كتاب النعوت الخطاطيف إذا عميت أكلت من شجرة يقال لها عين شمس فيرد بصرها لما فى تلك الشجرة من المنفعة للعين فى رسالة القشيرى فى آخر باب المحبة أن خطافا راود خطافة على قبة سليمان عليه الصلاة والسلام فامتنعت منه فقال لها أتمتنعين على ولو شئت لقلبت القبة على سليمان فسمعه سليمان فدعاه وقال له ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم قال صدقت ﴿ فائدة ﴾ ذكر الثعلبى وغيره فى تفسير سورة النمل أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أخرج من الجنة اشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله تعالى بالخطاف وألزمها البيوت فهى لا تفارق بنى آدم أنسا لهم قال ومعها أربع آيات من كتاب الله عز وجل وهى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا إلى آخر السورة وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم والخطاطيف أنواع منها يألف سواحل البحر يحفر بيته هناك ويعشش فيه وهو صغير الجثة دون عصفور الجنة ولونه رمادى والناس يسمونه سنونو بضم السين المهملة ونونين وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين المهملة ومنها نوع أخضر على ظهره بعض حمرة أصغر من الدرة يسميه أهل مصر الخضيرى لخضرته يقتات الفراش والذباب ونحو ذلك ومنها نوع طويل الأجنحة رقيقها يألف الجبال ويأكل النمل وهذا النوع يقال له السمائم مفرده سمامة ومنهم من يسمى هذا النوع السنونو الواحدة سنونوة وهو كثير فى المسجد الحرام يعشش فى سقفه فى باب إبراهيم وباب بنى شيبة وبعض الناس يزعم أن ذلك هو الطير الأبابيل الذى عذب الله تعالى به أصحاب الفيل روى نعيم بن حماد عن الحسن رضى الله عنه قال دخلنا على ابن مسعود رضى الله عنه وعنده غلمان كأنهم الدنانير أو الأقمار حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال عبد الله كأنكم تغبطونى بهم فقلنا والله إن مثل هؤلاء يغبط بهم الرجل المسلم فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه الخطاف وباض فقال والذى نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدى من تراب قبورهم أحب إلى من أن يخرب عش هذا الطائر فينكسر بيضه قال ابن المبارك إنما قال ذلك خوفا عليهم من العين قال أبو إسحق الصابئ يصف الخطاف :

وهندية الأوطان زنجية الخلق * مسودة الألوان محمرة الحدق
إذا صرصرت صرت بآخر صوتها * حدادا فأذرت من مدامعها العلق
كأن بها حزنا وقد لبست له * كما صر ملوى العود بالوتر الحزق
تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها * ففى كل عام نلتقى ثم نفترق

(الحكم) يحرم أكل لحم الخطاطيف لما روى أبو الحويرث عبد الرحمن بن معاوية وهو من التابعين عن النبى ﷺ أنه نهى عن قتل الخطاطيف وقال لا تقتلوا هذه العوذ إنها تعوذ بكم من غيركم ورواه البيهقى وقال إنه منقطع قال ورواه إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحق عن أبيه قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الخطاطيف عوذ البيوت ومن هذه الطريق رواه أبو داود فى مراسيله قال البيهقى وهو

ادر بيهستل ضيعة من ضياع قزوين على ثلاث فراسخ منها بها عين إذا شرب الإنسان من مائها أسهل إسهالا شديدا ومن خواصها أن الإنسان يقدر أن يشرب منها عشرة أرطال ويقصدها فى كل يوم خلق كثير من النواحى لشربها لأجل الإطلاق وإذا حمل من مائها إلى قزوين زالت خاصيته فلا يعمل شيئا وسمعت أهل قزوين يقولون بين هذه الضيعة وبين قزوين نهر إذا جاوز هذا النهر بطلت خاصيته (عين اسكندرية) عين مشهورة فيها نوع من الصدف يطبخ ويؤكل لحمه ويشرب مرقه ينفع من الجذام ويبرئه ويوجد فيها كل وقت لا يخلو عنه شىء من الأوقات (عين ايلابستان) قال صاحب تحفة الغرائب إنها بين اسفرايين وجرجان ضيعة تسمى ايلابستان بها عين ينبع منها ماء كثير فربما ينقطع فى بعض الأوقات ويدوم انقطاعها أشهرا فعند ذلك يخرج أهل الضيعة رجالها ونساؤها فى أحسن ثيابهم بالدفوف والشبابات والملاهى ويرقصون عند ماء العين ويلعبون فإن الماء ينبع ويجرى وهو ماء كثير مقدار ما يدور رحوين

منقطع أيضا لكن صح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما موقوفا عليه أنه قال لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح ولا تقتلوا الخطاف فإنه لما خرب بيت المقدس قال يارب سلطنى على البحر حتى أغرقهم قال البيهقى إسناده صحيح وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة وفى الحديث أن النبى ﷺ نهى عن الجلالة والمجثمة والخطفة بإسكان الطاء وفيها تأويلان أحدهما أن الخطفة ما اختطفه السبع من الحيوانات فأكله حرام قاله ابن قتيبة الثانى أن النهى عما يختطف بسرعة ومنها سمى الخطاف لسرعة اختطافه قاله ابن جرير الطبرى ونقله عنه فى الحاوى فعلى هذا يحرم كل ما كان يتقوت بما يختطفه ولأنه يتقوت من الخبائث قال الماوردى كل ما كان مستخبثا كالخطاطيف والخفافيش فأكله حرام لخبث لحمه وقال محمد بن الحسن رضى الله عنه أنه حلال لأنه يتقوت بالحلال غالبا قال أبو عاصم العبادى وهذا محتمل على أصلنا وإليه مال أكثر أصحابنا وحكاه فى شرح المهذب قولا عن حكاية البندنيجى (الخواص) قال أرسطو إن أخذت عين الخطاف وجعلت فى خرقة وشدت على سرير فمن صعد على ذلك السرير لم ينم وإن أخذت وجففت وسحقت بدهن طيب فأى امرأة شربت منه أحبت الساقى وإن أخذت وسحقت بدهن زنبق ومسحت به سرة امرأة نفساء نفعتها وقلبه إذا سحق بعد تجفيفه وشرب هيج الباه ودمه إذا سقيت منه امرأة وهى لا تعلم سكن عنها شهوة الجماع وإن ضمد به اليافوخ سكن الصداع الحادث من الأخلاط وزبله يسحق ويطلى به على الدبيلة تبرأ ومرارته تسود الشعر الأبيض شرابا وينبغى أن يملأ الشارب فمه حليبا ثلاثا تسود أسنانه ولحمه يورث السهر لآكله وفى رأس الخطاف حصاة فيها منافع شتى وكل خطاف يبلع تلك الحصاة فمن ظفر بها وحملها معه وقته السوء وكانت له وسيلة إلى من يحب حتى لا يقدر على رده قال الاسكندر بوجد عند أول بطن من بطون الخطاطيف فى أعشاشها أول ما يبرزن ويظهرن فى العش حجران أبيضان أو أبيض وأحمر إن وضع الأبيض على المصروع أفاق وإن وضع على المعقود حله والأحمر إن علق على من به عسر البول أبرأه وربما وجد هذان الحجران مختلفى الأحوال أحدهما طويل والآخر ململ إن جعلا فى جلد عجل وعلقا على من به وسواس وتخيل أبرأه ولا يوجدان إلا فى العش الذى يكون فى ناحية المشرق دون غيره وهو عجيب مجرب وقال ابن الدقاق إن أخذ الطين من عشه وأديف بالماء وشرب أدر البول مجرب نافع (التعبير) الخطاف فى المنام يؤول برجل وامرأة ومال وولد قارئ لكتاب الله تعالى ويؤول بمال مغصوب فمن رأى أنه أخذ خطافا اتخذ مالا حراما وذلك لأن اسمه خطاف وهو بمنزلة الخطف ومن رأى أن بيته قد امتلأ خطاطيف نال مالا حلالا لأنه نما خطفه وقيل الخطاف رجل أديب أنيس ورع فمن رأى كأنه استعاره من غيره فإنه يأنس إلى شخص ومن أخذه فإنه يظلم امرأة وقالت النصارى من أكل لحم خطاف فى المنام فإنه يقع فى خصومة ومن رأى الخطاطيف تخرج من داره تفرق عنه أقرباؤه من جهة سفر وربما دل الخطاف على الأشغال والأعمال لأنه يظهر فى زمن البطالة وصوت الخطاطيف تنبيه على عمل الخير لأنه كالتسبيح وربما دل على امرأة صاحبة أمانة وقال جاماسب من صاد خطافا دخلت اللصوص عليه والله تعالى أعلم.

﴿ الخطاف ﴾ بفتح الخاء وتشديد الطاء سمكة ببحر سبتة لها جناحان على ظهرها أسودان تخرج من الماء وتطير فى الهواء ثم تعود إلى البحر قاله أبو حامد الأندلسى

﴿ الخفاش ﴾ بضم الخاء وتشديد الفاء واحد الخفافيش التى تطير فى الليل وهو غريب الشكل والوصف والخفش صغير العين وضيق البصر ﴿ فائدة ﴾ الأخفش صغير العين ضعيف البصر وقيل هو عكس الأعشى وقيل هو من يبصر فى الغيم دون الصحو وقال الجوهرى هو نوعان والأعشى من يبصر نهارا لا ليلا والعمش ضعف الرؤية مع سيلان الدمع غالب الأوقات

الضيعة هبوب الريح عند الدياس لينقية الحبوب أخذوا خرقة الحيض ورموها فى تلك العين فيتحرك الهواء ومن شرب من مائها ينتفخ بطنه ومن حمل معه شيئا من ذلك الماء إذا فارق منبعه يصير حجرا (عين باميان) قال فى تحفة الغرائب بأرض باميان عين ينبع منها ماء كثير بصوت وجلبة ويشم منها رائحة الكبريت من اغتسل به يزول جربه وإذا ترك من ذلك الماء فى كوز وسد رأسه سدا وثيقا وتركته يوما يصير خاثرا شبه الخمير وإذا عرضت عليه شعلة نار يشتعل والله أعلم (عين جاج) قال فى تحفة الغرائب وإذا خرجت من جاج بقربها عقبة على رأسها عين ماء إذا كانت السماء مصحية لا ترى فيها قطرة ماء وإذا كانت السماء مغيمة ترى العين مملوءة من الماء (عين جاجرم) هى منبع قناة بين جاجرم واسفرايين حدثنى بعض فقهاء خراسان أن من غاص فى مائها وبه جرب زال جربه ويقصدها أصحاب الجرب للعلاج (عيون جبال سيران) بناحية باميان

جبال فيها عيون لا تقبل شيئا من النجاسة وإذا ألقى فيها شىء من النجاسة ماج وعلا نحو

والعور معروف ﴿تتمة﴾ فى كل عين نصف دية ولو عين أحول وأخفش وأعمش وأعور وأعشى وأجهر ونحوهم لأن المنفعة باقية فى أعين هؤلاء ومقدار المنفعة لاينظر إليه كما لاينظر إلى قوة البطش والمشى وضعفهما وكذا من بعينه بياض لاينقص الضوء فإنه يكون كالثآليل فى اليد سواء كان على بياض الحدقة أو سوادها وكذا لو كان على الناظر إلا أنه رقيق لايمنع الإبصار ولاينقص الضوء هذا مانص عليه الشافعى رضى الله تعالى عنه وجرى عليه الأئمة ولم يفرقوا بين حصول ذلك بآفة سماوية أو جناية فإن نقص فبقسطه إن أمكن ضبط ذلك النقصان بالصحيحة التى لابياض بها وإن لم يمكن ضبط النقص الحاصل بالجناية فالواجب فيه الحكومة وفارق الأعمش ونحوه فإن البياض نقص الضوء الخلقى وعين الأعمش لاينقص ضوءها عما كان فى الأصل وهذا الفرق يفهمك أن العمش لو تولد من آفة أوجناية لايجب فى العين كمال الدية فإن سلم قيد به ذلك الإطلاق السابق ﴿فرع﴾ ليس فى عين الأعور السليمة إلا نصف الدية عندنا قال ابن المنذر وروى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما أن فيها الدية وبه قال عبدالملك بن مروان والزهرى وقتادة ومالك والليث والإمام أحمد وإسحق بن راهويه انتهى قال البطليوسى الخفاش له أربعة أسماء خفاش وخشاف وخطاف ووطواط وتسميته خفاشا يحتمل أن تكون مأخوذة من الخفش والأخفش فى اللغة نوعان ضعيف البصر خلقة والثانى لعله حدثت وهو الذى يبصر بالليل دون النهار وفى الغيم دون يوم الصحو انتهى وذكر الجاحظ أن اسم الخفاش يقع على سائر طير الليل فكأنه راعى العموم وكون الوطواط هو الخفاش هو الذى ذكره ابن قتيبة وأبو حاتم فى كتاب الطير الكبير وماذكره البطليوسى من أن الخفاش هو الخطاف فيه نظر والحق أنهما صنفان وهو الوطواط وقال قوم الخفاش الصغير والوطواط الكبير وهو لايبصر فى ضوء القمر ولا فى ضوء النهار غير قوى البصر قليل شعاع العين كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى * نورا ويعمى أعين الخفاش

ولما كان لايبصر نهارا التمس الوقت الذى لايكون فيه ظلمة ولاضوء وهو قريب غروب الشمس لأنه وقت هيجان البعوض فإن البعوض يخرج ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان والخفاش يخرج طالبا للطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق فسبحان الحكيم والخفاش ليس هو من الطير فى شىء فإنه ذوأذنين وأسنان وخصيتين ومنقار وهو يحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده ولاريش له قال بعض المفسرين لما كان الخفاش هو الذى خلقه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بإذن الله تعالى كان مباينا لصنعة الخالق ولهذا سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله ومالا يأكل اللحم قتله فلذلك لايطير إلا ليلا وقيل لم يخلق عيسى غيره لأنه أكمل الطير خلقا وهو أبلغ فى القدرة لأن له ثديا وآذانا وأسنانا ويحيض كما تحيض المرأة قال وهب بن منبه كان يطير مادام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق وليعلم أن الكمال لله تعالى وقيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه من أعجب الطير خلقة إذ هو لحم ودم يطير بغير ريش وهو شديد الطيران سريع التقلب يقتات البعوض والذباب وبعض الفواكه وهو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال إنه أطول عمرا من النسر ومن حمار الوحش وتلد أنثاه مابين ثلاثة أفراخ وسبعة وكثيرا مايفسد وهو طائر فى الهواء وليس فى الحيوان مايحمل ولده غيره والقرد والإنسان ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه وإشفاقه عليه وربما أرضعت الأنثى ولدها وهى طائرة وفى طبعه أنه متى

الملقى فإن أدركه أحاط به حتى يغرقه (عين جبل ملطية) حدثنى بعض التجار أن بقرب ملطية جبلا فيه عين يخرج منها ماء عذب غزير شديد البياض يشرب الحيوان منه ولا يضره فإذا جرى مسافة يسيرة ينعقد حجرا (عين وادان) عين فيها نبات من غاص فيها يلتف عليه ذلك النبات يمسكه وكلما سعى فى تخليص نفسه كان إمساكه له أشد وإذا لم يسع فى التخليص انحل عنه يسيراً (عيون دوراق) حدثنى الشيخ عمر التسلى أنها عيون كثيرة تنبع فى جبل كلها حارة فربما يصعد منها دخان يلتهب فترى شعلته بيضاء وحمراء وصفراء وخضراء يجتمع فى حوضين أحدهما للرجال والآخر للنساء يقصدها الناس لدفع الأمراض البلغمية فمن نزل فيها يسيرا يسيرا انتفع به ومن طفر فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط والله أعلم (عين رأس الناعور) بشرقى الموصل عين فى قوية تسمى زراعة بها عين فوارة غزيرة الماء ينبت فيها من اللينوفر شىء كثير يباع بثمن جيد ويدمن غلة تلك الضيعة (عين نهاوند) بقرب البحيرة المنتنة بأرمينية جمة شريفة كثيرة المنفعة وذلك أن الحيوان يغوص فيها وبه كلوم فتراه عن قريب قد اندملت قروحه والتحمت ولو كان دونها عظام موهنة

أصابه ورق الدلب خدر ولم يطهر ويوصف بالحمق ومن ذلك أنه إذا قيل له اطرق كرى لصق بالأرض (الحكم) يحرم أكله لما رواه أبو الحويرث مرسلا أن النبي ﷺ نهى عن قتله وقيل إنه لما خرب بيت المقدس قال رب سلطني على البحر حتى أغرقهم وسئل عنه الإمام أحمد فقال ومن يأكله وقال النخعي كل الطير حلال إلا الخفاش قال الروياني وقد حكينا في الحج خلاف هذا فيحتمل قولين وعبارة الشرح والروضة يحرم الخفاش قطعا وقد يجرى فيه الخلاف مع أنهما قد جزما في كتاب الحج بوجوب الجزاء فيه إذا قتله المحرم وأن الواجب فيه القيمة مع تصريحهما بأن ما لا يؤكل لا يفدى على أن الرافعي مسبوق بذلك فأول من ذكره صاحب التقريب وأشعر كلامه بأن الشافعي رضي الله تعالى عنه ذكره وذكر المحاملي أن اليربوع لا يحل أكله ويجب فيه الجزاء في أصح القولين وهو غريب ولم يزل الناس يستشكلون ما وقع في الرافعي من ذلك وليس بمشكل فهو يتبين بمراجعة كلام الروياني فإنه قال ﴿فرع﴾ قال فيه الإمام الوطواط فوق العصفور ودون الهدهد وفيه إن كان مأكولا قيمته وذكر عن عطاء أنه قال فيه ثلاثة دراهم انتهى فاتضح أن المسألة منصوصة للشافعي رضي الله تعالى عنه وأنه علق وجوب الجزاء على الفول بحل أكله ثم تتبعت كلام عطاء المذكور فوجدت الأزهري قد نقل عنه أنه يجب فيه إذا قتله المحرم ثلثا درهم قال أبو عبيد قال الأصمعي الوطواط هو الخفاش وقال أبو عبيدة الأشبه عندي أنه الخطاف ﴿قلت﴾ وأيا كان فهو غير مأكول (الخواص) إذا وضع رأسه في حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها لم ينم وإن طبخ رأسه في إناء نحاس أو حديد بدهن زنبق ويغمر فيه مرارا حتى يتهرى ويصفى ذلك الدهن عنه ويدهن به صاحب النقرس والفالج القديم والارتعاش والتورم في الجسد والربو فإنه ينعقد ذلك ويبرئه وهو عجيب مجرب وإن ذبح الخفاش في بيت وأخذ قلبه وأحرق فيه لم يدخله حيات ولا عقارب وإن علق قلبه وقت هيجانه على إنسان هيج الباه وعنقه إذا علق على إنسان أمن من العقارب ومن مسح بمرارته فرج امرأة قد عسرت ولادتها ولدت لوقتها ومن أخذت من النساء من شحمه لرفع الدم ارتفع عنها وإن طبخ الخفاش ناعما حتى يتهرى ومسح به الإحليل أمن من تقطير البول وإن صب من مرق الخفاش وقعد فيه صاحب الفالج انحل ما به وزبله إذا طلى به على القوابي قلعها ومن نتف إبطه وطلاه بدمه مع لبن أجزاء متساوية لم ينبت فيه شعر وإذا طلى به عانات الصبيان قبل البلوغ منع من نبات الشعر فيها (التعبير) الخفاش في المنام رجل ناسك وقال ارطاميدورس إن رؤيته تدل على البطالة وذهاب الخوف لأنه من طيور الليل ولا يؤكل لحمه وهو دليل خير للحبلى بأنها تلد ولادة سهلة ولا تحمد رؤيته للمسافر برا وبحرا وتدل رؤيته على خراب منزل من يدخل إليه وقيل الخفاشة في المنام امرأة ساحرة والخفاش تدل رؤيته على رجل حيران ذي حرمان والله أعلم.

﴿الخنان﴾ كرمان الوزغة وفي حديث علي كرم الله وجهه أنه قضى قضاء فاعترض عليه بعض الحرورية فقال له اسكت يا خنان ذكره الهروي وغيره.

﴿الخنبوص﴾ بفتح الخاء المعجمة واللام وإسكان النون وضم الباء الموحدة طائر أصغر من العصفور على لونه وشكله ﴿الخلد﴾ بضم الخاء ونقل في الكفاية عن الخليل بن أحمد فتح الخاء وكسرها قال الجاحظ هو دويبة عمياء صماء لا تعرف ما بين يديها إلا بالشم فتخرج من جحرها وهي تعلم أن لا سمع لها ولا بصر فتفتح فاها وتقف عند جحرها فيأتي الذباب فيقع على شدقها ويمر بين لحييها فتدخله جوفها بنفسها فهي تتعرض لذلك في الساعات التي يكون فيها الذباب أكثر وقال غيره الخلد فار أعمى لا يدرك إلا بالشم قال أرسطو في كتاب النعوت كل حيوان

طرف البحيرة المنتنة بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام وزعر اسم بيت لوط عليه السلام وهي العين التي جاء ذكرها في حديث الجساسة وعدوها من أشراط الساعة (عين سياه سنك) قال صاحب تحفة الغرائب بجرجان موضع يسمى سياه سنك به عين على تل يأخذ الناس ماءها للشرب وفي الطريق إليها دودة فمن أخذ من ذلك الماء وأصابت رجليه تلك الدودة يصير الماء الذي معه مرا فيبرد ويعود إليها مرة أخرى (عين شميرم) وهي ناحية بين أصفهان وشيراز بها مياه مشهورة وهي من عجائب الدنيا وذلك أن الجراد إذا وقعت بأرض يحمل من ذلك الماء إليها بشرط أن لا يوضع الظرف الذي فيه ذلك الماء على الأرض ولا يلتفت حامله إلى ورائه فيتبع ذلك الماء من الطير الأسود عدد لا يحصى ويقتل الجراد وهذا مجرب ولقد وقع بأرض قزوين جراد كثير وأكل جميع زرعها وباضت فبعث أهل قزوين لطلب هذا الماء فجاؤا به فجاء الطير خلفه وأكل الجراد جميعه (عين شيركبران) وهي من ضياع مراغة فيها عينان يفور منهما

الماء وبينهما قدر ذراع ماء أحدهما فى غاية البرودة وماء الأخرى فى غاية الحرارة أخبر به الفقيه حسن المراغى ( عيون طبرية ) ذكروا أن هناك عيونا ينبع الماء منها سبع سنين متواليات ثم يبس سبع سنين متواليات وهكذا على مرور الأيام ( عين العقارب ) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض الهند عين على رأس جبل إذا هرم العقاب تأتى به فراخه إلى هذه العين وتغسله فيها ثم تضعه فى شعاع الشمس فإن ريشه يتساقط عنه وينبت له ريش جديد ويزول عنه الضعف وترجع إليه القوة والشباب ( عين غرناطة ) قال أبو حامد الأندلسى بقرب غرناطة من أرض الأندلس كنيسة عندها عين ماء وشجرة زيتون يخرج الناس إليها فى يوم معلوم من السنة يقصدونها وإذا طلعت الشمس فى ذلك اليوم فاضت تلك العين بماء كثير ويظهر على الشجرة زهر الزيتون ثم ينعقد زيتونا ويكبر ويسود فى يومه ويؤخذ من ذلك الزيتون من قدر على أخذه وكذلك يأخذون من ماء تلك العين للتداوى وهذا الحديث قرأته فى كتب عديدة ( عين عرنة ) بقرب عرنة عين إذا ألقى فيها شىء من القاذورات يتغير الهواء ويظهر البرد والريح العاصف والمطر ويبقى على تلك الحالة إلى أن تنحى النجاسة عنها وذكروا

له عينان إلا الخلد وإنما خلق كذلك لأنه ترابى جعل الله له الأرض كالماء للسمك وغذاؤه من بطنها وليس له فى ظهرها قوة ولا نشاط ولما لم يكن له بصر عوضه الله حدة حاسة السمع فيدرك الوطء الخفى من مسافة بعيدة فإذا أحس بذلك جعل يحفر فى الأرض قال والحيلة فى صيده أن يجعل له فى جحره قملة فإذا أحس بها وشم رائحتها خرج إليها ليأخذها وقيل إن سمعه بمقدار بصر غيره وفى طبعه الهرب من الرائحة الطيبة ويهوى رائحة الكراث والبصل وربما صيد بهما فإنه إذا شمهما خرج إليهما وهو إذا جاع فتح فاه فيرسل الله تعالى له الذباب فيسقط عليه فيأكله وذكر بعض المفسرين أن الخلد هو الذى خرب سد مأرب وذلك أن قوم سبأ كانت لهم جنتان أى بستانان عن يمين من يأتيها وشماله قال الله تعالى لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أى على ما أنعم به عليكم وكانت بلدتهم طيبة لا يرى فيها بعوض ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ولا ذباب وكان الركب يأتون وفى ثيابهم القمل وغيره فإذا وصلوا إلى بلادهم ماتت وكان الإنسان يدخل البستان والمكتل على رأسه فيخرج وقد امتلأ من أنواع الفواكه من غير أن يتناول منها شيئا بيده فبعث الله لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فأعرضوا وقالوا ما نعرف لله علينا من نعمة وكان لهم سد بنته بلقيس لما ملكتهم وبنت دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدد أنهارهم فكان الماء يقسم بينهم على ذلك فلما كان من شأنها مع سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان مكثوا مدة بعدها ثم طغوا وبغوا وكفروا فسلط الله عليهم جرذا أعمى يقال له الخلد فنقب السد من أسفله فهلكت أشجارهم وخربت أرضهم وكانوا يزعمون فى علمهم وكهانتهم أن سدهم ذلك تخربه فأرة فلم يتركوا فرجة بين جحرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء الوقت الذى أراد الله تعالى أقبلت فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرار فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها ونقبت وحفرت فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم بالرمل (وروى) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ووهب وغيرهما أنهم قالوا كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء أوديتهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبيت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدد أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاء المطر اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم من الثالث الأسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك والله أعلم ﴿ونقل﴾ الإمام أبو الفرج ابن الجوزى عن الضحاك أن الجرذ الذى خرب سد مأرب كان له مخاليب وأنياب من حديد وإن أول من علم بذلك عمرو بن عامر الأزدى وكان سيدهم وكان قد رأى فى المنام كأنه انبثق عليه الردم فسال الوادى فأصبح مكروبا فانطلق نحو الردم فرأى الجرذ يحفر بمخاليب من حديد ويقرض بأنياب من حديد فانصرف إلى أهله فأخبر امرأته وأراها ذلك وأرسل بنيه فنظروا فلما رجعوا قال هل رأيتم ما رأيت قالوا نعم قال فإن هذا الأمر ليس لنا إلى إذهابه من سبيل وقد اضمحلت الحيلة فيه لأن الأمر من الله وقد آذن الله بالهلاك ثم إنه عمد إلى هرة فأخذها وأتى إلى الجرذ فصار الجرذ يحفر ولا يكترث بالهرة فولت الهرة هاربة فقال عمرو لأولاده احتالوا لأنفسكم فقالوا يا أبت كيف نحتال فقال إنى محتال لكم بحيلة قالوا افعل فدعا أصغر بنيه وقال له إذا جلست فى المجلس واجتمع الناس على العادة وكان الناس يجتمعون إليه وينتهون برأيه فإنى آمرك بأمر فتغافل عنه فإذا شتمنك فقم إلى

والطمنى ثم قال لأولاده فإذا فعل ذلك فلا تنكروا عليه ولا يتكلم أحد منكم فإذا رأى الجلساء فعلكم لم يجسر أحد منهم أن ينكر عليه ولا يتكلم فأحلف أنا عند ذلك يمينا لا كفارة لها أن لا أقيم بين أظهر قوم قام إلى أصغر بنى فلطمنى فلم يغيروا فقالوا نفعل ذلك فلما جلس واجتمع الناس إليه أمر ابنه الصغير ببعض أمره فلها عنه فشتمه فقام إليه ولطم وجهه فعجب الجماعة من جراءة ابنه عليه وظنوا أن أولاده يغيرون عليه فنكسوا رؤسهم فلما لم يغر أحد منهم قام الشيخ وقال أيلطمنى ولدى وأنتم سكوت ثم حلف يمينا لا كفارة لها أن يتحول عنهم ولا يقيم بين أظهر قوم لم يغيروا عليه فقام القوم يعتذرون إليه وقالوا له ما كنا نظن أن أولادك لا يغيرون فذاك الذى منعنا فقال قد سبق منى ما ترون وليس إلى غير التحول من سبيل ثم إنه عرض ضياعه للبيع وكان الناس يتنافسون فيها واحتمل بثقله وعياله وتحول عنهم فلم يلبث القوم إلا يسيرا حتى أتى الجرذ على الردم فاستأصله فبينما القوم ذات ليلة بعد ما هدأت العيون إذا هم بالسيل فاحتمل أنعامهم وأموالهم وخرب ديارهم فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وفى العرم أقوال قيل هو المسناة أى السد قاله قتادة وقيل هو اسم الوادى قال السهيلى وقيل اسم الخلد الذى خرق السد وقيل هو السيل الذى لا يطاق وأما مأرب فبسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان على سبأ كما أن تبعا اسم لكل من ولى اليمن والشحر وحضرموت قاله المسعودى وقال السهيلى وكان السد من بناء سبأ بن يشجب وكان قد ساق إليه سبعين واديا ومات من قبل أن يتمه فأتمته ملوك حمير واسم سبأ عبدشمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان قيل إنه أول من سبى فسمى سبأ وقيل إنه أول من تتوج من ملوك اليمن وقال المسعودى بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا فأرسل الله عليه سيل العرم وفرقوا ومزقوا حتى صاروا مثلا فقالوا تفرقوا أيدى سبأ وأيادى سبأ قال الشعبى لما غرقت قراهم تفرقوا فى البلاد فأما غسان فلحقوا بالشام والأزد إلى عمان ومر خزاعة إلى تهامة وجذيمة إلى العراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذى قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج ﴿روى﴾ أبو سبرة النخعى عن فروة ابن مسيك القطيفى قال قال رجل يارسول الله أخبرنى عن سبأ أكان رجلا أو امرأة أو أرضا فقال ﷺ كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير فقال الرجل وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان ﴿ومن الفوائد المجربة﴾ أن يكتب للخلد الذى يطلع فى الدواب ويعلق فى أذن الدابة اليسرى يا خلد سليمان بن داود ذكر عزرائيل على وسطك وذكر جبريل على رأسك وذكر إسرافيل على ظهرك وذكر ميكائيل على بطنك لا تدب ولا تسعى إلا أيبس كما يبس ابن الدجاج وقرن الحمار بقدرة العزيز القهار هذا قول عزرائيل وجبريل وإسرافيل وميكائيل وملائكة الله المقربين الذين لا يأكلون ولا يشربون إلا بذكر الله هم يعيشون أصباوتا آل شداى أيبس أيها الخلد من دابة فلان بن فلانة أو من هذه الدابة بقدرة من يرى ولا يرى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا كذلك يموت الخلد من دابة فلان بن فلانة أو من هذه الدابة .

شيئا من القاذورات فلم يمكنه الإقامة هناك حتى عرف ذلك منهم فبعث السلطان أولا على العين حفاظا ثم سار إليهم فلم ير شيئا مما كان يرى قبل ذلك ففتحها (عين الفرات) بقرب أرزن الروم من اغتسل بمائها فى الربيع يأمن من أمراض تلك السنة (عين قراور) وهى بأرض خراسان حدثنى بعض فقهاء خراسان وقال من المشهور عندنا أن من اغتسل بالعين بقراور يزول عنه حمى الربع والله أعلم (عين القيارة) بالموصل على مرحلة منها ينبع منها شىء كثير من القير ويحمل منها إلى سائر البلدان يقصدها الناس من الموصل يستحمون بها ويستشفون بمائها (عين المشقق) وهو واد بالحجاز قال ابن إسحق كان بها وشل يخرج منه ماء يروى الراكب والراكبين فقال ﷺ فى غزوة تبوك من سبقنا فلا يسقين منه شيئا حتى نأتيه فسبقه نفر من المنافقين فاستسقوا منها فلما أتاها رسول الله ﷺ وقف عليها فلم ير فيها شيئا فقال من سبقنا إلى هذه فقالوا فلان وفلان

أولم أنهم أن يسقوا منها شيئا ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده من الماء ماشاء الله ثم نضحه به ومسحه بيده ثم دعا بماشاء فانخرق من يده من الماء مايسمع له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم فقال ﷺ لئن بقيتم أو بقى منكم أحد ليسمعن بهذا الوادى وقد اخضر ما بين يديه وما خلفه وكان كما قال رسول الله ﷺ (عين منكور) ذكر أبو الريحان الخوارزمى فى الآثار الباقية أن ببلاد كيمال جبل يسمى منكور وفيه عين فى حفرة على قدر ترس كبير وقد استوى سطح الماء مع حافتها فربما يشرب منه عسكر ولا ينقص أصبعا وعند هذه العين صخرة عليها أثر رجل إنسان وأثر كفيه بأصابعهما وأثر ركبتيه كأنه كان ساجدا وأثر قدم صبى وأثر حوافر حمار ويسجد لها الأتراك للقربة (عين منية هشام) وهى قرية بأرض طبرية (حكى) الثعالبى أن بها عينا يجرى ماؤها سبع سنين دائما ثم ينقطع سبع سنين دائما هكذا وذلك معروف (عين النار) بين اقشهر وانطاكية حدثنى من رآها قال إذا غمست فيها قصبة احترقت وقال كنت مع السلطان علاء الدين كيخسرو عند اجتيازه بها فوقف عليها

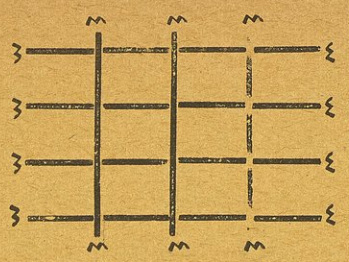

١٧١١٨١١١ ل ط ط ١١٧١ د ١٢٥ اب ر ك ا

ومن الفوائد المجربة للخلد أيضا أن يكتب فى ورقة ويعلق فى عنق الفرس المخلود طلع واستة وستين ملكا إلى جبال القدس لفوا ثلاث شجرات الواحدة قطعت والثانية يبست والثالثة احترقت انقطع أيها الخلد ببركة سيهوم ديهوم دهوم بألف لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ج وج وج و ارتفع ارتفع ارتفع اه اه اه ل ط اس ل ط اس ل ط اس ل ط اس ل ط اس الله الله الله الله الله الله الله الله حم حم حم حم حم حم حم حم حم حم توكلت ل اد هى ع ل ا ا على اللهم احفظ حامله ودابته بحرمة رب العظيم والقرآن العظيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم انتهى (الحكم) يحرم أكله لأنه نوع من الفأر وقال مالك لا بأس بأكل الخلد والحيات إذا ذكى ذلك وهذه أول مسئلة فى كتاب الذبائح من المدونة (الأمثال) قالوا أسمع من خلد وأفسد من خلد (الخواص) دمه إذا اكتحل به أبرأ العين والدم الذى فى ذنبه إذا طلى به الخنازير أذهبها وشفته العليا إذا علقت على من به حمى الربع أذهبتها وإن أكل لحمه قبل طلوع الشمس مشويا تعلم آكله كل شىء ودماغه إن جعل فى قارورة مع دهن ورد ودهن به الجرب والقوابى والكلف والحزاز وكل شىء يظهر فى الجسد أبرأه قال الجاحظ التراب الذى يخرجه الخلد من جحره يزعمون أنه يصلح لصاحب النقرس إذا بل بالماء وطلى به ذلك المكان وقال أرسطو إذا غرق الخلد فى ثلاثة أرطال ماء ثم سقى منه إنسان تكلم بكل علم يسئل عنه على سبيل الهذيان اثنين وأربعين يوما وقال يحيى بن زكريا إذا غرق الخلد فى ثلاثة أرطال ماء وترك فيه حتى ينتفخ ثم يصفى من ذلك الماء ويرمى عظمه ويطبخ فى قدر نحاس ويلقى عليه أربعة دراهم لبان ذكر ومثله أفيون ومثله كبريت ومثله نشادر بعد أن تدق هذه الحوائج مع أربعة أرطال عسل ويطبخ حتى يصير مثل الطلاء ويجعل فى إناء زجاج ثم يلعق على الريق والشمس فى الحمل إلى أن تدخل الأسد ولا يأكل مستعمله شيئا فيه زهومة ويكون طاهرا صائما فمن فعل ذلك علمه الله تعالى كل شىء بقدرته (التعبير) الخلد تدل رؤيته على العمى والتيه والتبدد والحيرة والاختفاء وضيق المسلك وربما دلت رؤيته على حدة السمع لمن يشكوا ضررا من سمعه إن رؤى مع ميت فهو فى النار لقوله عز وجل وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وربما كان فى الجنة وسكن جنة الخلد والله تعالى أعلم

﴿الخلفة﴾ الناقة الحامل وجمعها خلفات روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاثة خلفات عظام سمان قلنا نعم قال فثلاث آيات يقرؤهن أحدكم فى صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان وروى أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال غزانبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولم يبن ولا أحد قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ولا أحد قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها

وأمر بتجربتها فكان صحيحا (عين ناطول) ناطول اسم موضع بمصر فيه غار وفى الغار عين ينبع الماء منها ويتقاطر على الطين فيصير ذلك الطين قارا (حكى) بعضهم قال رأيت من ذلك الطين قطعة نصفها قار والباقى طين (عين نهاوند) قال صاحب تحفة الغرائب بأرض الجبال بقرب نهاوند عين فى شعب جبل من احتاج إلى الماء لسقى الأرض يمشى إليها ويدخل الشعب وعنده يقول بصوت رفيع إنى محتاج إلى الماء ثم يمشى نحو زرعه فالماء يجرى نحوه فإذا انقضت حاجته يرجع إلى الشعب عند العين ويقول قد كفانى الماء ويضرب برجله على الأرض فإن الماء ينقطع (عين هرماس) عين عجيبة بقرب نصيبين على مرحلة منها وهى مسدودة بالحجارة والرصاص لئلا يطلع منها ماء كثير فيغرق المدينة وكان المتوكل على الله لما وصل إلى نصيبين سمع بأمر هذه العين وعجيب شأنها وكثرة مياهها أمر بفتحها ففتح منها شىء يسير فغلب عليه الماء غلبة شديدة فأمر بإحكامها وردها إلى ما كانت فمن هذه العين يحصل نهر الهرماس فيسقى نصيبين وفاضل مائها ينصب إلى الخابور ثم إلى الثرثار ثم إلى دجلة (عين الهم) قال صاحب تحفة الغرائب إذا

على فحبست عليه حتى فتح الله عليه الحديث وهذا النبى هو يوشع بن نون عليه السلام ﴿فائدة﴾ حبست الشمس مرتين لنبينا ﷺ إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله تعالى عليه كما رواه الطحاوى وغيره والثانية صبيحة الإسراء حين انتظر العير التى أخبر بوصولها مع شروق الشمس وفى أواخر المستدرك من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لو أخذ سبع خلفات بشحومهن فألقين فى شقير جهنم ما انتهين إلى قعرها سبعين عاما قال شيخ الإسلام الإمام الذهبى إسناده صالح والحكمة فى التمثيل بالسبع أن ذلك عدد أبواب جهنم وروى الشافعى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال ألا إن فى قتيل الخطأ قتيل السوط والعصا مائة من الإبل مغلظة منها أربعون خلفة فى بطونها أولادها وإسناده ضعيف ومنقطع وقال أبو حاتم رواية إرساله أشبه قال شيخ الإسلام النووى فى تهذيبه وهذا مما يستشكل لأن الخلفة هى التى فى بطنها ولدها فإن قيل فما الحكمة فى قوله ﷺ فى بطونها أولادها فجوابه من أربعة أوجه أحدها أنه توكيد وإيضاح والثانى أنه تفسير لها لا قيد والثالث أنه نفى لوهم من يتوهم أنه يكفى فى الخلفة أن تكون حملت فى وقت ما ولا يشترط حملها حالة دفعها فى الدية والرابع أنه إيضاح لحكمها وإنه يشترط فى نفس الأمر أن تكون حاملا ولا يكفى قول أهل الخبرة إنها خلفه إذا تبين أنه لم يكن فى بطنها ولد وذكر الرافعى أنه قيل إن الخلفة تطلق أيضا على التى ولدت وولدها يتبعها ﴿فائدة أخرى﴾ الخطأ المحض هو أن لا يقصد ضربه بل قصد شيئا آخر فأصابه فمات منه فلا قصاص عليه بل تجب دية مخففة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين وتجب الكفارة فى ماله فى الأنواع كلها وشبه العمد أن يقصد ضربه بما لا يموت مثله من مثل ذلك الضرب غالبا بأن ضربه بعصا خفيفة أو حجر صغير ضربة أو ضربتين فمات فلا قصاص فيه بل تجب دية مغلظة على عاقلته مؤجلة إلى ثلاث سنين والعمد المحض هو أن يقصد قتل إنسان بما يقصد به القتل غالبا كالسيف والسكين وما أشبه ذلك ففيه القصاص عند وجود التكافؤ أو دية مغلظة فى مال القاتل حالة وعند أبى حنيفة قتل العمد لا يوجب الكفارة لأنه كبيرة كسائر الكبائر ودية الحر المسلم مائة من الإبل فإذا كانت الدية فى العمد المحض أو شبه العمد فهى مغلظة بالسن فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة فى بطونها أولادها وهو قول عمر وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما وبه قال عطاء وإليه ذهب الشافعى للحديث المتقدم عن ابن عمر رضى الله عنهما وذهب قوم إلى أن الدية المغلظة أرباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهو قول الزهرى وربيعة وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة وأما دية الخطأ فمخففة وهى أخماس بالاتفاق غير أنهم اختلفوا فى تقسيمها فذهب مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما إلى أنها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وبه قال عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار وربيعة وجعل أبو حنيفة وأحمد عوض بنى اللبون بنى المخاض ويروى ذلك عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه والدية فى الخطأ وشبه العمد على العاقلة كما تقدم وهم عصبات القاتل من الذكور ولا يجب على الجانى منها شىء لأن النبى ﷺ أوجبها على العاقلة فإن عدمت الإبل فتجب قيمتها من الدراهم والدنانير فى قول وفى قول يجب بدل مقدر منها وهو ألف دينار أو اثنى عشر ألف درهم لما روى أن عمر رضى الله تعالى عنه فرض الدية على أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنى عشر ألف درهم وبه قال مالك وعروة بن الزبير والحسن البصرى وقال أبو حنيفة إنها مائة من الإبل أو ألف دينار أو عشرة آلاف درهم وبه قال سفيان الثورى رضى الله تعالى

عنه ﴿فرع﴾ ودية المرأة نصف دية الرجل ودية أهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم إن كان كتابيا وإن كان مجوسيا فخمس الثلث وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال دية اليهودى والنصرانى أربعة آلاف ودية المجوسى ثمانمائة درهم وبه قال ابن المسيب والحسن البصرى رضى الله تعالى عنهما وإليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن دية الذمى والمعاهد مثل دية المسلم وهو قول ابن مسعود وسفيان الثورى وأصحاب الرأى وقال عمر بن عبد العزيز دية الذمى نصف دية المسلم وهو قول مالك وأحمد وأما دية الأطراف فمبسوطة فى كتب الفقه ﴿تذنيب﴾ قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية قال أهل التفسير إنها نزلت فى مقيس ابن حبابة وذلك إنه لما قتل أخوه هشام بن حبابة فى بنى النجار ولم يعلموا له قاتلا وأعطوه ديته مائة من الإبل ثم انصرف هو والفهرى إلى رسول الله ﷺ راجعين نحو المدينة فأتى الشيطان مقيسا ووسوس إليه فقال تقبل دية أخيك فتكون عليك وصمة ومسبة فاقتل الرجل الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فغفل الفهرى عن نفسه فرماه مقيس بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من إبل الدية وساق باقيها ورجع إلى مكة كافرا فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية ومقيس هذا هو الذى استثناه النبى ﷺ يوم فتح مكة ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة وقد اختلف فى حكم هذه الآية فروى البغوى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال قاتل المؤمن عمدا لا توبة له وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه لما نزلت الآية التى فى الفرقان وهى قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله إلها آخر عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر ثم نزلت الغليظة فنسخت الغليظة اللينة وأراد بالغليظة هذه الآية وباللينة آية الفرقان وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما آية الفرقان مكية وآية النساء مدنية لم ينسخها شىء والذى عليه جمهور المفسرين وهو مذهب أهل السنة قاطبة أن توبة قاتل المسلم عمدا مقبولة لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهو تشديد ومبالغة فى الزجر عن القتل كما روى عن سفيان بن عيينة رضى الله تعالى عنه أنه قال إن المؤمن إذا لم يقتل يقال له لا توبة لك وإن قتل يقال له توبة وروى مثله عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وليس فى الآية مستند لمن يقول بالتخليد فى النار بارتكاب الكبائر لأن الآية نزلت فى قاتل كافر هو مقيس بن حبابة كما تقدم وقيل إنه وعيد لمن قتل مؤمنا مستحلا لقتله بسبب إيمانه ومن استحل قتل أهل الإيمان لإيمانهم كان كافرا مخلدا فى النار وروى أن عمرو بن عبيد قال لأبى عمرو بن العلاء هل يخلف الله وعده فقال أبو عمرو لا فقال أليس قال الله عز وجل ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال له أبو عمرو أمن العجم أنت يا أبا عثمان ألم تعلم أن العرب لا تعد الإخلاف فى الوعيد خلفا وذما وإنما تعد إخلاف الوعد خلفا وذما وأنشد قائلا

وإنى وإن أوعدته أو وعدته * لمخلف إيعادى ومنجز موعدى

والدليل على أن غير الشرك لا يوجب التخليد فى النار ما روى البخارى عن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه وكان قد شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال وحوله أصحابه بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا فى معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارته ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستر الله عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه قال فبايعناه على ذلك وما روى أيضا فى الحديث الصحيح إنه ﷺ قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة والله الموفق.

توجهت من طريق جهينة إلى جرجان ترى فى سفح جبل عينا يجتمع ماؤها فى غدير مقدار غلوة سهم فى غلوة سهم وفى هذا الغدير شجرة ليس عليها غصن ولا لحى ترى بالليل كأنها تدور فى ذلك الغدير وقد تختفى أربعة أشهر ولا علم لأحد بحالها ثم تظهر وربما يتفق فى بعض الأوقات أن يكون مدة اختفائها سنتين ثم تظهر وإذا كانت السنة مطيرة كان ظهورها أسرع وفى بعض الأوقات شدوها بالحبال لما دنت مدة غيبتها شدا وثيقا فأصبحوا والحبال مقطعة والشجرة ذاهبة فأخبر بذلك رافع ابن هرثمة صاحب جرجان وخراسان فوكل بها من ينظر إليها لما دنت مدة غيبتها ليلا ونهارا فترقبوا أربعة أشهر ثم اتفق لهم غيبته فعادوا والشجرة قد ذهبت فأخبر بذلك رافع وكان فى عسكره غواص كوفى فأمره أن يغوص ويعرف حالها فغاص زمانا طويلا ثم خرج وقال نزلت ألف ذراع وما رأيت لها أثرا وتسمى هذه العين عين الهم بينها وبين بحر السكون يوم (عين ياسى جمن) بين أخلاط وأرزن الروم موضع يقال له ياسى جمن به عين يفور الماء منها فورانا شديدا يسمع صوته من بعيد وإذا دنا الحيوان منها يموت فى الحال فترى.

﴿الخمل﴾ بالتحريك ضرب من السمك قال ابن سيده .

﴿الخنتعة﴾ كقنفذة الأنثى من الثعالب قاله الأزهرى .

﴿الخندع﴾ كجندب زنة ومعنى صغار الجنادب وقال فى المحكم إنه الخفاش فى بعض اللغات .

﴿الخنزير البرى﴾ بكسر الخاء المعجمة جمعه خنازير وهو عند أكثر اللغويين رباعى وحكى ابن سيده عن بعضهم أنه مشتق من خزر العين لأنه كذلك ينظر فهو على هذا ثلاثى يقال تخازر الرجل إذا ضيق جفنه ليحدد النظر كفولك تعامى وتجاهل قال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه فى يوم صفين :

إذا تخازرت وما بى من خزر * ثم كسرت الطرف من غير حور

ألفيتنى ألوى بعيد المستمر * كالحية الصماء فى أصل الشجر * أحمل ما حملت من خير وشر

وكنية الخنزير أبو جهم وأبو زرعة وأبو دلف وأبو عتبة وأبو علية وأبو قادم وهو يشترك بين البهيمية والسبعية فالذى فيه من السبع الناب وأكل الجيف والذى فيه من البهيمة الظلف وأكل العشب والعلف وهذا النوع بوصف بالشبق حتى أن الأنثى منه يركبها الذكر وهى ترتع فربما قطعت أميالا وهو على ظهرها ويرى أثر ستة أرجل فمن لا يعرف ذلك يظن أن فى الدواب ما له ستة أرجل والذكر من هذا النوع يطرد الذكور عن الإناث وربما قتل أحدهما صاحبه وربما هلكا جميعا وإذا كان زمن هيجان الخنازير طأطأت رؤسها وحركت أذنابها وتغيرت أصواتها وتضع الخنزيرة عشرين خنوصا وتحمل من نزوة واحدة والذكر ينزو إذا تمت له ثمانية أشهر والأنثى تضع إذا مضى لها ستة أشهر وفى بعض البلاد ينزو الخنزير إذا تمت له أربعة أشهر والأنثى تحمل جراءها وتربيها إذا تمت لها ستة أشهر أو سبعة وإذا بلغت الأنثى خمس عشرة سنة لا تلد وهذا الجنس أنسل الحيوان والذكر أقوى الفحول على السفاد وأطولها مكثا فيه يقال إنه ليس لشىء من ذوات الأنياب والأذناب ما للخنزير من القوة فى نابه حتى إنه يضرب بنابه صاحب السيف والرمح فيقطع كل ما لاقى من جسده من عظم وعصب وربما طال ناباه فيلتقيان فيموت عند ذلك جوعا لأنهما يمنعانه من الأكل وهو متى عض كلبا سقط شعر الكلب وهو إذا كان وحشيا ثم تأهل لا يقبل التأديب ويأكل الحيات أكلا ذريعا ولا يؤثر فيه سمومها وهو أروغ من الثعلب وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل النصارى بالخنازير فى الروم يجيعونها ثلاثة أيام ثم يطعمونها يومين لتسمن وإذا مرض أكل السرطان فيزول مرضه وإذا ربط على حمار ربطا محكما ثم بال الحمار مات الخنزير (ومن عجيب أمره) أنه إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعا وفيه من الشبه بالإنسان أنه ليس له جلد يسلخ إلا أن يقطع بما تحته من اللحم وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفى رواية ويهلك فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ويمكث فى الأرض أربعين سنة ثم يتوفاه الله فيصلى عليه المسلمون وهذا الحديث رواه أبو داود فى آخر سننه فى كتاب الملاحم مطولا قال الخطابى وفى قوله ويقتل الخنزير دليل على وجوب قتل الخنازير وبيان أن أعيانها نجسة وذلك أن عيسى عليه السلام إنما ينزل فى آخر الزمان وشريعة الإسلام باقية وقوله ويضع الجزية معناه أنه يضعها عن النصارى واليهود وأهل الكتاب ويحملهم على الإسلام فلا يقبل منهم غير دين الحق فذلك معنى وضعها

بل ضيعة من ضياع قزوين عندها جبل يخرج من شعب من شعابه ماء كثير حار جدا ويجتمع فى حوضين هناك يقصدها الزمنى والجربى وأصحاب العاهات تنفعهم نفعا بينا وتسمى بله كرمان والله الموفق للصواب ﴿فصل فى الآبار﴾ أما الآبار فنقول وبالله التوفيق (بئر أبى كنود) بطرابلس من شرب من مائها يتحمق يقال للرجل إذا أتى بما يلام عليه لا تعتبك فإنك شربت من ماء أبى كنود (بئر بابل) قال الأعمش قال مجاهد يجب أن يسمع من الأعاجيب وكان لا يسمع بشىء إلا سار إليه وعاينه فأتى بابل فلقيه الحجاج وقال ما تصنع ههنا قال لحاجة أن تسير إلى رأس الجالوت لترينى هاروت وماروت فأرسل إلى رجل وقال اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت لينظر إليهما فانطلق به حتى أتى موضعا وكان هناك يهودى عارف بذلك الموضع فسألاه أن يريهما فرفع صخرة فإذا شبه سرداب فقال له اليهودى انزل معى وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله تعالى قال مجاهد فنزل اليهودى ونزلت معه فلم يزل يمشى بى حتى نظرت إليهما مثل الجبلين العظيمين منكوسين على رؤسهما وعليهما الحديد من أعقابهما

وفى أواخر الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لقى خنزيرا على الطريق فقال له اذهب بسلام فقيل له أتقول هذا لخنزير فقال عيسى عليه الصلاة والسلام إنى أخاف أن أعود لسانى النطق بالسوء ﴿فائدة﴾ ذكر أهل التفسير وأصحاب السير أن عيسى عليه الصلاة والسلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا له قد جاء الساحر ابن الساحرة وقذفوه وأمه فلما سمع ذلك عيسى دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله تعالى خنازير فلما رأى ذلك يهوذا وهو رأس اليهود وأميرهم فزع من ذلك وخاف دعوته فجمع اليهود واستشارهم فى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فاجتمعت كلمة اليهود على قتله فطرقوا عيسى عليه الصلاة والسلام فى بعض الليل ونصبوا شعبة ليصلبوه عليها فأظلمت الأرض وأرسل الله تعالى ملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه الصلاة والسلام الحواريين تلك الليلة وأوصاهم ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة ثم إن الحواريين خرجوا من عنده وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأتى إليهم أحد الحواريين وقال لهم ما تجعلون لى إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت ألقى الله تعالى عليه شبه عيسى ورفع الله عيسى إليه فدخلوا فرأوه فأخذوه فقال لهم أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى وقيل إن الذى ألقى عليه شبهه كان من اليهود واسمه ططيانوس وقيل إن عيسى عليه الصلاة والسلام قال للحواريين أيكم يقذف عليه شبهى فيقتل فقال رجل منهم أنا يانبى الله فقتل ذلك الرجل وصلب ورفع الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فهو عليه الصلاة والسلام طائر مع الملائكة المقربين حول العرش وقال أهل التاريخ حملت مريم بعيسى عليهما السلام ولها ثلاث عشر سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أروى شلم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وأوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة من عمره ورفع من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وماتت أمه مريم بعد رفعه عليه السلام بست سنين وذكر ابن أبى الدنيا عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال قيل لأبى أسيد الفزارى من أين تعيش فحمد الله تعالى وكبره وقال يرزق الله الكلب والخنزير ولا يرزق أبا أسيد وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والدر والذهب وفى إسناده كثير بن شنظير وهو مختلف فى توثيقه وتضعيفه وقال فى الإحياء جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت أن أقلد الدر أعناق الخنازير فقال أنت تعلم الحكمة غير أهلها وفيه أيضا فى الباب السادس من أبواب العلم روى أن رجلا كان يخدم موسى عليه الصلاة والسلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام وجعل يسأل عنه فلم يجد له أثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال يا موسى أتعرف فلانا قال نعم قال هو هذا الخنزير فقال موسى عليه السلام يارب أسألك أن ترده إلى حاله الأول حتى أسأله بم أصابه ذلك فأوحى الله تعالى إليه لو دعوتنى بالذى دعا به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين وكذلك رواه الإمام أبو طالب المكى فى قوت القلوب وفى المستدرك عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحون وقد مسخوا خنازير وليخسفن الله بقبائل منها ودور منها حتى يصبحوا فيقولوا لقد خسف الليلة بدار بنى فلان وليرسلن عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط وليرسلن عليهم الريح العقيم بشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات

إلى ركبهما فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله تعالى فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كاد يقطعان ما عليهما من الحديد فهرب اليهودى ومجاهد تعلق به حتى خرجا فقال له اليهودى أما قلت لك لا تفعل ذلك كدنا والله نهلك (بئر بدر) بين مكة والمدينة فى الموضع الذى كانت الوقعة المباركة بين رسول الله ﷺ ومشركى مكة فقتلوا المشركين ورماهم فى البئر فدنا منها رسول الله ﷺ وقال يا عتبة ياشيبة هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يارسول الله هل يسمعون كلامنا فقال رسول الله ﷺ لستم بأسمع منهم (وحكى) بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه أنه رأى فى اجتيازه هناك شخصا خرج من البئر هاربا فخرج عقبه آخر معه سوط فضربه ورده إليها (بئر برهوت) بئر بقرب حضرموت وهى التى قال ﷺ فيها أرواح الكفار والمنافقين وهى بئر عادية فى فلاة وواد عظيم وعن على رضى الله تعالى عنه أبغض البقاع إلى الله تعالى وادى برهوت فيه بئر ماؤها أسود منتن تأوى إليها أرواح الكفار (وحكى) الأصمعى عن رجل من أهل حضرموت أنه قال نجد من ناحيه برهوت فى بعض الأوقات رائحة فظيعة منتنة جدا فيأتينا الخبر

وقطعهم الرحم ثم قال صحيح الإسناد (الحكم) لايجوز بيع الخنزير لما روى أبو داود من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه واختلفوا فى جواز الانتفاع به فكرهت طائفة ذلك وممن منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعى وأحمد وإسحق ورخص فيه الحسن والأوزاعى وأصحاب الرأى وهو نجس العين كالكلب يغسل ما نجس بملاقاة شىء من أجزائه سبعا إحداهن بالتراب ويحرم أكله لقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس والرجس النجس قال الإمام العلامة أفضى الفضاة الماوردى الضمير فى قوله تعالى فإنه رجس عائد على الخنزير لكونه أقرب مذكور ونظيره قوله تعالى واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ونازعه الشيخ أبو حيان وقال إنه عائد على اللحم لأنه إذا كان فى الكلام مضاف ومضاف إليه عاد الضمير على المضاف دون المضاف إليه لأن المضاف هو المحدث عنه والمضاف إليه وقع ذكره بطريق العرض وهو تعريف المضاف وتخصيصه وقال شيخنا الإسنوى رحمه الله تعالى وما ذكره الماوردى أولى من حيث المعنى وذلك أن تحريم اللحم قد استفيد من قوله تعالى أو لحم خنزير فلو عاد الضمير عليه لزم خلو الكلام على فائدة التأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم اللحم والكبد والطحال وسائر أجزائه وقال القرطبى فى تفسير سورة البقرة لاخلاف إن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرازة به ونقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته وفى دعواه الإجماع نظر لأن مالكا يخالف فيه نعم هو أسوأ حالا من الكلب فإنه يستحب قتله ولايجوز الانتفاع به فى حالة بخلاف الكلب وقال شيخ الإسلام النووى رحمه الله ليس لنا دليل على نجاسته بل مقتضى المذهب طهارته كالأسد والذئب والفأرة وقد روى أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الخرازة بشعره فقال لا بأس بذلك رواه ابن خويز منداد قال ولأن الخرازة به كانت على عهد النبى ﷺ وبعده موجودة ظاهرة ولم يعلم أنه ﷺ أنكرها ولا أحد من الأئمة بعده وقال الشيخ نصر المقدسى لايجوز المسح على خف خرز بشعره ولا الصلاة فيه وأن غسله سبعا إحداهن بالتراب لأن التراب والماء لايصلان إلى مواضع الخرز المتنجسة قال الإمام النووى وهذا الذى ذكره الشيخ أبو الفتح نصر هو المشهور وقال القفال فى شرح التلخيص سألت الشيخ أبا زيد عنه فقال الأمر إذا ضاق اتسع ومراده أن بالناس ضرورة إليه فتصح الصلاة فيه لذلك وفى الشرح والروضة فى أواخر كتاب الأطعمة قريب من ذلك ولايجوز اقتناء الخنزير سواء كان يعدو على الناس أو لم يعدو فإذا كان يعدو وجب قتله قطعا وإلا فوجهان أحدهما يجب قتله والثانى يجوز قتله ويجوز إرساله وهو ظاهر نص الشافعى فالوجهان فى وجوب قتله وأما اقتناؤه فلا يجوز بحال كما صرح به فى شرح المهذب وغيره وفى سنن أبى داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أحسبه عن رسول الله ﷺ قال إذا صلى أحدكم إلى غير سترة فإنه يقطع صلاته الكلب والحمار والخنزير واليهودى والمجوسى والمرأة الحائض ويجزئ عنه إذا مروا بين يديه قذفه بحجر وفيه أيضا من حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من باع الخمر فليشقص الخنازير قال الخطابى معناه فليستحل أكلها وقال فى النهاية معناه فليقطعها ويفصلها أعضاء كما تفصل الشاة إذا بيع لحمها والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير فإنهما فى التحريم سواء وهذا لفظ أمر ومعناه النهى تقديره من باع الخمر فليكن للخنازير قصابا وجعله الزمخشرى من كلام الشعبى (الأمثال) قالوا أطيش من عفر والعفر ولد الخنزير والعفر أيضا

يادومة يادومه فذكرت ذلك لرجل من أهل العلم فقال إنه اسم الموكل بأرواح الكفار (بئر بضاعة) بالمدينة فى الخبر أن رسول الله ﷺ أتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها إلى البئر وبصق فيها وشرب من مائها فكان إذا مرض المريض فى أيامه ﷺ يقول اغسلوه بماء بضاعة فيغتسل فكأنما نشط من عقال وقالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنه كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة أيام فيعافون (بئر بنحن) بقرب وادى زبيد مشهورة وهى البئر التى حبس افراسياب فيها بنحن مكبلا وأنزل على رأس البئر صخرة عظيمة فذهب إليه رستم مختفيا وسرقه وأتى به بلاد إيران ولها قصة طويلة (بئر قنصورة) وهى جزيرة بأرض الهند يجلب منها الكافور القيصورى فيها صنف من السمك إذا أخرجته من البئر يصير حجرا صلدا (بئر جندق) جندق قرية من أعمال مراغة يخرج منها حمام كثير حدثنى بعض فقهاء مراغة أنهم أرسلوا إليها

الشيطان والعفر أيضا العقرب وقالوا اقبح من خنزير وقالوا اكرهه كراهة الخنازير الماء الموغر وأصله أن النصارى تغلى الماء للخنازير فتلقيها فيه لتنضج فذلك هو الإيغار قال أبو عبيد ومنه قول الشاعر :

ولقد رأيت مكانهم فكرهتم * ككراهة الخنزير للإيغار

وقال ابن دريد الإيغار أن يغلى الماء للخنازير فتسمط وهى حية ﴿إشارة﴾ ابن دريد هو محمد بن الحسين بن دريد أبو بكر الازدى البصرى إمام عصره فى اللغة والأدب والشعر ومن جيد شعره المقصورة التى مدح بها الشاه بن مكيال وولده إسمعيل وعارضه فيها جماعة كثيرة من الشعراء واعتنى بمقصورته جماعة من العلماء فشرحوها ومن تصانيفه الجمهرة وهو من الكتب المعتبرة قال بعض العلماء ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء وعرض له فى أواخر عمره فالج فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألم لدخوله وإن لم يصل إليه وسقى الترياق فبرئ منه وصح ورجع إلى إسماع تلامذته ثم عاوده الفالج بعد حول لغذاء ضار تناوله فكان يحرك يديه حركة ضعيفة وبطل من محزمه إلى قدميه قال تلميذه أبو على كنت أقول فى نفسى إن الله تعالى عاقبه بقوله المقصورة حين ذكر الدهر بقوله :

مارست من لو هوت الأفلاك من * جوانب الجو عليه ماشكا

وعاش بهذه الحالة عامين وكان آخر كلامه :

فواحزنى أن لاحياة لذيذة * ولا عمل يرضى به الله صالح

ثم قبض قال ابن دريد سهرت ليلة فلما كان آخر الليل رأيت رجلا دخل على فى المنام فأخذ بعضادتى الباب وقال أنشدنى أحسن ماقلت فى الخمر فقلت ماترك أبو نواس لاحد شيئا فقال أنا أشعر منه قلت من أنت قال أنا أبو ناجية من أهل الشام ثم أنشدنى :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبى نرجس وشقائق

حكت وجنة المعشوق صرفا فساطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

فقلت له أسأت فقال ولم قلت لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت بين ثوبى نرجس وشقائق فقدمت الصفرة فقال ماهذا الاستقصاء فى هذا الوقت يابغيض ويقال إن ابن دريد أنشدهما لنفسه وكان ابن دريد يشرب الخمر إلى أن جاوز تسعين سنة وكان حين أصابه الفالج صحيح الذهن والعقل يرد فيم يسئل عنه ردا صحيحا وتوفى فى شعبان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ببغداد ودريد تصغير أدرد وهو الذى ليس فيه سن قاله ابن خلكان وغيره (الخواص) كبده إذا أكلت أو سقيت لإنسان نفعت من نهش الهوام خصوصا الحيات وإن جففت وسقيت لمن به ريح الفالج والفولنج برئ من وقته وإذا قطرت مرارته فى أنف رجل مربوط فى كل جانب من أنفه ثلاث قطرات انطلق وبرئ وإذا أحرق عظمه وسحق وشربه من به البواسير فإنها تهدأ وتبرأ بإذن الله تعالى وقيل إن حشى به موضع الناسور أبرأه وعظمه يعلق على من به حمى الربع تذهب عنه وقال يوحنا إن مما جربته الحكماء القدماء أن عظم الخنزير يعلق على من به حمى الربع فى خرقة تعقد فيه يبرأ منها وإن جففت مرارته ووضعت على البواسير قلعتها من ساعتها وزبله إذا أمسكه من به فواق دائم أبرأه وإن شرب فتت الحصاة وأجوده زبل البرى وإن عجن بخل وطلى به الرأس نفع من سائر الجراحات والجروح التى تظهر به وإذا طبخ به أصل شجرة الرمان الحامض أبدله حلوا وعرقوبه إذا أحرق وسحق وعجن بعسل وسقى لمن به مغص ونفخ فى معدته وأمعائه وزن مثقال فإنه

فأخبر أنه لم ير من الحمام عميق بجبل دماوند يصعد منها بالنهار الدخان وبالليل النار وإذا رميت فيها شيئا ينزل ويلبث ساعة ثم يرجع ويقع خارج البئر على الأرض (بئر ذروان) بالمدينة طب فيها رسول الله ﷺ فيما روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ مرض مرضا شديدا فبينما هو بين النائم واليقظان رأى ملكين أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذى عند رجليه للذى عند رأسه ماوجعه قال طب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم اليهودى قال وأين طبه قال فى كرمة تحت صخرة فى بئر كمل فانتبه رسول الله ﷺ وقد حفظ كلام الملكين فوجه عليا وعمارا مع جمع من الصحابة حتى أتو بئر كامل وهو بئر ذروان فنزحوا ماءها حتى انتهوا إلى الصخرة فقلبوها فوجدوا الكوبة تحتها وفيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة فأحرقوا الكوبة ومافيها فزال عنه ﷺ وجعه كأنه نشط من عقال فأنزل الله تعالى عليه المعوذتين إحدى عشرة آية على قدر عدد العقد والله الموفق (بئر زمزم) فى الخبر أن إبراهيم عليه السلام

ينفع نفعا عظيما (التعبير) الخنزير تدل رؤيته على الشر والنكد والإفلاس وعلى المال الحرام وتدل رؤية إنائه على كثرة النسل فإن حصل له منه ضرر في المنام ربما تنكد من نصراني وقيل الخنزير في المنام عدو قوي ملعون خدوع عند النوائب غدار فمن رأى أنه ركب خنزيرا نال مالا وقهر عدوا كما وصفت ومن أكل لحم الخنزير مطبوخا نال مالا وتجارة من غير حل ومن رأى أنه تحول خنزيرا نال مالا مع ذلة ووهن في الدين ومن رأى أنه يمشي كما يمشي الخنزير نال سرورا وقرة عين وأولاد الخنازير هموم لمن ملكها والخنزير الأهلي خصب لمن رآه بداره وكل حيوان يتربى عاجلا ويألف فهو تمام قصد من رآه وقضاء حاجته والبري يدل للمسافر على مطر أو برد ومن رعى الخنازير في المنام فإنه يلي على قوم من اليهود أو النصارى ومن رأى كأن زوجته صارت خنزيرة فإنه يطلقها لأنها حرمت عليه ولحمه خير لجميع الناس لأن الخنزير لا ينفع إلا بعد موته وهو مال حرام لقوله تعالى إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ففيه إشارة لذلك والله أعلم.

﴿الخنزير البحري﴾ سئل مالك عنه فقال أنتم تسمونه خنزيرا يعني أن العرب لا تسميه بذلك لأنها لا تعرف في البحر خنزيرا والمشهور أنه الدلفين وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الدال المهملة قال الربيع سئل الشافعي رضي الله تعالى عنه عن خنزير الماء فقال يؤكل وروى أنه لما دخل العراق قال فيه حرمه أبو حنيفة وأحله ابن أبي ليلى وروى هذا القول عن عمر وعثمان وابن عباس وأبي أيوب الأنصاري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم والحسن البصري والأوزاعي والليث وأبى مالك أن يقول فيه شيئا وأبقاه مرة أخرى على جهة الورع وحكى ابن أبي هريرة عن ابن خيران أن أكارا صاد له خنزير ماء وحمله إليه فأكله وقال كان طعمه موافقا لطعم الحوت سواء وقال ابن وهب سألت الليث بن سعد عنه فقال إن سماه الناس خنزيرا لم يؤكل لأن الله حرم الخنزير.

﴿الخنفساء﴾ معروفة وكان من حقها أن تكتب قبل هذا لأن نونها زائدة وهي بفتح الفاء ممدودة والأنثى خنفساءة وقال ابن سيده الخنفساء دويبة سوداء أصغر من الجعل منتنة الريح والأنثى خنفسة وخنفساءة وضم الفاء في كل ذلك لغة والخنفس اسم للكثير من الخنافس وقال الأصمعي لا يقال خنفساءة بالهاء وكنيتها أم الفسو وأم الأسود وأم مخرج وأم اللجاج وأم النتن تتولد من عفونة الأرض وهي طويلة الظهر وبينها وبين العقرب صداقة ولهذا يسميها أهل المدينة الشريفة جارية العقرب وهي أنواع منها الجعل وحمار قبان وبنات وردان والحنطب وهو ذكر الخنافس والخنفساء مخصوصة بكثرة الفسو كالظربان ولذلك تقول العرب في أمثالها إذا تحركت الخنفساء فست قال حنين ابن إسحاق طريق طرد الخنافس أن يطرح في أماكنها الكرفس فإنها تهرب من ذلك المكان وروى ابن عدي في كامله في ترجمة أبي معشر واسمه نجيح عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليدعن الناس فخرهم في الجاهلية أو ليكونن أبغض إلى الله تعالى من الخنافس ﴿غريبة﴾ حكى القزويني أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله تعالى من خلق هذه الحسن شكلها أو لطيب ريحها فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها فسمع يوما صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب فقال هاتوه حتى ينظر في أمري فقالوا وما تصنع بطرقي وقد عجز عنك حذاق الأطباء فقال لا بد لي منه فلما أحضروه رأى القرحة استدعى بخنفساء فضحك الحاضرون منه فتذكر العليل القول الذي سبق منه فقال أحضروا له ما طلب فإن الرجل على بصيرة من أمره فأحضروها له فأحرقها وذر رمادها على قرحته فبرئ بإذن الله تعالى فقال للحاضرين إن الله تبارك وتعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية (وحكى) ان خلكان في

حسبنا الله ونعم الوكيل فأقامت عند ولدها حتى نفد ماؤها فأدركتها الحنة على ولدها فتركت إسماعيل بموضعه وارتقت على الصفا تنظر هل ترى عينا أو شخصا فلم تر شيئا فدعت ربها واستسقته ثم نزلت حتى أتت المروة فدعت مثل ذلك ثم سمعت صوت السباع فخشيت على ولدها فأسرعت نحو إسماعيل فوجدته يفحص والماء قد انفجر من عين من تحت عقبه فلما رأت هاجر ذلك الماء جعلت تحوطه بالتراب لئلا يسيل ويذهب قيل لو لم تفعل ذلك لكان عينا جارية وقال محمد بن أحمد الهمذاني كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها أربعين ذراعا وفي قعرها عيون تجري عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا وعين حذاء المروة ثم قل ماؤها في سنة أربع وعشرين ومائتين فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها ثم جاء الله تعالى بالأمطار والسيول في سنة خمس وعشرين ومائتين فزاد ماؤها ولاذرعها من رأسها إلى الجبل المنقور فيه أحد

عشر ذراعا وسعة فمها ثلاثة أذرع وثلثا ذراع وعليها ميلان من ساج مربعة فيهما

اثنا عشرة بكرة يستقى عليها وأول من عمل عليها الرخام وفرش به أرضها المنصور وقال مجاهد ماء زمزم إن شربت منه تريد شفاء شفاك الله تعالى وإن شربته لظمأ أرواك الله وإن شربته لجوع أشبعك الله وقال المسعودى إن ملوك الفرس يزعمون أنهم من أولاد الخليل من سبى بنى إسرائيل وكانوا يحجون البيت ويطوفون به تعظيما لجدهم وكان آخر من حج منهم ازدشير ابن بابك طاف بالبيت وزمزم على البئر وزمزمة المجوس قراءتهم عند صلواتهم وطعامهم (بئر ضاهك) بكورة أرجان ذكر أهلها أنهم امتحنوا قعرها بالأرسان فلم يقفوا على شىء ويفور منها الماء الدهر كله مقدار ما يدير رحا تسقى تلك القرية (بئر عروة) بعقيق المدينة منسوبة إلى عروة ابن الزبير قال الزبير ابن بكار كان الناس إذا مرضوا بالعقيق أخذوا من ماء بئر عروة يهدونها إلى أهاليهم قال ورأيت أبى يأمر به فيغلى ثم يجعله فى القوارير ويهديه إلى الرشيد وهو بالرقة (بئر غرس) بالمدينة بقباء كان رسول الله ﷺ يستطيب ماءها ويبارك فيها وقيل إنه ﷺ بصق فيها فلهذا وجد فيها البركة وروى أن فيها عينا من عيون الجنة

ترجمة جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكى انه كان عنده ابو عبيدة الثقفى فقصدته خنفساء فأمر جعفر بإزالتها فقال أبو عبيدة دعوها عسى أن يأتينى بقصدها إلى خير فإنهم يزعمون ذلك فأمر له جعفر بألف دينار فقال تحقق زعمهم فأمر بتنحيتها فقصدته ثانيا فأمر له بألف دينار أخرى (الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها وقال الأصحاب ما لا يظهر فيه ضرّ ولا نفع كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة والسلحفاة والذباب وأشباهها يكره قتلها للمحرم وغيره هكذا قطع به الجمهور وحكى إمام الحرمين وجها شاذا أنه لا يحرم قتل الطيور والحشرات ودليل الكراهة أنه عبث بلا حاجة وقد ثبت فى صحيح مسلم عن شداد بن أوس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وليس من الإحسان قتلها عبثا وروى البيهقى عن قطبة الصحابى رضى الله تعالى عنه أنه كان يكره أن يقتل الرجل ما لا يضره (الأمثال) يقال أفسى من الخنفساء وقالوا الخنفساء إذا مست نتنت أى جاءت بالنتن الكثير يضرب لمن ينطوى على خبث معناه لا تفتشوا على ما عنده فإنه يؤذيكم بنتن معايبه وقال خلف الأحمر النحوى يهجو العتبى :

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب
أجل لجاجا من الخنفساء * وأزهى إذا ما مشى من غراب

﴿الخواص﴾ إذا أخذت رؤس الخنافس وجعلت فى برج حمام اجتمع الحمام إليه والاكتحال بما فى جوفها من الرطوبة يحدّ البصر ويجلو غشاوة العين ويزيل البياض وينفع السبل نفعا عظيما بليغا وإذا بخر المكان بورق الدلب هرب منه الخنافس وإن أخذت خنفساء وطبخت بعصير السمسم وقطر فى الأذن منه فإنه نافع من جميع أوجاع الأذن وإن شدخت خنفساء وربطت على لسعة العقرب أبرأتها وإن أحرقت وذر رمادها على القرحة أبرأتها ومن أكل الخنفساء ولم يشعر بها حتى دخلت إلى جوفه وهى حية قتلته من وقته (التعبير) الخنفساء فى المنام تدل رؤيتها على موت النفساء ورؤية الذكر تدل على رجل يخدم الأشرار وربما دلت رؤيته على عدو قذر بغيض والله أعلم .

﴿الخنوص﴾ بكسر الخاء وتشديد النون ولد الخنزير والجمع الخنانيص قال الأخطل يخاطب بشر بن مروان بقوله :

أكلت الدجاج فأفنيتها * فهل فى الخنانيص من مغمز

ويروى أكلت القطاة قاله ابن سيده (وحكمه وتعبيره) كالخنزير (الخواص) مرارته تحلل الأورام اليابسة وإذا خلطت بعسل وطلى بها أحليل الرجل هيج الباه بشهوة عظيمة وشحمه المذاب إذا مسح به أصل شجر الرمان الحامض أبدله حلوا .

﴿الخيتعور﴾ الذئب لأنه لا عهد له وقيل الخيتعور الغول والياء فيه زائدة وفى الحديث ذاك أزب العقبة يقال له الخيتعور يريد به شيطان العقبة فجعل الخيتعور اسما له وقيل الخيتعور كل شىء يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة ولا يكون له حقيقة كالسراب قال الشاعر :

كل أنثى وإن بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

وقيل الخيتعور دويبة تكون فى وجه الماء لا تثبت فى موضع إلا دنت وقيل الخيتعور الذى ينزل فى الهواء أبيض كالخيط أو كنسج العنكبوت وقيل الخيتعور الدنيا الذاهبة والله أعلم .

﴿الخيدع﴾ والخيطل السنور وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب السين .

﴿الأخيل﴾ طائر اخضر على جناحيه لمع تخالف لونه سمى بذلك للخيلان وقيل الاخيل الشقراق وهو مشؤم ولفظه ينصرف فى النكرة إذا سميت به ومنهم من لايصرفه فى معرفة ولا نكرة ويجعله فى الأصل صفة من التخيل ويحتج بقول حسان رضى الله تعالى عنه :

ذرينى وعلمى بالأمور وشيمتى * فما طائرى فيها عليك بأخيلا

﴿الخيل﴾ جماعة الأفراس لاواحده له من لفظه كالقوم والرهط والنفر وقيل مفرده خائل قاله أبو عبيدة وهى مؤنثة والجمع خيول وقال السجستانى تصغيرها خييل وسميت الخيل خيلا لاختيالها فى المشية فهو على هذا اسم للجمع عند سيبويه وجمع عند أبى الحسن ويكفى فى شرف الخيل أن الله تعالى أقسم بها فى كتابه فقال والعاديات ضبحا وهى خيل الغزو التى تعدو فتضبح أى تصوت بأجوافها وفى الصحيح عن جرير بن عبيدالله رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يلوى ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة ومعنى عقد الخير بنواصيها أنه ملازم لها كأنه معقود فيها والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة قاله الخطابى وغيره قالوا وكنى بالناصية عن جمع ذات الفرس كما يقال فلان مبارك الناصية وميمون الغرة أى الذات وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا أو لسنا إخوانك يارسول الله قال ﷺ بل أنتم أصحاب إخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله قال ﷺ أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرانى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وأنا فرطهم على الحوض وفى رواية البيهقى إن أمتى يأتون يوم القيامة غرا من السجود محجلين من الوضوء ولا يكون ذلك لأحد من الأمم غيرهم ورى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يكره الشكال من الخيل والشكال أن يكون الفرس فى رجله اليمنى بياض وفى يده اليسرى بياض أو فى يده اليمنى ورجله اليسرى وكذا وقع تفسيره فى صحيح مسلم وهذا أحد الأقوال فى الشكال وقال أبو عبيدة وجمهور أهل اللغة والغريب هو أن يكون منه ثلاث قوائم محجلة وواحدة مطلقة تشبيها بالشكال الذى يشكل به الخيل فإنه يكون فى ثلاث قوائم غالبا وقال أبو عبيدة وقد يكون الشكال ثلاث قوائم مطلقة وواحدة محجلة قال ولا تكون المطلقة أو المحجلة إلا فى الرجل وقال ابن دريد هو أن يكون محجلا فى شق واحد فى يده ورجله فإن كان مخالفا قيل شكال مخالف وقيل الشكال بياض اليدين وقيل بياض الرجلين قال العلماء إنما كرهه ﷺ لأنه على صورة المشكول وقيل يحتمل أن يكون جرب ذلك الجنس فلم يكن فيه نجابة وقال بعض العلماء فإذا كان مع ذلك أغر زالت الكراهة لزوال شبهه بالشكال وقال ابن رشيق فى عمدته فى باب منافع الشعر ومضاره إن أبا الطيب المتنبى لما ذهب إلى بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى وأجزل جائزته رجع من عنده قاصدا بغداد وكان معه جماعة فخرج عليهم قطاع الطريق بالقرب من بغداد فلما رأى الغلبة فرهاربا فقال له غلامه لايتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى * والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا وقاتل حتى قتل فكان سبب قتله هذا البيت وذلك فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وما أحسن قول أبى سليمان الخطابى فى مدح العزلة والانفراد وإن لم يكن له تعلق بهذا المعنى.

البتة فسأل أباه أن يجرى له ساقية من المطرية فأذن له ففعل ذلك فنجح وليس فى جميع المعروف من السنة ينبع منها ماء يرتفع على وجه الأرض مقدار ما يريد رحى ويجرى وينتفع به فى سقى الزروع ثم يغور

(بئر الكلب الكلب) بقرية من قرى أعمال حلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكلب برأ وأنها مشهورة قال بعض أهل القرية إذا لم يجاوز المكلوب أربعين يوما وشرب منها برئ أما إذا جاوز الأربعين مات إن شرب وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين فشربوا فسلم اثنان وكانا لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين

وهذه بئر منها يشرب أهل الضيعة (بئر المطرية) فى قرية من قرى مصر عليها شجر البلسان ويسقى من هذا البئر والخاصية فى البئر يقال إن المسيح عليه الصلاة والسلام اغتسل فيها والأرض التى تنبت هذا الشجر نحو مد البصر فى مثله محوط عليه وماء هذا البئر عذب فيه دهنية لطيفة وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع فيه شيئا من شجر البلسان فأذن له فغرم غرامات كثيرة وزرعها فلم ينجح شيئا ولا خلص منه دهن

أنست بوحدتى ولزمت بيتى * فدام الأنس لى ودام السرور * وأدبنى الزمان فلا أبالى
هجرت فلا أزار ولا أزور * ولست بسائل مادمت حيا * أسار الخيل أم ركب الأمير
﴿فائدة﴾ ذكر ابن خلكان فى تاريخه أن شخصا سأل المتنبئ عن قوله : بادر هواك صبرت
أم لم تصبرا * كيف يثبت الألف فى تصبرا مع وجود لم الجازمة ومن حقه أن يقول لم تصبر
فقال أبو الطيب المتنبئ لو كان أبو الفتح بن جنى ههنا لأجابك هذه الألف هى بدل النون
الساكنة لأنه كان فى الأصل لم تصبرن ونون التوكيد الخفيفة إذا وقف الإنسان عليها أبدل
منها ألفا قال الأعشى : ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا * كان الأصل فاعبدن فلما وقف عليها
أتى بألف بدلا من النون ومراده بأبى الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى المشهور وكان
ابن جنى قد قرأ على أبى على الفارسى وفارقه وقعد للإقراء بالموصل فمر به شيخه أبو على يوما
فرآه فى حلقته فقال له زببت وأنت حصرم فترك حلقته وتبعه ولم يزل ملازما له حتى مهر
وأبوه جنى مملوك رومى وله أشعار حسنة وكان أعور بعين واحدة وفى ذلك يقول :
صدودك عنى ولا ذنب لى * يدل على نية فاسدة * فقد وحياتك مما بكيت
خشيت على عينى الواحده * ولولا مخافة أن لا أراك * لما كان فى تركها فائده
وله تصانيف مفيدة وشرح ديوان المتنبئ ولذلك أشار إليه المتنبئ كما تقدم وكانت وفاة ابن
جنى فى صفر ببغداد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وفى سنن النسائى من حديث سلمة بن نفيل
السكونى أن النبى ﷺ نهى عن إزلة الخيل وهو امتهانها فى الحمل عليها واستعمالها وأنشد
أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد لابن عباس رضى الله تعالى عنهما :
أحبوا الخيل واصطبروا عليها * فإن العز فيها والجمالا * إذا ما الخيل ضيعها أناس
ربطناها فأشركت العيالا * نقاسمها المعيشة كل يوم * ونكسوها البراقع والجلالا
﴿فائدة﴾ رأيت فى تاريخ نيسابور للحاكم أبى عبد الله فى ترجمة أبى جعفر الحسن بن محمد
ابن جعفر الزاهد العابد أنه روى بإسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب إنى خالق
منك خلقا أجعله عزا لأوليائى ومذلة لأعدائى وجمالا لأهل طاعتى فقالت الريح اخلق
يارب فقبض منها قبضة فخلق منها فرسا وقال جل وعلا خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا
بنواصيك والغنائم محتازة على ظهرك وبوأتك سعة من الرزق وأيدتك على غيرك من
الدواب وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلاجناح فأنت للطلب وأنت للهرب وإنى
سأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويهللونى ويكبرونى ثم قال ﷺ ما من
تسبيحة وتهليلة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعه الملائكة إلا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت
الملائكة بخلق الفرس قالت يارب نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك ونهللك ونكبرك
فماذا لنا فخلق الله تعالى لها خيلا لها أعناق كأعناق البخت يمد بها من شاء من أنبيائه ورسله
قال فلما استوت قوائم الفرس فى الأرض قال الله تعالى له إنى أذل بصهيلك المشركين وأملأ
منه آذانهم وأذل به أعناقهم وأرعب به قلوبهم قال فلما أن عرض الله تعالى على آدم كل
شىء مما خلق قال له اختر من خلقى ماشئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز
ولدك خالدا ماخلدوا وباقيا مابقوا أبد الآبدين ودهر الداهرين وهو فى شفاء الصدور عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بغير هذا اللفظ ولفظه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما أراد

معادن الفيروزج كان يوجد فيها القطع الجيدة فظهر فيها العقارب القتالة فامتنع الناس عنها بسبب ذلك الشىء (بئر هنديان) هنديان ضيعة بفارس بها بئر يخرج منها دخان يعلو لا يتهيأ لأحد أن يقربها وإذا طار طائر فوقها سقط محترقا (بئر يوسف الصديق) ﷺ وعلى جميع الأنبياء التى ألقاه فيها إخوته وهى بالأردن على أربعة فراسخ من طبرية مما يلى دمشق قال الاصطخرى وغيره كان منزل يعقوب عليه السلام بين نابلس وبين قرية يقال لها سخل ولم تزل هذه البئر مزارا للناس يتبركون بها ويشربون من مائها وليكن هذا آخر الكلام فى الأنهار والعيون والآبار والله الموفق للصواب (ثم يتصدى النظر فى الكائنات وهى الأجسام المتولدة من الأمهات) فنقول الأجسام المتولدة من الأمهات إما أن تكون نامية أو لم تكن فهى المعدنيات وإن كانت نامية فإما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لم تكن فإن لم تكن فهى النبات وإن كانت فهى الحيوانات زعموا أن أول مايستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات

الله أن يخلق الخيل أوحى إلى ريح الجنوب إنى خالق منك خلقا فاجتمعى فاجتمعت فأتى جبريل عليه السلام فقبض منها قبضة ثم قال الله عز وجل له هذه قبضتى ثم خلق منها فرسا كميتا وقال الله عز وجل خلقتك فرسا وجعلتك عربيا وفضلتك على سائر ما خلقت من البهائم بسعة الرزق والغنائم تقاد على ظهرك والخير معقود بناصيتك ثم أرسله فصهل فقال جل وعلا يا كميت بصهيلك أرهب المشركين وأملأ مسامعهم وأزلزل أقدامهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما خلق الله تعالى آدم قال يا آدم اختر أى الدابتين أحببت يعنى الفرس أو البراق وهو على صورة البغل لا ذكر ولا أنثى فقال ياجبريل اخترت أحسنهما وجها وهو الفرس فقال الله تعالى له يا آدم اخترت عزك وعز أولادك باقيا ما بقوا وخالدا ما خلدوا وفيه أيضا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه أن النبى ﷺ قال إن فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بلجم من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوتها مد بصرها يركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين أسفل منهم درجة يا ربنا بم بلغ عبادك هذه الكرامة كلها فيقول بأنهم كانوا يقومون الليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون النهار وكنتم تأكلون وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون ثم يجعل الله فى قلوبهم الرضا فيرضون وتقر أعينهم ﴿فائدة أخرى﴾ أول من ركب الخيل إسمعيل عليه السلام ولذلك سميت بالعراب وكانت قبل ذلك وحشية كسائر الوحوش فلما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسمعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت قال الله عز وجل إنى معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله إلى إسمعيل أن اخرج فادع بذلك الكنز فخرج إلى أجياد وكان لا يدرى ما الدعاء والكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا أجابته فأمكنته من نواصيها وتذللت له ولذلك قال نبينا ﷺ اركبوا الخيل فإنها ميراث أبيكم إسمعيل وروى النسائى عن أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ لم يكن شىء أحب إليه بعد النساء من الخيل إسناده جيد وروى الثعلبى بإسناده عن النبى ﷺ أنه قال ما من فرس إلا ويؤذن له عند كل فجر بدعوة يدعو بها اللهم من خولنى من بنى آدم وجعلتنى له فاجعلنى أحب أهله وماله إليه وقال ﷺ الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان فأما فرس الرحمن فما اتخذ فى سبيل الله تعالى وقوتل عليه أعداؤه وفرس الإنسان ما استطرق عليه وفرس الشيطان ماروهن عليه وفى طبقات ابن سعد بسنده عن قريب المليكى أن النبى ﷺ سئل عن قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا يحزنون من هم فقال ﷺ هم أصحاب الخيل ثم قال ﷺ إن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها وأبوالها وأرواثها يوم القيامة كذكى المسك عريب بضم العين المهملة وروى الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ سابق بين الخيل التى ضمرت وكان أمدها من الحفياء إلى ثنية الوداع وسابق بين الخيل التى لم تضمر من الثنية إلى مسجد بنى زريق وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فيمن أجرى وروى شيخ الإسلام الحافظ الذهبى فى آخر طبقات الحفاظ عن شيخه الحافظ شرف الدين الدمياطى بإسناده إلى أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا تحضر الملائكة من اللهو شيئا إلا ثلاثة لهو الرجل مع امرأته وإجراء الخيل والنضال وروى الترمذى فى صفة أهل الجنة بإسناد ضعيف عن واصل بن السائب عن أبى سودة عن أبى أيوب الأنصارى رضى

باطن الأرض من مياه الأمطار ويختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ وتنضجها الحرارة المستبطنة فى عمق الأرض فتصيرها مادة للنبات والمعادن والحيوان وأنها متصلة بعضها ببعض بترتيب عجيب ونظام بديع تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (فأول) مراتب هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة فإن المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات والنبات متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان والنفوس إنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية والله تعالى أعلم بالصواب

(النظر الأول فى المعدنيات)

هى أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض إذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة فى الكم والكيف وهى إما قوية التركيب أو ضعيفة التركيب وقوية التركيب إما أن تكون متطرقة أو لم تكن متطرقة وهى الأجساد السبعة أعنى الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والأسرب والخارصين

والتى لا تكون متطرقة فقد تكون فى غاية

اللين كالزئبق وقد تكون فى غاية الصلابة كالياقوت والتى تكون فى غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات وهى الأجسام الذهبية كالزرنيخ والكبريت والأجساد السبعة إنما تتولد من اختلاط الزئبق بالكبريت على اختلاف فى الكم والكيف والزئبق يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية والكبريت يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية نضجتها حرارة قوية حتى صار مثل الدهن وأما الأجسام الصلبة الشفافة تتولد من مياه عذبة وقعت فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا حتى غلظ وصفا وأنضجته حرارة المعدن بطول وقوفها وأما غير الشفافة فمن امتزاج الماء بالطين إذا كانت فيه لزوجة وأثرت فيه حرارة الشمس بمدة طويلة وأما الأجسام التى تنحل بالرطوبات فمن ماء مختلط بأجزاء أرضية محترقة يابسة اختلاطا شديدا وأما الأجسام الدهنية فمن الرطوبات المختلفة فى باطن الأرض إذا احتوت عليها حرارة المعدن تحللت ولطفت واختلطت بتربة القاع وحرارة المعدن دائما فى نضجها وطبخها حتى تزداد غلظا وصار مثل الدهن وسيأتى الكلام فى تولد كل واحد منهما إن شاء الله تعالى

الله تعالى عنه قال جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال إنى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل فقال ﷺ إن دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة لها جناحان فتحمل عليها فتطير بك فى الجنة حيث شئت وفى معجم ابن قانع أن هذا الأعرابى اسمه عبد الرحمن بن ساعدة الأنصارى وكذلك ذكره الدينورى فى أوائل المجالسة وذكر ابن عدى بهذا الإسناد الضعيف أن النبى ﷺ قال إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت وليس فى الجنة من البهائم إلا الإبل والطير ﴿فائدة أخرى﴾ خيل السباق عشرة ذكرها الرافعى وغيره وحذفها من الروضة وهى مجل ومصل وتالى وبارع ومرتاح وحظى وعاطف ومؤمل والسكيت والفسكل وإلى ذلك أشرت فى المنظومة بقولى:

مهمة خيل السباق عشره * فى الشرح دون الروضة المعتبره * وهى مجل ومصل تالى
والبارع المرتاح بالتوالى * ثم حظى عاطف مؤمل * ثم السكيت والأخير الفسكل

﴿فائدة أخرى﴾ قال السهيلى فى التعريف والأعلام وأما خيل رسول الله ﷺ فأسماؤها السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل والسكب أيضا شقائق النعمان والمرتجز سمى بذلك لحسن صهيله واللحيف كأنه يلحف الأرض لجريه ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكر البخارى فى جامعه واللزاز ومعناه أنه ما سابق شيئا إلا لزه أى أثبته وملاوح والضرس والورد وهبه لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فحمل عليه عمر فى سبيل الله تعالى وهو الذى وجده يبتاع برخص انتهى ﴿فائدة أخرى﴾ روى ابن السنى وأبو القاسم الطبرانى عن أبان بن أبى عياش والمستغفرى أيضا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كتب عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف أن انظر أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ فأذن مجلسه وأحسن جائزته وأكرمه قال فأتيته فقال لى يا أبا حمزة إنى أريد أن أعرض عليك خيلى فتعلمنى أين هى من الخيل التى كانت مع رسول الله ﷺ فعرضها فقلت شتان ما بينهما تلك كانت أرواثها وأبوالها وأعلافها أجرا وهذه هيئت للرياء والسمعة فقال الحجاج لولا كتاب أمير المؤمنين فيك لضربت الذى فيه عيناك فقلت ما تقدر على ذلك قال ولم قلت لأن رسول الله ﷺ علمنى دعاء أقوله لا أخاف معه من شيطان ولا سلطان ولا سبع فقال يا أبا حمزة علمه ابن أخيك يعنى ابنه محمد بن الحجاج فأبيت عليه فقال لابنه ائت عمك أنسا فلتسأله أن يعلمك ذلك قال أبان فلما حضرته الوفاة دعانى فقال يا أبا أحمد إن لك إلىّ انقطاعا وقد وجبت حرمتك وإنى معلمك الدعاء الذى علمنى رسول الله ﷺ فلا تعلمه من لا يخاف الله أو نحو ذلك وهو هذا الدعاء المبارك الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله على كل شىء أعطانيه ربى بسم الله خير الأسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربى لا أشرك به شيئا أسألك اللهم بخيرك من خيرك الذى لا يعطيه أحد غيرك عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اجعلنى فى عبادك واحفظنى من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك من الشيطان الرجيم اللهم إنى أحترس بك من شر كل ذى شر خلقته وأحترز بك منهم وأقدم بين يدى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد * ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن يسارى مثل ذلك ومن فوقى مثل ذلك ومن تحتى مثل ذلك ﴿مسألة﴾ قال شيخ الإسلام تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى ورد مثال كريم ممن هو حقيق بالتبجيل والتعظيم، يتضمن السؤال عن الخيل هل كانت قبل آدم عليه السلام أو خلقت بعده وهل خلق الذكور قبل الإناث

أو الإباث قبل الذكور وهل العربيات قبل البرادين أو البراذين قبل العربيات وهل ورد فى الحديث أو الأثر أو السير أو الأخبار ما يدل على ذلك ﴿والجواب﴾ أن نختار أن خلق الخيل كان قبل خلق آدم عليه السلام بيومين أو نحوهما أن خلق الذكور قبل الإباث وأن العربيات قبل البراذين أما قولنا إن خلقها كان قبل خلق آدم فلآيات فى القرآن سنذكرها آية آية ونذكر وجه الاستدلال والمعنى فيه وهو أن الرجل الكبير يهيأ له ما يحتاج إليه قبل قدومه وقال تعالى خلق لكم ما فى الأرض جميعا فالأرض وكل ما فيها مخلوق لآدم وذريته إكراما لهم ومن كمال إكرامهم وجودها قبلهم فجميع ذلك مقدم على خلقه ثم كان خلق آدم بعد ذلك آخر الخلق لأنه وذريته أشرف الخلق ألا يرى أن النبى ﷺ أشرف من الجميع ولذلك كان آخرا لأنه ﷺ تم كمال الوجود وما سوى آدم مما هيئ له حيوان وجماد والحيوان أشرف من الجماد والخيل من أشرف الحيوان غير الآدمى فكيف يؤخر خلقها عنه فهذه الحكمة تقتضى تقديم خلقها مع غيرها من المنافع وإنما قلنا بيومين أو نحوهما لحديث ورد فيه يتضمن أن بث الدواب يوم الخميس والحديث فى الصحيح لكن فيه كلام ولا شك أن خلق آدم عليه السلام كان يوم الجمعة والحديث المذكور يتضمن أنه بعد العصر فلذلك قلنا إنه بيومين أو نحوهما على التقريب وأما التقدم فلا يتردد فيه والمعنى فيه قد ذكرناه وأما الآيات التى تدل له فمنها قوله تعالى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ووجه الاستدلال أن الآية الكريمة اقتضت خلق ما فى الأرض جميعا قبل تسوية الرحمن السماء ومن جملة ما فى الأرض الخيل فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء عملا بالآية ودلالة ثم على الترتيب وتسوية السماء قبل خلق آدم عليه السلام لأن تسوية السماء كانت فى جملة الأيام الستة لقوله تعالى رفع سمكها فسواها إلى قوله جل وعلا والأرض بعد ذلك دحاها ودلالة الحديث الصحيح المجمع عليه على أن خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة بعد كمال المخلوقات أما آخر الأيام الستة إن قلنا إن ابتداء الخلق يوم الأحد كما يقوله المؤرخون وأهل الكتاب وهو المشهور عند أكثر الناس وأما فى اليوم السابع فهو خارج عن الأيام الستة كما يقتضيه الحديث الذى أشرنا إليه فيما سبق الذى فى صحيح مسلم الذى صدره أن الله تعالى خلق التربة يوم السبت وإن كان فيه كلام وأما تأخر خلق آدم عليه السلام فلا كلام فيه فثبت بهذا أن خلق الخيل قبل خلق آدم عليه السلام وهى من جملة المخلوقات فى الأيام الستة لا كما يقوله بعض الجهلة الكفرة ويروى فيه أحاديث موضوعة لا تصدر إلا عن أسخف المجانين لا حاجة بنا إلى ذكرها ومن الآيات قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ووجه الاستدلال بهذه الآية أن الأسماء كلها إما أن يراد بها نفس الأسماء أو صفات المسميات ومنافعها وعلى كلا التقديرين المسميات موجودة فى ذلك الوقت للإشارة إليها بقوله هؤلاء ومن جملة المسميات الخيل فلتكن موجودة حينئذ والأسماء عام بالألف واللام مؤكدة بقوله تعالى كلها فتقوى العموم فيه والمسميات لا بد من إرادتها بقوله تعالى ثم عرضهم وقوله تعالى بأسمائهم فهذا دليل قاطع فى ذلك والعموم شامل للخيل فمن رأى دلالة العموم قطعية يقطع بدخولها ومن لا يرى ذلك يستدل به فيه كما يستدل بسائر الأدلة الشرعية ومن الآيات قوله تعالى فى سورة الم تنزيل الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على

يكون إلا فى جوف الجبال والأحجار المختلطة بالتراب الندى والكباريت لا تتكون إلا فى الأراضى الندية والتراب الندى والرطوبات الدهنية والأملاح لا تنعقد إلا فى الأراضى السبخة والأسفيداج لا تنعقد إلا فى الأرض الرملية المختلط ترابها بالجص والزاجات والشبوب لا تتكون إلا فى التراب العفص النشف وعلى هذا القياس حكم أنواع الجواهر كل واحد منها مختص ببقعة من البقاع وتولدها فيها من خاصية تلك البقعة وهى مع كثرة أفرادها داخلة تحت ثلاثة أنواع الفلزات والأحجار والأجسام الذهبية فلنتكلم فيها إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق

(النوع الأول الفلزات)

وهى الأجساد السبعة زعموا أن تولدها من اختلاط الزئبق والكبريت فإن كان الزئبق والكبريت صافيين واختلطا اختلاطا تاما وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما تشرب الأرض نداوة الماء وكان فيه قوة صباغة ومقدارهما متناسبين وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدال ولم يعرض لهما عارض من البرد واليبس قبل انضاجهما انعقد ذلك

وأطبخا أطباخا تاما وكان الكبريت مع ذلك أبيض تولدت منه الفضة وإن أصابه قبل النضج برد عاقد تولد

الخارصيني وإن كان الزئبق صافيا والكبريت رديئا وفيه قوة محرقة تولد النحاس وإن كان الكبريت غير جيد المخالطة مع الزئبق تولد الرصاص وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكان الزئبق متحللا أرضيا والكبريت رديئا تولد الحديد وإن كان الزئبق والكبريت رديئين وكانا مع رداءتهما ضعيفي التركيب تولد الأسرب فبسبب هذا الاختلاف اختلف أنواع الجواهر المعدنية وهي العوارض التي تعرض لها من كمية الكبريت والزئبق وكيفيتهما والذي يدل على هذه الأشياء كلها تجربة أهل الصناعة ولنذكر بعض عجائبها وخواصها العجيبة إن شاء الله تعالى (الذهب) طبعها حار لطيف ولشدة اختلاط أجزائها المائية بأجزائها النارية لا تحترق بالنار لأن النار لا تقدر على تفريق أجزائها ولا تبلى بالتراب ولا يصدى على طول الزمان وهي لينة صفراء براقة حلوة الطعم طيبة الرائحة ثقيل رزين جدا فصفرة لونها من ناريتها ولينها من دهنيتها وبريقها من صفاء لونها ورزانتها من ترابيتها وهي أشرف نعم الله تعالى على.

العرش وجه الاستدلال اقتضاؤها حال ما بينهما في الستة وقد علمنا إن خلق آدم عليه السلام خارج عن الأيام الستة بعدها أو حاصل في آخرها بعد خلق غيره كما سبق ومن الآيات قوله تعالى في سورة ق ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب وجه الاستدلال بها ما قدمناه فيما قبلها فهذه أربع آيات تدل على ذلك فيها كفاية وقد جاء عن وهب بن منبه في الإسرائيليات أن الخيل خلقت من ريح الجنوب وذلك لا ينافي ما قلناه ولا نلتزم صحته لأنا لا نصحح إلا ما صح لنا عن الله تعالى ورسوله ﷺ وقد جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الخيل كانت وحوشا وأن الله تعالى ذللها لإسماعيل عليه الصلاة والسلام وذلك لا ينافي ما قدمناه فقد تكون مخلوقة من قبل آدم عليه السلام واستمرت على وحشيتها إلى عهد إسماعيل عليه السلام أو كانت تركب في وقت ثم توحشت ثم ذللت لإسماعيل عليه السلام وليس في ذلك عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة دليل فالمعتمد ما قلناه من دلالة القرآن والذي قيل من أن إسماعيل عليه السلام أول من ركبها أمر مشهور ولكن إسناده ليس صحيحا حتى نلتزمه وقد قلنا إنا لا نلتزم إلا ما صح عن الله تعالى ورسوله ﷺ وفي تفسير القرطبي من رواية الترمذي الحكيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أذن الله تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام برفع القواعد قال الله تبارك وتعالى إني معطيكما كنزا ادخرته لكما ثم أوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام أن اخرج إلى أجياد فادع يأتيك الكنز فخرج إلى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فألهمه الله تعالى الدعاء فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب إلا جاءته وأمكنته من ناصيتها وذللها الله تعالى له ولو ذكرنا ما قال الناس في ذلك وشرحناه بطوله لطال فقد تكلم الناس في ذلك كثيرا وذكروا من خواص الخيل ومنافعها شيئا كثيرا ليس ذلك كله مما نلتزم صحته ومطالبة القاصد بسرعة الجواب في أسرع وقت تقتضي الاقتصار على ما قلناه وفيه كفاية وأما قولنا إن خلق الذكور قبل الإناث فلأمرين أحدهما شرف الذكر على الأنثى والثاني حرارته وإن كان الاثنان من جنس واحد من مزاج واحد فأحدهما أكثر حرارة من الآخر فقد جرت عادة القدرة الإلهية بتكوين أقواهما حرارة قبل الآخر والذكر أقوى حرارة من الأنثى فناسب أن يكون وجوده أسبق ولتحصل المنة به أكثر ولذلك كان خلق آدم عليه السلام قبل خلق حواء ولأن أعظم ما يقصد له الخيل الجهاد والذكر في الجهاد خير من الأنثى لأن الذكر أجرى وأجرأ أعني أشد جريا وأقوى جراءة ويقاتل مع راكبه والأنثى بخلاف ذلك وقد تقطع بصاحبها أحوج ما يكون إليها إذا كانت ويقاورأت فحلا ولا يرد على ذلك ركوب جبريل عليه السلام أنثى لما جاز البحر بموسى عليه السلام لأن ذلك لركوب فرعون فحلا فقصد طلبه للأنثى وعجز فرعون عن إمساك رأسه وأما قولنا إن العربيات قبل البراذين فلما ذكر من حديث إسماعيل عليه السلام ولأن العربيات أشرف وأصل والبرذون إنما يكون بعارض أو علة إما فيه وإما في أبيه أو أمه ولم تكن البراذين تذكر فيما خلا من الزمان ألا ترى إلى قصة إسماعيل عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام وإنما البراذين ما انتحس من الخيل حتى اختلف العلماء هل يسهم له كما يسهم للفرس العربي أولا وفي حديث من مراسيل مكحول في بعض ألفاظه للفرس سهمان وللهجين سهم فهذه الرواية تقتضي أن الهجين لا يسمى فرسا والهجين هو البرذون أو قريب منه وبالجملة البراذين حثالة الخيل وما كان الله تعالى ليخلق من الجنس حثالة في الأول وأما الأحاديث النبوية والآثار الصحيحة فإن ما جاء منها في فضيلة الخيل وسباقها وشياتها وفضيلة اتخاذها وبركتها والنفقة عليها وخدمتها ومسح نواصيها والتماس نسلها وثمنها ونمائها والنهي عن خصائها وجز نواصيها وأذنابها وإزالتها وفيما يقسم لها ولصاحبها من الغنيمة واختلاف العلماء فيه وهل تجب فيها زكاة أولا

وغير ذلك أضربنا عنه للعجلة * وهذه نبذة يسيرة كتبتها على سبيل العجلة فى ساعة من النهار لعجلة المطالب بها وإن اخترتم كتبت فيها كتابا مستقلا إن شاء الله تعالى (الحكم) أكل لحوم الخيل يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى لفظ الفرس وذكر الصيمرى فى شرح الكفاية أنه لا يجوز بيعها لأهل الحرب كالسلاح ويكره أن تقلد الأوتار لما روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن أبى بشير الأنصارى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ نهى عن ذلك قال الخطابى وأمره ﷺ بقطع قلائد الخيل قال مالك أراه من أجل العين وقال غيره إنما أمر بقطعها لأنهم كانوا يعلقون فيها الأجراس وقال آخرون لئلا تختنق بها عند شدة الركض ويحتمل أن يكون أراد عين الوتر خاصة دون غيره من السيور والخيوط وقيل معناه لا تطلبوا عليها الأوتار والدخول ولا تركضوها فى درك الثار على ما كان من عاداتهم فى الجاهلية والسبق فيها معتبر بالأعناق وفى الإبل بالأكتاف لأن الإبل ترفع أعناقها فى العدو فلا يمكن اعتبار مدها والخيل تمدها والمراد إذا استوت أعناقها فى الطول والقصر والارتفاع لقوله ﷺ بعثت أنا والساعة كفرسى رهان كاد أحدهما أن يسبق الآخر بإذنه وفى المستدرك وسنن أبى داود وابن ماجه ومسند أحمد من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال من أدخل فرسا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فليس بقمار ومن أدخل فرسا بين فرسين وقد أمن أن يسبق فهو قمار والصحيح أن الذى يمنع من ركوبها لقوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فأمر أولياءه بإعدادها لأعدائه ولأن ظهورها عزّ وهم ضربت عليهم الذلة وفى وجه أنهم لا يمنعون وينسب لأبى حنيفة مثله وقال الشيخ أبو محمد الجوينى يمنعون من الشريفة دون البراذين الخسيسة وألحق الإمام الغزالى البغال النفيسة بالخيل وجزم به الفورانى ولم يقيده بالنفيسة ولا زكاة فى الخيل عند الجمهور لقوله ﷺ ليس على المسلم فى عبده ولا فرسه صدقة متفق عليه وأوجبها أبو حنيفة فى إناثها المنفردة أو المجتمعة مع الذكور فعند ذلك صاحبها بالخيار إن شاء أعطى عن كل فرس دينارا وإن شاء قومها وأعطى من كل مائتى درهم خمسة دراهم وإن كانت ذكورا منفردة فلا شىء فيها (الأمثال) قالوا الخيل ميامين أى مباركات وقالوا الخيل أعلم بفرسانها يضرب للرجل يظن أن عنده غناء ولا غناء عنده ومن كلمات النبى ﷺ التى لم يسبق إليها قوله «يا خيل الله اركبى» قالها يوم حنين فى حديث أخرجه مسلم وهو على حذف مضاف أراد ﷺ يا فرسان خيل الله اركبى وهو من أحسن المجازات كقوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عن يونس بن حبيب أنه قال لم يبلغنا من بدائع الكلام ما بلغنا عن النبى ﷺ وغلط فى هذا الحديث ونسب إلى التصحيف وإنما قال القائل ما بلغنا عن البتى يريد عثمان البتى فصحف الجاحظ قالوا والنبى ﷺ أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء حتى يقال ما بلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره كلامه أجل من ذلك وأعلى ﷺ (الخواص) الخيل إذا سقيت الزرنيخ الأحمر قتلها وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى باب الفاء فى لفظ الفرس ويأتى طرف من خواصه (التعبير) الخيل فى المنام قوة وزينة وعزّ وهى أشرف ما ركب من الدواب فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزا وربما دل ذلك على اتساع حاله وإدرار رزقه وانتصاره على أعدائه لقوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وربما ظفر بعدوه لقوله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ومن رأى خيلا تتطاير فى الهواء فإنها فتنة ولا خير فى ركوب الخيل فى غير محل الركوب كالسطح

النقدين يباع بهما كل شىء ويشترى بهما كل شىء لرواجهما بخلاف سائر الأموال فإنها لا يرغب فيها كل أحد رغبته فى النقود فإنهما كالقاضيين يقضيان حاجة كل من لفهما ولذلك قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم لأن المقصود منهما تداولهما بين الناس لقضاء حوائجهم فمن كنزهما فقد أبطل الحكمة التى خلقها الله تعالى كمن حبس قاضى البلد ومنعه أن يقضى حوائج الناس ومن خواصها ما ذكر ارسطاطاليس إنها تقوى القلب وتدفع الصرع إن علقت على إنسان ويمنع الفزع وإن اتخذ من الذهب ميلا وأديم التكحل به وإدخاله فى العين جلا العين وحسن النظر وقواه وإن ثقب الآذان بإبرة من الذهب لم تلتحم وإذا كوى بالذهب لم يتنفط موضعه ويبرأ سريعا وقال الشيخ الرئيس إمساك الذهب فى الفم يزيل البخر والذهب يقوى العين كحلا وينفع من أوجاع القلب والخفقان وحديث النفس (الفضة) أقرب الفلزات إلى الذهب ولولا برد أصابها قبل النضج لكادت تكون ذهبا وهى تحترق

بالنار إذا داوم عليها وتبلى رائحة الرصاص والزئبق تكسرت عند الطرق فإذا أصابها رائحة الكبريت أسودت وإن طرح الكبريت على مذابها احترقت واسودت وتكسرت كالزجاج وإذا ألقى عليها شيء من البورق ردها إلى حالها لكن ينقص منها شيء كثير والأسرب والقلي يعيبانها ولكن لا كتعييب الذهب ومن خواصها تقطيع الرطوبات اللزجة إذا خالطت سحالتها بالأدوية المشروبة وتنفع من البخر إذا أمسكها في الفم وتنفع للحكة والجرب وعسر البول وتدخل في أدوية الخفقان جدا وتنفع مع الزئبق للبواسير طلاء والله تعالى أعلم (النحاس) قريب من الفضة والفرق بينهما حمرة اللون واليبس وكثرة الوسخ أما الحمرة فمن إفراط الحرارة والكبريتية وأما يبسه ووسخه فلغلظ مادته فمن قدر على تبييضه وتليينه فقد ظفر بحاجته وإذا طلي بالحموضات أخرج الزنجار وإن اتخذ منه إبرة وسقيت دما وثقب بها شحمة الأذن لم تلتحم منه ومن اتخذ منه آنية لطعامه أو شرابه يتولد فيه أمراض لا دواء لها (الحديد) تولده كتولد سائر الأجساد وقد مضى ذكرها

والحائط ونحوهما وخيل البريد في الرؤيا قرب اجل من ركبها وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمة الكلام في باب الفاء في لفظ الفرس كما وعدنا والله أعلم (وما جرب) لمغل الخيل والدواب أن يكتب على الحوافر الأربع بسم الله الرحمن الرحيم فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت عجفون عجفون عجفون شاشيك شاشيك شاشيك وأيضا يكتب لحمر الخيل والدواب ويعلق عليها وقد جرب ولا طلهه هو هو هو رهست هر هر هر هر هر وهو هو هو هو هو ه ه ه ه ه أمها هيا لولوس ردر وبرحفرب ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ﴿أم خنور﴾ على وزن التنور والسفود الضبع وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الضاد المعجمة الكلام عليه والله الموفق للصواب.

## ﴿باب الدال المهملة﴾

﴿الدابة﴾ ما دب من الحيوان كله وقد أخرج بعض الناس منها الطير لقوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ورد بقوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين قال الشيخ تاج الدين بن عطاء رحمه الله تعالى وهذه الآية مصرحة بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله تعالى والثقة به فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولأن الطير يدب على الأرض برجليه في بعض حالاته قال الأعشى:

بنات كغصن البان ترتج إن مشت * دبيب قطا البطحاء في كل منهل

وقال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم وقال عز وجل إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون قال ابن عطية مقصود الآية أن يبين أن هذه الطائفة العاتية من الكفار هي شر الناس عند الله تعالى وأنها في أخس المنازل لديه وعبر بالدواب ليتأكد ذمهم وليفضل الكلاب والخنزير والفواسق الخمس وغيرها عليهم والدواب كل ما دب فهو يجمع الحيوان بجملته (وفي الصحيحين) عن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة فقال مستريح ومستراح منه قالوا يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه فقال صلى الله عليه وسلم العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى والعبد الفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب (وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي) بأسانيد صحيحة عن إبراهيم بن محمد عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة يروى مصيخة ومسيخة بالصاد والسين والأصل الصاد ومعناهما منصتة مستمعة ﴿وفي الحلية﴾ في ترجمة أبي لبابة الأنصاري رضي الله تعالى عنه وهو من أهل الصفة أن النبي ﷺ قال إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله تعالى من يوم الفطر ويوم الأضحى وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة أن تقوم الساعة ﴿وفي صحيح مسلم﴾ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي وقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى المغرب ﴿واعلم﴾ أنه سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء بلا كلفة ونصب ويختار

مايشاء بلا زاة وسبب يخلق مايشاء بلا علاج ويختار مايشاء بلا احتياج يخلق مايشاء علما بربوبيته ويختار مايشاء دلالة على وحدانيته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا (وفى كامل ابن الأثير) أن كسرى كان له خمسون ألف دابة وثلاثة آلاف امرأة ﴿غريبة﴾ فى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة ركن الدولة بن بويه أنه حارب عدوه وضاقت الميرة على الطائفتين حتى ذبحوا دوابهم ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفعل فاستشار وزيره أبا الفضل بن العميد فى الهرب فقال له لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى فانو للمسلمين خيرا وصمم العزم على حسن السيرة والإحسار فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمنا تبعونا وقتلونا وهم أكثر منا فقال قد سبقتك إلى هذا يا أبا الفضل قال أبو الفضل ثم إن ركن الدولة استدعانى فى تلك الليلة فى الثلث الأخير وقال رأيت الساعة فى منامى كأنى على دابتى فيروزوقد انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبى وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عينى فرأيت على الأرض خاتما فأخذته فإذا فصه فيروزج فجعلته فى أصبعى وتبركت به فانتبهت وقد أيقنت بالظفر فإن الفيروزج الفرج جاء ومعناه الظفر ولذلك لقب الدابة فيروز قال ابن العميد فلم أبرح إذ أتانا الخبر والبشارة بأن العدو قد رحل وتركوا خيامهم فما صدقنا حتى تواترت الأخبار فركبنا ولا نعرف سبب هزيمتهم وسرنا حذرين من كيدهم ومكرهم وسرت إلى جانبه وهو على دابته فيروزج فصاح ركن الدولة بغلام بين يديه ناولنى ذلك الخاتم فأخذ خاتما من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله فى أصبعه وقال هذا تأويل رؤياى وهذا هو الخاتم الذى رأيته فى منامى بعينه قال وهذا من أعجب ما يحكى واسم ركن الدولة الحسن أبو على وكان ملكا جليلا مهابا وكان قد ملك أصبهان والرى وهمذان وجميع عراق العجم وقد فتح أكثر البلاد وملكها وقرر قواعدها وضبطها توفى فى المحرم سنة ست وستين وثلثمائة وكان عمره تسعا وتسعين سنة وكانت مدة ملكه أربعا وأربعين سنة ﴿وفى شفاء الصدور﴾ لابن سبع السبتى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شىء يسبح بحمده وقد تقدم عنه حديث فى البهيمة قريب من هذا ﴿وفى كتاب الإحياء﴾ فى باب كسر الشهوتين حديث لا يستدبر الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صانعا أولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التى تزجى سحابا ثم الشمس والقمر والأفلاك وملوك الهواء ودواب الأرض وآخر ذلك الخبازون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها * وروى الإمام أحمد والبيهقى فى الشعب عن محمد بن سيرين قال خرجت دابة تقتل الناس فمن دنا منها قتلته فجاء رجل أعور فقال دعونى وإياها فدنا منها فوضعت رأسها له حتى قتلها فقالوا حدثنا بأمرك فقال ما أصبت ذنبا قط إلا ذنبا واحدا بعينى هذه فأخذت سهما وفقأتها به قال الإمام أحمد ولعل هذا كان جائزا فى شريعة بنى إسرائيل أو فى شريعة من كان قبلنا أما فى شريعتنا فلا يجوز فقء العين التى ينظر بها إلى ما لا يحل له لكن يستغفر الله تعالى من ذلك ولا يعود إليه ﴿وذكر ابن خلكان﴾ فى ترجمة الربيع الجيزى أنه مر يوما بسكة من سكك مصر فطرحت عليه إجانة من رماد فنزل عن دابته ونفض ثيابه فقيل له ألا تزجرهم فقال من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب والربيع بن سليمان هذا صاحب الشافعى وهو أحد رواة القول الجديد عن الشافعى وتوفى سنة خمس ومائتين والجيزى نسبة إلى الجيزة قبالة مصر والأهرام فى عملها بالقرب منها وهى من عجائب أبنية الدنيا والأهرام قبور لملوك عظام أرادوا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم فى حياتهم قيل إن المأمون لما وصل مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد شديد وغرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مراق ومهاو يعسر سلوكها ووجد فى أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع وفى وسطه حوض من صوان مطبق فيه رمة بالية قد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما سواه ونقل أن هرمس الأول وهو أخنوخ وهو

فيه بأس شديد ومنافع للناس فالبأس فى النصول والمنافع فى الآلات حتى قيل ما من صنعة إلا وللحديد فيها أو فى أداتها مدخل ومن خواصه العجيبة ما ذكر ارسطو أن برادة الحديد إذا علقت على إنسان يغط فى نومه يزول عنه ذلك ومن استصحب شيئا من الحديد يقوى قلبه وتزول عنه المخاوف والأفكار الرديئة ويسر فى نفسه ويطرد عنه الأحلام الرديئة ويزيد هيبته فى أعين الناس وصداه يأكل أوساخ العيون اكتحالا وينفع من جرب العين والرمد والسبل ويخفف ثقل الأجفان وينفع كحلا للعين وينفع للقرس وإذا احتمل من صداه نفع للبواسير ومن أخذ مسمارا ويحميه حتى يحمر ثم يدلك بذلك النصل لا يصدأ (الرصاص) قال ارسطو إنه صنف من الفضة لكنه دخل عليه ثلاث آفات رائحة ورخاوة وصريرة فدخلت عليه هذه الآفات فى بطن الأرض كما تدخل على الجنين فى بطن أمه فيفسد ومن خواصه ما ذكره ارسطو أن من اتخذ منه طوقا وطوق به شجرة عند أصلها من

الأرض لم يسقط من ثمرتها شىء ويزيد فيها وإن شد منه صفيحة على الظهر أو البطن سكن الإنعاظ وإن ألقى فى قدر لا ينضج اللحم

والملح ويؤخذ سواده يطلى به والرصاص يطلى بالدهن السيف فإنه لا يصدأ (الأسرب) تولده كالرصاص وهو صنف أردأ منه لأن مادته أكثر وسخا ومن خواصه تكليس الذهب وتكسير الماس ولو وضع الماس على السندال وضرب بالمطرقة دخل إما فى السندال أو فى المطرقة ولو وضع على الأسرب تكسر بأدنى ضربة ويكون جميع أقطاعه مثلثا وقال الرئيس ابن سينا تؤخذ منه صفيحة وتشد على الخنازير والغدد تذيبها وقال بلبيناس فى كتاب الخواص من اتخذ منه صفيحة وزنها ثمانية وعشرون درهما وشدها على بطن إنسان بطلت شهوته (الخارصينى) تولده كتولد الأجساد المذكورة معدنه بأرض الصين ولونه أسود يضرب إلى الحمرة نصله شديد الضرب جدا ويتخذ منه الكلاليب يصاد بها الحوت الكبير لأنها إذا انتشبت بشىء لا ينفصل منه إلا بالشدة ويتخذ منه المرآة ينظر فيها صاحب اللقوة فى بيت مظلم فإنه أنفع دواء لهذا المرض ويتخذ منه منقاش ينتف به الشعر ويدهن موضعه مرارا يفعل ذلك فإن الشعر لا ينبت

(النوع الثانى فى الأحجار) وهى أجسام تتولد

إدريس استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام ويقال إنه ابتناها فى مدة ستة أشهر وكتب فيها قبل لمن يأتى بعدنا يهدمها فى ستمائة عام والهدم أيسر من البنيان وكسوناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج وقال الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب سلوة الأحزان ومن عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع من رخام ومرمر وفيها مكتوب أنا بنيتها بملكى فمن ادعى قوة فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء قال ابن المنادى بلغنا أنهم قدروا خراج الدنيا مرارا فإذا هو لا يقوم بهدمها والله أعلم ﴿وفى صحيح مسلم وغيره﴾ عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له وفى رواية ساحر فقال الساحر إنى قد كبرت وأخاف أن أموت فينقطع عنكم علمى ولا يكون فيكم من يعلمه فانظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمى هذا فنظروا له غلاما على ما وصف وأمروه أن يحضر ذلك الساحر وأن يختلف إليه فجعل يختلف إليه وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال إنما أنا عبد الله فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ على الساحر فأرسل إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرنى فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما الغلام على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة وقد حبست الناس فقال اليوم يبين أمر الراهب من أمر الساحر فأخذ حجرا وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ثم رمى بالحجر فقتلها فقال الناس من قتلها فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد قال فسمع به أعمى كان جليسا للملك فقال له إن رددت إلى بصرى فلك كذا وكذا فقال له لا أريد منك شيئا ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذى رده قال نعم فدعا الله تعالى فرد عليه بصره فآمن الأعمى وأتى جاء إلى الملك بعد ما شفى فجلس معه كما كان يجلس فقال له من رد عليك بصرك قال ربى قال وهل لك رب غيرى قال الله ربى وربك فأمر بالمنشار فوضع على رأسه حتى وقع شقاه وفى رواية الترمذى أن تلك الدابة كانت أسدا وأن الغلام لما قتلها أخبر الراهب فقال له إن لك لشأنا وإنك تبتلى فلا تدل على وأن الملك بلغه أمرهم فبعث إليهم فأتى بهم إليه فقال لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه ثم أمر بالراهب وبالرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق كل واحد منهما فقتله ثم قتل المقعد بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه فانطلقوا به إلى ذلك الجبل فلما انتهوا به إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه قال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام قال فرجع الغلام يمشى حتى أتى الملك فقال له ما فعل أصحابك قال كفانيهم ربى بما شاء فأمر الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه فانطلقوا به إلى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فأغرق الله عز وجل الذين كانوا معه وأنجاه فأقبل الغلام يمشى على وجه الماء حتى أتى الملك فتحير الملك فى نفسه فقال له الغلام أتريد أن تقتلنى قال نعم قال إنك لا تقدر على ذلك حتى تصلبنى وترمينى بسهم من كنانتى وتقول إذا رميتنى بسم الله رب هذا الغلام بعد أن تجمع الناس فى صعيد واحد قال فجمع الملك الناس فى صعيد واحد وأمر بالغلام أن يصلب فصلب وأخذ الملك سهما من كنانة الغلام وقال بسم الله رب هذا الغلام ورماه فوقع السهم فى صدغه فقتله ووضع الغلام يده على صدغه فقال الناس آمنا برب هذا الغلام فقيل للملك إنك جزعت حين خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك فأمر بالأخدود فخدت أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس وقال لهم من رجع عن دينه تركناه ومن

لم يرجع العيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في ذلك الأخدود فذلك قوله تعالى قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود زاد مسلم فأتى بامرأة لتلقى في النار ومعها صبي رضيع فجزعت فقال لها الغلام يا أماه لا تجزعي فإنك على الحق وذكر بن قتيبة أن الغلام الرضيع كان عمره سبعة أشهر، قال الترمذي وإن الغلام أخرج في زمان عمر رضي الله تعالى عنه ويده على صدغه كما وضعها حين قتل ﴿وذكر﴾ صاحب السيرة محمد بن إسحق فيها أن اسمه عبد الله بن التامر وأن رجلا من أهل نجران حفر خربة في زمن عمر رضي الله تعالى عنه في بعض حاجته فوجده تحت الردم قاعداً واضعا يده على ضربة في صدغه وفي يده خاتم مكتوب عليه ربي الله فكتبوا بذلك إلى عمر رضي الله تعالى عنه فكتب إليهم أن أقروه على حاله ففعلوا قال السهيلي ويصدقه قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وقوله ﷺ إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء أخرجه أبو داود وذكر أبو جعفر الداودي هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين قال وهي زيادة غريبة لكن الداودي من أهل الثقة والعلم انتهى قال ابن بشكوال وكان اسم ذلك الملك يوسف ذا نواس وكان بنجران وكان ملك حمير وما حوله وقيل اسمه زرعة ذو نواس وكان على دين اليهودية قاله السمرقندي والواقعة كانت قبل مبعث النبي ﷺ بسبعين سنة وكان اسم ذلك الراهب قيتمون قاله ابن بشكوال (وفي المثل السائر) فلان أكذب من دب ودرج قال الجوهري معناه أكذب الأحياء والأموات لأنهم يدرجون في الأكفان * وروى الترمذي الحكيم عن زيد بن أسلم أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر رضي الله تعالى عنهم في نفر منهم لما هاجروا قدموا على رسول الله ﷺ وقد أرملوا من الزاد فأرسلوا قاصدهم إلى النبي ﷺ يسأله فلما انتهى إليه سمعه يقرأ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فقال الرجل ما الأشعريون بأهون على الله من الدواب فرجع ولم يدخل على النبي ﷺ فأتى أصحابه وقال لهم أبشروا فقد جاءكم الغوث فظنوا أنه قد أعلم النبي ﷺ بحالهم فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلان معهما قصعة مملوءة خبزا ولحما فأكلوا ما شاء الله ثم قال بعضهم لبعض ردوا بقية هذا الطعام على رسول الله ﷺ فردوه ثم إنهم أتوه فقالوا يا رسول الله لم نر طعاما أكثر ولا أطيب من طعام أرسلته إلينا فقال ﷺ ما أرسلت إليكم شيئا فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم إليه فسأله ﷺ فأخبره بما صنع فقال ﷺ ذلكم شيء رزقكموه الله عز وجل قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله السكندري هذه آية مصرحة بضمان الحق الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين فإن وردت على قلوبهم كرت عليها جيوش الإيمان بالله والثقة به وبضمانه فهزمتها بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴿وذكر﴾ ابن السني عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال إن النبي ﷺ قال إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادي يا عباد الله احبسوا فإن لله عز وجل في الأرض حابسا يحبسها * قال الإمام النووي رحمه الله تعالى حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله تعالى عليه في الحال قال وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منهم بهيمة فعجزوا عنها فقلت هذا الحديث فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام * وروى ابن السني أيضا عن الإمام السيد الجليل المجمع على جلالته وحفظه وديانته وورعه ونزاهته أبي عبد الله يونس بن عبيد بن دينار المصري التابعي المشهور رحمه الله تعالى أنه قال ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول في أذنها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون إلا وقفت بإذن الله

لزوجة وأثرت حرارة الشمس فيها تأثيراً شديدا (أما القسم الأول) فنقول إذا احتبست مياه الأمطار والأنداء في المعادن والكهوف والأهوية لا يخالطها شيء من الأجزاء الأرضية وأثرت فيها حرارة المعدن وطال وقوفها هناك ازدادت المياه صفاء وثقلا وغلظا فينعقد منها الأحجار الصلبة التي التي لا تتأثر من النار والماء كأنواع اليواقيت وما شاكلها فذهب قوم إلى أن اختلاف ألونها بسبب حرارة المعدن وقلتها وكثرتها وقال آخرون بسبب أنواع الكواكب التي تدل على ذلك النوع من الجواهر ومطارح شعاعاتها على البلاد فزعموا أن السواد لزحل والخضرة للمشتري والحمرة للمريخ والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والمتلون لعطارد والبياض للقمر والله الموفق للصواب (وأما القسم الثاني) فيتولد من امتزاج الماء بالأرض إذا كان فيها لزوجة وأثرت فيها حرارة الشمس مدة طويلة كما ترى النار إذا أثرت في اللبن فتصلبها وتجعلها آجرا

فإن الآجر أيضا صنف من الحجر إلا أنه رخو وكلما كان تأثير النار أكثر كان أصلب ثم إن هذه الأحجار تختلف

أنواع الملاح والبوارق والشبوب وإن كانت فى بقاع عصفية تولدت منها ضروب الزاجات الأحمر والأصفر والأخضر ونحوها ولكل موضع خاصية لا يعلمها إلا الله تعالى وقد ينعقد الحجر من الماء فإنا نرى فى بعض المواضع ينعقد الحجر من الماء وذلك إما من خاصية ذلك الماء أو من خاصية ذلك الموضع وقد يتولد الحجر فى الهواء وذلك من أجزاء دخانية يغلب عليها الأرضية فإذا ضربها البرد انطفت حرارتها وتصير حجرا وقد يقع فى وسط الصواعق مثل هذه الأحجار ومثل الحديد والنحاس قال الشيخ الرئيس أخذت من هذه الأجسام وعرضتها على النار لتذوب فما حصل منه الذوبان وارتفع منه دخان يضرب إلى الخضرة ومازال هكذا حتى صار رمادا (وحكى) الشيخ الرئيس أيضا أن فى زمانه وقع من الهواء بأرض جورجان جسم كقطعة حديد فى قدر خمسين منا كحبات الجاورس المنضمة فما كان يتناثر من الحديد والجواهر المعدنية كثيرة لا يعرف منها الإنسان إلا القليل فمن الحكماء من كان له

تعالى وروى الطبرانى فى معجمه الاوسط من حديث انس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال من ساء خلقه من الرقيق والدواب والصبيان فاقرؤا فى أذنه أفغير دين الله تبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى لفظ البغلة أن النبى ﷺ ركب بغلة فحادت به فحبسها وأمر رجلا أن يقرأ قل أعوذ برب الفلق فسكنت ﴿فرع﴾ فى كتب الحنابلة يجوز الانتفاع بالدابة فى غير ما خلقت له كالبقر للحمل والركوب والإبل والحمير للحرث وقوله ﷺ بينما رجل يسوق بقرة إذ أراد أن يركبها فقالت إنا لم نخلق لذلك متفق عليه المراد أنه معظم منافعها ولا يلزم منه منع غير ذلك وقال الإمام أحمد من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ﴿فرع﴾ يجب على مالك الدابة علفها ورعيها وسقيها الحرمة الروح كما فى الصحيح عذبت امرأة فى هرة لأنها ذات روح فأشبهت العبد فإن لم تكن ترعى لزمه أن يعلفها ويسقيها إلى أول شبعها وريها دون غايتهما وإن كانت ترعى لزمه إرسالها لذلك حتى تشبع وتروى بشرط فقد السباع العادية ووجود الماء فإنا اكتفت بكل من الرعى أو العلف خير بينهما فإن لم تكتف إلا بهما لزماه وإن احتاجت البهيمة إلى السقى ومعه ماء يحتاج إليه لطهارته سقاها وتيمم فإن امتنع من العلف أجبر فى مأكولة على بيع أو علف أو ذبح وفى غيرها على بيع أو علف صيانة لها عن الهلاك فإن لم يفعل فعل الحاكم ما تقتضيه المصلحة فإن كان له مال ظاهر بيع فى النفقة فإن تعذر جميع ذلك فمن بيت المال ﴿فائدة﴾ يستحب أن يقول عند ركوب الدابة ما رواه الحاكم والترمذى وصححاه عن على بن ربيعة قال شهدت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاث مرات ثم قال الله أكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقيل يا أمير المؤمنين من أى شىء ضحكت قال رأيت النبى ﷺ فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شىء ضحكت قال إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى . وروى أبو القاسم الطبرانى فى كتاب الدعوات عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه قال إذا ركب العبد الدابة ولم يذكر اسم الله تعالى ردفه الشيطان فقال تغن فإن كان لا يحسن الغناء قال له تمن فلا يزال فى أمنيته حتى ينزل وفيه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال من قال إذا ركب دابة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء سبحانه ليس له سمى سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعليه السلام قالت الدابة بارك الله عليك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك وأحسنت إلى نفسك بارك الله لك فى سفرك وأنجح حاجتك . وروى ابن أبى الدنيا عن محمد بن إدريس عن أبى النضر الدمشقى عن إسمعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الملائى أنه قال إذا ركب الرجل الدابة قالت اللهم اجعله بى رفيقا رحيما فإذا لعنها قالت على أعصانا لعنة الله ﴿وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عباد بن كثير الثقفى وكان شعبة لا يستغفر له أنه روى عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال اضربوا الدواب على النفار ولا تضربوها على العثار ﴿فرع﴾ يجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه ففى الصحيحين عن أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أردفه حين دفع من عرفات

إلى المزدلفة ثم أردف الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما من مزدلفة إلى منى وأنه ﷺ أردف معاذا رضى الله تعالى عنه على الرحل وأردفه على حمار يقال له عفير وأمر ﷺ عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنهما أن يعتمر بأخته عائشة رضى الله تعالى عنها من التنعيم فأردفها وراءه على راحلته وأردف ﷺ صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وراءه حين تزوجها بخيبر وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك وأفاد الحافظ ابن منده أن الذين أردفهم النبى ﷺ ثلاثة وثلاثون نفسا ولم يذكر فيهم عقبة بن عامر الجهنى رضى الله تعالى عنه ولم يذكر أحد من علماء الحديث والسير أن النبى ﷺ أردفه وروى الطبرانى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ نهى أن يركب ثلاثة على دابة ﴿فرع﴾ قال أصحابنا ما ليس مأكولا من الدواب والطيور إن كان فيه مضرة متمحضة استحب قتله للمحرم وغيره كالفواسق الخمس والذئب والأسد والنمر والنسر والحدأة والبرغوث والقمل والزنبور والبق والقراد وأشباهها فإن كان فيه منفعة ومضرة كالفهد والكلب المعلم والعقاب والبازى والصقر ونحوهما فلا يستحب قتله لما فيه من المنفعة لا يكره لما فيه من الضرر وهو الصيال على حمام الناس والعقر وإن لم يكن فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والدود والجعلان والسرطان والبغاث والرخمة والعظاءة واللجأة والذباب وأشباهها فيكره قتله ولا يحرم على ما قطع به الجمهور وحكى الإمام وجها شاذا أنه يحرم قتل الطيور دون الحشرات لأنه عبث بلا حاجة ﴿وأما دابة الأرض التى ذكرها الله تعالى فى سورة سبأ﴾ فهى الأرضة وقيل سوسة الخشب قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته والسبب فى ذلك أن سليمان عليه السلام كان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه له ودخله مختفيا ليصفو له يوم واحد من الدهر عن الكدر فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال له إنما دخلت بإذن قال ومن أذن لك قال رب هذا الصرح فعلم سليمان أنه ملك الموت أتى ليقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم الذى طلبت فيه الصفاء فقال له طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكاء على العصا وقد كان بيت المقدس بقى من تمام بنائه سنة فسأل الله تعالى تمامها على يد الإنس والجن وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون إنه يتحنث أى يعبد ربه فقبض روحه وكانت الجن تدعى علم الغيب فلما قبض بقيت الجن تعمل على عادتها وقيل إن ملك الموت أعلمه أنه بقى من عمره ساعة فدعا الجن فبنوا له الصرح وقام يصلى متكئا على عصاه فمات وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم إليه فى صلاته إلا احترق فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فسلم فلم يسمع له كلاما فنظر فإذا هو قد خر ميتا فعلمت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة والمنسأة العصا وكانت من خروب وذلك أنه كان يتعبد فى بيت المقدس فينبت له فى محرابه كل سنة شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا فيقول لها لأى شىء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقلع فإن كانت تنبت بغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت فبينما هو ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت أنا الخروبة خرجت لخراب ملكك فعرف أنه قد حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم أنه يأكل بالليل وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان الذى ابتدأ فى بناء بيت المقدس داود عليه السلام فرفعه قامة رجل ثم مات فلما استخلف ابنه سليمان عليه السلام أحب إتمامه فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحها له فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والملها

فأقول وبالله التوفيق وهو حسبى ونعم الوكيل (أثمد) قال أرسطو هو حجر معروف له معادن كثيرة وأغلبها فى أكناف المشرق وأجود أصنافه الأصفهانى وهو حجر يخالطه الرصاص ينفع العيون اكتحالا ويرفع عنها طبق الماء ويقوى أعصابها ويدفع عنها كثيرا من الآفات والأوجاع ولا سيما المشايخ والعجائز الذين ضعفت أبصارهم وإذا جعل معه شىء من المسك يكون غاية وعن رسول الله ﷺ أنه قال عليكم بالإثمد فإنه ينبت الشعر ويحد البصر وينفع من حرق النار إذا طلى بالشحم (حجر أرسون) حجر يوجد بأرض الروم وهو أملس مخمس إذا كسر قطعا يكون جميع أقطاعه مخمسا وخاصيته أن حامله يبقى مهيبا محترما بين الناس ومن اكتحل به لا يصيبه رمد إن شاء الله تعالى (حجر اسفيداج) هو رماد الرصاص القلى والآنك فإذا أفرط تحريقه صار سربا والاسفيداج الرصاص إذا دلك به لسعة العقرب نفع وإن نقع مع شىء من قثاء الحمار فى ماء

 وملح ثم رش به البيت خرج منه البراغيث وإذا اتخذت منه المراهم يأكل منه اللحم الميت

الأبيض وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل فى كل ربض منها سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى عمارة المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافى من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والرخام من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب فأتى من ذلك شىء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا وثقب اليواقيت واللآلئ وإصلاح الجواهر فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين الملها الصافى وسقفه بألواح الجواهر الثمينة ونضد سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج فلم يكن يومئذ فى الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلماء كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه قد بناه لله عز وجل خالصا واتخذ ذلك اليوم عيدا ﴿فائدة﴾ قال بعض العلماء سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام وأمرهم بطاعته ووكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمره ضربه الملك ضربة أحرقته قال أهل التفسير أجرى الله تعالى لسليمان عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن تجرى الماء وكان ذلك بأرض اليمن وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان من النحاس * وروى الحاكم عن إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال كان سليمان نبى الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لأى شىء أنت فتقول لكذا وكذا فإذا كانت لدواء كتبت وإن كانت لغرس غرست فبينما هو يصلى يوما إذ رأى شجرة فقال ما اسمك قالت الخروب فقال لأى شىء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عند ذلك اللهم اعم على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب قال فاتخذ منها عصا وتوكأ عليها فأكلتها الأرضة فسقط فوجدوه ميتا حولا فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقرؤها هكذا ما لبثوا حولا فى العذاب المهين فشكرت الجن الأرضة وكانت تأتيها بالماء والتراب حيث كانت ثم قال صحيح الإسناد وأما الدابة التى هى أحد أشراط الساعة فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر قيل إنها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم ووبر وقيل هى مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات ينصدع لها جبل الصفا فتخرج منه ليلة جمع والناس سائرون إلى منى وقيل تخرج من الحجر وقيل من أرض الطائف ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب تضرب المؤمن بالعصا وتكتب فى وجهه مؤمن وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب فى وجهه كافر كذا رواه الحاكم فى أواخر المستدرك عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ وفيه عن أبى الطفيل عن أبى شريحة عن النبى ﷺ أنه قال يكون للدابة ثلاث خرجات فى الدهر تخرج أول خرجة بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان طويل ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها فى البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم يكون زمان فبينما الناس يوما فى أعظم المساجد عند الله حرمة وأحبها إلى الله تعالى وأكرمها على الله عز وجل يعنى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى فى ناحية المسجد بين الركن الأسود وباب بنى مخزوم فترفض الناس عنها شتى وتثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله هربا فتنفض عن رءوسهم التراب فتجلو عن وجوههم حتى تظل كأنها الكواكب الدرية ثم تذهب فى الأرض لا يدركها طالب

إلى البياض بل يبقى على لون الجسد (حجر افرنجس) قال ارسطو هو حجر يصاب فى مواضع الزرنيخ من كلسه حتى يبيض وألقى منه وزن مثقال على خمسين مثقالا من النحاس الأحمر بيضه ولين جسمه وهو إذا خلط مع الكلس حلق الشعر وهو فى الحدة أقوى من الزرنيخ وإذا سحق وطلى به موضع الورم سكنه (حجر إقليميا الذهب) قال ارسطو إذا خلط الذهب بغيره من الأحجار ثم أدخل النار للخلاص يتخاص منه الأجساد التى خالطها وعلاه جسم مشوب بسواد وقد يكون على لون الزجاج وهو المسمى بالإقليميا ينفع من وجع العين ويذهب بالبياض الحادث فيها وينفع من البلة التى تتحلب من العين ومن ابتداء الماء فى العين ويدمل القروح الخبيثة وينقى أوساخها (حجر إقليميا الفضة) وقال أرسطو إن الفضة أيضا إذا أدخلت النار للخلاص من الأجساد التى خالطتها يعلوها جسم يسمى إقليميا الفضة نافع من القروح والسعفة والجرب طلاء مع الأدهان وقال غيره ينفع من وجع العين ذروراً وفى المراهم ينبت اللحم فى الجراحات (حجر باهت) أبيض فى لون

ولا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أى فلان الان تصلى فيلتفت إليها فتسمه فى وجهه ثم تذهب فيتجاور الناس فى ديارهم ويصطحبون فى أسفارهم ويشتركون فى أموالهم يعرف المؤمن من الكافر حتى إن الكافر يقول يامؤمن اقضنى ويقول المؤمن ياكافر اقضنى وروى السهيلى أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل أن يريه الدابة التى تكلم الناس فأخرجها الله له من الأرض فرأى منظرا أفزعه وهاله قال أى رب ردها فردها قال والدابة اسمها اقصدو كذا ذكره محمد بن الحسن المقرى فى تفسيره انتهى * روى أنها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبقى منيب ولا تائب * وفى الحديث إن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول أشراط الساعة ولم يعين الأول منهما وكذلك الدجال وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها والظاهر أن الدابة التى تخرج واحدة وروى أنه يخرج من كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها فى الأرض وليست بواحدة فعلى هذا يكون قوله تعالى دابة اسم جنس * وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إنها الثعبان الذى كان فى جوف الكعبة واختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام وأن الطائر حين اختطفها ألقاها بالحجون فالتقمتها الأرض فهى الدابة التى تخرج تكلم الناس وتخرج عند الصفا قاله محمد بن الحسن المقرى وهو غريب غير أن الرجل من أهل العلم ولذلك حكينا قوله وقال القرطبى إنها فصيل ناقة صالح لقوله فى الحديث تخرج ولها رغاء والرغاء لا يكون إلا للإبل وهو غريب أيضا * وفى الميزان للذهبى عن جابر الجعفى أنه كان يقول دابة الأرض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال وكان جابر الجعفى شيعيا يرى الرجعة أى أن عليا رضى الله تعالى عنه يرجع إلى الدنيا وقال الإمام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ما لقيت أحدا أكذب من جابر الجعفى ولا أفضل من عطاء بن أبى رباح وقال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه أخبرنى سفيان بن عيينة قال كنا فى منزل جابر الجعفى فتكلم بشىء فخرجنا مخافة أن يقع علينا السقف ﴿قلت﴾ ومع ذلك روى له أبو داود والترمذى وابن ماجه ووفاته سنة ست وستين ومائة * واختلف العلماء فى كيفية خلق الدابة اختلافا كثيرا فقيل إنها على خلقة الآدميين وقيل جمعت خلق كل حيوان ﴿وهنا فائدة﴾ وهى أن المفسرين اختلفوا فى تفسير قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قيل تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام قاله السدى وقيل كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل كلامها ما قاله الله عز وجل إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويكون كلامها بالعربية * وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال ليست بدابة لها ذنب ولكن كالحيه كأنه يشير إلى أنها رجل والأكثرون على أنها دابة * وروى ابن جريج عن أبى الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعيناها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا * وروى الثعلبى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال تخرج الدابة من صدع فى الصفا تجرى كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها * وروى أيضا عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ إن الدابة تخرج من أعظم المساجد حرمة عند الله تعالى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون فتضطرب الأرض من تحتهم وينشق الصفا مما يلى المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا وأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتترك وجهه نكتة سوداء وتكتب

(حجر بسد) هو أصل المرجان منه أبيض ومنه أحمر ومنه أسود يقطع نزف الدم ذرورا ويقوى العين اكتحالا وينشف رطوباتها الفضلية ويقوى القلب وينفع من عسر البول وإذا علق على المصروع نفعه نفعا بينا والأولى أن يعلق على ركبتيه (حجر بلور) قال ارسطو إنه صنف من الزجاج إلا أنه أصلب وهو مجتمع الجسم فى المعدن بخلاف الزجاج فإنه متفرق الجسم يجمع بالمغنيسيا والبلور يصنع بألوان الياقوت فيشبه الياقوت والملوك يتخذون من البلور أوانى على اعتقاد أن للشرب فيها فوائد والبلور إذا قابل الشمس فيقرب منه قطنة أو خرقة سوداء تأخذ فيها النار وقال غيره البلور الأغبر إذا علق على من يشتكى وجع الضرس يسكن فى الحال (حجر البورق) أجزاء سبخة من الأرض كالملح إلا أن البورق أقوى قال إنه إذا طلى به الكلف فى الحمام يزيله وقال ارسطو أنواع البورق كثيرة فمنه ما يتكون من الماء الجارى ومنه ما يتكون من الحجر فى معدنه ومنه أبيض وأحمر وأغبر وألوانه كثيرة وهو يذيب الأجساد كلها ويليينها للسبك وينفع من

الجرب والبرص طلاء وينضج الدماميل وينفع الصمم ويجلو البياض العتيق من العين وينفع من الحمى التى تنوب بادوار إذا مزج به قبل الدور بساعة وقال ابن سينا أنه إذا ضمد به يجذب الدم إلى ظاهر البدن ويحسن اللون (حجر تنجادق) قال ارسطو إنه حجر أحمر اللون وحمرته غير حمرة الياقوت ومعدنه بلاد الشرق فإذا خرج من معدنه أصابه ظلمة فإذا قطعه الصناع خرج نوره وحسنه فمن تختم منه بوزن عشرين شعيرة يدفع عنه الأحلام الرديئة ومن أدام النظر إليه فى شعاع الشمس نقص نور عينيه وإذا مسح به الرأس واللحية ثم وضع رأسه على الأرض أتاه ماحواليه من عود وتين (حجر تدمر) قال ارسطو أنه حجر يوجد بناحية الغرب فى شاطئ البحر وليس يوجد إلا فى هذه المواضع فقط وهو أبيض مثل الرخام خاصيته أنه إذا شمه إنسان جمد دمه فى جسده ومات من ساعته (حجر تنكار) قال ارسطو أنه حجر من جنس الملح يوجد فيه طعم البورق معدنه ساحل البحر وهو يعين على سبك الذهب ويليينه وينفع من تأكل الأسنان ويقتل دودها ويسكن ضربانها ويجلوها وله فى تسكين أوجاع الأسنان خاصية عجيبة (حجر توتيا) قال ارسطو حجر معدنى ذو أنواع أبيض

بين عينيه كافر * وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه * وعن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال تخرج الدابة من شعب أبى قبيس رأسها فى السحاب ورجلاها فى الأرض * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يارسول الله قال ﷺ لأنه تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين * وقيل إن وجهها وجه رجل وسائر خلقتها كخلقة الطير فتكلم من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد ﷺ والقرآن لا يوقنون ﴿فرع﴾ إذا أوصى لرجل بدابة حمل على فرس وبغل وحمار لأنها فى اللغة اسم لما دب على وجه الأرض ثم قصرها العرف على ذوات الأربع والوصية تنزل على العرف وإذا ثبت عرف فى بلد عم جميع البلاد كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لا يحنث إن كان الله تعالى قد سماه دابة وكما لو حلف لا يأكل خبزا حنث بأكل خبز الأرز فى طبرستان على الأصح هذا هو المنصوص وقال ابن سريج إنما ذكر الشافعى هذا على عرف أهل مصر فى ركوبها جميعا واستعمال لفظ الدابة فيها أما حيث لا يستعمل إلا فى الفرس كالعراق فإنه لا يعطى سواها وقيل إن قاله بمصر لم يعط إلا حمارا قاله فى البحر ويدخل فى لفظ الدابة الكبير والصغير والذكر والأنثى والسليم والمعيب وقال المتولى لا يعطى إلا ما يمكن ركوبه ﴿فرع﴾ يكره دوام الوقوف على الدابة لغير حاجة وترك النزول عنها للحاجة لما فى سنن أبى داود والبيهقى من حديث أبى مريم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر فإن الله عز وجل إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وجعل لكم فى الأرض مستقرا فاقضوا عليها حاجاتكم ويجوز الوقوف على ظهرها للحاجة ربما تقضى لما روى مسلم وأبو داود والنسائى عن أم الحصين الأحمسية رضى الله تعالى عنها قالت حججت مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة وبلالا رضى الله تعالى عنهما أحدهما آخذ بخطام ناقة النبى ﷺ والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وهكذا رواه أحمد والحاكم وابن حبان وصححاه وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى الفتاوى الموصلية النهى عن ركوب الدواب وهى واقفة محمول على ما إذا كان لغير غرض صحيح وأما الركوب الطويل فى الأغراض الصحيحة فتارة يكون مندوبا كالوقوف بعرفة وتارة يكون واجبا كوقوف الصفوف فى قتال المشركين وقتال كل من يجب قتاله وكذلك الحراسة فى الجهاد إذا خيف هجمة العدو وهذا لا خلاف فيه فى حديث أم الحصين رضى الله تعالى عنها دليل على أن للمحرم أن يستظل بالمظال نازلا بالأرض وراكبا على ظهر الدابة ورخص فيه أكثر أهل العلم إلا أن مالك بن أنس وأحمد رضى الله تعالى عنهما كانا يكرهان للمحرم أن يستظل راكبا لما روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه رأى رجلا قد جعل على رحله عودا له شعبتان وجعل عليه ثوبا يستظل به وهو محرم فقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أضح للذى أحرمت له أى أبرز للشمس وأما قوله ﷺ لا تتخذوا ظهور الدواب منابر فإنما أراد أن يستوطن ظهورها لغير أرب فى ذلك ولا حاجة وقال الرياشى رأيت أحمد بن المعذل فى الموقف فى يوم شديد الحر وقد ضحى للشمس فقلت له يا أبا الفضل إن هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فأنشأ يقول:

ضحيت له كى أستظل بظله * إذا الظل أضحى فى القيامة قالصا

فوا أسفا إن كان سعيك باطلا * ويا حسرتا إن كان حجك ناقصا

وأحمد بن المعذل هذا بصرى مالكى المذهب يعد من زهاد البصرة وعلمائها وأخوه عبد الصمد بن المعذل شاعر ماهر

﴿الداجن﴾ الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وكذلك الناقة والحمام البيوتي والأنثى داجنة والجمع دواجن وقال أهل اللغة دواجن البيوت ما ألفها من الطير والشاة وغيرهما وقد دجن في بيته إذا لزمه قال ابن السكيت شاة داجن وراجن إذا ألفت البيوت واستأنست قال ومن العرب من يقولها بالهاء وكذلك غير الشاة ككلاب الصيد وقد أنشد عليه الجوهري بيتا للبيد رضي الله تعالى عنه وأبو دجانة كنية سماك بن خرشة وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكره في القنفذ . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ميمونة أخبرته أن داجنة كانت لبعض نساء النبي ﷺ فماتت فقال رسول الله ﷺ ألا أخذتم إهابها فاستمتعتم به . وفيه وفي السنن الأربعة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كانت في صحيفة تحت سريري فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها وفي حديثها أيضا كانت عندنا داجن فإذا كان رسول الله ﷺ عندنا قر وثبت وإذا خرج ﷺ جاء وذهب . وفي الحديث لعن الله من مثل بدواجنه . وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه قال كانت العضباء داجنا لا تمنع من حوض ولا بيت وهي ناقة رسول الله ﷺ وفي حديث الإفك فتدخل الداجن فتأكل من عجينها ﴿تتمة﴾ دجين بن ثابت أبو الغصن اليربوعي البصري روى عن أسلم مولى عمرو بن هشام بن عروة بن الزبير وقال ابن معين حديثه ليس بشيء وقال أبو حاتم وأبو زرعة ضعيف وقال النسائي ليس بثقة وقال الدارقطني وغيره ليس بالقوي وقال ابن عدي روى لنا عن ابن معين أنه قال دجين هو جحا وقال البخاري دجين بن ثابت هو أبو الغصن سمع مسلمة وابن المبارك وروى عنه وكيع قال عبد الرحمن بن مهدي قال لنا مرة دجين وهو جحا حدثني مولى لعمر بن عبد العزيز فقلنا له إن مولى لعمر بن عبد العزيز لم يدرك النبي ﷺ فقال إنما هو أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قلنا لعمر ما بالك لا تحدثنا عن رسول الله ﷺ فقال إنما أخشى أن أزيد أو أنقص وإني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . وقال حمزة والميداني في الأمثال جحا رجل من فزارة كنيته أبو الغصن وهو من أحمق الناس . فمن حمقه أن موسى ابن عيسى الهاشمي مر به يوما وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال له ما بالك يا أبا الغصن لأي شيء تحفر فقال إني دفنت في هذه الصحراء دراهم ولست أهتدي إلى مكانها فقال له موسى كان ينبغي أن تجعل عليها علامة قال لقد فعلت قال ماذا قال سحابة في السماء كانت تظلها ولست أدري موضع العلامة الآن . ومن حمقه أيضا أنه خرج يوما بغلس فعثر في دهليز منزله بقتيل فألقاه في بئر هناك فعلم به أبوه فأخرجه ودفنه ثم خنق كبشا وألقاه في البئر ثم إن أهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه فتلقاهم جحا وقال في دارنا رجل مقتول فانظروا لعله صاحبكم فغدوا إلى منزله فأنزلوه في البئر فلما رأى الكبش ناداهم هل كان لصاحبكم قرون فضحكوا منه وانصرفوا . ومن حمقه أيضا أن أبا مسلم الخراساني صاحب الدعوة لما ورد الكوفة قال لمن حوله أيكم يعرف جحا فيدعوه إلى فقال يقطين أنا فخرج ودعاه فلما دخل لم يجد في المجلس غير أبي مسلم ويقطين فقال جحا يا يقطين أيكما أبو مسلم * وجحا اسم لا ينصرف لأنه معدول من جاح مثل عمر من عامر يقال جحا يجحو جحوا إذا رمى .

﴿الدارم﴾ القنفذ قاله ابن سيده وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف .

﴿الدبا﴾ بفتح الدال المهملة وتخفيف الباء الموحدة الجراد قبل أن يطير الواحدة دباة قال الراجز :

كأن خوق قرطها المعقوب * على دباة أو على يعسوب

قال أرسطو هو حجر شديد الحمرة صافي اللون يرى بالنهار كأنه يخرج منه شبه بخار وبالليل يسطع ضوؤه حتى يضيء به ما كان حوله وإذا علق منه على إنسان ولو وزن درهمين أورثه نوما ثقيلا وإن جعلته تحت رأس إنسان نائم يستيقظ حتى يدور رأسه وإذا طلي به موضع الحمرة أبرأها (حجر جزع) قال أرسطو هو حجر ذو ألوان كثيرة يؤتى به من اليمن أو الصين والناس يكرهون أخذ شيء منه لأنه يكثر الهموم والغموم لمن يستصحبه ويورث أحلاما رديئة وتعسر معه قضاء الحوائج ولا يفلح لابسه في الأمور كلها وإذا علق على صبي كثر بكاؤه ونكده وفزعه وسيلان لعابه ومن سقي منه مسحوقا قل نومه وكثر فزعه وساء خلقه وثقل لسانه وإن سحق وجلي به الياقوت حسنه وصيره مشرقا نيرا والنظر إليه يورث الهم وإن وضع بين قوم لا علم لهم به يقع بينهم عداوة شديدة وإذا علق على المرأة تسهل ولادتها وإن وضع بقربها خف وجعها

(حجر حامي) قال أرسطو هو حجر شديد الحمرة مشوب بنقط سود صغار يجلب من بلاد

الهند من أزال تلك النقط من هذا الحجر حتى يصير كله أحمر وألقاه على النحاس حمره مثل الذهب لأن تلك النقط هى دخان الفضه وتنفع من الفالج إذا استعط به (حجر بلبناس) قال فى كتاب الخواص إذا كان الجمل كثير الرغاء فربطت فى ذنبه حجرا لا يرغو ألبتة قال صاحب كتاب الفلاحة والحجر الذى فيه ثقبة خلقة إذا علق على شىء من الأشجار يكثر ثمرها ولا يصيب ثمرها شىء من الآفات (حجر اسمانجونى) قال أرسطو إذا كان الحجر اسمانجونيا فحككته فخرج أبيض من استصحبه يبقى فرحا غير حزين وإن أخرج أسود من علقه عليه لم ينجح فى عمله وإن خرج أصفر فهو صالح لكل عمل وإن طرح فى بئر أو نهر قل ماؤها وربما انقطع وإن خرج أحمر من استصحبه يرى كل خير وإن خرج أخضر من أمسكه يزكو ما يزرع سواء إن زرع فى أرض خير أو أرض سوء وإن أخرج أغبر واكتحل به على اسم امرأة أحبته (حجر أبيض) قال أرسطو إذا كان الحجر أبيض فحككته فخرج من حكه أصفر فإن من أمسكه إذا تكلم بشىء سواء كان صادقا أو كاذبا يقع وإن خرج حكه أحمر فكل شىء يعمله يرتفع سريعا وإن خرج أغبر على لون الأرض فكل من استعان به فى شىء من عمله أعين عليه

وأرض مدبية اى كثيرة الدبا وقالوا فى امثالهم اكثر من الدبا وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قالت يارسول الله كيف الناس بعد ذلك قال ﷺ دبا يأكل شداده ضعفاءه حتى تقوم الساعة وقد تقدم الكلام على عموم الجراد

﴿الدب﴾ من السباع معروف والأنثى دبة وكنيته أبو جهينة وأبو الحلاج وأبو سلمة وأبو حميد وأبو قتادة وأبو اللماس وأرض مدبة أى ذات أدباب * والدب يحب العزلة فإذا جاء الشتاء دخل وجاره الذى اتخذه فى الغيران ولا يخرج حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمتص يديه ورجليه فيندفع عنه بذلك الجوع ويخرج فى الربيع كأسمن ما يكون * وهو مختلف الطباع لأنه يأكل ما تأكله السباع وما ترعاه البهائم وما يأكله الناس ومن طبعه أنه إذا كان أوان السفاد خلا كل ذكر بأنثاه والذكر يسافد أنثاه مضطجعة على الأرض * وتضع الأنثى جروها قطعة لحم غير مميز الجوارح فتهرب به من موضع إلى موضع خوفا عليه من النمل كما تقدم فى جهبر وهى مع ذلك تلحسه حتى تتميز أعضاؤه ويتنفس * وفى ولادتها صعوبة وربما أشرفت على التلف حالة الوضع وزعم بعضهم أنها تلد من فيها وإنما تلده ناقص الخلق تشوقا للذكر وحرصا على السفاد ولشدة شهوتها تدعى الآدمى إلى وطئها * ومن شأن هذا الجنس أن يسمن فى الشتاء وتقل فيه حركته وتضع الإناث حينئذ * وإذا جثم فى مكان لا يتحرك منه إلى أن يمضى عليه أربعة عشر يوما وبعد ذلك يتدرج فى الحركة * والأنثى إذا انهزمت دفعت جراءها بين يديها فإذا اشتد خوفها عليها صعدت بها الأشجار * وفى طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه إلا بعنف وضرب شديد (وحكمه) تحريم الأكل لأنه سبع يتقوى بنابه وقال الإمام أحمد إن لم يكن له ناب فلا بأس لأن الأصل الإباحة ولم يتحقق وجود المحرم ﴿فائدة﴾ قال الإمام أبو الفرج بن الجورى فى آخر الأذكياء هرب رجل من أسد فوقع فى بئر فوقع الأسد خلفه فإذا فى البئر دب فقال له الأسد منذ كم لك ههنا قال منذ أيام وقد قتلنى الجوع فقال له الأسد أنا وأنت نأكل هذا الإنسان وقد شبعنا فقال له الدب فإذا عاودنا الجوع ما نصنع وإنما الرأى أن نحلف له أنا لا نؤذيه ليحتال فى خلاصنا وخلاصه فإنه على الحيلة أقدر منا فحلفا له فتشبث حتى وجد نقبا فوصل إليه ثم إلى الفضاء فتخلص وخلصهما ومعنى هذا أن العاقل لا يترك الحزم فى كل أموره ولا يتبع شهوته لا سيما إذا علم أن فيها هلاكه بل ينظر فى عاقبة أمره ويأخذ بالحزم فى ذلك * وحكى القزوينى فى عجائب المخلوقات أن أسدا قصد إنسانا فهرب والتجأ إلى شجرة فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها فلما رأى الأسد أنه فوق الشجرة جاء وافترش تحتها ينتظر نزول الإنسان قال فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه أن اسكت لئلا يعرف الأسد أنى هنا قال فبقيت متحيرا بين الأسد والدب وكان معى سكين صغير فأخرجته وقطعت بعض الغصن الذى عليه الدب حتى إذا لم يبق منه إلا اليسير سقط الدب بسبب ثقله فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانا ثم غلبه الأسد فافترسه ورجع عنى (الأمثال) تقدم أنهم قالوا أحمق من جهبر وهى أنثى الدب * وأما قولهم ألوط من دب فهو رجل من العرب كان يتجاهر بعمل ذلك * وأما قولهم ألوط من ثغر فإنما قالوه لأن الثغر لا يفارق دبر الدابة وقولهم ألوط من راهب هذا من قول الشاعر :

وألوط من راهب يدعى * بأن النساء عليه حرام

(الخواص) نابه يلقى فى لبن المرضعة ويسقاه الصبى تنبت أسنانه بسهولة * وشحمه يزيل البرص طلاء * وإذا شتدت عينه اليمنى فى خرقة وعلقت على عضد إنسان لم يخف السباع وإن علقت على من به الحمى الدائمة أبرأته * ومرارته إذا اكتحل بها مع العسل وماء الرازيانج

أذهبت ظلمة البصر وإذا طلى بذلك موضع داء الثعلب أنبت الشعر فيه * وإذا شرب من مرارته ووزن دانقين بعسل وماء حار نفع الرئة والبواسير وطرد الرياح * وإذا ربطت مرارته على فخذ الرجل اليمنى جامع ما شاء ولا يضره * ودمه إذا اكتحل به منع طلوع الشعر فى أجفان العين وإن اكتحل به بعد نتفه لم ينبت * وإذا دلك الولد بشحمه كان له حرزاً من كل سوء وإذا حشى بشحمه موضع الناسور نفعه وإذا طلى بشحمه كلب جن * وقطعة من جلده إذا علقت على الصبى الذى ساء خلقه يزول عنه ذلك * وعينه اليمنى إذا جففت وعلقت على الطفل لم يفزع فى نومه (التعبير) الدب فى المنام يدل على الشر والنكد والفتنة وربما دلت رؤيته على المكر والخديعة وعلى المرأة الثقيلة البدن الموحشة المنظر ذات اللهو واللعب والطرب وربما دلت رؤيته على الأسر والسجن وربما دلت رؤيته على عدو أحمق لص محتال مخنث فمن رأى أنه ركب دبا نال ولاية دنيئة إن كان لها أهلا وإلا ناله هم وخوف ثم ينجو وربما دل على سفر ثم يرجع إلى مكانه والله تعالى أعلم .

﴿الدبدب﴾ حمار الوحش قاله فى العباب وقد تقدم الكلام عليه فى باب الحاء المهملة .

﴿الدبر﴾ بفتح الدال جماعة النحل وقال السهيلى الدبر الزنابير وأما الدبر بكسر الدال فصغار الجراد قال الأصمعى لا واحد له من لفظه ويقال إن واحده خشرمة ويجمع الدبر على دبور قال الهذلى فى وصف عسال :

* إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * أى لم يخف لسعها وبه فسر قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه وقوله تعالى ومن كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت أى من كان يخاف لقاءه قال النحاس أجمع أهل التفسير على أن الرجاء فى الآيتين بمعنى الخوف ويقال أيضاً للزنابير دبر كما قاله السهيلى ومنه قيل لعاصم بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه حمى الدبر وذلك أن المشركين لما قتلوه أرادوا أن يمثلوا به فحماه الله تعالى بالدبر فارتدوا عنه حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان رضى الله تعالى عنه قد عاهد الله تعالى أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فحماه الله تعالى منهم بعد وفاته * وفى أوائل تاريخ نيسابور للحاكم عن ثمامة بن عبد الله عن أنس بن مالك رضى الله عنه وهو ممن روى له الجماعة أنه قال خرجنا مرة من خراسان ومعنا رجل يشتم أو ينال من أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فنهيناه فأبى فحضر غداؤنا ذات يوم ثم مضى إلى حاجته فأبطأ علينا فبعثنا فى طلبه فرجع إلينا الرسول وقال أدركوا صاحبكم فذهبنا إليه فإذا هو قد قعد على حجر يقضى حاجته فخرج عليه عنق من الدبر فنثرت مفاصله مفصلا مفصلا قال فجمعنا عظامه وإنها لتقع علينا فما تؤذينا وهى تبرى مفاصله وجاء فى الحديث ولتسلكن سنن من قبلكم ذراعا بذراع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه، والخشرم مأوى النحل * وفى الفائق أن سكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما جاءت إلى أمها الرباب وهى صغيرة تبكى فقالت مابك قالت مرت بى دبيرة فلسعتنى بأبيرة أرادت تصغير دبرة وهى النحلة سميت بذلك لتدبيرها فى عمل العسل .

﴿الدبسى﴾ بفتح الدال المهملة وكسر السين المهملة ويقال له أيضا الدبسى بضم الدال طائر صغير منسوب إلى دبس الرطب لأنهم يغيرون فى النسب كالدهرى والسهيلى والفامى بائع الفوم والقياس فومى والأدبس من الطير والخيل الذى فى لونه غبرة بين السواد والحمرة * وهذا النوع قسم من الحمام البرى وهو أصناف مصرى وحجازى وعراقى وهى متقاربة لكن أفخرها المصرى ولونه الدكنة وقيل هو ذكر اليمام * قال الجاحظ قال

أسرع خروج غرسه وتعظم أشجاره سريعا وإن خرج أسود أبر أمن سقى السم القاتل ومن لدغ الحية والعقرب إذا شرب من محكه أو علق عليه (حجر أحمر) قال أرسطو إذا كان الحجر أحمر فخرج محكه أبيض فإن حامله ينجح فى كل عمل يعمله وإن خرج أسود كان حامله أى شىء يحدث به نفسه يقدر عليه وإن خرج أصفر فمن ربطه على عضده يحبه الناس وإن خرج أغبر فإنه حيث ذهب على عمل يحبه الناس وينجح وإن خرج أخضر فإن الذى يمسكه معه يصرف عنه السلاح قال الشيخ الرئيس إن فى الأحجار حجراً أحمر يشبه البسد وزن دانق منه قتال يفعل بحمله جوهره كالبيش (حجر أخضر) قال أرسطو إذا كان أخضر فحكته فخرج محكه أبيض فمن أمسكه معه وغرس غرساً أو زرع زرعا وجعل هذا الحجر فى خرقة أو قطنة ودفنه فى الزرع ينبت بإذن الله تعالى أحسن نبات وإن خرج أسود يجتمع لمن أمسكه خير كثير وإن خرج أصفر فكل دواء يعطيه إنسانا يوافقه

صاحب منطق الطير يقال فى الحمام الوحشى من القمارى والفواخت وما اشبه ذلك دباسى ويقال هدل يهدل هديلا إذا صاح فإذا طرب قيل غرد يغرد تغريدا والتغريد يكون أيضا للإنسان وأصله من الطير وبعضهم يزعم أن الهديل من أسماء الحمامة الذكر قال الراجز :

كهداهد كسر الرماة جناحه * يدعو بقارعة الطريق هديلا

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر الهديل فى باب الهاء رواه الإمام أحمد والطبرانى ورجال المسند رجال الصحيح عن يحيى بن عمارة عن جده حنش قال دخلت الأسواف فأخذت دبسيتين وأمهما ترفرف عليهما وأنا أريد أن أذبحهما قال فدخل على أبو حنش فأخذ متيخة فضربنى بها وقال ألم تعلم أن رسول الله ﷺ حرم ما بين لابتى المدينة المتيخة أصل جريد النخل وأصل العرجون والأسواف سيأتى إن شاء الله تعالى ذكره فى النهاس أيضا فى باب النون * وفى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى رضى الله عنه كان يصلى فى حائط له فطار دبسى فأعجبه وهو طائر فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة وهو فى صلاته فلم يدر كم صلى فذكر للنبى ﷺ ما أصابه من الفتنة ثم قال يارسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت قال مالك وعن عبد الله بن أبى بكر أن رجلا من الأنصار كان يصلى فى حائط له بالقف فى زمن التمر والنخل قد ذللت فهى مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى فقال لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير فباعه عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخمسين ألفا فسمى ذلك الحائط الخمسون والقف واد من أودية المدينة * وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لا يعجبه شىء من ماله إلا خرج عنه لله تعالى وكان رقيقه يعرفون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد فإذا رآه ابن عمر رضى الله تعالى عنهما على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابه أنهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله تعالى انخدعنا له وطلب منه خادم بثلاثين ألفا فقال أخاف أن تفتننى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له فقال للخادم اذهب فأنت حر لله تعالى ولذلك قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ولم يمت إلى أن أعتق ألف نسمة أو أكثر من ذلك ومناقبه وفضائله رضى الله تعالى عنه لا تحصى قال حجة الإسلام الغزالى وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكرة وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغنى غيره * ومن طبع الدبسى أنه لا يرى ساقطا على وجه الأرض بل فى الشتاء له مشتى وفى الصيف له مصيف ولا يعرف له وكر (وحكمه) الحل بالاتفاق * وفى سنن البيهقى عن ابن أبى ليلى عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال فى الخضرى والدبسى والقمرى والقطا والحجل إذا قتله المحرم شاة شاة (الخواص) قال صاحب المنهاج فى الطب أنه أفضل الطير البرى وبعده الشحرور والسمانى ثم الحجل والدراج وفراخ الحمام والورشان وهو حار يابس * والدباسا ممدوداً الأنثى من الجراد (وهو فى المنام) كالسمانى وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام عليهما فى باب السين المهملة فلينظر هناك

﴿الدجاج﴾ مثلث الدال حكاه ابن معن الدمشقى وابن مالك وغيرهما الواحدة دجاجة الذكر والأنثى فيه سواء والهاء فيه كبطة وحمامة قال ابن سيده سميت الدجاجة دجاجة لإقبالها وإدبارها يقال دج القوم يدجون دجا ودجيجا إذا مشوا مشيا رويداً فى تقارب خطو وقيل هو أن يقبلوا ويدبروا وقال الأصمعى الدجاجة بالفتح الواحدة من الدجاج وبالكسر الكعبة من الغزل

أبيض ينفع من سم الحية والعقرب إذا شرب المدوغ من محكه أو علق عليه وأن خرج أصفر فمن أمسكه لم يعى كثيراً وكل بيت هو فيه يصح أهله من الداء وأن خرج أسود على لونه فمن أمسكه معه تقضى له الحوائج من الناس ويزيد فى عقله وأن خرج أخضر فمن أمسكه لم تلدغه الهوام (حجر أصفر) قال ارسطو إذا خرج محكه أبيض من أمسكه معه يحصل له كل شىء يطلبه من الناس وإن خرج أخضر فإنه إذا وضعه على شىء من الأعمال كان جديراً أن يقع وإن كان أحمر لفن الجواب عن كل شىء يسئل عنه بإذن الله تعالى وإن خرج أسود فمن أخذه معى وسمى اسم من يريده فإنه يتبعه ولا ينقطع عنه ما دام الحجر معه (حجر أغبر) قال ارسطو إذا كان الحجر أغبر وخرج محكه أبيض أو سحيقه فإنه إن سحق على اسم إنسان واكتحل به وسمى اسم ذلك الإنسان فإنه يحبه ويشفق عليه وأن خرج محكه أسود فمن اكتحل بحكاكته يكرمه كل أحد وإن اكتحلت به النساء أحبهن أزواجهن وإن إخرج أصفر يثنى عليه كل من رآه حيث ذهب وإن خرج احمر فحيثما

وقال غيره الكبة من الغزال دجاجة بفتح الدال ايضا قاله الإمام ابن بيدار فى شرح الفصيح * وكنية الدجاجة أم الوليد وأم حفصة وأم جعفر وأم عقبة وأم إحدى وعشرين وأم قوب وأم بافع وإذا هرمت الدجاجة لم يكن لبيضها ماح وإذا كانت كذلك لم يخلق منها فرخ ومن عجيب أمرها أنه يمر بها سائر السباع فلا تخشاها فإذا مر بها ابن آوى وهى على سطح أو جدار أو شجرة رمت بنفسها إليه * وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه يقال إن نومها واستيقاظها إنما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه ويقال إنها تفعل ذلك من شدة الجبن وأكثر ما عندها من الحيلة أنها لا تنام على الأرض بل ترتفع على رف أو على جذع أو جدار أو ما قارب ذلك وإذا غربت الشمس فزعت إلى تلك العادة وبادرت إليها * والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كاسبا ظريفا مقبولا سريع الحركة يدعى فيجيب ثم هو كلما مرت عليه الأيام حمق ونقص حسنه وكيسه وزاد قبحه فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان فيه إلى أن يصير إلى حالة لا يصلح فيها إلا للذبح أو الصياح أو البيض * والدجاج مشترك الطبيعة يأكل اللحم والدباب وذلك من طباع الجوارح ويأكل الخبز ويلتقط الحب وذلك من طباع البهائم والطير * ويعرف الديك من الدجاجة وهو فى البيضة وذلك أن البيضة إذا كانت مستطيلة محدودة الأطراف فهى مخرج الإناث وإذا كانت مستديرة عريضة الأطراف فهى مخرج الذكور والفرخ يخرج من البيضة تارة بالحضن وتارة بأن يدفن فى الزبل ونحوه * ومن الدجاج ما يبيض مرتين فى اليوم والدجاجة تبيض فى جميع السنة إلا فى شهرين منها شتويين ويتم خلق البيض فى عشرة أيام وتكون البيضة عند خروجها لينة القشر فإذا أصابها الهواء يبست وهى تشتمل على بياض وصفرة بينهما قشر رقيق يسمى قميصا ويعلوه قشر صلب فالبياض رطوبة مختلطة لزجة متشابهة الأجزاء وهى بمنزلة المنى والصفرة رطوبة سلسة ناعمة أشبه شىء بدم قد جمد وهى للفرخ مادة يغتذى بها من سرته والذى يتكون من الرطوبة البيضاء عين الفرخ ثم دماغه ثم رأسه ثم ينحاز البياض فى لفافة واحدة هى جلدة الفرخ وتنحاز الصفرة فى غشاء واحد هى سرته فيتغذى منها كتغذى الجنين من سرته من دم الحيض وربما وجد فى البيضة الواحدة محان أصفران فإذا حضنت هذه البيضة خرج منها فرخان وقد شوهد ذلك وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة وأقله غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها وهذا النوع من البيض لا يتولد منه حيوان ولا ما يباض فى نقصان القمر على الأكثر لأن البيض من الاستهلال إلى الإبدار يمتلئ ويرطب فيصلح للكون وبالضد من الإبدار إلى المحاق * ويعرف الفرخ الذكر من الأنثى بعد عشرة أيام بأن يعلق بمنقاره فإن تحرك فذكر وإن سكن فأنثى وقد وصف الشعراء البيضة بأوصاف مختلفة منها قول أبى الفرج الأصبهانى من أبيات :

فيها بدائع صنعة ولطائف * ألفن بالتقدير والتعليق
خلطان مائيان ما اختلطا على * شكل ومختلف المزاج رقيق

روى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله تعالى بهلاك القرى وفى إسناده على بن عروة الدمشقى قال ابن حبان كان يضع الحديث قال عبد اللطيف البغدادى إنما أمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج لأنه أمر كل قوم بحسب مقدرتهم وما تصل إليه قوتهم والقصد من ذلك كله أن لا يقعد الناس عن الكسب وإنماء المال وعمارة الدنيا وأن لا يدعو التسبب فإن ذلك يوجب التعفف والقناعة وربما أدى إلى الغنى والثروة وترك الكسب والإعراض عنه يوجب الحاجة والمسئلة للناس والتكفف منهم وذلك مذموم

فإن صاحبه يعد حكيما وإن لم يكن كذلك (حجر الباءة) قال أرسطو إن الإسكندر أصاب هذا الحجر بأفريقية ومعدنه هناك وخاصيته أنه إذا أدنى من الإنسان أو الحيوان ظهر به شهوة الوقاع فمنع الناس من حمله إلى عسكره مخافة افتضاح النساء ومن أمسك من هذا الحجر تحت لسانه أمن من العطش وإذا سقى منه صاحب الماء الأصفر ولو أربع شعيرات أسهله من ساعته وذكر أن بأرض مصر حجرا من شده على ظهره يثور به شهوة الوقاع (حجر البحر) قال أرسطو هذا حجر يوجد على ساحل البحر يتولد من لطيف أجزاء الأرض وبخار البحر وهو حجر أسود خشن الجس مثل الرحا إلا أنه خفيف لا يغوص فى الماء وخاصيته أن الإنسان إذا استصحبه وركب البحر أمن من الغرق وإذا ألقى فى القدر لم يغل وإن أوقد تحته حطب كثير وذكروا أن الأسكندر أصاب هذا الحجر فى الظلمات وأبرأ به الزمنى وأصحاب العاهات (حجر الحبارى) يوجد فى حوصلة الحبارى يشد على

رخاوة يخرج من بحيرة بأرض المغرب يشرب منه مقدار عشر حبات يفتت حصاة المثانة وهذا حجر عزيز ترميه الامواج إلى الساحل كأنه الفلك الذى يغزل بها النساء (حجر الحية) يقال له بالفارسية مهرة حار فى حجم بندقة صغيرة يوجد على رأس الحيات بعضها لا كلها وخاصيته أن العضو الملدوغ يجعل فى اللبن أو فى الماء الحار وهذا الحجر يلقى فيه فإنه يلتزق بموضع اللدغ ويستخرج منه السم وقال ابن سينا إنه ينفع من نهش الحية تعليقا قال جالينوس أخبرنى بذلك رجل صدوق (حجر الخطاف) الخطاف يوجد فى عشه حجران أحدهما أحمر والآخر أبيض فإن علق الأحمر على من يفزع من نومه يدفع عنه ذلك وإن علق الأبيض على من به صرع يزول عنه (حجر الدجاج) حجر أسمانجونى يوجد فى قانصته إذا شد على المصروع يزول عنه الوجع والصرع ويزيد فى قوة الباه إذا علق على الإنسان يدفع عنه العين السوء ويترك تحت رأس الصبى لا يفزع فى نومه (حجر الرحا) يشد من السفلانى قطعة على المرأة التى تسقط ولدها فإنها لا تسقط وينحى عنها عند الطلق كى لا يتعسر عليها وإذا أحمى ورش عليه الخل وجلس عليه قطع نزف الدم

شرعا وأما قوله عند اتخاذ الأغنياء الدجاج بأذن الله تعالى بهلاك القرى يعنى أن الأغنياء إذا ضيقوا على الفقراء فى مكاسبهم وخالطوهم فى معايشهم تعطل سببهم وهلكوا وفى هلاك الفقراء بوار وفى ذلك هلاك القرى وبوارها . وفى آخر البخارى وغيره أن النبى ﷺ قال تلك الكلمة من الحق يختطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه كقرقرة الدجاجة وذكر الإمام العلامة أبو الفرج بن الجوزى فى الأذكياء عن أحمد بن طولون صاحب مصر أنه جلس يوما فى متنزه له يأكل مع ندمائه فرأى سائلا وعليه ثوب خلق فوضع يده فى رغيف ودجاجة وقطعة لحم وفالوذج وأمر بعض الغلمان بمناولته فأخذ ذلك الغلام وذهب به إلى السائل ورجع فذكر أنه ماهش له ولا بش فقال ابن طولون للغلام ائتنى به فأحضره بين يديه فاستنطقه فأحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته فقال له احضر لى الكتب التى معك وأصدقنى عمن بعث بك فقد صح عندى أنك صاحب خبر وأحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر هذا والله السحر فقال أحمد ما هو بسحر ولكنه قياس صحيح وفراسة ذلك أنى لما رأيت سوء حاله وجهت إليه بطعام يشره إلى أكله الشبعان فما هش ولا بش ولا مد يده إليه فأحضرته وخاطبته فتلقانى بقوة جأش وجواب حاضر فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جأشه وسرعة جوابه علمت أنه صاحب خبر انتهى . وقال ابن خلكان فى ترجمته كان أبو العباس أحمد بن طولون صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ملكا عادلا شجاعا متواضعا حسن السيرة يحب أهل العلم كريما له مائدة يحضرها الخاص والعام كثير الصدقة نقل أنه قال له وكيله يوما أن المرأة تأتينى وعليها الإزار الرفيع وفى يدها الخاتم الذهب فتطلب منى أفأعطيها فقال له من مد يده إليك فأعطه وكان يحفظ القرآن ورزق حسن الصوت فيه وكان مع ذلك طائش السيف سفاك الدماء قيل إنه أحصى من قتله صبرا ومن مات فى حبسه فكان ثمانية عشر ألفا توفى سنة سبعين ومائتين بزلق الأمعاء ويقال إن طولون تبناه ولم يكن ابنه وروى أن رجلا كان يواظب القراءة على قبره فرآه ذات ليلة فى المنام فقال أحب منك أن لا تقرأ على قال ولم قال لأنه لا تمر بى آية إلا قرعت بها ويقال لى أما سمعت هذه أما مرت بك هذه اه . وروى الإمام الحافظ بن عساكر فى تاريخه أن سليمان بن عبد الملك رحمه الله تعالى كان نهما فى الأكل وقد نقل عنه فيه أشياء غريبة فمنها أنه اصطبح فى بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية وأربعين بيضة وأربع وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس على السماط العام . ومنها أنه دخل ذات يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ويستطيب له وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل فأكل أكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم أقبل على الفاكهة فأكل أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال إلى الفاكهة فأكل أكلا ذريعا ثم أتى بقعب يقعد فيه الرجل مملوء سمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ثم سار إلى دار الخلافة وأتى بالسماط فما نقص من أكله شىء . ومنها أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخروفا وست دجاجات وأتى بمكوك زبيب طائفى فأكله أجمع . وقيل إنه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال فاستأذن فى ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن فى ضمانه فلما قيل للضامن أحمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخله أمير المؤمنين . قيل كان سبب مرضه أنه أكل أربعمائة بيضة وثمانمائة حبة تين وأربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة فحم وفشت الحمى فى عسكره وكان موته بالتخمة رحمة الله تعالى عليه فى مرج دابق ﴿فائدة﴾ ذكر بعض العلماء أن من أكل كثيرا وخاف على نفسه من التخمة فليمسح على بطنه بيده وليقل الليلة ليلة عيدى يا كرشى ورضى الله عن سيدى أبى عبد الله القرشى يفعل ذلك ثلاثا فإنه لا يضره الأكل وهو عجيب مجرب . وقد روينا بأسانيد شتى من طرق

مختلفة أن امرأة جاءت بولدها إلى سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله روحه وقالت إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حق فيه لله عز وجل ولك فاقبله فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فدخلت عليه أمه يوما فوجدته نحيلا مصفرا من آثار الجوع والسهر ووجدته يأكل قرصا من الشعير فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مصلوقة قد أكلها فقالت ياسيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم فقامت دجاجة سوية وصاحت فقال الشيخ إذا صار ابنك هكذا فليأكل ماشاء * وذكر ابن خلكان أيضا فى ترجمة الهيثم بن عدى أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا فوقع بينه وبين امرأته فرقة وذهب ماله وتزوجت امرأته فبينما الزوج الثانى يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذ جاءه سائل فقال لامرأته ناوليه الدجاجة فناولته ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول فأخبرت زوجها الثانى بالقصة فقال الزوج الثانى وأنا والله ذلك المسكين الأول خولنى الله نعمته وأهله لقلة شكره * وقال الهيثم خرجت فى سفر على ناقة فأمسيت عند خيمة أعرابى فنزلت فقالت ربة الخباء من أنت فقلت ضيف قالت وما يصنع الضيف عندنا إن الصحراء لواسعة ثم قامت إلى برفطحنته وعجنته وخبزته ثم قعدت تأكل فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه ابن فسلم ثم قال من الرجل قلت ضيف قال أهلا وسهلا حياك الله وملأ قعبا من لبن وسقانى ثم قال ما أراك أكلت شيئا وما أراها أطعمتك فقلت لا والله فدخل عليها مغضبا وقال ويلك أكلت وتركت الضيف قالت وما أصنع به أطعمه طعامى وزاد بينهما الكلام فضربها حتى شجها ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى فنحرها فقلت ما صنعت عافاك الله فقال والله لا يبيت ضيفى جائعا ثم جمع حطبا وأجج نارا وأقبل يشوى ويطعمنى ويأكل ويلقى إليها ويقول كلى لا أطعمك الله حتى إذا أصبح تركنى ومضى فقعدت مغموما فلما تعالى النهار أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر من النظر إليه وقال هذا مكان ناقتك ثم زودنى من ذلك اللحم ومما حضره وخرجت من عنده فضمنى الليل إلى خيمة أعرابى فسلمت فردت صاحبة الخباء على السلام وقالت من الرجل قلت ضيف فقالت مرحبا بك حياك الله وعافاك فنزلت ثم عمدت إلى برفطحنته وعجنته وخبزته ثم روت ذلك بالزبد واللبن ووضعته بين يدى ومعه دجاجة مشوية وقالت كل واعذر فلم ألبث إذ أقبل أعرابى كريه المنظر فسلم فرددت عليه السلام فقال من الرجل قلت ضيف قال وما يصنع الضيف عندنا ثم دخل إلى أهله وقال أين طعامى قالت أطعمته للضيف فقال أتطعمين طعامى للأضياف ثم تكالما فضربها فشجها فجعلت أضحك فخرج إلى وقال ما يضحكك فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله فأقبل على وقال إن هذه المرأة التى عندى أخت ذلك الرجل وتلك المرأة التى عنده أختى قال فنمت ليلتى متعجبا فلما أن أصبحت انصرفت (الحكم) يحل أكل الدجاج لأنه من الطيبات لما روى الشيخان والترمذى والنسائى عن زهدم بن مضرب الجرمى قال كنا عند أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فدعا بمائدة عليها لحم دجاج فدخل رجل من بنى تيم الله أحمر شبيه بالموالى فقال له هلم فتلكأ فقال هلم فإنى رأيت رسول الله ﷺ يأكل منه وفى لفظ رأيت النبى ﷺ يأكل دجاجة وهذا الرجل إنما تلكأ لأنه رآه يأكل العذرة فقذره ويحتمل أن يكون تردد لالتباس الحكم عليه أو لم يكن عنده دليل فتوقف حتى يعلم حكم الله تعالى وقد جاء النهى عن لبن الجلالة ولحمها وبيضها وفى الكامل والميزان فى ترجمة غالب بن عبيد الله الجذرى وهو متروك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمرها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك وفى فتاوى القاضى حسين

أراد بناء بيت المقدس أمر الشياطين بقطع الأحجار فشكا الناس من صوت قطع الأحجار فجمع علماء بنى إسرائيل وعلماء الجن وطلب منهم قطع الحجر من غير صوت فقال بعض العفاريت أنا أعلم حجرا له هذه الخاصية ولكن لست أعرف مكانها ولا حيلة فى تحصيله ثم قال على بعش العقاب وبيضها فجاء بها بعض العفاريت فى الحال فدعا بجام من القوارير غليظا شديد الصفاء وكبه على بيض العقاب ووكرها وأمر بردها إلى مكانها فعادت العقاب إلى عشها فرأتها مغطاة فضربتها برجلها فلم تعمل فيه شيئا فسارت وأقبلت صبيحة اليوم الثانى وفى منقارها قطعة حجر ألقته على الجام فانشق نصفين من غير صوت فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام العقاب وقال أخبرنى من أى موضع حملت هذا الحجر فقال يانبى الله من جبل بالمغرب يقال له السامور فبعث سليمان عليه الصلاة والسلام الجن فحملوا منه مقدار حاجته وكان بعد ذلك يقطع الجن الصخور من غير أن يسمع لها صوت (حجر السم) هو

حجر كالجزع وليس بجزع يوجد فى خزائن الملوك خاصيته

لو قال رجل لامرأته إن لم تبيعى هذه الدجاجات فأنت طالق فقتلت واحدة منهن طلقت لتعذر البيع وإن جرحتها ثم باعتها فإن كانت بحيث لو ذبحت لم تحل لم يصح البيع ووقع الطلاق وإلا فتنحل اليمين ﴿فرع﴾ لا يجوز بيع دجاجة فيها بيض ببيض كما لا يجوز بيع شاة فى ضرعها لبن بلبن ويحرم بيع الحنطة بدقيقها والسمسم بكسبه وما أشبهه لأنه يحرم بيع مال الربا بأصله المشتمل عليه ﴿فرع﴾ البيضة التى فى جوف الطائر الميت فيها ثلاثة أوجه حكاها الماوردى والرويانى والشاشى أصحها وهو قول ابن القطان وأبى الفياض وبه قطع الجمهور إن تصلبت فطاهرة وإلا فنجسة والثانى طاهرة مطلقا وبه قال أبو حنيفة لتميزها عنه فصارت بالولد أشبه والثالث نجسة مطلقا وبه قال مالك لأنها قبل الانفصال جزء من الطائر وحكاه المتولى عن نص الشافعى رضى الله تعالى عنه وهو نقل غريب شاذ ضعيف وقال صاحب الحاوى والبحر فلو وضعت هذه البيضة تحت طائر فصارت فرخا كان الفرخ طاهرا على الأوجه كلها كسائر الحيوان ولا خلاف أن ظاهر البيضة نجس وأما البيضة الخارجة فى حال حياة الدجاجة فهل يحكم بنجاسة ظاهرها فيه وجهان حكاهما الماوردى والرويانى والبغوى وغيرهم بناء على الوجهين فى نجاسة رطوبة فرج المرأة قال فى المهذب أن المنصوص نجاسة رطوبة فرج المرأة وقال الماوردى إن الشافعى رضى الله تعالى عنه قد نص فى بعض كتبه على طهارتها ثم حكى التنجيس عن ابن سريج فملخص الخلاف فيها قولان لا وجهان وقال الإمام النووى رطوبة الفرج طاهرة مطلقا سواء كان الفرج من بهيمة أو امرأة وهو الأصح وإذا فرعنا على نجاسة رطوبة الفرج فنقل النووى فى شرح المهذب عن فتاوى ابن الصباغ ولم يخالفه أن المولود لا يجب غسله إجماعا وقال فى آخر باب الآنية من الشرح المذكور أن فيه وجهين حكاهما الماوردى والرويانى وقد حكاهما الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه ورأيت فى الكافى للخوارزمى أن الماء لا ينجس بوقوعه فيه فيحتمل أن يكون الخلاف مفرعا على القول القديم بعدم وجوب الغسل لكونه نجسا معفوا عنه وأما إذا انفصل الولد حيا بعد موتها فعينه طاهرة بلا خلاف ويجب غسل ظاهره بلا خلاف وأما البلل الخارج مع الولد أو غيره فنجس كما جزم به الرافعى فى الشرح الصغير والنووى فى شرح المهذب وقال الإمام لا شك فيه وأما الرطوبة الخارجة من باطن الفرج فإنها نجسة كما تقدم وإنما قلنا بطهارة ذكر المجامع ونحوه على ذلك القول لأنا لا نقطع بخروجها قال فى الكفاية والفرق بين رطوبة فرج المرأة ورطوبة باطن الذكر لأنها لزجة لا تنفصل بنفسها ولا تمازج سائر رطوبات البدن فلا حكم لها ﴿قلت﴾ والرطوبة هى ماء أبيض متردد بين المذى والعرق كما قاله فى شرح المهذب وغيره وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على الجلالة من الدجاج وغيره فى باب السير المهملة فى حكم السخلة والله الموفق (الأمثال) قالوا أعطف من أم إحدى وعشرين وهى الدجاجة كما تقدم (الخواص) لحم الدجاج معتدل الحرارة جيد * وأكل لحم الفتى من الدجاج يزيد فى العقل والمنى ويصفى الصوت لكنه يضر بالمعدة والمرتاضين ودفع مضرته أن يتناول بعده شراب العسل وهو يولد غذاء معتدلا يوافق من الأمزجة المعتدلة ومن الإنسان الفتيان ومن الأزمان الربيع * واعلم أن الدجاج المعتدلة الغذاء ليست حارة مستحيلة إلى الصفراء ولا باردة مولدة للبلغم ولا أعلم من أين أجمعت العامة والأطباء الإغمار على مضرتها بالنقرس وتوليدها له والقائلون بذلك لعلهم معتقدون بالخاصية حسب لا غير وهى محسنة للون وأدمغتها تزيد فى الأدمغة والعقل وهى من أغذية المترفهين لا سيما من قبل أن تبيض * وأما بيضها فخار مائل إلى الرطوبة واليبس وقال بيارق بياضه بارد رطب وصفرته حارة جيدة للكباد والطرى منفعته تزيد فى الباه لكنه إذا أدمن أكله يولد كلفا وهو بطىء الهضم ودفع ضرره بالاقتصار على صفرته وهو يولد خلطا محمودا * واعلم أن أجود

أن سليمان بن عبد الملك قال ذات يوم إن مملكتى ليست تقصر عن مملكة سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام إلا أن الله تعالى سخر له الجن والطير والريح وليس لأحد من الملوك على وجه الأرض مثل مالى من الأموال والعدة قال بعض الحاضرين أهم شىء يحتاج إليه الملوك ليس عندك يا أمير المؤمنين قال ما هو قال وزير يكون وزير ابن وزير ابن وزير كما أنك خليفة ابن خليفة ابن خليفة فقال وهل تعرف وزيرا هذه صفته قال نعم جعفر بن برمك فإنه ورث الوزارة أبا عن جد إلى زمن أردشير ولهم كتب مصنفة فى الوزارة يعلمون أولادهم ذلك فكتب سليمان إلى عامل بلخ وأمرهم بإرسال جعفر إلى دمشق مع التجمل والإعزاز فلما وصل إلى دمشق ودخل على سليمان فرأى سليمان صورته استحسنه وتحرك له وأمره بالجلوس بين يديه فما كان إلا يسيرا حتى عبس سليمان وجهه وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قم من عندى فأقامه الحاجب ولم يعرف أحد ما سبب ذلك إلى أن خلا سليمان بندمائه فقال بعضهم يا أمير المؤمنين

البيض للإنسان بيض الدجاج والدراج إذا كانا طريين معتدلى النضج فإن الصلب إما أن يتخم أو يورث حمى وهو يلبث طويلا ويغذو إذا انهضم كثيرا أو النيمرشت يغذو غذاء كثيرا والمسلوق بخل يعقل البطن والساذج ينفع من حرارة المعدة والمثانة ونفث الدم ويصفى الصوت وأنفع السليق ما ألقى على الماء وهو يغلى عدمائة ورفع * ومما ينفع لحل المعقود أن تكتب على جوانب السيف هذه الأحرف بكصم لالاوم ماما لالالاده وتقطع به بيضة دجاجة سوداء نظيفة مناصفة فتأكل المرأة النصف والرجل النصف فإنه مجرب وهو يحل اثنين وسبعين بابا بإذن الله تعالى * ومما ينفع لحل المعقود أيضا أن يكتب ويعلق فى عنق الرجل ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر * ومما جرب أيضا لحل المعقود أن تكتب وتعلق عليه الفاتحة والإخلاص والمعوذتين ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا وتكتب اسم الرجل والمرأة فى آخر الكتاب وتقول اللهم إنى أسألك أن تجمع بين فلان بن فلانة وبين فلانة بنت فلانة بحق هذه الأسماء والآيات إنك على كل شىء قدير بأهيا شراهيا أصباؤت آل شداى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فى فى فى فى تم وكمل * قال ابن وحشية ودماغ الدجاجة إذا وضع على لسعة الحية خاصة أبرأتها * وقال القزوينى إذا طبخت الدجاجة مع عشر بصلات بيض وكف سمسم مقشور حتى تهرى ويؤكل لحمها ويشرب مرقتها فإنه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة * وقال غيره المداومة على أكل لحم الدجاج تورث البواسير والنقرس وهذا قول جاهل بالطب وهو قول أغمار الأطباء كما تقدم * قال القزوينى وفى قانصة الدجاجة حجر إذا شد على المصروع أبرأه وإذا علق على إنسان زاد فى قوة الباه ويدفع عنه عين السوء وإذا ترك تحت رأس الصبى فإنه لا يفزع فى نومه * وذرق الدجاجة السوداء إذا ألصق على باب قوم وقع بينهم الخصومة والشر وإذا طلى الذكر بمرارة الدجاجة السوداء وجامع من شاء لم ينله أحد بعده * وإذا دفنت رأس دجاجة سوداء فى كوز جديد تحت فراش رجل قد خاصم زوجته صالحها من وقته * وإذا احتمل رجل من دهن الدجاجة السوداء قدر أربعة دراهم هيج الباه وإذا أخذ عينا دجاجة سوداء شديدة السواد وعينا سنور أسود وجففن وسحقن واكتحل بهن رأى من يفعل ذلك الروحانيين فإن سألهم أخبروه بما يريد والله أعلم (التعبير) الدجاجة فى المنام نساء ذليلات مهينات فالرقادة ذات نشاط وأصالة وبدالة والدبيبة امرأة دنيئة الأصل أو خائنة وفروخها أولاد الزنا وربما دلت الدجاجة على المرأة ذات الأولاد ودخولها على المريض عافيته وأذان الدجاجة شر ونكد أو موت وكذلك الفروخ وربما دل دخولها على السليم على انذار بمرض يحتاج فيه إليها وربما دل دخولها على زوال الهموم والأنكاد وعلى الأفراح والتظاهر بالرفاهية والنعم والفروج ولد أو ملبوس مفرح أو فرح لمن هو فى شدة وربما كانت الدجاجة فى المنام تدل رؤيتها على امرأة رعناء حمقاء ذات جمال أو سرية أو خادم فمن رأى كأنه ذبح دجاجة افتض جارية ومن صادها نال ولاية ومالا هنيئا من العجم ومن رأى الدجاج أو الفراريج تساق من مكان إلى مكان فإنه سعى ومن رأى

طلبت جعفرا من خراسان بإعزاز فلما حضر أبعدته فقال سليمان لولا أنه جاء من أرض بعيدة لأمرت بضرب عنقه لأنه حضر بين يدى ومعه السم القاتل فكان أول ما جاءنا وصحبته السم القاتل فقال ذلك النديم أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أكشف عن هذا فقال افعل فذهب إلى جعفر وقال له أنت لما حضرت عند أمير المؤمنين أكان معك شىء من السم قال نعم وهو الآن معى تحت فص خاتمى هذا لأن آبائى احتملوا من الملوك مشاق كثيرة طلبوا منهم الأموال وعذبوهم وإنى خشيت أن أكلف شيئا من ذلك فأحببت أن أمص خاتمى هذا واستريح من الإهانة فرجع النديم إلى سليمان وأخبره بما سمع من جعفر فتعجب سليمان من نظره فى العواقب فأحضره مرة أخرى وخلع عليه وأقعده بجنبه ووضع الدواة بين يديه حتى وقع بحضور سليمان عدة تواقيع فلما انبسط معه بعد ذلك سأله ذات يوم فقال يا أمير المؤمنين كيف عرفت أن السم مع العبد فقال معى خرزتان لا أفارقهما أبدا من خاصيتهما أنهما يتحركان إذا حضرنا من كان معه السم فلما دخلت على تحركتا وحين قعدت بين يدى اضطربتا وكادتا أن تقع إحداهما على الأخرى فلما قمت من عندى سكنتا ثم

اللون لونه كلون الياقوت وكسره ككسره وليس له شفاف إذا غمس فى الماء اصفر مثل الزرنيخ وإذا كلس ثلاث مرات احمر وصار مثل الزنجفر فإن ألقى جزء منه على أربعة عشر جزء من الفضة صبغها ذهبا أحمر

(حجر الصدف) هو حجر أحمر يضرب إلى سواد يجلب من أرض كرمان ويسمى أيضا حجر الخمار يسقى من أضر به النبيذ أو أصابه صداع الخمار يستريح فى الحال ويحل ويكتب به مثل الزنجفر

(حجر الصنونو) قال أرسطو إنه صالح نافع لدفع اليرقان يوجد فى عش الخطاف والحيلة فى تحصيله أن يلطخ فرخ الخطاف بالزعفران ويترك فى مكانه فإذا عادت أمه ترى عليه أثر الصفرة تحسب أن به اليرقان فتذهب وتأتى بهذا الحجر وتتركه فى العش وتدلك الأفراخ به

(حجر العاج) قال ابن سينا يمنع من نزول الدم فى القروح والجراحات

(حجر العقاب) حجر يشبه نوع التمر هندى إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لا يرى فيه شىء يوجد فى عش الدجاج أو الطواويس تهدر فى منزله فإنه صاحب فجور وريش الدجاج مال والبيض فى المنام يعبر بالنساء لقوله تعالى كأنهن بيض مكنون والبيضة الواحدة لمن رآها بيده فإن كانت زوجته حاملا فإنها تضع له بنتا وإن كان أعزب تزوج ومن رأى البيض يحرف من مكان إلى مكان كما تحرف الزبالة فإنه سبى نساء ذلك المكان ومن رأى بيضا نيئا وهو يأكله فإنه يأكل مالا حراما والمطبوخ رزق حلال بتعب وإذا رأت الحامل كأنها أعطيت بيضة مقشرة فإنها تلد بنتا وفراريج الدجاج أولاد زنا ومن قشر بيضة فأكل بياضها ورمى صفارها فإنه نباش للقبور ويأخذ أكفان الموتى لما روى عن ابن سيرين أنه أتاه رجل فقال إنى رأيت كأنى أقشر بيضة وأرمى صفارها وآكل بياضها فقال ابن سيرين هذا رجل نباش للقبور فقيل له من أين أخذت هذا فقال البيضة القبر والصفار الجسد والبياض الكفن فيأتى الميت ويأكل ثمن الكفن وهو البياض وحكى أن امرأة أتت إلى ابن سيرين فقالت رأيت كأنى أضع البيض تحت الخشب فتخرج فراريج فقال ابن سيرين ويلك اتقى الله فإنك امرأة توفقين بين الرجال والنساء فيما لا يحبه الله عز وجل فقال له جلساؤه قذفت المرأة يا محمد من أين أخذت ذلك فقال من قوله تعالى فى النساء يشبهن بالبيض كأنهن بيض مكنون وقال جل وعلا يشبه المنافقين بالخشب كأنهم خشب مسندة فالبيض هو النساء والخشب هم المفسدون والفراريج هم أولاد الزنا والله أعلم.

(الدجاجة الحبشية) هى نوع مما تقدم قال الشافعى يحرم على المحرم الدجاجة الحبشية لأنها وحشية تمنع بالطيران وإن كانت ربما ألفت البيوت قال القاضى حسين الدجاجة الحبشية شبيهة بالدراج قال وتسمى بالعراق الدجاجة السندية فإن أتلفها لزمه الجزاء وقال مالك لا جزاء فى دجاج الحبش على المحرم لاستئناسه وكذلك كل ما تأنس من الوحشى عند الشافعى فيه الجزاء خلافا لمالك والدجاج الحبشى هو الدجاج البرى وهو فى الشكل واللون قريب من الدجاج يسكن فى الغالب سواحل البحر وهو كثير ببلاد المغرب يأوى مواضع الطرفاء ويبيض فيها قال الجاحظ ويخرج فراخه وكذلك فراخ الطاوس والبط السندى كيسة كاذبة تلتقط الحب من ساعتها كفراخ الدجاج الأهلى ويقال له الغر وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة.

(الدج) طائر صغير فى حد الحمام من طير الماء سمين طيب اللحم وهو كثير بالاسكندرية وما يشابهها من بلاد السواحل قاله ابن سيده.

(الدحرج) بضم الدال المهملة دويبة قاله ابن سيده.

(الدخاس) كنحاس دويبة تغيب فى التراب والجمع الدخاسيس.

(الدخس) بضم الدال المهملة وتشديد الخاء المعجمة ضرب من السمك وهو الدلفين قاله ابن سيده أيضا وقال الجوهرى الدخس مثال الصرد دويبة فى البحر تنجى الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة وتسمى الدلفين وسيأتى قريبا إن شاء الله تعالى فى هذا الباب.

(الدخل) بتشديد الخاء المعجمة أيضا طائر صغير والجمع الدخاخيل وهو أغبر يسقط على رءوس الشجر والنخل واحدته دخلة وفى أدب الكاتب لابن قتيبة الدخل ابن تمرة.

(الدراج) بضم الدال وفتح الراء المهملتين كنيته أبو الحجاج أبو خطار وأبو ضبة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الضاد المعجمة الساقطة واحدته دراجة * وهو طائر مبارك كثير النتاج مبشر بالربيع وهو القائل بالشكر تدوم النعم وصوته متقطع على هذه الكلمات وتطيب نفسه على الهواء الصافى وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى أنه لا يقدر على الطيران وهو طائر

العقاب والعقاب يجلبه من أرض الهند وإذا قصد الإنسان عشه

أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر على حلقه القطا إلا أنه ألطف . والدراج اسم يطلق على الذكر والأنثى حتى تقول الحيقطان فيختص بالذكر وأرض مدرجة أى ذات دراج كذا قاله الجوهرى وقال سيبويه واحدة الدراج درجوج والديلم ذكر الدراج وقال ابن سيده الدراج طائر شبيه بالحيقطان وهو من طير العراق قال ابن دريد أحسبه مولدا وهو الدرجة مثل الرطبة وأما الجاحظ فجعله من أقسام الحمام لأنه يجمع فراخه تحت جناحيه كما يجمع الحمام ومن شأنه أنه لا يجعل بيضه فى موضع واحد بل ينقله لئلا يعرف أحد مكانه ولا يتسافد فى البيوت وإنما يفعل ذلك فى البساتين قال أبو الطيب المأمونى يصف دراجة :

قد بعثنا بذات حسن بديع * كنبات الربيع بل هى أحسن
فى رداء من جلنار وآس * وقميص من ياسمين وسوسن

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القبج زيادة فى نعتها فى باب القاف قال الجاحظ وهو من الخلق الذى لا يسمن بل يعظم وإذا عظم لا يحمل اللحم (وحكمه) الحل لأنه إما من الحمام أو من القطا وهما حلالان (الأمثال) قالوا فلان يطلب الدراج من خيس الأسد يضرب لمن يطلب ما يتعذر وجوده (الخواص) يؤخذ شحمه فيذوب بدهن كاذى ويقطر فى الأذن الوجعة ثلاث قطرات يسكن وجعها بإذن الله تعالى قال ابن سينا لحمه أفضل من لحم الفواخت وأعدل وألطف وأكله يزيد فى الدماغ والفهم والمنى (التعبير) الدراج فى المنام مال وقيل امرأة أو مملوك فمن ملكه أو رآه عنده فإنه يملك مالا أو سرية أو مملوكا أو يتزوج والله أعلم .

﴿الدراج﴾ بفتح الدال والراء المهملتين القنفذ صفة غالبة عليه لأنه يدرج ليله كله قال ابن سيده ﴿فائدة أجنبية﴾ استدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئة جدد الله له نعمة وأنساه الاستغفار وأن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته (روى) أحمد فى الزهد عن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون قال ابن عطية روى عن بعض العلماء أنه قال رحم الله امرأ تدبر هذه الآية وحتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون، وقال محمد بن النضر الحارثى أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة وقال الحسن والله ما أحد من الناس بسط الله تعالى له فى الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر به فيها إلا كان قد نقص فى عمله وقد عجز فى رأيه وما أمسكها الله تعالى عن عبد فلم يظن أنه خير له فيها إلا كان قد نقص فى عمله وقد عجز فى رأيه * وفى الخبر أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقر مقبلا إليك فقل مرحبا بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا إليك فقل ذنب عجلت عقوبته

﴿الدرباب﴾ طائر مركب من الشقراق والغراب وذلك بين فى لونه وهو كما قال أرسطاطاليس فى النعوت إنه طائر يحب الأنس ويقبل التأديب والتربية وفى صفيره وقرقرته أعاجيب وذلك أنه ربما أفصح بالأصوات وقرقر كالقمرى وربما حمحم كالفرس وربما صفر كالبلبل وغذاؤه من النبت والفاكهة واللحم وغير ذلك ومألفه الغياض والأشجار الملتفة انتهى ﴿قلت﴾ وهذه صفة الطائر المسمى عند الناس بأبى زريق فإنه على هذا النعت الذى ذكره ويقال له الفيق أيضا وسيأتى إن شاء الله تعالى له مزيد بيان فى باب القاف .

﴿الدرحرج﴾ قال القزوينى إنها دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم من أكلها تقرحت مثانته

من بها عسر الولادة تضع سريعا ومن جعله تحت لسانه يغلب الخصم فى المقاولة ويبقى مقضى الحاجة (حجر الفار) شبيه بالفار يوجد بأرض المغرب يتركه الناس فى بيوتهم فيجتمع عليه الفار بحيث يسهل أخذها باليد وهم يدفعون الفار بهذا الحجر لأن أرضهم خالية من السنانير (حجر القمر) قال ابن سينا إنه يوجد ببلاد المغرب عند زيادة القمر ويقال له أيضا براق القمر حجر خفيف خاصيته أنه يعلق على الشجر فتثمر وينفع من الصرع إذا عاق على المصروع وبالهند حجر إذا خسف القمر يتقاطر منه الماء يقال له أيضا حجر القمر والله أعلم (حجر القير) قال أرسطو إنه أسود اللون خشن الملمس إذا ألقى على القير ولو على ألف من يغل كما يغلى من النار وإذا ألقى فى عين الماء الجارى المسرع حاد عنه الماء (حجر القىء) يوجد هذا الحجر بأرض مصر إذا أخذه الإنسان بيده غلبه الغثيان حتى يتقايأ جميع ما فى معدته بحيث لو لم يلقه من يده خيف عليه التلف (حجر الكلب)

إذا رميت الكلب بحجر فعضه فإن القيت ذلك الحجر فى النبيذ فمن شرب منه لم يعد (حجر المطر)

يجلب من بلاد الترك وهو أنواع مختلفة الألوان إذا وضع شيء منها فى الماء تنعم السماء وتمطر وربما يقع البرد والثلج وهذا أمر مشهور ورأيت من شاهد هذا

(حجر تتمرغ فيه الناقة) يوضع هذا الحجر على الخوان عند أكل الناس لايجد أحد منهم طعم المأكول مادام ذلك الحجر عليه ويعلق على العاشق الهائم يسلو ويزول عنه الهيمان

(حجر) يتولد فى الإنسان قال أرسطو إذا سحق مع الكحل قلع البياض من العين إذا اكتحل به

(حجر) يتولد فى الماء الراكد قال أرسطو إذا سحق وسعط به نفع من الصرع والجنون نفعا بينا

(حجر حرض) قال أرسطو إنه حجر أصفر اللون مشوب ببياض وخضرة وهو خفيف لين الملمس يوجد بأرض المغرب خاصيته أنه ينفع من لسع الهوام ومن جميع ذوات السم

(حجر موساى) قال أرسطو الحديد إذا خلص بالنار حدث منه حجر يسمى حجر الحديد وهو خبثه له خاصية عجيبة فى تجفيف الجراحات وإبراء الناصير وإذا جعلته فى شيء من الجوارشنات ينفع لمن به استرخاء المعدة ولينها ويذهب برياح البواسير واللون المتغير من قبل البواسير

(حجر خبث الطين) قال أرسطو إن الطين إذا عمل منه آنية أو قوالب

وسد بوله وأظلم بصره وتورم قضيبه وعانته ويعرض له اختلاط فى عقله (وحكمها) التحريم لضررها بالبدن والعقل

﴿الدرص﴾ بكسر الدال ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة والذئبة ونحوها والجمع أدراص ودرصة قال السهيلى فى التعريف والأعلام: العرب تقول للأحمق أبو دراص للعبه بالأدراص وهو جمع درص وهو ولد الكلبة وولد الهرة ونحو ذلك وكنية اليربوع أم أدراص قاله الأصمعى (الأمثال) قالت العرب ضل دريص نفقه أى جحره يضرب لمن لايعبأ بأمره قال طفيل:

فما أم أدراص بأرض مضلة * بأغدر من قيس إذا الليل أظلما

﴿الدرة﴾ بضم الدال المهملة المبغاء المتقدمة فى باب الباء الموحدة حكى الشيخ كمال الدين جعفر الأدفوى فى كتابه الطالع السعيد فى ترجمة محمد بن محمد النصيبى القوصى الفاضل المحدث الأديب أنه أخبره أنه حضر مرة عند عز الدين بن البصراوى الحاجب بقوص وكان له مجلس يجتمع فيه الرؤساء والفضلاء والأدباء فحضر الشيخ على الحريرى وحكى أنه رأى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبى وكان غراب يقرأ سورة السجدة فإذا جاء إلى محل السجدة سجد ويقول سجدلك سوادى واطمأن بك فؤادى

﴿الدساسة﴾ بفتح الدال حية صماء تندس تحت التراب اندساسا أى تندفن وقيل هى شحمة الأرض وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة

﴿الدعسوقة﴾ بفتح الدال دويبة كالخنفساء وربما قيل ذلك للصبية والمرأة القصيرة تشبيها بها قاله فى المحكم وفى مختصر العين للزبيدى أيضا إلا أنه ضبطه بالقلم بفتح الدال فى نسخة صحيحة

﴿الدعموص﴾ بضم الدال دويبة تغوص فى الماء وجمع الدعاميص كبرغوث وبراغيث وقال السهيلى الدعموص سمكة صغيرة كحية الماء ودعميص اسم رجل كان داهيا سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى الأمثال ويقال هذا دعميص هذا الأمر أى عالم به انتهى * روى مسلم عن أبى حسان قال قلت لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قدمات لى اثنان من الولد فهل أنت محدثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغاركم دعاميص الجنة أى لايمنعون من بيت فيلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بيده أو بثوبه كما آخذ أنا ببعض ثوبك هذا فيقول هذا فلان فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنة وفى الحديث أن رجلا زنى فمسخه الله تعالى دعموصا وبعضهم يقول الدعموص هو الآذن على الملك المتصرف بين يديه قال أمية بن أبى الصلت:

دعمـــوص أبواب الملو * ك وحاجب للخلق فاتح

قال الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى الكلام على هذا الحديث الدعاميص بفتح الدال جمع دعموص بضمها وهى دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون فى الغدران شبه الطفل بها فى الجنة لصغره وسرعة حركته وقيل هو اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم والخروج لايتوقف على إذن منهم ولايخاف أين يذهب من ديارهم شبه طفل الجنة لكثرة ذهابه فى الجنة حيث شاء لايمتنع من بيت فيها ولا موضع وهذا قول ظاهر انتهى قال الجاحظ إذا كبر الناموس صار دعاميص وهو يتولد من الماء الراكد وإذا كبر صار فراشا ولعل هذا هو عمدة من

جعل الجراد بحريا * والدعموص من الخلق الذى لا يعيش فى ابتداء أمره إلا فى الماء ثم بعد ذلك يستحيل بعوضا وناموسا ﴿فائدة﴾ فى فتاوى القاضى حسين أن دود الماء لو انشق أو ذاب فخرج منه ماء كان ذلك الماء طهوراً يجوز منه التوضؤ وعلله بأن هذا الدود ليس بحيوان بل هو منعقد من بخار يصعد من الماء فيشبه الدود وهذا منه صريح فى جواز شرب الدعاميص مع الماء لأنها ماء منعقد ويحتمل أن يكون منه اختياراً لأن دود الخل والفاكهة يعطى حكم ما يتولد منه حتى يجوز أكله منفردا كما هو وجه فى المذهب موجها بأنه يشبهه طعما وطبعاً والظاهر أن هذا لا يوافق عليه والمشهور خلاف ما قاله تفسيراً وحكما وأن الدعموص محرم الأكل لاستقذاره لأنه من الحشرات (الأمثال) قالوا أهدى من دعيميص الرمل وهو عبد أسود كان داهية خريتا لم يدخل فى بلاد وبار غيره فقام فى الموسم وقال :

فمن يعطنى تسعا وتسعين بقرة * هجانا وأدما أهدها لوبار

فقام رجل من مهرة وأعطاه ما سأل وتحمل معه بأهله وولده فلما توسطوا الرمل طمست الجن عين دعيميص فتحير وهلك هو ومن معه فى تلك الرمال وفى ذلك يقول الفرزدق :

* كهلاك ملتمس طريق وبار *

﴿الدغفل﴾ كجعفر ولد الفيل وذكر الثعالب أيضا وكان دغفل بن حنظلة النسابة أحد بنى شيبان يسمى بذلك روى عنه الحسن البصرى شيئا من سنن رسول الله ﷺ وخولف فيه ويقال إن له صحبة ولم يصح ولم يعرفه أحمد بن حنبل وروى عنه الحسن أنه قال كان على النصارى صوم شهر رمضان فولى عليهم ملك فرض فنذر إن شفاه الله أن يزيد الصوم عشراً ثم كان عليهم ملك بعده يأكل اللحم فرض فنذر إن شفاه الله أن لا يأكل اللحم ويزيد الصوم ثمانية أيام ثم كان ملك بعده فقال ما ندع هذه الايام إلا أن نتمها خمسين ونجعلها فى الربيع فصارت خمسين يوما قال البخارى لا يتابع دغفل على ذلك ولا يعرف للحسن سماع منه وقال ابن سيرين كان دغفل رجلا عالما لكنه اغتلمته النساء أرسل إليه معاوية رضى الله تعالى عنه يسأله عن أنساب العرب وعن النجوم وعن العربية وعن أنساب قريش فأخبره فإذا هو رجل عالم فقال له من أين حفظت هذا يا دغفل قال بلسان سؤول وقلب عقول فأمره أن يعلم ولده يزبد .

﴿الدغناش﴾ طائر صغير من أنواع العصافير أصغر من الصرد مخطط الظهر بحمرة مطوق بالسواد والبياض وهو شرير الطبع شديد المنقار يوجد كثيرا بسواحل البحر الملح وغيره (وحكمه) الحل لأنهم من أنواع العصافير .

﴿الدقيش﴾ بضم الدال وفتح القاف طائر صغير أصغر من الصرد وتسميه العامة الدقناس (وحكمه) كالذى قبله ولعله هو ولكن تلاعبوا به فسموه تارة كذا وتارة كذا وفى الصحاح قيل لأبى الدقيش الشاعر ما الدقيش فقال لا أدرى إنما هى أسماء نسمعها فنتسمى بها .

﴿الدلدل﴾ عظيم الفنافذ والدلدال الاضطراب وقد تدلدل السحاب أى تحرك متدليا وبه سميت بغلة النبى ﷺ التى أهداها له المقوقس فى حديث أبى مرثد الآتى إن شاء الله تعالى فى باب العين قالت عناق البغى يا أهل الخيام هذا الدلدل الذى يحمل أسراكم وإنما شبهته بالقنفذ لأنه أكثر ما يظهر فى الليل ولأنه يخفى رأسه فى جسده ما استطاع وقال الجاحظ الفرق

فى الخل وهو نافع لدبر الدواب إذا سحق ونثر عليها والله الموفق (حجر خصية اللص) حجر يوجد بأرض الصين من استصحبه لا يدور اللص حوله ولا حول متاعه ويزيد حامله وقاراً (حجر در) قال أرسطو إن البحر المسمى أوقيانوس يضطرب فى كل فصل ربيع من هبوب الريح فيأتيه الصدف فى هذا الوقت فتأتى الريح برشاشات يلتقمها الصدف كما يلتقم الرحم النطفة ثم يرجع إلى قعر البحر فتصير تلك النطفة مركبة من الماء واللحم فى جوف الصدف فربما وقع فى بطنها قطرة كبيرة فتنعقد درة كبيرة وربما تقع رشاشات فتنعقد أجزاء صغارا كما ترى فى أكثر الأصداف ثم إن الصدفة إذا وقعت فى فمها القطرة تخرج من قعر الماء إلى ظاهره عند هبوب الشمال وطلوع الشمس وغروبها ولا تخرج من وسط النهار فإن شدة الحر وقوته تهيج البحر فيفسد الدر وتفتح فاها ليقع الشمال على الدر فينعقد من أثر الشمال وحرارة الشمس كما ينعقد الجنين فى الرحم من حرارتها ثم إن جوف الصدف إن خلا من الماء المر يكون فى غاية الصفاء والجلاء وحسن

الهيئة وإن خلط الصدف شيء من الماء المزيكون الدر أصفر اللون أو كدراً غير مهندم وكذلك إن استقبل الهواء في غير هذين الوقتين كانت الدرة كدرة وإذا كانت فيها دودة أو كانت مجوفة غير مصمتة كان سببها استقبال الصدف في الهواء الردي وهو الليل وأنصاف النهار ثم إن الصدفة إذا انجسدت الدرة في جوفها تجسدا مستويا هبط إلى أصل البحر حتى يترشح في قعر البحر وتتشعب منه العروق ويصير نباتا بعد ما كان حيوانا فعند ذلك يقع في قعر البحر وإذا تركت تغيرت وفسدت كالثمرة إذا لم تقطف أوان قطافها فإنه يذهب حسن لونها وطيب طعمها قال أرسطو من خاصية الدر أنه ينفع من الخفقان والخوف الذي يكون من المرة السوداء ويصفي دم القلب جيداً وإنما يخلطه الأطباء في الأدوية لهذا المعنى ويستعملونه في الأكحال لتشديد أعصاب العين ومن جعل الدر واللآلئ ماء مرجراجا فإنه إذا طلي به البياض الذي في الجسد برصا كان أو بهقا أذهبه بإذن الله تعالى (حجر هنج) قال أرسطو إنه حجر أخضر في لون الزبرجد لين المجس كما قال هرمس يتكون في معدن النحاس وذلك أن النحاس في معدنه إذا

بين الدلدل والقنفذ كالفرق بين البقر والجواميس والبخاتي والعراب والجرذ والفأر وهو كثير ببلاد الشأم والعراق وبلاد المغرب في قدر الثعلب القلطي وقال الإمام الرافعي الدلدل على حد السخلة ومن شأنه أنه يسفد قائما وظهر الأنثى لاصق بظهر الرجل والأنثى تبيض خمس بيضات وليس هو بيضا في الحقيقة إنما هو على صورة البيض يشبه اللحم ومن شأنه أنه يجعل لجحره بابين أحدهما في جهة الجنوب والآخر في جهة الشمال فإذا هبت ريح سد باب جهتها وإذا رأى ما يكرهه انقبض فيخرج منه شوك كالمسال يجرح من أصابه والشوك الذي على ظهره نحو الذراع وزعم بعض المتكلمين على طبائع الحيوان أن الشوك الذي على ظهره نحو الذراع شعر وأنه لما غلظ البخار واشتد غلظه وغلب عليه اليبس عند صعوده من المسام صار شوكا (الحكم) نص الشافعي على حله رواه عنه ابن ماجه وغيره وقال الرافعي قطع الشيخ أبو محمد بتحريمه وفي الوسيط أنه كان يعده من الخبائث وقال ابن الصلاح هذا غير مرضي وكأنه لم يعرف ما الدلدل واعتقد ما بلغنا عن الشيخ أبي أحمد الأشنهي أنه قال الدلدل كبار السلاحف وهذا غير مرضي والمحفوظ أنه ذكر القنافذ وقطع بحله الماوردي والروياني وغيرهما وهو الصواب (الأمثال) قالوا أسمع من دلدل (وخواصه وتعبيره) كالقنافذ وستأتي إن شاء الله تعالى في باب القاف .

﴿الدلفين﴾ الدخس وضبطه الجوهري في باب السين المهملة بضم الدال فقال الدخس مثال الصرد دابة في البحر تنجي الغريق تمكنه من ظهرها ليستعين به على السباحة ويسمى الدلفين وقال غيره إنه خنزير البحر وهو دابة تنجي الغريق وهو كثير بأواخر نيل مصر من جهة البحر الملح لأنه يقذف به البحر إلى النيل وصفته كصفة الزق المنفوخ وله رأس صغير جدا وليس في دواب البحر ما له رئة سواه فلذلك يسمع منه النفخ والنفس وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب في نجاته لأنه لا يزال يدفعه إلى البر حتى ينجيه ولا يؤذي أحدا ولا يأكل إلا السمك وربما ظهر على وجه الماء كأنه ميت وهو يلد ويرضع أولاده تتبعه حيث ذهب ولا يلد إلا في الصيف ومن طبعه الأنس بالناس وخاصة بالصبيان وإذا صيد جاءت دلافين كثيرة لقتال صائده وإذا لبث في العمق حينا حبس نفسه وصعد بعد ذلك مسرعا مثل السهم لطلب النفس فإن كانت بين يديه سفينة وثب وثبة ارتفع بها عن السفينة ولا يرى منها ذكر إلا مع أنثى (الحكم) يحل أكله لعموم حل السمك إلا ما استثنى منه وليس هذا من المستثنيات كما سيأتي إن شاء الله تعالى (الخواص) إذا غلي شحمه في حنظلة فارغة وقطر في الأذن نفع من الصمم ولحمه بارد بطيء الهضم وإذا علقت أسنانه على الصبيان لم يفزعوا وأكل شحمه ينفع من أوجاع المفاصل وشحم كلاه إذا ذيب بالنار ودهن به مع دهن الزنبق وجه امرأة أحبها زوجها وطلب مراضاتها وكفاه يعلقان على من يفزع فيذهب فزعه وإذا وضع نابه الأيمن في دهن ورد سبعة أيام ومسح به وجه إنسان كان محبوبا عند عامة الناس ونابه الأيسر بالضد من ذلك (التعبير) الدلفين تدل رؤيته على ما دلت عليه رؤية التمساح وربما دلت رؤيته على المكايد والاختفاء بالأعمال وعلى التلصص واستراق السمع وربما دلت رؤيته على كثرة الدعاء والمطر قاله ابن الدقاق وقال المقدسي من رآه في المنام وكان خائفا أمن ونجا لأنه ينجي الغرقى وكل حيوان يرى مما يخشى منه في اليقظة كالتمساح ونحوه إذا كان خارج الماء فهو عدو عاجز لا يقدر على مضرة من رآه في المنام لأن قوته وبطشه في الماء فإذا خرج منه زالت قوته والله أعلم .

﴿الدلق﴾ بالتحريك فارسي معرب وهو دويبة تقرب من السمور قال عبد اللطيف البغدادي إنه يفترس في بعض الأحايين ويكرع الدم وذكر ابن فارس في المجمل أنه النمس وفيه نظر قال

الرافعى والدلق يسمى ابن مقرص وقال القزوينى إنه حيوان وحشى عدو الحمام إذا دخل البرج لا يترك فيه واحدا وتنقطع الثعابين عند صوته وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام فى باب الميم على ابن مقرص وما وقع فيه للرافعى والنووى * وفى رحلة ابن الصلاح عن كتاب لوامع الدلائل فى زوايا المسائل للكيا الهراسى أنه قال يجوز أكل الفنك والسنجاب والدلق والقاقم والحوصل والزرافة كالثعلب ثم إن ابن الصلاح كتب بخطه الدلق النمس فاستفدنا من هذا حل النمس والزرافة وسيأتى إن شاء الله تعالى بيانهما فى بابيهما (الخواص) عينه اليمنى تعلق على من به حمى الربع تزول عنه بالتدريج وإذا علق اليسرى عليه عادت وشحمه إذا بخر به برج الحمام هربت كلها وهو يزيل الكلال الحاصل للإنسان من أكل الحامض ودمه يقطر فى أنف المصروع منه نصف دانق ينفعه وجلده يجلس عليه صاحب القولنج والبواسير ينفعه .

﴿الدلم﴾ نوع من القراد قالت العرب فى أمثالها فلان أشد من الدلم .

﴿الدلهاما﴾ قال القزوينى هو شىء يوجد فى جزائر البحار على هيئة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر * وذكر بعضهم أنه عرض لمركب فى البحر فحاربهم وحاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم .

﴿الدم﴾ بكسر الدال السنور حكاه فى المحكم عن النضر فى كتاب الوحش .

﴿الدنة﴾ بتشديد النون دويبة كالنملة قاله ابن سيده .

﴿الدنيلس﴾ معروف وهو نوع من الصدف والحلزون قال جبريل بن بختيشوع إنه ينفع من رطوبة المعدة والاستسقاء (وحكمه) حل الأكل لأنه من طعام البحر ولا يعيش إلا فيه ولم يأت على تحريمه دليل كذا أفتى به الشيخ شمس الدين بن عدلان وعلماء عصره وغيرهم وما نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام من الإفتاء بتحريم أكله لم يصح فقد نص الشافعى على أن حيوان البحر الذى لا يعيش إلا فيه يؤكل لعموم الآية ولقوله ﷺ هو الطهور ماؤه الحل ميتته ووراء ذلك وجهان وقيل قولان أحدهما يحرم لأنه ﷺ خص السمك بالحل والثانى ما أكل شبهه فى البر كالبقر والشاة حلال وما لا نخنزير الماء وكلبه حرام وعلى هذا لا يؤكل ما أشبه الحمار وإن كان فى البر الحمار الوحشى حلالا قال فى كتاب التبيان فيما يحل ويحرم من الحيوان للشيخ عماد الدين الأقفهسى وقد نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه كان يفتى بتحريم الدنيلس قال وهذا مما لا يرتاب فيه سليم الطبع ﴿قلت﴾ وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتابه نعوت الحيوان أن السرطان لا يخلق بتوالد ونتاج وإنما يستحيل فى الصدف أى يتخلق فيه ثم يخرج ومنه ما يتولد ثم ينشق عنه الصدف ويخرج كما أن البعوض يتولد من أوساخ المياه ونتنها فقد استفدنا من كلام ارسطاطاليس أن ما فى داخل الدنيلس وغيره من الأصداف يستحيل سرطانات وإذا كان الحيوان غير مأكول فأصله كذلك إلا على القول الضعيف وسمعت عن بعض الفقهاء أنه كان يفتى بحل الدنيلس ويأخذه من كلام الأصحاب ما أكل مثله فى البر أكل مثله فى البحر وقال إن الدنيلس له نظير فى البر وهو الفستق وهذه غباوة منه لأن مراد الأصحاب ما أكل فى البر من حيوان أكل مثله فى البحر ثم هل يجب مع ذلك ذبحه أم لا فيه وجهان وليس مرادهم تشبيه حيوان بحرى بجمادى حتى يصح القياس وبالجملة فهذا القائل قد قاس الخبيث بالطيب ويلزمه أن يقول بحل سائر المحار والأصداف لأن الدنيلس محار صغير ثم يأخذ بعد ذلك فى الكبر والدليل على ذلك أنه يوجد منه صغير وكبير فإذا تكامل بقى محارا فينبغى القطع بتحريم الدنيلس لأنه من أنواع الصدف والصدف مستخبث كالسلحفاة والحلزون * قال الجاحظ والملاحون يأكلون

طبخته بخارات الأرض ارتفع منه بخار من كبريت الأرض التى يتولد فيها فيرتفع ذلك البخار وتضمه الأرض فيتكاثف بضم بعضه إلى بعض فإذا ضربه الهواء عقده وصيره حجرا وهو أنواع كثيرة الأخضر الشديد الخضرة والموشى وعلى لون ريش الطاوس والكمد ونسبة الدهنج إلى النحاس كنسبة الزبرجد إلى الذهب وهو حجر يصفو بصفاء الجو ويتكدر بكدورته ومن عجيب خواصه أنه إذا سقى إنسان من محكه يفعل فعل السم وإن سقى شارب السم نفعه وإن لدغ إنسان ومسح الموضع به سكن وجعه ويسحق بالخل ويطلى به القوبى فإنها تذهب بإذن الله تعالى وقال غيره ينفع من خفقان القلب ويدخل فى أدوية العين فيشد أعصابها وإن طلى بحاكته بياض البرص أزاله وإن علق على إنسان غلبته قوة الباه (حجر دمياطى) قال ارسطو إنه حجر أسود مثل السيجام يصاب فى البحر إذا أحرق وسحق مع الزئبق عقده وإذا طرح على الطلق وعرض على النار صيره ماء رجراجا (حجر رخام) حجر أبيض مشهور إذا أردت أن لا تحبل المرأة فاسقها وزن درهم رخاما مسحوقا وقال بليناس قد يوجد فى وسط الرخام دودة من أخذ ثلاثة منها وشدها فى خرقة ثم علقها على المرأة

البلبل وهو مافى جوف الصدفة وهذا يدل على أنه غير مستطاب وإلا لما عده من خواص الملاحين وأهل مصر يعيبون أهل الشام بأكلهم السرطان وأهل الشام يعيبون أهل مصر بأكلهم الدنيلس ولم أجد لهم مثلا إلا قول الشاعر :

ومن العجائب والعجائب جمة * أن يلهج الأعمى بعيب الأعمش

انتهى كلام الأقفهسى وهو مخالف لما ذكره المؤلف والله أعلم .

﴿الدهانج﴾ بضم الدال الجمل الضخم ذو السنامين وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الفاء فى الفالج

﴿الدوبل﴾ الحمار الصغير الذى لايكبر وكان الأخطل يلقب به ومنه قول جرير :

بكى دوبل لايرقئ الله دمعه * ألا إنما يبكى من الذل دوبل

﴿الدود﴾ جمع دودة وجمع الدود ديدان والتصغير دويد وقياسه دويدة وداد الطعام يداد وأداد ودود إذا وقع فيه السوس قال الراجز :

قد أطعمتنى دقلا حوليا * مسوسا مدودا حجريا

والدواد أيضا صغار الدود ودويد بن زيد عاش أربعمائة وخمسين سنة وأدرك الإسلام وهو لايعقل وارتجز وهو محتضر :

اليوم يبنى لدويد بيتـــه * لو كان للدهر بلى أبليتـه * أو كان قرنى واحدا كفيته

يارب نهب صالح حويته * ورب غيل حسن لويته * ومعصم مخضب ثنيتـــه

وفى تاريخ ابن خلكان أنه سعى بأبى الحسن الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا إلى المتوكل بأن فى منزله سلاحا وكتبا من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه فبعث المتوكل إليه جماعة فهجموا عليه فى منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله وقال له أنشدنى فقال إنى قليل الرواية للشعر فقال له المتوكل لابد فأنشده باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل * واستنزلوا بعد عز من معاقلهم

وأودعوا حفرا يابئس مانزلوا * ناداهم صارخ من بعد ماقبروا * أين الأسرة والتيجان والحلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل * قد طالما أكلوا دهرا وماشربوا

فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

فبكى المتوكل والحاضرون ثم قال له المتوكل ياأبا الحسن هل عليك دين قال نعم أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه مكرما فلما كثرت السعاية به عند المتوكل أحضره من المدينة وأقره بسر من رأى وتدعى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ولهذا قيل له العسكرى وتوفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين وهو أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية رضى الله تعالى عنه وعن آبائه الكرام *

والدود أنواع كثيرة يدخل فيها الأساريع والحلم والأرضة ودود الخل والزبل ودود الفاكهة ودود القز والدود الأخضر الذى يوجد فى الشجر الصنوبر وهو فى القوة والفعل كالزراريح وكله معروف ومنه مايتولد فى جوف الإنسان * روى ابن عدى بسند فيه عصمة بن محمد بن فضالة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود وقالت الحكماء شرب الوخشيرق يرمى الدود من البطن

الهم والحزن ( أحجار زاجات) تتولد جميع أجزاء الزاجات من أجزاء مائية وأجزاء أرضية محرقة إذا اختلط بعضها بالبعض اختلاطا شديدا وسبب الحرارة الزائدة التى وجدت فى دخانيتها اذا اختلطت بالأجزاء المائية يحدث فيها دهنية فتصير قابلة للذوبان ولهذا وجد فى الزاج ملوحة وكبريتية وحجرية فمن حيث إنه وجدت فيه الأجزاء المائية والأجزاء الأرضية المحترقة وجد فيه ملوحة ومن حيث إن الحرارة أنضجتها حتى أحدث فيه دهنية كبريتية ومن حيث إن الماء والتراب انعقد بحرارة الشمس وجد فيه حجرية وأما اختلاف ألوانها فبحسب اختلاف المعادن وأما خاصيته فإنه ينفع من الجرب والسعفة والناصور والرعاف وتأكل الأسنان وإذا دخن البيت بالزاج هرب من رائحته الفار والذباب

(حجر زبد البحر ) قال ابن سينا إنه أنواع منه قطرى يصلح لحلق الشعر وينفع من البهق ومنه اسفنجى شديد الجلاء للأسنان ومنه وردى للنقرس والطحال والاستسقاء

وورق الخوخ إذا ضمدت السرة به قتل ديدان البطن . روى البيهقي في الشعب عن صدقة بن يسار أنه قال دخل داود عليه الصلاة والسلام في محرابه فأبصر دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال ما يعبأ الله بخلق هذه الدودة فأنطقها الله تعالى فقالت يا داود أتعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتاني الله أذكر الله وأشكر له منك على ما آتاك الله قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده . وأما دود الفاكهة فذكر الزمخشري في تفسير قوله تعالى وإني مرسلة إليهم بهدية الآية أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن وخمسمائة جارية على زي الغلمان كلهم على سروج الذهب والخيل المسومة وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت والمسك والعنبر وحقا فيه درة يتيمة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب وبعثت برجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذي رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك أمره وإن رأيت شيئا لطيفا فهو نبي فأعلم الله نبيه سليمان بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشت في ميدان بين يديه طوله سبع فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفة من ذهب وشرفة من فضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على كرسيه والكراسي عن يمينه ويساره واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والجن صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم نظروا فرأوا الدواب تروث على لبنات الذهب والفضة فرموا بما معهم منها فلما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق ثم قال أين الحق الذي فيه كذا وكذا فقدموه بين يديه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر وأخذت دودة بيضاء بفيها الخيط ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع إليهم فلما رجع وأخبرها الخبر قالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت يد كل قيل ألوف . وأما دود القز فيقال لها الدودة الهندية وهي من أعجب المخلوقات وذلك أنه يكون أولا بزرا في قدر حب التين ثم يخرج من الدود عند فصل الربيع ويكون الخروج أصغر من الذر وفي لونه ويخرج في الأماكن الدفئة من غير حضن إذا كان مصرورا مجعولا في حق وربما تأخر خروجه فتصره النساء وتجعله تحت ثديهن وإذا خرج أطعم ورق التوت الأبيض ولا يزال يكبر ويعظم إلى أن يصير في قطر الأصبع وينتقل من السواد إلى البياض أولا فأولا وذلك في مدة ستين يوما على الأكثر ثم يأخذ في النسج على نفسه بما يخرجه من فيه إلى أن ينفد ما في جوفه منه ويكمل عليه ما يبنيه إلى أن يصير كهيئة الجوزة ويبقى فيه محبوسا قريبا من عشرة أيام ثم ينقب عن نفسه تلك الجوزة فيخرج منها فراش أبيض له جناحان لا يسكنان من الاضطراب وعند خروجه يهيج إلى السفاد فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان وتبرز الأنثى البزر الذي تقدم ذكره على خرق بيض تفرش له قصدا إلى أن ينفد ما فيها منه ثم يموتان هذا إن أريد منهما البزر وإن أريد الحرير ترك في الشمس بعد فراغه من النسج بعشرة أيام يوما أو بعض يوم فيموت وفيه من أسرار الطبيعة أنه يهلك من صوت الرعد وضرب الطست والهاون ومن شم الخل والدخان ومس الحائض والجنب ويخشى عليه الفأر والعصفور والنمل والوزغ وكثرة الحر والبرد وقد ألغز فيه بعض الشعراء فقال :

وبيضة تحضن في يومين * حتى إذا دبت على رجلين * واستبدلت بلونها لونين
حاكت لها خيسا بلا نيرين * بلا سماء وبلا بابين * ونقبته بعد ليلتين

من الخنازير والاستسقاء وعسر البول وزعم بعضهم أن زبد البحر إذا علق على فخذ صاحبة الطلق سهل ولادتها (حجر الزجاج) قال أرسطو الزجاج أنواع كثيرة يوقد عليه كثيرا حتى يختلط ويجري والزجاج إذا أصابته النار قبل أن يدخل النار يتكسر ولم ينتفع به وهو يتلون بألوان كثيرة لأنه من ألين الأحجار يوجد في الأحجار كالمائق من الناس لأنه يميل إلى كل صبغ يصبغ به وهو يخرج اللحم قال ابن سينا من خاصيته أن يجلو الأسنان وينبت الشعر إذا طلي بدهن الزئبق ويجلو العين ويذهب بياضها (حجر الزرنيخ) معروف قال أرسطو له ألوان كثيرة فمنه أحمر وأصفر وأغبر أما الأحمر والأصفر فهما ذهبيا اللون إذا اجتمعا مع الكلس حلقا الشعر وهو سم قاتل ومن أحمر الزرنيخ ودلك به الأسنان نفعها وذهب بخضرتها وقال غيره الزرنيخ يجعل على الجراحات والجرب والسعفة الرطبة ينفعها ومع الزيت يقتل القمل ومع دهن الورد يقطع البواسير وإذا طلي الإنسان به جسده لإزالة الشعر يحدث به كلفا

فخرجت مكحولة العينين * قد صبغت بالنقش حاجبين * قصيرة ضئيلة الجنبين
كأنها قد قطعت نصفين * لها جناح سابغ البردين * مانبتا إلا لقرب الحين
إن الردى كحل لكل عين

قال الإمام أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم بدود القز لا يزال ينسج على نفسه من جهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه إذا فرغ من نسجه لأن القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمز بالأيدى حتى يموت لئلا يقطع القز ليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى أهلكه أهله وماله وتتنعم ورثته بما شقى هو به فإن أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وإن عصوا به كان شريكهم فى المعصية لأنه أكسبهم إياها به فلا يدرى أى الحسرتين عليه أعظم إذ هابه عمره لغيره أو نظره إلى ماله فى ميزان غيره انتهى وقد أشار إلى ذلك أبو الفتح البستى بقوله

ألم تر أن المرء طول حياته * معنى بأمر لا يزال يعالجه
كدود كدود القز ينسج دائما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وله أيضا وأجاد: لا يغرنك أننى لين اللمس فعزمى إذا انتضيت حسام
أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

وقال آخر فى المعنى: يفنى الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقى وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

لما أخذت دودة القز تنسج أقبل العنكبوت يتشبه بها وقال لى نسج ولك نسج فقالت دودة القز إن نسجى ملابس الملوك ونسجك ملابس الذباب وعند مس الحاجة يتبين الفرق ولذلك قيل:

إذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

﴿تتمة﴾ شجرة الصنوبر تثمر فى كل ثلاثين سنة مرة وشجرة الدبا تصعد فى كل أسبوعين فتقول لشجرة الصنوبر إن الطريق التى قد قطعتها فى ثلاثين سنة قطعتها فى أسبوعين ويقال لك شجرة ولى شجرة فتقول شجرة الصنوبر لها مهلا إلى أن تهب رياح الخريف فحينئذ يتبين لك اغترارك بالاسم * وقال المسعودى فى ترجمة الراضى إن دودة بطبرستان تكون من المثقال إلى ثلاثة مثاقيل تضىء فى الليل كما يضىء الشمع وتطير بالنهار فترى لها أجنحة وهى خضراء ملساء لا جناحين لها فى الحقيقة غذاؤها التراب لم تشبع قط منه خوفا أن تفنى تراب الأرض فتهلك جوعا قال وفيها منافع كثيرة وخواص واسعة انتهى وسيأتى عن الجاحظ قريب من هذا (الحكم) يحرم أكله بجميع أنواعه لأنه مستخبث إلا ما تولد من مأكول فعندنا فيه ثلاثة أوجه أصحها جواز أكله معه لا منفردا والثانى يجب تمييزه ولا يؤكل أصلا والثالث يؤكل معه ومنفردا وعلى الأصح ظاهر إطلاقهم أنه لا فرق بين أن يسهل تمييزه أو يشق ولا يجوز بيع الدود إلا القرمز الذى يصبغ به وهو دود أحمر يوجد فى شجر البلوط فى بعض البلاد صدفى يشبه الحلزون تجمعه نساء تلك البلاد بأفواههن وأما دود القز فيجوز بيعه ويجب إطعامه ورق الفرصاد وهو التوت الأبيض ويجوز تشميسه وأن هلك لتحصيل فائدته ويجوز بيع الفيلج وفى باطنه الدود الميت لأن بقاءه فيه من مصلحته فيجوز بيعه وزنا وجزافا كما صرح به القاضى حسين وقال الإمام إن باعه جزافا جاز وإن باعه وزنا لم يجز ﴿قلت﴾ وهذا هو الصحيح المعتمد لأن الدود الذى فيه يمنع معرفة مقدار ما فيه من المقصود وهو

حلو ليأكله الذباب قتله قتلا بينا وإذا ألقيت الزرنيخ مع الملح فى النبيذ أفسده (حجر الزنجار) قال ارسطو هو حجر يستخرج من النحاس بالخل وفيه قوة السم إذا شرب وخاصيته أنه يبرئ البواسير ويأكل اللحم الميت من الجراحات وقال ابن سينا هو نارج النحاس بأن يكب آنية نحاس على خل وينفع من البواسير بأن يتخذ منه ومن الآشق فتائل يحشى بها (حجر الزنجفر) قال أرسطو أن الزئبق إذا طبخ منه فى الزجاج على النار واستوثق رأس الزجاج كى لا يطير الزئبق منه استحال بياضه إلى الحمرة وصار زنجفرا فإن انشقت الآنية أو أصاب بدن صاحبه دخانه حدث من ذلك مرض صعب وربما يقتل وهو يدمل الجراحات وينبت اللحم فى القروح ويمنع من حرق النار ويأكل الأسنان وهو من السموم القتالة (حجر سبج) قال ارسطو هو حجر يؤتى به من بلاد الهند أسود شديد البرق شديد الرخاوة يتكسر سريعا إذا أصاب الإنسان ضعف فى بصره من الكبر وبدأ الماء فى عينيه والعياذ بالله تعالى وعلامته عسر الرؤية وأن يرى قدام عينيه شيئا كالدخان أو

كالذباب فيديم النظر فى السمج فإنه ينفع نفعا بينا ومن لبس شيئا منه يأمن من العين السوء وقال غيره من أدمن إليه النظر أحد بصره وإذا سحق واكتحل به جلا البصر وإذا علق على الرأس نفع من الصداع (حجر سنسليس) قال أرسطو هذا حجر خفيف يتخلخل إذا حبسته ظننت أن الريح يخرج منه يعنى أن الريح يحرق جسمه وهذا الحجر إذا عصفت الريح على أهل البحر وأقبلت الامواج ومر ماء البحر منصرفا مع الريح أقبل هذا الحجر مع الريح والماء ومن استصحب من هذا الحجر ولوزنة قيراط أو أقل لم يظفر به عدوه أبدا ولا يغلبه (حجر سنباج) قال أرسطو معدنه جزائر بحر الصين كأنه الرمل الخشن ومنه أحجار صغار وكبار إذا أحرق وسحق وطلى به القروح أو ذر عليها أبرأها بإذن الله تعالى وهو يجلو الأسنان من الوسخ (حجر شاذنج) ويقال له أيضا حجر الدم يحرق المغناطيس فيخرج شاذنج ومنه معدنى مصنوع يتلطف فى إحراق المغناطيس ومن خاصيته أنه يقوى البصر ويذر على اللحم الزائد فيضمره ويدمل قروح العين خصوصا مع بياض البيض وينفع من خشونة الاجفان (حجر شب) قال ديسقوريدس أصناف الشب كثيرة

القز وقد جزم به الشيخان فى آخر كتاب السلم وجزم به ابن الرفعة وغيره وفى روته الخلاف الخلاف فى روث مالا نفس له سائلة وفى بزره الوجهان فى بيض ما لا يؤكل لحمه والاصح الطهارة وقال الفورانى والمتولى إن قلنا دود القز طاهر بعد الموت فبزره طاهر وإن قلنا إنه نجس فالبزر كالبيض لان له نماء مثله وفى فتاوى القفال إن بزر القز لا مثل له ولا يجوز السلم فيه لان أهل الصنعة لا يعرفون أن هذا البزر يكون نسجه أحمر أو أبيض فهو كالسلم فى الجواهر (الامثال) قالوا أصنع من دود القز وربما قالوا أكثر من الدود وأضعف من الدود قال ابن رشد فى جامع البيان والتحصيل سأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه عن البحر فقال خلق قوى يركبه خلق ضعيف دود على عود إن ضاعوا هلكوا وإن بقوا فرقوا فقال عمر لا أحمل فيه أحدا أبدا (الخواص) إذا أخذ دود القز وخلط بالزيت ولطخ به بدن إنسان نفع من نهش الهوام وذوات السموم ودود القز إذا أخرجت منه وأكلها الدجاج حصل له سمن كثير ودود الزبل الاصفر الذى يخلق منه إذا طبخ فى زيت عتيق حتى ينضج ويدهن بذلك الزيت داء الثعلب فإنه يبرئه وهو فى ذلك عجيب مجرب إذا داوم عليه (التعبير) الدود فى المنام عدو من الاهل ودود القز زبون للتاجر ورعية للسلطان فمن أخذ منه شيئا نال منفعة منهم وربما دلت رؤية الدود على مال حرام ويعبر أيضا بالضر فمن زال عنه زال ذلك عنه وربما عبر الدود بالاولاد القصيرى الاعمار وأصحاب التركات السنية وربما دلت رؤيته على قرب الاجل ونهاية العمر وربما دلت على الحاكة من الرجال والنساء والمحاكين للصور والله أعلم

﴿ دؤالة ﴾ كنخالة من اسماء الثعلب سمى بذلك لنشاطه وخفة مشيه والدألان مشية النشيط

﴿ الدودمس ﴾ ضرب من الحيات محرنفش الغلاصيم ينفخ فيحرق ما أصاب والجمع دودمسات ودوامس قاله ابن سيده

﴿ الدوسر ﴾ الجمل الضخم والانثى دوسرة كأنه منسوب إليه

﴿ الديسم ﴾ بالفتح ولد الدب قال الجوهرى قلت لابى الغوث يقال إنه ولد الذئب من الكلبة فقال ما هو إلا ولد الدب وقال فى المحكم إنه ولد الثعلب وقال الجاحظ إنه ولد الذئب من الكلبة وهو أغبر اللون وغبرته ممتزجة بسواد (وحكمه) تحريم الاكل على كل تقدير

﴿ الديك ﴾ ذكر الدجاج وجمعه ديوك وديكة وتصغيره دويك وكنيته أبو حسان وأبو حماد وابو سليمان وأبو عقبة وابو مدلج وأبو المنذر وأبو نبهان وأبو يقظان وأبو برائل والبرائل الذى يرتفع من ريش الطائر فى عنقه وينفشه الديك للقتال وقيل إنه للديك خاصة ويسمى الانيس والمؤانس ومن شأنه أنه لا يحنو على ولده ولا يألف زوجة واحدة وهو أبله الطبيعة وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوى بين دجاجه ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادرا وأعظم ما فيه من العجائب معرفة الاوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطا لا يكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك ولهذا أفتى القاضى حسين والمتولى والرافعى بجواز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلوات ومن غريب أمره أنه إذا كانت الديكة بمكان ودخل عليها ديك غريب سفدته كلها وقد أجاد أبو بكر الصنوبرى فى مدحه حيث قال :

مغرد الليـــل ما يألوك تغريدا * مل الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

وأشهرها اليمانى وهو أبيض وفيه صفرة وفى طعمه حموضة وذكر أن الشب اليمانى يقطر من جبال اليمن وهو ماء فإذا صار إلى الأرض استحال شيئا ينفع من نزف كل دم وقذفه وهو مع دردى الخل يجفف القروح العسرة المتأكلة وطبيخه إذا تمضمض به نفع من وجع الأسنان والصباغون يجعلون الأثواب فى الشب ثم فى الصبغ فإن الصبغ لا يفارقه والشب فى آنية الرصاص أمان من القولنج والله تعالى أعلم (حجر صدف) حجر معروف منه ما يتكون فى الماء العذب ومنه فى الملح ومن خاصيته جذب السلا والعظام ويسكن وجع النقرس والمفاصل إذا ضمد به وإذا سحق بخل قطع الرعاف ولحمه ينفع من عضه الكلب الكلب ومحرقه يجلو الأسنان إذا استيك به وفى الاكحال ينفع من قروح العين وإذا طلى به موضع الشعر الزائد فى الجفن بعد نتفه منع نباته ثانيا وينفع من حرق النار ويجفف القروح والجراحات وإذا شدت قطعة صافية على صبى نبتت أسنانه بلا وجع (حجر طارد النوم) قال أرسطو إنه حجر أبيض مائل إلى السواد ثقيل الجسم جدا كأنه فى وزن الرصاص فى مسه خشونة وربما يكون كلون الطحال إذا علق على الإنسان

لما تطرب هز العطف من طرب * ومد للصوت لما مده الجيدا
كلابس مطرفا مرخ ذوائبه * تضاحك البيض من أطرافه السودا
حالى المقلد لو قيست قلائده * بالورد قصر عنها الورد توريدا

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة محمد بن معن بن محمد بن صمادح المنعوت بالمعتصم من قصيدة مدحه بها أبو القاسم الاسعد بن بلطية فى صفة الديك :

كأن أنوشروان أعطاه تاجه * وناط عليه كف مارية القرطا
سبى حلة الطاووس حسن لباسه * ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

قال الجاحظ ويدخل فى الديك الهندى والجلاسى والنبطى والسندى والزنجى وزعم أهل التجربة أن الديك الأبيض الأفرق فى خواصه أن يحفظ الدار التى هو فيها وزعموا أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق لم يزل ينكب فى أهله وماله * وروى عبد الحق بن قانع بإسناده إلى جابر بن أثوب بسكون الثاء المثلثة وفتح الواو وهو أثوب بن عتبة أن النبى ﷺ قال الديك الأبيض خليلى وإسناده لا يثبت ورواه غيره بلفظ الديك الأبيض صديقى وعدو الشيطان يحرس صاحبه وسبع دور خلفه قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقتنيه فى البيت والمسجد * وفى التذييب فى ترجمة البزى الراوى عن ابن كثير وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبى بزة المكى وهو ضعيف الحديث عن الحسن عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الديك الأبيض الأفرق حبيبى وحبيب حبيبى جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتا من جيرانه وروى الشيخ محب الدين الطبرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له ديك أبيض وكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات * وفى الصحيحين وسنن أبى داود والترمذى والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا قال القاضى عياض سببه رجاء تأمين الملائكة على الدعاء واستغفارهم وشهادتهم له بالإخلاص والتضرع والابتهال وفيه استحباب الدعاء عند حضور الصالحين والتبرك بهم وإنما أمرنا بالتعوذ من الشيطان عند نهيق الحمير لأن الشيطان يخاف من شره عند حضوره فينبغى أن يتعوذ منه انتهى * وفى معجم الطبرانى وتاريخ أصبهان عن النبى ﷺ أنه قال إن لله سبحانه ديكا أبيض جناحاه موشيان بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورأسه تحت العرش وقوائمه فى الهواء يؤذن فى كل سحر فيسمع تلك الصيحة أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين الإنس والجن فعند ذلك يجيبه ديوك الأرض فإذا دنا يوم القيامة يقول الله تعالى ضم جناحيك وغض صوتك فيعلم أهل السموات وأهل الأرض إلا الثقلين أن الساعة قد اقتربت * وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن لله ديكا رجلاه فى التخوم وعنقه تحت العرش منطوية فإذا كان هنة من الليل صاح سبوح قدوس فتصيح الديكة وهو فى كامل ابن عدى فى ترجمة على بن أبى على اللهبى قال وهو يروى احاديث منكرة عن جابر رضى الله عنه * وفى كتاب فضل الذكر للحافظ العلامة جعفر بن محمد بن الحسن الغريانى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال إن لله عز وجل ديكا رجلاه فى الأرض السفلى وعنقه مثنية تحت العرش وجناحاه فى الهواء يخفق بهما فى السحر

كل ليلة يقول سبحان الملك القدوس ربنا الملك الرحمن لا إله غيره * وروى الثعلبي أن النبي ﷺ قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت قارئ القرآن وصوت المستغفرين بالأسحار وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال لاتسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة إسناده جيد وفي لفظ فإنه يدعو إلى الصلاة قال الإمام الحليمي في قوله ﷺ فإنه يدعو إلى الصلاة دليل على أن كل من استفيد منه خير لاينبغي أن يسب ويستهان به بل حقه أن يكرم ويشكر ويتلقى بالإحسان وليس معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراخه حقيقة الصلاة أو قد حانت الصلاة بل معناه أن العادة قد جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر وعند الزوال فطرة فطره الله عليها فيتذكر الناس بصراخه الصلاة ولا يجوز لهم أن يصلوا بصراخه من غير دلالة سواه إلا من جرب منه ما لا يخلف فيصير ذلك إشارة والله أعلم انتهى وروى الحاكم في المستدرك في أوائل كتاب الإيمان والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال إن الله أذن لي أن أحدث عن ديك رجلاه في الأرض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول سبحانك ما أعظم شأنك قال فيرد عليه ما يعلم ذلك من حلف بي كاذبا وروى الإمامان أبو طالب المكي وحجة الإسلام الغزالي عن ميمون بن مهران أنه قال بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك برائنه من لؤلؤة وصيصته من زبرجد أخضر فإذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم ومعنى وزقا صاح (نكتة) كان سهل بن هرون ابن راهويه في خدمة المأمون وكان حكيما فصيحا شاعرا فارسي الأصل شيعي المذهب شديد التعصب على العرب وله مصنفات عديدة في الأدب وغيره وكان الجاحظ يصف براعته وحكمته وشجاعته في كتبه وكان إليه النهاية في البخل وله فيه حكايات عجيبة فمن ذلك قال دعبل كنا عنده يوما فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعا ثم قال ويحك يا غلام غدنا فأتاه بقصعة فيها ديك مطبوخ فتأمله ثم قال أين الرأس يا غلام قال رميت به فقال إني والله لأمقت من يرمي برجله فكيف برأسه ولو لم يكن فيما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهة أما علمت أن الرأس رئيس الأعضاء ومنه يصرخ الديك ولولا صوته ما أريد وفيه عرفه الذي يتبرك به وعينه التي يضرب بها المثل في الصفاء فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجب لوجع الكليتين ولم ير عظم أهش تحت الأسنان منه وهب أنك ظننت أني لا آكله أو ليس العيال كانوا يأكلونه فإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق أنظر أين هو فقال والله ما أدري أين هو ولا أين رميت به فقال رميته في بطنك قاتلك الله (الحكم) يحل أكله لما تقدم في الدجاج ويكره سبه لما تقدم في حديث زيد بن خالد الجهني ويجوز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات كما تقدم قريبا قال أصبغ بن زيد الواسطي كان لسعيد بن جبير ديك يقوم في الليل بصياحه فلم يصح ليلة حتى أصبح فلم يصل سعيد تلك الليلة فشق ذلك عليه فقال ما له قطع الله صوته فلم يسمع له صوت بعد ذلك وفي مناقب إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى أن رجلا سأله عن رجل خصى ديكا له فقال عليه أرشه * وفي الكامل في ترجمة عبد الله بن نافع مولى بن عمر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ نهى عن خصاء الديك والغنم والخيل وقال إنما النماء في الخيل وتحرم المناقرة بالديكة وسيأتي ما ورد في ذلك من النهي في باب الكاف في المناطحة بالكباش في لفظ الكبش إن شاء الله تعالى (الأمثال) قالوا أشجع من ديك وأفسد من ديك ﴿فائدة﴾ روى مسلم وغيره أن عمر رضي الله تعالى عنه خطب الناس

بتعب السهر بخلاف من سهر ليلا ويسعط المجذوم بذلك يبرأ (حجر طاليقون) هو نحاس طرح عليه الأدوية حتى صار صلبا إن اتخذ منه شيء من النصول أضر به جدا وقال ارسطو هو من جنس النحاس غير أنهم ألقوا عليه الأدوية الجاذبة حتى حدثت فيه سمية فإن جرح به حيوان أضر به جدا ومن حمى الطليقون ثم غمسه في مائع لم يقرب ذلك المائع ذباب (حجر طلق) قال أرسطو هو نوعان أبيض غليظ القشر صافي البياض وأحمر رقيق القشر لين المجس وهو حجر شريف يلقى على الرصاص والنحاس والحديد يصيرها فضة بإذن الله تعالى ومن أراد حمله فليشده في خرقة ويجعل فيه حصى ويضرب بالماء فينحل من بعد ما غمس في الماء (حجر طرسوطوس) قال أرسطو تولده في معدن الفضة والنحاس جميعا وهو أخضر فيه طبع الدهنج وخاصيته أنه إذا نقع في ماء وشرب يقتل وقد فعل ذلك بقوم من عساكر الاسكندر فماتوا وإذا ألقي في الكحل أذهب بياض العين العتيق وإن لم يكن عتيقا يضر بالعين (حجر عقيق) قال أرسطو أصنافه كثيرة وأجودها ما يجلب من اليمن وقد يوجد على ساحل البحر بالأردن وأحسنه ما

يوما فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنى رأيت رؤيا لا أراها إلا لحضور أجلى وهى أن ديكا نقرنى ثلاث نقرات وفى لفظ رأيت كأن ديكا أحمر نقرنى نقرة أو نقرتين فحدثتها أسماء بنت عميس رضى الله عنها فحدثتنى بأن يقتلنى رجل من الأعاجم وكان هذا القول منه يوم الجمعة فطعن يوم الأربعاء رضى الله عنه وروى الحاكم عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال على المنبر رأيت فى المنام كأن ديكا نقرنى ثلاث نقرات فقلت أعجمى يقتلنى وإنى جعلت أمرى إلى هؤلاء الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض عثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص فمن استخلف فهو الخليفة وذكر ابن خلكان وغيره أن عمر رضى الله عنه لما طعن اختار من الصحابة ستة نفر وهم المتقدم ذكرهم وكان سعد بن أبى وقاص غائبا وجعل عبد الله ابنه مشيراً وليس له فى الأمر شىء وأقام المسور بن مخرمة وثلاثين نفسا من الأنصار وقال إن اتفقوا على واحد إلى ثلاثة أيام وإلا فاضربوا رقاب الكل فلا خير للمسلمين فيهم وإن افترقوا فرقتين فالفرقة التى فيها عبد الرحمن بن عوف وأوصى أن يصلى صهيب بالناس ثلاثة أيام فأخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الشورى واختار عثمان فبايعه الناس * ونقل أن العباس بن عبد المطلب قال لعلى يا ابن أخى لا تدخل نفسك فى الشورى مع القوم فإنى أخاف أن يخرجوك منها فتبقى وصمة فيك فلم يقبل منه * وكان عمر قد بويع له بالخلافة يوم مات الصديق بعهد منه له فى ذلك كما سبق فى باب الهمزة فى لفظ الأوز * وضربه أبو لؤلؤة فيروز الفارسى غلام المغيرة بن شعبة وكان مجوسيا وقيل كان نصرانيا ثلاث ضربات إحداهن تحت سرته فقال قتلنى الكلب وخرج من المحراب ودخل عبد الرحمن بن عوف فأتم الصلاة بالناس ومر أبو لؤلؤة هاربا وفى يده خنجر يضرب به يمينا وشمالا فطرح عليه رجل من الأنصار رداءه فلما علم أنه مأخوذ نحر نفسه وكان بعض الذين فى المسجد لم يشعروا بذلك لشغلهم بالصلاة إلا أنهم فقدوا صوت عمر ولم يعلموا ما سببه وأنه لما طعن قيل له ما أحب الأشربة إليك يا أمير المؤمنين قال النبيذ فسقوه نبيذاً فخرج من جرحه فقال قوم نبيذ وقال قوم دم فسقوه لبنا فخرج من جرحه فقيل له أوص يا أمير المؤمنين فأوصى بالشورى كما تقدم وكان قتله فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقى ثلاثة أيام وتوفى لأربع بقين من ذى الحجة وقيل لليلتين وقد تقدم بعض ذلك فى الأوز * ويقال إن عبيد الله بن عمر وثب على الهرمزان فقتله وقتل معه رجلا نصرانيا يعرف بجفنة من أهل نجران كانا قد اتهما باغراء أبى لؤلؤة بعمر رضى الله عنه وقتل بنتا لأبى لؤلؤة طفلة ووداهم عثمان رضى الله عنه ولحق عبيد الله بمعاوية فى خلافة على رضى الله عنه * وكان فى أيام عمر الفتوحات العظام وهو الذى سمى الغزوات الشواتى والصوائف وهو أول من أرخ التاريخ بعام الهجرة وأول من دعى بأمير المؤمنين وأول من ختم الكتب وكان فى يده خاتم رسول الله ﷺ وفيه نظر. وأول من ضرب بالدرة وحملها وأول من قال أطال الله بقاءك قالها لعلى رضى الله عنهما وهو الذى أخر المقام إلى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت وهو أول من جمع الناس على إمام واحد فى التراويح وحج بالناس عشر سنين متوالية آخرها سنة ثلاث وعشرين ومعه نساء رسول الله ﷺ فى الهوادج ورجع إلى المدينة فرأى الرؤيا المتقدم ذكرها وتزوج عمر أم كلثوم بنت على رضى الله عنه وأصدقها أربعين ألف درهم وكان أى عمر رضى الله عنه قد حد ابنه عبيد الله على الشراب فقال له وهو يحده قتلتنى يا أبتاه فقال له يا بنى إذا لقيت ربك فأخبره أن أباك يقيم الحدود والذى فى السير أن المحدود فى الشراب ابنه الأوسط أبو شحمة واسمه عبد الرحمن وأمه أم ولد يقال لها الهيبة وقتل عبيد الله الرجلين مشكل

استاك بنحاتته ذهب عنه صدأ الأسنان وبيضها ويذهب بالرائحة الكريهة من الفم والأسنان وينفع من خروج الدم من حواليها وعن النبى ﷺ أنه قال من تختم بعقيق لم يزل فى بركة وسرور ومحرقه يقوى العين وينفع من الخفقان

(حجر عنبرى) قال ارسطو هو حجر يضرب لونه إلى الغبرة والخضرة التى ليست بالمشرقة وفيه نقط سود وصفر وبيض يشم منه رائحة العنبر والملوك اتخذوا منه أوانى فغلب عليهم المرة السوداء فاحتاجوا إلى العلاج وتعبوا قالوا إن إبليس لعنه الله دلهم على ذلك

(حجر عطاس) قال ارسطو هو حجر يطفئ النار إذا وقع فيها وإذا ألقى فى النار لم تشتعل ألبتة وإذا جعل تحت اللسان وشرب عليه الشراب لم يرتفع بخاره إلى الرأس ولم تسكره

(حجر فادزهر) معناه حجر السم وهو اسم لكل حجر حفظ قوته على الروح ودفع ضرر السم قالوا إن السم حار وبارد فالحار يذيب الدم ويفنى الرطوبة التى بها قوام الحيوان ويدب فى البدن دبيب الزعفران إذا وقع فى الماء وأما البارد فيجمد الدم والرطوبات اللطيفة كالأنفحة إذا وقعت فى اللبن الحليب فإنها تجمده فى

وقتله الطفلة أشكل والله أعلم . وذكر غير واحد من الثقات أنه كان لرقية بنت رسول الله ﷺ من عثمان ولد يقال له عبد الله وبه كان يكنى بلغ سبع سنين نقره ديك فى وجهه فمات بعد أمه فى جمادى سنة أربع ولم يولد له غيره من بنات النبى ﷺ ولما هاجرت رقية إلى الحبشة كان فيتان الحبشة يتعرضون لرؤيتها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا . وقالوا ما كلمته إلا كحسوة الديك يريدون السرعة . قال الشاعر :

ويوما كحسو الديك قد بات صحبتى * ينالونه فوق القلاص العياهل

يريد قتله وسرعته وضربوا المثل بصفاء عينه فقالوا أصفى من عين الديك ومن المشهور فى ذلك قصيدة عدى بن زيد العبادى التى يقول فيها :

بكر العاذلون فى وضح الصبـ * ـح يقولون لى أما تستفيق * ويلومون فيك يا ابنة عبد الله
والقلب عندكم موهوق * لست أدرى إذا أكثروا العذل فيها * أعدو يلومنى أم صديق

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها إبريق
قدمته على عقار كعين الـ * ـديك صفى سلافها الراووق

ولهذه الأبيات حكاية حسنة مشهورة مذكورة فى درة الغواص وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة حماد الراوية قال كنت منقطعا إلى يزيد بن عبد الملك وكان أخوه هشام يحفونى لذلك فى أيامه فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت فى بيتى سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سرا فلما لم أسمع أحدا ذكرنى فى السنة أمنت فخرجت يوما وصليت الجمعة بالرصافة وإذا شرطيان قد وقفا على وقالا يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر وكان واليا على العراق فقلت فى نفسى من هذا كنت أخاف ثم قلت للشرطيين هل لكما أن تدعانى حتى آتى أهلى فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبدا ثم أسير معكما إليه فقالا ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت فى أيديهما ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو فى الإيوان الأحمر فسلمت عليه فرد على السلام ورمى إلى كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر الثقفى أما بعد فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير ترويع وادفع له خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنى عشر ليلة إلى دمشق قال فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول فجعلت رجلى فى الغرز وسرت اثنى عشر ليلة حتى وافيت دمشق فنزلت على باب هشام فاستأذنت فأذن لى فدخلت عليه فى دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تضمخ بالمسك والعنبر فسلمت عليه فرد على السلام واستدنانى فدنوت إليه حتى قبلت رجله فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط فى أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤلتان يتقدان فقال لى كيف أنت يا حماد وكيف حالك قلت بخير يا أمير المؤمنين فقال أتدرى فيم بعثت إليك قلت لا قال بعثت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله قلت وما هو قال :

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها إبريق

فقلت يقوله عدى بن زيد العبادى فى قصيدة له فقال أنشدنيها فأنشدته :

بكر العاذلون فى وضح الصبـ * ـح يقولون لى أما تستفيق * ويلومون فيك يا ابنة عبد الله
والقلب عندكم موموق * لست أدرى إذا أكثروا العذل فيها * أعدو يلومنى أم صديق

قال حماد فانتهيت فيها إلى قوله :

أقرب مدة وأما فعل الفادزهر فمثل فعل الحموضات إذا وقعت على لون الزعفران فإنها تغسله من ساعته

والفاعل لهذه الأفاعيل قوة موجودة فى هذه الأشياء خلقها الله تعالى فيها وهى كالآلة للفاعل يفعل بها أفعالا مختلفة وأعمالا متقنة قال أرسطو أصناف الفادزهر كثيرة الأصفر والأغبر والمشوب بالخضرة والمشـــوب بالبياض والجيد منها الأصفر الصافى والأغبر معادنه فى بلاد الصين والهند وخراسان فمن شرب منه زنة قيراط مسحوقا أو مبرودا بالمبرد تخلص من السم بالعرق والرشح وإن وضعه على سم العقرب والهوام نفع به نفعا بينا وإن سحق وذر على موضع اللسع حين يلسع أحدث البرء وإن عقر الموضع قبل أن يتداوى بدوائه فذر عليه سحاقته نفعه

(حجر فرسلوس) قال أرسطو هو حجر أسود يوجد فى الظلمات أخرجه الإسكندر وكان فى خزانته وهو حجر أسود ثقيل الجسم إذا وقع فى النار تلاشى واضمحل وإذا طرح على الزئبق وعرض على النار عقد الزئبق وضبط بعضه بعضا فيصيران جسدا واحدا وفضة لينة تصير على النار وطرق المطارق

وإذا علق على إنسان لم يزل يتكلم بالحكمة مادام عليه ولا ينسى ذكر الله تعالى ليلا ولا نهارا وينفع من عين السوء

وإذا سحق مع لبن البقر وطلى به البرص يبرأ بإذن الله تعالى (حجر فرطاسيا) قال أرسطو إنه يوجد فى أسافل الجبال الشواهق إذا كان الليل أسرج مثل النهار وإذا سحق بماء الكرفس صار سما قاتلا لسائر الحيوانات (حجر فرفوس) قال أرسطو هذا حجر أحمر على لون النار إذا سحق وجعل على الجرح الذى لا يتلحم ألحمه (حجر فيروزج) قال أرسطو هذا الحجر أخضر مشوب بزرقة معادنه أرض خراسان وهو يصفو لونه من صفاء الهواء وإذا تكدر الجو تكدر ينفع العيون إذا سحق مع الأكحال واكتحل به وليس هو من لبس الملوك لأنه ينقص الهيبة وعن جعفر بن محمد رضى الله عنهما ما افتقرت يد تختمت بفيروزج (حجر فيلفوس) قال أرسطو نفسيره الميلون بألوان كثيرة وهذا الحجر يتلون ألوانا فى كل يوم مرارا عديدة مرة أحمر ومرة أصفر ومرة أخضر وبالليل يلمع كالمرآة فلما ظفر الإسكندر بهذا الحجر فى معدنه أخذ منه شيئا فلما جن عليهم الليل أخذهم الرجم من كل ناحية فزعموا أن لهذا الحجر خاصية لا يحب الجن أن تعرفها الإنس فأمر الإسكندر بإمساكها فما مر بها بموضع إلا هرب منه الجن

ودعوا بالصبوح يوما فجاءت * قينة فى يمينها إبريق * قدمته على عقار كعين الـ * ـديك صفى سلافها الراووق * مرة قبل مزجها فإذا ما * مزجت لذ طعمها من يذوق

وطفا فوقها فقاقيع كاليا * قوت حمر يزينها التصفيق

ثم كان المزاج ماء سحاب * لاصرى آجن ولا مطروق

قال فطرب هشام ثم قال لى أحسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى فقال أعده فأعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للجارية الأخرى اسقيه فسقتنى شربة ذهبت بثلث آخر من عقلى ثم قال سل حاجتك يا حماد فقلت كائنة ما كانت قال نعم قلت إحدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما عليهما ثم قال للجارية الأولى اسقيه فسقتنى شربة فسقطت منها فلم أعقل حتى أصبحت والجاريتان عند رأسى فإذا عشرة من الخدم ومع كل واحد منهم بدرة فيها عشرة آلاف درهم فقال أحدهم إن أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذه وانتفع بها فى سفرك فأخذتها والجاريتين وعدت إلى أهلى انتهى. هكذا ساقها الحريرى فى كتابه درة الغواص وفيه اعتراضان أحدهما قوله يا جارية اسقيه فإن هشاما لم يكن يشرب الخمر اللهم إلا إن كان يشرب بحضرته والثانى قوله إن هشاما بعث إلى يوسف بن عمر الثقفى فإنه فى هذا التاريخ لم يكن متوليا على العراق وإنما كان واليا عليه فى التاريخ المذكور خالد بن عبدالله القسرى حسبما ذكره أهل التاريخ (الخواص) لحم الديوك حار يابس باعتدال أجوده عند اعتدال أصواتها وهو ينفع أصحاب القولنج ويستحب كدها قبل ذبحها وأكل لحمها يولد غذاء محمودا ويوافق من الأمزجة الباردة ومن الأسنان الشيوخ ومن الزمان الشتاء والديوك العتيقة تنحل منها قوة فى الطبخ ولحمها يطلق البطن وينفع المفاصل والرعشة والحمى العتيقة ذات الأدوار ولا سيما إذا عمل بملح كثير وماء كرنب ولبان القرطم والأسفاناخ وأما الفراخ فغذاؤها موافق لجميع الناس حين تبتدئ بالصياح والدجاج قبل أن يبيض وينبغى أن يواصل أكلها دائما وأما خواص أجزائه فدم الديك أو دماغه إذا طلى به على لسع الهوام أبرأه والاكتحال بدمه ينفع البياض فى العين وعرف الديك إذا أحرق وسقى منه من يبول فى فرشه أزال عنه ذلك وأبرأه وإذا طليت جبهة الديك وعرفه بدهن لم يصح وإذا نتف الريش الطويل الذى فى ذنبه عند ركوبه على الدجاجة وهو يسفدها وجعل فى مجرى الحمام فمن اغتسل من ذلك الماء أنعظ وفى طرف جناحيه عظمتان إذا علقت اليمنى على من به الحمى الدائمة أبرأته وإذا علقت اليسرى على من به حمى الربع أبرأته وهاتان العظمتان يمنعان الإعياء والنعاس إذا علقتا على بهيمة وخصيته إذا شويت وأكلتها المرأة التى لا تحبل فى حيضها قبل الطهر بثلاثة أيام وجامعها زوجها حبلت وإذا أخذ هذا العضو من يريد الجماع الكثير وصره فى قرطاس وعلقه على عضده الأيسر أنعظ إنعاظا شديدا عجيبا فإذا حله سكن ذلك عنه وعرف الديك الأبيض والأحمر إذا نخر به المجنون نفعه نفعا عجيبا ومرارته تخلط بمرق ضأن وتؤكل على الريق تذهب النسيان وتذكر ما نسى ودمه يخلط بعسل ويعرض على النار ويطلى به الذكر يقوى الذكر والباه وخصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك (التعبير) الديك تدل رؤيته على الخطيب والمؤذن والقارئ المطرب وربما دلت رؤيته على الرجل الذى يأمر بالمعروف ولا يأتيه لأنه يذكر بالصلاة ولا يصلى وربما دلت رؤيته على الرجل الكثير النكاح أو المسار الكثير العياط أو الزمام الذى يأوى إلى النساء أو الحارس وربما دلت رؤيته على الرجل الكريم المؤثر غيره على نفسه بما يحتاج إليه أو القانع بما يجد أو الناقص الحظ والعائل أو الكثير الوقوع فى الشدائد وربما تدل رؤيته على رب الدار كما أن الدجاجة ربة البيت ويعبر أيضا

وما كان يقربها شيء من السباع والهوام فجعلها فى خزانته (حجر فهار) قال أرسطو هو حجر يوجد بناحية المشرق فى معدن الذهب لونه لون الياقوت الأحمر شفاف مثل الياقوت خاصيته أنه يدفع غائلة السحر إذا استصحبه إنسان معه وإذا سقى منه مقدار شعيرتين أزال الخبل والجنون (حجر قرياطيسون) قال أرسطو إنه يوجد بأرض الهند ينفع من سيلان الدم وإن أمسكه إنسان فى فمه ووضع على أخدعيه الحاجم وشرط لم يخرج من الدم شيء أصلا (حجر قروم) قال أرسطو هذا حجر يخرجه الغواصون من البحر ملون بالبياض والحمرة والصفرة والخضرة والدكنة إذا علق على إنسان تكلم بالصواب والصدق وتهرب منه الشياطين وإذا شرب منه وزن شعيرة مسحوقا بالعود نفع من أوجاع كثيرة خاصيته أنه ينفع من وجع المفاصل والعظام (حجر قلقديس) هو صنف من الزاج وهو أقوى فعلا من الصنفين المذكورين بعد (حجر قلقطار) هو صنف من الزاج قال جالينوس ينفع من الأورام الساعية ويحرق اللحم الزائد وينفع من الرعاف وأورام اللثة ويمنع من النزف وينفع فى الاكحال جلاء (حجر قلقند) صنف من الزاج محرق جدا أكال اللحم ومجفف له وينفع من نواصير الأنف والرعاف

بمملوك لأنه ضمن المدرج لنوح عليه الصلاة والسلام لما أنفذه يكشف خبر الماء إن كان نقص فغدر ولم يأت فبقى الديك رهينا كالمملوك من ذلك الزمان وامتنع من الطيران وقيل الديك فى المنام رجل محارب من قبل المماليك وقيل الديك إذا كان أبيض أفرق فإنه مؤذن فمن ذبحه فى المنام فإنه لا يجيب المؤذن وقيل رؤية الديك تدل على مصاحبة العلماء وأولى الحكمة * روى أن رجلا أتى ابن سيرين فقال له رأيت كأن ديكا دخل منزلى فنقط حبات شعير كانت فيه فقال له ابن سيرين إن سرق لك شيء فاعلمنى فما كان إلا أيام إذ أتى الرجل إليه فقال سرق لى بساط من سطح منزلى فقال ابن سيرين المؤذن أخذه فكان كذلك وقال آخر لابن سيرين رأيت كأنى أخنق ديكا فقال ابن سيرين هذا رجل ينكح يده وقال له آخر رأيت كأن ديكا يصيح بباب بيت إنسان وينشد :

قد كان من رب هذا البيت ما كانا * هيو لصاحبه ياقوم أكفانا

فقال يموت صاحب الدار بعد أربعة وثلاثين يوما فكان كذلك وهى عدد حروف الديك بالجمل وجاء آخر فقال رأيت كأن ديكا يقول الله الله فقال له بقى من أجلك ثلاثة أيام فكان كذلك .

﴿ديك الجن﴾ دويبة توجد فى البساتين إذا ألقيت فى خمر عتيق حتى تموت وتترك فى محارة وتسد رأسها وتدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شيء من الأرضة أصلا قاله القزوينى * وديك الجن لقب لأبى محمد عبد السلام الحمصى الشاعر المشهور من شعراء الدولة العباسية كان يتشيع تشيعا حسنا وله مراث فى الحسين رضى الله عنه وكان ماجنا خليعا عاكفا على القصف واللهو متلافا لما ورثه مولده سنة إحدى وستين ومائة وعاش بضعا وسبعين سنة وتوفى فى أيام المتوكل سنة خمس أو ست وثلاثين ومائتين ولما اجتاز أبو نواس بحمص قاصدا مصر لامتداح الخصيب جاءه إلى بيته فاختفى منه فقال لأمته قولى له اخرج فقد فتنت أهل العراق بقولك :

فوردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

فلما سمع ذلك ديك الجن خرج إليه واجتمع به وأضافه وفى تاريخ ابن خلكان أن دعبلا الخزاعى لما اجتاز بحمص سمع ديك الجن بوصوله فاختفى منه خوفا أن يظهر لدعبل لأنه كان قاصرا بالنسبة إليه فقصده فى داره فطرق الباب واستأذن عليه فقالت الجارية ليس هو ههنا فعرف قصده فقال لها قولى له اخرج فأنت أشعر الإنس والجن بقولك :

فقام يكاد الكأس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها

موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

فلما بلغ ذلك ديك الجن خرج إليه وأضافه .

﴿الديلم﴾ ذكر الدرج وحكمه وخواصه وأمثاله وتعبيره كالدراج .

﴿ابن دأية﴾ الغراب الأبقع سمى بذلك لأنه إذا رأى دبرة فى ظهر بعير أو قرحة فى عنقه نزل عليها ونقرها إلى الديات ﴿فائدة﴾ الديات بتشديد الدال وبالياء المثناة تحت والتاء المثناة فوق فى آخره هى عظام الرقبة وفقار الظهر قال ابن الأعرابى فى نوادره فقار البعير ثمان عشرة فقرة وأكثرها إحدى وعشرون فقرة وفقار الإنسان سبع عشرة فقرة وقال جالينوس خرز الظهر من لدن منبت النخاع من الدماغ إلى عظم العجز أربع وعشرون خرزة سبع منها فى العنق وسبع عشرة فى الظهر وثنتا عشر فى الصلب وخمس فى البطن وهو العجز قال والأضلاع أربع وعشرون اثنتا عشرة فى

ويقتل دود الأذن والبطن ويلقى فى الماء ويرش به البيت يموت مافيه من البرغوث والبق برائحته وإذا ضم إليه الكبريت والشونيز كان أقوى فعلا ويدفع الفأر أيضا ويدلك به المسن ويحد به الموسى يفيده قوة عجيبة فى إزالة الشعر وإذا دلك به منخر الإنسان لا ينام ألبتة فإن أراد إزالة ذلك يلطخ أنفه بالزيت حتى ينام (حجر قلى) حجر يتخذ من الأشنان بأن يحرق حتى يصير رمادا وهو جلاء أكال أقوى من الملح ينفع من البهق والجرب وللحم الزائد يدق مع الثوم ويعجن بالنفط الأبيض ويطلى به لدغ العقرب فإنه يسكن وجعه فى الحال (حجر قيسور) قال أرسطو إنه حجر خفيف مخلخل يعوم على الماء ولا يغوص يوجد بأرض صقلية وأرمينية ويسمى أيضا حجر الدفاتر لأنه إذا حك به المكتوب محاه من خاصيته تنقية الأسنان من الوسخ وتبييضها إذا سحق واستن به وقال سرجويه أنه يحلق الشعر إذا مر به (حجر قبراطير) قال أرسطو إنه حجر مدور كالبندق يخرج من البحر خاصيته أنه إذا سحق وسقى من به الحصا فى المثانة أخرجها قطعا من الإحليل كالرمل (حجر كرسياد) قال أرسطو هو حجر يوجد على ساحل البحر

كل جانب وجملة العظام فى جسم الإنسان مائتان وثمانية وأربعون عظما حاشا العظم الذى فى القلب والعظام التى حشى بها خلل المفاصل وتسمى السمسمية وإنما سميت بالسمسمية لصغرها قال وجميع الثقب التى فى بدن الإنسان اثنتا عشرة والعينان والأذنان والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التى تسمى المسام وهى التى يخرج منها العرق فإنها لا تكاد تنحصر ﴿روى﴾ أن عتبة بن أبى سفيان ولى رجلا من أهله على الطائف فظلم رجلا من الأزد فأتى الأزدى عتبة فمثل بين يديه فقال أصلح الله الأمير إنك قد أمرت من كان مظلوما أن يأتيك فقد أتاك مظلوم غريب الديار ثم ذكر ظلامته بضجة وجفاء فقال له عتبة إنى أراك أعرابيا جافيا والله ما أحسبك تدرى كم فرض الله عليك من ركعة بين يوم وليلة فقال الأزدى أرأيتك إن أنبأتك بها أتجعل لى عليك مسألة قال عتبة نعم فقال :

إن الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع * ثم صلاة الفجر لا تضيع

فقال عتبة صدقت ما مسألتك قال كم فقار ظهرك قال عتبة لا أدرى فقال أفتحكم بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك فقال عتبة أخرجوه عنى وردوا عليه غنيمته والإبل تعرف من الغراب ذلك فهى تخافه وتحذره وهو الذى تسميه العرب الأعور وتتشاءم به وسيأتى الكلام عليه فى باب الغين المعجمة إن شاء الله تعالى .

﴿الدئل﴾ بضم الدال وكسر الهمزة دابة شبيهة بابن عرس وكان من حقه أن يكتب فى أول الباب وإنما أخرناه لأنه يكتب فى الرسم بالياء قال كعب بن مالك الأنصارى رضى الله عنه :

جاؤا بجيش لو قيس معرسه * ما كان إلا كمعرس الدئل

أراد موضع نزولهم ليلا كبيت ابن عرس قال أحمد بن يحيى ما نعلم اسما جاء على فعل غير هذا قال الأخفش وإليه ينسب أبو الأسود الدئلى قاضى البصرة إلا أنهم فتحوا الهمزة على مذهبهم فى النسبة استثقالا لتوالى الكسرتين مع ياء النسب كما نسبوا إلى نمرة نمرى وإلى ملك ملكى واسم أبى الأسود ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو وفى اسمه ونسبه اختلاف كثير وكان من سادات التابعين وأعيانهم يروى عن على وأبى موسى وأبى ذر وعمران بن حصين رضى الله تعالى عنهم أجمعين وصحب عليا رضى الله عنه وشهد معه وقعة صفين وهو بصرى وكان من أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا ويعد من الشعراء والمحدثين والبخلاء والفرسان والبخر والعرج والمفاليج والنحويين وهو أول من وضع النحو فقيل إن عليا رضى الله تعالى عنه وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب اسم وفعل وحرف ثم دفعه إليه وقال له تمم على هذا وسمى النحو نحوا لأن أبا الأسود قال استأذنت على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى أن أضع نحو ما وضع فسمى نحوا وهو القائل لبنيه لا تجاودوا الله عز وجل فإنه أجود وأمجد ولو شاء أن يوسع على الناس كلهم لفعل فلا تجهدوا أنفسكم فى التوسعة على الناس فتهلكوا هزلا وهو صاحب نوادر فمنها أنه سمع رجلا يقول من يعشى الجائع فدعاه وعشاه فلما ذهب السائل ليخرج قال له هيهات إنما أطعمتك على أن لا تؤذى المسلمين الليلة ثم وضع رجله فى الأدهم حتى أصبح - والأدهم القيد - ومنها أنه قال له رجل إنك ظرف علم ووعاء حلم غير أنك بخيل فقال لا خير فى ظرف لا يمسك مافيه ومنها أنه اشترى حصانا بتسعة دنانير واجتاز به على رجل أعور فقال بكم اشتريته فقال قومه فقال قيمته أربعة دنانير ونصف فقال معذور أنت لأنك نظرته بعين واحدة فقومته بنصف قيمته ولو نظرته بالعين الأخرى لو كانت صحيحة لقومته ببقية القيمة ومضى إلى داره ونام فلما استيقظ سمعه يقضم فقال ما هذا قالوا الفرس يأكل شعيره فقال لا أترك فى مالى من أنام وهو يمحقه ويتلفه ولا أترك إلا ما يزيده وينميه فباعه واشترى بثمنه أرضا للزراعة ومنها أن جيرانه بالبصرة كانوا

يخالفونه فى الاعتقاد ويؤذونه ويرجمونه فى الليل بالحجارة ويقولون له إنما يرجمك الله تعالى فيقول لهم كذبتم لو رجمنى الله لأصابنى وأنتم ترجمونى فلا يصيبنى ثم باع الدار فقيل بعت دارك فقال بل بعت جارى فأرسلها مثلا وهذا عكس ما جرى لأبى الجهم العدوى فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال بكم تشترون جوار سعيد بن العاص فقالوا وهل يشترى جوار قط قال ردوا علىّ دارى وخذوا دراهمكم والله لا أدع جوار رجل إن فقدت سأل عنى وإن رآنى رحب بى وإن غبت حفظنى وإن شهدت قربنى وإن سألته أعطانى وإن لم أسأله ابتدأنى وإن نابتنى جائحة فرج عنى فبلغ ذلك سعيدا فبعث إليه بمائة ألف درهم ومنها أنه دخل على معاوية رضى الله تعالى عنه يوما فبينما هو يخاطبه إذ ضرط أبو الأسود فضحك معاوية فقال له يا أمير المؤمنين لا تخبر بها أحدا فلما خرج من عنده دخل عمرو ابن العاص فأخبره معاوية بما كان من أبى الأسود فلما رآه عمرو قال له يا أبا الأسود ضرط بين يدى أمير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له ألم أسألك أن لا تخبر بها أحدا فقال له معاوية ما علم بها إلا عمرو فقال إياه كنت أحذر ولكن فأنت لا تصلح للخلافة قال كيف قال إذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على أموال المسلمين ودمائهم فضحك معاوية ووصله ومنها أنه قيل له هل شهد معاوية بدرا قال نعم لكن من ذلك الجانب وكان أبو الأسود يعلم أولا زيادا ابن أبيه والى العراقين فخاصمته امرأته إلى زياد فى ولدها وقالت إنه يريد أن يغلبنى على ولدى وقد كان بطنى له وعاء وثدى له سقاء وحجرى له وطاء فقال أبو الأسود بهذا تريدين أن تغلبينى على ولدى وقد حملته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه فقالت ولا سواء إنك حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها فقال له زياد إنى أرى امرأة عاقلة فادفع ابنها إليها فأخلق أن تحسن أدبه توفى أبو الأسود بالبصرة فى طاعون الجارف سنة تسع وستين وعمره خمس وثمانون سنة وهذا الطاعون كان بالبصرة مات فيه سراة الناس قيل إنه مات فيه لأنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ثلاثون ولدا والله تعالى أعلم

## ﴿ باب الذال المعجمة ﴾

﴿ ذؤالة ﴾ اسم للذئب كأسامة للأسد وهو معرفة سمى بذلك لأنه يذأل فى مشيته من الذألان وهو المشى الخفيف وفى الحديث أن النبى ﷺ مر بجارية سوداء ترقص صبيا لها وتقول ذؤال يا ابن القرم يا ذؤال * فقال ﷺ لا تقولى ذؤالة فإنه شر السباع وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد

﴿ الذباب ﴾ معروف واحدته ذبابة ولا تقل ذبانة وجمعه فى القلة أذبة وفى الكثرة ذبان بكسر الذال وتشديد الباء الموحدة وبالنون فى آخره كغراب وأغربة وغربان وقراد وأقردة وقردان قال النابغة :

يا واهب الناس بعيرا صلبه * ضرابة بالمشفر الأذبة

ولا يقال ذبابات إلا فى الديون قال الراجز * أو يقضى الله ذبابات الديون * وأرض مذبة بفتح الميم والذال أى ذات ذباب وقال الفراء أرض مذبوبة كما يقال أرض موحوشة أى ذات وحوش سمى ذبابا لكثرة حركته واضطرابه وقيل لأنه كلما ذب آب وكنيته أبو حفص وأبو حكيم وأبو الحدرس والذباب أجهل الخلق لأنه يلقى نفسه فى الهلكة قال الجوهرى يقال ليس شىء من الطيور يلغ إلا الذباب وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت من قول افلاطون إن الذباب أحرص الأشياء ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها ومن شأن

فيه المبارد وإذا كلس يكلس فى سبع مرات ويصير كلسه أبيض إذا خلط مع كلسه شىء من النوشادر وألقى جزء منها على سبعة أجزاء من زئبق عقده وصيره حجرا (حجر كرسيان) قال أرسطو إنه أخضر اللون يوجد بأرض الهند وهو ثقيل شفاف صاف إذا كلس هذا الحجر حتى يبيض وحمر حتى يحمر ويصير فى كيزان الزنجفر فإذا انحل ألقى عليه مثله مغنيسيا وأذيب البلور فى النار وألقى من هذا الكرسيان المدبر عليه عشر شعيرات على عشرة أساتير صبغه وجعله فى لون الياقوت وإذا علق على إنسان أمن من الحميات (حجر كرك) قال أرسطو إنه حجر أبيض إذا خرج من الخرط يشبه العاج يؤتى به من ساحل بحر السند ينفع لحكة العين اكتحالا وأهل السند والهند يتختمون به لدفع العين والسحر والشياطين وكان الفلاسفة يضعونها عندهم كيلا تقربهم الأرواح الرديئة (حجر كرمانى) قال أرسطو هو حجر أسود يشوبه كمودة يصاب فى الآجام والرجل وقد يكون على لون الطحال إذا سحق بالشب واللبن وأسعط المجذومين يبرئهم بإذن الله تعالى

(حجر كهرباء) هو حجر أصفر مائل إلى البياض وربما كان إلى الحمرة ومعناه جاذب التبن لأنه يجذب التبن والهشيم إلى نفسه وهو صمغ شجر الجوز الرومى وإذا علق على إنسان نفعه من الأورام والخفقان ويحبس القيء ويمنع نزف الدم وإذا علق على الحامل حفظ جنينها وإذا علق على صاحب اليرقان نفعه وأزال صفرته والكهرباء شبيه بالسندروس إلا أنه أصفى لونا وأميل إلى البياض (حجر لازورد) قال أرسطو هو حجر به رخاوة وهو مشهور من تختم به نبل فى أعين الناس وإن اكتحل به فى الأكحال ينفع العين قال ابن سينا إنه ليسقط الثآليل ويحسن الأشعار ويكثرها وقال غيره اللازورد ينفع من السهر وينفع أصحاب المالخوليا (حجر لاقط الذهب) قال أرسطو هذا حجر يختلس الذهب معدنه ببعض جبال المغرب وهو أصفر مشوب بغبرة يسيرة أملس لين المجس من نظر إليه ظنه تبرا وخاصيته أن الذهب إذا برد بالمبرد واختلطت برادته بالتراب وأمر عليه هذا الحجر لقطها وأخرجها من التراب حتى لا يبقى فيه شيء (حجر لاقط الرصاص) قال أرسطو هو حجر سمح اللون نتن الرائحة مشوب بشيء من البياض والرصاص مع ثقل جسمه هذا الحجر

الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار فجعل الله لها عوضا من الأجفان يدين تصقل بهما مرآة حدقتها فلهذا ترى الذباب أبدا يمسح بيديه عينيه وهو أصناف كثيرة متولدة من العفونة قال الجاحظ الذباب عند العرب يقع على الزنابير والنحل والبعوض بأنواعه كالبق والبراغيث والقمل والصؤاب والناموس والفراش والنمل والذباب المعروف عند الإطلاق العرفى وهو أصناف النعر والقمع والخازباز والشعراء وذباب الكلاب وذباب الرياض وذباب الكلا * والذباب الذى يخالط الناس يخلق من السفاد وقد يخلق من الأجسام ويقال إن الباقلاء إذا أعتق فى موضع استحال كله ذبابا وطار من الكوى التى فى ذلك الموضع ولا يبقى فيه غير القشر انتهى روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضى الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سمعت رسول الله ﷺ يقول ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور فى جوها فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ومعنى تمور تذهب وتجىء والجو ما بين السماء والأرض وفى مسند أبى يعلى الموصلى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله فى النار إلا النحل وهو فى الكامل فى ترجمة عمر بن شقيق عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال قال رسول الله ﷺ الذباب كله فى النار إلا النحل قيل كونه فى النار ليس بعذاب له وإنما ليعذب به أهل النار بوقوعه عليهم * وروى النسائى والحاكم عن أبى المليح عن أبيه أسامة بن عمير بن عامر الأقيش الهذرى البصرى قال كنت رديف رسول الله ﷺ فعثر بعيرنا فقلت تعس الشيطان فقال ﷺ لا تقل تعس الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى ولكن قل باسم الله فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة ورواه أبو داود عن أبى المليح عن رجل قال كنت رديف رسول الله ﷺ فعثرت دابته فقلت الخ ورواه ابن السنى كما رواه النسائى والحاكم وصرح فيه بأن أبا المليح رواه عن أبيه أسامة بن مالك وكلتا الروايتين صحيحة فإن الرجل المجهول فى رواية أبى داود صحابى والصحابة كلهم عدول لا تضر الجهالة بأعيانهم وقال الإمام العلامة الذهبى الرجل المجهول المبهم أبو عزة ورواه خالد الحذائى عن أبى تميمة الهجيمى عن أبيه خالد قال كنت رديفا للنبى ﷺ فعثرت الناقة إلى آخره كذا هو فى أسد الغابة فى ذكر المنسوبين إلى القبائل وأما قوله تعس فقيل معناه هلك وقيل سقط وقيل عثر وقيل لزمه الشر وتعس بفتح العين وكسرها والفتح أشهر ولم يذكر الجوهرى غير الفتح وروى الطبرانى وابن أبى الدنيا من حديث أبى أمامة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب فى اليوم الصائف ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغر فاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين * والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والدبر ونحوها كلها واحدا كما تقدم وجالينوس يقول إنه ألوان فللإبل ذباب وللبقر ذباب وأصله دود صغار يخرج من أبدانها فيصير ذبابا وزنابير وذباب الناس يتولد من الزبل ويكثر الذباب إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق فى تلك الساعة وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض انتهى ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ولا يقع على شجرة اليقطين ولذلك أنبتها الله على نبيه يونس عليه الصلاة والسلام لأنه حين خرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته فمنع الله عنه الذباب بذلك فلم يزل كذلك حتى تصلب جسمه ولا يظهر كثيرا إلا فى الأماكن العفنة ومبدأ خلقه منها ثم من السفاد وربما بقى الذكر على الأنثى عامة اليوم وهو من الحيوانات الشمسية لأنه يختفى شتاء ويظهر صيفا وبقية أنواعه كالناموس والفراش

والنعر والقمع وغيرها ستذكر فى أبوابها إن شاء الله تعالى وما أحسن قول أبى العلاء المعرى ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة :

يا طالب الرزق الهنىء بقوة * هيهات أنت بباطل مشغوف
رعت الأسود بقوة جيف الفلا * ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

ولمحمد الأندلسى فى المعنى :

مثل الرزق الذى تطلبه * مثل الظل الذى يمشى معك
أنت لا تدركه متبعا * وإذا وليت عنه تبعك

وفى المعنى أيضا لأبى الخير الكاتب الواسطى :

جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون
جنون منك أن تسعى لرزق * ويرزق فى غشاوته الجنين

وقد أجاد الأمير سيف الدين على بن قليج الظاهرى فى التحذير من احتقار العدو بقوله :

لا تحقرن عدوا لان جانبه * وإن تراه ضعيف البطش والجلد
فللذبابة فى الجرح الممد يد * تنال ما قصرت عنه يد الأسد

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمذانى الزاهد صاحب المقامات والكرامات والأحوال الظاهرات أنه جلس يوما للوعظ فاجتمع إليه العالم فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقاء وآذاه وسأله عن مسئلة فقال له الإمام يوسف اجلس فإنى أجد من كلامك رائحة الكفر ولعلك أن تموت على غير دين الإسلام فقدم رسول ملك الروم إلى الخليفة فخرج ابن السقاء مع الرسول إلى القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيا وكان ابن السقاء قارئا للقرآن محمودا فى تلاوته وحكى من رآه بالقسطنطينية قال رأيته مريضا ملقى على دكة وبيده مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه فقلت له هل القرآن باق على حفظك فقال ما أذكر منه إلا آية واحدة وهى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والباقى أنسيته اه نعوذ بالله من سخطه وخذلانه ونسأله حسن الخاتمة فانظر يا أخى كيف هلك هذا الرجل وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد نسأل الله السلامة فعليك يا أخى بالاعتقاد وترك الانتقاد على المشايخ العارفين والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين فإن حرابهم مسمومة فقل من تعرض لهم وسلم فسلم تسلم ولا تنتقد تندم واقتد بإمام العارفين ورأس الصديقين وعلامة العلماء العاملين فى وقته الشيخ محيى الدين عبد القادر الكيلانى رحمه الله تعالى لما عزم على زيارة قطب الغوث بمكة وقال رفيقاه ما قالا فقال أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك لا على قدم الإنكار والامتحان فآل أمره إلى أن قال قدمى هذا على رقبة كل ولى وآل أمر أحد رفيقيه إلى الكفر وترك الإيمان بالانتقاد وترك الاعتقاد كما اتفق فى هذه الحكاية وآل أمر الآخر إلى اشتغاله بالدنيا وتركه خدمة المولى لقلة التوفيق فنسأل الله التوفيق والهداية والإماتة على الإيمان به وبرسوله والاعتقاد الحسن فى أوليائه وأصفيائه بمحمد وآله * حدث يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألح على وجهه ذباب حتى أضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فسكت المنصور ومقاتل بن سليمان مشهور بتفسير كتاب الله العزيز وأخذ الحديث عن جماعة قال الإمام الشافعى رضى الله عنه الناس كلهم عيال على ثلاثة على مقاتل بن سليمان فى التفسير وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر وعلى أبى حنيفة فى الفقه قعد

كالفحم ثم ألقى عليه الزئبق يكون منه فضة جيدة تصبر على السبك والمطرقة (حجر لاقط الشعر) قال ارسطو هو حجر رخو خفيف متخلخل الجسم إذا مد على ظهر الحيوان يحلق شعره مثل الكلس والنورة فإن شد على شعر مطروح على وجه الأرض لقطعه وإن سحق وطلى به الموضع الذى حلق منه الشعر يزيل منه أثر الحلق مثل داء الحية والثعلب وإن أصاب رائحة هذا الحجر الذهب المسبوك فسد وتفتت عند الطرق كما يتفتت الزجاج ولم يكن له حيلة (حجر لاقط الصوف) قال ارسطو هذا الحجر أخضر يشوبه عروق خضر وصفر وهو خفيف الجسم مائل إلى البياض مدور صغار وكبار إذا أدنى منه الصوف التف عليه حتى يغوص فى الصوف ومسحوقه يزيل البياض من العين اكتحالا وإذا كلس وعقد مع زبد البحر عقد الزئبق عقدا شديدا (حجر لاقط العظم) قال ارسطو هو حجر أصفر خشن الجس يجلب من بلاد بلخ إذا أدنى من العظام لقطها (حجر لاقط الفضة) قال ارسطو هو حجر أبيض مشوب بغبرة وإذا غمز عليه الإنسان صر كما يصر الرصاص وإذا أخذت منه

مقاتل بن سليمان يوما فقال سلونى عما دون العرش فقال له رجل آدم عليه الصلاة والسلام لما حج أول حجة حجها من حلق رأسه فقال ليس هذا من علمكم ولكنى ابتليت لما أعجبتنى نفسى وقيل إنه قيل له الذرة أو النملة أمعاؤها فى مقدمها أو مؤخرها فلم يدر ما يقول فكانت عقوبة عوقب بها وأنشد أبو عمر بن العلاء فى هذا المعنى :

من تحلى بغير ما هو فيه * فضحته شواهد الامتحان

والعلماء مختلفون فيه فمنهم من وثقه ومنهم من كذبه وترك حديثه وقيل إنه كان يتكلم فى الصفات بما لا تحل الرواية عنه وقيل إنه كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذى يوافق كتبهم وكان مشبها قال ابن خلكان وغيره وهذا لا أعتقد صحته وتوفى مقاتل بن سليمان فى سنة خمس وخمسين ومائة وفى مناقب الإمام الشافعى أن المأمون سأله فقال لأى شىء خلق الله الذباب فقال مذلة للملوك فضحك المأمون وقال رأيته وقد وقع على جسدى فقال نعم ولقد سألتنى عنه وما عندى جواب فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح الله لى فيه بالجواب فقال لله درك وفى شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبى ﷺ كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ذباب أصلا (الحكم) كل أنواعه يحرم أكلها وفيه وجه أنه يحل حكاه الرافعى وقال الماوردى ومن الفقهاء من أباح الذباب المتولد من مأكول كالفول ونحوه ولعل قائل هذا القول هو الذى يقول بإباحة المتولد من الفواكه ﴿فرع﴾ قال فى الإحياء فى أول كتاب الحلال والحرام لو وقعت ذبابة أو نملة فى قدر طبيخ وتهرت أجزاؤها لم يحرم أكل ذلك الطبيخ لأن تحريم أكل الذباب والنمل ونحوهما إنما كان للاستقذار ولا يعد هذا مستقذرا قال ولو وقع فيه جزء من لحم آدمى ميت لم يحل أكل ذلك الطبيخ حتى لو كان لحم الآدمى وزن دانق حرم الطبيخ لا لنجاسته فإن الآدمى الميت طاهر على الصحيح خلافا لأبى حنيفة ولكن لأن أكل لحم الآدمى حرام لحرمته لا لاستقذاره بخلاف الذباب هذا كلام الغزالى رحمه الله تعالى قال فى شرح المهذب الصحيح المختار أنه لا يحرم أكل الطبيخ فى مسألة لحم الآدمى لأنه صار مستهلكا فهو كالبول وغيره إذا وقع فى قلتين من الماء فإنه يجوز استعمال جميعه لأن البول صار باستهلاكه كالعدم وروى البخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان أن النبى ﷺ قال إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليمقله فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء وأنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء وفى رواية النسائى وابن ماجه أن أحد جناحى الذباب سم والآخر شفاء فإذا وقع فى الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء قال الخطابى وقد تكلم على هذا الحديث بعض من لا خلاق له وقال كيف يكون هذا وكيف يجتمع الداء والشفاء فى جناحى ذبابة وكيف تعلم ذلك من نفسها حتى تقدم جناح الداء وتؤخر جناح الشفاء وما أداها إلى ذلك قال وهذا سؤال جاهل أو متجاهل فإن الذى يجد نفسه ونفس سائر الحيوانات قد جمع فيها بين الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهى أشياء متضادة إذا تلاقت تفاسدت ثم يرى أن الله قد ألف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان التى منها بقاؤه وصلاحه لجدير أن لا ينكر اجتماع الداء والشفاء فى جزأين من حيوان واحد وأن الذى ألهم النحلة أن تتخذ البيت العجيب الصنعة وتعسل فيه وألهم الذرة أن تكتسب قوتها وتدخره لأوان حاجتها إليه هو الذى خلق الذبابة وجعل لها الهداية إلى أن تقدم جناحا وتؤخر جناحا لما أراده من الابتلاء الذى هو مدرجة التعبد والامتحان الذى هو مضمار التكليف وله فى كل شىء حكمة

قدر أوقية ووضعته من الفضة على مقدار خمسة أذرع اجتذبت إليه وإن كانت مسمرة اقتلع المسمار من موضعه وليس شىء من المغناطيس أقوى من هذا (حجر لاقط القطن) يوجد على سواحل البحر وهو أبيض إذا أدنى من القطن أو الخرق اختلسها ومن خواصه أنه إن حل فى الزبل وألقى على النحاس بيضه وصيره مثل الفضة (حجر لحاغيطوس) قال أرسطو إنه حجر أسود اللون يشم منه رائحة القار شديد اليبس يلحم الجراحات الشديدة الغور وينفع أصحاب الصرع ويطرد الهوام (حجر الماس) قال أرسطو أنه يقرب لونه من لون النوشادر الصافى لا يلتصق بشىء من الأحجار إلا هشمه وكسره غير الأسرب فإنه إذا ضرب بالأسرب كسر الماس ولو جعلته ألف قطعة كان جميع قطاعه مثلثة وكلما كان حجمه أكبر كان تأثيره أقوى والصناع يجعلون قطاعه فى طرف المثقب يثقبون بها الأحجار الصلبة والموضع الذى فيه الماس لم يصل إليه أحد وهو واد بأرض الهند لا يلحق البصر أسفله وفيه الأفاعى وهذه الأفاعى لا يراها أحد إلا مات ولها مصيف ستة أشهر ومشتاة مثلها فأمر الإسكندر

باتخاذ المرائى وإلقائها فى الوادى حتى ترى الحيات فيها صورتها فيها فتموت وقيل إنه راقب وقت غيبتها وألقى فيها قطاع اللحم فتشبثت بقطع الماس وجاءت الطير من الجو وأخذت من ذلك اللحم وأخرجته من الوادى فأمر الإسكندر أصحابه باتباع الطير والتقاط ما ينتثر من ذلك اللحم ومن عجائب الماس أنه إذا طرق بالمطرقة على السندال دخل فى المطرقة أو فى السندال وإذا ضرب بالأسرب يتكسر فى الحال وإن ألقى فى دم التيس وأدنى من النار يذوب وهو ينفع من المغص وفساد المعدة وتكسر الأسنان إذا أخذ فى الفم وهو سم قاتل جدا (حجر مغناطيس) قال أرسطو هذا حجر هندى لا يعمل الحديد فيه وإذا وضع فى مكان بطل فيه عمل السحر ويهرب عنه الشياطين والإسكندر كان يعمله فى عسكره لدفع الجن والسحر (حجر ماهانى) قال أرسطو هو حجر أبيض أصفر يوجد بأرض خراسان ينفع من السكتة وإذا أحرق بالنار وجعل على البواسير أبرأها ومن تختم به أمن من الروع والغم والجزع (حجر مراد) قال أرسطو إنه حجر عجيب يوجد بناحية الجنوب إن أخذ من معدنه والشمس بناحية الجنوب كان طبعه حارا يابسا وإن كان بناحية الشمال كان طبعه باردا

وعنوان وما يذكر إلا أولوا الألباب انتهى وقد تأملت الذباب فوجدته يتقى بجناحه الأيسر وهو مناسب للداء كما أن الأيمن مناسب للدواء وقد استفيد من الحديث أنه إذا وقع فى الماء لا ينجسه لأنه ليس له نفس سائلة هذا هو المشهور وفى قول ينجسه كسائر الميتات النجسة وفى ثالث مخرج أن ما يعم وقوعه كالذباب والبعوض لا ينجس وما لا يعم كالخنافس والعقارب ينجس وهو متجه لا محيد عنه ومحل الخلاف فى ميتة أجنبية أما الناشئ منه كدود الفواكه والجبن والخل فلا ينجس ما مات فيه بلا خلاف كذا قاله الشيخان وابن الرفعة وحكى الدارمى فى المسئلة ثلاثة أوجه ثالثها الفرق بين الكثير والقليل ومحل ذلك ما لم يتغير به لكثرته فإن كثر وتغير به فالأصح أنه ينجسه ومحله أيضا إذا وقع فيه بنفسه فإذا طرح فيه ضر ﴿فرع﴾ لو وقع الزنبور أو الفراش أو النحل وأشباه ذلك فى الطعام هل يؤمر بغمسه لعموم قوله ﷺ إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم الحديث وهذه الأنواع كلها يقع عليها اسم الذباب فى اللغة كما تقدم نقله عن الجاحظ وغيره وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى العسل إنه مذقة ذبابة وروى الذباب كله فى النار إلا النحل كما سبق فسمى الكل ذبابا وإذا كان كذلك فالظاهر وجوب حمل الأمر بالغمس على الجميع إلا النحل فإن الغمس قد يؤدى إلى قتله وهو حرام (الأمثال) قال الله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له الآية معنى ضرب أثبت وألزم نحو ضربت عليهم الذلة وضربت عليهم الجزية ويحتمل أن يكون من الضرب الذى هو المثل وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى فى تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة على أن الشيطان خدعهم حيث وصفوا بالإلهية التى تقتضى الاقتدار على المقدورات كلها والإحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم أن هذا الخلق الأذل الأقل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الأصنام كانت ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة وكانوا يضمخونها بأنواع الطيب ويطلون رؤسها بالعسل وكان الذباب يذهب بذلك وكانوا يتألمون من هذه الجهة فجعلت مثلا وقالوا أجرأ من ذبابة وأهون من ذبابة وأطيش وأخطأ من الذباب لأنه يلقى نفسه فى الشىء الحار والشىء الذى يلتصق به ولا يمكنه التخلص وقالوا أوغل من ذبابة وقال الشاعر:

أوغل فى التطفيل من ذباب * على طعام وعلى شراب
لو أبصر الرغفان فى السحاب * لطار فى الجو بلا حجاب

قال أبو عبيد كان رجلا من أهل الكوفة يقال له طفيل بن دلال من بنى عبد الله بن غطفان وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى إليها وكان يقال له طفيل الأعراس وكان أول رجل لابس هذا العمل فى الأمصار فصار مثلا ينسب إليه كل من يقتدى به وقالوا أزهى من ذبابة وقالوا أصابه ذباب لادغ يضرب لمن نزل به شر عظيم يرق له من سمعه وقالوا ما يساوى متك ذباب يضرب للشىء الحقير والمتك العرق الذى فى باطن الذكر وهو كالخيط فى باطنه على خلقة العجان وفى كتاب النصائح لابن ظفر قال رأيت فى أخبار بعض الملوك أن وزيره أشار عليه بجمع الأموال وادخارها وقال إن الرجال وإن تفرقوا عنك اليوم متى احتجتهم عرضت عليهم الأموال فتهافتوا عليك فقال هل لهذا من شاهد قال نعم هل بحضرتنا الساعة ذباب قال لا فأمر الوزير بجفنة فيها عسل فأحضرت فتساقط عليها الذباب فاستشار الملك بعض خواص أصحابه فنهاه عن ذلك وقال لا تغير قلوب الرجال فليس كل وقت أردتهم بحضرون فقال فهل لذلك من دليل قال نعم إذا أمسينا أخبرتك فلما أظلم الليل قال للملك أحضر جفنة العسل

فأحضرت فلم تحضر ذبابة فرجع الملك عن رأيه الأول (الخواص) قال الجاحظ إذ ضرب اللبن بالكندس ونضح به البيت لم يدخله ذباب وإذا أخذت ذبابة وفصلت رأسها ودلكت بها قرصة الزنبور سكنت وإذا أحرق الذباب وسحق وخلط بعسل وطلى به داء الثعلب فإنه ينبت فيه الشعر وإذا ماتت الذبابة فنثر عليها خبث الحديد عاشت من وقتها وإذا بخر البيت بورق القرع أو كندس أو سليخة ذهب منه الذباب وإذا طبخ ورق القرع ورش به البيت والحيطان لم يقع فيه ذباب انتهى ﴿صفة طلسم لمنع الذباب﴾ يؤخذ كندس جديد وزرنيخ أصفر أجزاء متساوية يسحقان ويعجنان بماء بصل الفار ويدهن ويعمل منه تمثال ويوضع على المائدة فلا يقربها ذباب مادام عليها وإذا وضع على باب البيت باقة من الحشيشة التي يقال لها سادريون فلا يدخل البيت ذباب مادامت الباقة معلقة على الباب وإذا أخذت الذباب الكبير وقطعت رؤسهن وحككت بجسدهن موضع الشعرة التي تنبت في الجفن حكا شديداً فإنه يذهبها أصلا وهو عجيب مجرب وإذا أخذت ذبابة وجعلت في خرقة كتان وربطت بخيط ووسع الربط عليها وعلقت على من يشتكي عينه سكن ألمه وتعلق في عنقه أو عضده وإن شدخ الذباب وضمد به العين الوارمة أبرأها وقال محمد بن زكريا القزويني رأيت في كتب الطبيعات الرومية إذا علقت ذبابة حية على من يشتكي ضرسه برئ ومن عضه كلب كلب فليستر وجهه عن الذباب فإن ذلك مما يؤذيه والله أعلم (التعبير) الذباب في المنام خصم ألد وجيش ضعيف وربما دل اجتماعه على الرزق الطيب وربما دل على الداء والدواء للحديث المتقدم وربما دلت رؤيته على الأعمال السيئة والوقوع فيما يوجب التقريع لقوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له إلى قوله ضعف الطالب والمطلوب.

﴿الذر﴾ النمل الأحمر الصغير واحدته ذرة قال تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة أي لا يبخس ولا ينقص أحداً من ثواب عمله مثقال ذرة أي وزن ذرة سئل ثعلب عنها فقال إن مائة نملة وزن حبة والذرة واحدة منها وقيل إن الذرة ليس لها وزن ويحكى أن رجلا وضع خبزاً حتى علاه الذر وستره ثم وزنه فلم يزد شيئا وقيل الذر أجزاء الهباء في الكوة وكل جزء منه ذرة ولا يكون لها وزن وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أنس رضي الله تعالى عنه في شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة صحفها شعبة بن بسطام وقال مثقال ذرة بضم الذال وتخفيف الراء وقال العبدري إنما قال درة بالدال المهملة وتشديد الراء واحدة الدر وهو تصحيف التصحيف قال ابن بطة من الحنابلة في تفسير الآية مثقال مفعال من الثقل والذرة النملة الصغيرة الحمراء وهي أصغر ما يكون إذا مر عليها حول لأنها تصفر وتحرى كما تفعل الأفعى تقول العرب أفعى حارية وهي أشدها سما قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول * من الذر فوق الأتب منها لأثرا

المحول الذي أتى عليه حول والأتب ثوب تلقيه المرأة في عنقها بلا كم ولا جيب وقال حسان:

لو يدب الحولى من ولد الذر * عليها لأندبتها الكلوم

أي لو دبت الحولية من الذر عليها لأثرت بها الكلوم وقال السهيلي وغيره أهلك الله تعالى جرهم بالذر والرعاف حتى كان آخرهم موتاً امرأة رؤيت تطوف بالبيت بعدهم بزمان فتعجبوا من طولها وعظم خلقها حتى قال لها قائل أجنية أنت أم إنسية فقالت بل إنسية من جرهم ثم اكترت من رجلين من جهينة بعيراً إلى أرض خيبر فلما أنزلاها استخبراها عن الماء فأخبرتهما فوليا فأتاها الذر فتعلق بها إلى أن انتهى إلى خياشيمها ثم نزل إلى حلقها فهلكت *

حامله ويعلمونه بما أراد منهم (حجر مرجان) قال أرسطو إنه ينبت في البحر أحمر اللون وهو إذا كلس عقد الزئبق وصبغه بلون الذهب وهو يدخل في معالجات العين ويصلب الحدقة وقال غيره إنه يستخرج من موضع يسمى مرسى الحذر بقرب ساحل أفريقية يجتمع التجار بها ثم يستأجرون أهل تلك النواحي على استخراج المرجان من قعر البحر ومن أراد ذلك يتخذ صليباً من الخشب طوله ذراع ويشد فيه حجراً ويركب ركوة ويبعد عن الساحل نصف فرسخ ويرسل الصليب إلى أن ينتهي إلى قعر البحر ثم يمر بالركوة يمينا وشمالا حتى يتعلق المرجان بذوائب الصليب ثم يقتلعه بقوة ويرفعه إليه وقد علق بالصليب وهو جسم مشجر أغبر القشر فإذا حك خرج أحمر اللون وزعم بعض الناس أنه يوجد أيضا في قعر بحر الأندلس والغواصون ينزلون عليه ويقطعونه أما خواصه فقد ذكر في البسد وهو خلاصته فلا نعيدها (حجر مرداسنج) هذا حجر متخذ من الرصاص ينفع من الجراحات ويجففها إذا اتخذت منه المراهم ويبرئ

وعبر عن الذرة يزيد بن هرون بأنها دودة حمراء وهى عبارة فاسدة وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال الذرة رأس النملة وقال بعض العلماء لأن تفضل حسناتى سيئاتى بمثقال ذرة أحب إلى من الدنيا وما فيها قال الله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انتهى وهذه الآية كان رسول الله ﷺ يسميها الجامعة الفاذة أى المنفردة فى معناها * وروى البيهقى فى الشعب من حديث صالح المرى عن الحسن عن أنس أن سائلا أتى النبى ﷺ فأعطاه تمرة فقال السائل سبحان الله نبى من أنبياء الله يتصدق بتمرة فقال النبى ﷺ أوما علمت أن فيها مثاقيل ذر كثير ثم أتاه آخر فسأله فأعطاه تمرة فقال تمرة من نبى من الأنبياء لا تفارقنى هذه التمرة ما بقيت ولا أزال أرجو بركتها أبدا فأمر له بمعروف وفى رواية قال للجارية اذهبى إلى أم سلمة فربها فلتعطه الأربعين درهما التى عندها قال أنس فما لبث الرجل أن استغنى * وروى الإمام أحمد فى مسنده بإسناد رجاله ثقات عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة * وأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سائلا تمرتين فقبض السائل يده فقال له سعد يا هذا إن الله قد قبل منا مثاقيل الذر * وفعلت عائشة رضى الله تعالى عنها هذا فى حبة عنب * وسمع هذه الآية صعصعة بن عقال التميمى عند النبى ﷺ فقال حسبى لا أبالى أن لا أسمع آية غيرها وسمعها رجل عند الحسن البصرى فقال انتهت الموعظة فقال الحسن فقه الرجل * وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى أسماء الرحبى أن هذه السورة نزلت وأبو بكر الصديق رضى الله عنه يأكل مع النبى ﷺ فترك أبو بكر الأكل وبكى فقال له النبى ﷺ ما يبكيك فقال يا رسول الله أو نسئل عن مثاقيل الذر فقال رسول الله ﷺ يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير إلى الآخرة قال والذرة نملة صغيرة حمراء لا يرجح بها ميزان * وروى الإمام أحمد فى الزهد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة رجال على صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضى بين الناس قال ثم يذهب بهم إلى نار الأنيار قيل يا رسول الله وما نار الأنيار قال عصارة أهل النار ورواه صاحب الترغيب والترهيب * وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يغشاهم الصغار من كل مكان ويساقون إلى سجن من النار يقال له بولس تعلوهم نار الأنيار ويسقون من طينة الخبال وهى عصارة أهل النار رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وفى شعب الإيمان للبيهقى عن الأصمعى قال مررت بأعرابية فى البادية فى كوخ فقلت لها يا أعرابية من يؤنسك ههنا قالت يؤنسنى مؤنس الموتى فى قبورهم فقلت ومن أين تأكلين قالت يطعمنى مطعم الذرة وهى أصغر منى وفى المدهش للإمام العلامة أبى الفرج بن الجوزى أن رجلا من العجم طلب الأدب حينا فبينما هو فى بعض الطريق سائر إذ مر بصخرة ملساء فتأملها فإذا ذر يدب عليها عليها وقد أثر عليها من كثرة دبيبه ففكر وقال مع صلابة هذا الحجر وخفة هذا الذر قد أثر فيه هذا الأثر فأنا أحرى على أن أدوم على الطلب فلعلى أظفر ببغيتى فراجع الأثبات على الأدب فلم يلبث أن خرج مبرزا وهكذا يجب أن يكون طالب فائدة دينية أو دنيوية لا سيما طالب التوحيد والمعرفة أن يكون كرارا غير فرار فإما الظفر والغنيمة وإما القتل والشهادة * وسئل أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى عن العارف فقال هو أن يكون وحدانى

الكلف والآثار السود والدم الميت وآثار الجدرى وهو سم قاتل يحبس البول وإذا طلى به الإبط رد الفضلات إلى القلب فليكن بدهن ليأمن غائلة ذلك (حجر مرقشيثا) قال ارسطو إنه أصناف منها ذهبية ومنها فضية ومنها نحاسية وجميع أصنافها بخالطها الكبريت فإذا أحرق كبريتها وكلست حتى صارت كالدقيق دخلت فى كثير من الصنعة وإذا ألقى منها على ذهب مسبوك خلص الذهب وإن ألقى مكلسا على النحاس أو الرصاص قلبهما إلى البياض حتى يقارب الفضة فى اللون وإن طرح على النحاس الذائب يبسه وبيضه حتى يصير كالفضة وينفع العين من جميع العلل الحارة اكتحالا وقال ابن سينا أنه ذهبى وفضى ونحاسى وحديدى وكل صنف يشبه جوهره الذى ينسب إليه فى لونه والفرس يسمونه حجر الروشنائى أى حجر النور لمنفعة البصر وينفع من البهق والبرص والكلف طلاء ويرقق الشعر ويجعده ويحلو العين ويقويها وإذا علق على الصبى لم يفزع وقال غيره إذا علق على الإنسان

أصاب خيرا وكرامة من الناس (حجر مسن) قال ارسطو المسن الحجر الأخضر الذى يسن به الحديد إذا حددته بالأذهان وهو نافع لبياض العين إذا سحق واكتحل به قبل أن يصيبه الدهن قال ابن سينا حكاكة المسن تطلى على الثدى والخصية لئلا يعظما (حجر مسهل الولادة) قال أرسطو هذا حجر هندى إذا حركته سمعت فى جوفه صوتا ومعدنه جبل بين مدينة عمان والبحرين فإنما عرف خاصيته فى تسهيل الولادة من النسر إذا حان وقت أن يبيض يبلغ به حد الموت من شدة العسر وربما ماتت وجعا فعند ذلك يذهب النسر الذكر إلى الجبل ويأتى بذلك الحجر ويجعله تحتها فأهل الهند عرفوا ذلك من النسر فإذا وضعت هذا الحجر تحت كل حيوان أضر به الطلق سهل الولادة (حجر مغناطيس) قال أرسطو إنه حجر يجتذب الحديد وأجود أصنافه ما كان أسود مشوبا بالحمرة ومعدنه ساحل بحر الهند وهو قريب من بلادها والسفن التى تعبر فى البحر إذا قربت من معدن المغناطيس وفيها شىء من الحديد طارت مثل الطير والتصقت بالجبل ولهذا المعنى لا يستعمل فى سفن البحر شىء من الحديد أصلا ومن عجيب خاصية المغناطيس أنه إذا أصابها رائحة الثوم أو البصل بطل تأثيرها ولا يسلب

التدبير فردانى المعنى صمدانى الرؤية ربانى القوة وحدانى العيش نوارنى العلم خلدانى العجائب سماوى الحديث وحشى الطلب ملكوتى السر عنده مفاتيح الغيب وخزائن الحكم وجواهر القدس وسرادقات الأبرار فإذا جاوز الحد وارتفع إلى أعلى فهو غير مدرك وحاله غير موصوف * وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ورواه الترمذى وقال حسن غريب وقيل المراد بالكبر ههنا الكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلا إذا مات عليه وقيل لا يكون فى قلبه كبر حين دخول الجنة كما قال الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل الآية وهذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد فى سياق النهى عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم والظاهر فيه ما اختاره القاضى عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخلها دون مجازاة أو لا يدخلها مع أول الداخلين وأما قوله فقال رجل فذلك الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوى قاله القاضى عياض وأشار إليه ابن عبد البر وحكى أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال فى اسمه أقوالا أحدها أنه أبو ريحانة واسمه شمعون وقيل ربيعة بن عامر وقيل سواد بالتخفيف ابن عمرو وقيل معاذ بن جبل ذكره ابن أبى الدنيا فى كتاب الخمول والتواضع وقيل عبد الله بن عمرو بن العاص ومعنى قوله إن الله جميل أى أن كل أمره سبحانه حسن وجميل فله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال وقيل جميل بمعنى مجمل كريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع وقال أبو القاسم القشيرى معناه جليل وقيل معناه ذو النور والبهجة أى مالكهما وقيل معناه جميل الأفعال بكم والنظر إليكم يكلفكم اليسير ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل سبحانه ما أكرمه قال شيخ الإسلام يحيى النووى رحمه الله هذا الاسم ورد فى الحديث الصحيح وورد فى الأسماء الحسنى وفى إسناده مقال والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى ومن العلماء من منعه وقال إمام الحرمين أبو المعالى ما ورد به الشرع جوزنا إطلاقه وما لم يرد فيه إذن ولا منع لم نقض فيه بتجويز ولا منع فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد الشرع ولو قضينا بتحريم أو تحليل لكنا مثبتين حكما بغير الشرع ثم لا يشترط فى جواز الإطلاق ورود ما نقطع به فى الشرع ولكن ما يقتضى العمل وإن لم يوجب العمل فإنه كاف إلا أن الأقيسة الشرعية من مقتضيات العمل ولا يجوز التمسك بها فى تسمية الله تعالى وصفته قال النووى وقد اختلف أهل السنة فى تسميته تعالى ووصفه من أوصاف الكمال والجلال والمدح بما لم يرد به الشرع ولا منعه فأجازه طائفة ومنعه آخرون إلا أن يرد به شرع مقطوع به من نص كتاب أو سنة متواترة أو إجماع على إطلاقه فإن ورد به خبر واحد فقد اختلفوا فيه فأجازه طائفة وقالوا الدعاء به والثناء من باب العمل وذلك جائز بخبر الواحد ومنعه آخرون لكونه راجعا إلى اعتقاد ما يجوز أن يستحيل على الله تعالى وطريق هذا القطع قال القاضى والصواب جوازه لاشتماله على العمل ولقوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وهو كما قال وأما قوله وغمط الناس كذا فى نسخ صحيح مسلم وكذلك ذكره أبو داود فى مصنفه وذكره الترمذى وغيره غمص بالصاد المهملة وهما بمعنى واحد وهو احتقارهم * وأما رؤيته فى المنام فإنها تعبر بالنسل لقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم والذر أيضا يعبر بالضعفاء من الناس وقيل الذر جند لأنه من النمل والله تعالى أعلم.

﴿الذراح﴾ قال الجوهرى الذراح والذروح بالضم دويبة حمراء منقطعة بسواد تطير وهى من السموم والجمع الذراريح وقال سيبويه واحد الذراريح ذرحرح وليس عنده

فى الكلام فعول بواحدة وكان يقول سبوح قدوس بفتح أوائلهما * والذراح أنواع فمنه مايتولد من الحنطة ومنه دودالصنوبر ومنه مافى أجنحته خطوط صفرولونه مختلف وأجسامها كبارطوال ممتلئة قريبة الشبه من بنات وردان (الحكم) يحرم أكلها لاستخباثها (الخواص) الذراريح تنفع الجرب والعلة التى ينقشر معها الجلد ويخلط فى الأدوية الموافقة للأورام كالسرطان والقوابى الرديئة قال الرازى الاكتحال منها ينفع الطرفة فى العين وإذا طلى بها مسحوقة قتلت القمل وإذا طبخت فى زيت أبرأ ذلك الزيت داء الثعلب وزعم القدماء من الأطباء أنه إذا جعل شىء منها فى خرقة حمراء وعلقت على من به حمى أبرأته بخاصية عجيبة .

﴿الذرع﴾ بالتحريك ولد البقرة الوحشية تقول منه أذرعت البقرة فهى مذرع .

﴿الذعلب﴾ والذعلبة الناقة السريعة وفى حديث سواد بن مطرف الذعلب الناقة الوجناء .

﴿الذئب﴾ يهمز ولايهمز وأصله الهمز والأنثى ذئبة وجمع القلة أذؤب وجمع الكثرة ذئاب وذؤبان ويسمى الخاطف والسيد والسرحان وذؤالة والعملس والسلق والأنثى سلقة والسمسام وكنيته أبو مذقة لأن لونه كذلك قال الشاعر :

حتى إذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

ومن كناه الشهيرة أبو جعدة قال عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء ملك الحيرة حين أراد قتله وقالوا هى الخمر تكنى الطلا * كما الذئب يكنى أباجعده

ضربه مثلا أى تظهر لى الإكرام وأنت تريد قتلى كما أن الخمرة وإن سميت طلاء وحسن اسمها فإن فعلها قبيح وكذلك الذئب وإن حسنت كنيته فإن فعله قبيح والجعدة الشاة وقيل نبت طيب الريح ينبت فى الربيع ويجف سريعا وسئل ابن الزبير عن المتعة فقال الذئب يكنى أباجعدة يعنى أن المتعة حسنة الاسم قبيحة المعنى كما أن الذئب حسن الكنية قبيح الفعل . ومن كناه أبو ثمامة وأبو جاعد وأبو رعلة وأبو سلعامة وأبو العطلس وأبو كاسب وأبو سبلة . ومن أسمائه الشهيرة أويس مصغرا كحميت ولحيف قال الشاعر الهذلى :

ياليت شعرى عنك والأمر عمم * ما فعل اليوم أويس بالغنم

ومن أوصافه الغبش وهو لون كلون الرماد يقال ذئب أغبش وذئبة غبشاء روى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلى وعبد الباقى بن قانع أن الأعشى الشاعر المازنى الحرمازى واسمه عبد الله ابن الأعور كانت عنده امرأة يقال لها معاذة فخرج فى شهر رجب يمير أهله من هجر فهربت امرأته ناشزة عليه فعاذت برجل منهم يقال له مطرف بن بهصل بن كعب بن قميع بن دلف ابن أهصم بن عبدالله بن الحرماز فجعلها خلف ظهره فلما قدم لم يجدها فى بيته فأخبر بخبرها فطلبها منه فلم يدفعها إليه وكان مطرف أعز منه فى قومه فأتى النبى ﷺ فعاذ به وأنشأ يقول :

ياسيد الناس وديان العرب * أشكو إليك ذربة من الذرب

كالذئبة الغبشاء فى ظل السرب * خرجت أبغيها الطعان فى رجب * فخالفتنى بنزاع وهرب وقذفتنى بين علص مؤتشب * أخلفت العهد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب

فقال النبى ﷺ عند ذلك وهن شر غالب لمن غلب كنى عن فسادها وخيانتها بالذربة وأصله من ذرب المعدة وهو فسادها وقيل أراد سلاطة لسانها وفساد منطقها مأخوذ من قولهم ذرب لسانه إذا كان حاد اللسان لايبالى بما يقول والعيص بالعين والصاد المهملتين أصل

يسقى من هذا الحجر مسحوقا باللبن فإنه ينزعه ويستقصيه حتى لايترك منه شيئا وكذلك إذا سقى من جرح بحديد مسموم فإنه يبطل عمل السم وكذلك إذا نثر على الجراحة الحارة التى من حديد مسموم أبرأها فالحديد طائع لهذا الحجر بسبب قوة خلقها الله تعالى فيه ولا يزال ينجذب إليه كالعاشق إلى المعشوق وقال غيره إنه إذا علق المغناطيس على إنسان نفعه من وجع المفاصل وإن أمسكته المرأة التى تعسر ولادتها وضعت فى الحال وينفع النقرس فى اليدين أو الرجلين وإذا أخذ فى اليد نفع من الكزاز وإذا علقت المرأة التى أضربها الطلق على ثديها الأيسر وضعت سريعا ومن علقه فى عنقه زاد فى ذهنه ولم ينس شيئا

(حجر ملح) قال أرسطو الملح أصناف منها المتحجر كالبلور ومنها ما يكون كالثلج وتحجره كتحجر سائر الأحجار ومنها ما يكون سؤرجا فى الأرض السبخة جعلها الله تعالى قواما لمصالح الدنيا فيصلح لكل شىء يخالطه حتى الذهب فإنه يحسن لونه ويزيد فى صفرته وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ياعلى ابدأ بالملح واختم به فإن فيه شفاء من سبعين

داء من خواصه دفع العفونات كلها والملح المحرق ينقى الأسنان من الحفرة ويزيل كهبة اللون حيث طلى واستعماله بالعسل يحسن اللون ويأكل اللحوم الزائدة النابتة وينفع القوبى والجرب ويضمد به مع بزر الكتان للسع العقرب ومع العسل والخل لنهشة ذى الأربعة والأربعين والزنابير وينفع من الجرب والحكة البلغمية والنقرس والأندرانى هو الذى يشبه البلور يحد الذهن ويشد اللثة المسترخية (حجر نطرون) قال أرسطو إنه يغسل الأجسام من الوسخ وينور وجهها وهو نافع للأرحام اللواتى غلبت عليها الرطوبة ينشفها ويقويها وقال غيره هو البورق الأرمنى ينفع من القولنج الشديد ويقلع بياض القرنية وإذا ألقيت فى العجين طيب خبزه وبيضه ويبسه وإن طرح فى القدر أهرى اللحم (حجر نوبى) قال أرسطو إنه حجر شريف لين المجس ومعنى النوبى النافع للسم وهو ينفع من سائر السموم إلا أنه يعمد إلى الكبد والقلب ويذوبهما وإلى العروق فيفسد كيفية مافيها من الدم وقد يسد مجارى الروح الحيوانية فيغشى على الإنسان فإن بادر الأدوية القتالة قبل

الشجر والمؤتشب الملتف وقوله لطت بالذنب وهو بالطاء المهملة أراد به أنها منعته بضعها من لطت الناقة بذنبها إذا سدت فرجها به إذا أرادها الفحل وقيل أراد توارت وأخفت شخصها عنه كما تخفى الناقة فرجها بذنبها وكان الأعشى المذكور شكا إلى النبى ﷺ امرأته وما صنعت وإنها عند رجل منهم يقال له مطرف بن بهصل فكتب النبى ﷺ إلى مطرف انظر امرأة هذا معاذة فادفعها إليه فأتاه بكتاب النبى ﷺ فقرأه عليه فقال لها يامعاذة هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك وأنا دافعك إليه فقالت خذ لى العهد والميثاق وذمة النبى صلى الله عليه وسلم أن لايعاقبنى فيما صنعت فأخذ لها ذلك ودفعها مطرف إليه فأنشأ يقول:

لعمرك ماحبى معاذة بالذى * يغيره الواشى ولا قدم العهد
ولاسوء ماجاءت به إذ أزالها * غواة رجال إذ يناجونها بعدى

وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى إن كيدكن عظيم استعظم كيد النساء على كيد الشيطان لأنه وإن كان فى الرجال كيد إلا أن النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن فى ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد والنفاثات من بينهن اللاتى لهن ماليس لغيرهن من البوائق وعن بعض العلماء أنه قال أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال فى النساء إن كيدكن عظيم وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة قال بينما عمر بن أبى ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة تطوف بالبيت فأعجبته فسأل عنها فإذا هى من البصرة فكلمها مراراً فلم تلتفت إليه وقالت إليك عنى فإنك فى حرم الله وفى موضع عظيم الحرمة فلما ألح عليها ومنعها من الطواف أتت محرما لها وقالت له تعال معى أرنى المناسك فحضر معها فلما رآها عمر بن أبى ربيعة عدل عنها فتمثلت بشعر الزبرقان بن بدر السعدى:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقى مربض المستأسد الضارى

فبلغ المنصور خبرهما فقال وددت أنه لم تبق فتاة فى خدرها إلا سمعته وكانت ولادة عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى قتل فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فكان الحسن البصرى يقول إذا جرى ذكر ولادته أى حق رفع وأى باطل وضع وغزا فى البحر فأحرقوا السفينة فاحترق وذلك فى سنة ثلاث وثمانين * والأسد والذئب فى الصبر على الجوع ماليس لغيرهما من الحيوان لكن الأسد شديد النهم حريص رغيب شره وهو مع ذلك يحتمل أن يبقى أياما لايأكل شيئا والذئب وإن كان أقفر منزلا وأقل خصبا وأكثر كدا إذا لم يجد شيئا اكتفى بالنسيم فيقتات به وجوفه يذيب العظم المصمت ولايذيب نوى التمر ولا يوجد الالتحام عند السفاد إلا فى الكلب والذئب ومتى التحم الذئب والذئبة وهجم عليهما هاجم قتلهما كيف شاء إلا أنهما لايكادان يوجدان كذلك لأنهما إذا أرادا السفاد توخيا موضعا لايطؤه الإنس خوفا على أنفسهما ويسفد مضطجعا على الأرض وهو موصوف بالانفراد والوحدة وإذا أراد العدو فإنما هو الوثب والقفز ولا يعود إلى فريسة شبع منها أبدا ومن عجيب أمره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظى حتى تكتفى العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظى ويستريح بالنائمة قال حميد بن ثور فى وصفه فى أبيات مشهورة منها:

وبمت كنوم الذئب فى ذى حفيظة * اكلت طعاما دونه وهو جائع
ينام بإحدى مقلتيه ويتقى * بأخرى الأعادى فهو يقظان هاجع

وهو أكثر الحيوان عواء إذا كان مرسلا فإذا أخذ وضرب بالعصى والسيوف حتى يتقطع أو يهشم لم يسمع له صوت إلى أن يموت وفيه من قوة حاسة الشم أنه يدرك المشموم من فرسخ وأكثر ما يتعرض للغنم فى الصبح وإنما يتوقع فترة الكلب ونومه وكلاله لأنه يظل طول ليله حارسا متيقظا ومن غريب أمره أنه إذا اجتمع جلده مع جلده شاة تمعط جلد الشاة وأنه متى وطئ ورق العنصل مات من ساعته والذئب إذا كده الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض فمن ولى منها وثب إليه الباقون وأكلوه وإذا عرض للإنسان وخاف العجز عنه عوى عواء استغاثة فتسمعه الذئاب فتقبل على الإنسان إقبالا واحداً وهم سواء فى الحرص على أكله فإن أدمى الإنسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزقوه وتركوا الإنسان وقال بعض الشعراء يعاتب صديقا له وكان قد أعان عليه فى أمر نزل به

وكنت كذئب السوء لما رأى دما * بصاحبه يوما أحال على الدم

روى البيهقى فى الشعب عن الأصمعى قال دخلت البادية فإذا بعجوز بين يديها شاة مقتولة وجرو ذئب مقع فنظرت إليها فقالت أتدرى ماهذا قلت لا قالت جرو ذئب أخذناه وأدخلناه بيتنا فلما كبر قتل شاتنا وقد وقلت فى ذلك شعرا قلت لها ماهو فأنشدته :

بقرت شويهتى وجزعت قلبى * وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا * فمن أنبأك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء * فليس بنافع فيها الأديب

وهو إذا خافه إنسان طمع فيه وإذا طمع الإنسان فيه خافه ويقطع العظم بلسانه ويبريه برى السيف ولا يسمع له صوت ويقال عوى الذئب كما يقال عوى الكلب قال الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى * وصوت إنسان فكدت أطير

وقال آخر : ليت شعرى كيف الخلاص من النا * س وقد أصبحوا ذئاب اعتداء
قلت لما بلاهم صدق خبرى * رضى الله عن أبى الدرداء

أشار إلى قول أبى الدرداء إياكم ومعاشرة الناس فإنهم ماركبوا قلب امرئ إلا غيروه ولا جوادا إلا عقروه ولا بعيرا إلا أدبروه * وروى السهيلى فى الكلام على غزوة أحد فى حديث مسند أنه قال لما ولد عبد الله بن الزبير نظر إليه النبى ﷺ وقال هو هو ورب الكعبة فلما سمعت أمه أسماء ذلك أمسكت عن إرضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو يقتلن دونه * وروى ابن ماجه والبيهقى عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن أن النبى ﷺ قال ماذئبان جائعان أرسلا فى زريبة غنم فأفسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه وقد نص الله تعالى على ذم الحرص بقوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة * وروى ابن عدى عن عمرو بن حنيف عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال أدخلت الجنة فرأيت فيها ذئبا فقلت أذئب فى الجنة فقال أكلت ابن شرطى قال ابن عباس هذا وإنما أكل ابنه فلو أكله رفع فى عليين وقد رأيته كذلك فى تاريخ نيسابور للحاكم فى ترجمة شيخه على بن محمد بن اسمعيل الطوسى وهو حديث موضوع * وروى الحاكم فى مستدركه بإسناد على شرط مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما راع يرعى بالحرة إذ عدا الذئب

من الأجسام الحجرية المحترقة ويقطع نزف الدم إذا جعلته على الموضع وينفع من حرق النار جدا وإذا طلى بها فى الحمام لأجل إزالة الشعر أبرزت بما تحت الجلد فينبغى أن يدهن بعدها بدهن البنفسج وماء ورد وذكر أن استعمال النورة لإزالة الشعر من تعليم الجن وذلك أن سيدنا سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام لما تزوج بلقيس ملكة اليمن وجد ساقها أزغب فسأل الجن هل فى ذلك حيلة فذكروا له استعمال النورة وإذا فرشت فى موضع لم تقربه البراغيث (حجر النوشادر) تولده كتولد الملح إلا أن الأجزاء النارية فيه أكثر من الأرضية ولهذا إذا أرادوا تصعيده يتصعد كله وقيل إنه من أجزاء مائية وأجزاء دخانية لطيفة كثيرة الحرارة وربما يتخذ من رخام الحمامات قال أرسطو إنه أصناف كثيرة فمنه مركب فى سواد وغيره وبياض ومنه الأغبر ومنه الأبيض الصافى فالشبيه بالبلور ينفع من بياض العين ومن الخوانيق البلغمية

إذا طبخ وتفخ فى الحلق مع أدوية أخرى وقال الشيخ الرئيس إذا رش البيت بالماء الذى جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام (حجر هادى) قال ارسطو هذا الحجر يوجد بناحية الجنوب والشمال جميعا لونه لون الطحال إن علق على إنسان لم تنبح عليه الكلاب وإذا كلس وألقى عليه زاج منتق عقد الزئبق ولم يفر من النار (حجر ياقوت) حجر صلب شديد اليبس رزين شفاف صاف مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق وأصل كلها ماء صاف وقف فى معادنها بين الحجارة الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل أنضجته حرارة المعدن بطول وقوفه فيصير صلبا لا تذوبه النار لقلة دهنيته ولا يفتت لغلظ رطوبته بل يزداد لونه حسنا ولا تعمل فيه المبارد لصلابته ومعدنه بالبلدان الجنوبية عند خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز قال ارسطو الياقوت فى الأصل ثلاثة أصناف مختارها الأحمر والأصفر والأخضر أما الأحمر فأكثر وله على النار صبر وأما الأصفر فإنه أصبر على النار من الأحمر وأما الأخضر فلا صبر له على

-لى شاه فحال الراعى بينه وبينها فأقعى الذئب على ذنبه وقال يا عبد الله تحول بينى وبين رزق ساقه الله إلى فقال الرجل واعجبا ذئب يكلمنى فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب منى هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ماقد سبق فزوى الراعى شياهه إلى زاوية من زوايا المدينة ثم أتى النبى ﷺ فأخبره فخرج رسول الله ﷺ فقال صدق والذى نفسى بيده ﴿فائدة﴾ قال ابن عبد البر وغيره كلم الذئب من الصحابة ثلاثة رافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع وأهبان بن أوس الأسلمى رضى الله عنهم قال ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان يتعجبون منه وذلك أن أهبان بن أوس المذكور كان فى غنم له فشد الذئب على شاة منها فصاح به أهبان فأقعى الذئب وقال أتنزع منى رزقا رزقنيه الله تعالى فقال أهبان ماسمعت ولا رأيت أعجب من هذا ذئب يتكلم فقال الذئب أتعجب من هذا ورسول الله ﷺ بين هذه النخلات وأومأ بيده إلى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ويدعو الناس إلى الله وإلى عبادته وهم لا يجيبونه قال أهبان بن أوس فجئت النبى ﷺ وأخبرته بالقصة وأسلمت فقال لى حدث به الناس قال عبد الله بن أبى داود السجستانى الحافظ فيقال لأهبان مكلم الذئب ولأولاده أولاد مكلم الذئب ومحمد بن الأشعث الخزاعى من ولده واتفق مثل ذلك لرافع ابن عميرة وسلمة بن الأكوع انتهى وقال البخارى أنبأنا شعيب عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما راع فى غنمه إذ عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى فالتفت إليه الذئب وقال من لها يوم السبع يوم لا راعى لها غيرى وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه وكلمته فقالت إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم وبقرة تتكلم فقال النبى ﷺ آمنت بذلك أنا وأبو بكر وعمر قال ابن الأعرابى السبع بسكون الباء الموضع الذى عنده المحشر يوم القيامة أراد من لها يوم القيامة وقيل هذا التفسير يفسد بقول الذئب فى تمام الحديث يوم لا راعى لها غيرى والذئب لا يكون لها راعيا يوم القيامة وقيل أراد من لها يوم الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعى لها نهبة للسباع والذئاب فجعل السبع لها راعيا إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التى تأتى حتى يهمل الناس فيها مواشيهم وتتمكن منها السباع بلا مانع وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى يوم السبع عيد كان لهم فى الجاهلية يشتغلون فيه بلهوهم ولعبهم وأكلهم فيجىء الذئب فيأخذها وليس هو بالسبع الذى يفترس الناس قال وأملاه أبو عامر العبدى الحافظ بضم الباء وكان من العلم والإتقان بمكان * وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال كانت امرأتان معهما ابناهما إذ جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها إنما ذهب بابنك أنت وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود عليه الصلاة والسلام فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فأخبرتاه بذلك فقال سليمان عليه الصلاة والسلام ائتونى بالسكين أشقه بينكما نصفين فقالت الصغرى لا يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والله ماسمعت بالسكين قط إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المدية واستدل بهذا الحديث من جوز أن المرأة تستلحق اللقيط وأنه يلحقها لأنها أحد الأبوين ونقله صاحب التقريب عن ابن سريج والأصح أنه لا يلحقها إذا استلحقته لإمكان إقامة البينة على الولادة بطريق المشاهدة بخلاف الرجل وفيه وجه ثالث يلحق الخلية دون المزوجة لتعذر الإلحاق بها دونه وإذا قلنا يلحقها بالاستلحاق وكان لها زوج لم يلحقه فى الأصح وليس المراد بالزوج من هى فى عصمته بل كونها فراشا لشخص لو ثبت نسب اللقيط منها

بالبينة لحق صاحب الفراش سواء كان فى العصمة أو فى العدة * وروى الإمام أحمد والطبرانى بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية إياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد * وفى تاريخ بن النجار عن وهب بن منبه قال بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابها وصبى لها يدب بين يديها إذ جاء سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى فجعلت تعدو خلفه وتقول ياذئب ابنى ياذئب ابنى فبعث الله ملكا فنزع الصبى من فم الذئب ورمى به إليها وقال لقمة بلقمة وهو فى الحلية عن مالك بن دينار قال أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة * وروى الإمام أحمد فى الزهد عن سالم بن أبى الجعد قال خرجت امرأة وكان معها صبى لها فجاء الذئب فاختلسه منها فخرجت فى أثره وكان معها رغيف فعرض لها سائل فأعطته الرغيف فجاء الذئب بصبيها فرده عليها وقد تقدم نظير ذلك عنه فى باب الهمزة فى الأسود السالخ * قال ابن سعد كان موسى بن أعين راعيا بكرمان فى خلافة عمر بن عبد العزيز فكانت الذئاب والشاء والوحش ترعى فى موضع واحد فبينما نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة فقلنا ما نرى الرجل الصالح إلا قد مات فنظرنا فإذا عمر بن عبد العزيز قد مات تلك الليلة وذلك لعشر بقين من شهر رجب سنة إحدى ومائة كما تقدم فى الأوز وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وروى الإمام أحمد فى الزهد أيضا عن مالك بن دينار قال لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس قال رعاة الشاء من هذا العبد الصالح الذى قام على الناس قيل لهم وما أعلمكم بذلك قالوا إنه إذا ولى على الناس خليفة عدل كفت الذئاب والأسد عن شياهنا (الحكم) يحرم أكله لتقويته بنابه (الأمثال) وصفته العرب بأوصاف مختلفة فقالوا أغدر من ذئب وأختل وأخبث وأخون وأجول وأعتى وأعوى وأظلم وأجرأ وأكسب وأجوع وأنشط وأوقح وأجسر وأيقظ وأعق وألام من ذئب وقالوا أخوك أم الذئب وقالوا أخف رأسا من الذئب لأنه ينام بإحدى مقلتيه كما تقدم وسيأتى له ذكر فى أمثال الغراب وقالوا فى الدعاء على العدو رماه الله بداء الذئب أى الجوع وقالوا الذئب يكنى أبا جعدة كما تقدم وقالوا من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم أى ظلم الغنم ويجوز أن يراد به ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه وأول من قال ذلك أكثم بن صيفى وقاله عمر رضى الله تعالى عنه فى قصة سارية بن حصن المشهورة وذلك أنه كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال فى خطبته ياسارية بن حصن الجبل الجبل من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ولم يفهموا مراده فلما قضى صلاته قال له على كرم الله وجهه ماهذا الذى قلته قال أو سمعته قال نعم أنا وكل من فى هذا المسجد قال وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا وركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وظفروا وإن جاوزوه هلكوا فخرج منى هذا الكلام فجاء البشير بعد شهر فذكر أنهم سمعوا فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر رضى الله تعالى عنه يقول ياسارية بن حصن الجبل الجبل فعدلوا إليه ففتح الله عليهم كذا نقله فى تهذيب الأسماء واللغات وفى طبقات بن سعد وأسد الغابة أنه سارية بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر * وأنشدوا فى معنى هذا المثل هذا البيت :

وراعى الشاء يحمى الذئب عنها * فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

كان يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى يقول لعلماء الدنيا فى زمانه يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأنوابكم طالوتية وأخفافكم جالوتية وأوانيكم فرعونية ومراكبكم قارونية وموائدكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين المحمدية (الخواص) إذا علق رأس الذئب فى برج حمام لم يقربه سنور ولا شىء يؤذى الحمام وكعب الذئب الأيمن إذا علق النار البتة وأما ما عدا هذه الأصناف فليست فى الشرف والخاصية كهذه الألوان فمن تختم أو تقلد بشىء من هذه الأصناف الثلاثة التى وصفناها لا يعلق ببدنه الطاعون وإن عم أهل البلد ونبل فى أعين الناس وسهل عليه أمور المعاش وقال غيره إنه يمنع الماء من الجمود والله الموفق (حجر يشب) أبيض مشهور يقال له حجر الغلبة من استصحبه لا يغلبه فى الحرب أحد ولا يحجبه أحد ولهذا يجعله الملوك فى مناطقهم المرصعة وإذا وضعه العطشان فى فمه سكن عطشه (حجر يقظان) قال أرسطو هو مجرب إذا علق على إنسان لم ينس شيئا والفلاسفة قد رمزوه وستروه عن العامة قالوا إنه يتحرك ولا يسكن حتى يلمسه إنسان وهو يصلح لخفقان القلب والفؤاد من الارتعاش واسترخاء الأعصاب

## ﴿القسم الثالث فى الأجسام الدهنية﴾

زعموا أن الرطوبات المختفية تحت الأرض تسخن فى الشتاء وتبرد فى الصيف لأن الحرارة والبرودة ضدان فلا يجتمعان فى مكان واحد فإذا جاء الشتاء برد الجو

وفرت الحرارة إلى باطن الأرض فنها مواضع دهنية فاكتسبت الرطوبات المنصبة إلى تلك المواضع بواسطة الحرارة منها دهنية فإذا أصابها نسيم الهواء أو برودة الجو غلظت فربما انعقدت وربما بقيت على ميعانها فتصير كبريتا أو زئبقا أو قارا أو نفطا أو ما شابه ذلك بحسب اختلاف البقاع وتغيرات الأهوية بحرارة المعدن ونضجه إياها وتصفيتها مرة بعد أخرى فإذا اختلط الكبريت والزئبق مرة أخرى وتمازجا والتأثير بحالة تركب من امتزاجهما الجواهر المعدنية بأنواعها كما ذكرناه قبل فلا نعيده ونذكر تولد كل واحد منها مع بعض خواصها والله الموفق (وأما الزئبق) فإنه يتولد من أجزاء مائية اختلطت بأجزاء أرضية لطيفة كبريتية اختلاطا شديدا لا يتميز أحدهما عن الآخر وعليه غشاء ترابي فإذا اتصلت إحدى القطعتين بالأخرى انفتح الغشاء وصارت القطعتان واحدة والغشاء محيط بهما وأما بياضه فبسبب صفاء ذلك الماء وهو التراب

على رأس رمح ثم اجتمع عليه جماعة لم يصلوا إليه ما دام الكعب معلقا على رمحه وعينه اليمنى من علقها عليه لم يخف لصا ولا سبعا وخصيته إذا شقت وملحت بملح وصعتر وسقي منها وزن مثقال بماء الجرجير من به وجع الخاصرة أبرأه وهو نافع أيضا لذات الجنب إذا شرب منها بماء حار وعسل ودمه ينفع من الصمم إذا ديف بدهن الجوز وقطر في الأذن ودماغه يداف بماء السذاب والزيت ويدهن به الجسد ينفع من كل علة ظاهرة وباطنة في البدن من البرد وأنيابه وجلده وعينه إذا حملها الإنسان معه غلب خصمه وكان محببا إلى الناس جميعا وكبده تنفع من وجع الكبد وقضيبه إذا شوي في الفرن ومضغت منه قطعة هيجت الباه وإذا خلطت مرارته بالعسل أو بالماء ولطخ بالذكر وقت الجماع أحبت المرأة الرجل حبا شديدا وإذا علق ذنب الذئب على معلف بقر لم تتقرب إليه ما دام معلقا وإن أجهدها الجوع وإن بخر موضع بزبله لم يقربه الفأر وقيل يجتمع إليه الفأر وإن اجتمع جلده وجلد شاة في موضع واحد تجرد جلد الشاة كما تقدم ومن أمن الجلوس على جلده أمن من القولنج وإذا علق وتر من ذنبه على شيء من الملاهي وضرب بها تقطعت جميع أوتار النغم التي تكون على الملاهي ولم يسمع لها صوت وإذا بخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بها النساء تشققت وإذا اتخذ طبل من جلده وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلها وشحمه ينفع من داء الثعلب وشرب مرارته ينفع من استرخاء البطن وإذا لطخ بها على الإحليل جامع الرجل ما شاء وإذا طلي بمرارته مع مرارة نسر ودهن الزنبق هيج الباه وأنعظ وربما أنزل من لذة ذلك وإذا ديفت مرارته بدهن ورد ودهن بها الرجل حاجبيه أحبته المرأة إذا مشى بين يديها وإذا خلطت مرارته بورس وطلي بها الوجه أذهب النهق وعين الذئبة إذا علقت على من يصرع تمنع من الصرع وإن أخذ عظم من العظام التي توجد في زبل الذئب وخدش بها الضرس الوجع أبرأه من وقته وقال جالينوس يسعط بمرارة الذئب ودهن البنفسج من به الشقيقة المزمنة فإنه يبرأ وإن سعط بذلك المولود أمن من الصرع ما عاش وعيناه إذا علقتا على صبي لم يصرع وإن أخذ جزء من مرارة الذئب وجزء من عسل لم تصبه النار واكتحل به نفع من ظلمة العين وضعف البصر وإن عقد ذنب الذئب باسم امرأة لم يقدر عليها أحد من الرجال حتى تحل العقدة وإن خلطت مرارة الذئب بعسل وطلي به الذكر وجامع امرأة فإنها تحب ذلك الرجل حبا شديدا ودم الذئب ينضج الجراحات (صفة طلسم لجمع الذئاب) يعمل تمثال ذئب من نحاس ويجوف داخله ويوضع فيه قضيب ذئب ويصفر به فيجتمع الذئاب التي تسمع صوته إليه (صفة طلسم تهرب منه الذئاب) يعمل تمثال ذئب من نحاس ويحشى من خرء ذئب ويدفن في أي موضع أردت فإن الذئاب تهرب من ذلك الموضع (التعبير) تدل رؤيته على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم وقيل الذئب في الرؤيا لص غشوم ظلوم وجروه ولد لص فمن رأى جرو ذئب فإنه يربي لصا لقيطا وإن تحول الذئب حيوانا إنسيا كالخروف وشبهه فإنه لص يتوب ومن رأى ذئبا دخل داره فليحذر اللصوص ومن رأى ذئبا فإنه يتهم إنسانا ويكون المتهم بريئا لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام ومن رأى ذئبا وكلبا اتفقا واجتمعا دل على النفاق والمكر والخديعة والله أعلم

﴿ذؤالة﴾ اسم للذئب كأسامة للأسد وهو معرفة سمي بذلك لأنه يذأل في مشيته وهي المشية الخفيفة * وفي الحديث أن النبي ﷺ مر بجارية سوداء ترقص صبيا لها وتقول (ذؤال يا ابن القرم يا ذؤال) فقال النبي ﷺ لا تقولي ذؤال فإنه شر السباع وذؤال ترخيم ذؤالة والقرم السيد

﴿الذيخ﴾ بكسر الذال ذكر الضباع الكثير الشعر والأنثى ذيخة والجمع ذيوخ وأذياخ وذيخة روى

البخارى فى أحاديث الأنبياء وفى التفسير عن إسماعيل بن عبدالله قال حدثنى أخى عبدالحميد عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم عليه السلام ألم أقل لك أن لا تعصنى فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يارب إنك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أن يكون أبى فى النار فيقول الله تعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين فيقال يا إبراهيم ماتحت رجليك فينظر فإذا بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار. ورواه النسائى والبزار والحاكم فى آخر المستدرك عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة يريد أن يدخله الجنة قال فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك لأن الله حرم الجنة على كل مشرك قال فيقول أى رب أبى فيحول فى صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه قال فكان أصحاب النبى ﷺ يرون أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يزدهم رسول الله ﷺ على ذلك ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ثم روى الحاكم عن حماد بن سلمة عن أيوب عن ابن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال يلقى رجل أباه يوم القيامة فيقول يا أبت أى ابن كنت لك فيقول خير ابن فيقول هل أنت مطيعى اليوم فيقول نعم فيقول خذ بإزرتى فيأخذ بإزرته ثم ينطلق حتى يأتى الله وهو يعرض الخلق فيقول ياعبدى ادخل من أى أبواب الجنة شئت فيقول أى رب وأبى معى فإنك وعدتنى أن لا تخزينى قال فمسخ الله أباه ضبعا ثم يلقى فى النار فيأخذ بأنفه فيقول الله تعالى ياعبدى أبوك هو فيقول لا وعزتك ثم قال صحيح على شرط مسلم وفى حديث خزيمة بن ثابت أو ابن حكيم السلمى البهزى وليس بالأنصارى والذيخ محرنجم أى كالح منقبض من شدة الجذب وهو حديث طويل شرحه ابن الأثير فى أوائل كتاب مثال الطالب. والحكمة فى كونه مسخ ضبعا دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوان كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى أمثال الضبع ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له ولذلك قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لا أكون كالضبع تسمع اللدم فتخرج حتى تصاد واللدم الضرب الخفيف فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس عليه وقبل خديعة عدوه الشيطان أشبه الضبع الموصوفة بالحمق لأن الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى فى جحرها بحجر فتحسبه شيئا تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال لها وهى فى جحرها أطرقى أم طريق خامرى أم عامر أبشرى بجراد عطلى وشاة هزلى فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرها ولأن آزر لو مسخ كلبا أو خنزيرا لكان فيه تشويه لخلقه فأراد الله تعالى إكرام إبراهيم عليه الصلاة والسلام بجعل أبيه على هيئة متوسطة قال فى المحكم يقال ذيخته أو ذللته فلما خفض إبراهيم لأبيه جناح الذل من الرحمة فلم يقبل حشر بصفة الذل يوم القيامة وهذه الحكمة هى أحد الأسباب الباعثة على تأليف هذا الكتاب كما تقدم فى خطبته والله أعلم.

## باب الراء المهملة

﴿الراحلة﴾ قال الجوهرى هى الناقة التى تصلح لأن ترحل وكذلك الرحول ويقال الراحلة المركب من الإبل ذكرا كان أو أنثى انتهى والهاء فيها للمبالغة كالنى فى داهية وراوية وعلامة وإنما سميت راحلة لأنها ترحل أى يشد عليها الرحل فهى فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى فهو فى عيشة راضية أى مرضية وقد ورد فاعل بمعنى مفعول فى عدة مواضع من القرآن العظيم كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم أى لا معصوم وكقوله تعالى ماء دافق أى مدفوق وكقوله تعالى حرما

الكبريتى الذى ذكرناه قال أرسطو إن الزئبق فضة إلا أنه دخل عليه آفة فى معدنه كما ذكرنا آفات الرصاص إنها آفات الزئبق أيضا ومن طلى بدنه بالزئبق قتل عنه القمل والصئبان والقراد وتراب الزئبق يقتل الفأر إذا جعل فى طعام أو نحوه ومن دنا من الزئبق إذا مسته النار أفلجه ودخانه يحدث أسقاما ردية مثل الرعدة والفالج وذهاب السمع وصفرة اللون والرعشة فى الأعضاء والبخر فى الفم ويبس الدماغ ومن دخانه تهرب الحيات والهوام جميعا ومن أقام عنده مات وإن طرح من الزئبق فى تنوير الخباز سقط جميع خبزه فى النار والمسافر يتقلد بقلادة من صوف ملطخة بالزئبق المقتول فإنه لا يتولد فى ثوبه قمل أصلا (وأما الكبريت) فإنه يتولد من أجزاء مائية وهوائية وأرضية إذا اشتد اختلاط بعضها بالبعض بسبب حرارة قوية ونضج تام حتى يصير مثل

آمنا ، أى مأمونا وفيه جاء أيضا مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستوراً أى ساتراً وكان وعده مأتيا أى آتيا قال الحريرى وقد يكنى عن النعل بالراحلة لأنها مطية القدم وإليها أشار الشاعر بقوله ملغزاً :

رواحلنا ست ونحن ثلاثة * نجنبهن الماء فى كل مورد

روى البيهقى فى الشعب فى أواخر الباب الخامس والخمسين أن النبى ﷺ قال من مشى عن راحلته عقبة فكأنما أعتق رقبة قال أبو أحمد العقبة ستة أميال وروى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة وقال البيهقى فى سننه فى باب إنصاف الخصمين فى الدخول على القاضى والاستماع منهما والانصات لهما هذا الحديث يتأول على أن الناس فى أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع كالإبل المائة لا يكون فيها راحلة وهى الذلولة التى ترحل وتركب وذكر قبله عن ابن سيرين أنه قال كان أبو عبيدة بن حذيفة قاضيا فدخل عليه رجل من الأشراف وهو يستوقد نارا فسأله حاجة فقال له أبو عبيدة أسألك أن تدخل أصبعك فى هذه النار قال سبحان الله قال أبخلت علىّ بأصبع من أصابعك أن تدخله فى هذه النار وتسألنى إدخال جسمى كله فى نار جهنم * وقال ابن قتيبة الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره وهى كاملة الأوصاف فإذا كانت فى إبل عرفت قال ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل فى النسب بل هم أشباه كالإبل المائة وقال الأزهرى الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة قال والهاء فيها للمبالغة كما يقال رجل نسابة وداهية قال والمعنى الذى ذكره ابن قتيبة غلط بل معنى الحديث أن الزاهد فى الدنيا الكامل فى الزهد فيها الراغب فى الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة فى الإبل هذا كلام الأزهرى قال الإمام النووى وهو أجود من كلام ابن قتيبة وأجود منهما قول آخرين أن المرضى الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم جدا كقلة الراحلة فى الإبل قالوا والراحلة البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوى على الأحمال والأسفار وقال الإمام العلامة الحافظ أبو العباس القرطبى شيخ المفسرين فى زمانه الذى يقع لى أن الذى يناسب التمثيل بالراحلة إنما هو الرجل الكريم الجواد الذى يتحمل كل الناس وأثقالهم بما يتكلف من القيام بحقوقهم والغرامات عنهم وكشف كربهم فهذا هو القليل الوجود بل قد يصدق عليه اسم المفقود ﴿قلت﴾ وهذا أشبه القولين والله أعلم .

﴿الرأل﴾ ولد النعام والأنثى رألة والجمع رئال ورئلان وسيأتى ذكر النعام فى باب النون إن شاء الله تعالى .

﴿الراعى﴾ بالراء والعين المهملتين طائر متولد بين الورشان والحمام وهو شكل عجيب قاله القزوينى وقال الجاحظ إنه متولد بين الحمام والورشان وهو كثير النسل ويطول عمره وله فضل وعظم فى البدن والفرخ عليهما وله فى الهدير قرقرة ليست لأبويه حتى صارت سببا للزيادة فى ثمنه وعلة للحرص على اتخاذه وقد ضبطه بعض مصنفى العصر بالزاى والغين المعجمتين وهو وهم .

﴿الربى﴾ على وزن فعلى بالضم الشاة التى وضعت حديثا وإن مات ولدها فهى أيضا ربى وقيل ربابها ما بينها وبين عشرين يوما وقيل هى ربى ما بينها وبين شهرين من وضعها وخصها أبو زيد بالمعز وغيره بالضأن وقيل الربى من المعز والرغوث من الضأن وجمعها رباب بالضم ﴿قلت﴾ وقد جاء الجمع على فعال فى خمس عشرة كلمة رباب

الدهن ثم ينعقد بسبب برودة ضربته قال أرسطو الكبريت أصناف منه الأحمر الجيد اللون ومنه الأبيض الذى هو كالغبار ومنه الأصفر أما الأحمر فمعدنه بالمغرب لأناس فى موضع بقرب بحر أوقيانوس على فرسخ منه وهو نافع من الصرع والسكتة والشقيقة ويدخل فى أعمال الذهب وأما الأبيض فيسود الأجسام البيض وذلك فى العيون التى يجرى منها الماء جريا مشوبا به ويوجد لتلك المياه رائحة منتنة فمن انغمس فى هذه العيون فى أيام معتدلة الهواء أبرأه من الجراحات والأورام والجرب ورياح الأورام والسلع التى تكون من المرأة السوداء وقال ابن سينا إن الكبريت من أدوية

جمع ربى ورخال الانى فى الباب ورذال جمع رذل وبساط جمع بسط وبافه بسيطه اى هزيلة وتوأم تقول هذا در توأم أى من التوأمين ونذال جمع نذل ورعاء جمع راع وقماء جميع قمىء أى حقير وجمال جمع جميل وسحاح جمع سح المطر أى كثرة انصبابه وعراق جمع عرق قال على كرم الله وجهه الدنيا أهون على الله من عراق خنزير بيد أجذم وظؤار جمع ظئر وهى الدابة وثناء جمع ثنى واحد أثناء الشىء وعزاز جمع عزيز وفرار جمع فرير وهو الظبى .

﴿الرباح﴾ بفتح الراء والباء الموحدة المخففة دويبة كالسنور وهى التى يجلب منها الزباد وهذا هو الصواب فى التعبير ووهم الجوهرى فقال فى النسخة التى بخطه الرباح اسم دويبة يجلب منها الكافور وهو وهم عجيب فإن الكافور صمغ شجر بالهند والرباح نوع منه فكان الجوهرى لما سمع أن الزباد يجلب من الحيوان سرى ذهنه إلى الكافور فذكره وسيأتى ذكره فى باب الزاى المعجمة فلما رأى ابن القطاع هذا الوهم أصلحه فقال والرباح بلد يجلب منه الكافور وهو أيضا وهم لأن الكافور صمغ شجر يكون داخل الخشب ويتخشخش فيه إذا حرك فينشر ويستخرج وقد أجاد ابن رشيق بقوله :

فكرت ليلة وصلها فى صدها * فجرت بقايا أدمعى كالعندم
فطفقت أمسح مقلتى فى نحرها * إذ عادة الكافور إمساك الدم

﴿الرباح﴾ بضم الراء المهملة وتشديد الباء الموحدة ذكر القرود وسيأتى حكمه (الأمثال) قالو أجبن من رباح .

﴿الربح﴾ بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة الفصيل كأنه لغة فى الربع والربح أيضا طائر قاله الجوهرى .

﴿الربيبة﴾ دويبة بين الفأر وأم حبين قاله ابن سيده وقال غيره هى الفأر .

﴿الرتوت﴾ الخنازير قاله الجوهرى بعد أن قال الرت الرئيس وهؤلاء رتوت البلد وقال فى المحكم الرت شىء يشبه الخنزير البرى وجمعه رتوت وقيل هى الخنازير الذكور وقد تقدمت فى باب الخاء المعجمة .

﴿الرئيلا﴾ بضم الراء المهملة وفتح الثاء المثلثة جنس من الهوام ويمد أيضا وسيأتى ذكرها فى آخر الصيد وقال الجاحظ الرئيلاء نوع من العناكب وتسمى عقرب الحيات لأنها تقتل الحيات والأفاعى انتهى وقال أبو عمر وموسى القرطبى الإسرائيلى الرئيلاء اسم يقع على أنواع كثيرة من الحيوان وقيل إنها ستة أنواع وقيل ثمانية وكلها من أصناف العنكبوت وذكر حذاق الأطباء أن أعظم هذه الأنواع شرا المصرية أما النوعان الموجودان فى البيوت فى أكثر البلاد فهما العنكبوت ونكايتهما قليلة وأما بقية الأنواع الأخرى من الرئيلات فإنها توجد غالبا فى الأرياف ومنها نوع له زغب وأهل مصر يسمونه أبو صوفة ونهش هذه الأنواع كلها قريب من لسع العقرب وسيأتى ذكرها فى الصاد فى الصيد إن شاء الله تعالى * ومن خواصها أن شرب دماغها مع شىء من الفلفل ينفع من سمها * وهى فى الرؤيا تدل على امرأة مؤذية مفسدة لما يصلحه الناس من نسج ناقضة لما يبرمونه منه وقيل فى هى الرؤية عدو قتال حقير المنظر شديد الطعنة والله أعلم .

البرص لم تمسه النار وإذا خلط بصمغ القرطم قلع الآثار التى تكون على الأظفار وبالخل على البهق ويجلو القوبى خصوصا مع علك وهو طلاء للقرس مع النطرون والماء ويحبس الزكام بخورا وقال غيره إذا سحق الكبريت الأصفر ونثر على موضع اللسعة نفعه وهو يبيض الشعر بخورا وتهرب من رائحته البراغيث وكذلك الحيات سيما مع دهن أو حافر حمار وإذا دخن به تحت شجرة الأترج نزل الأترج كله (وأما القير) فمنه ما ينبع فى بعض الجبال ومنه ما ينبع مع الماء فى بعض منابع المياه فيفور مع الماء الجارى من العين فما دام مع الماء يكون لينا فإذا فارق الماء برد وجف فيغرف من الماء بالقفف ويطرح على الأرض ثم يجعل فى القدر ويوقد تحته وينخل له الرمل ويطرح عليه مقدار معلوم ليختلط به ويحرك تحريكا متداركا فإذا بلغ حد استحكامه صب على

﴿ الرخل ﴾ الأنثى من ولد الضأن والجمع رخال كما تقدم

﴿ الرخ ﴾ بالخاء المعجمة فى آخره طائر فى جزائر بحر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع ذكره الجاحظ وأبو حامد الأندلسى قال وقد كان وصل إلى أرض المغرب رجل من التجار ممن سافر إلى الصين وأقام بها مدة وكان عنده أصل ريشة من جناحه كانت تسع قربة ماء وكان يقول إنه سافر مرة فى بحر الصين فألقتهم الريح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب فرأوا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع ولها لمعان وبريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هى بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريشة من جناحه فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة معهم خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه وقد كان بعضهم طبخ بالجزيرة قدراً من لحمه وحركها بعود حطب ثم أكلوه وكان فيهم مشايخ فلما أصبحوا إذهم قد اسودت لحاهم ولم يشب بعد ذلك من أكل من ذلك الطعام وكانوا يقولون إن ذلك العود الذى حركوا به القدر من عود شجرة النشاب قال فلما طلعت الشمس إذ بالرخ قد أقبل فى الهواء كأنه سحابة عظيمة فى رجله حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوقع الحجر فى البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تبارك وتعالى بفضله ورحمته * والرخ من أدوات الشطرنج والجمع رخاخ ورخخة قال ابن سيده وقد أجاد سرى الرفاء حيث قال :

وفتيـــة زهر الآداب بينهم * أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مشى الرخ وانصرفوا * والراح يمشى بهم مشى البراذين

ومن مستحسن شعره قوله :

بنفسى من أجود له بنفسى * ويبخل بالتحية والسلام
وحتفى كامن فى مقلتيه * كمون الموت فى حد الحسام

(التعبير) الرخ فى المنام يدل على أخبار غريبة وأسفار بعيدة وربما دل على الهذر فى الكلام الصحيح والسقيم وكذلك العنقاء والله أعلم وسيأتى حكمها فى باب العين المهملة

﴿ الرخمة ﴾ بالتحريك طائر أبقع يشبه النسر فى الخلقة وكنيتها أم جعران وأم رسالة وأم عجيبة وأم قيس وأم كبير ويقال لها الانوق والجمع رخم والهاء فيه للجنس قال الأعشى :

يا رخما قاظ على مطلوب * يعجل كف الخارئ المطيب

مطلوب اسم جبل والمطيب معناه الذى يطلب طيب النفس بالاستنجاء ومنه الاستطابة وتسمى الرخمة بالأنوق كما تقدم ويقال لها ذات الاسمين لذلك وهى تحمق مع تحرزها قال الكميت :

وذات اسمين والألوان شتى * تحمق وهى كيسة الحويل

أى الحيلة * وذكر عند الشعبى الروافض فقال لو كانوا من الدواب لكانوا حمراً ولو كانوا من الطير لكانوا رخما ومن طبع هذا الطائر أنه لا يرضى من الجبال إلا بالموحش منها ولا من الأماكن إلا بأسحقها وأبعدها من أماكن أعدائه ولا من الهضاب إلا بصخورها ولذلك تضرب العرب المثل بالامتناع ببيضة فيقولون أعز من بيض الأنوق كما تقدم والأنثى منه لا تمكن من نفسها غير ذكرها وتبيض بيضة واحدة وربما أتأمت وهى من لئام الطير وهى ثلاثة البوم والغراب والرخمة ( وحكمها ) تحريم الأكل كما تقدم روى البيهقى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الرخمة وإسناده ليس

وجه الأرض فيجمد وتقير به السفن والحمامات قال ابن سينا إنه يذوب الدم الجامد فى البطن إذا شرب وينضج الخنازير ويطلى به القوبى وهو ضماد النقرس ويطلى به عرق النسا وينفع من السعال والخناق ( وأما النفط ) فيطفو الماء فى منابع المياه منه أسود ومنه أبيض وقد يصاعد الأسود بالقرع والأنبق فيصير أبيض ينفع من أوجاع المفاصل واللقوة والفالج وبياض العين والماء النازل فيها وإذا شرب منه نصف مثقال نفع من المغص والرياح ويخرج الأجنة الموتى والمشيمة المحتبسة ويقتل الدود وحب القرع وينفع للملسوع طلاء وربما يتوقد من غير نار بل بتحريكه (وأما المومياين) فإنه شبيه بالقير لكنه كثير المنافع ومعدنه بالموصل وبأرجان من أرض فارس ينفع من الخلع والكسر والضربة والسقطة والفالج واللقوة شربا وتمريخا

بالقوى وقال الإمام العلامة القرطبي فى تفسير آخر سورة الاحزاب كالذين آذوا موسى بقولهم إنه قتل أخاه هرون فتكلمت الملائكة بموته ولم يعرف موضع قبره إلا الرخمة فلذلك جعله الله أصم أبكم وكذلك رواه الحاكم فى المستدرك فى كتاب تواريخ الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال الزمخشرى إنها تقول فى صياحها سبحان ربى الأعلى (الامثال) قالوا أحمق من رخمة وأموق وإنما خصت من بين الطير بذلك لانها ألام الطير وأظهرها حمقا وموقا وأقذرها طعما لانها تأكل العذرة وقالوا انطقى يارخم فإنك من طير الله أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة فقيل لها يهزأ بها إنك من طير الله فانطقى يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه (الخواص) إذا بخر البيت بريشها طرد الهوام وزبلها يداف بخل خمر ويطلى به البرص يغير لونه وينفعه وكبدها تشوى وتسحق وتداف ويسقى ذلك لمن به جنون كل يوم ثلاث مرات ثلاثة أيام متوالية يشفى وإن علق رأسها على المرأة التى عسرت ولادتها وضعت سريعا والجلد الأصفر الذى على قانصة الرخمة إذا أخذ وسحق بعد تجفيفه وشرب بشراب العسل نفع من كل سم وعظم رأس الرخمة ينفع من وجع الرأس تعليقا (التعبير) الرخمة فى الرؤيا إنسان أحمق قذر فمن رأى أنه أخذ رخمة فإنه يقع فى حرب يسفك فيه دم كثير وقيل من أخذ رخمة مرض مرضا شديدا وقالت النصارى الرخم الكثير يدل على عسكر يحل فى ذلك المكان وهم سفلى يأكلون الحرام وقال أرطا ميدورس الرخم دليل خير لمن صنعته خارج البلد كالكلاسين وصناع الآجر لان الرخم لا يدخل البلد والرخم فى المنام يدل على ناس يغسلون الموتى ويسكنون المقابر لان الرخم يأكل الجيفة ولا يدخل المدن ومن رأى رخمة فى دار وكان فيها مريض فإنه يموت وإن لم يكن فى الدار مريض خشى على صاحب الدار من الموت أو المرض الشديد والله أعلم .

﴿الرشأ﴾ بفتح الراء الظبي إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه والجمع أرشاء * أنشدنا شيخنا الإمام العلامة جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى رحمه الله قال أنشدنا شيخنا أثير الدين أبو حيان قال أنشدنا شيخنا أبو جعفر بن الزبير قال أنشدنا أبو الخطاب بن خليل قال أنشدنا شيخنا أبو حفص عمر بن عمر قاضى أشبيلية لنفسه وقد أهديت إليه جارية فتبين له أنه كان قد وطئ أمها فردها ومعها هذه الأبيات :

يامهدى الرشا الذى ألحاظه * تركت جفونى نصب تلك الأسهم
ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن واجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت إليك وإنما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم
ياويح عنترة يقول وشفه * ما شفنى وجدا وإن لم أكتم
يا شاة ما قنص لمن حلت له * حرمت علىّ وليتها لم تحرم

وقال أبو الفتح البستى وأجاد :

من أين للرشأ الغرير الأحور * فى الخد مثل عذارك المتحدر
رشأ كأن بعارضيه كليهما * مسكا تساقط فوق ورد أحمر

﴿الرشك﴾ بضم الراء وإسكان الشين المعجمة وهو بالفارسية اسم للعقرب . ذكر القاضى الإمام أبو الوليد بن الفرضى فى كتاب الألقاب فى أسماء نقلة الحديث والخطيب أبو على الغسانى فى كتاب تقييد المهمل والقاضى أبو الفضل عياض بن موسى فى كتاب مشارق

ومن الشقيقة والصداع البارد والصرع والدوار سعوطا بماء المرزنجوش ومن الخناق والخفقان (وأما العنبر) فقد اختلف الناس فى معدنه فمنهم من زعم أنه من عين فى البحر كالقير ومنهم من زعم أنه طل يقع على بعض الأشجار فى البحر ثم يترشح من خلالها وينعقد هناك وأنها فى بقاع مخصوصة فى زمان معلوم كما أن الترنجبين طل يقع على نوع من الشوك بخراسان فى وقت معلوم ومنهم من قال إنه روث

الانوار والحافظ ابو الفرج بن الجوزى وغيرهم ان يزيد بن ابى يزيد واسمه سنان الضبعى مولاهم البصرى الدار المعروف بالرشك أنه لقب بذلك لكبر لحيته قيل إن العقرب دخلت فى لحيته فأقامت ثلاثة أيام وهو لايدرى بها لعظم لحيته وطولها قال ابن دحية فى كتابه العلم المنشور والعجب كيف لايحس بها وكيف لاتسقط عند وضوئه للصلاة ولعله كان لايخلل لحيته لكبرها أوكانت العقرب صغيرة جدا فاختبأت بين الشعر وأما كونها مقدرة بثلاثة أيام فهذا التقدير كيف يصح لأنه لوعلم بها فى أول وجودها فى لحيته ماتركها فمن أين تعلم هذه المدة انتهى والذى عندى فى ذلك أنه يحتمل أن يكون فى منتزه أوكان فى مكان فيه العقارب كثيرة وكانت مدة إقامته فى ذلك المكان ثلاثة أيام فلما أصابها بعد ذلك علم أن مبدأ وجودها كان من ذلك الوقت وهذا أولى من تكذيب من رواه من الأئمة الأعلام فقد روى الحاكم أبو عبدالله فى كتاب علوم الحديث له عن يحيى بن معين أنه قال كان يزيد يسرح لحيته فخرج منها عقرب فلقب بالرشك انتهى والمشهور أن الرشك هو القسام بلغة أهل البصرة سمى بذلك لأنه كان يقسم الأرض والدور وغير ذلك مات بالبصرة سنة ثلاثين ومائة وروى له الجماعة قال الترمذى أبو عيسى فى باب ماجاء فى صوم ثلاثة أيام من كل شهر حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبوداود حدثنا شعبة عن يزيد الرشك قال سمعت معاذاً يقول قلت لعائشة رضى الله تعالى عنها أكان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قالت نعم قلت من أيها كان يصوم قالت لايبالى من أيها صام قال الترمذى حديث حسن صحيح ويزيد الرشك هو يزيد بن أبى يزيد الضبعى وهو يزيد القاسم وهو القسام والرشك هو القسام بلغة أهل البصرة كما تقدم

﴿الرفراف﴾ طائر يقال له ملاعب ظله ويقال له خاطف ظله وسيأتى الكلام عليه فى باب الميم والظليم أيضا يقال له رفراف لرفرفته عند عدوه والرفرف ضرب من السمك قاله ابن سيده

﴿الرق﴾ بكسر الراء وبالقاف ضرب من دواب الماء يشبه التمساح والرق أيضا العظيم من السلاحف وجمعه رقوق * وفى غريب الحديث كان فقهاء المدينة يشترون الرق ويأكلونه رواه الجوهرى بفتح الراء والأكثرون بكسرها

﴿الركاب﴾ بكسر الراء الإبل واحدتها راحلة وجمعها ركائب * وفى حديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعث بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا فنحرلهم قيس تسع ركائب فقال رسول الله ﷺ إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت ويجمع أيضا على ركب ومنه قيل زيت ركابى لانه يحمل على ظهور الإبل والركوبة مايركب يقال ماله ركوبة ولاحلوبة ولاحمولة أى مايركبه ويحلبه ويحمل عليه وقرأت عائشة رضى الله تعالى عنها فمنها ركوبتهم وجمع الركوبة ركائب انتهى وقال السهيلى قبيل الكلام على ما أنزل الله تعالى فى غزوة بدر ومركوبة جمعها ركائب انتهى ولو أراد الجمع بغير هاء لقال عجز كما جاء فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال إن الجنة لايدخلها العجز قالها مازحا لعمته صفية رضى الله عنها وقيل بل قالها لامرأة من الأنصار ذكر ذلك هناد بن السرى فى كتاب الرقائق له

﴿الركن﴾ الفأر ويسمى ركينا على لفظ التصغير قاله ابن سيده

﴿الرمكة﴾ بالتحريك الأنثى من البراذين والجمع رماك ورمكات وأرماك أيضا عن الفراء مثل

حيوان مائى ولاخلاف فى أن توله فى البحر والبحر يقذفه إلى الساحل وذكروا أن بحر الزنج يقذف فى بعض الأوقات قطعة عظيمة تشبه تلا وأكثر مايرى على قدر الجماجم أكثرها ألف مثقال وكثيرا مايوجد فى جوف السمك البحرى والذى يأكله يموت ويكون فى هذا الصنف

مثل ثمار ووقع فى الوسيط فى الباب الثانى من أبواب البيع لو قال بعتك هذه النعجة فإذا هى رمكة ففى قول يعول على الإشارة وفى قول آخر يعول على العبارة قال ابن الصلاح هذا تصحيف إنما هو هذه البغلة فإن الرمكة لا تشتبه بالنعجة .

﴿ الرهدون ﴾ والرهدنة بفتح الراء طائر يشبه الحمرة يرهدن فى مشيته كأنه يستدير وجمعه رهادن وهو كثير بمكة خصوصا بالمسجد الحرام وهو يشبه العصافير إلا أنه أدبس .

﴿ الروبيان ﴾ هو سمك صغير جدا أحمر (الخواص) إن طرحت رجل الروبيان فى شراب من يحب الشراب أبغضه ورقيته يبخر بها فيسقط الجنين وإذا دق الروبيان وهو طرى وضمد به موضع الشوك أو السهم الغائص فى البدن أخرجه بسهولة وإن سلق مع الحمص الأسود وضمد به السرة أخرج حب القرع وإن جفف وسحق واكتحل به صاحب الغشاوة نفعه وإن سحق مع سكنجبين وشرب أخرج حب القرع من الجوف قاله عبد الملك بن زهر .

﴿ الريم ﴾ ولد الظبى والجمع آرام قال الشاعر :

بها العير والآرام يمشين خلفه * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

يقول إذا ذهب فوج جاء فوج وقال الأصمعى الآرام الظباء البيض الخالصة البياض الواحدة ريم قال وهى تسكن الرمال وهذا النوع من الظباء يقال إنه ضأنها لأنه أكثرها شحما ولحما وكان زكى الدين بن كامل القطيعى أبو الفضل يعرف بقتيل الريم وأسير الهوى توفى سنة ست وأربعين وخمسمائة ومن شعره :

لى مهجة كادت بحر كلومها * للناس من فرط الجوى تتكلم

لم يبق منها غير أرسم أعظم * متحدثات للهوى تتظلم

﴿ أم رباح ﴾ بفتح الراء وتخفيف الباء الموحدة وحاء مهملة طائر أغبر أحمر الجناحين والظهر يأكل العنب قاله فى المرصع .

﴿ أبو رياح ﴾ بكسر الراء وتخفيف الياء المثناة تحت ـ اليؤيؤ وسيأتى فى آخر الكتاب .

﴿ ذو رميح ﴾ مصغر اليربوع ورمحه ذنبه وقيل هو ضرب من اليرابيع طويل الرجلين قاله ابن سيده .

---

وإلى هنا تم الجزء الأول

## من كتاب « حياة الحيوان »

ويليه الجزء الثانى وأوله : باب الزاى

سهوكة لا رائحة له ومن خاصيته تقوية الدماغ والحواس والقلب تقوية عجيبة وهو يزيد فى جوهر الروح وينفع المشايخ جدا بلطف تسخينه والشربة منه دانق وما فوقه مضر وليكن هذا آخر الكلام فى المعدنيات والله الموفق للصواب

## (فهرست الجزء الأول من كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميرى)


صحيفة

٣ (باب الهمزة)
٣ الأسد
١٤ الإبل
١٧ الأبابيل
١٨ الأتان
١٩ الأخطب
١٩ الأخيضر
١٩ الأخيل
١٩ الأربد
١٩ الأرخ
١٩ الأرضة
٢٠ الأرقم
٢٠ الأرنب
٢٣ الأرنب البحرى
٢٣ الأروية
٢٤ الأساريع
٢٤ الأسفع
٢٤ الأسقنقور
٢٥ الأسود السالخ
٢٦ الأصرمان
٢٦ الأصلة
٢٦ الأطلس
٢٦ الأطوم
٢٦ الأطيش
٢٧ الأغثر
٢٧ الأفال والأفائل
٢٧ الأفعى
٣٣ الأقهبان
٣٣ الأملول
٣٣ الإنس
٣٣ الإنسان
٤٣ إنسان الماء
٤٣ الأنقد

صحيفة

٤٤ الانكليس
٤٤ الأنن
٤٤ الأنيس
٤٤ الأنوق
٤٥ الأوز
٤٧ (فائده أجنبية تتضمن أن كل سادس قائم بأمر الأمة مخلوع)
٤٧ أول قائم بأمر الأمة النبي صلى الله عليه وسلم
٤٨ خلافة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
٤٩ خلافة عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه
٥٢ خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه
٥٤ خلافة أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه
٥٧ خلافة أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله تعالى عنه
٥٨ خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنه
٥٩ خلافة يزيد بن معاوية
٦١ « معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
٦٢ خلافة مروان بن الحكم
٦٢ « عبد الملك بن مروان
٦٥ « عبد الله بن الزبير
٦٦ « الوليد بن عبد الملك
٦٦ « سليمان بن عبد الملك

صحيفة

٦٨ خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه
٧٠ خلافة يزيد بن عبد الملك
٧١ « هشام بن عبد الملك
٧٢ « الوليد بن يزيد بن عبد الملك
٧٣ خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان
٧٣ خلافة إبراهيم بن الوليد
٧٣ « مروان بن محمد
٧٤ (الدولة العباسية)
٧٤ خلافة أبي العباس السفاح
٧٤ « أبي جعفر المنصور
٧٥ « محمد المهدى
٧٥ « موسى الهادى
٧٥ « هرون الرشيد
٧٦ « محمد الأمين
٧٨ « عبد الله المأمون
٧٨ « أبي إسحق إبراهيم المعتصم
٨١ خلافة هرون الواثق بالله
٨٣ « جعفر المتوكل
٨٤ « محمد المنتصر بالله
٨٥ « أحمد المستعين بالله
٨٦ « أبي عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل
٨٦ خلافة جعفر المهتدى بالله ابن هرون
٨٨ خلافة أبي القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل
٨٩ خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق
٨٩ خلافة أبي محمد على المكتفى

صحيفة

بالله بن المعتضد
٨٩ خلافة أبي الفضل جعفر المقتدر بالله
٩٠ خلافة عبد الله بن المعتز المرتضى بالله
٩١ خلافة محمد القاهر بالله
٩١ « أبي العباس أحمد الراضي بالله بن المقتدر
٩٢ خلافة إبراهيم المتقي بالله
٩٢ « عبد الله المستكفي بالله بن المكتفي
٩٢ خلافة أبي الفضل المطيع لله بن المقتدر
٩٣ خلافة أبي بكر عبد الكريم الطائع لله
٩٤ خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله بن اسحق
٩٤ خلافة أبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله بن القادر بالله
٩٥ خلافة أبي القاسم المقتدى بأمر الله بن محمد بن القائم
٩٥ خلافة المستظهر بالله أبي العباس أحمد
٩٥ خلافة أبي منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر
٩٦ خلافة أبي منصور جعفر الراشد بالله
٩٦ خلافة أبي عبد الله محمد المقتفي لأمر الله
٩٦ خلافة أبي المظفر يوسف المستنجد بالله بن المقتفي
٩٧ خلافة المستضيء بنور الله

صحيفة

ابن المستنجد
٩٧ خلافة أبي العباس أحمد الناصر لدين الله
٩٧ خلافة الظاهر بأمر الله بن الناصر لدين الله
٩٨ خلافة المستعصم بالله
٩٩ « المستنصر بالله أحمد ابن الخليفة الظاهر بالله
٩٩ خلافة الحاكم بأمر الله
٩٩ « المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله
٩٩ خلافة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله
١٠٠ خلافة المعتضد بالله
١٠٠ « المتوكل على الله
١٠١ « المستعين بالله
١٠١ فصل فيما يجب على من يصحب الخلفاء الراشدين وأمراء المؤمنين والملوك والسلاطين
١٠٢ خلافة المعتضد بالله أبي الفتح
١٠٣ خلافة المستكفي بالله
١٠٥ الألفة
١٠٥ الألق
١٠٥ الأودع
١٠٥ الأورق
١٠٥ الأوس
١٠٦ إيلس
١٠٦ الأيم والأين
١٠٦ الأيل
١٠٨ ابن آوى
١٠٨ (باب الباء الموحدة)

صحيفة

١٠٨ البابوس
١٠٨ البازى
١١١ البازل
١١١ الباقعة
١١١ بالام
١١٢ البال
١١٣ الببر
١١٣ الببغاء
١١٤ البج
١١٤ البجع
١١٤ البحزج
١١٤ البخاق
١١٤ البخت
١١٥ البدنة
١١٦ البذج
١١٦ البراق
١١٩ البرذون
١٢١ البرغش
١٢٢ البرغن
١٢٢ البرغوث
١٢٣ البرا
١٢٣ البرقانة
١٢٣ البرقش
١٢٤ البركة
١٢٤ البشر
١٢٤ البط
١٢٧ البطس
١٢٧ البعوض
١٣٣ البعير
١٣٨ البغاث
١٣٨ البغل
١٤٧ البغيبغ
١٤٨ البقر الأهلى

صحيفة

١٥٢ البقر الوحشى
١٥٣ بقر الماء
١٥٣ بقرة بنى إسرائيل
١٥٣ البق
١٥٤ البكر
١٥٥ البلبل
١٥٦ البلح
١٥٧ البلشون
١٥٧ البلصوص
١٥٧ بنات الماء
١٥٧ بنات وردان
١٥٧ البهار
١٥٧ البهثة
١٥٧ البهرمان
١٥٨ البهمة
١٥٨ البهيمة
١٦٠ البوم والبومة
١٦١ البوه
١٦٢ بوقير
١٦٢ البينيب
١٦٢ البياح
١٦٢ أبو براقش
١٦٢ أبو برا
١٦٢ أبو بريص
١٦٢ ( باب التاء المثناة )
١٦٢ التالب
١٦٢ التبيع
١٦٢ التبشر
١٦٣ التتفل
١٦٣ التدرج
١٦٣ التخس
١٦٣ التفلق
١٦٣ التفه

صحيفة

١٦٣ التم
١٦٣ التمساح
١٦٤ التميلة
١٦٤ التنوط
١٦٥ التنين
١٦٦ التورم
١٦٦ التولب
١٦٦ التيس
١٧١ (باب الثاء المثلثة )
١٧١ الثاغية
١٧١ الثرملة
١٧١ الثعبان
١٧٤ ثعالة
١٧٤ الثعبة
١٧٤ الثعلب
١٨٠ الثفا
١٨٠ الثقلان
١٨٠ الثلج
١٨٠ الثنى
١٨٠ الثور
١٨٣ الثول
١٨٣ الثيتل
١٨٣ (باب الجيم )
١٨٣ الجأب
١٨٣ الجارف
١٨٣ الجارحة
١٨٣ الجاموس
١٨٣ الجان
١٨٤ الجبهة
١٨٤ الجثلة
١٨٤ الجحل
١٨٤ الجحرموش
١٨٤ الجحش

صحيفة

١٨٤ الجخدب
١٨٤ الجدجد
١٨٥ الجداية
١٨٥ الجدى
١٨٥ الأجدل
١٨٥ الجذع
١٨٦ الجراد
١٩٠ الجراد البحرى
١٩١ الجرارة
١٩١ الجرذ
١٩٢ الجرجس
١٩٢ الجوارس
١٩٢ الجرو
١٩٣ الجريث
١٩٤ الجزور
١٩٥ الجساسة
١٩٥ جعار
١٩٥ الجعدة
١٩٥ الجعل
١٩٦ الجعول
١٩٧ الجفرة
١٩٧ جلكى
١٩٧ الجلالة
١٩٧ الجلم
١٩٧ الجمل
٢٠٣ جمل البحر
٢٠٣ جمل الماء
٢٠٣ جمل اليهود
٢٠٣ الجمعليلة
٢٠٣ جميل وجميل
٢٠٣ الجنبر
٢٠٣ الجندب
٢٠٣ الجندع

صحيفة

٢٠٣ الجن
٢١٥ جنان البيوت
٢١٥ الجندبادستر
٢١٥ الجنين
٢١٦ جهبر
٢١٧ الجواد
٢٢٤ الجواف
٢٢٤ الجوذر
٢٢٥ الجوزل
٢٢٥ جيال
٢٢٥ أبو جرادة
٢٢٥ ( باب الحاء المهملة )
٢٢٥ حاثم
٢٢٥ الحارية
٢٢٥ الحباب
٢٢٥ الحبتر
٢٢٥ الحبث
٢٢٥ حباحب
٢٢٥ الحبارى
٢٢٧ الحبرج
٢٢٧ الحبركى
٢٢٧ حبلق
٢٢٧ حبيش
٢٢٧ الحجر
٢٢٧ الحجروف
٢٢٧ الحجل
٢٢٩ الحدأة
٢٣١ الحذف
٢٣١ الحر
٢٣١ الحرباء
٢٣٢ الحرذون
٢٣٢ الحرشاف أو الحرشوف
٢٣٣ الحرقوص

صحيفة

٢٣٣ الحريش
٢٣٤ الحسبان
٢٣٤ الحساس
٢٣٤ الحسل
٢٣٤ الحسيل
٢٣٤ حسون
٢٣٤ الحشرات
٢٣٥ الحشو والحاشية
٢٣٥ الحصان
٢٣٦ الحصور
٢٣٧ حضاجر
٢٣٧ الحضب
٢٣٧ الحفان
٢٣٧ الحفص
٢٣٧ الحقم
٢٣٧ الحلزون
٢٣٧ الحلكة
٢٣٧ الحلم
٢٣٨ الحمار الأهلى
٢٥٣ الحمار الوحشى
٢٥٦ حمار قبان
٢٥٦ الحمام
٢٦٤ الحمد
٢٦٤ الحمر
٢٦٥ الحمسة
٢٦٥ الحماط
٢٦٥ الحمك
٢٦٥ الحمل
٢٦٦ حمنان
٢٦٦ الحمولة
٢٦٦ الحميمق
٢٦٦ حميل حر
٣٦٦ الحنش
٢٦٧ الحنظب

صحيفة

٢٦٧ الحوار
٢٦٧ الحوت
٢٦٩ حوت الحيض
٢٦٩ حوت موسى ويوشع
٢٧٣ الحوشى
٢٧٣ الحوصل
٢٧٣ الحلان
٢٧٣ حيدرة
٢٧٥ الحيرمة
٢٧٥ الحية
٢٨٥ الحيوت
٢٨٥ الحيدران
٢٨٥ الحيقطان
٢٨٥ الحيوان
٢٨٨ أم حبين
٢٨٨ أم حسان
٢٨٨ أم حسيس
٢٨٨ أم حفصة
٢٨٩ أم حمارس
٢٨٩ ( باب الخاء المعجمة )
٢٨٩ الخازباز
٢٨٩ خاطف ظله
٢٨٩ الخاطف
٢٨٩ الخبهقعى
٢٨٩ الخثق
٢٨٩ الخدارية
٢٩٠ الخدرنق
٢٩٠ الخراطين
٢٩٠ الخرب
٢٩٠ الخرشة
٢٩١ الخرشقلا
٢٩١ الخرشنة
٢٩١ الخرق

صحيفة

٢٩١ الخرنق
٢٩١ الخروف
٢٩٢ الخزز
٢٩٢ الخشاش
٢٩٢ الخشاف
٢٩٢ الخشرم
٢٩٢ الخشف
٢٩٣ الخضارى
٥٩٣ الخضرم
٢٩٣ الخضيراء
٢٩٣ الخطاف
٢٩٥ الخفاش
٢٩٧ الخنان
٢٩٧ الخنبوص
٢٩٧ الخلد
٣٠٠ الخلفة
٣٠٣ الخل
٣٠٣ الخنتعة
٣٠٣ الخندع
٣٠٣ الخنزير البرى
٣٠٧ الخنزير البحرى
٣٠٧ الخنفساء
٣٠٨ الخنوص
٣٠٨ الخيتعور
٣٠٨ الخيدع
٣٠٩ الأخيل
٣٠٩ الخيل
٣١٦ أم ختور
٣١٦ (باب الدال المهملة)
٣١٦ الدابة
٣٢٥ الداجن
٣٢٥ الدارم
٣٢٥ الدبا

صحيفة

٣٢٦ الدب
٣٢٧ الدبدب
٣٢٧ الدبر
٣٢٧ الدبسى
٣٢٨ الدجاج
٣٣٤ الدجاجة الحبشية
٣٣٤ الدج
٣٣٤ الدحرج
٣٣٤ الدخاس
٣٣٤ الدخس
٣٣٤ الدخل
٣٣٤ الدراج
٣٣٥ الدرباب
٣٣٥ الدرحرج
٣٣٦ الدرص
٣٣٦ الدرة
٣٣٦ الدساسة
٣٣٦ الدعسوقة
٣٣٦ الدعموص
٣٣٧ الدغفل
٣٣٧ الدغناش
٣٣٧ الدقيش
٣٣٧ الدلدل
٣٣٨ الدلفين
٣٣٨ الدلق
٣٣٩ الدلم
٣٣٩ الدلهاما
٣٣٩ الدم
٣٣٩ الدنة
٣٣٩ الدنيلس
٣٤٠ الدهانج
٣٤٠ الدوبل
٣٤٠ الدود

صحيفة

٣٤٣ دؤالة
٣٤٣ الدودمس
٣٤٣ الدوسر
٣٤٣ الديسم
٣٤٣ الديك
٣٤٩ ديك الجن
٣٤٩ الديلم
٣٤٩ ابن دأية
٣٥٠ الدئل
٣٥١ (باب الذال المعجمة)
٣٥١ ذؤالة
٣٥١ الذباب
٣٥٦ الذر
٣٥٨ الذراح
٣٥٩ الذرع
٣٥٩ الذعلب
٣٥٩ الذئب
٣٦٤ ذؤالة (وقد تقدم فى أول الباب نظراً لهمزه وكرر هنا نظراً لرسمه بالواو)
٣٦٤ الذيخ
٣٦٥ (باب الراء المهملة)
٣٦٥ الراحلة
٦٦ الرأل
٣٦٦ الراعى
٣٦٦ الربى
٣٦٧ الرباح
٣٦٧ الربح
٣٦٧ الربية
٣٦٧ الرتوت
٣٦٧ الرتيلا
٣٦٨ الرخل
٣٦٨ الرخ

| صحيفة | صحيفة | صحيفة |
|---|---|---|
| ٣٦٨ الرخمة | ٣٧٠ الركاب | ٣٧١ الريم |
| ٣٦٩ الرشا | ٣٧٠ الركن | ٣٧١ أم رباح |
| ٣٦٩ الرشك | ٣٧٠ الرمكة | ٣٧١ أبو رياح |
| ٣٧٠ الرفراف | ٣٧١ الرهدون | ٣٧١ ذورميح |
| ٣٧٠ الرق | ٣٧١ الروبيان | |


﴿ تمت ﴾

## ﴿ فهرست كتاب عجائب المخلوقات الذى على هامش حياة الحيوان للعلامة القزوينى ﴾


صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٣ اسم مؤلف الكتاب
٦ فصل وعلى الناظر الخ
٨ المقدمة الأولى فى شرح العجب
١٥ المقدمة الثانية فى تقسيم المخلوقات
١٧ فصل فى ذكر أهل السير الخ
١٨ المقدمة الثالثة فى معنى الغريب
٢٣ المقدمة الرابعة فى تقسيم الموجودات
٢٥ المقالة الأولى فى العلويات والنظر فيها الخ
٢٥ النظر الأول فى حقيقة الأفلاك وأشكالها الخ
٢٧ النظر الثانى فى فلك القمر
٢٩ فصل وأما القمر الخ
٢٩ فصل فى زيادة ضوئه ونقصانه
٣٠ فصل فى خسوفه
٣١ فصل فى خواص القمر وتأثيراته الخ
٣٥ خاتمة فى الحجرة
٣٥ النظر الثالث فى فلك عطارد
٣٦ فصل وأما عطارد الخ
٣٦ النظر الرابع فى فلك الزهرة
٣٧ فصل وأما الزهرة الخ
٣٨ النظر الخامس فى فلك الشمس
٣٨ فصل فى الشمس
٤٠ فصل فى كسوفها

صحيفة

٤١ فصل فى خواص الشمس
٤٣ النظر السادس فى فلك المريخ
٤٤ فصل والمنجمون الخ
٤٤ النظر السابع فى فلك المشترى
٤٥ فصل وأما المشترى الخ
٤٥ النظر الثامن فى فلك زحل
٤٦ فصل وسماه المنجمون
٤٦ النظر التاسع فى فلك الثوابت
٤٨ فصل فى الكواكب الثابتة
٥٠ فصل فى الصور الشمالية
٥٠ كوكبة الدب الأصغر
٥١ كوكبة الدب الأكبر
٥٣ فصل فى خواص القطب الشمالى
٦٠ فصل فى البروج الاثنى عشر
٦٦ فصل فى الصورة الجنوبية
٧٠ فصل فى فوائد القطب الجنوبى
٧٤ فصل فى منازل القمر
٧٥ الشرطين
٧٥ البطين
٧٦ الثريا
٧٧ الدبران
٧٧ الهقعة
٧٨ الهنعة
٧٨ الذراع
٧٩ النثرة
٧٩ الطرف
٧٩ الجبهة

صحيفة

٨٠ الزبرة
٨٠ الصرفة
٨١ العواء
٨١ السماك
٨٢ الغفر
٨٢ الزبانا
٨٢ الإكليل
٨٣ القلب
٨٤ الشولة
٨٤ النعائم
٨٤ البلدة
٨٥ سعد الذابح
٨٥ سعد بلع
٨٦ سعد السعود
٨٦ سعد الأخبية
٨٧ الفرع الأول
٨٧ الفرع الثانى
٨٧ بطن الحوت
٨٨ النظر العاشر فى فلك البروج
٩١ النظر الحادى عشر فى فلك الأفلاك
٩٣ النظر الثانى عشر فى سكان السموات
٩٤ فمنهم حملة العرش
٩٥ ومنهم الروح الأمين
٩٥ ومنهم إسرافيل
٩٦ ومنهم جبريل الأمين
٩٨ ومنهم ميكائيل
٩٨ ومنهم عزرائيل
١٠٠ ومنهم الكروبيون
١٠١ ومنهم ملائكة السبع سموات

صحيفة

١٠٢ ومنهم الحفظة
١٠٣ ومنهم المعقبات
١٠٣ ومنهم منكر ونكير
١٠٤ ومنهم السياحون
١٠٥ ومنهم هاروت وماروت
١٠٧ ومنهم الموكلون بالكائنات
١١٠ النظر الثالث عشر فى الزمان
١١٠ القول فى الليالى والأيام
١١٣ فصل فى فضائل الأيام وخواصها
١١٦ القول فى الشهور
١١٧ فصل فى شهور العرب
١٢٦ خاتمة فى معرفة أوائل هذه الشهور
١٢٧ فصل فى شهور الروم
١٣٩ فصل فى شهور الفرس
١٥٢ القول فى السنين
١٥٢ أما الربيع
١٥٣ أما الصيف
١٥٤ أما الخريف
١٥٤ أما الشتاء
١٥٥ فصل فى بعض العجائب
١٥٩ المقالة الثانية فى السفليات
١٦٠ فصل فى انقلاب هذه العناصر الخ
١٦٠ النظر الأول فى كرة النار
١٦٢ نار القرابين
١٦٢ فصل فى الشهب
١٦٤ خاتمة
١٦٥ النظر الثانى فى كرة الهواء
١٦٧ فصل فى السحاب والمطر الخ

صحيفة

١٦٩ فصل فى الرياح
١٧٠ الزوبعة
١٧١ القول فى أصول الرياح
١٧١ أما الشمال
١٧٢ أما الجنوب
١٧٣ أما الصبا
١٧٤ أما الدبور
١٧٤ فصل فى فوائد عجيبة للرياح
١٧٥ فصل فى الرعد والبرق
١٧٦ فصل فى الهالة وقوس قزح
١٨٤ النظر الثالث فى كرة الماء
١٨٤ فصل فى صيرورة البحر الخ
١٨٥ فصل فى أحوال عجيبة
١٨٦ البحر المحيط
١٨٧ البحر الأبيض
١٨٨ بحر الصين
١٨٩ فصل فى جزائر بحر الصين
١٩٣ فصل فى الحيوانات العجيبة
١٩٦ بحر الهند
١٩٧ فصل فى جزائر هذا البحر
٢٠٠ بحر فارس
٢٠٢ فصل فى حيوانات هذا البحر
٢٠٤ فصل فى جزائر هذا البحر
٢٠٦ فصل فى عجائبه
٢١٠ بحر القلزم
٢١٠ فصل جزائره
٢١٢ فصل فى حيواناته
٢١٢ بحر الزنج
٢١٧ بحر المغرب

صحيفة

٢١٩ فصل فى جزائره
٢٢١ فصل فى حيواناته
٢٢٤ بحر الخزر
٢٢٥ فصل فى جزائره
٢٢٦ فصل فى حيواناته
٢٢٨ القول فى حيوان الماء
٢٤٦ النظر الخامس فى كرة الأرض
٢٤٨ فصل فى اختلاف آراء القدماء
٢٤٩ فصل فى مقدار جرم الأرض
٢٤٩ فصل فى أرباع الأرض
٢٥١ فصل فى أقاليم الأرض
٢٥١ فصل فيما يعرض للأرض الخ
٢٥٢ فصل فى صيرورة السهل جبلا الخ
٢٥٤ فصل فى فوائد الجبال
٢٧٩ فصل فى تولد الأنهار
٢٨٠ ذكر بعض الأنهار وخواصها
٢٩٢ فصل فى تولد العيون والآبار وعجائبها
٣٠٣ وأما الآبار
٣١٠ النظر فى الكائنات
٣١٣ النوع الأول فى الفلزات
٣١٨ النوع الثانى فى الأحجار
٣٦٣ القسم الثالث فى الأجسام الدهنية


﴿ تمت ﴾

# حياة الحيوان الكبرى

للأستاذ العلامة والقدوة الفهامة

## الشيخ كمال الدين الدميرى

نفعنا الله بعلومه

آمين

---

وبهامشه كتاب

﴿عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات﴾

للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزوينى رحمه الله تعالى

## الجزء الثانى

---

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

شارع نوبار باشا رقم ١٢

١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م

هذا بقية كتاب
﴿ عجائب المخلوقات ﴾

﴿ النظر الثانى فى النبات ﴾
النبات متوسط بين المعادن والحيوان بمعنى أنه خارج عن نقصان الجمادية الصرفة التى للمعادن وغير واصل إلى كامل الحس والحركة اللتين اختص بهما الحيوان لكنه يشارك الحيوان فى بعض الامور لان البارى تعالى يخلق لكل شىء من الآلات ما يحتاج إليها فى بقاء ذاته ونوعه وما زاد على ذلك يكون ثقيلا وكلا عليه لا يخلفه ولا حاجة النبات للحس والحركة بخلاف الحيوان ومن عجيب صنع الله تعالى أن الحب والنوى إذا حصل فى تربة ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وحدث بقوة خلق الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء ثم إن تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها حتى يصير الحب بالغا ذا عروق وقضبان وأوراق وأزهار والحب والنوى شجرا عظيما ذا عرق وساق وأوراق وثمر فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه والنبات قسمان شجر ونجم والله تعالى الموفق للصواب

# بسم الله الرحمن الرحيم

## ﴿ باب الزاى ﴾

﴿ الزاغ ﴾ من أنواع الغربان يقال له الزرعى وغراب الزرع وهو غراب أسود صغير وقد يكون محمر المنقار والرجلين ويقال له غراب الزيتون لأنه يأكله وهو لطيف الشكل حسن المنظر لكن وقع فى عجائب المخلوقات أنه الأسود الكبير وأنه يعيش أكثر من ألف سنة وهو وهم والصواب الأول «عجيبة» رأيت فى المنتقى من انتخاب الحافظ السلفى وفى آخر ورقة من عجائب المخلوقات عن محمد بن اسماعيل السعدى أنه قال وجه إلى يحيى بن أكثم فتوجهت إليه فلما دخلت عليه إذا عن يمينه قمطر فأجلسنى وأمر أن يفتح فإذا شىء خرج منه رأسه كرأس إنسان ومن أسفله إلى سرته على هيئة زاغ وفى صدره وظهره سلعتان قال ففزعت منه ويحيى يضحك فقلت له ما هذا أصلحك الله فقال لى سل عنه منه فقلت له ما أنت فنهض وأنشد بلسان فصيح :

أنا الزاغ أبو عجوة * أنا ابن الليث واللبوه  أحب الراح والريحا * ن والفهوة والنشوه
فلا عدوى يدى تخشى * ولا يحذر لى سطوه  ولى أشياء تستظرف * يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة فى الظهـ * ـر لا تسترها الفروه  وأما السلعة الأخرى * فلو كان لها عروه
لما شك جميع النا * س فيها أنها ركوه

ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ وانطرح فى القمطر فقلت أعز الله القاضى وعاشق أيضا فقال هو ما ترى لا علم لى بأمره إلا أنه حمل إلى أمير المؤمنين مع كتاب مختوم فيه ذكر حاله لم أقف عليه انتهى وهذا الخبر قد رواه الحافظ أبو طاهر السلفى على غير هذه الطريقة وهو ما أخبر به موسى الرضى قال: قال أبو الحسن على بن محمد دخلت على أحمد بن أبى دؤاد وعن يمينه قمطر فقال لى اكشف وانظر العجب فكشفت فخرج على رجل طوله شبر من وسطه إلى أعلاه رجل ومن وسطه إلى أسفله صورة زاغ ذنبا ورجلا فقال لى من أنت فانتسبت له ثم سألته عن اسمه فقال :

انا الزاغ أبو عجوه * حليف الخمر والقهوه ولى أشياء لاتنكر * يوم القصف فى الدعوه
فمنها سلعة فى الظهر * ولا تسترها الفروه ومنها سلعة فى الصدر * ولو كان لها عروه
لما شك جميع النا * س حقا أنها ركوه

ثم قال أنشدنى شيئا فى الغزل فأنشدته : وليل فى جوانبه فضول * من الإظلام أطلس غيهبان
كأن نجومه دمع حبيس * ترقرق بين أجفان الغوانى

فصاح وا أبى وأمى ورجع إلى القمطر وستر نفسه فقال ابن أبى دؤاد وعاشق أيضا قال ابن خلكان فى ترجمة يحيى بن أكثم أنه لما ولى البصرة كان سنه نحو عشرين سنة فاستصغره أهل البصرة وقالوا له كم سن القاضى فعلم أنهم استصغروه فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجه به النبى عليه الصلاة والسلام قاضيا على مكة يوم الفتح ومن معاذ بن جبل الذى وجه به النبى ﷺ قاضيا على اليمن ومن كعب بن سور الذى وجه به عمر رضى الله تعالى عنه قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا قيل لما أراد المأمون أن يولى رجلا القضاء وصف له يحيى بن أكثم فاستحضروه فرآه دميم الخلق فاستحقره فعلم يحيى ذلك فقال يا أمير المؤمنين سلنى إن كان القصد على لا خلقى فسأله فأجابه فقلده القضاء قال ولم يعلم أحد غلب على سلطانه فى زمانه إلا يحيى بن أكثم وأحمد بن أبى دؤاد المعتزلى وكان حنفيا ولم يكن على الإمام أحمد رحمه الله تعالى فى محنته أشد منه وسيأتى ذكر طرف من محنته فى باب الكاف فى لفظ الكلب إن شاء الله تعالى قال وكانت كتب يحيى فى الفقه أجل كتب فتركها الناس لطولها وكان ليحيى يوم فى الإسلام لم يكن لأحد مثله وهو أن المأمون كان فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعة ولم يستطع أحد أن يحتج عليه فى تحريمها غير يحيى فقرر عنده تحريم المتعة فقال المأمون أستغفر الله تعالى نادوا بتحريم نكاح المتعة وروى أن رجلا قال ليحيى أيها القاضى كم آكل فقال فوق الجوع ودون الشبع قال فكم أضحك قال حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك قال فكم أبكى قال لاتمل من البكاء من خشية الله قال فكم أخفى عملى قال ما استطعت قال فكم أظهر منه قال مايقتدى بك البر ويؤمن عليك قول الناس فقال الرجل سبحان الله قول وعمل ظاعن قال ولم يكن فى يحيى مايعاب به سوى ماكان يتهم به مما هو شائع عنه من محبة الصبيان وحب العلو وكان إذا رأى فقيها سأله عن الحديث أو محدثا سأله عن النحو أو نحويا سأله عن الكلام ليخجله ويقطعه فدخل عليه يوما رجل من أهل خراسان فناظره فرآه متفننا حافظا فقال له نظرت فى الحديث قال نعم قال ماتحفظ من الأصول قال أحفظ عن شريك عن أبى إسحق عن الحرث أن عليا رضى الله تعالى عنه رجم لوطيا فأمسك ولم يكلمه وتوفى بالربذة ودفن هناك سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائتين ونقل أنه رؤى فى المنام بعد موته فقيل له مافعل الله بك قال غفر لى إلا أنه وبخنى وقال لى يايحيى خلطت على نفسك فى دار الدنيا فقلت يارب اتكلت على حديث حدثنى به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إنك قلت إنى لأستحيى أن أعذب ذا شيبة مسلما بالنار فقال قد عفوت عنك يايحيى وصدق نبيى إلا أنك خلطت على نفسك فى دار الدنيا * الذمامة بالذال المعجمة رداءة الخلق بضم اللام وبالدال المهملة رداءة الخلق بإسكان اللام وأكثم بالثاء المثلثة والربذة بفتح الراء والباء الموحدة والذال المعجمة قرية من قرى المدينة على طريق الحاج وهى التى نفى عثمان بن عفان أبا ذر الغفارى رضى الله تعالى عنهما إليها فأقام بها حتى مات وقبره ظاهر هناك يزار كما تقدم

بمثابة الحيوانات الصغار والأشجار العظام لاثمر لها كما ترى فى الساج والدلب والعرعر لأن المادة كلها صرفت إلى نفس الشجر ولا كذلك الأشجار المثمرة فإن مادتها صرفت إلى الشجرة والثمرة ويشبه حالها حال الذكور والإناث من الحيوان فإن الذكر أعظم بدنا من الإناث ولأن بعض مواد الإناث تصرف إلى الأجنة ومن عجيب صنع البارى خلق الأوراق على الأشجار زينة لها ووقاية لثمارها من نكاية الشمس والهواء ثم إن الله تعالى خلقها مرتفعة عن الثمار متفرقة بعض التفرق لامتكاثفة عليها ولا بعيدة عنها لتأخذ الثمار من النسيم تارة ومن الشمس أخرى فلو تكاثفت عليها حتى منعتها إصابة النسيم وشعاع الشمس لبقيت على لجاجتها غليظة الجلد قليلة المائية وإذا سقط منها بعض الورق أصابتها الشمس وأحرقتها كما ترى فى الرمانة التى احترق منها إحدى الجوانب ثم إذا فرغت الثمرة تناثرت الأوراق حتى لاتجذب مائية الشجر فتضعف قوتها كما ترى فى الحيوان فإن الأم تضعف من إرضاع

مايتعلق بواحد واحد من الأشجار مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله تعالى (آبنوس) شجر كقطعة حجر على رأسه نبت أخضر وخشبه صلب جدا لايقف على الماء بل يرسب وهو أشبه خشب بالحجر قال الشيخ الرئيس إذا وضعته على الجمر فاحت منه رائحة طيبة ويجلو الغشاوة والبياض إذا حل بماء واكتحل به وإذا أحرقت نشارته على طابق ثم غسلت واكتحل به ينفع من الرمد اليابس وجرب العين وقال غيره ينفع من حرق النار ويحل نفخ البطن والله الموفق (آس) شجرة معروفة قال صاحب الفلاحة إذا أردت غرس الآس فاجعل فى حفرتها شيئا من الرمل وازرع الشعير حولها فإن الشعير يقوى أصل الآس قال الشيخ الرئيس ورق الآس يطيب رائحة البدن بدل التوتيا ويقوى أصل الشعر ويطيله ويسوده ويمنع تساقطه ورماد الآس يقوم مقام التوتيا فى دفع الرائحة الكريهة وينقى الكلف ويجلو البهق وينفع من عضة الرتيلا وبزر الآس يتمضمض به يقتل الدود المتولد فى الأسنان

(الحكم) يحل أكل الزاغ وهو الأصح عند الرافعى وبه قال الحكم وحماد ومحمد بن الحسن وروى البيهقى فى شعبه قال سألت الحكم عن أكل الغربان قال أما السود الكبار فأكره أكلها وأما الصغار التى يقال لها الزاغ فلا بأس بها والأمثال تأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة فى لفظ الغراب (الخواص) لسان الزاغ بجفف ويأكله العطشان يذهب عطشه ولو فى وسط تموز وكذلك قلبه إذا جفف وسحق وشربه إنسان لايعطش فى سفره فإن هذا الطائر لايشرب ماء فى تموز ومرارته تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين وتسود الشعر إذا طلى بها سواداً عجيبا وحوصلته تمنع نزول الماء عند مباديه (التعبير) الزاغ الذى فى منقاره حمرة تدل رؤيته على رجل ذى سطوة ولهو وطرب وقال أرطاميدوس الزاغ فى المنام يدل على ناس يحبون المشاركة وربما دل على أناس فقراء وقيل إنه يدل على الولد من الزنا أو الرجل الممزوج بالخير والشر والله أعلم ﴿الزاق﴾ الديك والجمع الزواق يقال زقا يزقو إذا صاح وكل صائح زاق وفى حديث هشام بن عروة أنت أثقل من الزواق يريد أنها إذا زقت سحرا تفرق السمار والأحباب والزقو والزقى مصدر وقد زقا الصدى يزقو ويزقى زقا أى صاح وكل زاق صائح قاله الجوهرى وقد تقدم فى البومة قول توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * علىّ ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * إليها صدى من جانب القبر صائح

وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصدى ﴿الزامور﴾ قال التوحيدى إنه حوت صغير الجسم ألوف لأصوات الناس يستأنس باستماعها ولذلك يصحب السفن متلذذاً بأصوات أهلها وإذا رأى الحوت الأعظم يريد الاحتكاك بها وكسرها وثب الزامور ودخل أذنه ولايزال يزمر فيه حتى يفر الحوت إلى الساحل يطلب جرفا أو صخرة فإذا أصاب ذلك فلا يزال يضرب به رأسه حتى يموت وركاب السفن يحبونه ويطعمونه ويتفقدونه ليدوم ألفه لهم وصحبته لسفنهم ليسلموا من ضرر السمك العادى وإذا ألقوا شباك الصيد فوقع الزامور فيها أطلقوه لكرامته . ﴿الزبابة﴾ بفتح الزاى والباءين الموحدتين بينهما ألف الفأرة البرية تسرق ماتحتاج إليه وماتستغنى عنه وقيل هى فأرة عمياء صماء وجمعها زباب ويشبه بها الرجل الجاهل قال الحرث بن كلدة :

ولقد رأيت معاشرا * جمعوا لهم مالا وولدا وهم زباب حائر * لاتسمع الآذان رعدا

أى لايسمعون شيئا يعنى موتى وصف الزباب بالتحير والتحير إنما يحصل للأعمى وأراد بذلك أن الأرزاق لم تقسم على قدر العقول والولد بضم الواو للواحد والجمع وقوله لاتسمع الآذان رعدا أى لاتسمع آذانهم فاكتفى بالألف واللام عن الإضافة كقوله تعالى فإن الجنة هى المأوى وبين أن آذانهم لشدة صممهم لايسمعون بها الرعد قال الإمام الثعالبى فى فقه اللغة يقال فى آذانه وقر فإن زاد فهو صمم فإن زاد فهو طرش فإن زاد حتى لايسمع الرعد فهو صلخ بالصاد المهملة والخاء المعجمة فى آخره انتهى واختصت هذه الفأرة بالصمم كما اختص الخلد بالعمى وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر حكمها فى باب الفاء فى لفظ الفأر (الأمثال) قالوا أسرق من زبابة لأنها تسرق ماتحتاج إليه وماتستغنى عنه ﴿الزبزب﴾ دابة كالسنور قاله فى العباب وفى كامل ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وثلثمائة قال وفيها خافت العامة ببغداد من حيوان كانوا يسمونه الزبزب ويقولون إنهم يرونه فى الليل على أسطحتهم وأنه يأكل أطفالهم وربما عض يد الرجل أو يد المرأة فيقطعها وكان الناس يتحارسون منه ويتراعون ويضربون بالطسوت والصوانى

وغيرها ليفزعوه وارتجت بغداد لذلك ثم ان أصحاب السلطان صادوا حيوانا فى الليل أبلق بسواد قصير اليدين والرجلين فقالوا هذا هو الزبزب وصلبوه على الجسر فسكن الناس انتهى ﴿الزخارف﴾ جمع زخرف وهو ذباب صغار ذات قوائم أربع يطير على الماء قال أوس بن حجر :

تذكر عينا من عمان وماؤها * له حدب تستن فيه الزخارف

﴿الزرزور﴾ بضم الزاى طائر من نوع العصفور سمى بذلك لزرزرته أى تصويته قال الجاحظ كل طائر قصير الجناح كالزرازير والعصافير إذا قطعت رجلاه لم يقدر على الطيران كما إذا قطعت رجل الإنسان فإنه لا يقدر على العدو وسيأتى حكمه إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العصفور ﴿فائدة﴾ روى الطبرانى وابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أنه قال أرواح المؤمنين فى أجواف طيور خضر كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة وما أحسن قول شيخنا الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله تعالى عليه :

قد قلت لما مر بى معرضا * وكفه يحمل زرزورا

ياذا الذى عذبنى مطله * إن لم تزر حقا فزر زورا

وفى مناقب الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه لعبد المحسن بن عثمان بن غانم قال الشافعى من عجائب الدنيا طلسم على صفة الزرزور من نحاس فى رومية يصفر فى يوم واحد من السنة فلا يبقى طائر من جنسه إلا أتى رومية وفى منقاره زيتونة فإذا اجتمع ذلك عصر وكان منه زيتهم فى ذلك العام وسيأتى ذلك إن شاء الله تعالى فى السودانية فى باب السين المهملة (وحكمه) الحل لأنه من أنواع العصافير (ومن خواصه) أن لحمه يزيد فى الباه ودمه إذا وضع على الدماميل نفعها وإذا ذر رماد الزرزور على الجرح فإنه يختم بإذن الله تعالى (التعبير) الزرزور دال على التردد فى الأسفار فى البر والبحر وربما دل على رجل مسافر يسافر كثيرا كالمكارى الذى لا يلبث فى مكان ونحوه وطعامه حلال لأنه حرم على نفسه الطعام والشراب لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة فلم يتناول شيئا من ذلك حتى تاب الله تعالى عليه وربما دل على التخليط فى الأعمال الصالحة والسيئة أو على رجل ليس بغنى ولا فقير ولا شريف ولا وضيع وربما دل على المهانة والقناعة بأدنى العيش واللعب وربما كان كاتبا والله أعلم ﴿الزرق﴾ طائر يصاد به بين البازى والباشق قاله ابن سيده وقال الفراء هو البازى الأبيض والجمع الزراريق وهو صنف من البازى لطيف إلا أنه أحر وأيبس مزاجا ولذلك هو أشد جناحا وأسرع طيرانا وأقوى إقداما وفيه ختل وخبث وخير ألوانه الأسود الظهر الأبيض الصدر الأحمر العين قال الحسن بن هانى فى طريدته يصفه :

قد اغتدى بصفرة معلقه * فيها الذى يريده من مرفقه * مبكرا بزرق أو زرقه

وصفته بصفة مصدقه * كأن عينه لحسن الحدقه * نرجسة ثابتة فى ورقه

ذو مئسر مختضب بعلقه * كم وزة صدنا به ولقلقه * سلاحه فى لحمها مفرقه

(الحكم) تحريم الأكل كما تقدم فى البازى ﴿الزرافة﴾ كنيتها أم عيسى وهى بفتح الزاى المخففة وضمها وهى حسنة الخلق طويلة اليدين قصيرة الرجلين مجموع يديها ورجليها نحو عشرة أذرع ورأسها كرأس الإبل وقرنها كقرن البقرة وجلدها كجلد النمر وقوائمها وأظلافها كالبقر وذنبها كذنب الظبى ليس لها ركب فى رجليها وإنما ركبتاها فى يديها وهى إذا مشت قدمت الرجل اليسرى واليد اليمنى بخلاف ذوات الأربع كلها فإنها تقدم اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن طبعها التودد والتأنس وتجتر وتبعر

رماد ورق اليقطين تحت شجرة الأترج يكثر ثمرتها ولا يسقط منها شىء أصلا وورقه يمضغ يطيب نكهة الفم ويقطع رائحة الثوم والبصل قيل إن بعض الملوك حبس جمعا من الحكماء وأمر أن لا يدخل عليهم إلا خبز مع إدام فاختاروا الأترج فسئلوا عن ذلك فقالوا إن قشره الظاهر مشموم وشحمه فاكهة وحماضه إدام وبزره دهن قال صاحب الفلاحة من أراد أن يبقى الأترج على الشجرة طول سنتها فليطلها بالجص ومن دفنها فى شعير تبقى زمانا طويلا قشره يطيب نكهة الفم إمساكا وينفع من الفالج وعصارة قشره تنفع من لسع الأفاعى شربا وضمادا قشره جيد للبرص والقوباء طلاء قال الشيخ الرئيس يجعل قشر الأترج فى الثياب يدفع عنها السوس ورائحته تصلح فساد الهواء والوباء وشحمه يرث القولنج وحماضه يجلو العين ويذهب الكلف ويسكن غلمة النساء وحبه يسحق ويوضع على لسع العقرب يسكن وجعه وينفع السليم شربا فى الجلاب وضمادا ويشد فى صرة على عضد المرأة فإنها لا تحبل وعصارة حماضه

ولما علم الله تعالى أن قوتها من الشجر جعل يديها أطول من رجليها لتستعين بذلك على الرعى منها بسهولة قاله القزوينى فى عجائب المخلوقات وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة محمد بن عبد الله العتبى البصرى الأخبارى الشاعر المشهور أنه كان يقول الزرافة بفتح الزاى وضمها الحيوان المعروف وهى متولدة بين ثلاث حيوانات بين الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبعان وهو الذكر من الضباع فيقع الضبعان على الناقة فتأتى بولد بين الناقة والضبع فإن كان الولد ذكراً وقع على البقرة فتأتى بالزرافة وذلك فى بلاد الحبشة ولذلك قيل لها الزرافة وهى فى الأصل الجماعة فلما تولدت من جماعة قيل لها ذلك والعجم تسميها اشتركاو يلنك لأن اشتر الجمل وكاو البقرة ويلنك الضبع وقال قوم إنها متولدة من حيوانات مختلفة وسبب ذلك اجتماع الدواب والوحوش فى القيظ عند المياه فتتسافد فيلقح منها مايلقح ويمتنع منها مايمتنع وربما سفد الأنثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيأتى منها خلق مختلف الصور والألوان والأشكال والجاحظ لايرضى هذا القول ويقول إنه جهل شديد لايصدر إلا عن لاتحصيل لديه لأن الله تعالى يخلق مايشاء وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد ذلك وتحقق (وفى حكمها وجهان) أحدهما التحريم وبه جزم صاحب التنبيه وفى شرح المهذب للنووى أنها محرمة بلا خلاف وأن بعضهم عدها من المتولد بين المأكول وغيره وقال بتحريمها القاضى أبو الخطاب من الحنابلة والثانى الحل وبه أفتى الشيخ تقى الدين بن أبى الدم الحموى ونقله عن فتاوى القاضى حسين وذكر أبو الخطاب مايوافق الحل فإنه حكى فى فروعه قولين فى أن الكركى والبط والزرافة هل تفدى بشاة أو تفدى بالقيمة والفداء لا يكون إلا للمأكول قال ابن الرفعة وهو المعتبر كما أفتى به البغوى قال ومنهم من أول لفظها وقال ليست الزرافة بالفاء بل بالقاف قال الشيخ تقى الدين السبكى هذا التعليل ليس بشىء لأنه لايعرف واختار فى الحلبيات حلها كما أفتى به ابن أبى الدم ونقله عن القاضى حسين وتتمة التتمة قال وما ادعاه النووى ممنوع وما ادعاه أبو الخطاب الحنبلى يجوز حمله على جنس يتقوى بنابه وأما هذا الذى شاهدناه فلا وجه للتحريم فيه وما برحت أسمع هذا بمصر وقال ابن أبى الدم فى شرح التنبيه وماذكره الشيخ فى التنبيه غير مذكور فى كتب المذهب وقد ذكر القاضى حسين أنها تحل ثم قال قلت هذا مع أنها أقرب شبها بما يحل وهو الإبل والبقر وذلك يدل على حلها ويمكن أن يقال إنما ذكر للشيخ ذلك اعتماداً على ماذكر أهل اللغة أنها من السباع وتسميتهم لها بذلك تقتضى عدم الحل وإذا كان كذلك فقد ذكر صاحب كتاب العين أن الزرافة بفتح الزاى وضمها من السباع ويقال لها بالفارسية اشتركاو يلنك وقد ذكر فى موضع آخر أن الزرافة متولدة بين الناقة الوحشية والضبع فيجىء الولد فى خلقة الناقة والضبع فإن كان الولد ذكرا عرض للأنثى من بقر الوحش فيلقحها فتأتى بالزرافة وسميت بذلك لأنها جمل وناقة ولما كان كذلك وسمع الشيخ أنها من السباع اعتقد أنها من السباع حقيقة ولم يكن رآها فاستدل بذلك على تحريم أكلها انتهى وقد تقدم أن الجاحظ لم يرتض هذا القول وقال إن هذا القول جهل بين وإن الزرافة نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير (قلت) وهذا الذى قاله الجاحظ معارض لما نقله ابن أبى الدم عن صاحب كتاب العين من كونها متولدة بين مأكولين وما تمسك به ابن أبى الدم من الشبه بالإبل والبقر شبه بعيد لما يشاهد من طول يديها وقصر رجليها ولو كان الشبه البعيد كافيا لحل أكل الصرارة لشبهها بالجرادة

طيب طعم ثمرتها فوق ماكانت وإذا طليت شجرة الإجاص الحلو بمرارة البقرة لايتولد الدود فى ثمرتها وورقها يطبخ بسذاب ويتمضمض به يمنع سيلان الدم من اللثة وثمرتها تسكن العطش وحرارة القلب وإذا أردت أن تبقى الاجاص مدة طويلة تجعله فى ظرف وتصب عليه من العصير مايغمره ثم طين رأسه فإنه يبقى الاجاص مدة طويلة والله الموفق (ازدرخت) شجرة كبيرة معروفة تسمى بطبرستان ضاحك لها ثمر يشبه النبق ورقها يقتل البهائم وعصارة ورقها تقتل القمل وتطيل الشعر عن الشيخ الرئيس وقال غيره عصارته تنفع من السم إذا شربت بالعسل وتنفع من القولنج قال ابن سينا وثمرتها ربما قتلت وأحدثت كربا عظيما إذا أكلت والله الموفق (أم غيلان) شجرة من عضاه البادية كثيرة الشوك قال ابن سينا أصله يسمى ينك إذا بخر به طيب رائحة البدن وقطع رائحة الشوم (بان) شجرة معروفة حبها أكبر من الحمص مائل إلى البياض طيب الرائحة وله لب دهنى قال ابن سينا إنه ينفع من البرص والكلف

ولجاز اكله لان خفه يشبه خف الجمل وقد ذكر فى شرح المهذب ان بعضهم عد الزرافة من المتولد بين مأكول وغير مأكول واستدل به على تحريمها وكلام الجاحظ ينفى هذا ويقتضى الحل وهو المختار فى الفتاوى الحلبيات كما سبق وهو مذهب الإمام أحمد ومقتضى مذهب مالك وقواعد الحنفية تقتضيه وإذا تعارضت الأقوال وتساقط اعتبار مدلولها رجعنا إلى الإباحة الأصلية والتحقت هذه بما لانص فيه بالتحريم والتحليل وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر ما لانص فيه بالتحريم والتحليل فى باب الواو فى الورل (ومن خواصها) أن لحمها غليظ سوداوى ردىء الكيموس (التعبير) الزرافة فى المنام تدل على الآفة فى المال وربما دلت على المرأة الجليلة أو الجميلة أو الوقوف على الأخبار الغريبة من الجهة المقبلة منها ولا خير فيها إن دخلت البلد من غير فائدة فانها تدل على الآفة فى المال وما تأنس من ذلك كان صديقا أو زوجا أو ولداً لا تؤمن غائلته وربما تعبر بالمرأة التى لا تثبت مع الزوج لأنها خالفت المركوبات فى ظهورها والله أعلم ﴿الزرياب﴾ قال فى كتاب منطق الطير أنه أبو زريق قال وحكى أن رجلا خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد فى طريقه أفراخ زرياب فاشتراها بالمبلغ الذى كان معه ثم رجع إلى بغداد فلما أصبح فتح دكانه وعلق الأفراخ عليها فهبت ريح باردة فماتت كلها إلا فرخا واحداً وكان أضعفها وأصغرها فأيقن الرجل بالفقر ولم يزل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء ليله كله ويقول ياغياث المستغيثين أغثنى فلما أصبح زال البرد وجعل ذلك الفرخ ينفش ريشه ويصيح بصوت فصيح ياغياث المستغيثين أغثنى فاجتمع الناس عليه يستمعون صوته فاجتازت به أمة لأمير المؤمنين فاشترته بألف درهم انتهى فانظر كيف فعل الصدق مع الله تعالى والإقبال بكنه الهمة فى التضرع بين يديه وحضور القلب وعدم الالتفات إلى غيره من الغنى من الجهة الميؤس منها فما ظنك بمن ترك الأسباب والوسائط وأقبل على الله تعالى إقبالا لا يشغله عنه شاغل ولا يحجبه حاجب لأن حجابه نفسه وقد فنى عنها فهناك لذ الخطاب وطاب الشراب فسبحان من يختص برحمته من يشاء وهو العزيز الوهاب ﴿الزغبة﴾ دويبة تشبه الفأرة قاله ابن سيده قال وقد سمت العرب زغبة وأشار بذلك إلى عيسى ابن حماد البصرى زغبة روى عن رشد بن سعد وعبد الله بن وهب والليث بن سعد وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه ومات سنة ثمان وأربعين ومائتين ﴿الزغلول﴾ بضم الزاى فرخ الحمام مادام يزق يقال أزغل الطائر فرخه إذا زقه والزغلول أيضا اللاهج بالرضاع من الغنم والإبل والزغلول أيضا الخفيف من الرجال ﴿الزغيم﴾ طائر وقيل بالراء غير المعجمة قاله ابن سيده ﴿الزقة﴾ طائر من طير الماء يمكث حتى يكاد يقبض عليه ثم يغوص فى الماء فيخرج بعيدا قاله بن سيده ﴿الزلال﴾ بضم الزاى دود يتربى فى الثلج وهو منقط بصفرة يقرب من الأصبع يأخذه الناس من أماكنه ليشربوا ما فى جوفه لشدة برده ولذلك يشبه الناس الماء البارد بالزلال لكن فى الصحاح ماء زلال أى عذب وقال أبو الفرج العجلى فى شرح الوجيز الماء الذى فى دود الثلج طهور والذى قاله يوافق قول القاضى حسين فيما تقدم فى الدود والمشهور على الألسنة أن الزلال هو الماء البارد قال سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل أحد العشرة المشهود لهم بالجنة الذى قال فيه النبى ﷺ أنه يبعث أمة وحده :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا

وما أحسن قول أبى الفوارس بن حمدان واسمه الحرث :

قد كنت عدتى التى أسطو بها * ويدى إذا خان الزمان وساعدى

مضمضة وقال غيره ينفع من الجرب وينفع من الرعاف (بطم) شجرة جبلية معروفة ثمرتها الحبة الخضراء قال ابن سينا يجلو الجرب والقلوباء وقال غيره ينفع من الباه سيما رطبها ودهنها ينفع من الفالج واللقوة ويذهب شهوة الطعام وصمغها وثمرتها ينفعان بالشراب لنهش الرتيلا (بلسان) شجرة توجد بمصر دون غيرها من البلاد ولا فى غير ذلك الموضع بمصر أيضا وهو موضع يعرف بعين الشمس وهى شبيهة الرائحة والورق بالسذاب لكنها تضرب إلى البياض قال ابن سينا حبها وعودها ينفعان من وجع الرئة والجنبين وعرق النسا والصرع والدوران وينشفان رطوبة الأرحام بخوراً وينفعان من العقم ويقاومان السموم ونهش الأفاعى دهنها يؤخذ عند طلوع الشعرى بأن يشرط بالحديدة ويجمع ما يبتدئ بقطنة ولا تجوز فى الستة أرطال ثم يدفع إلى رجل نصرانى يعرف طبخها ولا يعلم أحد إلا ولده وهو أعزدهن فى الدنيا قال ابن سينا يجلو الغشاوة ويخرج الجنين والمشيمة وينفع من عسر البول ويذهب بالنافض وينفع

العقرب ذكروا أن الخاصية للبئر التى يسقى منها تلك الأشجار أنه اغتسل فيها

فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

وقال الآخر: ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وما أحسن قول وجيه الدولة أبى المطاع بن حمدان ويلقب بذى القرنين وكان شاعرا مجيدا ووفاته فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة:

قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال أبصرته لو مات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا فى الحب عادته * يا برد ذاك الذى قالت على كبدى

ومن محاسن شعره:

ترى الثياب من الكتان يلبسها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاصرها * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وقال آخر: لا تعجبوا من بلى غلائله * قد زر أزراره على القمر

وهذا ما قبله يستشهد بهما على أن نور القمر يبلى ثياب الكتان كما قاله حذاق الحكماء لاسيما إذا طرحت الثياب فى الماء عند اجتماع النيرين الشمس والقمر فإنها تبلى سريعا فى غير وقتها واجتماعهما من الخامس والعشرين إلى الثلاثين ومن هنا يقال ثوب حام إذا تفصد سريعا وسببه ما ذكرناه وقد أشار إلى ذلك الرئيس ابن سينا فى أرجوزته بقوله:

لا تغسلن ثيابك الكتانا * ولا تصد فيها كذا الحيتانا
عند اجتماع النيرين تبلى * وذا صحيح فاتخذه أصلا

فينبغى الاحتراس على ثياب الكتاب من نور القمر ومن غسلها عند اجتماع النيرين كما ذكرناه (الحكم) قال أبو الفرج العجلى فى شرح الوجيز الماء الذى فى دود الثلج طهور والذى قاله يوافق قول القاضى حسين فيما تقدم فى الدود والمشهور على الألسنة أن الزلال الماء البارد كما تقدم عن الجوهرى وغيره ﴿الزماج﴾ كرمان طائر كان يقف بالمدينة فى الجاهلية على أطم ويقول شيئا لا يفهم وقيل كان يسقط فى مربد لبعض أهل المدينة فيأكل ثمره فيرمونه فيقتلونه ولم يأكل أحد من لحمه إلا مات قال الشاعر:

أعلى العهد أصبحت أم عمرو * ليت شعرى أم غالها الزماج

قاله ابن سيده وغيره ﴿الزمج﴾ مثال الخرد طائر معروف يصيد به الملوك الطير وأهل البزدرة يعدونه من خفاف الجوارح وذلك معروف فى عينه وحركته وشدة وثبه ويصفونه بالغدر وقلة الوفاء والألفة لكثافة طبعه وهو يقبل التعليم لكن بعد بطء ومن عادته أنه يصيد على وجه الأرض والمحمود من خلقه أن يكون لونه أحمر وهو أحد نوعى العقاب وسيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى قال الجواليقى الزمج جنس من الطير يصاد به وقال أبو حاتم إنه ذكر العقاب والجمع الزماج وقال الليث الزمج طائر دون العقاب حمرته غالبة تسميه العجم دوبر ادران وترجمته أنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه (وحكمه) تحريم الأكل كسائر الجوارح (الخواص) إدمان أكل لحم الزمج ينفع من خفقان القلب ومرارته إذا جعلت فى الأكحال نفعت من الغشاوة وظلمة البصر نفعا بليغا وزبله يزيل الكلف والنمش طلاء ﴿زمج الماء﴾ وهو الطائر الذى يسمى بمصر النورس وهو أبيض فى حد الحمام أو أكبر يعلو فى الجو ثم يزج نفسه فى الماء ويختلس

من سموم الهوام خاصة عيسى عليه الصلاة والسلام وأما الأشجار فنقلت إلى غير ذلك الموضع وسقيت من غير ذلك الماء فما أفادت شيئا ثم سقيت بها فزكت والله الموفق (بلوط) من أشجار الجبال قالوا إنها تثمر سنة بلوط وتثمر أخرى عفصا ﴿قلت﴾ إن صح هذا فإنها شبيهة بالأرنب والضبع والحدأة فى الحيوان فإنها تكون سنة ذكرا وسنة أنثى والله أعلم بصحة ذلك ورقها إن ألقى على حية لم تستطع أن تسعى قال ابن سينا ينفع من سم السهام وسموم الهوام ونزف الدم وقال غيره إذا نثر رماد البلوط عند أجحرة الجرذان أصابها الجرب ويقتل بعضها بعضا (تفاح) قال صاحب الفلاحة إذا أردت غرس تفاح فازرع حواليها العنصل فإن الدود لا يقع فى ثمرتها وإذا غرست تحتها الورد الأحمر يحمر ثمرتها قال ابن سينا عصارة ورق التفاح نافعة من السموم وزهرة شجرة التفاح تقوى الدماغ تقوية عجيبة قال ابن سينا إدمان أكل التفاح يورث أوجاع الأعصاب وخصوصا الربيعى وهو نافع من السموم وقال غيره تطلى رجل المنقرس بعصارته يسكن

منه السمك ولا يقع على الجيف ولا يأكل غير السمك (وحكمه) حل الأكل لكن حكى الرويانى عن الصيمرى أن طير الماء الأبيض حرام لخبث لحمه قال الرافعى والأصح أن جميع طير الماء حلال إلا اللقلق وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى باب اللام

﴿الزنبور﴾ الدبر وهى تؤنث والزنابير لغة فيها وربما سميت النحلة زنبورا والجمع الزنابير قال ابن خالويه فى كتاب ليس ليس أحد سمعته يذكر كنية الزنبور إلا أبا عمرو الزاهد فإنه قال كنيته أبو على وهو صنفان جبلى وسهلى فالجبلى يأوى الجبال ويعشش فى الشجر ولونه إلى السواد وبدء خلقه دود ثم يصير كذلك ويتخذ بيونا من تراب كبيوت النحل ويجعل لبيته أربعة أبواب لمهاب الرياح الأربع وله حمة يلسع بها وغذاؤه من الثمار والأزهار ويتميز ذكورها من أناثها بكبر الجثة والسهلى لونه أحمر ويتخذ عشه تحت الأرض ويخرج منه التراب كما يفعل النمل ويختفى فى الشتاء لأنه متى ظهر فيه هلك فهو ينام من البرد طول الشتاء كالميتة ولا يدخر القوت للشتاء بخلاف النمل فإذا جاء الربيع وقد صارت الزنابير من البرد وعدم القوت كالخشب اليابس نفخ الله تعالى فى تلك الجثث الحياة فتعيش مثل العام الأول وذلك دأبها ومن هذا النوع صنف مختلف اللون مستطيل الجسد فى طبعه الحرص والشره يطلب المطابخ ويأكل ما فيها من اللحوم ويطير منفردا ويسكن بطن الأرض والجدران وهذا الحيوان بأسره مقسوم من وسطه ولذلك لا يتنفس من جوفه ألبتة ومتى غمس فى الدهن سكنت حركته وإنما ذلك لضيق منافذه فإذا طرح فى الخل عاش وطار وقال الزمخشرى فى تفسير سورة الأعراف قد يجعل المتوقع الذى لابد منه بمنزلة الواقع ومنه ماروى أن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى دخل على أبيه وهو يبكى وهو إذ ذاك طفل فقال له ما يبكيك فقال لسعنى طائر كأنه ملتف فى بردى حبرة فقال حسان يابنى قلت الشعر ورب الكعبة أى ستقوله فجعل المتوقع كالواقع وما أحسن قول الأول :

وللزنبور والبازى جميعاً * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

وقد أجاد الشيخ زهير الدين بن عسكر قاضى السلامية بقوله :

فى زخرف القول تزيين لباطله * والحق قد يعتريه سوء تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وإن ذممت فقل قىء الزنابير
مدحا وذما وما غيرت من صفة * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

وقال شرف الدولة بن منقذ ملغزا فى الزنبور والنحل :

ومغردين ترنما فى مجلس * فنفاهما لأذاهما الأقوام
هذا يجود بما يجود بعكسه * هذا فيحمد ذا وذاك يلام

روى ابن أبى الدنيا عن أبى المختار التميمى قال حدثنى رجل قال خرجنا فى سفر ومعنا رجل يشتم أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فنهيناه فلم ينته فخرج يوما لبعض حاجاته فاجتمع عليه الزنابير فاستغاث فأغثناه فحملت علينا فتركناه فما أقلعت عنه حتى قطعته قطعاً قطعاً وكذلك رواه ابن سبع فى شفاء الصدور وزاد فحفرنا له قبرا فتصلبت الأرض فلم نقدر على حفرها فألقيناه على وجه الأرض وألقينا عليه من ورق الشجر والحجارة وجلس رجل من أصحابنا يبول فوقع على ذكره زنبور من تلك الزنابير فلم يضره فعلمنا أن تلك الزنابير كانت مأمورة قال يحيى بن معين كان يعلى بن منصور الرازى من كبار علماء بغداد روى عن مالك والليث وغيرهما

أردت أن تبقى التفاح زمانا طويلا لففتها فى ورق التين أو ورق الجوز وتركتها تحت الأرض أو وسط الطين تبقى مدة طويلة والله أعلم (تنوب) شجرة عظيمة جدا منابتها جبال ذروة الروم يوجد منها أجود القطران قال ابن سينا ورقها يوضع على الجراحات الطرية يمنع فسادها وخشبها بالخل نافع لوجع الأسنان ويقال لحبه قضيم قريش وهو يعين على التعب من الصداع وصمغه عظيم النفع للسعال المزمن والزفت البرى سيال شجرته يقلع بياض الأظفار وينفع من شقاق القدم طلاء وينبت الشعر فى داء الثعلب ضماد أو دخان الزفت يحبس أهداب العين وينبت الأشعار ويقوى البصر كل ذلك عن ابن سينا والله الموفق (توت) شجرة من أعز الشجر لأن دود القز لا يأكل إلا من شجره وورقه قال صاحب الفلاحة إذا زرعت تحت شجرة التوت العنصل يقوى ويكثر نماؤه وقال ابن سينا يطبخ ورق التوت الحلو وورق الكرم وورق التين الأسود بماء المطر لتسويد الشعر وقال غيره ورق التوت الحامض ينفع لوجع السن والتوت

الأسود يوضع على لسع العقرب يسكن وجعه فى الحال وقشر التوت يؤكل مع الترنجبين ينقى البطن والبدن عن

حب القرع ( تين ) قال صاحب الفلاحة إذا أردت غرسه فاجعله فى ماء الملح يوما ثم اجعله تحت خثى البقر ثم اغرسه فإن طعم ثمرته يطيب جدا وإذا سقيتها بماء الزيتون لايسقط من ثمرتها شىء وإذا غسلت ورق التين بالماء الحار هلك جميعا قال ابن سينا خشبها ينفع من لسع الرتيلا سقيا ومسحا ودخان خشبها إذا أصاب صاحب الأدرة لايملك نفسه من وجع المثانة والخصية ولبن عيدانها إن قطر على موضع اللسعة لم يسر سمها فى الجسد وقضبانها تهرى اللحم إذا طبخ معها وعصارتها قبل أن تورق تنفع إذا جعلت على السن المتأكلة قال صاحب الفلاحة إذا نثرت رماد خشب التين فى البساتين هلك ديدانها قال ابن سينا يجعل ورق شجر التين طريا مع الفج من ثمرتها على عضة الكلب فإنه ينفع وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه الثمرة أقسم الله تعالى بها لأنها تشبه ثمار الجنة لكونها على قدر اللقمة وخلوها عن العجم والنوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واحضر عنده

قال فبينما هو يصلى يوما إذ وقع عليه كور الزنابير فما التفت ولا تحرك حتى أتم صلاته فنظروا فاذا رأسه قد صارت هكذا من شدة الانتفاخ (الحكم) يحرم أكله لاستخبائه ويستحب قتله لما روى ابن عدى فى ترجمة مسلمة بن على عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال من قتل زنبورا اكتسب ثلاث حسنات لكن يكره إحراق بيوتها بالنار قاله الخطابى فى معالم السنن وسئل الإمام أحمد عن تدخين بيوت الزنابير فقال إذا خشى أذاها فلا بأس به وهو أحب إلى من تحريقها ولا يصح بيعها لأنها من الحشرات (الخواص) إذا طرح الزنبور فى الزيت مات فإن طرح فى الخل عاش كما تقدم وفراخ الزنابير تؤخذ من أوكارها وتغلى فى الزيت ويطرح عليها سذاب وكراويا وتؤكل تزيد فى الباه وشهوة الجماع وقال عبد الملك بن زهر عصارة الملوخيا إذا طليت على لسعة الزنبور أبرأتها (التعبير) الزنبور فى المنام عدو محارب وربما دل على البناء والنقاب والمهندس وعلى قاطع الطريق وذى الكسب الحرام وعلى المطرب الخارج الضرب وربما دلت رؤيته على أكل السموم أو شربها وقيل تدل رؤيته على رجل مخاصم مهيب ثابت فى القتال سفيه خبيث المأكل والزنابير إذا دخلت مكانا فانها جنود لهم هيبة وسرعة وشجاعة يحاربون الناس جهارا وقيل الزنبور رجل مجادل بالباطل وهو من الممسوخ وقالت اليهود الزنبور والغراب يدل على المقامرين وسفاكى الدماء وقيل الزنابير فى المنام قوم لارحمة لهم والله أعلم

﴿ الزندبيل ﴾ الفيل الكبير أنشد يحيى بن معين :

وجاءت قريش قريش البطاح * الينا هم الدول الجالية

يقودهم الفيل والزندبيل * وذو الضرس والشفة العالية

الزندبيل كبير الفيلة وقال يحيى أراد بالفيل والزندبيل عبد الملك وأبان ابنى بشر بن مروان قتلا مع ابن هبيرة الأصغر وأراد بذى الضرس والشفة العالية خالد بن مسلمة المخزومى المعروف بالفأفاء الكوفى روى له مسلم والأربعة وروى عن الشعبى وطبقته وروى عنه شعبة بن الحجاج والسفيانان وكان مرجئا يبغض عليا رضى الله تعالى عنه أخذ مع ابن هبيرة فقطع أبو جعفر المنصور لسانه ثم قتله ﴿ الزهدم ﴾ بزاى مفتوحه ثم هاء ساكنة ثم دال مهملة مفتوحة الصقر ويقال فرخ البازى وبه سمى زهدم بن مضرب الجرمى روى له البخارى ومسلم والترمذى والنسائى والزهدمان اخوان من بنى عبس زهدم وكردم وفيهما يقول قيس بن زهير

جزانى الزهدمان جزاء سوء * وكنت المرء يجزى بالكرامة

﴿ أبو زريق ﴾ القيق الآتى ذكره فى باب القاف إن شاء الله تعالى والزرياب المتقدم قبل بورقة وهو ألوف للناس يقبل التعليم سريع الإدراك لما يعلم وربما زاد على المبيغاء وذلك أنه أنجب وإذا تعلم جاء بالحروف مبينة حتى لايشك سامعه أنه إنسان وقد تقدم ذكره فى الزرياب (وحكمه) حل الأكل لعدم استخبائه لكن قيل إنه متولد من الشقراق والغراب فعلى هذا يتخرج فيه وجه بالتحريم ولم يذكروه ﴿ أبو زيدان ﴾ ضرب من الطير ﴿ أبو زياد ﴾ الحمار قال الشاعر

زياد لست أدرى من أبوه * ولكن الحمار أبو زياد

وأبو زياد أيضا الذكر قال الشاعر

تحاول أن تقيم أبا زياد * ودون قيامه شيب الغراب

وهو الزهدباج أيضا قاله فى المرصع

﴿باب السين المهملة﴾

﴿سابوط﴾ دابة من دواب البحر قاله ابن سيده وغيره ﴿ساق حر﴾ هو بالسين المهملة وبالقاف بينهما ألف وحر بالحاء والراء المهملتين الورشان وهو ذكر القمارى لا يختلفون فى ذلك قال الكميت :

تغريد ساق على ساق يجاوبها * من الهواتف ذات الطوق والعطل

عنى بالأول الورشان وبالثانى ساق الشجرة وقال حميد بن ثور الهلالى :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة * دعت ساق حر نزهة وترنما
مطوقة غراء تسجع كلما * دنا الصيف وانحال الربيع فأنجما
محلاة طوق لم تكن من تميمة * ولا ضرب صواغ بكفيه درهما
تغنت على غصن عشاء فلم ندع * لنائحة من نوحها متألما
إذا حركته الريح أو مال ميلة * تغنت عليه مائلا ومقوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحا ولم تشغر بمنطقها فما
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا هاجه صوت أعجما

قال ابن سيده إنما سمى ذكر القمارى ساق حر لحكاية صوته فإنه يقول ساق حر ساق حر ولذلك لم يعرب ولو أعرب لصرف فيقال ساق حر إن كان مضافا وساق حر إن كان مركبا فتصرفه لأنه نكرة فترك إعرابه دليل على أنه حكى الصوت بعينه وهو صياحه وقد يضاف أوله إلى آخره وذلك كقولهم خازباز لأنه فى اللفظ أشبه بباب دار انتهى والنزهة الشوق والترنم الغناء وهما مصدران واقعان موقع الحال من الضمير الفاعل فى دعت ساق حر الواقع فى موضع الصفة لحمامة وسيأتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى فى القمرى .

﴿الساخ﴾ الأسود من الحيات وقد تقدم ذكره فى الأفعى فى باب الهمزة .

﴿سام أبرص﴾ بتشديد الميم قال أهل اللغة وهو من كبار الوزغ وهو معرفة إلا أنه تعريف جنس وهما اسمان جعلا واحدا ويجوز فيه وجهان أحدهما أن تبنيهما على الفتح كخمسة عشر والثانى أن تعرب الأول وتضيفه إلى الثانى مفتوحا لكونه لا ينصرف ولا يثنى ولا يجمع على هذا اللفظ بل تقول فى التثنية هذان ساما أبرص وفى الجمع هؤلاء سوام أبرص وإن شئت قلت هؤلاء السوام ولا تذكر أبرص وإن شئت قلت هؤلاء البرصة والأبارص ولا تذكر سام قال الشاعر :

والله لو كنت لهذا خالصا * ما كنت عبدا آكل الأبارصا

ولك على الثانى أن تقول أبرصان وأبارص كما صنع الشاعر فإنه جمع على الثانى وإنما سمى هذا النوع بسام أبرص لأنه سم أى جعل الله فيه السم وجعله أبرص وسيأتى فى باب الواو إن شاء الله تعالى فى ذكر الوزغ ومن شأن هذا الحيوان أنه إذا تمكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص (وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره وللأمر بقتله وعدم جواز بيعه كسائر الحيوانات التى لا منفعة لها والله أعلم (الخواص) دمه إذا طلى به داء الثعلب أنبت الشعر وكبده يسكن وجع الضرس ولحمه يوضع على لسعة العقرب ينفعها وجلده يوضع موضع الفتق يذهبه وهو لا يدخل بيتا فيه رائحة الزعفران (التعبير) سام أبرص والعظاية فى التأويل فاسقان يمشيان بالنميمة وقال أرطاميدورس سام أبرص يدل على فقر وهم والله أعلم .

﴿السانح﴾ ما والاك ميامنه من ظبى أو طائر أو غيرهما تقول سنح الظبى لى سنوحا إذا مر من مياسرك إلى ميامنك .

الفج منه يضمد به الخيلان والثآليل والبهق يقلعها والمداومة على أكله تصلح اللون الفاسد وهو يسمن سمنا سريع التحلل ويعمل جدا وينفع أكله رطبا ويابسا من الصرع ويطلى بلبنه الدمامبل ينضجها ويقطر على الثآليل يقلعها وعلى الجراحة التى عليها لحم فاسد ينقيها ولبن التين مع العسل ينفع من الغشاوة ويقطع شهوة الطعام وينفع من لدغ العقرب قال محمد بن زكريا دخان التين يهرب منه البق والحرحس (جميز) شجرة عظيمة شبه شجر التين ورقها كورق التوت تثمر فى السنة ثلاث مرات أو أربع ولا يخرج ثمرها من فروع الأغصان كسائر الأشجار بل يخرج من ساقها وورقها يقلع آثار الوشم إذا طلى بعصارته مرارا وتضمد به الخنازير يحللها وثمرتها تلصق الجراحات وتحلل الأورام وتنفع من النهوش أكلا وطلاء (جوز) من الأشجار التى لا تنبت إلا بالبلاد الباردة قال صاحب الفلاحة إذا أردت أن تفتت قشر الجوز باليد فخذ جوزة واتركها فى بول صبى غير

مدرك خمسة أيام ثم ازرعها وانثر عليها الرماد وإن شئت خذ جوزة

وقشرها بحيث لايصيب اللب خدش ثم ضعها فى كاغد أو خرقة أو ورقة من كرم أو دلب ثم ازرعها وانثر عليها الرماد فإنها تثمر جوزاً وقشرها كالكاغد وقال إذا وصلت الجوز بشىء من الأشجار لايعلق إلا بالفستق فإنها تعلق بها وتكون لها ثمرة عجيبة وقال ابن سينا الجوز الرطب ضماد لآثار الضربة يزيلها ولبه مصدع يثقل اللسان والإكثار منه يسهل الديدان وحب القرع وإذا فتت الجوزة وألقيتها فى القدر التى ينبت منها الدخان التقطت التين منها ولو ألقيت تلك الجوزة فى الزيت لم يتغير ولو بقى سنة وإذا أحرق قشرها يجفف القروح تجفيفاً جيداً لالذع فيه والجوز المحرق بقشره يسود الشعر (خسرودار) شجرة عظيمة جداً خشبها خولنجان قال ابن سينا ينفع من القولنج ويزيد فى الباه ويطيب النكهة (خروع) إذا جف حبه فى أكمامه تصدعت عنه وتحذف به الغصن فربما وقعت على أكثر من قاب رمح حبها ينفع من القولنج والفالج واللقوة وقدر مايؤكل منه عشر حبات مقشورة وذكر بليناس فى كتاب الخواص إن دهن الخروع إذا مسحت به رأس الديك لايصيح البتة (خلاف) شجرة الصفصاف خشبها

والعرب تتيمن بالسانح وتتشاءم بالبارح وفى المثل من لى بالسانح بعد البارح قال ابو عبيدة سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح فقال السانح ماوالاك ميامنه والبارح ماوالاك مياسره وكان ذلك يصد الناس عن مقاصدهم فنفاه النبى ﷺ بالنهى عن الطيرة وأخبر أنه لاتأثير له فى جلب نفع ولادفع ضر قال لبيد :

لعمرك ماتدرى الطوارق بالحصا * ولا زاجرات الطير ماالله صانع

والطيرة سيأتى الكلام عليها إن شاء الله تعالى فى الطير واللفحة فى باب الطاء المهملة واللام .

﴿السبد﴾ بضم السين وفتح الباء طائر لين الريش إذا قطرت عليه قطرة من ماء جرت عليه من لينه وجمعه سبدان قال الراجز :

أكل يوم عرشها مقيلى * حتى ترى المئزر ذا الفضول * مثل جناح السبد الغسيل

والعرب تشبه الفرس به إذا عرق قال طفيل العامرى * كأنه سبد بالماء مغسول * ولم أر لأصحابنا فى حكمه كلاما .

﴿السبع﴾ بضم الباء وإسكانها الحيوان المفترس والجمع أسبع وسباع وأرض مسبعة أى كثيرة السباع قرأ الحسن وابن حيوة وما أكل السبع بإسكان الباء وهى لغة لأهل نجد قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه فى عتيبة بن أبى لهب :

من يرجع العام إلى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

وقرأ ابن مسعود وأكيلة السبع وقرأ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأكيل السبع قيل سمى سبعا لأنه يمكث فى بطن أمه سبعة أشهر ولا تلد الأنثى أكثر من سبعة أولاد ولا ينزو الذكر على الأنثى إلا بعد سبع سنين من عمره قال أبو عبد الله ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا فى باب الغين المعجمة والباء الموحدة الغابة موضع بينه وبين المدينة أربعة أميال من ناحية الشام له ذكر فى غزوات النبى ﷺ وفدت إليه فيه السباع تسأله أن يفرض لها ما تأكله وفى طبقات ابن سعد عن عبد الله بن حنطب قال بينما النبى ﷺ جالس بالمدينة إذ أقبل ذئب فوقف بين يديه وعوى فقال ﷺ هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن تفرضوا له شيئا لايعدوه إلى غيره وإن أحببتم تركتموه ونحرزتم منه فما أخذ فهو رزقه فقالوا يارسول الله ماتطيب أنفسنا له بشىء فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أى خالسهم فولى وقد تقدم فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذئب طرف من ذلك ووادى السباع بطريق الرقة مر به وائل بن قاسط على أسماء بنت رويم فهم بها حين رآها منفردة فى الخباء فقالت والله لئن هممت بى لأدعون أسبعى فقال ما أرى فى الوادى سواك فصاحت ببنيها ياكلب ياذئب يافهد يادب ياسرحان ياأسد ياسبع ياضبع يانمر فجاؤا يتعادون بالسيوف فقال ماهذا إلا وادى السباع وفى الصحيحين نهى رسول الله ﷺ أن يفترش المصلى ذراعيه افتراش السبع وروى الترمذى والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله يحدثه بما أحدث أهله من بعده ثم قال حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من حديث القاسم بن الفاضل وهو ثقة عند أهل الحديث وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى

﴿فائدة﴾ سئل رسول الله ﷺ أنتوضأ بما أفضلت الحمر قال وبما أفضلت السباع خرجه الدارقطنى قال السهيلى يريد نعم وبما أفضلت السباع قال ومثله قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم قالوا إنها واو الثمانية وليس كذلك بل تدل على تصديق القائلين بأنهم سبعة لأنها عاطفة على كلام مضمر مصدق تقديره نعم وثامنهم كلبهم كما إذا قال قائل زيد شاعر فقلت له وفقيه

أيضا أى نعم وفيه أيضا وفى التنزيل وارزق أهله من الثمرات الآية قال الزمخشرى هذه الواو آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا ذلك عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كغيرهم انتهى وحكى القشيرى فى أوائل الرسالة عن بنان الجمال وكان عظيم الشأن صاحب كرامات أنه ألقى بين يدى سبع فجعل السبع يشمه ولا يضره فلما خرج قيل له ما الذى كان فى قلبك حين شمك السبع قال كنت أتفكر فى اختلاف العلماء فى سؤر السبع قيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى رضى الله تعالى عنهما فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان أما ترى هذا السبع فقال لا تخف ثم أخذ شيبان أذنه فعركها فبصبص وحرك ذنبه فقال سفيان ما هذه الشهرة فقال لو لا مخافة الشهرة لوضعت زادى على ظهره حتى آتى مكة وذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية قال كان شيبان الراعى إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فتجىء سحابة فتظله فيغتسل منها ثم تذهب وكان إذا ذهب للجمعة خط حول غنمه خطا فإذا جاء وجدها على حالها لم تتحرك وذكر أبو الفرج بن الجوزى وغيره أن الإمام أحمد والشافعى مرا يوما بشيبان الراعى فقال الإمام أحمد لأسألن هذا الراعى وأنظر جوابه فقال له الشافعى لا تتعرض له فقال لابد من ذلك فقال له يا شيبان ما تقول فيمن صلى أربع ركعات فسها فى أربع سجدات ماذا يلزمه قال له على مذهبنا أم على مذهبكم قال أهما مذهبان قال نعم أما عندكم فيلزمه أن يصلى ركعتين ويسجد للسهو وأما عندنا فهذا رجل مقسم القلب يجب أن يعاقب قلبه حتى لا يعود قال فما تقول فيمن ملك أربعين شاة وحال عليها الحول ماذا يلزمه قال يلزمه عندكم شاة وأما عندنا فالعبد لا يملك شيئا مع سيده فغشى على الإمام أحمد فلما أفاق انصرفا انتهى ﴿قلت﴾ وقد ذهب جماعة من علماء الآخرة إلى أن من سها فسدت صلاته أخذا بقوله ﷺ ليس للمرء من صلاته إلا ما عقله منها فعلا ولفظا قالوا ولا تفسد الصلاة إلا بترك واجب وإلا فأى معنى للركوع والسجود والمقصود منهما التعظيم والحضور لا الغفلة والذهول وهو حسن وإنما أفتت العلماء رضى الله تعالى عنهم بصحة الصلاة بذلك لعجزهم عن الإطلاع على أسرار القلوب وسلموها إلى أربابها ليستفتوا نفوسهم ليدفع الفقهاء كيد الشيطان وشقشقته عمن يقول لا إله إلا الله وليقيموا الصلاة ولم يفتوا بأن ذلك نافع لهم فى الآخرة ما لم يطابق عليه القلب اللسان مع الإخلاص لله والإخلاص لله واجب فى سائر الأعمال والإخلاص هو ما صفا عن الكدر وخلص من الشوائب قال تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا فكما أن خلوص اللبن من الفرث والدم فكذلك إخلاص الأعمال من الرياء وحظوظ النفس جميعا وقد تكلمت على ذلك كلاما طويلا فى الجوهر الفريد فلينظر هناك وبالله التوفيق ورأيت فى بعض المجاميع أن الشافعى رضى الله تعالى عنه كان يجلس إلى شيبان الراعى ويسأله عن مسائل فقيل له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول لهم هذا وفق لما علمناه وكان شيبان أميا وإذا كان محل الأمى منهم من العلم هكذا فما ظنك بأئمتهم وقد كان الأئمة المجتهدون كالشافعى وغيره رضى الله تعالى عنهم يعترفون بوفور فضل علماء الباطن وقد قال الإمامان الجليلان الشافعى وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنهما إذا لم يكن العلماء أولياء الله تعالى فليس لله ولىّ وقد حكى غير واحد من الحفاظ أن أبا العباس بن شريح كان إذا أعجب الحاضرين ما يبديه لهم من العلوم يقول لهم أتدرون من أين لى هذا إنما حصل من بركة مجالستى أبا القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه وكان من دعاء شيبان ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعالا لما يريد أسألك بعزك الذى لا يرام وبملكك الذى لا يزول وبنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك وبقدرتك التى قدرت بها على جميع خلقك أن تكفينى شر

خفيف جدا يتخذ منه الصوائح ورقها على شكل الخنجر يقوى الدماغ ويرطبه ويجعل فى فراش من ضربه السموم ينفعه قال ابن سينا إذا ضمد به رطبا منع نزف الدم ورماد ورقه مع الخل يقطع الثآليل والنملة وفقاحها طيب الرائحة جدا ويقوى الدماغ وماؤه يسكن للصداع (خوخ) قال صاحب الفلاحة إذا أردت أن يحمر الخوخ غاية الحمرة فخذ النواة التى تنشق بنفسها واجعل فى شقها شيئا من الزنجفر وضع اللحم فيها ولا تنقها عن اللحم واترك لحمها عليها فإنها تثمر خوخا شديد الحمرة وإذا نقشت فى باطن النواة نقشا بالسكين أو كتابة يكون ذلك فى جميع أفرادثمرتها وإذا أخذت النوى وأخرجت ما فى جوفه من الأصل الذى يشرب به بحيث لا ينفسد شىء من عيونه وغرسته فإذا أدرك لا يكون لثمرة تلك الشجرة نوى دون عظم وورق الخوخ يقطع رائحة الثوم وإذا طلى به السرة قتل ديدان البطن (دار سيشعان) شجرة كبيرة ذات شوك كثير قال إذا رميت فى الماء الذى فيه التمساح تجتمع عليها التماسيح قال ابن سينا هو جيد لنتن الأنف إذا اتخذ فتيلة وتمضمض بطبيخه حفظ الأسنان وإذا احتمل خرج الجنين (دردار) شجرة

الظالمين اجمعين وقد ذكر بعضهم قصيدة ذكر فيها اسماء جماعة من الاولياء قدس الله أسرارهم فمنها

شيبان قد كان راعى * وسر سره ما اختفى
فاجهد وخل الدعاوى * إن كان لك شيء بان

وفى الرسالة فى باب كرامات الأولياء أن سهل بن عبد الله التسترى كان فى داره بيت تسميه الناس بيت السباع كانت السباع تجيء اليه فيدخلهم ذلك البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخلى سبيلهم * فى كفاية المعتقد فى ذكر ما زوى لهم من الأرض من غيره حركة وهو أفضل من الطيران فى الهواء والمشى على الماء عن سهل بن عبد الله التسترى قد توضأت يوم جمعة ومضيت إلى الجامع وذلك فى أيام البداية فوجدته قد امتلأ بالناس وقد هم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الأدب ولم أزل أتخطى رقاب الناس حتى وصلت إلى الصف الأول فجلست وإذا عن يمينى شاب حسن المنظر طيب الرائحة عليه أطمار الصوف فلما نظر إلىّ قال كيف تجدك ياسهل قلت بخير أصلحك الله وبقيت مفكراً فى معرفته لى وأنا لم أعرفه فبينما أنا كذلك إذ أخذنى حرقان بول فأكربنى فبقيت على وجل خوفا أن أتخطى رقاب الناس وإن جلست لم يكن لى صلاة فالتفت إلىّ وقال ياسهل أخذك حرقان بول فقلت أجل فنزع حرامه عن منكبيه فغشانى به ثم قال اقض حاجتك وأسرع لتلحق الصلاة قال فأغمى علىّ فلما فتحت عينى إذا بباب مفتوح فسمعت قائلا يقول لج الباب يرحمك الله فولجت فإذا أنا بقصر مشيد عالى البنيان شامخ الأركان وإذا بنخلة قائمة وإلى جانبها مطهرة مملوءة ماء أحلى من الشهد ومنزل لإراقة الماء ومنشفة معلقة وسواك فخللت لباسى وأرقت الماء ثم اغتسلت وتنشفت بالمنشفة فسمعت مناديا ياسهل إن كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الحرام عنى فإذا أنا جالس مكانى ولم يشعر بى أحد فبقيت مفكرا فى نفسى وأنا مكذب نفسى فيما جرى فقامت الصلاة فصليت ولم يكن لى شغل إلا الفتى لأعرفه فلما فرغت تتبعت أثره فإذا به قد دخل إلى درب فالتفت إلىّ وقال ياسهل كأنك ما أيقنت بما رأيت قلت كلا قال فلج الباب يرحمك الله فنظرت الباب بعينه فولجت القصر فنظرت المطهرة والنخلة والحال بعينه فمسحت عينى وفتحتهما فلم أجد الفتى ولا القصر وإنما ذكرت هذه الحكاية لأنها من جملة العجائب عند غير هذه الطائفة ولا يكاد يؤمن بها كثير من الناس ولها احتمالات منها أنه يحتمل أنه نقل من مكانه لما أغمى عليه إلى حيث شاء الله من غير شعور منه ثم أعيد إلى مكانه لطفا من الله تعالى وكرامة لأوليائه قال شيخنا اليافعى رحمه الله ومن المحكى عن سهل رضى الله تعالى عنه أيضا أن أمير خراسان يعقوب بن الليث أصابته علة أعيت الأطباء فقيل له فى ولايتك رجل صالح يقال له سهل بن عبد الله ولو استحضرته ليدعو لك رجونا لك العافية فأحضره وسأله الدعاء فقال كيف يستجاب دعائى لك وأنت مقيم على الظلم فنوى يعقوب التوبة والرجوع عن المظالم وحسن السيرة فى الرعية وأطلق من فى سجنه من المظلومين فقال سهل اللهم كما أريته ذل المعصية فأره عز الطاعة وفرج عنه فنهض كأنما نشط من عقال وعوفى من ساعته فعرض على سهل مالا جزيلا فأبى قبوله فلما رجع إلى تستر قيل له بأثناء الطريق لو قبلت المال الذى عرض عليك وفرقته على الفقراء فنظر إلى الحصباء فإذا هى جواهر فقال خذوا ما أردتم ثم قال من أعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث. ونظير ذلك من قلب الأعيان ماروى عن الشيخ عيسى الهتار وهو بكسر الهاء وتخفيف التاء المثناة فوق أنه مر على امرأة بغى فقال لها بعد العشاء آتيك ففرحت بذلك وتزينت فلما كان بعد العشاء دخل عليها البيت

البق وهى شجرة كبيرة البق ماشاء الله ولقد كسرت قمعا من أقماعها على الشجرة فكان مجوفاً فإذا شحم وعلى شحمها شبه بذر الرمان مالا يعد ولا يحصى فمنها ماخلق الله تعالى فيه الروح يتحرك ومنها مالم يخلق بعد ومنها مانبت له جناحان ورقها يؤكل كالبقول وطريها يلصق الجراحات ويقوى العظام الواهية المكسورة فيصلحها إذا ضمدت به قال ابن سينا ورقها يطلى به العظام المكسورة يصلحها وأقماعها تجلو الوجه طلاء وقشرها رطبا بالخل يجلو البرص ويصلح الجراحات

(دلب) من أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاها فإذا طالت مدتها تفتت جوفها ويبقى ساقها مجوفاً ورقها تهرب منه الخنافس وبعض الطيور يجعلها فى أوكارها لدفع الخنافس فلعلها تهرب منها فإذا غسل وطبخ وضمد به حبس النوازل عن العين وقشرها مطبوخا بالخل ينفع من حرق النار ووجع الأسنان وثمرتها يقال لها جوز السرو مع الشحم ضماداً جيداً لنهش الهوام والله الموفق للصواب

(دهمشت) هو شجر القار شجر حار ورقه كورق الآس إلا أنه أكبر فى ثمرته حمرة وينبت فى مواضع

فصلى ركعتين ثم خرج فقالت أراك خرجت قال حصل المقصود فورد عليها واراد ازعجها عما كانت عليه فخرجت بعد الشيخ وتابت على يده فزوجها بعض الفقراء وقال اعملوا الوليمة عصيدة ولا تشتروا لها إداما ففعلوا ذلك وأحضروه وحضر الفقراء والشيخ كالمنتظر لشيء يؤتى به فوصل الخبر إلى أمير كان رفيقا لتلك المرأة فأخرج قارورتين مملوءتين خمرا وأرسل بهما إلى الشيخ وأراد بذلك الاستهزاء وقال للرسول قل للشيخ قد سرني ما سمعت وبلغني أن ما عندكم إدام فخذوا هذا فائتدموا به فلما أقبل الرسول قال له الشيخ أبطأت ثم تناول إحداهما فخضها ثم صب منها عسلا مصفى ثم فعل كذلك بالأخرى وصب منها سمنا عربيا وقال للرسول اجلس فكل فأكل فطعم سمنا وعسلا لم ير مثلهما طعما ولونا وريحا فرجع الرسول وأخبر الأمير بذلك فجاء الأمير فأكل وتحير مما رأى وتاب على يد الشيخ ويشبه هذا ماحكى عن بعضهم أنه قال بينما أنا أسير فى فلاة من الأرض إذ برجل يدور بشجرة شوك ويأكل منها رطبا جنيا فسلمت عليه فرد على السلام وقال تقدم فكل قال فتقدمت إلى الشجرة فصرت كلما أخذت منها رطبا عاد شوكا فتبسم الرجل وقال هيهات لو أطعمتك فى الخلوات أطعمك الرطب فى الفلوات وحكاياتهم فى مثل هذا كثيرة وإنما نبهت على قطرة من بحار عميقة وعلى الجملة فالدنيا تتصور لهم فى صورة عجوز تخدمهم كما سيأتى إن شاء الله تعالى قريبا فى هذا الباب والرجوع فى ذلك كله إلى أصل يجب الإيمان به وهو أن الله على كل شيء قدير وليس الخرق للعوائد بمستحيل فى العقل وبالله التوفيق (وحكى) عن الشيخ أبى الغيث اليمنى رضى الله تعالى عنه أنه خرج يوما يحتطب فبينما هو يجمع الحطب إذ جاء السبع وافترس حماره فقال له وعزة المعبود ما أحمل حطبى إلا على ظهرك فخضع له السبع فحمل الحطب على ظهره وساقه إلى البلد ثم حط عنه وخلاه ونقل أن شعوانة رزقت ولدا فربته أحسن تربية فلما كبر ونشأ قال لها يا أماه سألتك بالله إلا ما وهبتنى لله فقالت له يا بنى أنه لا يصلح أن يهدى للملوك إلا أهل الأدب والتقى وأنت يا ولدى غمر لا تعرف ما يراد بك ولم يأن لك ذلك فأمسك عنها فلما كان ذات يوم خرج إلى الجبل ليحتطب ومعه دابة فنزل عنها وربطها وذهب فجمع الحطب ورجع فوجد السبع قد افترسها فجعل يده فى رقبة السبع وقال له يا كلب الله تأكل دابتى وحق سيدى لأحملنك الحطب كما تعديت على دابتى فحمل على ظهره الحطب وهو طائع لأمره حتى وصل به إلى دار أمه فقرع عليها الباب ففتحت له وقالت لما رأت ذلك يا بنى أما الآن فقد صلحت لخدمة الملك اذهب لله عز وجل فودعها وذهب وروى صاحب مناقب الأبرار عن شاه الكرمانى أنه خرج إلى الصيد وهو ملك كرمان فأمعن فى الطلب حتى وقع فى برية مقفرة وحده فإذا شاب راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأته السباع ابتدرت نحوه فنحاها الشاب عنه فبينما هو كذلك إذ أقبلت عجوز بيدها شربة ماء فناولتها الشاب فشرب ودفع باقيه إلى شاه فشرب وقال ما شربت شيئا ألذ منه ولا أعذب ثم غابت العجوز فقال الشاب هذه الدنيا وكلها الله تعالى بخدمتى فما احتجت إلى شيء إلا أحضرته إلى حين يخطر ببالى فعجب شاه من ذلك فقال له أبلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ثم وعظه وعظا حسنا فكان ذلك سبب توبته وفى الإحياء فى عجائب القلب عن إبراهيم الرقى قال قصدت أبا الخير الديلمى التينانى مسلما عليه فصلى صلاة المغرب ولم يقرأ الفاتحة مستويا فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى فلما أصبح الصباح خرجت إلى الطهارة فقصدنى السبع فعدت إليه وقلت إن السبع قد قصدنى فخرج وصاح على الأسد وقال ألم أقل لك لا تتعرض لأضيافى فتنحى الأسد فتطهرت فلما

جبلية ولها حب على شكل البندق الصغار عليها قشور سود قال صاحب الفلاحة إذا طرحت فى الأرض غصنا من أغصان دهمشت أصابته كل آفة تتوجه نحو تلك الأرض ويسلم ما سواه من الآفات وورقه ينفع من الفالج واللقوة والقولنج وإذا نثر ورقه على الشعير وخلطته به يبقى زمانا طويلا لا يفسد وإذا طحن ومرخ به البدن لا يقربه الذباب والطرى منه ضمادا جيدا للسلع النحل والزنابير وهو ترياق للسموم كلها دهنه يحلل الصداع والطنين (رمان) من الأشجار التى لا تقوى إلا فى البلاد الحارة قال صاحب الفلاحة إذا غرست حول الرمان الآس يكثر ثمرتها وإذا دفنت نوى التمر مع الملح تحت شجرة الرمان يفسد وإذا أردت أن لا يكون فى الرمان عجم شق عن أسافل قضبانه عند الغرس ونق أجوافها عن مخها واضمم بعضها إلى بعض وأربطها بشيء من الحشيش وأغرسها فإنها إذا نبتت ولا يكون فيها شيء من العجم وإن أردت أن يحمر لونها فاخلط رماد الحمام بالماء وصبه فى أصل شجرتها فإنه تشتد حمرة حبها وإن أردت أن يحلو الرمان الحامض فنح التراب عن

أصل شجرتها واطل عروقها بجعور الخنازير وأنضحها بأبوال الناس ثم أعد التراب عليها كما كانت وقال أيضا تأخذ الرمانة من شجرة وتعد حبتها فتكون جميع حبات رمان تلك الشجرة بذلك العدد وقال كذلك تعد شرفات قمع الرمانة فإن كان زوجا فعدد حباتها زوج وإن كان فردا فعدد حباتها فرد خشبها يهرب منه أكثر الحشرات ولذلك يأخذه بعض الطيور ويتركه فى عشه حتى لا يقرب عشه الهوام وقال ابن سينا قضبان الرمان عجيبة لطرد الهوام وكذلك دخان خشبه وقال محمد بن زكريا دخان خشب الرمان يطرد الحيات وأكثر الهوام وقال غيره من ضرب بخشب الرمان وأصابه من الضرب جراحة لا يصح إلا إذا وضع عليه لحم الفرس الأشهب زهرها يقال له الجلنار قد يكون أحمر وقد يكون أبيض (قال) ابن سينا إنه جيد للثة الدامية ويقوى الأسنان المتحركة ومانع لنفث الدم ثمرتها عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما نفجت رمانة قط إلا بقطرة من ماء الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه إذا

رجعت قال أنتم اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد ونحن اشتغلنا بتقويم الباطن فخافنا الأسد وقد أنشدنا شيخنا الإمام العلامة جمال الدين بن عبد الله بن أسد اليافعى لنفسه

هم الأسد ما الأسد الأسود تهابهم * وما النمر ما أظفار فهد ونابه
وما الرمى بالنشاب ما الطعن بالقنا * وما الضرب بالماضى الكمى ماذبابه
لهم همم للقاطعات قواطع * لهم قلب أعيان المراد انقلابه
لهم كل شىء طائع ومسخر * فلا قط يعصيهم بل الطوع دابه
من الله خافوا لا سواه فخافهم * سواه جمادات الورى ودوابه
لقد شمروا فى نيل كل عزيزة * ومكرمة مما يطول حسابه
إلى أن جنوا ثمر الهوى بعد ماجنى * عليهم وصار الحب عذبا عذابه

وفى الخبر قيل أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام يا داود خفنى كما تخاف السبع الضارى معناه خفنى لأوصافى المخوفة من العزة والعظمة والكبرياء والجبروت والقهر وشدة البطش ونفوذ الأمر كما تخاف السبع الضارى لشدة بدنه وعبوسة وجهه وشبوك أنيابه وقوة براثنه وجراءة قلبه وسرعة غضبه وبغتات وثبه وفظيع بطشه ودواعى ضراوته فمن خافنى لا أجلب عليه شرا ولا عصيت له أمرا * فيا أخى خف الله حق خوفه واترك السوى فمن خاف الله حق خوفه خافه كل شىء ومن أطاع الله حق طاعته أطاعه كل شىء (وحكمه) تقدم فى باب الهمزة لكن يكره ركوب السباع لما روى ابن عدى فى ترجمة إسمعيل بن عياش عن بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب قال نهى رسول الله ﷺ عن ركوب السباع ولا يصح بيع السباع التى لا تنفع وقيل يجوز بيعها لأجل جلودها وأما التى تنفع كالفهد والفيل والقرد فيجوز بيعه

﴿السبنتى والسبندى﴾ النمر الجرىء والأنثى سبنداة قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ناحت الجن على عمر رضى الله تعالى عنه قبل أن يموت بثلاثة أيام فقالت

أبعد قتيل بالمدينة أظلمت * له الأرض تهتز العضاه بأسوق * جزى الله خيرا من إمام وبارکت يد الله فى ذاك الأديم الممزق * فمن يسع أو يركب جناحى نعامة * ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها * بوائق فى أكمامها لم تفتق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته * بكفى سبنتى أزرق العين مطرق

المطرق الحنق الذى أرخى عينيه ينظر إلى الأرض وقد يمد السبنتى ونسب الجوهرى هذه الأبيات إلى الشماخ وقال فى الاستيعاب لما مات عمر رضى الله تعالى عنه نحل الناس هذه الأبيات إلى الشماخ بن ضرار ولأخويه وكانوا إخوة ثلاثة كلهم شعراء وسيأتى ذكر النمر فى باب النون إن شاء الله تعالى

﴿السبيطر﴾ بفتح السين وفتح الباء الموحدة والطاء المهملة بينهما ياء مثناة من تحت وبالراء المهملة فى آخره مثل العميثل طائر طويل العنق جدا يرى أبدا فى الماء الضحضاح ويكنى بأبى العيزار كذا قاله الجوهرى وابن الأثير والظاهر أنهما أرادا به مالكا الحزين وقال فى المحكم الكركى يكنى أبا العيزار وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر العميثل فى باب العين المهملة

﴿السخلة﴾ كالهمزة الأرنب الصغيرة التى قدر تفعت عن الخرنق وفارقت أمها

﴿السحلية﴾ بضم السين العظاية قال ابن الصلاح هى دويبة أكبر من الوزغ وقد عدفى الروضة العظاية من نوع الوزغ وقال إنها محرمة وقال ابن قتيبة وصاحب الكفاية وذكر العظاية يسمى العضرفوط بفتح العين المهملة وتسكين الضاد المعجمة وبالفاء والواو والطاء فى آخره وذكر الجاحظ أن العضرفوط بلغة قيس هى العظاية وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة قول الأزهرى هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا تشبه سام أبرص إلا أنها لا تؤذى وهى أحسن منه ﴿السحا﴾ بفتح السين والحاء المهملتين الخفاش الواحدة سحاة مفتوحتان مقصورتان قاله النضر بن شميل وقد تقدم لفظ الخفاش فى باب الخاء المعجمة ﴿سحنون﴾ بفتح السين وضمها طائر حديد الذهن يكون بالمغرب يسمونه سحنونا لحدة ذهنه وذكائه وبه سمى سحنون بن سعيد التنوخى القيروانى وهو لقب فرد واسمه عبد السلام وهو تلميذ ابن القاسم وهو مصنف المدونه وكان قبل ذلك كتبها أسد ابن الفرات عن ابن القاسم غير مرتبة ثم بخل بها ابن الفرات على سحنون فدعا عليه ابن القاسم أن لا ينفع الله بها ولا به وكذلك كان فهى متروكة والعمل على مدونة سحنون ووفاته فى شهر رجب سنة أربعين ومائتين وولد فى شهر رمضان سنة ستين ومائة ورحمة الله عليه (السخلة) ولد الشاة من الضأن أو المعز ذكرا كان أو أنثى والجمع سخل وسخلة وسخال قال الشاعر:

فللموت تغدو الوالدات سخالها * كما لخراب الدور تبنى المساكن

وهذه لام العاقبة كقول الآخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها * ودورنا لخراب الدهر نبنيها

ولم يبنوها للخراب ولكن اليه مآلها كقول الآخر:

فإن يكن الموت أفناهم * فللموت ما تلد الوالدة

وقال تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال تعالى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا الآية «فائدة» قال أبو زيد يقال لأولاد الغنم ساعة وضعها من الضأن والمعز جميعا ذكرا كانت أو أنثى سخلة ثم هى بهمة بفتح الباء الموحده للذكر والأنثى جميعا وجمعها بهم فاذا بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها فما كان من أولاد المعز فهو جفار واحدها جفر والأنثى جفرة فاذا رعى وقوى فهو عريض وعتود وجمعهما عرضان وعتدان وهو فى ذلك كله جدى والأنثى عناق مالم يأت عليها الحول وجمعها عنوق الذكر تيس إذا أتى عليه الحول والأنثى عنز ثم تجزع فى السنة الثانية فالذكر جذع والأنثى جذعة روى مالك عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال اعتد عليهم فى الزكاة بالسخلة وبه استدل الشافعى وغيره على أن ما نتج من النصاب يزكى بحول الأصل لأن الحول إنما اعتبر للنماء والسخال فى نفسها نماء حتى لو نتجت قبل الحول بلحظة تزكى بحول النصاب وإن ماتت الأمهات كلها قبل انقضاء حولها على الأصح وقيل يشترط بقاء نصاب من الأمهات وقيل يشترط بقاء شىء منها ولو واحدة وروى الإمام أحمد وأبو يعلى الموصلى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بسخلة جرباء قد أخرجها أهلها فقال والذى نفسى بيده لالدنيا أهون على الله تعالى من هذه على أهلها وروى البزار فى مسنده عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بدمنة قوم فيها سخلة ميتة فقال صلى الله عليه وسلم أما لأهلها فيها حاجة فقالوا يا نبى الله لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها قال صلى الله عليه وسلم

وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يوما (وقال) صاحب الفلاحة من أراد أن يبقى الرمان غضا طريا فليقطفه بيده من شجره من غير أن يصيبه جراحة ويغمس طرفه فى زيت مسخن ويعلقه فى بيت بارد فانه يبقى زمانا طويلا غضا طريا ولو تركها على شجرتها ولف عليها شيئا من الأوراق ثم حصنها بحيث لا يدخلها الهوام يبقى زمانا طويلا قشرها يهرب منه الهوام كما يهرب من خشبها ولا يترك قشر الرمان فى سائر الفلاة لئلا يتولد الحيوان فى الطعام (زيتون) شجرة مباركة كثيرة النفع أقسم الله تعالى بها فى القرآن العزيز لعموم نفعها وعن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال إن آدم عليه الصلاة والسلام وجد ضربانا فى جسمه فاشتكى الى الله تعالى فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام بشجرة الزيتون وأمره أن يغرسها ويأخذ ثمرتها فيعصرها وقال له إن فى دهنها شفاء من كل داء إلا السام ومن عجيب خواص هذه الشجرة أنها تصبر عن الماء طويلا ولا دخان لخشبها ولا لدهنها

قال صاحب الفلاحة
إذا سطع على الزيتون
زاده دسما ونضجا
وإذا أخذت أوتاداً من
شجر البلوط ودققتها فى
الأرض حول شجرة
الزيتون فإنها تقوى ويكثر
ثمرها قال بليناس إذا علق
شىء من عروق شجر
الزيتون على من لسعته
العقرب برأ من وقته
وورقها الأخضر إذا
طبخته بالماء ورششت
به البيت هرب منه الذباب
ورماد ورق الزيتون يقوم
مقام التوتيا وإذا طبخ
ورق الزيتون بالخل نفع
من وجع الأسنان وإذا
طبخ بماء العسل حتى يصير
كالعسل وجعل على
الأسنان المتأكلة قلعها
صمغها ينفع من البواسير
إذا ضمد به وإذا نقع فى
الماء وبل به الخبز وترك
للفأرة فإذا أكلته ماتت
وصمغ الزيتون البرى ينفع
من الجرب والقوباء ولوجع
الأسنان المتأكلة إذا
حشيت به وهو يعد من
الأدويه القتالة كل ذلك
عن ابن سينا ثمرتها روى
عن النبى صلى الله عليه
وسلم عليكم بالزيت فإنه
يكشف المرة ويذهب
البلغم ويشد العصب
ويذهب بالإعياء



فوالله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها فلا ألفينها أهلكت أحدكم وفى سيرة ابن هشام أن النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه إلى غزوة بدر لقوا رجلا من الأعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلمة بن سلامة بن وقش وكان غلاما حدثا لا تسأل رسول الله وأقبل على فأنا أخبرك بذلك ففى بطنها منك سخلة فقال له رسول الله ﷺ مه فخشيت على الرجل ثم أعرض عن سلمة ورواه الحاكم فى المستدرك من حديث ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة بزيادة وهو أنه قال لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أهل البادية وهو متوجه إلى بدر لقيه بالروحاء فسأله القوم عن خبر الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقالوا له سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال إن كنت رسول الله فأخبرنى عما فى بطن ناقتى هذه فقال له سلمة بن سلامة بن وقش وكان غلاما حدثاً لا تسأل رسول الله وأقبل على فأنا أخبرك عن ذلك نزوت عليها فى بطنها سخلة منك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه فخشيت على الرجل ثم أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلمه كلمة واحدة حتى قفلوا واستقبلهم المسلمون بالروحاء يهنئونهم فقال سلمة يا رسول الله ما الذى يهنئونك والله إن رأينا إلا عجائز صلعاً كالبدن المعتقلة فنحرناها فقال رسول الله ﷺ إن لكل قوم فراسة وإنما يعرفها الأشراف ثم قال هذا صحيح مرسل * ويتصل بذكر الفراسه ماورواه الحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال أفرس الناس ثلاثه العزيز حين تفرس فى يوسف وقال لامرأته أكرمى مثواه والمرأة التى رأت موسى عليه السلام فقالت لأبيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما قال الحاكم فرضى الله تعالى عن ابن مسعود لقد أحسن فى الجمع بينهم بهذا الاسناد الصحيح ﴿فرع﴾ السخلة المرباة بلبن كلبة لها حكم الجلالة يكره أكلها كراهة تنزيه على الأصح فى الشرح الكبير والروضة والمنهاج وبه جزم الرويانى والعراقيون وقال أبو إسحق المروزى والقفال كراهة تحريم ورجحه الإمام الغزالى والبغوى والرافعى فى المحرر والجلالة هى التى تأكل العذرة والنجاسات سواء كانت من الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج أو الأوز أو السمك أو غير ذلك من المأكول وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الدجاج أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يأكل دجاجة أمر بها فربطت أياما ثم يأكلها بعد ذلك وروى الدارقطنى والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الجلالة وشرب ألبانها حتى تحبس قال الحاكم صحيح الإسناد وقال البيهقى ليس بالقوى ثم إن لم يظهر بسبب ذلك تغير فى لحمها فلا تحريم ولا كراهة واختلفوا فيما يناط به الحرمة والكراهة فنقل الرافعى عن تتمة التتمة أنه إن كان أكثر أكلها الطاهرات فليست بجلالة والأصح أنه لا اعتبار بالكثرة بل بالرائحة فان كان يوجد فى عرقها أو فيها أدنى ريح النجاسة وإن قل فالموضع موضع النهى وإلا فلا وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن موضع النهى ما إذا وجدت رائحة النجاسة بتمامها أو كانت تقرب من الرائحة فاما إذا كانت الرائحة التى توجد يسيرة فلا اعتبار بها والصحيح الأول إلحاقا لها بالتغير اليسير بالنجاسة فى المياه فإن علفت الجلالة علفا طاهرا مدة حتى طاب لحمها وزالت النجاسة زالت الكراهة ولا تقدر

مدة العلف عندنا بزمن بل المعتبر زوال الرائحة بأى وجه كان قال الرافعى رحمه الله وعن بعض العلماء تقدير العلف فى الإبل والبقر بأربعين يوما وفى الغنم بسبعة أيام وفى الدجاج بثلاثة أيام قال وهو محمول عندنا على الغالب اه فإن لم تعلف لم يزل المنع بغسل اللحم بعد الذبح ولا بطبخه وشيه وتجفيفه فى الهواء وإن زالت الرائحة وكذا إن زالت الرائحة بمرور الزمان عند صاحب التهذيب وقيل بخلافه وكما يمنع لحمها يمنع لبنها وبيضها ويكره الركوب عليها من غير حائل بين الراكب وبينها ويطهر جلدها بالدباغ والأصح أنه كاللحم ولا يطهر بالذكاة عند القائل بالتنجيس . وسئل سحنون عن خروف أرضعته خنزيرة فقال لا بأس بأكله قال الطبرى العلماء مجمعون على أن الجدى إذا اغتذى بلبن كلبة أو خنزيرة لا يكون حراما ولا خلاف فى أن ألبان الخنازير نجسة كالعذرة وقال غيره المعنى فيه أن لبن الخنزيرة لا يدرك فى الخروف إذا ذبح بذوق ولا شم رائحة فقد نقله الله تعالى وأحاله كما يحيل الغذاء وإنما حرم الله تعالى أكل أعيان النجاسات المدركات بالحواس كذا قاله أبو الحسن على بن خلف بن بطال القرطبى فى شرح البخارى ووفاته سنة تسع وأربعين وأربعمائة وهو أحد شيوخ أبى عمر بن عبد البر رحمة الله تعالى عليه .

﴿السرحان﴾ بكسر السين الذئب والجمع سراح وسراحين والأنثى سرحانة بالهاء والجمع كالجمع والسرحان الأسد بلغة هذيل قال أبو المثلم يرثى ميتا :

هباط أودية حمال ألوية * شهاد أندية سرحان فتيان

وقال سيبويه نون سرحان زائدة وهو فعلان والجمع سراحين قال الكسائى والأنثى سرحانة حكى القزوينى عن بعض الرعاة أنه نزل واديا بغنمه فسلب سرحان شاة من غنمه فقام ورفع صوته ونادى ياعامر الوادى فسمع صوتا ياسرحان ردّ عليه شاته فجاء الذئب بالشاة وتركها وذهب وقد تقدم حكمه وخواصه وتعبيره (الأمثال) قالوا سقط العشاء به على سرحان قال أبو عبيدة أصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء فسقط على ذئب فأكله الذئب وقال الأصمعى أصله أن دابة خرجت تطلب العشاء فلقيها ذئب فأكلها وقال ابن الأعرابى أصله أن رجلا يقال له سرحان كان بطلا تتقيه الناس فقال رجل يوما والله لأرعينّ إبلى فى هذا الوادى ولأخافن سرحان بن هزلة فأتى إليه فقتله وأخذ إبله وقال :

أبلغ نصيحة أن راعى إبلها * سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على متنمر * طلق اليدين معاود لطعان

يضرب فى طلب الحاجة تؤدى صاحبها إلى التلف .

﴿السرطان﴾ بفتح السين والراء المهملتين وبالنون فى آخره حيوان معروف ويسمى عقرب الماء وكنيته أبو بحر وهو من خلق الماء ويعيش فى البر أيضا وهو جيد المشى سريع العدو ذو فكين ومخاليب وأظفار حداد كثير الأسنان صلب الظهر من رآه رأى حيوانا بلا رأس ولا ذنب عيناه فى كتفيه وفمه فى صدره وفكاه مشقوقتان من الجانبين وله ثمانى أرجل وهو يمشى على جانب واحد ويستنشق الماء والهواء معا ويسلخ جلده فى السنة ست مرات ويتخذ لجحره بابين أحدهما شارع فى الماء والآخر إلى اليبس فإذا سلخ جلده سد عليه مايلى الماء خوفا على نفسه من سباع السمك وترك مايلى اليبس مفتوحا ليصل إليه الريح فتجف رطوبته ويشتد فإذا اشتد فتح مايلى الماء وطلب

به ويشد الأسنان المتحركة نواها يبخر به لوجع الضرس وأمراض الرئة (سرو) شجر حسن الهيئة قويم الساق يضرب به المثل فى استقامته وقده وهو فى الصيف والشتاء أخضر يدخن بأغصانه يطرد البق ويؤخذ من نشارته بنادق وتطرح فى الطحين الدرمك يبقى زمانا طويلا لا يفسد ورقه يشرب مع السذاب ينفع من عسر البول وإذا دق ورقه رطباً وجعل على جراحة ألحمها ورمادها ينفع من حرق النار زروراً وكذلك سائر القروح الرطبة وجوزه يطرد البق إذا دخن به وطبيخه بالخل يسكن وجع الأسنان والله الموفق (سفرجل) رماد خشبها يفعل فعل التوتيا وورقها يفعل فعل خشبها زهرها عجيب الأثر فى تقوية الدماغ والقلب ثمرتها كثيرة الفوائد روى يحيى بن طلحة ابن عبد الله عن أبيه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده سفرجلة فألقاها إلىّ وقال دونكها ياأبا محمد فإنها تجمد الفؤاد أى تقويه وروى أنه ﷺ

كسر سفرجلة وناول منها جعفر بن أبى طالب

بالسكين ذهبت مائيته ويبقى أيبس مايكون وإن كسر كان الأمر بخلاف ذلك قال ابن سينا السفرجل يسكن العطش ويقوى المعدة وقال غيره إذا داومت المرأة الحامل على أكل السفرجل سيما فى الشهر الثالث كان ولدها حسن الصورة وإذا انعقد اللبن فى ثدى المرأة يطبخ السفرجل بالعسل ويوضع على ثديها يسكن ألمها ويزيل ورمها وإذا وضعت السفرجل فى موضع فيه العنب يفسد العنب قال صاحب الفلاحة إذا أردت أن يبقى السفرجل زمانا طويلا فضعه على نشارة الخشب أو التبن ولا تدع السفرجل فى بيت فيه شىء من الثمار فإنه يفسدها كلها ويهلك ماسواه (سماق) شجرة جبلية قال ابن سينا ثمرتها تقوى المعدة وتجلب الصفراء من الأجساد ويضمد بها الضربة فيمنع الورم والخضرة وينفع من الداحس ويحتقن به للبواسير صمغها إذا وضع على الأضراس يسكن وجعها (سندروس) شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن هو دهن الصوانى يدهن به الأخشاب وخاصية

معاشه وقال أرسطاطاليس فى النعوت وزعموا أنه إذا وجد سرطان ميت فى حفرة مستلقيا على ظهره فى قرية أو أرض تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية وإذا علق على الأشجار يكثر ثمرها وفى وصفه قال الشاعر :

فى سرطان البحر أعجوبة * ظاهرة للخلق لا تخفى * مستضعف المشية لكنه
أبطش من جاراته كفا * يسفر للناظر عن جملة * متى مشى قدرها نصفا

ويقال إن ببحر الصين سرطانات متى خرجت إلى البر استحجرت والأطباء يتخذون منها كحلا يجلو البياض والسرطان لا يتخلق بتوالدولا تناج إنما يتخلق فى الصدف ثم يخرج منه ويتولد وفى الحلية عن أبى الخير الديلمى أنه قال كنت عند خير النساج فجاءته امرأة وطلبت أن ينسج لها منديلا وقالت له كم الأجرة فقال لها درهمان فقالت ما معى الساعة شىء وغدا آتيك بهما إن شاء الله تعالى فقال لها إذا أتيتينى ولم تريني فارمى بهما فى الدجلة فإنى إذا رجعت أخذتهما منها إن شاء الله تعالى فقالت حباو كرامة قال أبو الخير فجاءت المرأة من الغد وخير غائب فقعدت ساعة تنتظره ثم قامت وألقت خرقة فى الدجلة فيها الدرهمان فإذا سرطان قد تعلق بالخرقة وغاص فى الماء ثم جاء خير بعد ساعة ففتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ وإذا بسرطان خرج من الماء يسعى نحوه والخرقة على ظهره فلما قرب من الشيخ أخذها وذهب السرطان إلى حال سبيله فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح بهذا فى حياتى فأجبته إلى ذلك (الحكم) يحرم أكله لاستخبائه كالصدف قال الرافعى ولما فيه من الضرر وفى قول إنه يحل أكله وهو مذهب مالك رحمة الله تعالى عليه (الخواص) أكل السرطان ينفع وجع الظهر ويصلبه قال فى النعوت من علق عليه رأس سرطان لم ينم إذا كان القمر محترقا فإن كان غير محترق نام وإن أحرق السرطان وحشى به البواسير كيف كانت أبرأها وإن علقت رجله على شجرة مثمرة سقط ثمرها من غير علة ولحمه نافع للمسلولين جدا وإذا وضع السرطان على الجراحات أخرج النصل وينفع من لسع الحيات والعقارب (التعبير) السرطان فى المنام تدل رؤيته على رجل كثير الكيد لكثرة سلاحه عظيم الهمة بعيد المأخذ عسر الصحبة ومن رأى أنه أكل لحم سرطان فى منامه فإنه يصيب خيرا من أرض بعيدة وقال جاماسب لحم السرطان فى الرؤيا مال حرام والله أعلم .

﴿السرعوب﴾ بضم السين وسكون الراء وبالعين المهملة ابن عرس ويقال له النمس قاله فى كفاية المتحفظ

﴿السرفوت﴾ بفتح السين والراء المهملتين وضم الفاء دويبة تعشش فى كور الزجاج فى حال اضطرامه وتبيض فيه وتفرخ ولا تعمل بيتها إلا فى موضع النار المستمرة الدائمة كذا قاله ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقى وهذه الدويبة تشارك السمندل فى هذا الوصف كما سيأتى فى موضعه .

﴿السرفة﴾ بضم السين وإسكان الراء المهملتين وبالفاء الأرضة قال ابن السكيت إنها دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناموس ثم تدخل فيه وتموت ويقال سرفت السرفة والشجرة تسرفها بالكسر سرفا إذا أكلت ورقها فهى شجرة مسروفة انتهى وفى الحديث أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لرجل إذا أتيت إلى منى وانتهيت إلى موضع كذا وكذا فإن هناك شجرة لم تعبل ولم تجرد ولم تسرف ولم تسرح قد نزل تحتها سبعون نبيا فانزل تحتها ومعنى لم تعبل لم يسقط ورقها ولم تجرد لم يصبها الجراد ولم تسرف لم تصبها السرفة ولم تسرح لم يصبها السرح أى الإبل والغنم السارحة (الحكم) يحرم أكلها لأنها من

الحشرات (الأمثال) قالوا أصنع من سرفة وقد تقدم الكلام عليها فى باب الهمزة ﴿السرمان﴾ دويبة كالحجر والسرمان أيضاً ضرب من الزنابير أصفر وأسود ومجزع (السروة) الجرادة أول ما تكون وهى دودة وأصله الهمز والسروة لغة فيها (السرماح) الجراد قاله ابن سيده (السعدانة) الحمامة (السعلاة) أخبث الغيلان وكذلك السعلاء تمد وتقصر والجمع السعالى واستسعلت المرأة أى صارت سعلاة أى صارت صخابة وبذية قال الشاعر:

لقد رأيت عجبا مذ أمسا * عجائزاً مثل السعالى خمسا
يأكلن ما أصنع همسا همسا * لا ترك الله لهن ضرسا

وأنشد أبو عمر:

يا قبح الله بنى السعلاة * عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

قلب السين تاء وهى لغة بعض العرب قال الجاحظ يقال إن عمرو بن يربوع كان متولداً من السعلاة والإنسان قال وذكروا أن جرهما كان من نتائج الملائكة وبنات آدم عليه السلام قال وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء أهبط إلى الأرض فى صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت فوقع بعض الملائكة على بعض بنات آدم عليه السلام فولدت جرهما ولذلك قال شاعرهم:

لاهم إن جرهما عبادكا * الناس طرف وهم تلادكا

قال ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبأ وكذلك كان ذو القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من الملائكة ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينادى رجلا ياذا القرنين قال أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة انتهى والحق فى ذلك أن الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قاله القاضى عياض وغيره وأما ماذكروه من أن جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم وكذلك ذو القرنين وبلقيس فممنوع واستدلالهم بقصة هاروت وماروت ليس بشىء فإنها لم تثبت فى الوجه الذى أوردوه بل قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن كانا عجلين يحكمان بين الناس ويعلمان الناس السحر ولم يكونا من الملائكة لأن الملائكة لا يعلمون السحر وقرأ ابن عباس والحسن البصرى وماأنزل على الملكين بكسر اللام وسيأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى فى باب الكاف فى الكلب وقد اختلف فى ذى القرنين ونسبه واسمه فقال صاحب ابتلاء الأخيار اسم ذى القرنين الأسكندر قال وكان أبوه أعلم أهل الأرض بعلم النجوم ولم يراقب أحد الفلك ماراقبه وكان قد مد الله تعالى له فى الأجل فقال ذات ليلة لزوجته قد قتلنى السهر فدعينى أرقد ساعة وانظرى إلى السماء فإذا رأيت قد طلع فى هذا المكان نجم وأشار بيده إلى موضع طلوعه فنبهينى حتى أطأك فتعلق بولد يعيش إلى آخر الدهر وكانت أختها تسمع كلامه ثم نام أبو الإسكندر فجعلت أخت زوجته تراقب النجم فلما طلع النجم أعلمت زوجها بالقصة فوطئها فعلقت منه بالخضر فكان الخضر بن خالة الاسكندر ووزيره فلما استيقظ أبو الاسكندر رأى النجم قد نزل فى غير البرج الذى كان يرقبه فقال لزوجته لم لم تنبهينى فقالت استحييت والله فقال لها أما تعلمين أنى أراقب هذا النجم منذ أربعين سنة والله لقد ضيعت عمرى فى غير شىء ولكن الساعة يطلع فى أثره نجم فأطؤك فتعلقين بولد يملك قرنى الشمس

حتى يشتعل رطبها كالشمع والقطران يؤخذ منه وذلك بأن يقشر ثم يعرض على النار فيسيل منه نداوة وهى القطران قال ابن سينا التبخر بخشب الصنوبر وافتراش رماده يطرد الهوام خصوصا مع القنة وإذا جعل حول المجلس مندل من رماد خشب الصنوبر تؤمن من غائلة الهوام ويبخر بنشارته لطرد الهوام والبق والبعوض ولو أضفت إليه القلقديس والشونيز كان أجود وبخارها نافع لحرق الماء الحار ولحاؤها بالخل يتمضمض به لوجع الأسنان وورقها يلصق الجراحات وجوزها ضماد للفتق وحبها هو الجوز ينفع من الأوجاع العصبية والاسترخاء ويهيج الباه وينفع من لدغ العقرب خصوصا مع التين والجوز والتمر وينفع من السعال المزمن العتيق وهذا عجيب جدا لأن فيه حرافة وحدة لكن هذا كله ذكره ابن سينا (ضرو) شجرة عظيمة كشجرة البلوط تنبت بجبال اليمن تثمر عناقيد كعناقيد البطم ورقها يضرب إلى الحمرة يطبخ حتى ينضج ويصفى ويرد على النار ويرفع فيكون دواء عجيبا من السعال وأوجاع

فما لبث أن طلع فواقعها فعلقت بالاسكندر وولد الاسكندر وابن خالته الخضر فى ليلة واحدة ثم أن الاسكندر فتح الله عليه بتمكينه فى الأرض وفتح البلاد وكان من أمره ما كان ﴿وروى﴾ عن وهب بن منبه أنه قال كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وكان عبدا صالحا فلما بلغ أشده قال الله تعالى ياذا القرنين إنى باعثك إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة وهم أصناف منهم أمتان بينهما طول الأرض ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض وأمم فى وسط الأرض فقال ذو القرنين إلهى إنك قد ندبتنى لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرنى عن هذه الأمم التى ندبتنى إليها بأى قوة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى أن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع قولهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أتألفهم وليس عندى يا إلهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ويقوى عليهم ويطيقهم وأنت الرؤف الرحيم الذى لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يحملها إلا طاقتها قال الله عز وجل إنى سأطوقك وأحملك وأشرح لك صدرك فتسمع كل شىء وأقوى لك فهمك فتفقه كل شىء وأبسط لك على لسانك فتنطق بكل شىء وأفتح لك سمعك فتعى كل شىء وأمد بصرك فتتقد كل شىء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شىء وأقوى لك قلبك فلا يروعك شىء وأحفظ لك عقلك فلا يعزب عنك شىء وأبسط لك ما بين يديك فتسطو فوق كل شىء وأشد لك وطأتك فتهد كل شىء وألبسك الهيبة فلا يهولنك شىء وأسخر لك النور والظلمة واجعلهما جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك وذلك قوله تعالى وآتيناه من كل شىء سببا وقال ابن هشام ذو القرنين هو الصعب بن ذى مرثد الحميرى من ولد وائل بن حمير وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردويه كذا وقع فى السيرة له وذكر أنه الاسكندر وقيل إنه رجل من ولد يونان بن يافث واسمه هرمس ويقال له هرديس والظاهر من علم الأخبار والسير أنهما اثنان أحدهما كان على عهد إبراهيم ويقال إنه الذى قضى لابراهيم حين خاصم إليه فى بئر السبع بالشام والثانى كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام وقيل إنه أفريدون الذى قتل الملك الطاغى الذى كان على عهد إبراهيم أو قبله بزمن واختلف فى سبب تلقيبه بذى القرنين فقال بعضهم لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه كان فى رأسه شبه القرنين وقيل لأنه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه أنه طاف المشرق والمغرب وقيل إنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيمن ثم دعاهم إلى التوحيد فضربوه على قرنه الأيسر وقيل إنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لأنه انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لأنه كان إذا حارب قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لأنه دخل النور والظلمة وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا قال الراعى :

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقيل لأنه أعطى علمى الظاهر والباطن وهو رجل من الإسكندرية يقال له اسكندر بن فيلبس الرومى وكان فى الفترة بعد عيسى عليه الصلاة والسلام قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين والكافران نمروذ وبختنصر وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدى واختلف فى نبوته فقال بعضهم كان نبيا لقوله تعالى

قلنا ياذا القرنين وقال آخرون كان ملكا صالحا عادلا ولعله الأصح فالقائلون بنبوته قالوا إن الملك الذى كان ينزل عليه اسمه رقيائيل وهو ملك الأرض الذى يطوى الأرض يوم القيامة وينقصها فتقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة قاله ابن أبى خيثمة قال السهيلى وهذا يشاكل توكله بذى القرنين الذى قطع الأرض مشارقها ومغاربها كما أن قصة خالد بن سنان العبسى وهو نبى بين عيسى ومحمد عليهما السلام فى تسخير النار مشاكلة لحال الملك الموكل به وهو مالك خازن النار وسيأتى ذكر خالد ونبوته فى باب العين المهملة فى العنقاء إن شاء الله تعالى قال الجاحظ وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى وشاركهم فى الأموال والأولاد وهذا ظاهر وذلك أن الجنيات إنما تتعرض لصرع رجال الإنس على جهة العشق فى طلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء قال تعالى لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ولو كان الجان لا يفتض الآدميات ولم يكن ذلك فى تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول وذكروا أن ألواق واق نتاج من بعض النباتات وبعض الحيوانات وقال السهيلى السعلاة ما يتراءى للناس بالنهار والغول ما يتراءى للناس بالليل وقال القزوينى السعلاة نوع من المتشيطنة مغايرة للغول قال عبيد بن أيوب :

وساحرة عينى لو أن عينها * رأت ما ألاقيه من الهول جنت

أبيت وسعلاة وغول بقفرة * إذا الليل وارى الجن فيه أرنت

قال وأكثر ما توجد السعلاة فى الغياض وهى إذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما يلعب القط بالفار قال وربما اصطادها الذئب بالليل فأكلها وإذا افترسها ترفع صوتها وتقول أدركونى فإن الذئب قد أكلنى وربما تقول من يخلصنى ومعى ألف دينار يأخذها والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة فلا يخلصها أحد فيأكلها الذئب ﴿السفنج﴾ بضم السين وإسكان الفاء وضم النون وبالجيم فى آخره قال أبو عمرو هو الظليم الخفيف وهو ملحق بالخماسى بتشديد الحرف الثالث منه كذا قاله الجوهرى والسفنج أيضا طائر كثير الاستنان قاله فى العباب ﴿السقب﴾ ولد الناقة أو ساعة يولد والجمع أسقب وسقاب وسقوب وسقبان والأنثى سقبة وأمها مسقب ومسقاب (الأمثال) قالوا أذل من السقبان بين الحلائب أرادوا بالحلائب جمع حلوبة وهى التى تحلب ﴿السقر﴾ قال القزوينى إنه من الجوارح فى حجم الشاهين إلا أن رجليه غليظتان جدا ولا يعيش إلا فى البلاد الباردة ويوجد فى بلاد الترك كثيرا وهو إذا أرسل على الطير أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة فإذا رجع إلى المكان الذى ابتدأ منه تبقى الطيور كلها فى وسط الدائرة لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفا وهو يقف عليها وينزل يسيرا يسيرا وتنزل الطيور بنزوله حتى تلتصق بالتراب فيأخذها البزادرة فلا يفلت منها شىء أصلا ﴿السقنقور﴾ نوعان هندى ومصرى ومنه ما يتولد فى بحر القلزم وهو البحر الذى غرق فيه فرعون وهو عند عقبة الحاج ويتولد أيضا ببلاد الحبشة وهو يغتذى بالسمك فى الماء وبالقطا فى البر يسترطه كالحيات أنثاه تبيض عشرين بيضة تدفنها فى الرمل فيكون ذلك حضنا لها وللأنثى فرجان وللذكر ذكران كالضب قاله التميمى وقال أرسطو السقنقور حيوان بحرى وربما تولد فى البحر فى مواضع الصواعق ومن عجيب أمره أنه إذا عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء واغتسل منه مات السقنقور وان سبق السقنقور إلى الماء مات الإنسان وبينه وبين الحية عداوة حتى إذا ظفر أحدهما بصاحبه قتله

الفم ولخشونة الصدر يزيلها عن المكان وصمغها يجلب إلى مكة وهو كاللاذن فى القوة طيب الرائحة يدخل فى الطيب للنساء (طرفا) شجرة مشهورة قضبانها تنقع فى الخل تكون نافعة لوجع الطحال قال ابن سينا يطبخ ورقها بالسذاب يكون نافعا لوجع الأسنان مضمضة ويستعمل نطولا على القمل فيقتله وقال غيره ورقها ضماد للأورام الرخوة ودخانه يجفف القروح الرطبة والجدرى ورماده يذر على حرق النار والقروح الرطبة وثمرتها تنفع من أمراض العين ونهش الرتيلا والله الموفق (عرعر) شجرة كبيرة يشبه ورقها ورق السرو قالوا هو السرو الجبلى قال ابن سينا التدخين بأى شىء كان من أجزائه يطرد الهوام ثمرته تشبه الزعرور إلا أنه شديد السواد حاد الرائحة طيبها يقال له الأبهل إذا أغلى بالشيرج فى مغرفة من حديد حتى يسود الجوز وقطر فى الأذن نفع من الصمم جدا وإذا شرب الأبهل أسقط الجنين وإذا تدخن به أو احتمل يفعل ذلك أيضا (عشر) شجرة غريبة كانت العرب فى الجاهلية إذا أراد

أحدهم أن يسافر عن حليلته عمد إلى هذه

الشجرة وشد غصنا منها إلى الآخر وتركهما فإذا عاد من سفره ذهب إليهما فإن وجدهما بحالهما مشدودين استدل بهما على أن حليلته ما خانته فى غيبته وأن وجدهما محلولين استدل بهما على خيانتها قالوا إنها سم قاتل وأن منها نوعا يقتل بالجلوس فى ظله خشبها ينفع من القوباء والسعفة (عفص) شجرة جبلية قالوا أن شجرة البلوط تثمر سنة بلوط وسنة عفصا ونقل الجاحظ عن الفضل بن إسحق أنه قال رأيت العفص والبلوط على غصن واحد فإن كان صحيحا فإنها فى الأشجار كالأرانب فى الحيوان فإن الأرنب سنة ذكر وسنة أنثى والتى عليها البلوط والعفص كالخنثى قال ابن سينا ثمرتها يطلى بها القوباء تزيلها ويمنع الرطوبات الزائدة الفاسدة عن اللثة وتنفع من تأكل الأسنان وقال غيره ينثر على القروح الرطبة ينفعها وماؤها يسود الشعر (عناب) هى الشجرة المشهورة ورقها ينفع من وجع العين ضمادا إذا كان من الحارة وثمرتها تسكن الدم وتنشفه فيما زعموا حتى أن مسها أيضا يفعل ذلك وإذا أرادوا حملها من بلد إلى بلد كل يوم تحمل على دابة أخرى لئلا ينشف دمها قال جالينوس إنه لا ينشف الدم لكنه يغلظه وهو طلاء جيد لتصفية

والفرق بينه وبين الورل من وجوه منها أن الورل يرى لا يأوى إلا البرارى والسقنقور لا يأوى إلا بالقرب من الماء أو فيه ومنها أن جلد السقنقور ألين وأنعم من جلد الورل ومنها أن ظهر الورل أصفر وأغبر وظهر السقنقور مدبج بصفرة وسواد والمختار من هذا الحيوان الذكر فإنه أفضل وأبلغ فى النفع المنسوب إليه من أمر الباه قياسا وتجربة بل كاد أن يكون هو المخصوص بذلك والمختار من أعضائه ما يلى ذنبه من ظهره فهو أبلغ نفعا وهذا الحيوان نحو ذراعين طولا ونصف ذراع عرضا قال فى المفردات لا يعرف اليوم فى عصرنا السقنقور فى الديار المصرية إلا ببلاد الفيوم ومنها يجلب إلى القاهرة لمن عنى بطلبه وإنما يصاد فى أيام الشتاء لأنه إذا اشتد عليه البرد يخرج إلى البر فحينئذ يصاد (الحكم) يحل أكله لأنه سمك ويحتمل أن يأتى فيه وجه بالحرمة لأن له شبهين فى البر أحدهما حرام وهو الورل والآخر يؤكل وهو الضب تغليبا للتحريم وأما الذى تقدم فى باب الهمزة فهو حرام لأنه متولد من التمساح كما تقدم فهو حرام كأصله (الخواص) لحم السقنقور الهندى مادام طريا فهو حار رطب فى الدرجة الثانية وأما ملوحه المجفف فإنه أشد حرارة وأقل رطوبة لاسيما إذا مضت عليه بعد تعليقه مدة طويلة ولذلك صار لا يوافق استعماله أصحاب الأمزجة الحارة اليابسة بل أرباب الأمزجة الباردة الرطبة ولحمه إذا أكل منه اثنان بينهما عداوة زالت وصارا متحابين وخاصية لحمه وشحمه إنهاض شهوة الجماع وتقوية الإنعاظ والنفع من الأمراض الباردة التى بالعصب وإذا استعمل بمفرده كان أقوى فعلا من أن يخلط بغيره من الأدوية والشربة منه من مثقال إلى ثلاثة مثاقيل بحسب مزاج المستعمل له وسنه ووقته وبلده وقال أرسطو لحم السقنقور الهندى إذا طبخ باسفيداج نفخ اللحم وأسمن ولحمه يذهب وجع الصلب ووجع الكليتين ويدر المنى وخرزته الوسطى إذا علقت على صلب إنسان هيجت الإحليل وزادت الجماع (التعبير) هو فى الرؤيا يدل على الإمام العالم الذى يهتدى به فى الظلمات فإن جلده يوقد ولحمه ينعش القوة ويثير حرارتها والله أعلم ﴿السلحفاة البرية﴾ بفتح اللام واحدة السلاحف قاله أبو عبيدة وحكى الرواسى سلحفية مثل بلهنية وهى بالهاء عند الكافة وعند ابن عبدوس السلحفا بغير هاء وذكرها يقال له غيلم وهذا الحيوان يبيض فى البر فما نزل منه فى البحر كان لجأة وما استمر فى البر كان سلحفاة ويعظم الصنفان جدا إلى أن يصير كل واحد منهما حمل جمل وإذا أراد الذكر السفاد والأنثى لا تطيعه يأتى الذكر بحشيشة فى فيه من خاصيتها أن صاحبها يكون مقبولا فعند ذلك تطاوعه وهذه الحشيشة لا يعرفها إلا القليل من الناس وهى إذا باضت صرفت همتها إلى بيضها بالنظر إليه ولا تزال كذلك حتى يخلق الله تعالى الولد منها إذ ليس لها أن تحضنه حتى يكمل بحرارتها لأن أسفلها صلب لا حرارة فيه وربما تقبض السلحفاة على ذنب الحية فتقطع رأسها وتمضغ من ذنبها والحية تضرب بنفسها على ظهر السلحفاة وعلى الأرض حتى تموت « حيلة عجيبة » فى التوصل إلى صيدها وذلك أنها تصعد من الماء فتتمرغ فى التراب وتأتى موضعا قد سقط الطير عليه لشرب الماء فتختفى عليه لكدورة لونها التى اكتسبتها من الماء والتراب فتصيد منها ما يكون لها قوتا وتدخل به الماء ليموت فتأكله ولذكرها ذكران وللأنثى فرجان والذكر يطيل المكث فى السفاد والسلحفاة مولعة بأكل الحيات فإذا أكلتها أكلت بعدها سعترا والترس الذى على ظهرها وقاية لها وقد أجاد الشاعر حيث قال فى وصفها :

لحا الله ذات فم أخرس * تطيل من السعى وسواسها

تكب على ظهرها ترسها * وتظهر من جلدها رأسها
إذا الحذر أقلق أحشاءها * وضيق بالخوف أنفاسها
تضم إلى نحرها كفها * وتدخل فى جلدها رأسها

(الحكم) حكى البغوى فى حلها وجهين وصحح الرافعى التحريم لاستخباثها لأن غالب أكلها الحيات وقال ابن حزم البرية والبحرية حلال وكذلك بيضها لقوله تعالى كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً مع قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم ولم يفصل لنا تحريم السلحفاة فهى حلال قال وكذلك يحل اليربوع والسرطان والجراذين وأم حبين والورل والطير كله قال وقد روينا عن عطاء أنه قال بإباحة أكل السلحفاة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه نهى المحرم عن قتل الرخمة وجعل فيها الجزاء وقد قال أبو زيد المروزى من أصحابنا بعد تحريم المخاط والبزاق والمنى ونحوها وكأنه استغنى بنفرة الطباع عنها فلم يزجر عنها (وفى الأمثال) قالوا أبلد من سلحفاة (الخواص) ذكر صاحب الفلاحة والقزوينى أن البرد إذا كثر وقوعه على الأرض وأضر بذلك المكان تؤخذ سلحفاة وتقلب فيه على ظهرها بحيث تبقى قوائمها شائلة نحو السماء فان البرد لا يضر ذلك المكان وإذا لطخت الأيدى والأقدام بدمها نفع من وجع المفاصل وإذا أديم التمسح بدمها نفع من الكزاز والتشنج وأكل لحمها يفعل ذلك وإذا جفف دمها وسحق وطلى به على مسرجة فمن أسرجها ضرط وهو سر عجيب مجرب وأى عضو من الإنسان حصل له وجع يعلق عليه نظيره من أعضائها فان الوجع يسكن بإذن الله تعالى وطرف ذنب الذكر منها وقت هيجانه من علقه عليه هيج الباه وإذا اتخذ من ظهرها مكبة وغطى بها رأس قدر لم يغل ما دامت عليه (التعبير) السلحفاة فى المنام امرأة تتزين وتتعطر وتعرض نفسها على الرجال وقيل إنها تعبر بقاضى القضاة لأنها أعلم ما فى البحر وقيل السلحفاه رجل عالم فمن رأى سلحفاة تكرم فى مكان فإن العلماء يكرمون هناك ومن رأى أنه أكل لحم سلحفاة استفاد علما وقالت النصارى إنه ينال مالا وعلما والله أعلم ﴿السلحفاة البحرية﴾ اللجأة وستأتى فى باب اللام إن شاء الله تعالى قال الجوهرى وزعموا أن ابنة جندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت فى البحر فقالت ياقوم نزاف نزاف لم يبق فى البحر غير غراف وهو جمع غرفة من الماء والسلحفاة البحرية جلدها الذبل الذى يصنع منه الأمشاط وخاصية التسريح بمشط الذبل إذهاب الصئبان من الشعر وإذا أحرق الذبل وعجن رماده ببياض البيض وطلى به شقاق الكعبين والأصابع نفعه وقيل الذبل جلد السلحفاة الهندية ، فائدة ، كان للنبى ﷺ مشط من العاج والعاج الذبل وهو شىء يتخذ من ظهر السلحفاة البحريه يتخذ منه الأمشاط والأساور وفى الحديث أن النبى ﷺ أمر ثوبان رضى الله تعالى عنه أن يشترى لفاطمة رضى الله تعالى عنها سوارين من عاج أما العاج الذى هو عظم الفيل فنجس عند الشافعى وطاهر عند أبى حنيفة وعند مالك يطهر بصقله فيجوز التسريح بمشط العاج وهو الذبل وعليه يحمل ما وقع للنووى فى شرح المهذب من جواز التسريح به فمراده بالعاج الذبل لا العاج الذى هو ناب الفيل ﴿السلفان﴾ بكسر السين أولا دالحجل الواحدة سلف مثل صرد وصردان قال أبو عمرو لم يسمع سلفة إلا للأنثى ولو قيل سلفة كما قيل سليكة لواحدة السلكان لكان جيداً ﴿السلق﴾ بالكسر الذئب والأنثى سلقة وربما قيل للمرأة السليطة سلقه ومنه قوله تعالى فإذا جاء الخوف سلقوكم بألسنة حداد أى بسطوا ألسنتهم فيكم والسالقة الرافعة صوتها عند المصيبة ﴿السلك﴾ فرخ القطا وقيل فرخ الحجل والأنثى سلكة والجمع سلكان مثل صرد وصردان وقيل واحدته سلكانة وقد ضربت العرب المثل بسليك ابن سلكة فى العدو وهو تميمى من بنى سعد وسلكة أمه وكانت سوداء وكان يقال له سليك المقانب قال الشاعر :

زمناً طويلا لا يتعفن منه شىء زهرتها إذا شمت المرأة رائحتها هاجت بها شهوة الوقاع حتى ترمى الحياء والصيانة وراء ظهرها قال ابن سينا النقل بثمرتها يبطئ الكر ويحبس القىء وينفع من إكثار البول ( غرب ) شجرة كبيرة قال ابن سينا خشبها يحرق ويعجن بالخل يجفف الثآليل شجرها يدخل فى خضاب الشعر يفيده فائدة جيدة وورقها يجعل على الجراحات الطرية مسحوقا ينفعها وقال غيره ينفع شربا من تشبث العلق بالحلق وإذا شرب زهرها ينفع من ظلمة العين وصمغها ينفع من ظلمة البصر أكلا (فاوانيا) هى شجرة عود الصليب منه رومى ومنه هندى قال ابن سينا خشبها يجلو الآثار السود من البشرة وينفع من النقرس والصرع تعلقا وقد جرب تعليقه فوجد مانعا من الصرع لحيث كانت إبانته يعود معها الصرع ثمرتها تنفع المجانين والمصروعين إذا دخن بها وتنفع من الكابوس إذا شرب خمس عشرة حبة منها بالسراب (فستق) هى شجرة مشهورة زعموا أن الفستق تركيب الحبة الخضراء على اللوز

* إلى الهول أمضى من سليك المقانب * وهو أحد أغربة العرب الآتى ذكرهم إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة ﴿السلكوت﴾ طائر قاله فى المحكم فى رباعى السين ﴿السلوى﴾ قال ابن سيده إنه طائر أبيض مثل السمانى واحدته سلوة والسلوى العسل قال خالد بن زهير الهذلى :

وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى إذا مانشورها

قال الزجاج أخطأ خالد إنما السلوى طائر وقيل السلوى اللحم قال الإمام حجة الإسلام الغزالى وسمى سلوى لأنه يسلى الإنسان عن سائر الإدام والناس يسمونه قاطع الشهوات وقال القزوينى وابن البيطار إنه السمانى وقال غيرهما إنه طائر قريب من السمانى وقال الأخفش لم يسمع له بواحد ويشبه أن يكون واحد سلوى كدفلى للواحد والجمع وهو طائر يعيش دهره فى قلب اللجة فاذا مرضت البزاة بوجع الكبد طلبته أخذته وأكلت كبده فتبرأ وهو الذى أنزل الله تعالى على بنى اسرائيل على القول المشهور وغلط الهذلى فظنه العسل فقال * ألذ من السلوى إذا مانشورها * وفى صحيح البخارى فى أحاديث الأنبياء وفى مسلم فى النكاح من حديث محمد بن رافع قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا به أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وذكر أحاديث منها قال رسول الله ﷺ لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر أبدا ومعناه أنه لم يتغير اللحم أبدا ولم ينتن قال العلماء معناه أن بنى إسرائيل لما أنزل الله عليهم المن والسلوى نهوا عن ادخارهما فادخروا ففسدوا وأنتن واستمر من ذلك الوقت وروى ابن ماجه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وعنه رضى الله تعالى عنه ما أهدى للنبى ﷺ لحم إلا قبله ولا دعى إلى لحم إلا أجاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أطيب اللحم لحم الظهر وما أحسن ما قال شيخنا برهان الدين القيراطى :

لما رأيت سلوى عز مطلبه * عنكم وعقد اصطبارى صار محلولا
دخلت بالرغم منى تحت طاعتكم * ليقضى الله أمرا كان مفعولا

(الحكم) يحل أكله بالإجماع (الخواص) قال ابن زهر إذا علقت عينه على الأرمد شفى وإن اكتحل بها نفع من وجع الكبد ومرارته تخلط بزعفران مداف ويطلى به على البهق الأسود يقطعه وزبله يسحق ويذر على القروح المتأكلة ينفعها وإذا دفن رأسه فى برج حمام زال عنه سائر الهوام ورأسه إذا بخر به مكان أزال الأرضة منه (التعبير) السلوى تدل رؤيته على رفع النكد والنجاة من العدو ونجاز الوعد والخير والرزق الهنىء بلا تعب ولا عناء لمن رآه أو ملكه وربما دلت رؤيته على سلوى عن عشق لأجل اسمه وربما دلت رؤيته على كفران النعم وزوال المنصب وضنك العيش لقوله تعالى أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير والله أعلم ﴿السمانى﴾ قال الزبيدى هو بضم السين وفتح النون على وزن الحبارى اسم لطائر يلبد بالأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار والسمانى طائر معروف ولا تقل سمانى بالتشديد والجمع سمانيات ويسمى قتيل الرعد من أجل أنه إذا سمع الرعد مات ويقال إن فرخه عند مايخرج من البيض يطير من ساعته ومن عجيب أمره أنه يسكت فى الشتاء فإذا أقبل الربيع يصيح ويغتذى بالبيش والبيشاء وهما سم ناقع قاتل وهو من الطيور القواطع لايدرى من أين يأتى حتى أن بعض الناس يقول إنه يخرج من البحر المالح فإنه يرى طائرا عليه وأحد جناحيه منغمس فيه والآخر منشور كالقلع ولأهل مصر

خشبها يشعل فى النار وإن كان نديا لفرط دهنيته بخلاف غيره من الأخشاب ثمرتها تنفع من نهش الهوام ويزيد فى الباه وينفع من السعال البلغمى ودهنها يزيل الزرقة من العين إذا داوم على اكتحاله كل ذلك عن ابن سينا (فلفل) شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار وهى شجرة عالية لايزال الماء تحتها فإذا هبت الرياح تساقطت على وجه الماء فتجمع منه وكذلك فشخه وهى شجرة حره لامك لأحد فيها وحملها عليها شتاء وصيفا وهو عناقيد فاذا حميت الشمس عليها انطبقت على كل عنقود منها أوراق حتى لاتحترق بالشمس فاذا زالت الشمس عنها زالت الأوراق عن العناقيد لتنال النسيم وذكر من رآها أن شجرتها مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شمراخان منظومان بالفلفل وشمراخه فى طول الإصبع قال جالينوس أول ماتطلع ثمرتها تكون دار فلفل ثم ينفصل عن حب يكون هو الفاضل أما الدار فلفل فينفع من نهش الهوام أكلا وطلاء بالدهن ويزيد فى الباه وينفع من الغثى مع كبد المعز مشويا وأما الفلفل فقد قال ابن سينا هو بالنطرون طلاء للبهق وبالزفت طلاء

به عناية ويتغالون فى ثمنه (الحكم) يحل أكله بالإجماع (الخواص) لحمه حار يابس وأجوده المخاليف الطرية وأكله ينفع من وجع المفاصل من برد لكنه يضر بالكبد الحار ويدفع ضرره الكسبرة والخل وهو يولد دما حارا وهو موافق لذوى الأمزجة الباردة والمشايخ ويكره مشوى السمانى ليبسه وتجفيفه قال ابن عبدون وقال غيره مزاج لحمه بين الدجاج والحجل وهو إلى مزاج الدجاج أميل وهو جيد الكيموس وأكله يفتت الحصا ويدر البول وإذا قطر دمه فى الأذن سكن وجعها وإذا أديم أكله ألان القلب القاسى ويقال إن هذه الخاصية موجودة فى قلبه فقط (التعبير) السمانى تدل رؤيته على الفوائد والأرزاق من جهة الزرع والفلاحة وهو لمن يقصد سماعه دليل على الأرزاق من الشبهات وربما دل على اللعب واللهو والتبذير وربما دلت رؤيته على الجرم بما يوجب الحبس، والصلب والله أعلم ﴿السمحج﴾ الأتان الطويلة الظهر والجمع سماحج وكذلك الفرس ولا يقال للذكر ﴿السمع﴾ بكسر السين وإسكان الميم وبالعين المهملة فى آخره ولد الذئب من الضبع وهو سبع مركب فيه شدة الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته ويزعمون أنه كالحية لا يعرف العلل ولا يموت حتف أنفه وأنه أسرع عدوا من الريح وقال الجوهرى السمع الأزل الذئب الأرسح وهو القليل لحم الفخذين وكل ذئب أرسح فإن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجاء انتهى وقد قال بعض الأعراب فيه :

تراه حديد الطرف أبلج واضحا * أغر طويل الباع أسمع من سمع

ويقال إن وثبته تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعا وفى كتاب خبر البشر بخير البشر خبر لابن ظفر عن ربيعة ابن أبى نزالى قال أخبرنى خالى قال لما أظهر الله علينا رسول الله ﷺ بحنين أشعبنا فى كل شعب لا يلوى حميم على حميم فبينما أنا فى بعض الشعاب إذ رأيت ثعلبا قد تحوى عليه أرقم والثعلب يعدو عدوا شديدا فانتحيت إليه بحجر فما أخطأه فانتهيت إليه فإذا الثعلب قد سبقنى بنفسه وإذا الأرقم قد تقطع وهو يضطرب فقمت أنظر إليه فهتف بى هاتف ما سمعت أفظع من صوته يقول تعسا لك وبؤسا قد قتلت رئيسا ووترت بئيسا ثم قال ياداثر ياداثر فأجابه مجيب من العدوة الأخرى لبيك لبيك فقال بادر بادر إلى بنى الغدافر فأخبرهم بما صنع الكافر فناديت أنى لم أشعر وأنا عائذ بك فأجرنى فقال كلا والحرم الأمين لا أجير من قاتل المسلمين وعبد غير رب العالمين قال فناديت إنى أسلم فقال إن أسلمت سقط عنك القصاص وفزت بالخلاص وإلا فلات حين مناص قال فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال نجوت وهديت ولولا ذلك لرديت فارجع من حيث جيت قال فرجعت أقفو أدارجى فإذا هو يقول :

امتط السمع الأزل * يعلى بك التل * فهناك أبو عامر * يتبع بك الفل

قال فالتفت فإذا سمع كالأسد النهد فركبته فمر ينسل حتى انتهى إلى تل عظيم فتوغل فيه إلى أن تسنمه فأشرفت منه على خيل المسلمين فنزلت عنه وصوبت فى الحدور نحوهم فلما دنوت منهم خرج إلى فارس كالفالج الهائج فقال ألق سلاحك لا أم لك فألقيت سلاحى فقال لى من أنت قلت مسلم قال فسلام عليك ورحمة الله وبركاته فقلت وعليك السلام والرحمة والبركة من أبو عامر قال أنا هو قلت الحمد لله فقال لا بأس عليك هؤلاء إخوانك المسلمون

الحبل (فندق) هى شجرة معروفة ذكر أنه إذا خط بخشب الفندق دائرة حول العقرب لا يقدر على الخروج منها قال بقراط ثمرتها تزيد فى الدماغ قال ابن سينا زعم قوم أن الفندق يطلى به نافوخ الصبى الأزرق العين يذهب زرقته وقال إنه ينفع من النهوش سيما مع السذاب والتين وقال غيره من استصحب فندقة يأمن من لدغ العقرب ويشوى ويسحق ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر وإذا أكل مدقوقا محلولا بالعسل يذهب السعال العتيق والتنقل به يبطئ السكر والمداومة على أكله يشحذ الخاطر وقشره يحرق ويسحق ويجعل فى الزيت يزيل زرقة عيون الأطفال اكتحالا ويسودها (فليزهرج) هى شجرة الحضض لها ثمرة كالفلفل يتخذ منه الحضض قال ابن سينا خشبها يقوى الشعر طلاء وتطبخ فروعها بالخل ويشرب للطحال ثمرتها تطبخ ويؤخذ منها الحضض ينفع من الكلف طلاء ويبرئ قروح اللثة وينفع من الرمد ويزيل غشاوة العين وينفع من جرب العين والبواسير

ثمرتها كالياسمين إلا أنها أشد سوادا وذكروا أن أهل تلك الجزيرة لايخرجونها إلا مطبوخة لئلا تنبت فى غيرها من البلاد قال ابن سينا ثمرتها تطيب النكهة وتحد البصر وتنفع من الغشاوة وقال غيره تنفع من الغثيان ورائحتها تقوى الدماغ البارد الذى غلبت عليه السوداء وتقوى القلب وتفرحه (قصب) معروف وأنواعه كثيرة وأنفعها قصب السكر وأحسنها مايوجد بأرض مصر ينفع من السعال ووجع الصدر ويدر البول ويجلو الصدر من الرطوبات ومنها القصب النبطى ومن عجيب خواصه ما ذكر أنه إن ضربت حية بقصبته ضربة واحدة لم تستطع أن تريم أو تنقلب وتبقى فى مكانها حتى تتلف وإن ثنيت الضرب أو أكثرت ذهبت وسلمت ورقها وأصلها مع البصل يجلب السلى ويدر الطمث والبول وإذا دققت القصب الرطب وجعلته فى الطبيخ الذى أكثرت ملحه تزول ملوحته وأصل القصب فيه قوة جاذبة إذا دق وضمد به العضو الذى فيه الحديد جذبه ومنها قصب الذريرة يجلب

ثم قال إنى رأيتك بأعلى التل فارسا فأين فرسك قال فقصصت عليه القصة فأعجبه ماسمع منى وسرت مع القوم أقفو بهم أثر هوازن حتى بلغوا من الله ما أرادوه قال محمد بن ظفر قوله تحوى عليه أرقم أى استدار عليه والأرقم الحية التى فيها خطوط كالرقم وتزعم الأعراب أن الثعالب مطايا الجن ويكرهون اصطيادها ويقولون إن من اصطاد ثعلبا أصيب ببعض ماله وقوله سبقنى بنفسه أى هلك قبل أن أصل إليه وقوله لولا ذلك لرديت أى هلكت والردى الهلاك وقوله أقفو أدراجى أى اتبع طرقى التى جئت فيها والأدراج السبل وقوله الفل هم المنهزمون وقوله النهد هو العظيم الخلق وقوله ينسل أى يعدو والنسلان عدو الذئب والكلب وكل ما أشبه ذلك فى العدو فهو نسلان وقوله كالفالج هو البعير العظيم ذو السنامين انتهى (الحكم) تحريم الأكل واختلفوا فى وجوب الجزاء على المحرم بقتله كالمتولد بين الحمار الوحشى والأهلى فقال ابن القصاص لاجزاء فى ذلك وغلط فيه والمذهب أنه يحرم على المحرم التعرض له ويجب فيه الجزاء (الأمثال) قالوا أسمع من سمع ومن السمع الأزل لأن هذه الصفة لازمة له كما يقال للضبع العرجا * وهو فى الرؤيا يدل على ذى الأصل الردىء ونقل ماسمعه من كلام جيد وردىء وذلك مأخوذ من اسمه والله أعلم ﴿السمائم﴾ بالفتح جمع سمامة وهو ضرب من الطير كالخطاف لايقدر على بيضه وقيل هو السنونو الآتى قريبا إن شاء الله تعالى وهو الطير الأبابيل الذى أرسله الله تعالى على أصحاب الفيل (الأمثال) قالت العرب كلفتنى بيض السمائم ويروى بيض السماسم وهو جمع سمسمة وهى النملة وستأتى إن شاء الله تعالى يضرب للشىء العزيز الوجود ﴿السمسم﴾ بالفتح الثعلب ﴿السمسمة﴾ بكسر السين النملة الحمراء وجمعها سماسم وقال ابن فارس فى مجمله هو النمل الصغار وبها فسر الحديث الذى رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ ذكر الجهنميين وأن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها فيخرجون كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس قال الإمام النووى قوله كأنهم عيدان السماسم هو بالسينين المهملتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة وهو جمع سمسم وهو السمسم المعروف الذى يستخرج منه الشيرج وقال أبو السعادات بن الأثير السماسم جمع سمسم وعيدانه تراها إذا قلعت وتركت ليؤخذ حبها دقاقا سودا كأنها محترقة قال وطالما تطلبت هذه اللفظة وسألت عنها فلم أجد فيها شيئا شافيا وما أشبه أن تكون اللفظة محرفة وربما كانت عيدان السماسم وهو خشب أسود كالآبنوس قال القاضى عياض لايعرف معنى السماسم ولعل صوابه السأسم وهو عود أسود وقيل هو الآبنوس وقيل هو نبت صغير ضعيف كالكسبرة وقال آخرون لعله السأسم مهموزة وهو الآبنوس شبههم به لسواده ﴿السمك﴾ من خلق الماء الواحدة سمكة وجمعه أسماك وسموك وهو أنواع كثيرة ولكل نوع اسم خاص وقد تقدم فى آخر الجراد أن النبى ﷺ قال إن الله عز وجل خلق ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر من أنواع السمك مالايدرك الطرف أولها وآخرها الكبر هاوما لايدركها الطرف لصغرها وكل يأوى الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة والسمك يستنشق بأصداغه فيقوم له الماء فى تولد الروح الحيوانى فى قلبه مقام الهواء وإنما استغنى عن الهواء فى إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه

من عالم الماء والأرض دون عالم الهواء ونحن من عالم الأرض والماء والهواء قال الجاحظ السمك يسبح الله فى غير الماء ولا يسبح فى أعلاه ونسيم البر الذى يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة قتله قال الشاعر :

تغمه النشوة والنسيم * ولا يزال مغرقا يعوم * فى البحر والبحر له حميم

وأمه الوالدة الرؤم * تلهمه جهراً وما يريم

وقوله وأمه الوالدة فيه شاهد على أن الأم فى غير الآدميين تسمى أيضا والدة وقوله تلهمه أى تأكله لأن السمك يأكل بعضه بعضا وذلك قوته ولذلك قال الغزالى السمك أكثر خلق الله تعالى وقوله وما يريم أى لا يبرح عن ذلك الموضع الذى يأكل فيه وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه فإن الغزالى قد استثنى منه نوعا لا يضره النسيم فقال ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل انتهى وقال ابن التلميذ فى تشبيه السمك

لبس الجواشن خوف الردى * عليهن من فوقهن الخوذ

فلما أتيح لها أهلكت * ببرد النسيم الذى يستلذ

وهو بجملته شره كثير الأكل لبرد مزاج معدته وقربها من فمه وأنه ليس له عنق ولا صوت ولا يدخل إلى جوفه هواء ألبتة ولذلك يقول بعضهم إن السمك لا رئة له كما أن الفرس لا طحال له والجمل لا مرارة له والنعامة لا مخ لها وصغار السمك تحترس من كباره ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذى لا يحمل الكبير وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة تجرى فى مسلك واحد لا ينقسم فى عضو خاص وهذا بعينه موجود فى الحيات ومن السمك ما يتولد بسفاد ومنه ما يتولد بغيره إما من الطين أو من الرمل وهو الغالب فى أنواعه والغالب يتولد من العفونات وبيض السمك ليس له بياض ولا صفرة وإنما هو لون واحد قال الجاحظ ومن السمك القواطع والأوابد كما فى الطير فرب سمكة تأتى فى بعض فصول السنة وتنقطع فى بعضها ومن جملة أنواعه السقنقور والدلفين والخرشفلا والتمساح وقد تقدم ذكرها فى أبوابها ومنها القرش والعنبر وسيأتيان فى بابيهما إن شاء الله تعالى ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات وغير ذلك ومن أنواعه السمكة الرعادة وهى صغيرة إذا وقعت فى الشبكة والصياد يمسك حبلها ارتعدت يد الصياد والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا بها شدوا حبل الشبكة فى وتد أو شجرة حتى تموت السمكة فإذا ماتت بطلت خاصيتها وما أحسن قول الشيخ شرف الدين محمد بن حماد ابن عبد الله البوصيرى صاحب البردة فى الشيخ زين الدين محمد بن الرعاد :

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر * ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجى

فشعرى بحر لا يرى فيه ضفدع * ولا يقطع الرعاد يوما له لجا

وأطباء الهند يستعملونها فى الأمراض الشديدة الحرارة وأما فى غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالها قال ابن سيده الرعادة إذا قربت من رأس المصروع وهى حية نفعته وإذا علقت المرأة شيئا منها عليها لم يقدر الرجل على فراقها وفى البحر من العجائب ما لا يستطاع حصره ويكفى فى ذلك قول رسول الله ﷺ حدثوا عن البحر ولا حرج أى حدثوا عنه حيث لا حرج عليكم فى ذلك ومن أنواعه الشيخ اليهودى وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الشين المعجمة «عجيبة» حكى القزوينى فى عجائب المخلوقات عن عبد الرحمن بن هرون المغربى قال ركبت بحر المغرب فوصلت إلى موضع يقال له البرطون وكان معنا غلام صقلى معه صنارة فألقاها فى البحر فصاد بها سمكة نحو الشبر

على ثنية الركاب وهى ثنية بنهاوند فهو مفيد قال ابن سينا ينفع من كمودة الدم الميت ويجلو البصر ويبخر به فى الحلق ينفع السعال ومع العسل وبذر الكرفس ينفع من الاستسقاء ومنها قصب القنا ينبت بأرض الهند يتخذ منه الرماح قالوا إنها تحترق لاحتكاك أطرافها عند عصوف الرياح ورمادها الطباشير وهو ينفع للخفقان وأورام العين الحارة ويقوى القلب وينفع فى الحميات (كافور) شجرة كبيرة هندية يألفها الفسر تظل خلقا كثيرا لا يصل إليها الناس إلا فى وقت من السنة معلوم وهى سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافور ويسيل من أسفل الشجرة قال محمد بن زكريا الكافور صمغ هذه الشجرة إلا أنه فى داخلها يثقب أعلى الشجرة فيسيل منه الكافور عند الحرارة ويثقب أسفل من ذلك فيخرج منها قطع الكافور قال ابن سينا استعمال الكافور يسرع الشيب وينفع من الصداع الحار ويسهر ويقوى الحواس ويقطع الباه (كرم) أكثر الأشجار وجوداً ونفعا قال صاحب الفلاحة من عجائبها أنك إذا أخذت وديها الذى فيه

قوة الثمرة وغرستها يأتى فى السنة الأولى بالعناقيد الكبار وإذا أردت أن يكون الكرم كثير النفع قوى الأصل سريع الثمار فخذ غرسها من قضبان شجرة قريبة العهد واغرسه فى النصف الأول من الشهر ولطخ رأس القضيب بخثى البقر وبدد فى المغرس شيئا من البلوط والنانخوا ليقوى أصله وشيئا من الباقلا لينمو سريعا فإذا أتى بهذه الشرائط تكون شجرتها عجيبة جدا مخالفة لسائر الكروم وإذا أخذت وزنا من العنب الأسود وآخر من الأبيض وثالثا من الأحمر وشققتها بحيث لا يقع منها قشرها وتلصق بعضها بالبعض وتغرسها تثمر العنب الأسود والأبيض والأحمر فترى هذه الألوان الثلاثة على شجرة واحدة وإذا أردت أن تسود العنب الأبيض فاحفر ما حول الكرمة واقلب فيها شيئا من النفط الأسود فإن عنبها يسود وإذا أردت أن لا يقع فى الكرم دود فاقطع طاقاتها بمنجل ملطخ بدم الضفدع أو دم الذئب وإن أردت أن تسلم من البرد فدخن الكرم بالزبل حيث يصل الدخان إليها جميعا ثم انتر عليها ثمر الطرفاء فإنها تسلم من آفة البرد بإذن الله تعالى ودمعة الكرم التى تتقاطر من قضبانها بعد ما قطعت تجمع

فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفى قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله * وفى كتاب تحفة الألباب لأبى حامد الأندلسى الغرناطى أن فى بحر الروم سمكا صغيرا كالذراع يسمى التلب إذا أخذ وأمسك ماشاء الله لا يموت بل يتحرك ويضطرب وإذا جعل منه قطعة على النار وثب خارج النار وربما أصاب وجوه الناس وإن جعلت سمكة منه فى قدر وغطى رأسها بصخرة أو حديدة لئلا تخرج منها فما لم تنضج لم تمت ولو قطعت ألف قطعة

﴿فوائد﴾ روى الإمام أحمد فى الزهد عن نوف البكالى قال انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقى شبكته ويذكر آلهته فتمتلئ سمكا ويلقى المؤمن شبكته ويذكر اسم الله تعالى فلا يصطاد شيئا قال ففعلا ذلك إلى مغيب الشمس ثم إن المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت فى الماء فرجع المؤمن وليس معه شىء ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته فأسف ملك المؤمن وقال رب عبدك المؤمن الذى يدعوك رجع وليس معه شىء وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته فقال الله عز وجل لملك المؤمن تعال فأراه مسكن المؤمن فى الجنة فقال ما يضر عبدى هذا المؤمن ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأراه مسكن الكافر فى النار فقال هل يغنى عنه من شىء أصابه فى الدنيا قال لا والله يارب. ومنها فى آخر صفوة الصفوة عن أبى العباس بن المسروق قال كنت باليمن فرأيت صياداً يصطاد السمك على بعض السواحل وعلى جانبه ابنة له كلما اصطاد سمكة تركها فى دوخلة معه فتردها الصبية إلى الماء فالتفت الرجل فلم ير شيئا فقال يابنية أى شىء صنعت بالسمك فقالت ياأبت سمعتك تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقع سمكة فى شبكة إلا غفلت عن ذكر الله فلم أحب أن آكل شيئا غفل عن ذكر الله فبكى الرجل ورمى بالصنارة. ومنها فى كتاب الثواب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوما فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وحملت له على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها وادفعها إليه فقال الغلام أصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا يوما فلم نجدها فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له نحن نعطيه ثمنها فقال لفها وادفعها إليه فقال الغلام للسائل هل لك أن تأخذ درهما وتدع هذه السمكة فأخذ منه درهما وردها فعاد الغلام وقال له. دفعت له درهما وأخذتها منه فقال له لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه شيئا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ومنها ماروى الطبرانى بإسناد صحيح عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما اشتكى فاشتهى عنبا فاشترى له عنقود عنب بدرهم فجاء مسكين فقال اعطوه إياه فخالف إنسان فاشتراه بدرهم ثم جاء به إليه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم فى الرابعة أكله وما علم ذلك ولو علم ذلك ما ذاقه * وقال سريج بن يونس خرجت يوما لصلاة الجمعة فرأيت سمكتين مشويتين فاشتهيتهما بقلبى للصبيان ولم أتكلم فلما رجعت لم أستقر إلا قليلا حتى دق الباب رجل وعلى رأسه طبق عليه السمكتان ونقل وخل ورطب كثير فقال ياأبا الحرث كل هذا مع الصبيان * وقال عبد الله بن الإمام أحمد ابن حنبل سمعت سريج بن يونس يقول رأيت رب العزة فى المنام فقال لى ياسريج سل حاجتك فقلت يارب سر بسر اه وسر بسر لفظة أعجمية يعنى رأساً برأس وفى تاريخ ابن خلكان أن سريجا هذا جد أبى العباس إمام الفقهاء الشافعية (الحكم) السمك بجميع أنواعه حلال بغير ذبح

سواء مات بسبب ظاهر كضغطة أو صدمة حجر أو انحسار ماء أو ضرب من صياد أو مات حتف أنفه لعموم ما تقدم من قوله ﷺ أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وأجمع المسلمون على طهارة ميتتهما وسيأتى فى باب العين إن شاء الله تعالى حديث العنبر الذى وجده أبو عبيدة وأصحابه رضى الله تعالى عنهم وأكل منه النبى ﷺ ﴿فرع﴾ لو اصطاد مجوسى سمكا فهو طاهر لقول الحسن رأيت سبعين صحابيا يأكلون صيدا لمجوسى من الحيتان ولا يتلجلج فى صدورهم من ذلك شىء وهذا فى السمك جمع عليه وخالف مالك فى الجراد ﴿فرع﴾ لا يحل قطع السمكة الحية لما فيه من التعذيب كما لو قلاها قبل الموت فى الزيت المغلى كذا قاله أبو حامد قال النووى وهذا تفريع على اختياره تحريم ابتلاعها حية وذلك مباح اه ﴿قلت﴾ وهذا مشكل فلا يلزم من جواز الابتلاع جواز القلى لما فيه من التعذيب بالنار ﴿فرع﴾ يكره ذبح السمك إلا أن يكون كبيرا يطول بقاؤه فيستحب ذبحه فى الأصح إراحة له وقال الرافعى أكل السمكة الصغيرة إذا شويت ولم يشق جوفها ولم يخرج ما فيه؛ فيه وجهان وعلى المسامحة جرى الأولون قال الرويانى وبهذا أفتى ورجيعها طاهر عندى وهو مختار القفال ﴿فرع﴾ اختلف العلماء فى الحيوان الذى فى البحر سوى الحوت فقال بعضهم يؤكل جميع ما فى البحر سوى الضفدع ولو كان على صورة إنسان وإلى هذا ذهب أبو على الطبرى من قدماء أصحابنا قال فى شرح القنية قيل له أرأيت لو كان على صورة بنى آدم قال وإن تكلم بالعربية وقال أنا فلان بن فلان فإنه لا يصدق اه وهذا ضعيف شاذ وقال آخرون يؤكل الجميع إلا ما كان على صورة الكلب والخنزير والضفدع وقيل كل ما أكل فى البر مذبوحا يؤكل مثله فى البحر مذبوحا وغير مذبوح على الأصح وقيل لا بد من ذبحه واختاره الصيدنى فعلى هذا لا يحل كلب الماء ولا خنزيره ولا حمار البحر وإن كان له شبه فى البر حلال وهو الحمار الوحشى لأن له شبها فى البر حرام وهو الحمار الأهلى تغليبا للتحريم كذا قاله فى الروضة وشرح المهذب ﴿قلت﴾ المهذب المفتى به حل الجميع إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كانت على صورة كلب أو خنزير أو إنسان أم لا ﴿فرع﴾ لو حلف إنسان لا يأكل لحما لم يحنث بأكل لحم السمك لأنه لا يفهم من اطلاق اسم اللحم عليه عرفا وإن سماه الله تعالى لحما طريا كما لا يحنث بالجلوس فى الشمس إذا حلف أنه لا يجلس فى ضوء السراج وان سماها الله تعالى سراجا وكما لا يحنث بالجلوس على الأرض إذا حلف أنه لا يجلس على بساط وإن سماها الله تعالى بساطا ﴿فرع﴾ قد اختلف فى اطلاق اسم السمك على ما سوى الحوت من هذه الحيوانات والذى نص عليه الشافعى فى الأم والمختصر أنه يطلق على الجميع وهو الصحيح فى الروضة وقال فى اختلاف العراقيين فى قوله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم الآية قال أهل التفسير طعامه كل ما فيه وهو يشبه ما قال والله أعلم هذه عبارته وهى صريحة فى حل الجميع وذكر فى المنهاج أن السمك لا يقع إلا على الحوت ﴿فرع﴾ يجوز السلم فيه وفى الجراد حيا وميتا عند عموم الوجود ويوصف كل جنس بما يليق به ولا يجوز بيع السمك فى الماء لما روى الإمام أحمد عن محمد بن السماك عن يزيد بن أبى زياد عن المسيب بن رافع عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لا تشتروا السمك فى الماء فإنه غرر قال البيهقى هكذا روى موقوفا وفيه إرسال بين المسيب وابن مسعود والصحيح ما رواه هشيم عن يزيد موقوفا عن عبد الله أنه كره بيع السمك فى الماء ﴿فرع﴾ ما يعيش فى البر والبحر الضفدع والتمساح والحية واللجأة والسرطان

عنها ساعة واحدة قال ابن سينا دمعة الكرم جيدة للجرب والقوباء وورقها يمضغ يقوى اللثة المسترخية ويدق ناعما ويضمد به يسكن الصداع الحار وقال ابن سينا ورقها وخيوطها ضماد للصداع الحار وأصناف ثمرتها كثيرة وأعجبها عيون البقر كل حبة كجوزة وأصابع العذارى فإن حباتها طوال كأصابع العذارى المخضوبة فربما يكون العنقود نحو الذراع والدوالى وهو عنب أسود غير حالك وعناقيده عظيمة كأنها رءوس معلقة وحباته تنكسر بالفم قال ابن سينا العنب المقطوف فى الوقت يحرك البطن وقال غيره يسمن ويقوى شهوة الجماع ويولد مادة المنى تبخيرها ينفع لنهش الهوام والأفاعى وهو مع الخل دواء جيد للبواسير والقوبة وأما الخمر فقد ذكر سبب حدوثها أن جمشيد الملك فى بعض متصيداته رأى فى شىء من الجبال كرمة عليها عناقيد عنب فتعجب منها وأمر بقطعها وقال إنا سمعنا أن الجبال ينبت فيها السموم فلعل هذه منها وأمر بحفظها حتى يجربها فيمن يستحق القتل فجعلوها فى رحلهم

فتكسرت حباتها فعصروها وجعلوا ماءها فى ظرف حتى عاد الملك إلى مستقره فأمر بإحضار رجل يستحق القتل وأحضر العصير وقد احتدت وصارت خمرا فسقى الرجل منها قهرا فشربها بمشقة شديدة فما شكوا فى كونها سما فزادوا فى سقيه فنام الرجل نومة ثقيلة فلم يشكوا فى أنه يجود بنفسه فلما انتبه من نومه قال اسقونى مرة أخرى فسقوه مرارا فما كان إلا الخير فشرب غيره وذكر مافيه من اللذة والطرب وشرب الملك أيضا وأمر بغرس تلك الشجرة فى البلاد ليكثر ثمرها ففعلوا ذلك وأما الخل فهو نعم الإدام كما قال صلى الله عليه وسلم ويصب على نزف الدم فيقطعه وينفع من الجرب والقوباء وحرق النار ووضعه على الرأس ينفع من الصداع الحار والمضمضة به تنفع الأسنان المتحركة وتفتق الشهوة وتحلل الاستسقاء وأما الزبيب فإن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى اليه الزبيب فقال بسم الله نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفىء الغضب ويرضى الرب ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون وقالت الأطباء أنه يقوى المعدة ويحبس الطبع بالعجم وبغير العجم يطلق والله الموفق (كثرى) قال صاحب

والسلحفاة والحلزون والدعاميص والاصداف والنسناس أما الستة الأولى فحرمة وأما الحلزون فتقدم حكمه فى باب الحاء المهملة وأما الدعاميص فعلى قول القاضى أنها ماء منعقد ولا يعيش إلا فى الماء يحل أكلها وعلى قول الجاحظ يحرم لأن البعوض حرام وقد تقدم بيان حكمها فى باب الدال المهملة والصدف حرام كما تقدم فى السرطان وفى النسناس خلاف يأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون (الخواص) لحمه بارد رطب أجوده البحرى المرقش الظهر الصغير المفلس منفعته تخصيب الأبدان المعرفة لكنه يعطش ويولد خلطا بلغميا يوافق أصحاب الأمزجة الحارة والشباب وأجود ما أكل فى الصيف وفى البلاد الحارة وأنواع السمك كثيرة ويكره من جملتها الأسود والأصفر والآجامى وما اغتذى بالحمأة ويكره الأبراميس والبورى لمضرتهما بالمعدة وإطلاقهما البطن وتحريكهما الأوجاع والغضب بعد أكلهما يورث أمراضا رديئة وسمك الأنهار كثير الشوك رقيقه كثير الرطوبة والبحرى بالضد والسلور وهو الجرى كثير الغذاء ملين للبطن وينقى قصبة الرئة ويصفى الصوت والمارماهيج يزيد فى المنى وشحم الكلى والعظيم الجثة من السمك كثير الغذاء والفضول وقال ابن سينا لحم السمك نافع لماء العين ويحد البصر مع العسل وقال غيره يزيد فى الباه وقال القزوينى إن أكل الطرى منه مع البصل الرطب يهيج الباه ويزيد فيه إذا أكله حارا والسمك إذا شمه السكران يرجع اليه عقله ويزول عنه سكره ومرارته ومرارة السلحفاة البحرية إذا خلطتا وكتب بهما على كاغد بقلم حديد فإن الكتابة ترى بالليل وكأنها ذهب ومرارة السمك والكركى والحجل تمنع نزول الماء اكتحالا ومرارة السمك إذا شربت نفعت من الخفقان وكذلك إذا نفخت فى الحلق مع شىء من السكر (التعبير) السمك فى الرؤيا إذا عرف عدده إلى أربع فهو نساء وإن كان أكثر من أربع فهو مال وغنيمة لقوله تعالى وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وهو السمك، والحوت يعبر بوزير الملك والسمك جنده فمن أخذ سمكا نال من جند الملك مالا ومن رأى كأنه يصطاد السمك فى بئر فإنه لوطى أو يبيع خادمه لإنسان وقالت النصارى صيد السمك فى الماء الكدر لا خير فيه ومن رأى أنه يصيد السمك فى الماء الصافى فإنه يسمع كلاما يسره به والسمك للمريض الملازم للفراش دليل ردىء بسبب الرطوبات وإذا رآه المسافر فى فراشه دل على شدة وربما يخشى على صاحب الرؤيا من الغرق لأنه قد ضاجعه ومن رأى كأنه يصيد السمك من الماء الصافى فإنه يرزق ولدا سعيدا والسمك المالح هم من قبل السلطان وذلك لكبس بعضه فوق بعض وقيل السمك المالح يدل على خير ومال باق لأن الملح يحفظ السمك من التلف وقيل إنه هم من قبل المماليك والسمك المشوى يدل على سفر فى طلب علم ومن رأى سمكة خرجت من فرجه وله امرأة حامل بشر بجارية وإن رأى سمكا كثيرا وبينها سمكة عظيمة ويرى أكبر السمك قد صلبت فإن الجائر والباغى يهلك والسمك المقلى يدل على إجابة دعوة من رآه لأن عيسى عليه الصلاة والسلام دعا الله فأجيب بالسمك المقلى فى المائدة ورؤية الكبار من السمك غنائم وأموال والصغار هموم وأحزان لأن شوك الصغار أكثر من لحمه ويشق على آكله « فصل » الحوت تدل رؤيته على اليمين لأن الله تعالى أقسم به فقال ن والقلم وربما دلت رؤيته على معبد الصالحين ومسجد المتعبدين لأن يونس عليه السلام كان يسبح الله تعالى فى بطنه وربما دلت رؤيته على الغم والنكد وزوال المنصب وحلول الغضب لأن الله تعالى حرم على اليهود صيدهم يوم السبت فخالفوا أمره فاستوجبوا بذلك اللعن ورؤية حوت يونس عليه السلام أمن للخائف وغنى للفقير وفرج لمن هو فى شدة وكذلك رؤية سجن يوسف والكهف والرقيم وتنور نوح عليه السلام « فصل » واعتبر من السمك

الطرى والحلو والمالح وماله شوك وماله سلاح وما يقدد منه وما يأوى البحر العذب وما يأوى البحر الملح وماله صوت يسمع وما يطفو على وجه الماء من صغاره وكباره وماله شبه فى البر وما يأنس منه فى البيوت وما يمسك منه باليد من غير آلة وأعطى الرائى حقه من ذلك فمن رأى أنه اصطاد من البحر سمكا طريا حلوا بآلة دل على الكسب الحلال والسعى فيه واقتناء الرزق الحلال والصيد للرجل دال على احتياله برأيه وجهده فإن كان الرائى أعزب تزوج وإن كان متزوجا رزق ولدا على قدر ما صاده فى المنام وصيد المرأة يدل على مال تحرزه من زوجها أو أبيها وصيد العبد دليل على ما يتناوله من مال سيده وصيد الصغير دليل على ما يحفظه من علم أو صناعة أو مال يرثه من أبويه فإن كانت آلة صيده شباكا أو خطاطيف أو ما يعمق فى البحر كان ذلك شدة ينالها الرائى وخطرا يرتكبه فإن كانت آلة صيده خفيفة وطلع فيها ما يطلع فى غيرها من الآلات الثقال دل على بسط الرزق وتسهيل الأمور وإن طلع فى الآلات الثقال ما يطلع فى السهلة دل على التعب والنصب وعلى اليسير من الرزق فإن طلع له سمك كثير فإنه رزق مما دل عليه البحر وسيأتى الكلام إن شاء الله تعالى فيما يدل عليه البحر فى باب الفاء فى فرس البحر فإن كان البحر ما لحا بال فائدة أو علما من أعجمى أو مبتدع فإن كان ما صاده له شوك وقشر كانت فضة محرزة أو ذهبا فإن كان ليس له قشر دل على أعمال باطلة لا تتم وذلك لسرعة انصرافه من الأيدى وملوسته وإن كان للسمك سلاح كالشال والشلبا دل على انتصاره على أعدائه وربما صادق أهل الشر فإن كان ممن يقدد فهى بضاعة لأرباب البضائع وإن رأى سمك البحر الحلو ينتقل إلى البحر الملح أو سمك الملح ينتقل إلى الحلو دل على النفاق فى الجيش واختلاف العامة فيما جرت به العوائد من حدوث مظلمة أو ظهور بدعة فإن رأى السمك طافيا على وجه الماء دل على تسهيل الأمور وقرب البعيد وإظهار الأسرار وإخراج المخبآت أو مال أصله من ميراث فإن رأى عنده سمكا صغارا وكبارا دل على الاهتمام بالأفراح والأحزان أو ما يوجب الاجتماع بين الجيد والردىء فإن رأى عنده سمكا مما يشبه خلق الآدمى أو الطير دل على التعرف بالتجار المترددين فى البر والبحر أو التراجمة العارفين بالألسنة أو المتخلقين بالأخلاق المرضية ويعتبر ذلك بالشبه فإن رأى عنده شيئا مما يأنس للإنسان أو يربى فى البيوت كاللجأة والقرموط وما أشبههما كان دليلا على الإحسان للأيتام والغرباء فإن رأى أنه أخذ السمك من قاع البحر فإنه ربما طالت يده فى صناعته وحصل له رزق طائل أو تعرض لأموال السلاطين أو صار لصا أو جاسوسا فإن انكشف البحر وتناول سمكا أو جوهرا اطلع على علم من غيب الله تعالى باطلاع الله تعالى له واتضح له الدين واهتدى إلى السبيل وكانت عاقبة أمره فى ذلك عقبى حسنة فإن عاد السمك منه إلى البحر صحب الأولياء واطلع منهم على ما لم يطلع عليه أحد وإن نوى سفرا وجد رفقة يوافقونه ويرتفق بهم ويرجع إلى مكانه سالما غانما والله أعلم.

﴿السمندل﴾ بفتح السين والميم وبعد النون الساكنة دال مهملة ولام فى آخره وسماه الجوهرى السندل بغير ميم وابن خلكان السمند بغير لام وهو طائر يأكل البيش وهو نبت بأرض الصين يؤكل وهو أخضر بتلك البلاد فإذا يبس كان قوتا لهم ولم يضرهم فإذا بعد عن الصين ولو مائة ذراع وأكله أكل مات من ساعته ومن عجيب أمر السمندل استلذاذه بالنار ومكثه فيها وإذا اتسخ جلده لا يغسل إلا بالنار وكثيرا ما يوجد بالهند وهى دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل إذا اتسخت ألقيت فى النار فتنصلح ولا تحترق وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ فى النار وهو بالخاصية لا تؤثر فيه النار وأعانه على حفظ الأشياء التى نسيها وهو يدمل الجراحات الطرية ويمنع

من الكمثرى فى الظرف على الشجرة فإنها تبقى زمانا طويلا ولا تفسد. زهرها له تأثير عجيب فى تقوية الدماغ ثمرتها قال ابن سينا تسكن الصفراء لكنه يحدث القولنج قال صاحب الفلاحة إذا طليت رأس كل كمثراة بشىء من الزفت وعلقتها فإنها تبقى زمانا طويلا وكذلك إذا جعلتها فى فخارة بعد ما طليت رأس كل واحدة بشىء من الزفت وجعلت رأسها نحو الأرض على مثال ما تكون على الشجرة (لاغية) تعد من السموم تنبت فى سفوح الجبال ورقها من اليتوعات إذا دق وشرب أسهل إسهالا شديدا نورها طيب الرائحة جدا يرعى النحل منها فعسلها يكون مضرا جدا وإذا ألقيت شيئا منها فى غدير يطفو سمكه على وجه الماء (لبان) شجرة ذات شوكة لا تنمو أكثر من ذراعين وهى شجرة تنبت فى الجبال بشحر عمان ورقها كورق الآس صمغها هو الكندر يعقر مواضع منها بالفؤس فيسيل منها الكندر ويقال له أيضا اللبان من أدام مضغه ذكا قلبه

الخبيثة من الانتشار ويجعل الفلاحة يجعل اللوز فى العسل ثم يزرع لكون ثمرته طيبة جدا وإذا أردت أن ينفرك تجعل لبه فى قرطاس أو ورقه كما ذكرناه فى الجوز وإذا أردت أن لا يتساقط منها شىء فاجعل فى وسط فروعها رأس حمار معلقة أما الحلو فينفع من السعال وينقى الصدر سيما مع التين ويسمن وينفع من عضة الكلب الكلب قال ابن سينا أنه يسمن ويقوى البصر وينفع من القولنج والمر منه إذا طبخ وجعل على الكلف كان دواء نافعا ويفتح القولنج وإذا اختلط اللوز المر بالعسل وأكل نفع من القولنج ومن أراد أن لا يشمل فليأكل سبع لوزات مرة على الريق وخمسة قبل الشرب فإن قوة الشراب لا تعمل فيه لخاصية وينفع من الجرب (ليمون) إنه من أشجار بلاد الحر وخواص شجر الليمون وثمرتها تشبه بالأترج وقد مر فلا نعيدها هنا ولماء الليمون خاصية عجيبة فى دفع سم الحيات والأفاعى ومن عجيب حكاياتها ما ذكره أبو جعفر ابن عبد الله الضبى من ثقات البصرة قال كانت لى ضيعة على



ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام فإذا اتسخ بعضها طرح فى النار فتأكل النار وسخه الذى عليه ولا يحترق المنديل قال ابن خلكان ولقد رأيت منه قطعة ثخينة منسوجة على هيئة حزام الدابة فى طوله وعرضه فجعلوها فى النار فما عملت فيها شيئا فغمسوا أحد جوانبها فى الزيت ثم تركوها على فتيلة السراج فاشتعل وبقى زمانا طويلا مشتعلا ثم أطفؤه فإذا هو على حاله ما تغير منه شىء قال ورأيت بخط شيخنا العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى أنه قال قدم للملك الظاهر بن الملك الناصر صلاح الدين صاحب حلب قطعة سمندل عرض ذراع فى طول ذراعين فصاروا يغمسونها فى الزيت ويوقدونها حتى يفنى الزيت وترجع بيضاء كما كانت ذكره فى ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقى مع زيادة أخرى وأبيات تأتى إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة فى العنكبوت وقال القزوينى السمندل نوع من الفأر يدخل النار وذكر ما تقدم والمعروف أنه طائر كما حكاه البكرى فى كتاب المسالك والممالك وغيره أيضا (الخواص) مرارته إذا سقى منها وزن دانق بماء الحمص المغلى المصفى بلبن حليب مرارا كثيرة من به السموم القاتلة أبرأه منها ودماغه إذا اكتحل به مع الأثمد صاحب الماء النازل أبرأه ويحفظ الحدقة من سائر الداء ودمه إذا طلى به على الوضح أى البرص غير لونه ومن بلع شيئا من قلبه لا يسمع بعد ذلك شيئا إلا حفظه ومرارته تنبت الشعر ولو على الراحة ﴿السمور﴾ وهو بفتح السين وبالميم المشددة المضمومة على وزن السفود والكلوب حيوان برى يشبه السنور وزعم بعض الناس أنه النمس وإنما البقعة التى هو فيها هى التى أثرت فى تغير لونه وقال عبد اللطيف البغدادى إنه حيوان جرىء ليس فى الحيوان أجرأ منه على الإنسان لا يؤخذ إلا بالحيل وذلك بأن يدفن له جيفة فيغتال بها ولحمه حار والترك يأكلونه وجلده لا يدبغ كسائر الجلود انتهى ومن غريب ما وقع للنووى فى تهذيب الأسماء واللغات أنه قال السمور طائر ولعله سبق قلم وأعجب منه ما حكاه ابن هشام البستى فى شرح الفصيح إنه ضرب من الجن وخص هذا النوع باتخاذ الفراء من جلوده للينها وخفتها ردائها وحسنها ويلبسه الملوك والأكابر قال مجاهد رأيت على الشعبى قباء سمور (وحكمه) حل الأكل إلحاقا له بالثعلب ولأنه لا يأكل شيئا من الخبائث (النعبير) هو فى الرؤيا يدل على رجل ظالم لص لا يخالط أحدا والله أعلم ﴿السميطر﴾ (١) على مثال العميثل طائر طويل العنق جدا يرى أبدا فى الماء الضحضاح يكنى بأبى العيزار كما قاله الجوهرى ويقال له الشبيطر والظاهر أنه مالك الحزين وهو البلشون كما تقدم وسيأتى فى باب الميم إن شاء الله تعالى ﴿السندر والسميدر﴾ دابة معروفة عند أهل الهند والصين قاله ابن سيده ﴿سناد﴾ قال القزوينى إنه حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور وقيل أن ولدها يخرج رأسه من فرج أمه ويرعى حتى يقوى فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها لأن لسانها مثل الشوك فإن وجدته لحسته حتى ينحار لحمه عن عظمه وهو كثير ببلاد الهند (الحكم) يحرم أكله كالفيل ﴿السنجاب﴾ حيوان على حد اليربوع أكبر من الفأر وشعره فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسه المتنعمون وهو شديد الحيل إذا أبصر الإنسان صعد الشجرة العالية وفيها يأوى ومنها يأكل وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك ومزاجه حار رطب لسرعة حركته عن حركة الإنسان وأحسن جلوده الأزرق الأملس وقد أحسن القائل :

كلما أزرق لون جلدى من البر * د تخيلت أنه سنجاب

(وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات وقال بتحريم أكله القاضى من الحنابلة وعلله بأنه ينهش الحيات فأشبه الجرذ واستدل الجمهور بأنه يشبه اليربوع ومتى تردد بين الإباحة

(١) الذى فى الجوهرى السبيطر بالباء فراجعه

والتحريم غلبت الإباحة لأنها الأصل وإذا ذكى السنجاب ذكاة شرعية جاز لبس فرائه وإن خنق ثم دبغ جلده لم يطهر شعره على الأصح كسائر جلود الميتة لأن الشعر لا يتأثر بالدباغ وقيل يطهر الشعر تبعا للجلد وهي رواية الربيع الجيزي عن الشافعي ولم ينقل عنه في المهذب سوى هذه المسئلة وهذا الوجه صححه الأستاذ أبو اسحق الإسفرايني والروياني وابن أبي عصرون واختاره السبكي وغيره لأن الصحابة قسموا في زمن عمر رضي الله تعالى عنه الفراء المغنومة من الفرس وهي ذبائح مجوس وفي صحيح مسلم من حديث أبي الخير مرثد بن عبد الله البرني قال رأيت علي ابن وعلة السبائي فروا فسسته فقال مالك تمسه قد سألت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قلت له إنا نكون بالمغرب ومعنا البربر والمجوس فيؤتى بالكبش قد ذبحوه ونحن لا نأكل ذبائحهم ويأتون بالسقاء فيجعلون فيه الودك فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قد سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال دباغه طهوره (الخواص) لحمه يطعم للمجنون يزول جنونه ويأكله صاحب الأمراض السوداوية ينفعه قال في المفردات إسخان السنجاب قليل لأن الأغلب على مزاج حيوانه كثرة الرطوبة وقلة الحرارة لاغتذائه بالفواكه ولذلك يصلح لبسه للمحرورين والشباب لأنه يسخن إسخانا معتدلا ﴿السنداوة﴾ الذئبة ﴿السنة﴾ الذئبة أيضا ﴿السندل﴾ هو السمندل المتقدم ذكره قريبا والسندل لقب عمرو بن قيس المكي وهو متروك الحديث وله في سنن ابن ماجه حديثان ضعيفان ﴿السنور﴾ بكسر السين المهملة وفتح النون المشددة واحد السنانير حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر وكنيته أبو خداش وأبو غزوان وأبو الهيثم وأبو شماخ والأنثى أم شماخ وله أسماء كثيرة قيل إن أعرابيا صاد سنورا فلم يعرفه فتلقاه رجل فقال ما هذا السنور وتلقى آخر فقال ما هذا الهر ثم لقي آخر فقال ما هذا القط ثم لقي آخر فقال ما هذا الضيون ثم لقي آخر فقال ما هذا الخيدع ثم لقي آخر فقال ما هذا الخيطلى ثم لقي آخر فقال ما هذا الدم فقال الأعرابي أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالا كثيرا فلما أتى به إلى السوق قيل له بكم هذا فقال بمائة فقال له إنه يساوي نصف درهم فرمى به وقال لعنه الله ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه وهذه الأسماء للذكر قاله في الكفاية وقال ابن قتيبة يقال في الأنثى سنورة كما يقال في أنثى الضفادع ضفدعة انتهى ﴿قلت﴾ ولا يمتنع القياس في خيطلة وضيونة وقطة وخيدعة وهرة روى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي دار قوم من الأنصار ودونهم دور لا يأتيها فشق عليهم ذلك فكلموه فقال إن في داركم كلبا قالوا فإن في دارهم سنورا فقال السنور سبع ثم قال حديث صحيح وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن أبي شريحة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر رجلان من مزينة هما آخر الناس حشرا يقبلان من جبل قد توارى حتى يأتيا معالم الناس فيجدا الأرض وحوشا حتى يأتيا المدينة فإذا بلغا أدنى المدينة قالا أين الناس فلا يريان أحدا فيقول أحدهما لصاحبه الناس في دورهم فيدخلان الدور فاذا ليس فيها أحد وإذا على الفرش الثعالب والسنانير فيقول أحدهما لصاحبه أين الناس فيقول أراهم في الأسواق قد شغلهم البيع فيخرجان حتى يأتيا الأسواق فلا يجدا فيها أحدا فينطلقا حتى يأتيا باب المدينة فاذا عليها ملكان فيأخذان بأرجلهما ويسحبانهما إلى أرض المحشر فهما آخر الناس حشرا «غريبة» قيل كان لركن الدولة سنور يألف مجلسه وكان بعض أصحابه إذا أراد الإجتماع به فيعسر عليه ذلك كتب حاجته في رقعة وعلقها في عنق السنور فيراها ركن الدولة فيأخذ الرقعة ويقرؤها ويكتب جوابها

نهر الدير وكنت متوطنا
بها وبجنب داري بستان
ظهرت فيه أفعى كأنها
جراب طولا وسعة وانتفاخا
وكثرت جناياتها فطلبت
حاويا يصيدها فجاء نار رجل
وبخر بدخنة فخرجت عليه
فلما رآها هاله أمرها فنهشته
فتلف في الحال فانتشر
خبرها وامتنع الحاوون
عنها وتركت البستان
والدار حتى جاءني رجل
يوما وقال بلغني أمر الحية
التي عندكم جئت لتدلني
عليها قلت إنها عن قريب
قتلت حاويا ما أحب تعرضك
لها فقال إنه كان أخي
وجئت لآخذ بثأره فأريته
البستان فأخرج دهنا
فطلى به جميع بدنه وجلست
أنا فوق السطح أنظر
فأخرج دخانة وبخر بها
فما كان بأسرع من أن
ظهرت كأنها دب فحين
قربت من الحاوي دهمها
فهربت منه فتبعها ولحقها
فقبضها فالتفت عليه
وعضت يده وفلتت فحملنا
الرجل فمات في ليلته وأنا
على هذا مدة فإذا في بعض
الأيام جاءني رجل وسألني
ما سألني السائل قبله وكان
شبيها بصورته فمنعته قال
الرجلان كانا إخوتي ولا
بد إما الأخذ بثأرهما أو
اللحوق بهما فعينت له

البستان وصعدت السطح فأخرج الدهن وطلى به بدنه حتى صار الدهن يتقاطر منه ثم بخر فخرجت الأفعى فطلبها الحواء فأخذت

تحاربه فتمكنت يد الحواء من قفاها فانقلبت عليه وعضت إبهامه فبادر الحواء وخزم فاها وجعلها فى سلة وأخرج سكينا كان معه وقطع إبهام نفسه وأغلى زيتا وكواها به فحملناه إلى الضيعة فرأى ليمونة بيد الصبى يلعب بها فقال أهذا موجود عندكم قلت نعم فقال أغثنى بما تقدر عليه منه فإن هذا فى بلدنا يقوم مقام الترياق قلت أينما هو بلدكم قال عمان فأتيته بشىء من الليمون فأخذ يقضمه ويسرع فى أكله وعصر ماءه وطلى به موضع اللسعة حتى جاوز وقت موت إخوته وأصبح من غد سالما وقال ماخلصنى الله إلا بالليمون وأظن أن أخوى لو وقع لهما لما تلفا ثم أخرج الأفعى وقطع رأسها وذنبها وأغلاها فى طنجير وأخرج دهنها وجعلها فى قارورة وانصرف والله الموفق للصواب (مشمش) شجرة عجيبة شحم ثمرتها ولبها مأكولان طيبان بخلاف غيرها من الثمار فان المأكول إما شحمها أو لبها وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أن نبيا من الأنبياء بعثه الله تعالى إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه كل سنة فأتى النبى ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى فقال له ادع الله تعالى أن يخرج

عليها ثم يشدها فى عنق السنور فيرجع بها إلى صاحبها وقيل إن أهل سفينة نوح عليه السلام تأذوا من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس فرمى بالسنور فلذلك هو أشبه شىء بالأسد بحيث لا يمكن أن يصور الهر إلا جاء أسدا وهو ظريف لطيف يمسح بلعابه وجهه وإذا تلطخ شىء من بدنه نظفه وهو فى آخر الشتاء تهيج شهوته فيتألم ألما شديدا من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى يلقى تلك المادة وإذا جاعت الأنثى أكلت أولادها وقيل إنها تفعل ذلك لشدة محبتها لهم وأنشد الجاحظ:

جاءت مع الأشفين فى هودج * تزجى إلى النصرة أجنادها
كأنها فى فعلها هرة * تريد أن تأكل أولادها

معنى تزجى تسوق قال الله تعالى ألم تر أن الله يزجى سحابا أى يسوق سحابا وإذا بال السنور ستر بوله حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب فيشمه أولا فإذا وجد رائحته شديدة غطاه بحيث يوارى الرائحة والجرم وإلا اكتفى بأيسر التغطية قالوا والفأرة تعرف رجيع السنور وذكر الزمخشرى أن الله تعالى ألهم الهرة ذلك ليتنبه بذلك قاضى الحاجة من الناس فيغطى مايخرج منه وإذا ألف السنور منزلا منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل وحاربه أشد محاربة وهو من جنسه علما منه بأن أربابه ربما استحسنوه وقدموه عليه أو شاركوا بينه وبينه فى المطعم وإن أخذ شيئا مما يخزنه أصحاب المنزل عنه هرب علما منه بما يناله منهم من الضرب وإذا طردوه تملقهم وتمسح بهم علما منه بأنه يخلصه التملق ويحصل له العفو والإحسان وقد جعل الله تعالى فى قلب الفيل الفرق منه فهو إذا رأى سنورا هرب وحكى أن جماعة من أهل الهند هزموا بذلك والسنور ثلاثة أنواع أهلى ووحشى وسنور الزباد وكل من الأهلى والوحشى له نفس غضوبة يفترس ويأكل اللحم الحى ويناسب الإنسان فى أمور منها أنه يعطس ويتثاءب ويتمطى ويتناول الشىء بيده وتحمل الأنثى فى السنة مرتين ومدة حملها خمسون يوما والوحشى حجمه أكبر من حجم الأهلى قال الجاحظ قال العلماء اتخاذ السنور وتربيته مستحبة وذكر القزوينى فى الأشكال عن ابن الفقيه أن لبعض السنانير أجنحة كأجنحة الخفافيش من أصل الأذن إلى الذنب فإن صح ذلك فالظاهر أنه كالسنور البرى عملا بالمشاكلة وقال مجاهد جاء رجل إلى شريح القاضى يخاصم آخر فى سنور فقال بينتك قال ما أجد بينة فى سنور ولدته أمه عندنا فقال شريح إذهبا به إلى أمه فإن استقرت واستمرت ودرت فهو سنورك وإن هى اقشعرت وازبأرت وهربت فليس بسنورك (الحكم) الأصح تحريم أكل السنور الأهلى والوحشى لما روى فى الحديث المتقدم أنه سبع وروى البيهقى وغيره عن أبى الزبير عن جابر رضى الله تعالى عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الهرة وأكل ثمنها وفى صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع السنور فقيل محمول على الوحشى الذى لا نفع فيه وقيل نهى تنزيه حتى يعتاد الناس هبته وإعارته كما هو الغالب فان كان مما ينفع وباعه صح البيع وكان ثمنه حلالا هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة إلا ماحكى ابن المنذر عن أبى هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد أنه لا يجوز بيعه محتجين بهذا الحديث وأجاب الجمهور عن الحديث بأنه محمول على ماذكرناه وهذا هو المعتمد وأما ماذكره الخطابى وأبو عمر بن عبد البر أن الحديث ضعيف فليس كما قال بل الحديث صحيح كما تقدم وقول ابن عبد البر لم يروه عن أبى الزبير غير حماد بن سلمة غلط أيضا لان مسلما رواه فى صحيحه من

رواية معقل عن عبيدالله عن أبي الزبير فهذان ثقتان رواياه عن أبي الزبير وهو ثقة ورواه ابن ماجه عن ابن لهيعة عن أبي الزبير ولا يضره ذلك وسيأتي في باب الهاء إن شاء الله تعالى الإشارة إلى هذا أيضا في لفظ الهرة واختلفت الرواية عن الإمام أحمد في سنور البر وأكثر الروايات على تحريمه كالثعلب وبحله قال الحضرمي من أصحابنا وهو مذهب مالك وأما الأهلي فحرام عند أبي حنيفة ومالك وأحمد واختار البوشنجي من أصحابنا الحل والأصح تحريمه كما تقدم (الأمثال) قالوا أثقف من سنور والثقف الأخذ بسرعة يقال رجل ثقف لقف أي سريع الاختطاف وقالوا كأنه سنور عبدالله يضرب لمن لا يزيد سنا إلا زاد نقصانا وجهلا وفيه قال بشار بن برد الأعمى:

أبا مخلف مازلت تباح غمرة * صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيراً فلما شب بيع بقيراط

لكنه مثل مولد ليس من كلام العرب وقال ابن خلكان ولقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن فما عرفت له خبرا ولا عثرت له على أثر ثم إني ظفرت بقول الفرزدق:

رأيت الناس يزدادون يوما * فيوما في الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر في صغر يغالى * به حتى إذا ماشب يرخص

ومن ههنا أخذ بشار قوله وليس المراد منه هرا معينا بل كل هر قيمته في صغره أكثر منها في كبره انتهى (الخواص) السنور الأهلي من أكل لحم الأسود منه لم يعمل فيه السحر وطحاله يشد على المستحاضة ينقطع حيضها وعيناه إذا جففتا وتبخر بهما إنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت ومن استصحب نابه لم يفزع بالليل وقلبه يشد في قطعة من جلده فمن استصحبه لم تظفر به الأعداء ومرارته من اكتحل بها يرى في الليل كما يرى في النهار وتخلط بملح وكمون كرماني ويطلى بها على الجروح والقروح الرديئة تبرأ ودمه إذا طلى به القضيب عند الجماع فإن المفعول به يحب الفاعل حبا شديدا وإن سقي منه صاحب الجذام نفعه وإن شرب منه إنسان أحبته النساء وزبله يسقط المشيمة بخورا وقال القزويني مرارة الأسود ومرارة الدجاجة السوداء إذا جففتا وسحقتا واكتحل بهما مع الكحل ظهر له الجن وخدموه قال وهو مجرب ومرارة الأسود إذا أخذ منها وزن نصف درهم وديف بدهن زئبق وسعط به صاحب اللقوة أبرأه ذلك وأما البري فمخه عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أذيب بماء الجرجير وسخن بالنار وشرب على الريق في الحمام ودماغه إذا دخن به أخرج المني من الرحم قاله القزويني ويأتي تعبيره إن شاء الله تعالى في باب القاف في لفظ القط (وأما سنور الزباد) فهو كالسنور الأهلي لكنه أطول منه ذنبا وأكبر جثة ووبره إلى السواد أميل وربما كان أنمر ويجلب من بلاد الهند والسند والزباد فيه شبيه بالوسخ الأسود اللزج وهو زفر الرائحة يخالطه طيب كطيب المسك يوجد في إبطيه وفي باطن أفخاذه وباطن ذنبه وحوالي دبره فيؤخذ من هذه الأماكن بملعقة صغيرة أو بدرهم رقيق وقد تقدم في باب الزاي الكلام على شيء من هذا (وحكمه) تحريم الأكل على الصحيح كالأهلي والوحشي وأما الزباد فهو طاهر لكن قال الماوردي والروياني في آخر باب الغرر أن الزباد ابن سنور في البحر يجلب كالمسك ريحا واللبن بياضا يستعمله أهل البحر

وأورق وأتى بالمشمش في ساعته فمن أكل منه على عزم أن يؤمن خرج نواه حلوا ومن أكل على عزم أن يكفر ولا يؤمن خرج نواه مرا. ورقها يزيل الضرس إذا مضغ والضرس كلال الأسنان من أكل الحامض والرطب من المشمش يولد الحميات بسرعة عفونته ومقدده إذا نقع بالماء يزيل الحميات وحكى أن طبيبا مر برجل يغرس شجرة المشمش فقال له ماذا تصنع فقال أعمل لي ولك يعني أنتفع أنا بغلته وأنت بعلته يأكلها الناس فيمرضون ويحتاجون إلى الطبيب دهن نواه ينفع من البواسير ودهن لبه المر له خاصية دهن اللوز المر فقد مر فلا نعيده (موز) شجرة تنبت بالحروف وأكثر ما يوجد في الجزائر أوراقها طويلة عريضة تكون ثلاثة أذرع في ذراعين ليست منخرطة كنبات السعفة لكنها تشبه المربعة ويكون ارتفاعها قامة باسطة ولا تزال تنبت فراخها حولها فإذا أدرك موزها تقطع الأم ويؤخذ قنوها وتطلع فراخها التي كانت

قد لحقت بها فتصير أما ولا تثمر كل أم إلا مرة

طيبا وهذا يقتضى كونه حلالا * فإن قلنا بنجاسة لبن ما لا يؤكل لحمه ففى هذا وجهان قال النووى الصواب طهارته وصحة بيعه لأن الصحيح أن جميع حيوان البحر طاهر يحل لحمه ولبنه هذا بعد تسليم أنه حيوان بحرى والصواب أنه برى فعلى هذا هو طاهر بلا خلاف لكنهم قالوا إنه يغلب فيه اختلاطه بما تساقط من شعره فينبغى أن يحترز عما فيه شىء من شعره لأن الأصح نجاسة شعر ما لا يؤكل لحمه إذا انفصل فى حال حياته غير الآدمى ﴿السنونو﴾ بضم السين والنونين الواحدة سنونة وهو نوع من الخطاطيف ولذلك سمى حجر اليرقان حجر السنونو ولكن تصحف على صاحب عجائب المخلوقات فقال حجر الصنونو بالصاد والصواب أنه بالسين المهملة نسبة إلى هذا النوع من الخطاطيف وقد أجاد جمال الدين بن رواحة فى تشبيه السنونو بقوله :

وغريبة حنت إلى وكرها * فأتت إليه فى الزمان المقبل
فرشت جناح الآبنوس وصفقت * بالعاج ثم تقهقهت بالصندل

(وحكمه) تقدم فى باب الخاء المعجمة فى الخطاف (ومن خواصه) أن من أخذ عينى السنونة وشدهما فى خرقة وعلقهما على سرير فمن صعد ذلك السرير لم ينم وإذا بخر بعينها العصافير هربت وإذا بخر بها صاحب الحمى برئ بإذن الله تعالى ﴿السودانية والسوادية﴾ طائر يأكل العنب قاله ابن سيده «عجيبة» حكى أن بمدينة رومية شجرة نحاس عليها سودانية من نحاس فى منقارها زيتونة فإذا كان وقت الزيتون صفرت تلك السودانية فلا يبقى فى تلك النواحى سودانية إلا جاءت ومعها ثلاث زيتونات فى منقارها واحدة وفى رجليها اثنتان حتى تطرحهن على رأس السودانية التى من النحاس فيعصر أهل رومية ما يحتاجون إليه من الزيت عامهم كله ﴿قلت﴾ الظاهر أن السودانية هى الزرزور وقد تقدمت هذه الحكاية عن الشافعى رضى الله عنه وهو يأكل العنب كثيرا (الخواص) لحم السودانيات بارد يابس ردىء لا سيما الهزيل وأجوده صيد الأشراك وهو يزيد فى الإنعاظ لكنه يضر بالدماغ وتدفع مضرته بالأمراق الرطبة وهو يولد خلطا حريفا يوافق الأمزجة الباردة والمشايخ وأصلح ما أكل فى الربيع ويكره أكل لحمها لما تأكله من الحشرات والجراد ولذلك صار فى لحمها حدة وروائح كريهة وهو أردأ من لحم القنابر * وروفس يرتب الطير ثلاث مراتب ويقول أفضل الطير البرى الرخ والشحرور والسمانى ثم الحجل والدراج والطيهوج والشغنين وفرخ الحمام والفاخت ثم السلوى والقنابر على أن القنابر بالدواء أشبه منها بالغذاء والله أعلم ﴿السوذنيق﴾ الصقر قاله فى كفاية المتحفظ ﴿السوس﴾ دود يقع فى الصوف والطعام قاله الجوهرى وغيره يقال طعام مسوس ومدود بكسر الواو فيهما قال الراجز :

قد أطعمتنى دقلا حوليا * مسوسا مدودا حجريا

وقال قتادة ومجاهد فى قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون هو سوس الثياب ودود الفاكهة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن يمين العرش نهر من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع سبعين مرة يدخله جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيه فيزداد نورا إلى نوره وجمالا إلى جماله وعظما إلى عظمه ثم ينتفض فيخرج الله تعالى من كل ريشة سبعين ألف قطرة فيخلق من كل قطرة سبعين ألف ملك يدخل منهم كل يوم إلى البيت المعمور سبعون ألف ملك وإلى الكعبة سبعون ألفا لا يعودون إلى يوم القيامة وقال الطبرى ما لا تعلمون ما أعد الله تعالى فى الجنة لأهلها مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولم يخطر على قلب بشر «روينا» فى بعض الأخبار عن الحرث بن الحكم قال أنزل الله تعالى فى بعض الكتب أنا الله لا إله إلا أنا

واحدة ثمرتها تشبه بالعنب إلا أنها حلوة دسمة قال ابن سينا إنه يدر البول ويزيد فى الباه والإكثار منه يولد السدد (نارنج) قال صاحب كتاب الفلاحة لو زرع النرجس تحت شجرة النارنج تبدلت حوضته بالحلاوة ورقها إذا مضغ طيب النكهة ويقطع رائحة الثوم والبصل نورها طيب الرائحة بخلاف نور الأترج ينفع الدماغ ويقوى القلب ثمرتها شبيهة بثمرة الأترج فى الخواص وقد مر فلا نعيده حبها يطيب النكهة ويخفف ويدخن به لدفع النمل (نارجيل) هو الجوز الهندى زعم أهل الحجاز أن شجرة النارجيل هى المقل لكنها أثمرت نارجيلا لطباع التربة والأهوية على ثمرتها ليف يتخذ منه الحبال يستعمل فى سفن البحر لا يتعفن ويصبر على ماء البحر طويلا لبنها كالزبد كثير الحلاوة إذا كان رطبا وإن كان يابسا عتيقا ينقى البدن من حب القراع وأكله يزيد فى مادة المنى سيما مع السكر ويزيد فى الباه أيضا ودهنه نافع للبواسير سيما إذا كان عتيقا (نبق) قال صاحب كتاب الفلاحة إذا نقعت نواة النبق فى عصارة الورد أياما ثم زرعته شممت منها رائحة الورد

لولا أنى قضيت بالدين على الميت لحبسه أهله فى البيوت وأنا الله لا إله إلا أنا مرخص الأسعار والبلاد مجدبة وأنا الله لا إله إلا أنا مغلى الأسعار والأهراء ملأى وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى قضيت بالسوس على الطعام لخزنته الملوك وأنا الله لا إله إلا أنا لولا أنى أسكنت الأمل فى القلوب لأهلكها التفكر * ولما حرم عمرو بن هند على المتلمس حب العراق قال :

آليت حب العراق الدهر أطعمه * والحب يأكله فى القرية السوس

روى البيهقى فى شعبه عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال من استطاع منكم أن يجعل كنزه فى السماء حيث لا يناله اللصوص ولا يأكله السوس فليفعل فإن قلب كل امرئ عند كنزه « وحكى » عن الشيخ العارف أبى العباس المرسى أن امرأة قالت له كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه وكان عندنا فول مسوس فدششناه فخرج السوس حيا فقال لها صحبة الأكابر تورث السلامة ﴿قلت﴾ ويقرب من هذا ما حكاه ابن عطية فى تفسير سورة الكهف أن والده حدثه عن أبى الفضل الجوهرى الواعظ بمصر أنه قال فى مجلس وعظه من صحب أهل الخير عادت عليه بركتهم هذا كلب صحب قوما صالحين فكان من بركتهم عليه أن ذكره الله تعالى فى القرآن ولا يزال يتلى على الألسنة أبدا ولذلك قيل من جالس الذاكرين انتبه من غفلته ومن خدم الصالحين ارتفع بخدمته «ومن الفوائد المستغربة» ما أخبرنى به بعض أهل الخير أن أسماء الفقهاء السبعة الذين كانوا بالمدينة الشريفة إذا كتبت فى رقعة وجعلت فى القمح فإنه لا يسوس مادامت الرقعة فيه وهم مجموعون فى قول الأول :

ألا كل من لا يقتدى بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

« وأفادنى بعض أهل التحقيق » أن أسماءهم إذا كتبت وعلقت على الرأس أو ذكرت عليه أزالت الصداع العارض له وقد تقدم فى باب الجيم فى الجراد ذكر الآيات التى تنفع للصداع « وأفادنى بعض أهل العلم » أن هذه الأسماء إذا كتبت فى رقعة وعلقت على الرأس أذهبت الصداع والشقيقة وهى بسم الله الرحمن الرحيم اهدأ عليه يا رأس بحق من خلق فيك الأسنان والأضراس وكتبة الكتبة بلا قلم ولا قرطاس قر بقرار الله واسكن واهدأ بهدء الله بحرمة محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا أسكن أيها الوجع والصداع والشقيقة والضربان عن حامل هذه الأسماء كما سكن عرش الرحمن وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم « ومما جرب » لإذهاب السوس والفراش ما أفادنيه بعض أئمة الإمامية أن يكتب على خشب الغار هذه الأسماء فى الظل بحيث لا تراه الشمس أبدا لا وقت الكتابة ولا وقت الذهاب بها ثم تدفن الخشبة فى القمح أو الشعير فإنه لا يسوس ولا يفرش وهى بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا كذلك يموت الفراش والسوس ويرحل بإذن الله تعالى اخرج أيها السوس والفراش بإذن الله تعالى

وتطيب. وورقها هو السدر الذى يغسل به الرأس يقوى الشعر ويمنع انتشاره ويطوله ثمرها قد يكون حلوا وقد يكون حامضا واليابس منه يمنع النزف والإسهال الكائن من ضعف المعدة إذا قلى ودق مع نواه ( نخل ) شجرة مباركة لا توجد إلا ببلاد الإسلام قال ﷺ أكرموا عماتكم النخل وإنما سماها عماتنا لأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام وأنها تشبه الإنسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها وأنثاها واختصاصها باللقاح ولو قطع رأسها هلكت ولطلعها رائحة المنى ولها غلاف كالمشيمة التى يكون الولد فيها والجمار الذى على رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة كهيئة مخ الإنسان إذا أصابه آفة ولو قطع منها غصن لا يرجع بدله كعضو الإنسان وعليها ليف كشعر يكون على الإنسان قال صاحب الفلاحة إذا لم يثمر شىء من النخل يأخذ رجل فأسا ويقرب منه ويقول لغيره إنى أريد قطع هذه الشجرة لأنها لا تثمر فيقول الآخر لا تفعل فإنها تثمر فى هذه السنة فيقول الرجل إنها لا تفعل شيئا ويضربها

ضربتين أو ثلاثة فيمسكه الآخر بيده ويقول لا تفعل فإنها شجرة حسنة واصبر عليها هذه السنة فإن لم تثمر فاصنع بها ما شئت قال فإذا فعل ذلك فإن الشجرة تثمر ثمرا كثيرا وكذلك غير النخل من الأشجار إذا فعل به هذا يثمر وقال أيضا إذا قاربت بين ذكران النخل وإناثها فإنها يكثر حملها لأنها تستأنس بالمجاورة وإذا قطع ألفها من الذكران فلا تحمل شيئا لفراقها وإذا غرست الذكران وسط الإناث فهبت الريح فخالطت الإناث رائحة طلع الذكران حملت من تلك الرائحة كل أنثى حوله وإن اتخذت لها منطقة من الأسرب يكثر ثمرها ولا يسقط منها شيء وكذلك لو اتخذت لها أوتادا من خشب البلوط ودققتها في الأرض حول خشبها إن أحرق لا يكون له فحم وإذا وضع السقف على جذعه ينكسر فإن فلقته نصفين وجعلت ظهر أحدهما إلى الآخر يبقى زمانا طويلا خواصها إذا مضغ بعد أكل الثوم يقطع رائحته وثمرتها حكى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال العجوة من الجنة وهي شفاء من السم * والبسر قال ابن سينا إنه والبلح جيدان للعمور والبسر مصدع وكثيرا ما يوقع

عاجلا وإلا خرجت من ولاية أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه ويشهد عليك أنك سرقت لجام بغلة نبي الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهو عجيب مجرب (الحكم) يحرم أكله منفرداً لأنه نوع من الدود (الأمثال) قالوا العيال سوس المال وقالوا آكل من سوسة وقيل لخالد بن صفوان بن الأهتم كيف ابنك قال سيد فتيان قومه ظرفا وأدبا فقيل له كم ترزقه كل يوم فقال درهما فقيل له وأين يقع منه ثلاثون درهما في كل شهر وأنت تستغل ثلاثين ألفا فقال الثلاثين درهما أسرع في هلاك المال من السوف في الصوف بالصيف فحكى كلامه للحسن البصري فقال أشهد أن خالدا تميمي وإنما قال الحسن ذلك لأن بني تميم مشهورون بالبخل والنهم وهو في الرؤيا كالدود فليراجع هناك ﴿السيد﴾ بكسر السين واسكان الياء المثناة من تحت من أسماء الذئب وبه سمي جد أبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي اللغوي النحوي صاحب التصانيف المفيدة والمحاسن العديدة مولده سنة أربع وأربعين وأربعمائة بمدينة بطليوس وتوفي في رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ﴿السيدة﴾ بكسر السين وبالدال المهملتين واسكان الياء المثناة من تحت وبالهاء في آخره الذئبة وإليها ينسب الإمام العلامة الحافظ النحوي اللغوي المحقق أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي وكان إماما في اللغة وفي الغريب حافظا لها وجمع في ذلك كتابه المحكم والمخصص وغير ذلك وكان ضريرا وأبوه كذلك توفي في ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وعمره ستون سنة ﴿سيفنة﴾ كهيمنة قال ابن السمعاني في الأنساب إنه طائر بمصر يلتقي أوراق الأشجار عنها حتى لا يبقى منها شيئا شبه به أبو إسحق إبراهيم بن حسن بن علي الهمداني سيفنة من أكابر المحدثين لأنه كان إذا ظفر بمحدث سمع جميع ما عنده حتى لا يبقى شيئا من حديثه ﴿أبو سيراس﴾ قال القزويني في الأشكال إنه حيوان يوجد في الغياض تكامل في قصبة أنفه اثنتا عشرة ثقبة إذا تنفس يسمع من أنفه صوت كصوت المزامير والحيوانات تجتمع عليه لاستماع ذلك الصوت فإذا دهش بعضها لذلك يصيده فيأكله فإن لم يتهيأ له صيد شيء منها وضجر صاح صيحة هائلة فتتفرق الحيوانات وتفر عنه والله أعلم

## ﴿باب الشين المعجمة﴾

﴿الشادن﴾ بكسر الدال المهملة الظبي الذكر الذي طلع قرناه وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الظاء المعجمة ﴿شادهوار﴾ حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم قال القزويني في الأشكال له قرن عليه اثنتان وسبعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح سمع لها أصوات حسنة فتجتمع بسبب ذلك الحيوانات إليه لسماع صوته * ذكر أن بعض الملوك أهدى له قرن منه فترك بين يديه عند هبوب الرياح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب يكاد يدهش الإنسان من سماعه ثم وضع منكوسا فكان يخرج منه صوت محزن حتى يكاد يغلب الإنسان البكاء ﴿الشارف﴾ المسنة من النوق والجمع شرف مثل بازل وبزل وعائذ وعوذ ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه أنه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني شارفا من الخمس يومئذ فلما أردت أن أبني بفاطمة رضي الله تعالى عنها واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع أن يرتحل معي فيأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة عرسي فبينما أنا أجمع لشارفي متاعا من الأقتاب والغرائز والحبائل وشارفاي مناختان إلى جنب حجرة

رجل من الأنصار فرجعت حين جمعت ما جمعت فإذا شار فاى قد أجبت أسنمتهما وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما فلم أملك عينى حين رأيت ذلك المنظر منهما فقلت من فعل هذا فقالوا فعله حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه وهو فى هذا المكان فى هذا البيت فى شرب من الأنصار غنته قينة بين أصحابه فقالت :

ألا ياحمز للشرف النواء * وهن معقلات بالفناء
ضع السكين فى اللبات منها * وضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب * طعاما من قديد أوشواء
فأنت أبو عمارة المرجى * لكشف الضر عنا والبلاء

وبقية الحديث مشهور رواه البخارى ومسلم وأبو داود وهو حجة على إباحة أكل ماذبحه غير المالك تعديا كالغاصب والسارق وهو قول جمهور العلماء وخالف فى ذلك سحنون وداود وعكرمة فقالوا لا يؤكل وهو قول شاذ وحجة الجمهور أن الزكاة وقعت من المتعدى على شروطها الخاصة وتعلق بذمته قيمة الذبيحة فلا موجب للمنع وهذا الفعل إنما كان من حمزة رضى الله تعالى عنه قبل تحريم الخمر لأنه قتل يوم أحد وكان تحريمها بعد ذلك فكان معذورا فى قوله غير مؤاخذ به وكان شربه الذى دعاه إليه مباحا كالنائم والمغمى عليه فلما حرمت الخمر صار شاربها مؤاخذا بشربها محدودا فيها ﴿الشاة﴾ الواحدة من الغنم تقع على الذكر والأنثى من الضأن والمعز وأصلها شاهة لأن تصغيرها شويهة والجمع شياه بالهاء فى أدنى العدد تقول ثلاث شياه إلى العشر فإذا جاوزت العشرة فبالتاء فإذا كثرت قلت هذه شاء كثيرة والشاة أيضا الثور الوحشى والنسبة إلى الشاء شاوى قال الشاعر :

لاينفع الشاوى فيها شاته * ولا حماراه ولا غلاته

وفى الكامل لابن عدى فى ترجمة خارجة بن عبد الله بن سليمان عن عبد الرحمن بن عائذ قال قال رسول الله ﷺ من كانت له شاة ولا يصيب جاره من لبنها أو مسكين فليذبحها أو ليبيعها وما توافر من حكمة لقمان وهو لقمان بن عنقاء بن بيرون وكان نوبيا من أهل إيلة أن سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب مافيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ثم أعطاه فى يوم آخر شاة أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث مافيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك فقال هما أطيب مافيها إن طابا وأخبث مافيها إن خبثا وهذا معنى قوله ﷺ إن فى الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ويقال إن سيده دخل الخلاء يوما فأطال الجلوس فناداه لاتطل الجلوس على الخلاء فإنه ينخع الكبد ويورث البواسير ويميت القلب (ومن وصيته) لابنه واسمه ثاران وقيل غير ذلك يابنى كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ومن الكريم إذا أهنته ومن العاقل إذا هجوته ومن الأحمق إذا مازحته ومن الجاهل إذا صاحبته ومن الفاجر إذا خاصمته وتمام المعروف تعجيله يابنى ثلاثة أشياء تحسن بالإنسان حسن المحضر واحتمال الإخوان وقلة الملل للصديق وأول الغضب جنون وآخره ندم يابنى ثلاثة فيهم الرشد مشاورة الناصح ومداراة العدو والحاسد والتعجب لكل أحد يابنى المغرور من وثق بثلاثة أشياء الذى يصدق ما لا يراه ويركن إلى من لا يثق به ويطمع فيما لا يناله يابنى احذر الحسد فإنه يفسد الدين ويضعف النفس ويعقب الندم يابنى إذا خدمت والياً فلا تنم إليه بأحد فإنه لا يزيده ذلك منك

زمان الرطب يرفعون عن سماطهم الحلاوى وفى زمن الورد يرفعون المشموم وفى زمن البطيخ يرفعون الأشنان والرطب يلين الطبع ويزيد فى المنى ومع الخيار والخس أنفع (ورد) قال ابن سينا هى الشجرة المعروفة إذا أردت أن تخرج أوراقها من أكمامها سريعا فاسقها الماء الحار وإذا جعلت وقت غرسها فى جوف قطبانها شيئا من الثوم تزداد رائحتها جدا خشبها تهرب منه الحيات وإن لسعت حية عند شجرة الورد لا يؤثر سمها شيئاً زهرها أحسن الأزهار لونا وشكلا ورائحة قال ابن سينا الورد يصلح رائحة العرق إذا استعمل فى الحمام ولذلك تستعمله النساء محالقة علاجا لزفر العرق وقال قوم إنه يقطع الثآليل ويخرج السلا والشوك مسحوقا ويسكن الصداع رطبا ويضر بالمزكوم والنوم على المفروش منه يقطع الشهوة والجعل يموت من رائحته وكذلك كل حيوان يتولد من العفونة عصارته تنفع من الرمد ونزيف الدم وماء الورد ينفع من الغشى إذا رش على وجه المغشى عليه ودهنه يدهن به منخر

إلا نفور آفإنه إذا سمع منك فى غيرك فإنه لابد أن يسمع من غيرك فيك ويكون قلبه خائفا منك أن تتم عليه كما نميت إليه بغيره ولا يزال محترسا منك وكن يا بنى أقرب الناس إليه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه وإن ائتمنك فلا تخنه وان أنالك يسير أخذه واقبله فتبلغ به أن تنال كثيرا وأكرم خدمه والطف بأصحابه وغض طرفك عن محارمه وأصم أذنك عن مجاوبته واقصر لسانك عن حديثه واكتم فى المجالس سره واتبع باللطف هواه وناصح فى خدمته وأجمع عقلك فى مخاطبته ولا تأمن الدهر من غضبه فإنه ليس بينك وبينه نسب والغضب يسرع إليه فى كل وقت ووثبته كوثبة الأسد يا بنى كتمان السر صيانة للعرض يا بنى إن أردت أن تقوى على الحكمة فلا تملك نفسك للنساء فإن المرأة حرب ليس فيها صلح وهى إن أحبتك أكلتك وإن أبغضتك أهلكتك * وفى كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى ورحلة ابن الصلاح التى بخطه قال الحسن البصرى لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم دققته ثم داويت به المرضى ثم قال اختلطت غنم البادية بغنم أهل الكوفة فسأل أبو حنيفة كم تعيش الشاة قال سبع سنين فترك أكل لحم الغنم سبع سنين وأنشد المبرد

ما إن دعانى الهوى لفاحشة * إلا عصاه الحياء والكرم
فلا إلى حرمة مددت يدى * ولا مشت بى لريبة قدم

(وفى تاريخ ابن خلكان) أن هشام بن عبد الملك بعث إلى الأعمش أن اكتب إلى بمناقب عثمان ومساوى على رضى الله تعالى عنهما فأخذ الأعمش القرطاس وأدخله فى فم شاة فلاكته وقال للرسول قل له هذا جوابه فذهب الرسول ثم عاد وقال أنه آلى أن يقتلنى إن لم آته بالجواب وتحيل عليه بإخوته فقالوا له أفده من القتل فلما ألحوا عليه كتب أما بعد فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك ولو كان لعلى مساوى أهل الأرض ما ضرتك فعليك بخويصة نفسك والسلام * والأعمش اسمه سليمان بن مهران من أعلام التابعين رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفى وأخذ بركابه فقال له يا بنى إنما أكرمت ربك وكان لطيف الخلق مزاحا ولم تفته التكبيرة الأولى سبعين سنة وله نوادر منها أنه كان له زوجة وكانت من أجمل نساء الكوفة فجرى بينهما كلام وكان الأعمش قبيح المنظر فجاءه رجل يقال له أبو البلاد يطلب الحديث منه فقال له إن امرأتى نشزت على فادخل عليها وأخبرها بمكانى من الناس فدخل عليها وقال إن الله تبارك وتعالى قد أحسن قسمتك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا خموشة ساقيه فغضب الأعمش وقال له يا خبيث أعمى الله قلبك قد أخبرتها بعيوبى ثم أخرجه من بيته ومنها أن إبراهيم النخعى أراد أن يماشيه فقال له الأعمش إن رآنا الناس معا قالوا أعور وأعمش فقال النخعى وما عليك أن يأثموا ونؤجر فقال له الأعمش وما عليك أن يسلموا ونسلم ومنها أنه جلس يوما فى موضع فيه خليج من ماء المطر وعليه فروة خلقة فجاءه رجل وقال قم عدنى هذا الخليج وجذب بيده فأقامه وركبه وقال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج ورمى به وقال وقل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ثم خرج وتركه يتخبط فى الماء ومنها أن رجلا جاء إلى الأعمش يطلبه فقيل له خرج مع امرأة إلى المسجد فجاءه فوجدهما فى الطريق فقال أيكما الأعمش فقال الأعمش هذه وأشار إلى المرأة ومنها أنه عاده أقوام فى مرضه فأطالوا الجلوس عنده فأخذوسادته وقام ثم قال شفا الله مريضكم فانصرفوا ومنها أنه ذكر عنده يوما قوله ﷺ من نام عن قيام الليل بال الشيطان فى أذنه فقال

السنور يمرض (ياسمين) شجرة معروفة ثمرتها زهرها وهو أصفر وأبيض وأرجوانى قال ابن سينا رطبه ويابسه يذهب الكلف وكثرة شعه تورث صفرة الوجه ويصدع لكنه يحلل الصداع البلغمى وقال غيره ينفع أصحاب اللقوة والفالج وعرق النسا ودهنه ينفع عسر البول تمر يحا والله الموفق للصواب

﴿القسم الثانى من النبات النجوم﴾ النجم كل نبت ليس له ساق صلب مرتفع مثل الزروع والبقول والرياحين والحشائش البرية فنقول إن الله تعالى أجرى سنته كل سنة أنه يحيى الأرض بعد موتها فيجرى يابس أنهارها وينشر رفات نباتها فترى الأوراق مخضرة والأنوار والأزهار مصفرة ومحمرة ليستدل بها على إحياء الأموات وإعادة العظام الرفات وإلى هذا أشار بقوله تعالى فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير ومن الأمور العجيبة القوة التى خلقها الله تعالى فى نفس الحب فإنها إذا وقعت فى الأرض جذبت بواسطة تلك القوة الرطوبة من نفس الأرض مما حواليها كما تجذب شعلة النار فى السراج تلك الرطوبة فتعمل فيها القوى الطبيعية

ما عمشت عيناى إلا من بول الشيطان فى أذنى وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه :

إنا نعزيك لا أنا على ثقة * من البقاء ولكن سنة الدين

فلا المعزى بباق بعد ميته * ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

توفى رحمه الله سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وأربعين ومائة * وفيه أيضا أنه لما ولى عبد الله بن الزبير الخلافة بمكة ولى أخاه مصعب بن الزبير المدينة وأخرج منها مروان بن الحكم وابنه فسار إلى الشام ولم يزل يقيم للناس الحج من سنة أربع وستين إلى سنة اثنتين وسبعين فلما ولى عبد الملك بن مروان منع أهل الشام من الحج من أجل ابن الزبير لأنه كان يأخذ الناس بالبيعة له إذا حجوا فضج الناس لما منعوا من الحج فبنى عبد الملك قبة الصخرة فكان الناس يقفون عندها يوم عرفة ويقال إن ذلك كان سبب التعريف فى بيت المقدس ومساجد الأمصار وقيل إن أول من سن التعريف بالبصرة عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وبمصر عبد العزيز بن مروان وببيت المقدس عبد الملك بن مروان ولما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير وأراد الرجوع قام إليه الحجاج فقال إنى رأيت فى منامى أنى أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته فولنى قتاله فبعثه فى جيش كثيف من أهل الشام فحصر ابن الزبير ورمى الكعبة بالمنجنيق فلما رمى به أرعدت السماء وأبرقت فخاف أهل الشام فصاح الحجاج هذه صواعق تهامة وأنا ابنها ثم قام ورمى بنفسه فزاد ذلك وجاءت صاعقة تتبعها أخرى فقتلت من أصحابه اثنى عشر رجلا وزاد خوف أهل الشام فلما أصبحوا صعقت السماء فقتلت بعض أصحاب ابن الزبير فقال الحجاج لأصحابه اثبتوا فإنه مصيبهم ما أصابكم ولم يزل يرميها بالمنجنيق حتى هدمها ورموها بكبريت النفط فاحترقت الستائر حتى صارت رمادا وأن ابن الزبير قال لأمه إنى لا آمن إن قتلت أن يمثل بى وأصلب فقالت له ياولدى إن الشاة إذا ذبحت لم تتألم بالسلخ فودعها وخرج من عندها فحمل عليهم حتى ردهم على أعقابهم فرمى بآجرة فأدمت وجهه فلما وجد سخونة الدم على وجهه أنشد قائلا :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وصاحت مولاة لآل الزبير مجنونة وكانت رأته حين هوى والأمير المؤمنين اه وأشارت إليه وقتل رضى الله تعالى عنه فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد وجاء هو وطارق فوقفا عليه فقال طارق ما ولدت النساء أذكر من هذا فقال الحجاج أتمدح من خالف طاعة أمير المؤمنين قال نعم هو أعذر لنا ولو لا هذا ما كان لنا عذر وإنا لمحاصروه وهو فى غير حصن ولا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا بل يفضل علينا كلما التقينا فبلغ كلامهما عبد الملك فصوب رأى طارق ثم بعث الحجاج برأس ابن الزبير وجماعة إلى عبد الملك فبعث عبد الملك برأس ابن الزبير إلى عبد الله بن حازم الأسلمى وهو وال بخراسان من جهة ابن الزبير ودعاه إلى طاعته على أن يجعل له خراسان طعمة سبع سنين فقال ابن حازم للرسول لو لا أن الرسل لا تقتل لأمرت بضرب عنقك ولكن كل كتاب صاحبك فأكله ثم أخذ الرأس فغسله وطيبه وكفنه ودفنه وقيل إنه بعث به إلى آل الزبير بالمدينة فدفنوه مع جثته بالمدينة وماتت أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهم بالمدينة بعده بخمسة أيام ولها مائة سنة (وذكر) الحافظ بن عبد البر أن الكعبة رميت بالمنجنيق مرة أخرى حين حصرها مسلم بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط فى أيام يزيد بن معاوية فى وقعة الحرة

الكبار كالحيوانات الكبار فكما أن شدة البرد لا تبقى من الحيوانات التى لا عظم لها فكذلك لا تبقى من النبات شيئا إلا ماله خشب صلب واعلم أن عقول العقلاء متحيرة فى أمر الحشائش وعجائبها وأفهام الأذكياء قاصرة عن ضبط خواصها وفوائدها وكيف لا مع ما يشاهد من اختلاف صور قضبانها واختلاف أشكالها وألوانها وعجيب ستور أوراقها وأنوارها وكل لون منها ينقسم إلى أقسام كالحمرة مثلا فإنها وردى وأرجوانى وسوسى وشقائق وأدريونى وإلى غير ذلك مع اشتراك كلها فى الحمرة ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضا مع اشتراك الكل فى الطيب ثم عجائب أشكال حبوبها فإنه لكل واحدة شكل وورق وعرق وزهر ولون وطعم ورائحة وخاصة بل خاصيات لا يعرفها غير الله والتى عرفها الإنسان بالنسبة إلى ما لم يعرفه كقطرة من البحر (ولنذكر) شيئا من خواصها وما ركب الله تعالى فيها من الأدوية مرتبة على حروف المعجم إن شاء الله تعالى (آذان الفأر)

فمات يزيد ورجع مسلم إلى الشام ﴿غريبة﴾ قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي دخلت على أمي يوم عيد الأضحى فرأيت عندها امرأة في أثواب دنسة فقالت لي أمي أتعرف هذه قلت لا قالت هذه عتابة أم جعفر بن يحيى البرمكي فسلمت عليها وقلت لها حدثيني ببعض أمرك فقالت أذكر لك جملة فيها عبرة لمن اعتبر لقد هجم علي مثل هذا اليوم يوم العيد وعلى رأسي أربعمائة وصيفة وأنا أزعم أن ابني جعفرا عاق لي وقد أتيتكم اليوم أسألكم جلدي شاتين أجعل أحدهما شعارا والآخر دثارا قال فدفعت إليها خمسمائة درهم ولم تزل تتردد إلينا حتى فرق الموت بيننا وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر قتل جعفر في باب العين المهملة في العقاب وفي * سنن ابن ماجه وكامل بن عدي في ترجمة أبي رزين عبد الله من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال الشاة من دواب الجنة * وفي الاستيعاب للحافظ أبي عمر بن عبد البر في ترجمة أبي رجاء العطاردي أن العرب كانوا يأتون بالشاة البيضاء فيعبدونها فيجيء الذئب فيأخذها فيأخذون أخرى مكانها * وفي سنن البيهقي وغيره أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يكره من الشاة إذا ذبحت سبعا الذكر والأنثيين والدم والمرارة والحياء والعذرة والمثانة قال وكان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها . وقالت أم سلمة رضي الله تعالى عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت شاة فأخذت قرصا تحت دن لنا فقمت إليها فأخذته من بين لحييها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان ينبغي لك أن تعنقيها أي تأخذي بعنقها وتعصريها * وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الحائط ممر الشاة ﴿قلت﴾ وهذا يدل على استحباب القرب من السترة كما جاء عنه أيضا صلى الله عليه وسلم إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لئلا يقطع الشيطان عليه صلاته رواه أبو داود ولا يعارض حديث ممر الشاة بحديث صلاة النبي ﷺ في الكعبة بينه وبين الجدار قدر ثلاثة أذرع وهو الذي يمكن المصلي أن يدرأ من يمر به إذ حمل بعضهم حديث ممر الشاة على ما إذا كان قائما وحديث الثلاثة أذرع على ما إذا ركع أو سجد ولم يذكر مالك في ذلك حدا وقدر بعضهم ممر الشاة بقدر شبر وقد تقدم في البهيمة والجدي شيء من هذا ﴿فائدة﴾ في سنن أبي داود وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل منها وأكل معه رهط من أصحابه فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية وقال ما حملك على ما صنعت قالت قلت إن كان نبيا فلن يضره وإن لم يكن نبيا استرحنا منه فأمر صلى الله عليه وسلم بها فقتلت كذا رواه وهو مرسل فإن الزهري لم يسمع من جابر شيئا والمحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم قيل له ألا نقتلها فقال لا كذا رواه البخاري ومسلم وجمع البيهقي بينهما بأنه لم يقتلها في الابتداء فلما مات بشر أمر بقتلها وهي زينب بنت الحرث بن سلام وقال ابن إسحق إنها أخت مرحب اليهودي وروى معمر بن راشد عن الزهري أنها أسلمت وروى الترمذي عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ليشتري له أضحية بدينار فاشترى أضحية فأربح فيها دينارا فاشترى أخرى مكانها وجاء بالأضحية والدينار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحى بالشاة وتصدق بالدينار * وفي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عروة بن الجعد وقيل ابن أبي الجعد البارقي دينارا ليشتري به شاة فاشترى شاتين فباع إحداهما بدينار وجاء بشاة ودينار وذكر ما كان من أمره فقال بارك الله لك في صفقة يمينك فكان يخرج بعد ذلك

إسما بجوني ومنها ماله زهر لازوردي إذا وضعت على الشوك أو السلا أبرزته وتلصق الجراحات ويسعط بها اللقوة وتشرب للصرع (آذريون) زهرة في غاية الحمرة وفي وسطه سواد كأنه نصف بلوطة إذا قطعت عرضا قال ابن سينا ينفع من داء الثعلب مسحوقا بخل ورماده ينفع من عرق النسا وينفع من السموم كلها خصوصا للدماغ وقال ديسقوريدس إن احتملت المرأة منه شيئا ثم يغشاها زوجها حملت وإن احتملتها وهي حامل أسقطت وقال غيره إذا دخلت الحبلى بيتا فيه آذريون أسقطت (إذخر) نبت طيب الرائحة ينفع من الحكة ويقوي المعدة ويدر البول والحيض ويفتت الحصى وينفع من وجع الأسنان إذا كان من برد (أرز) ذكروا أن المداومة على أكله تزيد في نضارة الوجه ويخصب البدن وأكله يرى أحلاما طيبة قشره يعد من السموم قال ابن سينا من سقي منه اعتراه في الوقت وجع في الفم واللسان فإنه من السموم والله أعلم

(إسفاناج) ينفع من السعال وخشونة الصدر وأوجاع الظهر من الحرارة

إلى كناسة البصرة فيربح الربح العظيم حتى صار من أكثر أهل الكوفة مالا قال شبيب بن غرقدة رأيت فى دار عروة البارقى سبعين فرسا مربوطة للجهاد فى سبيل الله تعالى وروى عروة بن أبى الجعد عن رسول الله ﷺ ثلاثة عشر حديثا وهو أول من قضى بالكوفة استعمله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على قضائها قبل شريح ﴿عجيبة﴾ روى ابن عدى عن حسن بن راقد القصاب أن أباجعفر البصرى وكان من أهل الخير والصلاح قال أضجعت شاة لأذبحها فر أيوب السختيانى فألقيت الشفرة وقمت معه أتحدث فوثبت الشاة فحفرت فى أصل الحائط ودحرجت الشفرة فألقتها فى الحفرة وألقت عليها التراب فقال لى أيوب أما ترى فجعلت على نفسى أن لا أذبح شيئا بعد ذلك اليوم ﴿فائدة أخرى﴾ كان أبو محمد عبد الله بن يحيى بن أبى الهيثم المصعبى من أصحاب الشافعى إماما صالحا عالما من أهل اليمن من أقران صاحب البيان ومن تصانيفه احترازات المذهب والتعريف فى الفقه روى أن ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت أقرأ ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ويرسل عليكم حفظة إن ربى على كل شىء حفيظ فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وجعلنا السماء سقفا محفوظا وحفظا من كل شيطان مارد وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وربك على كل شىء حفيظ الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون إن كل نفس لما عليها حافظ إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ ثم قال كنت خرجت يوما فى جماعة فرأينا ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها شيئا فلما دنونا منهما نفرمنا الذئب فتقدمنا إلى الشاة فوجدنا فى عنقها كتابا مربوطا فيه هذه الآيات توفى المصعبى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة وقال الحافظ أبو زرعة الرازى وقعت النار بجرجان فاحترق فيها تسعة آلاف بيت وجدوا فيها تسعة آلاف مصحف قد احترقت إلا هذه الآيات لم تحترق فى كل مصحف وهى ذلك تقدير العزيز العليم وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال فما وضعت هذه الآيات فى متاع أو بيت أو حانوت أو غير ذلك إلا حفظه الله تعالى ﴿قلت﴾ وهى نافعة مجربة «وروى» الثعلبى وابن عطية والقرطبى وغيرهم عن سالم بن أبى الجعد قال احترق لنا مصحف فلم يبق فيه إلا قوله تعالى ألا إلى الله تصير الأمور وغرق لنا مصحف فانمحى كل شىء فيه إلا هذه الآية «وحدثنا» شيخنا الإمام العارف بالله عبد الله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى قال بلغنى عن سيدنا العارف الإمام أبى عبد الله محمد القرشى عن شيخه أبى الربيع المالقى أنه قال ألا أعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت بلى قال قل يا الله يا أحد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب يا ذا الطول

وكثرة الدم لكنه يسىء الهضم بزره ينفع من الحمى وأوجاع القلب والقدر المأخوذ منه درهم والله الموفق (اصقيل) وهو بصل الفار قال ابن سينا أنه يقطع التآليل طلاء وينفع من الصرع والميخوليا وعرق النسا والفالج ويشد اللثة ويثبت الأسنان المتحركة ويزيل البخر وإن علق على صاحب الطحال إحدى وأربعين يوما صلح طحاله وينفع الاستسقاء واليرقان وخله يحسن اللون (اشترغار) شوك معروف تأكل الإبل منه أكلا ذريعا فينفع من حمى الربع وخله جيد للعدة يفتق الشهوة ويعين على الهضم ولكنه يورث الغثيان ويضر بالدماغ ضررا بينا (أشنان) هو الحوض الذى يغسل به وهو أنواع ألطفها الأبيض الذى يسمى حرد العصافير ثم الأخضر وكلاهما جلاء منق درهم منه يدر البول والحيض وثلاثة دراهم تسقط الأجنة وعشرة دراهم قتالة ودخان الأخضر ينفر منه الهوام كلها كل ذلك عن ابن سينا (افستين) حشيشة يشبه ورقها ورق الصعتر قال ابن سينا إنه يمنع الثياب من السوس والمداد من التغيير والكاغد من الأرضة ويحسن اللون

ياغنى يامغنى يافتاح يارزاق ياعليم ياحكيم ياحى يافيوم يارحمن يارحيم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والإكرام ياحنان يامنان انفحنى منك بنفحة خير تغنى بها عمن سواك إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح إنا فتحنا لك فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد ياودود ياذا العرش المجيد يافعالا لما يريد اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك واحفظنى بما حفظت به الذكر وانصرنى بما نصرت به الرسل إنك على كل شىء قدير قال فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة خصوصا صلاة الجمعة حفظه الله من كل مخوف ونصره على أعدائه وأغناه ورزقه من حيث لا يحتسب ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه مثل الجبال دينا أداه الله تعالى عنه بمنه وكرمه * وروى ابن عدى عن عبد الرحمن القرشى قال حدثنا محمد بن زياد بن معروف حدثنا جعفر بن حسن عن أبيه قال حدثنا ثابت البنانى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ سألت الله تعالى الاسم الأعظم فجاءنى جبريل عليه السلام به مخزونا مختوما وهو اللهم إنى أسألك باسمك الأعظم المكنون الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحى القيوم فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها بأبى أنت وأمى يانبى الله علمنيه فقال ﷺ ياعائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء « فائدة أخرى » روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال بينما عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام سائران إذ رأيا شاة وحشية ماخضا فقال عيسى ليحيى قل تلك الكلمات حتى ولدت يحيى ومريم ولدت عيسى الأرض تدعوك ياولد أخرج ياولد قال حماد بن زيد فما يكون فى الحى امرأة ماخض فيقال هذا عندها فلا تبرح حتى تضع بإذن الله تعالى ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وكانا ابنى خالة وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى عليه السلام وعن يونس بن عبيد أنه قال ماقال العبد اللهم أنت عدتى فى كربتى وأنت صاحبى فى غربتى وأنت حفيظى عند شدتى وأنت ولى نعمتى عند النفساء أو البيمة الماخض إلا يسر الله عليها وضع الولد قال بعض الحكماء من خصائص الزبد البحرى أنه إذا علق على ذات طلق سهل الله عليها الولادة وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعما وشرب بماء فإنه يسهل الولادة وقد جرب مرارا عديدة فصح وقد ورد فى الحديث مثل المؤمن كالشاة المأبورة أى التى أكلت الإبرة فى علفها فنشبت فى جوفها فهى لا تأكل شيئا وإن أكلت لم ينجع فيها وفيه أيضا مثل المنافق كالشاة الرابضة بين غنمين أراد أنها مذبذبة بين قطيعين من الغنم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والرابضة أيضا ملائكة اهبطوا مع آدم عليه الصلاة والسلام يهدون الضال ولعله من الإقامة وقال الجوهرى الرابضة حملة الحجة لا تخلو منهم الأرض (الحكم) يحل أكلها بالإجماع وإن أوصى بشاة تناول صغيرة الجثة وكبيرتها سليمة ومعيبة ضأنا ومعزا لصدق الاسم على الجميع « فرع » ومن أحكامها فى الأضحية أن الأضحية سنة غير واجبة ولا تصح إلا من النعم ولا يجزئ من الضأن إلا الجذعة وهى مالها سنة تامة وشرعت فى الثانية على الأصح عند أصحابنا كما تقدم فى باب الجيم فى الجذعة ومن المعز إلا الثنية وهى التى شرعت فى السنة الثالثة ويشترط أن تكون سليمة من كل عيب يضر باللحم فلا تجزئ العجفاء ولا العوراء ولا المريضة ولا العرجاء ولا الجرباء ولا مكسورة القرن ولا مقطوعة الأذن ولا التى لم يخلق لها أذن وفى مشقوقة الأذن وجهان قاله فى العباب وإذا لم تجزئ العوراء فالعمياء أولى وأما العمش وضعف البصر من إحدى العينين أو كلتيهما فلا يمنع الإجزاء وقال الرويانى نغطى على الناظر بياض وأذهب بعضه دون بعض فإن ذهب الأكثر

الهواء (اقحوان) قضبان دقيقة عليها زهر أبيض وقد يكون أحمر ينفع من النواصير وإذا أديم شمه أحدث السبات وهو ودهنه يفتح البواسير وغير البواسير وينفع من القولنج ووجع المثانه (أكشوت) حشيشة تلتف على الشجر والشوك لا ورق له مر الطعم جدا فربما تلتف على الشجرة الكرمة فتجعل عناقيدها مرة لها نور صغار أبيض إذا شرب بالخل سكن الفواق وماؤه عجيب لليرقان ويدر البول والحيض وينفع من الحميات العتيقة والمغص (بابونج) شجرة معروفة منها أصفر الزهر ومنها أبيضه قال ابن سينا إنها نافعة من الصداع البارد وتدر الطمث شربا وجلوسا فى مائها وتخرج الجنين والمشيمة وتنفع من القولنج الزبلى نعوذ بالله منه كل ذلك عن ابن سينا (بارد تجويه) يقال لها بالفارسية بادرنكبو قال ابن سينا إنه يقتل العقرب ويطيب النكهة ويزيل البخر وينفع من الجرب السوداوى ويفرح القلب ويذهب الخفقان وينفع من الفواق وقال غيره يصفى الذهن وينفع من العلل البلغمية والسوداوية (بادروج)

لم تجز التضحية بها وإن ذهب الأقل جازت وفى العشواء وهى التى تبصر نهارا لا ليلا وجهان الأصح الإجزاء وقد ورد النهى عن التولاء وهى المجنونة وهى التى تستدير المرعى ولا ترعى إلا قليلا فتهزل وأما مقطوعة الأذن فينظر فإن لم يبن منها شىء بل بقى طرفها متدليا لم يمنع على الأصح وقال القفال إنها لا تجزئ وإن أبين فإن كان كثيرا بالإضافة إلى الأذن فإنها لا تجزئ قطعا وإن كان يسيرا فلا تجزئ على الأصح لفوات جزء مأكول قال الإمام وأقرب ضبط بين القليل والكثير أنه إن لاح النقص من البعد فكثير وإلا فقليل وقال أبو حنيفة إن كان المقطوع دون الثلث لا يمنع الإجزاء ولا يضر الكى وقيل وجهان وتجزئ صغيرة الأذن ولا تجزئ التى أخذ الذئب مقدارا بينا من فخذها والمقطوعة الألية لا تجزئ على المذهب وتجزئ الشاة التى خلقت بلا ضرع أو بلا ألية على الأصح وقطع بعض الألية والضرع كقطع كلهما ولا تجزىء مقطوعة اللسان والأصح إجزاء المجبوب والخصى وشذ ابن كج فحكى فى الخصى قولين وجعل الجديد عدم الإجزاء وتجزئ التى لا قرن لها والمكسورة القرن سواء اندمل أم لا على الأصح وجزم المحاملى فى اللباب بعدم الإجزاء كما تقدم قال القفال إلا أن يؤثر ألم الانكسار فى اللحم فيكون كالجرب وذات القرن أفضل وتجزئ التى ذهب بعض أسنانها ﴿فائدة﴾ قال الجوهرى الأضحية فيها أربع لغات أضحية وأضحية بضم الهمزة وكسرها والجمع أضاحى وضحية والجمع ضحايا وأضحاة كأرطاة والجمع أضحى كأرطى وبها سمى يوم الأضحى ﴿فرع﴾ النية شرط فى الأضحية ويجوز تقديمها على الذبح فى الأصح ولو قال جعلت هذه الشاة أضحية فهل يكفى التعيين والقصد دون نية الذبح وجهان أصحهما لا لأن الأضحية سنة كما تقدم وهى قربة فى نفسها فوجبت النية فيها واختار الإمام الغزالى الإكتفاء وإذا قلنا بالاكتفاء فالمستحب تجديد النية ﴿فرع﴾ يستحب للمضحى أن يذبح بيده ويجوز أن يفوض ذبحها إلى غيره وكل من حلت ذبيحته جاز التفويض إليه والأولى أن يكون مسلما وأن يكون فقيها ليكون عارفا بوقفها وشرائطها ويجوز استنابة الكتابى وقال مالك لا يجوز ويكون ما ذبحه شاة لحم وحكى الموفق بن طاهر الحنبلى عن أحمد مثله ويستحب أن يأكل الثلث ويهدى الثلث ويتصدق بالثلث وفى قول أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف فإن أكل الكل معا فالمذهب أنه يضمن القدر الذى يجزئ فيه وهو أدنى جزء وقيل لا يضمن وقيل يضمن القدر المستحب وهو الثلث أو النصف ولا يجوز بيع شىء منها ولا أن يعطى الجزار منها شيئا أجرة بل مؤنة الذبح على المضحى كمؤنة الحصاد ﴿فرع﴾ اعلم أن العلماء رضى الله تعالى عنهم قالوا ادخار الأضحية فوق ثلاث منهى عنه وهل يجوز أكل الجميع وجهان أحدهما نعم وبه قال ابن سريج والاصطخرى وابن القاص واختاره ابن الوكيل لأنه يجوز أكل أكثرها فيجوز أكل جميعها وحيازة الثواب تحصل بإراقة الدم لقصد النية ونسب ابن القاص هذا الوجه إلى النص وحكاه الموفق الحنبلى عن أبى حنيفة وأصح الوجهين أنه لا بد من التصدق بقدر ما يطلق عليه الاسم ﴿فرع﴾ لو قال جعلت هذه الشاة أضحية أو نذر أن يضحى بشاة بعينها زال ملكه عنها ولا ينفذ تصرفه فيها ببيع ولا هبة ولا إبدال ولو بجزء منها وعن الشيخ أبى على وجه أنه لا يزول الملك عنها حتى تذبح ويتصدق بلحمها كما لو قال لله على أن أعتق هذا العبد لا يزول ملكه عنه إلا باعتناقه وعند أبى حنيفة أنه لا يزول الملك عنها ولا يجوز بيعها ولا إبدالها ولو نذر العتق فى عبد بعينه لا يجوز بيعه وإبداله وإن لم يزل الملك عنه وقال أبو حنيفة رحمه الله لا يجوز بيعه وإبداله فلو باعها فإنها تسترد إذا كانت

زعموا أنه إذا مضغ وجعل فى الشمس يتولد فيه الدود وقال ابن سينا عصارته تنفع الرعاف سيما بخل خمر وكافور ويحدث ظلمة العين أكلا ويقوى البصر جلاء وبزره ينفع من عسر البول ويوضع على لسع الزنابير والعقارب يبرئه (باذنجان) أكله يورث أخلاطا رديئة وخيالات فاسدة قال معمر بن المثنى قطعت فى ثلاثة مجالس ولم أجد لذلك سببا إلا أنى أكثرت من أكل الباذنجان فى أحدها ومن الباقلا فى الثانى ومن الزيتون فى الثالث قال الحكماء يشق الباذنجان ويجفف فى الظل ثم يسحق بشحم البقر ويطلى به ثدى البنات قبل أن يكعب فإنه لا يتدلى ويبقى على الصدر وقال ابن سينا يولد السدد والسوداء ويفسد اللون ويسود البشرة ويصفر الوجه ويولد الجذام والسراطانات والصداع والسدد والبواسير وإن أردت أن يبقى زمانا طويلا فاغمسه فى الشحم المذاب فإنه يبقى زمانا (باقلا) قال صاحب الفلاحة إذا نقعت الباقلا قبل أن تغرسه فى ماء نطرون رومى أسرع نباته قبل جميع أنواعه ورقه إن أكل عاد

العين باقية فإن أتلفها المشترى أو تلفت عنده فعليه القيمة من يوم القبض إلى يوم التلف فلو ذبح رجلان كل واحد منهما أضحية الآخر بغير أذنه ضمن كل واحد منهما ما بين القيمتين أو أجزأت عن الأضحية ﴿فرع﴾ قال المحاملى وتنحر الإبل وتذبح الغنم فإن نحر كلها أو ذبح كلها جاز وموضع النحر فى السنة والاختيار اللبة وموضع الذبح أسفل مجامع اللحيين وكمال الذبح أن يقطع الحلقوم والمرىء والودجين وأقل ما يجزئ فى الذكاة أن يبين الحلقوم والمرىء انتهى ﴿فرع﴾ لو ولدت الأضحية الواجبة ذبح ولدها معها سواء كانت معينة أو فى الذمة بعد ما عين وله أن يشرب من لبنها ما يفضل عن ولدها قاله القاضى أبو سعيد الهروى (الأمثال) قالوا كل شاة برجلها معلقة أول من قال ذلك وكيع بن سلمة بن زهير بن أياد وكان قد ولى أمر البيت بعد جرهم فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبه سميت الحزورة التى بمكة وجعل فى الصرح سلما وكان يزعم أنه يرقاه فيناجى فيه ربه تعالى وكان ينطق بكثير من الخير وكان علماء العرب يقولون إنه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع أولاده وقال لهم اسمعوا وصيتى من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه وكل شاة برجلها معلقة فأرسل مثلا أى كل أحد يجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى (الخواص) جلد الشاة إذا أخذ حين يسلخ وألبس للمضروب بالسياط نفعه وسكن ألمه ﴿الشامرك﴾ الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل قاله فى المرصع وكنيته أبو يعلى وهو معرب الشاه مرغ ومعناه ملك الطير ﴿الشاهين﴾ جمعه شواهين وشياهين وليس بعربى لكن تكلمت به العرب قال الفرزدق:

حمى لم يحط عنه سريع ولم يخف * نويرة يسعى بالشياهين طائره

ويروى بالشواهين وقال عبد الله بن المبارك:

قد يفتح المرء حانوتا لمتجره * وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق * تبتاع بالدين أموال المساكين
صيرت دينك شاهينا تصيد به * وليس يفلح أصحاب الشواهين

وقد تقدمت له أبيات فى باب الباء الموحدة فى البازى تشبه هذه ومن كلامه تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا * والشاهين ثلاثة أنواع شاهين وقطامى وأنبق والشاهين فى الحقيقة من جنس الصقر إلا أنه أبرد منه وأيبس مزاجا ولأجل ذلك تكون حركته من العلو إلى السفل شديدة ولهذا ينقض على سيده انقضاضا من غير تحريم وعنده جبن وفتور وهو مع ذلك شديد الضراوة على الصيد ولأجل ذلك ربما ضرب بنفسه الأرض فمات وعظامه أصلب من عظام سائر الجوارح وبعضهم يقول الشاهين كاسمه يعنى الميزان لأنه لا يتحمل أدنى حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع والمحمود من صفاته أن يكون عظيم الهامة واسع العينين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليد الفخذين قصير الساقين قليل الريش رقيق الذنب إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنه منهما شىء فإذا كان كذلك صاد الكركى وغيره ويقال إن أول من صاد به قسطنطين وكانت الشواهين ريضت له وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس وكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فإذا ركب وقفت حوله إلى أن ركب يوما فثار طائر من الأرض فانقض عليه بعض الشواهين فأخذه فأعجبه ذلك وضراه على الصيد (وحكمه) يأتى فى باب الصاد المهملة إن شاء الله

صحيحا إذا تم القمر بدا زهره النظر إليه يورث الهم والحزن وإذا سحق فى هاون رصاص ووضع فى الشمس صار خضابا جيدا شربه يورث ظلمة العين والأحلام الفاسدة قال الجاحظ الإكثار من الباقلا يفسد العقل ويقطع رائحة الثوم وإذا قطع نصفين ووضع على نزف الدم قطعه وإذا اعتلفت الدجاجة منه انقطع بيضها والباقلا بقشرها تجلو البهق والكلف والنمش طلاء وتحسن اللون قشره يضمد به عاية الصبى يمنع نبات الشعر عليه والله أعلم (برشاوشان) حشيشة منبتها حياض الماء والشطوط والأنهار لها قضبان حمر تميل إلى السواد بلا ساق ولا زهر ورقها يشبه ورق الكرفس زعموا أن افراسياب ملك الترك لما قتل سيلوش ملك الفرس ظلما نبتت هذه الحشيشة من دمه ورقها قال ابن سينا ينفع من البواسير ويفتت الحصى ويدر البول والطمث ويخرج المشيمة (برنجاسف) نبات له ورق صغار دقاق بيض وصفر يشبه الافسنتين يظهر فى الصيف ينفع من الصداع البارد ضمادا ومصلوقه ينفع من الزكام ويسقط المشيمة والجنين وينفع من السدد والدوار وإذا نثر

تعالى فى الصقر ومن الرسائل التى كتبتها قديما للأخ فارس الدين شاهين وأنا بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

سلام كما فاحت بروض أزاهر * يضىء كما لاحت بأفق زواهر
إذا عبقت كتبى به قال قائل * أفى طيها نشر من المسك عاطر
إلى فارس الدين الذى قد ترحلت * لخدمته خـــدام مصر الأكابر
إذا عد خدام الملوك جميعهم * فبينهم ذكر لشاهين طائر
وعندى اشتياق نحوه وتلفت * إليـــه وقلبى بالمـودة عامر
تمنيت جهدى أن أراه بحضرة * معظمة أقطارها وهو حاضر
وأدعو له فى كل وقت مشرف * وكل زمان فضله متواتر
وفى مسجد عال كريم معظم * لهشرف فى سائر الأرض سائر

يقبل الأرض التى لها بشاهين علو النسرين وجود المرزمين قصرت عقاب الجو عن مطارها والعنقاء ذات الحسن عن محاسن أخبارها وطائرها الميمون صراح وحامل بطائق سعدها منشور الجناح يعترف أبو الصقر لشاهينها والبزاة وان استقرت على يمين الملوك لتمكينها طالما تصيدت الملوك بإحسانها ونشرت جناحا طار إلى أفق المعالى ومكانها وينهى أن له إلى مولانا أشواقا غالبه وعينا برؤيته فى تلك البقاع الشريفة مطالبه وأدعية له عليها فى كل وقت مواظبه ويذكر إحسان مولانا ويصفه فما أولانا بذكرها أولانا وكيف لا يحوز صدقا قصب السبق وهى فارسيه ويطير حائما على أفق العلا فضله وهو ذو نسبة شاهينيه والمملوك يتذكر صدقاته وإحسانه فى كل أوقاته على أن المخدوم مازال يستبق الخيرات ويسارع إلى جبر القلوب بأنواع المسرات ويبذل معروفه إلى البعيد والقريب ويرسل جوده الذى مازال يلبى دعوة الداعى ويجيب فأدام الله على مولانا سوابغ نعمه وعمه بإحسانه العميم بمنه وكرمه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الصقر ذكر أبى الصقر المشار إليه (وتعبيره) يأتى فى الصقر إن شاء الله تعالى أيضا ﴿الشبب﴾ الثور المسن وكذلك الشبوب والمشب ﴿الشبث﴾ بالتحريك العنكبوت قال فى المحكم هى دويبة لها ست قوائم طوال صفراء الظهر وظهور القوائم سوداء الرأس زرقاء العينين وقيل دويبة كثيرة الأرجل عظيمة الرأس واسعة الفم مرتفعة المؤخر تحرث الأرض وهى التى تسمى شحمة الأرض والجمع أشباث وشبثان وقال الجوهرى الشبث بالتحريك دويبة كثيرة الأرجل ولا تقل شبث بإسكان الباء الموحدة والجمع شبثان مثل خرب وخربان (وحكمها) تحريم الأكل لأنها من الحشرات

﴿الشبثان﴾ بكسر الشين المعجمة وبالباء الموحدة ثم الثاء المثلثة ثم نون فى آخره ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنها دويبة تكون فى الرمل سميت بذلك لتشبثها بما دلت عليه قال الشاعر

* مدارك شبثان لهن لهيم * (وحكمها) تحريم الأكل لأنها من الحشرات التى لا تؤكل

﴿الشبدع﴾ العقرب والجمع الشبادع بكسر الشين والدال غير المعجمة حكاه أبو عمرو والأصمعى (وفى الحديث) من عض على شبدعه سلم من الآثام أى على لسانه أى سكت ولم يخض مع الخائضين ولم يلسع به الناس لأن العاض على لسانه لا يتكلم فشبه اللسان بالعقرب الضارة ﴿الشبربص﴾ كسفرجل الجمل الصغير

أردت زرع البصل فقشر بزره لتكون ثمرته حسنة وكلما كان نزوله فى الأرض أكثر كان أقوى وليترصد لوقت زرعه غروب الثريا ليكون طعمه طيبا وكذلك عند حصاده قالوا الاكتحال بماء البصل مع العسل مما يحد البصر ويزيل ضعفها وزعم الجاحظ أن الإكثار منه يفسد العقل وعن معاوية أنه وفد إليه وفد فقرب إليهم الطعام ثم دعا بالبصل وقال كلوا من هذا فإن كل من جاء أرضنا وأكل منه لم يضره ماؤها وأما دفعه لغائلة السموم فأمر لا يشك فيه ومن العجائب أن من أراد تقشير البصل وتقطيعه يغرز سكينة فى بصلة ويتركها على رأس السكين ثم يقطعها ويقشرها فإنه لا يتأذى من رائحتها قال ابن سينا البصل يحمر اللون بجذبه الدم إلى خارج وله خاصية فى دفع ضرر المياه وتهييج الباه وينفع من عضة الكلب الكلب إذا طلى عليها وأكله يدفع ضرر الريح السموم وعصارته تنفع من الماء النازل من العين ويجلو البصر وبزره يكتحل به لبياض العين ويذهب



البهق ويدلك به لداء الثعلب فينفع وهو بالملح يقلع الثآليل (بطيخ) قال

﴿ الشبل ﴾ ولد الأسد إذا أدرك الصيد والجمع أشبال وشبول ( الشبوة ) العقرب والجمع شبوات قال الراجز :

قد جعلت شبوة تزبئر * تكسو استها لحما وتقمطر

﴿ الشبوط ﴾ كسفود ضرب من السمك قال الليث والسبوط بالسين المهملة لغة فيه وهو دقيق الذنب عريض الوسط لين المس صغير الرأس وهذا النوع قليل الإناث كثير الذكور فهو قليل البيض بسبب ذلك (وذكر) بعض الصيادين أنه ينتهى إلى الشبكة فلا يستطيع الخروج منها فيعلم أنه لا ينجيه إلا الوثوب فيتأخر قدر رمح ثم يهمز فيثب فربما كان وثوبه فى الهواء أكثر من عشرة أذرع فيخرق الشبكة ويخرج منها ولحمه كثير جدا وهو كثير بدجلة (الشجاع) بالضم والكسر الحية العظيمة التى تثب على الفارس والراجل وتقوم على ذنبها وربما بلغت رأس الفارس وتكون فى الصحارى روى أن مالك بن أدهم خرج يتصيد فلما صار إلى بلد قفر معطش ومعه جماعة من أصحابه طلبوا الماء فلم يقدروا عليه فنزل وضربت له خيمة وأمر أصحابه أن يطلبوا الماء والصيد فخرجوا فى طلبهما فأصابوا ضبا فأتوه به فقال اشووه ولا تنضجوه ومصوه مصا لعلكم تنتفعون به ففعلوا ذلك ثم أثاروا شجاعا وأرادوا قتله فدخل على مالك خيمته فقال قد استجارنى فأجيروه ففعلوا ذلك ثم خرج هو وأصحابه فى طلب الماء فإذا هاتف يهتف بهم وهو يقول:

يا قوم يا قوم لا ماء لكم أبدا * حتى تحثوا المطايا يومها التعبا
وسددوا يمنة فالماء عن كثب * ماء غزير وعين تذهب الوصبا
حتى إذا ما أخذتم منه حاجتكم * فاسقوا المطايا ومنه فاملؤا القربا

فأخذ هو وأصحابه فى الجهة التى نعتها الهاتف لهم فى شعره فإذا هم بعين غزيرة فسقوا منها إبلهم وتزودوا فلما فعلوا ذلك لم يروا للعين أثرا وإذا بهاتف يهتف بهم ويقول :

يا مال عنى جزاك الله صالحة * هذا وداع لكم منى وتسليم
لا تزهدن فى اصطناع العرف من أحد * أن امرأ يحرم المعروف محروم
الخير يبقى وإن طالت مغيبته * والشر ما عاش منه المرء مذموم

وفى الصحيحين عن جابر وأبى هريرة وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم أن النبى ﷺ قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه فى عنقه وفى رواية مسلم يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فإذا رأى أنه لا بد له منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضمة الفحل ثم يأخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والأقرع الذى تمعط رأسه وأبيض من السم والزبيبتان الريشتان من جانبى فمه من كثرة السم ويكون مثلهما فى شدقى الإنسان عند كثرة الكلام وقيل نكتتان فى عينيه وما هو بهذه الصفة من الحيات هو أشد أذى وقيل هما نابان يخرجان من فيه ويقضمها بفتح الضاد أى يأكلها والقضم بأطراف الأسنان والخضم بالفم كله وقيل القضم أكل اليابس والخضم أكل الرطب وتزعم العرب أن الرجل إذا طال جوعه يعرض له فى البطن حية يسمونها الشجاع والصفر قال أبو خراش يخاطب امرأته :

أرد شجاع البطن لو تعلمينه * وأوتر غيرى من عيالك بالطعم

صاحب الفلاحة ينتج بزر الحلاوة ورائحة البطيخ يحدثها قوى الأدوية وإذا كان البطيخ فى بيت لا يختمر فيه العجين أصلا وإذا اجتازت الحائض بالمبطخة تغير جميع بطيخها وإذا أصاب بزر البطيخ والقثاء رائحة الدهن يصيرا مرا وذلك بأن يجعل البزر فى ظرف كان فيه دهن أو شده فى خرقة أصابها دهن وإذا وضعت بذر البطيخ فى وسط الورد ثم زرعته تشم من بطيخه رائحة الورد وإن وضعت رأس حمار فى وسط مبطخة دفع عنها كثيرا من الآفات وأسرع نباتها وحملها وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن البطيخ كان أحب الثمار إلى النبى ﷺ قال اتفكهوا بالبطيخ وعضوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنة من أكل لقمة من البطيخ كتب الله له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة فإنه أخرج من الجنة وعن وهب بن منبه فى بعض الكتب أن البطيخ طعام وشراب وفاكهة وخلال وأشنان وريحان ينقى المعدة ويبهى الطعام ويصفى اللون ويزيد فى ماء الصلب وقال ابن سينا البطيخ ينقى الجلد وبزره ينفع من البهق والكلف والحزاز قشره

وأغتبق الماء القراح وأثنى * إذا الزاد أمسى للمزاج ذا طعم

أراد بالأول الطعام وبالثانى مايشتهى منه والغبوق الشرب بالعشى والمزاج من الرجال الناقص الذوق الضعيف وقال الشاعر :

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى * مساغا لنابا الشجاع لصمما

هذه لغة بنى الحرث بن كعب وهى إبقاء ألف التثنية فى حالتى النصب والخفض وهو مذهب الكوفيين ومنه قوله تعالى إن هذان لساحران ( وتعبيره ) فى الرؤيا يدل على ولد جسور أو امرأة بازلة .

﴿ الشحرور ﴾ كسحنون طائر أسود فوق العصفور يصوت أصواتاً قاله ابن سيده وغيره وما أحسن ماقاله الشيخ العلامة علاء الدين الباجى ووفاته سنة أربع عشرة وسبعمائة (دوبيت) .

بالبلبل والهزار والشحرور * يكسى طربا قلب الشجى المغرور

فانهض عجلا وانهب من اللذة ما * جادت كرما به يد المقدور

وقد أجاد القائل فى وصفه حيث قال :

وروضة أزهرت أغصانها وشدت * أطيارها وتولت سقيها السحب

وظل شحرورها الغريد تحسبه * أسيوداً زامراً مزماره ذهب

وما أحسن قوله أسيود وهو تصغير أسود وقال آخر وأجاد :

له فى خده الوردىّ خال * يدور به بنفسج عارضيه

كشحرور تخبأ فى سياج * مخافة جارح من مقلتيه

(وحكمه) كالعصفور وسيأتى إن شاء الله تعالى (وتعبيره) فى الرؤيا يدل على رجل من كتاب السلطان نحوى أديب وربما دل على الوالد الذكى الفصيح أو على صبى المكتب والله أعلم .

﴿ شحمة الأرض ﴾ دويبة إذا مسها الإنسان تجمعت وصارت مثل الخرزة وقال القزوينى فى الأشكال أن شحمة الأرض تسمى بالخراطى وهى دودة طويلة حمراء توجد فى المواضع الندية وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار إنها دويبة منقطة بحمرة كأنها سمكة بيضاء يشبه بها كف المرأة وقال هرمس إنها دابة صغيرة طيبة الريح لاتحرقها النار وتدخل فى النار من جانب وتخرج من جانب (الخواص) من طلى بشحمها لم تضره النار ولو دخل فيها وإذا أخذت شحمة الأرض وجففت وسقى منها قدر درهم للمرأة التى تعسرت ولادتها فإنها تلد من ساعتها وقال القزوينى إذا شويت وأكلت بالخبز فتتت الحصا من المثانة وتجفف وتطعم لصاحب اليرقان فإنها تذهب صفرته ورمادها يخلط بدهن ويطلى به رأس الأقرع ينبت الشعر ويزيل القرع * وحكمها وتعبيرها كالدود وقد تقدم فى باب الدال المهملة أنها غير مأكولة لأنها من الخبائث ﴿ الشذا ﴾ بفتح الشين والذال المعجمة ذباب الكلب وقد يقع على البعير الواحدة شذاة ﴿ الشران ﴾ شبيه بالبعوض يغشى وجوه الناس ﴿ الشرشق ﴾ الشقراق ﴿ الشرشور ﴾ كعصفور طائر مثل العصفور أغبر على لطافة الحمرة قاله ابن سيده وقد تقدم فى باب الباء أنه أبو براقش * وحكمه حل الأكل لأنه داخل فى عموم العصافير ﴿ الشرغ ﴾ والشرغ والشرغ الضفدع الصغير وسيأتى إن شاء الله تعالى فى لفظ الضفدع فى باب الضاد المعجمة .

﴿ الشرنبى ﴾ كحنطى طائر معروف يعرفه الأعراب .

﴿ الشصر ﴾ بالتحريك ولد الظبية وكذلك الشاصر قاله أبو عبيدة .

حسنة زهره إذا شرب بالماء نفع من الخناق وأم الصبيان قال ابن سينا يسكن الصداع الدموى شما وطلاء وينفع الرمد الحار وقال غيره شم البنفسج مضر بالزكام ودهنه نعم الطلاء للجرب اليابس (بودانش) قال ابن سينا إن به حشيشة تنبت مع البيش وأى بيش جاورها لم تنم شجرته وهو أعظم ترياق للبيش وله جميع منافع البيش من دفع البرص والجذام وهو ترياق لكل سم سيما سم الأفاعى (بهار) هو الذى يقال له عين البقر ورده أصفر وورقه أحمر الوسط شمه ينفع الدماغ ويحلل الرياح الغليظة التى فى الرأس والله الموفق ( بيش ) نبات ينبت بأرض الهند نصف درهم منه سم قاتل وعلامته أنه يعرض لمن سقى منه جحوظ العين وورم الشفتين واللسان والدوار والغشى ذكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بملوك تعاديهم ربوا جارية بالبيش من طفوليتها وذلك بأن يفرش البيش تحت مهدها مدة ثم تحت فراشها مدة ثم تحت ثيابها مدة وهكذا على التدريج إلى أن تأكل الجارية منها ولم يضرها

﴿ الشعراء ﴾ بفتح الشين وكسرها وبالعين المهملة الساكنة ذباب أزرق أو أحمر يقع على الإبل والحمير والكلاب فيؤذيها أذى شديدا وقيل ذباب كذباب الكلب وفى السيرة أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار أصحابه ودعا عبدالله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قبلها قط فاستشاره فقال عبدالله بن أبى وأكثر الأنصار يارسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ماخرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخل علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم يارسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا علينا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأى وقال بعض أصحابه يارسول الله اخرج بنا إلى هذه الأكلب لايرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال رسول الله ﷺ إنى رأيت فى منامى بقراً تذبح فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلماً فأولتها هزيمة ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فافعلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الأزقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعداء الله يارسول الله فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ولبس لأمته فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئسما صنعتم نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقالوا اصنع مارأيت يارسول الله واعتذروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل وكان قد أقام المشركون بأحد الأربعاء والخميس فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة بعد ماصلى بأصحابه الجمعة فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وكان أصحابه سبعمائة رجل فجعل عبد الله بن جبير وهو أخو خوات بن جبير رضى الله عنهما على الرماة وكانوا خمسين رجلا وقال عليه الصلاة والسلام أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لايأتونا من خلفنا وإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فإنا لانزال غالبين مائبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنهما ومعهما النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً وقال من يأخذ هذا بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة رضى الله تعالى عنه فلما أخذه اعتمّ بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله ﷺ إنها لمشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموضع ففلق به هام المشركين وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم فقال أصحاب عبدالله بن جبير الغنيمة الغنيمة والله لنأتين الناس فلننصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم وقال الزبير بن العوام فلما نظرت الرماة إلى القوم وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه قلة الرماة واشتغال الناس بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين ثم حمل على أصحاب رسول الله ﷺ من خلفهم فهزمهم ورمى عبدالله بن قمئة رسول الله ﷺ بحجر فكسر رباعيته وهشم أنفه وشجه فى وجهه فأثخنه وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة ليعلوها وكان ﷺ قد ظاهر بين درعين فلم يستطع النهوض فجلس تحته طلحة رضى الله تعالى عنه فنهض ﷺ

فحينئذ تمت التربية ثم يبعثوها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به فإنه إذا واقعها مات والسمانى يعلف منها ولا يضرها شيئا وكذلك فأرة البيش وهو حيوان يسكن فى أصله ويأكل منه قال ابن سينا إنه يذهب البرص طلاء وشربا وينفع من الجذام وهو سم قاتل يقتل نصف درهم منه وترياقه فأرة البيش

(ترمس) هو الباقلا المصرى قال صاحب الفلاحة إذا أردت أن يزكو الترمس فازرعه عند استواء الليل والنهار ولا يتربص به المطر وإذا نبت خل فيه البقر قبل أن يتورد فإن البقر ترعى مافيه من غريب ولا ترعى الترمس حينئذ لمرارته فإنه يزكو جدا ومن خاصية الترمس أنك إذا زرعته فى أرض لاينبت بها النبات ثلاث مرات قال ابن سينا يرقق الشعر ويجلو الكلف والبهق والآثار الكريهة ويجلو الوجه سيما إذا طبخ بماء المطر حتى يتهرى وإذا رششت البيت بطبيخ الترمس هرب منه الذباب

(ثوم) قال صاحب الفلاحة أذا زرعت الثوم فى الأيام التى يكون القمر بها تحت الأرض لم توجد له رائحة وليترصد غروب الثريا لوقت الزرع ورقه يمضغ ويجعل على العين الرمدة يكون أنفع لها من كل ذرور وإن

حتى استوى عليها ووقفت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى يجدعن الآذان والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله تعالى عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبى ﷺ فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه صاحب راية رسول الله ﷺ فقتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ فرجع وقال إنى قتلت محمداً وصاح صائح ألا إن محمدا قد قتل ويقال إن ذلك الصائح كان إبليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين وأصيبت يد طلحة رضى الله تعالى عنه فيبست حين وقى بها رسول الله ﷺ وأصيبت عين قتادة رضى الله تعالى عنه يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله ﷺ مكانها فكانت أحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ﷺ أدركه أبى ابن خلف الجمحى وهو يقول لانجوت إن نجا محمد فقال القوم يارسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله ﷺ دعوه حتى إذا دنا منه وكان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله ﷺ فيقول عندى رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول رسول الله ﷺ بل أنا أقتلك إن شاء الله تعالى فلما دنا منه يوم أحد وهو راكب فرسه تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحرث بن الصمة وانتفض بها انتفاضة فتطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض وطعنه بها فى عنقه طعنة خدشته خدشة غير كبيرة فتهدهد بها عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلنى محمد فحمله أصحابه وأتوا به قريشا وقد حقن الدم واحتقن فقالوا لا بأس عليك فقال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال أنا أقتلك فوالله لو بصق علىّ بعد تلك المقالة قتلنى فلم يلبث إلا يوما واحدا ومات عدو الله بموضع يقال له سرف وقال فيه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله تعالى عنه :

لقد ورث الضلالة عن أبيه * أبى حين بارزه الرسول

أتيت إليه تحمل رم عظم * وتوعده وأنت به جهول

وقد قال ﷺ أشد الناس عذابا من قتل نبياً أو قتله نبى لأنه من المعلوم أن النبى لا يقتل أحداً ولا يتفق ذلك إلا فى شر الخلق ﴿الشغواء﴾ بفتح الشين وسكون الغين المعجمة وبالمد العقاب سميت بذلك لفضل منقارها الأعلى على الأسفل قال الشاعر * شغوا بوطن بين الشيق والنيق * ﴿الشفدع﴾ الضفدع الصغير حكاه ابن سيده ﴿الشفنين﴾ كالبشنين بكسر الشين المعجمة وهو متولد بين نوعين مأكولين وعده الجاحظ فى أنواع الحمام وبعضهم يقول الشفنين هو الذى تسميه العامة اليمام وصوته فى البرنم كصوت الرباب وفيه تخزين وجمعه شفانين وتحسن أصواتها إذا اختلطت ومن طبعه أنه إذا فقد انثاه لم يزل أعزب إلى أن يموت وكذلك الأنثى إذا فقدت ذكرها وإذا سمن سقط ريشه ويمتنع من السفاد ومن طبعه إيثار العزلة وعنده نفور واحتراس من أعدائه (وحكمه) حل الأكل بالإجماع (الخواص) لحم الشفنين حار يابس ولذلك ينبغى أن لا يؤكل من هذا النوع إلا الصغار والمخاليف والدم المتولد عنه حار يابس والدهن الكثير يعدله وأكل بيضه بزيت يزيد فى الباه وزبله إذا ديف بدهن ورد وتحملت به المرأة نفع من وجع الأرحام ومن طلى إحليله بدمه وجامع امرأته لا يقدر عليها سواه وإن مات لم تتزوج ومما ينفع الرمد فى العين والورم أن يقطر فيها دم شفنين حار أو دم حمامة

سينا إنه ينفع من تغير المياه ويشرب بطبيخ الفوتنج فيقتل القمل والصيبان ورماده إذا طلى بالعسل على البهق وكهبة العضو نفع ومشويه يسكن أوجاع الأسنان ويصفى الحلق مطبوخا وينفع من السعال المزمن وهو نافع من لسع الهوام والحيات إذا شرب بالشراب وقال ابن سينا وقد جربنا ذلك فى عضة الكلب الكلب ومن خواصه دفع الحكاك عن المقعدة إذا أخذ منه شيئا واحتمله وإذا أردت أن تعرف المرأة بكر أم ثيب فاخلط الثوم المدقوق مع العسل وأمرها أن تتحمل بها واصبر عليها ساعتين فإن شممت رائحة الثوم من فيها فهى ثيب وإلا فهى بكر ومن خواصه إزالة البخر الذى لا يقبل المعالجة إذا داوم على أكله سنة كاملة (جاورس) هو الدخن قال صاحب الفلاحة الأرض التى يزرع بها الجاورس تفسد ولا ترجع إلى صلاحها إلا بعد مدة طويلة حبه يبقى مدة طويلة لا تصيبه آفة ولهذا يدخره الناس لخوف القحط قال ابن سينا إنه ضماد جيد لتسكين الأوجاع وقال غيره أنه يمسك الطبع جداً بيبوسته ويسقط الأجنة

ويوضع على العين من خارج قطنة مبلولة ببياض بيض مع شيء من دهن الورد فانه نافع مجرب

﴿الشق﴾ بالكسر قال القزوينى هو من المتشيطنة صورته صورة نصف آدمى ويزعمون أن النسناس مركب من الشق ومن الآدمى ويظهر للإنسان فى أسفاره وذكروا أن علقمة بن صفوان ابن أمية خرج فى بعض الليالى فانتهى إلى موضع فعرض له شق فقال علقمة ياشق مالى ولك أعمد عنى منصلك أتقتل من لا يقتلك فقال شق هيت لك واصبر لما قد حم لك فضرب كل واحد منهما صاحبه فوقع ميتا * وأما شق وسطيح الكاهنان فكان شق شق إنسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان إنما كان يطوى مثل الحصير ولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر ودعت بسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه قبل أن تموت فأتيت به فتفلت فى فيه وأخبرت أنه سيخلفها فى علمها وكهانتها وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ودعت بشق ففعلت به مثل ذلك ثم ماتت وقبرها بالجحفة * وذكر الحافظ أبو الفرج بن الجوزى أن خالد بن عبدالله الفهرى كان من ولد شق هذا * وفى سيرة ابن هشام عن ابن اسحق أن مالك بن نصر اللخمى رأى رؤيا هالته فبعث إلى جميع الكهان والسحرة والمنجمين من رعيته فاجتمعوا إليه فقال إنى رأيت رؤيا هالتنى وفزعت منها فقالوا قصها علينا نخبرك بتأويلها فقال لهم إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم فى تأويلها ولست أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال بعضهم لبعض إن هذا الذى يرومه الملك لا يجده إلا عند شق وسطيح فلما أخبروه بذلك أرسل الملك من أتاه بهما فسأل سطيحا فقال أيها الملك إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فأكلت كل ذات جمجمة فقال الملك ما أخطأت شيئا فما عندك من تأويلها فقال سطيح أحلف بما بين الحرتين من حنش ليهبطن أرضكم الحبش وليملكن ما بين أبين إلى جرش فقال الملك وأبيك ياسطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى يكون ذلك أفى زمانى أم بعده فقال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذى يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم قال يليه ابن ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من ربه العلى قال وممن هذا النبى قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر فقال الملك وهل للدهر من آخر ياسطيح قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون فقال الملك أحق ماتقول ياسطيح قال نعم والشفق والغسق والقمر إذا اتسق أن ما أخبرتكم به لحق ثم إن الملك أحضر شقا فسأله كما سأل سطيحا فقال له شق إنك رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت كل ذات نسمة فلما سمع الملك ماقاله شق قال له ما أخطأت شيئا فما عندك فى تأويلها فقال شق أحلف بما بين الحرتين من إنسان ليزلن أرضكم السودان وليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران فقال الملك وأبيك ياشق إن ذلك لنا لغائظ مؤلم فمتى يكون ذلك أفى زمانى أم بعده فقال بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منه ملك عظيم الشأن ويذيقهم أشد الهوان فقال الملك من هو العظيم الشأن قال غلام من غلمان اليمن يخرج من بيت ذى يزن فقال الملك أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول هو خاتم الرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل فقال الملك وما يوم

(جرجير) هو الانفهات على رضى الله تعالى عنه قال من أكل جرجيرا ثم نام بات الجذام يتردد فى جوفه وإن أخذت مدقوقه ودلكت به الكلف أزاله ومن مضغ منه وطلى به إبطه زال صنانه ويخلط الجرجير بمرارة البقر ويطلى به يزيل آثار القروح وبزره بالعسل يحرك الباه ويزيد الإنعاظ ومن عجيب خواصه أن الغراب إذا أكل من بزر الجرجير انتثر ريشه (جزر) أصله يطبخ بالعسل ويؤكل منه كل يوم خمسة دراهم يزيد فى الباه زيادة عظيمة ويقوى الكلية بزره يغلى على النار ويبخر به تحت المرأة فإن الجنين يسقط بإذن الله تعالى (حاج) ضرب من الشوك يقع على الترنجبين طلاء وأكثر ما يوجد بأرض خراسان وما وراء النهر وفى الأمثال الحاجة فى الصدر حاجة وشوك هذا النبت طويل جدا حاد كالإبر والإبل تأكل منه أكلا ذريعا لا يخدشها شوكه طله ينفع من السعال ويلين الصدر ويسكن العطش ويزيد الصداع ويطلق البطن (حاشا) حشيشة لها زهر يميل إلى الحمرة مستديرة وأوراق صغار قال ديسقوريدس أكثر ما ينبت على الصخر قال ابن

إذا زرعته وسط البقول نفعها ويزكو نبتها ويدفع عنها الآفات كالدود ونحوه عن

الفصل فقال شق يوم يجزى فيه الولاة ويدعى من السماء دعوات يسمعها الأحياء والأموات ويجمع الناس فيه للميقات فيفوز فيه الصالحون بالخيرات فقال الملك أحق ما تقول ياشق قال أى ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض إن ما أنبأتكم به لحق مالله من نقض فوقع ذلك فى نفس الملك لما رأى من تطابق شق وسطيح على ماذكراه فجهز أهل بيته إلى الحيرة فرقا من سلطان الحبشة * وروى عنه أنه لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ارتجس فيها إيوان كسرى وسقط منه أربع عشرة شرافة فجزع كسرى أنوشروان من ذلك وتطير ورأى أن لا يكتمه عن زعماء مملكته فأحضر موبذ مويذان وهو رئيس حكمائهم وعنه يأخذون نواميس شرائعهم وأحضر الموابذة وهم القضاة والهرابذة وهم كالخلفاء للموابذة والأصبهيد وهو حافظ الجيوش وأمير الأمراء وأحضر بزرجمهر مداره وهو الوزير الأعلى والمرازبة وهم حفظة الثغور وولاة المملكة وأخبرهم بما كان من ارتجاس الإيوان وسقوط ماسقط من شرفاته فقال رئيس الموابذه إنى رأيت فى المنام كأن إبلا تقود خيلا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس وأخبره فى ذلك الوقت قومه بالنار وخمودها تلك الليلة فهاله ومن حضر مجلسه ذلك واستعظموه ولم يظهر لهم وجهه ففزعموا وتفرقوا عن الملك يترؤون فيه ووافت البرد إلى كسرى من جميع جهات مملكة تخبر بخمود النيران تلك الليلة ووافاه الخبر بأن بحيرة ساوة قد غاض ماؤها فجمع زعماء دينه ورؤساء سلطانه فأطلعهم على ما انتهى إليه من ذلك كله وسألهم عما عندهم فيه فقال موبذ موبذان أما رؤيای فتدل على حدث عظيم يكون من العرب فكتب كسرى إلى النعمان بن المنذر يأمره أن يبعث إليه أعلم من فى أرضه من العرب فبعث إليه عبد المسيح ابن عمرو الغسانى وكان معمرا فلما قدم على كسرى قال له هل عندك علم مما أريد أن أسألك عنه قال يخبرنى الملك عما يريد علمه فإن كان عندى علم منه أخبرته فقال أنوشروان إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره له فقال عبد المسيح هذا علم يعلمه خال لى يسكن بمشارق الشام يقال له سطيح قال كسرى فاذهب إليه فانطلق عبد المسيح حتى انتهى إلى سطيح فوجده قد أشفى على الموت فحياه فلم يجبه فقال عبد المسيح رافعا صوته :

أصم أم يسمع غطريف اليمن * ياصاحب الخطة أعيت من ومن

ففتح سطيح عينيه وقال عبد المسيح على جمل مشيح وافى إلى سطيح وقد أشفى على الضريح بعثك ملك بنى ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس ياعبد المسيح إذا ظهرت التلاوة وبعث صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة لم تكن بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما وسيملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرافات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه فاستوى عبد المسيح على راحلته وعاد إلى كسرى فأخبره بمقالة سطيح فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمور فملك منهم عشرة فى مدة أربع سنين وملك الباقون إلى أواخر خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه انتهى وبابل هى بابل العراق وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها عند سقوط صرح نمرود أى تفرقها قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دنباوند وكسرى أول ميت اقتص من قاتله كما قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب الأذكياء وذلك أن كسرى قال له منجموه إنك تقتل فقال والله لأقتلن قاتلى فعمد إلى سم

حب الرشاد أكله يزيد فى الذهن والذكاء ويهيج الباه عصارته تحفظ الشعر قال ابن سينا ينفع من الجرب المتقرح ومن عرق النساء والقوباء شربا وضمادا وكذلك من نهش الهوام شربا وضمادا مع العسل وإذا دخن به طرد الهوام وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها (حرشف) نبات ذو شوك يقال له بالفارسية كنكر قال ابن سينا ينفع من داء الثعلب طلاء وماؤه يقتل القمل إذا غسل به الرأس ويذهب الحدار وإذا أكل يزيل نتن الإبط لخاصية فيه ويزيد فى قوة الباه (حرمل) نبت معروف له رائحة كريهة قال ابن سينا إنه صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة كإسكار الخمر ينفع من القولنج شربا وطلاء وبزر الحرمل ينقع فى خل ويرش به البيت لايدخله الذباب (حسك) عشب يضرب إلى الصفرة له شوك مدحرج ينفع من قروح اللثة العفنة ويزيد فى الباه ويفتت الحصا وينفع من عسر البول والقولنج شربا وطلاء وبزره يسقى شرابا للسموم القاتلة ويرش طبيخه فيقتل البراغيث

نافع فوضعه فى حق وكتب عليه هذا دواء للباه مجرب صحيح إذا استعمل منه وزن كذا وكذا أنعظ وجامع كذا وكذا مرة فلما قتله ابنه بادر ففتح خزائنه فوجد ذلك الحق مختوما فقرأ ما كتب عليه فقال بهذا كان كسرى يقوى على مجامعة النساء ففتحه واستعمل منه ماذكر فمات فهو أول ميت اقتص من قاتله وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الدابة عن كامل بن الأثير أن كسرى كان له ثلاثة آلاف امرأة وخمسون ألف دابة ﴿ الشقحطب ﴾ كسفرجل الكبش الذى له أربعة قرون والجمع شقاحط وشقاطب ﴿ الشقذان ﴾ الحرباء قاله ابن سيده والشقذان أيضا الضب والورل والطحن وسام أبرص والدساسة واحدته شقذة ﴿ الشقراق ﴾ بفتح الشين وكسرها قاله فى المحكم وابن قتيبة فى أدب الكاتب قال البطليوسى فى الشرح الكسر فى شين الشقراق أقيس لأن فعلان بكسر الفاء موجود فى أبنية الأسماء نحو طرماح وشنقار وفعلان بفتح الفاء مفقود فيها قال وبكسر الشين قرأناه فى الغريب للمصنف وهكذا حكاه الخليل وذكر أن فيه ثلاث لغات شقراق بكسر الشين وإسكان القاف وشقراق بفتح الشين وإسكان القاف وشقراق بضم الشين وإسكان القاف وربما قالوا شرقراق انتهى وهو طائر صغير يسمى الأخيل وهو أخضر مليح بقدر الحمامة وخضرته حسنة مشبعة وفى أجنحته سواد والعرب تتشاءم به وله مشتى ومصيف وهو كثير ببلاد الروم والشام وخراسان ونواحيها ويكن مخططا بحمرة وخضرة وسواد وفى طبعه شره وشراسة وسرقة فراخ غيره وهو لا يزال متباعدا من الإنس ويألف الروابى ورؤس الجبال لكنه يحضن بيضه فى العمران العوالى التى لا تنالها الأيدى وعشه شديد النتن وقال شارح الغنية والجاحظ إنه نوع من الغربان وفى طبعه العفة عن السفاد وهو كثير الاستغاثة إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب ( الحكم ) جزم الروياني والبغوى بتحريم أكله لاستخباثه ونقله الرافعى عن الصيمرى وممن قال بالتحريم العجلى شارح غنية ابن سريج . وجزم بتحريمه وتحريم العقعق الماوردى فى الحاوى وعلل بأنهما مستخبثان عند العرب وهو قول الأكثرين وقال بعض الأصحاب يحله (الأمثال) قالوا أشأم من الأخيل وهو الشقراق (الخواص) إذا كان الذهب ناقص العيار يذاب ويفرغ عليه من مرارته فإنه يحمر ويزداد عياره كما لو أفرغ عليه من مرارة الثعلب فإنه ينقص عياره وإذا اتخذ من مرارته خضاب سود الشعر ولحمه حار ظاهر الحرارة وفيه زهومة قوية إلا أنه يحلل الرياح الغليظة التى تكون فى الأمعاء (التعبير) هو فى الرؤيا امرأة حسناء ذات جمال والله أعلم ﴿ الشمسية ﴾ قال أبو حيان التوحيدى إنها حية حمراء براقة إذا كبرت وأصابها وجع العين وعميت التمست حائطا يقابل الشرق فإذا طلعت الشمس أحدت إليها بصرها قدر ساعة فإذا دخل شعاع الشمس عينها كشط عنها العمى والإظلام ولا تزال كذلك سبعة أيام حتى تجد بصرها تاما وغيرها من الحيات إذا عمى أيضا طلب شجر الرازيانج الأخضر فيكتحل به فيبرأ كما تقدم ﴿ الشنقب ﴾ كقنفذ ضرب من الطير معروف ﴿ شه ﴾ قال ابن سيده هو طائر يشبه الشاهين يأخذ الحمام وليس هو لفظه أعجمى الشهام السعلاة قاله الجوهرى وغيره وقد تقدم لفظ السعلاة فى باب السين المهملة ﴿ الشهرمان ﴾ نوع من طير الماء قصير الرجلين أبلق اللون أصغر من اللقلق وفى بعض كتب الغريب أنه نوع من الطير الشوخة قال ابن الصلاح فى الفتاوى إنها الحدأة وقد تقدم ذكرها فى باب الحاء المهملة ﴿ الشوف ﴾ القنفذ وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف ﴿ الشوشب ﴾ القمل والعقرب والنمل وسيأتى ذكر كل واحد منها فى بابه ﴿ الشوط ﴾ ضرب من السمك وليس هو الشبوط قاله الجوهرى

وأن رش بطبخه جحر الحيات هربت وكذلك أن دس شوكة فيها ( حلبة ) قال صاحب الفلاحة إذا خلطت بزرها بالبذر ثم زرعته يسلم من الدود قال ابن سينا دهنها مع الآس ينفع الشعر والآثار المتقرحة وهو من أدوية الكلف ويحسن الوجه ويغير النكهة إلا أنه ينتن رائحة البول والبدن والعرق ( حمص ) قال ابن سينا أكله يحسن اللون وكذلك الطلاء به ويجلو النمش وزعموا أن أكله نيئا يورث البخر ودهنه ينفع من القوباء ونقيعه ينفع من وجع الضرس ويصفى الصوت وطبيخه يخرج الجنين ويزيد فى الباه وينعظ بقوة إذا شرب على الريق (حندقوق) من خواصه أنه ينفع من نهش الحيات طلاء وعصارته تنفع من ظلمة البصر شرباً واكتحالا قال ابن سينا إنه ينفع من الصرع ووجع الحلق والخوانيق وورقه وبزره يهيجان الباه قال ابن سينا فيما يقال إن صاحب حمى الغب تسقى من ورقه ثلاث ورقات أو من بزره ثلاث حبات فيشوش على الحمى أدوارها وللحمى الربع أربعا من أيهما شئت وقال غيره بزر الحندقوق يورث الجرب لكنه ينفع من لسع الهوام ( حنظل ) نبت

﴿شوط براح﴾ هو ابن آوى قاله الجوهرى قال ويقال للهباء الذى يرى فى ضوء الكوة شوط باطل ﴿الشول﴾ النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة وهو جمع على غير قياس تقول منه تشولت الناقة بالتشديد أى صارت شائلة وفى المثل لا يجتمع فحلان فى شول وتمثل به عبد الملك بن مروان عند قتله عمرو بن سعيد الأشدق والمعنى ينظر إلى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وهناك ذكره الزمخشرى فى الكشاف وسيأتى إن شاء الله تعالى للشول ذكر فى باب الفاء عند ذكر الفحل (شولة) من أسماء العقرب سميت بذلك لما تشوله من ذنبها وهى شوكها وسيأتى لفظها ومافيه إن شاء الله تعالى فى باب العين المهملة (الشيخ اليهودى) قال أبو حامد والقزوينى فى عجائب المخلوقات إنه حيوان وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدن الضفدع وشعره كشعر البقر وهو فى حجم العجل يخرج من البحر ليلة السبت فيستمر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد فيثب كما يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن (الحكم) هو داخل فى عموم السمك كما تقدم (الخواص) ذكروا أن جلده إذا وضع على النقرس أزال وجعه فى الحال

﴿الشيذمان﴾ بفتح الشين وضم المعجمة الذئب وقد تقدم فى باب الذال المعجمة ﴿الشيصبان﴾ ذكر النمل ﴿الشيع﴾ كالبيع ولد الأسد وقد تقدم لفظ الأسد فى باب الهمزة ﴿الشيم﴾ ضرب من السمك قال الشاعر:

قل لطغام الأزد لا تبطروا * بالشيم والجريث والكعند

﴿الشيم﴾ كالضيغم ذكر الفنافذ قال الأعشى:

لئن جد أسباب العداوة بيننا * لترتحلن منى على ظهر شيهم

قال الأصمعى الشهام السعلاة ﴿فائدة﴾ قال أبو ذؤيب الهذلى الشاعر بلغنا أن رسول الله ﷺ عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فبت أقاسى طولها حتى إذا كان وقت السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو يقول:

خطب أجل ناخ بالإسلام * بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبى محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالأسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من منامى فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فأولته ذبحا يقع فى العرب وعلمت أن النبى ﷺ قد قبض أو هو ميت من علته فركبت ناقتى وسرت فلما أصبحت طلبت شيئا أزجر به فعرض لى شيهم قد قبض على صل يعنى حية فهى تلتوى عليه والشيهم يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك وقلت شيهم شىء هم والتواء الصل تلوى الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله ﷺ ثم أولت أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعد رسول الله ﷺ على الأمر فمشيت ناقتى حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاته ﷺ ونعب غراب سانح فنطق بمثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عنّ لى فى طريقى فقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلوا بالإحرام فقلت ما الخبر قالوا قبض رسول الله ﷺ فجئت إلى المسجد فوجدته خاليا فأتيت بيت رسول الله ﷺ فوجدت بابه مربجا أى مغلقا وقيل هو مسجى وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل فى سقيفة بنى ساعدة صاروا إلى الأنصار فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وجماعة من قريش ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن

ردينة جد أورقها الطرى يقطع نزف الدم وينفع من المالنخوليا والصرع ثمرتها إذا نقعتها فى الماء ورششت به البيت ماتت براغيثه قال القاضى أبو على التنوخى عن بعض بنى عقيل إنه قال كانت عندنا جارية زمنة ومن عاداتنا أنا نقور الحنظل ونجعل فيه شيئا من اللبن ونرد رأسها إلى مكانها وندفنه فى الرماد الحار حتى يغلى فإذا غلت حسا ذلك من أراد الإسهال قال فاتخذنا ثلاث حناظل لثلاثة أنفس فالجارية الزمنة حست جميع الثلاث فحصل لها إسهال شديد حتى أيسنا من حياتها فلما كان الليل انقطع إسهالها وقامت ومشت برجليها وعاشت بعد ذلك سنين والحنظل يدلك به الجذام وداء الفيل وعرق النسا والنقرس وأصله نافع لنهش الأفاعى وهو أنفع الأدوية للدغ العقرب سقيا وطلاء وسقى واحد لدغته العقرب فى أربعة مواضع فبرىء فى الحال (حنطة) قال كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه لما أهبط آدم عليه السلام أتاه ميكائيل عليه السلام بشىء من حب الحنطة وقال

مالك فأويت إلى قريش وتكلمت الانصار فاطالوا الخطاب وأطالوا الجواب وتكلم ابو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ومال إليه ثم تكلم عمر رضى الله تعالى عنه بدور كلامه ثم قال لأبى بكر مد يدك أبايعك فمد يده فبايعه وبايعه الناس ورجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه ورجعت معه قال أبو ذؤيب فشهدت الصلاة على النبى ﷺ وشهدت دفنه ﴿أبو شبقونة﴾ بضم الشين وسكون الباء الموحدة وضم القاف وبعدها نون قال فى المرصع إنه طائر يكون مع الحمر والنعم يأكل الذباب والله أعلم

﴿باب الصاد المهملة﴾

﴿الصؤابة﴾ بالهمزة بيضة القملة والجمع صؤاب وصئبان والعامة تخففه فتقول صيبان والصواب الهمزة قال ابن السكيت يقال فى رأسه صؤابة والجمع صئبان بالهمز وقد صيب رأسه بالياء المثناة تحت المخففة وقال الجاحظ قال إياس بن معاوية الصيبان ذكور القمل وهو من الشىء الذى يكون ذكوره أصغر من إناثه كالزراريق والبزاة فالبزاة هى الإناث والزراريق الذكور وليس فيه ذكر شىء من الصؤاب انتهى * وروى خيثمة بن سليمان فى مسنده فى آخر الجزء الخامس عشر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال صلى الله عليه وسلم أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون (الحكم) قال الشافعى حكم الصئبان حكم القمل للمحرم إذا قتل منه شيئا يستحب أن يتصدق ولو بلقمة وجزم فى الروضة بأن بيض القمل كما قاله الجوهرى وغيره وقد تقدم فى السلحفاة البحرية أن التسريح بمشط الذبل يذهب الصئبان لخاصية فيه (الأمثال) قالوا يعد فى مثل الصؤاب وفى عينيه مثل الجزة قال الميدانى يضرب لمن يلومك فى قليل ما كثر فيه من العيوب وأنشد الرياشى :

ألا أيها ذا اللائمى فى خليقتى * هل النفس فيما كان منك تلوم

فكيف ترى فى عين صاحبك القذى * وتنسى قذى عينيك وهو عظيم

﴿الصارخ﴾ الديك روى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن مسروق قال سألت عائشة رضى الله تعالى عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان يحب الدائم قال قلت أى حين كان صلى الله عليه وسلم يصلى قالت كان إذا سمع الصارخ قام يصلى قال النووى الصارخ هنا الديك باتفاق العلماء وسمى بذلك لكثرة صياحه فى الليل قال أبو حامد فى الإحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه ﴿الصافر﴾ ويقال أيضا الصفارية طائر معروف من أنواع العصافير ومن شأنه أنه إذا أقبل الليل يأخذ بغصن شجرة ويضم عليه رجليه وينكس رأسه ثم لا يزال يصيح حتى يطلع الفجر ويظهر النور قال القزوينى إنما يصيح خوفا من السماء أن تقع عليه وقال غيره الصافر النوط الذى تقدم فى باب التاء المثناة فوق وأنه إن كان له وكر جعله كالخريطة وإن لم يكن له وكر شرع يتعلق بالأغصان كما ذكرنا (وحكمه) حل الأكل لأنه من أنواع العصافير (الأمثال) قالوا أجبن وأحير من صافر وأما قولهم ما فى الدار صافر فقال أبو عبيدة والأصمعى معناه مفعول به كما قيل ما عدا فرس وسركاتم أى مدفوق ومكتوم وقال غيرهما ما بها أحد يصفر (التعبير) الصافر تدل رؤيته على الحيرة والاختفاء والركون إلى ذوى الأقدار خوف العدو لأنه يقال فى المثل أحير من صافر كما تقدم

إدريس عليهما السلام كبيض النعامة فلما كفر الناس نقص إلى قدر بيض الدجاجة ثم إلى قدر بيض الحمامة ثم إلى قدر البندقة وكان فى زمن العزيز على قدر الحمصة قال صاحب الفلاحة الحبة التى تنبع على قرن الثور عند بث البذر لا تنبت أصلا حبها يقى الوجه وكذلك النشار مدقوقها ينفع من عضة الكلب الكلب ضمادا ويوضع على حديدة محماة حتى يظهر منها رطوبة ويطلى بتلك الرطوبة القوباء يزيلها . خيرها يخلط بالملح ويضمد به الدماميل ينضجها خبزها يبل بماء وملح ويضمد به القوباء ينفعها (خبازى) حشيشة معروفة ينضم ورقها بالليل وينفتح بالنهار ورقها إذا طلى به الجرب والحكة والقمل أزالها ويسكن لسع الزنابير ضماداً خصوصا مع الزيت وإذا مضغ مع الملح وجعل على النواصير نفعها . بزرها يشربه المسموم ويتقايأ مرة بعد أخرى يدفع عنه غائلة السم وينفع من نهش الرتيلا (خريق) نبت ورقه كورق الدلب وساقه قصير وشكله كشكل العناقيد قال صاحب الفلاحة إذا غرست فى البستان قضبان الخريق

﴿الصدف﴾ من حيوانات البحر وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها وهو غلاف اللؤلؤ الواحدة صدفة والصوادف الإبل التى تأتى والإبل على الحوض فتقف عند أعجازها تنتظر انصراف الشاربة لتدخل هى ومنه قول الراجز :

* الناظرات العقب الصوادف * ومن خواص اللؤلؤ أنه يذهب الخفقان ويزيل داء المرة السوداء ويصفى دم القلب والكبد ويجلو البصر ولهذا يجعل فى الأكحال وإذا حل حتى يصير ماء رجراجا وطلى به البهق أذهبه من أول طلية لاغير * وأما رؤيته فى المنام . فهو على وجوه كثيرة فإنه يدل على غلمان وجوار وولدان ومال وكلام حسن فمن رأى أنه يثقب لؤلؤا ثقباً مستويا فإنه يفسر القرآن صواباً ومن رأى اللؤلؤ بيده منثورا فإنه يبشر بغلام إن كان له امرأة حامل فإن لم يكن له حامل فإنه يملك غلاما لقوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ومن رأى أنه يقلع لؤلؤا ويبيعه فإنه ينسى القرآن فإن باعه من غير قلع فإنه يثبت عملا فى الناس ومن رأى أنه ينثر لؤلؤا فيلقطه الناس فإنه يعظ الناس وينفعهم وعظه ومن رأى بيده لؤلؤة يبشر بولد ذكر فإن لم يكن له حامل اشترى جارية وإن كان أعزب تزوج ومن رأى أنه استخرج من بحر لؤلؤا كثيرا يكال ويوزن بالقبان فإنه ينال مالا كثيرا من رجل ينسب إلى البحر وقال جاماست من رأى أنه يعد لؤلؤا نال مشقة ومن أعطى اللؤلؤ نال رياسة ومن رأى اللؤلؤ فإنه ينال سرورا والعقد من اللؤلؤ يدل على امرأة ذات حسن وجمال وقد يكون العقد من اللؤلؤ عقد نكاح (الخواص) قال القزوينى الصدف ينفع وجع النقرس والمفاصل ضمادا وإذا سحق بالخل قطع الرعاف ولحمه ينفع من عضة الكلب ومحرقه يجلو الأسنان استياكا وفى الأكحال ينفع من قروح العين وإذا طلى به موضع الشعر الزائد فى الجفن بعد نتفه منع نباته وينفع من حرق النار وإذا شد منه قطعة صافية على صبى نبتت أسنانه بلا وجع اه وقال غيره الصدف الذى يتدور فى جوفه حيوان وله غطاء على رأسه يشبه الحجر إذا سحق وذر على وجه النائم ثبت ولم يتحرك زمانا طويلا وهو أسلم من البنج ومما يحبس الرعاف أن يؤخذ الصدف ويسحق مع جاوشير ويعمل منه ضماد ويجعل على الأنف * وأما رؤيته فى المنام . فمن رأى بيده صدفا فإنه يصدف عن شىء عزم عليه ويبطله خيرا كان أو شرا .

﴿الصدى﴾ طائر معروف تقول العرب إنه يخلق من رأس المقتول يصيح فى هامة المقتول إذا لم يؤخذ بثأره يقول اسقونى اسقونى حتى يقتل قاتله ولذلك قيل له صاد والصادى العطشان والصدى ذكر البوم والجمع أصداء ويقال له ابن الجبل وابن طود وبنات رضوى وقال العديس العبدى الصدى الطائر الذى يصر بالليل ويقفز قفزا ويطفر والناس يرونه الجندب وإنما هو الصدى فأما الجندب فإنه أصغر من الصدى والصدى صوت يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه وقد تقدم فى باب الباء الموحدة والزاى قول صاحب ليلى الأخيلية :

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت * علىّ ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * إليها صدى من جانب القبر صائح

والصدى هو الصوت الذى يجيبك من الجبال وغيرها ولأبى المحاسن بن الشواء فى شخص لايكتم السر وقد أجاد فيه :

لى صديق غدا وإن كان لاينـ * ـطق إلا بغيبة أو محال
أشبه الناس بالصدى إن تحدثـ * ـه حديثاً أعاده فى الحال

يقال صمّ صداه وأصمّ الله صداه أى أهلكه الله لأن الرجل إذا مات لم يسمع الصدى منه شيئا فيجيبه ومنه قول الحجاج لأنس بن مالك رضى الله تعالى عنه إياك أعنى أصمّ الله صداك روى

منه ولا يبقى فيه بق ولا برغوث ولا ذباب ونحوها وإن جعلته فى العجين وتركته للفأرة إذا أكلته ماتت وإن دققته مع الكبريت ونثرته فى جحر النمل هربت وإذا طليت اللحم بالخريق ووضعته للسباع اصطيدت بالسهولة وهو سم قاتل للإنسان والسباع قال ابن سينا إذا نبت الخربق عند أصل كرمة صار شربها مسهلا ويطلى على البهق والثآليل يزيلهما واستفراغه ينفع من البرص وإذا طبخ بالخل وقطر فى الأذن نفع الدوىّ ويقوى قوة السمع وإذا تمضمض به سكن وجع السن (خردل) بذره يلقى فى عصير العنب يمنعه أن يغلى ويبقى على حاله قال محمد بن زكريا الرازى إن جعلت الخردل فى كوى الحيات قتلها قال ابن سينا يقتل دخانه الهوام وينقى الوجه ويزيل النكهة وأثر الدم الميت والبرى منه ينفع من حمى الربع ومن داء الثعلب والقوباء ضماداً وكذلك من وجع المفاصل وعرق النساء عصارته قطورا لوجع الأذن وإن شرب على الريق ذكى الفهم وشهى

الباه (خس) قال صاحب الفلاحة إذا تركت

عن على بن زيد بن جدعان أن أنسا رضى الله عنه دخل على الحجاج بن يوسف الثقفى الجائر المبير فقال له الحجاج إيه يا خبيث شيخا جوالا فى الفتن مع أبى تراب مرة ومع ابن الزبير أخرى ومع ابن الأشعث مرة ومع ابن الجارود أخرى أما والله لأجردنك جرد الضب ولأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة العجب من هؤلاء الأشرار أهل البخل والنفاق فقال أنس رضى الله عنه من يعنى الأمير فقال إياك أعنى أصمّ الله صداك قال على بن زيد فلما خرج أنس من عنده قال أما والله لو لا ولدى لأجبته ثم كتب إلى عبد الملك بن مروان بما كان من الحجاج إليه فكتب عبد الملك إلى الحجاج كتابا وأرسله مع إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر مولى بنى مخزوم فقدم على الحجاج وبدأ بأنس فقال له إن أمير المؤمنين قد أكبر ما كان من الحجاج إليك وأعظم ذلك وأبالك ناصح إن الحجاج لا يعدله عند أمير المؤمنين أحد وقد كتب إليه أن يأتيك وأنا أرى أن تأتيه فيعتذر إليك فتخرج من عنده وهو لك معظم وبحقك عارف ثم أتى الحجاج فأعطاه كتاب عبد الملك فقرأه فتمعر وجهه وأقبل يمسح العرق عن وجهه ويقول غفر الله لأمير المؤمنين ما كنت أراه يبلغ منى هذا قال إسماعيل ثم رمى بالكتاب إلىّ وهو يظن أنى قرأته ثم قال اذهب بنا إليه يعنى أنسا فقلت لا بل يأتيك أصلحك الله فأتيت أنسا رضى الله تعالى عنه فقلت اذهب بنا إلى الحجاج فأتاه فرحب به وقال عجلت بالملائمة يا أبا حمزة إن الذى كان منى إليك كان عن غير حقد ولكن أهل العراق لا يحبون أن يكون لله عليهم سلطان يقيم حجته ومع هذا فأنا أردت أن يعلم منافقو أهل العراق وفساقهم أنى متى أقدمت عليك فهم علىّ أهون وأنا إليهم أسرع ولك عندنا العتبى حتى ترضى فقال أنس ما عجلت بالملائمة حتى تناولت منى العامة دون الخاصة وحتى شمت بنا الأشرار وقد سمانا الله الأنصار وزعمت أنا أهل بخل ونحن المؤثرون على أنفسهم وزعمت أنا أهل نفاق ونحن الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبل وزعمت أنك اتخذتنى ذريعة لأهل العراق باستحلالك منى ما حرم الله عليك وبيننا وبينك الله حكم هو أرضى للرضا وأسخط للسخط إليه جزاء العباد وثواب أعمالهم ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فوالله إن النصارى على شركهم وكفرهم لو رأوا رجلا قد خدم عيسى عليه السلام يوما واحدا لأكرموه وعظموه فكيف لم تحفظ لى خدمتى رسول الله ﷺ عشر سنين فإن يكن منك إحسان شكرناه ذلك منك وإن يكن غير ذلك صبرنا إلى أن يأتى الله بالفرج قال وكان كتاب عبد الملك إلى الحجاج أما بعد فإنك عبد طمت بك الأمور حتى عدوت طورك وايم الله يا ابن المستنثرة بعجم الزبيب لقد هممت أن أضغمك ضغمة كضغمات الليوث للثعالب وأخبطك خبطة تود أنك زاحمت مخرجك من بطن أمك قد بلغنى ما كان منك إلى أنس بن مالك وأظنك أردت أن تختبر أمير المؤمنين فإن كان عنده غيرة وإلا أمضيت قدما فلعنة الله عليك وعلى آبائك أخفش العينين ممسوح الحاجبين أخمش الساقين نسيت مكان آبائك بالطائف وما كانوا عليه من الدناءة واللؤم إذ يحفرون الآبار فى المناهل بأيديهم وينقلون الحجارة على ظهورهم فإذا أتاك كتابى هذا وقرأته فلا تلقه من يدك حتى تلقى أنسا بمنزله واعتذر إليه وإلا بعثت إليك أمير المؤمنين من يسحبك ظهرا لبطن حتى يأتى بك أنسا فيحكم فيك ولن يخفى على أمير المؤمنين نبأك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون فلا تخالف كتاب أمير المؤمنين وأكرم أنسا وولده وإلا بعثت إليك من يهتك سترك ويشمت بك عدوك والسلام توفى أنس رضى الله تعالى عنه سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وتسعين بالبصرة وهو آخر الصحابة موتا بها رضى الله تعالى عنهم أجمعين ﴿الصراخ﴾ ككتان الطاوس وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة ﴿صرّار الليل﴾ الجدجد وقد تقدم لفظه فى باب الجيم وهو أكبر من الجندب وبعض العرب يسميه الصدى

والجرجير وحب الرشاد وتحفر لها وتسترها بالتراب وتسقيها ينبت عليها هذه الأنواع الثلاثة على ساق وإذا قطعت أوراقه السفلانية يطيب طعم الفوقانيات والخس يجلب النوم ويدفع العطش ويقطع شهوة الباه ولذلك يأكله الخصيان الأقوياء على النساء وتأكلها النساء اللاتى غاب عنهن أزواجهن بالخل ليقطع عنهن شهوة الوقاع والإدمان على أكله يورث ظلمة البصر لكنه يكثر اللبن ويمنع من السكر بزره إن استف منه منع من كثرة الاحتلام وهملان المنى (خشخاش) يورث النعاس كالخس وهو أبيض وأسود وأحمر فأما الأبيض فنافع للسعال جدا من نوازل الصدر ومع العسل يزيد فى المنى وأما الأسود فمنوم جدا وصاحب السهر إذا ضمد به جبهته انتفع به عصارة المصرى تسمى أفيونا وهو مخدر مسكن كل وجع شربا وطلاء الشربة منه مقدار عدسة وإذا طلى به الرأس سكن وجعه لكنه يبطل الفهم والذهن وإن طلى به النقرس سكن وجعه (خصى الثعلب) حشيشة حلوة الطعم تسمى ثمرتها خصى

( الصرّاح ) كرمان طائر معروف عند العرب يؤكل (الصرد) كرطب قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح هو مهمل الحروف على وزن جعل وكنيته أبو كثير وهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير والجمع صردان قاله النضر بن شميل وهو أبقع ضخم الرأس يكون فى الشجرة نصفه أبيض ونصفه أسود ضخم المنقار له برثن عظيم يعنى أصابعه عظيمة لا يرى إلا فى سعفة أو شجرة لا يقدر عليه أحد وهو شرس النفس شديد النفرة غذاؤه من اللحم وله صفير مختلف يصفر لكل طائر يريد صيده بلغته فيدعوه إلى التقرب منه فإذا اجتمعوا إليه شد على بعضهم وله منقار شديد فإذا نقر واحدا قده من ساعته وأكله ولا يزال هذا دأبه ومأواه الأشجار ورؤس القلاع وأعالى الحصون «فائدة» نقل الإمام العلامة أبو الفرج ابن الجوزى فى المدهش فى قوله تعالى وإذ قال موسى لفتاه الآية عن ابن عباس والضحاك ومقاتل رضى الله عنهم قالوا إن موسى ﷺ لما أحكم التوراة وعلم ما فيها قال فى نفسه لم يبق فى الأرض أحد أعلم منى من غير أن يتكلم مع أحد فرأى فى منامه كأن الله تعالى أرسل السماء بالماء حتى غرق ما بين المشرق والمغرب فرأى قناة على البحر فهاصردة فكانت الصردة تجىء للماء الذى غرق الأرض فتنقل الماء بمنقارها ثم تدفعه فى البحر فلما استيقظ الكليم هاله ذلك فجاءه جبريل فقال مالى أراك يا موسى كئيبا فأخبره بالرؤيا فقال إنك زعمت أنك استغرقت العلم كله فلم يبق فى الأرض من هو أعلم منك وإن لله تعالى عبدا علمك فى علمه كالماء الذى حملته الصردة بمنقارها فدفعته فى البحر فقال يا جبريل من هذا العبد قال الخضر بن عاميل من ولد الطيب يعنى ابراهيم الخليل ﷺ فقال من أين أطلبه قال اطلبه من وراء هذا البحر فقال من يدلنى عليه قال بعض زادك قالوا فمن حرصه على لقياه لم يستخلف على قومه ومضى لوجهه وقال لفتاه يوشع بن نون هل أنت موازرى قال نعم قال اذهب فاحمل لنا زادا فانطلق يوشع فاحتمل أرغفة وسمكة مالحة عتيقة ثم سارا فى البحر حتى خاضا وحلا وطينا ولقيا تعبا ونصبا حتى انتهيا إلى صخرة ناتئة فى البحر خلف بحر أرمينية يقال لتلك الصخرة قلعة الحرس فأتياها فانطلق موسى ليتوضأ فاقتحم مكانا فوجد عينا من عيون الجنة فى البحر فتوضأ منها وانصرف ولحيته تقطر ماء وكان عليه الصلاة والسلام حسن اللحية ولم يكن أحد أحسن لحية منه فنفض موسى لحيته فوقعت قطرة منها على تلك السمكة المالحة وماء الجنة لا يصيب شيئا ميتا إلا عاش فعاشت السمكة ووثبت فى البحر فسارت وصار مجراها فى البحر سربا يبسا ونسى يوشع ذكر السمكة فلما جاوز قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية فذكر له أمر السمكة فقال له ذلك الذى نريده فرجعا يقصان أثرهما فأوحى الله تعالى إلى الماء فجمد وصار سربا على قامة موسى وفتاه فجرى الحوت أمامهما حتى خرج إلى البر وسار فصار مسيره لهما جادة فسلكاها فناداهما مناد من السماء أن دعا الجادة فإنها طريق الشياطين إلى عرش إبليس وخذا ذات اليمين فأخذا ذات اليمين حتى انتهيا إلى صخرة عظيمة وعندها مصلى فقال موسى عليه السلام ما أحسن هذا المكان ينبغى أن يكون للعبد الصالح فلم يلبثا أن جاء الخضر عليه السلام حتى انتهى إلى ذلك المكان والبقعة فلما قام عليها اهتزت خضراء قالوا وإنما سمى الخضر لأنه لا يقوم على بقعة بيضاء إلا صارت خضراء فقال موسى عليه الصلاة والسلام السلام عليك يا خضر فقال وعليك السلام يا موسى يا نبى بنى إسرائيل فقال ومن أدراك من أنا قال أدرانى الذى دلك على مكانى فكان من أمرهما ما كان وما قصه القرآن العظيم انتهى وقد تقدم ذكرهما أيضا فى باب الحاء المهملة فى الحوت ونقلنا الخلاف فى اسم الخضر ونسبه ونبوته * قال القرطبى ويقال له الصرد الصوام * روينا فى معجم عبد الغنى بن قانع عن أبى غليظ أمية بن خلف الجمحى قال

الثعلب وهو ينفع من التشنج والفالج ويعين على الباه ويفعل فعل السقنقو إذا استعمل مع الشراب (خصى الكلب) حشيشة مثل خصى الكلب ثمرتها زوجان أحدهما تحت والآخر فوق وأحدهما رخو والآخر ممتلئ يحلل الأورام البلغمية وينقى القروح وينفع البواسير والرطب منها يزيد فى الباه واليابس يقطعه وحكى ابن سينا أنه شاهد ذلك بأرض شروان فأخبره بعض سكان تلك البلاد بأن الذابل هو الذى يزيد والرطب قاطع فقال أظن أن الأمر بالعكس والله تعالى أعلم (خطمى) هو النبت المشهور له نور أحمر وقد يكون أبيض قال ابن سينا يطلى على البهق بالخل ويجلس فى الشمس ينفع نفعا بينا وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة ورق الخطمى الرومى منه يدق مع الكراث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحية ينفع جدا وينفع منه مثقال من الفولنج شربا وإذا غسل به الشعر نفعه ونعمه يضمد به الجرب ينفع نفعا بينا (خيار) قال صاحب الفلاحة إن أردت استعجال باكورته فاعمد إلى خمارة فى ذى ماء وازرع فيها بزر الخيار وكلما سخنت الشمس

رآنى رسول الله ﷺ وعلى يدى صرد فقال ﷺ هذا أول طير صام وروى أنه أول طير صام يوم عاشوراء وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى والحديث مثل اسمه غليظ قال الحاكم وهو من الأحاديث التى وضعها قتلة الحسين رضى الله عنه روى عبد الله بن معاوية بن موسى عن أبى غليظ قال رآنى رسول الله ﷺ وعلى يدى صرد فقال هذا أول طائر صام عاشوراء وهو حديث باطل رواته مجهولون « فائدة » قيل لما خرج ابراهيم ﷺ من الشام لبناء البيت كانت السكينة معه والصرد فكان الصرد دليله على الموضع والسكينة بمقداره فلما صار إلى موضع البيت وقفت السكينة فى موضع البيت ونادت ابن يا ابراهيم على مقدار ظلى قال جماعة من المفسرين إن الله تعالى خلق موضع البيت قبل خلق الأرض بألفى عام فكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الأرض من تحتها فلما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض استوحش فشكا إلى الله تعالى فأنزل الله تعالى له البيت المعمور وهو ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زبرجد أخضر باب شرقى وباب غربى فوضع على موضع البيت وقال يا آدم إنى أهبطت إليك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشى وتصلى عنده كما يصلى عند عرشى وأنزل الحجر الأسود وكان بياضه أشد من اللبن فاسود من لمس الحيض فى الجاهلية فتوجه آدم من أرض الهند إلى مكة ماشيا وقيض الله له ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت وأقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وروى أن آدم عليه السلام حج أربعين حجة من الهند إلى مكة ماشيا وكان البيت على ذلك إلى أيام الطوفان فرفعه الله إلى السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام فخبأ الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا إلى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم إن الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل عليه الصلاة والسلام ببناء بيت يذكر فيه فسأله الله أن يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت وهى ريح خجوج لها رأسان شبه الحية وقيل الخجوج الريح الشديدة الهفافة البرافة لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنبها ولها جناحان من درو زبرجد وعينان لهما شعاع وقال على رضى الله عنه هى ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان وأمر ابراهيم عليه السلام أن يبنى حيث تستقر السكينة فتبعها ابراهيم حتى أتيا مكة فتطوقت السكينة على موضع البيت كتطوق الحية قاله على والحسن رضى الله عنهما وقال ابن عباس رضى الله عنهما بعث الله سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم عليه السلام يمشى فى ظلها إلى أن وافت به مكة المشرفة ووقفت عند البيت المعظم فنودى منها ابراهيم عليه السلام ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص وقيل أرسل الله جبريل عليه السلام فدله على موضع البيت وقيل كان دليله الصرد كما تقدم فكان ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة فبناه من خمسة أجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان وهى جبال بالشام والجودى وهو جبل بالجزيرة وبنيا القواعد من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لابنه اسماعيل ائتنى بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال ائتنى بأحسن من هذا فمضى اسماعيل ينظر حجرا فصاح أبو قبيس يا ابراهيم إن لك عندى وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام واندرس زمن الطوفان ثم أظهره الله تعالى لإبراهيم حتى بناه فذلك قوله تعالى وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت يعنى أسسه واحدتها قاعدة وقال الكسائى يعنى جدره (الحكم) الأصح تحريم أكله لما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه عبد الحق عن

أطلعها إليها وكذلك للمطر أيضا وإذا غابت الشمس ردها إلى أكتاف البيوت وتعاهد سقيها نضاحا ورشا فإذا انسلخ الشتاء فانقل ما فى الفخارة إلى الأرض فإذا نبتت فاقطع شيئا من أعلى ورقها فإنه يسرع بثمرته على جميع أصنافه بأيام يسيرة وإذا أردت أن لا يضره الدود فاخلط بزره إذا زرعته شيئا من النانخواه ثمرته تنفع من الحميات المحرقة ويدر البول ويعطش فى الحال لاستحالته إلى الصفراء بزره يدق ويطلى به الوجه يحسن اللون (خيرى) ويسمى المنثور أيضا قال صاحب الفلاحة إذا أخذت من الأحمر والأصفر والأبيض من كل واحد قضيبا وضفرتهما مثل الضفيرة ثم غرستها فإذا نبتت تجد فى غصن واحد أوراقا مختلفة الألوان شمه ينفع الدماغ البارد الرطب وتحلل الرياح الغليظة ويدر الحيض ويسقط المشيمة شربا (دفلى) برى ونهرى فالبرى ورقه كورق الحمقاء بل أدق وقضبانه طوال منبسط على الأرض ينبت فى الخرابات والنهرى على شطوط الأنهار وينهض قضبانه على الأرض وشوكه خفى وورقه كورق الخلاف وأعلى ساقه أغلظ من أسفله وفقاحه كالورد الأحمر وثمرته صلبة محشوة شيئا كالصوف قال ابن سينا

ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن قتل النحلة والنملة والهدهد والصرد والنهى عن القتل دليل على الحرمة ولأن العرب تتشاءم بصوته وشخصه وقيل إنه يؤكل لأن الشافعى أوجب فيه الجزاء على المحرم إذا قتله وبه قال مالك قال الإمام العلامة القاضى أبو بكر بن العربى إنما نهى النبى ﷺ عن قتله لأن العرب كانت تتشاءم به فنهى عن قتله ليخلع عن قلوبهم ما ثبت فيها من اعتقادهم الشؤم فيه لا أنه حرام وذكره العبادى فى الطبقات أيضا «عجيبة» حكى منصور بن الحسين الآبى فى نثر الدرر أن أعرابيا سافر ابنه ثم أتاه فقال له أبوه ما رأيت فى طريقك قال جئت السقاء مرة أشرب فصاح الصرد فقال اتركها وإلا فلست بابنى قال فتركتها قال ثم أخذنى العطش فأتيت إليها ثانيا فصاح الصرد فقال اتركها وإلا فلست بابنى قال فتركتها ثم زاد بى العطش فأتيت إليها ثالثا فصاح الصرد فقال قدها بسيفك وإلا فلست بابنى قال كذلك فعلت قال هل رأيت الحية داخلها قال نعم قال الله أكبر» قال وسافر ولد أعرابى ثم أتى إليه فقال أخبرنى ماذا رأيت فى طريقك قال رأيت طائرا على أكمة فقال الصرد أطره وإلا لست أباك قال فأطرته قال ثم ماذا قال سقط على شجرة فقال أطره وإلا لست أباك قال كذلك فعلت قال ثم ماذا قال سقط على صخرة قال اقلبها وإلا لست أباك قال كذلك فعلت قال اعطنى سهمى مما وجدت تحتها وكان تحتها كنز أخذه ولده فأعطاه سهمه منه (التعبير) هو فى المنام يدل على رجل مراء يظهر الخشوع نهارا ويفجر ليلا وقيل هو من قطاع الطريق يجمع أموالا كثيرة ولا يخالط أحدا ﴿الصرصر﴾ ويقال له الصرصار أيضا حيوان فيه شبه من الجراد قفاز يصيح صياحا رقيقا وأكثر صياحه بالليل ولذلك سمى صرار الليل وهو نوع من بنات وردان عرى عن الأجنحة وقيل إنه الجدجد وقد تقدم أن الجوهرى فسر الجدجد بصرار الليل ولا يعرف مكانه إلا بتتبع صوته وأمكنته المواضع الندية وألوانه مختلفة فمنه ما هو أسود ومنه ما هو أزرق ومنه ما هو أحمر وهو جندب الصحارى والفلوات (وحكمه) تحريم الأكل لاستقذاره (الخواص) قال ابن سينا إنه مع الفرد مانة نافع من البواسير والنافض وسموم الهوام ويحرق ويسحق ويضاف إلى الإثمد ويكتحل به يحد البصر ومع مرارة البقر ينفع من طرفة العين اكتحالا ﴿الصرصران﴾ سمك أملس معروف ﴿الصعب﴾ طائر صغير والجمع صعاب ﴿الصعوة﴾ طائر من صغار العصافير أحمر الرأس وهو بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين والجمع صعو وفى كتاب العين والمحكم صعار العصافير روى أحمد فى كتاب الزهد عن مالك بن دينار أنه كان يقول الناس أشكال كأجناس الطير الحمام مع الحمام والبط مع البط والصعو مع الصعو والغراب مع الغراب وكل إنسان مع شكله ومن شعر القاضى أحمد بن محمد الأرجانى بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة مع خلاف فى تشديدها وهو شيخ العماد الأصبهانى الكاتب ووفاته فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة:

لو كنت أجهل ما علمت لسرنى * جهلى كما قد ساءنى ما أعلم
كالصعو يرتع فى الرياض وإنما * حبس الهزار لأنه يتكلم

ومن شعره أيضا وأجاد:

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وهذا البيت الأخير يقرأ معكوسا من آخره إلى أوله ولا يتغير شىء من لفظه ولا من معناه ومن شعره أيضا رحمه الله:

فى عسكر لا طاقة له به فأخذ من الشعير وطبخه بالدفلى وتركه حتى جف فأخذ الشعير معه وخرج إلى وجه العدو فلما قرب من العدو تنحى عنه وترك الأثقال والميرة والشعير فورد عسكر العدو وأطلقوا دوابهم فى الشعير فهلكت كلها فكر عليهم وأسرهم قال ابن سينا يرش البيت بطبيخ الدفلى تموت براغيثه وأرضته ونحوهما وإذا دلكت مسنا بالدفلى وحددت عليه النصل يحتد ولا يكل زمانا وإن حفرت فى وسط البيت حفرة وألقيت فيها شيئا من الدفلى اجتمعت براغيث البيت فيها ويهرب الفأر والخفاش من الدفلى (رازيانج) هو النبت المشهور منه برى ومنه بستانى رطبه يعقد اللبن ويدر الطمث والبول ويفتح السدد ويمنع من نزول الماء والبرى يفتت الحصى وينفع من الحميات العتيقة ويحلل الرياح ويحد البصر قال دقراطيس إن الهوام ترعى الرازيانج الطرى ليقوى بصرها والحيات إذا خرجت من تحت الأرض وحكت أعينها عليه استضاءت فسبحان من ألهمها ذلك

(ريباس) نبت جبلى لا ينبت إلا على

شاور سواك إذا نابتك نائبة * يوما وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا من دنا ونأى * ولا ترى نفسها إلا بمرآة

ومن شعره أيضا :

يأبى العذار المستدير بخده * وكمال بهجة وجهه الممنوع
فكأنما هو صولجان زمرد * متلقف كرة من الياقوت

ويقرب من هذا المعنى ما حكاه ابن خلكان قال كان بين العماد الكاتب تلميذ القاضى الأرجانى وبين القاضى الفاضل محاورات فمن ذلك أنه لقيه يوما وهو راكب فرسا فقال له العماد سر فلا كبابك الفرس فقال له الفاضل دام علا العماد وهذا أيضا مما يقرأ من آخره إلى أوله ولا يتغير شىء من لفظه ولا معناه وروى أنهما اجتمعا يوما فى موكب السلطان وقد انتشر من الغبار ما سد الفضاء فأنشد العماد الكاتب :

أما الغبار فإنه * مما أثارته السنابك * والجو منه مظلم
لكن أنار به السنابك * يادهر لى عبد الرحيم * م فلست أخشى مس نابك

وهذا التجنيس فى غاية الحسن توفى العماد فى مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق ودفن بمقابر الصوفية وتوفى الفاضل فى سابع شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وخمسمائة بالقاهرة ودفن بتربة بسفح المقطم (وحكمها وخواصها وتعبيرها) كالعصافير (الأمثال) قالوا أضعف من صعوة كما قالوا أضعف من وصعة ﴿الصفارية﴾ بضم الصاد وتشديد الفاء طائر يقال له التبشير وقد تقدم ذكره فى باب التاء المثناة فوق ﴿الصفر﴾ بفتح الصاد والفاء قيل إن الجاهلية كانت تعتقد أن فى الجوف حية على شراسيفه والشراسيف أطراف الاضلاع التى تشرف على البطن يقال لها الصفر إذا تحركت جاع الإنسان وتؤذيه إذا جاع وأنها تعدى فأبطل الإسلام ذلك روى مسلم عن جابر وأبى هريرة وغيرهما أن النبى ﷺ قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول * ومعنى لا عدوى ما يتوهم من تعدى مرض من جرب وحكة وغيرهما من الامراض من شخص به ذلك المرض إلى شخص آخر بسبب مخالطة وغيرها وفى الحديث الصحيح أن أعرابيا قال للنبى ﷺ إنك قلت لا عدوى فما بال الإبل تكون سليمة حتى يدخل فيها البعير الاجرب فتصبح جربى فقال ﷺ فمن أعدى الأول فرد عليه عليه الصلاة والسلام ما توهمه من تعدى المرض بنفسه وأعلمه أن الله تعالى هو المؤثر وقد تقدم فى باب الهمزة فى الأسد فى الكلام على المجذوم قريب من هذا * ومعنى الطيرة يأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة المشالة * وأما الصفر ففيه تأويلان أحدهما المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسىء الذى كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك أبو حنيفة والثانى أنه الحية التى كانت العرب تعتقد فيها ما تقدم قال الإمام النووى وهذا التفسير هو الصحيح الذى عليه عامة العلماء وقد ذكره مسلم عن جابر رضى الله عنه راوى الحديث فتعين اعتماده ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعا وأن الصفرين جميعا باطلان لا أصل لهما والله أعلم ﴿الصفرد﴾ بكسر أوله وسكون ثانية كعربد نقل الميدانى عن أبى عبدة أنه طائر من خساس الطير وفى المثل أجبن من صفرد قال الشاعر :

تراه كالليث لدى أمنه * وفى الوغى أجبن من صفرد

وقال الجوهرى الصفرد طائر تسميه العامة أبا مليح وفى المرصع أن أبا المليح كنية القبيح والعندليب وطائر صغير يقال له الصفرد كالعصفور وهو داخل فى عموم العصافير ﴿الصقر﴾ الطائر الذى يصاد به قاله الجوهرى وقال ابن سيده الصقر كل شىء يصيد من البزاة والشواهين والجمع أصقر وصقور وصقورة وصقار وصقارة قال سيبويه إنما جاؤا بالهاء فى مثل هذا الجمع تأكيدا نحو بعولة والأنثى صقرة والصقر هو

الصخر قيل إنه من تأثير الرعد وذكر هذا القول عند كسرى وقد شكوا من قلة الرياس فقال رشوا الماء واضربوا بالطبل استخفافا بكلامهم قال ابن سينا إنه ينفع من الطاعون والاكتحال بعصارته يحد البصر وينفع من الحصبة والجدرى ويقطع السكر وينفع من الغشيان (ريحان) يقال له بالفارسية شاهشفرم ذكر الفرس أنه لم يكن قبل كسرى أنوشروان شىء من الريحان وأنه وجد فى زمانه وسببه أنه كان ذات يوم جالسا للمظالم إذ أقبلت حية عظيمة تنساب تحت سريره فهموا بقتلها فقال الملك كفوا عنها فإنى أظنها مظلومة فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فإذا فى قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى بعض الأساورة رمحه إلى العقرب ونخسها به وأتى الملك يخبره بحال الحية فلما كان العام القابل أقبلت الحية فى اليوم الذى كان كسرى قاعدا فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ونفضت من فيها بزرا أسود فأمر الملك أن يزرع فنبتت منه الشاهشفرم وكان الملك كثير الشكاية من الزكام واجتماع الفضول فى الدماغ منه فنفعه جدا قال ابن سينا فاستعمل

الأجدل ويقال له القطامى وكنيته ابو شجاع وأبو الأصبغ وأبو الحمراء وأبو عمرو وأبو عمران وأبو عوان قال النووى فى شرح المهذب قال أبو زيد الأنصارى المروزى يقال للبزاة والشواهين وغيرهما مما يصيد صقور واحدها صقر والأنثى صقرة وزقر بإبدال الصاد زايا وسقر بإبدالها سينا وقال الصيدلانى فى شرح المختصر كل كلمة فيها صاد وقاف ففيها اللغات الثلاث كالبصاق والبزاق والبساق وأنكر ابن السكيت بسق وقال إنما معناه طال قال الله تعالى والنخل باسقات أى مرتفعات روى أحمد فى مسنده حدثنا قبيصة قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عمرو بن أبى عمرو عن المطلب عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن فى البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لنفتضحن بجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت قال أنا الذى لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب فقال داود أنت إذن والله ملك الموت مرحبا بأمر الله ثم مكث مكانه حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير أظلى على داود فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض فقال سليمان للطير اقبضى جناحا جناحا قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية انفرد بإخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد ورجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت عليه يومئذ المضرحية أى غلبت على التظليل عليه الصقور الطوال الأجنحة وأحدها مضرحى قال الجوهرى وهو الصقر الطويل الجناح ويوضع هذا المعنى ويبينه ما روى عن وهب بن منبه أنه قال إن الناس حضروا جنازة داود عليه السلام فجلسوا فى الشمس فى يوم صائف وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس فآذاهم الحر فنادوا سليمان عليه السلام أن يعمل لهم وقاية عليهم لما أصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها أن تظل الناس فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غما فصاحوا إلى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلى الناس من ناحية الشمس وتنحى عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس فى ظل وتهب عليهم الرياح فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان عليه السلام ﴿فائدة﴾ قال الضحاك والكلبى ملك داود عليه السلام بعد قتله جالوت سبعين سنة ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود عليه السلام وجمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يجتمع ذلك لأحد قبله بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط فذلك قوله تعالى وآتاه الله الملك والحكمة قيل العلم مع العمل وكل من علم وعمل فقد أوتى الحكمة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه وقال مقاتل كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من داود وأقضى منه وكان شاكرا لأنعم الله تعالى وكان داود أشد تعبدا منه توفى داود عليه السلام وهو ابن مائة سنة وكان عمر سليمان عليه السلام لما وصل إليه الملك ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * والصقر أحد أنواع الجوارح الأربعة وهى الصقر والشاهين والعقاب والبازى وتنعت أيضا بالسباع والضوارى والكواسر والصقر ثلاثة أنواع صقر وكونج ويؤيؤ والعرب تسمى كل طائر يصيد صقرا ما خلا النسر والعقاب وتسميه الأكدر والأجدل والأخيل وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لأنه أصبر على الشدة

له والريحان ينفع من الدوار والرعاف (زعفران) هو نبت نوره الزعفران وأصله يشبه البصل يدق ويعصر يكون عصيره كالحليب وقد يجفف ويتخذ منه الدقيق ويؤكل قال ابن سينا بزره ينوم ويحسن اللون ويجلو البصر ويمنع النوازل إليه ويكتحل به للزرقة العارضة فى الأمراض ويهيج الباه ويدر البول وزعم قوم أنه ان سقى للطلق المتطاول وضعت من ساعتها ويقوى القلب ويفرح ويورث الضحك والزائد على الدرهم سم قاتل ولا يقرب سام أبرص بيتا فيه زعفران قال بليناس الحكيم إذا عسرت الولادة على المرأة أو سقوط المشيمة تأخذ بيدها عشرة دراهم زعفران لا زائد أو لا ناقصا فتخلص (سادج) نبت يكون بأرض الهند قالوا إن الماء إذا جف فى المستنقعات أوان الصيف أحرقوا فيها الحطب لينبت السادج فإن لم يفعلوا لا يكون منه شىء له أوراق وقضبان على مثال الشاهشفرم وله نور ينبت فى المياه فيقوم على وجه الماء من غير تعلق بأصل قال ابن سينا يجعل فى وسط الثياب يحفظها من السوس

وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن إلفا وأشد إقداما على جملة الطير من الكركى وغيره ومزاجه أبرد من سائر ماتقدم ذكره من الجوارح وأرطب وبهذا السبب يضرى على الغزال والأرنب ولا يضرى على الطير لأنها تفوته وهو أهدأ من البازى نفسا وأسرع أنسا بالناس وأكثرها قنعا يغتذى بلحوم ذوات الأربع ولبرد مزاجه لايشرب ماء ولو أقام دهرا ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم ومن شأنه أنه لايأوى إلى الأشجار ولا رؤس الجبال إنما يسكن المغارات والكهوف وصدوع الجبال وللصقر كفان فى يديه وللسبع كفان فى يديه لأنه يكف بهما عما أخذ أى يمنع وأول من صاد به الحرث بن معاوية بن ثور وذلك أنه وقف يوما على صياد وقد نصب شبكة للعصافير فانقض صقر على عصفور وجعل يأكله والحرث يعجب منه فأمر به فوضع فى بيت ووكل به من يطعمه ويؤدبه ويعلمه الصيد فبينما هو معه ذات يوم وهو سائر إذ لاحت أرنب فطار الصقر اليها فأخذها فازداد الحرث به إعجابا واتخذه العرب بعده * الصنف الثانى من الصقور الكونج ونسبته من الصقور كنسبة الزرق إلى البازى إلا أنه أحرمنه ولذلك هو أخف منه جناحا وأقل بخرا ويصيد أشياء من صيد المياه ويعجز عن الغزال الصغير * الصنف الثالث من الصقور اليؤيؤ ويسميه أهل مصر والشام الجلم لخفة جناحيه وسرعتهما ولأن الجلم هو الذى يجز به وهو المقص وهو طائر صغير قصير الذنب ومزاجه بالنسبة إلى الباشق بارد رطب لأنه أصبر منه نفسا وأثقل حركة ولايشرب الماء إلا ضرورة كما يشربه الباشق إلا أنه أبخر منه ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حار يابس ولذلك هو أشجع منه ويقال إن أول من ضراه واصطاد به بهرام جور وذلك أنه شاهد يؤيؤا يطارد قنبرة ويراوغها ويرتفع وينخفض معها وما تركها إلى أن صادها فأعجبه وأمر به فأدب وصاد به وقال الناشئ فى وصفه :

ويؤيؤ مهذب رشيق * كأن عينيه لدى التحقيق * فصان مخروطان من عقيق

وقال أبو نواس فى وصفه

قد اغتدى والصبح فى دجاه * كطرة البدر لدى مثناه * بيؤيؤ يعجب من رآه
مافى اليآيىء يؤيؤ سواه * أزرق لا تكذبه عيناه * فلو يرى القانص مايراه
فداه بالأم وقد فداه * هو الذى خولناه الله * تبارك الله الذى هداه

﴿فائدة أدبية﴾ ذكر الإمام العلامة الطرطوشى فى سراج الملوك عن الفضل بن مروان قال سألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان فى يده قلت كيف حكمه قال يرد المظالم ويردع الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان مغتبط وراض قلت فكيف هيبته فيهم قال تصورت فى قلوبهم فتغضى له العيون فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائى إليه وإقبالى عليه وكانت الرسل تنزل عندى فقال لترجمانه ما الذى يقول الرومى قال يصف ملكهم ويذكر سيرته فكلم ترجمانه فقال لى الترجمان إنه يقول إن ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الإجرام قد كسا رعيته جميل نعمته وقسرهم بعنيف عقوبته فهم يترامونه ترائى الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وقد وسعهم عدله وراعهم قهره لاتمتهنه مزحة ولا تواسه غفلة إذا أعطى أوسع وإذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجى خائب الأمل ولا الخائف بعيد الأجل قلت فكيف كانت هيبتهم له قال لاترفع العيون إليه أجفانها ولا تتبعه الأبصار إنسانها كأن رعيته طيور قرقف عليهم صقور صوائدها

ويطيب النكهة إذا جعل (سذاب) هو النبت المشهور فوائده كثيرة عجيبة قالوا إذا ترك فى برج الحمام لايقربه سنور وإذا ترك فى بيت لايقربه حية وأكله يزيد فى قوة الباه وإذا دخن به تحت حبلى أسقطت ورائحته تنفع المصروع والصداع الشديد فى الحال سيما إذا كان رطبا والاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة العين وإن نقع فى ماء ورش به البيت ماتت براغيثه والمدقوق منه بالزيت يجعل تحت السن الوجعة يسكن ألمها قال ابن سينا يطلى مع النطرون على البهق والثآليل والنوتيا يزيلها ويقطع رائحة الثوم (سلق) قالوا يلقى السلق فى النبيذ يصيرها خلا فى يوم وليلة قال صاحب الفلاحة إن سمدت أرضها بخثى البقر يقوى أصله ويطيب طعمه قال ابن سينا عصارته تقلع الثآليل وتقتل القمل ويغسل به الرأس فيذهب النخالة وانتشار الشعر ويزيل الكلف إذا غسلت الموضع بالنطرون ثم طليت به (سمسم) قال ابن سينا ورقه وعصارة شجره يطول الشعر وبزره يزيل خضرة الضربة والدم الجامد وهو نافع من الشقاق شربا وطلاء

قال الفضل فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال يافضل كم قيمتها عندك قلت ألف الدرهم قال إن قيمتها عندى أكثر من الخلافة أما علمت حديث أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسن أفتعرف أحدا من الخطباء والبلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال أمرت لها بعشرين ألف دينار معجلة واجعل العدة بيني وبينهما على العود فلولا حقوق الإسلام وأهله لرأيت إعطاءهما جميع ما فى بيت المال دون ما استحقاه انتهى وكان الفضل بن مروان قد أخذ البيعة للمعتصم ببغداد والمعتصم بالروم مع المأمون فاعتد المعتصم له بها يدا واستوزره فغلب عليه واستقل بالأمور فكانت الخلافة للمعتصم اسما وللفضل معنى قيل إن الفضل جلس يوما لأشغال الناس فرفعت إليه قصص العامة فرأى فيها رقعة مكتوبا فيها هذه الأبيات :

تفرعنت يافضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم * أبادتهم الأقياد والحبس والقتل
وإنك قد أصبحت فى الناس ظالما * ستؤذى كما أوذى الثلاثة من قبل

أراد الفضل بن يحيى البرمكى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل وكان المعتصم يأمر بإعطاء المغنى والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك فحقد المعتصم عليه لذلك ونكبه وأهل بيته وجعل مكانه محمد بن عبد الملك الزيات وكان الفضل مذموم الأخلاق فلما نكب شمت به الناس حتى قال فيه بعضهم :

لتبك على الفضل بن مروان نفسه * فليس له باك من الناس يعرف
لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها * وفارقها وهو الظلوم المعنف
إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أى شيء فاتنا منه نأسف

ولما نكب المعتصم الفضل بن مروان قال عصى الله فى طاعتى فسلطنى عليه وكان المعتصم قد أخذ ماله ولم يتعرض لنفسه وقيل إنه أخذ من داره ألف ألف دينار وأثاثا وآنية بألف ألف دينار وحبسه خمسة أشهر وأطلقه فخدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء وتوفى سنة خمسين ومائتين ومن كلامه لا تتعرض لعدوك وهو مقبل فإن إقباله يعينه عليك ولا تتعرض له وهو مدبر فإن إدباره يكفيك أمره * فائدة أخرى أدبية أيضا . قد قدمت الإشارة إليها فى الرسالة التى كتبتها فى الشاهين قول أبى الحسن على بن الرومى فى قصيدته التى يقول فيها :

هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه * من نسل شيبان بين الضال والسلم
كأنه الشمس فى البرج المنيف به * على البرية لا نار على علم

مراده بالبرج قصره العالى لما شبهه بالشمس جعل قصره برجا وأراد التمليح على الخنساء فى قولها فى أخيها صخر :

وإن صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

قال شيخنا شمس الدين محمد بن العماد وأبو الصقر لم أقف له على ترجمة ولا وفاة وأبوه ابن عم معن ابن زائدة الشيبانى وكان من قواد أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وتولى الأعمال الجليلة والولايات السنية وتوفى قبل الثمانين ومائة وكان يسكن البادية هو وولده أبو الصقر وإليه الإشارة بقول ابن الرومى فى البيت بين الضال والسلم وهما من شجر البادية وتولى أبو الصقر

له سنبلة صغيرة تطيب النكهة ويخفف اللسان إذا مسك فى الفم ومن خواصه تقوية الدماغ ومنع النوازل وإنبات الشعر فى الأشفار إذا جعل فى الكحل وينقى الصدر وينفع من الخفقان ويحبس النزف من الرحم (سوسن) نبت له ساق رزهر مختلف الألوان من بياض وصفرة واسمانجونية رائحته تجلب النوم يلطخ به الكلف يزيله يضمد به الرأس مع الخل يزيل الصداع وهو ينفع من نهش الهوام ويسحق ويخلط بالعسل للبهق والجرب طلاء وإذا غسل به الوجه جلاه ونقاه قال صاحب الفلاحة إذا جعلت السوسن فى ظرف جديد واستوثقت رأس الظرف يبقى طريا غضا طول السنة دهنه يزيل نتن المنخرين (سيسنبر) نبت له رائحة طيبة يقال له النمام لأن رائحته تدل عليه ورقه يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهة والصدغين وينفع من لسع الزنابير ضمادا قال ابن سينا إذا فرشت السيسنبر تهرب منه أكثر الهوام وهو يقتل القمل ضمادا ويزيل الفواق شربا

ويخرج الجنين الميت والديدان وحب القرع

الفلاحة إذا ثيرت الأرض وسقيت ولم تزرع ومضى على ذلك سنة ينبت فيها الشبث من غير بث حب أكله يورث ظلمة البصر قال ابن سينا إنه منوم جدا وإذا سحق وعجن وضمد به البواسير قلعها وأبرأها قال بليناس إذا مضغت الشبث الأبيض وأخذت النار في فمك لا تضرك وإذا وضعت الشبث تحت مخدة الإنسان ذهب عنه الفزع والغطيط بزره يدر اللبن ويمنع من الفواق الامتلائي والمغص ويقطع مادة المني ويقطع البواسير (شبرم) نبت في البساتين له قضيب دقيق ورقه كورق الطرخون قال ابن سينا هو مضر بالباه ومادة المني ولبنه معين على قلع الأسنان ويولد الحميات ويقتل منه درهمان (شجر مريم) شوك أصله الغرطنيثا قال ابن سينا ينفع من الزكام البارد ونزول الماء في العين أصله يدفع الفواق ويسقط الأجنة (شعير) من الحنطة عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أن الله تعالى خلق الشعير من الحنطة وذلك

بعض الولايات للواثق هرون بن المعتصم وولده المنتصر من بعوه وعاش إلى خلافة المعتضد وولده المعتمد وسكن البادية مما يتمدح به العرب ومنه قوله :

الموقدين بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز في الحضر

ولم أره أكثر من ذلك انتهى وتوفي أبو الحسن بن الرومي ببغداد في جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وفيه خلاف وكان سبب موته على ما قاله ابن خلكان وغيره أن القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد خاف من هجوه فدس عليه أبو فراس فأطعمه خشكنانة مسمومة فلما أحس بالسم قام فقال له الوزير إلى أين تذهب فقال إلى الموضع الذي بعثتني إليه فقال سلم على والدي فقال ما طريقي على النار فأقام أياما ومات (الحكم) يحرم أكل الصقر لعموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير قال الصيدلاني اختلف في الجوارح ما هي فقيل ما يجرح الصيد بناب أو مخلب أو ظفر وقيل الجوارح الكواسب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الجوارح الصوائد وهذا راجع إلى معنى الكسب انتهى فجميع الجوارح عندنا محرمة لعموم هذا النهي المتقدم ذكره قريبا وذهب مالك إلى حلها وقال مالا نص فيه حلال حتى هدى بعض أصحابه ذلك إلى الكلب والأسد والنمر والدب والقرد وغير ذلك وقال في الحمار الأهلي إنه مكروه وفي الفرس والبغل إنهما حرامان احتجاجا بقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما الآية وأجاب الشافعي عن ذلك فقال يعني مما كنتم تأكلون إذ لا معنى لإباحة شيء مما لا يأكلونه ولا يستطيبونه كما لا يصح أن يحمل قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما على ما هو حرام قيل وإنما يصح على ما يعتاد صيده (الأمثال) قالوا أخلف من صقر وهو من خلوف الفم بفتح الخاء المعجمة وهو تغير رائحته ومنه قوله ﷺ لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ووقع نزاع بين الشيخ أبي عمرو بن الصلاح والشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمهما الله تعالى في أن هذا الطيب في الدنيا والآخرة معا أم في الآخرة خاصة فقال الشيخ عز الدين في الآخرة خاصة لقوله صلى الله عليه وسلم في رواية لمسلم والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح هو عام في الدنيا والآخرة واستدل بأشياء كثيرة فذكرها منها ما جاء في مسند ابن حبان بكسر الحاء المهملة وهو من أصحابنا الفقهاء المحدثين قال باب في كون ذلك يوم القيامة وباب في كونه في الدنيا وروى في هذا الباب بإسناده الثابت الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال لخلوف فم الصائم حين يخلف أطيب عند الله من ريح المسك وروى الإمام أبو الحسن بن سفيان بسنده عن جابر رضي الله تعالى عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا قال وأما الثانية فإنهم يمسون وخلوف أفواههم عند الله أطيب من ريح المسك ورواه الإمام الحافظ أبو بكر السمعاني في أماليه وقال هو حديث حسن وكل واحد من المحدثين مصرح بأنه بمجيء وقت وجود الخلوف في الدنيا يتحقق وصفه بكونه أطيب عند الله من ريح المسك قال وقد قال العلماء شرقا وغربا بمعنى ما ذكرته في تفسيره قال الخطابي طيبه عند الله رضاه به وقال ابن عبد البر معناه أذكى عند الله وأقرب إليه وأرفع عنده من ريح المسك وقال البغوي في شرح السنة معناه الثناء على الصائم والرضا بفعله وكذا قاله الإمام القدوري إمام الحنفية في كتابه في الخلاف معناه أفضل عند الله من الرائحة الطيبة وقاله الإمام العلامة البوني صاحب اللمعة وغيرها وهو من قدماء المالكية وكذا قاله الإمام أبو عثمان الصابوني وأبو بكر

السمعانى وأبو حفص بن الصفار من أكابر أئمة الشافعية فى اماليهم وأبو بكر بن العربى المالكى وغيرهم فهؤلاء أئمة المسلمين شرقا وغربا لم يذكروا سوى ماذكرته ولم يذكر أحد منهم وجها بتخصيصه بالآخر مع أن كتبهم جامعة للوجوه والمشهورة والغريبة ومع أن الرواية التى فيها ذكر يوم القيامة مشهورة فى الصحيح بل جزموا بأنه عبارة عن الرضا والقبول ونحوهما مما هو ثابت فى الدنيا والآخرة وأما ذكر يوم القيامة فى تلك الرواية فلأنه يوم الجزاء وفيه يظهر رجحان الخلوف على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضا الله تعالى حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة كما فى المساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم القيامة بالذكر فى رواية لذلك كما خص فى قوله تعالى إن ربهم بهم يومئذ لخبير وأطلق فى باقى الروايات أن فضيلته ثابتة فى الدارين انتهى كلام الشيخ أبى عمرو رحمه الله والذى ينبغى أن يعلم أن جميع ماوقع فيه الخلاف بينهما فالصواب فيه ماقاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلا هذه المسألة فإن الصواب فيها ماقاله الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله والله تعالى أعلم وقالوا أبخر من صقر قال الشاعر :

وله لحية تيس * وله منقار نسر
وله نكهة ليث * خالطت نكهة صقر

(الخواص) قال ابن زهر الصقر لامرارة له وإذا أمسكه إنسان مات فرقا ودماغه إذا دلك به القضيب هيج الباه وقال أبو سارى الديلمى فى عين الخواص له ودماغ الصقر إذا مسح به الكلف الأسود قلعه ونقاه وإذا مسح به الحزاز أذهبه (التعبير) قال ابن المقرى رؤية الصقر تدل على العز والسلطان والنصر على الأعداء وبلوغ الآمال والرتبة والأولاد والأزواج والمماليك والسرارى ونفائس الأموال والصحة وتفريج الهموم والإنكار وصحة الأبصار وكثرة الأسفار وعوده بالربح الطائل وربما دل على الموت لاقتناصه الأرواح وربما دل على السجن والترسيم والتقدير فى المطعم والمشرب والمعلم بالنسبة إلى الغشيم يدل على رجل فصيح وكذلك سباع الطير بأسرها لأنها تجوز على الحيوان فتكسر عظمه وتهشم لحمه فمن رأى من هذه الجوارح شيئا من غير منازعة فإنه ينال مغنما وكل حيوان يصاد به كالكلب والفهد والصقر يعبر بولد شجاع فمن تبعه صقر فإن رجلا شجاعا يعطف عليه وإن كان له حامل فإنه يرزق ولدا شجاعا وكل الجوارح المعلمة تدل على الولد الذكر ومن المنامات المعبرة أتى رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن حمامة نزلت على شرفات السور فأتاها صقر فابتلعها فقال ابن سيرين أن صدقت رؤياك ليتزوج الحجاج بنت الطيار فكان كذلك والله أعلم ﴿ الصل ﴾ بكسر الصاد الحية التى لا تنفع فيها الرقية ومنه قالوا فلان صل مطرق وبه وصف إمام الحرمين تلميذه أبا المظفر أحمد بن محمد الخوافى وكان علامة أهل طوس نظير الغزالى وكان عجيبا فى المناظرة رشيق العبارة توفى سنة خمسمائة وكان هو والكيا الهراسى والغزالى أكبر تلامذة إمام الحرمين رحمة الله عليهم ﴿ الصلب ﴾ كصرد طائر معروف ذكره فى العباب ﴿ الصلنباج ﴾ كسقنطار سمك طويل دقيق ذكره فى العباب أيضا ﴿ الصلصل ﴾ بالضم الفاختة قاله الجوهرى وغيره وسيأتى مافى الفاختة فى باب الفاء إن شاء الله تعالى ﴿ الصناجة ﴾ قال القزوينى فى الاشكال ليس شىء أكبر من هذا الحيوان وهو يكون بأرض التبت وهذا الحيوان يتخذ لنفسه بيتا بقدر فرسخ فى الأرض فى فرسخ وكل حيوان وقع بصره عليه مات فى الحال وإذا وقع بصر الصناجة عليها ماتت الصناجة والحيوانات

رب العالمين هو لك رزق ولولدك فعمد آدم إلى قبضة منها وعمدت حواء إلى قبضة فقال آدم لحواء لا تزرعى فخالفته فجاء الذى زرعت حواء شعيرا وخاصية الشعير أن يحفظ الأشياء عن التعفن والتغير قال صاحب الفلاحة لو تركت فى الشعير عنبا بعناقيده لم يتغير وأكلت فى كل يوم عنبا طريا كأنه قطف من كرمه قال ابن سينا الشعير يستعمل على الكلف طلاء ويطبخ بالخل الثقيف ويضمد به الجرب المتقرح والنقرس (شقائق النعمان) والعرب يقولون أنه خد العذارى قيل كان ظهر فى الكوفة نبت الشقائق فمر النعمان بن المنذر به وقال من نزع منه شيئا انزعوا كتفه فنسب إلى النعمان وشقائق النعمان يدور مع الشمس ينفتح ورقه بالنهار وينضم بالليل الاكتحال منه ينقى ظلمة البصر قال ابن سينا أنه مع قشر الجوز خضاب يسود الشعر وهو نافع للجرب والقروح وإذا طبخ بقضبانه يدر اللبن ويمزج عرق شقائق النعمان بماء الورد فإذا رششت على الثياب البيض يحمر الثوب وإذا يبس لا يبقى

تعرفه فتعرض له مغمضة العين ليقع بصر الصناجة عليها فتموت وإذا ماتت تبقى طعمة للحيوان مدة طويلة وهذا من عجائب الوجود ﴿قلت﴾ وقد استعمل الحريرى لفظة الصناجة فى المقامة السادسة والاربعين حيث قال أحسنت يانغيش ياصناجة الجيش قال الشراح لكلامه النغيش القصير وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى نغاشيا نخر ساجداً وفسروا صناجة الجيش بأنها الطبل المعروف ﴿قلت﴾ ووجه الشبه أنه لما كان يضرب بالصنج يطرب الجماعة الحاضرين به سماه بذلك فالهاء فيه للمبالغة والصناجة أيضا ذات الصنج وهى آلة لهو تتخذ من صفر يضرب أحدهما بالآخر قال الحافظ بن عبد البر وغيره أول موروث فى الإسلام عدى بن نضلة وأول وارث نعمان بن عدى قد هاجر إلى أرض الحبشة فمات بها فورثه ابنه نعمان هناك واستعمله عمر رضى الله تعالى عنه على ميسان ولم يستعمل من قومه غيره وراودامرأته على الخروج معه فأبت فكتب إليها :

من مبلغ الحسناء أن حليلها * بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية * وصناجة تحدو على كل منسم
إذا كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى * ولاتسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر رضى الله تعالى عنه فكتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول الآية أما بعد فقد بلغنى قولك .

لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله لقد ساءنى ثم عزله فلما قدم عليه سأله فقال ما كان من هذا شىء وما كان إلا فضل شعر وجدته وماشربتها قط فقال عمر رضى الله تعالى عنه أظن ذلك ولكن لاتعمل لى عملا أبداً فنزل البصرة ولم يزل يغزو مع المسلمين حتى مات وشعره فصيح يستشهد به أهل اللغة على أن ندمان بمعنى نديم ﴿الصوار﴾ القطيع من البقر والجمع صيران والصوار أيضا وعاء المسك وقد جمعها الشاعر فى قوله :

إذا لاح الصوار ذكرت ليلى * وأذكرها إذا نفخ الصوار

﴿الصومعة﴾ العقاب لأنها أبدا مرتفعة على أشرف مكان تقدر عليه هكذا قاله كراع فى المجرد ﴿الصيبان﴾ تقدم بما فيه فى أول الباب ﴿الصيد﴾ مصدر عومل معاملة الأسماء فأوقع على الحيوان المصيد قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم وقال أبو طلحة الأنصارى رضى الله تعالى عنه :

أنا أبو طلحة واسمى زيد * وكل يوم فى سلاحى صيد

وبوب البخارى رحمه الله فى أول الربع الرابع من كتابه فقال باب قول الله تعالى أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال عمر رضى الله تعالى عنه صيده ما اصطيد وطعامه مارمى به وقال أبو بكر رضى الله عنه الطافى حلال وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما طعامه ميتته إلا ماقدرت عليها والجرى لاتأكله اليهود ونحن نأكله وقال أبو شريح صاحب النبى صلى الله عليه وسلم كل شىء فى البحر مذبوح وقال عطاء أما الطير فأرى أن يذبح وقال ابن جريج قلت لعطاء صيد الأنهار وقلات السيل أصيد بحر هو قال نعم ثم تلا هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا

ثلاث سنين ينبت من بزر الشلجم الكرنب وينبت من بزر الكرنب الشلجم وهذا أمر يعرفه الزارعون وإن نقعت بزر الشلجم فى عصير الزيت أو العسل ينبت حلو اطيب الطعم جدا والمطبوخ منه يحرك شهوة الوقاع ويضمد به العضو الخضر إذا كان حارا ينفعه نفعا بينا بزره يعلق على صاحب الأبنة ينفعه (شوكران) سم قاتل ساقه كساق الرازيانج وورقه كورق القثاء وبزره كالأنيسون وله زهر أبيض قال ابن سينا يطلى به موضع النتف يمنع نبات الشعر ثانيا ويضمد به ثدى النساء فلا يعظم وينفع من نزف الدم بتجميده ويمرج به أعضاء المنى فيمنع من الاحتلام (شونيز) قال محمد بن زكريا الرازى يرش البيت بطبيخ الشونيز يقتل براغيثه ويسحق الشونيز مع الصابون ويطلى به الوجه يزيل كلفه وإن بخرت به وبالقلقند البيت لم يدخله بق ألبتة قال ابن سينا إنه يقطع الثآليل والخيلان والبهق والبرص وينفع من الزكام طلاء وطبيخه ينفع من وجع الأسنان مضمضة سيما مع

وركب الحسن على سرج من جلود كلاب الماء وقال الشعبي لو أن أهلي يأكلون الضفادع لأطعمتهم إياها ولم ير الحسن بالسلحفاة بأسا وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل من صيد نصراني أو يهودي أو مجوسي وقال أبو الدرداء رضي الله عنه في المرى ذبح الخمر النينان والشمس انتهى، قوله قلات السيل أي ماهلك فيه لقوله المسافر وماله علي ﴿فلت﴾ وقوله في المرى إلى آخر ما قال أشار بذلك إلى صفة مرى يعمل في الشأم تؤخذ الخمر فيجعل فيها الملح والسمك وتوضع في الشمس فتتغير الخمر إلى طعم المرى فتستحيل عن هيئتها كما تستحيل إلى الخلية يقول كما أن الميتة حرام والمذبوحة حلال كذلك هذه الأشياء ذبحت الخمر فحلت فاستعار الذبح للتحليل والذبح في الأصل الشق وأبو شريح اسمه هانئ وعند الأصيلي ابن شريح وهو وهم وفي الاستيعاب للحافظ بن عبد البر شريح رجل من الصحابة حجازي روى عنه أبو الزبير وعمرو بن دينار سمعه يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال كل شيء في البحر مذبوح ذبح الله لكم كل دابة خلقها في البحر قال أبو الزبير وعمرو بن دينار وكان شريح هذا قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو حاتم له صحبة ولفظ الصيد في الآية الأولى عام ومعناه الخصوص فيما عدا الحيوان الذي أباح النبي ﷺ قتله في الحرم ثبت عنه ﷺ أنه قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور فوقف مع ظاهر هذا الحديث سفيان الثوري والشافعي وابن حنبل وابن راهويه فلم يبيحوا للمحرم قتل شيء سوى ذلك وقاس مالك على الكلب العقور الأسد والنمر والفهد والذئب وكل السباع العادية فأما الهر والثعلب والضبع فلا يقتلها المحرم عنده وإن فعل فدى وقال أصحاب الرأي رحمهم الله إن بدأ السبع المحرم فله أن يقتله وإن ابتدأ المحرم فعليه قيمته وقال مجاهد والنخعي لا يقتل المحرم من السباع إلا ما عدا عليه منها وثبت عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه أمر المحرمين بقتل الحيات وأجمع الناس على إباحة قتلها وثبت عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أيضا إباحة قتل الزنبور لأنه في حكم العقرب وقال مالك يطعم قاتله شيئا وكذلك قال مالك فيمن قتل البرغوث والذباب والنمل ونحوها وقال أصحاب الرأي لا شيء على قاتل هذه كلها وأما سباع الطير فقال مالك لا يقتلها المحرم وإن قتلها فدى وقال ابن عطية وذوات السموم كلها في حكم الحية كالأفعى والرتيلاء ونحوهما «تذنيب» قال أبو حنيفة لا يقطع سارق ما كان مباح الأصل من صيد البر والبحر ولا في جميع الطيور وقال الشافعي ومالك وأحمد والجمهور يقطع سارق ذلك إذا كان محرزا وقيمته ربع دينار لعموم الأدلة وإذا ذبح المحرم صيدا حرم عليه في حال الإحرام باتفاق العلماء وفي تحريمه على غيره قولان الجديد الصحيح التحريم كذبيحة المجوسي فعلى هذا يكون ميتة والقديم الحل ولو كسر المحرم بيض صيد أو قلاه حرم عليه وفي تحريمه على غيره طريقان أشهرهما أنه على القولين وأشهر القولين التحريم أيضا ولو كسره مجوسي أو قلاه حل ولو حلب محرم لبن صيد فهو ككسر بيضه ﴿فرع﴾ لو صاح محرم على صيد فمات بسبب صياحه أو صاح حلال على صيد في الحرم فمات به فوجهان أحدهما يضمنه لأنه تسبب في إهلاكه فكان كما لو صاح على صبي فهلك قال الإمام النووي وهذا هو الظاهر والثاني لا يضمنه كما لو صاح على بالغ ولو أصاب صيدا فوقع ذلك الصيد على صيد آخر أو على فراخه أو بيضه فهلك ضمن جميع ذلك ﴿فرع﴾ لو مات للمحرم قريب في ملكه صيد ملكه على المذهب ملكا يتصرف فيه كيف شاء إلا بالقتل والإتلاف ﴿فرع﴾ قال الروياني العمرة التي ليس فيها قتل صيد قيل إنها أفضل من حجة فيها قتل صيد والأصح أن

(شيح) نبات أجوف العود ورقه كورق السرو قال ابن سينا إنه يقتل الديدان وحب القرع ورماده بالزيت نافع من داء الثعلب دهنه ينبت اللحم المتباطئ ويمنع من برد النافض ومن لدغ العقارب والرتيلا والسموم كلها (شيلم) هو الزوان يدق ويعجن ويوضع على موضع دخل فيه شوك أو سلا يجذبه ويخرجه ويطلى على البهق مع الكبريت ومع بزر الكتان يحلل الأورام والخنازير ومع الحنطة على القروح والقوباء ذرورا والبخور به يعين على الحبل (صعتر) إذا مضغ يسكن وجع الأسنان ويقتل الديدان وحب القرع والبرى منه ينفع من لسع الحيات ذكر أن القنفذ وابن عرس إذا تناهشا الأفاعي والحيات عالجا بأكل الصعتر البري وإنما كتب بالصاد لئلا يشتبه بالشعير (طرخون) هو النبت المعروف إذا مضغ أزال حس الذوق حتى لا يحس الإنسان بعد مضغها بمرارة الأدوية المرة قال ابن سينا إنه يحدث وجع الحلق ويقطع

شهوة الباه وأصل الطرخون الجبلي هو العاقر قرحا وهو نافع من وجع السن وإذا

الحجة أفضل ﴿فرع﴾ صيد حرم المدينة حرام لما روى مسلم من حديث جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عضاهها ولا يصاد صيدها واختلفوا فى أنه هل يضمن صيدها كصيد مكة فقال الشافعى فى الجديد إنه لا يضمن لأنه مكان يجوز دخوله بغير إحرام فلا يضمن كصيد وج الطائف ففى سنن البيهقى بإسناد فيه ضعف أن النبى ﷺ قال ألا إن صيد وج الطائف وعضاهها حرام محرم وفى القديم أنه يسلب القاتل لصيد حرم المدينة والقاطع لشجرها واختاره النووى من جهة الدليل وعلى هذا فظاهر إطلاق الأئمة أن السلب لا يتوقف على إتلافه بل بمجرد الاصطياد وسلبه كسلب قتيل الكفار عند الأكثرين وقيل ثيابه فقط وقيل يترك له ساتر العورة فقط وهذا هو الصواب فى الروضة وشرح المهذب ثم هو للسالب وقيل لفقراء المدينة كجزاء الصيد وقيل لبيت المال ويستثنى من تضمين الصيد مالو صال عليه فقتله دفعا ﴿فرع﴾ إذا عم الجراد الطريق ولم يجد بدا من وطئه فلا ضمان عليه فى الأظهر ولو دخل كافر الحرم وقتل صيدا ضمنه وقال الشيخ أبو إسحق فى المهذب يحتمل عندى أنه لا يجب الضمان قال النووى فى شرحه انفرد الشيخ بهذا الاحتمال عن الأصحاب وأقامه فى البيان وجها انتهى وهذا نقله ابن كج وجها للأصحاب وهو متقدم على صاحب المهذب بأعوام فإنه توفى سنة أربع وأربعمائة ﴿تنبيهات﴾ اعلم أن الصيد إذا مات من سببين مبيح ومحرم فهو حرام تغليبا لجانب التحريم ومثال ذلك أن يموت من سهم وبندقة أو يصيب الصيد طرف من النصل فيجرحه ويؤثر فيه عرض السهم فى مروره فيموت منهما وكذلك لو أرسل سهما إلى صيد فجرحه وكان على طرف سطح فسقط منه أو على جبل فتردى منه أو تردى فى بئر أو وقع فى ماء أو على شجرة فانصدم بأغصانها فهو حرام لأنه لا يدرى من أيهما مات ومنها مالو وقع صيده على محدد سكين أو غيرها فهو حرام ولو أرسل سهما فأصاب الصيد فى الهواء ثم وقع على الأرض ومات فهو حلال سواء مات قبل الوصول إلى الأرض أو بعده أو لم يعلم هل كان موته قبل الوصول أو بعده لأن الوقوع على الأرض لابد منه فيعفى عنه كما يعفى عن الذبح فى غير المذبوح عند التعذر وكما أن الصيد لو كان قائما فوقع على جنبه لما أصابه السهم وقال مالك إن مات بعد وقوعه على الأرض لم يحل والارتجاف قليلا بعد إصابة السهم لا يضر لأنه كالوقوع على الأرض فلو تدحرج من الجبل من جنب إلى جنب لم يضر لأن ذلك مما لا يؤثر مثله فى التلف فلو رمى بسهم إلى صيد فى الهواء فكسر جناحه ولم يجرحه فوقع فمات فهو حرام لأنه لم يصبه جرح يحال الموت عليه فلو كان الجرح خفيفا لا يؤثر مثله ولكنه عطل جناحيه فوقع فمات فهو حرام قاله الإمام ولو وقع الصيد من الهواء بعد ما أصابه السهم وجرحه فى بئر نظر فإن كان فيها ماء فهو حرام وإن لم يكن فالصيد حلال لأن قعر البئر كالأرض ولكن الفرض فيما إذا لم يصادمه جدران البئر ومنها لو كان الصيد واقفا على شجرة فأصابه السهم فجرحه فوقع على الأرض فهو حلال وإن وقع على غصن أو أغصان ثم على الأرض لم يحل وليس الانصدام بالأغصان أو بأحرف الجبل عند التردى من القلة كالانصدام بالأرض فإن ذلك الانصدام ليس بلازم ولا غالب والانصدام بالأرض لا بد منه والإمام احتمالان فى الصورتين لكثرة وقوع الطيور على الأشجار والانصدام بأطراف الجبال إذا كان الصيد بالجبل ومنها لو رمى إلى طير الماء نظر إن كان على وجه الماء فأصابه السهم فجرحه فمات فهو حلال والماء له كالأرض وإن كان خارج الماء ووقع فى الماء بعد ما أصابه السهم ففيه وجهان مذكوران فى الحاوى أحدهما أنه حرام لأن الماء بعد الجرح يعين على التلف

طبخ بالخل وأمسك فى الفم يشد الأسنان المتحركة ويدلك البذر به قبل نوبة النافض ينفعه وإذا مضغ وجعل على موضع اللسعة ينفعها نفعا بينا (عبيران) قال ابن سينا إنه نافع من الزكام الحادث من البرودة وماؤه يحد البصر (عدس) إذا خلطت العدس بأى بزر كان وافقه فإذا أردت أن يتعجل فاجعله فى اخشاء البقر ثم ازرعه وزعم أن آكله يزداد ارتياحا وجذلا إلا أن الإكثار منه يورث الجذام وظلمة البصر قال ابن سينا إنه مع السويق ضمادا جيد للنقرس أكله يرى أحلاما ردية (عظلم) حشيشة يوجد من عصارته النيل يجلو الكلف والبهق وينفع من داء الثعلب والجراحات البردية والقروح العفنة ويخرج الشوك مع السكر ينفع من سعال الصبيان وكذلك عصارته (عنب الثعلب) هو أنواع منه أخضر الورق وأصفر الثمرة وهو مستعمل ومنه نوع يخدر كالأفيون ومنه قاتل عصارته جميعها تقوى البصر اكتحالا ومن المخدر اثنا عشر حبة يورث الجنون ومن القاتل أربعة دراهم تفعل ذلك (فجل) قال صاحب الفلاحة إذا نقعت بذر الفجل فى العسل وزرعته يأتى فجله حلوا طيبا أكله يورث جشاء منتنا قال أبو الفرج

والثانى أنه حلال لأن الماء لا يغرقه لأنه لا يفارق الماء غالبا ووقوعه فى الماء كوقوع غيره على الأرض وهذا هو الراجح وذكر فى التهذيب أن الصيد إذا كان فى هواء البحر نظر إن كان الرامى فى البر لم يحل وإن كان فى البحر حل فإن كان الطائر خارج الماء ووقع فيه بعد ما أصابه السهم ففى حله وجهان قطع البغوى فى التهذيب والشيخ أبو محمد فى المختصر بالحل وجميع ما ذكرنا فيما إذا لم ينته الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح فإن انتهى إليها بقطع الحلقوم أو المرىء أو غيره فقد تمت ذكاته ولا أثر لما يعرض بعد ذلك ومنها لو جرح الصيد جرحا لم يقتله ثم غاب فوجده بعد ذلك ميتا قيل يحل وقيل لا يحل والأول أصح لكن يشترط أن ينتهى الصيد بتلك الجراحة إلى حركة المذبوح ولا أثر لغيبته فإن لم ينته إلى حركة المذبوح فإن وجد فى ماء أو وجد عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى لم يحل وللأصحاب ثلاث طرق أحدها فى حلة له قولان أشهرهما عند صاحب التهذيب الحل والعراقيون وغيرهم إلى ترجيح التحريم أميل والثانى القطع بالحل والثالث القطع بالتحريم وقال أبو حنيفة إن أتبعه عقب الرمى فوجده ميتا حل وإن تأخر ساعة من اتباعه لم يحل وروى عن مالك أنه إن وجده فى بريه حل وإلا فلا وصحح النووى والغزالى الحل للأحاديث الواردة فيه ومنها الو رمى وهو لا يرجو صيدا ولا خطر له ولا قصده بأن رمى سهما فى الهواء أو فى فضاء من الأرض أو إلى هدف واعترض صيد فأصابه فقتله ففى حله وجهان أصحهما وهو المنصوص عدم الحل لأنه لم يقصد الصيد لا معينا ولا مبهما ونظير ذلك ما إذا وقع فى الشبكة صيد فعقر بحديدة فيها ويفرق بينه وبين ما لو ظنه ثوبا بأنه هنا قصد عينا ولو رمى إلى ما ظنه حجرا فكان صيدا فقتله فهو حلال وكذا لو ظنه صيدا غير مأكول فكان مأكولا لأنه قصد عينه وقيس ذلك بما إذا كان له شاتان فذبح إحداهما ظنا أنها الأخرى وفى التهذيب وغيره وجه أنه لا يحل لأنه لم يقصد الصيد وبه قال مالك ومنها لو نصب سكينا أو حديدة أو كانت فى يده حديدة فوقعت على حلق شاة فذبحته فهو حرام لأنه لم يذبح ولم يقصد الذبح وإنما حصل ما حصل بفعل الشاة أو من غير فعل مختار وفى التهذيب وغيره أن عند أبى إسحق تحل الشاة فى صورة وقوع السكين ولا شك أن الصيد فى معناها وكذا لو كان فى يده حديدة يحركها والشاة أيضا تحك حلقها بها فحصل انقطاع الحلقوم والمرىء بالحركتين فهو حرام لأن الموت بشركة الذابح والبهيمة وقال القاضى أبو سعيد الهروى فى اللباب وإن رمى الأعمى صيدا بدلالة بصير فالمذهب أنه لا يحل ﴿فرع﴾ فى الازدحام والاشتراك وله أحوال منها أن يتعاقب جرحان من رجلين فالأول منهما إما أن يكون مذففا أو مزمنا أو لا مذففا ولا مزمنا فإن لم يكن مذففا ولا مزمنا لم يحل على امتناعه فإن كانت الجراحة مذففة أو مزمنة فالصيد للثانى ولا شىء على الأول بجراحته فإن كان جرح الأول مذففا فالصيد للأول وعلى الثانى أرش ما نقص من لحمه وجلده وإن كان جرح الأول مزمنا ملك الصيد به وينظر فى الثانى فإن ذفف بقطع الحلقوم والمرىء فهو حلال وعلى الثانى ما بين قيمته مذبوحا ومزمنا قال الإمام وإنما يظهر التفاوت إذا كان فيه حياة مستقرة فإن كان سالما أو كان بحيث لو لم يذبح لهلك فما عندى أنه ينقص بالذبح منه شىء وإن ذفف الثانى ولم يقطع الحلقوم والمرىء أو لم يذفف ومات بالجرحين فهو ميتة ويجب على الثانى قيمة الصيد مذبوحا قال فى كتاب التهذيب قيل هو كما لو جرح عبده وجرحه غيره ومات منهما وهو بناء على ما إذا جرح أجنبى عبدا قيمته عشرة وجرحه آخر ومات ففيه أوجه قال المزنى يجب على كل واحد أرش جراحته وباقى القيمة ينصف بينهما وقيل على كل واحد نصف قيمته يوم جرحه وقال

فيكون النتن من الفضلات لا من الفجل كما ترى من الحمأة فإنها إذا لم تزعج فلا رائحة لها فإذا أثيرت يظهر منها رائحة منتنة أكل الفجل بعد الثوم يقطع رائحة الثوم والمداومة على أكله تنقى المعدة وإن أكلته النفساء زاد فى لبنها وإن أكله الرجال زاد فى قوة فهمهم لكنه يفسد الصوت وإن وضع شرخة منه على عقرب ماتت وإن لدغت العقرب من أكل فجلا لم تضره وهو ينبت الشعر فى داء الثعلب وداء الحية وأكله يكثر القمل فى البدن ويضر بالرأس والأسنان واللثة والضماد به مع العسل يقطع الآثار الكمدة من الوجه وغيره وإذا ألقيته فى الشراب يفسد عصارته يطلى بها الكلف يزيله وإذا طليت سلة الحواء بالنوشادر وعصير الفجل ماتت حياتها وإن شربها صاحب اليرقان خمسة أيام زالت صفرته وإن اكتحل به يحد البصر وينفع من بياض العين قشره يكتحل به مجففا مسحوقا يحد البصر ويهرب منه العقرب وإن طلى به الوجه أزال كلفه بزره يهيج الباه أكلا وينفع من السموم ورقه قال ابن سينا

ابن خير أن نوزع القيمة على قيمته يوم الجرح الأول وهى عشرة وعلى قيمته يوم الجرح الثانى وهى تسعة فيكون تسعة عشر جزأ عشرة على الأول وتسعة على الثانى وقال القفال على كل واحد منهما نصف أرش جراحته وينصف باقى القيمة مجروحا بجرحين والطريقة الثانية أن الأول إن لم يدركه حيا وجب على الثانى قيمته مزمنا وإن أدركه ولم يذبحه وجب على الثانى أرش جراحته على وجه وقيمته مزمنا على وجه وإن رماه رجلان فأصاباه معا وقتلاه فهو لهما فإن أزمن أحدهما وأصاب الآخر المذبح ولم يعرف السابق وادعى كل منهما أنه المزمن أولا تحالفا ويكون بينهما الاحتمال سبق المزمن وإن كان أحدهما مجهزا لم يصب المذبح فالصيد حرام انتهى ﴿فرع﴾ اعلم أن من اصطاد صيدا عليه أثر ملك فإن كان موسوما أو مقرطا أو مخضوبا أو مقصوص الجناح لم يملكه لأن هذه آثار تدل على أنه كان مملوكا وربما أفلت ولا ينظر إلى احتمال أنه اصطاده محرم وفعل به ذلك ثم أرسله فإنه احتمال بعيد ﴿فرع﴾ لو قدّ الصيد نصفين حل الكل وإن أبان منه عضوا ومات منه بعد ساعة قبل أن يتمكن من ذبحه حل المبان على أحد الوجهين كما لو مات منه فى الحال وإن أدركه حيا فذبحه حل الأصل دون المبان وإن مات الصيد بثقل الجارحة لم يحرم على أحد القولين بخلاف ثقل السهم ﴿فرع﴾ ويملك الصيد بأمور بإثبات اليد أو الإثخان أو إبطال الطيران أو العدو أو التعلق بالشبكة المنصوبة فإن وقعت منه الشبكة وتعلق بها صيد فوجهان وكذلك الشرك والربق المنصوبان والحبالة ونحو ذلك ﴿فرع﴾ لو اصطاد سمكة فوجد فى بطنها درة مثقوبة فهى لقطة وإن كانت غير مثقوبة فهى له مع السمكة ولو اشترى سمكة فوجد فى بطنها درة غير مثقوبة فهى له وإن كانت مثقوبة فهى للبائع إن ادعاها هكذا أطلقه فى التهذيب ويشبه أن يقال إن الدرة تكون لمن اصطاد السمكة كما فى الكنز الذى يوجد فى الأرض إنه لمحيى الأرض ﴿خاتمة﴾ لو أرسل الصيد وخلاه بنفسه فهل يزول ملكه وجهان أظهرهما لا يزول ولا يجوز له أن يفعل ذلك لأن ذلك من فعل الجاهلية من تسييب السوائب ومن حقه أن يحترز عنه وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام عن السائبة فى باب النون وعلى صيد الكلب والجارحة فى باب الكاف ولو أفلت الصيد من يده لم يزل ملكه عنه فإن أخذه أحد فعليه رده للأول ولا فرق بين أن يلتحق بالوحوش فى الصحراء أو يبعد عن البنيان أو يدور فى البلد أو حوله وقال مالك مادام فى البلد أو حوله لم يزل ملكه عنه فإن بعد والتحق بالوحوش زال ملكه ومن أخذه ملكه ويروى عنه أنه إن تباعد به العهد زال ملكه عنه وإن قرب لم يزل ويروى عنه زوال ملكه بإفلاته مطلقا وعندنا يقاس على إباق العبد وشرود البهيمة ﴿تتمة﴾ لو توحل صيد بمزرعة وصار مقدورا عليه ففيه وجهان أصحهما عدم التملك لأنه لم يقصد بسوق الأرض الاصطياد والقصد مرعى فى التملك ولو دخل بستان غيره واصطاد منه طائرا ملكه قطعا ولا يثبت لصاحب البستان حكم المتحجر لأن البستان لا يتضمن حكم الطير والله أعلم وما أحسن قول بعضهم :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من فضل حيلته * لكن حدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامى المجيد وقد * يرمى فيحرزه من ليس بالرامى

﴿فائدة﴾ فى تاريخ ابن خلكان لما قلد الرشيد الفضل بن يحيى خراسان أقام بها مدة ثم وصل كتاب صاحب البريد ينهى أن الفضل اشتغل بالصيد وإدمان اللذة عن النظر فى أمور الرعية فقال ليحيى يا أبت اقرأ هذا الكتاب واكتب اليه بما يردعه عنه فكتب اليه يحيى كتابا وكتب فى أسفله هذه

وما سر حويه يحد البصر ويزيد فى اللبن (عرفج) ويقال له البقلة الحمقاء لأنها تنبت فى ممر المياه قال ومن ترك العرفج فى فراشه ونام عليه لم ير شيئا من الأحلام أصلا ولا يوضع على شىء من القروح إلا نفعه وينفع من الباه نفعا بينا قال ابن سينا تحك به الثآليل يقلعها ورقها ينفع من أصابه ضرس من أكل الحموضة بزرها إن شرب الإنسان منه مدافا بالخل يصبر على العطش طويلا والمسافرون يستصحبونها فى أسفارهم عند توقع فقد الماء والإكثار منه يقطع شهوة الوقاع والله أعلم (فنحكسب) نبات لعظمه كاد أن يكون شجرا ينبت بقرب الماء ورقه كورق الزيتون وله زهر قال ابن سينا إنه ينقى اللون وإذا ضمد به يزيل الإعياء والصداع ويكثر اللبن ويقلل مادة المنى ويدخن به عند شدة الشهوة للنساء وينفع من لسع الحيات شربا ومن عض السباع ضمادا ويدخن به لطرد الهوام ويجعل منه شىء فى الفراش يمنع الاحتلام (قويج) نبت معروف طيب الرائحة صغير الأوراق منه نهرى ومنه جبلى فالنهرى يفيق المغشى عليه إذا شمه وينفع من نهش الهوام ضمادا ويطرد الهوام تدخينا .

الأبيات : انصب نهارا فى طلاب العلا * واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليـل أتى مقبلا * واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فبادر الليـل بما تشتهى * فإنما الليـل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا * يستقبل الليـل بأمر عجيب
غطى عليه الليـل أستاره * فبات فى لهو وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو مريب

فلما ورد الكتاب على الفضل بن يحيى لم يفارق المسجد نهاراً * قيل دخل الفضل على أبيه يحيى وهو يتبختر فى مشيته فكره يحيى ذلك منه وقال قالت الحكماء البخل والجهل مع التواضع أزين للرجل من السخاء والعلم مع الكبر فيالها من حسنة غطت على سيئتين عظيمتين ويالها من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين ولما كان الفضل ويحيى فى محبسهما سمعهما الموكل يوما وهما يضحكان ضحكا مفرطا فأعلم الرشيد بذلك فبعث مسرورا يستعلم سبب ذلك فجاءهما فسألهما وقال يقول لكما أمير المؤمنين ما هذا الاستخفاف بغضبى فازدادا ضحكا وقال يحيى اشتهينا سكباجا فاحتلنا فى شراء القدر واللحم والخل وغير ذلك فلما فرغنا من طبخها وإحكامها ذهب الفضل ينزلها فسقط قعر القدر فوقع الضحك والتعجب مما كنا فيه وما صرنا إليه فلما أعلم مسرور الرشيد بذلك بكى وأمر لهما بمائدة فى كل يوم وأذن لرجل مما يأنسان به أن يدخل عليهما كل يوم ويتغدى معهما ويحدثهما وينصرف ونقل أن الفضل كان كثير البر بأبيه وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد فى زمن الشتاء فلما كان فى السجن لم يقدرا على تسخين الماء فكان الفضل يأخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيضعه على بطنه زمانا لينكسر برده بحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك وتوفى يحيى فى السجن سنة ثلاث وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد وفاته قال أمرى قريب من أمره فتوفى بعده بخمسة أشهر ﴿الصيدح﴾ الفرس الشديد الصوت وقال الجوهرى الصيدح ذكر البومة انتهى وتسميته صيدحا اشتقاقا له من صوته لأن الصيدح الصياح قال الشاعر :

وقد هاج شوقى أن تغنت حمامة * مطوقة ورقاء تصدح بالفجر

أى تصيح قال الجاحظ البومة وسائر طيور الليـل لاتدع الصياح وقت الأسحار أبدا انتهى وصيدح اسم ناقة ذى الرمة قال يمدح بلال ابن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى :

رأيت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعى بلالا

وقد تقدم ذكر هذا البيت فى باب الهمزة فى الإبل ﴿الصيدن﴾ الثعلب وقد تقدم فى باب الثاء المثلثة والصيدن الملك ﴿الصيدنانى﴾ دويبة تعمل لنفسها بيتا فى جوف الأرض وتعميمه عن الخلق ﴿الصير﴾ سمك صغار يعمل منه الصحناة والمرى ومنهم من يطلق على الصير الصحناة وفى سنن البيهقى فى باب ما جاء فى أكل الجراد عن وهب بن عبدالله المغافرى أنه دخل هو وعبدالله بن عمر على زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقربت إليهم جراداً مقلواً بسمن وقالت كل يا مصرى من هذا لعل الصير أحب إليك منه قال قلت إنا لانحب الصير وفى الحديث أن سالم بن عبدالله مر به رجل ومعه صير فذاق منه ثم سأل منه كيف تبيعه والمراد به فى الحديث الصحناة قال جرير يهجو قوما :

كانوا إذا جعلوا فى صيرهم بصلا * ثم اشتووا كنعدا من مالح جدفوا

بالشراب ويستحم بطبيخه للجرب والحكة وينفع من الجذام وقروح الفم والفواق واليرقان وهو جيـد للدغ العقارب ( قاتل الذئب ) حشيشة لاتستعمل ألبتة ويقتل الذباب قتلا وحيا ( قاتل الكلب ) حشيشة تجذب الرعاف وتقتل الكلاب بسرعة كما ذكر ( قتاد ) شجرة مشوكة معروفة تتخذها الناس وقودا إبرها طويلة حادة جدا يقال للأمور الصعبة دونها خرط القتاد صمغها الكثير ينفع من السعال وقرحة الرئة ويصفى الصوت والله الموفق ( قت ) علف الدواب دهنه أنفع شىء للرعشة ( قثاء ) قال صاحب الفلاحة إذا أردت أن يكون القثاء على صورة شىء من الحيوانات فخذ قالباً للصورة التى أردت واجعلها فيه وهى صغيرة واستوثق منها ربطاً بحيث لايدخل القالب ريح ولا غبار فإنها إذا عظمت فيه كانت على صورة القالب التى جعلتها فيـه وإذا عبرت طوامث النساء بالقثاء تغيرت وذبلت وفسدت وإن أصاب بزرها

قال الجوهرى وتفسيره فى الحديث الصحناة بمد وتقصر وروى أن الحسن سأله رجل عن الصحناة فقال وهل يأكل المسلمون الصحناة وهى التى يقال لها الصير وكلا اللفظين غير عربى (الخواص) قال جبريل بن بختيشوع الصحناة المتخذة من الأبازير تيشف المعدة من البلة والرطوبة وتمنع البخر وتطيب النكهة وتنفع من وجع الورك المتولد من البلغم ومن لدغ العقارب إذا طلى بها.

## ﴿ باب الضاد المعجمة ﴾

(الضأن) ذوات الصوف من الغنم وهى جمع ضائن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن وقيل هو جمع لا واحد له وقيل جمعه ضئين كعبد وعبيد ﴿ فائدة ﴾ قال الله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين الآية وذلك أن الجاهلية كانوا يقولون هذه أنعام وحرث حجر وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فكانوا يحرمون بعضها على النساء فلما جاء الإسلام وثبتت أحكامه جادلوا النبى صلى الله عليه وسلم وكان الذى جادله خطيبهم مالك بن عوف بن الأحوص الجشمى فقال يا محمد إنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم قد حرمتم أصنافا من الغنم على غير أصل وإنما خلق الله هذه الأزواج الخمسة للمأكل والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم أمن قبل الذكر أم من قبل الأنثى فسكت مالك وتحير ولم يتكلم فقال له النبى ﷺ مالك لا تتكلم فقال له مالك بل تكلم وأسمع منك فلو قال جاء التحريم من قبل الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث ولو قال باشتمال الرحم عليه لكان ينبغى أن يحرم الكل لأن الرحم يشتمل على الذكور والإناث فأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو بالبعض دون البعض فمن أين وثمانية أزواج نصبها على البدل من الحمولة والفرش أى وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج أى أصناف من الضأن اثنين أى الذكر والأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج والعرب تسمى الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن الآخر وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فى باب النون فى النعم وقد جعل الله تعالى البركة فى نوع الغنم فهى تلد فى كل عام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد شتاء وصيفا ولا يرى منها إلا واحد واحد فى أطراف الأرض ويضرب المثل بلين جلودها لما روى البيهقى والترمذى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال يخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب وفى رواية وقلوبهم أمر من الصبر يلبسون للناس جلود الضأن من اللين يشترون الدنيا بالدين يقول الله تعالى أبى يغترون وعلى يجترئون فبى حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران يقال له ختله يختله إذا خدعه وختل الذئب الصيد إذا تخفى له وبين المعز والضأن تضاد يوجب أن لا يقع بينهما لقاح أصلا * ومن عجيب طبعها وأمرها أنها ترى الفيل والجاموس فلا تنابهما مع عظم أبدانهما وترى الذئب فيعتريها خوف عظيم لمعنى خلقه الله فى طباعها ومن غريب أمرها أن الغنم تلد فى ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعى يسرح بالأمهات من الغد ويأتى بها عند العشاء ويخلى بينها وبين السخال فتذهب كل واحدة إلى أمها ويحلب من الهند نوع من الضأن فى صدره ألية وعلى كتفيه أليتان وعلى فخذيه أليتان وعلى ذنبه ألية وربما تكبر ألية الضأن حتى تمنعه من المشى وإن تساقدت الغنم عند نزول المطر لا تحمل وإن كان السفاد

رائحة الدهن صارت ثمرتها مرة وإذا نقعت بزرها بالعسل واللبن تكون ثمرتها حلوة طيبة قال ابن سينا إنه ينفع من عضة الكلب الكلب أكلا ثمرتها تسكن العطش وتقوى المثانة وتنفس حرارة المغمى عليه بزرها يدر البول ويحسن اللون طلاء ويطفئ حرارة الصفراء (قرطم) نبت يقال له بالفارسية كاربره قال ابن بزره سيا ينقى الصدر ويصفى الصوت وينفع من القولنج وإذا أكل بتين أو عسل ينفع من الباه زهره هو العصفر ينقى الكلف والبهق ويطلى بالخل على القوباء (قطن) زعموا أن عصارة ورقه إن سقى لصبى به إسهال نفعه جدا ثمرته إن كانت ناعمة تنعم البدن وإن كانت خشنة لبسها يهزل البدن وينفع المبرودين لبسها قشر جوزها محروقا ينفع لقرحة اللثة والفم نفعا بينا (قنابرى) يجلو الكلف والبهق وهو أنفع شىء للبرص أكلا وضمادا يذهبه فى أيام يسيرة وورقه ضماداً لقروح الثدى الخشنة وللسع الهوام كلها (قنب) منه برى ومنه بستانى فالبرى طول شجره ذراع ورقها يغلب عليه البياض وثمرتها كالفلفل والبستانى هو الشهدانج ورقه البنج إذا أكل منه شىء يخلط العقل ويفسد الذكر ويحدث بالمحرورين خناقا أو جنونا

عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورا وإن كان عند هبوب الجنوب تكون الأولاد إناثا وإذا رعت الضأن الزرع رجع وإذا رعته المعز لم ينبت وقالت العرب جز ضائنة وحلق معزة (وحكمها) حل الأكل بالإجماع (الأمثال) قالوا أجهل من راعى ضأن وأحمق من راعى ضأن ثمانين وأحمق من طالب ضأن ثمانين وذلك أن الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها فى كل وقت وفى الصحاح أحمق من صاحب ضأن ثمانين وذلك أن أعرابيا بشر كسرى ببشرى فسر بها فقال سلنى ما شئت فقال أسألك ضأنا ثمانين وقال ابن خالويه إنه رجل قضى للنبى ﷺ حاجة فقال ﷺ ائتنى بالمدينة فأتاه فقال عليه الصلاة والسلام له أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معى فى الجنة فقال بل ثمانون من الضأن فقال عليه الصلاة والسلام أعطوه إياها ثم قال ﷺ إن صاحبة موسى كانت أعقل منك وذلك أن عجوزا دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى أيما أحب إليك أسأل الله أن تكونى معى فى الجنة أو مائة من الغنم قالت الجنة والحديث رواه ابن حبان والحاكم فى المستدرك مع اختلاف فيه وقال الحاكم صحيح الإسناد وعن أبى موسى الأشعرى قال إن النبى ﷺ كان يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال إن لى عندك موعدا يارسول الله فقال ﷺ صدقت فاحتكم ما شئت قال إنى أحتكم ثمانين ضائنة ورعيها فقال ﷺ هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك حين حكمها موسى فقالت حكمى أن تردنى شابة وأدخل معك الجنة قال فى الإحياء فى آخر الآفة الثالثة عشرة من آفات اللسان وكان الناس يضعفون ما احتكم هذا الإنسان به حتى جعلوه مثلا فقالوا اقنع من صاحب الثمانين والراعى (الخواص) لحم الضأن يمنع المرة السوداء ويزيد فى المنى وينفع من السموم وهو حار رطب بالنسبة إلى المعز وأجوده الحولى وهو ينفع المعدة المعتدلة ويضر من يعتاده العشى وتدفع مضرته بالأمراق القابضة ويكره لحم النعاج لأنه يولد دما رديئا ولحم الخرفان يغذو غذاء كثيرا حارا رطبا لكنه يولد البلغم والحولى من الضأن أغذى من صغيرها ولحم الضأن فى الربيع أجود وأنفع منه فى سائر الأزمان ولحم الخصى منها يزيد فى الباه ودمها إذا أخذ وهو حار ساعة تذبح وطلى به الوضح غير لونه وضيعه وكبد التيس إذا أحرقت طرية ودلك بها الأسنان بيضها وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها وإذا اكتحل بمرارة الكبش مع العسل يمنع من نزول الماء وعظمه يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به من موضع الهشم يصلحه وإذا تحملت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل وإذا غطى الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لم يقربه النمل

﴿ الضوضؤ ﴾ الطائر الذى يسمى الأخيل قاله ابن سيده وتوقف فيه ابن دريد ﴿ الضب ﴾ بفتح الضاد حيوان برى معروف يشبه الورل قال أهل اللغة وهو من الأسماء المشتركة فيطلق على ورم فى خف البعير وعلى ضبة الحديد والضب اسم للجبل الذى بمسجد الخيف فى أصله وضبة الكوفة وضبة البصرة قبيلتان من العرب والضب أن يجمع الحالب خلفى الناقة فى كفيه جميعا أنشد ابن دريد :

جمعت له كفى بالرمح طاعنا * كما جمع الخلفين فى الضب حالب

وكنيته أبو حسل والجمع ضباب وأضب مثل كف وأكف والأنثى ضبة قالت العرب لا أفعله حتى يرد الضب لأن الضب لا يرد الماء قال ابن خالويه فى أوائل كتاب ليس الضب لا يشرب الماء

وهو مخدر يقطع النزف ويسكن بتخديره الأوجاع الضربانية حتى وجع النقرس طلاء وشربا بزره يسكن أوجاع العين وكذلك عصارته قال ابن سينا إنه يصدع ويظلم البصر واستكثاره ويخفف المنى وقال غيره إنه يطرد الرياح ودهنه دواء جيد لوجع الأذن من البرودة (قنبيط) هو الكرنب قال صاحب الفلاحة إذا زرع فى الأرض السبخة كبر جرمه ويطيب طعمه ولا يدود ورقه مع قضبانه يدق ويوضع على جبهة الحزين يفرج عنه ومن أكل منه يرى منامات هائلة وإن اعتادت الصبيان أكله أسرع نباتهم ويصفى صوت من به بحوحة ولذلك يديم عليه أصحاب الغناء وقال ابن سينا القنبيط يسكن الأوجاع وينفع من الرعشة ومنوم جدا ومظلم للبصر بزره يدخن به المناخس، والبساتين يقتل دودها وإذا احتملته المرأة بعد الجماع أفسد المنى وأكله يزيد فى مادة المنى (قيصوم) نبت طيب الرائحة والحيات تهرب منه ومن رائحته فإن زرعته حوالى القرية لا يبقى فيها حية قال ابن سينا ينفع من إنبات

طبخ ببعض الأدهان ويدر الطمث ويخرج الجنين وينفع من عسر البول ومن اللحية البطيئة النبات إذا الناقض إذا مزج بالدهن وإذا افترش طرد الهوام وإذا سقى بالشراب نفع من السموم كلها (كاوزواز) معناه لسان الثور قال ابن سينا خاصيته التفريح وإزالة الغم (كتان) هو النبات المبارك الذى تتخذ منه الثياب. ثيابه تنعم البدن وتخصبه سيما فى الصيف ولأصحاب الأمزجة الحارة دخان الكتان ينفع من الزكام بزره يسكن الأوجاع ضمادا مع النطرون والتين ينفع من الكلف ومع الشمع ينفع من برص الأظفار (كراث) منه شامى ومنه نبطى قال صاحب الفلاحة من أراد زرعه فلينثر بزره ثم يسقيه بعد ثلاثة أيام ليكون نبته قويا وإن أردت أن يكون أصله قويا جدا نجعل فى كل بعرة من بعر الغنم ثلاث حبات فإنه ينبت أقوى ما يكون والكراث يدق ويوضع على لسع العقرب والزنبور يسكن وجعه فى الحال وإدامة أكله تورث ظلمة البصر قال ابن سينا الكراث الشامى يذهب بالثآليل والبثرات وأكله يفسد اللثة والأسنان ويضر بالبصر والنبطى ينفع البواسير مصلوقا مأكولا وضمادا

ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال إنه يبول فى كل أربعين يوما قطرة ولا تسقط له سن ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة ومن كلامهم الذى وضعوه على ألسنة البهائم ثم قالت السمكة رد ياضب فقال:

أصبح قلبى صردا * لا يشتهى أن يردا * إلا عرادا عردا * وصليانا بردا * وعنكثا ملتبدا

ولما كان بين الحوت والضب هذا التضاد أشار إليه حاتم الأصم رحمه الله بقوله:

وكيف أخاف الفقر والله رازقى * ورازق هذا الخلق فى العسر واليسر
تكفل بالأرزاق للخلق كلهم * وللضب فى البيدا وللحوت فى البحر

وضبب البلد وأضب كثرت ضبابه وأرض ضبية أى كثيرة الضباب قال عبد اللطيف البغدادى الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق وللضب ذكران وللأنثى فرجان كالورل والحرذون وقال عبد القاهر الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنبه وهو يتلون ألوانا بحر الشمس كما تتلون الحرباء انتهى. أسند ابن أبى الدنيا فى كتاب العقوبات عن أنس قال إن الضب ليموت فى جحره هزالا من ظلم بنى آدم ولما سئل أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه عن ذكر الضب قال إنه كلسان الحية أصل واحد له فرعان وإذا أرادت الضبة أن يخرج بيضها حفرت فى الأرض حفرة ورمت فيها البيض وطمتها بالتراب وتتعاهدها كل يوم حتى يخرج وذلك فى أربعين يوما وهى تبيض سبعين بيضة وأكثر وبيضها يشبه بيض الحمام والضب يخرج من جحره كليل البصر فيجلوه بالتحدق للشمس ويتغذى بالنسيم ويعيش ببرد الهواء وذلك عند الهرم وفناء الرطوبات ونقص الحرارات وبينه وبين العقارب مودة فلذلك يؤويها فى جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه ولا يتخذ جحره إلا فى كدية جحر خوفا من السيل والحافر ولذلك توجد براثنه ناقصة كليلة لحفره بها فى الأماكن الصلبة وفى طبعه النسيان وعدم الهداية وبه يضرب المثل فى الحيرة ولذلك لا يحفر جحره إلا عند أكمة أو صخرة لئلا يضل عنه إذا خرج لطلب المطعم ويوصف بالعقوق لأنه يأكل حسوله فلا ينجو منها إلا ما هرب وأشار إلى ذلك الشاعر بقوله:

أكلت بنيك أكل الضب حتى * تركت بنيك ليس لهم عديد

وهو طويل العمر ومن هذه الجهات يناسب الحيات والأفاعى ومن طبعه أنه يرجع فى قيئه كالكلب ويأكل رجيعه وهو طويل الدم بعد الذبح وهشم الرأس يقال إنه يمكث بعد الذبح ليلة ويلقى فى النار فيتحرك ومن شأنه فى الشتاء أن لا يخرج من جحره وقد أشار إلى ذلك أمية بن أبى الصلت لما جاء إلى عبد الله بن جدعان يطلب نائله بقوله:

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك إن شيمتك الوفاء * إذا أثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء * كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح تكرمة ومجدا * إذا ما الضب أجحره الشتاء
فأرضك كل مكرمة بناها * بنو تيم وأنت لها سماء

﴿فائدة﴾ روى الدارقطنى والبيهقى وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر أن النبى ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاء أعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به إلى رحله فرأى جماعة محتفين بالنبى ﷺ فقال على من هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا الذى يزعم أنه نبى فأتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذى لهجة أكذب منك فلولا أن تسمينى العرب عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك أجمعين فقال عمر رضى الله تعالى عنه يارسول الله دعنى أقتله فقال ﷺ لا أما

علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الأعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن آمن بك آمنت بك فقال ﷺ ياضب فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربى مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يارسول رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه فقال صلى الله عليه وسلم فمن أنا ياضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فقال الأعرابى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا والله لقد أتيتك وما على وجه الأرض أحد هو أبغض إلى منك ووالله لأنت الساعة أحب إلى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداك إلى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله إلا بصلاة ولا يقبل الصلاة إلا بقرآن قال فعلمنى فعلمه النبى ﷺ سورة الفاتحة وسورة الإخلاص فقال يارسول الله ماسمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا كلام رب العالمين وليس بشعر إذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وإذا قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن وإذا قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الأعرابى إن إلهنا يقبل اليسير ويعطى الكثير ثم قال له النبى ﷺ ألك مال فقال مافى بنى سليم قاطبة رجل أفقر منى فقال ﷺ لأصحابه أعطوه فأعطوه حتى أبطروه فقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله أنا أعطيه ناقة عشراء تلحق ولا تلحق أهديت إلى يوم تبوك فقال ﷺ قد وصفت ماتعطى وأصف لك مايعطيك الله جزاء قال نعم صف يارسول الله قال ﷺ لك ناقة من درة بيضاء جوفاء قوائمها من زبرجد أخضر وعيناها من ياقوت أحمر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الأعرابى من عند رسول الله ﷺ فتلقاه ألف أعرابى على ألف دابة بألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا نريد هذا الذى يكذب ويزعم أنه نبى فقال الأعرابى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا له صبأت فحدثهم بحديثهم فقالوا كلهم لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم أتوا النبى ﷺ فقالوا يارسول الله مرنا بأمرك فقال ﷺ كونوا تحت راية خالد ابن الوليد فلم يؤمن فى أيامه ﷺ من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم (الحكم) يحل أكل الضب بالإجماع قال فى الوسيط ولا يؤكل من الحشرات إلا الضب قال ابن الصلاح فى مشكله هذا غير مرضى فإن الحشرات اليربوع والقنفذ ذكرهما الأزهرى وغيره وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قيل له أحرام هو قال لا ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه وفى سنن أبى داود لما رأى النبى ﷺ الضبين المشويين بزق فقال خالد يارسول الله أراك تقذره وذكر تمام الحديث وفى رواية لمسلم لا آكله ولا أحرمه وفى الأخرى كلوه فإنه حلال ولكنه ليس من طعامى وكل هذه الروايات صريحة فى الإباحة ولأن العرب تستطيبه والدليل عليه قول الشاعر :

أكلت الضباب فما عفتها * وإنى اشتهيت قديد الغنم * ولحم الخروف حنيذا وقد
أتيت به فاترا فى الشيم * وأما البهض وحيتانكم * فأصبحت منها كثير السقم

(كرسنة) حب فى حجم العدس إلا أنه غير مفرطح بل مضلع ولونه ما بين الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس وقال ابن سينا هو طلاء جيد للبهق والكلف والبرص ويحسن اللون ودقيقه يسمن المهازيل ويضمد بالشراب على نهش الأفاعى وعضة الكلب الكلب والإنسان الصايم (كرفس) منه برى ومنه بستانى يطيب النكهة ويهيج شهوة الباه للرجال والنساء ويوضع على العضو المرتعش يسكن قال ابن سينا البستانى يطيب النكهة ويستعمله من يشاور الملوك سرا وينفع من الجرب والقوباء وإذا لدغت العقرب آكله يشتد الأمر به فينبغى أن يتجنب أيام ظهور العقارب وعصارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا أصله يعلق على الرقبة ينفع من وجع السن بزره ينفع من الاستسقاء وعسر البول ويخرج المشيمة وإذا بخر به عند قوم سدروا وناموا وهو ينفع من وجع السن والفواق الذى عن الامتلاء (كراويا) قال ابن سينا ينفع من الرياح ويطردها وينفع من الخفقان وهو جيد لقتل الديدان والمغص الشديد (كزبرة) قال

وركبت زبدة على تمرة * فنعم الطعام ونعم الأدم * وقد نلت منها كما نلتمو
فلم أر فيها كضب هرم * وما فى التيوس كبيض الدجاج * وبيض الدجاج شفاء القرم
ومكن الضباب طعام العرب * وكاشيه منها رءوس العجم

قوله الحنيذ أى المشوى وماء الشيم بفتح الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ماء الأسنان والبهض بكسر الباء الموحدة وفتح الهاء وبالضاد المعجمة الأرز باللبن، القرم بفتح القاف وكسر الراء الرجل يشتهى اللحم والمكن بفتح الميم وإسكان الكاف وبالنون فى آخره بيض الضب والكشا جمع كشية بضم الكاف وإسكان الشين المعجمة ولا يكره أكله عندنا خلافا لبعض أصحاب أبى حنيفة وحكى القاضى عياض عن قوم تحريمه قال الإمام العلامة النووى وما أظنه يصح عن أحد انتهى وأما ماروى عن عبدالرحمن بن حسنة قال نزلنا أرضا كثيرة الضباب فأصابتنا مجاعة فطبخنا منها أى من الضباب فإن القدور لتغلى إذ جاءنا رسول الله ﷺ فقال ما هذا فقلنا ضباب أصبناها فقال إن أمة من بنى إسرائيل مسخت دواب فى الأرض وإنى أخشى أن يكون هذا منها فلم آكلها ولم أنه عنها فيحتمل أن ذلك قبل أن يعلم أن الممسوخ لا يعقب وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فوالذى نفسى بيده لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل قال ابن العربى فى عارضة الأحوذى تفكرت برهة فى وجه ضرب المثل بالضب فعرضت لى فى الخاطر معان أشبهها الآن أن الضب عند العرب يضرب به المثل للحاكم من الإنس والحاكم تأتى إليه الخلق بأجمعهم فيما يعرض من الأمور لهم فلا يتأخر أحد عنه فكان المعنى مصيرهم لذلك (الأمثال) قالوا أضل من ضب والضلال ضد الهداية وكذلك قالوا فى الورل كما سيأتى إن شاء الله تعالى وقالوا أعق من ضب قال ابن الأعرابى إنما يريدون الأنثى وعقوقها أنها تأكل أولادها وأحيا من ضب أى أطول عمرا وأجبن من ضب وأبله من ضب وأخدع من ضب قال الشاعر :

وأخدع من ضب إذا جاء حارس * أعد له عند الذبابة عقربا

وقالوا أعقد من ذنب الضب لأن عقده كثيرة * وزعموا أن بعض الحاضرة كسا أعرابيا ثوبا فقال له لا كافئتك على فعلك بما أعلمك كم فى ذنب الضب من عقدة قال لا أدرى قال فيه إحدى وعشرون عقدة (الخواص) إذا خرج الضب من بين رجلى إنسان لا يقدر بعد ذلك على مباشرة النساء ومن أكل قلبه أذهب عنه الحزن والخفقان وشحمه يذاب ويطلى به القضيب يهيج شهوة الجماع ومن أكل منه لا يعطش زمانا طويلا وخصيتاه من استصحبهما معه يحبه الخدم محبة شديدة وكعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شىء من الخيل عند المسابقة وجلده يجعل منه غلاف للسيف يشجع صاحبه وإن اتخذ ظرفا للعسل فمن لعق منه هيج شهوة الجماع ويورث إنعاظا شديدا وبعره ينفع من البرص والكلف طلاء ومن بياض العين اكتحالا ومن نزول الماء فيها (التعبير) الضب فى المنام رجل عربى خداع فى أموال الناس ومال صاحبه وقيل إنه رجل مجهول النسب وقيل إنه رجل ملعون لأنه من الممسوخ وقيل إنه يدل على الشبهة فى الكسب وقيل من رأى الضب فى المنام فإنه يمرض .

بلميناس يقلع الكزبرة بأصلها قلعا رفيقا ويعلق على فخذ صاحبة الطلق تضع فى الحال قال ابن سينا رطبه ينوم ويولد ظلمة البصر ويابسه يكسر قوة الباه ويخفف المنى وعصارته مع اللبن تسكن الضربان الشديد والإكثار منه رطبا ويابسا يخلط الذهن بزره ينفع من لسعة الزنبور يتناول منه ثلاث راحات يسكن الوجع ويزيل رائحة البصل والثوم وقال بلميناس يبخر به البيت تهرب الحيات والعقارب منه (كلواشة) حشيشة يلقى شىء منها فى الفراش تجد البراغيث كلها لا تقدر على الظهور ولا على أذى فتؤخذ حينئذ بسهولة (كمون) قالوا إن الحمام يحبه فإذا أردت أن تألف لمسكها فاطرح شيئا من الكمون قبل أن يخرج لطلب العلف فإنها تزداد حبا لمسكنها والنمل تهرب من رائحته قال ابن سينا إذا غسل الوجه بمائه صفاه وإن استكثر من أكله يورث صفرة الوجه وإذا سحق بالخل واشتم قطع الرعاف وعصارته تجلو البصر ويؤخذ الكمون والملح سواء ويجعل أقراصا ويترك فى وسط الدقيق الدرمك يبقى زمنا طويلا لا تصيبه آفة أصلا (كمأة) نبات يتولد من تحت الأرض لا بذر لها ولا عرق لكنه ينطبخ كالجواهر فى أعماق

﴿ الضبع ﴾ معروفة ولا تقل ضبعة لان الذكر ضبعان والجمع ضباعين مثل سرحان وسراحين والانثى ضبعانة والجمع ضبعانات وضباع وهذا الجمع للذكر والانثى مثل سبع وسباع كذا قاله الجوهرى وقال ابن برى قوله والانثى ضبعانة لا يعرف * وفى مسائل الضبع مسئلة لطيفة وهى أن من أصول العربية التى يطرد حكمها ولا ينحل نظمها أنه متى اجتمع المذكر والمؤنث غلب حكم المذكر على المؤنث لأنه هو الأصل والمؤنث فرع عنه إلا فى موضعين أحدهما أنك متى أردت تثنية الذكر والانثى من الضباع قلت ضبعان وأجريت التثنية على لفظ المؤنث الذى هو ضبع لا على لفظ المذكر الذى هو ضبعان وإنما فعل ذلك فرارا مما كان يجتمع من الزوائد أن لو ثنى على لفظ المذكر والموضع الثانى أنهم فى باب التاريخ أرخوا بالليالى وهى مؤنثة دون الأيام التى هى مذكرة وإنما فعلوا ذلك مراعاة للأسبق والأسبق من الشهر ليلته هذا كلامه بحروفه وقال الحريرى فى الدرة إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر إلا فى التاريخ فإنه بالعكس وإلا فى تثنية ضبع وضبعان فيقال ضبعان بفتح الضاد وضم الباء والنون مكسورة وعن ابن الانبارى أن الضبع يطلق على الذكر والانثى وكذلك حكاه ابن هشام الخضراوى فى كتابه الإفصاح فى فوائد الإيضاح للفارسى عن أبى العباس وغيره والمعروف فى المحكم وغيره ما تقدم وتصغير الضبع أضيبع لما تقدم فى أول باب الهمزة مما رواه مسلم فى باب إعطاء القاتل سلب المقتول من طريق أبى قتادة من حديث الليث فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه كلا لا يعطيه لأضيبع من قريش ويدع أسدا من أسد الله وشذ الخطابى فقال الأضيبع نوع من الطيور ومن أسماء الضبع جيل وجعار وحفصة ومن كناها أم خنور وأم طريق وام عامر وأم القبور وأم نوفل والذكر أبو عامر وأبو كلدة وأبو الهنبر وقد تقدم فى باب الهمزة أن الضبع تحيض كالارنب تقول ضحكت الارنب ضحكا أى حاضت قال الشاعر :

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الحرب يوم اللقا

يعنى الحيض فيما زعم بعضهم وقال ابن الاعرابى فى قول ابن أخت تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب لها يستهل

أى إن الضبع إذا أكلت لحوم الناس أو شربت دماءهم طمثت وقد أضحكها الدم قال الشاعر :

وأضحكت الضباع سيوف سعد * لقتلى مادفن ولا ودينا

وكان ابن دريد يرد هذا ويقول من شاهد الضباع عند حيضها حتى علم أنها تحيض وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم وهذا سهو منه فجعل كشرها ضحكا وقيل معناه أنها تستبشر بالقتلى إذا أكلتهم فتهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا وقيل أراد أنها تسر بهم فجعل السرور ضحكا لان الضحك إنما يكون منه كتسمية العنب خمرا وتستهل الذئاب تصيح وتعوى قاله ابن سيده * ومن عجيب أمرها أنها كالارنب تكون سنة ذكرا وسنة أنثى فتلقح فى حال الذكورة وتلد فى حال الانوثة نقله الجاحظ والزمخشرى فى ربيع الابرار والقزوينى فى عجائب المخلوقات وفى كتابه مفيد العلوم ومبيد الهموم وابن الصلاح فى رحلته عن ارسطاطاليس وغيرهم قال القزوينى وفى العرب قوم يقال لهم الضبعيون لوكان أحدهم فى قفل فيه ألف نفس وجاء الضبع لا يقصد أحدا سواه والضبع توصف بالعوج وليست بعرجاء وإنما يتخيل ذلك للناظر وسبب هذا التخيل لدونة فى مفاصلها وزيادة رطوبة فى الجانب الايمن على الايسر منها وهى مولعة

أن المن يقع من الهواء من غير تعب والعرب تقول إن الكمأة تبقى فى الأرض فيمطر عليها مطر الصيف فتستحيل أفاعى ومنه نوع يتولد فى ظل شجرة الزيتون يسمى القطر وهو نوع سم قاتل قال ابن سينا الكمأة يخاف منها الفالج والسكتة وماؤها يجلو العين كما هو مروى عن رسول الله ﷺ وقال غيره يورث القولنج وعسر البول (لبلاب) ويقال له حبل المساكين يلتف على الشجر ويرتقى منه خيوط دقاق وورق رقاق طوال ينفع من الصداع المزمن ورقه بالخل ينفع من الطحال قال ابن سينا لبن اللبلاب يحلق الشعر ويقتل القمل (لسان الحمل) نبات يشبه لسان الحمل فى شكله قال ابن سينا أصله يعلق على صاحب الخنازير ينفعه وطبيخ أصوله ينفع من وجع السن مضمضة والعدسة التى يكون فيها لسان الحمل بدل السلق تنفع من الصرع وقيل إنه نافع من حمى الربع (لسان العصافير) نبات يشبه لسان العصافير ورقه يدمل الجروح قال ابن سينا

ينبش القبور لكثرة شهوتها للحوم بنى آدم ومتى رات إنسانا نائما حفرت تحت راسه وأخذت بحلقه فتقتله وتشرب دمه وهى فاسقة لايمربها حيوان من نوعها إلا علاها وتضرب العرب بها المثل فى الفساد فإنها إذا وقعت فى الغنم عاثت ولم تكتف بما يكتفى به الذئب فإذا اجتمع الذئب والضبع فى الغنم سلمت لان كل واحد منها يمنع صاحبه والعرب تقول فى دعائها اللهم ضبعاً وذئبا اى أجمعهما فى الغنم لتسلم ومنه قول الشاعر :

تفرقت غنمى يوما فقلت لها * يارب سلط عليها الذئب والضبعا

قليل للأصمعى هذا دعاء لها أم عليها فقال دعاء لها وذكر ما تقدم والضبع إذا وطئت ظل الكلب فى القمر وهو على سطح وقع الكلب فأكلته وتوصف بالحمق وذلك ان الصيادين لها يقولون على باب وجارها كلمات يصيدونها بها كما تقدم فى الذيخ والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب وتلد من الذئب جرواويسمى العسبار قال الراجز :

ياليت لى نعلين من جلد الضبع * وشركا من ثفرها لاتنقطع * كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع

الثفر للسباع وكل ذات مخلب بمنزلة الحياء من الناقة (وحكمها) حل الأكل قال الشافعى رحمه الله تعالى نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع فما قويت أنيابه فعدا بها على الحيوان طالباً غير مطلوب يكون عداؤه بأنيابه علة تحريم اكله والضبع لايغتذى بالعدوى وقد يعيش بغير أنيابه وقد تقدم ذلك فى باب الهمزة فى لفظ الاسد وبحلها قال الإمام أحمد وإسحق وأبو ثور وأصحاب الحديث وقال مالك يكره أكلها والمكروه عنده ما أثم آكله ولا يقطع بتحريمه واحتج الشافعى بما روى عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يأكل الضبع وبه قال ابن عباس وعطاء وقال أبو حنيفة الضبع حرام وهو قول سعيد بن المسيب والثورى محتجين بأنه ذو ناب وقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ودليلنا ماروى عبد الرحمن بن أبى عمار قال سألت جابر بن عبد الله عن الضبع أصيد هى قال نعم قلت أتؤكل قال نعم قلت أقاله رسول الله ﷺ قال نعم أخرجه الترمذى وغيره وقال حسن صحيح وقال جابر قال رسول الله ﷺ الضبع صيد وجزاؤه كبش مسن ويؤكل رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وذكره ابن السكن ايضا فى صحاحه قال الترمذى سألت البخارى عنه فقال إنه حديث صحيح وفى البيهقى عن عبد الله بن مغفل السلمى قال قلت يارسول الله ماتقول فى الضبع قال لا آكله ولا أنهى عنه قال قلت مالم تنه عنه فإنى آكله إسناده ضعيف قال الشافعى ومازال لحم الضبع يباع بين الصفا والمروة من غير نكير وأما ماذكروه من حديث النهى عن أكل كل ذى ناب من السباع فإنه محمول على ما إذا كان يتقوى بنابه بدليل أن الارنب حلال وله ناب ولكنه ضعيف لايعدو به (الأمثال) قالوا أحمق من ضبع ومن الأمثال الشهيرة فى ذلك ماروا البيهقى فى آخر شعب الإيمان عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه سأل يونس بن حبيب عن المثل المشهور كمجير أم عامر فقال كان من حديثه أن قوما خرجوا إلى الصيد فى يوم حار فبينما هم كذلك إذ عرضت لهم أم عامر وهى الضبع فطردوها فأتعبتهم حتى ألجؤها إلى خباء أعرابى فاقتحمته فخرج إليهم الاعرابى فقال ماشأنكم فقال صيدنا وطريدتنا قال كلا والذى نفسى بيده لاتصلون إليها ماثبت قائم سبنى بيدى قال فرجعوا وتركوه فقام إلى لفحة له فحلبها وقرب إليها ذلك وقرب إليها ماء فأقبلت مرة تلغ من هذا ومرة تلغ من هذا حتى عاشت واستراحت فبينما الاعرابى نائم فى جوف بيته إذ وثبت عليه فبقرت بطنه وشربت دمه وأكلت

ويعض على قشوره بالسن الوجعة ينفعها سيما إذا كان رطبا ورقها ينفع من البواسير ويزيد فى الباه وهو ترياق السموم ويقطر ماؤه فى الأذن التى فيها دبيب يقتله ويطلى به البهق يزيله (لفاح) منه نوع أبيض الورق لاساق له يقال هو الذكر شمه كثيراً يورث السكتة ورقه يدلك به البرص أسبوعا يزيله من غير تقريح وشمه ينفع من الصداع لكنه يبلد الحواس وينوم بزره إذا خلط بكبريت لم تمسه النار اليبروح أصل اللفاح البرى وهو على صورة الإنسان الذكر كالذكر والانثى كالانثى زعموا أن من قلعه مات فإذا أرادوا ذلك شدوه إلى كلب أو حيوان خسيس حتى يمشى به ويقلعه يجعل ضمادا للأورام الصلبة والخنازير والدماميل وأوجاع المفاصل يبرئها ومن احتمل منه شيئا أسبته ويتخذ ذلك لدفع السهر قال ابن سينا من احتاج إلى قطع عضو والعياذ بالله يسقى من ذلك ثلاث لولوسات فى شراب فيسبته ولا يكون له حس عند القطع (لوبياء) نبت معروف قال ابن سينا من أكله يرى أحلاما

حشونه وتركته فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع فلم يرها فقال صاحبتى والله وأخذ سيفه وكنانته واتبعها فلم يزل حتى أدركها فقتلها وأنشأ يقول :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاقى الذى لاقى مجير ام عامر
أدام لها حين استجارت بقربه * قراها من البان اللفاح الغزائر
وأشبعها حتى إذا ما تملأت * فرته بأنياب لها وأظافر
فتلك لذوى المعروف هذا جزاء من * غدا يصنع المعروف مع غير شاكر

ومن الأمثال قال الميدانى قالوا ما يخفى هذا على الضبع يضرب للشىء يتعالمه الناس والضبع أحمق الدواب ( الخواص ) قال صاحب عين الخواص الضبع تجذب الكلاب كما يجذب المغناطيس الحديد وذلك أنه إذا كان كلب على سطح فى ليلة مقمرة مضيئة ووطئت الضبع ظله فى الأرض يقع الكلب من السطح فتأكله الضبع وشحم الضبع إذا طلى به الجسد أمن من مضرة الكلاب ومرارتها إذا يبست وسقى امرأة منها قدر نصف دانق أبغضت المجامعة وذهبت منها الشهوة وإذا اتخذ من جلد الضبع منخل ونخل به البزور وزرعت لا يضره الجراد ذكر ذلك كله محمد بن زكريا الرازى فى كتبه انتهى وقال عطارد بن محمد الضبع تهرب من عنب الثعلب فإذا طلى بعصارته الجسد أمن من مضرة الضبع وجلد الضبع إذا أمسكه إنسان لم تنبح عليه الكلاب ومرارتها يكتحل بها تنفع من ظلمة البصر والماء فى العين وتحد البصر وتقويه وعينها اليمنى تقلع وتنقع فى الخل سبعة أيام ثم تخرج منه وتجعل تحت فص خاتم فمن لبسه لم يخف سحرا ولا عينا ما دام لا بسه ومن كان به سحر فغسل ذلك الخاتم بماء ثم يسقى منه فإن السحر يذهب عنه وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر. ورأس الضبع إذا جعل فى برج كثر فيه الحمام ولسانها من أمسكه بيده اليمنى لم تنبح عليه الكلاب ولم تؤذه وحذاق العيارين يفعلون ذلك ومن خاف الضباع فليأخذ بيده أصلا من أصول العنصل فإنها تهرب منه وإذا بخر الصبى العليل سبعة أيام بشعر قفا الضبع فإنه يبرأ وإذا سقيت المرأة قضيب الضبعان مسحوقا وهى لا تعلم أذهب عنها شهوة الجماع ومن علق عليه قطعة من فرجها صار محبوبا للناس وأسنان الضبع إذا ربطت على العضد تنفع من النسيان ووجع الأسنان وإذا جلد بجلده مكيال وكيل به البذر أمن ذلك الزرع من سائر الآفات ومن غريب خواصها أن من أكل دمها ذهب عنه الوسواس ومن أمسك بيده حنظلة فرت الضباع منه وإذا طلى الجسد بشحم الضباع أمن من عقر الكلاب وقال حنين بن إسحق إذا نتف الشعر الذى فى باطن أجفان العين واكتحل بمرارة الضبع أو بمرارة ببغاء أو بمرارة سبع أو بمرارة عنز فإنه يذهب بإذن الله تعالى وقضيبه يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الجماع ولا يمل من النساء وقال غيره إذا شرب من مرارة الضبع نصف درهم بمثله عسلا نفع من سائر الأعلال التى تكون فى الرأس والعين ويمنع نزول الماء فى العين ويشد الانتشار وإن خلطت المرارة بالعسل واكتحل بها جلا العين وزادها حسنا وكلما اعتق هذا الخلط كان أجود وأحسن نفعا وقال ماسرجويه الاكتحال بمرارة الضبع ينفع من البله والدموع ومن غريب خواصها وهو ما أطبق عليه الأطباء أن شعر الفخذ اليمنى من ذكر الضباع الذى حول فقحته إذا انتف وأحرق وخلط فى زيت مسحوقا ودهن به من به بغا أبرأه وهو يحدث العلة فى السليم إذا كان الشعر من أنثى فافهم وهو عجيب مجرب مرارا عديدة (التعبير) الضبع تدل رؤيته

نبات طيب الرائحة ينبت فى الآجام والمياه القائمة فى فضائها ويغيب النهار كله ويظهر بالليل قال ابن سينا إنه منوم مسكن للصداع الحار لكنه يكمد شهوة الباه ويجمد المنى لخاصية فيه بزره يذهب البرص طلاء بالماء وأكله يضعف الباه وإذا جعل على داء الثعلب أبرأه (ماش) هو النبت المعروف قال ابن سينا إنه مضر بالباه وقال غيره يضمد به الأعضاء فيسكن وجعها ويضعف الأسنان ( مازريون ) حشيشة معروفة من البتوعات منها صغير وكبير فالكبير يشبه ورق الزيتون والأسود منها قتال جدا وجميع أصنافها يستعمل للبهق والبرش والبرص طلاء ويخلط بها الكبريت ليكون أبلغ قال ابن سينا يسقى بالشراب لنهش الهوام فإذا خلط بالسويق وجمع بماء أو زيت قتل الفأر والكلاب والخنازير والقاتل للناس درهمان وقال غيره يقتل السمك فى الماء ويدفع الاستسقاء وإذا سقى العليل منه درهم فإنه يسهله إسهالا محكما يزيل عنه الاستسقاء لكن العلاج بها خطرا جدا وذكر القاضى أبو على

على كشف الأسرار والدخول فيما لايعنى وربما دلت رؤية الذكر على الرجل الخنثى المشكل وربما دلت على عدو ظلوم مكايد مخالب وقيل الضبع امرأة قبيحة المنظر دنيئة الأصل ساحرة عجوز وقال ارطاميدورس الضبع تدل على الخديعة ومن ركبها فى المنام نال سلطانا والله أعلم ﴿أبو ضبة﴾ الدراج قاله فى المرصع وقد تقدم لفظ الدراج فى باب الدال المهملة ﴿الضرغام﴾ والضرغامة الأسد وما أحسن ماروا أبو مظفر السمعانى عن والده قال سمعت سعد بن نصر الواعظ يقول كنت خائفا من الخليفة لحادث نزل واشتد للطلب لى فاختفيت فرأيت فى النوم ليلة من الليالى كأنى فى غرفة جالس على كرسى وأنا أكتب شيئا فجاء رجل فوقف بازائى وقال أكتب ما أملى عليك وأنشدنى :

ادفع بصبرك حادث الأيام * وترج لطف الواحد العلام * لا تيأسن وأن تضايق كربها
ورماك ريب صروفها بسهام * فله تعالى بين ذلك فرجة * تخفى على الأبصار والأوهام
كم من نجى بين أطراف القنا * وفريسة سلمت من الضرغام

قال فلما أصبحت أتى الفرج وزال الخوف والحرج وفى سراج الملوك للإمام العلامة الطرطوشى عن عبدالله بن حمدون قال كنت مع المتوكل لما خرج إلى دمشق فركب يوما إلى رصافة هشام بن عبد الملك بن مروان فنظر إلى قصورها ثم خرج فرأى ديرا هناك قديما حسن البناء بين مزارع وأنهار وأشجار فدخله فبينما هو يطوف إذ أبصر رقعة قد التصقت فى صدره فأمر بقلعها فإذا فيها هذه الأبيات :

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا * تلاعب فيه شمأل ودبور * كأنك لم يسكنك بيض أوانس
ولم تتبختر فى فنائك حور * وأبناء أملاك غواشم سادة * صغيرهم عند الأنام كبير
إذا لبسوا أدراعهم فعوابس * وإن لبسوا تيجانهم فبدور * على أنهم يوم اللقاء ضراغم
وأيديهم يوم العطاء بحور * ليالى هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يادير وهو أمير
إذا الدهر عض والخلافة لدنة * وعيش بنى مروان فيك نضير
ويروى وروضك مرتاض ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الله صوب غمامة * عليك بها بعد الرواح بكور * تذكرت قومى خاليا فبكيتهم
بشجو ومثلى بالبكاء جدير * فعزيت نفسى وهى نفس إذا جرى * لها ذكر قومى أنة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم * لهم بالذى تهوى النفوس يدور * فيفرح محزون وينعم بائس
ويطلق من ضيق الوثاق أسير * رويدك أن اليوم يتبعه غد * وإن صروف الدائرات تدور

فلما قرأها المتوكل ارتاع وتطير وقال أعوذ بالله من شر أقداره ثم دعا صاحب الدير وسأله عن الرقعة ومن كتبها فقال لاعلم لى بهما اهـ * وذكر غيره أنه بعد عوده إلى بغداد لم يلبث إلا أياما قلائل حتى قتله ابنه المنتصر وقد تقدم ذكر قتله وكيفيته فى باب الهمزة فى الأوز فى ذكر الخلفاء * وذكر ابن خلكان فى تاريخه فى ترجمة على بن محمد بن أبى الحسن الشبابشتى أن الواقعة كانت للرشيد قال ولم نعرف نسبة الشبابشتى إلى أى شىء ﴿الضريس﴾ الطيهوج وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الطاء المهملة ومن أمثال العامة السائرة أكسل من الضريس لأنه يلقى رجيعه على أولاده ﴿الضغبوس﴾ ولد الثرملة وقد تقدم فى باب الثاء المثلثة أنها أنثى الثعالب ﴿الضفدع﴾ بكسر الضاد وسكون الفاء والعين المهملة بينهما دال مهملة مثال الخنصر واحد الضفادع والأنثى ضفدعة وناس يقولون ضفدع بفتح الدال قال الخليل ليس

فاجتاز عليه رجل فى دروب بغداد يبيع الجراد المقلى فاشترى منه وأكل كثيرا فانحل طبعه ثلاثة أيام ثم عاد إلى حاله وعوفى فسأله الطبيب عن حاله فذكر له أكل الجراد فقال لصاحب الجراد من أين أخذته فقال من الموضع الفلانى فذهب إليه فرأى أكثر نبته المازريون فعلم الطبيب أن الجراد قد أكل منه فنقصت قوة المازريون ثم نضجت فنقصت شيئا آخر فأكلها الرجل وقد اعتدلت فصارت سبب النجاة لمن عجز الأطباء عن علاجه إن الله على كل شىء قدير ( ماهيزهرج ) نبات له قضب دقيقة مستوبة ورقه كورق الطرخون شديد الشبه بالشبرم إلا أنه أطول فى لونه غبرة إلى صفرة يعده الناس من اليتوعات إذا طرح منه فى الغدير أسكر السمك وأطفأها وهو نافع من النقرس ووجع المفاصل والظهر ( مرزنجوش ) نبت طيب الرائحة قال ابن سينا نافع من الشقيقة والصداع وطبيخه ينفع من الاستسقاء والمغص وعسر البول ومع الخل ضمادا للسع العقارب وبزره يسقى لمن لسعه

الزنبور قدر درهم يسكن وجعه فى الحال دهنه ضماد للفالج يابسه يطلى بالعسل على كهبة الدم واخضراره خصوصا لجرب العين

فى الكلام فعلل إلا أربعة أحرف درهم وهجرع وهو الطويل وهلع وهو الأكول وبلعم وهو اسم وقال ابن الصلاح الأشهر فيه من حيث اللغة كسر الدال وفتحها فى ألسنة العامة وأشباه العامة من الخاصة وقد أنكره بعض أئمة اللغة وقال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب وحكى أيضا ضفدع بضم الضاد وفتح الدال وهو نادر وحكاه المطرزى أيضا قال فى الكفاية وذكر الضفادع يقال له العلجوم بضم العين والجيم وإسكان اللام والواو آخره ميم ويقال للضفدع أبو المسيح وأبو هبيرة وأبو معبد وأم هبيرة والضفادع أنواع كثيرة وتكون من سفاد وغير سفاد وتتولد من المياه القائمة الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقب الأمطار الغزيرة حتى يظن أنه يقع من السحاب لكثرة مايرى منه على الأسطحة عقب المطر والريح وليس ذلك عن ذكر وأنثى وإنما الله تعالى يخلقه فى تلك الساعة من طباع تلك التربة وهى من الحيوانات التى لا عظام لها ومنها ماينق ومالاينق والذى ينق منها يخرج صوته من قرب أذنه وتوصف بحدة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماء وإذا أرادت أن تنق أدخلت فكها الأسفل فى الماء ومتى دخل الماء فى فيها لاتنق وما أظرف قول بعض الشعراء وقد عوتب على قلة كلامه :

قالت الضفدع قولا * فسرته الحكماء فى فمى ماء وهل ينطق من فى فمه ماء

قال عبد القاهر والثعبان يستدل بصياح الضفدع عليه فيأتى على صياحه فيأكله وأنشد فى ذلك يقول :

يجعل فى الأشداق ماء ينصفه * حتى ينق والنقيق يتلفه

قوله ينصفه بضم الياء المثناة تحت وإسكان النون وكسر الصاد المهملة وليس المراد هنا العدل بل المراد حتى يبلغ نصف فكه الأعلى وقوله والنقيق يتلفه أراد به الضفادع إذا صاحت يتبعها الثعبان فيجىء فيأكلها وفى ذلك يقول الشاعر :

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وحية البحر الأفعى التى تكون فى البر وهى تعيش فى البر والبحر كما تقدم ويعرض لبعض الضفادع مثل مايعرض لبعض الوحوش من رؤية النار حيرة إذا رأتها وتتعجب منها إلا أنها تنق فإذا أبصرت النار سكتت ولا تزال تدمن النظر إليها وأول نشئها فى الماء أن تظهر مثل حب الدخن أسود ثم تخرج منه وهى كالدعموص ثم بعد ذلك تنبت لها الأعضاء فسبحان القادر على مايشاء ومايريد سبحانه لا إله إلا هو وفى الكامل لابن عدى فى ترجمة عبد الرحمن بن سعد بن عثمان بن سعد القرظ مؤذن النبى ﷺ عن جابر أن النبى ﷺ قال من قتل ضفدعا فعليه شاة محرما كان أو حلالا قال سفيان يقال إنه ليس شىء أكثر ذكرا لله منه وفيه فى ترجمة حماد بن عبيد أنه روى عن جابر الجعفى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ضفدعا ألقت نفسها فى النار من مخافة الله فأثابها الله بها بردا الماء وجعل نقيقها التسبيح وقال نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع والصرد والنحلة قال ولا أعلم لحماد بن عبيد غير هذا الحديث قال البخارى لا يصح حديثه وقال أبو حاتم ليس بصحيح الحديث وفى كتاب الزاهر لأبى عبد الله القرطبى أن داود عليه السلام قال لأسبحن الله الليلة تسبيحا ماسبحه به أحد من خلقه فنادته ضفدعة من ساقية فى داره ياداود تفتخر على الله بتسبيحك وإن لى لسبعين سنة ماجف لسانى من ذكر الله تعالى وإن لى لعشر ليال ماطعمت خضرا ولاشربت ماء اشتغالا بكلمتين فقال ماهما قالت يامسبحا بكل لسان ومذكورا بكل مكان فقال داود فى نفسه وماعسى أن أقول أبلغ من هذا (وروى) البيهقى فى شعبه عن أنس بن مالك أنه قال إن نبى الله داود ظ فى نفسه أن أحدا لم يمدح خالقه بأفضل مما

(نارديين) هو السنبل الرومى ورقه كورق العصفر وأغصانه صفر ملس ولا ساق له ولا زهر ولا ثمر ينبت أهداب العين إذا جعل فى الأكحل ودرهم منه ينفع من الفالج واللقوة (نانخواه) نبت معروف قال صاحب الفلاحة من علف الغنم منه فى الشتاء كثرت نطفها وولدت إناثها توأمان وازدادت أصوافها وألبانها ولم يتعرض لها القراد وكذلك نحل العسل إذا حرست منه وهو نافع من كل لدغ ولسع قال بليناس من أدام النظر إليه اصفر وجهه قال ابن سينا شربه والطلاء به يحيل اللون إلى الصفرة وهو من أدوية الهق والبرص ويعجن بالعسل لكهوبة الدم ضمادا وطبيخه يصب على لدغ العقارب يسكن ويشرب للدغ الهوام (نرجس) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شموا النرجس فامنكم إلا من له بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لايذهبها إلا شم النرجس وقال جالينوس من كان له رغيفان فليجعل أحدهما فى ثمن النرجس فإن الخبز غذاء البدن والنرجس غذاء الروح وقال صاحب الفلاحة إذا قطعت بصل

مدحه به فأنزل الله عليه ملكا وهو قاعد فى محرابه والبركة إلى جنبه فقال ياداود افهم ماتصوت به هذه الضفدعة فأنصت إليها فإذا هى تقول سبحانك وبحمدك ومنتهى علمك فقال له الملك كيف ترى فقال والذى جعلنى نبيا إنى لم أمدحه بهذا وفى كتاب فضل الذكر لجعفر بن محمد بن الحسن الغربانى الحافظ العلامة عن عكرمة أنه قال صوت الضفدع تسبيح وفيه أيضا عن الأعمش عن أبى صالح أنه سمع صوت صرير باب فقال هذا منه تسبيح ﴿فائدة﴾ قال الرئيس ابن سينا إذا كثرت الضفادع فى سنة وزادت عن العادة يقع الوباء عقبها وقال القزوينى الضفادع تبيض فى الرمل مثل السلحفاة وهى نوعان جبلية ومائية ونقل الزمخشرى فى الفائق عن عمر ابن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه قال سأل رجل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فيما يرى النائم رجلا كالبلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع له خرطوم نحرطوم البعوضة قد أدخله فى منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس له فإذا ذكر الله خنس وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذا أيضا فى لفظ الكركى من كلام السهلى (الحكم) يحرم أكلها للنهى عن قتلها وروى البيهقى فى سننه عن سهل بن سعد الساعدى أن النبى ﷺ نهى عن قتل خمسة النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد وفى مسند أبى داود الطيالسى وسنن أبى داود والنسائى والحاكم عن عبد الله بن عثمان التيمى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن طبيبا سأله عن ضفدع يجعلها فى دواء فنهاه صلى الله عليه وسلم عن قتلها فدل على أن الضفدع يحرم أكلها وأنها غير داخلة فيما أبيح من دواب الماء وقال بعض الفقهاء إنما حرم الضفدع لأنه كان جار الله فى الماء الذى كان عليه العرش قبل خلق السموات والأرض قال تعالى وكان عرشه على الماء * روى ابن عدى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح قال السلمى سألت الدارقطنى عنه فقال إنه ضعيف ﴿قلت﴾ الصواب أنه موقوف على عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قاله البيهقى وقد تقدم فى الخطاف قال الزمخشرى إنها تقول فى نقيقها سبحان الملك القدوس وعن أنس لاتقتلوا الضفادع فإنها مرت بنار إبراهيم عليه السلام فحملت فى أفواهها الماء وكانت ترشه على النار وفى شفاء الصدور لابن سبع من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتقتلوا الضفادع فإن نقيقهن تسبيح * ومن أحكامه . أنه ينجس بالموت كغيره من الحيوان الذى لايؤكل ونقل فى الكفاية عن الماوردى حكاية وجه أنه لاينجس بالموت وغلطه شيخنا فى النقل عنه وقال لاذكر لهذا الوجه فى الحاوى ولا فى غيره من كتبه اه وإذا ماتت فى ماء قليل قال النووى إن قلنا لاتؤكل نجسته بلا خلاف وحكى الماوردى فى نجاسته قولين أحدهما ينجس كما ينجس بسائر النجاسات والثانى يعفى عنه كدم البراغيث والأصح الأول ولما قدم وفد اليمامة على أبى بكر رضى الله تعالى عنه بعد قتل مسيلمة قال لهم ما كان صاحبكم يقول فاستعفوه من ذلك فقال لتقولن قالوا كان يقول ياضفدع ابنة ضفدعين كم تنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين (الأمثال) قالوا أنق من ضفدع قال الأخطل :

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وقد تقدم ذكره وهو قولهم : على أهلها دلت براقش وهى كلمة سمعت وقع حوافر الدواب

نظره على النرجس حالة المجامعة تنعقد شهوته عقدا لاينحل وإذا وضعت بصلة على الجراحة التأمت شقوقها وقال ابن سينا إنه يخرج الشوك والسلاء سيما مع دقيق السلم والعسل زهره يحلو الكلف والهق وينفع من الصداع وأكله يهيج القىء وإذا شرب منه أربعة دراهم مع ماء العسل أسقط الأجنة الأموات (نسرين) قال ابن سينا البستانى منه يقتل ديدان الأذن وينفع من الطنين والدوى وأوجاع الأسنان والبرى منه يطلى به الجبهة يسكن الصداع وينفع من الفواق (نعنع) قال ابن سينا إنه يقوى المعدة ويسكن الفواق ويعين على الباه والمرأة إذا احتملته قبل الجماع يمنع الحبل ويضمد به الجبهة ينفع من الصداع ومن عضة الكلب الكلب عصارته بالخل تمنع سيلان الدم من الباطن وقال غيره إذا شرب بالخل يحرك شهوة الباه ويقوى المعدة ويسكن الفواق والامتلاء (هليون) حشيشة لها ورق وبزره منه جبلى ومنه سهلى قال ابن سينا ورقه يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعرق النسا وهو نافع من

فبحث فاستدلوا بنباحها على القبيلة فاستباحوهم قال حمزة بن بيض :

لم يكن عن جناية لحقتنى * لا يسارى ولا يمينى جنتنى

بل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها براقش تجنى

(الخواص) قال ابن جميع فى كتابه الإرشاد لحوم الضفادع تغثى النفس وتورث إسهالا دمويا فيتغير منه لون البدن ويرمى ويختلط العقل وقال صاحب عين الخواص شحم الضفادع الآجامية إذا وضع على الأسنان قلعها من غير وجع وعظم البرى إذا وضع على رأس الفدر منعها من الغليان وإذا يبس ضفدع فى الظل ودق وطبخ مع خطمى وطلى به بعد طلى النورة والزرنيخ لم ينبت عليه الشعر بعد ذلك والضفدع إذا طرح وهو حى فى الشراب الصرف مات فإذا أخرج والقى فى ماء صاف عاش * ونقل عن محمد بن زكريا الرازى أن رجل الضفدع إذا علقت على من به النقرس سكن وجعه انتهى وإذا أخذت المرأة ضفدع الماء وفتحت فاه وبصقت فيه ثلاث مرات ثم ردته إلى الماء فإنها لا تحبل وإذا مسحت الفدر من ظاهرها بشحمه وأوقد تحتها ما عسى أن يوقد لم تغل أبدا وإذا رضخت الضفدع وجعلت على لسعة الهوام أبرأتها من وقتها * ومن خواصه العجيبة أنه إذا شق نصفير من رأسه إلى أسفله وامرأة تنظر إليه غلبت شهوتها وكثر ميلها إلى الرجال وإذا علق لسانه على امرأة نائمة أخبرت بكل ما عملت فى اليقظة وإذا جعل لسانه فى خبز وأطعم لمن اتهم بالسرقة فإنه يقر بها ودمه يطلى به الموضع الذى نتف شعره لم ينبت أبدا ومن لطخ به وجهه أحبه الناس وإذا وضع على اللثة أسقط السن بلا تعب قال القزوينى ولقد كنت فى الموصل ولنا صاحب فى بستان بنى مجلسا وبركة تولدت فيها الضفادع وتأذى سكان المكان بنقيقها وعجزوا عن إبطاله حتى جاء رجل فقال اجعلوا طشتا على وجه الماء مقلوبا ففعلوا فلم يسمع لها نقيق بعد ذلك وقال محمد بن زكريا الرازى إذا وضع سراج فى طاس وجعل فوق الماء أو فى قناة فيها أصوات الضفادع سكنت ولا يسمع لها صوت البتة (التعبير) الضفدع فى المنام رجل عابد مجتهد فى طاعة الله لأنه صب الماء على نار نمرود والضفادع الكثيرة عذاب لأنها من آيات موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع الآية وقالت النصارى من رأى أنه مع الضفادع حسنت عشرته مع أقربائه وجيرانه ومن أكل لحم ضفدع فى منامه نال مشقة وقال أرطاميدورس الضفادع فى المنام تدل على الخداعين والسحرة وقال جاماست من كلم ضفدعا فى المنام نال ملكا ومن رأى الضفادع خرجت من مدينة خرج منها العذاب والله أعلم ﴿ الضوع ﴾ بضاد معجمة مضمومة وواو مخففة مفتوحة وعين مهملة فى آخره قال النووى الأشهر انه من جنس الهوام وقال الجوهرى أنه طائر من طير الليل من جنس الهوام وقال المفضل وهو ذكر البوم وجمعه أضواع وضيعان * وأصح القولين تحريم اكله كما صرح به فى شرح المهذب قال الرافعى هذا يقتضى أن الضوع ذكر البوم وذكر ما تقدم ثم قال فعلى هذا إن كان فى الضوع قول لزم إجراؤه فى البوم لأن الذكر والأنثى من الجنس الواحد لا يفترقان قال النووى قلت الأشهر أن الضوع من جنس الهوام فلا يلزم اشتراكهما فى الحكم وحكمه تحريم الأكل على الأصح كما صرح به فى شرح المهذب ﴿ الضيب ﴾ شىء من دواب البحر على هيئة الكلب وخلقته قاله ابن سيده ﴿ الضئيلة ﴾ الحية الدقيقة قاله الجوهرى وقد تقدم لفظ الحية فى باب الحاء المهملة ﴿ الضيون ﴾ بفتح الضاد والواو وإسكان الياء المثناة تحت بينهما وبالنون فى آخره الهر الذكر والجمع ضياون قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

القولنج الريحى أصله يطبخ ويشرب وينفع من وجع الظهر وعسر البول وعسر الحبل ويزيد فى الباه وفى مادة المنى بزره جيد لوجع الضرس ويدر الطمث ويضر بالمعدة ومن الحكايات العجيبة ما حكى لى صديق أربلى أن بجبال أربل هليونا كثيرا وكان عامل تلك الناحية يتخذ منه كل سنة شرابا يبعثه الى صاحب الاربل فوقع الأكراد الحرامية على القافلة ونهبوهم ورأوا آنية الشراب فحسبوا أنها عسل فأكلوا منها وأفرطوا فغلبهم الإسهال حتى ضعفوا وعجزوا عن الحركة فمر عليهم بعض المارين فلما رآهم على تلك الحالة أخبر صاحب الاربل بحالهم فبعث إليهم من حملهم إلى أربل مطروحين على الدواب فاستقبل الناس دخولهم يضحكون بهم ويقولون هم سكارى هليون (هندبا) قال على كرم الله وجهه ورضى عنه فى كل ورقة من الهندبا وزن حبة من ماء الجنة قال ابن سينا يضمد به النقرس ينفعه وينفع من الرمد الحار ولبن الهندبا البرى يحلو بياض العين أصله مع ورقه ضمادا للسع العقرب والحية والزنبور وسام أبرص وينفع من حمى الربع (ورس)

بريد كأن الشمس فى حجراته * نجوم الثريا أو عيون الضياون

وقالت العرب أدب من الضيون وهو من الديب قال الشاعر :

يدب الليل لجاراته * كضيون دب إلى قرنب

القرنب الفأر وقالوا أصيد من ضيون والله أعلم وأزنى وأنزى من ضيون ﴿خاتمة﴾ قال الصقلى ليس فى الأسماء شىء فيه ياء ساكنة بعدها واو مفتوحة إلا ثلاثة أسماء حيوة وضيون وكيوان وهو زحل وقد ذكر أهل الهيئة أن دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق تتم فى تسع وعشرين سنة وثمانية أشهر وستة أيام وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم وزعموا أن النظر إليه يفيد غما وحزنا كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحا وسرورا والله أعلم

﴿باب الطاء المهملة﴾

﴿طامر بن طامر﴾ البرغوث والخسيس من الناس ويقال للخامل الذى لا يعرف هو طامر ابن طامر ﴿الطاوس﴾ طائر معروف وتصغيره طويس بعد حذف الزوائد وكنيته أبو الحسن وأبو الوشى وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزا وحسنا وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه والأنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وفى ذلك الأوان يكمل ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الأنثى مرة واحدة فى السنة اثنتى عشر بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعا ويسفد فى أيام الربيع ويلقى ريشه فى الخريف كما يلقى الشجر ورقه فإذا بدا طلوع الأوراق فى الشجر طلع ريشه وهو كثير العبث بالأنثى إذا حضنت وربما كسر البيض ولهذه العلة يحضن بيضه تحت الدجاج ولا تقوى الدجاجة على حضن أكثر من بيضتين منه وينبغى أن تتعاهد الدجاجة بجميع ما تحتاج إليه من الأكل والشرب مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ الذى يخرج من حضن الدجاجة يكون قليل الحسن ناقص الخلق وناقص الجثة ومدة حضنه ثلاثون يوما وفرخه يخرج من البيضة كالفروج كاسيا كاسبا وقد أحسن الشاعر فى وصفه حيث قال :

سبحان من من خلقه الطاوس * طير على أشكاله رئيس

كأنه فى نقشه عروس * فى الريش منه ركبت فلوس

تشرق فى داراته شموس * فى الرأس منه شجر مغروس

كأنه بنفسج يميس * أو هو زهر حرم يبيس

وأعجب الأمور أنه مع حسنه يتشاءم به وكان هذا والله أعلم أنه لما كان سببا لدخول إبليس الجنة وخروج آدم منها وسببا لخلو تلك الدار من آدم مدة دوام الدنيا كرهت إقامته فى الدور بسبب ذلك (حكى) أن آدم لما غرس الكرمة جاء إبليس فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت أوراقها ذبح عليها قردا فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها أسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيرا فشربت دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة وذلك أنه أول ما يشربها وتدب فى أعضائه يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطاوس فإذا جاءت مبادى السكر لعب وصفق ورقص كما يفعل القرد فإذا قوى سكره جاءت الصفة الأسدية فيعبث ويعربد ويهذى بما لا فائدة فيه ثم يتقعص كما يتقعص الخنزير ويطلب النوم وتنحل عرى قوته ﴿فائدة﴾ طاوس بن قيسان فقيه اليمن كان اسمه ذكوان فلقب بطاوس لأنه كان طاوس القراء والعلماء

ثبت يزرع باليمن يشبه السمسم فإذا جف عند إدراكه تفتقت خريطته فينفض منها الورس ويزرع نبته يبقى عشرين سنة ينفع من الكلف والنمش طلاء فإذا شرب نفع من الوضح وفتت الحصا (يقطين) هو القرع إذا أردت أن يعظم القرع فدع بزره على الأرض معكوسا عند الزرع وقال على رضى الله عنه إذا طبختم اللحم فأكثروا القرع فيه فإنه يسلى القلب الحزين ومن خواصه أن الذباب لا يقع على شجرته ولما خرج يونس عليه الصلاة والسلام من بطن الحوت أنبت الله تعالى عليه شجرة من يقطين لدفع الذباب حتى صلبت بشرته والله الموفق للصواب وليكن هذا آخر مقالة النبات والله تعالى أعلم

﴿النظر الثالث فى الحيوان﴾

أما الحيوان ففى المرتبة الثالثة من الكائنات وأبعد المولدات عن الأمهات لأن المرتبة الأولى للمعادن وهى باقية على الجمادية لقربها من البسائط والمرتبة الثانية للنبات فإنها متوسطة بين المعادن والحيوان بحصول النشور والنمو وفوات الحس والحركة والمرتبة الثالثة للحيوان فإنه قد جمع بين النشور والنمو والحس والحركة وهذه قوى موجودة فى جميع أفراد الحيوان حتى فى الذباب والبعوض أما

وقيل اسمه طاوس وكنيته ابو عبد الرحمن كان رأسا فى العلم والعمل من سادات التابعين أدرك خمسين صحابيا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وسمع ابن عباس وأبى هريرة وجابر بن عبد الله وعبد الله ابن الزبير وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار وعمرو بن شعيب ومحمد بن شهاب الزهرى وآخرون * قال بن الصلاح فى رحلته روينا عن الزهرى أنه قال قدمت على عبد الملك بن مروان فقال من أين قدمت يازهرى قلت من مكة قال فمن خلفت بها يسود أهلها قال قلت عطاء بن أبى رباح قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى قال فبم سادهم قلت بالديانة والرواية فقال إن أهل الديانة والرواية ينبغى أن يسودوا الناس قال فمن يسود أهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى قال فبم سادهم قلت بما سادهم به عطاء قال من كان كذلك ينبغى أن يسود الناس قال فمن يسود أهل مصر قلت يزيد بن أبى حبيب قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال فى الأولين ثم قال فمن يسود أهل الشأم قلت مكحول الدمشقى قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى عبد نوبى أعتقته امرأة من هذيل فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل الجزيرة قلت ميمون بن مهران قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل خراسان قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب أم من الموالى قلت من الموالى فقال كما قال ثم قال فمن يسود أهل البصرة قلت الحسن ابن أبى الحسن قال من العرب أم من الموالى قلت من الموالى قال ويلك فمن يسود أهل الكوفة قلت إبراهيم النخعى قال من العرب أم من الموالى قلت من العرب قال ويلك يازهرى فرجت عنى والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر وإن العرب تحتها قال قلت ياأمير المؤمنين إنما هو أمر الله ودينه فمن حفظه سادو من ضيعه سقط * ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس إن أردت أن يكون عملك خيرا كله فاستعمل أهل الخير قال عمر كفى بها موعظة * وروى ابن أبى الدنيا بسنده عن طاوس أنه قال بينا أنا بمكة استدعانى الحجاج فأتيته فأجلسنى إلى جانبه وأتكأ على وسادة فبينما نحن نتحدث إذ سمع صوتا عاليا بالتلبية فقال على بالرجل فأحضر فقال له ممن الرجل قال من المسلمين فقال إنما سألتك عن البلد والقوم قال من أهل اليمن فقال كيف تركت محمد بن يوسف يعنى أخاه وكان واليا على اليمن فقال تركته جسيما وسيما لباسا حريرا ركابا خراجا ولاجا فقال إنما سألتك عن سيرته فقال تركته غشوما ظلوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق قال أتقول فيه هذا وقد علمت مكانه منى فقال الرجل أتراه بمكانه منك أعز من مكانى من ربى وأنا مصدق نبيه صلى الله عليه وسلم ووافد بيته فسكت الحجاج وذهب الرجل من غير إذن قال طاوس فتبعته فقلت الصحبة فقال لا حبا ولا كرامة ألست صاحب الوسادة الآن وقد رأيت الناس يستفتونك فى دين الله قلت إنه أمير مسلط أرسل لى فأتيته كما فعلت أنت قال فما ذاك الاتكاء على الوسادة فى رخاء بال هلا كان لك من واجب نصحه وقضاء حق رعيته بوعظه والحذر من بوائق عسفه وتخلى نفسك من ساعة الأنس به ما يكدر عليك تلك الطمأنينة قلت أستغفر الله وأتوب إليه ثم أسألك الصحبة فقال غفر الله لك إن لى مصحوبا شديد الغيرة على فلو أنست بغيره رفضنى ثم تركنى وذهب * وفى تاريخ بن خلكان عن عبد الله الشامى قال أتيت طاوسا فخرج إلى شيخ كبير فقلت أنت طاوس فقال أنا ابنه فقلت إن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف قال إن العالم لا يخرف فدخلت عليه فقال أتحب أن أجمع لك التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فى مجلسى هذا قلت نعم فقال خف الله مخافة لا يكون عندك شىء أخوف منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك

الحس فلأن الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوانات متعرضة للآفات المفسدة لها والمهلكة إياها فاقتضت الحكمة الإلهية لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافى فتدفعه عن نفسها إذا أحست بألم فلولا هذه القوة لما أحس الحيوان بالجوع إلى أن مات بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان إذا نام فأصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فإذا هو بلا يد ولا رجل وأما الحركة فإن الحيوان لما كان محتاجا إلى الغذاء ولم يكن غذاؤه يخفه فى جميع الأوقات اقتضت الحكمة الإلهية آلات الحركة ليتحرك بها إلى الغذاء ولولا القوة لاحتاج الحيوان إلى الغذاء ولم يقدر على المشى إليها فمات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف ولكان إذا أصابه آفة من حرق أو غرق بقى على مكانه حتى أدركه الغرق أو الحرق ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الإلهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه (فمنها) ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والأسد والجاموس (ومنها) ما يسلم من عدوه بالفرار فأعطى آلة الفرار كالظباء والأرانب والطيور

ومقتضى الحكمة الإلهية أن الله تعالى خلق لكل حيوان من الأعضاء مايتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لازائدا ولاناقصا ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة * روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق فى الأرض ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة منها فى البر وقال بعض المفسرين من أراد أن يعرف معنى قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون فليوقد نارا فى وسط غيطه بالليل ثم لينظر مايغشى تلك النار من أنواع الحيوان فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا منها فى العالم على أن الذى يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فإن سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها وما يعلم جنود ربك إلا هو فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لاإله إلا هو سبحانه ولنذكر الآن بعض أنواع الحيوان وعجائبها وخواصها إن شاء الله تعالى (النوع الأول فى حقيقة الإنسان والنظر فيه فى أمور

إياه وأحب لأخيك ماتحب لنفسك وقالت امرأة مابقى أحد إلا فتنته إلا طاوسا فإنى تعرضت له فقال لى إذا كان وقت كذا فتعالى قالت فجئت ذلك الوقت فذهب بى إلى المسجد الحرام وقال اضطجعى فقلت ههنا فقال الذى يرانا ههنا يرانا فى غيره فتابت المرأة وقال لايتم نسك الشاب حتى يتزوج وكان طاوس يقول مامن شىء يتكلم به ابن آدم إلا أحصى عليه حتى أتيته فى مرضه وقال لقى عيسى بن مريم عليه السلام إبليس فقال أما علمت أنه لايصيبك إلا ماقدر لك قال نعم قال إبليس فارق إلى ذروة هذا الجبل وتردمنها فانظر أتعيش أم لا فقال له عيسى عليه السلام أما علمت أن الله قال لايختبر نى عبدى فإنى أفعل ماشئت إن العبد لايبتلى ربه ولكن الله يبتلى عبده قال طاوس فخصمه * وكان يقول صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم وروى أبو داود الطيالسى عن زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه أنه قال من لم يدخل فى وصية لم تنله بلية ومن لم يتول القضاء بين الناس لم ينله جهد البلاء وروى أحمد عنه فى كتاب الزهد أنه قال إن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعة أيام فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام قال وكان من دعاء طاوس اللهم ارزقنى الإيمان والعمل ومتعنى بالمال والولد روى عنه الحافظ أبو نعيم وغيره أنه قال كان رجل له أربعة بنين فمرض فقال أحدهم إما أن تمرضوه وليس لكم من ميراثه شىء وإما أن أمرضه وليس لى من ميراثه شىء فقالوا من أمرضه وليس لك من ميراثه شىء فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيئا فأتى إليه فى النوم فقال له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال فى نومه أفيها بركة فقال لا فأصبح فذكر ذلك لامرأته فقالت خذها فإن من بركتها أن تكتسى منها وتعيش فأبى فلما أمسى أتى له فى النوم فقال له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قال لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالها الأولى فأبى أن يأخذها فأتى له فى الليلة الثالثة فقال له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا قال أفيه بركة قال نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به إلى السوق فإذا هو برجل يحمل حوتين فقال له بكم هما فقال بدينار فأخذهما منه بالدينار وانطلق بهما إلى منزله فشق بطونهما فوجد فيهما درتين لم ير الناس مثلهما قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد إلا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك قال ماتصلح هذه إلا بأخت أطلبوا أختها وإن أضعفتم ثمنها فجاؤا إليه فقالوا له أعندك أختها ونحن نعطيك ضعف ماأعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم فأعطاهم إياها بضعف ما أخذوا به الأولى * توفى طاوس وهو ابن بضع وسبعين سنة حاجا بمكة قبل يوم التروية بيوم وصلى عليه هشام بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين وذلك فى سنة ست ومائة وحج أربعين حجة وكان مجاب الدعوة (الحكم) يحرم أكل لحم الطاوس لخبث لحمه وقيل يحل لأنه لايأكل المستقذرات واللحوم وعلى الوجهين يصح بيعه إما لحل أكله وإما للتفرج على لونه وقد تقدم فى الصيد أن أبا حنيفة قال لايقطع سارق الطيور لأن أصلها على الإباحة وخالفه الشافعى ومالك وأحمد وغيرهم فى ذلك (الأمثال) قالوا أزهى من طاوس وأحسن من طاوس قال الجوهرى وقولهم أشأم من طويس هو مخنث كان بالمدينة قال ياأهل المدينة توقعوا خروج الدجال مادمت حيا بين ظهرانيكم فإذا مت فقد أمنتم لأنى ولدت فى الليلة التى مات فيها النبى ﷺ وفطمت فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر وبلغت الحلم فى اليوم الذى قتل فيه عمر وتزوجت فى اليوم الذى قتل فيه عثمان وولدلى فى اليوم الذى قتل فيه على وذكر ابن خلكان أن سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة أن أحص المخنثين قبلك فوقعت على الحاء نقطة فأمر بالمخنثين فخصوا وخصى طويس من جملتهم فلما خصوهم أظهروا الفرح بذلك حتى قال أحدهم

ما كان أغنانا عن سلاح لانقاتل به وقال آخر وهو طويس أف لكم ماسلبتمونى إلا ميزاب بول انتهى وكان طويس اسمه طاوس فلما تخنث جعلوه طويسا ويسمى بعبد النعيم وقال فى نفسه

إننى عبد النعيم * أنا طاوس الجحيم وأنا أشأم من يـ * ـمشى على ظهر الحطيم

أنا حاء ثم لام * ثم قاف حشو ميم

عنى بقوله حشو ميم الياء لأنك إذا قلت ميم وقعت بين الميمين ياء يريد أنه حلق وأراد بالحطيم الأرض فكأنه قال أنا أشأم الناس توفى طويس فى سنة اثنتين وتسعين من الهجرة (الخواص) لحم الطاوس عسر الهضم ردىء المزاج وأجوده الحديث ينفع المعدة الحارة وسلقه قبل طبخه بالخل يدفع ضرره وهو يولد كيموسا غليظا يوافق الأمزجة الحارة وقد كرهت الحكماء لحوم الطواويس وقالوا إنها أغلظ لحوم جميع الطيور وأعسرها انهضاما ويجب أن يذبح ويبيت مثقلا ويطبخ وينضج ويمنع منه أصحاب الترفه والرفاهية فإنه من أغذية أصحاب الرياضة قال ابن زهر فى خواصه إن الطاوس إذا رأى طعاما مسموما أو شم رائحته فرح ونشر جناحيه ورقص وبان منه السرور ومرارته إذا سقى منها المبطون بالسكنجبين والماء الحار أبرأه ونقل عن هرمس أن مرارته إذا شربت بخل نفعت من لدغ الهوام لكن قال صاحب عين الخواص قالت الحكماء وأطهورس إن مرارة الطاوس إن سقى منها إنسان جن قال وقد جربته وقال هرمس إن خلط دم الطاوس بالأنزروت والملح وطلى به القروح الرديئة الرطبة التى يخاف منها الآكلة أبرأها وزبله إن طلى به الثآليل قلعها وعظامه إذا أحرقت وسحقت وطلى بها الكلف أبرأته بإذن الله تعالى (التعبير) الطاوس تدل رؤيته على التيه والعجب بالحسن والجمال لمن ملكه وربما دلت رؤيته على النميمة والغرور والكبر والانقياد إلى الأعداء وزوال النعم والخروج من النعيم إلى الشقاء ومن السعة إلى الضيق وربما تدل رؤيته على الحلى والحلل والتاج والأزواج الحسان والأولاد الملاح وقال المقدسى الطاوس فى المنام امرأة عجمية ذات مال وجمال لكنها مشئومة الناصية والذكر من الطواويس ملك أعجمى فمن رأى أنه يواخى الطواويس فإنه يواخى ملوك العجم وينال منهم جارية نبطية وقال ارطاميدورس الطواويس فى الرؤيا تدل على أقوام صباح الوجوه ضحاك السن وقيل الطاوس امرأة أعجمية غير مسلمة والله أعلم ﴿الطائر﴾ واحد الطيور والأنثى طائرة وهى قليلة وجمع الطير أطيار وطيور والطيران حركة ذى الجناحين فى الهواء بجناحيه قال الله تعالى ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ أى فى الخلق والرزق والحياة والموت والحشر والمحاسبة والاقتصاص من بعضها لبعض كما تقدم فإذا كان يفعل هذا بالبهائم فنحن أحرى إذ نحن مكلفون عقلا وقيل أمم أمثالكم فى التوحيد والمعرفة قاله عطاء وقوله بجناحيه تأكيد وإزالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة فقد يقال طائر للنحس والسعد وقال الزمخشرى الغرض من ذكر ذلك الدلالة على عظيم قدرة الله ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة والأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها ومهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن روى أحمد بإسناد صحيح عن أنس أن النبى ﷺ قال طير الجنة كأمثال البخت ترعى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير لناعمة قال ﷺ آكلها أنعم منها قالها ثلاثا وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكلون منها ورواه الترمذى بنحو هذا اللفظ وقال إنه حسن وروى البزار عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال إنك لتنظر إلى الطير فى الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا وفى أفراد مسلم

أن الإنسان مجموع مركب من النفس والبدن وأنه أشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ركبه الله تعالى فى أحسن صورة روحا وبدنا وخصصه بالنطق والعقل سرا وعلنا وزين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وباطنه بالقوى ما هو أشرف وأقوى وهيأ للنفس الناطقة الدماغ وأسكنه أعلى محل وأوفق رتبة وزينه بالفكر والذكر والحفظ وسلط عليه الجواهر العقلية لتكون النفس أميرا والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك بريده والأعضاء خدمه والبدن محل مملكته والحواس يسافرون فى جميع الأوقات فى عالمهم ويلتقطون الأخبار الموافقة والمخالفة ويعرضونها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس على باب المدينة وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف فمن هذا الوجه فالإنسان عالم صغير ومن حيث إنه يتغذى وينمو قالوا نبات ومن حيث إنه يحس ويتحرك قالوا حيوان ومن حيث إنه يعلم حقائق الأشياء قالوا ملك فصار

مجمعا لهذه المعانى فإذا صرف همته إلى جهة من هذه الجهات ليلتحق بها فإن

كان قد صرف همته إلى الجهة الطبيعية فيكون راضيا من أمر دنياه بالتغذى وتنقية الفضول وإن كان إلى الحيوانية فيكون إما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر أو شرها كخنزير أو جزعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذاروغان كثعلب أو بجمع هذا كله فيكون شيطانا مريدا وإن كان صرف همته إلى الجهة الملكية فيكون متوجها إلى العالم الأعلى ولا يرضى بالمنزل الأسفل والمربع الأدنى فيكون مرادا من قوله عز وجل وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والله الموفق للصواب (النظر الثانى فى النفس الناطقة) قالوا هو كمال أول النفس الطبيعى إلى جهة مايعقل من الأمور الكلية * واعلم أن الإنسان حال مايكون شديد الاهتمام بالشىء يقول قلت كذا وفعلت كذا وهو فى هذه الحالة عالم بذاته غافل عن جميع أعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم فى هذه الحالة هو النفس وأنه متقلد لهذه التكاليف متعرض لخطر الثواب والعقاب باق بعد الموت إما فى نعيم وسعادة كما قال الله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإما فى جحيم وشقاوة كما قال عز وجل من قائل « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا »

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل افئدة الطير قال النووى قيل مثلها فى وقتها وضعفها كالحديث الآخر أهل اليمن أرق قلوبا وأضعف أفئدة وقيل فى الخوف والهيبة لأن الطير أكثر الحيوان خوفا وفزعا كما قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وكأن المراد قوم غلب عليهم الخوف كما جاء عن جماعات من السلف من شدة خوفهم وقيل المراد متوكلون وقيل الطائر ما تيامنت به أو تشاءمت به وأصله فى ذى الجناح وقالوا طائر الله لا طائرك فرفعوه على إرادة هذا طائر الله وفيه معنى الدعاء وطائر الإنسان عمله الذى قلده وقيل رزقه والطائر الحظ من الخير والشر وقوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه قيل حظه وقال المفسرون ماعمل من خير أو شر ألزمناه عنقه فلكل امرئ حظ من الخير والشر قد قضاه الله تعالى فهو ملازم عنقه وإنما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى له الطائر بكذا من الشر على طريق الفأل وفى سنن أبى داود وغيرها عن أبى رزين قال: قال رسول الله ﷺ الرؤيا على جناح طائر مالم تعبر فإذا عبرت وقعت قال وأحسبه قال ولا تعبرها إلا على ذى ود أو ذى رأى (وذكر ابن خلكان) أن موسى بن نصير أمير بلاد المغرب وفد على الوليد بن عبد الملك بعد أن فتح الغرب إلى البحر المحيط إلى طليطلة التى تحت بنات نعش فأخبره بالفتح وقدم معه بمائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام التى وجدت فى طليطلة وكانت مصوغة من الذهب والفضة وعليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكان قد حملها على بغل قوى فما سار إلا قليلا حتى تفسخت قوائمه لعظمها وقدم معه أيضا بتيجان ملوك اليونان مكللة بالجواهر وثلاثين ألف رأس من الرقيق قال وكان اليونان وهم أهل الحكمة يسكنون بلاد المشرق قبل الإسكندرية فلما ظهرت الفرس وزاحمت اليونان على ما بأيديهم من الممالك انتقلوا إلى جزيرة الأندلس لكونها طرفا من آخر العمارة ولم يكن لها ذكر ولا ملكها أحد من الملوك المعتبرة ولا كانت عامرة كلها وكان أول من عمرها واختط فيها أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام فسميت باسمه ولما عمرت الأرض بعد الطوفان كانت صورة المعمور منها عندهم على شكل طائر رأسه المشرق وذنبه المغرب وجناحاه الشمال والجنوب وبطنه ما بينهما فكانوا يزدرون المغرب لنسبته إلى أخس أجزاء الطائر وكان اليونان لا يرون فناء الأمم بالحروب لما فيه من الأضرار والاشتغال عن العلوم التى أمرها عندهم أهم الأمور فلذلك انحازوا من بين يدى الفرس إلى الأندلس فعمروها وشقوا أنهارها وبنوا المعاقل وغرسوا الجنان والكروم وملئوها حرثا ونسلا فعظمت وطابت حتى قال قائلهم لما رأى بهجتها إن الطائر الذى صورت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبه كان طاوسا لأن معظم جماله فى ذنبه ولما كملت اليونان عمارة جزيرة الأندلس جعلوا دار الحكمة والملك فيها مدينة طليطلة لأنها وسط البلاد قيل إن الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة أعضاء على أدمغة اليونان وأيدى أهل الصين وألسنة العرب وفى كفاية المعتقد لشيخنا الإمام العارف جمال الدين اليافعى رحمه الله أن الشيخ العارف بالله تعالى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى دخل فى أيام بدايته مدرسة بديار مصر فوجد شيخا بقالا يتوضأ من بركة ماء فيها بغير ترتيب فقال له ياشيخ أنت فى هذا السن وفى مثل هذا البلد ولا تحسن الوضوء فقال له ياعمر مايفتح عليك بمصر فجاء إليه وجلس بين يديه وقال ياسيدى ففى أى مكان يفتح على قال بمكة فقال له ياسيدى وأين مكة فقال له هذه وأشار بيده نحوها فكشف له عنها وأمره الشيخ بالذهاب إليها فى ذلك الوقت فوصل إليها فى الحال وأقام بها اثنتى عشرة سنة ففتح عليه ونظم فيها ديوانه المشهور ثم بعد مدة سمع الشيخ المذكور يقول تعال

(وروى) أن رسول الله ﷺ قال فى يوم بدر لما قتل صناديد قريش وألقوا فى قليب بدر ياعتبة ياشيبة قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يارسول الله تناديهم وهم أموات فقال والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع منهم لكلامى لكنهم لا يقدرون على الجواب وهذه النفس فى البدن كالوالى فى مملكته والقوى والأعضاء كالخدم له وهو متصرف فيها وأنها مجبولة على طاعته لا تستطيع مخالفته فالبدن مملكة النفس ومدينته والقلب واسطة المملكة والأعضاء كالخدم والقوى الباطنة كصناع المدينة والعقل كالوزير المشفق الناصح والشهوة طالب أرزاق الخدم والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ونصحه سم قاتل ودأبه أبدا منازعة الوزير الناصح والقوة المتخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن واللسان كالترجمان والحواس الخمس جواسيس وقد وكل كل واحد منهما بأخبار صقع من الأصقاع فقد وكل العين بعالم الألوان والسمع بعالم الأصوات وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه الأصقاع ويردونها إلى الحسن المشترك الذى هو صاحب البريد وهو يسلمها إلى

يا عمر احضر موتى فجاء إليه فقال خذ هذا الدينار فجهزنى به ثم احملنى وضعنى فى هذا المكان وأشار بيده إلى مكان فى القرافة وهو الموضع الذى دفن فيه ابن الفارض ثم انتظر ما يكون من أمرى قال فعاينته ولم أزل معاينا له حتى فرغت من تجهيزه ثم حملته ووضعته فيه ووقفت فإذا أنا برجل قد نزل من الهواء فصلينا عليه ثم وقفنا ننتظر ما يكون من أمره وإذا الجو قد امتلأ بطيور خضر فجاء طائر كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت منه فقال لى ذلك الرجل لا تعجب من هذا فإن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر ترعى فى الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش قال شيخنا أولئك شهداء السيوف وأما شهداء الصفوة فأجسادهم أرواح وقد تكلمت على مقام المحبة فى آخر الجزء الثامن من كتابى الجوهر الفريد فى نحو خمس كراريس فلينظر هناك وبالله التوفيق ﴿فروع منثورة﴾ منها لو ملك الإنسان طائرا أو صيدا وأراد إرساله من يده فوجهان أحدهما أنه يجوز أن يزول ملكه عنه كما لو أعتق عبدا واختاره ابن أبى هريرة والثانى لا يجوز ذلك واختاره الشيخ أبو إسحق والقفال والقاضى أبو الطيب وهو الأصح فى الروضة والشرح ولو فعله عصى ولم يخرج عن ملكه بالإرسال لأنه يشبه سوائب الجاهلية كما تقدم فى باب الصاد المهملة وقياسا على ما لو سيب دابة قال القفال والعوام يسمونه عتقا ويحتسبونه وهو حرام وينبغى الاحتراز عن ذلك لأن الطائر المخلى يختلط بالطيور المباحة فيأخذه الآخذ ظنا أنه قد ملكه وهو لا يملكه فيكون سببا لوقوع أخيه المؤمن فى المحظورات واختار صاحب الإيضاح وجها ثالثا وهو إن قصد بعتقه التقرب إلى الله تعالى زال ملكه عنه وإلا فلا وإن قلنا بالوجه الأول فإنه يعود بالإرسال إلى ما كان عليه فى الأصل من حكم الإباحة وإن قلنا بالوجه الثانى وهو الأصح كما تقدم لم يجز لمن عرف أنه ملك الغير ويعرف كونه ملكا للغير بكونه مخطوما أو مقصوص الجناح أو مقرطا أو فيه جلاجل أو موسوما أو مخضوبا أو غير ذلك مما يدل على الملك فإن شك فى كونه مملوكا فالأصل الحل فإن قال المرسل عند إرساله أبحته لمن يأخذه جاز اصطياده وإن قلنا بالوجه الثالث فهل يحل اصطياده فوجهان أحدهما نعم لأنه قد عاد إلى حكم الإباحة ولأنا لو منعنا اصطياده لأشبه سوائب الجاهلية وهذا هو الأصح فى الروضة والثانى المنع كالعبد إذا عتق فإنه لا يسترق وينبغى أن يختص هذا الوجه بما إذا أعتقه مسلم فإن أعتقه كافر جاز اصطياده قطعا لأن عتقه لا يصح ويسترق عتيقه * ومنها اعلم أن الإمام الرافعى رحمه الله تعالى قد أطلق القول بمنع الإرسال ولا بد من استثناء صور «الأولى» أنه إذا كان الطائر معتاد العدو فإنه يجوز إرساله فى المسابقة «الثانية» إذا كان للطائر فرخ يخشى عليه الموت بحبس الطائر عنه فينبغى هنا القطع بوجوب الإرسال لأن الفرخ حيوان محترم فيجب السعى فى صيانة روحه وقد صرح الأصحاب بوجوب تأخير الحامل وإمهالها إذا وجب عليها الرجم أو القصاص لأجل إرضاعها الولد وجزم الشيخ أبو محمد الجوينى بتحريم ذبح الحيوان المأكول إذا كان حاملا بغير مأكول وعلله بأن فى ذبحه قتل ما لا يحل ذبحه وهو الحمل وقد أطلق ﷺ ظبية شكت أن لها خشفين أى ولدين بالغابة ففى إطلاقه ﷺ إياها دليل على الوجوب لأن ما كان ممنوعا منه ولم ينسخ ثم جوز فى بعض الأحوال فجوازه دليل وجوبه كالنظر إلى العورة فى الختان ولما كان الإرسال ممنوعا منه لكونه سائبة ثم جوز فى بعض الأحوال كان دليل الوجوب «الثالثة» إذا كان معه طائر أو حيوان وليس معه ما يذبحه به ولا ما يطعمه فإرساله واجب ليسعى فى طلب رزقه «الرابعة» إذا أراد الإحرام فإنه يجب عليه الإرسال (التعبير) الطائر العمل قال الله

الخازن والخازن يحفظها لتستعمل النفس منها ماتحتاج إليه وقت حاجتها فى تدبير مملكته وهذه النفس أبدى الوجود لكنه منتقل من حال إلى حال ومن دار إلى دار وقد ذكر على رضى الله تعالى عنه فى بعض خطبه إنما خلقتم للأبد من دار إلى دار تنتقلون من الأصلاب إلى الأرحام ومن الأرحام إلى الدنيا ومن الدنيا إلى البرزخ ومن البرزخ إلى الجنة أو النار ثم تلا قوله عز وجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وقال الشيخ الرئيس فى تعلق النفس بالبدن واستئناسه به ومفارقته إياه :

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وترفع
محجوبة عن كل مقلة ناظر
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما سكنت فلما استأنست
ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها بذات الأجرع

تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه وربما دل الطائر المجهول على الإنذار والموعظة لقوله تعالى قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون فمن حسن طائره فى المنام حسن عمله وأتاه رسول بخير ومن رأى معه طائراً متوحشا ذميم الخلق ربما كان عمله سيئا أو أتاه رسول بشر وأما عش الطائر فإنه يدل على الزوجة والحد الذى يقف العارف عنده ورؤية العش للمرأة الحامل ولادة والعش ما يكون فى شجرة فإذا كان فى حائط أو كهف أو جبل فإنه وكر والوكر يدل على دور الزناة أو مساجد المتعبدين والمنقطعين وأما بيض الطائر فإنه دال على الأولاد من الأزواج والإماء وربما دل على القبور وربما دل البيض على بيض الأسنة أو الخود وربما دل على الاجتماع بالأهل والأقارب والأحباب وربما دل على جمع الدراهم والدنانير وادخارها والريش مال فى التأويل وربما دل على شراء قماش وربما دل على الجاه لأنه يقال فلان طائر بجناح غيره وربما دل على النبت من الزرع والمخلب نصرة المخاصم كما أنه للطائر عدة وجنة والمنقار عز وجاه عريض لمن ملكه فى المنام وأما الزبل فزبل الطائر المأكول مال حلال ومالا يؤكل مال حرام والزرق كسوة لاشتباهه فى الثوب وربما دل زرق الطائر الكاسر كالنسر والعقاب ونحوهما على الخلع من الملوك والأكابر فهذا قول جلى فيما ذكر من الطيور وفيما سيأتى وعلى هذا فقس بفهمك وحذقك تصب إن شاء الله تعالى والله الموفق .

﴿ فائدة ﴾ روى ابن بشكوال بسنده إلى أحمد بن محمد العطار عن أبيه قال كان لنا جار فأسر وأقام فى الأسر عشرين سنة وأيس أن يرى أهله قال فبينما أنا ذات ليلة أفكر فيمن خلفت من صبيانى وأبكى إذ أنا بطائر سقط فوق حائط السجن يدعو بهذا الدعاء قال فتعلمته من الطائر ثم دعوت الله به ثلاث ليال متتابعات ثم نمت فما استيقظت إلا وأنا فى بلدى فوق سطح دارى قال فنزلت إلى عيالى فسر وابى بعد أن فزعوا منى لما رأونى ورأوا ما بى من تغير الحال والهيئة ثم إنى حججت من عامى فبينما أنا أطوف وأدعو بهذا الدعاء إذ أنا بشيخ قد ضرب يده على يدى وقال لى من أين لك هذا الدعاء فإن هذا الدعاء لا يدعو به إلا طائر ببلاد الروم متعلق بالهواء فحدثته بقصتى وربما جرى علىّ وأنى كنت أسيراً ببلاد الروم وتعلمت الدعاء من الطائر فقال صدقت فسألت الشيخ عن اسمه فقال أنا الخضر وهو هذا الدعاء اللهم إنى أسألك يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا الدهور يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا جبل إلا ويعلم ما فى وعره وسهله ولا بحر إلا ويعلم ما فى قعره وساحله اللهم إنى أسألك أن تجعل خير عملى آخره وخير أيامى يوما ألقاك فيه إنك على كل شىء قدير اللهم من عادانى فعاده ومن كادنى فكده ومن بغى علىّ بهلكة فأهلكه ومن أرادنى بسوء فخذه وأطفئ عنى نار من أشب لى ناره واكفنى هم من أدخل علىّ همه وأدخلى فى درعك الحصينة واسترنى بسترك الواقى يا من كفانى كل شىء اكفنى ما أهمنى من أمر الدنيا والآخرة وصدق قولى وفعلى بالتحقيق يا شفيق يا رفيق فرج عنى كل ضيق ولا تحملنى ما لا أطيق أنت إلهى الحق الحقيق يا مشرق البرهان يا قوى الأركان يا من رحمته فى كل مكان وفى هذا المكان يا من لا يخلو منه مكان احرسنى بعينك التى لا تنام واكنفنى فى كنفك الذى لا يرام إنه قد تيقن قلبى أن لا إله إلا أنت وأنى لا أهلك وأنت معى يا رجائى فارحمنى بقدرتك علىّ يا عظيما يرجى لكل عظيم يا عليم يا حليم أنت بحاجتى عليم وعلى خلاصى قدير وهو عليك يسير فامنن علىّ بقضائها يا أكرم الأكرمين ويا أجود الأجودين

ويا أسرع الحاسبين يارب العالمين ارحمى وارحم جميع المذنبين من أمة محمد ﷺ إنك على كل شىء قدير اللهم استجب لنا كما استجبت لهم برحمتك عجل علينا بفرج من عندك بجودك وكرمك وارتفاعك فى علو سمائك يا أرحم الراحمين إنك على ما تشاء قدير وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وهذا الدعاء روى الطبرانى بإسناد صحيح قطعة منه عن أنس أن النبى ﷺ مرّ بأعرابى وهو يدعو فى صلاته ويقول يامن لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر إلا يعلم مافى قعره ولا جبل إلا يعلم مافى وعره اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوما ألقاك فيه فوكل رسول الله ﷺ بالأعرابى رجلا فقال إذا فرغ من صلاته فأتنى به فلما قضى صلاته أتاه به وقد كان أهدى لرسول الله ﷺ ذهب من بعض المعادن فلما أتى الأعرابى وهب له الذهب وقال ممن أنت ياأعرابى قال من بنى عامر بن صعصعة فقال ﷺ هل تدرى لما وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التى بيننا وبينك يارسول الله قال ﷺ إن للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل ﴿ الطبطاب ﴾ طائر له أذنان كبيرتان ﴿ الطبوع ﴾ القمقامة وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف ﴿ الطرج ﴾ النمل قاله الجوهرى وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون وقال غيره صغار النمل ﴿ الطحن ﴾ دويبة قال الجوهرى وغيره قال الزمخشرى فى ربيع الأبرار هى دويبة تشبه أم حبين يجتمع إليها الصبيان ويقولون اطحنى لنا فتطحن بنفسها الأرض حتى تغيب فيها ﴿ الطرسوج ﴾ حوت بحرى إذا أدمن أكله أورث العين غشاوة ﴿ طرغلودس ﴾ يعرفه أهل الأندلس ويسمونه الضريس بضاد معجمة مضمومة وراء مهملة مفتوحة وياء ساكنة منقوطة اثنتين من تحتها وسين مهملة قال الرازى فى كتاب الكافى هو عصفور صغير أصغر من جميع العصافير لونه رمادى وأحمر وأصفر وفى جناحيه ريشة ذهبية ومنقاره رقيق وفى ذنبه نقط بيضاء متواترة وهو دائم الصفير وأجوده السمين (وحكمه) الحل وله خاصية عجيبة فى تفتيت الحصا المتكون فى المثانة ومنع مالم يتكون ﴿ الطرف ﴾ بكسر الطاء الكريم من الخيل وقال أبو زيد هو نعت للذكر خاصة ﴿ الطغام ﴾ والطغامة بفتح الطاء والغين المعجمة أرذال الطير والسباع وهما أيضا أرذال الناس الواحد والجمع فى ذلك سواء قاله ابن سيده ﴿ الطفل ﴾ ولد كل وحشية والمولود من بنى آدم والجمع أطفال وقد يكون الطفل واحدا وجمعا مثل الجنب قال الله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء والمطفل الظبية معها طفلها وهى قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة والجمع المطافيل قال أبو ذؤيب :

وإن حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل فى ألبان عوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

وما أحسن قول الآخر :

فيا عجبا لمن ربيت طفلا * ألقمه بأطراف البنان
أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رمانى
أعلمه الفتوة كل وقت * فلما طر شاربه جفانى
وكم علمته نظم القوافى * فلما قال قافية هجانى

علقت بها هاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع
تبكى إذا ذكرت عهودا بالحمى
بمدامع تهمى ولا تتقطع
إذ عاقها شرك الكثيف وصدها
قفص عن الأوج الفسيح المربع
وتظل ساجعة على الدمن التى
درست بتكرار الرياح الأربع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلف
عنها حليف الدب غير مشيع
سمعت وقد كشف الغطاء فأبصرت
ماليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأى شىء أهبطت من شاهق
سام إلى قرع الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة
طويت عن العبد اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب
لتكون سامعة بما لم تسمع
وتكون عالمة بكل حقيقة

فى العالمين وخرقها لم يرقع وهى التى قطع الزمان طريقها

﴿ ذو الطفيتين ﴾ حية خبيثة والطفية خوصة المقل فى الاصل وجمعها طفى فشبه الخطان اللذان على ظهر الحية بخوصتين من خوص المقل قال الزمخشرى وفى كتاب العين الطفية حية لينة خبيثة وأنشد يقول :

وهم يذلونها من بعد عزتها * كما تذل الطفى من رقية الراقى

وكذا قاله ابن سيده أيضا وفى الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم أن النبى ﷺ قال اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر فإنهما يستسقطان الحبالى ويلتمسان البصر قال شيخ الإسلام النووى قال العلماء الطفيتان الخطان الأبيضان على ظهر الحية والأبتر قصير الذنب وقال النضر بن شميل هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب لاتنظر إليه حامل إلا ألقت ما فى بطنها غالبا وذكر مسلم فى روايته عن الزهرى أنه قال نرى ذلك من سمها وأما قوله يلتمسان البصر ففيه تأويلان أصحهما أنهما يخطفانه ويطمسانه بمجرد نظرهما اليه الخاصية جعلها الله تعالى فى بصرهما إذا وقع على بصر الإنسان ويؤيد هذا أن فى رواية مسلم يخطفان البصر والثانى أنهما يقصدان البصر باللسع والنهش قال العلماء وفى الحيات نوع يسمى الناظر إذا وقع بصره على عين إنسان مات من ساعتها وقال أبو العباس القرطبى ظاهر هذا أن هذين النوعين من الحيات لهما من الخاصية ما يكون عنه ذلك ولا يستبعد هذا فقد حكى أبو الفرج بن الجوزى فى كتابه المسمى بكشف المشكل لما فى الصحيحين أن بعراق العجم أنواعا من الحيات تهلك الرائى لها بنفس رؤيتها ومنها مايهلك بالمرور على طريقها ﴿ الطلح ﴾ بكسر الطاء القراد وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الجراد فى باب القاف قال كعب بن زهير :

وجلدها من أطوم لايؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول

أى لايؤثر القراد فى جلدها لملاسته قاله فى نهاية الغريب ﴿ الطلا ﴾ بكسر الطاء الولد من ذوات الظلف والجمع أطلاء (الأمثال) قالوا كيف الطلا وأمه يضرب لمن ذهب همه وحلا لسانه ﴿ الطلى ﴾ بالفتح الصغير من أولاد المعز وإنما سمى بذلك لأنه يطلى أى تشد رجلاه بخيط إلى وتد وجمعه طليان مثل رغيف ورغفان ﴿ الطمروق ﴾ بفتح الطاء الخفاش حكاه ابن سيده وقد تقدم فى حرف الخاء المعجمة ﴿ الطمل ﴾ والطملال والأطلس الذئب كما تقدم لفظه فى باب الذال المعجمة ﴿ الطنبور ﴾ نوع من الزنابير ذوات الإبر وهو يأكل الخشب وقد تقدم لفظ الزنبور فى باب الزاى المعجمة قال شيخ الإسلام النووى فى شرح المهذب ويستثنى من ذوات الإبر الجراد فإنه حلال قطعا وكذا القنفذ على الصحيح ﴿ الطوارنى ﴾ قال الجاحظ إنه نوع من أنواع الحمام وقد تقدم ذكر الحمام فى باب الحاء المهملة ﴿ الطوبالة ﴾ النعجة وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكرها فى باب النون قاله ابن سيده ﴿ الطول ﴾ بضم الطاء وتشديد الواو طائر قاله بن سيده وغيره ﴿ الطوطى ﴾ قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى أول الباب الثانى فى حكم الكسب أنه الببغاء وقد تقدم لفظ الببغاء فى باب الباء الموحدة ﴿ الطير ﴾ جمع طائر مثل صاحب وصحب وجمع الطير طيور وأطيار مثل فرخ وفروخ وأفراخ وقال قطرب الطير أيضا قد يقع على الواحد ﴿ فائدة ﴾ قال الله تعالى لخليله ابراهيم ﷺ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا وقيل أخذ حماما وغرابا وديكا وبطة وقال مجاهد وعطاء وابن جريج أخذ طاوسا وديكا وحماما وغرابا وقيل كانت الطيور بطة خضراء وغرابا أسود وحمامة بيضاء وديكا أحمر

حتى لقد غربت بغير المطلع فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى كأنه لم يطلع (زعموا) أن هذه النفوس فى هذا العالم الجسمانى وما قد ابتلى به من آفات هذا البدن كرجل حكيم فى بلد أو قرية وقد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة سيئة الخلق وهى فى أكثر الأوقات تطالبه بالمأكول الطيب والمشروب اللذيذ والثياب الفاخرة والمسكن المزخرف والشهوات المرضية وإن ذلك الحكيم من شدة محنته بعظمة محبتها وعظم بلائه بصحبتها قد صرف كل همته إلى إسراف أمرها وأكثر عنايته إلى إصلاح شأنها وقد نسى أمر نفسه وإصلاح شأنه وبلدته وأقاربه الذين نشأ فيهم ونعمته التى كان فيها ولا راحة لهذا الحكيم إلا بمفارقة هذه المرأة والتسلى عن حبها ولكنه إن سمع هذا الحديث تنشق مرارته من خوف مفارقتها ولا يخفى أن النفوس جواهر روحانية لا حاجة لها إلى الأكل والشرب واللباس والنكاح فإن كل ذلك مما يحتاج إليه البدن فى قوام وجوده والنفس ما دام مع هذا البدن تكثر همومه لاصلاح هذا البدن ولا راحة للنفس دون مفارقته كما قلنا أن الحكيم المبتلى بحب الموسة

قيل وفائدة حصره بأربعة أن الطبائع أربعة والغالب على كل واحد من هذه الطيور طبع منها فأمر بقتل الجميع وخلط لحومها بعضها ببعض وكذلك خلط دمائها وريشها ثم دعاهن بعد أن فرق أجزاءهن على رءوس الجبال وقيل بل أمسك الرؤس عنده فاجتمعت الأجزاء وأتين سعيا إلى رؤسهن وأحياهن الله تعالى كما شاء بقدرته وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل الموصوف بهما الغراب والترفع والمسارعة للهوى الموصوف بهما الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان وجمع بين مأكولي اللحم وضدهما وبين ممقوتين وهما الطاوس والغراب ومحبوبين وهما الديك والحمام وبين ما يسرع الطيران كالحمام والغراب وبين ما لا يستطيعه إلا قليلا وهما الديك والطاوس وبين ما يتميز به الذكر من الأنثى وهما الطاوس والديك ومالا يتميز إلا للعارف كالحمام وما يعسر تمييزه كالغراب وما أحسن قول أبي الساعاتي :

والطل في سلك الغصون كلؤلؤ * رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح يكتب والغمام ينقط

وهو تقسيم بديع والطير الذي يأتي في كل سنة إلى جبل بصعيد مصر يسمى بوقير وقد تقدم في حرف الباء ﴿ فائدتان ﴾ الأولى * روى الشافعي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عن أم كرز قالت أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول اقروا الطير على مكناتها وفي رواية في وكناتها وهذا بعض حديث رواه أحمد وأصحاب السنن والحاكم وابن حبان قال فالتفت سفيان إلى الشافعي وقال يا أبا عبد الله ما معنى هذا فقال الشافعي إن علم العرب كان في زجر الطير فكان الرجل منهم إذا أراد سفرا خرج من بيته فيمر على الطير في مكانه فيطيره فإذا أخذ يمينا مر في حاجته وإن أخذ يسارا رجع فقال النبي ﷺ أقروا الطير على مكناتها قال فكان ابن عيينة يسئل بعد ذلك عن تفسيرها هذا الحديث فيفسره على نحو ما فسره الشافعي قال أحمد بن مهاجر وسألت الأصمعي عن تفسير هذا الحديث فقال مثل ما قال الشافعي وسألت وكيعا فقال إنما هو عندنا على صيد الليل فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه وقال ما ظننته إلا على صيد الليل وروى البيهقي في سننه أن إنسانا سأل يونس بن عبد الأعلى عن معنى أقروا الطير في مكناتها فقال إن الله تعالى يحب الحق إن الشافعي قال في تفسيره كذا وذكر ما تقدم عنه قال وكان الشافعي رحمه الله نسيج وحده في هذه المعاني قوله نسيج وحده هو بالإضافة ووحده مكسور الدال قال ابن قتيبة وأصله أن الثوب الرقيق النفيس لا ينسج على منواله غيره وإن لم يكن نفيسا عمل على منواله عدة أثواب فاستعير ذلك لكل كريم من الرجال انتهى قال الصيدلاني في شرح المختصر المكنة بكسر الكاف موضع القرار والتمكن قال وفي معنى هذا الحديث أقوال أحدها النهي عن الصيد ليلا ثانيها ما تقدم عن الشافعي ثالثها قال أبو عبيد القاسم بن سلام أقروها على بيضتها التي احتضنتها وأصل المكن بيض الضب قال الصيدلاني فعلى هذا يجب أن يكون المفرد المكنة بتسكين الكاف كتمرة وتمرات انتهى ﴿ الفائدة الأخرى ﴾ الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء المثناة تحت التشاؤم بالشيء قال تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله أي شؤمهم جاء من قبل الله تعالى وهو الذي قضى عليهم بذلك وقدره ويقال تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من

﴿ فصل في نفوس عجيبة التأثيرات ﴾

ذهب أهل الحق إلى أن النفوس مختلفة بحسب جواهرها (فمنها) نفوس علوانية نورانية لها شعور بعالم الأرواح فتستفيد بالفيض من عالم الأرواح أمورا عجيبة (ومنها) نفوس كثيفة كدرة مشغوفة بالجسمانية لا حظ لها من عالم الأرواح وذهب بعض الحكماء إلى أن النفوس الناطقة جنس تحته أنواع وتحت كل نوع أفراد لا يخالف بعضها بعضا إلا بالعدد وكل نوع منها كالولد لروح من الأرواح السماوية وهذا هو الذي تسميه أصحاب الطلسمات بالطباع التام ويزعمون أنه يتولى إصلاح تلك النفوس تارة بالمنامات وتارة بالإلهامات وتارة بالنفث في الروع فمن النفوس الفاضلة نفوس الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فإن الله تعالى لما أراد أن يجعلهم قدوة للخلق جمع في نفوسهم أنواع الفضائل ونقى عنها أصناف الرذائل لاقتداء الخلق بهم وأظهر عليهم الآثار العجيبة لانقياد الخلق إليهم (ومنها) نفوس الأولياء

فإنها لما كانت تابعة لنفوس الأنبياء مشتبهة بها صدرت عنها آثار عجيبة كما ذكرنا فى مقامات الزهاد والعباد والعارفين من شفاء المرضى باستشفائهم وسقى الأرض باستسقائهم وصرف الوباء والمؤذيات بدعائهم وتبدل نفرة الطيور بالهدو والوقوع وسورة السباع بالبصبصة والخضوع وإلى غير ذلك من الأمور التى تحكى عنهم (ومنها) نفوس أصحاب الفراسة وهى نفوس تستدل بالأحوال الظاهرة على الأمور الباطنة وأنه استدلال صحيح وقد قال الله تعالى «إن فى ذلك لآيات للمتوسمين» وقد قال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى (حكى) أبو سعيد الخراز قال رأيت فى الحرم رجلا فقيرا ليس عليه إلا ما يستر عورته فأنفت نفسى منه فتفرس فى ذلك وقال واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه فندمت على ذلك واستغفرت فى نفسى فقال «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات» (وحكى) أن الشافعى رضى الله تعالى عنه ومحمد بن الحسن رحمة الله عليهما رأيا رجلا فقال أحدهما إنه نجار وقال الآخر بل حداد فسألا عنه فقال كنت حدادا قبل هذا والآن صرت نجارا

المصادر هكذا غيرهما انتهى وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله بقوله لا طيرة وخيرها الفأل قيل يا رسول الله وما الفأل قال ﷺ الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وفى رواية قال يعجبنى الفأل وأحب الفأل الصالح وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فإن أخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى أسفارهم وحوائجهم وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن ذلك وفى حديث آخر الطيرة شرك أى اعتقاد أنها تنفع أو تضر وإنما اشتقوا الطيرة من الطير لسرعة لحوق البلاء على اعتقادهم كما يسرع الطير فى الطيران وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزه وقد فسره النبى ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة والغالب أن يكون فيما يسر وقد يكون فيما يسوء وأما الطيرة فإنها لا تكون إلا فيما يسوء قال العلماء إنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فضل الله تعالى كان على خير وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء والطيرة فيها سوء ظن وتوقع البلاء وفى الحديث قالوا يا رسول الله لا يسلم منا أحد من الطيرة والحسد والظن فما نصنع قال ﷺ إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تتحقق رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على الطيرة فى باب اللام فى اللقحة أيضا قال فى مفتاح دار السعادة واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يعبأ به فلا يضره ألبتة لاسيما إن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك وأما من كان معتنيا بها فهى أسرع إليه من السيل إلى منحدره وقد فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة ما يفسد عليه دينه وينكد عليه معيشته انتهى وقال ابن عبد الحكم لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال رجل من لخم نظرت فإذا القمر فى الديران فكرهت أن أقول له فقلت ألا تنظر إلى القمر ما أحسن استواءه فى هذه الليلة فنظر عمر فإذا هو فى الديران فقال كأنك أردت أن تعلمنى بأنه فى الديران إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار وقال ابن خلكان ومن قبيح ما وقع لأبى نواس أن جعفر بن يحيى البرمكى بنى دارا استفرغ فيها جهده فلما كملت وانتقل إليها صنع فيها أبو نواس قصيدة امتدحه بها أولها :

أربع البلى إن الخشوع لبادى * عليك وإنى لم أخنك ودادى
سلام على الدنيا إذا ما فقدتم * بنى برمك من رائحين وغادى

فتطير منها بنو برمك وقالوا نعيت لنا أنفسنا يا أبا نواس فما كانت إلا مديدة حتى أوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة وذكر الطبرى والخطيب البغدادى وابن خلكان وغيرهم أن جعفر بن يحيى البرمكى لما بنى قصره وتناها ببنيانه وكمل حسنه وعزم على الانتقال إليه جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه إليه فاختاروا له وقتا فى الليل فخرج فى ذلك الوقت والطرق خالية والناس هادئون فرأى رجلا قائما يقول :

تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعـــل ما يشاء

فتطير ووقف ودعا بالرجل وقال له أعدما قلت فأعاده فقال ما أردت بهذا قال ما أردت به معنى من المعانى ولكنه شىء عرض لى وجاء على لسانى فأمر له بدينار ومضى لوجهه وقد تنغص سروره وتكدر عيشه فلم يكن إلا قليل حتى أوقع بهم الرشيد وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر قتله

فى باب العين المهملة فى العقاب وفى التمهيد لابن عبد البر من حديث المقبرى عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبى عبد الرحمن الجيلى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رجعته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا وما كفارة ذلك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدكم اللهم لاطير إلا طيرك ولاخير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته ﴿تنبيه مهم﴾ جزم الإمام العلامة القاضى أبو بكر بن العربى فى الأحكام فى سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف ونقله القرافى عن الإمام العلامة أبى الوليد الطرطوشى وأقره وأباحه ابن بطة من الحنابلة ومقتضى مذهبنا كراهته * وحكى الماوردى فى كتاب أدب الدين والدنيا أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وأنشأ يقول :

أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

فلم يلبث إلا أياما يسيرة حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده كما تقدم فى باب الهمزة فى لفظ الإوز ﴿فائدة أخرى﴾ روى الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححوه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا معناه تذهب أول النهار ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار ممتلئة البطون من الشبع قال الإمام أحمد ليس فى هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وإنما أرادوا والله أعلم لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير تغدو خماصا وتروح بطانا لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفى الإحياء فى أوائل كتاب أحكام الكسب قيل لأحمد ما تقول فى الذى يجلس فى بيته أو مسجده ويقول لا أعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال أحمد هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى ﷺ إن الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقوله حيث ذكر الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم والقدوة بهم ﴿مسئلة﴾ إذا أوصى للمتوكلين أفتى ابن عباس بأن ذلك يصرف للزراع فإنهم يحرثون ويضعون البذر فى الأرض فهم متوكلون على الله تعالى ويدل له ما روى البيهقى فى الشعب والعسكرى فى الأمثال أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لقى ناسا من أهل اليمن فقال من أنتم قالوا متوكلون قال كذبتم إنما المتوكلون رجل ألقى حبه فى التراب وتوكل على رب الأرباب وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديما وقال الإمام الرافعى والنووى فى تفضيل بعض الأكساب على بعض واحتج من فضل الزراعة بأنها أقرب إلى التوكل وفى الشعب أيضا عن عمرو بن أمية الضمرى أنه قال قلت يارسول الله أرسل ناقتى وأتوكل قال صلى الله عليه وسلم أعقلها وتوكل وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا فى أول باب النون وقال الحليمى يستحب لكل من ألقى فى الأرض بذرا أن يقرأ بعد الاستعاذة أفرأيتم ما تحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لأنعمك من الشاكرين وقال أبو ثور سمعت الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول نزه الله نبيه صلى الله عليه وسلم ورفع قدره فقال وتوكل على الحى الذى لا يموت وذلك أن الناس فى التوكل على أحوال شتى متوكل على نفسه أو على ماله أو على جاهه أو على سلطانه أو على صناعته أو على غلته أو على الناس وكل مستند إلى حى يموت أو إلى ذاهب يوشك أن ينقطع لم يوجد له ولد فخشيت أن يفوت ماله عنا بموته فكنت نفسى

فظفرت به يوما كان واقفا على باب داره وحده فقلت فى نفسى الآن وقته فتفرس ذلك فى وبقى بينى وبينه مقدار رمح فقال لى أخذت كتابك من فلان فقلت لا قال امض إليه فإن كتابك معه فلما سمعت اسم الكتاب تركت عزمى وانصرفت لطلب الكتاب فأدركنى عدوانه (ومنها) نفوس أصحاب القيافة والقيافة على ضربين قيافة البشر وقيافة الأثر أما قيافة البشر فالاستدلال بهيئات الأعضاء على الإنسان ويختص هذا الاستدلال بقوم من العرب يقال لهم بنو مدلج يعرض على أحدهم مولود فى عشرين امرأة فيهن أمه يلحقه بها (حكى) بعض التجار قال ورثت من أبى مملوكا أسود شيخا فكنت فى بعض أسفارى راكبا على بعير والمملوك يقوده فاجتاز علينا رجل من بنى مدلج أمعن فينا نظره وقال ما أشبه الراكب بالقائد فوقع فى قلبى من قوله ما وقع حتى رجعت إلى أمى وأخبرتها بما قال المدلجى فقالت صدق والله المدلجى اعلم يا بنى أنه كان زوجى شيخا كبيرا ذا مال

من هذا المملوك الأسود فحملت بك ولولا أن هذا شيء ستعلمه فى الآخرة ما أخبرتك فى الدنيا

( وأما قيافة الأثر ) فالاستدلال بآثار الأقدام والخفاف والحوافر وقد اختص هذا الاستدلال بقوم فى المغرب أرضهم ذات رمل فإذا هرب منهم هارب أو دخل عليهم سارقو تبعوا آثار قدميه حتى يظفروا به ومن العجب ما حكى أنهم يعرفون أثر قدم الشاب من الشيخ والرجل من المرأة والغريب من المتوطن ( ومنها ) نفوس الكهنة وهى نفوس تتلقى الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات والتى تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات ( حكى ) أن ربيعة بن النصر اللخمى رأى رؤيا هائلة فبعث إلى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها فقالوا ليبعث الملك إلى سطيح وشق فلا يجد أعلم منهما بها فبعث اليهما فقدما فقال الملك لسطيح رأيت رؤياها التى فأخبرنى بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها فقال سطيح رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض نعمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال الملك ما أخطأت منها شيئا فما تأويلها فقال ليهبطن بأرضكم الحبش ويملكن ما بين أبين وجرش فقال الملك ياسطيح إن هذا لغائظ فأخبرنى متى هو كائن أفى زمانى أم بعده فقال بل

---

عنه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمره أن يتوكل على الحى الذى لا يموت وقال الإمام العلامة شيخ الشريعة والحقيقة أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب اعلم أن العلماء بالله تعالى لم يتوكلوا عليه لأجل أن يحفظ عليهم دنياهم ولا لأجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولم يشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه بما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته إلى ما يعقلون ولا ليحول عنهم سنته التى قد خلت فى عباده من الابتلاء والامتحان والاختبار بل هو جل وعلا أجل فى قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا فلو اعتقد عارف بالله أحد هذه المعانى مع الله فى توكله لكان عليه كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وإنما أخذوا أنفسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا كيف أجرى اه ﴿ فائدة ﴾ عن كعب الأحبار قال إن الطير ترتفع اثنى عشر ميلا ولا ترتفع فوق هذا وفوق الجو السماك والجو هو الهواء بين السماء والأرض (التعبير) الطائر فى المنام رزق لمن حواه لقول الشاعر

وما الرزق إلا الطائر أعجب الورى * فمدت له من كل فن حبائل

وسعادة ورياسة وقيل الطيور السود تدل على السيئات والطيور البيض تدل على الحسنات ومن رأى طيورا تنزل على مكان وترتفع فإنها ملائكة ورؤية ما يستأنس بالإنسان من الطيور دليل على الأزواج والأولاد ورؤية ما لا يأنس بالآدمى من الطير دليل على معاشرة الأضداد والأعجام ورؤية الكاسر من الطير فى المنام شر ونكد ومغارم ورؤية الجارح المعلم عز وسلطان وفوائد وأرزاق ورؤية المأكول لحمه فائدة سهلة ورؤية ذوى الأصوات قوم صالحون ورؤية المذكر رجال والمؤنث نساء ورؤية المجهول من الطير قوم غرباء ورؤية ما فيه خير وشر فرج بعد شدة ويسر بعد عسر ورؤية ما يظهر بالليل دليل على الجرأة وشدة الطلب والاختفاء ورؤية ما ليس له قيمة إذا صار له قيمة فى المنام فإنها تدل على الربا وأكل المال بالباطل وبالعكس ورؤية ما يظهر فى وقت دون وقت فإن رآه قد ظهر فى غير أوانه كان ذلك دليلا على وضع الأشياء فى غير محلها أو على الأخبار الغريبة والخوض فيما لا يعنى فهذا قول كلى فى أنواع الطير مما تقدم ذكره وسيأتى قافهم ذلك وقس عليه ﴿ تتمة ﴾ قال المعبرون كلام الطير كله صالح جيد فمن رأى الطير يكلمه ارتفع شأنه لقوله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين وكره المعبرون صوت طير الماء والطاوس والدجاج وقالوا إنه هم وحزن ونعى وزمار الظليم وهو ذكر النعام قتل من خادم شجاع فإن كره صوته فإن غلبة من خادم وهدير الحمام امرأة قارئة لكتاب الله تعالى وصوت الخطاف موعظة من رجل واعظ والله أعلم ﴿ خاتمة ﴾ قال ابن الجوزى فى كتاب أنس الفريد وبغية المريد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى القرآن عشرة أطيار سماها الله تعالى بأسمائها البعوضة فى البقرة والغراب فى المائدة والجراد فى الأعراف والنحلة فى النحل والسلوى فى البقرة وطه والنملة فى النمل والهدهد فيها أيضا والذباب فى الحج والفراش فى القارعة والأبابيل فى الفيل فهذه عشر ﴿ طير العراقيب ﴾ طير الشؤم عند العرب وكل ما تطيرت به سمته بذلك ومن الأحكام المتعلقة بالطير أن من فتح قفصا عن طائر وهيجه فطار ضمنه قال الماوردى بإجماع لأنه ألجأه إلى ذلك وإن اقتصر على الفتح ففيه ثلاثة أقوال أحدها يضمنه مطلقا والثانى لا يضمنه مطلقا والثالث وهو الأظهر إن طار فى الحال ضمنه وإن وقف ثم طار فلا لأن طيرانه فى الحال دليل على أنه بتنفيره حصل ذلك وأما طيرانه بعد الوقوف فهو

أمارة ظاهرة على انه طار باختياره لان للطائر اختياراً فإن كسر الطائر فى خروجه قارورة أو أتلف شيئا أو انكسر القفص بخروجه أو وثبت هرة كانت حاضرة عند الفتح فدخلت فأكلت الطائر لزمه الضمان والله أعلم ﴿طير الماء﴾ كنيته أبو سحل ويقال له ابن الماء وبنات الماء وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكره فى آخر باب الميم (الحكم) قال الرافعى إنه حلال بجميع أنواعه إلا اللقلق فإنه يحرم أكله على الصحيح وحكى الرويانى فى طير الماء وجهين عن الصيمرى والأصح ما قاله الرافعى ويدخل فيه البط والأوز ومالك الحزين قال أبو عاصم العبادى وهى أكثر من مائة نوع ولا يدرى لأكثرها اسم عند العرب فإنها لم تكن ببلادهم وسيأتى إن شاء الله تعالى الكلام على مالك الحزين فى باب الميم (الأمثال) قالوا كأنّ على رؤسهم الطير بالنصب لأنه اسم كان أى على رأس كل واحد الطير يريد صيده فلا يتحرك يضرب للساكن الوادع وهذه كانت صفة مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير يريد أنهم يسكنون فلا يتكلمون والطير لا تسقط إلا على ساكت وقال الجوهرى وقولهم كأنما على رءوسهم الطير إذا سكتوا من هيبته وأصله أن الغراب إذا وقع على رأس البعير ليلقط منه الحلمة أو الحمنانة فلا يحرك البعير رأسه لئلا ينفر عنه الغراب ﴿الطيطوى﴾ قال أرسطاطاليس فى كتاب النعوت إنه طائر لا يفارق الآجام وكثرة المياه لأن هذا الطائر لا يأكل شيئا من النبت ولا من اللحوم وإنما قوته مما يتولد فى شاطئ الغياض والآجام من دود النتن وهذا الطائر تطلبه البزاة عند مرضها لأن البازى أكثر ما يصيبه من الأمراض بسبب الحرارة فى كبده فإذا عرض له ذلك طلب الطيطوى وأكل كبده فيبرأ وقد يطمئن الطيطوى ويصيح ولا ينفر من موضعه إلا إذا طلبه البازى هرب وغير موضعه فإذا كان فى الليل هرب وصاح وهو فى النهار إذا هرب لم يصح وكمن فى الحشيش * وذكر الثعلبى والبغوى وغيرهما فى تفسير سورة النمل عند قوله تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير سمى صوت الطير منطقا لحصول الفهم به كما يفهم من كلام الناس وقالوا قال كعب الأحبار وفرقد السنجى مر سليمان عليه السلام على بلبل فوق شجرة يحرك ذنبه ورأسه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا رسول الله قال يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فأخبر أنه يقول إذا نزل القضاء عمى البصر وفى رواية كعب أنه يقول من لا يرحم لا يرحم والفاختة تقول ياليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وليتهم إذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا والصرد يقول سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه والسرطان يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاحت طيطوى عنده فأخبر أنها تقول كل حى ميت وكل جديد بال وقال إن الخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند الله والورشان يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاوس يقول كما تدين تدان والحمامة تقول سبحان ربى المذكور بكل لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى وإذا صاحت العقاب تقول البعد عن الناس راحة وفى رواية البعد من الناس أنس وإذا صاح الخطاف قرأ الفاتحة إلى آخرها ويمد صوته بقوله ولا الضالين كما يمده القارئ والبازى يقول سبحان ربى وبحمده والقمرى يقول سبحان ربى الأعلى وقيل إنه يقول يا كريم والغراب يلعن العشار ويدعو عليه والحدأة تقول كل شىء هالك إلا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء يقول ويل لمن كانت الدنيا أكبر همه والزرزور يقول اللهم إنى أسألك رزق يوم بيوم يا رازق والقنبرة تقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فإنك ميت وفى

بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين تمضين من السنين ثم يقتلون بها أجمعين أو يخرجون منها هاربين فقال الملك ومن الذى يملك قبلهم قال ابن ذى يزن يخرج عليهم من عدن ولا يترك منهم أحدا باليمن قال الملك أيدوم ملك ذلك أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى كريم عظيم يأتيه الوحى من قبل العلى قال الملك ومن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبر به قال نعم والشفق والقمر إذا اتسق إن ما نبأتك به لحق فلما فرغ من حديثه دعا بشق وخاطبه مثل ما خاطب سطيحا وكتم جواب سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان فقال شق رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فأكلت منها كل ذات نسمة فعلم الملك اتفاقهما فقال ما أخللت بشىء منها يا شق فما تأويلها قال لينزلن أرضكم السودان وليملكن ما بين أبين ونجران فقال الملك إن هذا لغائظ حتى هو كائن فى زمانى أم بعده فقال بل بعده بزمان ثم

رواية أن الفرس تقول إذا التقى الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والحمار يلعن المكاس وكسبه والضفدع تقول سبحان ربى الأعلى (التعبير) الطيطوى فى المنام امرأة قاله ابن سيرين (ومن خواصه) أن لحمه يعقل البطن ويزيد فى الباه ﴿الطيهوج﴾ بفتح الطاء طائر شبيه بالحجل الصغير غير أن عنقه أحمر ومنقاره ورجلاه حمر مثل الحجل وماتحت جناحيه أسود وأبيض وهو خفيف مثل الدراج (وحكمه) الحل (الخواص) لحم الطيهوج كثير الحرارة والرطوبة قاله يوحنا وقيل معتدل ﴿قلت﴾ وهو الصواب وقيل إنه فى الدرجة الثالثة فى الهضم وأجوده السمين الرطب الخريفى ينفع للزيادة فى الباه ويعقل البطن لكنه يضر بمن يعالج الأثقال ويدفع ضرره طبخه فى الهرائس وهو يولد دما معتدلا ويوافق الأمزجة المعتدلة من الصبيان وأجوده ما أكل فى زمن الربيع لاسيما فى البلاد الشرقية والطيهوج والدراج والحجل متقاربة فى ترتيب الأغذية فى الاعتدال واللطافة والطيهوج أولا ثم الدراج ثم الحجل وتقدم فى الضاد أنه الدريس والله أعلم.

﴿بنت طبق وأم طبق﴾ السلحفاة وقد تقدم ذكرها فى باب السين وقيل هى حية عظيمة من شأنها أن تنام ستة أيام ثم تستيقظ فى اليوم السابع فلا تنفخ فى شىء إلا أهلكته وقد تقدم ذكر النوعين فى بابيهما ومنه قيل للداهية إحدى بنات طبق ومنه قولهم قد طرقت بنكدها أم طبق (الأمثال) قالوا جاء فلان بإحدى بنات طبق يضرب للرجل يأتى بالأمر العظيم.

﴿باب الظاء المعجمة﴾

﴿الظبى﴾ الغزال والجمع أظب وظباء وظبى والأنثى ظبية والجمع ظبيات بالتحريك وظباء وأرض مظباة أى كثيرة الظباء وظبية اسم امرأة تخرج قبل الدجال تنذر المسلمين به قاله ابن سيده قال الكرخى الظباء ذكور الغزلان والأنثى الغزال قال الإمام وهذا وهم فإن الغزال ولد الظبية إلى أن يشتد ويطلع قرناه قال الإمام النووى الذى قاله الإمام هو المعتمد وقول صاحب التنبيه فإن أتلف ظبيا ماخضا قال النووى صوابه ظبية ماخضا لأن الماخض الحامل ولا يقال فى الأنثى إلا ظبية والذكر ظبى وجمعت الظبية على ظباء كركوة وركاء لأن ماكان على فعلة بفتح أوله من المعتل فجمعه ممدود ولم يخالف هذا إلا القرية فإنها جمعت على قرى على غير قياس فجاء مخالفا للباب فلا يقاس عليه قاله الجوهرى وتكنى الظبية أم الخشف وأم شادن وأم الطلا والظباء مختلفة الألوان وهى ثلاثة أصناف صنف يقال له الآرام وهى ظباء بيض خالصة البياض الواحد منها ريم ومساكنها الرمال ويقال إليها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوما وشحوما وصنف يسمى العفر وألوانها حمر وهى قصار الأعناق وهى أضعف الظباء عدوا تألف المواضع المرتفعة من الأرض والأماكن الصلبة قال الكميت:

وكنا إذا جبار قوم أرادنا * بكيد حملناه على قرن أعفرا

يعنى نقتله ونحمل رأسه على السنان وكانت الأسنة فيما مضى من القرون وصنف يسمى الآدم طوال الأعناق والقوائم بيض البطون وتوصف الظباء بحدة البصر وهى أشد الحيوان نفورا ومن كيس الظبى أنه إذا أراد أن يدخل كناسه يدخل مستديرا ويستقبل بعينيه مايخافه على نفسه وخشفانه فإن رأى أن أحدا أبصره حين دخوله لايدخل وإلا دخل ويستطيب الحنظل ويلتذ بأكله ويرد البحر فيشرب من مائه المر الزعاق قال ابن قتيبة ولد الظبية أول السنة طلا بفتح الطاء وخشف بكسر الخاء المعجمة ثم فى السنة الثانية جذع ثم فى الثالثة ثنى ثم لايزال ثنيا حتى يموت *

ينقذكم منه عظيم ذو شأن ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشأن قال غلام من بنى ذى يزن يخرج من عدن قال الملك أيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول من الرسل يأتى بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يبقى الملك فى قومه إلى يوم الفصل ثم إنه اتفق لستيلاء الحبشة على اليمن وملكوها إلى أن جاء سيف بن ذى يزن إلى كسرى واستنجده فأمده بعساكره براو بحرا وقتلوا الحبشة قتلا ذريعا وأخرجوهم من اليمن وملكها سيف بن ذى يزن فاجتمع على بابه رؤساء العرب ودخل عليه عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ مع قومه فأكرمه وخلع عليه وقال إنا نجد فى كتبنا أن هذا الملك صائر إلى أحد أولاده فليتنى كنت أدركه ومنها نفوس أصحاب العرافة وهى نفوس تستدل ببعض الحوادث على بعض لمناسبة بينهما أو مشابهة خفية (كما حكى) أن الإسكندر تملك بعض البلاد فدخل هيكلها فوجد فيها امرأة تنسج ثوبا فقالت أيها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخلها والى بلدها فقالت له إن الإسكندر سيعزلك فغضب الوالى فقالت

وذكر ابن خلكان فى ترجمة جعفر الصادق أنه سأل أباحنيفة رضى الله تعالى عنهما ما تقول فى محرم كسر رباعية ظبي فقال يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعلم ما فيه فقال إن الظبي لا يكون رباعيا وهو ثنى أبدا كذا حكاه كشاجم فى كتاب المصايد والمطارد وقال الجوهرى فى مادة س ن ن فى قول الشاعر فى وصف الإبل :

فجاءت كسن الظبي لم أر مثلها * شفاء عليل أو حلوبة جائع

أى هى ثنيات لأن الثنى هو الذى يلقى ثنيته والظبي لا تثبت له ثنية قط فهو ثنى أبدا وقال ابن شبرمة دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد الصادق فقلت هذا رجل فقيه من العراق فقال لعله الذى يقيس الدين برأيه أهو النعمان بن ثابت قال ولم أعلم باسمه إلا ذلك اليوم فقال له أبو حنيفة نعم أنا ذلك أصلحك الله فقال له جعفر اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس برأيه إبليس إذ قال أنا خير منه فأخطأ بقياسه فضل ثم قال له أتحسن أن تقيس رأسك من جسدك قال لا قال جعفر فأخبرنى لم جعل الله الملوحة فى العينين والمرارة فى الأذنين والماء فى المنخرين والعذوبة فى الشفتين لأى شىء جعل الله ذلك قال لا أدرى قال جعفر إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين وخلق الملوحة فيهما منا منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا فذهبتا وجعل المرارة فى الأذنين منا منه عليه ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه وجعل الماء فى المنخرين ليصعد منه النفس وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة وجعل العذوبة فى الشفتين ليجد ابن آدم لذة المطعم والمشرب ثم قال لأبى حنيفة أخبرنى عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان قال لا أدرى قال جعفر هى كلمة لا إله إلا الله فلو قال لا إله ثم سكت كان شركا ثم قال ويحك أيما أعظم عند الله إثما قتل النفس التى حرم الله بغير حق أو الزنا قال بل قتل النفس قال جعفر إن الله تعالى قد قبل فى قتل النفس شهادة شاهدين ولم يقبل فى الزنا إلا شهادة أربعة فأنى يقوم لك القياس ثم قال أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة قال الصلاة قال فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة اتق الله يا عبد الله ولا تقس الدين برأيك فإنا نقف غدا ومن خالفنا بين يدى الله فنقول قال الله وقال رسول الله وتقول أنت وأصحابك سمعنا ورأينا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء والجواب فى أن الزنا لا يقبل فيه إلا أربعة طلبا للستر وفى أن الحائض لا تقضى الصلاة دفعا للمشقة لأن الصلاة متكررة فى اليوم والليلة خمس مرات بخلاف الصوم فإنه فى السنة مرة والله أعلم وجعفر الصادق هو جعفر بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين وجعفر أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية من سادات أهل البيت ولقب الصادق لصدقه فى مقالته وله مقال فى صنعة الكيمياء والزجر والفأل وتقدم فى باب الجيم فى الجفرة عن ابن قتيبة أنه قال فى كتابه أدب الكاتب أن كتاب الجفر جلد جفرة كتب فيه الإمام جعفر الصادق لأهل البيت كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة وكذا حكاه ابن خلكان عنه أيضا وكثير من الناس ينسبون كتاب الجفر إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو وهم والصواب أن الذى وضعه جعفر الصادق كما تقدم وأوصى جعفر ابنه موسى الكاظم فقال يا بنى احفظ وصيتى تعش سعيداً وتمت شهيداً يا بنى إن من قنع بما قسم له استغنى ومن مد عينيه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله فى قضائه ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره ومن استعظم زلة نفسه استصغر زلة غيره يا بنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف

لما دخلت فرغت منه وأردت قطعه فكان الأمر كما قالت (وحكى) أن سيف ابن ذى يزن لما استنصر بكسرى على قتال الحبشة بعث إليهم كسرى فى جند عظيم برا وبحرا فخرج إليهم ملك الحبشة مسروق بن أبرهة فى مائة ألف من الحبشة وغيرهم من حمير وكهلان فتصادف القوم وكان بين عينى مسروق ابن أبرهة ياقوتة حمراء معلقة من تاجه بعلاق من الذهب تضىء كالنار وهو على فيل عظيم فقاتل عليه ساعة ثم نزل عن الفيل وركب جملا ساعة ثم نزل عن الجمل وركب فرسا ساعة ثم أنف من محاربتهم على الفرس استصغارا لأصحاب سيف فدعا بحمار فركبه فتأمل هرمز ذلك وقال احملوا عليه فإن ملكه قد ذهب انتقل عن كبير إلى صغير فحملوا عليهم وكشفوا الحبشة فأخذتهم السيوف من كل جانب وقتلوا مسروق بن أبرهة وخواصه (وحكى) عن علىّ رضى الله عنه أنه لما جلس للبيعة فأول من بايعه طلحة بن عبد الله فبايعه بيده وكان أصبعه شلاء فتطير منها على رضى الله عنه وقال ما أخلقه أن ينكث فكان

كذلك ولم تصف له الخلافة
إلى أن درج إلى رحمة الله
تعالى (وحكى) ابراهيم بن
المهدى قال بعث إلى الأمير
فسرت اليه فإذا هو جالس
فى طارم خشبها عود وصندل
مزين بأنواع الحرير
والديباج الأخضر والذهب
الأحمر وإذا سليمان بن
منصور معه فى القبة وبين
يدى الأمين قدح من بلور
مخروط وكان شديد الإعجاب
به فقال إنما بعثت اليكما لما بلغنى
وصول طاهر بن الحسين
إلى نهروان وقد صنع فى
أمرنا من المكروه ما صنع
فدعوتكما لأفرج همى
فأقبلنا نحدثه فدعا بجارية
تسمى صعب فتطيرنا بها
لاسمها فأمرها أن تغنى فغنت
أبكى فراقهم عينى فأرقها
إن التفرق للمشتاق بكاء
مازال يعدو عليهم ريب
دهرهم * حتى تفانوا
وريب الدهر عداء
فزجرها وتطير من قولها
وقال لها لعنة الله ما عرفت
غير هذا فقالت ياسيدى
ماقصدت إلى ما نطقت
إلا أنك تحبه فعاد إلى
حزنه فأقبلنا نحدثه إلى
أن ضحك ثم أقبل وقال لها
هاتى ما عندك فغنت
هموقتلوه كى يكونوا مكانه
كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بنى هاشم كيف التوصل بيننا
وعند أخيه سيفه ونجائبه
فزجرها وعاد إلى الحالة الأولى فسلیناه حتى عاد إلى الضحك

البعى قتل به ومن احفر لاخيه بئرا سقط فيها ومن داحل السفهاء حقر ومن حالط العلماء
وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم يابنى قل الحق لك أوعليك وإياك والنميمة فإنها تزرع
الشحناء فى قلوب الرجال يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه وروى أنه قيل لجعفر الصادق ما بال
الناس فى الغلاء يزداد جوعهم بخلاف العادة فى الرخص فقال لأنهم خلقوا من الأرض وهم
بنوها فإذا أقحطت أقحطوا وإذا أخصبت أخصبوا ولد جعفر رحمة الله عليه سنة ثمانين من
الهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائة وفى الحديث أن النبى ﷺ
مر هو وأصحابه وهم محرمون بظبى حاقف فى ظل شجرة فقال يافلان لأحد أصحابه قف ههنا
حتى يمر الناس لايريبه أحد بشىء أى لايتعرض له وفى المستدرك عن قبيصة بن جابر الأسدى
قال كنت محرما فرأيت ظبيا فرميته فأصبته فمات فوقع فى نفسى من ذلك شىء فأتيت عمر
أسأله فوجدت إلى جنبه رجلا أبيض رقيق الوجه وإذا هو عبد الرحمن بن عوف فسألت
عمر فالتفت إلى عبد الرحمن فقال ترى شاة تكفيه قال نعم فأمرنى أن أذبح شاة فلما قمنا من عنده
قال صاحب لى إن أمير المؤمنين لم يحسن أن يفتيك حتى سأل الرجل فسمع عمر بعض كلامه فعلاه
بالدرة ضربا ثم أقبل على ليضربنى فقلت يا أمير المؤمنين إنى لم أقل شيئا إنما هو قاله فتركنى ثم
قال أردت أن تفعل الحرام وتتعدى فى الفتيا ثم قال إن فى الإنسان عشرة أخلاق تسعة حسنة
وواحد سىء فيفسدها ذلك السىء ثم قال إياك وعثرات اللسان (وحكى) المبرد عن الأصمعى
أنه قال حدثت أن رجلا نظر إلى ظبية ترد الماء فقال له أعرابى أتحب أن تكون لك قال نعم
قال فأعطنى أربعة دراهم حتى أردها إليك فأعطاه فخرج يمحص فى أثرها فجدت وجد حتى أخذ
بقرنيها فأعطاه إياها وهو يقول :

وهى على البعد تلوى خدها * تزيغ شدّى وأزيغ شدها
كيف ترى عدوى غلام ردها * وكلما جدت ترانى عندها

وذكر ابن خلكان أن كثير عزة دخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك
هل رأيت أحداً أعشق منك قال نعم بينا أنا أسير فى فلاة إذا أنا برجل قد نصب حباله
وهو جالس فقلت له ما أجلسك ههنا فقال أهلكنى وقومى الجوع فنصبت حبالتى هذه
لأصيب لهم شيئا ولنفسى قلت أرأيت إن أقمت معك أيجعل لى جزأ من صيدك قال نعم فبينما
نحن كذلك إذ وقعت ظبية فى الحبالة فبدرنى اليها فحلها وأطلقها فقلت ماحملك على ذلك قال
رق قلبى لها لشبهها بليلى وأنشد يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعى فإننى * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها * فأنت لليلى ما حييت طليق

وفى كتاب ثمار القلوب للثعالبى فى الباب الثالث عشر منه أن الملك بهرام جور لم يكن فى العجم أرمى
منه ومن غريب ما اتفق له أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء
فقال للجارية فى أى موضع تريدين أن أضع السهم من هذه الظباء فقالت أريد أن تشبه ذكرانها
بأناثها وأناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين
أثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع ظلف الظبى وأذنه بنشابة واحدة فرمى أصل أذن الظبى
ببندقة فلما أهوى بيده إلى أذنه ليحك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ثم أهوى إلى الجارية مع
هواه لها فرمى بها الأرض وأوطأها الجمل بسبب ما اشتطت عليه وقال ما أردت إلا إظهار عجزى
فلم تلبث إلا يسيرا وماتت

﴿فصل﴾ يلتحق بهذا النوع غزال المسك ولونه أسود ويشبه ما تقدم فى القد ودقة القوائم وافتراق الأظلاف غير أن لكل منهما نابين أبيضين خفيفين خارجين من فيه فى فكه الأسفل قائمين فى وجهه كنابى الخنزير كل واحد منهما دون الفتر ويقال إنه يسافر من التبت إلى الهند فيلقى ذلك المسك هناك فيكون رديئا وحقيقة ذلك المسك دم يجتمع فى سرتها فى وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التى تنصب إلى الأعضاء وهذه السرة جعلها الله تعالى معدنا للمسك فهى تثمر كل سنة كالشجر التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها وإذا حصل ذلك الورم مرضت له الظباء إلى أن يتكامل ويقال إن أهل التبت يضربون لها أوتادا فى البرية تحتك بها ليسقط عندها وذكر القزوينى فى الأشكال أن دابة المسك تخرج من الماء كالظباء تخرج فى وقت معلوم والناس يصيدون منها شيئا كثيرا فتذبح فيوجد فى سررها دم وهو المسك ولا يوجد له هناك رائحة حتى يحمل إلى غير ذلك الموضع من البلاد انتهى وهذا غريب والمعروف ما تقدم وفى مشكل الوسيط لابن الصلاح عن ابن عقيل البغدادى أن الناجة فى جوف الظبية كالأنفحة فى جوف الجدى وأنه سافر إلى بلاد المشرق حتى حمل هذه الدابة إلى بلاد المغرب لخلاف جرى فيها ونقل فى كتاب العطر له عن على بن مهدى الطبرى أحد أئمة أصحابنا أنها تلقيها من جوفها كما تلقى الدجاجة البيضة انتهى ﴿قلت﴾ والمشهور أنها ليست مودعة فى الظبية بل هى خارجة ملتحمة فى سرتها كما تقدم والله أعلم * روى مسلم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال كانت امرأة من بنى إسرائيل قصيرة تمشى مع امرأتين طويلتين فاتخذت رجلين من خشب وخاتما من ذهب وحشته مسكا والمسك أطيب الطيب فمرت بين المرأتين فلم يعرفوها فقالت بيدها هكذا ونفض شعبة يده قال النووى دل الحديث على أن المسك أطيب الطيب وأفضله وأنه طاهر يجوز استعماله فى البدن والثوب ويجوز بيعه وهذا كله مجمع عليه ونقل أصحابنا عن الشيعة فيه مذهبا باطلا وهم محجوجون بإجماع المسلمين وبالأحاديث الصحيحة فى استعمال النبى ﷺ واستعمال الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال أصحابنا وغيرهم وهو مستثنى من القاعدة المعروفة أن ما أبين من حى فهو ميتة قال وأما اتخاذ المرأة القصيرة رجلين من خشب حتى مشت بين الطويلتين فلم تعرف فحكمه فى شرعنا أنها أن قصدت به مقصودا صحيحا شرعيا لتستر نفسها لئلا تعرف فتقصد بالأذى ونحو ذلك فلا بأس به وإن قصدت به التعاظم والتشبه بالكاملات وتزويرا على الرجال وغيرهم فهو حرام

﴿فائدة﴾ روى الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أنس بن مالك والبيهقى فى شعبه عن أبى سعيد الخدرى قال مر رسول الله ﷺ على قوم قد صادوا ظبية وشدوها إلى عمود فسطاط فقالت يارسول الله إنى وضعت ولى خشفان فاستأذن لى أن أرضعهما ثم أعود إليهم فقال ﷺ خلوا عنها حتى تأتى خشفيها ترضعهما وتأتى إليكم قالوا من لنا بذلك يارسول الله فقال ﷺ أنا فاطلقوها فذهبت فأرضعتهما ثم عادت إليهم فأوثقوها فقال ﷺ ابتيعونيها قالوا هى لك يارسول الله فخلوا عنها فاطلقها وفى رواية عن زيد بن أرقم قال لما أطلقها رسول الله ﷺ رأيتها تسبح فى البرية وهى تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وروى الطبرانى عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ فى الصحراء فإذا مناد ينادى يارسول الله فالتفت فلم ير أحدا ثم التفت فإذا ظبية موثوقة فقالت ادن منى يارسول الله فدنا منها فقال ما حاجتك فقالت إن لى خشفين فى هذا الجبل فخلنى حتى أذهب إليهما فأرضعهما ثم أرجع إليك فقال ﷺ وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب العشار إن لم أفعل فاطلقها فذهبت فأرضعت خشفيها ثم رجعت أقبل عليها فى الثالثة وقال لها غنى فغنت

أما ورب السكون والحرك
إن المنايا شديدة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا
دار نجم السماء فى فلك
إلا بنقل النعيم عن ملك
قد انتهى ملكه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا
ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت بالقدح الذى كان بين يديه فكسرته وكانت ليلة مقمرة ونحن على شاطئ دجلة فقمنا متعجبين مما شاهدنا متفكرين فى أمره فسمعنا قائلا يقول قضى الأمر الذى فيه تستفتيان وكان ذلك آخر الاجتماع به (وحكى) صاعد بن محمود النهاوندى أنه كان ببغداد عراف من الطرقيين يخبر بأشياء قلما يخطئ فيها فجاءه رجل وقال له إن لى مسئلة إن أصبت فيها فلك كذا وكذا فقال سلها فقال إن أخرجتها لك لا أطمئن إلى جوابها فمكث يسيرا ثم قال تسألنى عن محبوس فقال أصبت والله فأخبرنى عن حبسه فقال الشرط أملك إذا وفيت بالوعد أخبرتك بحاله فمضى الرجل إلى بيته وأتاه بما وعده به وقال

فأوثقها وانتبه الأعرابي فقال ألك حاجة يا رسول الله قال نعم تطلق هذه فأطلقها فخرجت تعدو وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وفي دلائل النبوة للبيهقي عن أبي سعيد قال مر النبي ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت يارسول الله خلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال ﷺ صيد قوم وربيطة قوم فأخذ عليها فخلفت له فخلها فما مكثت إلا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما في ضرعها فربطها رسول الله ﷺ ثم أتى إلى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فخلها ثم قال ﷺ لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا أبدا وفي ذلك يقول صالح الشافعي من قصيدة له :

وجاء امرؤ قد صاد يوما غزالة * لها ولد خشف تخلف بالكدا

فنادت رسول الله والقوم حضر * فاطلقها والقوم قد سمعوا الندا

وسيأتي إن شاء الله تعالى في العشراء بيتان آخران (الحكم) يحل أكلها بجميع أنواعها ووقع لجماعة من الأصحاب أنهم قالوا يجب على المحرم في قتل الظبي عنز كذا قاله الإمام وارتضاه الرافعي وصوبه النووي وهو وهم فإن الظبي ذكر والعنز أنثى فالصواب أن في الظبي ثنيا وأما المسك فطاهر وكذا فأرته في الأصح لكن شرط طهارتها انفصالها حال حياة الظبية وقيد المحاملي في كتاب اللباب المسك بالظبي فقال والمسك من الظبي طاهر أي المسك المأخوذ من الظبي احترز بذلك عن المسك التبتي المأخوذ من الفأرة الآتي ذكرها في باب الفاء إن شاء الله تعالى وهو نجس ويستدل به على منع أكلها إذا لو كانت مأكولة لالتحق مسكها بمسك الظبية والظبيون يسمون المسك التبتي المسك التركي وهو عندهم أجود المسك وأغلى ثمنا وينبغي التحرز من استعماله لنجاسته وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء ما قاله الجاحظ في فأرة المسك ونقل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح عن القفال الشاشي أن فأرة المسك يعني الناجفة تدبغ بما فيها من المسك فتطهر طهارة المدبوغات وذكر بعض شراح غنية ابن سريج أن الشعر الذي على فأرة المسك يعني الناجفة نجس بلا خلاف لأن المسك يدبغ ما لاقاه من الجلد المحاذي له فيطهر وما لم يلاقه من أطراف الناجفة نجس وهذا الذي قاله ظاهر إلا قوله أن شعرها نجس بلا خلاف فليس بظاهر لأن في طهارة الشعر تبعا للجلد المدبوغ خلافا عندنا وهي رواية الربيع الجيزي عن الشافعي واختاره السبكي وغيره وصححه الأستاذ أبو إسحق الإسفراييني والروياني وابن أبي عصرون وغيرهم كما تقدم في باب السين المهملة في الكلام على السنجاب وذكر الأزرقي في تعظيم صيد الحرم عن عبد العزيز بن أبي رواد أن قوما انتهوا إلى ذي طوى ونزلوا بها فإذا ظبي من ظباء الحرم قد دنا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه ويلك أرسله فجعل يضحك وأبى أن يرسله فبعر الظبي وبال ثم أرسله فناموا في القائلة فانتبه بعضهم فإذا هو بحية منطوية على بطن الرجل الذي أخذ الظبي فقال له أصحابه ويحك لا تتحرك فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبي ثم روى عن مجاهد قال دخل مكة قوم تجار من الشأم في الجاهلية بعد قصي بن كلاب فنزلوا بوادي طوى تحت سمرات يستظلون بها فاختبزوا على ملة لهم ولم يكن معهم أدم فقام رجل منهم إلى قوسه فوضع عليها سهما ثم رمى به ظبية من ظباء الحرم وهي حولهم ترعى فقاموا إليها فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها فبينما هم كذلك وقدرهم على النار تغلي بها وبعضهم يشوي إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا

أخبرني عن حبسه فقال السائل إلى العراف وقال له أخبرني بكيفية معرفتك أمر هذا المحبوس فقال له اعلم أني إذا سئلت عن شيء أنظر أمامي وعن يميني وعن يساري فإن رأيت شيئا يكون بينه وبين المسئول مناسبة أو مشابهة أجبت على وفق ذلك فإنك لما سألتني رأيت قربة فيها ماء مع رجل سقاء فقلت السؤال عن محبوس ولما سألتني ثانيا رأيت القربة بعينها قد أفرغت وألقاها الرجل السقاء على منكبه فقلت يخرج ويخلع عليه والله أعلم بغيبه (النظر الثالث في تولد الإنسان) اعلم أن الغذاء إذا ورد المعدة وأثرت فيه القوة الهاضمة تصفيه وتجذب ما فيه من الكبد فالكبد يقسمه على جميع البدن وما فضل من الغذاء في الهضم الأخير يبعث إلى النخاع ومن النخاع إلى الأنثيين فيستحيل فيهما إلى طبيعة المني يدغدغ ويهيج اضطراب القدم فلا يسكن إلا بنفض تلك المادة فيكون ذلك سبب اجتماع الذكر والأنثى فإذا حصلت النطفة في الرحم صار نطفة الذكر والأنثى ممتزجين على شكل كرة فتنعقد عليها بحرارة الرحم قشرة

ولم تحرق ثيابهم ولا أمتعتهم ولا السمرات التى كانوا تحتها (الأمثال) قالوا آمن من ظباء الحرم وقالوا ترك الظبى ظله وهو كقولهم اتركه ترك الغزال ظله يضرب للرجل النفور وظله كناسه الذى يستظل به من شدة الحر وهو إذا نفر منه لا يعود إليه أبدا وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الغين أيضا (الخواص) قال ابن وحشية قرنه ينحت ويبخر به البيت يطرد الهوام ولسانه يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها ومرارته تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان فى طعام الصبى فيأكله فينشأ ذكيا فصيحا حافظا ذلقا ومسكه يقوى البصر وينشف الرطوبات ويقوى القلب والدماغ ويجلو بياض العين وينفع من الخفقان وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث تصغير الوجه ومن خواص المسك أن استعماله فى الطعام يورث البخر ﴿فصل﴾ المسك حار يابس وأجوده الصفدى المجلوب من تبت إلا أنه يضر بالأدمغة الحارة ودفع ضرره استعماله بالكافور وتوافق رائحته الأمزجة الباردة والشيوخ قال الرازى لحم الظبى حار يابس وهو أصلح لحوم الصيد وأجوده الخشف وهو نافع للقولنج والفالج والأبدان الكثيرة الفضول لكنه يجفف الأعضاء ويدفع ضرره الأدهان والحوامض وهو يولد دما حارا وأصلح ما أكل فى الشتاء ﴿فائدة﴾ نوافج التبتى نوع رقاق والجرجارى ضده فى الرقة والرائحة والقينوى متوسط بينهما والصنوبرى دون ذلك ويجلب فى قوارير متفرقا فى نواحيه وكلما بعد حيوانه عن البحر كان مسكه ألذ وأذكى (التعبير) الظبى فى المنام امرأة حسناء عربية فمن رأى أنه يملك ظبية بصيد فإنه يملك جارية بمكر وخديعة أو يتزوج امرأة ومن رأى أنه ذبح ظبية افتض جارية ومن رمى ظبية لغير الصيد فإنه يقذف امرأة ومن رمى ظبية وكان عزمه الصيد نال مالا من امرأة ومن رأى أنه صاد ظبيا أصابته لذاذة فى الدنيا ومن رأى أنه أخذ ظبيا نال ميراثا وخيرا كثيرا ومن رأى أنه سلخ ظبية فجر بامرأة ومن رأى ظبيا وثب عليه فإن امرأته تعصيه فى جميع أموره وقال جاماسب من رأى أنه يمشى فى أثر ظبى زادت قوته ومهما ملك الإنسان من قرون الظباء أو شعورها أو جلودها فهى أموال من قبل النساء ﴿خاتمة﴾ المسك فى المنام حبيب أو جارية ومن حمل المسك من اللصوص فإنه يمسك لأن الرائحة الذكية تنم على صاحبها وحاملها وتفشى سره ويدل أيضا على المال لأنه أكثر ثمنا من الذهب وغيره ويدل على طيب عيش وخير طيب يرد على من شمه أو ملكه ويدل على براءة المتهمين وقيل هو ولد وقيل هو امرأة والله تعالى أعلم ﴿فائدة﴾ رأيت فى مختصر الإحياء للشيخ شرف الدين ابن يونس شارح التنبيه فى باب الإخلاص أن من أخلص لله تعالى فى العمل ولم ينو به مقابلا ظهرت آثار بركته عليه وعلى عقبه إلى يوم القيامة كما قيل إنه لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض جاءته وحوش الفلاة تسلم عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءته طائفة من الظباء فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رأى بواقيها ذلك قلن من أين هذا لكن فقلن زرنا صفى الله آدم فدعا لنا ومسح على ظهورنا فمضى البواقى إليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر بهن من ذلك شىء فقلن قد فعلنا كما فعلتن فلم نرشيئا مما حصل لكن فقيل أنتن كان عملكن لتنلن كما نال إخوانكن وأولئك كان عملهن لله من غير شىء فظهر ذلك فى نسلهن وعقبهن إلى يوم القيامة انتهى وهذه من زياداته على الإحياء وقد تكلمنا على الإخلاص والرياء فى كتاب الجوهر الفريد فى الجزء الرابع فلينظر هناك ﴿الظربان﴾ بفتح الظاء المشالة مثل القطران دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح كثيرة الفسو وقد عرف الظربان ذلك من نفسه فجعل ذلك سلاحا له كما عرفت الحبارى ما فى سلحها من السلاح إذا قرب

الرحم ثم إن القوة المصورة بإذن الله تعالى تجمع دهنية النطفة فتأخذ منها حصة إلى الوسط أعدادا للقلب ومن عن يمينه حصة للكبد ومن أعلاه حصة للدماغ ثم تخلق السرة متصلة بوريد وشريان وهذا يتم فى ستة أيام ثم تأخذ فى التخطيط والتنقيط ويتم ذلك إلى خمسة عشر يوما ثم ينفذ دم الحيض فى جميع الكرة فيصير علقة وبعده باثنى عشر يوما تصير الرطوبة لحما متميز الأجزاء وتمتد رطوبة النخاع فإنه أساس البدن وبعده بسبعة أيام ينفصل الرأس عن المنكبين والأطراف من الضلوع والبطن إلى أربعين يوما ثم تظهر عظامه وتكسى العظام باللحم المتولد من دم الحيض كما قال الله تعالى ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿فصل﴾ فى وضع الجنين فى الرحم قال بقراط إنه جالس ورأسه على ركبتيه وعضداه ملتصقتان بأضلاعه ويداه حاملتان لرأسه ورأسه نحو رأس الأم

ورجلاه نحو رجليها مقبوض الأعضاء على غاية ما يمكن من الهندام ووجهه إلى صلب حاملته وصلبه إلى مراقها وكونه على هذا الوضع بعناية الله عز وجل وذلك أن الرأس أثقل من سائر الأعضاء فاحتيج الى ما يحمله فأسند بالركبتين والركبتان ضعيفتان رطبتان خفف عنهما بأن عاونتهما اليدان فى الحمل وصير الوجه إلى جانب صلبها ليكون أحفظ من المصادمات بدفع الصلب وصلبه إلى جهة مراقها لأن صلبه أبعد عن قبول الآفة لأن هذا الوضع موافق جدا لسهولة الولادة لأن رأسه إذا كان قريبا من رحليه وانحل الرباط مع الرحم جاء على رأسه لأن الرأس ثقيل يهوى إلى أسفل بسرعة وأيضا فان أقرب الإشكال إلى المستدير المنحنى والمستدير أبعد عن قبول الآفات فلذلك جعل شكل الجنين على هذا الوجه ليكون أبعد عن قبول الآفات ولأن القلب الذى هو ينبوع الحياة يكون محفوظا وأن شكله على هذه الهيئة ضرورى الوقوع لأن الجنين فى موضع ضيق فجمع بالحكمة الإلهيه سائر أعضائه وجعله كالكرة ليسع فى ذلك الموضع الضيق كما أنا نحن إذا كنا فى موضع

الصقر منها كذلك الظربان يقصد جحر الضب وفيه حسوله وبيضه فيأتى أضيق موضع فيه فيسده بذنبه ويحول دبره اليه فلا يفسو ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكله ثم يقيم فى جحره حتى يأتى على آخر حسوله وتزعم الأعراب أنها تفسو فى ثوب أحدهم إذا صادها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب ﴿ فائدة ﴾ سأل أبو على الفارسى الطبيب أحمد بن حسين المتنبى الشاعر وكان مكثرا من نقل اللغة هل لنا فى الجمع على وزن فعلى فقال فى الحال حجلى وظربى قال أبو على فطالعت كتب اللغه ثلاث ليال فلم أجد لهما ثالثا وقد تقدم هذا فى باب الحاء المهملة والظربان على قدر الهرة والكلب القلطى وهو منتن الريح ظاهرا وباطنا له صماخان بغير أذنين قصير اليدين وفيهما براثن حداد طويل الذنب ليس لظهره فقار ولا فيه مفصل بل عظم واحد من مفصل الرأس إلى مفصل الذنب وربما ظفر الناس به فيضربونه بالسيوف فلا تعمل فيه حتى تصيب طرف أنفه لأن جلده مثل القد فى الصلابة ومن عادته أنه إذا رأى الثعبان دنا منه ووثب عليه فإذا أخذه تضاءل فى الطول حتى يبقى شبيها بقطعة حبل فينطوى الثعبان عليه فاذا انطوى عليه نفخ ثم زفر زفرة يتقطع منها الثعبان قطعا قطعا وله قوة فى تسلق الحيطان فى طلب الطير فإذا سقط نفخ بطنه فلا يضره السقوط ويتوسط الهجمة من الإبل فيفسو فيها فتتفرق تلك الإبل كتفرقها من مبرك فيه قردان فلا يردها الراعى إلا بجهد ولهذا سمته العرب مفرق النعم وهو كثير ببلاد العرب والهجمة مائة من الإبل (وحكمه) تحريم الأكل لاستخبائه ولا يدفع ذلك قول ابن قتيبة العرب تصيد الظربان فيفسو فى أكمامهم لأنهم لا يسمون صيدا إلا المأكول (الأمثال) قالوا فسا بينهم الظربان إذا تقاطع القوم قال الشاعر :

ألا أبلغا قيسا وجندب أننى * ضربت كثيرا مضرب الظربان

﴿ الظليم ﴾ ذكر النعام وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون وكنيته أبو البيض وأبو ثلاثين وأبو الصحارى وجمعه ظلمان كوليد وولدان قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقال تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون ونظيرهما قضيب وقضبان وعريض وعرضان وفصيل وفصلان ذكر سيبويه هذه الألفاظ سوى الولدان وقال إنه قليل وحكى غيره القرى وهو مجرى الماء والجمع قريان وسرى وسريان وصبى وصبيان وخصى وخصيان ﴿ خاتمة ﴾ يقال عار الظليم يعار عرارا بكسر العين المهملة وهو صوته قال ابن خلكان وغيره ومنه أخذ اسم عرار وهو عرار بن عمرو بن شاس الأسدى الذى قال فيه أبوه :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فان عرارا إن يكن غير واضح * فإنى أحب الجون ذا المنكب العمم

وكان والده له امرأة من قومه وابنه عرار هذا كان من أمة وكان قد وقع بين عرار وبين امرأة أبيه عداوة فاجتهد أبوه عمرو على أن يصلح بينه وبين امرأته فلم يمكنه فطلقها ثم ندم وكان عرار فصيحا عاقلا توجه عن المهلب بن أبى صفرة إلى الحجاج بن يوسف الثقفى رسولا فى بعض المهمات فلما مثل بين يديه لم يعرفه وازدراه فلما استنطقه أبان عن فضل وأعرب إلى أن بلغ الغاية فأنشد الحجاج متمثلا :

أرادت عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم البيتين

فقال عرار أيدك الله أنا عرار فأعجب به وبذلك الاتفاق ﴿ قلت ﴾ وهذه الحكاية نظير ما رواه الدينورى فى المجالسة وقاله الحريرى فى الدرة أن عبيد بن شرية الجرهمى عاش ثلثمائة سنة

وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بن أبى سفيان بالشام وهو خليفة فقال له حدثنى بأعجب ما رأيت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر :

ياقلب إنك من أسماء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحب ماتخفيه من أحد * حتى جرت لك إطلاقا محاضير
فلست تدرى وماتدرى أعاجلها * أدنى لرشدك أم مافيه تأخير
فاستقدر الله خيراً وارضينّ به * فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء فى الأحياء مغتبط * إذ هو الرمس تعفوه الأعاصير
يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

قال فقال لى رجل أتعرف من يقول هذه الأبيات قلت لا والله إلا أنى أرويها من منذ زمان فقال والذى تحلف به أنّ قائلها صاحبنا الذى دفناه آنفا الساعة وأنت الغريب الذى تبكى عليه ولست تعرفه وهذا الذى خرج من قبره أمس الناس به رحما وهو أسرهم بموته كما وصف فعجبت لما ذكر من شعره والذى صار إليه من قوله كأنه ينظر من مكانه إلى جنازته فقلت إن البلاء موكل بالمنطق فذهبت مثلا فقال له معاوية لقد رأيت عجبا فمن الميت قال هو عثير بن لبيد العذرى .

﴿ باب العين المهملة ﴾

﴿العاتق﴾ قال الجوهرى هو فرخ الطائر فوق الناهض يقال أخذت فرخ قطاة عاتقا وذلك إذا طار واستقل قال أبو عبيدة نرى أنه من السبق كأنه يعتق أى يسبق انتهى وقال ابن سيده العاتق الناهض من فرخ القطا وهو أول ماينحسر ريشه الأول وينبت له ريش جديد وقيل العاتق من الحمام مالم يسن ويستحكم والجمع عواتق والفرس العتيق الرائع الكريم وامرأة عتيقة أى جميلة كريمة وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه كان يقول فى سورة بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء أنهنّ من العتاق الأول وهنّ من تلادى أراد بالعتاق جمع عتيق والعرب تسمى كل شىء بلغ الغاية فى الجودة عتيقا يريد تفضيل هذه السور لما تتضمن من ذكر القصص وأخبار الأنبياء وأخبار الأمم والتلاد ماكان قديما من المال يريد أنها من أوائل السور المنزلة فى أول الإسلام لأنها مكية وأنها من أول ماقرئ وحفظ من القرآن ﴿العاتك﴾ الفرس والجمع العواتك قال الشاعر :

نتبعهم خيلا لنـــا عواتكا * فى الحرب جردا تركب المهالكا

﴿فائدة﴾ روى عبد الباقى بن قانع فى معجمه والحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفى من حديث سيانة بن عاصم وسيانة بسين مهملة ثم ياء مثناة من تحت وبعد الألف نون ثم هاء له صحبة أن النبى ﷺ قال يوم حنين أنا ابن العواتك من سليم العواتك ثلاث نسوة من بنى سليم كنّ من أمهات النبى ﷺ إحداهنّ عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان السلمية وهى أم عبد مناف بن قصى والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن الفالج السلمية وهى أم هاشم بن عبد مناف والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال السلمية وهى أم وهب أبى آمنة أم النبى ﷺ فالأولى من العواتك عمة الثانية والثانية عمة الثالثة وبنو سليم تفخر بهذه الولادة ولبنى سليم مفاخر أخرى منها أنها آلفت مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة أى شهد معه منهم ألف وأن رسول الله ﷺ قدم

والأنوثة زعم بعضهم أن السبب لذلك زيادة حرارة خلقها الله تعالى للمادة التى يخلق منها الذكر ونقصانها فى المادة التى يخلق منها الأنثى وكذلك تبرز أعضاء التناسل من هذا وتخفى من هذه ثم إذا كانت الحرارة الغريزية فى أصل الخلقة كاملة خرج الذكر تام الأعضاء قوى التذكير وإن نقصت نقصت قوة تذكيره فتشبه أفعاله أفعال النساء وهكذا قوة التأنيث فإن من الإناث من تشبه أفعاله أفعال الرجال وإذا تصورت هذه المراتب فربما يقع فيها مرتبة غريبة بعيدة الاتفاق فيكون المولود لا ذكر ولا أنثى بل خنثى ومنهم من زعم أن الأغلب على خلقة الذكور وقوعها فى الجانب الأيمن من الرحم وفى خلقة الأنثى وقوعها فى الجانب الأيسر وربما يعين على الإناث الفصل الحار والبلد الحار والريح الجنوب وسن الكهولة كما أن أضداده تعين على الذكور وهو الفصل البارد والبلد البـــارد والريح الشمالى وسن الشباب وزعم قوم أن نطفة الذكر إن جرت من يمينه إلى

يمينها كان الولد ذكرا تام الذكورة وإن جرت من يساره إلى يسارها كان الولد أنثى تام الأنوثة وإن جرت من يمينه إلى يسارها كان ذكرا مؤنثا كما ترى فى الرجال من تشبه أفعاله أفعال النساء وإن جرت من يساره إلى يمينها كانت أنثى مذكرة كما ترى فى النساء من تشبه أفعالها أفعال الرجال والله تعالى أعلم.

﴿فصل فى وضع الحمل﴾

اعلم أن القوة الإلهية إذا كملت فى المولود أبرزته القوة الموجودة فى الرحم إذ لو بقى فى الرحم بعد كماله لاحتاج إلى غذاء كثير لكبره ولا يسهل خروجه لكبره والوعاء لا يحمله فيفضى إلى هلاكه وهلاك أمه فإذا كمل المولود كفت القوة الماسكة عن الإمساك وتحركت الدافعة للدفع وهو أيضا يتحرك بيديه ورجليه فينشق الغشاء المطيف به وانحل رباط الجنين فيقع كالشىء الواقع من أعلى إلى أسفل فعند ذلك ينقبض قعر الرحم وينفتح عنقه ويبتدئ بالرطوبات التى كانت فى الأغشية قبل ورود الجنين لينزلق المجرى فيسهل الخروج والخروج إذا كان طبيعيا يبتدئ بالرأس لأن أعاليه أثقل من أسافله فإن من السرة إلى الرأس أثقل مما هو من السرة إلى

لواءهم يومئذ على الألوية وكان أحمر ومنها أن عمر رضى الله تعالى عنه كتب إلى أهل الكوفة والبصرة ومصر والشام أن ابعثوا إلىّ من كل بلد أفضله رجلا فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمى وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمى وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمى وبعث أهل مصر معن بن يزيد السلمى كذا قاله جماعة والصواب أن بنى سليم كانوا يوم الفتح تسعمائة فقال لهم النبى ﷺ هل لكم فى رجل يعدل مائة فيوفكم ألفا قالوا نعم فوفاهم بالضحاك بن سفيان وكان رئيسهم وإنما جعله عليهم لأن جميعهم من قيس عيلان ﴿عتاق الطير﴾ هى الجوارح قاله الجوهرى ﴿العتلة﴾ هى الناقة التى لا تلقح فهى أبدا قوية قاله أبو نصر وسيأتى إن شاء الله تعالى لفظ الناقة فى باب النون ﴿العاضه والعاضهة﴾ حية يموت الذى تلسعه من ساعته وقد تقدم فى لفظ الحية فى باب الحاء المهملة ﴿العاسل﴾ الذئب والجمع العسل والعواسل والأنثى عسلى وقد تقدم فى لفظ الذئب فى باب الذال المعجمة ﴿العاطوس﴾ دابة يتشاءم بها وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكرها فى باب الفاء فى الفاعوس ﴿العافية﴾ كل طالب رزق من إنسان أو بهيمة أو طائر مأخوذ من عفوته إذا أتيته تطلب معروفه ﴿فائدة﴾ فى الحديث «من أحيا أرضا ميتة فهى له وما أكلت العافية منها فهو له صدقة» وفى رواية العوافى وهى جمع عافية رواه النسائى والبيهقى وصححه ابن حبان من رواية جابر بن عبد الله وفى صحيح مسلم من رواية الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال «تتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العوافى يريد عوافى السباع والطير ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة ينقعان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما قال الإمام النووى المختار أن هذا الترك للمدينة يكون فى آخر الزمان عند قيام الساعة ويوضحه قصة الراعيين من مزينة فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر كما ثبت فى صحيح البخارى انتهى وقال القاضى عياض هذا مما جرى فى العصر الأول وانقضى وهو من معجزاته ﷺ فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة منها إلى الشام والعراق وذلك الوقت أحسن ما كانت للدين والدنيا أما الدين فلكثرة العلماء بها وأما الدنيا فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها قال وذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافى وخلت مدة ثم تراجع الناس إليها قال وحالها اليوم قريب من هذا وقد خرب أطرافها ﴿العائذ﴾ بالذال المعجمة الناقة التى معها ولدها وقيل الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أياما حتى يقوى ولدها وفى الحديث إن قريشا خرجت لقتال رسول الله ﷺ ومعها العوذ المطافيل وهى جمع عائذ يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يناجزوا محمدا وأصحابه فى زعمهم ووقع فى نهاية الغريب أن العوذ المطافيل يريدبها النساء والصبيان وإنما قيل للناقة عائذ وإن كان الولد هو الذى يعوذ بها لأنها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وإن كانت مربوحا فيها لأنها فى معنى نامية وزاكية وكذلك عيشة راضية لأنها فى معنى صالحة ﴿العبقص والعبقوص﴾ دويبة قاله ابن سيده ﴿العبور﴾ الجذعة من الغنم أو أصغر وعين اللحيانى ذلك للصغير فقال هى بعد الفطم والجمع عبائر قاله ابن سيده أيضا ﴿العترفان﴾ بضم العين الديك وقد تقدم لفظ الديك فى باب الدال المهملة قال عدى بن زيد:

ثلاثة أحوال وشهرا محرما ✲ أقضى كعين العترفان المحارب

﴿العتود﴾ بفتح العين الصغير من أولاد المعز إذا قوى ورعى وأتى عليه حول والجمع أعتدة وعدان وأصله عتدان فأدغم روى مسلم عن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ أعطاه غنما يقسمها بين أصحابه فبقى عتود فقال ضح به أنت قال البيهقى وسائر أصحابنا كانت هذه رخصة لعقبة ابن عامر خاصة كأبى بردة هانئ بن نيار البلوى وروى البيهقى أن النبي ﷺ قال لعقبة بن عامر «ضح بها أنت ولا رخصة لأحد فيها بعدك» وفى سنن أبى داود أن النبي ﷺ رخص فى مثل ذلك لزيد بن خالد فالذين خصوا بذلك ثلاثة أبو بردة وعقبة بن عامر وزيد بن خالد . ﴿العثة﴾ بضم العين وتشديد الثاء المثلثة دويبة تلحس الثياب والصوف والجمع عث وعثث وأكثر ما تكون فى الصوف وقال فى المحكم هى دويبة تعلق بالإهاب تأكله هذا قول ابن الأعرابى وقال ابن دريد العث بغير هاء دويبة تقع فى الصوف فدل هذا على أن الجمع عث وقال ابن قتيبة إنها دويبة تأكل الأديم وغاير بينها وبين الأرضة وقال الجوهرى العثة السوسة التى تلحس الصوف (وحكمها) تحريم الأكل (الأمثال) قالوا عثيثة تقرم جلداً أملس يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر فى الشيء فلا يقدر عليه قاله الأحنف بن قيس لحارثة بن زيد لما طلب من على رضى الله تعالى عنه أن يدخله فى الحكومة وفى الفائق أن الأحنف قاله لرجل هجاه كما قيل :

فإن تشتمونا على لومكم ... فقد تقرم العث ملس الأدم

﴿العثمثمة﴾ الشديدة من النوق والذكر عثمثم والعثمثم الأسد قاله الجوهرى قال ويقال ذلك من ثقل وطئه قال الراجز * خبعثن مشيته عثمثم . ﴿العثمان﴾ بضم العين وإسكان الثاء المثلثة وبالميم والنون بينهما ألف فرخ الحبارى وفرخ الثعبان والحية أو فرخها . ﴿العثوثج﴾ بثاءين مثلثتين مفتوحتين بينهما واو وأوله عين وآخره جيم البعير الضخم . ﴿العجروف﴾ بضم العين دويبة ذات قوائم طوال وقيل هى النملة الطويلة الأرجل . ﴿العجل﴾ ولد البقرة والجمع العجاجيل والأنثى عجلة وبقرة معجل أى ذات عجل «فائدة» قيل سمى عجلا لاستعجال بنى إسرائيل عبادته وكانت مدة عبادتهم له أربعين يوما فعوقبوا فى التيه أربعين سنة فجعل الله كل سنة فى مقابلة يوم وروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال « لكل أمة عجل وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » قال حجة الإسلام الغزالى وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة وقال الجوهرى قال بعضهم فى قوله تعالى «عجلا جسداً» أى من ذهب أحمر انتهى * والسبب فى عبادة بنى إسرائيل العجل أن موسى عليه الصلاة والسلام وقت الله تعالى له ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما عبر بهم البحر فى يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه مروا على قوم لهم أوثان يعبدونها من دون الله تعالى على تماثيل البقر قال ابن جريج وكان ذلك أول شأن العجل فقال بنو إسرائيل لما رأو ذلك ياموسى اجعل لنا إلهاً أى تمثالا نعبده كما لهم آلهة ولم يكن ذلك شكا من بنى إسرائيل فى وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم كما قال تعالى «إنكم قوم تجهلون» وكان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل وهم بمصر أن الله إذا أهلك عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما فعل الله ذلك لهم سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما فلما تمت الثلاثون أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خروب وقيل أكل من لحاء شجرة فقالت له الملائكة كنا نشم من

(النظر الرابع فى تشاريح أعضاء الإنسان)

اعلم أن فى تشريح الأعضاء من العجائب ما تحير فيها عقول الأولين والآخرين وقصر عن إدراك بعضها فهم الخلق أجمعين ولكثرة ما فيها من العجائب قال جل من قائل «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» (ولنذكر) شيئا من عجائب أعضاء الإنسان والأسرار المودعة فيه وفى تركيبها إن شاء الله تعالى فنقول الأعضاء أجسام متولدة من أول مزاج الأخلاط وهى على قسمين متشابهة ومركبة (القسم الأول المتشابهة) وهى التى يكون حدها كلها حد خروجها وهى أنواع (الأول) العظام وهى أجسام صلبة جعلت قواما للبدن ودعامة تنشأ منها الرطوبات وتمتد من بعض الأعضاء فيشدها ويقويها ويكون له بها الاعتماد فى الحركات ولم يتم ذلك بشيء من الأعضاء الرخوة كاللحم فاقتضت حكمة البارى تعالى خلق العظام لتلك المنافع فمنها ما يكون للبدن كالأساس مثل فقار الصلب فإن البدن يبنى عليه كالخشبة التى تبنى عليها السفينة ومنها

فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأتمها بعشر فلما مضت ثلاثون كانت فتنتهم فى العشر التى زادها وكان السامرى من قوم يعبدون البقر وكان قد أظهر الإسلام وفى قلبه من حب عبادة البقر شىء فابتلى الله به بنى إسرائيل فقال لهم السامرى واسمه موسى بن ظفر ائتونى بحلى بنى إسرائيل فجمعوا له فاتخذ لهم منه عجلا جسدا له خوار وألقى فى فمه قبضة من تراب أثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا ولحما ودما له خوار وهو صوت البقر كذا قاله ابن عباس والحسن وقتادة وأكثر أهل التفسير وهو الأصح كما فى البغوى وغيره وقيل كان جسدا مجسدا من ذهب لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل إنه ما خار إلا مرة واحدة فعكف عليه القوم للعبادة من دون الله تعالى يرقصون حوله ويتواجدون وقيل إنه كان يخور كثيرا كان كلما خار سجدوا له وإذا سكت رفعوا رءوسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشى والجسد بدن الإنسان ولا يقال لغيره من الأجسام المتغذية جسد وقد يقال للجن أجساد فكان عجل بنى إسرائيل جسدا يصيح كما تقدم ولا يأكل ولا يشرب قال الله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل أى حب العجل وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام فجاء بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال إبراهيم عليه السلام البقر واختاره سمينا زيادة فى إكرامهم وقال القرطبى العجل فى بعض اللغات الشاة ذكره القشيرى وكان عليه الصلاة والسلام مضيافا وحسبك أنه وقف للضيافة أوقافا تمضيها الأمم على اختلاف أديانها وأجناسها قال عون بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام مسرعا حتى لحق بأمه (ومما يحكى) من محاسن القاضى محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ووفاته سنة ثلاثين وثلثمائة أن العباس بن المعلى الكاتب كتب إليه ما يقول القاضى وفقه الله تعالى فى يهودى زنى بنصرانية فولدت ولدا جسمه للبشر ووجهه للبقر وقد قبض عليهما فما يرى القاضى فيهما فكتب الجواب بديها هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود فإنهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أيورهم وأرى أن يناط برأس اليهودى رأس العجل ويصلب على عنق النصرانية الرأس مع الرجل ويسحبا على الأرض وينادى عليهما ظالمات بعضها فوق بعض والسلام ﴿فائدة أخرى﴾ نقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى رحمهما الله تعالى أنه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أم لا فأجاب مذهب السادة الصوفية أن هذا بطالة وجهالة وضلالة إلى آخر كلامه ﴿قلت﴾ وقد رأيت أنه أجاب بلفظ غير هذا وهو أنه قال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وإنما كان مجلس النبى ﷺ مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان ونوابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين ﴿فائدة أخرى﴾ روى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه حوله إلى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب بثأره وجاء بناس إلى موسى عليه الصلاة والسلام فادعى عليهم القتل فسألهم موسى فجحدوا فاشتبه أمر القتيل على موسى قال الكلبى وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا

ما قياسه قياس المجن كعظم النافوخ ومنها ما هو كالدافع يدفع به المؤذى كالأساس على فقار الظهر ومنها ما هى لسد فرج بين التناسل كالعظام السمسمانيات بين السلاميات وما خلق للدعامة والوقاية خلق مصمتا لزيادة الحاجة إلى صلابته وما كان لأجل الحركة خلق مجوفا ليكون جرمه خفيفا وجوفه يكون محل غذائه وهو المخ فيغذيه ويرطبه كيلا يتفتت والحكمة فى أن كل عضو خلق من عظام لا من عظم واحد لأن الآفات صائبة لها فعند ذلك يسلم الآخر بخلاف ما إذا كان عظما واحدا فإن الآفة إذا أصابت بعض أطرافها صار الكل موجوعا وأيضا عند الحاجة إلى حركة بعضها لا يفتقر إلى حركة الكل وجميع العظام إذا عدت تكون مائتين وثمانية وأربعين عظما سوى السمسمانية وعظم الحنجرة الشبيهة باللام

(النوع الثانى فى الغضروف)

وهو جسم متوسط بين اللحم والعظم والصلابة واللين ينبت على أطراف العظام فى موضع

موسى أن يدعو الله ليبين لهم ذلك فدعا الله فأوحى إليه أن يعلمهم أن الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة وروى أنه كان فى بنى إسرائيل رجل صالح وله طفل له عجلة فأتى بها إلى غيضة وقال اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بأمه كان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا وكان إذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره وأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى أمه ثلثه فقالت أمه له يوما إن أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا وكذا فانطلق وادع له إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن يردها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت اليها يخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فأتى الفتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال أعزم عليك بإله إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب أن تأتى فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وأقبل يقودها فتكلمت العجلة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فإن ذلك أهون عليك فقال الفتى إن أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت وإله بنى إسرائيل لو ركبتنى لما قدرت على أبدا فانطلق فإنك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل لبرك بأمك فسار الفتى بها إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم أبيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة إذ ذاك ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله اليه ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله عليما خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك فإنى أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك فقال الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه إلا برضا والدتى ثم إن الفتى رجع إلى أمه وأخبرها بالثمن فقالت له ارجع وبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها إلى السوق فأتاه الملك فقال له استأمرت أمك فقال له الفتى إنها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك فإنى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له إن الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليجربك فإذا أتاك فقل له أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ففعل فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فإن موسى يشتريها منك لقتيل من بنى اسرائيل فلا تبيعيها إلا بملء مسكها ذهبا أى جلدها دنانير فأمسكوها وقدر الله عز وجل على بنى إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بأمه فضلا منه ورحمة فمازالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها واختلف العلماء فى لونها فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنها شديدة الصفرة وقال قتادة لونها صاف وقال الحسن البصرى الصفراء السوداء والأول أصح لأنه لا يقال أسود فاقع وإنما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قان وأخضر ناضر وأبيض يقق للمبالغة فلما ذبحوها أمرهم الله أن يضربوا القتيل ببعضها واختلف فى ذلك البعض فقال ابن عباس وجمهور المفسرين ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقبل قال مجاهد وسعيد بن جبير بعجب الذنب لأنه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها لأنه آلة الكلام وقال عكرمة والكلبى بفخذها الأيمن وقيل بعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا بإذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب

دعت الحاجة فيه إلى العظم وإلى اللحم فيدخل الغضروف بينهما حتى لا يتأذى اللحم بصلابة العظم ولا يتألم العظم برطوبة اللحم وأيضا إنها آلات الحركة والاحتكاك تكسر اليابس وتفسخ الرطب فاحتاج إلى متوسط لا ينكسر ولا ينفسخ لرطوبته وهو الغضروف

﴿ النوع الثالث ﴾

العصب وهو جسم لين لدن ينشأ من الدماغ والنخاع كنهر يأخذ من عين فالعين الدماغ والنهر النخاع وفائدته الحس والحركة لسائر الأعضاء ولما كان الدماغ غير محتمل للأعصاب ينشأ منها ويصل إلى أقصى غاية البدن أجرى الله تعالى منها نهرا فى الدماغ ليتشعب منه الجداول وتصل إلى جميع أجزاء البدن وأما أعصاب الرأس فتفيد الحس والحركة للوجه والأعضاء الباطنة وأما سائر الأعضاء الظاهرة فإنها تستفيد بالحس والحركة من النخاع

﴿ النوع الرابع ﴾

الرباط وهو جسم كالعصب فى الشكل إلا أنه أصلب منه ينشأ من العظام فيربط بعضها ببعض ولما كانت الحركة الارادية إنما تكون بقوة تفيض من

البقرة واسم القتيل عاميل قاله البغوى وغيره قال الزمخشرى وغيره روى أنه كان فى بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إنى أستودعكما لابنى حتى يكبر فكبر الولد وكان بارا بأمه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير * وذكر الزمخشرى وغيره أن بنى إسرائيل كانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال لو اعترضوا أى بقرة كانت فذبحوها لكفتهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم (وعن بعض الخلفاء) أنه كتب إلى عامله أن يذهب إلى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك بقطع الشجر سألتنى بأى نوع أبدأ (وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) أنه كتب إلى عامله قال إذا أمرتك أن تعطى فلانا شاة سألتنى أضأن أم معز فإن بينت لك قلت أذكرا أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فإذا أمرتك بشىء فلا تراجعنى فيه ﴿تتمة﴾ فيما يتعلق بهذه الفائدة من الأحكام إذا وجد قتيل فى مكان ولم يعرف قاتله فإن كان ثم لوث على إنسان واللوث ما يغلب على القلب صدق المدعى بأن اجتمع جماعة فى بيت أو صحراء ثم تفرقوا عن قتيل يغلب على الظن أن القاتل منهم أو وجد قتيل فى محلة أو قرية كلهم أعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على القلب أنهم قتلوه وادعى الولى فيحلف المدعى خمسين يمينا على من يدعى عليه فإن كان الأولياء جماعة توزع الإيمان عليهم ثم بعد الإيمان تؤخذ الدية من عاقلة المدعى عليه إن ادعى عليه قتل خطأ وإن ادعى عليه قتل عمد فمن ماله ولا قود على قول الاكثرين وقال عمر بن عبد العزيز يجب القود وبه قال مالك وأحمد وإن لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه مع يمينه وهل يحلف يمينا واحدة أم خمسين يمينا قولان أحدهما يمينا واحدة كما فى سائر الدعاوى والثانى خمسين يمينا تغليظا لأمر الدم وعند أبى حنيفة لا حكم للوث ولا يبتدأ بيمين المدعى بل إذا وجد قتيل فى محلة أو قرية يختار الإمام خمسين رجلا من صلحاء أهلها ويحلفهم أنهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا ثم يأخذ الدية من سكانها والدليل على البداءة بيمين المدعى عند وجود اللوث ما روى الشافعى عن سهل بن أبى خيثمة أن عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود خرجا لخيبر فتفرقا لحاجتهما فقتل عبد الله بن سهل فانطلق محيصة بن أبى مسعود وعبد الرحمن أخو القتيل وحويصة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ فذكروا له قتل عبد الله بن سهل فقال رسول الله ﷺ تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقالوا يا رسول الله لم نشهد ولم نحضر فقال رسول الله ﷺ فتبرئكم يهود بخمسين يمينا فقالوا يا رسول الله وكيف نقبل أيمان قوم كفار فزعم أن النبى ﷺ عقله من عنده قال البغوى فى معالم التنزيل وجه الدليل من الحديث أن النبى ﷺ بدأ بأيمان المدعين لقوة جانبهم باللوث وهو أن عبد الله بن سهل وجد قتيلا فى خيبر وكانت العداوة ظاهرة بين الأنصار وبين أهل خيبر وكان يغلب على الظن أنهم قتلوه واليمين أبدا تكون حجة لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يقوى جانب المدعى عليه حيث أن الأصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه انتهى (الخواص) قال القزوينى خصية العجل تجفف وتشرب بعد حرقها تهيج الباه وتعين على كثرة الجماع حتى يرى عجبا وقضيب العجل إذا جفف وأجيد سحقه واستف منه إنسان وزن درهم فإنه يمكن الشيخ العاجز اقتضاض البكر فإن سحق وألقى على البيض النيمرشت وتحسى منه فإنه يزيد فى الباه زيادة لم ير مثلها وقال غيره خصية العجل

الدماغ بواسطة العصب والعصب لدن لطيف لا يحسن اتصاله بالعظام بلطف البارى تعالى بإنبات جسم من العظام شبيه بالعصب أصلب منه وألين من العظام هو الرباط ليحسن اتصال العصب بالعظم بواسطته (النوع الخامس) اللحم وهو جسم حار رطب من منافعه معاونة الأعصاب والشرايين والأوردة فإنها باردة يابسة فلو لا حرارة اللحم لأتاها الهواء من خارج وأفسدها ولما كانت هى حوامل الروح والغذاء واحتاجت إلى الهضم ولا يتم ذلك بنفسها خلق الله تعالى معينا من اللحم محيطا بها ليتم الهضم الجيد ومن منافعه حشو خلل العظام فيستوى شكل الأعضاء به كما يستوى البناء بالطين فيفيدها حسنا وزينة (النوع السادس) الشحم وهو جسم حار لطيف هوائى خلق على أطراف العضل ومواضع العصب فإنهما آلة الحس والحركة فافترقت إلى مواتاة فى الفعل والانفعال وذلك إنما يتم بالحار والرطب ولما كان العصب باردا يابسا ألحق بالشحم يسخنه ويعينه على هضم الغذاء وإنضاجه ولم يلحقه باللحم كالعروق لأن الغرض من اللحم هضم ما فى داخل

تجفف وتشرب مسحوقة تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع وقضيبه إذا أحرق وسحق وشرب نفع من وجع الأسنان وإذا شرب مع السكنجبين مع الطحال (التعبير) العجل فى المنام ولد ذكر وإذا كان مشويا فهو أمن من الخوف لقصة إبراهيم ﷺ قال تعالى فما لبث أن جاء بعجل حنيذ إلى قوله لاتخف ﴿خاتمة﴾ بنو عجل قبيلة كبيرة من العرب شهيرة ينسبون إلى عجل بن لجيم بضم اللام وفتح الجيم وكان عجل المذكور يعد من الحمق من أجل أنه كان له فرس جواد فقيل له إن لكل فرس جواد اسما فما اسم فرسك فقال لم اسمه بعد فقيل له سمه ففقأ إحدى عينيه ثم قال سميته الأعور وفيه قال بعض شعراء العرب :

رمتنى بنو عجل بداء أبيهم * وهل أحد فى الناس أحمق من عجل

أليس أبوهم عار عين جواده * فسارت به الأمثال فى الناس بالجهل

يقال عار عينه بالمهملة إذا فقأها ﴿العجمجمة﴾ الشديدة من النوق قال الجوهرى مثل العشمشمة وأنشد

بات يبارى ورشات كالقطا * عجمجمات خشفا تحت السرى

﴿أم عجلان﴾ طائر معروف قاله الجوهرى ﴿العجوز﴾ الأرنب والأسد والبقر والثور والذئب والذئبة والرخم والرمكة والضبع وعانة الوحش والعقرب والفرس والكلب ﴿عدس﴾ البغل سموه بزجره قال الشاعر :

إذا حملت بزتى على عدس * على الذى بين الحمار والفرس * فما أبالى من عدا ومن جلس

وعدس زجر البغل قال يزيد بن مفرغ :

عدس مالعباد عليك إمارة * نجوت وهذا تحملين طليق

﴿العذفوط﴾ بالضم دويبة بيضاء ناعمة يشبه بها أصابع الجوارى ﴿العريج﴾ كلب الصيد كذا قاله فى المداخل ﴿عرار﴾ مثل قطام اسم بقرة وفى المثل باءت عرار بكحل وهما بقرتان انتطحتا فماتتا جميعا ﴿العريض﴾ الجدى كذا قاله فى المداخل وقد تقدم لفظ الجدى فى باب الجيم ﴿العسجدية﴾ ركاب الملوك قال الجوهرى وهى إبل كانت تزين للنعمان ﴿العربد﴾ مثال سلفد ملحق بجردحل حية تنفخ ولا تؤذى وقد تقدم ذكرها فى الحيات والعربدة سوء الخلق وقولهم رجل معربد مأخوذ من هذا قاله ابن قتيبة وغيره ﴿العربض والعرباض﴾ البقر القوى الكلكل قاله ابن سيده ﴿العرس﴾ لبوة الأسد والجمع أعراس قال مالك بن خويلد الخناعى :

ليث هزبر مدل عند خيسته * بالرقمتين له أجر وأعراس

(العريقصة) بالصاد المهملة دويبة عريضة كالجعل (العريقطة والعريقطان) بالطاء المهملة دويبة عريضة ﴿العزة﴾ بالفتح بنت الطيبة وبها سميت المرأة عزة قاله الجوهرى ﴿العسا﴾ بفتح العين المهملة الأنثى من الجراد وقد تقدم لفظ الجراد فى باب الجيم (العساعس) بفتح العين القنافذ الكبيرة سميت بذلك لكثرة ترددها فى الليل ﴿العساس﴾ الذئب وقد تقدم فى باب الذال المعجمة ﴿العساهيل﴾ الإبل المهزولة الواحدة عسهول ﴿العسبار﴾ بكسر العين وبالسين الساكنة والأنثى عسبارة ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر (وحكمه) تحريم الأكل لأنه متولد بين مأكول وغير مأكول ﴿العسبور﴾ ولد الكلب من الذئبة

العروق فحسب والغرض من الشحم تسخين العصب على وجه لا يمنعه من سرعة الحركة فلو ألحق بجسم غليظ كاللحم تعسرت حركته وتبلد جسمه وكما قلنا إن مثال اللحم كطين البناء فكذلك أمثال الشحم بجصته (النوع السابع) الشرايين وهى جداول مضاعفة لأنها وعاء الروح خلقت ذات صفاقين إلا واحدة منها فإن الشرايين تحمل الروح الحيوانى من القلب إلى سائر البدن كالزيت للمصباح وإنما خلقت ذات صفاقين صيانة للروح التى فيها واحتياطا بحفظها فيطلع من القلب شعبتان إحداهما إلى الرئة وأنها ذات طبقة واحدة ليكون أسلس وأطوع للانبساط والانقباض عند الاستنشاق والشعبة الأخرى تنقسم قسمين إحداهما تمضى صاعدا والأخرى إلى أسفل حتى استوعبا جميع البدن (النوع الثامن) الأوردة وهى جداول تشبه الشرايين إلا أنها ذات طبقة واحدة لأن ما تحويه من الدم أغلظ مما تحويه الشرايين وتنشأ

ومنفعته جذب الغذاء من الكبد ويسمى الباب والآخر من الجانب المحدب ومنفعته اتصال الغذاء من الكبد إلى سائر الأعضاء ويسمى الأجوف

(النوع التاسع) الثرب وهو جسم شحمى خص بإلحاق المعدة من قدام ليفيدها حرارة مع سهولة الانبساط إذا امتلأت المعدة من الغذاء (النوع العاشر) الغشاء وهو جسم منتسج من ليف عصبانى كنسج الثياب ينبسط على سطوح الأعضاء التى لاحس لها يحويها كاللطائف فيصير لها حافظا يحفظ جواهرها وأشكالها على هيآتها ومنبها لها على المؤذى إذا طرأ عليها (النوع الحادى عشر) الجلد وهو جسم مركب من الشظايا العصبية والرباطية والأجزاء الشعرية من العروق ينسج بعضها فى بعض كما ينسج الغشاء فيحل البدن بأسرها فيحفظ ماتحويه لصلابتها ويشعر بسبب الحس بما يوافقه ويخالفه وهو مفيض فضولا إلى أعضاء البدن الظاهرة

والعسبار ولد الذئب أوولد الضبع من الذئب كما تقدم قال الجوهرى فى ع و ل قال الكميت :

كما خامرت فى حضنها أم عامر * لذى الحبل حتى عال أوس عيالها

أشار بذلك إلى أن الضبع إذا صيدت ولها ولد من الذئب لم يزل الذئب يطعم ولدها إلى أن يكبر وقد تقدم ذلك فى لفظ أوس ﴿العسلق﴾ كل سبع جرىء والعسلق الظليم وقيل الثعلب حكاه ابن سيده ﴿العسنج﴾ كعملس الظليم أيضا وقد تقدم لفظ الظليم فى باب الظاء المشالة المعجمة ﴿العشراء﴾ الناقة التى أتى عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ماتضع أيضا يقال ناقتان عشراوان ونوق عشار وليس فى الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء جمع على عشار ونفساء جمع على نفاس ﴿فائدة﴾ قال الشيخ أبو عبد الله بن النعمان فى كتاب المستغيثين بخير الأنام حديث حنين الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم العدد الكثير والجم الغفير منهم جابر بن عبد الله وابن عمرو من طريقهما خرجه البخارى وأنس بن مالك وعبدالله بن عباس وسهل بن سعد الساعدى وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة قال جابر فى حديثه فصاحت الخشبة صياح الصبى فضمها إليه وفى حديثه أيضا سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفى رواية ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح بيده عليه وفى بعض الروايات والذى نفسى بيده لولم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه وأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ونظم صالح الشافعى فى ذلك فقال :

وحن إليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا

فبادره ضما فقر لوقتـــه * لكل امرئ من دهره ماتعودا

وحنين الجذع إليه وتسليم الحجر عليه لم يثبت لواحد من الأنبياء إلا له صلى الله عليه وسلم ﴿العصارى﴾ بضم العين وفتح الصاد المهملة والراء فى آخره بعدها ياء مثناة من تحت نوع من الجراد أسود شبيه بالخنافس (وحكمه) حل الأكل حكى أبو عاصم العبادى عن أبى طاهر الزيادى أنه قال كنا نراه حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن المسارجسى فقال إنه حلال فبعثنا منه جرابا للبادية وسألنا عنه العرب فقالوا هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه ﴿العصفور﴾ بضم العين وحكى ابن رشيق فى كتاب الغرائب والشذوذ عصفور بالفتح والأنثى عصفورة قال الشاعر :

كعصفورة فى كف طفل يسومها * حياض الردى والطفل يلهو ويلعب

وكنيته أبو الصعور وأبو محرز وأبو مزاحم وأبو يعقوب قال حمزة سمى عصفورا لأنه عصى وفر وهو أنواع منها مايطرب بصوته ويعجب بصوته وحسنه وسيأتى إن شاء الله تعالى والعصفور الصرار وهو الذى يجيب إذا دعى من الصيرورة وعصفور الجنة وهو الخطاف وقد تقدم ذكرهما فى بابيهما وأما العصفور الدورى البيوتى فإن فى طباعه اختلافا وذلك أن فيه من طبائع السباع وهو أكل اللحم ولايزق فراخه ومن البهائم أنه ليس بذى مخلب ولا منسر وإذا سقط على

عود قدم أصابعه الثلاث وأخر الدابرة وسائر أنواع الطير تقدم أصبعين وتؤخر أصبعين ويأكل الحب والبقول ويتميز الذكر منها بلحية سوداء كما للرجل والتيس والديك وليس فى الأرض طائر من سبع ولا بهيمة أحن من العصفور على ولده ولا أشد له عشقا وذلك مشاهد عند أخذ فراخها ووكره فى العمران تحت السقوف خوفا من الجوارح وإذا خلت مدينة من أهلها ذهبت العصافير منها فإذا عادوا إليها عادت العصافير والعصفور لا يعرف المشى إنما يثب وثبا وهو كثير السفاد فربما سفد فى الساعة الواحدة مائة مرة ولذلك قصر عمره فإنه لا يعيش فى الغالب أكثر من سنة ولفرخه تدرب على الطيران حتى إنه يدعى فيجيب قال الجاحظ بلغنى أنه رجع من فرسخ ومن أنواعه عصفور الشوك وأكثر مأواه السياج وزعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوة لأن الحمار إذا كان به دبر حكه فى الشوك الذى يأوى إليه هذا العصفور فيقتله وربما نهق الحمار فتسقط فراخه أو بيضه من جوف وكره فلذلك هذا العصفور إذا رأى الحمار رفرف فوق رأسه وعلى عينيه وآذاه بطيرانه وصياحه ومن أنواعه القبرة وستأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف ومن أنواعه حسون وقد تقدم فى باب الحاء والبلبل والصعو والحمرة والعندليب والمكاكى والصافر والتنوط والوصع والبراقش والقبعة وكلها فى أماكنها مذكورة وفى الأذكياء لابن الجوزى أن رجلا رمى عصفورا فأخطأه فقال له رجل أحسنت فغضب وقال أتهزأ بى قال لا ولكن أحسنت إلى العصفور إذا لم تصبه ورأيت فى بعض التعاليق أن المتوكل رمى عصفورا فلم يصبه وطار فقال له ابن حمدان أحسنت فقال له المتوكل كيف أحسنت قال أحسنت إلى العصفور ويروى عن الجنيد أنه قال أخبرنى محمد بن وهب عن بعض أصحابه أنه حج مع أيوب الجمال قال فلما دخلنا البادية وسرنا منازل إذ بعصفور يحوم حولنا فرفع أيوب رأسه إليه وقال له قد جئت إلى هنا فأخذ كسرة خبز فقتها فى كفه فانحط العصفور وقعد على كفه فأكل منها ثم صب له ماء فشربه ثم قال له اذهب الآن فطار العصفور فلما كان من الغد رجع العصفور ففعل أيوب مثل فعله فى اليوم الأول فلم يزل كل يوم يفعل به مثل ذلك إلى آخر السفر ثم قال أيوب أتدرى ما قصة هذا العصفور قال لا قال إنه كان يجيئنى فى منزلى كل يوم فكنت أفعل به ما رأيت فلما خرجنا تبعنا يطلب منا ما كنت أفعل به فى المنزل روى البيهقى وابن عساكر بسندهما إلى أبى مالك قال مر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام بعصفور تدور حول عصفورة فقال لأصحابه أتدرون ما يقول قالوا وما يقول يا نبى الله قال يخطبها لنفسه ويقول تزوجينى أسكنك أى قصور دمشق شئت قال سليمان وإنه عرف أن قصور دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها لكن كل خاطب كذاب وسياتى إن شاء الله تعالى له نظير فى باب الفاء فى الفاختة وكان سليمان عليه السلام يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها كما تقدم فى باب الطاء المهملة فى الطيطوى قال الله تعالى حكاية عنه يا أيها الناس علمنا منطق الطير وكذلك كان يعرف لغات ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات ﴿فائدة﴾ روى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت حين توفى صبى من الأنصار بين أبوين مسلمين طوبى له عصفور من عصافير الجنة فقال النبى ﷺ أو غير ذلك إن الله تعالى خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ومن الناس من قدح فى هذا الحديث بأنه من رواية طلحة بن يحيى وهو متكلم فيه والصواب صحته وهو فى صحيح مسلم ولكنه ﷺ نهانا عن المسارعة إلى القطع أو أنه قال ذلك

لأنها تدفع الفضول من العروق والوسخ من المسام (النوع الثانى عشر) المخ وهو جسم مناسب لطبيعة العظم خلقت فى تجاويف العظام لغذائها وذلك أن حرارة الدم ورطوبته اعتدلت ببرودة العظم ويبوسته فصار غذاء صالحا للعظم والله أعلم بالصواب

(القسم الثانى من الأعضاء المركبة) وهو على نوعين ظاهرة وباطنة أما الظاهرة فأنواع الأول الرأس ولما كان الرأس محل السمع والبصر وهما محتاجان إلى مكان عال لأن محل الديدان لا يصلح إلا عاليا ليطلع على الأخبار من البعد ويخبر بها اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرأس فى أعلى موضع من البدن وخلق مستديرا لأن الشكل المستدير أكثر مساحة من غيره من الأشكال وقد احتيج إلى زيادة المساحة لكثرة ما تضمنها والشكل الكروى أحسن الأشكال ولا ينفعل من المصادمات انفعال ذى الزوايا وخلق مستديرا إلى الطول لأن منابت الأعصاب الدماغية موضوعة فى الطول وخلق الجمجمة صلبة حاوية للدماغ لتمنع الآفات عنه كالبيضة التى يتوقى بها

الرأس وخلقت مركبة من نظام ليبقى بعضها سليما إذا أصاب البعض آفة

قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين فى الجنة كذا قال بعضهم وليس بصحيح لأن سورة الطور مكية ودلت على تبعيتهم أو أن قطع عائشة بذلك قطع بإيمان أبويه ويحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبى ابن كافرين وروى ابن قانع فى ترجمة الشريد بن سويد الثقفى أن النبى ﷺ قال من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة فقال يارب عبدك قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة وروى فى حديث آخر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت له أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت فى سبيل الله فقال النبى ﷺ «وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره» وروى البيهقى فى الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع فى فخه فقال مالى أراك مغيبا فى التراب قال للتواضع قال فم حنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة فى فيك قال أعددتها للصائمين فلما أمسى تناول الحبة فوقع الفخ فى عنقه فخنقه فقال العصفور إن كان العباد يخنقون خنقك فلا خير فى العباد اليوم وفيه أيضا عن الحسن أن لقمان قال لابنه يا بنى حملت الجندل والحديد وكل حمل ثقيل فلم أجد شيئا أثقل من الجار السوء وذقت المرار كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر يا بنى لا ترسل رسولا جاهلا فإن لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بنى إياك والكذب فإنه شهى كلحم العصفور عما قليل يقلى صاحبه يا بنى احضر الجنائز ولا تحضر العرس فإن الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا يا بنى لا تأكل شبعا على شبع فإنك إن تلقيه إلى الكلب خير لك من أن تأكله يا بنى لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ ورأيت فى بعض المجاميع عن الحسن أن لقمان قال لابنه يا بنى اعلم أنه لا يطأ بساطك إلا راغب فيك أو راهب منك فأما الراهب منك الخائف فأدن مجلسه وتهلل فى وجهه وإياك والغمز من ورائه وأما الراغب فيك فأظهر له البشاشة مع صفاء الباطن له وابدأه بالنوال قبل السؤال فإنك إن تلجئه إلى السؤال منك تأخذ من حر وجهه ضعف ما تعطيه وأنشدوا على هذا

إذا أعطيتنى بسؤال وجهى ... فقد أعطيتنى وأخذت منى

يا بنى ابسط حملك للقريب والبعيد وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم وصل أقاربك وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك اه وقد أذكرنى هذا ما حكاه بعض أشياخى أن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق فعاد رسوله برسالة شك الإسكندر فى حرف منها فقال له الإسكندر ويحك إن الملوك لا يخاف عليها إلا إذا مالت بطانتها وقد جئتنى برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة غير أن فيها حرفا ينقصها فعلى يقين أنت منه أم شاك فيه فقال الرسول على يقين فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظها حرفا حرفا وتعاد إلى الملك مع رسول آخر فتقرأ عليه وتترجم له فلما قرئ الكتاب على الملك مر بذلك الحرف فأنكره فقال للمترجم ضع يدك على هذا الحرف فوضعها وأمر أن يقطع ذلك الحرف فقطع من الكتاب وكتب إلى الإسكندر رأس المملكة صحة فطنة الملك ورأس الملك صدق لهجة رسوله إذا كان عن لسانه ينطق وإلى أذنه يؤدى وقد قطعت ما لم يكن من كلامى إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر دعا الرسول الأول وقال له ما حملك على كلمة أردت بها الفساد بين ملكين فأقر الرسول أن ذلك لتقصير رآه من الموجه إليه فقال له الاسكندر ما أراك سعيت إلا لنفسك لا لنا فلما فاتك ما أملت جعلت لك ثارا فى الأنفس الخطيرة الرفيعة ثم أمر بلسانه فنزع من قفاه وقال يحيى بن خالد بن برمك ثلاثة أشياء تدل على عقول الرجال الهدية والرسول والكتاب * وسمع أبو الأسود الدؤلى رجلا ينشد

(فصل فى العين) لما كانت الحاجة إلى العين ماسة اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فى غاية الرقة واللين ووقاها بضروب كثيرة من الوقاية فوضعها فى حفرة من العظم وجعل حولها عظاما صلبة وغطاها بالأجفان وصانها بالأهداب وجعلها عينين اثنين حتى لو أصاب إحداهما آفة بقيت الأخرى سليمة وجعلهما فى الرأس لأن حاسة البصر بمنزلة الديدبان وأنه كلما كان أعلى مكانا كانت مسافة مبصراته أكثر ولأن العصبة التى فيها الروح الباصرة دقيقة جدا نازلة من الدماغ لا تحمل مسافة بعيدة وقد وضعت أمام البدن لتكون حارسة للأعضاء التى غطاؤها ضعيف كالبطن وغيره ولأن عمل الأعضاء الخارجة كاليد والرجل من قدام لتكون مشاهدة لأعمالها وهى سبع طبقات وتركيبها أنه ينشأ من الدماغ من تحت القحف عصبة مجوفة تنتهى إلى قعر العين وعليها غشاءان أحدهما غليظ والآخر رقيق فإذا صارت إلى عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار لباسا وغشاء لعظم العين وتسمى الطبقة الصلبية ويفارقها أيضا الغشاء الرقيق ويصير لباسا وغشاء دون الطبقة الصلبية وتسمى الطبقة

إذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

فقال قدأساء قائل هذا أيعلم الغيب إذا لم يوصه كيف يعلم مافى نفسه هلا قال :

إذا أرسلت فى أمر رسولا * فأفهمه وأرسله أديبا

ولا تترك وصيته بشىء * وإن هو كان ذاعقل أريبا

فإن ضيعت ذاك فلا تلمه * على أن لم يكن علم الغيوبا

(وفى تاريخ ابن خلكان) وغيره من التواريخ أن الزمخشرى كان مقطوع الرجل فسئل عن ذلك فقال دعاء الوالدة وذلك أنى كنت فى صباى أمسكت عصفوراً وربطته بخيط فى رجله فأفلت من يدى وأدركته وقد دخل فى خرق من الجدار فجذبته فانقطعت رجله بالخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلى وعملت عملا أوجب قطعها * وفى الحلية للحافظ أبى نعيم فى ترجمة زين العابدين قال أبو حمزة اليمانى كنت عند على بن الحسين فإذا عصافير يطرن حوله ويصرخن فقال ياأبا حمزة هل تدرى ماتقول هذه العصافير قلت لا قال إنها تقدس ربها جل وعلا وتسأله قوت يومها وفى الصحيحين وسنن النسائى وجامع الترمذى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن أبى بن كعب وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال قام موسى خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إلى موسى أن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هو أعلم منك وفى الرواية الأخرى أنه قيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال موسى لا فأوحى الله تعالى إلى موسى بل عبدنا خضر فقال يارب وكيف به فقال له احمل حوتا فى مكتلك فإذا فقدته فهو ثم، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون وحملا حوتا فى مكتل حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رءوسهما فناما وانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله فى البحر سربا وكان لموسى ولفتاه عجبا فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما حتى أصبحا فقال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى شيئا من النصب حتى جاوز المكان الذى أمر به فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت قال موسى ذلك ماكنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى وفى الرواية الأخرى وكان يتبع أثر الحوت فى البحر فقال الخضر عليه السلام وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم ثم قال هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه الله لاتعلمه أنت وإنك على علم من علم الله علمكه الله لاأعلمه قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فقال فرأيا سفينة فكلموهما أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين فى البحر فقال الخضر ياموسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور وفى الرواية الأخرى إلا مثل مانقص هذا العصفور من هذا البحر وعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا قال لاتؤخذنى

المشيمية لشبهها بالمشيمة وتعرض العصبية نفسها أن تصير غشاء بين الغشاءين المذكورين يسمى الغشاء الشبكى ثم يتكون فى وسط هذا جسم لين رطب فى لون الزجاج يسمى الرطوبة الزجاجية ويتكون فى وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أنه مفرطح شبيه بالجليد فى صفائه وتسمى الرطوبة الجليدية وتحيط الزجاجية بالجليد بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصفاء والصقال تسمى الطبقة العنكبوتية ثم يعلو هذا الجسم جسم سائل فى لون بياض البيض تسمى الرطوبة البيضية ثم يعلو الرطوبة البيضية جسم رقيق أملس الخارج يختلف لونه فى الناس فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك وفى وسطه حين يحاذى الجليد ثقب يتسع ويضيق فى حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع فى الظلمة وهذا الثقب هو الحدقة ويسمى هذا الغشاء الطبقة العينية ويعلوها ويغشاها جسم كثيف صاف شبيه بصفيحة رقيقة من قرن أبيض وتسمى الطبقة القرنية غير أنها تتكون بكون الطبقة التى تحتها المسماة العينية ويعلوها

ويغشاها إلى موضع سواد العين في حوله جسم أبيض اللون صلب يسمى الملتحم وهو بياض العين ونباته من الجلد الذى خارج القحف ونبات القرنية من الطبقة الصلبية ونبات القرنية العينية من الطبقة المشيمية ونبات العنكبوتية من الطبقة الشبكية والله الموفق (أما الروح الباصر) فإنه فى جوفه عصبتان يبتدئان من غور البطنين المتلازمين المقدمين من الدماغ نبتا يصير النابت منهما يسارا ونبتا يصير النابت منهما يمينا ثم يلتقيان على مقاطع صلبي ثم ينفذ النابت يمينا إلى الحدقة اليمنى والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى ولوقوع هذا التقاطع منافع منها أن الروح السائل إلى أحد الحدقتين لايكون محجوبا عن الأخرى وإذا عرضت لاحداهما آفة صار الروح الناظر من الطريقين إلى العين السليمة ولذلك ترى إحدى الحدقتين أقوى إبصارا إذا غمضت الأخرى لقوة اندفاع الروح الباصر إليها وأما منافع الطبقات والرطوبات فكثيرة والحاجة إليها للطبيب ليس كتابنا بصدده وأما الجفن فمنشؤه من الجلد الذى هو على خارج القحف والرأس وفيه ثلاث عضلات تأتى اثنتان من جهة الموقين

بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فكانت الأولى من موسى نسيانا فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا قال ابن عيينة وهذا أوكد فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه الخضر بيده فقال موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا قال النبى ﷺ يرحم الله أخى موسى لوددنا أنه لو صبر حتى يقص الله علينا من أنبائهما وفى الرواية الأخرى يرحم الله موسى لو كان صبر لقص علينا من أمرهما وعن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى ليس بموسى بنى إسرائيل إنما هو موسى آخر قال كذب عدو الله حدثنى أبى بن كعب وذكر الحديث وذكر قصة موسى والخضر بطولها قال وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر فى البحر فقال له الخضر ما نقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر قال العلماء لفظ النقص ليس هنا على ظاهره وإنما معناه إنما علمى وعلمك بالنسبة إلى علم الله كنسبة ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ﴿قلت﴾ وهذا على التقريب للأفهام وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر (وحكمه) حل الأكل قال عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال ما من إنسان يقتل عصفورة فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عنها قيل يارسول الله وما حقها قال أن يذبحها فيأكلها وأن لا يقطع رأسها فيرمى به رواه النسائى * وروى الحاكم عن خالد بن معدان عن أبى عبيدة ابن الجراح قال إن النبى ﷺ قال إن قلب ابن آدم مثل العصفور يقلب فى اليوم سبع مرات ومن أحكام العصافير أنها على اختلاف أنواعها جنس واحد فى باب الربا والبطوط جنس والكركى جنس والحبارى جنس والأوز جنس والدجاج جنس والحمام جنس وتقدم فى بابه ومن أحكامها أنه لايجوز عتقها على الأصح وقيل يجوز لما روى الحافظ أبو نعيم عن أبى الدرداء أنه كان يشترى العصافير من الصبيان ويرسلها قال ابن الصلاح والخلاف فيما يملك بالاصطياد أما البهائم الإنسية فإن أعناقها من قبيل سوائب الجاهلية وذلك باطل قطعا وقال الشيخ أبو إسحق الشيرازى فى كتاب عيون المسائل أن ذرق العصافير غير معفو عنه والمشهور أن فيه الخلاف الذى فى بول ما يؤكل لحمه (الأمثال) قالوا أخف حلما من عصفور قال حسان رضى الله تعالى عنه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال وأحلام العصافير

قال قعنب: إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا

مثل العصافير أحلاما ومقدرة * لو يوزنون برق الريش ماوزنوا

وقالوا صاحت عصافير بطنه إذا جاع قال الأصمعى العصافير هنا الأمعاء قال الجوهرى والمصير المعى وهو فعيل والجمع المصران مثل رغيف ورغفان ثم المصارين جمع الجمع ونقله فى المحكم عن سيبويه سميت مصارين لصيرورة الطعام فيها وقالوا أسفد من عصفور (الخواص) لحم العصافير حار يابس أصلب من لحم الدجاج وأجودها الشتوية السمان وأكلها يزيد فى المنى والباه لكنه يضر أصحاب الرطوبات الأصلية ويدفع ضررها دهن اللوز وهو تولد خلطا صفراويا يوافق من الأسنان الشيوخ ومن الأمزجة الباردة ومن الأزمان الشتاء قال المختار بن عبدون يكره أكل لحم العصافير لأن اليسير من عظامها إذا سبق فى أكل شىء منها أحدث شحما فى المرىء والمعى وإذا اتخذ من فراخها عجة بالبيض والبصل زادت فى الباه

وأمراقها تحل الطبع ولحومها تثقله ولا سيما إذا كانت مهزولة هزالا فاضحا وأضر العصافير ما سمن فى البيوت وقال غيره إذا أخذ دماغ العصفور وأضيف إلى ماء السذاب وشىء من عسل وشرب على الريق فإنه نافع لأوجاع البواسير وإذا خلط ذرق العصافير بلعاب الإنسان وطلى به على الثآليل قلعها مجرب وإذا أخذ عصفور وذوب دماغه بشيرج وسقى لمن يحب شرب النبيذ فإنه يبغضه وهو عجيب مجرب وإذا أكل عصفور الشوك مشويا ومملوحا فتت الحصى الذى فى المثانة والكلى وقال مهراريش إذا ذبح العصفور وقطر دمه على دقيق العدس وجعل بنادق وجفف فإنه يهيج الباه وإذا أخذت منه بندقة وخلطت بزيت وطلى بها الإحليل ولا يطأ على الأرض فإنه يطأ ما شاء ﴿فائدة﴾ قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى أربعة أشياء تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الإطريفل الأكبر وأكل الفستق وأكل الجوز وأربعة أشياء تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام واستعمال السواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم وأربعة أشياء تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان وأربعة أشياء توهن البدن وتسقمه كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة ﴿فائدة أخرى﴾ من أكثر من الجماع وجعله دأبه أورثه حكة فى بدنه وضعفا فى قوته وبصره وعدم لذة المجامعة وشاب عاجلا ومن دافع البول والغائط ولم يقم إذا دعياه ضعفت مثانته وغلظ جلده وأورثه حرق البول والرمل والحصا وضعف البصر ومن أكثر من حك رجليه بالنخالة والملح أحد بصره وعوفى من ضعفه ومن بصق فى بوله وأدمن على ذلك أمن من وجع الصلب قاله القزوينى نقلا عن أبقراط وغيره وذكر أنه امتحنه وجربه (التعبير) العصفور فى المنام رجل قاص صاحب لهو وحكايات يضحك الناس وقيل إنه ولد ذكر فمن رأى أنه ذبح عصفورا وله ولد مريض خشى عليه من الموت وربما دل على رجل شيخ ضخم كثير المال يحتال فى الأمور كامل فى رياسته مدبر وربما دل على امرأة حسناء شفيقة وأصوات العصافير كلام حسن أو دراسة فى العلم والعصافير الكثيرة أموال لمن حواها فى المنام وتعبر العصافير بالأولاد والصبيان ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين فقال له رأيت كأنى آخذ العصافير فأدق أجنحتها وأجعلها فى حجرى فقال ابن سيرين أتعلم كتاب الله أنت قال نعم فقال اتق الله فى أولاد المسلمين وأتاه رجل فقال رأيت كأن فى يدى عصفورا وقد هممت بذبحه فقال لا يحل لك أن تأكلنى فقال له ابن سيرين أنت رجل تتناول الصدقة ولست مستحقها فقال له الرجل تقول لى ذلك فقال نعم ولو شئت قلت لك كم هى درهم فقال كم هى قال ابن سيرين ستة دراهم فقال الرجل ها هى فى كفى وأنا تائب لا أعود إلى تناول الصدقة فقيل له من أين أخذت ذلك فقال العصفور ينطق فى الرؤيا بالحق وهو ستة أعضاء فبقوله لا يحل لك أن تأكلنى علمت بذلك أنه يتناول مالا يستحق ومن الرؤيا المعبرة أيضا عن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أنه أتاه رجل فقال رأيت كأن فى يدى عصفورا فقال له جعفر تنال عشرة دنانير فمر الرجل فوقع فى يده تسعة دنانير فأتى إلى جعفر وأخبره بذلك فقال اقصص علىّ الرؤيا ثانيا فقال رأيت كأن بيدى عصفورا وأنا أقلبه فلم أره ذنبا فقال له جعفر لو كان له ذنب لكانت الدنانير عشرة والله أعلم ﴿العضل﴾ بضم العين وفتح الضاد المعجمة الجرذ والجمع العضلان وقد تقدم ذكر الجرذ فى باب الجيم ﴿العرفوط﴾ بكسر العين دويبة لا خير فيها تذكر العرب أنها لا تبول إلا شغرت ببولها إلى صوب القبلة والحيات تأكلها (العريقطة) دويبة عريضة وهى العريقطان قاله الجوهرى ﴿العضمجة﴾ الثعلبة وقد تقدم ذكر الثعلب وما فيه فى باب الثاء المثلثة فى أول الكتاب ﴿العضرفوط﴾ العضاءة الذكر وتصغيره عضيرف وعضيريف قاله الجوهرى ﴿فائدة﴾ قال ابن عطية فى تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على إبراهيم يجذبان الجفن إلى أسفل جذبا متشابها وأما فتح الجفن فيكفيه عضلة واحدة تأتى من وسط الجفن فينبسط طرف وترها على طرف الجفن فإذا نشجت فتحت العين وأما الجفن الأسفل فإنه لا عضلة فيه وجعل الأسفل أصغر من الأعلى لأن الأعلى يستر الحدقة مرة ويكشفها أخرى بتحركه وأما الأسفل فإنه غير متحرك فلو زيد على هذا القدر لستر شيئا من الحدقة دائما ولكان فضول العين تجتمع فيه ولا يسيل وأما منفعته فليمنع نكاده ما يلاقى الحدقة من خارج ويمنع عند انطباقها وصول الغبار والدخان والشعاع ويصقل الحدقة دائما ويبعد عنها ما أصابها من الهباء والقذى وأما الأهداب فإنها بمنزلة السياج حول العين يمنع عن الحدقة بعض الأشياء التى لا يمنعها الجفن مع انفتاح العين كما ترى عند هبوب الريح الذى يأتى بالقذى فتنفتح أدنى فتح وتتصل الأهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل منها شبه شباك لينظر من ورائها فتحصل الرؤية مع اندفاع القذى والله أعلم ﴿فصل فى الآذان﴾ ولما كانت القوة السامعة لا تفيد السمع إلا بواسطة قرع الصوت الهواء ووصول

روى أن الغراب كان ينقل الحطب إلى نار إبراهيم وأن الوزغة كانت تنفخ النار عليه لتضرم وكذلك البغل وروى أن الخطاف والضفدع والعضرفوط كن ينقلن الماء ليطفئن النار فأبقى الله على هذه وقاية وسلط على تلك النوائب والأذى اه * وقد أفادني بعض الأشياخ أن يكتب لسائر الحميات قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً سلاماً على ثلاث ورقات ويشرب المحموم كل يوم ورقة منها على الريق أو عندما تأخذه الحمى فإنها تذهب بإذن الله تعالى وهو عجيب مجرب وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً أن العظاءة هي السحلية وهي مباركة ﴿عطار﴾ قال القزويني في الأشكال إنه صنف من الدواب الصدفية يوجد ببلاد الهند في المياه القائمة ويوجد أيضاً بأرض بابل وهو من أعجب الحيوانات له بيت صدفي يخرج منه وله رأس وأذنان وعينان وفم فإذا دخل في بيته يحسبه الإنسان صدفة فإذا خرج منه ينساب في الأرض ويجر بيته معه فإذا جفت الأرض في الصيف يجتمع رائحته عطرة * ومن خواصه أنه إذا جرب به ينفع من الصرع وإذا أحرق فرماده يجلو الأسنان وإذا وضع على حرق النار وترك حتى يجف نفعه نفعاً بيناً ﴿العطاط﴾ بالفتح الأسد وقال صاحب الكامل في تفسير خطبة الحجاج لأهل الكوفة العطاط بضم العين وقيل بفتحها ضرب من الطير معروف ﴿العطرف﴾ بالكسر الأفعى الكبيرة وقد تقدم لفظ الأفعى في باب الهمزة ﴿العظاءة﴾ بالظاء المعجمة المفتوحة والمد دويبة أكبر من الوزغة ويقال في الواحدة عظاية أيضاً والجمع عظاء وعظايا قال عبد الرحمن بن عوف * كمثل الهر يلتمس العظايا * وقال الأزهري هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً تشبه سام أبرص إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل وهي أنواع كثيرة منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وكلها منقطة بالسواد وهذه الألوان بحسب مساكنها فإن منها ما يسكن الرمال ومنها ما يسكن قريباً من الماء والعشب ومنها ما يألف الناس وتبقى في جحرها أربعة أشهر لا تطعم شيئاً ومن طبعها محبة الشمس لتصلب فيها * ومن خرافات العرب قالوا إن السموم لما فرقت على الحيوانات احتبست العظاءة عند التفرقة حتى نفد السم وأخذ كل حيوان قسطه منه على قدر السبق إليه فلم يكن لها فيه نصيب ومن طبعها أنها تمشي مشياً سريعاً ثم تقف ويقال إن ذلك لما يعرض لها من التذكر والأسف على ما فاتها من السم وهذه تسمى بأرض مصر السحلية * وهي محرمة الأكل وقد تقدم ذكرها في باب السين (الخواص) من علق عليه يدها اليمنى ورجلها اليسرى في خرقة جامع ما شاء وإن علقت في خرقة سوداء على من به حمى الربع المزمنة أبرأته وقلبها إذا علق على امرأة منعها أن تلد ما دام عليها وإن طبخت بسمن البقر حتى تتهرى ومسح بها الملسوع أبرأه وإن جعلت في قارورة وملئت زيتاً وجعلت في الشمس حتى تتهرى كان ذلك الزيت سماقاتلا * وهي في الرؤيا تدل على التلبيس واختلاف الأسرار والله أعلم ﴿العفر﴾ ولد الأروية * وفي المثل أوقل من عفر والعفر بالكسر الخنزير الذكر والعفر الرجل الخبيث المداهن والمرأة عفرة يقال عفرية نفرية كما يقال عفريت نفريت ﴿العفريت﴾ القوي المارد من الشياطين والتاء فيه زائدة قال تعالى قال عفريت من الجن أنا آتيك به قرأ أبو رجاء العطاردي وعيسى الثقفي عفرية ورويت عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأت فرقة عفر وكل ذلك لغات وقال وهب اسم هذا العفريت كوذا وقيل ذكوان وقال ابن عباس هو صخر الجني * واختلفوا في غرض سليمان عليه الصلاة والسلام في استدعاء عرش بلقيس فقال قتادة وغيره لأنه أعجبه وصفه لما وصفه الهدهد

ذلك الهواء إلى الدماغ فاقتضت الحكمة الإلهية مجرى السمع في عظم صلب ذي عطفات وتعاريج كثيرة إلى أن ينتهي إلى عصبتين ناشئتين من الدماغ وذلك العصب لو كان بارزاً لأضر به الهواء البارد فيخرج من الاعتدال بملاقاة أدنى برودة لأن طبعه بارد فجعل كامناً في الدماغ لهذا المعنى وقد جعل مجراه مفتوحاً أبداً ليصل إليه الهواء المقروع دائماً فيسمع ما يشاء ومالم يشاء ولما كان في فتحه سعة وكان متعرضاً لآفات البرد والغبار ومصادمة الهواء المقروع بعنف كالرعد والصيحة العظيمة جعل مجراه ذا عطاف وتعاريج على هيئة اللولب لئلا يصل الهواء إلى السمع دفعة واحدة بل يبقى في العطاف ويرد على السمع شيئاً فشيئاً وتسكن شدته في التعاريج فيفهم بالتأني وجعلت على مجراه صدفة ناشزة لرد الصوت إلى الثقبة وتمنعه من الانتشار وخلقت من الغضروف لأن الغضروف موافق لقبول الصوت

﴿فصل في الأنف﴾ خلق الأنف بارزاً عن الوجه لما فيه من الجمال ولتكون أرنبته آلة لاستنشاق الهواء وخلق مجراه مفتوحاً لأن الحاجة إلى استنشاق الهواء للتنفس ضرورية دائماً وإنما جعل مجراتين

بالعظم فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام وقال الأكثرون إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليها مالها فأراد أن يأخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها * وروى أن عرشها كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق وفي الكشف والبيان للثعلبي أن عرشها كان سريرا ضخما حسنا وكان مقدمه من ذهب منضدا بالياقوت الأحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكللا بأنواع الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أصفر وقائمة من زبرجد أخضر وقائمة من درأبيض وصفائح السرير من ذهب وكانت قد أمرت به فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصورها على كل بيت باب مغلق * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وارتفاعه في الهواء ثلاثين ذراعا وقال مقاتل كان ثمانين في ثمانين وقيل كان طوله ثمانين ذراعا وعرضه أربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا * قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان سليمان عليه السلام مهيبا لا يبدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فرأى ذات يوم وهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا هذا عرش بلقيس فقال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وكان سليمان يجلس في مجلس الحكم من الصباح إلى الظهر وإني عليه أي على الإتيان به لقوي على حمله أمين لا أختلس منه شيئا قال الذي عنده علم من الكتاب قال البغوي وغيره والأكثرون على أنه آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال سعيد بن جبير يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من تراه ومعناه أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك وقال قتادة قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر وقال مجاهد يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا وقال وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب اسمه أسطوم وقيل هو جبريل وقيل هو سليمان نفسه قال له عالم من بني اسرائيل قيل اسمه أسطوم آتاه الله معرفة وفهما أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي وابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت * والعلم الذي أوتيه قيل هو الاسم الأعظم وفي الكلام حذف تقديره فدعا باسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام قيل شقت الأرض بالعرش فغار في الأرض حتى نبع بين يدي سليمان قاله الكلبي وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون الأرض خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان وقيل جيء به في الهواء وكان بين سليمان والعرش مسيرة شهرين للمجد فلما رآه مستقرا عنده جعل يشكر نعمة الله تعالى بعبارة فيها تعليم للناس وعرضة للاقتباس ثم قال نكروا لها عرشها أراد بالتنكير تجربة تمييزها ونظرها وليزيد في الإغراب عليها وروت فرقة أن الجن لما أحست من سليمان أنه ربما يتزوج بلقيس فتفشى له أخبار الجن لأن أمها كانت جنية وأنها ربما تلد ولدا فينقل الملك اليه فلا يتمكنون من تسخير سليمان وولده من بعده فأساؤا الثناء عليها وظلموها عنده ليزهدوه فيها فقالوا إنها غير عاقلة ولا مميزة وأن رجليها

إحدى المجراتين آفة تحصل بالأخرى مصلحة التنفس وخلقت قصبته صلبة لتكون وقاية للوجه من المصادمات وأرنبته لينة ليحصل بانقباضها وانبساطها جذب الهواء كما ترى من كير الحدادين ومجراه إذا علا ينقسم قسمين أحدهما يفضي إلى فضاء الفم والآخر يمر صاعدا حتى يفضي إلى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع في وجه محل الإحساس فيحصل بأحد القسمين الشم وبالآخر التنفس وإنما جعل في منتهى ثقبتي الأنف عظم مثقوب شبيه بالمصفاة لتصل الروائح بنفسها إلى موضع الإحساس ويستفرغ منها الفضول المخاطية ولم تجعل هذه المنافذ مستقيمة بل معوجة إذ لو كانت مستقيمة لكان الهواء المستنشق يصل إلى الدماغ بسرعة فيفسد فجعلت معوجة ليبقى الهواء في تلك التعاريج مدة فتنكسر برودتها فإذا وصل إلى الدماغ يكون معتدلا وجعل منفذ المنخرين إلى الحنك حيث يوازي الحلقوم ليكون التنفس أسهل ولو لم يكن كذلك لما أمكن إطباق الفم ساعة ولو كان

التنفس بالفم لكان الفم جافا بدخول الهواء وخروجه فلم يحصل إدراك الطعم

ولا حركة اللسان ولا مضغ الطعام ولا بلعه

﴿فصل فى الشفة﴾ خلقت الشفتان أمام الفم غطاء للحوم الاسنان ومعينا فى تناول الغذاء وآلة للامتصاص ولمج ما يحتاج اليه من الفم والكلام وخلقتا من طبيعة اللحم ممتزجة بطبيعة الجلد واتصلت بهما عضلات الوجنتين من فوق وعضلات الذقن من تحت وعضلات الفك من الجانبين وإنما خلقتا من طبيعة اللحم للحركة والحس والانبساط والانقباض والالتواء بواسطة الاوتار والاعصاب التى خالطتها وإنما خلقتا من طبيعة الجلد ليكون لها أدنى صلابة مع لين فتتشكل بالاشكال المختلفة بحسب الحاجة

﴿فصل فى الفم﴾ ولما كان الإنسان محتاجا إلى غذاء يدخل من خارج خلق له الفم ولما كانت الحاجة إلى الغذاء وقتا بعد وقت خلق الفم بحيث ينفتح مرة وينطبق أخرى بخلاف المنخرين فإنهما خلقتا مفتوحتين لدوام الاستنشاق ثم لم يخلق مجرى الفم مستقيم التجويف كقصبة الرئة مثلا بحيث لا يصلح إلا لمرور الغذاء بل جعل فيه فضاء يجتمع الطعام فيه حتى يصير مستعدا للبلع ولتختبره آلة الذوق فإن كان صالحا

كحافر فرس وقيل كحافر حمار وأنها شعراء الساقين فجرب عقلها بتنكير العرش واختبر أمر رجليها بالصرح لتكشف عن ساقيها وتنكيره بأن يزيد فيه وينقص منه والقصة فى ذلك مشهورة فى كتب التفسير ولما أسلمت وأذعنت وأقرت على نفسها بالظلم روى أنه تزوجها وردها إلى ملكها باليمن وكان يأتيها على الريح فى كل شهر مرة فولدت له غلاما فسماه داود ومات فى حياته * وقيل إنه جعل يعنى لما زاد فى العرش ونقص منه مكان الجوهر الأخضر أحمر ومكان الأحمر أخضر فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وقيل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها قاله مقاتل وقال عكرمة كانت بلقيس حكيمة لم تقل نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التنكيت عليها بل قالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل إنه اشتبه عليها أمر العرش لأنها لما أرادت الشخوص إلى سليمان دعت قومها وقالت لهم والله ما هذا ملك وما لنا به من طاقة ثم أرسلت إلى سليمان إنى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما الذى تدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرشها وكان من ذهب وفضة مرصعا بالياقوت والجوهر فجعلته فى جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق كما تقدم ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلفته على سلطانها احتفظ بما قبلك لا يخلص اليه أحد ولا ترينه أحدا حتى آتيك وشخصت إلى سليمان باثنى عشر ألف قيل من أقيال اليمن تحت كل قيل ألوف كثيرة فلما جاءت قيل أهكذا عرشك فاشتبه عليها أمر العرش فقالت كأنه هو ثم قيل لها ادخلى الصرح قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضا وقيل الصرح الصحن فى الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه شيئا كثيرا من دواب البحر كالسمك والضفادع وغيرها ثم وضع سرير سليمان فى صدره فكان الصرح إذا رآه أحد حسبه لجة ماء قيل إنه إنما بنى الصرح لأنه أراد أن ينظر إلى قدميها وساقيها من غير أن يسألها كشفها وقيل أراد أن يختبر فهمها كما فعلت هى بالوصفاء والوصائف وقد تقدم ذكر ذلك فى باب الدال المهملة فى الدود فجلس سليمان عليه السلام على السرير ودعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وهى معظم الماء وكشفت عن ساقيها لتخوضها إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هى أحسن الناس ساقا وقدما إلا شعر الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وليس بماء ثم دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت وقيل إنها لما بلغت الصرح وحسبته لجة قالت فى نفسها إن سليمان يريد أن يغرقنى وكان القتل أهون على من هذا فقولها ظلمت نفسى يعنى بذلك الظن * وقيل إنه عليه السلام لما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الإنس ما يذهب هذا قالوا الموسى قالت لا تمس حديدة قط وكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندرى فسأل الشياطين فقالوا إنا نحتال لك حتى يكونا كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام ومن يومئذ ظهرت النورة والحمامات ولم تكن قبل ذلك فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهى سلحين وبينون وغمدان ثم كان سليمان عليه السلام يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام يبتكر من الشأم إلى اليمن ومن اليمن إلى الشأم على الريح وولدت له غلاما سماه داود فمات فى حياته * وبلقيس هى بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولده أربعون ملكا هو آخرهم وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس لأحد منكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم وأنه تزوج امرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم

يكن له ولد غيرها وقد جاء فى الحديث ما يؤيد هذا وهو قوله إن أحد أبوى بلقيس كان جنيا فلما مات أبوها طمعت فى الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون وملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ثم إن الرجل الذى ملكوه أساء السيرة فى أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه خلعه فلم يقدروا على ذلك فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها وقال ما منعنى أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك وأنت كفء كريم فاجمع رجال قومى واخطبنى إليهم فجمعهم فخطبها اليهم فذكروا لها ذلك فقالت أجبت فزوجها به فلما زفت إليه ودخلت عليه سقته الخمر حتى سكر وغلب على نفسه ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها وأمرت بنصب رأسه على باب دارها فلما رأى الناس ذلك علموا أن تلك المناكحة كانت مكراً وخديعة منها فاجتمعوا إليها وملكوها عليهم * وفى الحديث عن أبى بكرة قال إن النبى ﷺ لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة رواه البخارى ﴿تذنيب﴾ اعلم أن الحكماء قد ذكروا أن للحمام والنورة منافع ومضار فمن منافعه أنه يوسع المسام ويستفرغ الفضول ويحلل الرياح ويحبس الطبيعة من هيضة ورطوبة وينظف البدن من الوسخ والعرق ويذهب الحكة والجرب والإعياء ويلين الجسد ويجيد الهضم ويعد البدن لاستعداد الغذاء وينشط الأعضاء المتشنجة وينضج النزلات والزكام وينفع من حميات يوم والدق والربع والبلغمية بعد نضجها ﴿قلت﴾ إذا دبر ذلك طبيب حاذق ومن مضاره تسهيل صب الفضول إلى الأعضاء الضعيفة ويرخى البدن ويضعف الحرارة الغريزية والأعضاء العصبية ويضعف الباه ووقته بعد الرياضة وقبل الغذاء إلا المتخلخلى الأبدان الكثيرى المرار وإياك أن تدخل الحمام وتخرج منه بحميتك وإذا أردت الخروج فاخرج إلى المسلخ متدرجا وأفرغ عليك ثوباً نظيفا مبخراً واجتنب النساء يوما وليلة وتكره المجامعة فى الحمام لأنها تورث الاستسقاء وأمراضا رديئة ويكره للإنسان شرب الماء البارد عقب الطعام الحار والحلو والتعب والمجامعة والحمام والأكل فان ذلك مضر جدا وأجود الحمامات القديمة الشاهقة العذبة وأما النورة فهى حارة يابسة قال الغزالى فى الإحياء إن النورة بعد الحمام أمان من الجذام وغسل الرجلين بالماء البارد فى الصيف أمان من النقرس وبولة فى الحمام من قيام فى الشتاء أنفع من شربة دواء قال ويكره إلصاق الزهر إلى حائط الحمام انتهى ومعناه أن يطلى جسده بالنورة أولا قبل أن يسكب على جسده الماء ثم يستحم بعد ذلك وينبغى أن يستعمل قبل النورة الخطمى ليأمن من حرقها ثم يغتسل بالماء البارد وينشف البدن منه وإن حب استعمال النورة أولا ليأمن من الجذام كما قاله الغزالى وغيره فليأخذ على أصبعه شيئا من النورة ويشمها ويقول صلى الله على سليمان بن داود ويكتب ذلك على فخذه الأيمن فإنه يعرق قبل النورة فيمسح العرق ويطلى ويكون ذلك فى البيت الحار ليعرق سريعا ويستعمل بعد هذا العصفر وبزر البطيخ ودقيق الأرز ويعجن ذلك بماء الآس والتفاح وماء الورد ويسخن فى إناء ويطلى به الجسد مع العسل فإن ذلك ينقى البدن وينفى عنه ثلاثين داء كالجذام والبرص والبهق والبثر والنفاطات ونحوها قال القزوينى إذا طرح فى النورة زرنيخ ورماد الكرم وطلى به الجسد ثم غسل بعدها بدقيق الشعير والباقلاء وبزر البطيخ مرارا فإن الشعر يضعف حتى لا يكاد أن يعود وقال الإمام العلامة فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى عليه النورة التى قبل الزرنيخ ربما أحدثت

طحنته آلة الطحن و إلا مجته وجعل عليه الشفتان بطبقانه لئلا تجف رطوبته بالهواء الواصل إليه من خارج كما فى سائر الأعضاء لأن هذه الرطوبة معينة على بلع الطعام وتحريك اللسان للكلام ومن منافعه كونه مدخلا للهواء إلى قصبة الرئة ولما كان بقاء الإنسان لا يمكن إلا بالتنفس اقتضت عناية البارى تعالى للتنفس طريقين أحدهما بالخياشيم والآخر بالفم حتى لو تعطل أحد الطريقين لآفة أو مرض يحصل التنفس بالطريق الآخر وأما اللسان فإنه مؤلف من لحم رخو وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب يفيض إلى الغدد الموضوعة عند أصله يتعرض به الطعام وينفع به فى الكلام وإدارة المأكول عند المضغ وجعل مقداره بحيث يصل إلى جميع أطراف الفم وجعل أصله أعظم للثبات وأطرافه أدق لتسهيل حركته عند الكلام وإدارة الطعام وتنقية أصول الأسنان عن بقية المأكول وأما الأسنان فإنها خلقت من جوهر آخر مغاير لجوهر سائر العظام وقياسها بالنسبة إلى سائر العظام جوهر الذكر

المسق إلى الأثبت وجعل مقاديمها حادة للعض والقطع والأنياب غليظة حادة

كلفا ويدفع ضررها بالآرز والعصفراء طلاء وأن تعجن للمحرورين بماء الشعير والآرز والبطيخ وللبيض وللمبرودين بماء المرزنجوش أو النمام وينبغي أن يخلط مع النورة الصبر والمر والحنظل من كل واحد درهم ليأمن من الحكة والبثر والله أعلم ﴿خاتمة﴾ روى مالك في الموطأ من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ رأيت ليلة أسرى بي عفريتا من الجن يطلبني بشعلة من نار كلما التفت رأيته فقال جبريل ألا أعلمك كلمات تقولهن فتنطفئ شعلته ويخر لفيه فقال رسول الله ﷺ بلى فقال جبريل قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن وقد تقدم في باب الجن حديث العفريت الذي تفلت على رسول الله ﷺ يريد أن يقطع عليه صلاته فخنقه النبي ﷺ وأراد أن يربطه في سارية من سواري المسجد

﴿العفر﴾ بالكسر والضم قاله ابن الأثير في النهاية وهو الجحش والأنثى عفرة .

﴿العقاب﴾ طائر معروف والجمع أعقب لأنها مؤنثة وأفعل بناء يختص به جمع الإناث مثل عناق وأعنق وذراع وأذرع والكثير عقبان وعقابين جمع الجمع قال الشاعر * عقابين يوم الجمع تعلو وتسفل * وكنيته أبو الأشيم وأبو الحجاج وأبو حسان وأبو الدهر وأبو الهيثم والأنثى أم الحوار وأم الشعور وأم طلبة وأم لوح وأم الهيثم والعرب تسمي العقاب الكاسر ويقال لها الخدارية للونها وهي مؤنثة اللفظ وقيل العقاب يقع على الذكر والأنثى وتمييزه باسم الإشارة وقال في الكامل العقاب سيد الطيور والنسر عريفها قال ابن ظفر حاد البصر ولذلك قالت العرب أبصر من عقاب والأنثى منه تسمى لقوة قال البطليوسي في الشرح قال الخليل اللقوة واللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران انتهى وتسمى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتي من مكان بعيد وليس هو العنقاء الآتي ذكرها وبهذا فسر قول أبي العلاء المعري :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا
وظن بسائر الإخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبري * لما طلعت مخافة أن تصادا
وكم عين تأمل أن تراني * وتفقد عند رؤيتي السوادا

وله من قصيدة قد أبدع فيها :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطا * فعند التناهي يقصر المتطاول
توافي البدور النقص وهي أهلة * ويدركها النقصان وهي كوامل

وفي المعنى لابن العفيف التلمساني :

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

وتقدم أن العقاب إذا صاحت تقول البعد عن الناس راحة * وهي نوعان عقاب وزمج فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر ومنها ما يأوي الجبال وما يأوي

الرؤس للنهش والطواحن عريضة للطحن وجعل أسناخ الأضراس العليا أكثر عدداً من أسناخ الأضراس السفلى وذلك لأن العليا معلقة فتحتاج إلى زيادة ثبات وأما السفلى فإنها موضوعة على القرار فيكفيها أدنى وثاق وثبات كالسندال ﴿فصل من اللحيين﴾ ولما وجب أن يكون الفم متحركا للمضغ والكلام مفتوحا لاستنشاق الهواء في بعض الأوقات اقتضى التدبير الإلهي تحريك الفك الأسفل لأن تحريكه أسهل من تحريك الفك الأعلى وأنفع وأما سهولته فلأنه أصغر حجما وأطوع حركة وأما نفعه فلأن الفك الأعلى متصل بالرأس ومواضع الحواس وكان يتحرك بحركته الدماغ والحواس وذلك فيه من الفساد ما لا يخفى فخلق الفك الأعلى ثابتا والأسفل متحركا وجعل في عظم الرأس عند الصدغين ثقبتين واسعتين علق فيهما الفك الأسفل تعليقا سلسا ليسهل انطباقه وانفتاحه ﴿فصل في الشعر﴾ قالوا إن الفضلة الباقية من الغذاء إذا أثرت فيها الحرارة بحدتها وأخرجتها من الجلد فما كان منها لطيفاً تحلل تحليلا خفيفا عن الحس وما كان غليظا

الصحارى ومايأوى الغياض ومايأوى حول المدن ويقال إن ذكورها من طير لطيف الجرم لايساوى شيئا وقال ابن خلكان فى آخر ترجمة العماد الكاتب :ويقال إن العقاب جميعه أنثى وأن الذى يسافده طير آخر من غير جنسه وقيل إن الثعلب يسافده قال وهذا من العجائب ولابن عنين الشاعر فى هجو شخص يقال له ابن سيده :

ما أنت إلا كالعقاب فأمه * معروفة وله أب مجهول

والعقاب تبيض ثلاث بيضات فى الغالب وتحضنها ثلاثين يوما وماعداها من الجوارح يبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما فإذا خرجت فراخ العقاب ألقت واحدا منها لأنه يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها والفرخ الذى تلقيه يعطف عليه طائر آخر يقال له كاسر العظام ويسمى المكلفة فيربيه ومن عادة هذا الطائر أن يزق كل فرخ ضائع * والعقاب إذا صادت شيئا لاتحمله على الفور إلى مكانها بل تنقله من موضع إلى موضع ولاتقعد إلا على الأماكن المرتفعة وإذا صادت الأرانب تبدأ بصيد الصغار ثم الكبار * وهى أشد الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجا وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحليتها فى الصيف ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهرها ونقلتها من مكان إلى مكان فعند ذلك تلتمس لها عينا صافية بأرض الهند على رأس جبل فتغمسها فيها ثم تضعها فى شعاع الشمس فيسقط ريشها وينبت لها ريش جديد وتذهب ظلمة بصرها ثم تغوص فى تلك العين فإذا هى قد عادت شابة كما كانت فسبحان القادر على كل شىء الملهم كل نفس هداها * قال التوحيدى ومن عجيب ماألهمته أنها إذا اشتكت أكبادها أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ وهى تأكل الحيات إلا رؤسها والطيور إلا قلوبها ويدل لهذا قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنه قول طرفة بن العبد :

كأن قلوب الطير فى قعر عشها * نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

وقيل لبشار بن برد الأعمى الشاعر لو خيرك الله أن تكون حيواناً ماذا كنت تختار قال العقاب لأنها تلبث حيث لايبلغها سبع ولاذو أربع وتحيد عنها سباع الطير ولاتعانى الصيد إلا قليلا بل تسلب كل ذى صيد صيده * ومن شأنها أن جناحها لايزال يخفق قال عمرو بن حزام

لقد تركت عفراء قلبى كأنه * جناح عقاب دائم الخفقان

وفى عجائب المخلوقات فى ذكر الأحجار أن حجر العقاب حجر يشبه نوى التمر هندى إذا حرك يسمع منه صوت وإذا كسر لايوجد فيه شىء يوجد فى عش العقاب والعقاب يجلبه من أرض الهند وإذا قصد الإنسان عشه يرمى إليه بهذا الحجر ليأخذه ويرجع فكأنه عرف أن قصدهم إياه لخاصيته فمن خواصه أنه إذا علق على من بها عسر الولادة تضع سريعا ومن جعله تحت لسانه فإنه يغلب الخصم فى المقاولة ويبقى مقضى الحاجة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب النون نظير هذا فى لفظ النسر * وأول من صادبها وأدبها أهل المغرب يحكى أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك فارس عقابا وكتب إليه علمها فإنها تعمل عملا لايدركه أكثر الصقور فأمر بها فعلمت وصادبها فأعجبته ثم جوعها ليصيد بها فوثبت على صبى من حاشيته فقتلته فقال كسرى غزانا قيصر فى بلادنا بغير جيش ثم أهدى كسرى إليه نمرا أو فهدا وكتب إليه قد بعثت إليك بما تقتل الظباء وماقرب منها من الوحش وكتم عليه ماصنعته العقاب فأعجب به قيصر إذ وافقت صفته ماوصف فغفل عنه

كشعر الرأس فإنه غطاء وزينة وكالحاجب فإنه يمنع ماينحدر من الجبهة إلى العين وهو زينة أيضا وكالأهداب فإنها تحوط العين كالسياج وتصير عليها كالشباك حتى ينظر من ورائها عند هبوب الرياح ونثرها القذى وفيه من الزينة ما لا يخفى ومنها ماجعل للزينة كالشارب واللحية فإنهما يفيدان الجمال والبهاء ومن لا لحية له لابهاء له ومنها ماينبت فى المواضع الحارة الرطبة كالإبط والعانة فهو كالعشب الذى ينبت فى القراح ذات الندى وإن لم يقصد إنباته فإنه فضلة تندفع إليها فى الإنسان بخلاف سائر الحيوان فإن شعورها لباسها وزينتها

(النوع الثانى العنق) ولما كان الرأس معدن الحواس وكان بعض الحواس كالسمع والبصر يحتاج إلى أن يكون فى أعلى الأماكن اقتضى التدبير الإلهى أن يكون الرأس على عضو طالع من البدن وهو العنق ثم جعل هذا العضو متحركا إلى جهات مختلفة بعضلات تمده إلى فوق وأسفل وقدام وخلف ويمين ويسار ومورباً ومستديراً لتعم منفعته الحواس وأنها فى جهة واحدة فكأنها فى جهات وجعلت قصبة

يوما فافترس فتى من بعض فتيانه فقال صادنا كسرى فإن كنا قد صدناه فلا بأس فلما بلغ ذلك كسرى قال أنا أبو ساسان * وذكر ابن خلكان فى ترجمة جعفر بن يحيى البرمكى وغيره عن الأصمعى قال لما قتل الرشيد جعفرا طلبنى ليلا فجئته وأنا خائف فأومأ إلىّ بالجلوس فجلست فالتفت إلى وقال أبيات أحببت أن تسمعها قلت إن شاء أمير المؤمنين فأنشدنى :

لو أن جعفر خاف أسباب الردى * لنجا به منها طمر ملجم
ولكان من حطر المنية حيث لا * يرجو اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما أتاه يومه * لم يدفع الحدثان عنه منجم

فعلمت أنها له فقلت إنها أحسن أبيات فقال الحق الآن بأهلك ففكرت فلم أعرف لذلك معنى إلا أنه أراد أن يسمعنى شعره وأحكيه * وقد حكى أهل التاريخ فى سبب قتل جعفر حكايات مختلفة منها ما روى عن أبى محمد اليزيدى أنه قال من قال إن الرشيد قتل جعفرا بغير سبب يحيى بن عبد الله العلوى فلا تصدقه وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه ثم أن جعفر بن حسن دعا به ليلة من الليالى وسأله عن أمره فأجابه ثم أن يحيى قال له اتق الله فى يا جعفر ولا تتعرض إلى دمى فيكون رسول الله ﷺ خصمك يوم القيامة فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق له جعفر وأطلقه بعد أن استحلفه أن لا يحدث حدثا وبعث معه من أوصله إلى مأمنه فنقل ذلك إلى الرشيد فقال لجعفر ما فعل بيحيى بن عبد الله قال على حاله يا أمير المؤمنين فى السجن والأكبال الثقيلة فقال بحياتى فأحجم لها جعفر وكان من أصح الناس فكرا فهجس فى نفسه أنه قد علم شيئا من أمره فقال له وحياتك يا أمير المؤمنين بل أطلقته لعلمى أن لا مكروه لديه فأظهر الرشيد الاستحسان لذلك وأسرها فى نفسه وقال نعم ما فعلت ما عدوت عما كان فى خاطرى فلما خرج أتبعه الرشيد بصره وقال قتلنى الله بسيوف العدا على الضلالة إن لم أقتلك * وفى تاريخ صاحب حماه وغيره أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدى فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر إليها ولا تمسها فكانا يحضران مجلسه ثم يقوم الرشيد من المجلس فيمتلئان من الشراب وهما شابان فيقوم إليها جعفر فيجامعها فحملت وولدت غلاما وخافت الرشيد فوجهت المولود مع خواص لها إلى مكة ولم يزل الأمر مستورا حتى وقع بين عباسة وبين بعض جواريها شر فأنهت أمر الصبى وأخبرت بمكانه ومن معه من جواريها وما معه من الحلى فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبى وخواصه فوجد الأمر صحيحا فأوقع بالبرامكة * وقيل إنما قتل الرشيد جعفرا لأنه كان قد حاز ضياع الدنيا لنفسه وكان الرشيد إذا سافر لا يمر بضيعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر فلم يزل كذلك حتى جنى جعفر على نفسه بأن وجه فقطع رأس بعض الطالبيين من غير أن يكون أمر بقتله فاستحل الرشيد بذلك دمه * وقيل كان سبب قتله أنه رفعت إلى الرشيد قصة لم يعرف رافعها وفيها هذه الأبيات:

قل للأمين الله فى أرضه * ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكا * مثلك ما بينكما حد
أمرك مردود إلى أمره * وأمره ليس له رد
وقد بنى الدار التى ما بنى الـ * ـفرس لها مثلا ولا الهند
والدر والياقوت حصباؤها * وتربها العنبر والند
ونحن نخشى أنه وارث * ملكك إن غيبك اللحد
ولن يباهى العبد أربابه * إلا إذا ما بطر العبد

الرئة والمرىء فيها وهى سبع فقرات ولما كانت الفقرات العنقية محمولة على ما تحتها من الفقرات وجب أن لا تكون أصغر من الحامل ولما كان مخرج أول النخاع وجب أن يكون ثقبها أعظم من ثقب فقرات الصلب ولما كان جرمها رقيقا لا يحمل الثقب الكبير اقتضى التدبير الإلهى أن يكون ثقبها فى أطرافها ليكون فى كل فقرة منها نصف الثقب ويكون فى طرفه لا فى وسطه فإن النخاع وما أحاط به من الأغشية محتاجة إلى الغذاء فجعل فى كل فقرة ثقبتان يمينا ويسارا يخرج عن كل واحد شعبة من العصب ويدخل فيه وريد وشريان فيفيد كل ثقبة ثلاثة منافع وفى جوف العنق المرىء لازدراد الطعام والشراب وقصبة الرئة لينفذ الهواء إلى الرئة وجعل لقصبة الرئة غطاء ينطبق عليها وقت ازدراد الطعام والشراب لئلا يقع فى مجرى النفس شىء وهو آلة الصوت أيضا ( النوع الثالث الصدر ) ولما كان الصدر وقاية للقلب خلق صلبا من إحدى عشرة فقرة ذات سناسن وأجنحة عراض لكونها وقاية القلب واتصلت بالأضلاع لتحوى أعضاء التنفس وإنما لم يخلق عظما واحدا لما عرف من

فلما وقف الرشيد عليها أضمر له الشر وأوقع به * وقيل بل أرادت البرامكة إظهار الزندقة وفساد الملك فأوقع بهم وقتلهم ﴿قلت﴾ وهو قول بعيد لا أعتقد صحته * وقيل إن مسرورا قال سمعت الرشيد سنة حج وهى سنة ست وثمانين ومائة يقول فى الطواف اللهم إنك تعلم أن جعفرا قد وجب عليه القتل وأنا أستخيرك فى قتله فخر لى وأن الرشيد لما عاد إلى الأنبار بعث إليه بمسرور وحماد فوافياه والمغنى يغنيه :

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقال مسرور لذلك جئت قد والله طرقك الأمر أجب أمير المؤمنين فتصدق بأمواله وأعتق عبيده وأبرأ الناس من حقوقه ثم أتى به إلى المنزل الذى فيه الرشيد فحبسه وقيده بقيد حمار وأخبر الرشيد فقال ائتنى برأسه فعاوده فيه مرتين فشتمه وصاح عليه فدخل عليه واحتز رأسه وجاء به إليه وذلك فى مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن سبع وثلاثين سنة ثم صلب رأسه على الجسر وصلب كل قطعة على جسر فلم يزل كذلك حتى مر عليه الرشيد عند خروجه إلى خراسان فقال ينبغى أن يحرق هذا فأحرق ولما قتله أحاط بجميع البرامكة وأتباعهم ونودى أن لا أمان لهم إلا لمحمد بن خالد ابن برمك وولده وجماعته لما عرف من براءة محمد بن خالد وولده وجماعته * وقيل إن علية بنت المهدى قالت للرشيد لأى شىء قتلت جعفرا فقال لو علمت أن قميصى يعلم سبب قتل جعفر لاحرقته ولما صلب جعفر وقف عليه يزيد الرقاشى وقال من أبيات :

أما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى * حساما قله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا * لدولة آل برمك السلام

فبلغ الرشيد مقالته فأحضره وقال ما حملك على ما فعلت وقد بلغك ما توعدنا به كل من يقف عليه أو يرثيه قال كان يعطينى كل سنة ألف دينار فأمر له الرشيد بألفى دينار وقال هى لك منا ما دمنا فى قيد الحياة * ويروى أن امرأة وقفت على جعفر ونظرت إلى رأسه معلقا فقالت أما والله لئن صرت اليوم آية لقد كنت فى المكارم غاية ثم أنشدت تقول :

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة فى يحيى
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
وما هى إلا دولة بعد دولة * تحول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعة * من الملك حطت ذا إلى الغاية السفلى

ثم مرت كأنها الريح ولم تقف * ولما بلغ سفيان بن عيينة قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حول وجهه إلى القبلة وقال اللهم إن جعفرا كان قد كفانى مؤنة الدنيا فاكفه مؤنة الآخرة وكان جعفر من الكرم والعطاء على جانب عظيم وأخباره فى ذلك مشهورة وفى الدفاتر مسطورة ولم يبلغ أحد من الوزراء منزلة بلغها جعفر من الرشيد وكان الرشيد يسميه أخا ويدخله معه فى ثوبه وأن الرشيد لما قتل جعفرا خلد أباه يحيى فى السجن وكانت البرامكة فى الغاية من الجود والكرم كما هو مشهور عنهم وكانت مدة وزارتهم للرشيد سبع عشرة سنة * وذكر ابن إسحق قال قال الزبير ابن عبد المطلب فيما كان من شأن الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لأجلها حتى اختطفتها العقاب :

وخلقت هشة لتكون أسلس فى مساعدة ما يطيف بها من أعضاء التنفس فى الانبساط والانقباض (النوع الرابع اليد) ولما كانت الحكمة الإلهية اقتضت أن النفس الإنسانية تدرك بالحواس ما ينفعها وما يؤذيها من قوام البدن خلقت لها آلة لتتناول بها ما ينفعها وتبعد عنها ما يضرها وهى اليد خلقت من ثلاثة أجزاء من العضد والساعد والكف أما العضد فقد خلق من عظم واحد قوى متصل بالكف بمفصل واحد حتى يمكنه التحرك إلى جميع الجهات وذلك بأن خلق رأس العظم مستديرا وركب على رأس الكتف فى حق ليكون خلفها سلسلة إلى جميع الجهات ولما كانت اليد آلة لأعمال كثيرة مختلفة جعل الكتفان موضوعين على جانبى البدن غير ملاقيين للأضلاع لينبسط اليدان فى اليمين والشمال على استقامة ويلتقيان من قدام وخلف فيمكنهما الوصول إلى جميع الجهات بسهولة وأما الساعد فخلق مؤلفان من عظمين متلاصقين طويلين يسميان الزندين والفوقانى الذى يلى الإبهام منهما

 أدق ويسمى الزند الأعلى والسفلانى الذى يلى الخنصر منهما أغلظ لأنه حامل ومنفعة الزند

الأعلى أن يكون به حركة والانقباض ومنفعة الزند الأسفل أن يكون به حركة الساعد إلى الانقباض والانبساط أما الكف فخلقت مركبة من أربعة عظام متباعدة لتكون الأصابع الأربع مركبة عليها وخلق عظم الرسغ صلبا قويا لأن تركيب المشط والأصابع الأربع عليه فهو كالعهدة التي عليها اعتماد اليد وخلق وضع الأصابع الأربع على صف واحد والإبهام مقابلا لها ليدعمها كلها بواحدة وجعلت غليظة قوية لتكون مساوية لقوة الباقي وخلقت الأصابع مختلفة المقادير لتستوى أناملها كلها عند تقعير الراحة وعند القبض تبقى كالصندوق الحافظ للشيء والإبهام عليه كالقفل ويمكن أن يكون سلاحا يضرب بها العدو فلو اجتمع الأولون والآخرون على وضع أحسن من هذا لا يمكنهم فسبحان من أحسن كل شيء خلقه وخلق الأصابع عن عظام مصمتة ليدعمها فلو كانت لحمة لكانت أفعالها واهية ولم يخلق من عظم واحد لتشكل بالأشكال المختلفة ولم تزد على ثلاثة أنامل لأنها كانت تورث ضعفا ولو خلقت من أنملتين لكانت الوثاقة أزيد لكن الحركات كانت تنقص عن الكفاية والحاجة إلى

عجبت لما تصوبت العقاب * إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت * فهبنا للبناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الزجر جاءت * عقاب حلقت ولها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت * لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه * وليس على مساوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤى * فليس لأصله منه ذهاب
وقد حشدت هناك بني عدى * ومرة قد تعهدها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب

وذكر ابن عبد البر في التمهيد عن عمر بن دينار أنه قال لما أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد كذا في بعض نسخ التمهيد وفي بعضها طائر أبيض ﴿فائدة﴾ روى ابن عباس أن سليمان بن داود عليهما السلام لما فقد الهدهد دعا بالعقاب سيد الطير وأحزمه وأشده بأسا فقال على بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه نحو السماء حتى التصق بالهواء فصار ينظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدى الرجل ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد مقبلا نحو اليمن فانقض عليه فقال الهدهد أسألك بحق الذى أقدرك على وقواك إلا ما رحمتني فقال له الويل لك إن نبي الله سليمان حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم أتى به فلقيته النسور وعساكر الطيور فخوفوه وأخبروه بتوعد سليمان فقال الهدهد ما قدرى وما أنا أو ما استثنى نبي الله قالوا بلى قال أو ليأتيني بسلطان مبين قال الهدهد نجوت إذن فلما دخل على سليمان رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه تواضعا لسليمان فقال له سليمان أين غبت عن خدمتك ومكانك لأعذبنك عذابا شديدا أو لأذبحنك فقال الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله بمنزلة وقوفى بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا عنه وسيأتى إن شاء الله تعالى نظير هذا في باب الهاء في الهدهد (الحكم) يحرم أكل العقاب لأنه ذو مخلب واختلف في أنه هل يستحب قتله أم لا فجزم الرافعي والنووى في الحج باستحباب قتله وجزم في شرح المهذب بأنه من القسم الذى لا يستحب قتله ولا يكره وهو الذى فيه نفع ومضرة ﴿قلت﴾ وهذا الذى جزم به القاضى أبو الطيب الطبرى وهو المعتمد (الأمثال) قالوا أمنع من عقاب الجو قاله عمرو بن عدى لقصير ابن سعد في قصة الزباء المشهورة وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته :

واخترم الوضاح من دون الني * أملها سيف الحمام المنتضى
وقد سما عمرو إلى أوتاره * فاحتط منها كل عالى المنتهى
فاستنزل الزباء قسرا وهي من * عقاب لوح الجو أعلى منتهى

جعلها لامتناعها بمنزلة لوح الجو واللوح الهواء بين السماء والأرض والجو أيضا ما بينهما والقصة في ذلك ما ذكره الأخباريون ابن هشام وابن الجوزى وغيرهم قالوا وقد دخل كلام بعضهم في بعض أن جذيمة الأبرش كان ملكا على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة وكان شديد السلطان قد خافه القريب وهابه البعيد وهو أول من أوقدت الشموع بين يديه وأول من نصب المجانيق في الحرب وأول من اجتمع له

الملك بأرض العراق فغزا مليح بن البراء وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس وهو الذى ذكره عدى بن زيد بقوله :

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـــلة تجبى إليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـــسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون وباد الـــملك عنه فبابه مهجور

فقتله جذيمة وطرد بنته الزباء فلحقت بالروم وكانت الزباء عاقلة أديبة عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي ولم يكن فى نساء عصرها أجمل منها وكان اسمها فارعة وكان لها شعر إذا مشت سحبته وراءها وإذا نشرته جللها فسميت الزباء لذلك قال وكان قتل أبيها قبل مبعث عيسى بن مريم عليهما السلام فبلغت بهامتها أن جمعت الرجال وبذلت الأموال وعادت إلى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وابتنت على عراق الفرات مدينتين متقابلتين فى شرقى الفرات وغربيه وجعلت بينهما نفقا تحت الفرات فكانت إذا رهقتها الأعداء أوت إليه وتحصنت وكانت قد اعتزلت الرجال فهى عذراء بتول وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثته نفسه بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم فى ذلك فسكت القوم وتكلم قصير وكان ابن عمه وكان عاقلا لبيبا وكان خازنه وصاحب أمره وعميد دولته فقال أبيت اللعن أيها الملك إن الزباء امرأة حرمت الرجال فهى عذراء بتول لا ترغب فى مال ولا جمال ولها عندك ثأر والدم لا ينام وإنما هى تاركتك رهبة وحذرا والحقد دفين فى سويداء القلب له كمون كمون النار فى الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى وللملك فى بنات الملوك الأكفاء متسع ولهن فيه منتفع ولقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن هو دونك وعظم الرب شأنك فما أحد فوقك هكذا حكاه ابن الجوزى وغيره وذكر ابن هشام شارح الدريدية وغيره أن الزباء هى التى أرسلت إليه تخطبه وتعرض عليه نفسها ليتصل ملكه بملكها فدعته نفسه إلى ذلك فاستشار وزراءه فكل واحد منهم رأى ذلك مصلحة إلا قصيرا فإنه قال أيها الملك هذه خديعة ومكر فلم يسمع منه قال ولم يكن قصيرا ولكن سمى به اه قال ابن الجوزى فقال جذيمة يا قصير الرأى ما رأيته وقلته ولكن النفس تواقة وإلى ما تحب وتهوى مشتاقة ولكل امرئ قدر لا مفر منه ولا وزر ثم وجه إليها خاطبا وقال له اذكر لها ما ترغبها فيه وتصبو إليه فجاءها خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت أنعم بك عينا وبما جئت به وأظهرت له السرور والرغبة فيه وأكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت قد كنت أضربت عن هذا مخافة أن لا أجد كفؤا ولكن الملك فوق قدرى وأنا دون قدره قد أجبت إلى ما سأل ورغبت فيما قال ولولا أن السعى فى مثل هذا الأمر بالرجال أمثل لسرت إليه ولنزلت عليه وأهدت له هدية سنية ساقت إليه فيها العبيد والإماء والكراع والسلاح والأموال والإبل والغنم وغير ذلك من الثياب والأمتعة والجواهر شيئا عظيما فلما رجع إليه خطيبه أعجبه ما سمع من الجواب وأبهجه ما رأى من اللطف الذى تحير فيه عقول ذوى الألباب وظن أن ذلك منها لحصول رغبة فأعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته وفيهم قصير خازنه وقد استخلف على مملكته عمرو بن عدى اللخمى وهو أول من ملك الحيرة من لخم وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة وهو الذى اختطفته الجن وهو صبى ثم ردته وقد شب وكبر فألبسته أمه طوقا من ذهب وأمرته بزيارة خاله جذيمة فلما رأى جذيمة لحيته والطوق فى عنقه قال شب عمرو عن الطوق فأرسلها مثلا وقال ابن هشام إنه ملك مائة وثمانى عشرة

الحامل إلى المحمول وخلق عظاما مستديرة لتكون أبعد من الآفات وخلقت مصمتة لتكون أقوى على الثياب وخلق باطنها لحميا ليتمكن من القبض ولا كذلك ظاهرها ليكون سلاحا موجعا

﴿فصل فى الظفر﴾ خلق الظفر للإنسان بمنزلة المخلب للطير والحافر للفرس والظلف فى سائر الحيوان للوقاية لقوائمها وجعل معينا للأصابع فى الإمساك إذ به يقوم وثاقها ويمكنه التقاط الأشياء الدقيقة وهى آلة لأعمال كثيرة كالحك والجرد والنتف وغيرها وجعل صلابتها مع لين ليفيد الفائدتين جميعا وجعلها قد أحاط بها اللحم من الجوانب لئلا تتسارع إليها الآفات (النوع الخامس) البطن وهو غشاء مستدير من الصدر إلى الأنثيين ليستبطن آلات الجوف التى هى تحت الحجاب ليكون وقاية جامعة لجميعها مع الوقاية الخاصة بكل واحد منها وإنما اقتصرت على غشاء من غير عظم لأنه بين يدى الحاسة فتحرسه من الآفات بخلاف الظهر والدماغ وليكون لها انبساط وانقباض عند امتلاء المعدة وخلوها

سنة قال ابن الجوزى فاستخلفه وسار إلى الزباء فوصل إلى قرية على الفرات يقال لها نيفة فنزل بها وتصيد وأكل وشرب واستعاد المشورة والرأى من أصحابه فسكت القوم وافتتح قصير الكلام فقال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم فإلى أين يكون كونه فلا تثق بزخرف قول لا محصول له ولا تقذف الرأى بالهوى فيفسد ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأى عندى للملك أن يعتقب أمره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ ولو لا أن الأمور تجرى بالمقدر لعزمت على الملك عزما بتا أن لا يفعل فأقبل جذيمة على الجماعة وقال ما عندكم أنتم فى هذا الأمر فتكلموا بحسب ما عرفوا من رغبته فى ذلك وصوبوا رأيه وقووا عزمه فقال جذيمة الرأى مع الجماعة والصواب ما رأيتم فقال قصير أرى القدر يسابق الحذر فلا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلا ثم سار جذيمة فلما قرب من ديار الزباء أرسل اليها يعلمها بمجيئه فأظهرت السرور به والرغبة فيه وأمرت بحمل الميرة اليه وقالت لجندها ولخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها ورعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم فعاد الرسول إليه بالجواب وأخبره بما رأى وسمع فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيرا وقال أنت على رأيك قال نعم وقد زادت بصيرتى فيه أفأنت على عزمك قال نعم وقد زادت رغبتى فيه فقال قصير ليس الدهر بصاحب لمن لم ينظر فى العواقب فأرسلها مثلا ثم قال وقد يستدرك الأمر قبل فوته وفى يد الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب فإنك إن وثقت بأنك ذو ملك وسلطان وعشيرة وأعوان فإنك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك وأعوانك وألقيتها فى يد من لست آمن عليك مكره وغدره فإن كنت ولا بد فاعلا ولهواك تابعا فإن القوم يلقوك غدا رزدقا واحدا وقاموا لك صفين حتى إذا توسطتهم أطبقوا عليك من كل جانب وأحدقوا بك فقد ملكوك وصرت فى قبضتهم وهذه العصا لا يسبق غبارها وكان لجذيمة فرس تسبق الطير وتجارى الرياح يقال لها العصا فإذا رأيت الأمر كذلك فتجلل ظهرها فهى ناجية بك إن ملكت ناصيتها فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جوابه وسار وكانت الزباء لما رجع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها إذا أقبل جذيمة غدا فتلقوه بأجمعكم وقوموا له صفين عن يمينه وعن شماله فإذا توسط جمعكم فانقضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به وإياكم أن يفوتكم وسار جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم رزدقا واحدا قاموا له صفين فلما توسطهم انقضوا عليه من كل جانب فعلم أنهم قد ملكوه وكان قصير يسايره فأقبل جذيمة عليه وقال صدقت يا قصير فقال هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للأمر وأيقن بالقتل جمع نفسه ووثب على ظهر العصا وقال ابن هشام إن قصيرا قدم العصا إلى جذيمة فشغل عنها جذيمة بنفسه فركبها قصير وأعطاها عنانها وزجرها فذهبت تهوى به هوى الريح فنظر إليه جذيمة وهى تطاول به وأشرفت عليه الزباء من قصرها فقالت له ما أحسنك من عروس تجلى على وتزف إلى حتى دخلوا به على الزباء ولم يكن معها فى قصرها إلا جوار أبكار وهى جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها فى خلق ولا زى وهى بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم قال ابن هشام وكانت الزباء قد ربت شعر عانتها حولا فلما دخل عليها جذيمة تكشفت له وقالت أمتاع عروس ترى فقال بل متاع أمة بظراء فأمرت به فأجلس على نطع وقيل إنه لما أدخل عليها أمرت بالأنطاع فبسطت وقالت لوصائفها خذن بيد سيد كن وبعل ملكتن فأخذن بيده وأجلسنه على الأنطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع كلامها ثم أمرت الجوارى فقطعن رواهشه ووضعن الطست بين يديه فجعلت دماؤه تشخب فى الطست فقطرت قطرة على

(النوع السادس) الظهر ولما كان الظهر غائبا عن الحاسة اقتضى التدبير الإلهى إحكامه وتوثيقه بعظام صلبة ذات سناسن وأجنحة جنة ووقاية للآلات الشريفة التى وراءه كالرئة والقلب والمعدة وخلق فقاره كالقاعدة لسائر العظام كالخشبة التى تهيأ أولا ثم يربط بها سائر خشب السفينة ثانيا فان عظام القفص والأصابع والرأس واليدين والرجلين كلها مربوطة بها وخلقت خرزات للانحناء ولكون النخاع فى وسطها والحاجة إلى حفظ النخاع ماسة وخلق لكل فقرة شوكة ثابتة إلى الجانب الوحشى وجناحان من يمينها ويسارها وربطت برباطات عصبية وغشيت بالجوهر الغضروفى ويقال لهذه الشوكات السناسن وإنما خلقت لتكون خشبة بارزة تلقاها الآفات الهاجمة من خارج فتصيبها النكاية وتسلم الخرزات وإنما غشاها بالغضروف لئلا تنكسر عند مصادمة الأشياء الصلبة وأما الرباطات العصبية ليربط بعضها ببعض ربطا وثيقا فتصير كالشىء الواحد وأما الأجنحة فتكون مدخلا لرءوس الأضلاع فيها ووقاية للخرزات من جوانبها كما أن السناسن وقاية من ورائها وانما خلقت خرزات ليسلم الباقى إن أصابت الآفة شيئا

منها ولما كان انحناء البدن إلى قدام أكثر من انحنائه إلى خلف جعل السناسن

النطع فقالت لجواريها لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله فقالت والله ما وفى دمك ولا شفى قتلك ولكنه غيض من فيض فأرسلتها مثلا فلما قضى أمرت به فدفن * وأما عمرو فكان يخرج كل يوم إلى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتفى من خاله الأثر فخرج ذات يوم فإذا فارس قد أقبل تهوى به الفرس هوى الريح فقال عمرو بن عدى أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالبهيمة لأمر ما جاءت العصا فأرسلها مثلا فأشرف قصير فقال ما وراءك قال سعى القدر بالملك إلى حتفه على الرغم من أنفى وأنفه ثم قال لعمرو بن عدى اطلب بثأرك من الزباء فقال عمرو وأنى يطلب من الزباء وهى أمنع من عقاب الجو فأرسلها مثلا فقال له قصير قد علمت نصحى لخالك وكان الأجل طالبه وأنا والله لا أنام عن الطلب بدمه ما لاح نجم أو طلعت شمس أو أدرك به ثأرا أو تخترم نفسى فأعذر ثم إنه عمد إلى أنفه فجدعه وقال ابن هشام إن قصيرا قال لعمرو جدع أنفى وأقطع آذانى واضرب ظهرى حتى يؤثر فيه ودعنى وإياها ففعل به عمرو ذلك * وذكر الأخباريون أن عمرا أبى عليه ففعل هو بنفسه ذلك فقيل لأمر ما جدع قصير أنفه * قال ابن الجوزى ثم إن قصيرا لحق بالزباء هاربا من عمرو بن عدى فقيل لها هذا قصير ابن عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد أتاك هاربا فأذنت له وقالت ما الذى جاء بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر فقال يا ابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يأتى فيه مثلى إلى مثلك ولقد كان دم الملك يعنى أباها يطلب جذيمة حتى أدركه وقد جئتك مستجيرا من عمرو بن عدى فإنه اتهمنى بخاله لمشورتى عليه فى المسير إليك فجدع أنفى وأخذ مالى وجلد ظهرى وقطع آذانى وحال بينى وبين أهلى وتهددنى بالقتل وإنى خشيت على نفسى فهربت منه إليك وأنا مستجير بك ومستند إلى كنف عزك فقالت له أهلا وسهلا لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فأنزل وأجرت له النفقات ووصلته وكسته وأخدمته وزادت فى إكرامه فأقام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيل عليها وموضع الفرصة منها وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق تعتصم به فلا يقدر أحد عليها فقال لها قصير يوما إن لى فى العراق مالا كثيرا وذخائر نفيسة مما يصلح للملوك فإذا أذنتى فى الخروج إلى العراق وأعطيتنى شيئا أتعلل به فى التجارة واجعله سببا إلى الوصول إلى مالى أتيتك بما قدرت عليه من ذلك فأذنت له وأعطته مالا تقدم به إلى العراق وأخذ مالا جزيلا ثم رجع إلى الزباء وقد استصحب من ظرائف العراق ولطائفها وزادها مالا كثيرا إلى مالها قال فلما قدم عليها أعجبها ذلك وأبهجها وعظمت منزلته عندها ثم إنه عاد إلى العراق ثانية وقدم عليها بأكثر من النوبة الأولى وزادها أضعافا من الجوهر والخز والبز والقز والديباج فازداد مكانه منها وعظمت منزلته عندها ورغبتها فيه ولم يزل قصير يتلطف فى الحيلة حتى عرف موضع النفق الذى تحت الفرات والطريق إليه ثم خرج ثالثة فقدم أكثر من المرتين الأوليين طرائف ولطائف فبلغ مكانة عظيمة منها حتى أنها كانت تستعين به فى مهماتها واسترسلت إليه وعولت فى أمورها عليه وكان قصير رجلا حسن العقل والوجه أديبا لبيبا فقالت له يوما إنى أريد أن أغزو البلد الفلانية من أرض الشأم فأخرج إلى العراق وائتنى بكذا وكذا من الدروع والكراع والعبيد والثياب فقال قصير لى ببلاد عمرو بن عدى ألف بعير وخزانة من المال وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا وما لعمرو بها من علم ولو علم بها لأخذها واستعان بها على حرب الملكة وقد كنت أتربص به ريب المنون وها أنا أخرج متنكرا من حيث لا يعلم فآتى الملكة بذلك مع الذى سألت فأعطته من المال ما أراد وقالت يا قصير الملك يحسن بمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره وقد بلغنى أن جذيمة كان إيراده وإصداره إليك وما

والربط من خلف ليكون قدامها أساس للحركة فصار جملة الصلب كشىء واحد مخصوص بأفضل الأشكال وهو المستدير لأنه أبعد الأشكال عن قبول الآفات تعطفت رءوس الخرزات العالية إلى أسفل والسافلة إلى أعلى واجتمعت العاشرة وهى الواسطة ذات فقرة لا بارز لها وجعلت الفم الفوقانية والسفلانية متوجهة إليها لأن الإنسان يحتاج إلى الانحناء وذلك بأن تميل الواسطة إلى ضد الجهة وما فوقها وما تحتها إلى الجهة لأن طرفى الصلب يميلان إلى الالتقاء والواسطة تميل إلى خلاف جهة ميل الطرفين كانحناء القوس عند المد ولما كان الواجب أن يعم الحس الظاهر جميع البدن وجب أن يصل إليها شعب العصب ولم يمكن إيصال عصب الدماغ إليها لبعد ما بين هذه الأعضاء والدماغ ودقة أعصابه فإن حجم الدماغ لا يحتمل أعصابا قوية تصل إلى جميع أعضاء البدن فاقتضت الحكمة الإلهية إخراج شعبة قوية من مؤخر الدماغ فى طول البدن وهو النخاع وأحاط به عظام الفقرات ليحفظ النخاع بصلابتها وأخرج من النخاع فى كل موضع

أقصر بك عن شيء تناله يدى ولا يقعد بك حال تنهض بى فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال إنه أسد خادر وليث ثائر قد تحفز للوثبة ولما عرف قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال الآن طاب الخداع وخرج من عندها فأتى عمرو بن عدى فقال قد أصبت الفرصة من الزباء فقال له عمرو قل أسمع ومر أقبل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والأموال فقال عمرو حكمك فيما عندى مسلط فعمد إلى ألفى رجل من فتاك قومه وصناديد أهل مملكته فحملهم على ألف بعير فى الغرائر السود بالأسلحة وجعل ربطها من داخل الجوالق وكان عمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح والإبل محملة قال ابن هشام فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا وعمى عليها أمر قصير فسألت عنه فقيل أخذ الغوير فقالت عسى الغوير أبؤسا فأرسلتها مثلا وعسى فى المثل بمعنى صار ولذلك أتى الخبر بغير الفعل فلما قدم قصير دخل على الزباء وكان قد تقدم على العير فقال لها قفى وانظرى إلى العير فصعدت على سطح قصرها وجعلت تنظر إلى العير مثقلة بحمل الرجال فقالت ياقصير :

ماللجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

وكان قصير قد وصف لعمرو الزباء وشأن النفق فلما دخلت العير المدينة وكان على باب الزباء بوابون من النبط وفيهم رجل بيده مخصرة فطعن جوالقا فأصابت المخصرة رجلا منهم فضرط فقال البواب بالنبطية بشا بشا أى الشر الشر فاستل قصير سيفه وضرب به البواب فقتله وكان عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل وحل الرجال الجوالق فظهروا فى المدينة ووقف عمرو على باب النفق فلما رأت الزباء عمرا عرفته بالصفة فصت خاتما فى يدها مسموما وقالت بيدى لا بيد عمرو فماتت ويقال إن عمرا قتلها بالسيف وقال ابن الجوزى إن الزباء لما رأت الإبل تتهادى بأحمالها ارتابت بها وكان قد وشى بقصير اليها فقدح مارأت من كثرة الإبل وعظم أحمالها فى نفسها مع ما عندها من قول الواشى به فقالت :

* أرى الجمال مشيها وئيدا * إلا أنه ذكر عوض أم الرجال جثما قعودا أم الرجال فى الغرار السودا

ثم قالت لجواريها أرى الموت الأحمر فى الغرائر السود فذهبت مثلا وذكر القصة إلى آخرها فاحتوى عمرو على بلادها * والزباء اسمها نائلة فى قول محمد بن جرير الطبرى ويعقوب بن السكيت واستشهد بن جرير الطبرى بقول الشاعر :

أتعرف منزلا بين النقاء * وبين ممر نائلة القديم

وميسون فى قول ابن دريد وفارعة فى قول ابن هشام وابن الجوزى وغيرهما كما تقدم ﴿قلت﴾ وفى النهاية لابن الأثير أن قوما من الجن تذكروا عيافة بنى أسد ووصفهم بها فأتوهم فقالوا اضلت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف فقالوا لغلام لهم أنطق معهم فاستردفه أحدهم ثم ساروا فلقيهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها فأشعر الغلام وبكى فقالوا مالك ياغلام فقال كسرت جناحا ورفعت جناحا وحلفت بالله صراخا ماأنت بانسى ولا تبغى لقاحا وقالوا أطير من عقاب الجو وأبصر من عقاب وأحزم * فإن قيل ما أحزمه قيل إنه يخرج من بيضته على رأس جبل عال فلا يتحرك حتى يتكامل ريشه ولو تحرك لسقط ويقال أيضا أسمع من فرخ عقاب وأعز من عقاب الجو ﴿عجيبة﴾ نقل ابن زهر عن ارسطاطاليس أن العقاب تصير حدأة والحدأة عقابا يتبادلان فى كل سنة (الخواص) قال صاحب عين الخواص قال عطارد بن محمد إن العقاب

يحتاج إلى التحريك والإحساس عصبا يتصل به والقطن مع العجز كالقاعدة للصلب وهو دعامة وحامل بعظم العانة ومنبت لأعصاب الرجل (النوع السابع الجنب) وهو مركب من الأضلاع وقد شدت خللها بلحم دقيق وقاية لما يحيط به من آلات التنفس وآلات الغذاء ولم يجعل عظما واحدا لئلا يثقل ولا تعم آفته وكل ضلع مقوس يدخل منه زائدتان فى نقرتين غامرتين فى كل جناح من أجنحة الفقرات فالصلب كالحائرة والأضلاع كالجذوع واللحوم فى خللها كالعوارض ولما كانت محيطة بالرئة والقلب وجب الاحتياط فى وقايته فخلقت الأضلاع السبعة العليا مشتملة على ماتحويها من جميع الجوانب ملتقية عند القص وجناح الفقرات وأما مايلى ذلك فخلقت من خلف محرزة حيث لا يحرسه الحاسة ولم يتصل من قدام بل درجت يسيرا يسيرا فى الانقطاع لتصير وقاية للكبد والطحال وتتوسع لمكان المعدة ولا تنضغط عند امتلائها فالخمسة المتقاصدة خلقت رؤسها متصلة بغضاريف ليأمن الانكسار عند المصادمات ولئلا يلاقى الأعضاء اللينة والحجاب بصلابتها بل بجرم متوسط فى الصلابة واللين (النوع الثامن الرجل)

يهرب من الصبر وإذا شم رائحته غشى عليه وريش العقاب إذا دخن به البيت ماتت حياته ومرارته تنفع من الظلمة والماء الذى فى العينين اكتحالا قاله القزوينى (التعبير) العقاب تدل رؤيته لمن هو فى حرب على النصر والظفر على الأعداء لأنها كانت راية النبى ﷺ والعقاب تدل على العقاب لمن حل عنده ومن رأى أنه ملك عقاباً أو نسراً وتحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على عدوه وعاش عمرا طويلا فإن كان الرائى من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفرداً لا يأوى إلى أحد وإن كان ملك اصطلح مع الأعداء وأمن من شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال لأن أرياشها السهام وهى أموال أيضا وصغارها أولاد زنا قاله ابن المقرى وقال المقدسى من رأى عقابا ضربه بمخالبه ناله شدة فى ماله وأكل لحم العقاب يدل على الحرص وربما دلت رؤيته أعنى العقاب على رجل صاحب حرب لا يأمنه قريب ولا بعيد وإذا رؤى على سطح أو دار أو بيت فهو ملك الموت ومن ركب عقابا فى منامه وكان فقيرا نال خيرا وإن كان غنيا أو من أشراف الناس فإنه يموت لأن فى الزمان المتقدم كانوا يصورون صورة الميت من الأغنياء والأمراء على صورة عقاب ومن رأى من النساء كأنها ولدت عقابا اتصل ولدها بالملك فى خدمة أو صراع والله أعلم ﴿العقد﴾ الجمل الصغير القوائم الطويل السنام فإذا مشى مع الجمال قصر عن طولها وإذا برك معها طالها لطول سنامه ولذلك يقول ثعلبة :

أرسلت فيها جملا لكالكا * يقصر مشيا ويطول باركا

﴿العقال﴾ القلوص الفتية والعقال زكاة العام من الإبل والغنم قال الشاعر :

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا * فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

﴿العقرب﴾ دويبة من الهوام تكون للذكر والأنثى بلفظ واحد، واحدة العقارب وقد يقال للأنثى عقربة وعقرباء ممدود غير مصروف ويصغر على عقيرب كما تصغر زينب على زيينب والذكر عقربان بضم العين والراء وهو دابة له أرجل طوال وليس ذنبه كذنب العقارب قال الشاعر :

كأن مرعى أمكم إذا غدت * عقربة يكومها عقربان

أى ينزو عليها ومكان معقرب بكسر الراء ذو عقارب وصدغ معقرب بفتح الراء أى معطوف وكنيتها أم عريط وأم ساهرة واسمها بالفارسية الرشك كما تقدم ومنها السود والخضر والصفر وهن قواتل وأشدها بلاء الخضر وهى مائية الطباع كثيرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع إذا حملت الأنثى منه يكون حتفها فى ولادتها لأن أولادها إذا استوى خلقها تأكل بطنها وتخرج فتموت الأم وأنشدوا قول الشاعر :

وحاملة لا يحمل الدهر حملها * تموت وينمى حملها حين تعطب

والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول قد أخبرنى من أثق به أنه رأى العقرب تلد من فيها وتحمل أولادها على ظهرها وهى على قدر القمل كثيرة العدد ﴿قلت﴾ والذى ذهب إليه الجاحظ هو الصواب * والعقرب أشد ما تكون إذا كانت حاملا ولها ثمانية أرجل وعيناها فى ظهرها * ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شىء من بدنه فإنها عند ذلك تضربه * وهى تأوى إلى الخنافس وتسالمها وربما لسعت الأفعى فتموت وهى تلسع بعضها بعضا فتموت قاله الجاحظ * وفى كتاب القزوينى أن العقرب إذا لسعت الحية

جعل آخر الرجل على ما يوافق إتمام هذه المقاصد فى الجوهر والشكل والمقدار والعدد والوضع والتأليف وخلق ركبة عظم الفخذ على الورك على استقامة وعظم الساق على الفخذ على نحو ينقبض إلى خلف ليتم الانتصاب والتخطى والقعود مفترشا ومتربعا وغيرها من الانحناء والأشكال الكثيرة وخلق طول القدم ومشطها ووسعها لفائدة الثبات والاستقرار وخلق أصابعها على نحو آخر مخالف لأصابع اليد فإنها كلها فى سطر واحد ليتم بها الثبات والاستقرار على الأشياء المختلفة كالمحدب والمقعر والصعود بالمراقى والدرج وخلق العصب من عظم صلب ليكون حاملا للبدن وخلق الكعب فيما بين الساق والعقب ليعين القدم على الانقباض والانبساط فى المشى وغيره من الحركات والله الموفق للصواب ﴿الضرب الثانى من الأعضاء المركبة﴾ الأعضاء الباطنة وهى أنواع (النوع الأول) الدماغ وهو جسم لدن محوى فى غشاءين منبع للروح النفسانى ومنه ينبعث فى الأعصاب إلى سائر البدن ولما كان جوهر الدماغ

بين القحف والدماغ غشاء غليظ يلاقى القحف من داخل يكون كالبطانة لها ويكون هذا الغشاء وقاية للدماغ من الأشياء الغريبة ولما كان جوهر الدماغ لينا سريع الانفعال من أدنى سبب خلق له حصن صلب من العظم وهو القحف وجعل بعيدا منه ليدفع الآفات عنه وجعل خريطة للدماغ معلقة من القحف غير ملاقية له لأنها لو كانت ملاقية والقحف صلب يصادمه دائما فينضغط عنه وكان دائم النكاية وللدماغ ثلاثة بطون وكل بطن فى عرضه ذا جزءين أما البطن المقدم فهو محسوس الانفصال ينقسم إلى جزءين عظيمين يمنة ويسرة وهذا الجزء يعين على الاستنشاق وعلى نفض الفضول والعطاس وأما البطن المؤخر فهو أيضا عظيم وهو مبدأ النخاع لكنه أصغر من البطن المقدم وأما البطن الأوسط فإنه كمنفذ من الجزء المقدم إلى الجزء المؤخر وكدهليز مضروب بينهما يؤدى عن التصور إلى الحفظ فلما كان كذلك كان أحسن موضع للتفكر والتذكر فالحكمة الإلهية اقتضت أن يكون مقدم الدماغ فى غاية اللين لأن

فإن أدركتها وأكلها برئت والا ماتت وقد أشار إلى ذلك الفقيه عمارة اليمنى فى أبياته بقوله :

إذا يسالمك الزمان فحارب * وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما * تموت الأفاعى من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد * وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الإنفاق فى غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

وفى تاريخ ابن خلكان فى ترجمة الفقيه عمارة بن على بن زيدان اليمنى أن قاسم بن هاشم صاحب مكة وجهه رسول إلى الديار المصرية فدخلها فى ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة وصاحبها يومئذ الفائز والوزير الصالح بن رزيك فأنشدهما قصيدته الميمية التى أولها * الحمد للعيس بعد العزم والهمم * وفى آخرها :

ليت الكواكب تدنو لى فأنظمها * عقود مدح فما أرضى لكم كلمى
خليفة ووزير مد عدلهما * ظلما على مفرق الإسلام والأمم
زيادة النيل نقص عند فيضهما * فما عسى يتعاطى منة الديم

فاستحسنا قصيدته وأجزلا صلته وعاد إلى مكة ثم إلى زبيدة ثم أعاده صاحب مكة رسولا إلى مصر أيضا فاستوطنها وأحسن الصالح وبنوه إليه فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ثم إنه شرع فى الاتفاق مع جماعة من الرؤساء على إعادة دولة المصريين ووافقهم جماعة من أمراء الملك الناصر واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية ومن سواحل الشام إلى ديار مصر على شىء يبذلونه لهم من المال والبلاد فعلم صلاح الدين بذلك فقبض عليهم وسألهم عن ذلك فأقروا فصلبهم فى رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة وهذا التاريخ مناقض لما تقدم من أنه كان رسولا لصاحب مكة فى سنة خمسين وخمسمائة ﴿قلت﴾ والصواب أن صلبهم كان فى سنة تسع وستين يوم السبت الثانى من شهر رمضان وكان القبض عليهم فى يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وكان عمارة شافعيا وينسب إليه بيت قاله أو وضع عليه والله أعلم بذلك :

قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوه سيد الأمم

فأفتى فقهاء مصر بقتله ولم يتعرض السلطان صلاح الدين إلى من نافق عليه من أجناده ولا أظهر لهم أنه علم بشىء من أمرهم ومن العجيب أن الفقيه عمارة قال قبل صلبه بأيام قلائل فى مصلوب :

ورأت يداه عظيم ما جنتا * ففررن ذى شرقا وذى غربا
وأما نحو الصدر منه فما * ليلوم فى أفعاله القلبا

فكأنه كان لسان حاله * ومن شأنها أنها إذا لسعت الإنسان فرت فرار مسىء يخشى العقاب قال الجاحظ ومن عجيب أمرها أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا ألقيت فى الماء سواء كان الماء ساكنا أو جاريا قال والعقارب تخرج من بيوتها للجراد لأنها حريصة على أكله * وطريق صيدها أن تشبك الجرادة فى عود ثم تدخل فى جحرها فإذا عاينتها العقرب تعلقت فيها * ومتى أدخل الكراث فى جحرها وأخرج فإنها تتبعه أيضا وربما ضربت الحجر والمدر ومن أحسن ماقيل فى ذلك :

رأيت على صخرة عقربا * وقد جعلت ضربها ديدنا * فقلت لها إيها صخرة
وطبعك من طبعها ألينا * فقالت صدقت ولكنني * أريد أعرفها من أنا

والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهر زور وبعسكر مكرم وهى جرارات تلسع فتقتل كما تقدم وربما تناثر لحم من لسعته أو عفن لحمه واسترخى حتى أنه لايدنو منه أحد إلا وهو يمسك أنفه مخافة إعدائه * ومن لطيف أمرها أنها مع صغرها تقتل الفيل والبعير بلسعها * ومن نوع العقارب الطيارة قال القزوينى والجاحظ وهذا النوع يقتل غالباً قال الرافعى وحكى العبادى وجهاً أنه يصح بيع النمل بنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة التى بها وسيأتى إن شاء الله تعالى هذا أيضا فى باب النون فى حكم النمل ولعل مراده أن النمل يعمل مع أدوية ويعالج بها لدغتها وبنصيبين عقارب قتالة يقال إن أصلها فى شهرزور وأن بعض الملوك حاصر نصيبين فأتى بالعقارب منها وجعلها فى كيزان الفقاع ورمى بها فى المجانيق قال الجاحظ وكان فى دار نصر بن حجاج السلمى عقارب إذا لسعت قتلت فدب ضيف لهم إلى بعض أهل الدار فضربته عقرب فى مذاكيره فقال نصر يعرض به :

وداري إذا نام سكانها * أقام الحدود بها العقرب * إذا غفل الناس عن دينهم
فإن عقاربها تضرب * فلا تأمنن سرى عقرب * بليل إذا أذنب المذنب

فدخل حواء إلى الدار وقال هذه عقارب تسقى من أسود سالخ ونظر إلى موضع فى الدار وقال احفروا ههنا فحفروا فوجدوا أسودين ذكراً وأنثى وروى الطبرانى وأبو يعلى الموصلى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على بن أبى طالب على رسول الله ﷺ وهو يصلى فقام إلى جنبه فصلى بصلاته فجاءت عقرب حتى انتهت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تركته وذهبت نحو على فضربها بنعله حتى قتلها فلم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها بأساً فى إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف وروى ابن ماجه عن أبى رافع أن النبى ﷺ قتل عقربا وهو يصلى * وفيه أيضاً عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فقال لعن الله العقرب ما تدع مصلياً ولا غير مصل اقتلوها فى الحل والحرم * وروى الحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان والمستغفرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله تعالى عنه قال لدغت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فلما فرغ من صلاته قال لعن الله العقرب ما تدع مصلياً ولا غيره ولا نبيا ولا غيره إلا لدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل يمسح عليها ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين وفى تاريخ نيسابور عن الضحاك ابن قيس الفهرى قال قام رسول الله ﷺ من الليل يتهجد فلدغته عقرب فى أصبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله العقرب ما تكاد تدع أحداً ثم دعا بماء فى قدح وقرأ عليه قل هو الله أحد ثلاث مرات ثم صبه على أصبعه ثم رؤى ﷺ بعد ذلك على المنبر عاصباً أصبعه من لدغة العقرب * وفى عوارف المعارف عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لدغت رسول الله صلى الله عليه وسلم عقرب فى إبهامه من رجله اليسرى فقال على بذاك الأبيض الذى يكون فى العجين فجئنا بملح فوضعه صلى الله عليه وسلم فى كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه * وروى ابن أبى شيبة عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب الناس وهو عاصب

وإن يكون مؤخر الدماغ أصلب من المقدم لأن ظاهره منشأ الشعبة العظمية التى هى النخاع وباطنه موضع الحفظ والصلابة مناسبة لها فسبحان من أتقن كل شىء خلقه وهو اللطيف لما يشاء والله الموفق (النوع الثانى الرئة) وهو جسم متخلخل رخو كأنه زبد منعقد وذلك لكونه آلة الترويح عن القلب دعت الحاجة إلى الخفة والانبساط والانقباض ومعنى الترويح جذب هواء صاف يقع على القلب ويخرج هواء محترقا أحرقته حرارة القلب ومدخل الهواء ومخرجه صبة الرئة وخلقت مجرى واسعاً من عظم غضروفى على شكل حلق مربوطة بعضها ببعض وإنما خلق واسعا لينفذ فيه من الهواء شىء كثير فى زمان يسير وإنما خلق من حلق غضروفية ليكون مفتوحا دائما ولا يحتاج إلى آلة تفتحها لأن الحاجة إلى التنفس ماسة دائما وإنما خلقت قصبة الرئة محتاجة إلى أن تتسع فى حال وتضيق فى حال لاختلاف الحاجة عند شدة الصوت وضعفه

 ولذلك لم يخلق حلقاتها تامة وإلا لم تتمدد فى العرض المذكور فخلق ثلاثة أرباعها

أصبعه من لدغة عقرب فقال إنكم تقولون لاعدوى ولا تزالون تقاتلون عدوا حتى تقاتلوا يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صغار العيون صهب الشعاف من كل حدب ينسلون وكأن وجوههم المجان المطرقة ﴿غريبة﴾ فى تاريخ شيخنا اليافعى رحمه الله تعالى فى حوادث سنة تسع وخمسمائة ذكر أن بعض الملوك قال له منجموه إنه يموت فى الساعة الفلانية فى اليوم الفلانى فى الشهر الفلانى من سنة كذا من عقرب تلدغه فلما كانت الساعة المذكورة تجرد من جميع ثيابه سوى مايستر عورته وركب فرسا بعد أن غسله ونظفه وسرح شعره ودخل به البحر حذرا مما ذكر له منجموه فبينما هو كذلك عطست الفرس فخرج من أنفه عقرب فلدغته فمات فما أغناه الحذر عن القدر وعن معروف الكرخى قال بلغنا أن ذا النون المصرى خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فإذا هو بعقرب قد أقبل عليه كأعظم مايكون من الأشياء قال ففزع منها فزعا شديدا واستعاذ بالله منها فكفى شرها فأقبلت حتى وافت النيل فإذا هو بضفدع قد خرج من الماء فاحتملها على ظهره وعبر بها إلى الجانب الآخر فقال ذو النون فأتزرت بمئزرى ونزلت فى الماء ولم أزل أرقبها إلى أن أتت إلى الجانب الآخر فصعدت ثم سعت وأنا أتبعها إلى أن أتت شجرة كثيرة الأغصان كثيرة الظل وإذا بغلام أمرد أبيض نائم تحتها وهو محمور فقلت لاقوة إلا بالله أتت العقرب من ذلك الجانب للدغ هذا الفتى فإذا أنا بتنين قد أقبل يريد قتل الفتى فظفرت العقرب به ولزمت دماغه حتى قتلته ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر فأنشد ذو النون يقول :

يا راقدا والجليل يحفظه * من كل سوء يكون فى الظلم
كيف تنام العيون عن ملك * تأتيك منه فوائد النعم

قال فانتبه الفتى على كلام ذى النون فأخبره الخبر فتاب ونزع لباس اللهو ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة رحمه الله تعالى * واسم ذى النون ثوبان بن إبراهيم وقيل الفيض ابن إبراهيم ومن كلامه رحمه الله تعالى حقيقة المحبة أن تحب ماأحبه الله وتبغض ماأبغضه الله وتطلب رضاه وترفض جميع ما يشغلك عنه وأن لا تخاف فيه لومة لائم وأن تعزل نفسك عن رؤيتها وتدبيرها فإن أشد الحجاب رؤية النفس وتدبيرها وقال رحمه الله لايزال العارف مادام فى الدنيا بين الفخر والفقر فإذا ذكر الله افتخر وإذا ذكر نفسه افتقر وقال ليس بذى لب من جد فى أمر دنياه وتهاون فى أمر آخرته ولامن سفه فى مواطن حلمه ولامن تكبر فى مواطن تواضعه ولا من فقدت منه التقوى فى مواطن طمعه ولامن غضب من حق إن قيل له ولامن زهد فيما يرغب العقلاء فيه ولامن رغب فيما يزهد العقلاء فيه ولامن طلب الإنصاف من غيره لنفسه ولامن نسى الله تعالى فى مواطن طاعته وذكر الله فى مواطن الحاجة إليه ولامن جمع العلم ليعرف به ثم أثر عليه هواه بعد تعلمه ولامن قل منه الحياء من الله تعالى على جميل ستره ولامن أغفل الشكر على إظهار نعمه ولامن عجز عن مجاهدة عدوه ولامن جعل مروأته لباسه ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ولامن جعل علمه ومعرفته تظرفا وتزينا فى مجلسه ثم قال استغفر الله العظيم إن الكلام كثير وإن لم تقطعه لم ينقطع * وحكى لى بعض أشياخى عن ذى النون أنه قال لبعض الرهبان ما معنى المحبة فقال لا يطيق العبد حمل محبتين من أحب الله لايحب الأغيار ومن أحب الأغيار لا يحب الله خالصا فتفكر فى حالك من أى القبيلين أنت قال قلت صف لى المحبة فقال المحبة عقل ذاهب ودمع ساكب ونور طريد وشوق

عضروفية وتتم الباقى بالغشاء وجعل جانبها الغشائى إلى نحو المرىء ليتطاوع عند الازدراد وجانبها الغضروفى إلى الخارج لأنه أصلب فيكون أصبر على المصادم الخارجى ثم إن قصبة الرئة لما جاوزت الترقوة وانبسطت إلى فضاء الصدر انقسمت إلى قسمين يمينا ويسارا ثم ينقسم كل قسم منها إلى أقسام مختلفة على حسب أقسام الأوردة والشرايين فى منافذ هذه القصبات ليدخل الهواء فى الشرايين من الرئة عند انبساط القلب ويندفع فيها الدخان عند انقباضها ولما كان الهواء الذى تجذبه الرئة ليس صالحا لترويح القلب حتى يصير معتدلا خلقت القصبات التى هى خزانة الهواء تحفظ جوهر الهواء المحصور فيها وإعداده موافقا للقلب وصالحا لأن يتكون منه الروح كما أن جوهر الكيموس المحصور فى الكبد ينضجه الكبد ويجعله صالحا لأن يتكون منه بدل ما يحلل من الأعضاء وأما نفس الرئة فتكتنف بالقلب وهى منقسمة قسمين أحدهما فى تجويف الصدر الأيمن والآخر فى تجويف الصدر الأيسر لتحصل منفعة الرئتين ما دامت الرئة سليمة ومتى وقعت فى إحدى الجهتين آفة تمنعها من تأدية فعلها

شديد والحبيب يفعل ما يريد قال ذو النون فعمل هذا الكلام معى فعلمت أنه خرج من المعدن وأن الراهب مسلم ثم فارقته فبينما أنا أطوف بالكعبة وإذا بالراهب يطوف وقد نحل فقال لى يا أبا الفيض تم الصلح وانفتح باب المؤانسة ومن الله علىّ بالإسلام وحملنى ما عجزت عنه السموات والأرض قال ذو النون حمل نفسه محبة الله تعالى التى عجزت عنها السموات والأرض وصم الجبال وحملها أجلاد الرجال بلطائف الأحوال وأنشد يقول :

حبك ياسؤلى ويامنيتى * قد انحل الجسم وقد كده
لو أن ما فى القلب من حبكم * بالجندل الصلد لقد هده

ثم قال ذو النون لا أحياء ولا أموات ولا صحاة ولا سكرى ولا مقيمون ولا ظاعنون ولا مفيقون ولا صرعى ولا أصحاء ولا مرضى ولا منتبهون ولا نيام فهم كأصحاب الكهف فى فجوة الكهف لا يدرون ما يفعل بهم ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى ذو النون رحمه الله تعالى أصله من النوبة وكان من أهل إخميم فنزل مصر وسكنها ويقال اسمه الفيض وذو النون لقب وقال الإمام أبو القاسم القشيرى فى رسالته كان ذو النون قد فاق أهل هذا الشأن وصار واحد وقته علما وورعا وأدبا وحالا وكانت وفاته بالجيزة لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ست وأربعين ومائتين قال ابن خلكان ودفن بالقرافة الصغرى * وأما معروف فهو ابن قيس الكرخى كان مشهوراً بإجابة الدعوة وأهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف ترياق مجرب وكان سرى السقطى تلميذه وقيل لمعروف فى مرض موته أوص فقال إذا مت فتصدقوا بقميصى فإنى أريد أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا ومر معروف رحمه الله تعالى يوما بسناء وهو يقول يرحم الله من يشرب وكان صائما فتقدم وشرب فقيل له ألم تكن صائما قال بلى ولكن رجوت دعاءه توفى رحمه الله تعالى سنة ثلثمائة * وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار زعموا أن أرض حمص لا تعيش فيها العقارب وزعم أهلها أن ذلك لطلسم هناك قالوا وإن طرحت فيها عقرب غريبة ماتت من ساعتها وحمص مدينة معروفة من مشارق الشأم لا تنصرف للعلمية والعجمة والتأنيث وهى من المدن الفاضلة وفى حديث ضعيف أنها من مدن الجنة وكانت فى أول الأمر أشهر بالفضل من دمشق وذكر الثعلبى أنه نزلها سبعمائة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ﴿فائدة﴾ رقية العقرب جائزة لما روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال لدغت رجلا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ فقال رجل يارسول الله أرقيه قال ﷺ من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل وفى رواية فجاء آل عمر بن حزم إلى النبى ﷺ فقالوا يارسول الله كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب وإنك نهيت عن الرقى فقال صلى الله عليه وسلم اعرضوا علىّ رقاكم فعرضوها عليه فقال ﷺ ما أرى بها بأسا من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه وفى رواية اعرضوا علىّ رقاكم لا بأس بالرقى مالم يكن فيها شىء فالرقى جائزة بكتاب الله أو بذكره ومنهى عنها إذا كانت بالفارسية أو بالعجمية أو بما لا يدرى معناه لجواز أن يكون فيه كفر واختلفوا فى رقية أهل الكتاب فجوزها أبو حنيفة وكرهها مالك خوفا أن تكون مما بدلوا * فمن الرقى النافعة المجربة أن يسأل الراقى المدوع إلى أين انتهى الوجع من العضو ثم يضع على أعلاه حديدة ويقرأ العزيمة ويكررها وهو يجرد موضع الألم بالحديدة من فوق حتى ينتهى فى جرد السم إلى أسفل الوجع فإذا اجتمع فى أسفله جعل يمص ذلك الموضع حتى يذهب جميع الألم ولا اعتبار بفتور العضو بعد ذلك وهى هذه سلام على نوح فى العالمين وعلى محمد فى

وهو جسم صنوبرى الشكل لحمى الجوهر له جوف يحوى الدم والروح الحيوانى ينشأ منه وينصب فى الشرايين إلى سائر البدن ولحمه قوى لئلا يتناثر من المؤذيات وأعلاه غليظ لأنه منبت الشرايين وأسفله مستدق ليبعد عن عظام الصدر من جهاته وله غلاف يسمى الشغاف خلق لوقايته لأنه منبع الروح الحيوانى ولهذا وضع فى وسط البدن فى موضع حصين مثل نتوء من عظام الصدر والظهر والإضلاع وجعل هذا الحصن متجافيا عنه ليفيد الوقاية من غير مماسة ولما كان محتاجا إلى الدم الذى أنضجه الكبد ورققه ولطفه وأسخنه ليفيد قوة الحياة جعل فى القلب تجويف يرد إليه الدم من الكبد ويستقر فيه حتى يتغذى منه هو ويغذى غيره ولما كان القلب محتاجا إلى الغذاء كسائر الأعضاء وجب أن يرد إليه الغذاء من الكبد فخرج من جذبة الكبد عرق عظيم ودخل فى تجويف القلب من الجانب الأيمن ليملأ ما يتغذى منه القلب والباقى يسرى فى الشرايين إلى جميع

البدن ولما كان القلب محتاجا إلى الإحساس بالمؤذى خلق له شعبة دقيقة متصلة بالغشاء الذى على القلب منشؤها من الدماغ لفائدتين الأولى الإحساس بالمؤذى بواسطة الغشاء والأخرى أن القلب معدن القوة الحيوانية وهذه القوة تنفعل بالأفعال النفسانية كالغضب والخوف والسرور والحزن فهذه أفعال أسبابها أمور خارجة عن البدن فالحواس تدركها وتؤديها إلى النفس فيصل آثارها إلى القلب فينفعل بالانفعالات التى تبتغى فوجب أن يكون بين الدماغ والقلب اتصال فجعل الشعبة الواصلة من الدماغ مثبوتة فى جميع جرم القلب لتتم الفوائد التى ذكرناها والله أعلم (النوع الرابع الكبد) وهو جسم لحمى ألين من القلب وأرطب يحمل روحا طبيعيا ودما غذائيا ينفذ منه فى العروق إلى سائر الأعضاء وهو موضوع فى الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف وشكله هلالى وتقعيره فى الجانب الذى يلى المعدة وحدبته تلى الحجاب وهو مربوط برباطات تتصل بالغشاء الذى عليه وينبت من مقعره قناة تنقسم إلى أقسام منها ما يأتى قعر المعدة وإلى الامعاء وبهذه

المرسلين من حاملات السم أجمعين لادابة فى السماء والأرض إلا ربى آخذ بناصيتها أجمعين كذلك يجزى عباده المحسنين إن ربى على صراط مستقيم نوح نوح قال لكم نوح من ذكرنى لاتأكلوه إن ربى بكل شىء عليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورأيت بخط ابن الصلاح فى رحلته رقية للعقرب قال ذكر أن الإنسان يرقى بها فلا تلدغه عقرب وإن أخذها بيده لاتلدغه وإن لدغته لاتضره وهى بسم الله وبالله وباسم جبريل وميكائيل كازم كازم ويزازم فتيز إلى مرن إلى مرن يشتامرا يشتامرا هوذا هوذا هى لمظا أنا الراقى والله الشافى ﴿صفة خاتم﴾ نافع للسع العقرب ولإفاقة المجنون وللرعاف ولوجع العين إذا كان من ريح باردة ينقش على خاتم بلور أحمر هذه الأسماء خطلسلة كطوده دل محوه أو سطا أبى مه بيد هى سفاهة فللعقرب يغمس فى ماء نظيف ويجعل فى موضع اللسع وللمجنون يديم النظر إلى الخاتم فإنه يفيق بإذن الله تعالى وللرعاف يكتب على الجبهة وللحمى يكتب على ورق الزيتون ويعلق وللريح يجعل الخاتم فى موضع الريح ويمسحه * ومما يكتب للحمى أيضا على ثلاث ورقات ويبخر بها المحموم

| | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الأولى | ا | ا | ا | ط | لا | الثانية | ا | ا | ا | ط | ط | الثالثة | ا | ا | ا | ح | لوم |
| | ك | | | | و | | ك | | | | و | | ك | | | | و |

وللحمى أيضا يكتب على ثلاث ورقات ويأكل كل يوم ورقة إذا حم الأولى بسم الله نارت واستنارت الثانية بسم الله فى علم الغيب غارت الثالثة بسم الله حول العرش دارت * ومما يكتب للرعاف أيضا وللنزيف لوطالوطالوطا يكتب ثلاث أسطر * وذكر صاحب عين الخواص تكتب هذه الأسماء فى ورقة أو على طاسة اسبادرية صحيحة غير مشعوبة أو قصعة جوز بلا شعب ويكتب اسم أبيه وأمه ويسقى للموعوك وإن سقيت للملسوع أفاق لوقته وهى هذه (سارا سارا إلى سارا مالى يرن يرن الى يامال وأصال باطوطو كالعوما راساب يافارس أردد باب ها كاناما أيين لها نارا أنار كاس متمرنا كاطن صلوبيرص صاروب أناوين ودى) هذا لمسوع الحية قال وهو مما جرب فوجد نافعا وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحية ما يقرب من هذا وقال بعض العلماء المتقدمين من قال فى أول الليل وأول النهار عقدت زبان العقرب ولسان الحية ويد السارق بقول أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أمن من الحية والعقرب والسارق * وروى مالك والجماعة إلا البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله مالقيت من عقرب لدغتنى البارحة فقال ﷺ أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك إن شاء الله تعالى وفى كامل بن عدى فى ترجمة وهب ابن راشد الرقى أن الرجل المذكور بلال وفى رواية للترمذى من قال حين يمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة قال سهل فكان أهلنا يقولونها كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعا وقال هذا حديث حسن . كلمات الله القرآن ومعنى تمامها أن لايدخلها نقص ولاعيب كما يدخل كلام الناس وقيل هى النافعات الكافيات عن كل ما يتعوذ به قال البيهقى وإنما سماها تامة لأنه لايجوز أن يكون فى كلامه تعالى نقص أو عيب كما يكون فى كلام الآدميين قال وبلغنى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه كان يستدل بذلك على

إن القرآن غير مخلوق كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء فى الهامة * وذكر أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن سعيد بن المسيب قال بلغنى أن من قال حين يمسى سلام على نوح فى العالمين لم تلدغه عقرب . وقال عمرو بن دينار إن مما أخذ على العقرب أن لاتضر أحدا قال فى ليل أو نهار سلام على نوح فى العالمين . وفى التمهيد لابن عبد البر فى ترجمة يحيى بن سعيد الأنصارى فى بلاغاته فى الثانى عشر قال ابن وهب وأخبرنى ابن سمعان قال سمعت رجالا من أهل العلم يقولون إذا لدغ الإنسان فنهشته حية أو لدغته عقرب فليقرأ الملدوغ هذه الآية نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين . وقال الشيخ أبو القاسم القشيرى فى تفسيره فى بعض التفاسير أن الحية والعقرب أتتا نوحا عليه الصلاة والسلام فقالتا احملنا فقال نوح لا أحملكما فانكما سبب للبلاء والضرر فقالتا احملنا ونحن نعاهدك ونضمن لك أن لانضر أحدا ذكرك فعاهدهما وحملهما فمن قرأ ممن كان يخاف مضرتهما حين يمسى وحين يصبح سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ماضرتاه ثم روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن نوحا عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الثانى وهو الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع ما احتاج إليه من الزاد . وروينا عن الشيخ الإمام الحافظ فخر الدين عثمان بن محمد بن عثمان التوريزى نزيل مكة المشرفة أنه قال كنت أقرأ بمكة الفرائض على الشيخ تقى الدين الحورانى فبينما نحن جلوس وإذا بعقرب تمشى فأخذها الشيخ بيده وجعل يقلبها فى يده فوضعت الكتاب من يدى فقال اقرأ فقلت حتى أتعلم هذه الفائدة فقال هى عندك قلت ماهى قال ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال حين يصبح وحين يمسى بسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم لم يضره شىء وقد قلتها أول النهار . ومما يدفع شر الحية والعقرب أن يقرأ عند النوم ثلاث مرات أعوذ برب أوصافه سمية من كل عقرب وحية سلام على نوح فى العالمين إنا كذلك نجزى المحسنين أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ﴿فائدة﴾ يقال لدغته العقرب تلدغه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ . قال أبو داود الطيالسى فى قوله صلى الله عليه وسلم لايلدغ المؤمن من جحر مرتين معناه أن المؤمن لايعاقب على ذنبه فى الدنيا ثم يعاقب عليه فى الآخرة والذى قال فيه النبى ﷺ ذلك هو أبو عزة الجمحى الشاعر واسمه عمرو وقع فى الأسر يوم بدر ولم يكن معه مال فقال يارسول الله إنى ذو عيلة فأطلقه لبناته الخمس على أن لايرجع للقتال فرجع إلى مكة ومسح عارضيه وقال خدعت محمدا مرتين ثم عاد عام أحد مع المشركين فقال رسول الله ﷺ اللهم لاتفلته فلم يقع فى الأسر غيره فقال ياحمد إنى ذو عيلة فأطلقنى فقال ﷺ لايلدغ المؤمن من جحر مرتين وأمر بقتله والحديث المذكور رواه الشافعى ومسلم وابن ماجه وقوله لايلدغ يروى بضم الغين على الخبر يعنى أن المؤمن حازم لايخدع مرة بعد مرة ولا يفطن لذلك وقيل أراد به الخداع فى أمر الآخرة دون أمر الدنيا ويروى بكسر الغين نهيا أى لايؤتى من جهة الغفلة وهذا يصح أن يتوجه إلى أمر الدنيا والآخرة أيضا ويؤيد ماقاله أبو داود الطيالسى مارواه النسائى فى مسنده عن أبى سخيلة أنه سمع عليا رضى الله تعالى عنه يقول ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى قالوا بلى قال قوله

يجرى فيها الدم إلى سائر الأعضاء وخلق جرم الكبد شبيها بالدم الجامد ليحيل الكيلوس فيه إلى شبه جوهرة (النوع الخامس المرارة) وهى وعاء المرة الصفراء موضوعة فى قعر الجانب الأعلى من الكبد ولها مجريان أحدهما يتصل بتقعير الكبد والآخر يتشعب فيتصل بالأمعاء العليا وبأسفل المعدة فالمرارة تجذب من مقعر الكبد المرة الصفراء وتقذفها إلى الأمعاء أما الجذب فلتصفية الدم عن المرة الصفراء وأما القذف فلتنقية الأمعاء من الفضول وينصب منها إلى عضلة المخرج فيثبته على الحاجة ولما كانت المعدة والأمعاء محتاجة إلى التنقية من الفضول لما بقى فيها من بقية الغذاء فضلة لزجة يتلطخ بها جعل للمرة مجرى ضيقا إلى المعدة فتنصب إليها المرة وتجلوها من الخلط البلغمى وتغسلها فإن البلغم لايزال يتولد فى المعدة عند خلاء المعدة واشتداد الجوع فلو كان انصبابها وقت امتلاء المعدة لاختلطت بالغذاء وأفسدتها

(النوع الثالث الطحال)

وهو جسم لحمى طويل الشكل موضوع فى

الجانب الأيسر يحوى دما سوداويا ينبت منه قناتين إحداهما تتصل بتقعير الكبد تجذب الخلط السوداوى من الدم لئلا ينفذ الدم مع السوداء بل يصفو عن الخلط الردىء والقناة الثانية تتصل بفم المعدة وتثبته على شهوة الغذاء انظر إلى حكمة الصانع جلت قدرته كيف اقتضى تدبيره تصفية الدم من الصفراء والسوداء ليكون الغذاء صالحا سليما من الفضول ثم استعملها لفائدتين عظيمتين إحداهما التنبيه على شهوة الغذاء والأخرى التنبيه على خروج الفضلة (النوع السابع المعدة) وهى شبيهة بقرعة طويلة العنق مركبة بثلاث طبقات مركبة من شظايا دقاق شبيهة بشظايا العصب تسمى الليف يحيط بها لحم وليف أحد الطبقات بالطول والأخرى بالعرض والأخرى بالورب فالليف الطولانى يجذب الغذاء والليف الذى بالعرض يدفعها والمورب يمسكها وبما تؤثر فيه الحرارة وتنضجها ووضعت تحت القلب وبين الكبد والطحال يمينا ويسارا ولحم الصلب من خلف لينال من حرارة هذه الأعضاء فينهضم فيها الغذاء وجعل أمامها إلى صفاق البطن ليمدد إذا امتلأت من الغذاء وخلقت مستديرة الشكل لتسع

تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال لى رسول الله ﷺ يا على ما أصابك من بلاء أو عقوبة أو مرض فى الدنيا فبما كسبت يداك والله أكرم من أن يثنى على عبده فى الآخرة العقوبة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم وأحلم من أن يعود بالعقوبة بعد عفوه انتهى ولذلك قال الواحدى إن هذه الآية أرجى آية فى القرآن لأنه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره بالصائب وصنف عفا عنه وهو جل وعلا كريم لا يعود فى عفوه

﴿فائدة أخرى﴾ يقال لسعته العقرب والحية تلسعه لسعا فهو ملسوع وما أحسن قول الأول:

قالوا حبيبك ملسوع فقلت لهم ... من عقرب الصدغ أم من حية الشعر
قالوا بلى من أفاعى الأرض قلت لهم ... وكيف تسعى أفاعى الأرض للقمر

ويقال فى الحية عضت تعض ونهشت تنهش ونشطت تنشط ونكزت بأنفها تنكز وأنشدنى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى قال أنشدنا شيخنا الشيخ أثير الدين أبو حيان قال أنشدنا الحافظ رضى الدين أبو عبد الله الشاطبى قال أنشدنا أبو الربيع سليمان بن سالم الناقد قال أنشدنا أبو عبد الله بن رافع القيسى قال أنشدنا أبو القاسم بن حبيش قال أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الفراء الضرير الخطيب بقصبة المرية لنفسه:

ياحسنا مالك لم تحسن * إلى نفوس فى الهوى متعبه * رقمت بالورد وبالسوسن
صفحة خد بالسنا مذهبه * وقد أبى صدغك أن أجتنى * منه وقد ألدغنى عقربه
ياحسنه إذ قال ما أحسنى * ويا لذاك اللفظ ما أعذبه * قلت له كلك عندى سنا
وكل ألفاظك مستعذبه * ففوق السهم ولم يخطنى * ومذ رآنى ميتا أعجبه
وقال كم عاش وكم حبنى * وحبه إياى قد أتعبه
يرحمه الله على أننى * قتلى له لم أدر ما أوجبه

قال الحريرى فى درة الغواص السوسن بفتح السين وقد أذكرنى السوسن أبياتا أنشدنيها على ابن عبد العزيز الأديب المغربى لأبى بكر بن القوطية الأندلسى يصف فيها الورد والسوسن مما أبدع فيه وأحسن فأوردتها على وجه التسديد لسمط هذا الفصل والتأسى بمن درج من أهل الفضل وهى:

قم فاسقنيها على الورد الذى نعما ... وباكر السوسن الغض الذى نجما
كأنما ارتضعا خلفى سمائهما ... فأرضعت لبنا هذا وذاك دما
جسمان قد كفر الكافور ذاك وقد ... عق العقيق احمرارا ذا وما ظلما
كان ذا طلبة نصت لمعترض ... وذلك خد غداة البين قد لطما
أو لا فذاك أنابيب اللجين وذا ... جمر الغضى حركته الريح فاضطرما

وقالت العرب قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعا من الزنبور فإذا هو هى وقالوا أيضا فإذا هو إياها وهذا الوجه هو الذى أنكره سيبويه لما سأله الكسائى بحضرة يحيى بن خالد البرمكى فقال له الكسائى إن العرب ترفع كل ذلك وتنصبه فقال له يحيى قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فقال له الكسائى هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسئلون فأحضروا وسئلوا فوافقوا الكسائى فأمر يحيى لسيبويه بعشرة آلاف درهم ورحل سيبويه من فوره إلى بلاد فارس فأقام بها حتى مات فى سنة ثمانين ومائة وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة وقيل اثنتان وثلاثون سنة

ويقال إن العرب علموا منزلة الكسائى عند الرشيد فقالوا القول قول الكسائى ولم ينطقوا بالنصب وأن سيبويه قال ليحيى مرهم أن ينطقوا بذلك فإن ألسنتهم لا تطاوعهم على النطق به وقد أشار إلى ذلك حازم فى منظومته بقوله :

والعرب قد تحذف الأخبار بعد إذا * إذا عنت فجأة الأمر الذى دهما * وربما نصبوا بالحال بعد إذا وربما رفعوا من بعدها ربما * فإن توارى ضميران اكتسى بهما * وجه الحقيقة من أشكاله عما

لذاك أعيت على الأفهام مسئلة أهدت إلى سيبويه الحتف والغمما
قد كانت العقرب العرجاء أحسبها قدما أشد من الزنبور وقع حما
وفى الجواب عليها هل إذا هو هى أو هل إذا هو إياها قد اختصما
خطأ ابن زياد وابن حمزة فى ما قال فيها أبا بشر وقد ظلما
وغاظ عمراً على فى حكومته ياليته لم يكن فى أمره حكما
كغيظ عمرو عليا فى حكومته ياليته لم يكن فى أمره حكما
وفجع ابن زياد كل منتخب من أهله إذ غدا منه يفيض دما
وأصبحت بعده الأنفاس باكية فى كل طرس كجمع سح وانسجما
وليس يخلو امرؤ من حاسد أضم لولا التنافس فى الدنيا لما أضما
والغبن فى العلم أشجى حمنة علمت وأترح الناس شجوا عالم هضما

(الحكم) يحرم أكل العقرب وبيعها وتقتل فى الحل والحرم وإذا ماتت فى مائع نجسته على المشهور وقيل لا تنجسه كالوزغة ونقل الخطابى عن يحيى بن أبى كثير أن العقرب إذا ماتت فى الماء نجسته ثم قال وعامة أهل العلم على خلافه (الأمثال) قال الشاعر :

ومن لم يكن عقربا يتقى مشت بين أثوابه العقرب

وقالوا فى النصح لسع العقارب وقالوا أعدى من العقرب وهو من العداوة وقالوا العقرب تلدغ وتصى يضرب للظالم فى صفة المتظلم وقالوا تحككت العقرب بالأفعى تضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شرا يقال تحكك به إذا تعرض لشره وقولهم أتجر من عقرب وأمطل من عقرب هو اسم تاجر كان بالمدينة وكان من أكثر الناس تجارة وأشدهم تسويفا حتى ضربوا بمطله المثل فاتفق أن الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب وكان من أشد الناس اقتضاء عامله فقال الناس ننظر الآن ما يصنعان فلما جاء المال لزم الفضل باب عقرب وشد حماره ببابه وقعد يقرأ القرآن فأقام عقرب على المطل غير مكترث به فعدل الفضل عن ملازمة بابه إلى هجاء عرضه فما سار عنه قوله فيه :

كل عدو كيده فى استه فغيره ليس الأذى ضائره
قد تجرت فى سوقنا عقرب لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عـــدو يتقى مقبلا وعقرب يخشى من الدابره
إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

وقد أذكرنى قوله * إن عادت العقرب عدنا لها . البيت ما حكاه الشيخ كمال الدين الإدفوى فى كتابه الطالع السعيد أن الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد كان فى صباه يلعب الشطرنج مع زوج أخته الشيخ تقى الدين بن الشيخ ضياء الدين فأذن بالعشاء فقاما فصليا ثم قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد أما تعود فقال صهره :

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضره

غذاء كثير وقعرها أوسع من أعلاها لأن قامة الإنسان منتصبة وما يتناوله من الطعام والشراب ثقيل فيميل الجميع إلى جهة قعر المعدة فوجب أن يكون أوسع وفم المعدة مفتوح أبداً لأن وضعه فوق المعدة فلا يخرج منه ما فى المعدة وخلق مجراها إلى الأمعاء بحيث ينفتح فى وقت وينغلق فى وقت لأن وضعه أسفل فيحتاج الغذاء إلى أن يلبث فيه ريثما ينهضم فلو كان مفتوحا لنزل الغذاء فيه من غير هضم فإذا صار الغذاء نضيجا كف الماسكة عن الإمساك وأخذت الدافعة فى الدفع إلى الأمعاء وخلق من خارج المعدة عليها غشاء وترب أما الغشاء فليكون وقاية لها ويربطها بالأعضاء التى حولها وأما الترب فلتسخين المعدة بالحار الدسم وجعل الترب من قدام أكثر لأن توقع وصول البرد من هذا الجانب أكثر وخلق قم المعدة عصبانيا ليكون قوى الإحساس بالحاجة إلى الغذاء وخلق قعرها لحمانيا لينضج الغذاء بحرارة اللحم (النوع الثامن المعى) وهو جسم من جوهر المعدة مجوف ليس بواسع التجويف له شظايا بالطول والعرض والورب ينزل فيه ما انهضم فى المعدة فى الغذاء وهذا الجسم ينعطف ويلتف وفى مروره عطاف كثيرة ويليه من الكبد

جداول كثيرة ضيقة وإنما خلق من جوهر المعدة ليتم فيه هضم ما قصرت المعدة عن هضمه وإنما خلق ضيقا ليكون اشتماله على ما ينفذ فيه زمانا طويلا فيتمكن من هضم الغذاء وأما طوله فليهضم الثانى ما فات الأول وهكذا إلى آخرها ولا يبقى مع الفضول غذاء فيه وأما الشظايا فالموضوع بالطول لجذب الغذاء والموضوع بالعرض لدفعه والموضوع بالورب لإمساكه والأمعاء جميعا ستة وفى آخرها تجويف واسع يجتمع فيه الثفل كما يجتمع البول فى المثانة وعلى طرف هذا المعاء العضلة المانعة من الخروج حتى تطلقه عند الإرادة (النوع التاسع الكلية) وهى جسم صلب لحمى من شأنه تصفية الدم يجذب مائيته ويرسل تلك المائية إلى المثانة وهما اثنتان على جنبى خرز الصلب بالقرب من الكبد ولكل واحدة منهما عنقان أحدهما يتصل بالعرق الطالع من جذبة الكبد والآخر يمر إلى المثانة ولما كان الغذاء محتاجا إلى قوام رقيق ليمكن نفوذه فى العروق الدقيقة ولا بد لها من قوام صالح جذبت الكلية منها ما زاد على قدر الحاجة وأرسلتها إلى المثانة وخلق كليتان إذ لو كانت واحدة لكبر جرمها فإن وضعت فى أحد الجانبين مال البدن إليها وإن وضعت فى الوسط

فأنف الشيخ تقى الدين من ذلك فلم يعد يلعبها إلى أن مات ﴿فائدة﴾ قال ابن خلكان فى ترجمة أبى بكر الصولى الكاتب المشهور أنه كان أوحد أهل زمانه فى لعب الشطرنج والناس إلى الآن يضربون المثل به فى ذلك وزعم كثير من الناس أنه الذى وضع الشطرنج وهو غلط وواضعه رجل يقال له صصة بصادين مهملتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة مشددة وضعه لملك الهند شهرام بكسر الشين المعجمة وكان أردشير بن بابك أول ملوك الفرس المؤرخة به قد وضع النرد ولذلك قيل له النردشير نسبوه إلى واضعه المذكور وجعله مثالا للدنيا وأهلها فجعل الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر وجعل الفصوص مثل القضاء والقدر وتقلبه فى الدنيا فافتخرت الفرس بوضع النرد فوضع صصه الهندى الحكيم الشطرنج لملك الهند فقضت حكماء ذلك العصر بترجيح الشطرنج على النرد وأردشير بالراء المهملة وقيل بالزاى هو الذى أباد ملوك الطوائف ومهد لنفسه الملك وهو جد ملوك الفرس الذين أخرجهم يزدجرد بكسر الجيم وانقرض ملكهم فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة انتهى والصواب أن الملك الذى وضع له الشطرنج بلهيت كما قاله شيخنا اليافعى وغيره وأنه لما قدمه للملك وأراه طريقة اللعب به أعجب الملك إعجابا عظيما وقال له تمنّ علىّ فقال أتمنى عليك أيها الملك أن يوضع درهم فى أول بيوت الرقعة ويضاعف إلى آخرها فقال له الملك ما هذا القدر أفسدت علينا ما صنعت فقال الوزير مهلا أيها الملك فإن خزائنك وخزائن ملوك أهل الأرض تنفد دون ذلك وقد أغفل ابن خلكان من وصف النرد أشياء منها أن الاثنى عشر بيتا التى فى الرقعة مقسومة أربعة على عدد فصول السنة ومنها أن الثلاثين قطعة بيض وسود كالأيام والليالى ومنها أن الفصوص مسدسة إشارة إلى أن الجهات ست لا سابع لها ومنها أنّ ما فوق الفصوص وتحتها كيفما وقعت سبع نقط عددا الأفلاك وعدد الأرضين وعدد السموات وعدد الكواكب السيارة ومنها أنه جعل تصرف اللاعب فى تلك الأعداد لاختياره وحسن التدبير بعقله كما يرزق العاقل شيئا قليلا فيحسن التدبير فيه ويرزق المفرط شيئا كثيرا فلا يحسن التصرف فيه فالنرد جامع لحكم القضاء والقدر وحسن التصرف لاختيار لاعبه والشطرنج مفوض لاختيار اللاعب وعقله وتصرفه الجيد أو الردىء وتفضيل الشطرنج على النرد فيه نظر والسطرنج بكسر السين المهملة على وزن جردحل وهو الضخم من الإبل وقد جوز فى الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز اشتقاقه من المشاطرة وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون اشتق من التسطير عند التعبية قاله فى درة الغواص ومما قيل فى الشطرنج:

وخيل قد رأيت إزاء خيل * يساق بها كأكياس الرياح
بميمنة وميسرة وقلب * كتعبية الكتائب للبطاح
إذا ما قتلوا نشروا وعادوا * صحاحا لم يصابوا بالجراح
بغير عداوة كانت قديما * ولكن للتلذذ والمزاح

«إشارة» لعب الشطرنج مكروه كراهة تنزيه وقيل حرام وقيل مباح والأول أصح وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد إنه حرام ووافقهم من أصحابنا الحليمى والرويانى وروى البيهقى أن محمد بن سيرين وهشام بن عروة بن الزبير وبهز بن حكيم والشعبى وسعيد بن جبير كانوا يلعبون بالشطرنج وقال الشافعى كان سعيد بن جبير يلعب بالشطرنج آستدباراً من وراء ظهره وروى الصعلوكى تجويزه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأبى اليسر وأبى هريرة والحسن البصرى والقاسم بن محمد وأبى قلابة وأبى مجلز وعطاء والزهرى وربيعة بن عبد الرحمن وأبى الزناد رحمهم

الله تعالى والمروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه من اللعب به مشهور فى كتب الفقه وروى الصولى فى جزء قد جمعه فى الشطرنج أن أبا هريرة وعلى بن الحسين زين العابدين وسعيد بن المسيب ومحمد ابن المنكدر والأعمش وناجية وعكرمة وأبا اسحق السبيعى وابراهيم بن سعد وابراهيم بن طلحة ابن عبد الله بن معمر كانوا يلعبون الشطرنج وقد ذكرت الأسانيد عن هؤلاء وتكلمت على أدلة المخالفين بكلام يشفى النفس ويذهب اللبس فى جزء أفردته فى الشطرنج والنرد نحو عشرين كراسة فاعلم والله تعالى أعلم قال أصحابنا ولأن الشطرنج فيها تدبير الحروب فأشبهت اللعب بالحراب ولم يثبت عن النبى ﷺ نهى صحيح عن اللعب به وأقوى ما يحتج به القائلون بالتحريم ما روى عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج فقال هى شر من النرد قالوا والنرد حرام فيكون الشطرنج كذلك قال الإمام تاج الدين السبكى فى الجواب عن هذا الأثر إنا لا نعلم مذهب ابن عمر فى النرد ولعله كان يقول بحله وهو وجه لأصحابنا ولا يلزم حينئذ من كون الشطرنج شرا من الحلال باعتبار ما أن يكون حراما وأيضا فإن المسألة مسئلة اجتهادية ولعل ابن عمر كان يذهب إلى التحريم ورأى الشافعى معروف وعلى قول من قال إن قول الصحابى حجة يشترط فيه أن لا يعارضه قول صحابى آخر وهذا قد عارضه قول جماعة من الصحابة بالجواز وأيضا هذا الأثر لم يقل بظاهره أحد من العلماء وذلك أن ظاهره أن الشطرنج شر من النرد سواء اشتمل على عوض أم لا وبعض العلماء قال إن الشطرنج شر من النرد لكن شرط فيه أن لا يكون مشتملا على عوض وأما إذا لم يكن مشتملا على عوض فلم نعلم أن أحدا من العلماء قال إنه فى هذه الحالة شر من النرد وإذا كان الأثر مردود الظاهر بالإجماع سقط الاحتجاج به انتهى وروى الآجرى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون الأزلام الشطرنج والنرد فلا تسلموا عليهم هذا حديث ضعيف لأن فى سنده سليمان اليمانى وقد قال ابن معين فيه ليس بشىء وقال البخارى منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه وقال ابن أبى حاتم سمعت أبى يقول هو منكر الحديث لا أعلم له حديثا صحيحا انتهى. فأما إذا انضم اليه اشتغال عن صلاة أو غيرها فالتحريم إذ ذاك ليس للشطرنج نفسه وهو مكروه إذا لم يواظب عليه فإن واظب عليه فإنه يصير صغيرة كما ذكره الغزالى فى كتاب التوبة من الإحياء لكن ذكر ابن الصباغ فى الشامل خلافه وأما النرد فحرام على الأصح لقوله ﷺ من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله ولقوله ﷺ مثل الذى يلعب النرد ثم يقوم فيصلى مثل الذى يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلى * ومن محاسن شعر الإمام العلامة حجة الإسلام أبى حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى التشبيه :

حلت عقارب صدغه من خده * قمرا يحل به عن التشبيه
ولقد عهدناه يحل ببرجها * ومن العجائب كيف حلت فيه

وقد تقدم ذكر وفاته وطرف من أخباره فى باب الحاء المهملة فى الحمام وقد أجاد أبو المحاسن يوسف ابن الشواء فى وصف غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر فقال :

أرسل صدغا ولوى قاتلى * صدغا فأعيا بهما واصفه
فحلت ذا فى خده حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذا ألف ليست لوصل وذا * واو ولكن ليست العاطفه

ومن محاسن شعره رحمه الله أيضا :

قالوا حبيبك قد تضوع نشره * حتى غدا منه الفضاء معطرا

انفعلت عن القفار ( النوع العاشر المثانة ) وهى جسم مجوف عصبانى مؤلف من طبقتين على فمه عضلة تضمه وتفتحه وتمنع خروج البول من غير إرادة وذكرنا أنها تفيض البول يأتيها من الكليتين وإنما خلقت عصبانية لتحس بالامتلاء وجعل داخلها من ثلاث لفائف إحداها بالطول حتى تجذب المائية من الكليتين والثانية بالعرض ليتم بها الدفع إلى خارج والثالثة بالورب ليتم بها الإمساك إلى أن يجتمع شىء كثير ثم تدفعها مرة واحدة وجعل على فمها عضلة تفتحها وتغلقها بالاختيار ( النوع الحادى عشر آلات التوليد ) وهى متساوية فى الذكور والإناث إلا أن القوة المدبرة أبرزت آلة الذكور لفرط حرارتهم وتركت آلات الإناث داخلة لنقصان حرارتهم فإذا فرضت الآلة بارزة فالصفن الذى هو كيس الأنثيين الرحم فى الإناث والإحليل شق الرحم إلا أن الحصى فى الذكور داخل الصفن وفى الإناث خارج الرحم بجنبها ليتسع مكان الجنين والأنثيان من الرجل والمرأة من لحم غددى صلب ينصب المنى منهما فى الذكور إلى الإحليل وفى الإناث إلى

فأجبتهم والخال يعلو خده * أوما ترى النيران تحرق عنبرا

(الخواص) قال صاحب عين الخواص العقرب إذا رأت الوزغة ماتت ويبست من ساعتها وقيل إن العقرب إذا أحرقت ودخن بها البيت هربت العقارب منه وإذا طبخت بزيت ووضع على لدغ العقارب سكن الوجع ورماد العقارب يفتت الحصى وإن أخذت عقرب وقد بقى من الشهر ثلاثة أيام وجعلت فى إناء وصب عليها رطل زيت وسد رأس الإناء وترك حتى يأخذ الزيت قوتها ثم ادهن به من به وجع الظهر والفخذين فإنه ينفعه ويقويه وإن شرب بزر الخس بشراب أمن شاربه من لسع العقارب وإن طرحت قطعة من فجل على قدر لم يدب عليها عقرب إلا ماتت من وقتها وإذا ديف ورق الخس بدهن وطلى به على لسعة العقرب أبرأها وإن طبخت العقرب بسمن البقر وطلى به موضع لسعتها سكنها من وقته وقال ابن السويدى إذا وضعت العقرب فى إناء فخار وسد رأسه ثم وضع فى تنور إلى أن تصير رمادا وسقى من ذلك الرماد من به الحصى نفعه وفتتها وإذا بخر البيت بعقرب اجتمعت فيه العقارب كذا قال أرسطو وقال غيره تهرب منه العقارب وإذا غرزت شوكة العقرب فى ثوب إنسان لم يزل سقيما حتى تزول منه وإن دقت العقارب والصقت على لسعتها أبرأتها وإن وقعت فى ماء وشرب منه إنسان وهو لا يعلم امتلأ جسده قروحا وإن بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب وقال القزوينى والرافعى من شرب مثقالين من حب الآترج بعد دقه ناعما أبرأ ذلك من لسعة العقرب والحية وغيرهما من ذوات السموم وهو عجيب مجرب * وفى عجائب المخلوقات إنه إذا علق شىء من عروق شجرة الزيتون على من لسعته العقرب برىء من وقته وشجر الرمان إذا بخر بحطبه طردها وشحم الماعز والسمن البقرى والزرنيخ الأصفر وحافر الحمار والكبريت ورش البيت بالماء المنقوع فيه الحلتيت ووضع قشور الفجل فى البيت كل ذلك يطردها وهو عجيب أيضا مجرب ذكر ذلك فى المنتخب * وفى الموجز الفجل المشدوخ وعصارته إذا أمسكت وورقه والباذروخ يطردها وإن وضع الفجل المقطوع على جحرها لم تجرأ على الخروج وفيها أن تفل الصائم يقتل الحيات والعقارب وفى المنتخب أن تفل الحمار المزاج يفعل مثل ذلك ورؤية السها تؤمن من لسعة العقرب والسارق وقد ذكر ذلك الرئيس أبو على بن سينا فى أرجوزته وقيل إنها لابن شيخ حطين وهى تشتمل على خواص مجربة وأسرار من علم الطب فلنأت بها بكمالها لتتم الفائدة وهى هذه :

بدأت بسم الله فى نظم حسن ... أذكر ما جربت فى طول الزمن
ما هو بالطبع وبالخواص ... لكل عام ولكل خاص
فى شوكة العقرب نجم توأم ... تراه عين من يراه يعلم
إذا تراءاه امرءان اصطحبا ... واتفقا وذا وذا تحببا
لاسيما إن قيل ذا محبب ... بعض لبعض كوكبان كوكب
وتوأم نجمان فى سعد بلع ... رؤيته لكل ود قد جمع
ومثله أيضا لسعد الذابح ... رؤيته لكل ود صالح
تخبر من شئت به فيعجب ... ثم يقول كوكبان كوكب
فينشأ الود بإذن الله ... بينهما فلا تكن باللاهى
كف الخضيب فرقة إلى الأبد ... لكائن من كان من كل أحد

داخل الرحم والقضيب جسم عصبى نابت من عظم العانة كثير التجاويف فيه عروق كثيرة ينفذ منه مجربان إلى الأنثيين ينصب منهما المنى إلى الإحليل وهو بمنزلة رقبة الرحم التى فى الإناث ولما وجب أن يكون القضيب متواترا حالة التوليد لإيصال المنى إلى فم الرحم متقلصا فى غير تلك الحالة اقتضت القوة المدبرة خلقه من جوهر صلب ذى تجاويف حتى إذا امتلأ تجويفه من الريح توتر وإذا خلا من الريح استرخى والرحم من جوهر عصبى لتكون صادقة الحس والالتذاذ وليمكنها أن تتمدد وتتسع عند نتو الجنين وتنقبض عند خلوها وخلق للرحم بطنين يمينا ويسارا وجعل البطن الأيمن أسخن من الأيسر ليكون الأيمن موافقا للذكور والأيسر موافقا للإناث ولها عنق يمتد إلى القبل وأنه بمثابة الإحليل من الذكر هذا ما صح عند أصحاب التشريح والله أعلم بالصواب (خاتمة) قال بعض الحكماء فى تشبيه بدن الإنسان بمدينة لما خلق الله تعالى بدن الإنسان وسواه ونفخ فيه من روحه كان مثل أساس بيته وتركيب أجزائه مثال مدينة بنيت من أشياء مختلفة كالحجارة والآجر

ينظره الإنسان أو جماعه يفترقوا إلى قيام الساعه
نجم السها مأمنة من سارق ومن سموم عقرب وطارق
ومن رأى عشية نجم السها لم تدن منه عقرب يمسها
وقيل لايدنو إليه سارق فى سفر ولا يسوء طارق
الطخ على الحزاز دهن القمح مع وسخ الأسنان بعد المسح
فإنه يذهب منها سعيها كالنار فيها ثم يوارى نقيها
اكو رؤس كل ثؤلول يرى بعودتين قد حرقت أخضرا
ومثله رؤس قش الحلبه يذهب بالثؤلول منه الرعبه
تخطيطك الأظفار بعد الصبح بكزلك عرضا مزيل القلح
وطبقك الأضراس فى التثاؤب يمنع من هذا لدى التجارب
أعنى عروض القلح إن تقرحت كذاك إن تحفرت واصطلمت
يغرغر الغليل ذو الخناق بمرق الضبار كالترياق
لاسيما إن شابه كشوث لذى الخلاط نفعه موروث
ابلع من الصابون وزن درهم تنج من القولنج غير المحكم
وامسح على الأضراس والأسنان لوكالها بطرف اللسان
وقد حرمت الأكل من لحم الفرس شهرا ولا من هندبا تبغى الحرس
وذاك عند رؤية الهلال فتأمن الأضراس من أعلال
كذاك فى كل هلال يجتلى فإنها مؤمنة من البلا
لاتغسلن ثيابك الكتانا ولاتصد فيها كذا حيتانا
عند اجتماع النيرين تبلى وفى السرار فاتخذه أصلا
اتخذ البرمة من زجاج من غير تلوين ولاعلاج
والنار جزل ان تشا أو فحم ينضج فيها اللحم ثم الشحم
وكرر الطبخ بها أياما وأشهرا إن شئت أوأعواما
وذاك سهل ليس بالعسير من غير تقتير ولا تكثير
وتتخذ كحلا جديدا محرقا منعما موصولا مروقا
ومثله من حجر الهنود ذى الخاصة الجاذبة الحديد
مطيبا بالمسك طيب الأثمد واكحل به من شئت فردمرود
ثم اكتحل منه على مر المدى لأنه لم يتخذ كحلا سدى
واكحل المحبوب بالحديد يهواك فى الوقت بلا مزيد
فيسحر العينين منه فيرى وجهك شمسا باهيا أوقمرا
ولا يكاد يستطيع صبرا عنك ولوحرقت منه الصدرا
تشادر الدخان بالحمام ينضحه الفخار من مسام
فريحه يقتل الأفاعى من الهوام والدبيب الساعى
ووزن مثقال إذا ماشربا مع وزنه من الرجيع انتخبا

سورها وحفظ شوارعها
وقسم محالها وزين منازلها
وملأ خزائنها وأجرى
أنهارها وفتح سواقيها
وأشغل صناعها وأقعد
تجارها ودبر ملكها
وأخدم ملكها فخلق تسعة
جواهر مختلفة أشكالها
وهى ملاك بنيانها ثم
ألفها وركب بعضها فوق
بعض عشر طبقات
متصلات بهندامها ثم
أسندها بمائتين وثمانية
وأربعين عمودا ثم أنه
سمرها ومد حبالها وشد
وصالها بسبعمائة وعشرين
رباطا ممدودات ملتفات
عليها ثم قدر بيوتها وقسم
جوانبها وأودعها إحدى
عشرة خزانة مملوءة
جواهر مختلفة ألوانها
وخط شوارعها وأنفذ
طرقاتها وفتح أبوابها
ثلثمائة وثلاثين مسلكا
لسكانها واستخرج منها
عيونا وشق فيها أنهارا
ثلثمائة وستين جدولا
مختلفات بجريانها وفتح
على سورها اثنى عشر
بابا من درجات مسالك
لخزانها وأحكم بناء
هذه المدينة على أيدى
ثمانية صناع متعاونين
هم خدامها ووكل بحفظها
خمس حراس خواص على

حفظ أركانها ثم رفع هذه المدينة فى الهواء على عمودين وحركها إلى ست جهات بجناحين ثم أسكن

يخلص المسموم من مماته ... من بعد يأس الأمر من حياته
هذا إذا دبر بالإتقان ... بالسحق والترويق فى الأوانى
وكل ما جاد يسحق فاعتبر ... وفيه يا هذا تفهم واختبر
مرارة الحية سم قاتل ... وهى لمدوغ بها تقابل
إذا سقى المسموم منها حبه ... نجا من السم بتلك الشربه
وإن سقى منها صحيح ماتا ... من يومه وفارق الحياتا

(التعبير) العقرب فى المنام رجل نمام فمن نازعته عقرب فإنه ينازع رجلا نماما ومن أخذ عقربا فى منامه فألقاها على زوجته فإنه يأتيها فى الدبر وإن سيبها على الناس فإنه رجل لوطى ومن قتل عقربا خرج منه مال وعاد إليه والعقرب فى السراويل رجل فاسق يداخل امرأة من ورائها فى سراويله ومن أكل لحم عقرب مطبوخا فإنه يرث مالا وإن كان نبأ اغتاب رجلا فاسقا وكذلك كل حيوان لا يؤكل إذا أكل لحمه فى المنام والعقرب رجل يظهر ما فى بطنه لسانه والعقارب فى البطن أولاد أعداء ونزول العقرب من الدبر ولد عاق وربما دلت رؤية العقرب على الافتتان بمن يشبه العقرب بصدغه إذا بدا فيه الشعر والله تعالى أعلم ﴿العقربان﴾ دويبة تدخل الأذن وهى هذه الطويلة الصفراء الكثيرة القوائم قاله ابن سيده ﴿العقف﴾ الثعلب قال حميد بن ثور الهلالى

كأنه عقف تولى يهرب * من أكلب تعقفهن أكلب

يقال عقفت الشىء فانعقف أى عطفته فانعطف ﴿العقعق﴾ كثعلب ويسمى كندشا بالشين المعجمة وصوته العقعقة وهو طائر على قدر الحمامة وهو على شكل الغراب وجناحاه أكبر من جناحى الحمامة وهو ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب ويقال له القعقع أيضا وهو لا يأوى تحت سقف ولا يستظل به بل يهيج وكره فى المواضع المشرفة وفى طبعه الزنا والخيانة ويوصف بالسرقة والخبث والعرب تضرب به المثل فى جميع ذلك وإذا باضت الأنثى أخفت بيضها بورق الدلب خوفا من الخفاش فإنه متى قرب من البيض مذر وفسد وتغير من ساعته * حكى الزمخشرى وغيره فى تفسير قوله تعالى ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها﴾ عن سفيان بن عيينة أنه قال ليس شىء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنمل والفأر والعقعق وعن بعضهم أنه قال رأيت البلبل يحتكر ويقال إن للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها وفى طبعه شدة الاختطاف لما يراه من الحلى فكم من عقد ثمين اختطفته من شمال ويمين قال الشاعر :

إذا بارك الله فى طائر ... فلا بارك الله فى العقعق
قصير الذنابى طويل الجناح ... متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينيه فى رأسه ... كأنهما قطرتا زئبق

﴿فائدة﴾ اختلفوا فى سبب تسميته عقعقا فقال الجاحظ لأنه يعق فراخه فيتركهم بلا طعام وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان لأن جميعها يفعل ذلك وقيل اشتق له هذا الاسم من صوته (الحكم) فى حله وجهان أحدهما يؤكل كغراب الزرع والثانى يحرم وهو الأصح فى الروضة تبعا للبغوى والبوشنجى وسئل الإمام أحمد عنه فقال إن لم يأكل الجيف فلا بأس به وقال بعض أصحابه إنه يأكلها فيكون على قوله محرما ﴿فائدة﴾ حكى الجوهرى أن العرب تتشاءم به وبصياحه لأنهم كانوا يشتقون فى الطيرة مما يسمعون ويشاهدون فكانوا

فيها ثلاث قبائل من الجن والإنس والملائكة هى سكانها ثم رأس عليهم ملكا واحدا وأمره بحفظها وأوصاه بسياستهم (تفسير ذلك) أما الجواهر التسعة فهى العظام والمخ والعصب والعروق والدم واللحم والجلد والظفر والشعر والطبقات العشر هى الرأس والرقبة والصدر والبطن والجوف والحقوان والوركان والفخذان والساقان والقدمان والأعمدة هى العظام والرباطات هى الأعصاب والإحدى عشر جزأ هى الدماغ والنخاع والرئة والقلب والكبد والطحال والمرارة والمعدة والمعى والكليتان والأنثيان والشوارع والطرقات هى العروق الضوارب والأنهار الأوردة والأبواب الاثنا عشر العينان والأذنان والمنخران والثديان والسبيلان والفم والسرة والصناع الثمانية هى القوة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة والمصورة والحواس الخمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس والعمودان الرجلان والجناحان اليدان والجهات الست معروفة والقبائل الثلاثة النفوس الثلاثة فالنفس الشهوانية كالجن والنفس الحيوانية كالإنس

إذا سمعوا العقعق اشتقوا منه العقوق وإذا سمعوا العقاب اشتقوا منه العقوبة وإذا رأوا شجر الخلاف وهو الصفصاف اشتقوا منه الخلاف. والخلاف بتخفيف اللام ضد الوفاق وكذلك الخلاف الذى هو الصفصاف بتخفيف اللام أيضا وحكى الرافعى الخلاف عن الحنفية فيمن خرج لسفر فسمع صوت عقعق فرجع هل يكفر أم لا قيل إنه يكفر وكذلك رأيته فى فتاوى قاضى خان قال النووى الصحيح أنه لا يكفر عندنا بمجرد ذلك (الأمثال) قالوا ألص من عقعق وأحمق من عقعق لأنه كالنعامة التى تضيع بيضها وأفراخها وتشتغل ببيض غيرها وإياها عنى هدابة بقوله:

كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا

(الخواص) إذا جعل دماغه على قطنة وألصق على موضع النصل أو الشوكة الغائصين فى البدن أخرجهما بسهولة ولحمه حار يابس ردىء الكيموس (التعبير) العقعق فى الرؤيا رجل لا أمان له ولا وفاء ومن رأى أنه كلمه عقعق جاءه خبر من غائب والعقعق رجل حكار يطلب الغلاء والله أعلم ﴿العقيب﴾ طائر لا يستعمل إلا مصغراً ﴿العكاش﴾ كرمان ذكر العنكبوت عن كراع ﴿العكرشة﴾ بكسر العين والراء المهملتين وبالشين المعجمة فى آخره الأرنب الأنثى وفى الحديث أن رجلا سأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال عنت لى عكرشة وأنا محرم فقتلتها فقال فيها جفرة ﴿العكرمة﴾ بكسر العين والراء المهملتين الأنثى من الحمام وسمى بها الإنسان أيضا كعكرمة مولى بن عباس أحد أوعية العلم ولما مات مولاه عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما كان عكرمة رقيقا لم يعتقه فباعه ولده على بن عبد الله بن عباس لخالد بن زيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار فقال عكرمة لعلى بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار فاستقال خالدا فأقاله ثم أعتقه ◆ مات عكرمة وكثير عزة الشاعر فى يوم واحد بالمدينة سنة خمس ومائة وصلى عليهما فى مكان واحد فقال الناس مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس رحمهما الله تعالى قال ابن خلكان وغيره وكثير عزة أحد شعراء العرب ومتيميها وكان كيسانيا والكيسانية فرقة من الروافض يعتقدون إمامة محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو المعروف بمحمد ابن الحنفية ويقولون إنه مقيم بجبل رضوى ومعه أربعون نفراً من أصحابه ولم يوقف لهم على خبر ويقولون إنهم أحياء يرزقون وأنه سيرجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا وفى ذلك يقول كثير عزة:

وسبط لا يذوق الموت حتى تعود الخيل يقدمها اللواء
يغيب فلا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

﴿قلت﴾ الصواب أنهما للحميرى قال وكانت وفاة محمد بن الحنفية سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين من الهجرة والله تعالى أعلم ﴿العلج﴾ بكسر العين وإسكان اللام حمار الوحش السمين القوى والرجل من كفار العجم والجمع علوج وإعلاج ومعلوجاء وعلجة ﴿العل﴾ بالفتح القراد المهزول ﴿العلجوم﴾ بضم العين وسكون اللام وضم الجيم الضفدع الذكر وقيل البطة الذكر كذا حكاه ابن سيده ﴿العلام﴾ بضم العين وتشديد اللام وبالميم فى آخره الباشق ﴿العلوش﴾ بكسر العين وفتح اللام المشددة على وزن سنور بن آوى والذئب ودويبة وضرب من السباع قال ابن رشيق فى كتاب الغرائب والشذوذ قال الخليل ليس فى كلام العرب كلمة وتجتمع فيها شين ولام إلا والشين قبل اللام إلا العلوش فإن اللام فيه تقدمت على الشين وهو مفرد فى

والنفس الناطقة كالملائكة والرئيس الواحد عليهم هو العقل والله الموفق للصواب (النظر الخامس فى القوى) القوى صنف من الملائكة خلقها الله تعالى لتدبير الأبدان وقوام منافع أعضائها من الأفعال والإدراكات فتشبه أفعالها فيها أفعال صناع البلاد وسكانها فإن حال البدن مع الروح وهذه القوى تشبه مدينة عامرة بآلاتها مأنوسة بسكانها مفتوحة الأسواق مسلوكة الطرقات مشتغلة الصناع وحاله عند النوم وهذه الحواس وسكون الحركات تشبه حال المدينة بالليل إذا غلقت أبوابها وتعطلت صناعها ونام أهلها (ومنهم) من قال إن البدن كبيت بنقوش وصور عجيبة وألوان مختلفة فالقوى تلك النقوش والصور والنفس كالسراج الذى يدار فى أطراف البيت وبسبب وصول ضوئه إلى آخر البيت يرى له فى سقفه وحيطانه وفرشه عجائب بينهن فيها بل فى كل زاوية من زواياه مثل الحس والعقل والفهم والقوى الظاهرة والباطنة والجمال وغيرها فإذا فارق

النفس بطلت هذه المعانى كما أن البيت عند انطفاء السراج لا يرى لتلك النقوش والصور أثر وعجائب القوى خارجة عن فهم الإنسان لكن أحببت أن أذكر بعض ما أدركه أذكياء النفوس من الحكماء من العجائب المودعة فى الأنواع الأربعة من القوى والله الموفق للصواب

﴿النوع الأول﴾

القوى الظاهرة وهى الحواس الخمس (الأولى) حاسة اللمس وهى قوة منبثة فى جميع جلد البدن تدرك ما يلاقيه ويؤثر فيه فإنها أول حاسة خلقت للحيوان حتى إذا مسه نار أو حديد جارح يحس به فيهرب منه ولا يتصور حيوان إلا وله هذه الحاسة حتى الدودة التى فى الطين فإنها إذا غرز فيها إبرة انقبضت (الثانية) الشم وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك الروائح التى يؤدى إليها الهواء المتكيف بتلك الكيفية (الثالثة) البصر وهو قوة مرتبة فى عصبة مجوفة فى العين تدرك صور الأشياء ذوات الأضواء والألوان فإن الضوء إذا سرى فى الأجسام الشفافة وحمل معه ألوان الأجسام واتصل بحدقة الحيوان وسرى فيها كما يسرى فى الأجسام الشفافة انصبغت الحدقة بتلك الألوان كما ينصبغ

الكلام ﴿العلهان﴾ كالكروان الظليم وقدم ﴿العلس﴾ محركة القراد الضخم لأنه أول ما يكون قمقامة ثم يصير حمنانة ثم حلمة ثم علسا ومن الألغاز القديمة أيجب فى العلس زكاة إذا بلغ خمسة أوسق أو أكثر منها قال لا وإذا علم بذلك الساعى أعرض عنها ﴿العلامات﴾ قال ابن عطية حدثنى أبى رحمه الله تعالى أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرق يقول إن فى بحر الهند حيتانا طوالا رقاقا كالحيات فى ألوانها وحركاتها وإنها تسمى العلامات وذلك أنها علامات الوصول إلى بلاد الهند وأمارات النجاة من المهالك لطول ذلك البحر وصعوبته وأن بعض الناس قال إنها المراد بقوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون قال وأما من شاهد تلك العلامات فى البحر فحدثنى منهم عدد كثير وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما العلامات معالم الطرق بالنهار والنجوم هداية بالليل وقال الكلبى هى الجبال وقال مجاهد والنخعى هى النجوم منها ما يسمى علامات ومنها ما يهتدى به ﴿العلهز﴾ بكسر العين وإسكان اللام وكسر الهاء قبل الزاى الفراد الضخم وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا على قريش بقوله «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف» أكلوا العلهز وقيل المراد به الوبر المخلوط بالدم ﴿العلعل﴾ كهدهد الذكر من القنابر ﴿العلق﴾ بفتح العين واللام دود أسود أحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصه الدم الغالب على الإنسان الواحدة علقة * وفى حديث عامر خير الدواء العلق والحجامة * والعليق الشجرة التى آنس موسى عليه الصلاة والسلام منها النار قاله ابن سيده وقيل إنها العوسج والعوسج إذا عظم قيل له الغرقد وفى الحديث إنه شجر اليهود فلا ينطق يعنى إذا نزل عيسى عليه السلام وقتل اليهود فلا يختبئ أحد منهم خلف شجرة إلا انطقت وقالت يا مسلم هذا يهودى خلفى فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق ﴿فائدة﴾ ذكر الثعلبى فى تفسير قوله تعالى «أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم» عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصرى يعنى قدس من فى النار وهو الله سبحانه وتعالى عنى به نفسه قال وتأويل هذا القول إنه كان فيها لا على سبيل تمكن الأجسام بل على أنه جل وعلا نادى موسى عليه الصلاة والسلام وأسمعه كلامه من جهتها وأظهر له ربوبيته من ناحيتها فالشجرة مظهر لكلامه تعالى وهو كما روى أنه مكتوب فى التوراة جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فمجيئه من سيناء بعثه موسى عليه السلام منها وإشراقه من ساعير بعثه عيسى عليه السلام منه واستعلانه من جبال فاران بعثه المصطفى صلى الله عليه وسلم منها وفاران مكة المشرفة وقيل كانت النار نوره عز وجل وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه نارا والعرب تضع أحدهما موضع الآخر وقال سعيد بن جبير كانت هى النار بعينها وهى أحد حجبه تعالى وقيل بورك من فى النار سلطانه وقدرته وفيمن حولها وتأويل هذا القول أنه عائد إلى موسى والملائكة عليهم الصلاة والسلام ومجاز الآية أن بورك من فى طلب النار وقصدها وبالقرب منها ومعنى الآية أن بورك فيك يا موسى وفى الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى عليه السلام وتكرمة له كما حيا إبراهيم عليه السلام على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فحمد نفسه تعالى بواسطة فعله ﴿قلت﴾ وكذلك إذا ذكر العبد ربه أو حمده فما ذكر الله إلا الله ولا حمد الله إلا الله لأنه تعالى ذكر نفسه وحمدها بواسطة فعله والعبد آلة ليس له شىء قال تعالى «ليس لك من الأمر شىء» وقال تعالى

وإليه يرجع الأمر كله ففعل العبد ينسب إلى الله نسبة خلق وإيجاد قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وينسب إلى العبد نسبة كسب وإسناد ليعاقب عليه أو يثاب والله تعالى أعلم وقال بعضهم هذه البركة راجعة إلى النار نفسها * وأما وجه قوله تعالى بورك من فى النار فإن العرب تقول بارك الله لك وبارك فيك وبارك عليك وباركك أربع لغات قال الشاعر :

فبوركت مولوداً وبوركت ناشئا * وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

وأما الكلام المسموع من الشجرة فاعلم أن مذهب أهل الحق أن الله تعالى مستغن عن الحدو الكلام والمكان والجهة والزمان لأن ذلك من أمارات الحدوث وهى خلقه وملكه وهو سبحانه أجل وأعظم من أن يوصف بالجهات أو يحد بالصفات أو تحصيه الأوقات أو تحويه الأماكن والأقطار ولما كان جل وعلا كذلك استحال أن توصف ذاته بأنها مختصة بجهة أو متنقلة من مكان إلى مكان أو حالة فى مكان * روى أن موسى عليه السلام لما كلمه الله تعالى سمع الكلام من سائر الجهات ولم يسمعه من جهة واحدة فعلم بذلك أنه كلام الله تعالى وإذا ثبت هذا لم يجز أن يوصف تعالى بأنه يحل موضعا أو ينزل مكانا كما لا يوصف بأنه جوهر ولا عرض ولا يوصف كلامه بحرف ولا صوت خلافا للحنابلة الحشوية بل هو صفة قائمة بذاته تعالى يوصف بها فينتفى عنه بها آفات الخرس والبكم وما لا يليق بجلاله وكماله ولا تقبل الانفصال والفراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق * وأما الأفهام والأسماع فيجوز أن يكون فى موضع دون موضع ومكان دون مكان وحيث لم يقع إحاطة ولا إدراك بالوقوف على كنه ذاته قال تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وأما الهاء فى قوله تعالى يا موسى إنه فهو عماد وليس بكناية ﴿فائدة أخرى﴾ اختلف فى أن نبينا محمداً ﷺ هل كلم ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا فذهب ابن عباس وابن مسعود وجعفر الصادق وأبو الحسن الأشعرى وطائفة من المتكلمين إلى أنه ﷺ كلم الله بغير واسطة وذهب جماعة إلى نفى ذلك * واختلف فى جواز الرؤية فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها فى الدنيا والآخرة وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقوعها فى الآخرة * واختلف العلماء من السلف والخلف فى أنه هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه تعالى أم لا فأنكرته عائشة وأبو هريرة وابن مسعود وجماعة من السلف وبه قال جماعة من المتكلمين والمحدثين وأجازه جماعة من السلف وأنه ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء بعينى رأسه وهو قول ابن عباس وأبى ذر وكعب الأحبار والحسن البصرى والشافعى وأحمد بن حنبل وحكى أيضا عن ابن مسعود وأبى هريرة والمشهور عنهما الأول وبهذا القول الثانى قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه وهو الأصح وهو مذهب المحققين من السادة الصوفية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد ﷺ بالرؤية وذهب جماعة من العلماء إلى الوقف وقالوا ليس عليه دليل قاطع نفيا ولا إثباتا ولكنه جائز عقلا وصححه القرطبى وغيره ﴿قلت﴾ رؤية الله تعالى فى الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية أما العقلية فمعروفة فى علم الكلام وأما النقلية فمنها سؤال موسى عليه السلام رؤية الله تعالى ووجه التمسك بذلك علم موسى بذلك ولو علم استحالة ذلك لما سأله ومحال أن يجهل موسى جواز ذلك إذ يلزم منه أن يكون مع علو منصبه فى النبوة وانتهائه إلى أن اصطفاه الله تعالى على الناس وأسمعه كلامه بلا واسطة جاهلا بما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز وملتزم هذا كافر نعوذ بالله من اعتقاد ذلك * ومنها امتنانه تعالى على عباده بالنظر

يدرك الصوت الذى يؤدى إليه الهواء بالتموج وحاله شبيهة بتموج الماء فإن الهواء أشد لطافة من الماء فإذا وقع شىء فى الماء يحدث من وقوعه دوائر وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يضمحل فكذلك يحصل من وقوع الصوت فى الهواء تموج فأى سامع حصل فى ذلك التموج دخل أذنه فتحس به القوة السامعة (الخامسة) الذوق وهو قوة منبثة فى جرم اللسان يدرك بها ما يماسه من الطعوم بواسطة الرطوبة العذبة التى تحت اللسان فإن تلك الرطوبة تخالف الجسم الذى فيه كيفية الطعم فيتكيف بتلك الكيفية فيحصل الإحساس بالطعم

﴿فصل فى فوائد هذه القوى﴾ أما اللمس فقد بينا أن كل حيوان له هذه الحاسة حتى الدودة تدرك بها الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين والخشن والأملس والثقيل والخفيف إلا أن الحيوان لو لم تخلق له إلا هذه القوة لكان ناقصا إذا كان لا يحس الغذاء إذا كان بعيداً عنه فافتقر إلى قوة أخرى

يدرك بها ما يبعد عنه فاقتضت حكمة البارى تعالى خلق الصبر

إلى وجهه فى الدار الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وإذا جاز أن يروه فى الدار الآخرة جاز أن يروه فى الدنيا لتساوى النظر بالنسبة إلى الأحكام * ومنها ما تواترت به الأحاديث من أخباره ﷺ برؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ووقوع ذلك كرامة للمؤمنين فهذه الأدلة دالة على جواز رؤيته تعالى فى الدنيا والآخرة * وأما استدلال عائشة رضى الله تعالى عنها على عدم الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ففيه بعد إذ يقال بين الإدراك والأبصار فرق فيكون ممنى لا تدركه الأبصار أى لا تحيط به مع أنها تبصره قاله سعيد بن المسيب وغيره وقد نفى الإدراك مع وجود الرؤية فى قوله تعالى فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا أى لا يدركونكم وأيضا فإن الأبصار عموم وهو قابل للتخصيص فيختص المنع بالكافرين كما قال تعالى عنهم كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ويكرم المؤمنين أو من شاء الله منهم بالرؤية كما قال تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وبالجملة فالآية ليست نصا ولا من الظواهر الجلية فى عدم جواز الرؤية فلا حجة فيها والله أعلم ولهذه المسئلة أسرار وأغوار تركناها لأن ذلك ليس من مقصود الكتاب فمن أراد تحقيق هذه المسئلة وغيرها من المسائل المهمة فعليه بكتابنا الجوهر الفريد فإنا ذكرنا فيه اختلاف الفرق وأقوال علماء الظاهر والباطن وما اخترناه وما أيدناه وهو كتاب مهم عمدة فى هذا الشأن لا يستغنى عنه طالب وهو فى ثمان مجلدات ضخمة جدا وبالله التوفيق

﴿ فائدة أخرى ﴾ قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق هذه السورة أول ما نزل من القرآن كما ثبت فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها قيل وجه المناسبة بين الخلق من علق والتعليم بالقلم وتعليم العلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالما فكأنه سبحانه وتعالى امتن على الإنسان بنقله من أخس المراتب وهى العلقة إلى أعلاها وهى العلم * قال الزمخشرى فإن قلت لم قال من علق وإنما خلق من علقة واحدة كقوله تعالى من نطفة ثم من علقة قلت لأن الإنسان فى معنى الجمع كقوله تعالى إن الإنسان لفى خسر * والأكرم هو الذى له الكمال فى زيادة تكرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عليهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهى واطراحهم الأوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقترافهم العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العظيمة تكرم حيث قال الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم ونبه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو وما دونت العلوم الأولى ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا هى ما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل إلا أمر القلم والخط لكفى به

﴿ فائدة أخرى ﴾ سئل شيخ الإسلام الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلب النبى ﷺ فى صغره حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فأجاب بقوله تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه عليه الصلاة والسلام فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقى الشيطان فيه شيئا هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه ﷺ حظ قط وإنما الذى نفاه الملك أمر هو فى الجبلات البشرية فأزيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف فى قلبه عليه الصلاة والسلام فقيل له لم خلق الله هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان

ليدرك به ما بعد عنه ويدرك جهته إلا أنه لو اقتصر على هذا لكان أيضا ناقصا لأنه لا يدرك إلا الشىء المحاذى وأما ما بينه وبينه حجاب فلا يمكنه إدراكه إلا بكلام منظوم فاقتضت حكمة البارى تعالى السمع ليدرك به الغرض ممن يكون وراء الجدار ولو اقتصر على هذا لكان ناقصا لأنه إذا وصل إليه الغذاء فلا يدرى أنه موافق أو مخالف فربما يكون شيئا مضرا فيهلكه فاقتضت حكمة البارى عز وجل خلق الذوق ليدرك به الموافق والمخالف (النوع الثانى) للقوى الباطنة وهى أصناف (الأولى) القوى الجاذبة وهى التى تجذب النافع من الغذاء وهى موجودة فى سائر الأعضاء لأن كل عضو يجذب ما يوافقه وغذاء كل عضو يخالف غذاء الآخر (الثانية) الماسكة وهى التى تمسك الغذاء ريثما تتصرف فيها القوة المغيرة وذلك بأن تجعل العضو محتويا على الغذاء بحيث لا تترك فرجة (الثالثة) الهاضمة وهى التى تحيل ما جذبته الجاذبة وأمسكته الماسكة إلى مزاج صالح تجعل بعضها جزءا من المغتذى وبعضها فضلا (الرابعة) الدافعة وهى التى تدفع الفضل

يمكنه أن لا يخلقه فيها فقال لانه من جملة الاجزاء الإنسانية فخلقه تكملة للخلق الإنسانى فلا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت بعده انتهى (الحكم) يحرم أكل العلق ويجوز بيعه لما فيه من المنفعة ويستثنى بيع القرمز من عدم جواز بيع الحشرات كما تقدم ﴿ فرع ﴾ العلقة فيها وجهان أحدهما أنها نجسة لانها دم خارج من الرحم كالحيض والثانى أنها طاهرة لانها دم غير مسفوح فهى كالكبد والطحال نقله أبو حامد عن الصيرفى وصرح بتصحيحه الشيخ أبو حامد والمحاملى والرافعى فى المحرر وهو الأصح كما صرح به فى المنهاج . والعلقة هى المنى إذا استحال فى الرحم فصار دما غليظا فإذا استحال بعد فصار قطعة لحم فهو مضغة قال النووى فى شرح المهذب أن المذهب القطع بطهارة المضغة وقيل على وجهين والصواب خلاف مافى شرح المهذب لأن المضغة إما كيتة الآدمى وفيها قولان فى الجديد أو كجزئه المنفصل وفيه طريقان حاكية للخلاف وقاطعة بالنجاسة وحكى الرافعى فيها وجهين أصحهما الطهارة نعم يشترط فى المضغة والعلقة على قاعدة الرافعى أن يكونا من الآدمى فإن منى غيره نجس عنده فالعلقة والمضغة أولى بالنجاسة من المنى ويدل عليه تردده فى المنهاج فى نجاستهما مع جزمه فيه بطهارة المنى قال شيخنا ولك أن تمنع كونهما أولى بالنجاسة من المنى بأنهما صارا أقرب إلى الحيوانية منه وهو أقرب إلى الدموية منهما والله تعالى أعلم (الأمثال) قالوا أعلق من العلق (الخواص) العلق ينفع تعليقا على صاحب الأعضاء الضعيفة التركيب مثل الآماق والوجنات والمواضع المؤلمة لانها تقوم مقام الحجامة فى امتصاص الدم الفاسد لاسيما فى الأطفال والنساء وأهل الرفاهية وهى تمص الدم الفاسد من الأجفان وغيرها وربما كان العلق فى الماء فيشربه الإنسان فينشب بحلقه وطريق إخراجه من الحلق أن يبخر بوبر الثعلب فإذا أصابه دخانه سقط فى الحال وكذلك إذا بخر بظلف الإبل يموت مجرب ذكر ذلك فى المنتخب وقال القزوينى وصاحب الذخيرة الحميدة إذا كان العلق فى الحلق يتغرغر بخل خمر وبوزن درهم من الذباب الذى فى الباقلاء فإن العلق يسقط وإذا أرادوا إخراج دم من موضع مخصوص أخذوا هذا الدود فى قطعة طين وقربوه من العضو فإنه ينشب به ويمص الدم منه فإذا أرادوا سقوطه عنه رشوا عليه ماء الملح فإنه يسقط فى الحال وقال صاحب عين الخواص إذا يبس العلق فى الظل وسحق مع نشادر وطلى به موضع داء الثعلب نبت الشعر عليه وقال غيره إذا بخر البيت بالعلق هرب مافيه من البق والبعوض وأمثالهما وإذا ترك العلق فى قارورة حتى يموت ثم يسحق وينتف الشعر ويطلى به فإنه لا ينبت أبدا ومن الخواص المجربة النافعة أن تؤخذ العلق الكبار التى تكون فى الأنهار والأماكن الندية فتقلى بالزيت الطيب ثم تسحق بالخل حتى تصير مثل المرهم وتؤخذ فى صوفة ويتحمل بها صاحب البواسير فيبرأ وقيل إنه يبرئ من القطى ومن خواصه العجيبة أنه إذا بخر به حانوت زجاج تكسر جميع مافيه وإذا أخذ العلق وهو رطب ودهن به الإحليل فإنه يكبر من غير وجع (التعبير) العلق فى الرؤيا بمنزلة الدود وهم أولاد لقوله تعالى خلق الإنسان من علق فمن رأى علقة دم خرجت من أنفه أو ذكره أو دبره أو بطنه أو فمه فإن امرأته تسقط ولدا قبل كمال خلقه وقيل العلق والقراد والدلم والنمل وما أشبه ذلك تدل على الأعداء والحساد الأخساء * ومن الرؤيا المعبرة أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أتاه رجل فقال يا خليفة رسول الله رأيت كأن فى يدى كيسا وأنا أفرغ مافيه حتى لم يبق فيه شىء فخرج منه علقة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه اخرج من بين يدى فخرج من بين يديه ومشى خطوات فرمحته دابة فقتلته فأخبر بذلك أبو بكر فقال والله ماوددت أن

الذى لا يصلح أن يكون غذاء أو زادا على قدر الكفاية والله أعلم بالصواب (الصنف الثانى) القوى الخادمة وهى أربع أيضا (الأولى) الغاذية وهى التى تحيل الغذاء إلى مشابهة المغتذى ليخلف بدل ما يتحلل (الثانية) النامية وهى التى تزيد فى أقطار الجسم على التناسب الطبيعى ليبلغ بها تمام النشو والفرق بينها وبين الغاذية أن الغاذية تورد الغذاء تارة مساويا وتارة زائدا وتارة ناقصا وأما النامية فلا تورد إلا زائد من المتحلل (الثالثة) المولدة وهى القوة التى تولد ما يصلح أن يكون مبدأ لشخص آخر كالنطفة فى الحيوان والحب والنوى فى النبات (الرابعة) المصورة وهى التى يصدر عنها التخطيط والتشكيل والملاسة والخشونة وأمثال ذلك ﴿فصل فى الفوائد العجيبة لهذه القوة فى أمر التغذية﴾ وذلك أن تصير جزء النبات جزء الحيوان بأن تصيره فى المعدة مثل ماء الكشك الثخين ثم تجذبه إلى الكبد فيصير دما ثم الكبد يقسمه على البدن بواسطة الأوردة فيصل إلى كل عضو حظه

فيصير لحما وعظاما بأطوار وتصرفات كثيرة فيه كما أن البر بجعل طحيناً ثم خبزا بتصرف صناع البلد فيه فصناع الباطن القوى كما أن صناع الظاهر أهل البلد فقد أسبغ الله عليك نعمه ظاهرة وباطنة فأقول لا بد من قوة تجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من قوة أخرى تمسك الغذاء فى جواره ريثما تعمل فيه القوة الأخرى ولا بد من قوة أخرى تخلع عنه صورة الدم وتعطيه صورة العضو ولا بد من قوة أخرى تدفع عنه الفضل والزائد على الحاجة فهذه هى القوة الخادمة ثم لا بد من قوة تلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى يصير جزءا منهما ثم لا بد من قوة تراعى المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يزيل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فلو جمع على الأنف من الغذاء مقدار ما يجمع على الفخذ كبر الأنف وبطل تجويفه وتشوهت صورة الإنسان بل ينبغى أن يسوق إلى الأجفان مع دقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الفخذ مع غلظها وإلى العظام مع صلابتها ما يليق بكل

يموت بين يدى فنزل الكيس بمنزلة الآدمى والدراهم بمنزلة العمر والعلقة بمنزلة الروح لقوله تعالى خلق الإنسان من علق والله تعالى أعلم ﴿العلهب﴾ تيس الجبل كذا قاله صاحب كتاب المداخل فى اللغة أحمد بن يحيى ﴿العمروس﴾ بضم العين الخروف والجمع عماريس قال الشاعر :

وكان كذئب السوء إذ قال مرة ... لعمروسة والذئب غرثان مرمل
أأنت التى من غير ذنب شتمتنى ... فقالت متى ذا قال ذا عام أول
فقالت ولدت الآن بل رمت غدرة ... فدونك كلنى لا هنالك مأكل

﴿العملس﴾ بفتح العين والميم وتشديد اللام للذئب الخبيث والكلب الخبيث وأما قولهم أبر من العملس فإنه رجل كان بارّاً بأمه يحملها على عاتقه ويحج بها على ظهره كل سنة فضربوا به المثل ليتأسى به البنون فى بر الأمهات وأشرت إلى ذلك فى المنظومة بقولى :

وضربوا الأمثال بالعملس ... فى البر كى به البنون تأتسى

﴿العميثل﴾ الأسد قاله أبو زيد فى كتاب الإبل وبه كنى عبد الله بن خليد الشاعر البليغ وكان يفخم الكلام ويطربه وكان كاتب عبد الله بن طاهر وشاعره وكان عارفا باللغة فمن شعره فى عبد الله المذكور.

يا من يحاول أن تكون صفاته ... كصفات عبد الله أنصت واسمع
فلأنصحنك فى المشورة والذى ... حج الحجيج إليه فاسمع أو دع
أصدق وعف وبر واصبر واحتمل ... واصفح وكاف وداور واحلم واشجع
والطف ولن وتأن وارفق واتئد ... واحزم وجد وحام واحمل وأدفع
فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتى ... وهديت للنهج الأســـد المهيع

وقبل يوما كف عبد الله بن طاهر فاستخشن مس شاربه فقال أبو العميثل فى الحال شوك القنفذ لا يؤلم كف الأسد فأعجبه كلامه وأمر له بجائزة سنية وصنف أبو العميثل كتبا مفيدة منها كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين وقال الأصمعى العميثل الذيال بذنبه وقال الخليل العميثل البطىء الذى يسبل ثيابه كالوادع الذى يكفى العمل انتهى

﴿العناق﴾ الأنثى من ولد المعز والجمع أعنق وعنوق روى عن الأصمعى أنه قال بينا أنا أسير فى طريق اليمن إذا أنا بغلام واقف فى الطريق فى أذنيه قرطان فى كل قرط جوهرة يضىء وجهه من ضوء الجوهرة وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر وهى هذه :

يا فاطر الخلق البديع وكافلا ... رزق الجميع سحاب جودك هاطل
يا مسبغ البر الجزيل ومسبل الـ ... ـستر الجميل عميم طولك طائل
يا عالم السر الخفى ومنجز الـ ... ـوعد الوفى قضاء حكمك عادل
عظمت صفاتك يا عظيم فجل أن ... يحصى الثناء عليك فيها قائل
الذنب أنت له بمنك غافر ... ولتوبة العاصى بحلمك قابل
رب يربى العالمـــين ببره ... ونواله أبداً إليهم واصـــل
تعصيه وهو يسوق نحوك دائما ... ما لا تكون لبعضه تستاهل
منفضل أبداً وأنت لجوده ... بقبائح العصيان منك تقابل
وإذا دجا ليل الخطوب وأظلمت ... سبل الخلاص وخاب فيها الآمل
وأيست من وجه النجاة فما لها ... سبب ولا يدنو لها متناول
يأتيك من ألطافه الفرج الذى ... لم تحتسبه وأنت عنه غافل

يا موجد الأشياء من ألفى إلى ... أبواب غيرك فهو غر جاهل
ومن استراح بغير ذكرك أو رجا ... أحدا سواك فذاك ظل زائل
رأى يلم إذا عرته ملمة ... بسوى جنابك فهو رأى مائل
عمل أريد به سواك فإنه ... عمل وإن زعم المرائى باطل
وإذا رضيت فكل شىء هين ... وإذا حصلت فكل شىء حاصل
أنا عبد سوء آبق كل على ... مولاه أوزار الكبائر حامل
قد أثقلت ظهرى الذنوب وسودت ... صحفى العيوب وستر عفوك شامل
ها قد أتيت وحسن ظنى شافعى ... ووسائلى ندم ودمع سائل
فاغفر لعبدك ما مضى وارزقه تو ... فيقا لما ترضى ففضلك كامل
وافعل به ما أنت أهل جميله ... والظن كل الظن أنك فاعل

قال فدنوت منه وسلمت عليه فقال ما أنا برادعليك حتى تؤدى من حقى الذى يجب لى عليك قلت وما حقك قال أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل عليه السلام لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين فى طلب الضيف فأجبته إلى ذلك فرحب بى وسرت معه حتى قربنا من خيمته فصاح يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة بالبكاء فقال قومى إلى ضيفنا فقالت الجارية حتى أبدأ بشكر الله الذى ساق لنا هذا الضيف ثم قامت فصلت ركعتين شكرا لله تعالى قال فأدخلنى الشاب الخيمة وأجلسنى ثم أخذ الغلام الشفرة وعمد إلى عناق فذبحها قال فلما جلست فى الخيمة نظرت إلى الجارية فإذا هى أحسن الناس وجها فكنت أسارقها النظر فقطنت لبعض لحظاتى إليها فقالت لى مه أما علمت أنه نقل عن صاحب طيبة عليه السلام أنه قال «إن زنا العينين النظر» أما إنى ما أردت بهذا أن أوبخك ولكنى أردت أن أؤدبك لكى لا تعود إلى مثل هذا قال فلما كان النوم بت أنا والغلام خارج الخيمة وباتت الجارية من داخلها فكنت أسمع دوى القرآن إلى السحر بأحسن صوت يكون وأرقه ثم سمعت أبياتا من الشعر بأعذب لفظ وأشجى نغمة وهى هذه :

أبى الحب أن يخفى وكم قد كتمته ... فأصبح عندى قد أناخ وطنبا
إذا اشتد شوقى هام قلبى بذكره ... وإن رمت قربا من حبيبى تقربا
ويبدو فأفنى ثم أحيا بذكره ... ويسعدنى حتى ألذ وأطربا

قال فلما أصبحت قلت للغلام صوت من كان ذاك قال تلك أختى وهذا شأنها كل ليلة فقلت يا غلام كنت أنت أحق بهذا العمل من أختك إذ أنت رجل وهى امرأة قال فتبسم وقال ويحك أما علمت أنه موفق ومخذول ومقرب ومبعد قال الأصمعى فودعتهما وانصرفت (وحكمها) الحل وتفدى بها الأرنب إذا قتلها المحرم لقضاء الصحابة بذلك ولا تجزئ فى الأضحية لما روى الشيخان وغيرهما عن البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له فقال أبو بردة بن نيار وهو خال البراء بن عازب يا رسول الله إنى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب فأحببت أن تكون شاتى أول شاة تذبح فى بيتى فذبحتها وتغديت قبل أن آتى الصلاة فقال ﷺ شاتك شاة لحم قال يا رسول الله فإن عندى عناقا هى

واحد من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة ولا بد من قوة أخرى تتصرف فى أمور التناسل بأن يفصل من الغذاء جوهر النطفة لبقاء النوع فإن كل فرد من الأفراد ضرورى الفناء ولا بد من قوة أخرى يصدر عنها تمريخات مختلفة بحسب كل عضو حتى يجعل من النطفة المتشابهة الأجزاء أعضاء مختلفة طويل وعريض ومستدير وذو زاوية ومجوف ومصمت ودقيق وغليظ وصلب ورخو وهى أنقاش تنقش فى ظلمة الأحشاء هذه الأشكال العجيبة الحدقة والأجفان والجبهة والخد والأنف والشفة والذقن ولا يرى ذلك النقاش لا داخلا ولا خارجا ولا خبر للأم به ولا للأب فسبحان من فتح عين أوليائه حتى شاهدوه فى جميع ذات العالم (الصنف الثالث القوى) المدركة التى فى الباطن وهى خمس (الأول) الحس المشترك وهى قوة فى مقدم الدماغ تدرك صورة المحسوسات على سبيل المشاهدة وذلك غير البصر ألا ترى القطرة النازلة خطا مستقيما والنطفة الدائرة بسرعة خطا مستديرا وليس ذلك فى البصر لأن البصر لا يدرك إلا المقابل والمقابل نطفة وقطرة فالذى يدرك الخط والدائرة قوة أخرى غير

أحب إلىّ من شاتين أفتجزئ عنى فقال صلى الله عليه وسلم نعم ولن تجزئ عن أحد بعدك * ووقع فى أصل الروضة أن العناق الأنثى من المعز حين تولد إلى أن ترعى والجفرة الأنثى من ولد المعز حين تفطم وتفصل عن أمها فتأخذ فى الرعى وذلك بعد أربعة أشهر والذكر جفر وقال فى لغات التنبيه ودقائق المنهاج العناق الأنثى من ولد المعز مالم تستكمل سنة ونقل مثل هذا عن الأزهرى فى تهذيب الأسماء واللغات وكلام الأزهرى لا يوافق ذلك * وروى الحاكم بإسناد صحيح وأبو عمر بن عبد البر فى الاستيعاب عن قيس بن النعمان رضى الله تعالى عنه قال لما انطلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله تعالى عنه مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه من اللبن فقال ما عندى شاة تحلب غير أنّ ههنا عناقا حملت أول الشتاء وما بقى لها لبن قال صلى الله عليه سلم ادع بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها حتى أنزلت وجاء أبو بكر بمجن فحلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب صلى الله عليه وسلم فقال الراعى بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال أوتراك تكتم علىّ حتى أخبرك قال نعم قال فإنى محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش أنك صابئ قال إنهم ليقولون ذلك قال أشهد أنك نبى وأنّ ما جئت به حق وأنا متبعك قال صلى الله عليه وسلم إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا فإذا بلغك أنى قد ظهرت فأتنا ﴿ خاتمة ﴾ روى أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبى مرثد وكان يحمل الأسرى من مكة حتى يأتى بهم المدينة قال وكانت امرأة بغى بمكة يقال لها عناق كقطام وكانت صديقة له وأنه كان واعد رجلا من الأسارى بمكة أن يأتيه فيحمله قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة فى ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلى بجنب الحائط فلما انتهت إلى قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا وأهلا وسهلا هلم فبت عندنا الليلة فقلت يا عناق قد حرم الله الزنا قالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعنى ثمانية رجال وسلكت الخندمة فانتهيت إلى غار أو كهف فجاؤا حتى وقفوا على رأسى وبالوا فظل بولهم ينزل على رأسى وأعماهم الله عنى فرجعوا ورجعت إلى صاحبى فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت به إلى الإذخر ففككت عنه أكبله وجعلت أحمله ويعيينى حتى قدمت به المدينة فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناق فأمسك ولم يرد علىّ شيئا حتى نزلت « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مرثد الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها قال الخطابى هذا خاص بهذه المرأة إذ كانت كافرة فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها صحيح لا ينفسخ وقال الشافعى رحمه الله تعالى قال عكرمة معنى الآية أن الزانى لا يريد ولا يقصد إلا نكاح زانية قال والأشبه ما قاله سعيد بن المسيب أن هذه الآية منسوخة نسخها قوله تعالى « وأنكحوا الأيامى منكم » وهى من أيامى المسلمين (الأمثال) قالوا لا تنفط فى هذا الأمر عناق أى لا تعطس والنفيط من العناق مثل العطاس من الإنسان وهو كقولهم لا ينتطح فيها عنزان وسيأتى إن شاء الله تعالى فى محله ﴿ عناق الأرض ﴾ دويبة أصغر من الفهد طويل الظهر يصيد كل شىء حتى الطير وهو التفه الذى تقدم ذكره فى باب التاء المثناة فوق وقال فى نهاية الغريب قال قتادة عناق الأرض من الجوارح دابة وحشية أكبر من السنور وأصغر من الكلب والجمع عنوق يقال فى المثل لقى عناق الأرض وأدنى عناق أى داهية يريد أنها من

البصر فالصور الواردة على هذه القوة تارة تكون من خارج بواسطة الحواس وتارة تكون من داخل فإن القوة الثانية المتخيلة ربما ركبت صورة وأوردتها على الحس المشترك فتصير مشاهدة كالصور التى يدركها الحس المشترك وهى خزانته (الثالثة) الوهم وهو قوة فى وسط الدماغ التى تدرك المعانى الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كصداقة زيد وعداوة عمرو وهى التى تحكم فى الشاة أن الولد معطوف عليه والذئب مهروب عنه (الرابعة) الحافظة وهى قوة فى مؤخر الدماغ تحفظ المعانى التى يؤدى إليها الوهم كأنها خزانته (الخامسة) المفكرة وهى قوة فى وسط الدماغ أيضا تتصرف فى الصور الموجودة فى الخيال والمعانى الحاصلة فى الحافظة فى التفصيل والتركيب فإن كانت فى طاعة العقل تسمى مفكرة وإن لم تكن تسمى متخيلة وهى التى تتخيل إنسانا عظيم الرأس أو إنسانا ذا رأسين (النوع الثالث) القوى المحركة وهى صنفان (الأول) الباعثة وهى ضربان الأول الشهوانية وهى القوة التى تدعو إلى طلب النافع ومن جملتها شهوة المأكول فإنها مادة القوى كلها فلو خلق للحيوان جميع القوى سوى الشهوانية

الحيوان الذى يصاد به إذا علم ﴿العنبس﴾ الأسد وبه سمى الرجل وهو فنعل من العبوس والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو وسموا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص ﴿العنس﴾ الناقة القوية الصلبة ويقال هى التى أعنونس ذنبها أى وفرقاله الجوهرى والعنسة أيضا اسم للأسد علم مشتق من العنوس قاله ابن سيده ﴿العنبر﴾ سمكة بحرية كبيرة يتخذ من جلودها الترس ويقال للترس عنبر وقد تقدم ذكرها فى باب الباء الموحدة . روى البخارى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة نلتقى عيرا لقريش وزودنا جرابا فيه تمر لم يجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يطعمنا تمرة تمرة قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها قال كنا نمصها كما يمص الصبى ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فنأكله فانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا شىء كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هى دابة تدعى العنبر قال فقال أبو عبيدة إنها ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله ﷺ وفى سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا قال فأقمنا عليها شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا يعنى تقوينا وزال ضعفنا وإلا فما كانوا سمانا قط قال ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيها بالفلال الدهن ونقتطع القطعة قدر التور ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى عينيها وأخذ ضلعا من أضلاعها فأقامه ثم رحل أعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمها فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شىء فتطعمونا قال فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله وسرية أبى عبيدة هذه يقال لها سرية الخبط وكانت فى رجب سنة ثمان من الهجرة وكان فيها عمر بن الخطاب وقيس بن سعد مع أبى عبيدة رضى الله تعالى عنهم . وحديثها رويناه فى الغيلانيات وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه فى سرية فيها المهاجرون والأنصار ثلثمائة رجل إلى ساحل البحر إلى حى من جهينة فأصابهم جوع شديد فقال قيس بن سعد من يشترى منى تمرا بجزور يوفينى الجزور هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمر يقول واعجبا لهذا الغلام لا مال له يدين فى مال غيره فوجد رجلا من جهينة فقال له قيس يعنى جزورا أوفيكه وسقا من تمر المدينة فقال الجهنى والله ما أعرفك فمن أنت فقال أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم فقال الجهنى ما أعرفنى بنسبك وذكر كلاما فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر يشترط عليه البدوى تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم فيقول قيس نعم قال فاشهد لى قال فأشهد له نفرا من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين قال قيس إنما أشهد من تحب وكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال عمر ما أشهد على هذا بدين ولا مال له إنما المال لأبيه فقال الجهنى والله ما كان سعد ليبخس فى وسقة من تمر وإنى أرى وجها حسنا وفعالا شريفة فكان بين عمر وقيس كلام حتى أغلظ عمر لقيس ثم أخذ الجزر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال له أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك قال فأقبل أبو عبيدة ومعه عمر فقال عزمت عليك أن لا تنحر فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى وسقة من تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله فكاد أبو عبيدة أن يلين له وجعل عمر يقول له أعزم عليه فعزم عليه وبلغ

لكانت القوى كلها ساطعة والحواس معطلة فكم من مريض يرى الطعام وقد يقع الاشتياق له وقد سقطت شهوته فالقوى كلها بسبب ذلك معطلة فاقتضت حكمة البارى تعالى شهوة الغذاء فى الحيوان ووكلها به لنضطره كالمتقاضى إلى التناول ليبقى بالغذاء سليم القوى صحيح الأعضاء ومنها شهوة الوقاع فلو لم يخلق للحيوان هذه القوى لأدى إلى انقطاع نسله سيما نوع الإنسان فإن له قوة الفكر والحفظ كأن يمتنع عن المباشرة لما فيه من تعب الحل والوضع والتربية فاقتضت حكمة البارى تعالى قوة الوقاع فى الحيوان ووكلها به كالمتقاضى لتدعوه إلى الوقاع فيبقى نسله (الضرب الثانى) القوة الغضبية وهى التى تدعو إلى الغلبة فلو لم يخلق للحيوان هذه القوة لبقى عرضة للآفات لأنه كثير الأعداء فكل حيوان يقصد إما نفسه ليجعله طعمة أو يقصد ما عنده من الغذاء ونوع الإنسان أحوج إلى هذه القوة لكثرة من يزاحمه فى النفس والمال والجاه والحرم وغيرها فلا بد للحيوان من قوة يدفع بها من يغلبه

بالدفع (الصنف الثانى) القوة الفاعلة وهى التى يصدر عنها تحريك الأعضاء بمباشرة الأفعال طاعة

للقوة الشوقية وذلك بأن تشد الأوتار أو ترخيها فتحرك بها الأعضاء والمفاصل فلولا هذه القوة لكان جميع بدن الحيوان كاليد الشلاء فكان الانفعال والقبض والبسط غير ممكن فلم يكن له آلة الطلب والهرب كالزمن فاقتضت حكمة البارى عز وجل آلات الحركة لتكون حركته بمقتضى الشهوة طلبا وبمقتضى الكراهة هربا (النوع الرابع) القوى العقلية وهى أربع مراتب (الأولى) القوة التى بها يفارق الإنسان البهائم وهى استعداده لقبول العلوم النظرية والصناعات الفكرية (الثانية) القوة التى تدخل الوجود للصبى المميز وبها يدرك الضروريا والممكنات والممتنعات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون فى مكانين فيقال له التصورات والتصديقات الضرورية (الثالثة) قوة تحصل بها العلوم المستفادة من التجارب بمجارى الأحوال فمن اتصف بها يقال له عاقل فى العادة ومن خلا عنها يقال له غبى غمر وهى معان مجتمعة فى الذهن فيستنبط بها مصالح الأغراض (الرابعة) قوة يعرف بها حقائق الأمور مباديها ومقاطعها حتى يقمع الشهوة

سعدا ما أصاب القوم من المجاعة فقال إن يكن قيس كما أعرف فسينحر للقوم فلما قدم قيس لقيه سعد فقال ما صنعت فى مجاعة القوم قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميرى قال ولم قال زعم أنه لا مال لى وإنما المال لأبيك فقلت إن أبى يقضى عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يصنع هذا بى قال تلك أربع حوائط أدناها حائطا تجد منه خمسين وسقا قال وقدم البدوى مع قيس فأوفاه وسقته وحمله وكساه فبلغ ذلك النبى ﷺ من فعل قيس فقال إنه من قلب جود * والعنبر المشموم قيل إنه يخرج من قعر البحر يأكله بعض دوابه لدسومته فيقذفه رجيعا فيوجد كالحجارة الكبار فيطفو على الماء فتلقيه الريح إلى الساحل وهو يقوى القلب والدماغ نافع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ وقال ابن سيده العنبر يخرج من البحر وأجوده الأشهب ثم الأزرق ثم الأصفر ثم الأسود قال وكثيرا ما يوجد فى أجواف السمك الذى يأكله ويموت وزعم بعض التجار أن بحر الزنج يقذفه كجمجمة الإنسان وأكبرها وزنه ألف مثقال وكثيرا ما تأكله الحيتان فتموت والدابة التى تأكله تدعى العنبر (الحكم) قال الماوردى والروياني فى كتاب الزكاة لا زكاة فى العنبر والمسك وقال أبو يوسف فيهما الخمس وقال الحسن وعمر بن عبد العزيز وعبد الله العنبرى وإسحق يجب الخمس فى العنبر واحتج الشافعى عليهم بقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى العنبر إنما هو شىء دسره البحر أى لفظه وليس بمعدن حتى يجب فيه الخمس وروى عنه صريحا أنه قال لا زكاة فيه وروى جابر أن النبى ﷺ قال العنبر ليس بغنيمة وهذا ينفى وجوب الزكاة فيه قال أى الماوردى والروياني وأكثر الفقهاء على أن العنبر طاهر وقال الشافعى سمعت من قال رأيت العنبر نابتا فى البحر متلويا مثل عنق الشاة وقيل إن أصله نبت فى البحر وله رائحة زكية وفى البحر دويبة تقصده لزكاء رائحته وهو سمها فتأكله فيقتلها ويلفظها البحر فيخرج العنبر من بطنها وقالا فى كتاب السلم فى العنبر ولا بد من بيان أنواعه ووزنه فالعنبر منه الأشهب والأبيض والأخضر والأسود ولا يجوز حتى يسمى ذلك وقال الشافعى يجوز بيع العنبر وقال أهل العلم به إنه نبات والنبات لا يحرم منه شىء قال وحدثنى بعضهم أنه ركب البحر فوقع إلى جزيرة فيه فنظر إلى شجرة مثل عنق الشاة فإذا ثمرها عنبر قال فتركناه حتى يكبر ثم نأخذه فهبت الريح فألقته فى البحر قال الشافعى والسمك ودواب البحر تبتلعه أول ما يقع منه لأنه لين فإذا ابتلعته قلما تسلم منه إلا قتلها لفرط الحرارة فيه فإذا أخذ الصياد السمكة وجده فى بطنها فيقدر أنه منها وإنما هو ثمر نبت (وأما خواصه) فقال المختار بن عبدون العنبر حار يابس وهو دون المسك وأجوده الأشهب الخفيف الدسم وهو يقوى القلب والدماغ ويزيد فى الروح وينفع من الفالج واللقوة والبلغم الغليظ ويولد شجاعة لكنه يضر من اعتاده الباسور وتدفع مضرته بالكافور وشم الخيار ويوافق الأمزجة الباردة الرطبة والمشايخ وأجوده ما استعمل فى الشتاء قالوا والعنبر جماجم أكبرها ألف مثقال تبرز من عيون البحر وتطفو على الماء فيسقط عليها الطير فتأكلها فتهلك وقيل إنه روث دابة وقيل إنه من غثاء البحر وأجوده الأشهب وضده الخرى وله زهومة لا يبتلع السمك ويتصفى منه عند عمله رمل والله تعالى أعلم ﴿العنتر﴾ الذباب الأزرق وقيل مطلق الذباب وفى الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما فى حديثه الطويل والمشتمل على كرامات ظاهرة للصديق رضى الله تعالى عنه ومعناه أن الصديق ضيف جماعة وأجلسهم فى محله وانصرف إلى رسول الله ﷺ فتأخر رجوعه فلما رجع قال أعشيتموهم قالوا لا فأقبل على ابنه عبد الرحمن

وقال يا عنتر فجدع وسب ومعناه دعا عليه بقطع الانف ونحوه وجاء يا عنيتر مصغرا شبهه بذلك تحقيرا له وقيل شبهه بالذباب الازرق لشدة أذاه وروى بالغين المعجمة وبالثاء المثلثة وهو الاكثر ومعناه بالثيم وعنترة اسم رجل وهو عنترة بن شداد بن معاوية العبسى وهو أحد فرسان العرب وشعرائها ومتيميها وهو من أبطال الجاهلية ويضرب المثل بشجاعته قال سيبويه نون عنترة ليست زائدة ﴿ العندليب ﴾ الهزار بفتح الهاء والجمع العنادل لانك ترده إلى الرباعى ثم تبنى منه الجمع والتصغير والبلبل يعندل إذا صوت وما أحسن قول أبى سعيد المؤيد بن محمد الاندلسى الشاعر المجيد فى وصف طنبور :

وطنبور مليح الشكل يحكى * بنغمته الفصيحة عندليبا * روى لما ذوى نغما فصاحا
حواها فى تقلبه قضيبا * كذا من عاشر العلماء طفلا * يكون إذا نشا شيخا أديبا

ومن محاسن شعره قوله :

أحب العذول لتكراره * حديث الحبيب على مسمعى
وأهوى الرقيب لان الرقيب * يكون إذا كان حبى معى

ومما يستجاد من محاسن شعره أيضا :

احذر صديقا ماذقا * مزج المرارة بالحلاوة يحصى الذنوب عليك أيـ * ـام الصداقة للعداوة

وما أحسن قوله :

ونهاية الدنيا وغاية أهلها * ملك يزول وستر قوم يهتك
تحـــلو فتعقب غصة ومرارة * وتحب وهى بنا تصول وتفتك

وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسمائة (وحكمه) حل الاكل لانه من الطيبات (وهو فى الرؤيا) بدل على ولد ذكى والله أعلم ﴿ العندل ﴾ البعير الضخم الرأس يستوى فيه الذكر والانثى ﴿ العنز ﴾ الانثى من المعز والجمع أعنز وعنوز روى البخارى وأبو داود عن عبدالله بن عمرو ابن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديقا بموعودها إلا أدخله الله الجنة قال حسان بن عطية الراوى عن أبى كبشة فعددنا مادون منيحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الاذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة قال ابن بطال لم يذكر النبى ﷺ الخصال فى الحديث ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان عالما بها لا محالة إلا أنه ﷺ لم يذكرها لمعنى هو أنفع لنا من ذكرها وذلك والله أعلم خشية أن يكون التعيين لها زهدا فى غيرها من أبواب المعروف وسبل الخير وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام من الحث والحض على أبواب من الخير والبر ما لا يحصى كثرة قال وقد بلغنى عن بعض أهل عصرنا أنه تتبعها فى الاحاديث فوجدها تزيد على أربعين خصلة ثم ذكرها إلى آخرها ﴿ قلت ﴾ وتشميت العاطس بالشين المعجمة وبالسين المهملة فالاول إشارة إلى جمع الشمل لان العرب تقول أشمتت الإبل إذا اجتمعت فى المرعى وقيل معناه الدعاء لشوامته وهو اسم للأطراف والثانى إشارة إلى أن يرزق السمت الحسن ﴿ قلت ﴾ وقد روى صاحب الترغيب والترهيب فى باب قضاء حوائج المسلمين عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقا لا براءة له منها إلا بالاداء أو العفو يغفر زلته ويرحم عبرته ويستر عورته ويقيل عثرته ويقبل معذرته ويرد غيبته ويديم نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضته ويشهد منيته

صاحبها عاقلا من حيث أن إقدامه وأحجابه بحسب ما يقتضيه النظر فى العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة والاولان مجبولان والاخيران مكتسبان وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه :

رأيت العقل عقلين
فمطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس
وضوء العين ممنوع

﴿ فصل فى تفاوت الناس فى العقل ﴾ اختلف الناس فيه والحق أن التفاوت يتطرق إلى القسم الاول والثالث والرابع أما الثانى فهو العـــلم بوجوب الضروريات وجواز الجائزات واستحـــالة المستحيلات فإنه غير قابل للتفاوت (أما القسم الاول) وهو الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فإنه مثل نور يشرق على النفس ومبادى إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو إلى تمام الاربعين وقد شاهدنا الناس فى ذلك مختلفين فى فهم العلوم وانقسامهم إلى ذكى وبليد ومغفل ويقظ وقد روى عن رسول الله ﷺ فى

حديث طويل آخره قال الله تعالى إنى خلقت العقل من أصناف شتى

ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافئ صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ويقضى حاجته ويشفع مسألته ويقبل شفاعته ولا يخيب مقصده ويشمت عطسته وينشد ضالته ويرد سلامه ويطيب كلامه ويزيد إنعامه ويصدق أقسامه وينصره ظالما أو مظلوما أما نصره ظالما فيرده عن ظلمه وأما نصره مظلوما فيعينه على أخذ حقه ويواليه ولا يعاديه ويسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالبه به يوم القيامة ثم قال على رضى الله تعالى عنه إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه * فهذه مع ما عده حسان بن عطية يجتمع منها أكثر من أربعين خصلة ﴿فائدة﴾ روى أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرى فى كتاب الدعوات بإسناده عن سويد بن غفلة قال أصابت على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فاقة فقال لفاطمة رضى الله تعالى عنها لو أتيت النبى ﷺ فأتته وكان عند أم أيمن فدقت الباب فقال النبى ﷺ لأم أيمن إن هذا الدق لدق فاطمة ولقد أتتنا فى ساعة ما عودتنا أن تأتينا فى مثلها فقومى فافتحى لها الباب قال فقامت أم أيمن ففتحت لها الباب فلما دخلت قال ﷺ يا فاطمة لقد أتيتينا فى ساعة ما عودتينا أن تأتينا فى مثلها فقالت يا رسول الله هذه الملائكة طعامها التسبيح والتحميد والتقديس فما طعامنا فقال ﷺ والذى بعثنى بالحق ما اقتبس فى آل محمد نار منذ ثلاثين يوما وقد أتتنا أعنز فإن شئت أمرت لك بخمسة أعنز وإن شئت علمتك خمس كلمات علمنيهن جبريل آنفا قالت بل علمنى الخمس التى علمك جبريل قال صلى الله عليه وسلم قولى يا أول الأولين ويا آخر الآخرين ويا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين قال فانصرفت حتى دخلت على على بن أبى طالب فقالت ذهبت من عندك إلى الدنيا فأتيتك بالآخرة وذكرت له ذلك فقال خير أيامك خير أيامك وفى كتاب صفوة التصوف للحافظ أبى الفضل محمد بن طاهر المقدسى أن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما دخل على رسول الله ﷺ فقال يا جابر هؤلاء الأعنز إحدى عشرة عنزا فى الدار أحب إليك أم كلمات علمنيهن جبريل آنفا يجمع لك خير الدنيا والآخرة فقال يا رسول الله والله إنى لمحتاج وهذه الكلمات أحب إلىّ فقال ﷺ قل اللهم إنك البر خلاق عليم اللهم إنك غفور حليم اللهم إنك تواب رحيم اللهم إنك رب العرش العظيم اللهم إنك الجواد الكريم اغفر لى وارحمنى واجبرنى ووفقنى وارزقنى واهدنى ونجنى وعافنى واسترنى ولا تضلنى وأدخلنى الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين قال فطفق يرددهن حتى حفظهن ثم قال صلى الله عليه وسلم تعلمهن وعلمهن عقبك من بعدك ثم قال ﷺ يا جابر استقهن معك قال فاستقتهن معى وفى تفسير القشيرى وغيره أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما هاجر بولده إسمعيل وأمه هاجر إلى مكة مر على قوم من العماليق فوهبوا لإسمعيل عليه الصلاة والسلام عشرة أعنز فجميع أعنز مكة من نسلها وهذا نظير ما تقدم فى حمام الحرم وأنه من نسل الحمامتين اللتين عششتا على النبى ﷺ فى الغار ﴿فائدة أخرى﴾ قال النبى ﷺ لا ينتطح فيها عنزان والسبب فى ذلك أن امرأة من خطمة كان يقال لها عصماء بنت مروان من بنى أمية كانت تحرض على المسلمين وتؤذيهم وتقول الشعر فجعل عمير بن عدى عليه نذرا لله عز وجل لئن رد الله رسوله سالما من بدر ليقتلنها فلما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من بدر عدا عليها عمير فى جوف الليل فقتلها ثم لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصبح فلما قام صلى الله عليه وسلم ليدخل مجلسه قال لعمير بن عدى أقتلت عصماء قال نعم

كعدد الرمل فمن الناس من أعطى حبة ومنهم من أعطى حبتين ومنهم الثلاث والأربع ومنهم من أعطى فرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم من أعطى أكثر من ذلك

(ومن الحكايات العجيبة) ما حكى أن بعض الأطباء دخل على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته فقال له لعلك تناولت شيئا من الفواكه قال المريض نعم فقال الطبيب لا ترجع تأكل فإنها تضرك ثم دخل عليه فى اليوم الثانى ورأى النبض والتفسرة فقال لعلك أكلت لحم فروج قال المريض نعم فقال الطبيب لا ترجع تأكله فإنه يضرك فتعجب الناس من حذق الطبيب وكان للطبيب ابن فقال له يا أبت كيف عرفت تناوله الفاكهة والفروج قال يا بنى ما عرفت ذلك بالطب وحده بل بالطب والفراسة فقال له كيف عرفت بالفراسة فقال إنى لما دخلت دار المريض رأيت على سطح الدار ساقطات الفواكه ثم رأيت فى وجه المريض انتفاخا وفى النبض لينا وفى التفسرة غلظا وفجاجة وعلمت أن الفاكهة إذا حضرت عند المريض لا يصبر عنها فظهر لى من هذه الشواهد أنه تناول الفاكهة وما جزمت بها بل قلت لعلك أكلت وفى اليوم الثانى رأيت على باب الدار ريش الفروج وفى

فهل على فى قتلها من شىء فقال ﷺ لا ينتطح فيها عنزان فاول ما سمعت هذه الكلمة منه ﷺ وهى من الكلام الموجز البديع المفرد الذى لم يسبق إليه وكذلك قوله ﷺ حمى الوطيس ومات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ويا خيل الله اركبى والولد للفراش وللعاهر الحجر وكل الصيد فى جوف الفرا والحرب خدعة وإياكم وخضراء الدمن وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم والانصار كرشى وعيبتى ولا يجنى على المرء إلا يده والشديد من غلب على نفسه عند الغضب وليس الخبر كالمعاينة والمجالس بالامانة واليد العليا خير من اليد السفلى والبلاء موكل بالمنطق والناس كأسنان المشط وترك الشر صدقة وأى داء أدوأ من البخل والاعمال بالنيات والحياء خير كله واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع وسيد القوم خادمهم وفضل العلم خير من فضل العبادة والخيل معقود فى نواصيها الخير وأعجل الاشياء عقوبة البغى وإن من الشعر لحكمة والصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ونية المؤمن خير من عمله ونية المنافق شر من عمله والولد للوط واستعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود والمكر والخديعة فى النار ومن غشنا ليس منا والمستشار مؤتمن والندم توبة والدال على الخير كفاعله وحبك الشىء يعمى ويصم والعارية مؤداة والإيمان قيد الفتك. وأمثال ذلك من كلامه ﷺ وإنما خص رسول الله ﷺ العنز دون سائر الغنم لان العنز إنما تشاوم العنز ثم تفارقها وليس كنطاح الكباش وغيرها (وروى) ابن دريد أن عدى بن حاتم لما قتل عثمان رضى الله تعالى عنه قال لا ينتطح فيها عنزان فلما كان يوم الجمل فقئت عينه فقيل له لا ينتطح فى قتل عثمان عنزان قال بلى وتفقأ عيون كثيرة كذا ذكر هذا الخبر ابن إسحق والدمياطى وغيرهما وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال حدثنى الصادق المصدوق أبو القاسم ﷺ أن أول خصم يقتضى عليه يوم القيامة عنزان ذات قرن وغير ذات قرن رواه الطبرانى فى معجمه الاوسط فيه جابر الجعفى وهو ضعيف (وحكمها) الحل ويفدى بها الغزال إذا قتله المحرم وسيأتى تحقيق ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الغين المعجمة (الامثال) قد تقدم فى الحديث قوله عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان أى لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان لان النطاح من شأن النيوس والكباش لا العنوز وهو إشارة إلى قضية مخصوصة لا يجرى فيها خلف ولا نزاع وقالوا فلان أضرط من عنز وقالوا عنز بها كل داء يضرب للكثير العيوب من الناس والدواب قال الفزارى للعنز تسعة وتسعون داء والعنز العقاب الانثى فى قول الشاعر:

إذا ما العنز من ماق تدلت * ضحيا وهى طاوية تحوم

فراده بالعنز هنا العقاب الانثى (الخواص) مرارة العنز إذا خلطت بنوشادر ونتف شعر من مكان فى البدن وطلى به ذلك الموضع فلا ينبت فيه شعر ألبتة وقال ارسطو مرارة العنز إذا خلطت بكراث وطلى بها مكان الشعر المنتوف لم ينبت فيه شعر ألبتة وإذا غسلت ساقها وسقى من به سلس البول أبرأه وإن كتبت بلبنها على قرطاس لم تبن كتابته فإن ذر عليه رماد ظهرت الكتابة وقال هرمس إذا أخذ من دماغ العنز ومن دم الضبع وزن دانق من كل واحد مع وزن حبتين من كافور وعجن باسم شخص تولد فيه روحانية المحبة إذا طعم ذلك ومن أخذ من مرارتها وزن دانق ومثله من دمها ومن دماغ ثنور أسود نصف دانق وأطعمه إنسانا قطع عنه شهوة الجماع ولا يصل إلى امرأة حتى يحل عنه وحله أن يسقى أنفحة ظبية فى لبن عنز ويكون سخنا

بهذه الشواهد وما جزمت به بل قلت لعلك فعلت هذا فسمع ابنه هذا الكلام فأحب أن يسلك مسلك أبيه فدخل على مريض وجس نبضه وشاهد تفسرته فقال له لعلك أكلت لحم حمار فقال المريض حاشا وكلا كيف يؤكل لحم الحمار أيها الطبيب فخجل ابن الطبيب وخرج فانتهى ذلك إلى أبيه فأحضره وسأله كيف عرفت أنه أكل لحم حمار فقال لانى رأيت فى دارهم برذعة فعلمت أنها لا تكون إلا للحمار ثم قلت لو كان الحمار حيا لكانت برذعته عليه وإذا لم يكن حيا فإنهم ذبحوه وأكلوه فقال أبوه لو كان شىء من هذه المقدمات صحيحا لرجوت فيك النجابة ولكن المقدمات كلها فاسدة وطمع النجابة فيك محال ونعم ما قال:

فلا ينفع مسموع
إذا لم يك مطبوع

وحكى أن أبا حنيفة رضى الله تعالى عنه كان جالسا يذكر الدروس فدخل عليه شخص ذو هيئة فلما بدا قال لاصحابه تثبتوا كيلا يأخذ عليكم هذا الرجل شيئا فلما جلس وأبو حنيفة رحمه

والله تعالى أعلم ﴿العنظب﴾ الذكر من الجراد وفتح الظاء لغة فيه قال الكسائى يقال العنظب والعنظاب والعنظوب والأنثى عنظوبة والجمع فى المذكر عناظب قال الشاعر :

* رؤس العناطب كالعنجد * والجمع فى المؤنث عنظوبات وفى كتاب سيبويه العنظباء بالمد والضم ﴿العنظابة﴾ الجراد الأنثى والجمع عنظوبات وقد تقدم ذكر الجراد ومافيه فى باب الجيم ﴿عنقاء مغرب ومغربة﴾ من الألفاظ الدالة على غير معنى قال بعضهم هو طير غريب يبيض بيضا كالجبال ويبعد فى طيرانه وقيل سميت بذلك لأنه كان فى عنقها بياض كالطوق وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس وقال القزوينى إنها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر وكان فى قديم الزمان بين الناس فتأذوا منها إلى أن سلبت يوما عروسا بحليها فدعا عليها حنظلة النبى عليه السلام فذهب الله بها إلى بعض جزائر البحر المحيط وراء خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل إليها الناس وفيها حيوان كثير كالفيل والكركند والجاموس والبقر وسائر أنواع السباع وجوارح الطير وعند طيران عنقاء مغرب يسمع لأجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف والسيل وتعيش ألفى سنة وتتزاوج إذا مضى لها خمسمائة سنة فإذا كان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد ثم أطال فى وصفها وذكر اسطاطاليس فى النعوت أن عنقاء مغرب قد تصاد فيصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب قال وكيفية صيدها أنهم يوقفون ثورين ويجعلون بينهما عجلة ويثقلونها بالحجارة العظام ويجعلون بين يدى العجلة بيتا يختبىء فيه رجل معه نار فتنزل العنقاء على الثورين لتخطفهما فإذا نشبت أظفارها فى الثورين أو أحدهما لم تقدر على اقتلاعهما لما عليهما من الحجارة الثقيلة ولم تقدر على الاستقلال لتخلص مخالبها فيخرج الرجل بالنار فيحرق أجنحتها قال والعنقاء لها بطن كبطن الثور وعظام كعظام السبع وهى من أعظم سباع الطير انتهى وقال الإمام العلامة أبو البقاء العكبرى فى شرح المقامات أن أهل الرس كان بأرضهم جبل يقال له مخ صاعد فى السماء قدر ميل وكان به طيور كثيرة وكانت العنقاء به وهى عظيمة الخلق لها وجه كوجه الإنسان وفيها من كل حيوان شبه وهى من أحسن الطيور وكانت تأتى هذا الجبل فى السنة مرة فتلتقط طيوره فجاعت فى بعض السنين وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به ثم ذهبت بجارية أخرى فشكوا ذلك إلى نبيهم حنظلة بن صفوان عليه السلام فدعا عليها فأصابتها صاعقة فاحترقت وكان حنظلة بن صفوان عليه السلام فى زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام انتهى وذكر غيره أن الجبل يقال له فتخ وسميت العنقاء لطول عنقها ثم انهم قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وذكر السهيلى فى التعريف والإعلام فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد أن البئر هى الرس وكانت بعدن لأمة من بقايا ثمود وكان لهم ملك عدل حسن السيرة يقال له العلس وكانت البئر تسقى المدينة كلها وباديتها وجميع مافيها من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك وكانت لهم بركات كثيرة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وأوان من رخام وهى شبه الحياض كثيرة يملأ الناس منها وآخر للدواب والقوم عليها يستقون الليل والنهار يتداولون ذلك ولم يكن لهم ماء غيرها وطال عمر الملك فلما جاءه الموت طلوه بدهن لتبقى صورته ولا يتغير وكذلك كانوا يفعلون بموتاهم إذا كانوا ممن يكرم عليهم فلما مات شق عليهم ورأوا أن أمرهم قد فسد وضجوا بالبكاء فاغتنمها الشيطان منهم فدخل فى جثة الملك بعد موته بأيام كثيرة وأخبرهم أنه لم يمت ولا يموت أبدا ثم قال ولكن تغيبت عنكم حتى أرى صنيعكم ففرحوا أشد الفرح وأمر خاصته أن يضربوا له حجابا بينه وبينهم ليكلمهم من ورائه كى لا يعرف الموت فى صورته

طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس زال وقتها فقال ذلك الرجل فإن طلعت الشمس قبل الفجر كيف يكون حكمها فالتفت أبو حنيفة إلى أصحابه وقال كونوا كما شئتم فإن الأمر على خلاف ما حسبنا (وحكى) أن معاوية بن مروان ضاع له باز فقال اغلقوا باب المدينة كيلا يخرج (وحكى) أن الوزير أبا السعادات خط الفرس تحته فأمر بقطع قضيبه فقيل له فى ذلك فقال اعطوه ولكن لا تعرفوه أنى علمت ذلك (أما القسم الثالث) وهو علم التجارب والرسوم والعادات فتفاوت الناس فيه ظاهر ويدل عليه حكايات منها ما حكى أن أبا النجم العجلى دخل على هشام بن عبد الملك وأنشد أرجوزته التى أولها

الحمد لله الواهب المجزل

وهى من أجود شعره وهشام أصغى إليه إلى أن انتهى إلى قوله * والشمس فى الجو كعين الأحول * فغضب هشام وكان أحول وأمر بصفعه وإخراجه (وحكى) أن بعض الملوك قال لصاحب خيله قدم الفرس الأبيض فقال له الوزير لا تقل الفرس الأبيض فإنه عيب يخل بهيبة الملوك ولكن قل الفرس الأشهب فلما أحضر السماط قال لصاحب سماطه قدم الصحن الأشهب فقال له الوزير قل ما شئت فما فى تقويمك حيلة (وحكى) أن

فنصبوه صنما من وراء حجاب وأخبرهم أنه لا يأكل ولا يشرب ولا يموت أبدا وأنه لهم إله وكان ذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم ذلك وارتاب بعضهم وكان المؤمن المكذب له أقل من المصدق له وكان كلما تكلم ناصح منهم زجر وقهر وفشا الكفر فيهم وأقبلوا على عبادته فبعث الله إليهم نبيا كان ينزل الوحى عليه فى النوم دون اليقظة اسمه حنظلة بن صفوان فأعلمهم أن الصورة صنم لا روح له وأن الشيطان قد أضلهم وأن الله سبحانه لا يمثل بالخلق وأن الملك لا يجوز أن يكون شريكا لله تعالى ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فآذوه وعادوه وهو يعظهم وينصح لهم حتى قتلوه وطرحوه فى بئر فعند ذلك حلت عليهم النقمة فبانوا شباعا رواء من الماء فأصبحوا والبئر قد غار ماؤها وتعطلت رشاؤها فصاحوا بأجمعهم وضج النساء والولدان وأخذهم العطش وبهائمهم حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك وخلفهم فى أرضهم السباع وفى منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم بالسدر وشوك القتاد فلا يسمع فيها إلا عزيف الجن وزئير الأسد نعوذ بالله من سطواته ومن الإصرار على ما يوجب نقماته قال وأما القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد ابن إرم ولم يبن فى الأرض مثله فيما ذكر وحاله كحال هذه البئر فى إبحاشه بعد الإنس وإقفاره بعد العمران فلا يستطيع أحد أن يذكر منه على أميال ما يسمع من أزيف الجن والأصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وانتظام الأهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله تعالى فى هذه الآية موعظة وذكرى وتحذيرا من غب المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك (وروى) محمد بن إسحق عن محمد بن كعب القرظى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الناس دخولا الجنة يوم القيامة عبد أسود وذلك أن الله تعالى بعث نبيا إلى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها أحد إلا ذلك العبد الأسود ثم أن أهل تلك القرية عدوا على ذلك النبى فحفروا له بئرا فألقوه فيها ثم ألقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد الأسود يذهب ويحتطب على ظهره ثم يأتى بحطبه فيبيعه ويشترى طعاما وشرابا ثم يأتى إلى تلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله عليها ثم يدلى إليه طعامه وشرابه ثم يرد الصخرة كما كانت فمكث كذلك ما شاء الله ثم ذهب يحتطب يوما كما كان يصنع فجمع حطبه وحزم حزمته وفرغ منها فلما أراد أن يحملها أخذته سنة من النوم فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم أنه هب فتمطى لشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم إنه هب فاحتمل حزمته ولا يحسب أنه نام إلا ساعة من نهار فجاء إلى القرية فباع حزمته ثم إنه اشترى طعاما وشرابا كما كان يصنع ثم ذهب إلى البئر والتمس النبى فلم يجده وقد كان بدا لقومه ما بدا فاستخرجوا وآمنوا به وصدقوه فكان النبى يسألهم عن ذلك العبد الأسود ما فعل به فيقولون لا ندرى حتى قبض الله ذلك النبى وأهب ذلك العبد الأسود من نومته بعد ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن ذلك العبد الأسود لأول من يدخل الجنة قد ذكر فى هذا الحديث أنهم آمنوا بنبيهم الذى استخرجوه من الحفرة فلا ينبغى أن يكونوا المعنيين بقوله تعالى وأصحاب الرس لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس أنه دمرهم تدميرا إلا أن يكونوا دمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم الذى استخرجوه من الحفرة وآمنوا به فيكون ذلك وجها قال ابن خلكان ورأيت فى تاريخ أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغانى نزيل مصر أن العزيز بن نزار ابن المعز صاحب مصر اجتمع عنده من غرائب الحيوان ما لم يجتمع عند غيره فمن ذلك العنقاء وهو طائر جاءه من صعيد مصر فى طول البلشون لكنه أعظم جسما منه له لحية وعلى رأسه وقاية وفيه عدة ألوان ومشابهة من طيور كثيرة وقد تقدم عن الزمخشرى أن

عمرو بن هداب وقد كف بصره فقال له يا سيدى لا يسوءك فقدهما فإنك لو رأيت ثوابهما لتمنيت أن الله تعالى يقطع يديك ورجليك ويدق عنقك

## ﴿ القسم الرابع ﴾

انتهاء القوة الغريزية إلى حد يعرف به عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة لأجل سلامة العاقبة ولا يخفى اختلاف الناس فيه فإن إقدام الشبان على المعاصى أكثر من إقدام المشايخ وكذلك إقدام العلماء أقل من إقدام العوام لقوة علمهم بضرر المعاصى كما ترى أن الأطباء أقدر على الاحتماء من غيرهم (وحكى) أن بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيرا فإذا تمت السنة عزله وبعثه إلى جزيرة واستوزر غيره إلى أن اتخذ وزيرا عاقلا فلما ولى بعث إلى تلك الجزيرة وبنى بها دارا لنفسه ونقل إليها ما كان له من الأموال فلما تمت السنة لم يعزله الملك بل أقره على حاله فسئل الملك عن ذلك فقال اعلموا أنى كنت محتاجا إلى وزير عاقل ينظر فى العواقب فما وجدت إلا من يراعى الحال ولا ينظر فى العواقب فكرهت أن أعجل عزله فصبرت على سوء تدبيره سنة فلما عزلته كرهت اختلاطه بالناس وهو مطلع على

العنقاء انقطع نسلها فلا توجد اليوم فى الدنيا وفى آخر ربيع الأبرار فى باب الطير عن ابن عباس قال إن الله تعالى خلق فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام طائرا يسمى العنقاء لها أربعة أجنحة من كل جانب ووجه كوجه الإنسان وأعطاها الله تعالى من كل شىء قسطا وخلق لها ذكرا مثلها وأوحى إلى موسى أنى خلقت طائرين عجيبين وجعلت رزقهما فى الوحوش التى حول بيت المقدس وجعلتهما زيادة فيما وصلت به بنى اسرائيل فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفى موسى عليه السلام انتقلت فوقعت بنجد والحجاز فلم تزل تأكل الوحوش وتخطف الصبيان إلى أن نبىء خالد بن سنان العبسى من عبس قبل النبى صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه ما يلقون منها فدعا الله عليها فانقطع نسلها وانقرضت فلا توجد اليوم فى الدنيا وفى كتاب البدء لابن أبى خيثمة ذكر خالد بن سنان العبسى وذكر نبوته وذكر أنه كان وكل به من الملائكة مالك خازن النار وإنه كان من أعلام نبوته أن نارا يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مفازة فتأكل الناس والدواب ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد ذلك وذكر شراح الفصوص لابن عربى له قصة غريبة بعد موته وستأتى إن شاء الله تعالى الإشارة إلى شىء من ذلك فى لفظ العير وروى الدارقطنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان نبيا ضيعه قومه يعنى خالد بن سنان وذكره غيره من العلماء أن ابنته أتت النبى صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال أهلا ببنت خيرنى أو نحو ذلك وذكر الكواشى والزمخشرى وغيرهما أنه كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم أربعة أنبياء ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسى وذكر البغوى أنه لا نبى بينهما والله أعلم وكان القاضى الفاضل ينشد كثيرا :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهى حبالة * واقتد بها الجوزاء فهى عنان

وتقدم فى العقاب أنه مراد أبى العلاء المعرى بقوله :

هى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

(الأمثال) يقال حلقت به عنقاء مغرب يضرب لمن يئس منه قال الشاعر:

الجود والغول والعنقاء ثالثة * أسماء أشياء فلم توجد ولم تكن

وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر هذا البيت فى الغول أيضا (التعبير) العنقاء فى المنام رجل رفيع مبتدع لا يصحب أحدا ومن رأى العنقاء كلمته نال رزقا من قبل الخليفة وربما يصير وزيرا ومن ركب العنقاء غلب شخصا لا يكون له نظير ومن صادها فإنه يتزوج بامرأة جميلة وربما تعبر العنقاء بولد ذكر شجاع لمن أخذها وله امرأة حامل والله أعلم

﴿العنكبوت﴾ دويبة تنسج فى الهواء وجمعها عناكب والذكر عنكب وكنيته أبو خيثمة وأبو قشعم والأنثى أم قشعم ووزنه فعللوت وهى قصار الأرجل كبار العيون للواحد ثمان أرجل وست عيون فإذا أراد صيد الذباب لطأ بالأرض وسكن أطرافه وجمع نفسه ثم وثب على الذباب فلا يخطأه قال أفلاطون أحرص الأشياء الذباب وأقنع الأشياء العنكبوت فجعل الله رزق أقنع الأشياء فى أحرص الأشياء فسبحان اللطيف الخبير وهذا النوع يسمى الذباب ومنها نوع يضرب إلى الحمرة له زغب وله فى رأسه أربع إبر ينهش بها وهو لا ينسج بل يحفر بيته فى الأرض ويخرج فى الليل كسائر الهوام ومنها الرتيلاء وقد تقدم الكلام عليها فى باب الراء المهملة وقال الجاحظ ولد العنكبوت أعجب من الفروج الذى يخرج إلى الدنيا

الجزيرة وأما هذا الرجل فوجدته مراعيا للعواقب فى جميع أموره فلست أستبدل به مادام هذا تدبيره والله الموفق للصواب بمنه وكرمه

﴿فصل فى خواص الإنسان وفوائد أجزائه وهو النظر السادس﴾

أما خواصه فكثيرة (منها) النطق وهو القوة التى يعرف بها الإنسان ما فى ضمير غيره بواسطة رمز أو إشارة أو كتابة والكلام أقوى الدلالات منها (ومنها) قوة التعجب وهى التى توجب الضحك عند رؤية ما يتعجب منه وذلك من خاصة الإنسان دون غيره من سائر الحيوانات (ومنها) نبات الشعر على رأسه بخلاف سائر الحيوانات لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون شعر الحيوانات كسوتها ووقايتها من الحر والبرد وأما الإنسان فلما كانت كسوته من خارج جعل شعره على رأسه ليكون زينة ووقاية وخلق الإنسان أذعر إذ لو كان أزغب لبطل الجمال وحاسة اللمس (ومنها) الشيب فإنه لا يوجد إلا فى الإنسان وسببه أن الإنسان أضعف حرارة وأكثر رطوبة وبياض الشعر إنما يكون من بلغم متعفن ولهذا لا يوجد إلا عند تغير المزاج إلى الرطوبة فى آخر سن الكهولة

كاسبا كاسيا لأن ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد من غير تلقين ولا تعليم ويبيض ويحضن وأول ما يولد دوداً صغارا ثم يتغير ويصير عنكبوتا وتكمل صورته عند ثلاثة أيام وهو يطاول السفاد فإذا أراد الذكر الأنثى جذب بعض خيوط نسجها من الوسط فإذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى وهذا النوع من العناكب حكيم ومن حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمة ويبتدئ من الوسط وهي موضعا لما يصيده من مكان آخر كالخزانة فإذا وقع شيء فيما نسجه وتحرك عمد إليه وشبك عليه حتى يضعفه فإذا علم ضعفه حمله وذهب به إلى خزانته فإذا خرق الصيد من النسج شيئا عاد إليه ورمه والذي ينسجه لا يخرجه من جوفه بل من خارج جلده وفمه مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائما مثلث الشكل وتكون سعة بيته بحيث يغيب فيه شخصه ﴿فائدة﴾ أسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فإن تركه في البيت يورث الفقر وفي مراسيل أبي داود عن يزيد بن مزيد أن النبي ﷺ قال إن العنكبوت شيطان فاقتلوه وهو في كامل بن عدي في ترجمة مسلمة بن علي الخشني عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ولفظه أن النبي ﷺ قال العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه وهو حديث ضعيف ويزيد بن مزيد الهمداني الصنعاني الدمشقي أدرك عبادة بن الصامت وشداد بن أوس وهو القائل والله لو أن الله تعالى توعدني أن أنا عصيت أن يسجنني في الحمام لكان حريا أن لا تجف لي عين وطلبوه للقضاء فقعد يأكل في السوق فتخلص بذلك منهم وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة مجاهد أنه قال في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة أنه قال فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير فولدت جارية فقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة فقال جارية فقال أما إن هذه الجارية لا تموت حتى تبغي بمائة رجل ويتزوج بها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت فقال الأجير في نفسه فأنا والله ما أريد هذه بعد أن تبغي بمائة لأقتلنها فأخذ شفرة ودخل فشق بطن الجارية وخرج على وجهه فركب البحر فخيط بطن الصبية وعولجت فشفيت وشبت وطلعت من أجمل نساء عصرها وكانت تبغي فأتت ساحلا من سواحل البحر وأقامت هناك تبغي ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال كثير فقال لامرأة من أهل ساحل البحر ابتغي لي أجمل امرأة في القرية أتزوجها فقالت ههنا امرأة من أجمل الناس ولكنها بغي فقال ائتيني بها فأتتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا فقال إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه موقعا عظيما وأحبها حبا شديدا فبينما هو يوما عندها إذ أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته الشق في بطنها ثم قالت وقد كنت أبغي فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر قال فإنه قد قال لي يكون موتها بالعنكبوت فبنى لها برجا في الصحراء وشيده فبينما هو وإياها يوما في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف فقال هذا عنكبوت فقالت هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فأتته فوضعت إبهام رجلها عليه فشدخته فساح سمه بين أظفارها ولحمها فاسودت رجلها وماتت فأنزل الله تعالى هذه الآية أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقال أكثر المفسرين إن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أحد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج الحصون والقلاع المشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة

عند قصور الحرارة وكثرة الرطوبة فيحدث بخار متروح متعفن يتولد منه شعر أبيض (ومنها) أنه إذا لمس العضو الوجع بالكف خف وجعه وكذلك إذا أصابه ضربة أو خدشة يمسكها بكفه فيسكن في الحال (ومنها) سراية بعض الأمراض زعموا أن من أدام النظر إلى العين الرمدة ترمد عينه ومن خالط الأجرب والأبرص والمجذوم يحل به مثله (ومنها) أن الأبرص إذا مشى حافيا على الأرض لا ينبت موضع قدمه (ومنها) أن الإنسان إذا خصي يضعف بدنه بخلاف كثير من الحيوانات وينتن ريحه ويتغير رأيه وتكثر شهوة أكله وتطول عظامه وتعوج أصابعه وتقوى شهوة جماعه ويحتلم كثيرا ويطول عمره ويقل شعر بدنه ويصير صوته حادا دقيقا ومن عجيب ما يعرض للخصيان سرعة الغضب والرضا وضيق الصدر عن كتمان السر وحب اللعب بالشطرنج (ومنها) أن الأعمى يصير أكثر الناس نكاحا كما أن الخصي يصير أصح الناس إبصارا فإنهما طرفان ما نقص من أحدهما زاد في الآخرة فازداد

معناه فى قصور محصنة وقال عكرمة بجصة والمشيد الجص ويكفى العنكبوت فخرا وشرفا نسجها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار والقصة فى ذلك مشهورة فى كتب التفاسير والسير وغيرها ونسجت أيضا على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس رضى الله عنه لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلى بالعرنة فقتله ثم احتمل رأسه ودخل فى غار فنسجت عليه العنكبوت وجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فانصرفوا راجعين ثم خرج فسار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والرأس معه فلما رآه النبى ﷺ قال قد أفلح الوجه قال وجهك يارسول الله ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر فدفع إليه النبى صلى الله عليه وسلم عصا كانت بيده وقال تخطر بهذه فى الجنة فكانت عنده إلى أن حضرته الوفاة فأوصى أهله أن يدفنوها فى كفنه ففعلوا وكانت مدة غيبته ثمان عشرة ليلة وفى الحلية للحافظ أبى نعيم عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين على نبيين على داود حين كان جالوت يطلبه وعلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار وفى تاريخ الإمام الحافظ أبى القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم لما صلب عريانا فى سنة إحدى وعشرين ومائة فأقام مصلوبا أربع سنين وكانوا وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده رحمه الله وكان قد بايعه خلق كثير وحارب متولى العراق يوسف بن عمران عم الحجاج بن يوسف الثقفى فظفر به يوسف ففعل به ذلك وكان ظهوره فى أيام هشام بن عبد الملك ولما خرج أتاه طائفة كثيرة من أهل الكوفة وقالوا له تبرأ من أبى بكر وعمر حتى نبايعك فأبى فقالوا إذن نرفضك فمن ذلك سموا الرافضة وأما الزيدية فقالوا لا نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما وخرجوا مع زيد فسموا الزيدية وروى زيد عن أبيه زين العابدين وجماعة وروى له أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ﴿تتمة﴾ ذكر ابن خلكان فى ترجمة يعقوب بن جابر المنجنيقى أنه وقف بالقاهرة على كراريس من شعره ورأى فيها البيتين المشهورين المنسوبين إلى جماعة من الشعراء ولا يعرف قائلهما على الحقيقة وهما :

ألقنى فى لظى فإن أحرقتنى * فتيقن أن لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاكى لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

قال فعمل يعقوب بن صابر فى جوابهما هذه الأبيات :

أيها المدعى الفخار دع الفخـ * ـر لذى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند فى لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت
وكذاك النعام يلتقم الجمـ * ـر وما الجمر للنعام بقوت

وقد تقدم فى السمندل الإشارة إلى هذه الأبيات * وحكم العنكبوت تحريم الأكل لاستقذارها (الأمثال) قالوا أغزل من عنكبوت وقالوا أوهن من بيت العنكبوت قال الله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون فضرب الله ببيتها المثل لمن اتخذ من دونه آلهة لا تضره ولا تنفعه فكما أن بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا ولا قصد أحد إليها فكذلك ما اكتسبوه من الكفر واتخذوه من الأصنام لا يدفع عنهم غدا شيئا والعالمون كل

العميان أما قوة الفهم أو الحفظ أو النكاح (ومنها) أن الحائض إذا كشفت عن سرتها انقشع السحاب وإذا استلقت فى أرض يخاف عليها البرد سلمت من ضرره وإذا دنت من الرياض والأشجار فسدت وإذا مرت فى المقثأة تصير القثاء مرة وإذا نظرت فى المرآة تكدرت وإذا وطئها الرجل يصير بليدا وينقص من نشاطه وطراوته وحسنه وإذا مست المصروع سكن صرعه وإذا وطئت سلخ الحية ماتت تلك الحية وإذا رعت الغنم لم يقربها الذئب ولو دنا منها يوجع بطنه وخرقة حيضها إذا شدت على مؤخر السفينة تأمن من الرياح المخالفة (ومنها) أن صاحبة الطلق إذا لبس قميصها من به حمى الربع قبل أن يغسل تزول عنه

﴿فصل فى فوائد أجزاء الإنسان﴾

شعره يدخن به ينفع من النسيان ويغلى على النار ثم يطلى به رجل المنقرس يزول وجعه وشعر المرأة إذا وقع فى الماء الملح المكشوف للشمس يصير حية وجمجمة الإنسان إذا كانت نخرة تجعل فى برج الحمام يكثر فيه ويألفه وإذا وقعت فى أرض يهرب عنها البق دماغه يسقى للملسوع أو يجعل على الموضع قدر حبتين أخرج السم من الموضع ودمع

من عقل عن الله عز وجل وعمل بطاعته وانتهى عن معصيته فهم يعقلون صحة هذه الامثال وحسنها وفائدتها وكان جهلة قريش يقولون إن رب محمد يضرب الامثال بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا أن الامثال تبرز المعانى الخفية فى الصور الجلية (الخواص) إذا وضع نسج العنكبوت على الجراحات الطرية فى ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم إذا وضع عليه وإذا دلكت الفضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذى ينسج على الكنيف إذا علق على المحموم يبرأ بإذن الله تعالى وإن لفت فى خرقة وعلق على صاحب حمى الربع نفعه وأذهبها وكذلك إذا سحق العنكبوت وهو حى ومرخ به صاحب الحميات أذهبها وإذا بخر البيت بورق الآس الرطب هرب منه العنكبوت قاله صاحب عين الخواص (العبير) العكبوت فى المثل رجل قريب العهد بالزهد وقيل العنكبوت امرأة ملعونة تهجر فراش زوجها وبيت العنكبوت ونسجها وهن فى الدين للآية الكريمة المتقدم ذكرها فى الامثال وقيل العنكبوت فى الرؤيا نساج فمن نازع العنكبوت نازع رجلا نساجا أو امرأة والله أعلم ﴿العود﴾ المسن من الإبل وهو الذى قد جاوز فى السن البازل والخلف وجمعه عودة والناقة عودة ويقال فى المثل زاحم بعود أودع أى استعن على أمرك بأهل السن وأهل المعرفة فإن رأى الشيخ المسن خير من رأى الغلام ومعرفته والعود المطافيل تقدم ذكرها فى أول باب فى لفظ عائد قال الجوهرى يقال لها ذلك إذا ولدت لعشرت أيام أو خمسة عشر يوما ثم هى مطفل بعد والجمع مطافيل ومطافل ﴿العواساء﴾ بفتح العين ممدود الحامل من الخنافس حكاه أبو عبيدة ﴿العوس﴾ بالضم ضرب من الغنم يقال كبش عوسى ﴿العومة﴾ بالضم دويبة تسبح فى الماء كأنها فص اسود مدملكة والجمع عوم قاله الجوهرى ﴿العوهق﴾ الخطاف الجبلى ويقال للغرائب الأسود ويقال البعير الأسود الجسم العوهق الطويل يستوى فيه الذكر والأنثى ﴿العلا﴾ القطا وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف ﴿العلام﴾ الباشق وقد تقدم ذكره فى باب الباء ﴿العيثوم﴾ الضبع حكاه الجوهرى عن أبى عبيدة وقال غيره العيثوم أنثى الفيل ﴿العير﴾ الحمار الوحشى والاهلى أيضا والجمع أعيار ومعيوراء وعيور روى ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد الله السلمى ان النبى ﷺ قال إذا أتى أحدكم أهله فليستتر ولا يتجردا تجرد العيرين كما رواه البزار من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه والطبرانى من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه وروى النسائى فى عشرة النساء من حديث عبد الله ابن سرجس أن النبى ﷺ قال إذا أتى أحدكم أهله فليلق على نفسه ثوبا ولا يتجردا تجرد العيرين وروى أبو منصور الديلمى من حديث أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا يقعن أحدكم على أهله كما يقع الحمار وليكن بينهما رسول قالوا وما الرسول قال القبلة والكلام اللين (وفى الحديث) إذا أراد الله بعبد سوءا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافيه يوم القيامة كأنه عير شبه لعظم ذنوبه بالحمار الوحشى وقيل أراد الجبل الذى بالمدينة إسمه عير وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرهه فكان يضرب به المثل فى المكروهات غالبا وعير العين جفنها قال الشاعر:

زعموا أن كل من ضرب العـ ... ـير موال لنا وإنى الولاء

قال أبو عمرو بن العلاء ذهب من كان يعرف معنى هذا البيت ﴿فائدة﴾ روى أن خالد بن سنان العبسى لما حضرته الوفاة قال لقومه إذا أنا دفنت فإنه سيجئ عانة من حمير يقدمها عير فيضرب قبرى بحافره فإذا أنتم رأيتم ذلك فانبشوا عنى فإنى سأخرج فأخبركم بعلم الاولين والآخرين فلما مات واتفق ما قاله لقومه

الإنسان إذا كان من الفرح وهو بارد يجمع ويعطى للحزين يحول حزنه وإن عطى للمصروع يزول صرعه وإن كان من حزين يجمع ويعطى إنسانا يبكى بكاء شديدا ريقة سم للعقرب ذكر جالينوس أن ههنا رجلا يرقى العقارب فتموت فأحصره وأحضر غذاء وأكل معه ثم أحضر عقربا فرقى وتفل عليها فلم يظهر بها شىء فعلم أن تلك الخاصة للعاب على الريق ريق الصائم يبل به المغناطيس تبطل قوته فلا يجذب الحديد أول سن تقع من الصبى يحفظ كيلا تقع على الأرض وتتخذ لها عروة من الفضة وتعلق على المرأة لا تحبل وزعم بعضهم أن السن التى تقع من الألم يوم السبت أول الشهر إذا جعلت تحت رأس من يغط فى نومه فإنه لا يغط وسن الصبى تدق ناعما وتجعل على نهش الحيات تنفع نفعا بينا سن الميت تعلق على من به رجع السن يسكن ألمه عظم الميت يعلق على صاحب الحمى الربع تزول حماه وتشد على رجل المنقرس تنفعه ويسحق وينفخ فى دماغ السكران يبطل سكره ومن غلب عليه السهر فإن كان رجلا ينفخ فى دماغه سحاقة عظم المرأة الميتة فإنه ينام وأن كانت امرأة نفخ فى

أرادوا أن يخرجوه فكره ذلك بعض ولده وقالوا إنا نخاف أن ينسب إلينا أنا نبشنا قبر أبينا ولو فعلوا لخرج إليهم وأخبرهم لكن أراد الله غير ذلك وقد تقدم أن ابنته أتت النبي ﷺ فبسط لها رداءه وقال لها أهلا ببنت خير نبي أو نحو ذلك وروى أنها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ قل هو الله أحد فقالت كأن أبي يقرأ هذا وروى أن النبي ﷺ قال ذاك نبي أضاعه قومه وقال الشاعر يهجو رجلا :

لو كنت سيفا كنت غير غضب ... أو كنت ماء كنت غير عذب
أو كنت لحما كنت لحم كلب ... أو كنت عيرا كنت غير ندب

أى غير صريع فى الحاجات ( الامثال ) قالت العرب معيوراء تكادم الاعيار جمع عير والتكادم التعارض يضرب مثلا للسفهاء تتهارش وقالوا نجى عيرا سمنه قال أبو زيد زعموا أن حمرا كانت هزالا فهلكت فى جدب ونجا منها حمار كان سمينا فضرب به المثل فى الحزم قبل وقوع الامر أى اج قبل أن لا تقدر على ذلك ويضرب أيضا لمن خلصه ماله من مكروه وقالت العرب قد حيل بين العير والنزوان يضرب لمن أيس منه قال الشاعر :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

وذكر ابن خلكان فى ترجمة أبى أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى من ذلك شيئا ينبغى الوقوف عليه قال كان الصاحب بن عباد يود الاجتماع بأبى أحمد العسكرى ولا يجد إليه سبيلا فقال لخدومه مؤيدا لدولة بن بويه أن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها واحتاج إلى أن أكشفها بنفسى فأذن له فى ذلك فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره فكتب الصاحب إليه .

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ... ضعفنا فلم نقدر على الوخدان
أتيناكم من بعض أرض نزوركم ... وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم ... بملء جفون لا بملء جفان

وكتب مع هذه الابيات شيئا من النثر فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله وعن هذه الابيات بالبيت المشهور وهو :

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له وقال والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروى وهذا البيت لصخر أخى الخنساء وهو من جملة أبيات مشهورة وكان صخر المذكور قد حضر محاربة بنى أسد فطعنه ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل بعض حلقات الدرع فى جنبه وبقى مدة حول فى أشد ما يكون من المرض وأمه وزوجته سليمى يمرضانه فضجرت زوجته منه فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله فقالت لا هو حى فيرجى ولا ميت فينسى فسمعها صخر فأنشد:

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان

دماغها سحاقة عظم الرجل الميت فإنها تسام عظم الإنسان يحرق ويسقى من الصرع قال جالينوس رأيت إنسانا يسقى الناس به فتبرأ سرة الإنسان المقطوعة حال ولادته يجعل شىء منها تحت فص زبرجد من تختم به أمن من القولنج قلفة الصبى تجفف وتدق ويخلط معها شىء من المسك ويسقى من به ابتداء الجذام يقف ولا يزيد خصيته إذا علقت فى خشبة وغرزت فى وسط الزرع لا يقربه الجراد وكذلك لو جعل فى بستان ولو أكل خصية الإنسان كلب أو سنور أصابه الجنون ولو جففت وسحقت واكتحل بها الأجهر يزول عنه ولو أكل منها الخصى يحتلم زعموا أن قلامة أظفار الإنسان كلها إذا أحرقت وسقيت إنسانا يحبه حبا شديدا بشرط أنه لا يعلم قال أنه مجرب دمه يخلط بالماء ويطلى به بدن اللديغ يسكن وجعه إذا رعف الإنسان فكتب اسمه بدمه على خرقة ووضعها نصب عينيه انقطع دمه دم الحيض يطلى به عضة الكلب الكلب يبرئه وكذلك من البهق والبرص وإذا طليت العين به من خارج سكن وجعها دم حيض البكر ينفع من بياض العين

وقالوا كل شواء العير جوفان قيل اجتمع فزارى وثعلبى وكلبى فى سفر فاشتووا حمارا وحشيا فغاب الفزارى فى بعض حاجاته فأكل صاحباه العير واختبآ له غرموله فلما جاء قدماه له وقالا هذا قد اختبأناه لك فجعل يأكل ولايسيغه فضحكا منه فاخترط سيفه وقال لأقتلنكما إن لم تأكلاه فأنى أحدهما فضربه بالسيف فأبان رأسه وكان اسمه مرقمة فقال صاحبه طاح مرقمة فقال الفزارى وأنت إن لم تلقمه أراد إن لم تلقمها طرحت رأسك وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة فى ذلك:

لاتأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار
لاتأمننه ولا تأمن بوائقه * بعد الذى امتل أير العير بالنار
أطعمتم الضيف جوفانا مخالفة * فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

وقالوا أذل من عير قيل المراد به الوتد لأنه يشج رأسه أبدا وقيل المراد به الحمار وقال الشاعر:

ولا يقيم على خسف يراد به * إلا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقال خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه عند موته لقيت كذا وكذا زحفا ومافى جسدى موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ثم ها أنا أموت حتف أنفى كما يموت العير لا نامت أعين الجبناء ﴿العير﴾ بالكسر الإبل التى تحمل الميرة ويجوز أن تجمعه على عيرات وفى الحديث أنهم كانوا يترصدون عيرات قريش ﴿فائدة﴾ قال الله تعالى «واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها» قال ابن عطية القرية مصر قاله ابن عباس وغيره وهو مجاز والمراد أهلها وكذلك قوله والعير هذا قول الجمهور وهو الصحيح وحكى أبو المعالى فى التلخيص عن بعض المتكلمين أنه قال هذا من الحذف وليس من المجاز قال وإنما المجاز لفظة تستعار لغير ماهى له وحذف المضاف هو غير المجاز هذا مذهب سيبويه وغيره من أهل النظر وليس كل حذف مجازا ورجح أبو المعالى فى هذه الآية أنه مجاز وحكى أنه قول الجمهور أونحو هذه وقالت فرقة بل أحالوه على سؤال الجمادات والبهائم حقيقة من حيث هو نبى فلا يبعد أن تخبره بالحقيقة قال وهذا وإن جوز فبعيد ﴿فائدة أخرى﴾ أول من قال لافى العير ولا فى النفير أبو سفيان بن حرب وذلك أنه لما أقبل بعير قريش وكان النبى ﷺ حين انصرافهما من الشأم فندب المسلمين للخروج معه وأقبل أبو سفيان حتى دنا من المدينة وقد خاف خوفا شديدا فقال للجد بن عمرو وهل أحسست بأحد من أصحاب محمد فقال مارأيت أحدا أذكره إلا راكبين أتيا إلى هذا المكان وأشار إلى مكان عديا وبسيساعيني رسول الله ﷺ فأخذ أبو سفيان أبعارا من أبعار بعيريهما وفركها فإذا فيها نوى فقال علائف يثرب هذه عيون محمد فضرب وجوه عيره عن يسار بدر وقد كان بعث إلى قريش يخبرهم بما يخافه من النبى ﷺ فأقبلت قريش من مكة فأرسل إليهم أبو سفيان يخبرهم أنه قد أحرز العير ويأمرهم بالرجوع فأبت قريش أن ترجع ومضت إلى بدر ورجع بنو زهرة منصرفين إلى مكة فصادفهم أبو سفيان فقال يابنى زهرة لافى العير ولا فى النفير قالوا أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع ومضت قريش إلى بدر فأظهر الله نبيه ﷺ عليهم ولم يشهد بدرا من بنى زهرة أحد قال الأصمعى يضرب هذا المثل للرجل يحط أمره ويصغر قدره والله تعالى أعلم ﴿عير السراة﴾ طائر كهيئة الحمامة ﴿العيس﴾ بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شىء من الشقرة واحدها أعيس والأنثى عيساء ويقال هى كرام الإبل وما أحسن قول الأول:

والقوباء يزيلها وإذا خلط به زهر الغيرا أو جفف وأعطى امرأة عشقته عشقا مبرحا عرقه إذا ترشح فى الحمام يطلى به الدماميل ينضجها عرق المصارعين يطلى به ثدى المرأة التى انعقد اللبن من ثديها يزول وجعها عرق النساء يطلى به الجرب ينفعه لبن النساء يشرب مع شىء من العسل يفتت الحجر من المثانة لبن الجارية يداف بشىء من الزعفران أو حب السفرجل ويقطر فى الأذن قليلا قليلا يسكن وجعها بوله يغلى ويطلى به رجل المنقرس يزول وجعها وإذا شرب ينفع من نهش الأفاعى والأدوية القتالة بول الصبى الذى لم يحتلم يطبخ فى إناء نحاس مع العسل جلاء للبياض العارض فى العين ويشرب منه صاحب اليرقان ماء مقداره رطل بحيث لايدرى يزول عنه ذلك بول من لم يبلغ عشرين إذا شربه صاحب البرص برئ منه ويطلى به الجرب المتقرح والحكة والقوباء يمنعها من أن تسعى قال ابن سينا بول الإنسان مع رماد الكرم يوضع على موضع النزف يقف وينفع من نهش الأفاعى شربا وقال أيضا أمر إنسان مطحول

ومن العجائب والعجائب جمة * فرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما * والماء فوق ظهورها محمول

وفى حديث سواد بن قارب وشدت العيس بأحلاسها ﴿العيساء﴾ بفتح العين الأنثى من الجراد وقد تقدم ما فى الجراد فى باب الجيم ﴿العيلام﴾ والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع وفى الحديث أن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر والعيلام ذكر الضباع والياء والألف زائدتان قاله فى نهاية الغريب ﴿العيشوم﴾ الضبع عن أبى عبيدة وقد تقدم قبل ذلك بورقة وقاله الغنوى والعيشوم الأنثى من الفيلة وأنشد الأخطل :

تركوا أسامة فى اللقاء كأنما * وطئت عليه بخفها العيشوم

﴿العين﴾ من الألفاظ المشتركة قال بعض أهل اللغة ممن تكلم على الألفاظ المشتركة أن العين طائر أصفر البطن والظهر فى حد القمرى ﴿العيهل﴾ الناقة السريعة قال أبو حاتم ولا يقال جمل عيهل ﴿عيجوف﴾ كحيزبون اسم النملة المذكورة فى القرآن وسيأتى إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء فى اسمها فى باب النون فى لفظ النمل ﴿ابن عرس﴾ وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب وهى دابة تسمى بالفارسية راسوا وهى بكسر العين وإسكان الراء المهملتين تجمع على بنات عرس وبنى عرس حكاه الأخفش قال القزوينى هو حيوان دقيق يعادى الفأر يدخل جحره ويخرجه ويعادى التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها ويخرج ويعادى الحية أيضا ويقتلها وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه * وحكى أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق لها مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها بها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة قطع ابن عرس الورقة التى عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التى كانت تحت الشجرة * وقال عبد اللطيف البغدادى وأظنه الحيوان المسمى بالدلق وإنما يختلف لونه ووبره بحسب البلاد قال فى طبعه إنه يسرق ما وجد من فضة وذهب كما يفعل الفأر وربما عادى الفأر فقتله ولكن خوف الفأر من السنور أشد من خوفه منه قال وهو كثير الوجود فى منازل أهل مصر قال وقد حكى من فطنته أن رجلا صاد فرخا منها وحبسه فى قفص بحيث تراه أمه فلما رأته ذهبت ثم جاءت وفى فمها دينار فألقته بين يديه كأنها تفتدى ولدها فلم يتركه لها فذهبت وعادت بدينار آخر حتى كمل العدد خمسا فلما رأت أنه لا يطلقه ذهبت وعادت بخرقة كأنها تشير إلى فراغ حاصلها فلم يكترث بها فلما رأت ذلك منه عادت إلى دينار منها لتأخذه فخشى الرجل من ذلك فأطلق لها ولدها وقد تقدم فى باب الجيم فى الجرذ حديث ضباعة بنت الزبير أن المقداد بن الأسود ذهب يقضى حاجته فإذا جرذ يخرج من جحره دينارا ثم دينارا ثم لم يزل كذلك إلى أن أخرج سبعة عشر دينارا ثم أخرج خرقة حمراء قد بقى فيها دينارا واحدا فكانت ثمانية عشر فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وقال خذ صدقتها فقال عليه الصلاة والسلام هل هويت إلى الجحر بيدك فقال لا فقال له عليه الصلاة والسلام بارك الله لك فيها قال الجاحظ ابن عرس نوع من الفأر وأنشد قول الشمقمق :

نزلت الفارات بيتى * رفقة من بعد رفقه

فى النوم يشرب من بوله كل يوم ثلاث حفنات ففعل فعوفى وجرب فوجد عجيبا رجيعه فى الصبا يكتحل به يزيل بياض العين قال بليناس يضاف شىء منه مع خل خمر ويسقى من به القولنج العسر فإنه يطلق ومن لسعته الرتيلا يسقى منه ويجعل فى تنور حتى يعرق عرقا كثيرا فإنه ينجو من الموت ويؤخذ الرجيع من بيت الزنبور ويحرقان ويطلى به الجرب فى الحمام ثلاثة أيام فإنه يزول وإن اكتحل به أياما يزول جرب العين وإذا جفف الرجيع وسحق وعجن بالعسل ويطلى به ينفع من الخوانيق ويزيلها وكذلك شربها ينفع أيضا لمن أصابه سهم مسموم حيات بطن الإنسان تجفف وتسحق ويكتحل بها يذهب بياض العين والله الموفق للصواب

(النوع الثانى) من الحيوان زعموا أن الجن حيوان نارى مشف الجرم من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة واختلف الناس فى وجود الجن فمنهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين مردة الإنس وهم قوم من المعتزلة ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار وخلق الجن من لهبها والشياطين من دخانها وإن هذه الأنواع لا يراها الناظر وأنها تتشكل بما شاءت من الأشكال

ثم قال: وابن عرس رأس بيتى صاعدا فى رأس طبقه

ثم قال يصفه: صبغة أبصرت منها فى سواد العين زرقه

مثل هذا فى ابن عرس أغبش تعلوه بلقه

فوصفه بكونه أغبش أبلق وأنه من الفأر وهو أنواع ثلاثة عشر ستأتى فى أماكنها إن شاء الله تعالى وقال أرسطاطاليس فى نعوت الحيوان والتوحيد فى الامتناع والمؤانسة أن الأنثى من بنات عرس تلقح من أفواهها وتلد من أذنابها وقال فى كفاية المتحفظ ابن عرس هو السرعوب ويقال له النمس وهو غلط والذى قبله قريب منه والجمع بينه وبين كلام الجاحظ عسر لأن النمس ليس من جنس الفأر والصواب ماقاله الجاحظ من أنه نوع من الفأر وقال الشيخ قطب الدين السنباطى بنات عرس هى هذه التى فى بيوت مصر وفيما قاله قصور فإن بنات عرس أنواع كما يأتى عن الرافعى قريبا (الحكم) قيل يحرم أكله لأنه كالفأر والمشهور حله بل قال فى شرح المهذب يحل بلا خلاف وفيه وجه حكاه الماوردى أنه يحرم وحكى فى الشرح الصغير الوجهين وقال الأظهر الحل وهذه المسئلة ساقطة من الشرح الكبير والروضة والأشبه أنه من صنيع النساخ وإلا فكلام الشرح لا يستقيم إلا بذكرها ولذلك كتبها فيه كما فى الشرح الصغير الشيخ عز الدين النشائى على حاشية نسخته وقال الرافعى فى كتاب الحج إن بنات عرس أنواع والغزالى قال إنه يشبه الثعلب وكلام الغزالى يقتضى أن ابن عرس هو النمس لأنه يشبه الثعلب بأسنانه وطول ذنبه وإن كان أصغر منه جثة وقال القاضى أبو الطيب لا أعلم خلافا بين الأصحاب فى حل ابن عرس لأنه لا يتقوى بنابه وكذا ذكر صاحب البحر والمشهور الحل كما فى الشرح الصغير والمختصرات المشهورة كالتنبيه والوجيز والحاوى الصغير (الخواص) دماغه يكتحل به فينفع من ظلمة العين وإن جفف وشرب بخل نفع من الصرع ولحمه يستعمل ضمادا لوجع المفاصل وشحمه يطلى به السن تقع سريعا ومرارته إن شربت وهى حارة قتلت من وقتها ودمه يطلى به الخنازير يحللها وإن خلط دمه بدم الفأر ومزج بماء ورش فى بيت وقعت الخصومة بين أهله وإن دفن ابن عرس وفأرة فى بيت فعل كما يفعل الدم وزبله يجعل على الجراحات يقطع الدم وإن أخذ كفاه وعلقتا على امرأة لم تحبل مادام ذلك عليها والله تعالى أعلم (وهو فى الرؤيا) يدل على الزواج للأعزب بامرأة صبية والله تعالى أعلم ﴿أم عجلان﴾ طائر قاله الجوهرى وقال ابن الأثير طائر أسود يقال له قوبع وقيل طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه يقال له الفتاح ﴿أم عزة﴾ الظبية وعزة ابنتها ﴿أم عويف﴾ دويبة صغيرة ضخمة الرأس مخضرة لها ذنب طويل وأربعة أجنحة إذا رأت الإنسان قامت على ذنبها ونشرت أجنحتها وهى لا تطير ويقال لها ناشرة برديها يلعب بها الصبيان ويقولون لها:

أم عويف انشرى برديك ثمت طيرى بين صحراويك

إن الأمير خاطب بنتيك بجيشه وناظر إليك

كذا قاله فى المرصع وهذه تشبه أن تكون أم حبين المتقدمة فى باب الحاء المهملة ﴿أم العيزار﴾ السبيطر ووقع فى المهذب فى باب الهدنة أن عاقر ناقة صالح اسمه العيزار بن سالف وهو تصحيف بلا خلاف وإنما عاقر الناقة اسمه قدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ والقصص والأسماء وأهل اللغة كالجوهرى وغيره ونبه عليه النووى رحمه الله تعالى.

الصلاة والسلام كانوا سكان الأرض وكانوا قد طبقوا الأرض برا وبحرا وسهلا وجبلا وكثرت نعم الله تعالى عليهم فكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها وأكثرت فى الأرض الفساد فأرسل الله تعالى عليهم جندا من الملائكة فسكنت الأرض وطردت الجن إلى أطراف الجزائر وأسرت منها كثيرا وكان ممن أسر عزازيل وجرى بينهم قتال وكان عزازيل إذ ذاك صبيا نشأ مع الملائكة وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم وطالت أيامه حتى صار رئيسا فيهم وبقى الأمر على ذلك زمانا طويلا حتى جرى بينه وبين آدم ماجرى كما قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس وقال تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه قال مجاهد لإبليس خمسة من الأولاد وقد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره فذكر أن أسماءهم بيره والأعور ومسوط وداسم وزلنبور أما بيره فصاحب المصائب يأمر بالثبور وشق الجيوب

﴿ باب الغين المعجمة ﴾

﴿الغاق﴾ والغاقة نوع من طير الماء المعروف مشهور ﴿الغداف﴾ غراب القيظ وجمعه غدفان بكسر الغين المعجمة وربما سموا النسر الكثير الريش غدافا وكذلك الشعر الأسود الطويل وقال ابن فارس الغداف هو الغراب الضخم وقال العبدرى وغيره من أئمة أصحابنا هو غراب صغير أسود لونه كلون الرماد (الحكم) أباح الشعبي أكل الغراب الأسود الكبير الذى يأكل الحبوب والزرع فأشبه الحجل وقال أبو حنيفة الغربان كلها حلال وروى هشام بن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت إنى لأعجب ممن يأكل الغراب وقد أذن النبي ﷺ فى قتله للمحرم وسماه فاسقا والله ما هو من الطيبات وأما مذهب الشافعى فحاصل ما فى الروضة ان الغداف يحرم أكله والذى فى الرافعى أنه حلال وهذا هو المعتمد فى الفتوى كما نبه عليه شيخنا فى المهمات (الخواص) قال القزوينى إذا أخذت شحم الغداف مع دهن ورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حاجتك ﴿الغذى﴾ السخلة والجمع غذاء مثل فصيل وفصال ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لعامل الصدقة احتسب عليهم بالغذاء ولا تأخذها منهم وأنشد الأصمعى :

لو أننى كنت من عاد ومن إرم * غذى بهم ولقمانا وذا جدن

ورواه خلف الأحمر غذى بالتصغير حكاه الجوهرى وغيره ﴿الغراب﴾ معروف وسمى بذلك لسواده ومنه قوله وغرابيب سود وهما لفظان بمعنى واحد ومن أحاديث راشد بن سعد أن النبي ﷺ قال إن الله تعالى يبغض الشيخ الغربيب فسره راشد بن سعد بالذى يخضب بالسواد وجمعه غربان وأغربة وأغرب وغرابين وغرب وقد جمعها ابن مالك فى قوله :

بالغرب أجمع غرابا ثم أغربة * وأغرب وغرابين وغربان

وكنيته أبو حاتم وأبو جحادف وأبو الجراح وأبو حذر وأبو زيدان وأبو زاجر وأبو الشؤم وأبو غياث وأبو القعقاع وأبو المرقال قال الشاعر :

ان الغراب وكان يمشى مشية * فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها * فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها * فلذاك سموه أبا المرقال

ويقال له ابن الأبرص وابن بريح وابن دأية وهو أصناف الغداف والزاغ والأكل وغراب الزرع والأورق وهذا الصنف يحكى جميع ما يسمعه والغراب الأعصم عزيز الوجود قالت العرب أعز من الغراب الأعصم وقال ﷺ مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الأعصم فى مائة غراب رواه الطبرانى من حديث أبى أمامة وفى رواية ابن أبى شيبة قيل يارسول الله وما الغراب الأعصم قال الذى إحدى رجليه بيضاء وروى الإمام أحمد والحاكم فى مستدركه عن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين فقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان وإسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى للنسائى قال فى الإحياء الأعصم أبيض البطن وقال غيره الأعصم أبيض الجناحين وقيل أبيض الرجلين أراد عليه الصلاة والسلام قلة الصالحة فى النساء وقلة من يدخل الجنة منهن لأن هذا الوصف فى الغربان عزيز قليل وفى وصية لقمان لابنه يابنى اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار

وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه فى أعينهم وأما مسوط فصاحب الكذب وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزال أهل السوق متخاصمين (وعن) أبى أمامة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال يارب أنزلتنى وجعلتنى رجيما فاجعل بيتا قال الحمام قال فاجعل لى مجلسا قال الأسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لى طعاما قال مالم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لى شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لى مؤذنا قال المزامير قال فاجعل لى قرآنا قال الشعر قال فاجعل لى خطا قال الوشم قال فاجعل لى حديثا قال الكذب قال فاجعل لى مصائد قال النساء (فصل فى عجائب من مكايد الشيطان) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال كان راهب فى بنى إسرائيل اسمه برصيصا مستجاب الدعوة فأخذ الشيطان جارية فخنقها وألقى فى قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب فحملوها اليه فأبى أن يقبلها فمازالوا به حتى قبلها وكانت عنده ليعالجها فأتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الآن

النساء فإنهن لا يدعون إلى خير وكن من خيارهن على حذر وقال الحسن والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار وقال عمر رضي الله تعالى عنه خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة وقد قيل شاوروهن وخالفوهن وفي السيرة في قصة حفر زمزم لما رأى عبد المطلب قائلا يقول له احفر طيبة قال وما طيبة قال زمزم قال وما علامتها قال بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم قال السهيلي في ذلك إشارة إلى أن الذي يهدم الكعبة صفته كصفة الغراب وهو ذو السويقتين روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كأني به أسود أفحج يقلعها حجرا حجرا وفي حديث حذيفة الطويل كأني بحبشي أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها حتى يرموا بها إلى البحر يعني الكعبة ذكره أبو الفرج بن الجوزي وذكر الحليمي أن هذا يكون في زمن عيسى عليه السلام وفي الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة (وغراب الليل) قال الجاحظ هو غراب ترك أخلاق الغربان وتشبه بأخلاق البوم فهو من طير الليل وسمعت بعض الثقات يقول إن هذا الغراب يشاهد كثيرا في الليل وقال أرسطاطاليس في النعوت الغربان أربعة أجناس أسود حالك وأبلق ومطرف ببياض لطيف الجرم يأكل الحب وأسود طاوسي براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ وفي الغراب كله الاستتار عند السفاد وهو يسفد مواجهة ولا يعود إلى الأنثى بعد ذلك لقلة وفائه والأنثى تبيض أربع بيضات وخمسا وإذا خرجت الفراخ من البيض طردتها لأنها تخرج قبيحة المنظر جدا إذ تكون صغار الأجرام كبيرة الرؤس والمناقير جرداء اللون متفاوتة الأعضاء فالأبوان ينظران الفرخ كذلك فيتركانه فيجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشه إلى أن يقوى وينبت ريشه فيعود إليه أبواه وعلى الأنثى أن تحضن وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم وفي طبعه أنه لا يتعاطى الصيد بل إن وجد جيفة أكل منها وإلا مات جوعا ويتقممهم كما يتقمقم ضعاف الطير وفيه حذر شديد وتنافر والغداف يقاتل البوم ويخطف بيضها ويأكله ومن عجيب أمره أن الإنسان إذا أراد أن يأخذ فراخه يحمل الذكر والأنثى في أرجلهما حجارة ويتحلقان الجو ويطرحان الحجارة عليه يريدان بذلك دفعه قال الجاحظ قال صاحب منطق الطير الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ومن شأنه أكل الجيف والقمامات وهو إما حالك السواد شديد الاحتراق ويكون مثله في الناس الزنج فإنهم شرار الخلق تركيبا ومزاجا كمن بردت بلاده ولم تنضجه الأرحام أو تخنت بلاده فأحرقته الأرحام وإنما صارت عقول أهل بابل فوق العقول وكمالهم فوق الكمال لأجل ما فيها من الاعتدال فالغراب الشديد السواد ليس له معرفة ولا كمال والغراب الأبقع كثير المعرفة وهو ألام من الأسود انتهى * والعرب تتشاءم بالغراب ولذا اشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب ﴿ فائدة أجنبية ﴾ اسم الغربة مجموع من أسماء دالة على حصول اسم الغربة فالغين من غدر وغرور وغيبة وغم وغلة وهي حرارة الحزن وغرة وغول وهي كل مهلكة والراء من رزء وردع وردى وهو الهلاك والباء من بلوى وبؤس وبرح وهو الداهية وبوار وهو الهلاك والهاء من هوان وهول وهم وهلك قاله محمد بن ظفر في السلوان وغراب البين الأبقع قال الجوهري هو الذي فيه سواد وبياض وقال صاحب المجالسة سمي غراب البين لأنه بان عن نوح على نبينا وعليه

يأتيها أهلها فتفتضح فاقتلها وقل لهم ماتت فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها وأخبرهم أنه أحبلها وقتلها ودفنها فأتاه أهلها وأرادوا قتله فأتاه الشيطان وقال له أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنجح وتنج واسجد لي سجدتين ففعل فقتل على الكفر قال تعالى ﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ﴾ (ومنها) ما روي عن عيسى عليه السلام أنه لما رفع كان له تلامذة يدعون الناس إلى التوحيد وأكبرهم أربع نفر مرقس وهو أصغرهم سنا ومحسن وهو أعبدهم ومنبوس وهو أوسطهم ويوقاس وهو أسنهم فبنى كل واحد منهم صومعة يعبد الله تعالى فيها فجاء الشيطان إلى مرقس وبيده سراج فقال له من أنت قال أنا رسول المسيح إليك وإلى أصحابك يقول ويلكم أنتم عرفتم أني كنت أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى ومن كان كذلك يكون إلها فكيف تنسبوني إلى العبودية فنزل عن صومعته ودخل على محسن وأخبره بما سمع من الشيطان فقاما إلى صومعة منبوس وذكر له ما كان من الشيطان فقال منبوس كانت نفسي تحدثني بذلك غير أني كنت أكذبها فقاموا

إلى صومعة يوقاس وحدثوه بذلك فقال لهم إن عيسى ثالث ثلاثة فدعوا الناس إلى ذلك فضلوا وأضلوا لعنهم الله (ومنها) ماذكر فى الإسرائيليات أن عابداً سمع أن قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فقام بالفأس لقطع الشجرة فلقيه إبليس لعنه الله فى صورة شيخ فقال له وأى شىء تريد يرحمك الله فقال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله فقال له ما أنت وذاك تركت عبادتك وتفرغت لهذا فالقوم إن قطعتها يعبدون غيرها فقال العابد لابد لى من قطعها فقال إبليس أنا أمنعك عن قطعها فقاتله العابد وضربه على الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس أطلقنى حتى أكلمك فأطلقه فقال له ياهذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هذا وله فى الأرض عباد لو شاء أمرهم بقطعها فقال له العابد لابد لى من قطعها فنابذه للقتال فغلبه العابد مرة أخرى وصرعه فقال له إبليس لعنه الله هل لك أن تجعل بينى وبينك أمرا هو خير لك من هذا الحال فقال له العابد وما هو فقال له أنت رجل فقير فلعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وجيرانك وتستغنى عن الناس فقال نعم فقال ارجع عن ذلك ولك على أن أجعل تحت رأسك كل

أفضل الصلاة والسلام لما وجهه لينظر إلى الماء فذهب ولم يرجع ولذلك تشاءموا به وذكر ابن قتيبة أنه سمى فاسقا فيما أرى ليخلفه حين أرسله نوح عليه السلام ليأتيه بخبر الأرض فترك أمره ووقع على جيفة قال عنترة :

ظعن الذين فراقهم أتوقع ... وجرى بينهم الغراب الأبقع

وقال صاحب منطق الطير الغربان جنس من الأجناس التى أمر بقتلها فى الحل والحرم من الفواسق اشتق لها ذلك الاسم من اسم إبليس لما يتعاطاها من الفساد الذى هو شأن إبليس واشتق ذلك أيضا لكل شىء اشتد أذاه وأصل الفسق الخروج عن الشىء وفى الشرع الخروج عن الطاعة انتهى قال الجاحظ غراب البين نوعان أحدهما غراب صغير معروف باللؤم والضعف وأما الآخر فإنه ينزل فى دور الناس ويقع على مواضع إقامتهم إذا ارتحلوا عنها وبانوا منها قال وكل غراب غراب البين إذا أرادوا به الشؤم لاغراب البين نفسه الذى هو غراب صغير أبقع وإنما قيل لكل غراب غراب البين لأنه يسقط فى منازلهم إذا ساروا منها وبانوا عنها فلما كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينونتهم عن منازلهم اشتقوا له هذا الاسم من البينونة وقال المقدسى فى كشف الأسرار فى حكم الطيور والأزهار فى صفة غراب البين هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب وينعق بين الخلان والأحباب إذا رأى شملا مجتمعا أنذر بشتاته وإن شاهد ربعا عامراً بشر بخرابه ودروس عرصاته يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ويحذر الآكل غصة المآكل ويبشر الراحل بقرب المراحل ينعق بصوت فيه تحزين كما يصيح المعلن بالتأذين وأنشد على لسان حاله :

أنوح على ذهاب العمر منى * وحق أن أنوح وأن أنادى * وأندب كلما عاينت ركبا
حدابهمولوشك البين حادى * يعنفنى الجهول إذا رآنى * وقد ألبست أثواب الحداد
فقلت له اتعظ بلسان حالى * فإنى قد نصحتك باجتهاد * وهاأنا كالخطيب وليس بدعا
على الخطباء أثواب السواد * ألم ترنى إذا عاينت ركبا * أنادى بالنوى فى كل ناد
أنوح على الطلول فلم يجبنى * بساحتها سوى خرس الجماد * فأكثر فى نواحيها نواحى
من البين المفتت للفؤاد * تيقظ يا ثقيل السمع وافهم * إشارة من تسير به العوادى
فما من شاهد فى الكون إلا * عليه من شهود الغيب بادى * وكم من رائح فيها وغاد
ينادى من دنو أو بعاد * لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

فدل قوله وقد ألبست أثواب الحداد وليس بدعا على الخطباء أثواب السواد أنه أسود وقوله فلم يجبنى بساحتها سوى خرس الجماد أنه يوجد عند مفارقة أهل المواضع لها وأما قوله وينعق بين الخلان والأحباب فهو بالغين المعجمة عند جمهور أهل اللغة وهو الذى قاله ابن قتيبة وجعل غيره خطأ ونقل البطليوسى عن صاحب المنطق أنه قال نعق الغراب ونغق قال وهو بالغين المعجمة أحسن وحكى ابن جنى مثل ذلك وقد أحسن الصاحب بهاء الدين زهير وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بقوله فى البين من أبيات :

لقد ظلمتنى واستطالت يد النوى ... وقد طمعت فى جانبى كل مطمع
إلى كم أقاسى فرقة بعد فرقة ... وحتى متى يا بين أنت معى معى
وقالت علمنا ماجرى منك بعدنا ... فلا تظلمينى ما جرى غير أدمعى

وله ملغزا فى قفل وقد أجاد :

وأسود عار أنحل البرد جسمه * ومازال من أوصافه الحرص والمنع
وأعجب شيء كونه الدهر حارسا * وليس له عين وليس له سمع

وله شعر جيد وشعره عند أهل الصناعة يسمى السهل الممتنع وكان متمكنا من الملك الصالح ولا يتوسط إلا بالخير وكانت وفاته سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى ويقال إذا صاح الغراب مرتين فهو شر وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد الحروف ولما كان صافي العين حاد البصر سموه أعور وقال الجاحظ إنهم إنما سموه بالأعور تطيرا منه وتشاؤما به وليس به عور وقيل إنما سموه أعور تفاؤلا بالسلامة منه كما سموا البرية بالمفازة واليد الشمال باليسار والتطير أصله من الطير إذا مر بارحا أو سانحا أو قعيدا أو ناطحا فالبارح ما أتى من ناحية الميامن والسانح بالنون والحاء المهملة ما أتى من ناحية المياسر والناطح ما تلقاك والقعيد ما استدبرك وإنما كان الغراب هو المقدم عندهم في باب الشؤم لأنه لما كان أسود ولونه مختلفا إن كان أبقع ولم يكن على إبلهم شيء أشد من الغراب وكان حديد البصر يخاف من عينيه كما يخاف من عين المعيان قدموه في باب الشؤم انتهى وقيل إنما سموه أعور لتغميض إحدى عينيه أبدا من قوة بصره قاله ابن الأعرابي وسيأتي في الأمثال شيء من هذا ﴿ فائدة ﴾ قال صاحب العشرات اسم الغراب من الأسماء المشتركة يقع على الثلج وعلى الضفيرة من الشعر وعلى المعول وعلى رأس الورك وعلى الغراب نفسه قال أنشدني أبو عبدالله المهلبي يعني نفطويه كنى عنه لأنه كان في زمانه عن ثعلب عن ابن الأعرابي:

يا عجبا للعجب العجاب * خمسة غربان على غراب

وقال أرسطاطاليس في النعوت غراب البين جسمه أسود ومنقاره ورجلاه صفر وما كله من جميع النبات واللحوم وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن نقرة الغراب يريد بذلك تخفيف السجود وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله وروى البخاري في الأدب والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب وابن عبدالبر وغيرهم عن عبدالله ابن الحرث الأموي عن أمه ريطة بنت مسلم عن أبيها أنه قال شهدت مع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حنينا فقال ما اسمك قلت اسمي غراب فقال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بل أنت مسلم وإنما غير النبي صلى الله عليه وسلم اسمه لأنه حيوان خبيث الفعل خبيث المطعم ولذلك أمر صلى الله عليه وسلم بقتله في الحل والحرم وفي سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل فقال ما اسمك قال أصرم قال بل أنت زرعة إنما غيره لما فيه من معنى الصرم وهو القطع قال أبو داود وغير النبي صلى الله عليه وسلم اسم العاص وعزيز وعقلة وشيطان والحكم وحباب وشهاب وأرض تسمى عفرة فسماها النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خضرة فالعاص كرهه لمعنى العصيان وإنما صفة المؤمن الطاعة والاستسلام وعزيز إنما غيره لأن العزة لله تعالى وشعار العبد الذلة والاستكانة وقد قال الله تعالى عند ما قرع بعض أعدائه ذق إنك أنت العزيز الكريم وعقلة معناه الشدة والغلظة ومن صفة المؤمن اللين والسهولة قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون والشيطان اشتقاقه من البعد عن الخير والحكم هو الحاكم الذي لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه وتعالى والحباب اسم الشيطان والشهاب اسم للشعلة من النار والنار عقوبة الله تعالى وهي محرقة مهلكة نسأل الله النجاة منها وأما عفرة فهو نعت لأرض لا تنبت شيئا فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتخضر وتزرع وفي سنن أبي داود والنسائي

ليلة دينارين تأخذهما وتنفقهما على عيالك وتتصدق منهما فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة فتفكر العابد وقال صدقت فيما قلت فعاهده على ذلك وحلف له وعاد العابد إلى متعبده فلما أصبح العابد رأى دينارين تحت رأسه فأخذهما وكذلك في اليوم الثاني فلما كان في اليوم الثالث وما بعده لم ير شيئا فغضب وأخذ الفأس وذهب نحو الشجرة فاستقبله إبليس لعنه الله في صورة ذلك الشيخ وقال له إلى أين تريد قال إلى قطع هذه الشجرة فقال له ليس لك إلى ذلك من سبيل فتناوله العابد ليغلبه كما غلبه قبل ذلك فقال إبليس هيهات هيهات وأخذ العابد وضربه على الأرض كالعصفور وقال له لئن لم تنته عن هذا الأمر وإلا ذبحتك فقال العابد خل عني وأخبرني كيف غلبتني فقال لما غضبت لله تعالى سخرني الله تعالى لك والآن غضبت للدنيا ولنفسك فصرعتك (ومنها) ما ذكر أن مزدك ادعى النبوة في زمن قباد ملك الفرس وجعل الأموال والأبضاع مشتركة بين الناس فتبعه خلق كثير لا يحصى ولا يعد فاحتال ابن كسرى الخير وقتل مزدك وأصحابه اثني عشر ألفا في يوم واحد وهرب منهم كثيرون واختفوا في البلاد فإذا مات منهم ميت

وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن شبل وليس له فى الكتب الستة سواه أن النبى ﷺ نهى المصلى عن نقرة الغراب ورواه الحاكم بلفظ نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان كما يوطنه البعير يريد بنقرة الغراب تخفيف السجود وأنه لا يمكث فيه إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله * وروى أبو يعلى الموصلى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن سلمة بن قيصر أن النبى ﷺ قال من صام يوما ابتغاء وجه الله باعده الله من النار كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما وفى إسناده ابن لهيعة وفيه كلام وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مثله عن رسول الله ﷺ ورواه الإمام أحمد فى الزهد والبزار وفيه رجل لم يسم وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحية ما رواه الدارقطنى عن أبى أمامة قال دعا النبى ﷺ بخفيه ليلبسهما فلبس أحدهما ثم جاء غراب فاحتمل الآخر ورمى به فخرجت منه حية فقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضهما وفى إسناده هشام ابن عمر وذكره ابن حبان فى الثقات وهو حديث صحيح إن شاء الله تعالى * وقد تقدم فى الأسود السالخ حديث نظير هذا * وروى الإمام أحمد فى الزهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان إذا نعب الغراب قال اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك وروينا عن ابن طبرزد بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن حطان عن الزهرى عن أبى واقد عن روح بن حبيب قال بينما أنا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه إذ أتى بغراب فلما رآه جنا حين حمد الله تعالى ثم قال قال رسول الله ﷺ ما صيد قط صيد إلا بنقص من تسبيح ولا أنبت الله تعالى نابتة إلا وكل بها ملكا يحصى تسبيحها حتى يأتى به يوم القيامة ولا عضدت شجرة ولا قطعت إلا بنقص من تسبيح ولا دخل على أمره مكروه إلا بذنب وما عفا الله عنه أكثر ياغراب اعبد الله ثم خلى سبيله وسيأتى فى نظير هذا فى لفظ القسورة من كلام عمر رضى الله تعالى عنه ﴿فائدة أخرى﴾ قال أبو الهيثم يقال إن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره والحكمة فى أن الله تعالى بعث إلى قابيل لما قتل أخاه هابيل غرابا ولم يبعث له غيره من الطير ولا من الوحش أن القتل كان مستغربا جدا إذ لم يكن معهودا قبل ذلك فناسب بعث الغراب قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا الآيات قال المفسرون كان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل ما عنده وأدناه وكان هابيل صاحب غنم فعمد إلى أفضل كباشه فقربه وكان دليل القبول أن تأتى نار وتأكل القربان فأخذت النار الكبش الذى قربه هابيل فكان ذلك الكبش يرعى فى الجنة حتى أهبط إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى فداء ولده اسماعيل عليه الصلاة والسلام وكان قابيل أسن ولد آدم عليه الصلاة والسلام وروى أن آدم حج إلى مكة وجعل قابيل وصيا على بنيه فقتل قابيل هابيل فلما رجع آدم قال أين هابيل فقال لا أدرى فقال آدم اللهم العن أرضا شربت دمه فمن ذلك الوقت لم تشرب الأرض دما ثم إن آدم بقى مائة عام لا يبتسم حتى جاءه ملك الموت فقال له حياك الله يا آدم وبياك قال وما بياك قال أضحكك وروى أن قابيل حمل أخاه هابيل ومشى به حتى أروح ولم يدر ما يصنع به فبعث الله غرابين فقتل أحدهما الآخر ثم بحث فى الأرض بمنقاره ودفنه فاقتدى به قابيل فكان بعث الغراب حكمة كبرى ليرى ابن آدم كيف يوارى أخاه وهو معنى قوله تعالى ثم أماته فأقبره وروى أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال امتن الله تعالى على ابن آدم بالريح بعد الروح ولولا ذلك ما دفن حبيب حبيبا وقابيل أول من يساق إلى النار من ولد آدم قال الله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس وهما قابيل وإبليس

دفنوه وقعدوا مترصدين أول ليلة من دفنه فيأتيهم إبليس لعنه الله على صورة الميت يقول جئتكم لأودعكم اعلموا أن دين مزدك حق حتى لو مات أحدهم فجأة وكان عنده وديعة قالوا اصبر فإنه يأتينا للوداع فنستخبره عن الوديعة

﴿فصل فى ذكر بعض المتشيطنة﴾

وأشهرها الغول زعموا أن الغول حيوان شاذ مشوه لم تحكمه الطبيعة وأنه لما خرج مفردا لم يستأنس وتوحش وطلب القفار وهو يناسب الإنسان والبهيمة وأنه يترادى لمن يسافر وحده فى الليالى وأوقات الخلوات فيتوهمون أنه إنسان فيصد المسافر عن الطريق وقال بعضهم إن الشياطين إذا أرادوا استراق السمع تصيبهم الشهب فمنهم من احترق ومنهم من وقع فى البحر فصار تمساحا ومنهم من وقع فى البر فصار غولا قال الجاحظ الغول كل شىء من الجن يتعرض للفساد ويكون فى ضروب الصور والثياب قال كعب بن زهير:

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون فى أثوابها الغول

وذكر جماعة من الصحابة رضى الله عنهم أنهم رأوا الغول فى أسفارهم منهم عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه رأى الغول فى سفره إلى

وروى أنس رضى الله تعالى عنه ان النبي ﷺ سئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم الدم فيه حاضت حواء وفيه قتل ابن آدم أخاه قال مقاتل وكان قبل ذلك السباع والطيور تستأنس بآدم فلما قتل قابيل هابيل هربت منه الطير والوحش وشاكت الأشجار وحمضت الفواكه وملحت المياه واغبرت الارض وروى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنه أنه قال يارسول الله إن دخل على إنسان فى الفتنة وبسط إلى يده فقال كن كخير ابنى آدم وتلا هذه الآية ﴿عجيبة﴾ نقل القزوينى عن أبى حامد الأندلسى أن على البحر الأسود من ناحية الأندلس كنيسة من الصخر منقورة فى الجبل عليها قبة عظيمة وعلى القبة غراب لا يبرح وفى مقابل القبة مسجد يزوره الناس يقولون إن الدعاء فيه مستجاب وقد شرط على القسيسين ضيافة من يزور ذلك المسجد من المسلمين فإذا قدم زائر أدخل الغراب رأسه فى روزنة على تلك القبة وصاح صيحة وإذا قدم اثنان صاح صيحتين وهكذا كلما وصل زوار صاح على عددهم فتخرج الرهبان بطعام يكفى الزائرين وتعرف تلك الكنيسة بكنيسة الغراب وزعم القسيسون إنهم ما زالوا يرون غرابا على تلك القبة ولا يدرون من أين يأكل أو يشرب ﴿عجيبة أخرى﴾ قال أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والأنيس له كنا نجلس فى حضرة القاضى أبى الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه وإذا أعرابى جالس كانت له حاجة إذ وقع غراب على نخلة فى الدار فصرخ ثم طار فقال الأعرابى إن هذا الغراب يقول إن صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الإذن من القاضى إلينا فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما فقلنا له ما الخبر فقال رأيت البارحة فى النوم شخصا يقول :

منازل آل عباد بن زيد * على أهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك فدعونا له وانصرفنا فلما كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دفن قال القاضى أبو الطيب الطبرى سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا أبى الفرج المذكور ﴿عجيبة أخرى﴾ قال يعقوب بن السكيت كان أمية بن أبى الصلت فى بعض الأيام يشرب فجاء غراب فنعب نعبة فقال له أمية بفيك التراب ثم نعب أخرى فقال له أمية بفيك التراب ثم أقبل على أصحابه فقال أتدرون ما يقول هذا الغراب زعم أنى أشرب هذا الكأس فأموت وأمارة ذلك أنه يذهب إلى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت قال فذهب الغراب إلى الكوم فابتلع عظما فمات ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه اه ﴿قلت﴾ وأمية بن أبى الصلت الكافر مذكور فى مختصر المزنى والمهذب وغيرهما فى كتاب الشهادات وسمع النبى ﷺ شعره الذى فيه حكمه وإقراره بالوحدانية والبعث واسم أبى الصلت عبد الله بن أبى ربيعة بن عوف وكان أمية يتعبد فى الجاهلية ويؤمن بالبعث وينشد فى ذلك الشعر الحسن وأدرك الإسلام ولم يسلم وروى الترمذى والنسائى وابن ماجه عن الشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه قال ردفت رسول الله ﷺ يوما فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شىء قلت نعم فقال هيه فأنشدته بيتا فقال هيه ثم أنشدته بيتا فقال هيه حتى أنشدته مائة بيت فقال ﷺ إن كاد ليسلم وفى رواية لقد كاد أن يسلم بشعره وإنما قال ﷺ ذلك لما سمع قوله :

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلا شىء أعلى منك حمدا وأمجدا

وفى مسند الدارمى من حديث عكرمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال صدق النبى صلى الله عليه وسلم

الفهمى رحمة الله عليه أنه لقى الغول وجرى بينهما ماذكر فقال الشاعر المعروف بتأبط شرا الفهمى فى ذلك :

ألا من مبلغ فتيان فهم
بما لاقيت عند رحا بطان
فإنى قد لقيت الغول تهوى
بشهب كالصحيفة صحصحان
فقلت له كلانا نضو دهر
أخا سفر فخلى لى مكانى
فشدت شدة نحوى فأهوى
لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلا دهش فخرت
صريعا لليدين وللجران
فقالت عد فقلت لها رويدا
مكانك إننى ثبت الجنان
فلم أنفك متكئا لديها
لأنظر مطبخا ماذا أتانى
إذا عينان فى رأس قبيح
كرأس الهر مشقوق اللسان
وساق مخدج وسرار كلب
وثوب من علاه كالشنان

(ومنها) السعلاة وهى نوع من المتشيطنة مغايرة للغول قال عبيد بن أيوب يذكرها

وساخرة منى ولو أن عينها
رأت ما ألاقيه من الهول حبت

بيت وسعلاة وغول بقفرة
إذا الليل وارى الجن فيه أزنت

وأكثر ما توجد السعلاة بالغياض وإذا ظفرت بإنسان ترقصه وتلعب به كما تلعب الهرة بالفأرة رأيت رجلا من بلاد اصفهيد ذكر أن عندهم من هذا النوع كثير وذكروا أن الذئب

أمية بن أبي الصلت فى أبيات من شعره فى قوله :

زحل وثور تحت رجل يمينه ✲ والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال صلى الله عليه وسلم صدق قال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة ✲ حمراء يصبح لونها يتورد

فقال صلى الله عليه وسلم صدق قال :

تأبى فما تطلع لنا فى رسلها ✲ إلا معذبة وإلا تجلد

فقال ﷺ صدق قال السهيلى فى التعريف والأعلام فى قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها نزلت فى بلعام بن باعورا وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما إنها نزلت فى أمية بن أبى الصلت الثقفى وكان قد قرأ التوراة والإنجيل فى الجاهلية وكان يعلم أنه سيبعث نبى من العرب فطمع أن يكون هو فلما بعث النبى ﷺ وخرجت النبوة عن أمية حسده وكفر وهو أول من كتب باسمك اللهم ومنه تعلمت قريش فكانت تكتب به فى الجاهلية ولتعلم أمية هذه الكلمة نبأ عجيب ذكره المسعودى وذلك أن أمية كان مصحوبا تبدو له الجن فخرج فى عير من قريش فمرت بهم حية فقتلوها فاعترضت لهم حية أخرى تطلب بثأرها وقالت قتلتم فلانا ثم ضربت الأرض بقضيب فنفرت الإبل فلم يقدروا عليها إلا بعد عناء شديد فلما جمعوها جاءت فضربت ثانية فنفرت فلم يقدروا عليها إلا بعد نصف الليل ثم جاءت فضربت ثالثة فنفرتها فلم يقدروا عليها حتى كادوا أن يهلكوا بها عطشا وعناء وهم فى مفازة لا ماء فيها فقالو لأمية هل عندك من حيلة قال لعلها ثم ذهب حتى جاوز كثيبا فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه حتى أتى على شيخ فى خباء فشكا إليه ما نزل به وبصحبه وكان الشيخ جنيا فقال اذهب فإن جاءتكم فقولوا باسمك اللهم سبعا فرجع إليهم وقد أشرفوا على الهلكة فأخبرهم بذلك فلما جاءتهم الحية قالوا ذلك فقالت تبا لكم من علمكم هذا ثم ذهبت وأخذوا إبلهم وكان فيهم حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية بن أبى سفيان فقتله الجن بعد ذلك بثأر الحية المذكورة وقالوا فيه :

وقبر حرب بمكان قفر ✲ وليس قرب قبر حرب قبر

وقد أسلمت عاتكة أخت أمية بن أبى الصلت هذا وأخبرت عنه بخبر ذكره عبد الرزاق فى تفسيره وسيأتى إن شاء الله تعالى فى هذا الكتاب فى باب النون فى الكلام على النسر ما يوافق ذلك (الحكم) يحرم أكل الغراب الأبقع الفاسق وأما الأسود الكبير وهو الجبلى فهو حرام أيضا على الأصح وبه قطع جماعة وغراب الزرع حلال على الأصح وقد تقدم حكم العقعق والغداف وقال أبو حنيفة الغربان كلها حلال روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال خمس من الدواب ليس على قاتلهن جناح الغراب والحدأة والفأرة والحية والكلب العقور وفى سنن ابن ماجه والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ الحية فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق وفى سنن ابن ماجه أيضا قيل لابن عمر رضى الله تعالى عنهما أيؤكل الغراب قال ومن يأكله بعد قول رسول الله ﷺ فيه أنه فاسق وهذه الفواسق الخمس لا ملك لأحد فيها ولا اختصاص كذا نقله الرافعى فى كتاب ضمان البهائم عن الإمام وأقره وعلى هذا فلا يجب

ربما يصطادها بالليل يأكلها فإذا افترسها ترفع صوتها تقول أدركونى فإن الذئب قد أكلنى وربما تنادى من يخلصنى ومعى مائة دينار يأخذها والقوم يعرفون أنه كلام السعلاة ولا يخلصها أحد فيأكلها الذئب (ومنها) الغدار وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد بأكناف اليمن وربما توجد بتهائم مصر وأعاليها يلحق الإنسان فيدعوه إلى نفسه فيقع عليه فإذا أصاب الإنسان منه يقول أهل النواحى أمنكوح أم مذعور فإن كان منكوحا يئسوا منه لأن له قضيبا كقرن الثور يقتل الإنسان بغرزه فيه وإن كان مذعورا سكن روعه وشجع والإنسان إذا عاين ذلك يخر مغشيا عليه وربما لم يكترث لشجاعة نفسه (ومنها) الدلهاب وهو نوع آخر من المتشيطنة يوجد فى جزائر البحار وهو على صورة إنسان راكب على نعامة يأكل لحوم الناس الذين يقذفهم البحر وذكر بعضهم أن الدلهاب إذا تعرض لمركب فى البحر وأراد أخذ أحدهم حاربوه فصاح بهم صيحة خروا على وجوههم فأخذهم (ومنها) الشق وهو نوع آخر من المتشيطنة صورته كنصف آدمى زعموا أن النسناس مركب من الشق والإنسان يظهر للإنسان

ردها على غاصبها ( الأمثال ) قال الشاعر :

ومن يكن الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب

وقالوا لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب أى لا أفعل ذلك أبدا لأن الغراب لا يشيب أبدا * روى الحافظ أبو نعيم فى حليته فى ترجمة سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام أن رجلا ركب البحر فانكسرت السفينة فوقع فى جزيرة فمكث ثلاثة أيام لم ير أحدا ولم يأكل ولم يشرب فتمثل بقول القائل:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى وصار القار كاللبن الحليب

فأجابه صوت بحيب لا يراه :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فنظر فإذا سفينة قد أقبلت فلوح إليهم فأتوه فحملوه فأصاب خيرا كثيرا وقالوا أبصر من غراب زعم ابن الأعرابى أن العرب تسمى الغراب الأعور لأنه يغمض أبدا إحدى عينيه ويقتصر على النظر بإحداهما من قوة بصره وقال غيره إنما سموه أعور لحدة بصره على طريق التفاؤل قال بشار بن برد الأعمى :

وقد ظلموه حين سموه سيدا كما ظلم الناس الغراب بأعورا

وقد تقدم عن أبى الهيثم أن الغراب يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره وقالوا أخيل من غراب وأزهى وأبكر من غراب فإنه أشد الطير بكورا وقالوا أبطأ من غراب نوح وذلك أن نوحا عليه الصلاة والسلام أرسله لينظر هل غرقت البلاد ويأتيه بالخبر فوجد جيفة طافية على وجه الماء فاشتغل بها ولم يأته بالخبر فدعا عليه فعقلت رجلاه وخاف من الناس وقالوا كانهم كانوا غرابا واقعا يضرب فيما ينقضى سريعا فإن الغراب إذا وقع لا يلبث أن يطير وقالوا كالغراب والذئب يضرب للرجلين بينهما موافقة فلا يختلفان لأن الذئب إذا أغار على غنم تبعه الغراب ليأكل ما فضل منه وقالوا الغراب أعرف بالتمر وذلك إن الغراب لا يأخذ إلا الأجود منه ولذلك يقال وجد تمرة الغراب إذا وجد شيئا نفيسا وقالوا أشأم من غراب البين وإنما لزمه هذا الاسم لأنه إذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم يلتمس ويتقمقم فيتشاءموا به ويتطيروا منه إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فلذلك سموه غراب البين وقال فيه شاعرهم :

وصاح غراب فوق أعواد بانة بأخبار أحبابى فهيمنى الفكر
فقلت غراب باغتراب وبانة ببين النوى تلك العيافة والزجر
وهبت جنوب باجتنابى منهم وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر

وقالوا أحذر من غراب * حكى المسعودى عن بعض حكماء الفرس أنه قال أخذت من كل شىء أحسن ما فيه حتى انتهى بى ذلك إلى الكلب والهرة والخنزير والغراب قيل له فما أخذت من الكلب قال إلفه لأهله وذبه عن صاحبه قيل فما أخذت من الهرة قال حسن تأتيها وتملقها عند المسئلة قيل فما أخذت من الخنزير قال بكوره فى حوائجه قيل فما أخذت من الغراب قال شدة حذره وقالوا أغرب من غراب وأشبه بالغراب من الغراب ﴿غريبة﴾ رأيت فى كتاب الدعوات للإمام أبى القاسم الطبرانى وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة أبى يعقوب يوسف بن الفضل الصيدلانى وفى الإحياء فى كتاب آداب السفر عن زيد بن أسلم عن أبيه قال بينما عمر رضى الله تعالى عنه جالس يعرض الناس إذ هو برجل معه ابنه فقال له ويحك ما رأيت غرابا أشبه بغراب من هذا لك قط قال يا أمير المؤمنين هذا ما ولدته أمه إلا وهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال له حدثنى حديثه قال يا أمير

فانتهى إلى موضع يعرف بحومان فإذا قد تعرض له شق فقال علقمة إنى مقتول وإن لحمى مأكول أضربهم بالهدلول ضرب غلام بهلول فقال علقمة ياشق أقبل مالى ولك عهد على بفضلك تقتل من لا يقتلك فقال شق هيت لك نفسى فاصبر لما قد حم لك فضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فوقعا ميتين وهو مشعور أن علقمة بن صفوان قتله الجن والله تعالى أعلم (ومنها) المذهب زعم بعض العباد أن لهم شيطانا يقال له المذهب يخدمهم ويريد أن يريهم العجب وأن بعض العباد نزل به ضيف وأقام عنده أياما لم ير فى صومعة العابد أحدا وكان يرى كل ليلة عند الإفطار منارة ومسرجة وخوانا عليه طعام فتعجب الضيف من ذلك وسأل العابد عنه فأعرض عن جوابه فألح عليه فقال اعلم أن هذا منذ مدة يأتينى به شيطان يريد أن أحمله على كراماتى وأنا أعلم أنه من الشيطان من أول يوم فعند ذلك انطفأ السراج وزال الطعام والله الموفق للصواب ﴿فصل فى حكايات عجيبة عن الجن وما جرى لهم﴾

روى عن جابر بن عبد الله رضى الله

المؤمنين خرجت لسفر وأمه حامل به فقالت تخرج وتتركني على هذا الحال حاملا مثقلة فقلت أستودع الله ما في بطنك ثم خرجت فغبت أعواما ثم قدمت فإذا بابي مغلق فقلت ما فعلت فلانة قالوا ماتت فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ثم انطلقت إلى قبرها فبكيت عندها ثم رجعت فجلست إلى بني عمي فبينما أنا كذلك إذ ارتفعت لي نار من بين القبور فقلت لبني عمي ما هذه النار فقالوا ترى على قبر فلانة كل ليلة فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلقوا بنا إليها فانطلقنا فأخرت الناس وأتيت القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هي جالسة وهذا الولد يدور حولها وإذا منادي ينادي أيها المستودع ربه وديعته خذ وديعتك أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فأخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين قال أبو يعقوب فحدثت بهذا الحديث في الكوفة فقالوا نعم هذا الرجل كان يقال له خزين القبور * وقريب من هذا الخبر في غريب اتفاقه ولطيف مساقه ما حكاه الحافظ المزني في تهذيبه في ترجمة عبيد بن واقد الليثي البصري أنه قال خرجت أريد الحج فوقفت على رجل بين يديه غلام من أحسن الغلمان صورة وأكثرهم حركة فقلت من هذا ومن يكون قال ابني وسأحدثك عنه خرجت مرة حاجا ومعي أم هذا الغلام وهي حامل فلما كنا في بعض الطريق ضربها الطلق فولدت هذا الغلام وماتت وحضر الرحيل فأخذت الصبي فلففته في خرقة وجعلته في غار وبنيت عليه أحجارا وارتحلت وأنا أرى أنه يموت من ساعته فقضينا الحج ورجعنا فلما نزلنا ذلك المنزل بادر بعض أصحابي إلى الغار فنقض الأحجار فإذا هو بالصبي يلتقم إبهاميه فنظرنا فإذا اللبن يخرج منهما فاحتملته معي فهو الذي ترى (الخواص) إذا علق منقار الغراب على إنسان حفظ من العين وكبده تذهب الغشاوة اكتحالا وإذا علق طحاله على إنسان هيج الشبق وإذا سقي إنسان من دمه مع نبيذ أبغض النبيذ حتى لا يرجع يشربه وبيضه إذا طرح في النورة نفع مستعمله ودمه إذا جفف وحشي به البواسير أبرأها وقلبه ورأسه إذا طرحا في النبيذ وسقي الإنسان منه من يريد محبته فإن الشارب يحب الساقي محبة عظيمة ولحم المطلوق إذا أكل مشويا نفع القولنج ومرارة الغراب إذا طلي بها إنسان مسحور بطل عنه السحر وإذا غمس الغراب الأسود بريشه في الخل وطلي به الشعر سوده وزبل الغراب الأبلق الذي يسمى اليهودي ينفع الخنازير والخوانيق وإن صر في خرقة وعلق على الصبي الذي لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه وإذا أكل الغراب الكتلة سقط ولم يقدر على الطيران لاسيما في زمن الصيف (التعبير) الغراب في المنام يدل على رجل مخامر غدار واقف مع حظ نفسه وربما دل على الحرص في المعاش وربما كان حفاراً وممن يستحل قتل النفس وربما دل على الحفر في الأرض ودفن الأموات لقوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الأرض الآية وربما دل الغراب على الغربة والتشاؤم بالأخبار والغموم والانكاد وطول السفر وعلى ما يوجب الدعاء عليه من أهله وأقاربه أو سلطانه لسوء تدبيره * وغراب الزرع يدل على ولد الزنا والرجل الممزوج بالخير والشر والغراب الأبقع يدل على رجل معجب بنفسه كثير الخلاف وهو من الممسوخ فمن صاد غرابا نال مالا حراما في ضيق بمكابدة ولحم كل طير وريشه وعظمه مال لمن حواه في المنام وإذا رأى الغراب على زرع أو شجر فإنه شؤم ومن رأى غرابا في داره فإن فاسقا يخونه في امرأته ومن رأى غرابا يحدثه فإنه يرزق ولدا خبيثا وقال ابن سيرين بل يغتم غما شديدا ثم يفرج عنه ومن رأى كأنه يأكل لحم غراب فإنه يأخذ مالا من قبل اللصوص ومن رأى غرابا على باب الملك فإنه يجني جناية يندم عليها أو يقتل أخاه ثم يندم على ذلك

تعالى عنه عن النبي ﷺ أن إبليس لعنه الله يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أدناهم منه مجلسا فيجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يجيء أحدهم فيقول فرقت بينه وبين أهله فيقول نعم أنت ابني فيدنيه منه (ومنها) ما حكي أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبريل عليه الصلاة والسلام أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله تعالى لنبيه سليمان بن داود فخرجت الجن والشياطين من المفازات ومن الجبال والآكام والأودية والفلوات والآجام وهي تقول لبيك لبيك تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة وهي يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة فوقفوا بين يدي سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع ولها خراطيم وأذناب وحوافر وقرون فسجد سليمان لله تعالى وقال اللهم ألبسني من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم فأتاه جبريل عليه السلام وقال إن الله تعالى قواك عليهم قم من مكانك فقام

لقوله تعالى فأصبح من النادمين فإن رأى الغراب يبحث فالدليل قوى على الأخ ومن رأى غرابا خدشه فإنه يهلك فى البرية أو يناله ألم ووجع ومن رأى كأنه أعطى غرابا نال سرورا وقال أرطاميدروس الغراب الأبقع يدل على طول الحياة وبقاء المتاع وربما دل على العجائز وذلك لطول عمر الغراب وهن رسل النساء ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا رأى كأن غرابا سقط على الكعبة فقصها على ابن سيرين فقال رجل فاسق يتزوج بامرأة شريفة فتزوج الحجاج بابنة عبدالله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم أجمعين ﴿الغر﴾ بضم الغين ضرب من طير الماء أسود الواحدة غرة الذكر والأنثى فى ذلك سواء قاله ابن سيده

﴿الغرنيق﴾ بضم الغين وفتح النون قال الجوهرى والزمخشرى إنه طائر أبيض طويل العنق من طير الماء وقال فى نهاية الغريب إنه الذكر من طير الماء ويقال له غرنيق وغرنوق وقيل هو الكركى وعن أبى صبرة الأعرابى أنه إنما سمى بذلك لبياضه قال الهزلى يصف غواصا :

أجاز إليها لجة بعد لجة * أزل كغرنيق الضحول عموج

وإذا وصف به الرجال فواحدهم غرنيق وغرنوق بكسر الغين وفتح النون فيهما وغرنوق بالضم فيهما وقيل الغرانيق والغرانقة طيور سود فى قدر البط * روى الطبرانى بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير أنه قال مات ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالطائف فشهدنا جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقة الغرنيق حتى دخل فى نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لم ندر من تلاها يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ثم روى مسلم عن عبدالله بن ياسين نحوه إلا أنه قال جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق وفى رواية كأنه قبطية والقبطية ثياب بيض من كتان نسج مصر تنسب إلى القبط بالضم فرقا بين الأيام والثياب والجمع القباطى * قال القزوينى الغرنوق من الطيور القواطع وهى إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا حارسا ثم تنهض معا فإذا طارت ترتفع فى الهواء حتى لا يتعرض لها شىء من السباع فإذا رأت غيما أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كى لا يحس بها العدو وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد منها رأسه تحت جناحه لعلمه أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التى هى أشرف الأعضاء والدماغ الذى هو ملاك البدن وينام كل واحد منها قائما على إحدى رجليه حتى لا يكون نومه ثقيلا وأما قائدها وحارسها فلا ينام ولا يدخل رأسه فى جناحه ولا يزال ينظر فى جميع الجوانب فإذا أحس بأحد صاح بأعلى صوته ثم حكى عن يعقوب بن اسحق السراج أنه قال رأيت رجلا من أهل رومية قال ركبت بحر الزنج فألقتنى الريح إلى بعض الجزائر فوصلت منها إلى مدينة أهلها أناس قامتهم قدر ذراع وأكثرهم عور فاجتمع على منهم جمع فأخذونى وانتهوا بى إلى ملكهم فأمر بحبسى فحبست فى شبه قفص ثم رأيتهم فى بعض الأيام يستعدون للقتال فسألهم فقالوا لنا عدو يأتينا فى مثل هذه الأيام فلم نلبث إلا وقد طلعت عليهم عصابة من الغرانيق وكان عورهم من نقرها أعينهم فأخذت عصا وشددت عليها فطارت وهربت فأكرمونى لذلك ﴿فائدة﴾ قال القاضى عياض وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد من معه من المسلمين والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم ثم أنزل الله تعالى عليه وما أرسلنا من قبلك من

والخاتم فى أصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة ثم رفعت رؤسها وقالت يا ابن داود إنا قد حشرنا إليك وأمرنا بالطاعة لك فجعل سليمان عليه السلام يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه فقال لهم مالكم صوركم مختلفة وأبوكم الجن واحد فقالوا إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا واختلاطه بنا ومنا كحتنا مع ذريته فنظر سليمان عليه السلام فرأى المردة يهمون بالفساد والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة فصفد المردة وفرقهم فى الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأحجار والصخور والأشجار وأبنية الحصون وأمر نساءهم بغزل القز والإبريسم والقطن ونسج البسط والنمارق وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فاتخذوا له قدورا من الحجارة كل قدر يأكل منها ألف نسمة وأشغل طائفة منهم بالطحن وطائفة بالخبز وأخرى بالذبح والسلخ وطائفة بالغوص فى البحار لاستخراج الجواهر والآلئ وطائفة لحفر الآبار والقنى وشق الأنهار وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض وطائفة

رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية وأجابوا عنه بضعف الحديث فإنه لم يخرجه أحد من أهل الصحيح ولا رواه ثقة بإسناد صحيح سليم متصل وإنما أولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون لكل صحيح وسقيم والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهيمه من جهة النقل وأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذا ولم يجعل الله تعالى للشيطان عليه ولا على أحد من الأنبياء سبيلا وعلى تقدير صحة ما رووه وقد أعاذنا الله من صحته فالراجح في تأويله عند المحققين أنه عليه الصلاة والسلام كان كما أمره الله تعالى يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآيات تفصيلا في قراءته فمن ثم ترصد الشيطان لتلك السكتات ودس كلاما في تلك الكلمات محاكيا نغمة رسول الله ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قوله ﷺ ولم يقدح ذلك عند المسلمين بل روى محمد بن عقبة أن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقاها الشيطان في أسماع الكفار وعقولهم وأيضا فمجاهد والكلبي فسر الغرانيق العلا بأنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله تعالى كما حكاه جل وعلا عنهم ورده عليهم في السورة بقوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله تعالى كل ذلك من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد به ذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ورفع تلاوة ما حوله الشيطان كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكم ليضل به من يشاء ويهدي به من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴿فائدة أخرى﴾ روى الإمام محمد بن الربيع الجيزي في مسنده من دخل مصر من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه أنه قال كنت عند رسول الله ﷺ أخدمه فإذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله ﷺ فانصرفت إليه فأخبرته بمكانهم فقال ﷺ مالي ولهم يسألوني عما لا أدري إنما أنا عبد لا علم لي إلا ما علمني ربي عز وجل ثم قال ﷺ ابغني وضوءا فتوضأ ثم قام إلى مسجد في بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم قال ﷺ اذهب فأدخلهم ومن وجدت من أصحابي بالباب فأدخله معهم قال فأدخلتهم فلما رفعوا إلى رسول الله ﷺ قال إن شئتم أخبرتكم عما أردتم أن تسألوني قبل أن تتكلموا وإن شئتم تكلموا به وأخبركم فقالوا بل أخبرنا قبل أن نتكلم قال ﷺ جئتم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم أن أول أمره أنه غلام من الروم أعطي ملكا فسار حتى بلغ ساحل أرض مصر فابتنى عنده مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال له انظر ماذا ترى تحتك قال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به وقال انظر ماذا تحتك قال قد اختلطت مدينتي مع المدائن فلا أعرفها ثم زاد فقال انظر فقال أرى مدينتي وحدها لا أرى معها غيرها فقال له الملك إنما تلك الأرض كلها والذي ترى محيطا بها هو البحر وإنما أراد ربك عز وجل أن يريك الأرض وقد جعل لك سلطانا وسوف يعلم الجاهل ويثبت

المعدنيات واستخراجها فأشغل كل طائفة منهم بأمر صعب ليقل فسادهم ويكون قوة ملكه وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا شرب الماء كلحت الشياطين في وجهه وهو لا يراهم لأن الكوز كان يمنعه فكره ذلك منهم فاتخذ له صخر الجني الأواني من القوارير كان يشرب منها ولا يمنعه من رؤية الشياطين ثم أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لا تحجب سقوفها وحيطانها شيئا فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه الصلاة والسلام وعرضه وجعل لكل سبط من الأسباط فيها قصرا في طول ألف ذراع وعرض مثله وفي كل قصر دور ومجالس وبيوت وغرف للرجال والنساء ثم بنى مجلسا في طول ألف ذراع وعرضه كذلك ليجلس فيه العلماء والقضاة ثم بنى لسليمان عليه السلام قصرا رفيعا عجيبا في طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وزخرفه بأنواع القوارير ورصعه بأنواع الجواهر وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا ركب الريح على بساطه في هذه المدينة يرى كل شيء كان على بساطه خارج المدينة لصفاء

العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى السدين وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء فبنى السد ثم جاء يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم قطعهم فوجد قوما قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد أمة من الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منها الصخرة العظيمة ثم أفضى إلى البحر المحيط بالأرض فقالوا نشهد أن أمره كان هكذا كما ذكرت وإنا نجده هكذا في كتبنا وروى أن ذا القرنين لما بنى السد وأحكمه انطلق يسير حتى وقع على أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون مقسطة مقتصدة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مستقيمة وطريقتهم مستوية وقبورهم بأبواب بيوتهم وليس لبيوتهم أغلاق وليس عليهم أمراء ولا بينهم قضاة ولا بينهم أغنياء ولا فقراء ولا أشراف ولا ملوك لا يختلفون ولا يتفاضلون ولا يتنازعون ولا يتسابون ولا يقتتلون ولا يضحكون ولا يحزنون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس وهم أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين عجب من أمرهم وقال خبروني أيها القوم خبركم فإني قد أحصيت الدنيا كلها برها وبحرها شرقها وغربها فلم أر أحدا مثلكم فخبروني خبركم قالوا نعم فسل عما تريد فقال خبروني ما بال قبوركم على أبواب بيوتكم قالوا عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولئلا يخرج ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها أغلاق قالوا ليس فينا متهم وليس منا إلا أمين قال فما بالكم ليس عليكم أمراء قالوا لا حاجة لنا بذلك قال فما بالكم ليس عليكم حكام قالوا لأنا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم أغنياء قالوا لأننا لا نتكاثر بالأموال قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لأنا لا نرغب في ملك الدنيا قال فما بالكم ليس فيكم أشراف قالوا لأنا لا نتفاخر قال فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من صلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تقتتلون قالوا من أجل أنا سسنا أنفسنا بالحلم قال فما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة قالوا من قبل أنا لا نتكاذب ولا ننتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا قال فأخبروني من أي شيء تشابهت قلوبكم واعتدلت سرائركم قالوا صحت نياتنا فنزع بذلك الغل من صدورنا والحسد من قلوبنا قال فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من قبل أنا نقتسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع لربنا قال فلأي شيء أنتم أطول الناس أعمارا قالوا من قبل أنا نتعاطى بالحق ونحكم بالعدل قال فلأي شيء لا تضحكون قالوا لئلا نغفل عن الاستغفار قال فما بالكم لا تحزنون قالوا من أجل أنا وطنا أنفسنا للبلاء منذ كنا أطفالا فأحببناه وحرصنا عليه قال فلأي شيء لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس قالوا لأنا لا نتوكل على غير الله تعالى ولا نعمل بالأنواء والنجوم قال حدثوني هكذا وجدتم آباءكم قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويحلمون على من جهل عليهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أماناتهم ويحفظون وقت صلواتهم ويوفون بعهودهم ويصدقون في مواعيدهم فأصلح الله بذلك أمرهم وحفظهم ما داموا أحياء وكان حقا عليه أن يخلفهم بذلك في عقبهم فقال ذو القرنين لو كنت مقيما عند أحد لأقمت عندكم ولكن لم أومر بالإقامة وقد ذكرنا الاختلاف بين العلماء في نسبه واسمه ونبوته في باب السين المهملة في السعلاة (الحكم) يحل أكل الغرانيق لأنها من الطيبات (الخواص) زبل الغرنيق يسحق بالماء وتبل فيه فتيلة ويجعل في الأنف ينفع من كل قرحة تكون فيها والله أعلم (الغرغر) بالكسر الدجاج البرى الواحدة غرغرة وأنشد أبو عمرو لابن أحمر :

القوارير حتى الطباخين والخبازين وجميع من ركب بساطه من الجن والإنس والخيل والخدم والحشم وكان الكل بمرأى من سليمان عليه الصلاة والسلام والريح تمشي بأمره رخاء حيث أصاب وقال وهب بن منبه لما رد الله تعالى على سليمان ملكه أمر الريح الصرصر حتى حشرت إليه شياطين الدنيا فرآهم سليمان عليه السلام على صور عجيبة منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ويخرج النار من فيه ومنهم من كان يمشي على أربع ومنهم من كان له رأسان ومنهم من كانت رءوسهم رءوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة فرأى سليمان عليه السلام شيطانا نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنور وله خرطوم طويل فقال له من أنت فقال له أنا مهر بن عفان بن فيلان فقال سليمان عليه السلام ما عندك من الأعمال فقال عندي عمل الغناء وعصر الخمر وشربه وأزين الشرب والغناء لبني آدم فأمر بتصفيده ثم مر به آخر قبيح الشكل أسود له سمج الكلاب والدم يقطر من كل شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جدا

فقال له من أنت قال أنا الهاهال بن المحول فقال له ما عملك فقال سفك

ألفهم بالسيف من كل جانب * كما لفت العقبان حجلى وغرغرا

وفى كتاب الغريب قال الأزهرى كان بنو إسرائيل من أهل تهامة أعز الناس على الله فقالوا قولا لم يقله أحد فعاقبهم الله تعالى بعقوبة ترونها الآن بأعينكم جعل رجالهم القردة وبرهم الذرة وكلابهم الأسود ورمانهم الحنظل وعنبهم الأراك وجوزهم السرو ودجاجهم الغرغر وهو دجاج الحبش لاينتفع بلحمه لرائحته (وحكمه) حل الأكل لأن العرب لاتستخبثه والله أعلم ﴿الغرناق﴾ بالكسر طائر حكاه ابن سيده ﴿الغزال﴾ ولد الظبية إلى أن يقوى ويطلع قرباه والجمع غزلة وغزلان مثل غلمة وغلمان والأنثى غزالة كذا قاله ابن سيده وغيره واستعمله الحريرى فى آخر المقامة الخامسة كذلك فى قوله فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة أراد بالأول الشمس وبالثانى الأنثى من أولاد الظباء وقد غلطه فى ذلك بعضهم والصواب عدم تغليطه فإنه مسموع مستعمل نظما ونثرا قال الصلاح الصفدى فى شرح لامية العجم وما أحسن قول القائل :

غدوت مفكرا فى سر أفق * إذا ماالعلم مبدؤه الجهاله
فما طويت له سبل الدرارى * إلى أن أظفرته بالغزاله

قال وأنشدنى لنفسه العلامة أبو الثناء محمود فى وصف العقاب :

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * إذا طلعت ماتسمت غزاله

قال وقد غلطوا الحريرى فى قوله فلما ذر قرن الغزالة طمر طمور الغزالة قالوا لم تقل العرب الغزالة إلا للشمس فلما أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية ثم هى بعد ذلك ظبية والذكر ظبى قاله فى التحرير وقال اعتمده فقد وقع فيه تخليط فى كتب الفقهاء ﴿قلت﴾ وقد وقع هو فى ذلك فى باب محرمات الإحرام ووقع للرافعى أيضا بعض اختلاف تقدم التنبيه على بعضه فى الكلام على حكم الظبى وقد تنازع جمال الدين يحيى بن مطروح وأبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة فى بيت كل منهما ادعاه وهو هذا :

وأقول ياأخت الغزال ملاحة * فتقول لاعاش الغزال ولا بقى

وبها سميت المرأة غزالة وهى امرأة شبيب بن يزيد الشيبانى الخارجى خرج فى خلافة عبد الملك ابن مروان والحجاج أمير العراق يومئذ وخرج بالموصل وهزم عساكر الحجاج وحصره فى قصر الكوفة وضرب باب القصر بعموده فنقبه وبقيت الضربة فيه إلى أن خرب قصر الإمارة وكانت زوجته غزالة نذرت أن تصلى فى مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما بسورة البقرة وآل عمران ففعلت وكانت شجيعة وقيل فيها :

وفت غزالة نذرها * يارب لاتغفر لها

وهرب الحجاج فى بعض حروبه مع شبيب من غزالة فعيره عمران بن قحطان السدوسى بقوله :

أسد علىّ وفى الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا كررت إلى غزالة فى الوغى * بل كان قلبك فى جناحى طائر

وحكى أن الحجاج لما برز له شبيب الخارجى فى بعض أيام محاربته أبرز إليه غلاما ألبسه لباسه المعروف به وأركبه فرسه الذى لم يكن يقاتل إلا عليه فلما رآه شبيب غمس نفسه فى الحرب إلى أن خلص إليه فضربه

الدماء فأمر بتصفيته فقال يانبى الله لاتقيدنى فإنى أحشر إليك جبابرة الأرض وأعطيك العهد والميثاق أن لا أفسد فى مملكتك فأخذ عليه الميثاق وختم على عنقه وأطلقه ومر به آخر فى صورة قرد له أظفار كالمناجل وهو قابض على بربط فقال له من أنت فقال أنا مرة ابن الحرث فقال له ماعملك فقال أنا أول من وضع هذا البربط وأحركها فلا يجد أحد لذة الملاهى إلا بى فأمر بتصفيده قال أبو عبيدة خرج عبيد بن الأبرص يريد الشأم فلما كان ببعض الطريق عرض له شجاع يلهث عطشا فعمد عبيد إلى راوية ونزل عن بعيره وسقى الشجاع حتى روى ثم مضى حتى أتى الشأم وقضى حاجته وانصرف فإذا فى بعض الليالى أضل بعيره ونكب عن الطريق وساء ظنه وإذا هاتف يقول :

ياصاحب البكر المضل مذهبه
دونك هذا البكر منا فاركبه
حتى إذا الليل تراءى غيهبه
وأقبل الصبح ولاح كوكبه
حط عنه رحله وسيبه
فرأى بعيرا فاستوى على ظهره فلم يلبث أن رأى باب داره وكان على مسيرة عشرين مرحلة فأقبل يحط عنه الرحل وهو يقول :

ياصاحب البكر قد أنجيت من كرب * ومن فيافٍ تضل المدلج الهادى

بعمود وكان بيده وهو يظنه الحجاج فلما أحس الغلام بالضربة قال اخ بالخاء المعجمة فعرف شبيب منه بهذه اللفظة أنه عبد فانثنى عنه وقال قبح الله ابن أم الحجاج أيتقى الموت بالعبيد قال الجوهرى والعرب إنما تنطق بهذه اللفظة بالحاء المهملة ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث إليه عبد الملك عساكر كثيرة من الشأم فتكاثروا على شبيب فهرب فلما حصل على جسر دجلة بالأهواز نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من درع ونحوه فألقاه فى الماء فقال له بعض أصحابه أغرقا يا أمير المؤمنين قال ذلك تقدير العزيز العليم فلما غرق ألقاه دجلة إلى الساحل فحملوه إلى الحجاج فشق بطنه واستخرج قلبه فإذا هو كالحجر إذا ضربت به الأرض نبا عنها فشق فكان داخله قلب صغير كالكرة فشق فأصيب فيه علقة من الدم وكان شبيب إذا صاح على الجيش لا يلوى أحد على أحد ولما غرق أحضر عبد الملك عتبان الحرورى وهو يرى رأى الخوارج فقال يا عدو الله ألست القائل :

فإن يك منكم كابن مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا حصين والبطين وقعنب * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال لم أقل ذلك يا أمير المؤمنين وإنما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب فقبل قوله وعفا عنه *وهذا الجواب فى نهاية الحسن فإنه إذا كان قوله ومنا أمير المؤمنين شبيب مرفوعا كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين وإذا نصب كان معناه ومنا يا أمير المومنين شبيب ولم يخرج عليهم أحد مثل شبيب فإن أيامه طالت وهزم عساكر كثيرة وجبى الخراج وقال أبو يوسف الجوهرى :

وإذا الغزالة فى السماء ترفعت * وبدا النهار لوقته يترجل
أبدت لقرن الشمس وجها مثله * تلقى السماء بمثل ما تستقبل

أراد بالغزالة الشمس وقت ارتفاعها فيقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت الغزالة وقد أبدع الصفى الحلى فى غلام قلع ضرسه وأجاد حيث قال :

لحى الله الطبيب لقد تعدى * وجاء لقلع ضرسك بالمحال
أعاق الظبى فى كلتا يديه * وسلط كلبتين على غزال

وفى سنن أبى داود من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ لما قدم مكة قال المشركون إنه يقدم عليكم غدا قوم وهنتهم الحمى فلما كان الغد جلسوا مما يلى الحجر فأمر النبى ﷺ أصحابه أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء كأنهم الغزلان *فإن قيل هذا الحديث يعارضه ما فى صحيح مسلم عن ابن عمر وجابر رضى الله عنهم قالا إن النبى ﷺ رمل من الحجر الاسود حتى انتهى إليه ثلاثة أطواف. فالجواب أن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان فى عمرة القضاء سنة سبع قبل فتح مكة وكان أهلها مشركين حينئذ وحديث ابن عمر وجابر رضى الله تعالى عنهم كان فى حجة الوداع فيكون متأخرا فتعين الأخذ به وهو الصحيح من المذهب (وحكم الغزال الحل) كما تقدم فى باب الظاء فى لفظ الظبى وفيه إذا قتله المحرم أو فى الحرم عنز كذا فى المحرر والمنهاج والتنبيه والمناسك وغيرها واستدلوا لذلك بقضاء الصحابة رضى الله عنهم فيه بذلك والذى فى زوائد الروضة وصححه فى شرح المهذب تبعا للإمام أن الغزال اسم للصغير من ولد الظباء ذكرا كان أو أنثى إلى أن يطلع قرناه ثم الذكر ظبى

هلا بدأت لنا خلوا لنعرف من
هذا الذى جاد بالنعماء فى الوادى
ارجع حميدا فقد بلغت حاجتنا
بوركت من ذى سلام رائح غادى

«فأجابه بقوله»

أنا الشجاع الذى أرويتنى ظمأ
فى ضحضح خصب عن أهله صادى
وجدت بالماء لما عز مطلبه
نصف النهار على الرمضاء فى الوادى
هذا جزاؤك منا لا نمن به
لك الجميل علينا إنك البادى
الخير يبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

قال جرير بن عبد الله البجلى رضى الله تعالى عنه وفدت إلى رسول الله ﷺ فأمسيت بواد وحدى فإذا شخص واقف على فقال لى انطلق قلت أنا آمن قال نعم فذهبت معه إلى جمع شيب وشبان فقالوا إنسى قال إنسى قالوا أنشدنا فأنشدتهم ودع هريرة إن الركب مرتحل فضحكوا وقالوا شعر سجل ادعه يا غلام فأقبل شخص كأنه رمح ورأسه مثل قلة فقالوا هذا إنسى أنشدنا من شعرك قال جرير فحدثتهم إلى الصبح وعلموني دواء لا أحد يعرفه إلى اليوم فلما قدمت إلى رسول الله ﷺ

وأخبرته به قال حدث الناس به وقد جرى ذكر الجن فى مجلس عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال رجل من بنى الحرث خرجت عاشر عشرة أريد الشام فتأخرت عن أصحابى حتى اختلط الظلام فرفعت لى نار فقصدتها فإذا أنا بخيمة أمامها جارية جميلة فقلت لها ما تصنعين فى هذا المكان فقالت أنا جارية من فزارة اختطفنى عفريت وهو يغيب عنى بالليل ويأتينى بالنهار فقلت لها امضى معى فقالت إنى أخاف على نفسى الهلاك فألححت عليها فأركبتها ناقتى وجعلت أمشى فسرنا حتى طلع القمر فالتفت فإذا ظليم عظيم عليه راكب فقالت ها هو قد أتى فما تريد تصنع فنزلت وأنخت راحلتى وخططت حولها وقرأت آية من القرآن وتعوذت بالله فتقدم إلى وأنشا يقول

يا ذا الذى للحين يدعوه القدر * خل عن الحسناء رسلا ثم سر
إنى أمرمالك حين فاصطبر

«فاجبته»

وقلت يا ذا الذى للحين يدعوه الحمق
خل عن الحسناء رسلا وانطلق

والأنثى ظبية فى الغزال ما فى الصغار فإن كان ذكرا فجدى وإن كان أنثى فعناق (الامثال) قال أنوم من غزال لأنه إذا رضع أمه فروى امتلأ نوما وقالوا تركت الشىء ترك الغزال لظله وظله كناسه الذى يستظل به من شدة الحر وهو إذا نفر منه لا يعود إليه ألبتة وقالوا أغزل من غزال ومغازلة النساء محادثتهن ويوصف بالغزل غير الغزال من الحيوان كما قيل:

قد ألبستنى فى الهوى * ملابس الصب الغزل * إنسانة فتانة
بدر الدجى منها خجل * إذا زنت عينى بها * فبالدموع تغتسل

وقد تقدم فى الظبى قولهم ترك الغزال لظله ومن محاسن شعر المتنبى:

بدت قمرا ومالت خوط بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا

وأنشد الثعالبى لبعض شعراء عصره:

رنا ظبيا وغنى عندليبا * ولاح شقائقا ومشى قضيبا

﴿الخواص﴾ دماغ الغزال يداف بدهن الغار ويغلى ثم يأخذ منه فيداف بماء الكمون ويشرب منه قدر جرعة ينفع للسعال ومرارته تخلط بقطران وملح ويشرب منها صاحب السعال الذى يقذف القيح والدم جزأ بماء حار يبرأ بإذن الله تعالى وشحمه إذا طلى به إنسان إحليله وجامع امرأته لم تحب سواه وقد تقدم فى خواص الظبى أن لحم الغزال حار يابس وأنه ينفع من القولنج والفالج وأنه أصلح لحوم الصيد والله أعلم ﴿الغضارة﴾ القطاة قاله ابن سيده وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب القاف ﴿الغضب﴾ الثور والأسد وقد تقدما فى باب الهمزة والثاء المثلثة ﴿الغضف﴾ القطا الجونى شكل معروف عند العرب ﴿الغضوف﴾ الأسد والحية الخبيثة وقد تقدما فى باب الهمزة والحاء المهملة ﴿الغضيض﴾ ولد البقرة الوحشية وقد تقدم لفظ البقرة الوحشية فى باب الياء الموحدة ﴿الغطرب﴾ الأفعى عن كراع وقال بعضهم هذا تصحيف إنما هو بالعين المهملة والظاء المعجمة ﴿الغطريف﴾ فرخ البازى والذباب والسيد الشريف والسخى الجمع غطارفة ﴿الغطلس﴾ كعملس الذئب وقد تقدم فى باب الذال المعجمة ﴿الغطاط﴾ بالفتح ضرب من القطا غبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لا يجتمع أسرابا وأكثر ما تكون ثلاثا أو اثنتين الواحدة غطاطة كذا قاله الجوهرى وقال ابن سيده الغطاط القطا وقيل القطا ضربان فالقصار الأرجل الصفر الأعناق السود القوادم الصهب الخوافى هى الكدرية والجونية والطوال الأرجل البيض البطون الغبر الظهور الواسعة العيون هى الغطاط وقيل الغطاط ضرب من الطير ليس من القطا ﴿الغفر﴾ بالضم ولد الأروية والجمع أغفار والغفر بالكسر ولد البقرة الوحشية ﴿الغماسة﴾ مشددة طائر ينغمس فى الماء كثيرا ولذلك عدوه من طير الماء والجمع غماس ﴿الغنافر﴾ بالضم الضبعان الكثير الشعر وقد تقدم لفظ الضبع فى باب الضاد المعجمة ﴿الغنم﴾ الشاء لا واحد له من لفظه والجمع أغنام وغنوم وأغانم وغنم مغنمة أى كثيرة هذه عبارة المحكم وقال الجوهرى الغنم اسم مؤنث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعا وإذا صغرتها ألحقتها الهاء فقلت غنيمة لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم يقال له خمس من الغنم ذكور فتؤنث العدد وأن عنيت الكباش إذا كان يليه من الغنم ذكور لأن العدد يجرى فى تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى والإبل كالغنم فى جميع ما ذكرناه وقد أجاد الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه حيث يقول:

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى * ولا أنثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله * وصادفت أهلا للعلوم وللحكم * بثثت مفيدا واستفدت ودادهم
وإلا فخزون لدى ومكتتم * فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

روى عبد بن حميد بسنده إلى عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال افتخر أهل الإبل وأهل الغنم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام السكينة الوقار فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى أهل الإبل وهو فى الصحيحين بألفاظ مختلفة منها السكينة والوقار فى أهل الغنم والفخر والرياء فى الفدادين أهل الخيل والوبر وفى لفظ الفخر والخيلاء فى أصحاب الإبل والسكينة والوقار فى أصحاب الشاء أراد بالسكينة السكون وبالوقار التواضع وأراد بالفخر التفاخر بكثرة المال والجاه وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا وبالخيلاء التكبر والتعاظم ومنه قوله تعالى إن الله لا يحب كل مختال فخور ومراده بالوبر أهل الإبل لأنه لها كالصوف للضأن والشعر للمعز ولذلك قال الله تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين وهذا منه صلى الله عليه وسلم إخبار عن أكثر حال أهل الغنم وأهل الإبل وأغلبه وقيل أراد به عليه الصلاة والسلام أى بأهل الغنم أهل اليمن لأن أكثرهم أهل غنم بخلاف ربيعة ومضر فإنهم أصحاب إبل وروى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنما بين جبلين فأتى قومه فقال ياقوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطى عطاء رجل لا يخاف الفقر وقد تقدم فى باب الدال المهملة فى الكلام على الدجاج الحديث الذى رواه ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا معناه فى شرح سنن ابن ماجه وبينا أن فى إسناده على بن عروة الدمشقى وأن ابن حبان قال كان يضع الحديث والغنم على ضربين ضائنة وماعزة قال الجاحظ اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز ﴿قلت﴾ وصرح الأصحاب بذلك فى الأضحية وغيرها واستدلوا على أفضليته بأوجه منها أن الله تعالى بدأ بذكر الضأن فى القرآن فقال ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومنه قوله تعالى حكاية عن الخصمين إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ولم يقل تسع وتسعون عنزة ولى عنز واحدة ومنه قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وأجمعوا كما قال الحافظ إنه كبش وسيأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى فى باب الكاف ومنها أن الضأن تلد فى السنة مرة وتفرد غالبا والمعز تلد مرتين وقد تثنى وتثلث والبركة فى الضأن أكثر ومنها أن الضأن إذا رعت شيئا من الكلأ فإنه ينبت وإذا رعت المعز شيئا لا ينبت وقد تقدم لأن المعز تقلعه من أصوله والضأن ترعى ما على وجه الأرض ومنها أن صوف الضأن أفضل من شعر المعز وأعز قيمة وليس الصوف إلا للضأن ومنها أنهم كانوا إذا مدحوا شخصا قالوا إنما هو كبش وإذا ذموه قالوا إنما هو تيس وإذا أرادوا المبالغة فى الذم قالوا إنما هو تيس فى سفينة ومما أهان الله به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر بخلاف الكبش ولهذا شبه النبى صلى الله عليه وسلم المحلل بالتيس المستعار ومنها أن رؤس الضأن أطيب وأفضل من رؤس المعز وكذلك لحمها فإن أكل لحم الماعز يحرك المرة السوداء ويولد البلغم ويورث النسيان ويفسد الدم ولحم الضأن عكس ذلك انتهى ﴿فائدة﴾ قال أبو زيد يقال لما تضعه الغنم من الضأن والمعز حال وضعه سخلة ذكرا كان أو

فلست فى الجن بأول من عشق
فبرز إلى فى صورة أسد
فتصارعنا فلم يغلب أحد
منا صاحبه فقال لى هل
لك فى خصال ثلاث قلت
ماهى قال تجز ناصيتى
وتعرض عن الجارية
قلت ناصيتك أهون شىء
على قال فتأخذ ماتشاء من
الإبل قلت لا أبيع دينى
بعرض الدنيا قال فأخدمك
أيام حياتى قلت
مالى إلى خدمتك حاجة
فأنشأ يقول :
بلى جسدى والحب يبلى
جديده
ولم يبل منى إذ بلى جسدى
وحدى
عليك سلام الله يادعد
ماجرت
رياح الصبا فى الغور يوما
وفى نجد
فسرت بها إلى أهلها فزوجنيها
أهلها ولى منها أولاد
(وحكى) بعض الرعاة أنه
نزل بواد بغنمه فسلب ذئب
شاة من غنمه فقام ورفع صوته
ونادى ياعامر الوادى فسمع
صوتا يقول ياسرحان رد
عليه غنمه فجاء الذئب
بالشاة وتركها وذهب
(وحكى) عن بعض الأعراب
أنه أبق له غلام قال
فخرجت أقفو أثره فبينما
أنا أسير إذ رأيت أربعة
يختصمون فى شعر الفرزدق
وجرير فدنوت إليهم
وسلمت عليهم وقلت لهم
أيهما أشعر فقال شيخ منهم الذى يقول وكل رضيع منتهاه رضاعه * وكل كليبى من اللؤم راضع فلم تتبعوا موت الهزيل بيابكم

أنثى والجمع سخل بفتح السين وسخال بكسرها ثم لا يزال اسمه ذلك مادام يرضع اللبن ثم يقال للذكر والأنثى بهمة بفتح الباء والجمع بهم بضمها ويقال لولد المعز حين يولد سليل وسليط فإذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأكل من البقل فإذا كان من أولاد المعز فهو جفر والأنثى جفرة والجمع جفار وذكر فى كفاية المتحفظ أن الجفر والجفرة يقعان على الطفل والطفلة من بنى آدم حين يأكلان الطعام انتهى فإذا قوى وأتى عليه حول فهو عريض بفتح العين المهملة وكسر الراء والياء المثناة التحتية وبالضاد المعجمة فى آخره وجمعه عرضان بكسر العين والعتود نوع منه وجمعه أعتدة وعتدان وقال يونس جمعه أعتدة وعتدة وهو فى كل ذلك جدى والأنثى من عناق إذا كان من أولاد المعز ويقال له إذا تبع أمه تلو لأنه يتلو أمه ويقال للجدى أمر بضم الهمزة وتشديد الميم وبالراء المهملة فى آخره ويقال له هلع وهلعة بضم الهاء وتشديد اللام والبكرة العناق أيضا والعطعط الجدى فإذا أتى عليه حول فالذكر تيس والأنثى عنز ثم يكون جذعا فى السنة الثانية والأنثى جذعة فإذا طعن فى السنة الثالثة فهو ثنى والأنثى ثنية فإذا طعن فى السنة الرابعة كان رباعيا والأنثى رباعية ثم يكون خماسيا والأنثى خماسية ثم يكون سداسيا والأنثى سداسيه ثم يكون ضالعا والأنثى كذلك ويقال ضاع يضلع ضلوعا والجمع الضلع بتشديد الضاد واللام قال الأصمعى الحلان والحلام من أولاد المعز خاصة وفى الحديث فى الأرنب يصيبها المحرم حلان قال الجاحظ وقد قالوا فى أولاد الضأن كما قالوا فى أولاد المعز إلا فى مواضع قال الكسائى هو خروف فى العريض من أولاد المعز والأنثى خروفة ويقال له حمل والأنثى رخل بفتح الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة وجمعه رخال بضم الراء المهملة وهو مما جمع على غير قياس كما قالوا فى المرضع ظئر وظؤار فى ولد البقرة الوحشية فرير وفرار وللشاة القريبة العهد بالنتاج ربى ورباب وللعظم الذى عليه بقية من اللحم عرق وعراق وللمولود مع قرينة توأم وتؤام والبهمة للذكر والأنثى من أولاد الضأن والمعز جميعا وليس كذلك حتى يأكل ويجتر ثم هو قرر بقافين مكسورتين والجمع قرقار وقرقور وهذا كله حين يأكل ويجتر والجلام بكسر الجيم الجدى أيضا والبذج بفتح الباء الموحدة والذال المعجمة وبالجيم فى آخره من أولاد الضأن خاصة والجمع بذجان روى ابن ماجه وشيخه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن أم هانئ رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها اتخذى غنما فإن فيها بركة وشكت إليه امرأة أن غنمها لا تزكو فقال لها ﷺ ما ألوانها قالت سود فقال عفرى أى استبدلى أغناما بيضا فإن البركة فيها وفى الحديث صلوا فى مرابض الغنم وامسحوا رغامها والرغام مايسيل من الأنف وقد تقدم فى البهيمة ما رواه أبو داود فى أبواب الطهارة عن لقيط بن صبرة أن النبى ﷺ كانت له مائة شاة لا يريد أن تزيد وكانت كلما ولدت سخلة ذبح مكانها شاة وروى مالك والبخارى وأبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن شعف الجبال بفتح الشين المعجمة والعين المهملة رؤسها وشعف كل شىء أعلاه قال ابن بطال قال أبو الزناد خص النبى ﷺ الغنم من بين سائر الأشياء حضا على التواضع وتنبيها على إيثار الخمول وترك الاستعلاء والظهور وقد رعى الأنبياء والصالحون الغنم وقال ﷺ ما بعث الله نبيا إلا رعى غنما وأخبر ﷺ أن السكينة فى أهل الغنم وروى الطبرانى والبيهقى فى الشعب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه خرج فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا له السفره فمر بهم راعى غنم فسلم فقال له

بنى الكلاب والحامى الحقيظة مانع

فقال أحدهم والله كان الصعب شاعرا ولقد كان حاطب له قرنا فى الجواب حيث قال :

إذا قيل أى الناس شر عشيرة
وأكثر عارا قيل تلك مجاشع
مجاشع * بدت سوءة ولو
سفرت يوما نساء فيما نجن
البراقع وأنشد شيخ منهم
لا تعدلن بشعر كندة غيره *
إلا اللواتى من مقال زياد
لله هادر فى القريض لقد
جنى .

منه العداة زيادهم بحياد

فقلت لهم ما عرفت الصعب وحاطبا وهادرا قال الشيخ أما الصعب فالناطق على لسان اليربوعى وحاطب على لسان الذبيانى وهادر على لسانى قال فضحكت وظننت أن كلامهم استهزاء قال بعضهم هل لك من حاجة إلى غلامك قلت وما علمك بقصة غلامى قال كعلمى بجهلك قلت أوجاهل أنا عندك قال وأحمق ثم قام ومضى وجاء بغلامى فلما رأيت الغلام غشى على وكان الغلام مكتوفا بلا رباط فقال لى ذلك الرجل أنفخ فى كف غلامك حتى يستوى فنفخت فأطلق فصرت بعد ذلك لا أنفخ فى شىء من الأوجاع إلا برئ

ابن عمر هلم ياراعى فكلم معنا فقال إنى صائم فقال له ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أتصوم فى هذا اليوم الشديد الحر وأنت فى هذه الجبال ترعى هذه الغنم فقال له إنى والله أبادر أيامى هذه الخالية فقال له ابن عمر يريد أن يختبر ورعه هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونطعمك من لحمها فتفطر عليه فقال إنها ليست لى إنها غنم سيدى فقال له ابن عمر وماعسى سيدك فاعلا إذا فقدها وقلت أكلها الذئب فولى الراعى عنه وهو يقول فأين الله يرفع بها صوته ويشير بأصبعه إلى السماء فجعل ابن عمر يردد قول الراعى ذلك فلما قدم المدينة اشترى العبد الراعى والغنم وأعتق العبد ووهب له الأغنام * وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبى اليسر عمرو بن كعب رضى الله تعالى عنه قال والله إنى لمع رسول الله ﷺ بخيبر عشية إذ أقبلت غنم لرجل من اليهود تريد حصنهم ونحن محاصروهم إذ قال رسول الله ﷺ من يطعمنا من هذه الغنم قلت أنا يا رسول الله قال فافعل قال فخرجت أشتد مثل الظليم فلما نظر إلى رسول الله ﷺ موليا قال اللهم أمتعنا به فأدركت الغنم وقد وصل أوائلها الحصن فأخذت شاتين من آخرها فاحتضنتهما تحت يدى ثم أقبلت بهما أشتد كأنه ليس معى شىء حتى ألقيتهما عند رسول الله ﷺ فذبحوهما وأكلوهما وكان أبو اليسر رضى الله تعالى عنه من آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتا وكان إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال أمتعونى بعمرى حتى صرت آخرهم موتا انتهى وكان أبو اليسر آخر البدريين موتا رضى الله تعالى عنهم وفى الاستيعاب وغيره قصة إسلام الأسود الحبشى الذى كان يرعى غنما لعامر اليهودى أنه أتى النبى ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه الغنم فقال يارسول الله أعرض على الإسلام فعرضه عليه وأسلم ثم قال يا رسول الله إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم وهى أمانة عندى فكيف أصنع فيها فقال اضرب فى وجوهها فسترجع إلى ربها فقام الأسود فأخذ حفنة من حصى ورمى بها فى وجوهها وقال ارجعى إلى صاحبك فوالله لا أصحبك بعدها أبدا فرجعت الغنم مجتمعة كأن سائقها يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم يقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله وما صلى لله صلاة قط فأتى به إلى النبى ﷺ وقد سجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه فقال ﷺ إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ينفضان التراب عن وجهه ويقولان ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك قال أبو عمر وإنما رد رسول الله ﷺ الغنم إلى الحصن لأن ذلك كان مصالحا عليه أو كان قبل حل الغنائم وفى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال ما من نبى إلا وقد رعى الغنم قيل وأنت يارسول الله قال وأنا وثبت فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه واللفظ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ قال ما بعث الله نبيا إلا راعى غنم فقال له أصحابه وأنت يارسول الله قال وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط قال سويد يعنى كل شاة بقيراط وفى غريب الحديث للقعنبى بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو راعى غنم وبعث داود عليه السلام وهو راعى غنم وبعثت وأنا راعى غنم أهلى بأجياد وفى الحديث آجر موسى عليه الصلاة والسلام نفسه بعفة فرجه وشبع بطنه فقال له ختنه شعيب عليه السلام إن لك فى غنمى ما جاءت به قالب لون جاء تفسيره فى الحديث أنها جاءت على عير ألوان أمهاتها كأن لونها قد انقلب والحكمة فى أن الله تعالى جعل الرعى فى الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعايا لهم وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ رأيت غنما سودا ودخلت

محمد الأمين غضب عليه فسلمه إلى كوثر الخادم فحبسه فى سرداب وأغلق عليه الباب وكان إبراهيم عديم المثل فى الغناء قال فمكثت فى السرداب ليلة فلما أصبحت إذا أنا بشيخ خرج من زاوية السرداب دفع لى وسطا وقال كل فأكلت ثم أخرج قنينة وقال اشرب فشربت ثم قال غن لى فغنيت:

لى مدة لا بد أبلغها
معلومة فإذا انقضت مت
لو ساورتنى الأسد ضاربة
لغلبتها إن لم يجى الوقت

فسمع كوثر صوتى فذهب إلى الأمين وقال له إن عمك قد جن هاهو قاعد يغنى فى السرداب بكيت وكيت فأمر باحضارى فأخبرته بالقصة فرضى عنى وأمر لى بسبعمائة ألف درهم

(النوع الثالث من الحيوان الدواب) هذا النوع أحسن البهائم صورة وأكثرها نفعا ولما كان الإنسان لطيف البطن بطىء المشى كثير العدو من جنسه وغير جنسه وحركاته قاصرة عن الوفاء بمقاصده من الطلب والهرب اقتضت الحكمة الإلهية خلق هذا النوع من الحيوان وهداه إلى تذليلها وتصريفها تحته فى نجاح مقاصده ليقوم له إمام الجناح للطائر والقوائم للبهائم والدواب فقال عز من قائل والخيل والبغال

فيها غنم كثير بيض قالوا فما أولته يارسول الله قال العجم يشركونكم فى دينكم وأنسابكم قالوا العجم يارسول الله قال لوكان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من العجم وفى رواية قال ﷺ رأيت فى المنام غنما سوداً يتبعها غنم عفر ياأبا بكر عبرها قال هى العرب تتبعك ثم يتبعها العجم فقال ﷺ هكذا عبرها الملك سحراً وقد رأى النبى ﷺ أنه ينزع فى قليب وحوله أغنام سود وغنم عفر ثم جاء أبو بكر فنزع نزعا ضعيفاً والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا يعنى الدلو فلم أرعبقريا يفرى فريه فأولها الناس بالخلافة لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية إذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم فى هذا الحديث وذكره الإمام أحمد والبزار فى مسنديهما وبه يصح المعنى ودخل أبو مسلم الخولانى على معاوية فقال السلام عليك أيها الأجير فقالوا قل السلام عليك أيها الأمير فقال السلام عليك أيها الأجير فقالوا قل السلام عليك أيها الأمير فقال السلام عليك أيها الأجير فقال لهم معاوية دعوا أبامسلم فإنه أعلم بما يقول فقال أبو مسلم إنما أنت أجير استأجرك رب هذه الغنم لرعايتها فإن أنت هنأت جرباها وداويت مرضاها وحبست أولاها على أخراها وقاك سيدها وإن أنت لم تهنأ جرباها ولم تداو مرضاها ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها * وفى رسالة القشيرى فى باب الدعاء أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل يدعو ويتضرع فقال موسى إلهى لوكانت حاجته بيدى لقضيتها فأوحى الله تعالى إليه ياموسى أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه وأنا لاأستجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى فذكر موسى للرجل ذلك فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته * وفى المجالسة للدينورى من حديث حماد بن زيد عن موسى بن أعين الراعى قال كانت الغنم والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه فى موضع واحد فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون ماأرى الرجل الصالح إلاقد هلك قال فحسبناه فوجدناه قد مات فى تلك الساعة وعن عبد الواحد بن زيد قال سألت الله ثلاث ليال أن يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى ياعبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى فقيل لى هى فى بنى فلان فى الكوفة فذهبت إلى الكوفة أسأل عنها فإذا هى ترعى غنما فأتيت إليها فإذا غنمها ترعى مع الذئاب وهى قائمة تصلى فلما فرغت من صلاتها قالت ياابن زيد ليس هذا الموعد وإنما الموعد الجنة فقلت لها وما أدراك أنى ابن زيد فقالت أما علمت أن الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف فقلت لها عظينى فقالت واعجبا لواعظ يوعظ فقلت لها مالى أرى أغنامك ترعى مع الذئاب قالت إنى أصلحت مابينى وبين الله فأصلح مابينى وبين غنمى والذئاب ﴿فائدة﴾ فى الموطأ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وزيد بن خالد الجهنى رضى الله تعالى عنه قالا إن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما اقض بيننا يارسول الله بكتاب الله تعالى وقال الآخر وكان أفقههما أجل يارسول الله اقض بيننا بكتاب الله وائذن لى أن أتكلم فقال له تكلم فقال إن ابنى كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته فأخبرونى أن على ابنى الرجم فافتديته من غنمى بمائة شاة وبجارية لى ثم إنى سألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام وإنما الرجم على امرأته فقال ﷺ أما والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى أما غنمك وجاريتك فرد عليك ويجلد ابنك مائة ويغرب عاما وأمر

والحمير لتركبوها وزينة وزعموا أن آذانها إنما خلقت فوق رأسها ذات حركات شتى لتحاذى بالثقب جهات شتى وبرد الهواء إليه فتكون فائدة السمع أكثر ولما كان الفرس أذكى حسا من الحمار خلقت أذنه أصغر من أذن الحمار وذنبه أطول من ذنب الحمار لأن الفرس يكفيه من قرع الهواء دون ما يكفى الحمار لصفاء حس الفرس وكدورة حس الحمار وكذلك طول ذنبه لأن إحساسه بلدغ الهوام فوق إحساس الحمار فجعل طاقات ذنبه طويلة ليطرد بها الهوام عن بدنه ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ليمكن المشى الكثير عليها وليكون سلاحا دافعا للعدو فإن كل حيوان له حافر لاقرن له لأن المادة لاتفى بهما جميعا وكل حيوان له قرن لاحافر له بل له ظلف فإن المادة تفى بهما فتم آلة المشى والسلاح فسبحان من أعطى كل شىء مايستحقه دون الزيادة والنقصان ولنذكر مايتعلق بأصناف الدواب إن شاء الله تعالى (فرس) هو أحسن الحيوانات شكلا بعد الإنسان وأرشد الدواب عدوا وذكاء وله خصال حميدة وأخلاق مرضية وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء وحسن طاعته

ﷺ أنيسا الاسلمى ان ياتى امراة لاخر فإن اعترفت فليرجمها فاعترفت فرجمها وهذا الحديث مذكور فى الصحيحين وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال عمر رضى الله تعالى عنه إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان مما أنزل الله عليه آية الرجم قرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده وأخشى إن طال على الناس زمان أن يقول قائل والله مانجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فضيلة أنزلها الله والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف والرجم نسخت تلاوته وبقى حكمه وقال أبو حنيفة التغريب منسوخ فى حق البكر وعامة أهل العلم على أنه ثابت لما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ ضرب وغرب وأن أبا بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب والمحصن من اجتمعت فيه أربعة أوصاف العقل والبلوغ والحرية والإصابة فإن زنى فحده الرجم مسلما كان أو ذميا وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الإسلام من شرائط الإحصان فلا رجم على الذمى عندهم ودليلنا أنه صح عن رسول الله ﷺ أنه رجم يهوديين كانا قد أحصنا وإن كان الزانى غير محصن بأن لم تجتمع فيه هذه الأوصاف الاربعة نظر إن كان غير بالغ أو كان مجنونا فلا حد عليه وإن كان حرا بالغا عاقلا غير أنه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد مائة وتغريب عام وإن كان عبدا فعليه جلد خمسين وفى تغريبه قولان فإن قلنا يغرب فقولان أصحهما نصف سنة كما يجلد خمسين ولهذه المسئلة تتمات مذكورة فى كتب الفقه وذكر المفسرون فى قوله تعالى وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم الآية عن ابن عباس وقتادة والزهرى أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع إن هذا تفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأفسدته ولم تبق منه شيئا فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا من عنده فمرا على سليمان عليه السلام فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فدعاه داود فقال له بحق النبوة والأبوة يابنى إلا ماحدثتنى بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء كما قضيت وكان عمر سليمان يوم حكم بهذا الحكم إحدى عشرة سنة والنفش الرعى بالليل والهمل الرعى بالنهار وهما الراعى بلا راع * ونختم الكلام على الغنم بما فى أول عجائب المخلوقات عن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام انه اجتاز بعين ماء فى سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين وترك عندها كيسا فيه دراهم وذهب مارا فجاء بعده راعى غنم فرأى الكيس فأخذه ومضى ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس وعلى رأسه حزمة حطب فوضعها هناك ثم استلقى ليستريح فما كان إلا قليل حتى عاد الفارس يطلب كيسه فلم يجده فأقبل على الشيخ يطالبه به فأنكر فلم يزل الاكدلك حتى ضربه ولم يزل يضربه حتى قتله فقال موسى يارب كيف العدل فى هذه الامور فأوحى الله تعالى إليه إن الشيخ كان قد قتل أبا الفارس وكان على الفارس دين لابى الراعى مقدار مافى الكيس فجرى بينهما القصاص وقضى الدين وأنا حكم عدل قال فى كتاب المحكم والغايات قال أصحاب التجارب ومما يورث الغم المشى بين الأغنام والتعمم جالسا ولبس السراويل قائما وقص اللحية بالاسنان والقعود على أسكفة الباب والاكل بالشمال ومسح الوجه بالاذيال والمشى على

للفارس كيف شاء صرفه وانقاده ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث مادام الراكب عليه (ومنها) مايستعمل فى لعب الكرة مرارا يتعلم ذلك فراكبه لا يحتاج إلى إدارته بل يكون نظره على الكرة كلما يرى الكرة يعدو خلفها ومن الخيل ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من ركوبه ومن كرم أخلاقه أنه إذا صلت حجرة ولدها يرضع مهرها سائر الحجور إشفاقا عليه وقال محمد ابن السائب الكلبى إن الصافنات الجياد التى عرضت على سليمان عليه الصلاة والسلام كانت ألف فرس ورثها من أبيه داود عليه الصلاة والسلام فلما ألهته عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب عرقبها إلا أفراسا فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا قالوا يانبى الله أرضنا شاسعة زودنا ما يبلغنا إليها فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال إذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فإنكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس وكانوا إذا نزلوا منزلا حملوا عليه غلامهم للقنص فلا يفته شىء يقع عليه عينه من ظبى أو بقر أو حمار إلى أن قدموا بلادهم فسموا ذلك الفرس زاد الراكب وزعموا أن خيل العرب من نتاجه

فشور البيض والاستنجاء باليمين والضحك فى المقابر (الحكم) يحل أكل الغنم وبيعها بالنص والإجماع ويجب فى سائمتها الزكاة ففى كل أربعين شاة شاة جذعة ضأن أو ثنية معز وفى مائة وإحدى وعشرين شاتان وفى مائتين وواحدة ثلاث شياه وفى أربعمائة أربع شياه ثم فى كل مائة شاة شاة والسنة أن تقلد إذا جعلت هدايا إلى البيت العتيق لما روى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كنت أفتل قلائد الهدى للنبى ﷺ فقلد الغنم وهذا الحديث حجة للشافعى وأحمد وإسحق وأبى ثور فى مشروعية ذلك وقال مالك وأبو حنيفة لا تقلد الغنم والظاهر أن الحديث لم يبلغهما ﴿ فرع ﴾ فتح إنسان مراح غنم فخرجت ليلا ورعت زرعا فإن كان الذى فتحه المالك ضمن الزرع وإن كان غير المالك لم يضمن والفرق أن المالك يلزمه حفظها فى الليل فإذا فتح عليها ضمن وغير المالك لا يلزمه حفظها فإذا فتح عليها لم يضمن قاله فى البحر وسيأتى فى باب الميم الإشارة إلى إتلاف الماشية * وأما الأمثال فقد تقدم بعضها فى باب الجيم وبعضها فى باب الشين المعجمة وكذلك الخواص وسيأتى طرف منها فى المعز فى باب الميم إن شاء الله تعالى (التعبير) الغنم فى الرؤيا رعية صالحة طائعة وتدل على الغنيمة والأزواج والأولاد والأملاك والزرع والأشجار الحافلة بالثمار فذوات الصوف نساء كريمات جميلات ذوات مال وعرض مستور والشعارى نساء صالحات فقيرات ذوات عرض مبذول بكشف عوراتهن خلافا لذوات الصوف فإن عوراتهن مستورة بالإلية قاله ابن المقرى وقال المقدسى من رأى أنه يسوق معزا وضأنا فإنه يلى على عرب وعجم فإن أخذ من ألبانها وأصوافها فإنه يجبى منهم أموالا ومن رأى غنما واقفة فى مكان فإنهم رجال يجتمعون فى ذلك الموضع فى أمر من الأمور ومن رأى غنما استقبلته فإنهم أعداء يظفر بهم ومن رأى شاة تمشى أمامه وهو يمشى خلفها ولا يدركها تعطلت عليه معيشته وربما تبع امرأة ولا تحصل له وألية الغنم مال المرأة ومن رأى كأنه يجز شعر الغنم فليحذر من الخروج من داره ثلاثة أيام وقال جاماسب من رأى قطيع غنم سردانيا ومن رأى شاة واحدة سرسنة والنعجة امرأة فمن ذبح نعجة اقتض امرأة مباركة لقوله تعالى إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ومن رأى أن صورته تحولت على صورة غنمه نال غنيمة ﴿ الغواص ﴾ طائر تسميه أهل مصر الغطاس وهو القرلى الآتى فى باب القاف إن شاء الله تعالى قال القزوينى فى الأشكال هو طائر يوجد بأطراف الأنهار يغطس فى الماء ويصطاد السمك فيقتوت منه وكيفيه صيده أنه يغوص فى الماء منكوسا بقوة شديدة ويمكث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به ومن العجائب لبثه تحت الماء ويوجد كثيرا بأرض البصرة انتهى قال بعضهم رأيت غواصا غاص فطلع بسمكة فغلبه غراب عليها فأخذها منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى فأخذها منه الغراب ثم الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب ثم خرج هو من الماء (الحكم) قال القزوينى إن أكله حلال وهو المفهوم من كلام الرافعى وغيره (الخواص) دمه يجفف ويسحق مع شعر إنسان فإنه ينفع من الطحال وكذلك عظمه يفعل به مثل ذلك والله أعلم ﴿ الغوغاء ﴾ الجراد إذا احمر وبدت أجنحته وهو يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف واحدته غوغاءة وغوغاوة وبه سميت سفلة الناس المنتسبون إلى الشر المسرعون إليه قال أبو العباس الرويانى الغوغاء من يخالط المفسدين والمجرمين ويخاصم الناس بلا حاجة ولذلك قالوا أكثر من الغوغاء * وفى تاريخ ابن النجار عن ابن المبارك قال قدمت على سفيان الثورى بمكة فوجدته مريضا شارب دواء فقلت له إنى أريد أن

﴿ فصل ﴾ فى خواص أجزائه

يغط فى نومه يزول عنه ذلك

لحمه صالح لطرد الرياح

ذنبه يؤخذ منه شعرة ويمد على باب البيت عرضا لم يدخله بعوضة حافر الرمكة إذا تبخرت به المرأة يخرج الجنين الميت والمشيمة المحتبسة حافر الفرس الشموس تدفن فى الدار يهرب عنها الفأرة وإذا سقيت الفراريج أول ما تسقيها فى حافر الفرس لا يقربها باشق ولا شاهين ولا شىء من الجوارح وعرقه يطلى به عانة الصبى وإبطه لا ينبت عليهما الشعر زبله يدخن به تحت من عسرت ولادتها تسهل عليها ويابسه يذر على الجراحات ينقطع دمها (البغل) المتولد من الفرس والحمار إن كان الذكر حمارا فشديد الشبه بالفرس وإن كان الذكر فرسا فشديد الشبه بالحمار ومن العجب أن كل عضو فرضته منه يكون بين الفرس والحمار وكذلك أخلاقه فليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار وكذلك صوته ومشيه بين الفرس والحمار ولا شك فى عقمها لكن منهم من يقول إن الولد لا يتعلق فى رحمها ومنهم من يقول يتعلق لكن مخرجه ضيق لا يمكنه الخروج فتموت الأم وكذلك

أسألك عن أشياء قال قل قلت أخبرنى من الناس قال الفقهاء قلت فمن الملوك قال الزهاد قلت فمن الأشراف قال الأتقياء قلت فمن الغوغاء قال الذين يكتبون الحديث يريدون أن يأكلوا به أموال الناس قلت فمن السفلة قال الظلمة انتهى والغوغاء أيضا شىء يشبه البعوض إلا أنه لايعض ولا يؤذى ﴿الغول﴾ بالضم أحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين وهم سحرتهم قال الجوهرى هو من السعالى والجمع أغوال وغيلان وكل مااغتال الإنسان فأهلكه فهو غول والتغول التلون قال كعب بن زهير بن أبى سلمى رضى الله تعالى عنه :

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى أثوابها الغول

ويقال تغولت المرأة إذا تلونت ويقال غالته غول إذا وقع فى مهلكة والغضب غول الحلم ﴿فائدة﴾ سأل رجل أباعبيدة عن قوله تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين وإنما يقع الوعد والإيعاد بما قد عرف مثله وهذا لم يعرف فأجابه بأن الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم أما سمعت امرأ القيس كيف قال :

أتقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنه لما كان يهولهم أوعدوا به قال أبوعبيدة ومن يومئذ عملت كتابى الذى سميته المجاز وأبو عبيدة كنيته واسمه معمر بن المثنى البصرى النحوى العلامة كان يعرف أنواعا من العلوم وكانت العربية وأخبار العرب وأيامها أغلب عليه وكان مع معرفته يكسر الشعر إذا أنشد ويلحن إذا قرأ القرآن وكان يرى رأى الخوارج وكان لايقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان قال الأصمعى دخلت يوما أنا وأبوعبيدة إلى المسجد فإذا على الأسطوانة التى يجلس إليها أبوعبيدة مكتوب :

صلّى الإله على لوط وشيعته * أباعبيدة قل بالله آمينا

قال فقال لى ياأصمعى امح هذا فركبت ظهره ومحوته ثم قلت قد بقيت الطاء فقال هى شر الحروف الطامة فى الطاء امحها وقيل إنه وجدت ورقة فى مجلس أبى عبيدة فيها هذا البيت وبعده :

فأنت عندى بلا شك بقيتهم * منذ احتلمت وقد جاوزت تسعينا

وروى أن أباعبيدة خرج إلى بلاد فارس قاصدا موسى بن عبد الرحمن الهلالى فلما قدم عليه قال لغلمانه احترزوا من أبى عبيدة فإن كلامه كله دق ثم حضر الطعام فصب بعض الغلمان على ذيله مرقا فقال له موسى قد أصاب ثوبك مرق وأنا أعطيك عوضه عشرة أثواب فقال أبوعبيدة لاعليك فإن مرقكم لايؤذى أى مافيه دهن ففطن لها موسى وسكت * توفى أبوعبيدة فى سنة تسع ومائتين وهذا أبوعبيدة بالهاء والقاسم بن سلام أبوعبيد بغير هاء وكلاهما من أهل اللغة ومعمر بفتح الميمين بينهما عين مهملة ساكنة وآخره راء مهملة وكان والد أبى عبيدة من قرية من أعمال الرقة يقال لها باجروان وهى القرية التى استطعم أهلها موسى والخضر عليهما السلام كذا قاله ابن خلكان وغيره وتقدم فى باب الحاء المهملة فى الحوت عن السهيلى أن القرية المذكورة فى القرآن برقة والله تعالى أعلم وروى الطبرانى فى الدعوات والبزار برجال ثقات من حديث سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالآذان فإن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله

أذنه إذا سقى لامرأة لاتحبل وكذا وسخ أذنه يداف ويسقى ويمنع من الحبل مخه إذا طعم إنسان منه ينقص من جميع حواسه حتى يبقى كالنائم وإن أطعمت الحبلى تلد ابنها خبيثا قلبه تأكله المرأة لاتحبل أبدا نحانة حافره إذا أحرقت حتى صارت رمادا يمنع من الحبل إذا أكلته المرأة ويطلى به رأس الأقرع يدهن الآس ينبت شعره خصيته تشد فى خرقة حرير وتعلق على دابة تقوى على السير ولا تتعب بوله تشربه المرأة تسقط الجنين الميت وصاحبة الطلق تضع سريعا زبله زعموا أن المزكوم إذا شمه وتفل عليه ثم رماه على الطريق فمن تخطاه ينتقل الزكام إليه ويبرأ التافل الزنبور الذى يوجد فى دبر البغال يجفف ويتبخر به صاحب البواسير يبرأ وجلد جبهته يحرق فى مكان لايتم فيه شىء من الأمور ألبتة (حمار) حيوان خدر الأعضاء من غاية البرودة كدر القوى إلا الحافظة فإنه إذا مشى بطريق

حصاص أى ضراط قال النووى فى الأذكار إنه حديث صحيح أرشد ﷺ إلى دفع ضررها بذكر الله تعالى ورواه النسائى فى سننه الكبرى من حديث الحسن عن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه بلفظ أن النبى ﷺ قال عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل فإذا تغولت لكم الغيلان فبادروا بالأذان قال النووى رحمه الله تعالى ولذلك ينبغى أن يؤذن أذان الصلاة إذا عرض للإنسان شيطان لما روى مسلم عن سهيل ابن أبى صالح أنه قال أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا أو صاحب لنا فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئا فذكرت ذلك لأبى فقال لو شعرت أنك ترى هذا ما أرسلتك ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة فإنى سمعت أبا هريرة يحدث عن النبى ﷺ أنه قال إن الشيطان إذا نودى بالصلاة أدبر وروى مسلم عن جابر بن عبد الله أنه قال إن النبى ﷺ قال لا عدوى ولا طيرة ولا غول قال جمهور العلماء كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الفلوات وهى جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول تغولا أى تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق وتهلكهم فأبطل النبى ﷺ ذلك وقال آخرون ليس المراد بالحديث نفى وجود الغول وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة واغتيالها فقالوا ومعنى لا غول أى لا تستطيع أن تضل أحدا ويشهد له حديث آخر لا غول ولكن السعالى قال العلماء السعالى بالسين المهملة المفتوحة والعين المهملة سحرة الجن كما تقدم * ومنه ما روى الترمذى والحاكم عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه أنه قال كانت لى سهوة فيها تمر فكانت تجىء الغول كهيئة السنور فتأخذ منه فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال اذهب فإذا رأيتها فقل بسم الله أجيبى رسول الله قال فأخذها فحلفت أن لا تعود فأرسلها وجاء إلى النبى ﷺ فقال ما فعل أسيرك قال حلفت أن لا تعود قال ﷺ كذبت وهى معاودة للكذب قال فأخذها مرة أخرى فحلفت أن لا تعود فأرسلها ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال ما فعل أسيرك قال حلفت أن لا تعود قال ﷺ كذبت وهى معاودة للكذب قال فأخذها وقال ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقالت إنى ذاكرة لك شيئا آية الكرسى اقرأها فى بيتك فلا يقربك شيطان ولا غيره فجاء إلى النبى ﷺ فقال ما فعل أسيرك فأخبره بما قالت فقال ﷺ صدقت وهى كذوب قال أبو عيسى الترمذى هذا حديث حسن غريب وهذا روى مثله البخارى فقال قال عثمان بن الهيثم حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان وذكر القصة وفيها فقلت يا رسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله فقال ﷺ ما هى قلت قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى كلها فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شىء على الخير فقال ﷺ أما أنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة قال لا قال صلى الله عليه وسلم ذلك الشيطان قال النووى رحمه الله وهذا الحديث متصل فإن عثمان بن الهيثم أحد شيوخ البخارى الذين روى عنهم فى صحيحه وأما قول أبى عبد الله الحميدى فى الجمع بين الصحيحين أن البخارى أخرجنا تعليقا فغير مقبول فإن المذهب الصحيح المختار عند العلماء والذى عليه المحققون أن قول البخارى وغيره قال فلان محمول على سماعه منه واتصاله إذا لم يكن مدلسا وكان قد

لا ينساه بعد ذلك وإذا ضل المكارى طريقه قدم حمارا فارحا ويخلى سبيله يمشى كما أراد يمينا وشمالا فإنه يعثر بالطريق وإذا وقع بالطريق يحرك رأسه وأذنيه وذنبه يعنى إذا أصاب الطريق وزعموا أن الكلب إذا سمع نهيق الحمار يتألم ظهره وإذا سد أذناه لا ينهق وإذا رأى الأسد وقف مكانه وربما عدا إليه يحسب أن ذلك ينفعه من سطوته كما أن الشاة إذا تسلمها الذئب فإنها تعدو مع الذئب تحسب أن ذلك ينفعها من سطوته وقال بليناس فى كتاب الخواص إذا حملت خنزيرا عطشانا على ظهر حمار فإذا شرب الحمارمات الخنزير

(فصل فى خواص أجزائه)

مخه من سقى منه يغلب عليه النسيان ولو سقيته الحبلى ولدت أبله سنه يجعل تحت رأس من به سهر ينام كبده يشد مجففا على من به حمى الربع تزول عنه طحاله يجفف ويطلى به ثدى النساء يكثر لبنها حافره يسحق ويطلى به جبهة المصروع أياما يزول صرعه ويخلط بالزيت ويطلى به الخنازير يحللها قال يسحق حافر الحمار ويطلى به البرص فإنه يقلعه ولو كان عتيقا وإذا تدخنت المرأة به يسرع خروج ولدها حيا كان أو ميتا وإذا خلط محرقا بدهن الجوز وجعل على الناسور

لفيه وهذا من ذلك وإنما المعلق ما أسقط البخارى فيه شيخه أو أكثر بأن يقول فى مثل هذا الحديث قال عوف أو قال محمد بن سيرين أو قال أبو هريرة وروى الحاكم فى المستدرك وابن حبان عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه كان له جرين تمر وكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم قال فسلمت فرد على السلام فقلت من أنت ناولنى يدك فناولنى فإذا يد كلب وشعر كلب فقلت أجنى أم إنسى فقال بل جنى فقلت إنى أراك ضئيل الخلقة أهكذا خلق الجن قال لقد علمت الجن أن مافيهم أشد منى فقلت ماحملك على ماصنعت قال بلغنى أنك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك فقلت فما يجيرنا منكم قال تقرأ آية الكرسى فإنك إن قرأتها غدوة أجرت منا حتى تمسى وإن قرأتها حين تمسى أجرت منا حتى تصبح قال فغدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال صدقك الخبيث ثم قال صحيح الإسناد وروى الحاكم أيضا عن أبى الأسود الدؤلى قال قلت لمعاذ بن جبل حدثنى عن قصة الشيطان حين أخذته فقال جعلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين فجعلت التمر فى غرفة فوجدت فيه نقصانا فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا الشيطان يأخذ منه قال فدخلت الغرفة وأغلقت الباب على فجاءت ظلمة عظيمة فغشيت الباب ثم تصور فى صورة أخرى ثم دخل لى من شق الباب فشددت إزارى على فجعل يأكل من التمر فوثبت عليه فضبطه فالتفت يداى عليه فقلت ياعدو الله ماجاء بك ههنا فقال خل عنى فإنى شيخ كبير ذو عيال وأنا فقير وأنا من جن نصيبين وكانت لنا هذه القرية قبل أن يبعث صاحبكم فلما بعث أخرجنا منها فخل عنى فلن أعود إليك فخليت عنه وجاء جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما قال قال فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم نادى مناديه أين معاذ فقمت إليه فقال صلى الله عليه وسلم مافعل أسيرك يامعاذ فأخبرته فقال أما إنه سيعود قال فعدت فدخلت الغرفة وأغلقت على الباب فجاء الشيطان فدخل من شق الباب فجعل يأكل من التمر فصنعت به كما صنعت فى المرة الأولى فقال خل عنى فإنى لن أعود إليك فقلت ياعدو الله ألم تقل فى المرة الأولى لن أعود ثم عدت قال فإنى لن أعود وآية ذلك أن لا يقرأ أحد منكم خاتمة سورة البقرة فيدخل أحد منا فى بيته تلك الليلة ثم قال صحيح الإسناد وفى مسند الدارمى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن فقال له هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان فصارعه فصرعه الإنسى وقال إنى أراك ضئيلا شخيتا كأن ذراعيك ذراعا كلب أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم فقال إنى منهم لضليع ولكن عاودنى الثانية فإن صرعتنى علمتك فصرعه الإنسى فقال تقرأ آية الكرسى فإنها لا تقرأ فى بيت إلا خرج منه الشيطان له حبيج كحبيج الحمار ثم لا يدخله حتى يصبح فقيل لعبد الله أهو عمر قال ومن عسى أن يكون إلا عمر قوله الضئيل معناه الدقيق النحيف والشخيت الهزيل الخسيس الجفر الجنبين والضليع الوافر الأضلاع والحبيج الضراط وقوله إلا عمر بالرفع بدل من محل من ومحله الرفع بالابتداء وقد تقدم فى باب الجيم فى الكلام على لفظ الجن حديث فى مسند الدارمى بهذا المعنى والذى ذهب اليه المحققون أن الغول شىء يخوف به ولا وجود له كما قال الشاعر :

الغول والخل والعنقاء ثالثة ✲ أسماء أشياء لم توجد ولم تكن

ولذلك سموا الغول خيتعورا وهو كل شىء لا يدوم على حالة واحدة ويضمحل كالسراب وكالذى ينزل من الكوى فى شدة الحر كنسج العنكبوت قال الشاعر :

يصلحه ويؤخذ من ذنبه ثلاث طاقات حين نزوانه على الأتان ويشد على ساق الرجل ينعظ فى الحال لحمه من أكل منه يأمن من آفات السموم وينفع صاحب الجذام نفعا بينا دمه يطلى به البواسير مرارا تسقط لبنه يسقى الصبى الذى يكثر بكاؤه يزول عنه ومن ضرب بالسياط يكمد بجلدا لحمار فى الوقت الذى سلخ وينام فيه يومه فإنه يزول الألم جلد جبهته يعلق على المصروع يزول صرعه ذنبه يلقى فى النبيذ شىء من شعره يقع بين شاربيها خصومة وتسقى عصارة روثه لمن فى مثانته حصاة فتتها وذكر الجاحظ أن تلك العصارة دواء للضرس المأكول (حمار الوحش) هذا النوع شديد الشبه بعضها بالبعض وذكروا أن الفحل إذا رأى جحشا ذكرا ينزع خصيته حتى لا يزاحمه إذا كبر فى أتانه والأتان إذا ضربها الطلق طلبت موضعا قليل المسلك ووضعت فيه خوفا من أن يكون الولد ذكرا فيخصيه الفحل ثم إذا صلب حافره وقدم على العدو أتت به إلى الغابة ومن عاداتها أنها ينقطع بعضها عن بعض ولو كانت ألوفا ولذلك يسهل صيدها فإن الصائد يكمن فى مضيق ويصبر حتى يعبر عليه بعضها ثم يخرج فلو رجعت

كل أنثى وإن بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

وقال قوم الغول ساحرة الجن وهى تتصور فى صور شتى وأخذوا ذلك من قول كعب بن زهير بن أبى سلمى رضى الله تعالى عنه :

فما تكون على حال تدوم بها * كما تلون فى أثوابها الغول

وقد تقدم ذلك قريبا وفى دلائل النبوة للبيهقى فى أواخره عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال إذا تغولت لأحدكم الغيلان فليؤذن فإن ذلك لا يضره وتزعم العرب أنه إذا انفرد الرجل فى الصحراء ظهرت له فى خلقة الإنسان فلا يزال يتبعها حتى يضل عن الطريق فتدنو منه وتتمثل له فى صور مختلفة فتهلكه روعا وقالوا إذا أرادت أن تضل إنسانا أوقدت له نارا فيقصدها فتفعل به ذلك قالوا وخلقتها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار قال القزوينى ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر رضى الله تعالى عنه حين سافر إلى الشام قبل الإسلام فضربها بالسيف وذكر عن ثابت بن جابر الفهرى أنه لقى الغول وذكر أبيانه النونية فى ذلك (الأمثال) قالت العرب فلان أقبح من الغول ومن زوال النعمة ومن قول بلا فعل والله تعالى أعلم ﴿الغيداق﴾ بفتح الغين ولد الضب وهو أكبر من الحسل وقال خلف الأحمر الغياديق الحيات ﴿الغيطة﴾ بالفتح أيضا البقرة الوحشية قاله ابن سيده ويقال لجماعة البقر الوحشى الربرب بباءين موحدتين وراءين مهملتين وكذلك الإجد بكسر الهمزة والجيم قاله فى الكفاية ﴿الغيلم﴾ كديلم ذكر السلاحف وقد تقدم ذكر السلاحف فى باب السين المهملة ﴿الغيهب﴾ ذكر النعام والغيهب الذى لا عقل له قاله السهيلى فى تفسير شعر مكرز بن حفص فى أوائل غزوة بدر والله تعالى أعلم

## ﴿باب الفاء﴾

﴿الفاختة﴾ الواحدة الفواخت من ذوات الأطواق وهى بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة وبالتاء المثناة فى آخرها قاله فى الكفاية ويقال للفاختة الصلصل أيضا بضم الصادين المهملتين انتهى وزعموا أن الحيات تهرب من صوتها ويحكى أن الحيات كثرت فى أرض فشكوا ذلك إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت اليها ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنها وهى عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها يشبه المثلث وفى طبعها الأنس بالناس وتعيش فى الدور والعرب تصفها بالكذب فإن صوتها عندهم هذا أوان الرطب وتقول ذلك والنخل لم يطلع قال الشاعر:

أكذب من فاختة * تقول وسط الكرب والطلع لم يبد لها * هذا أوان الرطب

﴿قلت﴾ ويحتمل أنها إنما وصفت بالكذب لما قاله الغزالى رحمه الله تعالى فى الإحياء فى أواخر كتابى الصبر والشكر أن كلام العشاق الذين أفرط حبهم يستلذ بسماعه ولا يعول عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فمنعته نفسه فقال لها ما الذى يمنعك عنى ولو أردت أن أقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن لفعلت لأجلك فسمعه سليمان عليه الصلاة والسلام فاستدعاه وقال ما حملك على ما قلت فقال يا نبى الله إنى محب والمحب لا يلام وكلام العشاق يطوى ولا يحكى وهو كما قال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما أريد لما يريد

وقد تقدم فى العصفور نظير هذا ﴿فائدة﴾ اعلم أن الناس قد كثر كلامهم فى وصف المحبة ونعت العشق فسلك كل منهم مذهبا أداه إليه نظره واجتهاده وسأختصر من أقوالهم قدرا

البقية سلمت من الصائد لكنها أرادت اللحوق بالنى عبرت فيرمى الصائد منها ما يرمى ومن حمر الوحش صنف يسمى الأخدرية منسوبة إلى أخدر حصان كان لكسرى أردشير توحش واجتمع بغابات فضرب فيها فالمتولد منه يقال له الأخدرية وهذا الصنف أحسنها شكلا وأشدها عدوا ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ مخه يسحق بدهن الزئبق ويطلى به البهق فإنه يزول ومن أكل منه مع الخس وكان كثير الاحتلام يندفع عنه وينفع لمن يبول فى الفراش مرارته قال ابن سينا تقلع التوتة لحمه ينفع من القرس طلاء مع دهن الورد شحمه جيد للكلف طلاء حافره يتخذ منه خاتم ويعلق على أصحاب الجنون والصرع رأس الشهر يزيل عنهم ذلك ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة روثه يحرق فى تنور الخباز يسقط جميع أفراصه وإذا سحق وخلط ببياض البيض واستنشق به ينفع من الرعاف ( النوع الرابع من الحيوان النعم ) هذا النوع كثير الفائدة شديد الانقياد ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق لها سلاح شديد كأنياب السباع وبراثنها وأنياب الحشرات وإبرها

يسيرا كافيا * قال عبدالرحمن بن نصر إن أهل الطب يجعلون العشق مرضا يتولد من النظر والسماع ويجعلون له علاجا كسائر الأمراض البدنية وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض فأول مرتبة منه تسمى الاستحسان وهى المتولدة من النظر والسماع ثم تقوى هذه المرتبة بطول الذكر فى محاسن المحبوب وصفاته الجميلة فتصير مودة وهى الميل إليه والتألف بشخصه ثم تتأكد المودة فتصير محبة والمحبة هى الائتلاف الروحانى فإذا قويت هذه المرتبة صارت خلة والخلة من الآدميين هى تمكن محبة أحدهما من قلب صاحبه حتى تسقط بينهما السرائر فإذا قويت هذه المرتبة صارت هوى والهوى هو أن المحب لا يخالطه فى محبة محبوبه تغير ولا يداخله تلون ثم يزيد الحال فيصير عشقا والعشق هو إفراط المحبة حتى لا يخلو المعشوق من تخيل العاشق وفكره وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن تنبيه القوى الشهوانية فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال النفس عن تنبيه القوى الشهوانية ويمتنع من الفكر والذكر والتخيل والنوم لاستضرار الدماغ فإذا قوى العشق صار تيما وفى هـــذه الحالة لا يوجد فى قلبه فضل لغير صورة المعشوق ولا ترضى نفسه سواها فإذا تزايد الحال صار ولها والوله هو الخروج عن الحدود والترتيب فتتغير صفاته ولا تنضبط أحواله ويصير موسوسا لا يدرى ما يقول ولا أين يذهب فحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته وتقصر آراؤهم عن معالجته لخروجه عن الحد الضابط وقد أجاد القائل :

يقول أناس لو نعت لنا الهوى * ووالله ما أدرى لهم كيف أنعت
فليس لشىء منه حد أحده * وليس لشىء منه وقت موقت
إذا اشتد ما بى كان آخر حيلتى * له وضع كفى فوق خدى وأصمت
وأنضح وجه الأرض طورا بعبرتى * وأقرعها طورا بظفرى وأنكت
وقد زعم الواشون أنى سلوتها * فما لى أراها من بعيد فأبهت

قال جالينوس العشق من فعل النفس وهو كامن فى الدماغ والقلب والكبد وفى الدماغ ثلاثة مساكن التخيل فى مقدمه والفكر فى وسطه والذكر فى مؤخره فلا يكون أحد عاشقا إلا إذا كان بحيث إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله وفكره وذكره فيمتنع من الطعام والشراب لاشتغال قلبه وكبده ومن النوم لاشتغال الدماغ التخيل والفكر للمعشوق فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به ومتى لم يكن كذلك لم يكن عاشقا فإذا لها العاشق خلت هذه المساكن فرجع إلى حال الاعتدال * وقال أبو على الدقاق العشق تجاوز الحد فى المحبة ولهذا لا يوصف الله تعالى بالعشق لأنه لا يوصف بأن يجاوز الحد فى محبة العبد وإنما يوصف بالمحبة كما قال تعالى يحبهم ويحبونه فمحبة الله تعالى للعبد هى إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته إرادة الإنعام وقال قوم محبة الله تعالى للعبد مدحه وثناؤه عليه وقيل بل محبة الله لعبده صفة من صفات فعله فهى إحسان مخصوص يليق بالعبد وأما محبة العبد لله تعالى فحالة يجدها فى قلبه يحصل منها التعظيم له وإيثاره رضاه وقلة الصبر عنه والاحتياج إليه والاستئناس بذكره * وقد اختلف فى اشتقاق المحبة والعشق فقال بعضهم الحب اسم لصفاء المودة لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب وقيل هو مشتق من حباب الماء بفتح الحاء وهو معظمه لأن المحبة معظم ما فى القلوب من المهمات وقيل اشتقاقه من اللزوم والثبات يقال أحب البعير إذا برك فلم يقم فكأن المحب

ومن شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقت ذلولا كما قال تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وخلق القرن للبقر سلاحا ليتدارك تقصير الحافر وجعل لها بدل الحافر ظلفا لقصور المادة عن الحافر والقرن وربما صرفت المادة فى جهة أنفع وتركت الجهة التى هى أقل نفعا كترك الفك الأعلى للبقر بلا سن وصرف مادتها إلى القرن والقوة المدبرة بإذن الله تعالى تؤيد الحيوان إما بسلاح أو جثة أو هرب وأى هذه فقدت مادته دبرت بمادة أخرى حتى يكمل لها ما تحتاج إليه فى بقاء شخصه ونوعه ثم إن النعم لما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا تطحن بها الصلب من الحب والنوى ولما افتقرت إلى زيادة قوة لتتمكن من العمل المطلوب منها خلق لها كرش واسع لتحمل فيه من العلف شيئا كثيرا يفى بغذائها فإذا رجعت إلى مكانها تجعلها بالاجترار مهيأة للنضج فعند ذلك طبيعتها تميز لطيفها من ثقيلها فتجعل النبن اليابس لحما ودما ومن العجب القوة التى خلقها الله تعالى فى أضراسها فإنها بالليل والنهار فى الطحن لا تفتر إلا قليلا فلو كانت

من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم إياها وهو أنه حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به وتأخذ بزمامه فأرة تقوده إلى حيث شاءت ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفها والوسادة والملحفة والنمرقة كما في بيته ويتخذ للبيت سقف وهو يمشي بكل هذه ولهذا قال تعالى أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وربما تصبر على الماء عشرة أيام وإنما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل وينال الأرض برعي منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به يهيج في شباط وعند ذلك لا خير له بالحمل يحمل ما يحمله بعيران أو ثلاثة تؤخذ عصارة السودنج وتقطر في منخريه يذهب عنه ذلك وإذا مرض أكل من شجرة البلوط يزول عنه والشقشقة التي يخرجها لم تعرف أي شيء هي وقد يجتر والشقشقة خارجة وإذا نهشته حية يأكل السرطان تزول عنه غائلة السم قال ابن سينا بهذا عرف أن

لا ينزع قلبه عن ذكر محبوبه وأما العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبات يلتف بأصول الشجر التي يقارنها في منبتها فلا تكاد تتخلص منه إلا بالموت وقيل إن العشقة نبات أصفر متغير الأوراق فسمي العاشق به لاصفراره وتغير حاله وقيل أعم حالات الحب وأشهرها وأعظم صفات الهوى وأظهرها ثلاثة أوصاف ملازمة لا يستطيعون دفعها وهي النحول والسقم والذبول والله أعلم وهذا الطائر يعمر كثيراً وقد ظهر منه ما عاش خمساً وعشرين سنة وما عاش اربعين سنة كما حكاه أبو حيان التوحيدي وأرسطو قبله (الحكم) يحل أكلها وبيعها بالاتفاق (الأمثال) قالوا أكذب من فاختة وقالوا فلان الفاختة عنده أبوذر (الخواص) دمها ودم الحمام الأسود إذا طلي بهما البرص غير لونه وزيلها إذا علق على صبي يصرع أبرأه ودمها إذا قطر في العين أذهب الآثار المزمنة من ضربة أو قرحة أو غيرهما (التعبير) قال ابن المقرى الفواخت والقماري والدبسي وما أشبهها يدل ملكها في الرؤيا على العز والجاه وظهور النعم لأنها لا تكون في الغالب إلا عند المتنعمين وربما دلت على أهل العبادة والانقطاع والقراءة والتسبيح والتهليل قال الله تعالى وإن من شيء إلا يسبح بحمده وربما دلت على المطربين وأصحاب اللهو والغناء والرقص وربما دلت على الزوجات والإماء وقال المقدسي الفاختة في المنام ولد كذاب وقيل الفاختة امرأة كذابة غير ألفة وفي دينها نقص وقال أرطاميدورس الفاختة امرأة صاحبة مروءة وشكل والله أعلم ﴿الفأر﴾ بالهمز جمع فأرة ومكان فئر أي كثير الفأر وأرض فئرة أي ذات فأر وكنية الفأرة أم خراب وأم راشد. وهي أصناف: الجرذ والفأر المعروفان وهما كالجاموس والبقر والبختي والعراب ومنها اليرابيع والزباب والخلد فالزباب أصم والخلد أعمى وفأرة البيش وفأرة الإبل وفأرة المسك وذات النطق وفأرة البيت وهي الفويسقة التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلها في الحل والحرم وأصل الفسق الخروج عن الاستقامة والجور وبه سمي العاصي فاسقا وإنما سميت هذه الحيوانات فواسق على الاستعارة لخبثهن وقيل لخروجهن عن الحرمة في الحل والحرم أي لا حرمة لهن بحال وقيل سميت بذلك لأنها عمدت إلى حبال سفينة نوح عليه الصلاة والسلام فقطعتها روى الطحاوي في أحكام القرآن بإسناده عن يزيد بن أبي نعيم أنه سأل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه لما سميت الفأرة الفويسقة فقال استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد أخذت فأرة فتيلة السراج لتحرق على رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت فقام إليها وقتلها وأحل قتلها للحلال والمحرم وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعداً عليها فأحرقت منها موضع درهم * الخمرة السجادة التي يسجد عليها المصلي سميت بذلك لأنها تخمر الوجه أي تغطيه ورواه الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال جاءت فأرة فأخذت تجر الفتيلة فذهبت الجارية تزجرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعيها فجأت بها فألقتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على الخمرة التي كان قاعداً عليها فأحرقت منها موضع درهم فقال عليه الصلاة والسلام إذا نمتم فاطفؤا سرجكم فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم ثم قال صحيح الإسناد وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بإطفاء النار عند النوم وعلل ذلك بأن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيتهم نارا وفي الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون حتى تطفؤها قال النووي رحمه الله تعالى هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيرها وأما القناديل المعلقة في المساجد وغيرها فإن خيف حريق

يسببها دخلت فى الأمر بالإطفاء وإن أمن ذلك كما هو الغالب فالظاهر أنه لا بأس بتركها لانتفاء العلة التى علل بها النبى ﷺ وإذا انتفت العلة زال المنع وقد تقدم فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصيد الكلام على الفواسق الخمس وما ألحق بها مما يباح قتله للمحرم وفى الحرم والفأر نوعان جرذان وفئران وكلاهما له حاسة السمع والبصر وليس فى الحيوانات أفسد من الفأر ولا أعظم أذى منه لأنه لا يبقى على حقير ولا جليل ولا يأت على شىء إلا أهلكه وأتلفه ويكفيه ما يحكى عنه فى قصة سد مأرب وقد تقدمت فى باب الخاء المعجمة فى لفظ الخلد ومن شأنه أنه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل فيها ذنبه فكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فيها شيئا ولا يخفى ما بين الفأر والهر من العداوة والسبب فى ذلك ما تقدم فى أول خواص الأسد من حديث زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما حمل فى السفينة من كل زوجين اثنين شكا أهل السفينة الفأرة وأنها تفسد طعامهم ومتاعهم فأوحى الله تعالى إلى الأسد فعطس فخرجت منه الهرة فتخبأت الفأرة منها ﴿تذنيب﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اتخذ نوح السفينة فى سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وروى أن الطبقة السفلى كانت للدواب والوحوش والوسطى للإنس والعليا للطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل ففعل فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فلما وقع الفأر بحرف السفينة جعل يقرضها وحبالها فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بين عينى الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر وعن الحسن قال كان طول السفينة ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع والمعروف ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن طولها ثلثمائة ذراع وقال قتادة رضى الله تعالى عنه كان بابها فى عرضها وقال زيد بن أسلم مكث نوح عليه السلام مائة سنة يغرس الأشجار ويقطعها ومائة عام يعمل الفلك وقال كعب الأحبار مكث نوح عليه السلام فى عمل السفينة ثلاثين سنة وقيل غرس الشجر أربعين سنة وجففه أربعين سنة وزعم أهل التوراة أن الله تعالى أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يضعه أزور وأن يطليه بالقار من داخله ومن خارجه وأن يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وأن يجعله ثلاث أطباق سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فصنعه نوح كما أمر الله تعالى (وأما الذباب والخلد) فتقدما (وأما اليربوع) فسيأتى فى بابه وقد تقدم فى باب العين المهملة فى لفظ العقعق عن سفيان بن عيينة أنه قال ليس شىء من الحيوان يخبأ قوته إلا الإنسان والنملة والفأرة والعقعق وبه جزم فى الإحياء فى باب التوكل وعن بعضهم قال رأيت البلبل يحتكر ويقال إن للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال فقدت أمة من بنى إسرائيل ولا يدرى ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترى أنها إذا وضع لها لبن الإبل لم تشربه وإذا وضع لها لبن الشاة شربته قال النووى وغيره ومعنى هذا أن لحوم الإبل وألبانها حرمت على بنى إسرائيل دون لحوم الغنم وألبانها فدل امتناع الفأرة من لبن الإبل دون لبن الغنم على أنها مسخ من بنى إسرائيل (وأما فأرة البيش) وهو بكسر الباء الموحدة وبالياء المثناة تحت وبالشين المعجمة فى آخره وهو السم السرطان نافع لنهش الحية

(فصل فى خواص أجزائه)

قالوا ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شىء يشبهها وهى جلدة فيها لعاب يكتحل به ينفع من الغشاء العتيق وتطلى به الرقبة ينفع من الخوانيق ووزن قيراط مع مثله من المسك يسعط به ينفع من الصرع كبده يداوم على أكله يدفع نزول الماء شحمه لم يوضع فى موضع إلا وهربت الحيات منه سنامه يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعها كرشه فيه غدة إذا خرجت منه استحجرت وإذا سحقت بالخل ابيضت وهى من أنفع الأشياء للسموم القتالة ذكر ذلك بليناس عظمه يسحق ويخلط بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه شعره يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ويشد على فخذ الصبى الذى يبول فى الفراش يمنع ذلك وبره يذر محرقا على الأنف يحبس الرعاف والدم السائل من الجراحات إذا ذر عليها لبنها ينفع من السمومات كلها والتمضمض به ينفع للأسنان المأكولة بوله يغلى حتى ينعقد ويطلى به الناصور يزيله شربه يقوى على الجماع ويزيل صفرة الوجه بعره قال ابن سينا يقطع الرعاف ويمنع الجدرى أن يبقى أثره ويزيل الثآليل (بقر) حيوان شديد القوة كثير

فدويبة تشبه الفأرة وليست بفأرة ولكن هكذا يسمى وتكون فى الغياض والرياض وهى تتخللها طلبا لمنابت السموم فتأكلها فلا تضرها وكثيرا ما تطلب البيش وهو سم قاتل كما تقدم هنا وفى باب السين المهملة فى لفظ السمندل قاله القزوينى فى الأشكال (وأما ذات النطاق) فهى فأرة منقطة ببياض وأعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهى التى تلبس قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل قاله القزوينى أيضا (وأما فأرة المسك) فهى غير مهموزة لأنها من فاريفور وهى النافجة كذا قاله الجوهرى وفى التحرير فأرة المسك مهموزة كفأر الحيوان ويجوز ترك الهمز كما فى نظائره وقال الجوهرى وابن مكى ليست مهموزة وهو شذوذ منهما وقول الشاعر:

كأن بين فكها والفك * فأرة مسك ذبحت فى سك

مراده شقت والذبح أصله الشق والقطع والسك ضرب من الطيب يركب من مسك وغيره وقال الجاحظ فأرة المسك نوعان النوع الأول دويبة تكون فى بلاد التبت تصاد لنوافجها وسررها فإذا صيدت شدت بعصائب وتبقى متدلية فيجتمع فيها دمها فإذا أحكم ذلك ذبحت فإذا ماتت قورت السرة التى عصبت ثم تدفن فى الشعير حينا حتى يستحيل ذلك الدم المختنق هناك الجامد بعد موتها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام نتنا وما أكثر من يأكلها أى الفأرة عندنا ﴿قلت﴾ وتعجبه من كثرة آكليها يدل على استطابتها والفقهاء لم يتعرضوا لهذا النوع ثم قال والنوع الثانى جرذان سود تكون فى البيوت ليس عندها إلا تلك الرائحة اللازمة وهذا النوع رائحته كرائحة المسك إلا أنه لا يؤخذ منه المسك وقد تقدم فى باب الظاء المشالة فى لفظ الظبى ذكر المسك وحكمه ﴿قلت﴾ والمشهور أن فأرة المسك سرر الظباء كما تقدم (وأما فأرة الإبل) فقال فى الصحاح هى أن تفوح منها ريح طيبة وذلك إذا رعت العشب وزهره ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة فيقال لتلك الرائحة فأرة الإبل عن يعقوب قال الراعى يصف إبلا:

لها فأرة زفراء كل عشية * كما فتق الكافور بالمسك فاتقه

(وأما الفأرة التى خربت سد مأرب) فهى الخلد وقد تقدم ذكر قصتها فى باب الخاء المعجمة وروى الحاكم والبيهقى عن مجاهد فى تفسير قوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها يعنى حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيسلم كل يهودى وكل نصرانى وكل صاحب ملة وتأمن الفأرة الهر والشاة الذئب ولا تقرض فأرة جرابا وتذهب العداوة من الأشياء كلها وذلك ظهور الإسلام على الدين كله (الحكم) يحرم أكل جميع أنواع الفأر إلا اليربوع كما سيأتى فى بابه إن شاء الله تعالى ويكره أكل سؤر الفأر وقال ابن وهب عن الليث كان ابن شهاب يعنى الزهرى يكره أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ويقول إنهما يورثان النسيان وكان يشرب العسل ويقول إنه يورث الذكاء وقد جمع الشيخ علم الدين السخاوى ما يورث النسيان فى أبيات فقال:

توق خصالا خوف نسيان ما مضى * قراءة ألواح القبور تديمها
وأكلك للتفاح ما كان حامضا * وكزبرة خضراء فيها سمومها
كذا المشى ما بين القطار وحجمك الـ * ـقفاء ومنها الهم وهو عظيمها
ومن ذاك بول المرء فى الماء راكدا * كذلك نبذ القمل لست تقيمها
ولا تنظر المصلوب فى حال صلبه * وأكلك سؤر الفأر وهو تميمها

المنفعة خلقه الله تعالى ذلولا وإنما لم يخلق له سلاح شديد كما للسباع لأنه فى رعاية الإنسان والإنسان يدفع عنه عدوه ولأن حاجة الإنسان إليه ماسة فلو كان له سلاح شديد الصعب على الإنسان ضبطه والبقر الأجم يعلم أن سلاحه فى رأسه فتستعمل محل القرن كما ترى من العجاجيل قبل نبات القرن تنطح برؤسها وذلك لمعنى خلقت لطبيعتها فتعلم ذلك بالطبع وليس للبقر الثنايا الفوقانية فتقطع الحشيش بالتحتانية ولو لم يخص لم يفد عملا كثيرا لأنه كثير النزوان إذا هاج لا يندفع بالسيف فتسقط قوته ويهرم سريعا وزعموا أن البقر إذا دهن قرنه لا يخور ألبته وينتفع به ظلفه نافع لمن أصابه الحفا وله مشية مليحة يتبختر وإذا مرض مرضا شديدا ركب فى قرنه شىء من العاج يبرأ مرضه

(فصل فى خواص أجزائه)

قرنه يحرق ويجعل فى طعام صاحب حمى الربع تزول عنه ويشرب فى شىء من الأشربة يزيد فى الباه ويقوى القضيب ويورث النعوظ وينفخ فى منخر الراعف ينقطع دمه ويحرق قرنه حتى يصير رمادا ويداف بالخل ويطلى به البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول محه طريا يداف بدهن ويقطر فى الأذن الوجعة يسكن وجعها لسان الثور الأسود

﴿ تتمة ﴾ روى البخارى عن ابن عباس عن ميمونة بنت الحرث زوج النبى ﷺ قالت إن فأرة وقعت فى سمن فماتت فسئل النبى ﷺ عنها فقال ألقوها وما حولها وكلوه ورواه أبو داود والنسائى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه ورواه الترمذى عنه ثم قال وهو غير محفوظ سمعت البخارى يقول إنه خطأ يعنى من طريق أبى هريرة ﴿ قلت ﴾ والصواب أنه صحيح ورواه الطحاوى فى بيان المشكل عنه بلفظ إن كان جامدا فخذوها وما حولها فألقوه وإن كان ذائبا فاستصبحوا به وإنما لم يدخل البخارى فى الحديث قوله ﷺ وإن كان مائعا فأريقوه لأنه من رواية معمر عن الزهرى فاستراب بانفراده معمر بها والعلماء مجمعون على أن حكم السمن الجامد تقع فيه الميتة أنها تلقى وما حولها ويؤكل بقيته وأما المائع كالخل والزيت والسمن المائع واللبن والشيرج والعسل المائع فلا خلاف أنه لا يؤكل والمشهور جواز الاستصباح به لكن يكره وقيل لا يجوز لقوله تعالى والرجز فاهجر قال أبو العالية والربيع الرجز بالضم والكسر النجاسة والمعصية وكل هذا فى غير المساجد فأما المساجد فلا يستصبح به فيها جزما ويحل دهن السفن به وأن يتخذ صابونا يغسل به ولا يباع وقال أبو حنيفة والليث يجوز بيع الدهن النجس إذا بين نجاسته وقال أهل الظاهر لا يجوز بيع السمن ولا الانتفاع به إذا وقعت فيه الفأرة ويجوز بيع الزيت والخل والعسل وجميع المائعات إذا وقعت فيها قالوا لأن النهى إنما ورد فى السمن دون غيره (الأمثال) قالوا ألص من فأرة وأسرق من ذبابة وهى الفأرة البرية تسرق كل ما تحتاج إليه وما تستغنى عنه (الخواص) قال فى كتاب عين الخواص رأس الفأرة يشد فى خرقة كتان ويعلق على رأس صاحب الصداع الشديد يزول صداعه وينفع من الصرع وعين الفأر تشد فى قلنسوة إنسان يسهل المشى عليه وإن بخر البيت بزبل ذئب أو زبل كلب هربت منه الفيران وإن خلط العجين بزبل حمام وأكله الفأر أو أى حيوان كان مات وإن دق بصل الفأر وجعل على أبواب جحرتهن فأى فأر شم رائحته مات وإن جعل على باب جحر الفأر ورق الدفلى مع القلقند لم تبق فيه فأرة وإن دق عظم ساق الجمل دقا ناعما وديف بماء وسكب فى جحرة الفيران فإنه يقتلهن وإن أخذت فأرة وقطع ذنبها ودفنت وسط البيت لم يدخل ذلك البيت فأر ما دامت فيه وإذا بخر بكمون ولوز ونطرون عند جحرتهن متن من ساعتهن وإن بخر البيت بحافر بغل أسود هرب منه الفأر وإن علقت عين فأرة على من به حمى الربع أبرأته وذنب الفأر إذا جعل فى جلد حمار وجعلا فى خرقة حرير وعلق على اليد اليسرى فمن يكون له حاجة فإنها تقضى عند الملوك وغيرهم وبول الفأر يقلع الكتابة من الورق وطريق أخذ بوله أن يصاد فى مصيدة بحديدة ويوضع إناء وتجعل المصيدة من ناحية الحديدة على فم الإناء ويرى الفأر السنور فإنه يبول من ساعته لشدة خوفه ويكتب للفأر على أربع صفائح قصدير وتجعل فى أوكار الفأر وهو هذا ياربيق ياسلويرا ﴿ قلت ﴾ وقد أذكرنى هذا ما يقلع الزيت وغيره من الأدهان من القرطاس والجلد والريش وغير ذلك أن يؤخذ التراب الذى يجعله النساء فى رءوسهن فى الحمام الأزرق المحترق فيدق ناعما كالكحل ويوضع على القرطاس الذى أصابه الزيت أو غيره ويثقل تثقيلا جيدا يوما وليلة ثم يرفع فإن القرطاس يصير نقيا ليس به أثر وهو سر عجيب مجرب وأما اسم الفأر فهو التراب الهالك عند أهل العراق وهو السك يؤتى به من خراسان من معادن الفضة وهو نوعان أبيض وأصفر إن جعل فى عجين وطرح فى البيت وأكل منه الفأر مات وكذلك كل فأرة تجدر يح تلك الفأرة حتى يموت الجميع (التعبير) قال المعبرون الفأرة فى الرؤيا امرأة فاسقة لأن النبى ﷺ

يخفف ويسحق ويمزج بماء حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فإنه لا يخاصم أحدا إلا غلبه مرارته مع بزر الجرجير وبزر الفجل ومائه يعرض على النار ليقوى ويطلى به الكلف فإنه يزول عنه إذا تركه زمانا مرارة البقر تخلط بورق الغبيراء مدقوقا وتتحمل به المرأة فإنها تحبل وفى مرارة البقر حجر قدر عدسة يجعل فى ماء الشهدانج وماء العرفج ويسعط به المصروع يزول صرعه وتطلى الشجرة بمرارة البقر لا يتولد فيها الدود وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل به صاحب القولنج ينفتح فى الحال مرارة البقرة السوداء يكتحل بها من به ظلمة العين فإنه يحد بصره حتى يقرأ نقش الخاتم وإذا أردت أن ترى عجبا فادفن جرة فى الأرض إلى عنقها وقد طليت باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع فيها . كلية البقر تعلق على من به الخنازير تزول خصية الفحل تجفف وتسحق وتشرب تهيج الباه وتنعظ وتعين على كثرة الجماع قضيبه يجفف ويسحق ويلقى على البيض النيمرشت وبحثى فإنه يزيد فى الباه حتى يرى عجبا كعبه يحرق ويدلك به السن



يبيضها ويذهب وسخها . لبنه يزيل صفرة اللون وإذا شرب بالخيض ينفع من البواسير

قال اقتلوا الفويسقة وقيل الفأرة امرأة يهودية نائحة ملعونة أو رجل يهودى فاسق أو لص نقاب وربما دل الفأر على الرزق فمن رأى فأرا فى بيته كثر رزقه لأنه لا يكون إلا فى مكان فيه رزق ومن خرج الفأر من منزله قلت بركته ونعمته ومن ملك فأرا ملك خادما لأن الفأر يأكل مما يأكل الإنسان وكذلك الخادم يأكل مما يأكل سيده ومن رأى فأرا يلعب فى داره نال خصبا فى تلك السنة لأن اللعب لا يكون إلا من الشبع وأما الفأر الأبيض والأسود فإنه يدل على الليل والنهار فمن رآه يغدو ويروح فإنه يدل على طول حياته ومن رأى الفأر كأنه يقرض فى ثيابه فهو معلن بما يمر من أجله ومن رأى فأرا ينقب فإنه لص نقاب فليحذره والله تعالى أعلم ﴿الفادر﴾ المسن من الأوعال ﴿الفازر﴾ بالزاى قبل الراء نمل أسود فيه حمرة ﴿الفاشية﴾ الماشية وجمعها فواش وهى التى تفشو من المال كالإبل والبقر والغنم السائمة لأنها تفشو أى تنتشر فى الأرض ويقال أفشى الرجل إذا كثرت مواشيه روى مسلم فى الأشربة وأبو داود فى الجهاد من حديث أبى خيثمة عن أبى الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء زاد أبو داود فإن الشياطين تعيث إذا غابت الشمس وفحمة العشاء ظلمتها واسوداده شبه سوادها بالفحم وفسرها بعضهم بإقبال أول ظلامه وفى الحديث ضموا مواشيكم إذا دخل الليل وسيأتى فى باب الميم إن شاء الله تعالى ذكر هذا الكلام ﴿الفاعوس﴾ كجاموس الحية والوعل والأفعى قاله ابن الأعرابى وأنشد فى ذلك :

قد يهلك الأرقم والفاعوس * والأسد المدرع النهوس

قال ولم يأت فى الكلام فاعول لام الفعل منه سين إلا الفاعوس وهو الحية والوعل والبابوس وهو الصبى الرضيع والراموس وهو القبر والقاموس وهو وسط البحر والقابوس وهو الجميل الوجه والعاطوس وهو دابة يتشاءم بها والفانوس وهو الثمام والجاموس وهو ضرب من البقر والجاروس وهو الكثير الأكل وقال ابن دريد والكابوس وهو الذى يقع على الإنسان فى نومه والناموس وهو صاحب سر الخير والجاسوس وهو صاحب سر الشر وفى الصحيحين أن ورقة ابن نوفل قال هذا الناموس الذى أنزل على موسى بن عمران ﷺ قال النووى وغيره اتفقوا على أن المراد هنا جبريل عليه الصلاة والسلام وسمى بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحى وعلم الغيب وسيأتى هذا أيضا فى باب النون إن شاء الله تعالى فى لفظ الناموس والله تعالى أعلم ﴿الفاطوس﴾ سمكة عظيمة تكسر السفن والملاحون يعرفونها فيخذون خرق الحيض ويعلقونها على السفينة فإنها تهرب منهم قال القزوينى ولعل هذا هو حوت الحيض وقد تقدم ذكره فى باب الحاء المهملة ﴿الفالج﴾ بالجيم فى آخره الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من الهند وهو الدهانج بفتح الدال وبالجيم فى آخره كما تقدم فى باب الدال المهملة وفى الحديث أن فالجا تردى فى بئر ﴿فالية الأفاعى﴾ بنات وردان وسيأتى إن شاء الله تعالى فى آخر باب الواو وقيل هى ضرب من الخنافس رقط تألف العقارب فى حجرة الضب (الأمثال) قالت العرب آتيكم فالية الأفاعى وجمعها الفوالى لأنها إذا خرجب يعلم أن الضب خارج لا محالة وإذا رؤيت فى الجحر علم أن وراءها العقارب والحيات والأفاعى يضرب لأول شر ينتظر بعده شر منه والله تعالى أعلم ﴿فتاح﴾ كصياح طائر يكنى أم عجلان تقدم فى آخر باب العين المهملة ﴿الفتع﴾ دود أحمر يأكل الخشب قال الشاعر :

وسمنها يطلى به للسع العقرب يبرئها للوقت والعتيق منه نافع للجراحات دمه يطلى به الورم يسكن وجعه قال بليناس يخلط بول الثور ببول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين فإنه يزيل حمى الربع وأقل ما يحتاج إلى ذلك ثلاث مرات وهذا من العجائب أخثاء البقر يخلط بخل التمر ويضمد به الدماميل الصلبة يردعها واليابس منه يخلط بخل وماء ورد ويضمد به لسعة الزنبور يسكن وجعها وتطلى خلية النحل به يكثر فيها ويقوى وإذا طليت به الثآليل قلعها (بقر الوحش) يقال له بالفارسية كوزن له قرن عظيم ذو شعب كل سنة تنبت على قرنه شعبة زائدة وقرنه مصمت بخلاف قرون سائر الحيوانات فإن قرونها مجوفة وإذا سمع الغناء أو صوت الملاهى يصغى إليها ولا يحذر حينئذ من الذئاب لشدة التذاذه بها وإذا رفع أذنه يسمع الأصوات فإذا أرخاها لا يسمع شيئا وإذا مرض يأكل الحيات والأفاعى يزول مرضه ويأكل الأفعى من ذنبها فإذا وصل إلى رأسها يرميها والأفعى إذا أحست به تنسل فى حجرها والبقرة تأتى إلى جحرها وتجعل فمها على الجحر وتجذبها بقوة النفس

غداة غادرتهم قتلى كأنهم * خشب تقصف فى أجوافها الفتع

الواحدة فتعة قاله ابن سيده ﴿الفحل﴾ الذكر من ذى الحافر والظلف والخف وغير ذلك من ذى الروح وجمعه أفحل وفحول وفحولة وفحال وفحالة قال البخارى فى الجهاد وقال راشد ابن سعد كان السلف يستحبون الفحولة من الخيل لأنها أجرى وأجرأ أى أسرع وأجسر وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فرأينا منه عجبا جاء رجل فقال يارسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فحلان وقد منعانى أنفسهما وحائطى ومافيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما فنهض نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقال لصاحبه افتح فقال إن أمرهما عظيم فقال صلى الله عليه وسلم افتح فلما حرك الباب أقبلا ولهما رغاء وجلبة فلما انفرج الباب ونظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بركا ثم سجدا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برؤسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن السجود لاينبغى إلا للحى القيوم الذى لايموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ورواه الطبرانى من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال ورجاله ثقات وروى الحافظ الدمياطى فى كتاب الخيل عن عروة البارقى أنه قال كانت لى أفراس وفيها فحل شراؤه عشرون ألف درهم ففقأ عينه دهقان فأتيت عمر رضى الله تعالى عنه فأخبرته فكتب إلى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه أن خير الدهقان بين أن يعطيه عشرين ألفا ويأخذ الفحل وبين أن يغرم ربع الثمن فقال الدهقان ماأصنع بالفحل وغرم ربع الثمن وقد تقدمت الإشارة إلى هذا فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحيوان وفى الصحيحين وغيرهما يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل وفى السنن يضرب أحدكم امرأته ضرب الفحل وروى الشافعى رحمه الله تعالى فى مسنده بإسناد على شرط مسلم عن عبد الله ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما أنه قال إن لبن الفحل لايحرم ومعناه أن حرمة الرضاع لا تثبت بين المرتضع وبين زوج المرضعة الذى اللبن منه وإنما تنتشر الحرمة إلى أقارب المرضعة لاغير وروى هذا عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم وبه قال داود الأصم وهو اختيار عبد الرحمن ابن بنت الشافعى والذى ذهب إليه الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وغيرهم من علماء الأمة أن حرمة الرضاع تثبت بين المرتضع وبين المرضعة وبين زوجها الذى منه اللبن فتكون المرضعة أما له وزوجها أبا له كما إذا ولدته من مائه وكانا أبوين له لحديث عائشة رضى الله تعالى عنها المتفق على صحته فى قصة فلح ابن أبى القعيس وحديثها أيضا المتفق عليه أن النبى ﷺ قال يحرم من الرضاع مايحرم من النسب وإنما تثبت حرمة الرضاع بشرطين أحدهما أن يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ ولقوله ﷺ لايحرم من الرضاع إلا ماينبت اللحم وفى رواية لارضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم وإنما يكون هذا فى حال الصغر وعند أبى حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا والشرط الثانى أن يكون خمس رضعات متفرقات كل رضعة إلى الشبع روى ذلك عن عائشة وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهم وبه قال مالك والشافعى وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن قليل الرضاع وكثيره محرم وهو قول ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وروى عن سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثورى ومالك وفى إحدى الروايات والأوزاعى وعبد الله

فتقتلها (وحكى) أن بقرة أزعجت وتبعها الفرسان والكلاب وهى تعدو سريعا فأصابت فى عدوها حية فوقفت وقتلتها ثم شرعت فى العدو فكأنها رأت أن قتل الحية أهم من نجاة النفس ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ مخه يطعم صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا قرنه من استصحب معه منه شعبة نفرت عنه السباع ويدخن به فى بيت تهرب منه الحيات ورماده يذر فى السن المتأكلة المتألمة يسكن وجعها دمعه ترياق للسموم كلها دمه يسقى يفتح القولنج ويفتح أيضا من به عسر البول جلده يبخر به البيت تهرب منه الحيات شعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر والخفاش يأخذ من شعره ويتركه فى عشه ليأمن من الحية والخنفساء كعبه يشد على العضد يأمن من الحشرات كلها ظلفه يبخر به البيت تهرب عنه الحيات والله أعلم (جاموس) حيوان عظيم لاينام ألبتة ولعله فى بعض أوقات الليل يغمض جفنه زعموا أن فى دماغه دودة تتحرك دائما لاتخليه ينام ويدفع السباع عن نفسه ويقتل التمساح مع عظم بدنه ولذلك يسرحون الجواميس على طرف النيل والجاموس يمشى إلى الأسد وهو ثابت الجنان وليس له إلا قرنه وليس فى

لأنه يذب الأسد عن نفسه والأسد يريد أن يجعله طعامه وقالوا إنه لا ينزو على أمه.

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾

الدودة التى فى دماغه إذا علقت على أحد لا ينام مادامت عليه لحمه يورث تولد القمل شحمه يذاب بالملح الأندرانى ويطلى به الكلف والجرب والبرص يزيلها (زرافة) رأسها كرأس الإبل وقرنها كقرن البقر وجلدها كالنمر وقوائمها كالبعير وأظلافها كالبقر طويلة العنق جدا طويلة اليدين قصيرة الرجلين وصورتها بالبعير أقرب وجلدها بالبقر أقرب وأشبه وذنبها كذنب الظباء قالوا الزرافة متولدة من ناقة الحبش والبقرة الوحشية والضبعان وذلك أن الضبعان ببلاد الحبشة تسفد الناقة فتجىء بولد بين خلقة الناقة والضبعان فإن كان ولد تلك الناقة ذكرا ولحق بالمهمهات أتت الزرافة

(وحكى) طهمان الحكيم أن بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع بالصيف حيوانات مختلفة الأنواع على مصاقع الماء من شدة العطش والحر فربما تسافدت غير أنواعها

ابن المبارك وأبو حنيفة فإن كان للرجل خمس بنات أو زوجات أو امهات أولاد فأرضعت كل واحدة راضعة واحدة جنينا واحدا ففيه ثلاثة أوجه أحدها لا يقع التحريم والثانى يصيرا بنا له ولا يصيرا بنا للمرضعات والثالث يصيرا بناله وللمرضعات فإن وصل اللبن إلى جوفه بحقنة ففيه قولان وإن اختلط اللبن بمائع ووصل إلى جوفه ثبتت الحرمة وإن كان مغلوبا على أصح القولين والمسئلة فروع مبسوطة فى كتب الفقه ﴿قلت﴾ وقد أذكرنى اللبن حديثا رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا أخاف على أمتى إلا اللبن فإن الشيطان بين الرغوة والضرع وروى أيضا من حديث عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيهلك من أمتى أهل اللبن قيل من هم يارسول الله قال أناس يحبون اللبن فيخرجون من الجماعات ويتركون الجمعات قال الحربى أظنه أراد يتباعدون عن الأمصار وعن صلاة الجماعات ويطلبون مواضع اللبن فى المراعى والبرارى والبوادى وقال غيره أراد قوما أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وفى صحيح البخارى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن عسب الفحل والأشهر فى تفسيره أنه ضراب الفحل كما قال الشاعر.

ولولا عسبه لرددتموه * وشر منيحة فحل يعار

وقيل المراد ثمن مائه ففى رواية الشافعى وأحمد وأبى داود فى بعض نسخه نهى عن ثمن عسب الفحل وقيل العسب أجرة ضرابه فيحرم ثمن مائه وكذا أجرته فى الأصح (الامثال) قال العسكرى ومن الأمثال المستحسنة قولهم ذلك الفحل لا يقدع أنفه وقد تمثل به ورقة ابن نوفل فى النبى صلى الله عليه وسلم حين خطب خديجة بنت خويلد رضى الله تعالى عنها ويقال بل تمثل به أبو سفيان بن حرب حين خطب النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة رضى الله تعالى عنها قال وأصحاب الحديث يرونه الفحل لا يقرع أنفه بالراء انتهى قال الشماخ:

إذا ما استافهن ضربن منه * مكان الرمح من أنف القدوع

قوله استافهن يعنى حمارا يستاف أنثى فيرمحنه إذا استافهن والسوف الشم وقوله مكان الرمح من أنف القدوع أراد بالقدوع المقدوع وهذا من الأضداد يقال طريق ركوب إذا كانت تركب ورجل ركوب للدواب إذا كان يركبها وناقة رغوث إذا كانت ترضع وحوار رغوث إذا كان يرضع وشاة حلوب إذا كانت تحلب ورجل حلوب إذا كان يحلب الشاة والقدوع هنا البعير قدع أنفه وهو أن يريد الناقة الكريمة ولا يكون كريما فيضرب أنفه بالرمح حتى يرجع يقال قدع أنفه عن كذا أى منع عنه وأنشد الشيخ شرف الدين الدمياطى فى أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب لعبد الله بن يزيد الهلالى:

ما أنجبت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أوسهل
كسته من بطن أم الفضل * زوجة عم المصطفى ذى الفضل
خاتم الأنبيا وخير الرسل * أكرم بها من كهلة وكهل

وقالوا الفحل يحمى شوله معقولا والشول تقدم فى باب الشين المعجمة أنها النوق التى جف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية الواحدة شائلة والشول جمع على غير قياس ومعقولا نصب على الحال أى أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ أهله وحريمه وإن كان به علة وقد تمثل بذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص أخى سعد بن أبى وقاص حين فقئت عينه باليرموك وهو الذى افتتح جلولا من بلاد فارس وهزم الفرس وكانت جلولا تسمى فتح

الفتوح وبلغت غنائمها ثمانية عشر الف ألف وشهد صفين مع على رضى الله عنه وكانت معه الراية وهو على الرجالة وقتل يومئذ وهو يقول :

أعور يبغى أهله محلا * قد عالج الحياة حتى ملا * لا بد أن يفل أو يفلا

فقطعت رجله يومئذ وهو يقاتل من دنا منه وهو بارك ويقول الفحل يحمى شوله معقولا وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه :

يا هاشم الخير جزيت الجنة * قاتلت فى الله عدو السنة

ومن أحكام الفحل أن من غصب فحلا وأنزاه على شاته فالولد للغاصب ولا شىء عليه للإنزاع لكن إذا نقص الفحل بذلك غرم أرش نقصه وأن غصب شاة وأنزى عليها فحلا فالولد لصاحب الشاة ﴿تذنيب﴾ قال يونس جميع الألبان معتدلة وقال الرازى الحلو حار وأجوده ما كان من ضأن فتى وهو ينفع الصدر والرئة ويضر أصحاب الحميات وهو يولد غذاء جيدا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والصبيان وأجود أكله فى الربيع وأما اللبن الحامض فبارد رطب وأجوده الكثير الزبد وهو ينفع لتسكين العطش ويضر بالأسنان اللثة ويدفع ضرره التمضمض بماء العسل ويولد خلطا محمودا ويوافق أصحاب الأمزجة المعتدلة والغلمان وأجود استعماله فى الصيف ويختار اللبن بعد الولادة بأربعين يوما ويختلف بحسب صفته فالمطبوخ مع الحنطة والأرز يوافق أصحاب الأمزجة الحارة ومانزع زبده ومائيته ويقال له الودع ينفع أصحاب الأمزجة الحارة وإذا ألقى فى اللبن الحصا المحمى حتى تذهب مائيته نفع من الذرب والذى أخرج غلظه بالأنفحة إذا خلط بالسكنجبين السكرى نفع من الحكة والجرب ولبن الأتن ينفع من السل والدق ولبن اللقاح نافع من الاستسقاء إذا خلط مع أبوالها وماخثر من اللبن فهو بارد يمسك الطبع ويولد خلطا غليظا وسددا وحجارة فى الكلى انتهى ﴿تتمة﴾ اللبن فى المنام فطرة الإسلام وهو مال حلال يناله بلا تعب لقوله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين وأما الراتب فهو مال حرام لحوضته وخروج دسومته ولبن الغنم مال شريف ولبن البقر غنى ولبن الخيل ثناء حسن ولبن الثعلب شفاء من مرض ولبن البغل عسر وهول ولبن النمر عدو يظهر ولبن الأسد مال من سلطان ولبن حمار الوحش شك فى الدين ولبن الخنزير مصيبة فى العقل والمال لمن شربه فى المنام وقيل إصابة مال عظيم لكن يخشى على عقل شاربه ولبن ابن آدم زيادة فى المال إذ هو زاد فى الثدى ولا يحمد لمن رضعه فإنه يدل على داء مكروه قال محمد بن سيرين لا أحب الراضع ولا المرضع فإن شربه المريض شفى من مرضه لأن به كان نشوه وقوته ومن بدد اللبن فقد ضيع دينه ومن رأى اللبن يخرج من الأرض فإنها فتنة يراق فيها الدم على قدر ذلك اللبن ولبن الكلاب والذئاب والسنانير خوف أو مرض وقيل إن لبن الذئاب مال من سلطان ورياسة على قوم ولبن الهوام من شربه فإنه يصالح أعدائه والله تعالى أعلم ﴿الفدس﴾ بالضم العنكبوت والجمع قدسة كقردة ﴿الفرا﴾ الحمار الوحشى والجمع الفراء مثل جبل وجبال وفى المثل كل الصيد فى جوف الفرا قاله النبى ﷺ لأبى سفيان بن الحرث وقيل لأبى سفيان بن حرب كذا قاله أبو عمر بن عبد البر وقال السهيلى الصحيح أنه ﷺ قاله لابن حرب يتألف به وذلك أنه استأذن على النبى ﷺ فحجب قليلا ثم أذن له فلما دخل قال ما كدت تأذن لحجارة الجلهمتين وهما جانبا الوادى فقال النبى ﷺ يا أبا سفيان أنت كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا قال له النبى ﷺ ذلك يتألفه عن الإسلام يعنى إذا حجبتك منع كل محجوب وقال فى كلامه على فتح مكة الأصح أن النبى ﷺ قال لأبى سفيان بن الحرث وكان رضيع النبى صلى الله

فيتولد مثل الزرافة والسمع والعسار وأمثالها والزرافة من الخلق العجيب ليس عندها إلا الظرافة الصورة وغرابة النتاج ( الضأن ) جعل الله البركة فى نوع الغنم فتراها تلد فى كل عام مرة واحدة ويأكل منها ما شاء الله ويمتلئ منها وجه الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستا وسبعا ولا يرى منها إلا واحد فى أطراف الأرض والغنم مال مبارك محبوب حتى لو أرادوا مدح إنسان قالوا إنه كبش من الكباش (ومن عجائبه) أنه يرى الفيل والبعير والجاموس ولا يخافها مع ضخامة أبدانها ويرى الذئب يخافه وإذا رآه اعتراه خوف عظيم لمعنى خلقه الله تعالى فيه وسمعت أن القطيع إذا كان على طرف دجلة وأحس بالذئب هربت وخاضت فى الماء حتى تتوسطه فإذا أمنت عادت إلى مكانها (وأعجب) من هذا أن الغنم تلد فى ليلة واحدة عددا كثيرا ثم إن الراعى يسرح بالأمهات من الغد ويأتى بها عند العشى ويخلى بين الأمهات والأولاد فيذهب كل واحد إلى أمه ويحلب من الهند نوع من الضأن على صدره إلية وعلى كتفيه إليتان وعلى فخذيه إليتان وعلى ذنبه إلية وربما تكبر إلية الضأن حتى تمنعه من المشى فيتخذ لإليتها عجلة توضع

عليها وتشد إلى صدرها فيمشى عليها وذكروا أن الغنم إذا تسافدت عند نزول المطر لا تعلق بولد وإن كان ذلك عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكورا وإن كان عند مجيء الجنوب تكون الأولاد إناثا وزعموا أن الضأن إذا رعت الزرع يرجع وإذا رعته المعز لا يرجع

﴿ فصل فى خواص أجزائها ﴾ قرن الكبش إذا دفن تحت الشجرة بكرت بالحمل قبل أوانها ويكتحل بمرارة الضأن مع العسل ينفع من نزول الماء فى العين ويزيل البياض الذى فى العين إزالة عجيبة مخه يورث البله وأصحاب الصرع إذا أكلوا منه يشتد صرعهم عظمه يحرق بخشب الطرفاء ويخلط رماده بدهن الشمع المتخذ من دهن الورد ويطلى به موضع الفسخ والهشم يصلحه (قال) بليناس إذا احتملت المرأة صوف النعجة قطع الحبل وإذا غطيت الإناء بصوف أبيض وفيه عسل لا يقربه النمل (معز) حيوان غبى أحمق فلذلك إذ أرادوا ذم إنسان قالوا تيس من التيوس أى فى غاية الغباوة والنتن والمعز يفضل على الضأن بعزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من إلية المعز يزاد فى شحمها ولذلك قالوا إلية

عليه وسلم ارضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما بعث ﷺ كان أبعد الناس وأهجاهم له إلى أن أسلم فكان أصح الناس إيمانا وألزمهم لرسول الله ﷺ وأصل هذا المثل أن جماعة ذهبوا إلى الصيد فصاد أحدهم ظبيا والآخر أرنبا والآخر حمار وحش فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا على الثالث فقال الثالث كل الصيد فى جوف الفرا أى الذى رزقت وظفرت به مشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس فيما يصيده الناس أعظم من حمار الوحش ثم اشتهر ذلك المثل واستعمل فى كل حاو لغيره وجامع له قال الشاعر :

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هى إلا واحد غير ممترى
إذا صح كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد فى جوف الفرا

﴿ الفراش ﴾ دواب مثل البعوض واحدتها فراشة وهى التى تطير وتتهافت فى السراج لضعف إبصارها فهى بسبب ذلك تطلب ضوء النهار فإذا رأت فتيلة السراج بالليل ظنت أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى بنفسها إلى النار فإذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود إليها مرة بعد مرة حتى تحترق قال الإمام حجة الإسلام الغزالى ولذلك تظن أن هذا لنقصان فهمها وجهلها ثم قال فاعلم أن جهل الإنسان أعظم فى جهلها بل صورة الإنسان فى الإكباب على الشهوات والتهافت فيها أعظم جهالة منها لأنه لا يزال يرمى بنفسه فيها إلى أن ينغمس فيها ويهلك هلاكا مؤبداً فليت جهل الآدمى كان كجهل الفراش فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول إنكم تتهافتون فى النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم انتهى ولقد أجاد مهلهل ابن يموت فى قوله :

جلت محاسنه عن كل تشبيه * وجل عن واصف فى الحسن يحكيه
انظر إلى حسنه واستغن عن صفتى * سبحان خالقه سبحان باريه
النرجس الغض والورد الجنى له * والأقحوان النضير الغض فى فيه
دعا بألحاظه قلبى إلى عطبى * فجاءه مسرعا طوعا يلبيه
مثل الفراشة تأتى إذ ترى لهبا * إلى السراج فتلقى نفسها فيه

وقال عون الدين العجمى :

لهيب الخد حين بدا لطرفى * هوى قلبى عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا * وها أثر الدخان على الحواشى

﴿ فائدة ﴾ قال الله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش روى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن مثلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تتفلتون من يدى وروى مسلم أيضا عن ابن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به ومن فوقها فيقبض منها قال

تبارك وتعالى إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وروى البيهقي في الشعب عن النواس ابن سمعان رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال مالي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب إلا الكذب في الحرب والكذب في إصلاح ذات البين وكذب الرجل على امرأته ليرضيها (الحكم) تحريم الأكل (الأمثال) قالوا أطيش من فراشة وأضعف وأذل وأجهل وأخف وأخطأ من فراشة لأنها تلقي نفسها في النار كما قالوا أخطأ وأجهل من ذباب لأنه يلقي نفسه في الطعام الحار وفيما يهلكه قال الشاعر :

سفاهة سنور وحلم فراشة * وأنك من كلب المهارش أجهل

(التعبير) الفراش في المنام عدو ضعيف مهين عظيم الكلام وقال أرطاميدوس الفراش للفلاحين يدل على البطالة والله تعالى أعلم .

﴿ الفرافصة ﴾ بالضم اسم للأسد وبالفتح اسم لرجل وقيل كل فرافصة في العرب فهو بالضم إلا فرافصة أبا نائلة صهر عثمان رضي الله تعالى عنه فإنه بالفتح وهو الذي ذكره مالك في الموطأ في أبواب الصلاة عن يحيى بن سعيد عن ربيعة بن عبد الرحمن عن القاسم بن محمد أن الفرافصة بن عمير الحنفي قال ما أخذت سورة يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إياها في الصبح من كثرة ما كان يرددها .

﴿ الفرخ ﴾ ولد الطائر هذا الأصل وقد استعمل في كل صغير من الحيوان والنبات والأنثى فرخة وجمع القلة أفرخ وأفراخ والكثرة فراخ روى أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن عبد الله ابن جعفر أن النبي ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال ﷺ ادعوا إلي بني أخي فجيء بنا كأننا أفراخ فقال ﷺ ادعوا إلي الحلاق فأمره فحلق رءوسنا وروى البزار عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان في بعض مغازيه فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير فأقبل أحد أبويه حتى سقط على أيدي الذين أخذوا الفرخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديهم قالوا بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لله أرحم بعباده من هذا الطير بفرخه وفي سنن أبي داود في أوائل كتاب الجنائز من حديث عامر الرام أخي الخضر بضم الخاء وإسكان الضاد المعجمتين وهو فرد في الأسماء قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل رجل عليه كساء وفي يده شيء قد لف عليه طرف كسائه فقال يا رسول الله إني لما رأيتك أقبلت فررت بغيضة شجر فسمعت فيها أصوات فراخ طائر فأخذتهن فوضعتهن في كسائي فجاءت أمهن فاستدارت على رأسي فكشفت لها عنهن فوقعت عليهن فلففتها معهن وهاهن فيه معي فقال صلى الله عليه وسلم ضعهن عنك فوضعتهن وأبت أمهن إلا لزومهن فقال النبي ﷺ لأصحابه أتعجبون لرحمة أم الفراخ فراخها قالوا نعم يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فوالذي بعثني بالحق نبيا لله أرحم بعباده من أم هؤلاء الأفراخ بفراخها ارجع بهن حتى تضعهن من حيث أخذتهن فرجع بهن وأمهن ترفرف عليهن وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فبها يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق قال أبو أيوب السجستاني إن رحمة الله قسمها في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام وإني

المعز في بطنه ومن العجب أن الله تعالى لما خلق جلد الضأن رقيقا أكثر صوفه ولما خلق الله عز وجل جلد المعز ثخينا رق شعره ليحصل للمعز بثخانة الجلد ورقة الشعر ما يحصل للضأن برقة الجلد وكثافة الصوف ونتن التيس يضرب به المثل فإن جميع بدنه كالإبط والجدي إذا رأى الشبل يقرب إليه يسيرا يسيرا فإذا شم رائحته غشي عليه ووقع كالميت فإذا غاب الشبل عنه يرجع إلى حاله ومن العناكب نوع يقال له الرتيلا له لعاب إذا مشى على الإنسان نال من لعابه ألما عظيما حتى يفضي الأمر به إلى الموت غالبا فالجدي يأكل منه شيئا كثيرا وينفعه فسبحان من أعطى كل شيء خاصية

﴿ فصل في خواص أجزائه ﴾ قال بليناس قرن ماعز أبيض يسحق ويشد في خرقة ويجعل تحت رأس نائم فإنه لا ينتبه مادام تحت رأسه مرارة التيس تخلط بمرارة البقر ويلطخ به فتيلة وتجعل في الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء ويكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر من الجفن فإنه يمنعه من النبات وينفع أيضا من الغشاوة اكتحالا ومن الغشى ويقلع اللحمة الزائدة التي يقال لها التوتة وينفع طلاء من الورم

لاترجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك وروى مسلم أيضا والنسائى والترمذى عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد خفت وفى رواية الترمذى قد جهد فصار مثل الفرخ فقال له النبى ﷺ هل كنت تدعو الله بشىء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله ﷺ سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه أفلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه ومعنى قوله مثل الفرخ أنه ضعف ونحل جسمه وخفى كلامه وتشبيهه له بالفرخ يدل على أنه تناثر أكثر شعره ويحتمل أن يكون شبهه به لضعفه والأول أوقع فى التشبيه ومعلوم أن مثل هذا المرض لايبقى معه شعر ولاقوة وفى هذا الحديث النهى عن الدعاء بتعجيل العقوبة وفيه فضل الدعاء باللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفيه جواز التعجب بقول سبحان الله وقوله ﷺ إنك لا تطيقه يعنى أن عذاب الآخرة لا يطيقه أحد فى الدنيا لأن نشأة الدنيا ضعيفة لا تحتمل العذاب الشديد والألم العظيم بل إذا عظم على الإنسان هلك ومات وأما نشأة الآخرة فهى للبقاء إما فى النعيم أو العذاب إذ لاموت كما قاله الله تعالى فى حق الكفار كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب نسأل الله العافية فى الدنيا والآخرة ثم إن النبى ﷺ أرشده إلى أحسن ما يقال لأنها من الدعوات الجوامع التى تتضمن خير الدنيا والآخرة وذلك أن النكرة فى سياق الطلب عامة فكأنه يقول اعطنى كل حالة حسنة فى الدنيا والآخرة وقد اختلفت أقوال المفسرين فى الآية اختلافا يدل على عدم التوفيق وعلى قلة التأمل لوضع الكلمة فقيل الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة والمغفرة وقيل العافية وقيل المال وحسن المآل وقيل المرأة الصالحة والحور العين والصحيح الحمل على العموم قال النووى وأظهر الأقوال فى تفسير الحسنة أنها فى الدنيا العبادة والعافية وفى الآخرة الجنة والمغفرة وقيل الحسنة نعيم الدنيا ونعيم الآخرة وفى تاريخ ابن النجار وعوالى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن أنس بن مالك الأنصارى قاضى البصرة وعالمها ومسندها وهو من كبار شيوخ البخارى من حديث الحسن بن أبى الحسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال كان فيمن قبلكم رجل يأتى وكر طائر كلما أفرخ أخذ فراخه فشكا ذلك الطائر إلى الله تعالى ما يفعل به فأوحى الله تعالى إليه إن عاد فسأهلكه فلما أفرخ ذلك الطير خرج ذلك الرجل كما كان يخرج فبينما هو فى بعض الطريق سأله سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ثم مضى حتى أتى الوكر ووضع سلمه ثم صعد فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران إليه فقالا ربنا إنك لا تخلف الميعاد وقد وعدتنا أنك تهلك هذا إذا عاد وقد عاد وأخذ فرخينا ولم تهلكه فأوحى الله إليهما ألم تعلما أنى لا أهلك أحدا تصدق بصدقة فى يومه بموتة سوء وقد تصدق ﴿فائدة﴾ كانت رؤية فرخ الطائر سببا لتمنى حنة امرأة عمران الولد وذلك أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينما هى فى ظل شجرة إذ رأت طائرا يزق فرخا فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم أى السميع لدعائى العليم بضميرى فنذرت أن تتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته وكان ذلك فى شريعتهم جائزا فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من

الذى يقال له داء الفيل به صداع تنفعه كبد الجدى يشوى وإذا سالت منه رطوبة يكتحل بها فإنها تنفع من الغشاء وإذا احتملت المرأة من كبد المعز شيئا تنكسر شهوتها بحيث لاتميل للرجال زمانا طويلا طحاله يقطعه صاحب وجع الطحال بيده ويعلقه فى بيت هو فيه فإذا جف الطحال زال ألم المطحول ويسقى معز فى ظرف خشب أربعين يوما ثم يذبح ويأكل المطحول طحاله فإنه يتهرى ولو كان الظرف من خشب الطرفاء كان أقوى تأثيرا لحمه يورث الهم والنسيان ويحرك الوسواس قال بليناس دم التيس يفتت حجر المغناطيس وكذلك كل حجر يذبحه عليه يفتته تسقى ابرة بدم المعز فإنها إذا ثقب بها أذن يلتئم جلده وإذا سلخ وهو حار ووضع على لسع الأفعى وجميع الهوام وعلى المضروب بالسياط يدفع الألم لعاب التيس يسقى يهيج الباه لبن الماعز ينفع من النوازل ويحبسها ويحسن اللون شرب اسيمامع السكر خصوصا للنساء وهو علاج للنسيان والغم والوسواس ويرخى لثة الأسنان ويحدث ظلمة البصر ويهيج الباه أنفحة الجدى

الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ووصفها بأنها أحصنت فرجها قال الزمخشرى إحصانا كليا عن الحلال والحرام جميعا كما قال تعالى ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا وقال السهيلى أحصنت فرجها يريد فرج القميص أى لم يتعلق بثوبها ريبة فهى طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن فكرك إلى غير هذا وهذا من لطيف الكناية لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظا وألطف إشارة وأحسن عبارة من أن يزيد ما يذهب إليه وهم الجاهل لاسيما والنفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس وبالله التوفيق ﴿فرع﴾ ومن أحكام الفرخ أنه إذا غصب إنسان بيضا فحضنه دجاجه كانت الفراخ لصاحب البيض لأنها من عين المغصوب وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه يضمن البيض ولا يرد الفراخ واستدل على ذلك بأنه خلق سوى البيض قال تعالى فى سورة المؤمنون ثم أنشأناه خلقا آخر وفى كتاب التحفة المكية للقاضى نصر العمادى عن إبراهيم ابن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال بلغنى أنه كان رجل من بنى إسرائيل ذبح عجلا بين يدى أمه فأيبس الله يده فبينما هو ذات يوم جالس وإذا بفرخ طائر سقط من وكره فجعل ينظر ويبصبص إلى أبويه وأبواه ينظران ويبصبصان إليه فأخذه ذلك الرجل ورده إلى وكره رحمة له فرحمه الله لرحمته لذلك الفرخ وردّ عليه يده بما صنع والله تعالى أعلم (التعبير) الفراخ المشوية فى المنام مال ورزق يتعب لمسه النار فمن رأى أنه أكل لحم فرخ نيئا فإنه يغتاب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وأشراف الناس ومن أكل لحم فراخ السباع من الطير كالشاهين والصقر والعقاب ونحوها فإنه يغتاب أولاد الملوك أو ينكحهم ومن اشترى فرخا مشويا فإنه يستأجر أجيرا والله تعالى أعلم.

﴿الفرس﴾ واحد الخيل والجمع أفراس الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث وحكى ابن جنى والفراء فرسة وقال الجوهرى هو اسم يقع على الذكر والأنثى ولا يقال للأنثى فرسة وتصغير الفرس فريس وإن أردت الأنثى خاصة لم تقل إلا فريسة بالهاء ولفظها مشتق من الافتراس لأنها تفترس الأرض بسرعة مشيها وراكب الفرس فارس وهو مثل لابن وتامر أى صاحب لبن وصاحب تمر وفارس أى صاحب فرس ويجمع على فوارس وهو شاذ لا يقاس عليه روى أبو داود والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الأنثى من الخيل فرسا قال ابن السكيت يقال لراكب ذى الحافر من فرس أو بغل أو حمار فارس قال الشاعر:

وإنى امرؤ للخيل عندى مزية * على فارس البرذون أو فارس البغل

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير لا أقول لصاحب البغل فارس ولكن أقول بغال ولا أقول لصاحب الحمار فارس ولكن أقول حمار وكنية الفرس أبو شجاع وأبو طالب وأبو مدرك وأبو مضى وأبو المضمار وأبو المنجى والفرس أشبه الحيوان بالإنسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلله وركبه إسماعيل عليه السلام ومن الخيل ما لا يبول ولا يروث مادام راكبه عليه ومنها ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من الركوب عليه وكان لسليمان عليه السلام خيل ذوات أجنحة والخيل نوعان هجين وعتيق والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أحمل من الفرس والفرس أسرع من البرذون والعتيق بمنزلة الغزال

به الجرب فى الحمام ثلاث مرات يذهب بعره يجعل تحت رأس صبى يبكى كثيرا أعداد أمنها فإنه يزول عنه قال ابن سينا بعر الماعز يحلل الخنازير بقوة وإذا احتملته المرأة بصوفة يمنع من سيلان الدم من الرحم وبعر الماعز مع الضأن والخل يوضع على العضو المحترق بشمع ودهن ورد ينفعه والبعر اليابس مجرب لحرق النار فى البدن (ظبى) وهو أشد الحيوانات نفورا ومن طبعه أنه إذا أراد دخول كناسته يدخله مستدبرا ويستقبل بعينه ما يخافه على نفسه وخشفانه فإنه إن رأى أحدا أبصره حين دخوله الكناس لا يدخله وإلا دخل وترى الظبى إذا رعى الحنظل يستعذبها وماء الحنظل يسيل من فمه ومن شدقيه ويستلذ بذلك ويرد البحر ويشرب من مائه المر العلقم فالعجب لحيوان يستعذب ملوحة البحر ويستحلى مرارة الحنظل وأما ظباء المسك فإنهم كظباء بلادنا إلا أن لها نابين معلقين خارجين من الفم كما للفيل وربما صيدت والمسك فى سرتها غير ناضجة يكون فيه زهومة ومثله مثل الثمار إذا قطعت قبل الإدراك فإنها تكون ناقصة الطعم والرائحة

وأجود المسك ما ألقاه الغزال وذلك أن الطبيعة تدفع مواد الدم إلى سرته فإذا استحكم الدم فيها ونضج يجمع من ذلك أربة وحكة فى سرته فيفزع حينئذ إلى صخرة حادة فيحتك بها ملتذا بذلك فتنفجر المادة حينئذ وتسيل على ذلك الحجر كانفجار الخراج والدماميل إذا نضجت فيجد الغزال بخروجها لذة والناس يتبعون مراعيها فى الجبال فيجدون ذلك الدم قد جف على الصخور فيحملونه ويدعونه فى نوافج معهم معدة لذلك فهذا هو أصل المسك الذى يستعمله ملوكهم ويتهادونه فيما بينهم

(فصل فى خواص أجزائه)

قرنه ينحت ويبخر به لطرد الهوام لسانه يجفف فى الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها مرارته تقطر فى الأذن الوجعة يزول وجعها بعر الظبي وجلده يحرقان ويجعلان فى طعام الصبي يأكله ينشأ ذلك حافظا نصيحا ذلقا مسكه يقوى الدماغ وينشف الرطوبات منه ويجلو بياض العين ويقوى القلب وينفع من الخفقان وهو ترياق للسموم إلا أنه يورث صفرة الوجه ومن خواصه أن استعماله فى الطعام يورث البخر

(أيل) هو المعز الجبلى وأكثر أحواله يشبه بقر الوحش من أكل الأفاعى وغيرها وهو يرمى والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق من الخيل ما أبواه عربيان سمى بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة والعتيق الكريم من كل شيء والخيار من كل شيء التمر والماء والبازى والشحم وسميت الكعبة البيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنها لم يملكها ملك من ملوك الجبابرة قط وسمى أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه عتيقا لجماله ويقال لأن النبى ﷺ قال له أنت عتيق الرحمن من النار ولم يزل بعين الرضا من الله ويقال لأن أمه كان لا يعيش لها ولد فلما عاش سمته عتيقا لأنه عتق من الموت ﴿فائدة﴾ قال الزمخشرى فى تفسير سورة الأنفال وفى الحديث أن الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق ولا دار فيها فرس عتيق وروى الحافظ شرف الدين الدمياطى فى كتاب الخيل حديثا عزاه إلى ابن منده فى كتاب الصحابة وإلى ابن سعد فى الطبقات وإلى ابن قانع فى معجم الصحابة من حديث عبد الله بن عريب المليكى عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال إن الشيطان لا يخبل أحدا فى دار فيها فرس عتيق انتهى وكذلك رواه أبو الحارث بن أبى أسامة عن المليكى عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ ورواه الطبرانى فى معجمه وابن عدى فى كامله فى ترجمة سعيد بن سنان ثم ضعفه وروى القاضى أبو القاسم على بن محمد النخعى فى كتاب الخيل وهو كتاب لطيف نسخته موقوفة بالفاضلية قال حدثنا الحسن بن على بن عفان قال حدثنا الحسن بن عطية عن طلحة بن زيد عن الوضين بن عطاء عن سليمان بن يسار أن النبى ﷺ قال فى هذه الآية وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هم الجن لا يدخلون دارا فيها فرس عتيق وقال مجاهد فى تفسير هذه الآية هم بنو قريظة وقال السدى هم أهل فارس وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم كفار الجن كما تقدم قال ابن عبد البر فى التمهيد الفرس العتيق هو الفاره عندنا وقال صاحب العين هو السابق وفى المستدرك من حديث معاوية بن حديج بالحاء المهملة المضمومة والدال المهملة المفتوحة وبالجيم فى آخره وهو الذى أحرق محمد بن أبى بكر بمصر رضى الله تعالى عنهما عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال ما من فرس عربى إلا يؤذن له كل يوم بدعوتين يقول اللهم كما خولتنى من خولتنى فاجعلنى من أحب ماله إليه ثم قال صحيح الإسناد ولهذا الحديث قصة ذكرها النسائى فى كتاب الخيل من سننه فقال قال أبو عبيدة قال معاوية بن حديج لما افتتحت مصر كان لكل قوم مراغة يمرغون فيها دوابهم فمر معاوية بأبى ذر رضى الله تعالى عنهما وهو يمرغ فرسا له فسلم عليه ثم قال يا أباذر ما هذا الفرس فقال هذا فرس لا أراه إلا مستجاب الدعاء قال وهل تدع الخيل وتجاب قال نعم ليس من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ربه فيقول رب إنك سخرتنى لابن آدم وجعلت رزقى فى يده اللهم فاجعلنى أحب إليه من أهله وولده فمنها المستجاب ومنها غير المستجاب ولا أرى فرسى هذا إلا مستجابا وروى الحاكم عن عقبة ابن عامر رضى الله تعالى عنه مرفوعا قال إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أدهم محجلا طلق اليمين فإنك تغنم وتسلم ثم قال صحيح على شرط مسلم والهجين الذى أبوه عربى وأمه عجمية والمقرف وهو بضم الميم وإسكان القاف وبالراء المهملة والفاء فى آخره عكسه وكذلك فى بنى آدم وأنشد أبو عبيد القاسم بن سلام لهند ابنة النعمان بن بشير:

وهل هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل

فإن نتجت مهرا كريما فبالحرى ... وإن يك أقراف فمن قبل الفحل

قال البطليوسى فى شرحه هكذا رويناه فمن قبل الفحل والرواية الاخرى * وإن بك أقراف فما أنجب الفحل * وقال قد روى هذ الشعر لحميدة بنت النعمان بن بشير وأنها قالته فى الفيض ابن عقيل الثقفى فمن رواه لحميدة روى * وما أنا إلا مهرة عربية * وكانت حميدة فى أول أمرها تحت الحرث بن خالد المخزومى فتركته وقالت فيه :

فقدت الشيوخ وأشياعهم * وذلك من بعض أقواليه
ترى زوجه الشيخ مغمومة * وتمسى لصحبته قاليـــه

فطلقها الحرث وتزوجها روح بن زنباع فتركته وقلته وهجته فقالت فيه :

بكى الخزمن روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف
وقال العباء نحن كنا ثيابهم * وأكسية مطروحه وقطائف

فطلقها روح وقال ساق الله إليك فتى يسكر ويقىء فى حجرك فتزوجها الفيض بن عقيل الثقفى فكان يسكر ويقىء فى حجرها فكانت تقول أجيبت فى دعوة روح بن زنباع وكانت تهجوه وتقول :

سميت فيضا وما شىء تفيض به * إلا بسلحك بين الباب والدار
فتلك دعوة روح الخير أعرفها * سقى الإله ثراه الأوطف السارى

قال البطليوسى قد أنكر كثير من الناس رواية بغل بالباء لأن البغل لا ينتج قالوا والصواب نغل بالنون وهو الخسيس من الدواب وفى سنن البيهقى فى كتاب البيوع وأن عبد الرحمن ابن عوف اشترى من عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما فرسا بأربعين ألفا والفرس الذى اشتراه النبى ﷺ من الأعرابى وشهد له به خزيمة اسمه المرتجز واسم الأعرابى سواد بن الحرث المحاربى وكان النبى ﷺ ابتاعه منه فاستتبعه ليقبض ثمنه منه فأسرع النبى ﷺ المشى وأبطأ الأعرابى فساومه رجال لا يشعرون أن النبى ﷺ ابتاعه منه فنادى الأعرابى إن كنت مبتاعا هذا الفرس وإلا بعته فقال النبى ﷺ أوليس قد ابتعته منك فقال الأعرابى لا والله وطفق الأعرابى يقول هلم بشهيد فقال خزيمة أنا أشهد فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال بم تشهد قال بتصديقك يا رسول الله فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم وفى رواية فى الحديث هل حضرتنا يا خزيمة قال لا قال فكيف تشهد بذلك فقال خزيمة بأبى أنت وأمى يا رسول الله أصدقك على أخبار السماء وما يكون فى غد ولا أصدقك فى ابتياعك هذا الفرس فقال عليه الصلاة والسلام إنك لذو الشاهدتين يا خزيمة وفى رواية صحيحة عند الطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من شهد له خزيمة أو شهد عليه فحسبه وقال السهيلى وفى مسند الحرث زيادة وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم رد الفرس على ذلك الأعرابى وقال لا بارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة برجليها أى ماتت ومن أغرب ما اتفق لخزيمة رضى الله تعالى عنه ما رواه الإمام أحمد من عدة طرق برجال ثقات أنه رأى فى النوم أنه سجد على جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فاضطجع له النبى ﷺ فسجد خزيمة على جبهته * وفى مسند الإمام أحمد عن روح بن زنباع أنه روى عن تميم الدارى رضى الله تعالى عنه أنه قال أن النبى ﷺ قال من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء حتى يعلفه كتب الله له بكل شعيرة حسنة ورواه ابن ماجه بمعناه * وفى كتب الغريب

بنفسه من قلة الجبل إذا خاف من الصياد ولو كان ألف ذراع ويقع على قرنه ويسلم وعدد سنى عمره عدد عقود قرنه وإذا لسعته حية أكل السرطان ولذلك قالوا إن السرطان دواء للدغ الحية وإذا مشت الأروى خلف الذئب أسقطت ولدها والأيل يصادق السمك فيمشى إلى ساحل البحر فيرى السمك والسمك أيضا يقصد الساحل ليرى الأيل والصيادون يعرفون هذا المعنى فيلبسون جلد الأيل ليقصدهم السمك فيصطادون منه ما شاءوا

(فصل فى خواص أجزائه)

إذا شرب المصروع من برادة قرنه وزن مثقال مع مسك فى ماء قراح على الريق نفعه نفعا بينا ويسحق ويطلى به البهق والبرص يزيلهما والحيات تهرب من رائحتها إذا دخن بها وإذا علق على صاحبة الطلق تضع فى الحال مرارته يكتحل بها تنفع الغشاء قال ابن سينا مرارة التيوس الجبلية ترياق لجميع السموم كبده يشوى ويجفف ويتخذ منه ذرور ينفع من الغشاوة وظلمة البصر لحمه يورث حمى الربع ويدلك به لسعة العقرب والزنبور يسكن ألمهما

والعقرب تموت من رائحة شحم الايل قضيبه يسحق ويشرب ينفع من لسع الافعى ويهيج الباه ويخفف نيئا فإذا أصاب الإنسان عسر البول أو ريح القولنج يغسله ويسقى غسالته ينفتح البول والقولنج خصيته إذا جففت وشربت هيجت الإنعاظ الشديد الذى لا يكاد يسكن جلده يتخذ منه سفرة لا يقربها فأرة ولا حية ولا شىء من الهوام ذنبه مع قرنه يحرقان ويخلط رمادهما بالدهن ويطلى به أسفل القدم فإنه لا يتعب من السير ويزيد فى المشى نشاطا شعره يدخن به يهرب من رائحته جميع الهوام شعر ذنبه سم قاتل يعرض لمن شربه غم وغشى بوله يخلط بالعسل يلعقه صاحب القولنج ينفع فى الحال بعره يذر على سيلان الدم يحبسه بعر الأروى إذا وقع فى ماء وشربه الماعز يأخذه داء يسمى الإباء يقتله ولا يضر الضأن والله الموفق .

﴿النوع الخامس من الحيوان السباع﴾ هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بالشياطين لما فيه من الكبر والغضب وضيق الخلق وكثرة الفساد وقلة الاستئناس ولما لم تكن عناية الإنسان مصروفة إلى تربيتها كأنواع الغنم خلق الله تعالى لها آلات تحصل بها الأطعمة كالعدو الشديد والقوة والحرارة

أن النبى ﷺ قال إن الله عز وجل يحب الرجل القوى المبدى المعيد على الفرس أى المبدى المعيد الذى أبدى فى غزوه وأعاد فغزا مرة بعد مرة أى جرب الأمور طورا بعد طور والفرس المبدى المعيد الذى غزا عليه صاحبه مرة بعد أخرى وقيل هو الذى قد ريض وأدب وصار طوع راكبه وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب فرسا معرورا لأبى طلحة وقال إن وجدناه لبحرا وفى الفائق أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب ﷺ فرسا مقرفا وركض فى آثارهم فلما رجع قال إن وجدناه لبحرا قال حماد بن سلمة كان هذا الفرس بطيئا فلما قال النبى ﷺ هذا القول صار سابقا لا يلحق * وروى النسائى والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى الجعد أخى سالم بن أبى الجعد عن جعيل الأشجعى رضى الله تعالى عنه قال خرجت مع رسول الله ﷺ فى بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء فكنت فى آخر الناس فلحقنى النبى ﷺ فقال سر يا صاحب الفرس فقلت يا رسول الله إنها فرس عجفاء ضعيفة قال فرفع ﷺ مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رأيتنى ما أملك رأسها حتى صرت قدام القوم ولقد بعت من بطنها باثنى عشر ألفا * وروى عن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه أنه كان لا يركب فى القتال إلا الإناث لقلة صهيلها قال ابن محيريز كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات * وروى البخارى عن سعيد المقبرى أنه قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله تعالى إيمانا بالله عز وجل واحتسابا وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة يعنى حسنات * وروى مالك عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله تعالى فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت أبوالها وأرواثها له حسنات ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى منه كان ذلك له حسنات فهى لذلك أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله تعالى فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهى على ذلك وزر * وسئل ﷺ عن الحمر فقال ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد تقدم قريب من ذلك * وروى ابن حبان فى صحيحه عن أبى عامر الهوزنى عن ابن كبشة الأنمارى واسمه عمرو بن سعيد أنه أتاه فقال أطرقنى فرسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول من أطرق فرسا فعقب له كان له كأجر سبعين فرسا حمل عليها فى سبيل الله تعالى وإن لم يعقب كان كأجر فرس حمل عليها فى سبيل الله * وفى طبع الفرس الزهو والخيلاء والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على شرف نفسه وكرمه أنه لا يأكل بقية علف غيره ومن علو همته أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه إلا بإذن وهو أن يحرك له المخلاة فان حمحم دخل وإن دخل ولم يحمحم شد عليه والأنثى من الخيل ذات شبق شديد ولذلك تطيع الفحل من غير نوعها وجنسها قال الجاحظ والحيض يعرض للإناث منهن لكنه قليل والذكر ينزو إلى تمام أربعين سنة وربما عمر إلى تسعين والفرس يرى المنامات كبنى آدم وفى طبعه أنه لا يشرب الماء إلا كدرا فإذا رآه صافيا كدره ويوصف بحدة

البصر وإذا وطىء على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده قال الجوهري ويقال إن الفرس لا طحال له ومثل لسرعته وحركته كما يقال البعير لا مرارة له أي لا جسارة له * وأفاد الإمام أبو الفرج ابن الجوزي أن من واظب على البداءة في لبس النعل باليمين والخلع باليسار أمن من وجع الطحال * وأفاد غيره أن سورة الممتحنة إذا كتبت وغسلت وسقي المطحول ماءها فإنه يبرأ بإذن الله تعالى * ومما جرب أيضا وجدنا نافعا أن تكتب هذه الحروف على قطعة فروة وتعلق على الجانب الأيسر وتترك بطول الجمعة وهذه صورة ما يكتب

| | | |
|---|---|---|
| ادا ح ح هم مامل ملما | محد الى راى | ١٨٩٧٢ |

صالح صح وصح م له صالح دون مانع من إلى أن تنصره ومره

﴿ومما جرب للطحال أيضا﴾ أن يكتب ويعلق على العضد الأيسر وهو هذا

٢٥٩٤٨١٩٢٣ ح ح د د صوع

﴿ومما جرب للطحال أيضا﴾ أن يكتب في ورقة ويحرق في معلقة على الطحال وعلم بضميرهم

﴿ومما جرب أيضا﴾ أن يكتب في يوم السبت قبل طلوع الشمس ويربط بخيط صوف ويعلق على الجانب الأيمن مثل تعليق السيف وهو هذا كما ترى

| |
|---|
| ح ح ه د م ص ها ا ص |
| ا ح ا ا ح ماتت إلى الابد |

وروينا في كتاب المجالسة للدينوري المالكي في آخر الجزء العاشر عن إسمعيل بن يونس قال سمعت الرياشي يقول عن أبي عبيدة وأبي زيد أنهما قالا الفرس لا طحال له والبعير لا مرارة له والظليم لا مخ له قال أبو زيد وكذلك طير الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أدمغة والسمك لا رئة له ولذلك لا يتنفس وكل ذي رئة يتنفس وروى الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك عن الزهري عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر عن أبيهما رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن يكن الخير في شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس وفي رواية الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس وفي رواية الشؤم في أربع المرأة والدار والفرس والخادم ﴿قلت﴾ وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقيل معناه على اعتقاد الناس في ذلك لا أنه خبر من النبي ﷺ عن إثبات الشؤم وروى ذلك عن عائشة رضي الله تعالى عنها في مسند أبي داود الطيالسي عنها أنه قيل لها إن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول قال رسول الله ﷺ الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله ﷺ يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله انتهى قال البطليوسي وهذا غير منكر أن يعرض لأنه عليه الصلاة والسلام كان يذكر في مجالسة الأخيار حكاية ويتكلم بما لا يريد به أمرا ولا نهيا ولا أن يجعله أصلا في دينه وذلك معلوم من فعله مشهور من قوله وهذا نظير ما اتفق في قوله ﷺ أن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه وفي الصحيحين لكن قالت عائشة رضي الله تعالى عنها إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية وهم يبكون عليها فقال عليه الصلاة والسلام إنهم يبكون وإنها لتعذب ببكاء أهلها عليها وقال مالك وطائفة قوله ﷺ الشؤم في ثلاث الحديث على ظاهره فإن الدار قد يجعل الله سكناها سببا للضرر والهلاك وكذلك المرأة والفرس والخادم يجعل الله الهلاك أو الضرر عند وجودهم بقضاء الله وقدره وقال ابن القاسم سئل مالك عن هذا فقال كم من دار سكنها قوم فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا يعني

فقرى نوع السباع تلد في كل سنة مرة واحدة أو مرتين في كل بطن ستا أو سبعا ولا يبقى منها إلا القليل في أطراف الأرض ولولا ذلك لامتلأ وجه الأرض من السباع بخلاف الغنم فإن الله تعالى جعل فيها البركة فلو كان جميع أنواع السباع بعدد الغنم لأدى إلى فساد عظيم فسبحانه ما أعظم شأنه بكثرة المنافع وبتقليل المضار رفقا بعباده وشفقة على خلقه إنه على ما يشاء قدير ولنذكر بعض أفراد ما يتعلق بالسباع مرتبا على حروف المعجم (ابن آوى) يقال له بالفارسية سعال حيوان مفسد للكروم والثمار إذا وقع نظر الدجاج عليه لا يصبر حتى يأتيه ليأكله ولو كانت الدجاجة على سطح أو شجرة تقع عنه ومن العجب أن الدجاج إذا رأت كلبا أو ثعلبا أو سنورا أو شيئا من الحيوانات الطالبة لها لم تتحرك وإن مر بها ابن آوى سقطت حتى لو كانت مائة لم تبق واحدة إلا رمت نفسها إليه وانقياد الدجاج لابن آوى كانقياد الشاة للذئب

وإذا أراد ابن آوى صيد طير البحر يجمع حزمة شوك أو حطب ويرميها فوق الماء حتى يستأنس

أنه عام على ظاهره وقال الخطابى وكثيرون هو فى معنى الاستثناء من الطيرة أى أن الطيرة منهى عنها إلا أن يكون له دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس أو خادم يكره إقامتهما فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المرأة وقال آخرون شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب وشؤم الفرس أن لايغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض إليه وقيل المراد بالشؤم هنا عدم الموافقة * واعترض بعض الملحدة بحديث لاطيرة على هذا وأجاب ابن قتيبة وغيره بأن هذا مخصوص من حديث لاطيرة أى لاطيرة إلافى هذه الثلاثة قال الحافظ الدمياطى ومن أغرب ماوقع لى فى تأويله ماروياه بالإسناد الصحيح عن يوسف بن موسى القطان عن سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سالم عن أبيه رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال البركة فى ثلاث فى الفرس والمرأة والدار قال يوسف سألت سفيان ابن عيينة عن معنى هذا الحديث فقال سفيان سألت عنه الزهرى فقال الزهرى سألت عنه سالما فقال سالم سألت عنه أبى عبد الله بن عمر فقال عبد الله بن عمر سألت عنه النبى ﷺ فقال إذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤوم وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجا غير زوجها فحنت إلى الزوج الأول فهى مشؤمة وإذا كانت الدار بعيدة عن المسجد فلا يسمع فيها الأذان والإقامة فهى مشؤمة وإذا كن بغير هذه الصفات فهن مباركات وفى الموطأ أن رجلا أخبر النبى ﷺ أنهم سكنوا دارا وعددهم كثير ومالهم وافر فقل العدد وذهب المال فقال النبى ﷺ دعوها ذميمة وأمرهم ﷺ بالخروج منها لاعتقادهم ذلك فيها وظنهم أن الذهاب للعدد والنفاد للمال إنما كان منها وليس كما ظنوا ولكن الباري سبحانه وتعالى جعل ذلك وقتا لظهور قضائه وقدره فيجهل الخلق ذلك فينسبونه إلى الجماد الذى لا ينفع ولا يضر وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام لاعدوى ولاطيرة ولا يورد ممرض على مصح لأن الله تعالى يخلق الجرب فى الصحيح فيعتقد المصح أن ذلك من الجرب فيتأذى قلبه ودينه وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهذه الدار كانت دار الأسود بن عوف أخى عبدالرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه وهو السائل * وفى سنن أبى داود من حديث فروة بن مسيك رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وأنها وبيئة أوقال وباؤها شديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها عنك فإن من القرف التلف قال ابن الأثير القرف ملابسة الداء ومداناة المرض والتلف الهلاك وليس هذا من باب العدوى وإنما هو من باب الطب فإن استصلاح الهواء من أعون الأشياء على صحة الأبدان وفساد الهواء من أسرع الأشياء إلى الأسقام ﴿فائدة﴾ قال السهيلى فى الكلام عن غزوة ذى قرد فى الفرس عشرون عضوا كل عضو منها يسمى باسم طائر فمنها النسر والنعامة والهامة والباز والسماعة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والخرب وهو ذكر الحبارى والناهض وهو فرخ العقاب والخطاف وذكر بقيتها الأصمعى وروى فيها شعر الجرير ﴿تتمة﴾ روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبى الطفيل أن رجلا ولد له غلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فأخذ عليه الصلاة والسلام بشعرة جبهته ودعا له بالبركة فنبتت شعرة جبهته كهيئة غرة الفرس وشب الغلام فلما كان زمن

بها الطير ويمشى خلفها والطير لا ينفر من الحزمة لأنه يستأنس بها فيثبت من خلفها ويصطاد ماشاء

(فصل فى خواص أجزائه)

إذا ترك لسانه فى بيت وقعت الخصومة بين أهله ويسقى من مرارته نصف درهم بالماء الحار على الريق ثلاثة أيام ينفع من وجع الطحال لحمه ينفع من الجنون والصرع الآتى عند آخر الأهلة كبده ينفع المصروع إذا سقى منه وزن مثقال مخ عظمه يخلط بالبورق ويضمد به البرص يزيله بإذن الله تعالى (ابن عرس) حيوان دقيق طويل يقال له بالفارسية راسو هو عدو الفأر يدخل جحرها ويخرجها ويحب الحلى والجواهر يسرقها ويعادى التمساح فإن التمساح لايزال مفتوح الفم وابن عرس يدخل فمه وينزل إلى جوفه ويأكل من جوفه أحشاءه ويمزقها ويخرج ويعادى الحية أيضا وإذا أراد قتال الحية يأكل السذاب لأن رائحة السذاب تضعف الحية فيقتلها ابن عرس وإذا مرض أكل بيض الدجاج يزول مرضه (وحكى) أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فيها فعند ذلك صاح

الخوارج أحبهم فسقطت الشعرة من جبهته فأخذه أبوه فقيده وحبسه مخافة أن يلحق بهم قال فدخلنا عليه فوعظناه وقلنا له ألم تر إلى بركة دعوة رسول الله ﷺ كيف وقعت من جبهتك فما زلنا به حتى رجع عن رأيهم فرد الله عز وجل الشعرة بعد في جبهته وتاب ولم تزل إلى أن مات * وروى الطبراني عن عائذ بن عمرو رضي الله تعالى عنه قال أصابتني رمية وأنا أقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر في وجهي فلما سالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري سلت رسول الله ﷺ الدماء عني ثم دعا لي فكان ذلك الموضع الذي أصابته يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدري له غرة سائلة كغرة الفرس * وذكر ابن ظفر في أعلام النبوة أن حبرا يهوديا أوطن مكة فأتى ذات غدوة إلى مجلس فيه ملأ من بني عبد مناف وبني مخزوم فقال هل ولد الليلة فيكم مولود فقالوا ما نعلمه فقال أما إذا أخطأكم فاحفظوا ما أقول لكم ولد الليلة نبي هذه الأمة الآخرة وآيته أن بين كتفيه شامة صفراء حولها شعرات متتابعات كأنهن عرف فرس يمتنع من الرضاع ليلتين فتصدع القوم من مجلسهم يتعجبون لقوله فلما صاروا إلى منازلهم أخبرهم نساؤهم أنه قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فلما التقوا في ناديهم تحدثوا بذلك وجاءهم اليهودي فأخبروه فقال اذهبوا بي إليه حتى أراه فخرجوا به فدخلوا على آمنة وقالوا أخرجي إلينا ابنك فأخرجته لهم فكشفوا عن ظهره فرأوا خاتم النبوة فأغمي على اليهودي فلما أفاق سألوه فقال خرجت النبوة من بني إسرائيل ثم قال لا تفرحوا به فوالله ليسطون عليكم سطوة يخرج خبرها إلى المشرق والمغرب وذكر الكلبي في تفسير قوله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم الآية أن النصارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام يصلون إلى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس وكان قتل جملة من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام فقال يوما لليهود إن كان الحق مع عيسى فكفرنا به فالنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ولكن سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال له العقاب يقاتل عليه فعرقب فرسه وأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب فقالت له النصارى من أنت فقال بولس عدوكم وقد نوديت من السماء أن ليس لك توبة إلا أن تتنصر وقد تبت فأدخلوه الكنيسة فدخل بيتا فيها فأقام سنة لا يخرج منه لا ليلا ولا نهارا حتى تعلم الإنجيل ثم خرج فقال نوديت أن الله تعالى قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال لهم لم يكن عيسى بإنس ولا بجن ولكنه ابن الله وعلم ذلك رجلا يقال له يعقوب ثم دعا رجلا يقال له يعقوب ثم دعا رجلا يقال له ملكان وقال له إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم أنت خالصتي وقد رأيت عيسى في المنام فرضي عني وقال لكل واحد منهم إني غدا أذبح نفسي فادع الناس إلى نحلتك ثم دخل المذبح فذبح نفسه وقال إنما أفعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نحلته فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس فافترقت النصارى ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكية فاختلفوا واقتتلوا فقال الله تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم الآية قال أهل المعاني لم يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالأفواه والألسن إلا كان ذلك زورا * وذكر الإمام ابن بليان والغزالي وغيرهما أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا سفيان الثوري فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة فشق ذلك عليه فكتب إليه

﴿فصل في خواص أجزائه﴾

دماغه يكتحل به ينفع من ظلمة العين لحمه يستعمل ضماداً لوجع المفاصل ويخلط بالشراب يستعمل للصرع شحمه يطلى به السن ينفع في الحال وصاحب الرزق يطلي خشبة بهذا الشحم وإذا اشتكى أحد سنه يضع عليه تلك الخشبة فإنه يقع بسهولة ويظهر دمه من رقبته ويطلى به الخنازير يحللها ويخلط دمه بدم فأرة ويمزج بالماء ويرش به البيت فإن الخصومة تقع بين أهله ولو دفن ابن عرس وفأرة في بيت فعل ذلك كعبه إذا استصحبته المرأة حالة المباضعة لم تحمل خصيته تفعل مثل ذلك زبله يجعل على الجراح ينقطع دمها والله الموفق (أرنب) حيوان كثير التوالد يقال له بالفارسية حوز كوش قيل إنه سنة ذكر وسنة أنثى وتحيض مثل النساء يديه أقصر من رجليه إذا نام يشخص عيناه وإذا مرض أكل من القصب الأخضر يزول عنه مرضه

﴿فصل في خواص أجزائه﴾ دماغه تأكل المرأة منه وتتحمل ويباشرها زوجها تحبل وإذا مزج به أسنان

الرشيد كتابا يقول بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هرون أمير المؤمنين إلى أخيه فى الله سفيان بن سعيد الثورى أما بعد يا أخى فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك فى الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ولم أقطع منها ودك وإنى منطو لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة ولولا هذه القلادة التى قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك فى قلبى من المحبة وأنه لم يبق أحد من إخوانى وإخوانك إلا زارنى وهنأنى بما صرت إليه وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم المواهب السنية ما فرحت به نفسى وقرت به عينى وقد استبطأتك وقد كتبت كتابا منى إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء فى فضل زيارة المؤمن ومواصلته فإذا ورد عليك كتابى هذا فالعجل العجل ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقانى وأمره بإيصاله إليه وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به قال عباد فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان فى مسجده فلما رآنى على بعد قام وقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير قال فنزلت عن فرسى بباب المسجد فقام يصلى ولم يكن وقت صلاة فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلى قال فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض على الجلوس وقد علتنى من هيبتهم الرعدة فرميت بالكتاب إليه فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له فى محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده فى كمه وأخذه وقلبه ببده ورماه إلى من كان خلفه وقال ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم ببده قال عباد فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال اقلبوه واكتبوا للظالم على ظهره فقيل له يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه فى بياض نقى لكان أحسن فقال اكتبوا للظالم فى ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شىء مسه ظالم ببده عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له ما نكتب إليه قال اكتبوا له بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هرون الذى سلب حلاوة الإيمان ولذة قراءة القرآن أما بعد فإنى كتبت اليك أعلمك أنى قد صرمت حبلك وقطعت ودك إنك قد جعلتنى شاهدا عليك بإقرارك على نفسك فى كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين فأنفقته فى غير حقه وأنفذته بغير حكمة ولم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت إلى تشهدنى على نفسك فأما بعد فإنى قد شهدت عليك أنا وإخوانى الذين حضروا قراءة كتابك وستؤدى الشهادة غدا بين يدى الله الحكم العدل يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضى بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها فى أرض الله والمجاهدون فى سبيل الله وابن السبيل أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم يعنى العاملين أم رضى بفعلك الأيتام والأرامل أم رضى بذلك خلق من رعيتك فشد يا هرون مئزرك وأعد للمسئلة جوابا وللبلاد جلبابا وأعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل فاتق الله فى نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذة قرءاة القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالما وللظالمين إماما يا هرون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستورا دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون ويشربون الخمر ويحدون الشارب ويزنون ويحدون الزانى ويسرقون ويقطعون السارق ويقتلون ويقتلون القاتل أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس فكيف بك يا هرون غدا إذا نادى المنادى من قبل الله احشروا الظلمة وأعوانهم فتقدمت بين يدى الله ويداك

---

الصبى أسرع نباتها بلا وجع مثل السن المتأكلة إن كانت أعلى وأسفل أو يمينا أو يسارا يؤخذ من الأرنب مثل ذلك إذا وضعت عليه تنبته بإذن الله تعالى مرارته إن سقى منها الإنسان غلب عليه النوم ولم يزل كذلك حتى يسقى الخل طحاله يأكله صاحب الشرقة مع السكر النبات تزول شرقته دمه إذا شربته المرأة لم تحبل أبدا ذكره فى كتاب الخواص وإذا اكتحل به لا ينبت الشعر فى العين قال ابن سينا ويطلى به البهق الأسود والكلف فيزول قال ابن سينا يطبخ ويقعد فى مرقته صاحب النقرس وصاحب وجع المفاصل ينفعه نفعا جيدا أنفحته تداف فى ماء ولبن ويشربه صاحب القولنج يزول وجعه من ساعته قال بليناس أكل أنفحته تنفع القولنج إلا أن أنفحة الأرنب أقوى وإذا شرب بخل نفع من الصرع وهى بالخل ترياق نافع من جميع السموم رجله تشد على من به وجع المفاصل اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى يزيل وجعه فرجها تأكله المرأة ثم يجامعها زوجها فإنها تحبل كعبه زعم العرب أنها تنفع من العين والسحر ويشد على المرأة مع زبله لا تحبل وشعره يبخر به يمنع من وجع الرئة ويجعل شىء منها على

مغولتان إلا عنقك لا يفكهما إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار وكأنى بك ياهرون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المساق وأنت ترى حسناتك فى ميزان غيرك وسيئات غيرك فى ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة فاتق الله ياهرون فى رعيتك واحفظ محمدا ﷺ فى أمته واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر إلى غيرك وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإياك ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا فإنى لا أجيبك والسلام وألقى الكتاب منشورا من غير طى ولا ختم فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة بقلبى فناديت ياأهل الكوفة من يشترى رجلا هرب إلى الله فأقبلوا إلى بالدراهم والدنانير فقلت لا حاجة لى بالمال ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية فأتيت بذلك فنزعت ما كان على من الثياب التى كنت أجالس بها أمير المؤمنين وأقبلت أقود الفرس الذى كان معى إلى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا فهزأ بى من كان على الباب ثم استؤذن لى فلما رآنى على تلك الحالة قام وقعد وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول انتفع الرسول وخاب المرسل مالى وللدنيا والملك يزول عنى سريعا فألفيت الكتاب إليه مثل مادفع إلى فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشهق فقال بعض جلسائه يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن فجعلته عبرة لغيره فقال هرون اتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقى والله حقا من جالستموه إن سفيان أمة وحده ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكى حتى توفى رحمه الله تعالى * وذكر ابن السمعانى وغيره أن المنصور كان يبلغه عن سفيان الإنكار عليه فى عدم إقامة الحق فتطلبه المنصور فهرب إلى مكة فلما حج المنصور بعث بالخشابين أمامه وقال حيثما وجدتم سفيان فاصلبوه فوصل الخشابون ونصبوا الخشب فأتى الخبر بذلك وسفيان نائم ورأسه فى حجر الفضيل بن عياض ورجلاه فى حجر سفيان بن عيينة فقالا له خوفا عليه وشفقة لا تشمت بنا الأعداء فقام ومشى إلى الكعبة والتزم أستارها عند الملتزم ثم قال ورب هذه البنية لا يدخلها يعنى المنصور فزلقت راحلته فى الحجون فوقع من على ظهرها فمات لوقته فخرج سفيان وصلى عليه وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر شىء من مناقبه ووفاته فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار (الحكم) قال الشافعى رضى الله تعالى عنه مالزم اسم الخيل من العراب والمقاريف والبراذين فأكلها حلال وهو قول القاضى شريح والحسن وابن الزبير وعطاء وسعيد بن جبير وحماد بن زيد والليث بن سعد وابن سيرين والأسود بن زيد وسفيان الثورى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن وابن المبارك وأحمد وإسحق وأبى ثور وجماعة من السلف وقال سعيد بن جبير ما أكلت أطيب من معرقة برذون ودليل هذا ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث جابر رضى الله تعالى عنه قال نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأرخص فى لحوم الخيل وذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعى إلى أنها مكروهة إلا أن كراهتها عند مالك كراهة تنزيه لا كراهة تحريم واستدلوا بما فى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه أن النبى ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير لقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال صاحب الهداية من الحنفية ﴿فإن قلت﴾ الآية خرجت مخرج الامتنان والأكل من أعلى منافعها والحكيم لا يترك الامتنان بأعلى النعم ويمتن بأدناها ﴿قلت والجواب﴾ أن الآية

الدم ينقطع (أسد) هو أشد السباع قوة وأكثرها جراءة وأعظمها هيبة وأهولها صورة لأنه لا يهاب شيئا من الحيوان ولا يوجد حيوان له شدة بطشه زعموا أنه لا يأكل من صيد غيره ألبتة وإذا صاد شيئا أكل قلبه وترك الباقى لغيره ولا يرجع إليه ويحب الغناء وصوت الدف والشبابة وإذا رأى ضوءا بالليل ذهب إليه ووقف بالبعد منه وحينئذ يسكن غضبه وزعموا أنه من ذل له وتواضع ينجو منه وإذا أكل لحم الفريسة يقصد السلخ ويأكل منه وإذا مرض أكل قردا يزول مرضه وقل ما تفارقه الحمى ولذلك يقال للحمى داء الأسد وإن أصابه نصل وبقى فى بدنه يأكل السعد يخرج النصل من بدنه وهذه خاصية فى الأسد وإن أصابه خدش أو جراحة تجتمع عليه الذئاب ولا تنتقل عنه حتى تقتله ويهرب من الديك الأبيض ومن ضرب الطاس وجميع الحيوانات تهرب من زئيره إلا الحمار فإنه يقف عن السعى ولا يزأر حالة جوعه حتى لا يهرب الصيد والنمل يفعل بالأسد ما يفعله البق بالفيل فإنه فى عذاب من النمل وإذا ولدت اللبوة يتعرض لأشبالها فعند الولادة تطلب أرضا ندية لدفع النمل

خرجت مخرج الغالب لأن الغالب فى الخيل إنما هو الزينة والركوب دون الأكل كما خرج قوله صلى الله عليه وسلم وليستنج بثلاثة أحجار مخرج الغالب لأن الغالب أن الاستنجاء لا يقع إلا بالأحجار انتهى وقال الشافعى ومن وافقه ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته وأما الحديث الذى استدل به أبو حنيفة ومالك ومن وافقهما فقال الإمام أحمد ليس له إسناد جيد وفيه رجلان لا يعرفان ولا ندع الأحاديث الصحيحة لهذا الحديث وقد روى الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية وأذن فى لحوم الخيل وفى لفظ أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر الأهلية رواه الترمذى وصححه وفى لفظ سافرنا يعنى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكنا نأكل لحوم الخيل ونشرب ألبانها وفى الصحيحين عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما أنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناها وفى رواية ونحن بالمدينة وفى مسند الإمام أحمد نحرنا فرسا على عهد رسول الله ﷺ فأكلناها نحن وأهل بيته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال إن الفرس إذا التقت الفئتان تقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك كان له من الغنيمة سهمان وكذلك رواه عبد الله بن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا يعطى إلا لفرس واحد عربيا كان أو غير عربى لأن الله سبحانه وتعالى قال وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ولم يفرق بين عربى وغيره ولم يرد فى شىء من الأحاديث تفرقة بل الجمع مثل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة * وقال الإمام أحمد لما سوى العربى سهم وللعربى سهمان لأثر ورد فى ذلك عن عمر رضى الله تعالى عنه لكنه لم يصح عنه ولا يعطى لفرس أعجف ومالا غناء به لأنه كل على صاحبه * ويتعهد الإمام الخيل إذا دخل دار الحرب ولا يدخل إلا فرسا شديدا ويسهم للفرس المستعار والمستأجر ويكون ذلك للمستعير والمستأجر والأصح أنه يسهم للفرس المغصوب لحصول النفع به والأصح أنه للراكب وقيل للمالك ولو كان القتال فى ماء أو حصن وأحضر فرس أسهم له لأنه قد يحتاج إليه ولو أحضر اثنان فرسا مشتركا بينهما فقيل لا يعطيان سهم الفرس لأنه لم يحضر واحد منهما بفرس تام وقيل يعطى كل واحد منهما سهم فرس لأن معه فرسا قد يركبها وقيل يعطيان سهم فرس مناصفة ولعل هذا هو الأصح ولو ركب اثنان فرسا وشهدا الواقعة فعن بعض الأصحاب أنهما كفارسين لهما ستة أسهم وعن بعضهم أنهما كراجلين لتعذر الفر والكر وقيل لهما أربعة أسهم سهمان لهما وسهمان للفرس واختار ابن كج وجها رابعا حسنا وهو أنه إن كان فيه قوة الكر والفر مع ركوبهما فأربعة أسهم وإلا فسهمان ﴿فائدة أجنبية﴾ قال فى شرعة الإسلام إن مقدم العسكر ينبغى له أن يتشبه بأصناف من الخلق فيكون فى قلب الأسد لا يجبن ولا يفر وفى كبر النمر لا يتواضع للعدو وفى شجاعة الدب يقاتل بجميع جوارحه وفى الحملة كالخنزير لا يولى دبره إذا حمل وفى الغارة كالذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه وفى حمل السلاح الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزن بدنها وفى الثبات كالحجر لا يزول عن مكانه وفى الصبر كالحمار إذا أثقله ضرب السيوف وطعن الرماح ونصول السهام وفى الوفاء كالكلب إذا دخل سيده النار تبعه وفى التماس الفرصة

والليوة تضعف عند الولادة لأن الولد يخدش رحمها ببرائنه فالليث يأتى بحرباء لتأكلها فتبرأ من مرضها وقالوا ليس فى السباع أشد تجرأ من الأسد وأنه لا يتعرض للمرأة الطامث (وحكى) القاضى محمد بن سهل الواسطى أنه خرج صناع لقطع القصب من قرية على نهر جعفر فرأوا شبلا كالسنور فقتله أحدهم فقال الباقون الساعة يأتى أبواه يطلبانه ونحن نبيت فى الصحراء فلا نأمن فما كان بأسرع من أن سمعنا زئير الأسد فهربنا ولجأنا إلى بيت خارج الأجمة فصعدنا الغرفة ولها باب فلما رأى الأسد شبله قتيلا جاء على أثرنا فوجدنا مجتمعين فى الغرفة فجعل يثب نحو الغرفة حتى يصعد فلم يقدر فصعد أكمة هناك وصاح صيحة شديدة فأتى بضعة عشر سبعا فلما جاءوا الغرفة فلم يقدروا ونحن كالموتى فاجتمعت السباع كالحلقة وصاح صيحة هائلة فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع ووقفت بين يديه فجاء نحو الغرفة والسباع حوله فوثب حتى صعد إلى باب الغرفة ونحن قد أغلقناه وقعدنا خلفه فلم يزل يدفع الباب بمؤخره حتى كسر منه لوحين فدخل عجزه إلينا فعمد أحدنا إلى ذنبه وجذبناه

كالديك وفى الحراسة كالكركى وفى التعب كاليعر وهى دويبة تكون بخراسان تسمن على التعب والكدو الشقاء كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الياء ﴿فرع﴾ حمار نزا على فرس فأحبلها يكون ابن الفرس حلالا طاهراً ولا حكم للفحل فى اللبن فى هذا الموضع بخلاف الأناسى لأن لبن الفرس حادث من العلف فهو تابع للحمها ولم يسر وطء الفحل إلى هذا اللبن فإنه لا حرمة هناك تنتشر من جهة الفحل إلا إلى الولد خاصة فإنه يكون منه ومن الأم فغلب عليه التحريم وأما اللبن فلم يتكون بوطئه وإنما تكون من العلف فلم يكن حراما ﴿فائدة﴾ كان للنبى ﷺ أفراس: السكب اشتراه من أعرابى من بنى فزارة بعشرة أوراق بالمدينة وكان أدهم وكان اسمه عند الأعرابى الضرس فسماه النبى صلى الله عليه وسلم السكب وهو من سكب الماء كأنه سيل والسكب أيضا شقائق النعمان وهو أول فرس غزا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبحة وهو الذى سابق عليه ﷺ فسبق ففرح بذلك . والمرتجز الذى تقدم ذكره سمى بذلك لحسن صهيله . ولزاز قال السهيلى ومعناه أنه لا يسابق شيئا إلا لازه أى أثبته . والظرب . واللحيف قال السهيلى كأنه يلحف الأرض بجريه ويقال فيه اللخيف بالخاء المعجمة ذكره البخارى فى جامعه من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . والورد أهداه له تميم الدارى فأعطاه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فحمل عليه فى سبيل الله تعالى وهو الذى وجده يباع برخص. هذه السبعة متفق عليها، وقيل كان له صلى الله عليه وسلم غيرها وهى الأبلق وذو العقال والمرجل وذو اللمة والسرحان واليعسوب والبحر وكان كميتا والأدهم وملاوح والطرف بكسر الطاء المهملة والسحا والمراوح والمقدام ومندوب والضريز ذكره السهيلى فى أفراسه صلى الله عليه وسلم فهذه خمسة عشر فرسا مختلف فيها وقد بسط الكلام عليها الحافظ الدمياطى وغيره (الأمثال) قال صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كفرسى رهان كادت تسبق إحداهما الأخرى بأذنها وقالوا هما كفرسى رهان يضرب للاثنين يستويان فى الشىء وهذا التشبيه يقع فى الابتداء لا فى الانتهاء لأن النهاية تجلى عن سبق أحدهما لا محالة وقالوا أبصر من فرس وأطوع وأشد وقالوا فلان كالأشقر إن تقدم نخر وإن تأخر عقر لأن العرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر ﴿تتمة﴾ ذكر فى الإحياء فى الباب الثالث من كتاب أحكام الكسب روى عن بعض الغزاة فى سبيل الله قال حملت على فرسى لأقتل علجا فقصر بى فرسى فرجعت ثم دنا منى العلج فحملت ثانية فقصر بى فرسى ثم حملت الثالثة فقصر بى فرسى وكنت لا أعتاد منه ذلك فرجعت حزينا وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتنى من العلج وما ظهر لى من خلق الفرس فوضعت رأسى على عمود الفسطاط وفرسى قائم فرأيت فى المنام كأن الفرس يخاطبنى ويقول لى بالله عليك أردت أن تأخذ العلج على ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لى علفا ودفعت فى ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا فانتبهت فزعا وذهبت إلى العلاف وأبدلت له ذلك الدرهم اه ﴿تتمة أخرى﴾ روى ابن بشكوال فى كتاب المستغيثين بالله عز وجل عن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه أنه قال خرجت إلى الجهاد ومعى فرسى فبينا أنا فى بعض الطريق إذ صرع الفرس فمر بى رجل حسن الوجه طيب الرائحة فقال أتحب أن تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى دؤخره وقال أقسمت عليك أيتها العلة بعزة الله وبعظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت قال فانتفض الفرس وقام فأخذ الرجل بركابى وقال اركب فركبت ولحقت بأصحابى فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا فقلت ألست

إلى داخل وقطعناه بمنجل
فصاح صيحة عظيمة
منكرة ورمى نفسه إلى
الأرض فلم يزل يخدش
السباع وينهشها حتى قتل
غير واحد منها وهربت
السباع من بين يديه وهام
هو فى الصحراء يتبعها فنزلنا
ولحقنا بالقرية وأخبرنا
أهلها بما رأيناه فقال شيخ
كبير إنه كالجراد العتيق
إذا قطع ذنبه أكله الفأر
والله أعلم ﴿فصل فى خواص
أجزائه﴾ سنه من استصحبه
أمن من وجع السن ويعلق
على الصبى تنبت أسنانه
بسهولة مرارته تسقى
لإنسان يبقى جريئا جسوراً
شجاعا مقداما ويزول
عنه الصرع وداء الثعلب
والاكتحال به يمنع سيلان
الدم وتطلى به الخنازير
يستأصلها شحمه يطلى به
البواسير والأورام الحارة
ينفعها ويطلى به الوجه
والبدن لا يقربه شىء من
السباع وإن ترك فى بيت
يهرب منه الفأر والعقرب
ولو ألقى فى ظرف ماء
لا يشربه شىء من الدواب
والشحم الذى بين عينيه
يذاب ويمسح به الرجل
وجهه يهابه كل من يراه
لحمه ينفع الفالج والاسترخاء
دمه إذا طلى به السرطان
يزيله وكذا جميع أنواع
السباع وإذا مزج بالحلتيت وطلى به البرص مرارا أزاله خصيته تولد العقر فى الرجال ومن أكلته لم تحبل

برئته يأخذه الإنسان معه لا يقربه شيء من السباع وإذا طرح في الماء وشربته الدواب أو النعم أصابها هزال ولم تسمن بعده ألبتة جلده ينام عليه صاحب حمى الربع يوم نوبته ويغطى بالثياب حتى يعرق تزول عنه وإذا داوم عليه الجلوس بذهب البواسير ويذهب أيضا الخوف من الخائف ولو اتخذ من جلده طبل فأى فرس سمع صوته فزع وجلد جبهته يشد على الجبهة تحت العمامة يبقى صاحب هيبة وافرة عند الملوك وإذا أدرج جلده في جلد سائر الدواب تساقط وبرها وإذا أحرق شعره في موضع تهرب منه سائر السباع ومن به حب القرع يخلط رماد هذا الشعر بدهن الشمع ويحمله يزول عنه ذلك شعره يجعل منه في النبيذ قليل ويسقى لإنسان فإنه يبغضها ولا يعود إلى شربها بعد ذلك (ببر) حيوان هندى أقوى من الأسد بينه وبين الأسد معاداة وإذا قصد الببر النمر فالأسد يعاون النمر وبين العقرب والببر مصادقة وربما تتخذ العقرب في شعر الببر بيتا وقال الجاحظ إذا رمى الببر استكلب فعند ذلك تخافه جميع السباع وإذا مرض الببر يأكل كلبا يزول مرضه وإذا هرم لا يتعرض للناس بخلاف الذئب

صاحبي بالأمس قال بلى فقلت سألتك بالله من أنت فوثب قائما فاهتزت الأرض تحته خضراء فإذا هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك رضى الله تعالى عنه فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفى بإذن الله تعالى (الخواص) إذا علقت سن الفرس العربى على صبى سهل طلوع أسنانه بلا ألم وإن وضعت سنه تحت رأس من يغط في النوم انقطع غطيطه ولحمه يطرد الرياح وعرقه يطلى به عانة الصبى وإبطه فلا ينبت فيهما شعر وهو سم قاتل للسباع والثعابين جميعا وإذا أخذت شعرة من ذنب الفرس وجعلت على باب بيت ممدودة لم يدخل ذلك البيت بق ما دامت الشعرة كذلك وإن شربت امرأة دم برذون لم تحبل أبدا ورماد حافر الفرس إذا خلط بزيت وجعل على الخنازير أبرأها وإذا سقيت امرأة لبن فرس وهى لا تعلم أنه لبن فرس وجامعها زوجها من ساعتها حملت منه بإذن الله تعالى وإن شربته بالعسل صارت مجامعتها لذيذة وإذا سحق بصل الفأر ومسح به أسنان الفرس الحرون لان وذهبت صعوبته وزبل الفرس إذا جفف وسحق وذر على الجراحات قطع دمها وإن كحل به البياض العارض في العين أزاله وإن دخن به أخرج الولد من البطن

﴿فصل في صبغ البراذين﴾ قال صاحب عين الخواص إذا سخن الماء تسخينا شديدا بحيث يذهب الشعر وصب على البرذون فإنه يحلق شعره ذلك وينبت له شعر مخالف لما ذهب عنه من اللون قال ومما يصير الأشهب أدهم أن يؤخذ مرداسنج وعفص ونجار ونورة وزاج الأساكفة وطين خورى بالسوية يدق الجميع ويعجن بماء حار ويصبغ به الفرس البرذون ويترك يوما وليلة ثم يغسل من الغد فيصير أدهم وإن طلى بعض جسده بذلك وترك بعضه كان أبلق ومما يصير به الأدهم أبرش الحرض إذا طبخ مع الورق الدفلى وصفى ماؤه ثم طبخ أيضا مع القلى ومخ جوز سائل ثم يغسل به البراذين فتصير شهباء ومما يصير الأشهب أدهم أيضا أن يؤخذ قشور الجوز الرطب وتطبخ مع الآس ووسخ الحديد ثم يغسل به البرذون غسلا نقيا ويطلى بذلك فيصير أدهم ويبقى سواده ستة أشهر والله أعلم (التعبير) الفرس في الرؤيا تعبر بالحامل بولد ذكر فارس وتعبر برجل وتجارة وشريك وامرأة فمن رأى فرسا مات في يده فذلك موت من ينسب إليه الفرس من الولد أو المرأة أو الشريك والفرس الأبلق في الرؤيا أمير مشهور وقد تقدم ذكره في باب الخاء المعجمة في لفظ الخيل والفرس الأسود والأدهم يدلان على المال والأصفر والمريض يدلان على المرض إن ركب أحدهما أو كليهما والأشقر يدل على دين وحزن وقيل فتنة وقال ابن سيرين رحمه الله لا أحب الأشقر لشبهه بالدم والأشهب يعبر برجل صاحب قلم كذا عبره ابن سيرين وقال ألا تراه سوادا في بياض والكميت يدل على القوة واللهو وربما دل على الحرب والضرب ومن ركب فرسا وأجراه حتى عرق فإنه يركب أمرا فيه هوى النفس وتلف مال لمكان العرق والعرق أيضا تعب وأما الركض فإنه ارتكاب هوى لقوله تعالى لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومن نزل عن فرسه ولم يكن له نية في الرجوع فإنه يعزل إن كان واليا والفرس الجموح رجل مجنون والحرون متهاون بطلبه بطرو من رأى شعر ذنب فرسه كثيرا زاد ماله وأولاده وإن كان سلطانا كثر جيشه ومن قطع ذنب فرسه فإنه لا يخلف ولدا وإن كان له أولاد فإنهم يموتون وإن كان سلطانا ذهب جيشه وكذلك إذا كان منتوفا تفرق الجيش الذى يتبع صاحب الفرس ومن ركب فرسا وكان ممن يليق به ركوب الخيل نال عزا وجاها ومالا لقوله عليه الصلاة والسلام الخيل معقود في نواصيها الخير وربما صادف رجلا جوادا وربما سافر لأن السفر مشتق من الفرس فإذا كان حصانا تحصن من عدوه وإن كان مهرا رزق ولدا جميلا وإن كان أكديشا رما

عاش زمانا وإن كان برذونا بوسط حاله وعاش لايستغنى ولا يفتقر وإن كان الفرس حجرا تزوج إن كان أعزب امرأة ذات جمال ومال ونسل والأصيل شريف بالنسبة إلى غير الأصيل وربما دلت الفرس على الدار الحسنة البناء وقال ابن المقرى من رأى أنه ركب فرسا أشهب نال عزا ونصرا على العدا لأنه من خيل الملائكة والأدهم هو الأغر المحجل علم وورع ودين لقوله ﷺ إنكم سترودون على يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء ومن ركب كميتا ربما شرب خمرا لأنه من أسمائها ومن ركب فرسا لغيره نال منزلته أو عمل بسنته خصوصا إن كان مركوبا معروفا ويليق به انتهى ومن رأى أنه يقود فرسا فإنه يطلب خدمة رجل شريف ولا خير فى ركوب الفرس فى غير محل الركوب كالسطح والحائط والحبس وربما دل الفرس الخصى على خادم واعتبر بكل مركوب ما يليق فالسرج للفرس والكور للجمل وكذلك المحمل والهودج والمحفة للبغال والبرادع للحمير فمن ركب حيوانا بما لا يليق به من العدة تكلف أو كلف غيره ما لا يطيق والدابة بلا لجام ولا مقود امرأة زانية لأنها كيفما أرادت مشت وكذلك الفرس العاثر ومن رأى أنه يأكل لحم فرس نال ثناء حسنا واسما صالحا وقيل إنه مرض لصفرته ومن نازعه فرسه خرج عليه عبده وإن كان تاجرا خرج عليه شريكه ومن الرؤيا المعبرة أن رجلا أتى ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه فقال رأيت كأنى راكب على فرس قوائمه من حديد فقال له ابن سيرين رحمه الله توقع الموت والله تعالى أعلم ﴿ فرس البحر ﴾ حيوان يوجد فى نيل مصر له ناصية كناصية الفرس ورجلاه مشقوقتان كالبقر وهو أفطس الوجه له ذنب قصير يشبه ذنب الخنزير وصورته تشبه صورة الفرس إلا أن وجهه أوسع وجلده غليظ جدا وهو يصعد إلى البر فيرعى الزرع وربما قتل الإنسان وغيره (وحكمه) حل الأكل لأنه كالخيل المتوحشة التى تعدو فى غالب أحيانها (الخواص) إذا أحرق جلده وخلط بدقيق كرسنة وطلى به داء السرطان أبرأه فى ثلاثة أيام ومرارته إذا تركت فى الماء ثلاثين يوما ثم سحقت واكتحل بها أربعة عشر يوما أو أربعة وعشرين يوما بعسل لم تصبه النار أذهبت الماء الأسود من العين وسنه نافعة لوجع البطن إذا علقت على من أشرف على الموت من وجع المعدة من التخمة والامتلاء يبرأ بإذن الله تعالى وجلده إذا دفن فى وسط قرية لم يقع فيها شىء من الآفات وإذا أحرق وجعل على الورم أذهبه وسكن وجعه (التعبير) الفرس البحرى فى الرؤيا يدل على كذب وأمر لا يتم ﴿ فصل ﴾ والبحر فى الرؤيا يعبر بملك وحبس لمن وقع فيه ولم يمكنه الخروج منه وبرجل عالم وكريم فيقال بحر علم وبحر كرم ويعبر بالدنيا فمن رأى كأنه قاعد على متن البحر أو مضطجع عليه فإنه يداخل ملكا ويكون منه على خطر لأن الماء لا يؤمن من الغرق فيه ومن رأى أنه شرب من ماء البحر نال مالا من الملك فإن شربه كله نال مال الملك كله ومن رأى البحر من بعيد ولم يخالطه فإن ذلك أمر يفوته ومن رأى أنه يشرب من مائه وله شريك فإنه يفارقه لقوله تعالى وإذا فرقنا بكم البحر ومن رأى كأنه يمشى فى البحر فى طريق يابس فإنه يأمن من الخوف لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ومن رأى أنه غاص فى البحر ليخرج شيئا من الدر فإنه يدخل فى غامض العلم ومن قطع البحر سبحا إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هول وغم ومن سبح فى البحر فى زمن الشتاء نالته هم من قبل ملك أو أصابه مرض أو يحبس أو يناله وجع من الرياح وإذا دخل البحر ولى درس الناس وبل القماش أو أكل وحشه طعام الناس فإن الملك يظلم أهل تلك الناحية وربما دل على طول الشقاء فى تلك السنة لا سيما إذا كان مضطربا كثير الموج فإنه يدل على مضار كثيرة * والبحر فى الرؤيا تدل على القضاة والولاة والموالى الذين

من به برسام يطلى رأسه بمرارة البقر مضروبة بالماء تنفعه نفعا بينا وإذا احتملت المرأة منه لا تلد أبدا وإن كانت حاملا تسقط الجنين كعبه يشد على البريد لا يتعب من السير ولو سار كل يوم عشرين فرسخا جلده يجلس عليه من به حب القرع يزول عنه ويدخن به تحت ذيل من به حمى الغب تزول حماه ويتولد النمل من رائحة دخان جلده شعره يدخن به تهرب منه جميع الهوام إلا النمل فإنها تجتمع بدخانه (ثعلب) حيوان كثير الحيل عجيب الروغان والعطفات والمكر والالتفات يتخذ لوكره أبوابا حتى لو سد عليه باب يخرج من الآخر شعره يتساقط كل سنة فلذلك سمى تساقط شعر الإنسان داء الثعلب ويجعل العنصل حول بيته حتى لا يقصده الذئب فإن الذئب إذا وقعت رجله على العنصل يموت وينام فى وجاره بطمأنينة وإذا جاع يرمى نفسه فى الصحراء متماوتا ويمد يديه ورجليه ويزكر بطنه وينفخه حتى يحسبه الطير أنه ميت فيجتمع عليه الطير ليأكله فيصيد منها ما شاء (وحكى) بعضهم قال مررت على ثعلب فوجدته قد زكر بطنه فظننت أنه قد مات منذ أيام فتركته فلما

يفعلون الأشياء بالأمر والبحيرة الصغيرة تدل على امرأة غنية والبحر إذا كان هادئا دل على البطالة والبحيرة للمسافر تدل على تعذر السفر ﴿تتمة﴾ وأما النهر فى الرؤيا فإنه يدل على رجل جليل فمن دخل فى نهر فإنه يخالط رجلا من الأكابر ولا يحمد الشرب من النهر وقيل إنه يدل على سفر لمن دخله لأن ماءه منقل مسافر ومن رأى أنه وثب من النهر إلى الجانب الآخر فإنه ينجو من هم وينصر على عدوه والدخول فى النهور دخول فى عمل السلطان وإذا جرى الماء فى الأسواق والناس يتوضؤن منه وينتفعون به فذلك عدل من سلطان فإن جرى فوق الأسطحة وبل قماش الناس فى دورهم فذلك جور من السلطان أو عدو يطغى على الناس ومن رأى نهرا خرج من داره ولم يضر أحدا فإنه معروف منه يصل إلى الناس ومن رأى أنه صار نهرا فإنه يموت بنزف الدم ﴿فصل﴾ وأما رؤية عين الماء فإنها كرامة ونعمة وبلوغ أمنية إذا كان الرائى مستورا ومن رأى كأن عينا نبعت من داره دل على مشترى جارية فإن خرجت من الدار إلى ظاهرها فإنه مال قد ذهب والماء الراكد فى الدار هم باق فإن كان صافيا فهم مع صحة جسم ولا يكره من العيون إلا ما ركد ماؤه ولم يجر ومن شرب من ماء عين أصابه هم فإن كان باردا فلا بأس به والله تعالى أعلم ﴿الفرش﴾ صغار الإبل وقيل هو من الإبل والبقر والغنم ما لا يصلح إلا للذبح ومنه قوله تعالى حمولة وفرشا قدم الحمولة على الفرش لأنها أعظم فى الانتفاع إذ ينتفع بها فى الأكل والحمل قال الفراء ولم أسمع الفرش بجمع قال ويحمل أن يكون مصدرا سمى به من قولهم فرشها الله تعالى فرشا أى بثها بثا ﴿الفرانق﴾ بضم الفاء البربر البريد وهو الذى ينذر بالأسد وقد تقدم فى باب الباء الموحدة ﴿الفرفر﴾ كهدهد طير من طيور الماء صغير الجثة على قدر الحمام ﴿الفرفور﴾ كعصفور طائر قاله الجوهرى ولعله الذى قبله ﴿الفرع﴾ بفتح الفاء والراء المهملة وبالعين المهملة فى آخره أول نتاج البهيمة ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا فرع ولا عتيرة وذلك أنهم كانوا يذبحونه ولا يأكلونه رجاء البركة فى الأم وكثرة نسلها والعتيرة بفتح العين المهملة ذبيحة كانوا يذبحونها فى اليوم الأول من شهر رجب ويسمونها الرجبية (الحكم) فى كراهتهما وجهان الصحيح الذى نص عليه الشافعى واقتضته الأحاديث أنهما لا يكرهان بل يستحبان وروى أبو داود بإسناد حسن أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن معاقرة الأعراب وهى مفاخرتهم فإنهم كانوا يتفاخرون بأن يعقر كل واحد منهم عددا من إبله فأيهم كان عقره أكثر كان غالبا فكره النبى صلى الله عليه وسلم لحمها لئلا تكون مما أهل به لغير الله تعالى * وروى أبو داود أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعام المتباريين ﴿فائدة﴾ حكى الإمام العلامة أبو الفرج الأصبهانى وغيره أن الفرزدق الشاعر المشهور واسمه همام بن غالب كما تقدم كان أبو غالب رئيس قومه وأن أهل الكوفة أصابتهم مجاعة فعقر غالب أبو الفرزدق المذكور لأهله ناقة وصنع منها طعاما وأهدى إلى قوم من بنى تميم جفانا من ثريد ووجه جفنة منها إلى سحيم ابن وثيل الرياحى رئيس قومه وهو القائل :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

وقد تمثل بذلك الحجاج فى خطبته يوم قدم الكوفة أميرا فكفأها سحيم وضرب الذى أتى بها وقال أنا مفتقر إلى طعام غالب إذا نحروا ناقة نحرت أنا أخرى فوقعت المعاقرة بينهما فعقر سحيم لأهله ناقة فلما كان من الغد عقر لهم غالب ناقتين فعقر سحيم لأهله ناقتين فلما كان اليوم الثالث عقر غالب لأهله ثلاثا فعقر سحيم لأهله ثلاثا فلما كان اليوم الرابع عقر غالب مائة ناقة

نزلت عليه الجوارح تضربه بجناحها حتى يدركه الكلب يستلقى ويخدش الجارحة خدشا لا تقربه بعد ذلك وله حيلة فى قتل القنفذ وذلك أنه إذا لقى القنفذ استدار القنفذ وأمكنه من شوكه فيبول الثعلب عليه فإذا فعل ذلك اعتراه الانسياب فانبسط وتمدد فيقبض على مراق بطنه ويأكله وإذا مرض أكل البصل البرى يبرأ وإذا تولدت القمل فيه وتأذى منه أخذ بفيه ليفة أو صوفة ويقف فى الماء ثم ينزل قليلا قليلا حتى يجتمع القمل فى تلك الليفة أو الصوفة ثم يخليها ويغوص فى الماء ويسبح ويستريح ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ رأسه إذا ترك فى برج الحمام يهرب عنها نابه يشد على الصبى الذى به ريح الصبيان يذهب عنه ويزول عنه فزع النوم وتحسن أخلاقه ونابه اليسرى يعلق على من تألم من نابه اليسرى واليمنى على اليمنى يزول ألمها مرارته تنفخ فى أنف المصروع لا يصرع فى ذلك الشهر ويكتحل بها من نزول الماء لحمه ينفع من اللقوة والجذام والفالج إذا داوم على أكله شحمه يذاب ويطلى به رجل المنقرس

فلم يكن عند سحيم هذا القدر فلم يعقر شيئا وأسرها فى نفسه فلما انقضت الجماعة ودخل الناس الكوفة قال بنو رياح لسحيم جررت علينا عار الدهر هلا نحرت مثل ما نحر غالب وكنا نعطيك مكان كل ناقة ناقتين فاعتذر بأن إبله كانت غائبة ثم عقر ثلثمائة ناقة وقال للناس شأنكم والأكل وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه فاستفتى فى حل الأكل منها فقضى بحرمتها وقال هذه ذبحت لغير مأكلة ولم يكن المقصود منها إلا المفاخرة والمباهاة فألقيت لحومها على كناسة الكوفة فأكلها الكلاب والعقبان والرخم ﴿الفرعل﴾ كقنفذ ولد الضبع والجمع الفراعل * روى البيهقى عن عبد الله ابن زيد قال سألت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه عن ولد الضبع فقال ذاك الفرعل فيه نعجة من الغنم قال أبو عبيد الفرعل عند العرب ولد الضبع والذى يراد من هذا الحديث قوله نعجة من الغنم يعنى أنها حلال بمنزلة الغنم قال الكميت :

وتسمع أصوات الفراعل حوله * يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا

يعنى حول الماء الذى وردوه (الامثال) قالوا أغزل من فرعل وهو من الغزل والمراودة * وقال الميدانى هو من الغزل بمعنى الخرق يقال غزل الكلب إذا تبع الغزال فإذا أدركه ثغا الغزال فى وجهه ففتر ودهش ولعل الفرعل يفعل ذلك إذا تبع صيده فقالوا أغزل من فرعل انتهى * وقال ابن هشام إن عكرمة بن أبى جهل ألقى رمحه يوم الخندق وانهزم فقال فيه حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

وفر وألقى لنا رمحه * لعلك عكـــرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم * مما أن يجوز عن المعدل
ولم تبق ظهرك مستأنسا * كان قفاك قفا فرعل

﴿القرفد﴾ ولد البقرة وأبو فرقد كنية الثور الوحشى ﴿الفرنب﴾ بكسر الفاء قال ابن سيده هو الفأر وقيل ولد الفأر من اليربوع ﴿الفرهود﴾ كجلمود ولد السبع وقيل ولد الوعل ويقال أيضا للغلام الغليظ وصرفوه فقالوا تفرهد إذا سمن ﴿الفروج﴾ الفتى من الدجاج والضم فيها لغة حكاها اللحيانى والجمع الفراريج أنشد الجوهرى عن الاصمعى :

أقبلن من بئر ومن سواج * والقوم قد ملوا من الإدلاج
يمشون أفواجا على أفواج * مشى الفراريج مع الدجاج

(وحكمه وخواصه) كالدجاج (وأما تعبيره) فالفراريج فى الرؤيا هى أولاد السبى لأن الدجاج جوار ومن سمع أصوات الفراريج فإنه يسمع كلام قوم فسقة ومن أكل لحم الفراريج أكل مالا من رجل كريم والفراريج تدل على أمر يتألف عاجلا بلا تعب لأن الفراريج لا تحتاج إلى كلفة التربية والله تعالى أعلم ﴿الفرير والفرار﴾ ولد النعجة والماعزة والبقرة ويقال هو من أولاد المعز ما صغر جسمه وقيل الفرير واحد والفرار جمع قاله ابن سيده ﴿فسافس﴾ كخماخس حيوان كالفراد شديد النتن قاله ابن سينا وقال القزوينى يشبه أن يكون البق إذا سحقت وجعلت فى ثقبة الإحليل نفعت من عسر البول وقد تقدم فى باب الباء الإشارة إلى هذا ﴿الفصيل﴾ ولد الناقة إذا فصل عن رضاع أمه وهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول والجمع فصلان بضم الفاء وفصال بكسرها * روى الإمام أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه قال خرج النبى ﷺ على أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال

يزول وجعه فى الحال ويطلى به خشب الرمان ويفرش فى البيت تجتمع عليه البراغيث خصيته تشد على الصبى ينبت سنه بسهولة قضيبه يشد على من به صداع يزول عنه جلده من أحسن الفراء ليس فى الوبر أكثر وفاء منه قال ابن سينا أنه أنفع شىء للبطونين دمه يطلى به رأس الصبى ينبت شعرا حسنا ولو كان أقرع قبل ذلك ذنبه إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال عليه وإذا علق شىء من الحيوان يدخن بوبر الثعلب فى كوز ضيق الرأس والعليل يجعل فمه عليه فإذا وصل الدخان إليه سفط فى الحال زبله يعين على الحبل إن استعمل عند المباضعة

(حريس) حيوان فى حجم الجدى ذو عدو شديد على رأسه قرن واحد كقرن الكركند وأكثر عدوه على رجليه لا يلحقه شىء لسرعة مشيه وأنه يوجد فى غياض سجستان وبلغار ﴿فصل﴾ فى خواص أجزائه دمه يشرب من به خناق بالماء الحار ينفتح فى الحال لحمه يطبخ بالقنطريون ويأكله صاحب القولنج ينفتح فى الحال شحمه مع رماد كعبه يجعل على العرق الموجوع يسكن ألمه ويتخلص منه سريعا

(خنزير) حيوان سمج والعين تكرهه له نابان كنابى الفيل يضرب بهما

ﷺ صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال وهو أن تحمى الرمضاء وهو الرمل فتبرك الفصال من شدة حرها وإحراقها أخفافها * وروى الإمام أحمد أيضا وأبو داود من حديث دكين بن سعيد الخثعمى قال أتينا رسول الله ﷺ ونحن أربعون وأربعمائة راكب نسأله الطعام فقال عليه الصلاة والسلام ياعمر اذهب فأطعمهم فقام عمر وقمنا معه فصعد بنا إلى غرفة فأخرج المفتاح ففتح الباب فإذا فى الغرفة من التمر شبه الفصيل الرابض فقال شأنكم فأخذ كل منا ماشاء من ذلك التمر ثم التفت وإنى لمن آخرهم فكأنما لم نرزأ منه تمرة * وقال ابن عطية فى تفسير سورة الفلق حدثنى ثقة أنه رأى عند بعضهم خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان فمنعت بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فى الحين فرضع ﴿فرع﴾ دخل فصيل رجل فى بيت رجل ولم يمكن إخراجه إلا بنقض البناء فإن كان بتفريط صاحب البيت بأن غصبه وأدخله نقض ولم يغرم صاحب الفصيل شيئا وإن كان بتفريط صاحب الفصيل نقض البناء ولزمه أرش النقض وإن دخل بنفسه نقض أيضا ولزم صاحب الفصيل أرش النقض على المذهب وبه قطع العراقيون وقيل وجهان ثانيهما لا أرش عليه (الأمثال) قالوا أنخم من فصيل لأنه يرضع أكثر مما يطيق ثم يتخم وقالوا كفضل ابن المخاض على الفصيل أى الذى بينهما من الفضل قليل يضرب للمتقاربين فى رجوليتهما وقالوا استنت الفصال حتى القرعى يضرب للذى يتكلم مع الذى لا ينبغى له أن يتكلم بين يديه لجلالة قدره والقرعى جمع قريع كمريض ومرضى وهو الذى به قرع بالتحريك وهو بثر أبيض يطلع فى الفصال ودواؤه الملح وحباب ألبان الإبل والله تعالى أعلم (التعبير) الفصيل فى المنام ولد شريف وكل صغير من الحيوان إذا مسه الإنسان فهو هم والله تعالى أعلم ﴿الفلحس﴾ كجعفر الدب والكلب المسن وفلحس رجل من رؤساء بنى شيبان كان إذا أعطى سهمه من الغنيمة سأل سهما لامرأته وسهما لناقته فقيل أسأل من فلحس ﴿الفلو﴾ والفلو والفلو بضم الفاء وفتحها وكسرها المهر الصغير والجمع أفلاء قال سيبويه لم يكسروه على فعل كراهة الإخلال ولا كسروه على فعلان كراهة الكسرة قبل الواو وإن كان بينهما حاجز لأن الساكن ليس بحاجز حصين قاله ابن سيده وقال الجوهرى الفلو بتشديد الواو المهر لأنه يفتلى عن أمه أى يفطم وقد قالوا للأنثى فلوة كما قالوا عدو وعدوة والجمع أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى مثل خطايا وأصله فعائل وقال أبو زيد إذا فتحت الفاء شددت الواو وإذا كسرت خففت فقلت فلو مثال جرو وفلوته عن أمه وافتليته إذا فطمته وفرس مفل ومفلية ذات فلو اه وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ماتصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذه الرحمن بيمينه وإن كان تمرة فيربيها كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه حتى تكون مثل الجبل أو أعظم وفى رواية فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل * وقال الماوردى وغيره هذا الحديث وشبهه إنما عبر به النبى صلى الله عليه وسلم على ما اعتاده فى خطابهم ليفهموا فكنى هنا عن قبول الصدقة بأخذها بالكف وعن تضعيف أجرها بالتربية قال القاضى عياض لما كان الشىء الذى يرتضى ويعز يتلقى باليمين ويؤخذ بها استعمل فى مثل هذا واستعير للقبول والرضا إذ الشمال بضد ذلك فى هذا قال وقيل المراد بكف الرحمن هنا وبيمينه كف الذى يدفع إليه الصدقة ويمينه وإضافتها إلى الله تعالى إضافة ملك واختصاص لتوضع هذه الصدقة فيها لله عز وجل قال وقد قيل فى تربيتها وتعظيمها حتى تكون أعظم من الجبل أن المراد بذلك تعظيم ذاتها ويبارك الله تعالى فيها ويزيدها من

ورأسه كراس الجاموس وله ظلف كما للبقر والغنم وللخنازير عند الهيجان خصومة شديدة على الإناث ذكروا أن الذكر يدلك جسمه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير ظاهر بدنه كالجشن لا يؤثر فيه ناب الخنازير وعلامة هيجانه إطراق رأسه وتغير صوته وإذا نزا الذكر على الأنثى يبقى فوقها زمانا مثل الذباب وإذا دفنت سفرجلة ينبش الأرض كلها حتى يظهر بها والخنزير أنسل الحيوان لأنها قد تضع عشرين خنوصا والخنزير يأكل الحيات أكلا ذريعا وسموم الحيات لا تؤثر فى الخنازير وهو أروغ من الثعلب يهرب عمن قصده حتى يمشى خلفه كثيرا ويتعب ثم يكر عليه يضربه بنابه حتى يقطعه وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن فى يومين وهكذا تفعل بها النصارى بالروم يجوعونها ثلاثا ثم يعلفونها للسمن وإذا مرض أكل السرطان يزول مرضه ومن خواصه العجيبة ماذكروا أن الخنزير إذا شد على ظهر الحمار بحيث لا يقدر على الحركة فإذا بال الحمار مات الخنزير والفيل يهرب من صوت الخنزير

﴿فصل﴾ فى خواص أجزائه نابه يستصحبها الإنسان يبقى مكرما عند الناس ويأمن العين ويترك

فضله حتى تثقل فى الميزان * وهذا الحديث نحو قوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات * وفى سنن أبى داود من حديث الزبير بن العوام أنه حمل على فرس يقال له غمر أو غمرة فرأى مهرا أو مهرة من إفلائها تباع تنسب إلى فرسه فنهى عنها أى نهى عن ابتياعها وعن إدخالها فى ملكه بعد أن تصدق بها والله تعالى أعلم ﴿الفناة﴾ البقرة والجمع فنوات ﴿الفنك﴾ كالعسل دويبة يؤخذ منها الفر وقال ابن البيطار أنه أطيب من جميع الفراء يجلب كثيرا من بلاد الصقالبة ويشبه أن يكون فى لحمه حلاوة وهو أبرد من السمور وأعدل وأحر من السنجاب يصلح لأصحاب الأمزجة المعتدلة (وحكمه) الحل لأنه من الطيبات ونقل الإمام أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن أبى يوسف أنه قال فى الفنك والسنجاب والسمور كل ذلك سبع مثل الثعلب وابن عرس ﴿الفنيق﴾ الفحل الكريم من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم وجمعه فنق وأفناق ومنه حديث الحجاج لما حاصر ابن الزبير بمكة ونصب المنجنيق عليها وقال خطاؤه كالجمل الفنيق ﴿الفهد﴾ واحد الفهود وفهد الرجل أشبه الفهد فى كثرة نومه وتمرده وفى حديث أم زرع إن دخل فهد وزعم أرسطو أنه يتولد بين نمر وأسد ومزاجه كمزاج النمر وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب فى أدوائه ودوائه ويقال إن الفهدة إذا أثقلت بالحمل حن عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فإذا أرادت الولادة هربت إلى موضع قد أعدته لذلك * ويضرب بالفهد المثل فى كثرة النوم وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان فى ركوبه ومن خلقه الغضب وذلك أنه إذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى يناولها فيحمى لذلك وتمتلىء رئته من الهواء الذى حبسه فإذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه * قال ابن الجوزى إن الفهد يصاد بالصوت الحسن قال ومتى وثب على الصيد ثلاث مرات ولم يدركه غضب ومن خلقه أنه يأنس لمن يحسن إليه وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها وأول من اصطاد به كليب بن وائل وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وأكثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى ﴿فائدة﴾ سئل الكيا الهراسى الفقيه الشافعى عن يزيد بن معاوية هل هو من الصحابة أم لا وهل يجوز لعنه أم لا فأجاب إنه لم يكن من الصحابة لأنه ولد فى أيام عثمان رضى الله تعالى عنه وأما قول السلف ففيه لكل واحد من أبى حنيفة ومالك وأحمد قولان تصريح وتلويح ولنا قول واحد التصريح دون التلويح وكيف لا يكون كذلك وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر ومن شعره فى الخمر قوله :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم * وداعى صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة * فكل وإن طال المدى يتصرم

وكتب فصلا طويلا أضربنا عن ذكره ثم قلب الورقة وكتب ولو مددت ببياض لأطلقت العنان وبسطت الكلام فى مخازى هذا الرجل * وقد أفتى الغزالى فى هذه المسئلة بخلاف ذلك فإنه سئل عمن يصرح بلعن يزيد بن معاوية هل يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصا فيه وهل كان يريد قتل الحسين أم كان قصده الدفع وهل يسوغ الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل فأجاب لا يجوز لعن المسلم أصلا ومن لعن المسلم فهو الملعون وقد قال عليه الصلاة والسلام المسلم ليس بلعان وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهى عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبى ﷺ ويزيد صح إسلامه وما صح قتله للحسين رضى الله تعالى عنه ولا أمره ولا رضاه بذلك ومهما لم يصح ذلك عنه لم يجز أن يظن ذلك به فإن

يصيبه فى يومه ذلك غم ولا يتأخر مرارته تجفف وتجعل على البواسير تسقط ويسقى منه صاحب الصرع مع شىء من البول العتيق يزول صرعه لحمه أطيب لحم الحيوان نافع من لسع الهوام يطعم منه البازى المهزول بدهن الجوز يسمن سريعا شحمه يدلك به العضو المنفوخ يلين ويخلط به زرق الحمام وبزر الكتان ويضمد به الخنازير والدماميل الصلبة ينضجها ويخرج وسخها شحمه الطرى يطلى به البواسير ينفعها نفعا بينا عظمه يوصل بعظم الإنسان يلتئم سريعا ويستقيم من غير اعوجاج وليس لشىء من عظام الحيوان هذه الخاصية ويشد فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ولو أحرق وشد فى خرقة أو صرة وترك فى مسيل ماء الأرز يأتى بربع كثير ولا يقربه الخنزير ويحرق عظمه ويسحق ويحشى به الناصور يبرأ جلده يترك فى البيت يهرب منه البق كعبه يحرق حتى يبيض رماده ويسحق ويسقى للقولنج والمغص المزمن يزيلهما قال ابن سينا إذا طلى به البرص نفعه بوله يسقى بالنبيذ يفتت

إساءة الظن أيضا بالمسلم حرام قال الله يا أيها الذين آمنو اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم وقال صلى الله عليه وسلم إن الله حرم من المسلم دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء ومن أراد أن يعلم حقيقة من الذى أمر بقتله لم يقدر على ذلك وإذا لم يعلم وجب إحسان الظن بكل مسلم يمكن إحسان الظن به ومع هذا لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلما فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب من قتل. ولم يعرف أن قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذى يقبل التوبة من عباده فإذاً لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين ومن لعنه كان فاسقا عاصيا لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصيا بالإجماع بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له فى القيامة لم لم تلعن إبليس ويقال للاعن لم لعنت ومن أين عرفت أنه ملعون والملعون هو المبعد من الله عز وجل وذلك لا يعرف إلا فيمن مات كافرا فإن ذلك علم بالشرع وأما الترحم عليه فجائز بل مستحب بل داخل فى قولنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنه كان مؤمنا اه *

والكيا الهراسى هو أبو الحسن عماد الدين على بن محمد الطبرى كان من رؤس معيدى إمام الحرمين وثانى الغزالى وتوفى فى المحرم سنة أربع وخمسمائة ببغداد وحضر دفنه الشريف أبو طالب الزينبى وقاضى القضاة أبو الحسن بن الدامغانى مقدما الطائفة الحنفية وكان بينهما وبينه فى حال الحياة منافسة فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال ابن الدامغانى:

وما تغنى النوادب والبواكى * وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبى:

عقم النساء فلا يلدن شبيهه * إن النساء بمثله عقم

وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمام ذكر شىء من مناقب الإمام الغزالى ووفاته رحمه الله تعالى * وذكر ابن خلكان أن الرشيد خرج مرة إلى الصيد فانتهى به الطرد إلى موضع قبر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الآن فأرسل فهودا على صيد فتبعت الصيد إلى موضع قبره ووقفت الفهود عند موضع القبر الآن ولم تتقدم على الصيد فتعجب الرشيد من ذلك فجاءه رجل من أهل الخبرة وقال يا أمير المؤمنين أرأيتك إن دللتك على قبر ابن عمك على بن أبى طالب ما لى عندك قال أتم مكرمة قال هذا قبره فقال له الرشيد من أين علمت ذلك قال كنت أجىء مع أبى فيزور قبره وأخبرنى أنه كان يجىء مع جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه فيزوره وأن جعفرا كان يجىء مع أبيه محمد الباقر فيزوره وأن محمدا كان يجىء مع أبيه على زين العابدين فيزوره وأن عليا كان يجىء مع أبيه الحسين فيزوره وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر فأمر الرشيد أن يحجر الموضع فكان أول أساس وضع فيه ثم تزايدت الأبنية فيه فى أيام السامانية وبنى حمدان وتفاقم فى أيام الديلم أى أيام بنى بويه قال وعضد الدولة هو الذى أظهر قبر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعمر المشهد هناك وأوصى أن يدفن فيه وللناس فى هذا القبر اختلاف متباين حتى قيل إنه قبر المغيرة بن شعبة الثقفى رضى الله تعالى عنه وأصح ما قيل إنه مدفون بقصر الإمارة بالكوفة انتهى *

(قلت) وعلى رضى الله تعالى عنه لا يعرف قبره على الحقيقة * وعضد الدولة اسمه فناخسرو وأبو شجاع ابن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى وكان عضد الدولة أعظم بنى بويه مملكة دانت له

حجر المثانة زبله يسمد به شجر المرأة تسقط المشيمة وتدفنها أذى النفاس ويطلى به الرتيلاء بحللها (دب) حيوان جسيم سمين يحب العزلة وإذا جاء الشتاء يدخل وجاره الذى اتخذه فى الغيران ولا يخرج منه حتى يطيب الهواء وإذا جاع يمص يديه ورجليه فيدفع بذلك جوعه ويخرج من وجاره فى فصل الربيع أسمن مما كان ويخاصم البقر فإذا نطحه البقر استلقى ويأخذ بيديه قرنيه ويعضه عضا شديدا يقهره وعند ولادتها تستقبل بنات نعش الصغرى تسهل ولادتها والدبة إذا ولدت يكون ولدها كقطعة لحم تخاف عليه من النمل فتنقلها من موضع إلى موضع خوفا من النمل فإذا صلب بدن الولد أقرته فى موضع وربما تركت أولادها وترضع ولد الضبع ولهذا تقول العرب فلان أحمق من جهير وهى الأنثى من الدب ولا يخاف شيئا إلا الأسد (حكى) بعضهم أن أسدا قصده فالتجأ إلى شجرة فصعد عليها فإذا على بعض أغصانها دب يقطف ثمرتها قال فلما رآنى الأسد قد قصدت الشجرة جاء وافترس تحتها ينتظر نزولى فنظرت إلى الدب فإذا هو يشير بأصبعه إلى فيه يعنى لا تنطق كى لا يعرف الأسد أنى على الشجرة قال فبقيت متحيرا

العباد والبلاد وأطاعه كل صعب القياد وهو أول من خوطب بالملك فى الإسلام كما تقدم وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ويلقب بتاج الملة أيضا وكان محبا للعلوم وأهلها وكان يحسن إليهم ويجلس معهم ويفاوضهم فى المسائل فقصده العلماء والشعراء من كل بلد وصنفوا له الكتب وامتدحوه وقد تقدم ذكر وفاته فى باب الهمزة فى لفظ الأوز (الحكم) يحرم أكله لأنه ذو ناب فأشبه الأسد لكنه يجوز بيعه للصيد به ولا خلاف فى جواز إجارته (الأمثال) قالوا أثقل رأساً من الفهد وأنوم من فهد وأوثب من فهد وأكسب من فهد وذلك أن الفهود الهرمة التى تعجز عن الصيد لأنفسها تجتمع على فهد فتى فيصيد لها فى كل يوم شبعها (الخواص) أكل لحمه يورث حدة الذهن وقوة البدن ومن سقى من دمه غلبت عليه البلاهة وبرثنه إذا ترك فى موضع هرب منه الفأر وقال صاحب عين الخواص قرأت فى بعض الكتب أن بول الفهد إذا تحملت به امرأة لم تحبل وربما تصير عاقر (التعبير) الفهد فى المنام عدو مذبذب لا يظهر العداوة ولا الصداقة فمن نازعه نازع إنسانا كذلك وقال ابن المقرى إن رؤيته تدل على العز والرفعة والدلال من الصخب والعياط وربما دل على ما يدل عليه الجارح من الوحش والله تعالى أعلم ﴿الفور﴾ بالضم الظباء وهو جمع لا واحد له من لفظه يقال لا أفعل كذا ما الآلات الفور بأذنابها أى حركتها ويروى ما الآلات العفر بأذنابها وهى الظباء أيضا ﴿الفولع﴾ طائر أحمر الرجلين كأن رأسه شيب مصبوغ ومنها ما يكون أسود الرأس وسائر خلقه أغبر حكاه ابن سيده ﴿الفيصور﴾ كقيطون الحمار النشيط ﴿الفويسقة﴾ الفأرة روى البخارى وأبو داود والترمذى عن جابر بن عبدالله رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال خمروا الآنية وأوكئوا الأسقية وأجيفوا الأبواب وكفوا صبيانكم فإن للجن سيارة خطفة وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما أخذت الفتيلة وأحرقت أهل البيت * قيل سميت فويسقة لخروجها عن الناس واغتيالها إياهم فى أموالهم بالفساد وأصل الفسق الخروج ومن هذا سمى الخارج عن الطاعة فاسقا يقال فسقت الرطبة عن قشرها إذا خرجت عنه ﴿الفياد﴾ كصياد ذكر البوم ويقال الصدى ﴿الفيل﴾ معروف وجمعه أفيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل أفيلة وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز أن يكون أصل فيل فعل فكسر من أجل الياء كما قالوا أبيض وبيض وكنيته أبو الحجاج وأبو الحرمان وأبو غفل وأبو كلثوم وأبو مزاحم والفيلة أم شبل وفى ربيع الأبرار كنية فيل أبرهة ملك الحبشة أبو العباس واسمه محمود وقد ألغز بعضهم فى اسمه فقال :

ما اسم شىء تركيبه من ثلاث وهو ذو أربع تعالى الإله
قيل تصحيفه ولكن إذا ما عكسوه يصير لى ثلثاه

والفيلة ضربان فيل وزندبيل وهما كالبخاتى والعراب والجواميس والبقر والخيل والبراذين والجراد والفأرة والنمل والذر وبعضهم يقول الفيل الذكر والزندبيل الأنثى وهذا النوع لا يلاقح إلا فى بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وإن صار أهليا وهو إذا اغتلم أشبه الجمل فى ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه وربما جهل جهلا شديدا والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين وزمان نزوه الربيع والأنثى تحمل سنتين وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين وقال عبداللطيف البغدادى إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة فإذا أتم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولد لأنها لا تلد

سكين صغير فأخرجته وجعلت أقطع الغصن الذى عليه الدب فقطعت أكثره وانكسر الباقى فثقل الدب فوقع على الأرض فوثب الأسد عليه وتصارعا زمانا وغلبه الأسد فأكله ومر ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ نابه يلقى فى لبن المرضعة ويسقى للصبى تنبت أسنانه بسهولة عيناه يعلقان فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع تزول عنه مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا قال الشيخ شحمه يزيل البرص طلاء وينفع من الشقاق العارض من البرد ويلين المفاصل والعصب طلاء دمه يخلط بعصارة الكزبرة ويطلى به الموضع الذى لا يريد أن ينبت عليه الشعر فإنه لا ينبت وإذا نتفت الشعرة التى فى العين واكتحل بعده بهذا الدم لا ترجع تنبت جلده يعلق على الصبى الذى ساء خلقه يذهب عنه ذلك (دلق) حيوان وحشى عدو الحمام لا يستأنس ألبتة يشبه السنور إذا دخل برجا لا يترك واحدا فيه ذكروا أن الثعابين تنقطع من صوت الدلق ولذلك أكثر الدلق يوجد بأرض مصر فإنها كثيرة الثعابين ومن عجيب ما ذكر أنه إذا ربط رأس عود بخيط شديد الفتل فى رقبة دلق

ويقابل به بيت العصافير فإنه يلج فيه ويأخذ العصافير وفراخها ويخرج بها ولا يقتل منها شيئا حتى لو طيف به على بيوت العصافير يخرجها كلها أحياء

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ عينه اليمنى تعلق على صاحب حمى الربع تزول عنه بالتدريج ولو علق عليه اليسرى عادت شحمه يزيل إكلال الأسنان العارض من أكل الحامض دمه يقطر فى أنف المصروع نصف دانق يفيق وينفعه شحمه يدخن به برج الحمام يهرب منه كلها وتهرب الحية والعقرب أيضا من رائحته جلده يجلس عليه صاحب البواسير ينفعه خصيته يهرب الفأر من دخانها (ذئب) حيوان كثير الخبث ذو غارات وخصومات ومكابرة وحيل شديدة وصبر على المطاولة وقلما يخطئ فى وثبته وعند اجتماعها لا ينفر أحد منها إذ لا يأمن على نفسه منها وإذا نامت واجهت بعضها بعضا حتى قالوا ينام بإحدى عينيه وإذا أصاب أحدهما جراحة أكلته البقية والأنثى أكثر فساداً من الذكر وإذا عجز عمن يقاومه يعوى حتى يأتيه من يسمع عواءه يعاونه وإذا مرض ينفرد عن الذئاب لعلمه بأنها إن علمت بضعفه أكلته

إلا وهى قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات ويقال إن الفيل يحقد كالجمل فربما قتل سائسه حقدا عليه وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة من خرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التى يوصل بها الطعام والشراب إلى فيه ويقاتل بها ويصيح وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبى وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر فى حالتى السلم والحرب وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضا والمقهور منهما يخضع للقاهر والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنيه وثقل حمله وخفة وطئه فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته ويطول عمره فقد حكى أرسطو أن فيلا ظهر أن عمره أربعمائة سنة واعتبر ذلك بالوسم وبينه وبين السنور عداوة طبيعية حتى أن الفيل يهرب منه كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت * وذكر القزوينى أن فرج الفيلة تحت إبطها فإذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من إتيانها فسبحان من لا يعجزه شىء وفى الحلية فى ترجمة أبى عبدالله القلانسى أنه ركب البحر فى بعض سياحاته فعصفت عليهم الريح فتضرع أهل السفينة إلى الله تعالى ونذروا النذور إن نجاهم الله تعالى وألحوا على أبى عبدالله فى النذر فأجرى الله على لسانه أن قال إن خلصنى الله تعالى مما أنا فيه لا آكل لحم الفيل فانكسرت السفينة وأنجاه الله تعالى وجماعة من أهلها إلى الساحل فأقاموا به أياما من غير زاد فبينما هم كذلك إذا هم بفيل صغير فذبحوه وأكلوا لحمه سوى أبى عبدالله فلم يأكل منه وفاء بالعهد الذى كان منه قال فلما نام القوم جاءت أم ذلك الفيل تتبع أثره وتشم الرائحة فكل من وجدت منه رائحة لحمه داسته بيديها ورجليها إلى أن تقتله قال فقتلت الجميع ثم أتت إلىّ فلم تجد منى رائحة اللحم فأشارت إلىّ أن أركبها فركبتها فسارت بى سيرا شديدا الليل كله ثم أصبحت فى أرض ذات حرث وزرع فأشارت إلىّ أن أنزل فنزلت عن ظهرها فحملنى أولئك القوم إلى ملكهم فسألنى ترجمانه فأخبرته بالقصة فقال لى إن الفيلة قد سارت بك فى هذه الليلة مسيرة ثمانية أيام قال فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت إلى أهلى * وفى كتاب الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى قال حدثنى الأصبهانى من حفظه قال قرأت فى بعض أخبار الأوائل أن الإسكندر لما انتهى إلى الصين ونازلها أتاه حاجبه ذات ليلة وقد مضى من الليل شطره فقال له إن رسول ملك الصين بالباب يستأذن بالدخول عليك فقال ائذن له فلما دخل وقف بين يديه وقبل الأرض ثم قال إن رأى الملك أن يخلينى فليفعل فأمر الإسكندر من بحضرته بالانصراف فانصرفوا ولم يبق سوى حاجبه فقال له الرسول إن الذى جئت له لا يحتمل أن يسمعه غير الملك فأمر الإسكندر بتفتيشه ففتش فلم يوجد معه شىء من السلاح فوضع الإسكندر بين يديه سيفا مصلتا وقال له قف مكانك وقل ماشئت وأمر حاجبه بالانصراف فلما خلا المكان قال له الرسول اعلم أنى أنا ملك الصين لا رسول له وقد حضرت بين يديك لأسألك عما تريد منى فإن كان مما يمكن الانقياد له ولو على أصعب الوجوه أجبت إليه واغتنيت أنا وأنت عن الحرب فقال له الإسكندر وما آمنك منى قال لعلمى بأنك رجل عاقل وأنه ليس بيننا عداوة متقدمة ولا مطالبة بدخل ولعلمى أيضا أنك تعلم أن أهل الصين متى قتلتنى لا يسلمون إليك ملكهم ولا يمنعهم عدمهم إياى أن ينصبوا لأنفسهم ملكا غيرى ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم فأطرق

الإسكندر مفكرا فى مقالته ثم رفع رأسه إليه وقد تبين له صدق قوله وعلم أنه رجل عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك ثلاث سنين عاجلا ونصف ارتفاعه فى كل سنة فقال له ملك الصين هل غير هذا شىء قال لا قال قد أجبتك إلى ذلك قال فكيف يكون حالك حينئذ قال أكون قتيل أول محارب وأكلة أول مفترس قال فإن قنعت منك بارتفاع سنتين كيف يكون حالك قال أصلح ما يكون ذلك مذهبا لجميع لذاتى قال فإن قنعت منك بالسدس قال يكون السدس موفرا والباقى للجيش ولأسباب الملك قال قد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف فلما أصبح الصباح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض كثرة وأحاط بجيش الإسكندر حتى خافوا الهلاك فتواثبوا إلى خيولهم فركبوها واستعدوا فبينما هم كذلك إذ ظهر ملك الصين على فيل عظيم وعليه التاج فلما رأى الإسكندر ترجل ومشى إليه وقبل الأرض بين يديه فقال له الإسكندر أغدرت فقال لا والله فقال ما هذا الجيش قال أردت أن أعلمك أنى لم أطعك من قلة ولا ضعف وأن ترى هذا الجيش وما غاب عنك أكثر منه لكنى رأيت العالم الأكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منى ومنك وأكثر عددا فعلمت أنه من حارب الإله غلب وقهر فأردت طاعته بطاعتك والذلة لأمره بالذلة لك فقال له الإسكندر ليس ينبغى أن يؤخذ من مثلك شىء وما رأيت أحدا يستحق التفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك فقال له ملك الصين أما إذا فعلت ذلك فإنك لا تخسر ثم قدم له ملك الصين من الهدايا والتحف والألطاف أضعاف ما قرره معه ورحل الإسكندر عنه ﴿قلت﴾ وقد أذكرتنى هذه الحكاية ما حكاه صاحب ابتلاء الأخيار عن الإسكندر مع ملكة الصين الأفصى قال إن الإسكندر لما سار فى الأرض وفتح البلاد سمعت به ملكة الصين فأحضرت من أبصر صورة الإسكندر ممن يعرف التصوير وأمرتهم أن يصوروا صورته فى جميع الصنائع خوفا منه فصوروه فى البسط والأوانى والرقوم ثم أمرت بوضع ما صنعوه بين يديها وصارت تنظر لذلك حتى أثبتت معرفته فلما قدم عليها الإسكندر ونازل بلدها قال الإسكندر للخضر يوما قد خطر لى شيئا أقوله لك قال وما هو قال أريد أن أدخل هذه البلدة متنكرا وأنظر كيف يعمل فيها قال افعل ما بدا لك فلما دخلها الإسكندر نظرت إليه الملكة من حصنها فعرفته بالصور التى عندها فأمرت بإحضاره فلما مثل بين يديها أمرت به فوضع فى مطمورة لا يعرف الليل فيها من النهار فبقى فيها ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى كادت قوته أن تسقط واختبط عسكره لأجل غيبته والخضر يسكنهم ويسليهم فلما كان اليوم الرابع مدت ملكة الصين سماطا نحو مائة ذراع ووضعت فيه أوانى الذهب والفضة والبلور وملأت أوانى الذهب باللؤلؤ والزبرجد وأوانى الفضة بالدر والياقوت الأحمر والأصفر وأوانى البلور بالذهب والفضة وما فى ذلك شىء يؤكل إلا أنه مال لا يعلم قدره إلا الله تعالى وأمرت فوضع فى أسفل السماط صحن فيه رغيف من خبز البر وشربة من الماء وأمرت بإخراج الإسكندر وأجلسته على رأس السماط فنظر إليه فأبهره ذلك وأخذت تلك الجواهر ببصره ولم يرفيه شيئا للأكل ثم نظر فرأى فى أدنى السماط إناء فيه طعام فقام من مكانه ومشى إليه وجلس عنده وسمى وأكل فلما فرغ من أكله شرب من الماء قدر كفايته ثم حمد الله تعالى وقام وجلس مكانه أولا فخرجت عليه فقالت له يا سلطان بعد ثلاثة أيام أما صد عنك هذا الذهب والفضة والجوهر سلطان الجوع وقد أغناك عن هذا كله ما قيمته درهم واحد فمالك والتعرض إلى أموال الناس وأنت بهذه المثابة فقال لها الإسكندر لك بلادك وأموالك ولا بأس عليك بعد اليوم

وإذ رأى مع الرجل عصا يفزع منه ومن رمى اليه الحجر يتركه ومن رمى اليه النشاب لا يتركه إذا مرض أكل حشيشة تسمى جعدة يزول مرضه وإذا دنا من الغنم يعوى ثم يذهب إلى جهة أخرى ليذهب الكلب إلى الجهة التى سمع منه العواء ثم يأتى يسلب الغنم والكلب بعيد عنه ويأخذ بقفا الشاة ويضربها بذنبه حتى تعدو معه وأكثر ما يأتى وقت طلوع الشمس لأنه يعلم أن الكلب طول الليل يحرس ولا ينام وفى ذلك الوقت يغلبه النوم وزعموا أن الفرس لا تعدو خلف الذئب وإن ركضها الفارس تعثر وإن وقع حافر الفرس على أثر الذئب تبلد خصره ويسحب قوائمه إن عض ذئب برذونا اشتد خصره وإن عض شاة طاب لحمها ولا يتولد الحيوانات المؤذية فى صوفها والذئب أشد الحيوانات شما وإذا رمى الإنسان وشم منه رائحة الدم لا ينجو منه وإن كان أشد الناس قلبا وأتمهم قوة وسلاحا قال الجاحظ إن السباع القوية ذوات الرياسة لا تتعرض للإنسان إلا بعد الهرم والعجز عن صيد الوحش والجوع الشديد والذئب ليس كذلك بل هو أشد السباع طلبا للإنسان قال بليناس إن وقعت عين الإنسان على

فقلت له أما إذا فعلت هذا فإنك لا تخسر ثم إنها قدمت له جميع ما كانت قد أحضرته وكان شيئا يحير الناظر ويذهل الخاطر ومن المواشى شيئا كثيرا فنزل إلى عسكره وقبل هديتها ورحل عنها وذكر غيره أنه كان فى الهدية ثلثمائة فيل وأنه دعاها إلى الله تعالى فآمنت وآمن أهل مملكتها ﴿غريبة﴾ ذكر صاحب النشوان أن خارجيا خرج على ملك الهند فأنفذ اليه الجيوش فطلب الأمان فأمنه فسار الخارجى إلى الملك فلما قرب من بلد الملك أمر الملك الجيش بالخروج إلى لقائه فخرج الجيش بآلات الحرب وخرجت العامة تنتظر دخوله فلما أبعدوا فى الصحراء وقف الناس ينتظرون قدوم الرجل فأقبل وهو راجل فى عدة رجال وعليه ثوب ديباج ومئزر فى وسطه جريا على زى القوم فتلقوه بالإكرام ومشوا معه حتى انتهى إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون وفيها فيل عظيم يختصه الملك لنفسه ويركبه فى بعض الأوقات فقال له الفيال لما قرب منه تنح عن طريق فيل الملك فلم يبدله جوابا فأعاد عليه القول فلم يبدله جوابا فقال له يا هذا احذر على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجى قل لفيل الملك يتنحى عن طريقى فغضب الفيال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به فغضب الفيل وعدا إلى الخارجى ولف خرطومه عليه وشاله الفيل شيئا عظيما والناس يرونه ثم خبط به الأرض فإذا هو قد وقف منتصبا على قدميه قابضا على خرطوم الفيل فزاد غضب الفيل فشاله الثانية أعظم من الأولى وعدا ثم رمى به الأرض فإذا هو قد حصل مستويا على قدميه منتصبا قابضا على الخرطوم ولم ينح يده عنه فشاله الفيل الثالثة وفعل به مثل ذلك فحصل على الأرض منتصبا قابضا على الخرطوم وسقط الفيل ميتا لأن قبضه على الخرطوم تلك المدة منعه من التنفس فقتله فأخبر الملك بذلك فأمر بقتله فقال له بعض وزرائه يجب أيها الملك أن يستبقى مثل هذا ولا يقتل لأن فيه جمالا للمملكة ويقال للملك خادما قتل فيلا بقوته وحيله من غير سلاح فعفا عنه واستبقاه وذكر الطرطوشى وغيره أن الفيل دخل دمشق فى زمن معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فخرج أهل الشام لينظروه لأنه لم يكونوا رأوا الفيل قبل ذلك وصعد معاوية سطح القصر للفرجة فلاحت منه التفاتة فرأى رجلا مع بعض حظاياه فى بعض حجر القصر فنزل مسرعا إلى الحجرة فطرق بابها فقيل من قال أمير المؤمنين ففتح الباب إذ لا بد من فتحه طوعا أو كرها فدخل أمير المؤمنين معاوية فوقف على رأس الرجل وهو منكس رأسه وقد خاف خوفا عظيما فقال له معاوية يا هذا ما الذى حملك على ما صنعت من دخولك قصرى وجلوسك مع بعض حرمى أما خفت نقمتى أما خشيت سطوتى أخبرنى يا ويلك ما الذى حملك على ذلك فقال يا أمير المؤمنين حملنى على ذلك حلمك فقال له معاوية أرأيت إن عفوت عنك تسترها على فلا تخبر بها أحدا قال نعم فعفا عنه ووهب له الجارية وما فى حجرتها وكان شيئا له قيمة عظيمة قال الطرطوشى فانظر إلى هذا الدهاء العظيم والحلم الواسع كيف طلب الستر من الجانى انتهى ﴿فائدة﴾ لما كان أول المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين وكان النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حملا فى بطن أمه حضر أبرهة الأشرم ملك الحبشة يريد هدم الكعبة وكان قد بنى كنيسة بصنعاء وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من بنى كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وحلف ليهدمن الكعبة فخرج ومعه جيش عظيم ومعه فيله محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية فلما بلغ المغمس وهو على ثلثى فرسخ من مكة مات دليله أبو رغال هناك فرجمت العرب قبره والناس يرجمونه إلى الآن وروى أبو على بن السكن فى سننه الصحاح أن النبى ﷺ كان إذا كان بمكة وأراد أن يقضى حاجة الإنسان خرج إلى

(فصل فى خواص أجزائه) رأسه يعلق فى برج الحمام لا يقربه السنور ولا ما يؤذى الحمام وإذا دفن رأس الذئب فى زريبة تمرض غنمها وتموت نابه من استصحبه يدفع عنه قوة النبيذ ولا يسكره ولو علق نابه على الفرس سبق الخيل عينه اليمنى من استصحبها تدفع عنه قوة البله ولا يفزع فى الليل عينه اليسرى من استصحبها لا يغلبه النوم مرارته يطلى بها بين الحاجبين يبقى مكرما بين الناس وتشد على الفخذ اليمنى تزيد فى قوة الباه ويسقى منها وزن دانق مع حبة من المسك للمصروع الذى يصرع أول كل شهر يزول عنه ذلك ولو احتملته المرأة العقيم تحبل بإذن الله تعالى إذا باشرها زوجها ويكتحل بها ينفع من نزول الماء فى العين ومن الغشاوة دمه يخلط بدهن الجوز ويقطر فى الأذن يزيل الطرش وإذا سقيت امرأة منه لا تحبل أبدا خصيته تؤكل مشوية تهيج الباه ومن أخذها معه يأتى النساء كثيرا عظمه يسحق ويذر حول الزريبة لا يقربها الذئب عظم ساقه يحرق يهرب من دخانه الفأر كعبه يشد على ساق الماشى لا يتعب من السير ويشد

المغمس ثم أن أبرهة بعث خيلا له إلى مكة فأخذت مائتى بعير لعبد المطلب فهم أهل الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لاطاقة لهم به فتركوه وبعث أبرهة إلى أهل مكة يقول لهم إنى لم آت لحربكم وإنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فقال عبد المطلب لرسوله والله لانريد حربه ومالنا به من حاجة هذا بيت الله وبيت خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم فهو يحميه ممن يريد هدمه ثم خرج عبد المطلب إلى أبرهة وكان عبد المطلب جسيما وسيما مارآه أحد إلا أحبه وكان مجاب الدعوة فقيل لأبرهة هذا سيد قريش الذى يطعم الناس فى السهل ويطعم الوحش والطير فى رؤس الجبال فلما رآه أجله وأجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له سل حاجتك فقال حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها لى فلما قال له أبرهة قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه فلم تكلمنى فيه فقال عبد المطلب إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه منك قال أبرهة ما كان ليمتنع منى فقال عبد المطلب أنت وذاك فرد أبرهة على عبد المطلب إبله ثم انصرف إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ودعا الله تعالى ثم قال :

لاهم أن المرء يمنـــع رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليـــب وعابديه اليوم آ لك
لايغلبن صليبهـم * ومحالهم أبدا محالك

ثم أرسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها فحينئذ جاءت قدرة الواحد الأحد القادر المقتدر فأصبح أبرهة متهيئا لدخول مكة وهدم البيت وقدم فيله محمودا أمام جيشه فلما وجه الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب كذا فى سيرة ابن هشام وقال السهيلى نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك فأخذ بأذن الفيل وقال أبرك محمودا وارجع راشدا فإنك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل فضربوه بالحديد حتى أدموه ليقوم فأبى فوجهوه إلى اليمن فقام يهرول فوجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه إلى مكة فبرك فعند ذلك أرسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فتساقطوا بكل طريق وهلكوا على كل منهل وأصيب أبرهة حتى تساقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع قلبه عن صدره وانفلت وزيره وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وإلى هذه القصة أشار النبى ﷺ بقوله فى الحديث الصحيح إن الله تعالى حبس عن مكة الفيل وسلط عليهم رسوله والمؤمنين * وفى صحيح البخارى وسنن أبى داود والنسائى من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضى الله تعالى عنهما يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى إذا كان بالثنية التى يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء فقال النبى صلى الله عليه وسلم ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل الخيلاء فى الإبل كالحران فى الخيل والمعنى فى التمثيل بحبس الفيل أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لو دخلوا مكة لوقع بينهم وبين قريش قتال فى الحرم وأريق فيه دماء وكان منه الفساد ولعل

اليسرى يغلب فى مخاصمته النساء وزعم بعضهم أنه يحظى عند السلاطين ويعلق على الرمح فى الحرب تنفر الخيل منه جلده قال بليناس من جلس عليه يأمن من القولنج مادام عليه ذنبه يدفن فى قرية لايقربها الذباب بوله زعموا أن المرأة إذا بالت على بول الذئب لاتحبل أبدا زبله يسقى منه صاحب القولنج يبرأ فى الحال قال بليناس وان علق على صاحب القولنج يبرأ فى الحال (ساد) هو حيوان على صفة الفيل إلا أنه أصغر منه جثة وأعظم من الثور قيل إن ولدها يخرج رأسه من الرحم ويرعى حتى يقوى فإذا قوى خرج وهرب من الأم مخافة أن تلحسه بلسانها فإن لسانها مثل الشوك وأنها إن وجدته لحسته حتى ينحاز لحمه عن عظمه (وحكى) أبو الريحان أن هذا الحيوان بأرض الهند (سنجاب) حيوان كالفار إلا أنه أكبر منه حجما شعره فى غاية النعومة يتخذ من جلده الفراء يلبسها المتنعمون صيفا لأنها تبرد بخلاف سائر الفراء لحمه يطعم منه المجنون يزول جنونه ويأكله صاحب الأمراض السوداوية

ينفعه والله الموفق (سنور)

حيوان متواضع ألوف خلقه الله تعالى لدفع الفأر ذكر أن سفينة نوح عليه السلام تأذى أهلها من الفأر فمسح نوح عليه السلام جبهة الأسد فعطس ورمى سنورين فلذلك هو أشبه حيوان بالأسد يحب النظافة يمسح وجهه بلعابه وإذا تلطخ شيء من بدنه لا يلبث حتى ينظفه وعند هيجان شهوته آخر الشتاء ينال ألما شديدا من لذع مادة النطفة فلا يزال يصيح حتى ينفض تلك المادة إذا ولدت الأنثى يغلب عليها الجوع الشديد فإذا لم تجد ما تأكله تأكل أولادها وإذا رمت بعرها تدفنه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ولذلك تشمه فإن وجدت رائحته ألقت عليه من التراب زيادة أخرى وإذا مر الفأر على السقف استلقى السنور وحرك يديه ورجليه فيسقط الفأر من السقف فزعا وإذا ظفر بها يلعب بها زمانا طويلا وربما خلى سبيلها حتى تمعن في الهرب فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها فلا يزال يخدعها بالسلامة ويوريها الحسرة ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها وزعموا أن من أكل لحم السنور الأسد لم يعمل فيه السحر وقد جعل الله تعالى في قلب الفيل الهرب من السنور فكلما يراه يهرب منه

الله سبحانه وتعالى قد سبق في علمه ومضى في قضائه أنه سيسلم جماعة من أولئك الكفار وسيخرج من أصلابهم قوم مؤمنون فلو استبيحت مكة لانقطع ذلك النسل وتعطلت تلك العواقب والله أعلم * قيل كان أبرهة المذكور جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وكان مولد رسول الله ﷺ عام الفيل بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين يوما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها رأت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة وروى أن عبد الملك بن مروان قال لقباث بن أشيم الكناني يا قباث أنت أكبر أم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه ولد ﷺ عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل وهو أخضر وأنا أعقله قال السهيلي قوله فبرك الفيل فيه نظر لأن الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه إلى الأرض لما دهمه من أمر الله سبحانه وتعالى قال وقد سمعت من يقول إن في الفيلة صنفا يبرك كما يبرك الجمل فإن صح وإلا فتأويله كما قدمناه قال وقول عبد المطلب لاهم إلى الخ أن العرب تحذف الألف واللام من اللهم وتكتفي بما بقي والحلال متاع البيت وأراد به سكان الحرم ومعنى محالك كيدك وقوتك والكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء تسمى القليس مثل القبيط سميت بذلك لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤس يقال تقلس الرجل وتقلنس إذا لبس القلنسوة وتقلس طعاما إذا ارتفع من معدته إلى فيه وكان أبرهة قد استدل أهل اليمن في بنائها وكلفهم فيها أنواعا من السخر وكان ينقل إليها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس صاحبة سليمان بن داود عليهما الصلاة السلام وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنوس وكان يشرف منها على عدن وكان حكمه في العامل فيها إذا طلعت عليه الشمس قبل أن يعمل قطع يده فنام رجل من العمال ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت أمه معه وهي امرأة عجوز فتضرعت إليه تستشفع لابنها فأبى إلا قطع يده فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال ويحك ما قلت قالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك إليك فهو خارج عن يدك بمثل ما صار إليك فأخذته موعظتها وعفا عن ولدها وأعفى الناس من السخر فيها فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق أقفر ما حول هذه الكنيسة وكثر حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأخذ منها شيئا أصابته الجن فبقيت وذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير مقنطرة من الأموال إلى زمن أبي العباس السفاح فذكروا له أمرها وما يتهيب من جنها فلم يرعه ذلك وبعث إليها أبا العباس بن الربيع عامله على اليمن ومعه أهل الحزم والجلادة فخربها واستأصلها وحصل منها مالا كثيرا وباع منها ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فخفي بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذي يصيبهم من ينسبونه إلى كعيب وامرأته وهما صنمان كانت الكنيسة بنيت عليهما فلما كسر كعيب وامرأته أصيب الذي كسرهما بالجذام فافتتن بذلك رعاع أبرهة أشرت بقولي في المنظومة في أول كتاب السير :

فجاءهم أبرهة بالفيله ... وبجيوش أقبلت محتفله وأمهم في عسكر كالليل
مستظهرا برجله والخيل ... وقد أتى الأسود نحو الحرم واستاق ما كان به من نعم

فأم ذاك الوقت عبد المطلب أبرهة والسعى فى الخير طلب فمذ رأى أبرهة وجها سما
مهابة عظمه رب السما انحط عن سريره منهبطا وقعدا على بساط بسطا
وقال سل ماشئت من أمور فقال رد مائتى بعير قد أخذت من جملة الأموال
فقال قد هونت فى السؤال لو قلت لى لاتهدمن البيتا وارجع وعد من حيثما أتيتا
قابلت ماقلت بالامتثال من غير إمهال ولا إهمال فقال هذى إبلى وهذا
بيت له خالقه أعاذا لا أسأل اليوم سواه فيه إن له ربا علا يحميه
ثم أتى شيبة باب الكعبه فقال إذ يسأل فيه ربه يارب لاأرجو لهم سواكا
يارب فامنع عنهم حماك إن عدو البيت من عاداكا فامنعهم أن يخربوا قراكا
فأجلبوا برجلهم والخيل وأقبلوا كقطع من ليل محموده من فوقه مذموم
بهيمة سواده بهيم يروم هدم البيت ذى الأركان وقتل مافيه من السكان
ويستحل الحرم المعظما ويستبيح البلد المحرما فقام يدعو الله عبد المطلب
بدعوات جيشهن ماغلب فى يده حلقته الوثقى التى ماخاب من أمسكها فى أزمة
فأنجز الله له ماطلبه وأنجح الرب العظيم مطلبه وفيلهم محمود ليل داج
وكان يكنى بأبى الحجاج وقال قوم بأبى العباس وكان معروفا بعظم الباس
أمسكه بأذنه نفيل قال له وشاع هذا القيل أبرك أوارجع راشدا محمود
فإن هذا بلد محمود فأوجعوه بالحديد ضربا للسير نحو البيت وهو يأبى
وإن يوجه لسواه يبتدر ثم عليه أحد لم يقتدر فأرسل الله على الذى فجر
طيرا أبابيل رمت جنس الحجر فهيأ للقوم من سجيل فهم كعصف بعدها مأكول

والملك المطاع عضوا عضوا مزق ثم لم ينل مرجوا
وكان عام الفيل عام المولد لأحمد خير الورى محمد

﴿فائدة أخرى﴾ إذا دخل إنسان على من يخاف شره فليقرأ كهيعص حم عسق وعدد حروف الكلمتين عشرة يعقد لكل حرف أصبعا من أصابعه يبدأ بإبهام يده اليمنى ويختم بإبهام يده اليسرى فإذا فرغ عقد جميع الأصابع قرأ فى نفسه سورة الفيل فإذا وصل إلى قوله تعالى ترميهم كرر لفظ ترميهم عشر مرات يفتح فى كل مرة أصبعا من الأصابع المعقودة فإذا فعل ذلك أمن شره وهو عجيب مجرب * ومن الفوائد المجربة ماأفادنيه بعض أهل الخير والصلاح أن من قرأ سورة الفيل ألف مرة فى كل يوم مائة مرة عشرة أيام متوالية ويقصد من يريده بالضمائر وفى اليوم العاشر يجلس على ماء جار ويقول اللهم أنت الحاضر المحيط بمكنونات الضمائر اللهم عز الظالم وقل الناصر وأنت المطلع العالم اللهم إن فلانا ظلمنى وآذانى ولا يشهد بذلك غيرك اللهم إنك مالكه فأهلكه اللهم سربله سربال الهوام وقمصه قميص الردى اللهم اقصفه يكرر هذه اللفظة عشر مرات ثم يقول فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فإن الله يهلكه ويكفيه شره وهو سر لطيف مجرب وروى أن عمرو بن معديكرب رضى الله تعالى عنه حمل يوم القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبل عمرو رستم وكان رستم على فيل عظيم فحذف عمرو قوائمه بضربة فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان عليه فيه أربعون ألف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وهذه الضربة لم يسمع بمثلها فى الجاهلية ولا فى الإسلام وروى أن الروم حملت القوائم

عيناه إذا جففتا وبخر بهما الإنسان لم يطلب حاجة إلا قضيت نابه من استصحبها لم يفزع بالليل من شىء قلبه يشد فى قطعة من جلده من استصحبه لاتظفر به الأعداء مرارته من اكتحل بها يرى بالليل مثل ما يرى بالنهار وتخاط بدهن الزئبق نصف درهم ويسعط به ينفع من اللوقة طحال السنور الأسود يشد على المرأة المستحاضة ينقطع دمها ولا تحيض مادام ذلك مشدودا عليها دمه يسقى منه صاحب الجذام ينفعه نفعا بينا ذكر يلينا س فى كتاب الخواص أن من شرب دم السنور الأسود تحبه النساء بعره يهرب الفأر من رائحته ويذاب بدهن الآس ويدهن به بدن الإنسان وقت الحمى فإن الحمى لا تأتيه ويذاب بالماء ويطلى به المنقرس يزول وجعه (سنور البر) حيوان على شكل السنور الأهلى إلا أن حجمه أكبر ولكثرة عدوه يبالغ فى حفظ نفسه ونوعه حتى يحفظ بعضها بعضا فى النهار فإذا كان الليل أقاموا حارسا لا ينام فإذا نام قتلوه مخه عجيب لوجع الكلى ولعسر البول إذا أديف بماء الجرجير وسخن على النار وشرب على الريق فى الحمام دماغه يدخن به يخرج

المذكورة وعلقوها فى كنيسة لهم فكانوا إذا عيروا بانهزام يقولون لقينا قوما هذه ضربتهم فيترجل أبطال الروم فيرونها ويتعجبون من ذلك وذكر أبو العباس المبرد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال يوما من أجود العرب قيل له حاتم قال فمن فارسها قيل عمرو بن معديكرب قال فمن شاعرها قيل امرؤ القيس قال فأى سيوفها أمضى قيل صمصامة عمرو بن معد يكرب رضى الله تعالى عنه وأفاد السهيلى أن صمصامة عمرو بن معد يكرب كانت حديدة وجدت عند الكعبة من دفن جدهم أو غيره وأن ذا الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من تلك الحديدة أيضا قال وإنما سمى ذا الفقار لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر وكان قبله صلى الله عليه وسلم للعاص ابن منبه سلبه منه يوم بدر (الحكم) يحرم أكل الفيل على المشهور وعلله فى الوسيط بأنه ذو ناب مكادح أى مغالب مقاتل *وفى وجه شاذ حكاه الرافعى عن أبى عبد الله البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا أنه حلال. وقال الإمام أحمد ليس الفيل من أطعمة المسلمين وقال الحسن وهو منسوخ وكرهه أبو حنيفة ورخص فى أكله الشعبى ويصح بيعه لأنه يحمل عليه ويقاتل به وعليه وراكبه يرضخ له من الفىء أكثر من راكب البغل ولا يطهر الفيل عندنا بالذبح ولا يطهر عظمه بالتنقية سواء أخذ منه بعد ذكاته أو بعد موته ولنا وجه شاذ أن عظام الميتة طاهرة وهو قول أبى حنيفة ومن وافقه لكن المذهب نجاستها مطلقا وعند مالك أن عظمه يطهر بصقله كما تقدم فى باب السين المهملة فى لفظ السلحفاة ولا يجوز بيعه ولا يحل ثمنه وبهذا قال طاوس وعطاء بن أبى رباح وعمر بن عبد العزيز ومالك وأحمد وقال ابن المنذر رخص فيه عروة بن الزبير وابن سيرين وابن جريج *وفى الشامل أن جلد الفيل لا يؤثر فيه الدباغ لكثافته وفى صحة المسابقة على الفيل وجهان وقيل قولان أصحهما أنها تصح لما روى الشافعى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل والسبق بفتح الباء ما يجعل للسابق على سبقه من جعل وجمعه أسباق وأما السبق بإسكان الباء فهو مصدر سبقت الرجل أسبقه والرواية الصحيحة فى هذا الحديث لا سبق بفتح الباء وأراد به أن الجعل والعطاء لا يستحق إلا فى سباق الخيل والإبل والنصال لأن هذه الأمور عدة فى قتال العدو وفى بذل الجعل عليها ترغيب فى الجهاد ولم يذكر الشافعى الفيل وقال أبو إسحق تجوز المسابقة عليه لأنه يلقى عليه العدو كما يلقى على الخيل ولأنه ذو خف والصورة النادرة تدخل فى العموم على الأصح عند الأصوليين ومن الأصحاب من قال لا تصح المسابقة عليه وبه قال أحمد وأبو حنيفة لأنه لا يحصل الكر والفر عليه فلا معنى للمسابقة عليه *فإن قال قائل فالإبل كالفيل فى هذا المعنى فالجواب أن العرب تقاتل على الإبل أشد القتال وذلك لهم عادة غالبة والفيل ليس كذلك ومن قال بالأول قال إنه يسبق الخيل فى بلاد الهند والله أعلم ﴿تذنيب﴾ فى سنة تسعين وخمسمائة سار نيارس أكبر ملوك الهند وقصد بلاد الإسلام فطلبه الأمير شهاب الدين الغورى صاحب غزنة فالتقى الجمعان على نهر ماجون قال ابن الأثير وكان مع الهندى سبعمائة فيل ومن العسكر ألف ألف نفس فصبر الفريقان وكان النصر لشهاب الدين الغورى وكثر القتل فى الهنود حتى جافت منهم الأرض وأخذ شهاب الدين تسعين فيلا وقتل ملكهم نيارس وكان قد شد أسنانه بالذهب فما عرف إلا بذلك ودخل شهاب الدين بلاد نيارس وأخذ من خزائنه ألفا وأربعمائة حمل من المال وعاد إلى غزنة قال وكان من جملة الفيلة التى أخذها شهاب الدين

المنى من الرحم (سرباس) قالوا إنه إذا تنفس يسمع من صوته صوت المزمار ذكروا أن المزمار اتخذ على مثال قصبة أنف ذلك الحيوان فالحيوانات تجتمع عليه لاستماع هذا الصوت فربما تدهش من لذة استماعها فإذا رأى سرباس ذلك منهم يصيد منهم ما شاء وإن لم يرد صيد شىء منها أوضجر منها ومن اجتماعها عليه صاح فيهم صيحة عظيمة هائلة تنفر كلها عنه والله الموفق (ساده وار) حيوان يوجد بأقصى بلاد الروم ويقال له أيضا أرس له قرن عليه اثنتان وأربعون شعبة مجوفة فإذا هبت الريح يجتمع الهواء فيها فيسمع منه صوت فى غاية الطيب وتجتمع الحيوانات عنده لما تسمع من حسن صوته وذكر أن بعض الملوك أهدى إليه قرن منها فترك بين يديه عند هبوب الريح فكان يخرج منه صوت عجيب مطرب حتى يكاد يدهش الإنسان من سماعه طربا ثم وضعوه منكوسا فكان يخرج منه صوت حزين حتى يكاد يغلب على الإنسان عند سماعه البكاء (ضبع) يقال له بالفارسية كعنار حيوان قليل العدو قبيح المنظر ينبش القبور ويخرج الجيف والعرب تزعم أنها لا تأكل إلا لحوم الشجعان

الغورى فيل أبيض حدثنى بذلك من رآه انتهى (الأمثال) قالوا آكل من فيل وأشد من فيل وأعجب من خلق فيل روى أنه كان فى مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى جماعة يأخذون عنه العلم فقال قائل قد حضر الفيل فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثى الأندلسى فإنه لم يخرج فقال له مالك لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك فقال إنما جئت من بلدى لأنظر إليك وأتعلم من هديك وعلمك ولم أجئ لأنظر إلى الفيل فأعجب به مالك رضى الله تعالى عنه وسماه عاقل أهل الأندلس ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس وانتهت إليه الرئاسة بها وبه اشتهر مذهب مالك فى تلك البلاد وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحيى وكان معظما عند الأمراء وكان مجاب الدعوة توفى سنه أربع وثلاثين ومائتين وقبره بمقبرة ابن عباس بظاهر قرطبة يستسقى به ونظير هذه الحكاية ما اتفق لأبى عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد بن الضحاك فإنه كان بالبصرة فقدمها فيل فذهب الناس ينظرون إليه فقال له ابن جريج مالك لا تخرج تنظر إلى الفيل فقال لأنى لا أجد منك عوضا فقال له أنت النبيل فكان إذا أقبل يقول ابن جريج جاء النبيل قال البخارى سمعت أبا عاصم يقول مند عقلت أن الغيبة حرام ما اغتبت أحدا قط وقالوا أثقل من فيل قال الشاعر :

أنت يا هـــذا ثقيل * وثقيـــل وثقيـــل
أنت فى المنظر إنسا * ن وفى الميزان فيـل

(الخواص) من سقى من وسخ أذن الفيل ينام سبعة أيام ومرارته يطلى بها البرص ويترك ثلاثة أيام فإنه يذهب وعظمه يعلق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع وإذا علق العاج الذى هو عظمه على شجرة لم تثمر تلك السنة وإذا بخر الكرم والزرع والشجر بعظمه لا يقرب ذلك المكان دود وإن دخن به فى بيت فيه بق مات البق ومن سقى من نشارة العاج فى كل يوم وزن درهمين بماء عسل جاد حفظه وإن شربتها المرأة العاقر سبعة أيام ثم جومعت بعد ذلك حبلت بإذن الله تعالى وجلده إذا شد منه قطعة على من به حمى نافض تزول عنه وإذا نام عليه صاحب التشنج يزول عنه وإذا أحرق زبله وسحق بعسل وطلى به الأجفان التى سقط شعرها نبت وإذا شربت المرأة بوله وهى لا تعلم ثم جومعت لم تحبل وزبله إذا علق عليها لم تحبل أيضا مادام عليها ودخان جلده يبرئ البواسير (التعبير) الفيل فى المنام ملك أعجمى مهاب بليد القلب حامل الأثقال عارف بالحرب والقتال فمن ركب فيه فيلا أو ملكه أو تحكم عليه اتصل بسلطان ونال منه منزلة سنية وعاش عمرا طويلا فى عز ورفعة وقيل إن الفيل رجل ضخم أعجمى فمن ركب فيلا وكان ذا طوع له فإنه يقهر رجلا ضخما أعجميا شجيحا ومن ركب فيلا فى نومه بالنهار فإنه يطلق زوجته لأنه كان فى الزمن المتقدم فى بلاد الفيلة من طلق زوجته أركب فيلا وطيف به حتى يعلم الناس ومن ركب من الملوك فيلا وهو فى حرب فإنه يهلك لقوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلى آخر السورة ومن ركب فيلا بسرج تزوج بنت رجل ضخم أعجمى وإن كان تاجرا عظمت تجارته ومن افترسه فيل نزلت به آفة من سلطان وإن كان مريضا مات ومن رعى فيلة فإنه يواخى ملوك العجم وينقادون له ومن حلب فيلة فإنه يمكر برجل أعجمى وينال منه مالا وقالت اليهود الفيل فى المنام ملك كريم لين الجانب ذو مداراة صبور ومن ضربه فيل بخرطومه نال خيرا ومن ركبه نال وزارة وولاية ومن أخذ شيئا من روثه استغنى ويدل أيضا على قوم صالحين وقيل من يرى الفيل يرى أمرا شديدا ثم ينجو منه وقالت النصارى من رأى فيلا ولم يركبه

ولهذا قال ابن زبيرة
حديثى وحرمنى جفار
وأسرها * بلحم امرئ
لم يشهد النوم ناظره
وذكر أن الضبع سنة
ذكر وسنة أنثى كالأرنب
وبين الضبع والكلب
عداوة فإن وقع ظل
الضبع على الكلب يقف
مكانه ولا يقدر على المشى
خوفا من الضبع أن يأكله
وإن مرض الضبع أكل
لحم الكلب يبرأ وبين
الضبع والذئب مصادقة
ويتولد منهما ولد يقال
له السمع وهو حيوان
عجيب الشكل بين الضبع
والذئب فإن كان الذكر
ذئبا يقال له العسبار وشكله
عجيب أيضا وفى العرب
قوم يقال لهم الضبعيون
ومنهم الضبعى ولو كان
أحدهم فى قفل فيه ألف
نفر وجاء الضبع لا يقصد
أحدا إلا الضبعى وزعموا
أن الضبع الصحيح يطبخ
كما هو تنفع مرقته ودسمه
من الأوجاع الباردة
والرياح

(فصل فى خواص أجزائه)

رأسه يجعل فى برج يجتمع
عليه حمام كثير لسانه من
يأخذه معه لم ينبح عليه كلب
ولم يتلعثم عند المحاجة
ويغلب خصمه وإذا علق
على باب دار فيها عرس أو
دعوة لم يقع فيها مكروه

اصابه نقصان فى بدنه أو خسران فى ماله ومن رأى فيلا مقتولا فى بلدة مات ملكها أو يقتل رجل مذكور ومن قتل فيلا قهر رجلا أعجميا ومن ألقاه الفيل تحته ولم يفارقه فإنه يموت وإذا رؤى الفيل فى غير بلاد النوبة فإنه يدل على فتنة وذلك لقبح لونه وسماجته وإن رؤى فى البلاد التى يوجد فيها فهو رجل من أشراف الناس والمرأة إذا رأت الفيل فلا يحمد ذلك على أى صفة رأته وتعبر الفيلة بالسنين كالبقر وخروج الفيل من بلد فيه طاعون دليل خير لهم وزوال الطاعون عنهم وإذا ركب الفيل فى بلد فيه بحيرة فهو ركوب سفينة والله تعالى أعلم

﴿فصل فى فضل العقل وزينه وقبح الجهل وشينه﴾ قال بعض الحكماء العقل ما عقل به عن السيئات وحض القلب على الحسنات والعقل معقل عن الدنيات ونجاة من المهلكات والنظر فى العواقب قبل حلول المصائب والوقوف عند مقادير الأشياء قولا وفعلا لقوله ﷺ أعقلها وتوكل وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء أن جميع الأمور كلها قليلها وجليلها محتاجة إلى العقل والعقل محتاج إلى التجربة وقالوا العقل سلطان وله جنود فرأس جنوده التجربة ثم التمييز ثم الفكر ثم الفهم ثم الحفظ ثم سرور الروح لأن به ثبات الجسم والروح سراج نوره العقل وفى الحديث ما قسم الله لعباده خيرا من العقل وروى أن جبريل عليه الصلاة السلام أتى آدم عليه السلام فقال إنى أتيتك بثلاث فاختر واحدة منها فقال وما هى فقال الحياء والعقل والدين فقال آدم عليه السلام قد اخترت العقل فخرج جبريل عليه الصلاة والسلام إلى الحياء والدين فقال ارجعا فقد اختار العفل عليكما فقالا إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان وقال بعضهم من استرشد إلى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة ويبصر به الفضل من الضلالة ولو صور العقل لأظلمت معه الشمس ولو صور الجهل لأضاء معه الليل وما شىء أحسن من عقل زانه أدب ومن علم زانه ورع ومن حلم زانه رفق ومن رفق زانه تقوى وروى أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبى ﷺ فقال يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها فى الدنيا والآخرة فقال وما هى فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك وإعطاء من حرمك وصلة من قطعك وإحسانك إلى من أساء عليك واستغفارك لمن اغتابك ونصحك لمن غشك وحلمك عمن أغضبك فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق فى الدنيا والآخرة وأنشد بعضهم فى معنى ذلك فقال :

خـــذ العفو وأمر بعرف كما ✻ أمرت وأعرض عن الجاهلين
وان فى الكلام لكل الأنام ✻ فمستحسن من ذوى الجاه لين

ومن طرق العقل الحميدة القناعة وهى كنز لا يفنى والصدقة وهى عز باق وتمام عز الرجل استغناؤه عن الناس ومن طرقه أيضا الحياء وقد قيل :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ✻ ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه

ومن طرقه أيضا حسن الخلق روى عنه ﷺ أنه قال أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وروى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقى عيسى بن مريم عليهما السلام فتبسم عيسى فى وجهه فقال يحيى مالى أراك لاهيا كأنك آمن فقال عيسى مالى أراك عابسا كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا وحى فأوحى الله تعالى إليهما أحبكما إلى أحسنكما خلقا ﴿تتمة﴾ ذكر الغزالى وابن بلبان وغيرهما أن أبا جعفر المنصور حج ونزل فى دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف إذ سمع قائلا يقول اللهم إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد

ويزداد فرحهم نابه من اصطحبه لم ينس شيئا امرارته تنفع من نزول الماء اكتحالا وتجلو البصر من الظلمة قال بليناس تخلط مرارة الضبع بدم العصافير ويطلى به الإنسان عينه يمنع من نزول الماء قلبه يعلق على الصبى يبق ذكيا ويتعلم الأشياء بسرعة مخه يطلى به الحواجب يكون محبوبا إلى الناس ولو طلى به كلب جن يده اليمنى من استصحبها تقضى حوائجه عند الملوك وتشد على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها برثته تعلق على شجرة لا يقربها طير ضار قضيبه قال هرمس يجفف ويسحق ويستف منه الرجل قدر دانقين فإنه يهيج به شهوة الوقاع بحيث لا يمل من النساء ولو أتى عشرين امرأة وإن أسقيته المرأة الفاجرة تترك الفجور ولا تميل إليه قال بليناس فرجها وجلد سرتها إن شد على رجل لم تنظر إليه امرأة إلا أحبته وإن شد على امرأة لم ينظر النهار جل إلا أحبها وإن شد فرجها على المحموم زالت حماه جلده يتخذ منه غربال يغربل به البر ثم يزرع فإن زرعه يأمن من الجراد والجوارح كلها قال ابن سينا ينفع من عضة الكلب الكلب فإذ فرغ من الماء يسقى فى إداوة من جلد الضبع أو مغشاة بجلد

فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فهو ول المنصور فى مشيته حتى ملأ مسامعه ثم رجع لدار الندوة وقال لصاحب الشرطة إن بالبيت رجلا يطوف فائتنى به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليمانى فقال أجب أمير المؤمنين فلما دخل عليه قال ما الذى سمعتك آنفا تشكو إلى الله من ظهور البغى والفساد فى الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما أمرضنى فقال له يا أمير المؤمنين إن الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت فقال المنصور ما هذا أو قال ويحك كيف يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء ببابى وملك الأرض فى قبضتى فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والآجر وحجبة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل عليك إلا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الجائع ولا العارى ولا أحد إلا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الأموال ولا تقسمها قالوا هذا قد خان الله ورسوله فمالنا لا نخونه فأجمعوا على أن لا يصل إليك من أمور الناس إلا ما أرادوا فصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل عنهم فإذا جاء المظلوم إلى بابك وجدك قد أوقفت ببابك رجلا ينظر فى مظالم الناس فإن كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف به من وقت إلى وقت فإذا جهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قلبك من بنى أمية إذا انتهت إليهم الظلامة أزيلت فى الحال ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين فقدمته مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله لك عينا فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت بى وإنما أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال إن كان سمعى قد ذهب فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس أن لا يلبس أحد ثوبا أحمر إلا مظلوما وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أحدا لا بسا ثوبا أحمر فيعلم أنه مظلوم فينصفه هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت رأفته على شح نفسه بالمشركين فكيف لا تغلب رأفتك على شح نفسك بالمؤمنين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله ﷺ يا أمير المؤمنين وإنما تجمع المال لإحدى ثلاث إن قلت إنما أجمع المال للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنه بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا إذ قد يسقط الطفل من بطن أمه وليس له مال ولا على وجه الأرض من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فلم يزل يلطف الله تعالى بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس فيه ويحوى ما حوته تلك اليد الشحيحة ولست بالذى تعطى وإنما الله المعطى وإن قلت إنما أجمعه لمصيبة تنزل بى فقد أراك الله سبحانه وتعالى عبرة فى الملوك والقرون الذين خلوا من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الأموال والرجال والكراع حين أراد الله بهم ما أرادوا وإن قلت إنما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق منزلتك إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال كيف أعمل والعلماء قد فرت منى والعباد لم تقرب منى والصالحون لم يدخلوا على فقال يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم وخذ من المال ما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب منك أن يعود إليك فقال المنصور نفعل إن شاء الله تعالى وجاءه المؤذنون فآذنوه بالصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة

وشددت فيه شيئا من ورق الشيح وربطته فى خرقة حرير على إنسان فإن النساء تتبعه ويرى من ذلك أمرا عجيبا ولو دفن فى باب بيت لا يدخله الكلاب وإذا شددته على رقبة الأرنب تهرب عنه الكلاب وحين يسلخ الجلد إذا أخذته وطفت به معالم قرية وعلقته على بابها لا يصيبها آفة. الشعور التى حول أنفه تلتفها وتحرق وتسحق بزيت ويدهن به المحب يزول ما به بعره يخلط بدهن الآس ويدهن به الرأس فإنه ينبت به الشعر ويحسنه (عناق) يقال له بالفارسية شياه كوس فوق الكلب حجما حسن الصورة جدا لونه كلون البعير الأحمر وأذناه سوداوان يصيد كما يصيد الفهد وإذا مشى أخفى آثاره ويصيد الكركى فإذا طار الكركى يثب وثبة شديدة نحو الهواء ويأخذه برجله والله الموفق (فالا) قال ابن سينا إنه حيوان أصغر من ابن عرس فى حجمه ولونه أميل إلى الرمدة مع لطافة ودقة وطوله وسعة فمه إذا رأى حيوانا ظفر به ويتعلق بخصيتاه وينال بعضة منه وجع شديد صعب العلاج

(فهد) شديد مغضب ضيق الخلق ذو

على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليمانى فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له ليس إلى ذلك سبيل فقال إذاً يضرب عنقى فقال لا ولا إلى ضرب عنقك من سبيل ثم أخرج من مزود كان معه رقا مكتوبا فقال خذه فإن فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فأخذه صاحب الشرطة وأتى المنصور فلما رآه قال له ويلك أو تحسن السحر قال لا والله يا أمير المؤمنين ثم قص عليه فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت فى عظمتك وقدرتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ماتحت أرضك كعلمك ما فوق عرشك فكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر فى علمك فانقاد كل شىء لعظمتك وخضع كل ذى سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل غم وهم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك بما قصرت فيه فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فإنك المحسن إلى وأنا المسىء إلى نفسى فيما بينى وبينك تتودد إلى بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصى فلم أجد كريما أعطف منك على عبد لئيم مثلى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد اللهم بفضلك وإحسانك على إنك أنت الرءوف الرحيم وروى أن الرجل المذكور كان الخضر عليه السلام

﴿الفينة﴾ طائر يشبه العقاب إذا خاف البرد انحدر إلى اليمن قاله ابن سيده والفينات الساعات يقال لقيته الفينة بعد الفينة أى الحين بعد الحين وإن شئت حذفت الألف واللام فقلت لقيته فينة بعد فينة فكأن هذا الطائر لما كان فى حين ينحدر إلى اليمن وفى حين آخر يذهب عنها سمى باسم الزمان

﴿أبو فراس﴾ كنية الأسد يقال فرس الأسد فريسته يفرسها فرسا وافترسها أى دق عنقها وأصل الفرس هذا ثم كثر حتى قيل لكل قتل فرس وبه سمى أبو فراس بن حمدان أخو سيف الدولة ابن حمدان وكان ملكا جليلا وشاعرا مجيدا حتى قيل بدئ الشعر بملك وختم بملك بدئ بامرئ القيس واسمه حندج وختم بأبى فراس ونظير ذلك قولهم بدئت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد والله تعالى أعلم.

## ﴿ باب القاف ﴾

﴿القادحة﴾ الدودة يقال قدح الدود فى الأسنان والشجر قدحا قاله الجوهرى ﴿القارة﴾ الدابة ﴿القارية﴾ كسارية هذا الطائر القصير الرجلين الطويل المنقار الأخضر الظهر تحبه العرب وتتيمن به ويشبهون به الرجل السخى وهى مخففة قال الشاعر:

أمن ترجيع قارية تركتم * سبايا كم وأبتم بالعناق

قال ابن الأعرابى معنى البيت أفزعتم لما سمعتم ترجيع هذا الطائر وتركتم سبايا كم ورجعتم بالخيبة فالعناق هنا الخيبة والجمع القوارى قال يعقوب والعامة تقول قارية بالتشديد كذا قاله الجوهرى وقال البطليوسى فى الشرح العرب تتيمن بالقوارى وتتشاءم بها فأما تيمنهم بها فإنها تبشر بالمطر إذا جاءت والسماء خالية من السحاب قال النابغة الجعدى:

ولا زال يسقيها ويسقى بلادها * من المزن زحاف يسوق القواريا

وثبات بعيدة كثيرة النوم ويستأنس بالناس خلاف النمر وقال بعضهم إن الفهد متولد من بين الأسد والنمر والله أعلم وسائر السباع تحب رائحة الفهد والسباع الصغار تتبع رائحته لتأكل من فضلة فريسته قال الجاحظ الفهد إذا سمن عرف أنه مطلوب وأن حركته ثقيلة وأن كوكبه يقتله ورائحته مشهية للسباع يخاف من الأسد والنمر فيخفى نفسه حتى تنقضى أيام سمنه ولا يكاد يكون على علاوة الريح لئلا يحمل الريح رائحته إلى السباع ويحب الأصوات الحسنة يصغى إليها إصغاء شديدا وإذا مرض أكل لحم الكلب يزول مرضه ويتولد منه ومن الدب حيوان عجيب الشكل يقال له كوسال

(فصل فى خواص أجزائه)

لحمه يورث حدة الذهن وقوة البدن دمه من سقى منه تغلبه البلاهة برئته إذا ترك فى موضع هرب الفأر منه (فيل) هو حيوان ظريف بهى نبيل من أعظم الحيوانات وربما كان فى فمها ثلثمائة سن وهو أظرف وألطف من كل حيوان خفيف الجسم رشيق صنع الله فى خلقته عجائب قدرته وهو ان رقبته لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطوما طويلا يقوم

وأما تشاؤمهم بها فإن أحدهم إذا لقى منها واحدة من غير غيم ولا مطر خاف ورجع وقال ابن سيده القارية طير خضر يحبها الأعراب ويشبهون الرجل السخى بها وذلك لأنها تنذر بالمطر قال بعضهم ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم الناس قوارى الله فى الأرض أى شهوده لأن بعضهم يتبع أحوال بعض فاذا شهدوا الإنسان بخير أوشر فقد وجب والقوارى واحدها قار وهو جمع شاذ ﴿قلت﴾ ويدل لصحة هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام أنتم شهداء الله فى الأرض (وحكمها) الحل لأن العرب كانت تأكلها قاله الصيمرى وغيره وقالوا فى كتاب الحج الحمام يفدى بشاة وما دونه من القوارى وغيرها يفدى بالقيمة وهذا دليل على حل أكلها وتصريح بأن القارية ليست من الحمام وكلام أهل اللغة لايساعده فقد قال ابن السكيت فى إصلاح المنطق القوارى طيور خضر لها ترجيع وقد تقدم تفسير هدير الحمام بالترجيع فى صوته وتقدم أن غير الحمام يشاركه فى العب وإذا كان غير الحمام يشاركه فى العب ألغى اعتباره ووجب اعتبار الهدير وهو الترجيع فوجب أن تكون القارية من الحمام وأنها تفدى بشاة دون القيمة كسائر الحمام وللنظر فى هذا التعارض مجال ﴿القاق﴾ طائر مائى طويل العنق (وحكمه) حل الأكل كما تقدم ﴿القاقم﴾ دويبة تشبه السنجاب إلا أنه أبرد منه مزاجا وأرطب ولهذا هو أبيض يقق ويشبه جلده جلد الفنك وهو أعز قيمة من السنجاب (وحكمه) الحل لأنه فى الطيبات ﴿القانب﴾ الذئب العواء والمقانب الذئاب الضارية وقد تقدم لفظ الذئب فى باب الذال المعجمة ﴿القاوند﴾ طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضن بيضه سبعة أيام فى الرمل ويخرج أفراخه فى اليوم السابع ثم يزقها سبعة أيام أيضا والمسافرون فى البحر يتيمنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الوقت وحلول أوان السفر وقيل إن الله تعالى إنما يمسك البحر عن هيجانه فى زمن الشتاء عن بيض هذا الطائر وفراخه لبره بأبويه عند كبرهما وذلك أنهما إذا كبرا حمل إليهما قوتهما وعالها حياتهما إلى أن يموتا * وهذا الطائر المتخذ منه شحم القاوند المعروف وهو يقيم المقعد ويحلل البلاغم المزمنة وفى المفردات دهن القاوند معروف كالسمن يؤتى به من بلاد اليمن ومن الحبشة والهند ويقال إنه يستخرج من ثمر شجرة كالجوز ويطحن فى المعاصر ويستخرج ينفع الأمراض الباردة وأوجاع الأعصاب ﴿القبج﴾ بفتح القاف وإسكان الباء الموحدة وبالجيم فى آخره واحده قبجة الحجل والقبجة اسم جنس يقع على الذكر والأنثى حتى تقول يعقوب فيختص بالذكر وكذلك الدراجة تقول حيقطان والبومة حتى تقول صدى أوفيادوالحبارى حتى تقول خرب وكذا النعامة حتى تقول ظليم والنحلة حتى تقول يعسوب ومثله كثير وقال كراع فى المجرد القبج فارسى معرب لأن القاف والجيم أو الكاف لايجتمعان فى كلام العرب كالجواليق وجلق والقبج والكيلجة وهو مكيال صغير وما كان نحو ذلك وفراخ القبج تخرج كالفراريج كما تقدم وإناثه تبيض خمس عشرة بيضة والذكر يوصف بالقوة على السفاد كما يوصف الديك والعصفور لكثرة سفاده يقصد موضع البيض فيكسره لئلا تشتغل الأنثى بحضنه عنه ولهذا الأنثى إذا أتى أوان بيضها تهرب وتختبىء رغبة فى الفراخ وهى إذا هربت بهذا السبب ضاربت الذكور بعضها بعضا وكثر صياحها ثم إن المقهور يتبع القاهر ويسفد القوى الضعيف والقبج يغير أصواته بأنواع شتى بقدر حاجته إلى ذلك ويعمر خمس عشرة سنة ومن عجيب أمرها ما حكاه القزوينى أنها إذا قصدها الصياد خبأت رأسها تحت الثلج وتحسب أن الصياد لايراها وذكورها شديدة الغيرة على إناثها والأنثى تلقح من رائحة الذكر وهذا النوع كله يحب الغناء والأصوات الطيبة وربما وقعت من

مقامها يرفع العلف والماء إلى فمه بها وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان ويضرب بها وله أذنان كبيرتان كل واحدة على شكل يدين متحركتان وإنما يدفع بهما الذباب والبق عن فمه فإن فمه بها مفتوح دائما فلو دخل شىء من البق أو الذباب إلى فمه لهلك وليس له من المفاصل إلا مفصل الكعب والكتف والفخذ ولا يظهر له شهوة الضراب إلا بعد خمس سنين ويضع لسبع سنين ولدا مستوى الأعضاء والفيل يعادى الحية إذا رآها يقتلها تحت رجله والحية تلدغ الفيل تهلكه والفيل إذا تعب تدلك كتفاه بالسمن والماء الحار يزول تعبه وإذا مرض يأكل حية ميتة يزول مرضه وإذا وقع على جنبه لا يقدر على القيام فتخبر الفيلة بعضها بعضا فيأتيه الفيل الكبير يجعل خرطومه تحته وسائر الفيلة يعاونونه حتى ينتصب على قوائمه والفيل إذا أراد قلع شجرة يلف خرطومه عليها ويقلعها من أصلها وقالوا ربما يعيش الفيل أربعمائة سنة قال الزبادى رأيت فيلا فى أيام المنصور وقالوا إنه كان يسجد لسابور ذى الأكناف وللمنصور من زمانه أربعمائة سنة وإذا علم الملك سجد له

كلما رآه والفيل أشد الحيوانات حقدا (حكى) أن رجلا فيالا ضرب فيلا فقالوا له لاتنام

حيث ينالك فإنه حيوان
حقود فشد الفيال الفيل
إلى أصل شجرة وأحكم
وثاقه وتنحى عنه ونام
وكان لذلك الفيال شعر
كثير منفوش فتناول الفيل
بخرطومه غصنا ووضع
رأسه على رأس الفيال
ولوى بها حتى ظن أنه
تشبث به ثم جذب العصا
جذبة قوية فإذا الفيال
تحت قوائمه فخبطه خبطا
هشمه (فصل فى خواص
أجزائه) قالوا من سقى من
وسخ أذنه ينام سبعة أيام
برادة نابه إذا تضمد بها
ينفع من الداحس مرارته
يطلى بها البرص ويترك
ثلاثة أيام يزول عظمه
يعلق فى رقاب الصبيان
يدفع عنهم الصرع وإن
علق فى رقبة البقرة يدفع
عنهـــا الموق وإذا سحق
وعجن بالعسل وطلى به
الكلف يزول ولو علق
العاج على شجرة لم تثمر تلك
السنة ولو دخن به فى بيت
فيه بق مات البق وحكاك
العاج ينثر على الجراحة
الميتـــة تبرأ وينفخ فى
خيشوم الراعف ينقطع
دمه ولو أكلت المرأة من
حكاك العاج تحبل إذا
أتاه زوجها جلده يشد
قطعة منه على من به حمى
نافض تزول عنه وتسقط
البواسير من دخانه وإذا نام
على جلد الفيل صاحب
الفالج يزول عنه بوله إذا رش فى مكان يهرب الفأر منه وإذا سقيت منه المرأة العاقر تحبل زبله يتخذ منه سافة

أوكارها عند سماع ذلك فيأخذها الصياد (وحكمها) حل الأكل لأنها من الطيبات (الخواص) قال عبد الملك بن زهر مرارة الذكر منها إذا اكتحل بها تنفع من نزول الماء وإن خلطت مع ماء الرازيانج واكتحل بها أبرأت من العشى بالليل وشحمه ينفع السكتة واللوقة سعوطا وقال أرسطو مرارة القبج إذا خلطت بدهن زئبق وسعط بها المحموم ساعة يحم فإنه يبرأ قال وصفة صيدهن أن يعجن لهن دقيق الشعير بالخمر ويوضع لهن حتى يأكلن فإذا أكلته سكرن فيصدن (القبرة) بضم القاف وتشديد الباء الموحدة واحدة القبر قال الجوهرى وقد جاء فى الشعر قنبرة كما تقوله العامة وقال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب وقنبرة أيضا بإثبات النون قال وهى لغة فصيحة وهو ضرب من الطير يشبه الحمر وكنية الذكر منه أبو صابر وأبو الهيثم والأنثى أم العلعل قال طرفة وكان يصطادها :

يالك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى * قد رفع الفخ فماذا تحذرى
قد ذهب الصياد عنك فابشرى * لابد من أخذك يوما فاحذرى

والسبب فى قوله ذلك أنه كان مع عمه فى سفر وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر وبقى عامة يومه لم يصد شيئا ثم حمل فخه وعاد إلى عمه فحملوا ورحلوا من ذلك المكان فرأى القنابر يلقطن ما نثر لهن من الحب فقال ذلك قال أبو عمرو والمراد بالجو هنا ما اتسع من الأودية وحذف طرفة النون من قوله فماذا تحذرى لوفاق القافية أولالتقاء الساكنين قال أبو عبيدة يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال لابن الزبير حين خرج الحسين رضى الله تعالى عنه إلى العراق

* خلا لك الجو فبيضى واصفرى * ولطرفة بن العبد قصة عجيبة مع عمرو بن المنذر ابن امرئ القيس لما كتب له وللمتلمس صحيفتين ويقال له عمرو بن هند وكان لا يتبسم ولا يضحك وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه فإنه ملك ثلاثا وخمسين سنة وكانت العرب تهابه هيبة شديدة وقال السهيلى إنه هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهند أمه وسمى أبوه المنذر بن ماء السماء لشدة جماله وهو المنذر بن الأسود ويعرف عمرو بمحرق لأنه حرق مدينة يقال لها ملهم وهى عند اليمامة وقال العتبى والمبرد سمى محرقا لأنه حرق مائة من بنى تميم ملك ثلاثا وخمسين سنة وكان طرفة غلاما معجبا فجعل يتخلج فى مشيته بين يديه فنظر إليه نظرة كادت تبتلعه من مجلسه فقال له المتلمس حين قاما يا طرفة إنى أخاف عليك من نظرته إليك فقال طرفة كلا ثم إنه كتب لهما كتابين إلى المكعبر وكان عامله على البحرين وعمان فخرجا من عنده وسارا حتى إذا هبطا بأرض قريبة من الحيرة فإذا هما بشيخ معه كسرة يأكلها وهو يتبرز ويقصع القمل فقال له المتلمس بالله ما رأيت شيخا أحمق وأضعف وأقل عقلا منك فقال له وما الذى أنكرت على فقال تتبرز وتأكل وتقصع القمل قال إنى أخرج خبيثا وأدخل طيبا وأقتل عدوا ولكن أحمق منى والأم حامل حتفه بيمينه لا يدرى ما فيه فتنبه المتلمس وكأنما كان نائما فإذا هو بغلام من أهل الحيرة يسقى غنيمة له من نهر الحيرة فقال له المتلمس يا غلام أتقرأ قال نعم قال اقرأ هذه فإذا فيها باسمك اللهم من عمرو بن هند إلى المكعبر إذا أتاك كتابى هذا مع المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فألقى الصحيفة فى النهر وقال يا طرفة معك والله مثلها فقال كلا ما كان ليكتب لى مثل ذلك ثم أتى طرفة إلى المكعبر فقطع يديه ورجليه ودفنه حيا فضرب المثل بصحيفة

المتلمس لمن يسعى فى حتفه بنفسه ويغرر بها وستأتى الإشارة إلى هذه القصة فى باب الكاف فى لفظ الكروان وكان سبب إحراق عمرو بن هند لبنى تميم كما قاله العتبى والمبرد أن عمرا كان له أخ وهو أسعد ابن المنذر وكان مسترضعا فى بنى دارم فانصرف ذات يوم من صيده وبه نبيذ فر بإبل لسويد بن ربيعة التميمى فنحر منها بكرة فرماه سويد بسهم فقتله فلما سمع عمرو بن هند بقتل أخيه حلف ليحرقن منهم مائة رجل فأخذ منهم تسعة وتسعين رجلا فقذفهم فى النار ثم أراد أن يبر قسمه بعجوز منهم ليكمل العدد فقالت هلا فتى يفدى هذه العجوز بنفسه ثم قالت هيهات صارت الفتيان حماما ومر وافد البراجم فاشتم رائحة اللحم فظن أن الملك قد اتخذ طعاما فعرج إليه فأتى به إليه فقال له من أنت قال أنا وافد البراجم فقال له عمرو إن الشقى وافد البراجم فذهبت مثلا ثم أمر به فقذف فى النار وقد أشار إلى ذلك ابن دريد فى مقصورته بقوله :

ثم ابن هند باشرت نيرانه * يوم أوارات تميما بالصلى

وأوارات موضع وهو جمع واحده أوراة وتميم قبيلة والصلى وهج النار والقبرة غبراء كبيرة المنقار كأنما على رأسها قبرة وهذا الضرب من العصفور قاسى القلب وفى طبعه أنه لا يهوله صوت صائح وربما رمى بالحجر فاستخف بالرامى ولطأ بالأرض حتى يتجاوز الحجر وبهذا السبب لا يزال مأخوذا أو مقتولا لأن الرامى يحمله الحنق عليه على مداومة ضربه حتى يصيبه وهو يضع وكره على الجادة حبا للأنس روى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى بإسناده عن داود بن أبى هند قال صاد رجل قبرة فقالت ما تريد أن تصنع بى قال أذبحك وآكلك فقالت والله إنى لا أسمن ولا أغنى من جوع ولا أشفى من قرم ولكنى أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك والثانية إذا صرت على الشجرة والثالثة إذا صرت على الجبل قال نعم فقالت وهى على يده لا تأسفن على ما فاتك فخلى عنها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون فلما صارت على الجبل قالت يا شقى لو ذبحتنى لوجدت فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا قال فعض على شفته وتلهف ثم قال هاتى الثالثة فقالت قد نسيت الثنتين الأوليين فكيف أعلمك الثالثة قال وكيف قالت ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك وقد تأسفت على وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون وقد صدقت فإنه لو جمعت عظامى وريشى ولحمى لم تبلغ عشرين مثقالا فكيف يكون فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا وحكى القشيرى فى رسالته عن ذى النون المصرى رحمه الله أنه سئل عن سبب توبته فقال خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت فى بعض الصحارى ثم فتحت عينى فإذا أنا بقبرة عمياء سقطت من وكرها فانشقت لها الأرض وخرج منها سكرجتان إحداهما فضة والأخرى ذهب فى إحداهما سمسم والأخرى ماء فجعلت تأكل من هذه وتشرب من هذه قال فتبت ولزمت الباب إلى أن قبانى وعلمت أن من لم يضيع القبرة لا يضيعنى (وحكمها) حل الأكل بالإجماع ووجوب الجزاء على المحرم بقتلها (الخواص) لحمها يحبس البطن ويزيد فى الباه وبيضها يفعل ذلك وإذا ديف زبلها بريق إنسان وطلى به الثآليل قطعها وإذا كرهت المرأة زوجها فليطل ذكره بشحمها ويجامعها فإنها تحبه ﴿تتمة﴾ فى الأسماء قنبر بضم القاف وإسكان النون وفتح الباء الموحدة جد سيبويه عمرو بن عثمان ابن قنبر وسيبويه لقب له وهى لفظة أعجمية معناها رائحة التفاح وقنبر بضمتين جد إبراهيم بن على ابن قنبر البغدادى عن نصر الله القزاز وجد أبى الفتح محمد بن أحمد بن قنبر البزاز وغيرهما وأما قنبر بفتح القاف والباء فأبو الشعثاء قنبر وهو يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره

نفعا بينا وزوانى الهند اللاتى وقفن يتحملن زبل الفيل دفعا للحبل واستبقاء للطراوة والشباب فإنهن موقوفات على جميع أصناف الرجال وهذا أسرع إلى الحبل لأنها لا تعدم من يوافق مزاجها مزاجه فتحبل فيبطل جمالها (قرد) حيوان قبيح مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة وأهدى ملك النوبة إلى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وأهل اليمن يعلمون القرود القيام بحوائجهم حتى إن القصاب والبقال يعلم القرد الحفظ للدكان فالقرد يحفظ دكانه حتى يعود صاحبه وتلد القردة فى بطن واحد من واحد إلى عشرة واثنى عشر وتحمل الأنثى بعض أولادها والباقى يحمله الذكر وللقرود مجالس مشهورة تجتمع فيها يسمع منها حس همهمة والإناث معتزلات عن الذكور وللذكور منها غيرة شديدة على الإناث (وحكى) بعض أهل صنعاء أنه مر بقرد فى سفح جبل نائم واضع رأسه فى حجر زوجته وقد غاص فى نومه فإذا بقرد آخر قد جاء ووقف حذاءها فوضعت القردة رأس زوجها رويدا رويدا وقامت إلى ذلك القرد

وجامعها كما يجامع الرجل المرأة فلما انتبه القرد ولم يجدها اتبع أثرها حتى وجدها فلما دنا منها شمها فعلم أنها زنت فصاح صيحة عظيمة فاجتمع عليه كثير من القرود فأخبرهم بفعلها فحفروا لها حفرة وجعلوها فى تلك الحفرة ورجموها حتى ماتت قال بليناس إذا ألقيت القرد فى ماء وسقيت من ذلك الماء إنسانا أشبه القرود فى أفعاله وقال من تصبح بوجه القرد عشرة أيام متوالية جلب إليه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء محبة شديدة وأعجبن به ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ عينه تعلق على إنسان يمزح معه كل من رآه سنه يعلق على إنسان لا يغلبه النوم ولا الفزع بالليل ويكتحل به بعد أن يسحق يزيل بياض العين لحمه ينفع من الجذام أكلا وعرف ذلك من الأسد فإنه كثير الجذام وإذا أكل القرد برئ دمه من شرب منه يخرس حتى لا يقدر على الكلام أصلا ويقبح فى أعين الناس جلده إذا علق على شجرة يدفع عنها ضرر البرد ويتخذ من جلده غربال يغربل به البذر فإنها إذا زرعت تسلم من آفات الجراد والله الموفق (كركند) حيوان فى جثة الفيل خلقته خلقة الثور إلا انه أعظم منه ذو حافر

ذكره ابن حبان فى الثقات وقنبر مولى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال ابن أبى حاتم روى عن على كرم الله وجهه ورضى الله عنه وكان حاجبه قال الشيخ فى المهذب فى كتاب القضاء ولا يكره للإمام أن يتخذ حاجبا لأن يرفأ كان حاجب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه والحسن كان حاجب عثمان رضى الله تعالى عنه وقنبر كان حاجب على رضى الله تعالى عنه قال محمد بن السماك من عرف الناس داراهم ومن جهلهم ماراهم ورأس المداراة ترك المماراة قيل جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوما مع المتوكل وكان يؤدب أولاده فجاءه المعتز والمؤيد ولدا المتوكل فقال له يا يعقوب أيما أحب إليك ابناى هذان أم الحسن والحسين فقال والله إن قنبرا خادم على بن أبى طالب خير منك ومن ابنيك فقال المتوكل للأتراك سلوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك فمات فى ليلة الاثنين لخمس خلون من رجب سنة أربع وأربعين ومائتين ثم إن المتوكل أرسل لولده عشرة آلاف درهم وقال هذه دية والدك كذا حكاه ابن خلكان فى ترجمته ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير أنشد لولدى المتوكل وهو يعلمهما :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه * وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ومن محاسن شعر ابن السكيت :

إذا اشتملت على اليأس القلوب * وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واستقرت * وأرست فى أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها * ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك عفو * يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت * فموصول بها فرج قريب

وعرف أبوه بالسكيت لأنه كان كثير السكوت طويل الصمت وكل ما كان على فعيل أو فعليل فإنه مكسور الأول وكان ابن السكيت رحمه الله إماما فى اللغة مكثرا من نقل الغريب وله تصانيف مفيدة ﴿القبعة﴾ بضم القاف وتخفيف الباء الموحدة والعين المهملة المفتوحتين طير أبقع مثل العصفور يكون عند جحرة الجرذان فإذا فزع أو رمى بحجر انقبع فيها ذكره ابن السكيت المذكور قبله وقوله انقبع فيها أى دخل الجحر فالتجأ فيه ﴿القبيط﴾ كحمير طائر معروف ﴿القتع﴾ بفتح القاف والتاء المثناة والعين المهملة دود يكون فى الخشب يأكله الواحدة قتعة ينز ثم يقع ﴿ابن قترة﴾ ضرب من الحيات لا يسلم من لدغته وقيل هو ذكر الأفعى وهو نحو من الشبر وأبو قترة كنية إبليس قاله ابن سيده وغيره ﴿القدان﴾ بكسر القاف وبالدال المهملة المشددة البراغيث قاله ابن سيده وقال غيره هو دويبة تقرب من البرغوث تقرص قال الراجز :

يا أبتا أرقنى القـــدان * فالنوم لا تطعمه العينان

قاله أبو حاتم فى كتاب الطير وقيل القدان يوجد كثيرا بالبلاد والطرق الرملة والناس يسمونه الدلم يقرص الإبل وغيرها ﴿القراد﴾ واحد القردان يقال قرد بعيرك أى انزع منه القراد وقد تقدم الكلام عليه فى الحمام وقد ذكرنا أن مذهبنا استحباب قتل القراد فى الإحرام وغيره وقال العبدرى يجوز للمحرم عندنا أن يقرد بعيره وبه قال ابن عمر وابن عباس وأكثر الفقهاء وقال مالك لا يقرده قال ابن المنذر وممن أباح تقريد البعير عمر وابن عباس وجابر بن زيد وعطاء والشافعى وأحمد

وإسحق وأصحاب الرأى وكرهه ابن عمر ومالك وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال فى المحرم يقتل قرادة يتصدق بتمرة أو تمرتين قال ابن المنذر وبالأول أقول وتقريد البعير أن ينزع القراد منه وفسره ابن الأثير وغيره بأنه الطبوع الذى يلصق بجسمه وفى قصيدة كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه :

يمشى القراد عليها ثم يزلقه * عنها لبان وأقراب زهاليل

اللبان الصدر والأقراب الخواصر والزهاليل الملس وفى حديث أبى جهل أن محمدا نزل يثرب وأنه حنق عليكم نفيتموه نفى القراد عن المسامع يعنى الآذان أى أخرجتموه من مكة إخراج استئصال لأن أخذ القراد عن الدابة قلعه بالكلية والأذن أخف الأعضاء شعراً بل أكثرها لا شعر عليه فيكون النزع منها أبلغ (الأمثال) قالوا أسمع من قراد وذلك أنه يسمع وطء أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها قال أبو زياد الأعرابى ربما رحل الناس عن ديارهم بالبادية وتركوها قفارا والقردان منتشرة فى أعطان الإبل ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ولا يخلفهم فيها أحد سواهم ثم يرجعون إليها فيجدون القردان فى تلك المواضع أحياء وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافى فتتحرك لها ولذلك قالت العرب أعمر من قراد وقال حمزة العرب تزعم أن القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من أكاذيبهم وإنما الضجر منهم به دعاهم إلى هذا القول فيه * وهو فى الرؤيا يدل على الأعداء والحساد الأخساء وأن رأى الدلم منتشرا فى الأرض والرمل فهو كذلك أيضا والله تعالى أعلم ﴿القرد﴾ حيوان معروف وكنيته أبو خالد وأبو حبيب وأبو خلف وأبو رية وأبو قشة وهو بكسر القاف وسكون الراء وجمعه قرود وقد يجمع على قردة بكسر القاف وفتح الراء المهملة والأنثى قردة بكسر القاف وإسكان الراء وجمعها قرد بكسر القاف وفتح الراء مثل قربة وقرب وهو حيوان قبيح مليح ذكى سريع الفهم يتعلم الصنعة * حكى أن ملك النوبة أهدى إلى المتوكل قردا خياطا وآخر صائغا وأهل اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى أن القصاب والبقال يعلم القرد حفظ الدكان حتى يعود صاحبه ويعلم السرقة فيسرق * نقل الشيخان عن القاضى حسين أنه قال لو علم القرد النزول إلى الدار وإخراج المتاع فنقب وأرسل القرد فأخرج المتاع ينبغى أن لا يقطع لأن للحيوان اختيارا ونقل البغوى فى حد باب الزنا أن المرأة لو مكنت من نفسها قردا فوطئها فعليها ما على واطئ البهيمة فتعزر فى الأصح وتحد فى قول وتقتل فى قول ﴿فائدة﴾ قال ابن عباس وعكرمة رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى «الذى أحسن كل شىء خلقه» أى أتقنه وقالا ليست است القرد حسنة ولكنها متقنة محكمة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن قال الله تعالى «لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم» والقردة تلد فى البطن الواحد العشرة والاثنى عشر والذكر ذو غيرة شديدة على الإناث وهذا الحيوان شبيه بالإنسان فى غالب حالته فإنه يضحك ويطرب ويقعى ويحكى ويتناول الشىء بيده وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظافر ويقبل التلقين والتعليم ويأنس بالناس ويمشى على أربع مشيه المعتاد ويمشى على رجليه حينا يسيرا ولشفر عينيه الأسفل أهداب وليس ذلك لشىء من الحيوان سواه وهو كالإنسان وإذا سقط فى الماء غرق كالآدمى الذى لا يحسن السباحة ويأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الإناث وهما خصلتان من مفاخر الإنسان وإذا زاد به الشبق استمنى بفيه وتحمل الأنثى أولادها كما تحمل المرأة ومن سر هذا الحيوان أن الطائفة من هذا النوع إذا أرادت النوم ينام الواحد فى جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحدا وإذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الأيسر فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه ويفعل كفعله حتى يكون هذا

وقرون وغضبه سريع وحملته صادقة تخافه جميع الحيوانات بأرض الهند على رأسه قرن حاد الرأس غليظ الأسفل فيه انحناء محدب إلى وجهه ومقعره إلى ظهره ومن العجب كونه جمع بين الحافر والقرن فإن كل حيوان ذى حافر ليس له قرن وهو أقل الحيوانات عدوا يعيش سبعمائة سنة وهيجانه بعد خمسين سنة ومدة حمله ثلاث سنين وزعموا أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوانات فى تلك البلاد حتى لو كان بينه وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات فإنها تهرب من هيبته وإذا رأى الفيل يأتيه من ورائه ويضرب بقرنه بطنه ويقوم على رجليه ويدفع الفيل حتى ينتشب بقرنه ثم يريد أن يتخلص لا يمكنه فيخر على الأرض فيموت هو والفيل أيضا وذكروا أن السلاح لا يعمل فى الكركند ولا يقاومه سبع ولا بهيمة وأنه يحب الفاختة يمشى إلى شجرة عليها عش الفاختة يقف تحتها ويطيب نفسه بهديرها والفاختة تقع على قرنه فلا يحرك رأسه لكيلا تنفر الفاختة ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ قالوا على قرنه شعبة منحنية انحناؤها مخالف لانحناء القرن وله خواص وعلامة صحتها أنه يرى منها شكل فارس لا توجد

إلى آخرهم يفعلون ذلك فى الليل كله مرارا وسبب ذلك أنه يبيت فى أرض ويصبح فى أخرى وفيه من قبول التأديب ما لا يخفى ولقد درب قرد ليزيد على ركوب الحمار وسابق به مع الخيل وفيه يقول يزيد لما سبق بأتان ركبها فارسا :

من مبلغ القرد الذى سبقت به ... جواد أمير المؤمنين أتان

تعلق أبا قفش بها إن ركبتها ... فليس عليها إن هلكت ضمان

روى ابن عدى فى كامله عن أحمد بن طاهر بن حرملة بن أخى حرملة بن يحيى أنه قال رأيت بالرملة قردا يصوغ فإذا أراد أن ينفخ أشار إلى رجل حتى ينفخ له وفيه فى ترجمة محمد بن يوسف ابن المنكدر عن جابر رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ كان إذا رأى القرد خر ساجدا وهو فى المستدرك قبيل كتاب الجمعة ذكره شاهدا وفيه فى ترجمة ضمام ابن اسمعيل أنه روى عن أبى قنبل أن معاوية صعد المنبر يوم جمعة فقال فى خطبته أيها الناس إن المال مالنا والفىء فيؤنا من شئنا أعطينا ومن شئنا منعنا فلم يجبه أحد فلما كان فى الجمعة الثانية قال كذلك فلم يجبه أحد فلما كانت الجمعة الثالثة قال كذلك فقام إليه رجل فقال كلا يامعاوية ألا إن المال مالنا والفىء فيؤنا من حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله تعالى بأسيافنا فنزل معاوية وأرسل إلى الرجل فأدخل عليه فقال القوم هلك الرجل ثم فتح معاوية الأبواب فدخل عليه الناس فوجدوا الرجل معه على السرير فقال معاوية أيها الناس إن هذا الرجل أحيانى أحياه الله سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون أئمة من بعدى يقولون فلا يرد عليهم يتقاحمون فى النار كما تتقاحم القردة وإنى تكلمت أول جمعة فلم يرد على أحد شيئا فخشيت أن أكون منهم ثم تكلمت فى الجمعة الثانية فلم يرد علىّ أحد شيئا فقلت فى نفسى أنت من القوم فتكلمت فى الجمعة الثالثة فقام إلى هذا الرجل فرد علىّ فأحيانى أحياه الله فرجوت أن يخرجنى الله منهم ثم أعطاه وأجازه ورواه ابن سبع فى شفاء الصدور كذلك ورواه الطبرانى فى معجمه الكبير والأوسط ورواه الحافظ أبو يعلى الموصلى ورجاله ثقات وذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن من تصبح بوجه قرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واتسع رزقه وأحبته النساء حبا شديدا وأعجبن به وفيما قاله نظر ظاهر ﴿فائدة أخرى﴾ روى الإمام أحمد عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ قال إن رجلا حمل معه خمرا فى سفينة ليبيعه ومعه قرد قال فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل فجعل يطرح دينارا فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمه ورواه البيهقى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا بمعناه ولفظه أن النبى ﷺ قال لا تشوبوا اللبن بالماء فإن رجلا كان فيمن قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى إذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ دينارا فرمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء فى البحر وثمن اللبن فى السفينة قال ومر أبو هريرة رضى الله تعالى عنه بإنسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف بك يوم القيامة حيث يقال لك خلص الماء من اللبن وقد تقدم فى باب الهمزة فى لفظ الأسود والسالخ حديث يتعلق بهذا والله تعالى أعلم ﴿فائدة أخرى﴾ روى الحاكم فى المستدرك عن الأصم عن الربيع عن الشافعى عن يحيى بن سليم عن ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس رضى الله عنهما وهو يقرأ فى المصحف قبل أن يذهب بصره ويبكى فقلت له ما يبكيك جعلنى

تلك الشعبة إلا عند ملوك عقد فلو أخذها صاحب القولنج بيده ينفتح فى الحال والمرأة التى ضربها الطلق إذا أخذته بيدها وضعت فى الحال ولو أرادوا استخلاص حصن توضع الشعبة فى الماء ويرش فى الحصن فإنه يتخلص ولو سحق منها شئ وسقى لمصروع يزول صرعه وكذلك من به فالج أو شنج وحاملها يأمن عين السوء ولا تكبو به الفرس إذا ترك فى الماء الحار يتركه بارد أو من عضه الكلب الكلب يسقى من قرن الكركند بدهن البلسان ينفعه نفعا بينا قال ابن أبى الخير الاستراباذى صاحب كتاب برهة نامت الجلاس حاكيا عن أبيه قال كنت رائحا إلى عرنين مع قافلة فأتانا الخبر أن قوما من اللصوص فى الطريق فأصاب القوم اضطراب من ذلك وكان فينا رجل فقال ياقوم لا تحزنوا فإنى أكفيكم شرهم بشرط أنكم تذهبون بى إليهم فذهب به بعض أهل القفل إلى موضع اللصوص وكانوا فى شعب بين جبلين فأخرج شيئا من وسطه ودلكه بالتراب دلكا شديدا ثم أشرف عليهم ونثر ذلك التراب على رأسهم فهبت ريح عاصفة فى ذلك الشعب منع اللصوص من القيام ومن قام منهم وقع ثم عاد

الله فداك فقال هذه الآية واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية ثم قال أتعرف أيلة قلت وما أيلة قال قرية كان بها أناس من اليهود حرم الله عليهم صيد الحيتان يوم السبت فكانت الحيتان تأتيهم في يوم سبتهم شرعا بيضا سمانا كأمثال المخاض فإذا كان غير يوم السبت لا يجدونها ولا يدركونها إلا بمشقة ومؤنة ثم إن رجلا منهم أخذ حوتا يوم السبت فربطه إلى وتد في الساحل وتركه في الماء حتى إذا كان الغد أخذه فأكله ففعل ذلك أهل بيت منهم فأخذوا وشووا فوجدوا جيرانهم ريح الشواء ففعلوا كفعلهم وكثر ذلك فيهم فافترقوا فرقا فرقة أكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم فقالت الفرقة التي نهت إنا نحذركم غضب الله وعقابه أن يصيبكم بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب والله لا نساكنكم في مكان أنتم فيه وخرجوا من السور ثم غدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم أحد فتسور إنسان منهم باب السور فقال قردة والله لها أذناب تتعاوى ثم نزل ففتح الباب ودخل الناس عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة قال فيأتي القرد إلى نسيبه وقريبه فيحتك به ويلصق اليه فيقول الإنسي أنت فلان فيشير برأسه أن نعم ويبكي وتأتي القردة إلى نسيبها وقريبها الإنسي فيقول أنت فلانة فتشير برأسها أن نعم وتبكي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فأسمع الله يقول فأنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلا أدري ما فعلت الفرقة الثالثة فكم قد رأينا من منكر ولم ننه عنه قال عكرمة فقلت ما ترى جعلني الله فداك إنهم أنكروا وكرهوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فأعجبه قولي ذلك وأمر لي ببردين غليظين فكسانيهما ثم قال هذا صحيح الإسناد وأيلة بين مدين والطور على شاطىء البحر وقال الزهري القرية طبرية وفي معالم التنزيل قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم فأعجبه قولي ورضي بي وأمر لي ببردين غليظين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وفي المستدرك أيضا عن مسلم الزنجي عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى مات ثم قال صحيح الإسناد على شرط مسلم وروى الطبراني في معجمه الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في آخر الزمان تأتي المرأة فتجد زوجها قد مسخ قردا لأنه لا يؤمن بالقدر ﴿فائدة أخرى﴾ اختلف العلماء في الممسوخ هل يعقب أم لا على قولين أحدهما نعم وهو قول الزجاج والقاضي أبي بكر بن العربي المالكي وقال الجمهور لا يكون ذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعش ممسوخ قط أكثر من ثلاثة أيام ولا يأكل ولا يشرب واحتج الأولون بقوله صلى الله عليه وسلم فقدت أمة من بني إسرائيل لا أدري ما فعلت ولا أراها إلا الفأر ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربها وإذا وضع لها ألبان غيرها شربتها خرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وبحديث الضب الذي رواه مسلم عن أبي سعيد وجابر قال إن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بضب فأبى أن يأكله وقال لا أدري لعله من القرون التي مسخت قال أبو بكر بن العربي المالكي وفي البخاري عن عمر بن ميمون أنه قال رأينا في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها ورجمتها معهم ثبت في بعض نسخ البخاري وسقط من بعضها والجواب عن ذلك أن الحميدي في الجمع بين الصحيحين قال حكى أبو مسعود

إلى عرنين دخلت يوما على الشيخ الرئيس أبي علي فرأيت ذلك الرجل عنده فأخبرته بصنيعه فقال كان ذلك عنده قرن الكركند وفيها عجائب كثيرة وهذا الرجل من خواص أصدقائنا جاءنا من بلاد الهند وأهدى إلينا ذلك العقد ويتخذ من قرن الكركند نصل السكاكين فإذا قربت من طعام أو شراب فيه سم كسرقوة السم عينه اليمنى تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات واليسرى تمنع من النافض والحمى ويتخذ من جلده الجواشن والتحافيف لا يعمل فيها شيء من السلاح (كلب) حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء دائم الجوع والسهر يخدم كثيرا ويحرس ويدفع اللصوص قال الجاحظ من ذكاء الكلب أنه إذا تبع الظباء يعرف التيس من العنز فيترك العنز ويقصد التيس وإن كان التيس أشد عدوا لكن يعلم أن التيس يعتريه البول من الفزع فلا يستطيع الإراقة مع شدة الحصر فيقل عدوه فيعتريه البهر فيلحقه الكلب وأما العنز إذا اعتراها البول أراقته

لسعة السبيل وسهولة المخرج فلا تقصر وهذا شيء عرف من الكلب مرارا وهو ظاهر عند المكلبين وقال أيضا من

الدمشقي أن لعمرو بن ميمون الازدي في الصحيحين حكاية من رواية حصين عنه قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم كذا حكاه أبو مسعود ولم يذكر في أي موضع أخرجه البخاري فبحثنا عن ذلك فوجدناه في بعض النسخ لا في كلها مذكورا في كتاب أيام الجاهلية وليس في رواية الفربري أصلا شيء من هذا الخبر في القردة ولعلها من المفحمات في كتاب البخاري والذي قاله البخاري في التاريخ الكبير قال قال لي نعيم بن حماد أخبرنا هشيم عن أبي المليح وحصين عن عمرو بن ميمون الازدي قال رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة فرجموها ورجمتها معهم وليس فيه قد زنت فلئن صحت هذه الرواية فإنما أخرجها البخاري دليلا على أن عمرو بن ميمون قد أدرك الجاهلية ولم يبال بظنه الذي ظنه وذكر أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب عن عمرو بن ميمون وقال إنه معدود من التابعين من الكوفيين قال وهو الذي رأى الرجم في الجاهلية بين القردة إن صح ذلك لأن رواته مجهولون وذكر البخاري عن نعيم عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون الازدي مختصرا قال رأيت في الجاهلية قردة زنت فرجموها فذكره ثم قال والقصة بطولها تدور على عبد الملك بن مسلم عن عيسى بن حطان وليسا ممن يحتج بهما وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر إضافة الزنا إلى غير مكلف وإقامة الحدود على البهائم ولو صح لكانوا من الجن لأن العبادات والتكليفات في الجن والإنس دون غيرهما اه وعمرو بن ميمون المذكور خرج له أصحاب الكتب الستة وحج ستين حجة توفي في سنة سبع وخمسين وكان من الذين إذا رؤا ذكر الله تعالى وأما حديث الضب والفأر فكان ذلك قبل أن يوحى إليه صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لم يجعل للممسوخ نسلا فلما أوحى إليه زال عنه ذلك المتخوف وعلم أن الضب والفأر ليسا مما مسخ فعند ذلك أخبرنا بقوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن القردة والخنازير أهي مما مسخ فقال صلى الله عليه وسلم إن الله لم يهلك قوما أو يعذب قوما فيجعل لهم نسلا وإن القردة والخنازير كانوا قبل ذلك وهذا نص صريح رواه عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وقد أخرجه مسلم في كتاب القدر وثبتت النصوص بأكل الضب بحضرته صلى الله عليه وسلم وعلى مائدته فلم ينكره فدل ذلك على صحة ما قلناه وعن مجاهد في تفسير آية المسخ في بني إسرائيل إنما مسخت قلوبهم فقط وردت أفهامهم كأفهام القردة وهذا قول تفرد به عن جميع المسلمين (الحكم) أكل القردة حرام عندنا وبه قال عكرمة وعطاء ومجاهد والحسن وابن حبيب من المالكية وقال مالك وجمهور أصحابه ليس بحرام وأما بيعه فيجوز لأنه يقبل التعليم فيمسك الشمعة ويحفظ الأمتعة وقال ابن عبد البر في أوائل التمهيد لا أعلم بين علماء المسلمين خلافا في أن القرد لا يؤكل ولا يجوز بيعه لأنه مما لا منفعة فيه وما علمت أحدا رخص في أكله والكلب والفيل وذو الناب كله عندي مثله والحجة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في قول غيره وما يحتاج القرد ومثله إلى النهي عنه لأنه ينهى عن نفسه بزجر الطباع والنفوس لنا عنه ولم يبلغنا عن العرب ولا عن غيرهم أكله وروى عن الشعبي قال إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحم القرد لأنه سبع فيدخل في عموم الخبر (الأمثال) منها قوله :

واسجد لقرد السوء في زمانه * وداره مادمت في سلطانه

وقالوا أزنى من قرد وأحكى من قرد لأنه يحكي الإنسان في أفعاله سوى المنطق قال أبو الطيب

يرومون شاوي في الكلام وإنما * يحاكي الفتى فيها خلا المنطق القرد

وقالوا أقبح من قرد وأولع من قرد لأنه إذا رأى الإنسان تولع بفعل شيء أخذ يفعله مثله (الخواص) قال الجاحظ لحم القرد شبيه لحم الكلب بل هو شر منه وأخبث قال ابن السويدي

عجائبه أنه يخرج يوم الثلج ووجه الأرض مغشى من الثلج ومعه الصياد المجرب لا يعلم موضع الصيد مع ذهنه وعقله والكلب يذهب يمينا وشمالا ولا يزال يتشمم حتى يعرف مواضع الصيد بأنفاس أبدانها وبخار أجوافها وإذا به ما لاقاه من وجارها وهذا غامض جدا لا يدركه إلا الكلب الماهر وإذا صبت السحائب بالثلوج على الكلاب في أيام الشتاء لقي منها جهدا فمتى أبصر غنما نبح لأنه يذكر ما لقي من مثله وفي المثل لا يضر السحاب نباح الكلاب وإذا نبح على إنسان بالليل فلم ينجه إلا أن يقعد فإذا قعد انصرف كأنه قد ظفر به وقد يصيب الكلب في الصيف جنون لأن مزاجه حار يابس جدا ويزيده الصيف حرارة ويبوسة فيغلب عليه المرار فيحدث له هذا المرض فيصير ريقه سما وعلامة ذلك اللهث الدائم واحمرار العينين وإطراق الرأس واعوجاج الرقبة واسترخاء الذنب وجعله بين فخذيه ويمشي مائلا خائفا كأنه سكران كئيب مغموم ويتعثر في كل خطوة وإذا لاح له شبح عدا إليه حاملا عليه سواء كان شجرا أو حجرا أو حيوانا وقلما تكون حملته مع نباح بخلاف سائر الكلاب وإذا نبح

إذا علق سنه على إنسان لم يغلبه النوم ولا الفزع بالليل واكل لحمه يمنع من الجذام وجلده إذا علق على شجرة دفع عنها ضرر البرد وإذا اتخذ من جلده غربال وغربل به الزريعة وزرعت فإنها تسلم من آفات الجراد وإذا سقى إنسان من دم قرد وهو حار خرس من وقته وإذا رأى القرد طعاما مسموما خاف وصاح وإذا جعل شعره تحت رأس نائم رأى أهوالا تفزعه (التعبير) القرد فى المنام رجل فيه كل عيب مخالف لأن الله تعالى نهاه فلم ينته فمسخه ومن رأى قردا يقاتله وغلب القرد فإن الرائى يمرض ويبرأ فإن غلبه القرد فلا يرجى برؤه ومن رأى أنه أكل لحم قرد فإنه يعالج داء لا يرجى برؤه منه وقالت النصارى من أكل لحم قرد لبس جديدا ومن وهب قردا فى منامه انتصر على عدوه ومن رأى قردا عضه خاصم إنسانا ومن رأى قردا فى فراشه فإن يهوديا يفجر بامرأته وكذلك إذا أكل على مائدته والقرد رجل زالت نعمته لكبيرة ارتكبها ومن نكح قردا ارتكب فاحشة أو خاصم إنسانا وقال أرطاميدورس القرد رجل مكار خداع ويدل على مرض المريض وما يحدث من القمر لان القرد من حيوان القمر وقال جاماسب من صاد قردا انتفع من جهة السحرة والكهنة والله تعالى أعلم ﴿القردوح﴾ الضخم من القردان قاله ابن سيده .

﴿الفرش﴾ بكسر القاف وإسكان الراء المهملة وبالشين المعجمة دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير فى البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرها قال الزمخشرى سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بنى شيبة وهو يصف لى القرش فقال هو مدور الخلقة وعظمه كما من مقامنا هذا إلى الكعبة ومن شأنه أن يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شىء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه مثل البرق ولا يهاب شيئا إلا النار وبه سميت قريش قريشا قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذى جناحين ريشا
هكذا فى البلاد حى قريش يأكلـــون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخـــر الزمان نبى يكثر القتـــل فيهم والخموشا

الخموش الخدوش وأكلا كميشا أى سريعا وقال ابن سيد قريش دابة فى البحر لا تدع دابة إلا أكلها فجميع الدواب تخافها ثم أنشد البيت الأول وقال المطرزى هى سيدة الدواب البحرية وأشدها وكذلك قريش سادات الناس وحكى أبو الخطاب بن دحية فى تسمية قريش وفى أول من تسمى به عشرين قولا (فائدة أجنبية) قريش بن مالك بن النضر بن كنانة جد النبى ﷺ هو الذى تنسب إليه قريش ومن ولده بدر بن قريش الذى سميت به بدر بدرا وأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة تزوجها كنانة بعد موت أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله إذا مات الرجل خلفه على زوجته بعده أكبر بنيه من غيرها كذا قاله السهيلى رحمه الله تعالى تبعا للزين بن بكار قال ولذلك قال الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف أى من تحليل ذلك قبل الإسلام وفائدة الاستثناء هنا لئلا يعاب نسب النبى ﷺ وليعلم أنه ﷺ لم يكن فى أجداده نكاح سفاح ألا ترى أنه لم يقل فى شىء نهى عنه فى القرآن نحو ولا تقربوا الزنا ولا تقتلوا النفس ولا فى شىء من المعاصى التى نهى عنها إلا ما قد سلف إلا فى هذه الآية وفى الجمع بين الأختين فإن الجمع بينهما كان مباحا فى شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب عليه الصلاة والسلام بين الأختين وهما راحيل وليا فقوله تعالى

والكلاب تنحرف عنه وإذا دنا من بعضها على غفلة بصبصت وخشعت بين يديه ورامت أن تهرب وتفر ومرض هذا الكلب صعب المداواة ومن عضه ينبح كالكلب ويرى بوله مرشوشا على صورة الكلب وينظر فى الماء يرى صورة الكلب ولا يشرب من الماء حتى يهلك عطشا (وحكى) أن كلبا عض بغلة فعضت البغلة راكبها فصار الراكب أيضا مكلوبا وإذا مرض الكلب أكل سنابل القمح هذا وإذا سمع صوت الحمار يتألم رأسه وإذا سمع المحتصب صوت الكلب الأبيض أو الأحمر يكون لجناحيه لونا جيدا والكلب يرتبط عند السفاد والحكمة فى ذلك أن نطفة الذكر يابسة لزجة لا تخرج إلا بزمان وينتفخ إحليله كى لا يخرج حتى ينزل تمام المنى وإذا رمى إنسان كلبا بحجر فأخذه بفمه ثم ألقاه فذلك الحجر إن ترك فى برج الحمام هرب منه وإذا ألقى فى الشراب من شربه يعربد ومن عجيب ما حكى عن الكلب أن شخصا قتل شخصا بأصفهان وألقاه فى بئر والمقتول كلب يرى ذلك فأتى الكلب كل يوم ويحفر رأس البئر ويزيح التراب عنها وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر ذلك منه

الكلب الأسود الميت إذا دفنتا تحت جدار يخرب وإن أخذهما الإنسان معه لا تنبح عليه الكلاب نابه يشد على الكلب العقور لا يعقر ويشد على الصبى تنبت أسنانه بلا وجع ومن يتكلم فى نومه يستصحبها لا يرجع يتكلم فى النوم وناب الكلب الكلب الذى عض إنسانا يشد فى قطعة جلد على عضد الإنسان يبرأ من عضة الكلب ولسان الكلب الأسود يحمله إنسان لا تنبح عليه الكلاب هكذا تعمل اللصوص مرارته تنفع من ظلمة العين إذا اكتحل بها كبده يؤكل مشويا ينفع من عضة الكلب الكلب شحم الكلب الميت يطلى به الخنازير يحللها سيما إذا كان فى الحلق ومخه أيضا يفعل ذلك قضيبه يحففه ويستصحبه الإنسان يكثر من الوقاع شعره يشد على المصروع يخفف صرعه وشعر الكلب البهيم أقوى تأثيرا بوله يقطع الثآليل إذا طلى به قال ابن سينا قردان الكلب يسقى منه صاحب القولنج ينفع فى الحال زبله إذا كان أبيض اللون من أكل العظم دون اللحم فإنه دواء جيد للذبحة والخوانيق وزبل الكلب الأسود تحمله

إلا ما قد سلف التفات إلى هذا المعنى قال وهذه النكتة من الإمام أبى بكر بن العربى قال الحافظ قطب الدين عبد الكريم ولما وقفت على هذا أقمت مفكرا مدة لكون أن برة المذكورة كانت زوجا لخزيمة فخلف عليها كنانة بن خزيمة فجاءه منها النضر بن كنانة وأن هذا وقع فى نسب النبى ﷺ وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ولدنى من سفاح أهل الجاهلية شىء إنما ولدت من نكاح كنكاح الإسلام إلى أن رأيت أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال فى كتاب له سماه بكتاب الأصنام وخلف كنانة بن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته وهى برة بنت أد بن طابخة جد كنانة بن خزيمة ولم تلد لكنانة ولدا ذكرا ولا أنثى ولكن كانت ابنة أخيها برة بنت مرة أد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة قال وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلفه على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما وهذا الذى عليه مشايخنا وأهل العلم والنسب قال ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم مازلت أخرج من نكاح كنكاح الإسلام حتى خرجت من بين أبى وأمى ثم قال ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك فى هذا الخبر قال والحمد لله الذى نزهه عن كل وصم وطهره تطهيرا انتهى ﴿ قلت ﴾ وهذا أرجو به الفوز للجاحظ فى منقلبه وأن يتجاوز الله عنه ما سطره فى كتبه وأشرت إلى ذلك فى أول كتاب السير من المنظومة بقولى :

محمد خير جميع الخلق * جاء من الحق لنا بالحق * دعوة إبراهيم الخليل
بشارة المسيح فى التنزيل * الطيب الأصول والفروع * الطاهر المحتد والينبوع
آباؤه قد طهرت أنسابا * وشرفت بين الورى أحسابا * نكاحهم مثل نكاح الإسلام
كذا رواه النجباء الأعلام * ومن أبى أو شك فى هذا كفر * وذنبه بما جناه ما اغتفر
نقل ذا الحافظ قطب الدين * عن صاحب البيان والتبيين

(الحكم) أفتى شيخنا الشيخ جمال الدين الإسنوى رحمه الله تعالى بحل أكل القرش وبه صرح الشيخ محب الدين الطبرى شارح التنبيه فى الكلام على التمساح ثم استشكل به تحريم التمساح وهذا يدل على أنه لا خلاف فيه وفى نهاية ابن الأثير التصريح بحله لكن قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان يأكل ولا يؤكل ولعل مراده أنه يأكل الحيوانات البحرية ولا يستطيع أحد منها أن يأكله والقرش يوجد ببحر القلزم الذى غرق فيه فرعون وهو عند عقبة الحاج كما تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السقنقور وإطلاق الجمهور ونص الإمام الشافعى والقرآن العزيز يدل على جواز أكل القرش لأنه من السمك ومما لا يعيش إلا فى الماء وقد ذكر النووى فى شرح المهذب أن الصحيح أن كل ما فى البحر حلال ويحمل ما استثناه الأصحاب على ما يعيش فى غير الماء (التعبير) رؤيته فى المنام تدل على علو الهمة والشرف فى النسب فإنه يعلو ولا يعلى عليه والله تعالى أعلم ﴿ القرقس ﴾ بكسر القافين البعوض قال الأصحاب يستحب قتل المؤذيات للمحرم وغيره كالحية والعقرب والخنزير والكلب العقور والغراب والحدأة والذئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور والقراد والحلمة والقرقس وما أشبهها ﴿ القرشام والقرشوم والقراشيم ﴾ القراد الضخم ﴿ القرعبلانة ﴾ دويبة عريضة محبنطئة الظهر والبطن وأصله قرعبل فزيدت فيه ثلاث أحرف لأن الاسم لا يكون على أكثر من خمسة أحرف وتصغيره قريعبة قاله الجوهرى ﴿ القرعوش ﴾ القراد الغليظ ﴿ القرقف ﴾ كهدهد طير صغير

﴿القرقفنة﴾ بالنون المشددة كذا ضبطه فى العباب روى الدينورى فى المجالسة وابن الاثير من حديث وهب إذا كان الرجل لا ينكر عمل السوء على أهله طار طائر يقال له القرقفنة فيقع على مشريق بابه فيمكث هناك أربعين يوما فإن أنكر طار وذهب وإن لم ينكر مسح بجناحيه على عينيه فصار قندعا ديوثا فلو رأى الرجال مع امرأته لم يرذلك قبيحا فذلك القندع الديوث الذى لا ينظر الله تعالى إليه * قال إبراهيم الحربى مشريق الباب مدخل الشمس والقندع الديوث الذليل الذى لا يغار ولا يفهم وذكره الهروى بمعناه ﴿القرلى﴾ بضم القاف وكسرها وفتحها ملاعب ظله وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم قال الجواليقى هو فارسى معرب وقال الميدانى إنه طائر صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف لا يرى إلا فرقا على وجه الماء على جانب كطيران الحدأة يهوى بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى إلى الهواء حذرا فإن أبصر فى الماء ما يستقل بحمله من السمك أو غيره انقض عليه كالسهم المرسل فأخرجه من قعر الماء وإن أبصر فى الهواء جارحا مر فى الأرض ومن أسجاع ابنة الخس كن حذرا كالقرلى إن رأى خيرا تدلى أو رأى شرا تولى وقال حمزة قد خالف رواة النسب هذا التفسير فقالوا إن قرلى اسم رجل من العرب كان لا يتخلف عن طعام أحد ولا يترك موضع طعم إلا قصد إليه وإن صادف فى طريق قد سلكه خصومة ترك ذلك الطريق ولم يمر به فلذلك قالوا فيه أطمع من قرلى فهذا ما حكاه النسابون فى تفسير هذا المثل ثم قال وأنا أقول إنه خليق أن يكون هذا الرجل تشبه بهذا الطائر وتسمى باسمه قال الشاعر:

يا من جفانى وملا * نسبت أهلا وسهلا * ومات مرحب لما
رأيت مالى قـــلا * إنى أظنك تحكى * بما فعلت القرلى

(الحكم) يحل أكله لأنه من طير الماء (الأمثال) قالوا أخطف وأطمع من قرلى وأحذر وأحزم من قرلى ﴿القرمل﴾ ولد البختى والقرامل الإبل ذوات السنامين وفى الحديث تردى قرمل لبعض الأنصار على رأسه فى بئر فلم يقدروا على نحره فسألوه ﷺ فقال حرقوه ثم قطعوا أعضاءه وأما قولهم فى المثل ذليل عاذ بقرملة فهى شجرة ضعيفة لا شوك لها قال جرير:

كأن الفرزدق إذ يعوذ بخاله * مثل الذليل يعوذ تحت القرمل

يضرب لمن استعان بضعيف لا نصرة له لأن القرملة شجرة على ساق لا تكن ولا تظل ﴿القرميد﴾ الآجرية ﴿القرمود﴾ بفتح القاف ذكر الوعول حكاه ابن سيده ﴿القرنبى﴾ مقصور دويبة طويلة الرجلين مثل الخنفساء أو أعظم منها بيسير وقال الميدانى فى قولهم ألزق من القرنبى إنها الجعل وقال فى موضع آخر مثل الخنفس منقطة الظهر طويلة القوائم وفى أدب الكاتب أنها أكبر من الخنفساء قال الأخطل يصف جارية وبعلها:

ألا يا عباد الله قلبى متيم * بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا * ينام إذا نام على عكنانها
ويلثم فاها كالسلافة أو أحلى * يدب إلى أحشائها كل ليلة * دبيب القرنبى بات يعلو نقاسها

قال الجاحظ إنها تقتات الروث وتطلبه كما يطلبه الجعل (الأمثال) قالوا القرنبى فى عين أمها حسناء وقالوا ألزق من قرنبى لأن كل من بات بالصحراء وكل من قام إلى الغائط تتبعه لأنها نوع من الجعل قال الشاعر:

ولا أطرق الحارات بالليل قابعا * قبوع القرنبى أخلفته مجاحره

﴿القرهب﴾ كقنعلب الثور المسن قاله الجوهرى رحمه الله تعالى وغيره ﴿القزر﴾ بكسر القاف وبالزاى نوع من السباع قال الحطيئة لما حبسه عمر رضى الله تعالى عنه

فهر وقوة وسطوة صادقة ووثبات شديدة وهو أعدى عدو للحيوانات لا تردعه سطوة أحد ولا ينصرف عن العسكر الدهم وهو ذو وشى وألوان حسنة وخلقه فى غاية الضيق لا يتأدب ألبتة وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ورائحة فمه طيبة بخلاف الأسد وخرزات فقاره ضيقة تنكسر بأدنى شىء أصابها وبينه وبين الأفعى صداقة وعند ولادتها تصير الأفعى حلقة فى عنقها وإذا خدش النمر إنسانا ينشر عليه التراب حتى يموت الإنسان وإذا مرض يأكل الفأر يزول مرضه والنمر يتعرض لكل شىء يراه حالة جوعه وشبعه بخلاف الأسد فإنه لا يتعرض إلا فى حالة الجوع ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ رأسه إذا دفن فى موضع يجتمع فيه من الفأر شىء كثير مرارته يكتحل بها تزيد فى ضوء البصر وتمنع من نزول الماء شحمه يذاب ويجعل على الجراحات العتيقة ينفعها ويبرئها لحمه من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والأفاعى قضيبه يطبخ ويشرب من مرقه ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة جلده يتخذ منه طرحة يجلس عليها صاحب البواسير يزول عنه وإذا حمل معه

شيئا من جلد النمر يبقى مهابا بين الناس وأجزاؤه كلها تفعل فعل السم القاتل (نامور) حيوان وحشى نفور له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال بقر الوحش يأوى إلى الدوحات التى التفت أشجارها وإذا شرب الماء ظهر به النشاط يعدو ويثب على الاشجار وربما تشعب قرناه بشعب الأغصان ولا يقدر على استخلاصها فيصيح والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا اليه فيصيدوه لحمه يطبخ بالنبيذ ويأكل منه الصبى تزول عنه البلادة جلده يتخذ منه مطرحا يجلس عليه صاحب البواسير يزول عنه كعبه يشد على البريد على الساق يأمن من تعب السير (النوع السادس من الحيوان الطير) هذا النوع من الحيوان مختص بخفة البدن وفقد أعضاء كثيرة توجد فى غيره والحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما خلق الحيوان وجعل بعضها عدوا لبعض أعطى كل واحد إما قوة أو سلاحا يدفع بها عدوه كالدواب والسباع أو آلة يهرب بها كما للوحوش والطيور أما الوحوش فألهما قوائمها وأما الطيور فأجنحتها ثم إن هذه الآلة اقتضت خفة الجثة إذ لو كانت الجثة كبيرة اقتضت كبر الجناح والجناح الكبير لا يحصل معه سرعة

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * خمص الحواصل لاماء ولاشجر * ألفيت كاسبهم فى قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر * أنت الإمام الذى من بعد صاحبه * التى إليك مقاليد النهى البشر لم يؤثروك بها إذ قدموك لها * لكن لأنفسهم كانت لها الأثر * فامنن على صبية بالرمل مسكنهم بين الأباطح يغشاها بها القتر * أهلى فداؤك كم بينى وبينهم * من عرض دوية مايفنى بها الخبر

(القرم) الفحل الكريم من الإبل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للقحة والجمع قروم والقرم من الرجال السيد العظيم المجرب للأمور وعلى المثل من ذلك قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

عطف صفة على صفة لشىء واحد كقولك جاءنى الظريف والعاقل وأنت تريد شخصا واحدا روى مسلم والنسائى وأبو داود من حديث ابن شهاب أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث قال اجتمع ربيعة ابن الحرث والعباس بن عبد المطلب وقالا لو بعثنا هذين الغلامين عبد المطلب بن ربيعة والفضل إلى رسول الله ﷺ وكلماه فأمرهما على هذه الصدقات فأديا ما يؤدى الناس وأصابا مما أصاب الناس فبينما هما فى ذلك إذ جاء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال لا تفعلا فوالله ما هو بفاعل وألقى على رداءه ثم اضطجع عليه وقال أنا أبو حسن القرم والله لا أبرح من مكانى حتى يرجع إليكما ابنا كما فلما رجعا قالا ذهبنا إلى النبى ﷺ فقلنا يارسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس وقد بلغنا النكاح وقد جئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدى إليك ما يؤدى الناس ونصيب مما يصيبون فسكت ﷺ طويلا ثم قال إن الصدقة لا تنبغى لآل محمد إنما هى أوساخ الناس ادعوا محمية بن جزء ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب قالا فجاءاه فقال لمحمية أنكح الفضل ابنتك فأنكحه وقال لنوفل بن الحرث أنكح عبد المطلب ابنتك فأنكحه وقال لمحمية أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا وكان رسول الله ﷺ استعمله على الأخماس انتهى ملخصا قوله أنا أبو حسن القرم هو بتنوين حسن والقرم مرفوع قال ذلك لأجل الذى كان عنده من علم ذلك وكان رضى الله تعالى عنه يقول هذه الكلمة عند الأخذ فى بيان قضية تشكل على غيره وهو يعرفها ولذلك جرى كلامه هذا مجرى المثل حتى قالوا قضية ولا أبا حسن لها أى هذه قضية مشكلة وليس هناك من يبينها كما كان يفعل أبو الحسن رضى الله تعالى عنه الذى هو على بن أبى طالب (القرة) بالضم الضفدعة قاله الجوهرى رحمه الله تعالى (القسورة) الأسد قال الله تعالى كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة * روى البزار بإسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال القسورة الأسد قال الشاعر:

مضمر تحذره الأبطال * كأنه القسورة الرئبال

وروى ابن طبرزد بإسناده إلى الحكم بن عبد الله بن خطاب عن الزهرى عن أبى واقد قال لما نزل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الجابية أتاه رجل من بنى تغلب يقال له روح بن حبيب بأسد فى تابوت حتى وضعه بين يديه فقال رضى الله تعالى عنه أكسرتم له بابا أو مخلبا قالوا لا قال الحمد لله سمعت رسول الله ﷺ يقول ما صيد مصيد إلا بنقص فى تسبيحه يا قسورة اعبد الله ثم خلى سبيله وقد تقدم فى باب الغين المعجمة أنه روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى

مثل ذلك فى الغراب وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى القسورة هو بلسان العرب الأسد وبلسان الحبشة القسورة وبلسان فارس سير وبلسان النبط أرنا وقيل القسورة فعولة من القسر وهو القهر سمى الأسد بذلك لأنه يقهر السباع وقال ابن جبير القسورة رجال القنص وقيل القسورة الرجال الشداد وقال ثعلب القسورة سواد أول الليل خاصة لا آخره والمعنى فرت من ظلمة الليل ولا شىء أشد نفارا من حمر الوحش واللفظة مأخوذة من القسر الذى هو الغلبة والقهر .

﴿القشعمان﴾ كالعقربان والثعلبان النسر قال الشاعر:

تركت أباك قد أطلى ومالت * عليه القشعمان من النسور

يقال أطلى الرجل أى مالت عنقه للموت أو لغيره ﴿القشبة﴾ قاله الجوهرى رحمه الله تعالى وقال الأصمعى هى الصغيرة من أولادها (الأمثال) قالوا أكيس من قشبة يضرب مثلا للصغار خاصة ﴿القصيرى﴾ مقصورا مصغرا ضرب من الأفاعى ﴿القط﴾ السنور والأنثى قطة والجمع قطاط وقططة قال ابن دريد لا أحسبها عربية صحيحة ﴿قلت﴾ وهو محجوج بقوله ﷺ عرضت علىّ جهنم فرأيت فيها المرأة الحميرية صاحبة القط الذى ربطته فلم تطعمه ولم تسرحه كذا رواه الربيع الجيزى فيمن ورد مصر من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولما اتصلت ميسون بنت بحدل الكلبية أم يزيد ابن معاوية بمعاوية وكانت ذات جمال باهر وحسن غامر أعجب بها معاوية رضى الله تعالى عنه وهيأ لها قصرا مشرفا على الغوطة وزينه بأنواع الزخارف ووضع فيه من أوانى الفضة والذهب ما يضاهيه ونقل إليه من الديباج الرومى الملون والموشى ما هو لائق به ثم أسكنها مع وصائف لها كأمثال الحور العين فلبست يوما أفخر ثيابها وتزينت وتطيبت بما أعدلها من الحلى والجوهر الذى لا يوجد مثله ثم جلست فى روشنها وحولها الوصائف فنظرت إلى الغوطة وأشجارها وسمعت تجاوب الطير فى أوكارها وشمت نسيم الأزهار وروائح الرياحين والنوار فتذكرت نجدا وحنت إلى أترابها وأناسها وتذكرت مسقط رأسها فبكت وتنهدت فقالت لها بعض حظاياها ما يبكيك وأنت فى ملك يضاهى ملك بلقيس فتنفست الصعداء ثم أنشدت :

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب إلىّ من قصر منيف ... ولبس عباءة وتقر عينى
أحب إلى من لبس الشفوف ... وأكل كسيرة فى كسر بيتى ... أحب إلىّ من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ... أحب إلى من نقر الدفوف ... وكلب ينبح الطراق دونى
أحب إلىّ من قط ألوف ... وبكر يتبع الأظعان صعب ... أحب إلىّ من بغل زفوف
وخرق من بنى عمى نحيف ... أحب إلىّ من علج عنوف

فلما دخل معاوية عرفته الحظية بما قالت وقيل إنه سمعها وهى تنشد ذلك فقال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنوفا هى طالق ثلاثا مروها فلتأخذ جميع ما فى القصر فهو لها ثم سيرها إلى أهلها بنجد وكانت حاملا بيزيد فولدته بالبادية وأرضعته سنتين ثم أخذه معاوية رضى الله تعالى عنه منها بعد ذلك والأرواح جمع ريح قال ذو الرمة :

إذا هبت الأرواح من نحو جانب * به أهل حبى هاج قلبى هبوبها
هوى تذرف العينان منه وإنما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فقد أبدع وأحسن فمن قال هبت الأرياح فقد أخطأ ووهم والصواب هبت الأرواح كما قال ذو الرمة وقد تقدم عن ميسون والعلة فى ذلك أن أصل ريح روح لاشتقاقها من الروح

الطيران بل يكون طيرانه بطيئا لا يزيد على سرعة المشى فلا يحصل الغرض المطلوب ومن العجب طيران الطير فى الهواء وعدم سقوطه والهواء أخف منه وهو أثقل منه كما قال الله تعالى ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح والجثة نقص منها أعضاء كثيرة توجد فى غيرها من الحيوانات التى تلد وترضع ويخف عليها النهوض ويسهل الطيران كالأسنان والآذان والكرش والمثانة وخرزات الظهر والجلد الثخين وإذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه إلى أسفله كنسبة يمينه إلى شماله فإن كان طويل الرقبة تطول أيضا رجلاه وإذا قصرت رقبته قصرت رجلاه ولو نتف ذنب الطير لمال إلى قدام كالسفينة التى خف مؤخرها قال الجاحظ كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين كالزرازير والعصافير وإذا قطعت رجلاه لا يقدر على الطيران كما إذا قطعت يدا الإنسان فإنه لا يقدر على العدو وكل طائر يعب الماء يزق فرخه ومن الطيور ما أعطى العجب فى لونه كالطاوس والببغاء والنعام وأبى براقش ومنها ما أعطى فى خلقه كالحمام ومنها ما أعطى فى حنجرته كالبلابل ومنها والقبا

كالخطاف واليقوط والقنبرة وسنذكر بعض ما يتعلق بها من العجائب وترتيب أسماء الطيور على حروف المعجم إن شاء الله تعالى

(أبو براقش) طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار فى حجم اللقلق يتلون كل ساعة بلون من أحمر وأخضر وأصفر وأزرق وفيه يقول الشاعر :

كابى براقش كل لو
ن لونه يتخيل

وعلى لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبو قالمون تجلب من بلاد الروم ولم يحضر فى شىء من خواصه

(أبو هرون) طير فى حنجرته أصوات مليحة شجية يفوق النوائح ويروق فوق كل معنى لا يسكت بالليل ألبتة ويصيح إلى وقت الصباح وتجتمع عليه الطيور لالتذاذها باستماع صوته وربما يمر العاشق عليها فلا يقدر على العبور بل يقعد ويبكى على صوته

(إوز) طير يحب السباحة وفرخه يخرج من البيض ينزل فى الماء ويسبح فى الحال والأنثى إذا حضنت لا تقبل إلا بيض نفسها ولا تقبل إلا تسعا أو إحدى عشرة وإذا حضنت الأنثى قام الذكر يحرسها لا يفارقها طرفة عين وتخرج أفراخها يوم التاسع عشر فإن أبطأ فإلى آخر الشهر

وروى هذا الخبر على غير هذا الوجه فأوردته لتحصل منه الفائدة وهو قيل لما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية ونقلها من البدو إلى الشام كانت تكثر الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها معاوية ذات يوم وهى تنشد الأبيات المتقدمة فلما سمع معاوية الأبيات قال ما رضيت ابنة بحدل حتى جعلتنى علجا عنوفا هى طالق وحكى ابن خلكان وغيره فى ترجمة الإمام أبى الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوى أنه كان يوما على سطح جامع مصر يأكل شيئا وعنده بعض أصحابه فحضرهم قط فرموا له لقمة فأخذها فى فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم فرموا له لقمة ثانية فأخذها وذهب ثم عاد فرموا له شيئا فأخذه وذهب ثم عاد ففعل ذلك مرارا كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذ ويغيب ثم يعود من فوره فتعجبوا منه فتبعوه فإذا هو يأخذ ذلك الطعام ويدخل به إلى خربة فيها شبه البيت الخراب وفى سطح ذلك البيت قط أعمى فإذا هو يضع الطعام بين يديه فتعجبوا من ذلك فقال الشيخ ابن بابشاذ إذا كان هذا حيوانا أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى ثم قطع الشيخ علائقه وترك خدمة السلطان ولزم بيته وترك جميع أشغاله توكلا على الله تعالى إلى أن مات فى شهر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة وبابشاذ كلمة أعجمية يتضمن معناها الفرح والسرور (وحكمه) تقدم بعضه فى باب السين المهملة فى لفظ السنور وسيأتى إن شاء الله تعالى بعضه فى باب الهاء فى لفظ الهر (وتعبيره) سيأتى إن شاء الله تعالى أيضا فى باب الهاء ﴿القطا﴾ طائر معروف واحده قطاة والجمع قطوات وقطيات وممن ذكر أن القطا من الحمام الرافعى فى كتاب الحج والأطعمة ومن أهل اللغة ابن قتيبة وأنشد قول النابغة الذبيانى :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمـــام شراع وارد الثمد

قال الأصمعى هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا قال البطليوسى فى الشرح وليس فى بيت النابغة دليل على أنه أراد بالحمام القطا وإنما علم ذلك بالخبر المروى عن زرقاء اليمامة أنها نظرت إلى قطا فقالت :

يا ليت ذا القطا لنا * إلى قطاة أهلنا ومثل نصفه معه * إذا لنا قطا مائه

قال وقوله واحكم كحكم فتاة الحى أى أصب فى أمرك كإصابة فتاة الحى فهو من الحكم الذى يراد به الحكمة لا من الحكم الذى يراد به القضاء قال الله تعالى ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما أى حكمة قال وكان الأصمعى يروى شراع بالشين المعجمة يريد الذى شرع فى الماء وروى غيره سراع بالسين المهملة والثمد الماء القليل انتهى وكانت عدة الحمام الذى رأته ستا وستين فتمنت أن يكون لها هذا الحمام ومثل نصفه وهو ثلاثة وثلاثون وبمجموع ذلك تسع وتسعون فإذا ضم إلى حمامتها كان مائة وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك فى باب الحاء المهملة فى الحمام * ويقال للقطاة أم ثلاث لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات قال الشاعر :

وأم ثلاث إن شبين عققنها وإن متن كان الصبر منها على نصب

يقول إن شبت فراخها فارقتها فكان ذلك عقوقا لها وإن متن لم تصبر إلا وهى حزينة قلقة والنصب التعب والبلاء * ويقال للقطا والحمام وأنواعها أمهات الجوازل والجوازل فراخها الواحد جوزل قال ذو الرمة :

سوى ما أصاب الذئب منه وسربه * أطافت به من أمهات الجوازل

وقد تقدم قريب من هذا فى باب الجيم * وسميت القطا بحكاية صوتها فإنها تقول ذلك ولذلك تصفها العرب بالصدق قال الكميت فى وصفها :

لاتكذب القول إن قلت القطا صدقت * إذ كل ذى نسبة لابد ينتحل

وأنشد أبو عمر بن عبد البر فى التمهيد قول الشاعر قال المبرد وأظنه توبة بن الحمير :

كأن القلب حين يقال يغدى * بليلى العامرية أو يراح * قطاة غرها شرك فباتت

تجاذبه وقد علق الجناح * فلا فى الليل نالت ما ترجى * ولا فى الصبح كان لها براح

ثم قال وقوله غرها قد تصحف عليه فقال غرها من الغرور وليس كذلك إنما هو عزها أى غلبها كما قالت العرب من عزّ بز ومن غلب سلب وغلق الجناح بالغين المعجمة من قولهم لا يغلق الرهن على راهنه وقد تصحف بالعين المهملة انتهى ﴿نكتة﴾ ذكر الحريرى فى الدرة أن ليلى الأخيلية وهى المذكورة فى الشعر كانت تتكلم بلغة بهراء وذلك أنهم يكسرون حرف المضارعة فيقولون أنت تعلم وأنها استأذنت على عبد الملك بن مروان وبحضرته الشعبى فقال له أتأذن لى يا أمير المؤمنين أن أضحكك منها فقال افعل فلما استقر بها المجلس قال لها الشعبى يا ليلى ما بال قومك لا يكتنون فقالت له ويحك أما نكتنى - بكسر حرف المضارعة - فقال لها لا والله ولو فعلت لاغتسلت فخجلت من ذلك واستغرق عبد الملك فى الضحك * وفى غير رواية ابن هشام فى أبيات هند بنت عتبة أم معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهم

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النواتق

كما ذكره ابن الزبير بن بكار وقاله السهيلى فى الروض الأنف والمراد بالطارق النجم تريد أن أباها نجم فى شرفه وعلوه قال الله تعالى والطارق يعنى النجم يطرق ليلا ويخفى نهارا قال الثعلبى أنشد أبو القاسم الحسن بن محمد المفسر قال أنشدنى أبو الحسن الكازرونى قال أنشدنى ابن الرومى :

ياراقد الليل مسروراً بأوله * إن الحوادث قد تطرقن أسحارا

لاتفرحن بليل طاب أوله * فرب آخر ليل أجج النارا

ثم فسره تعالى بأنه النجم الثاقب أى المضىء قال أبو زيد كانت العرب تسمى الثريا النجم الثاقب وقيل هو زحل سمى به لارتفاعه وروى ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال الطارق نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط وكان معها ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد والنواتق الكثيرات الأولاد كأنها ترمى بالأولاد رميا والنتق الرمى والنفض والحركة والقطا نوعان كدرى وجونى وزاد الجوهرى نوعا ثالثا وهو الغطاط فالكدرى غبر اللون رقش البطون والظهور صفر الحلوق قصار الأذناب وهى ألطف من الجونية والجونية سود بطون الأجنحة والقوادم وظهرها أغبر أرقط تعلوه صفرة وهى أكبر من الكدرى تعدل جونية بكدريتين وإنما سميت الجونية لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت وإنما تغرغر بصوت فى حلقها والكدرية فصيحة تنادى باسمها ولا تضع القطاة بيضها إلا أفرادا وفى طبعها أنها إذا أرادت الماء ارتفعت من أفاحيصها أسرابا لا متفرقة عند طلوع الفجر فتقطع إلى حين طلوع الشمس مسيرة سبع مراحل فحينئذ تقع على الماء فتشرب نهلا والنهل شرب الإبل والغنم أول مرة فإذا شربت أقامت حول الماء متشاغلة إلى مقدار ساعتين أو ثلاث ثم تعود إلى الماء ثانية وهذا يبعد ما حكاه الواحدى المفسر فى شرحه لديوان أبى الطيب المتنبى فى قوله :

وإذا المكارم والصوارم والقنا * وبنات أعوج كل شىء بجمع

لسانه ينفع من تقطير البول إذا أكل مخه يكمد به الرأس ينفع من الصداع مرارته تذاب بدهن البنفسج ويسعط به صاحب الشقيقة فى المنخر الذى يلى الألم ينفعه شحمه ينفع الشقاق العارض من البرد وداء الثعلب قال ابن سينا شحم الأوز يصفى اللون ومخه يسمن ويصفى الصوت ويزيد فى الباه خاصة عينه اليسرى تشد على يمين صاحب حمى الربع تذهب عنه وتنفع من وجع الأعضاء كلها عظمه يحرق ويذر على جراحات النصول ينفعها نفعا بينا بيضه يزيد فى الباه أكلا ذرقه يجفف ويسحق ويشرب ينفع من السعال اليابس والله الموفق (بازى) هو أشد الجوارح تكبرا وأضيقها خلقا يوجد بأرض الترك قالوا البازى لا يكون إلا أنثى وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ولهذا ترى الأخلاق فى أشكال البازات وذلك بحسب الذكر فإن كان الغالب عليه بياض اللون فهو أحسن البزاة وأملاها

إن أعوج فحل كريم كان لبنى هلال بن عامر وأنه قيل لصاحبه مارأيت من شدة عدوه فقال ضللت فى بادية وأنا راكبه فرأيت سرب قطا يقصد الماء فتبعته وأنا أغض من لجامه حتى توافينا الماء دفعة واحدة اه ﴿قلت﴾ وهذا أغرب شىء يكون فإن القطا شديد الطيران وإذا قصدت الماء اشتد طيرانها أكثر ثم ما كفاه حتى قال وأنا أغض من لجامه ولولا ذلك لكان سبق القطا * وتوصف القطا بالهداية والعرب تضرب بها المثل فى ذلك لأنها تبيض فى القفر وتسقى أولادها من البعد فى الليل والنهار فتجىء فى الليلة المظلمة وفى حواصلها الماء فإذا صارت حيال أولادها صاحت قطا قطا فلم تخط بلا علم ولا إشارة ولا شجرة فسبحان من هداها لذلك قال الشاعر

والناس أهدى فى القبيح من القطا * وأضل فى الحسنى من الغربان

وقال أبى زياد الكلابى إن القطا تطلب الماء من مسيرة عشرين ليلة وفوقها ودونها والجونية منها تخرج إلى الماء قبل الكدرية قال عنترة :

وأنت التى كلفتنى دلج السرى * وجون القطا بالجهلتين جثوم

وقال الشاعر فى وصفها :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها * نعتا يوافق معنى بعض مافيها
سكاء مخضوبة فى ريشها طرف * سود قوادمها صهب خوافيها

وقال مزاحم العقيلى فى القطاة وفرخها :

فلما دعته بالقطاة أجابها * بمثل الذى قالت له لم تبدل

وأنشد ياقوت فى معجم البلدان لأبى العباس الصيمرى :

كم مريض قد عاش من بعد يأس * بعد موت الطبيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليما * ويحل القضاء بالصياد

ذكر أنه كان بين أبى الفضل المعروف بابن القطا الشاعر المشهور بالبغدادى وبين الحيص بيص التميمى الشاعر مناظرات منها أنهما حضرا على بساط الوزير فأخذ أبو الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى الحيص بيص فقال الحيص بيص للوزير يامولاى هذا الرجل يؤذينى قال كيف قال يشير إلى قول الشاعر :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت
أرى الليل يحلوه النهار ولا أرى * جلال المخازى عن تميم تجلت
ولو أن برغوثا على ظهر قملة * يكر على صفى تميم لولت

ولأبى الفضل نوادر منها أنه قعد يوما يأكل مع زوجته طعاما فقال لها اكشفى رأسك ففعلت فقرأ سورة الإخلاص فقالت ما الخبر فقال إذا كشفت المرأة رأسها لم تحضر الملائكة وإذا قرئت سورة الإخلاص هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة ﴿فائدة﴾ العرب تصف القطا بحسن المشى لتقارب خطاها ومشيها يشبه مشى النساء الخفرات بمشيتهن ومن أحسن مارأيت فى ذلك قول هند بنت عتبة يوم أحد فى غير رواية ابن هشام :

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النواتق

إلى آخر الرجز كما رواه الزبير بن بكار كما سبق قال السهيلى فى الروض يقال إنها تمثلت بهذا الرجز وأنه لهند بنت طارق بن فياض الأودية قالته فى حرب الفرس لإياد فعلى هذا يكون إنشاده

جسما وأجرؤها قلبا وأسهلها رياضة والأشهب لا يوجد إلا بأرض أرمينية وأرض الجزر وجاء فى أخبار الرشيد أنه خرج ذات يوم إلى الصيد فأرسل بازيا أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب فى الهواء ثم عاد بعد اليأس منه وقد تعلق بشبه سمكة لها ريش كأجنحة السمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم هل تعلمون فى الهواء شيئا قال مقاتل يا أمير المؤمنين روينا عن جدك عبد الله بن عباس أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه أقربهامنا ذوات بيض تفرخ فيه يرفعها الهواء فينشأ فى هيئة الحيات والسمك لها أجنحة ليست بذات ريش يأخذها بزاة بيض تكون بأرمينية فأمر الرشيد بإخراج طشت وأراهم فإذا فيه البازى الأشهب وذلك الحيوان فأجاز مقاتلا يومئذ والبازى لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر ودفع البرد وإذا أراد أن يبيض يبنى بيتا مسقفا لئلا يقع على فرخه المطر والثلج ويأتى بخشبة يقال لها المرار يتركها فى وكره لدفع العدو وإذا مرض يأكل لحم العصفور يبرأ وإذا كان فى التحشير يعطى لحم الفأرة لينبت ريشه حسنا

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ مرارته من اكتحل بها يأمن من نزول الماء إذا رأى

بنات طارق بالنصب على الاختصاص كما قال * نحن بنى ضبة أصحاب الجمل * وإن كانت أرادت النجم فبنات مرفوع لأنه خبر مبتدأ أى نحن شريفات رفيعات كالنجوم قال وهذا التأويل عندى بعيد لأن طارقا وصف للنجم لطروقه فلو أرادته لقالت نحن بنات الطارق إلى أنى رأيت الزبير بن بكار قال فى كتاب أنساب قريش حدثنى يحيى بن عبد الملك الهرمزى قال جلست ليلة وراء الضحاك بن عثمان الجذامى فى مسجد رسول الله ﷺ وأنا منقنع فذكر الضحاك وأصحابه قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ثم قالوا ما طارق فقلت النجم فالتفت الضحاك وقال يا أبا زكريا كيف ذلك ففلت قال الله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب كأنها قالت نحن بنات النجم فقال أحسنت انتهى ومرادها بالقطا النواتق الكثيرات الأولاد قال الجوهرى نتقت المرأة إذا كثر ولدها فهى ناتق ومنتاق ومن هذا الحديث الذى رواه ابن ماجه أن النبى ﷺ قال عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأرضى باليسير (وحكمها) حل الأكل بالإجماع وعد الرافعى والأصحاب فى كتاب الحج القطا من الحمام فأوجبوا على المحرم إذا قتل الواحدة شاة وإن كان لا مثل لها من النعم قال الشيخ محب الدين الطبرى وكذلك عدها من الحمام الجوهرى والمشهور خلافه (الأمثال) قالوا أنسب من قطاة وهو من النسبة وذلك أنها إذا صوتت فإنها تنتسب لأنها تصوت باسم نفسها فتقول قطاقطا وقالوا أصدق من القطاة وأقصر من إبهام القطاة وقالوا لو ترك القطا ليلا لنام وسببه أن عمرو ابن مامة نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأثاروا القطا من أماكنها فرأتها امرأة طائرة فنبهت زوجها فقال إنما هذه القطا فقالت لو ترك القطا ليلا لنام * يضرب لمن حمل على مكروه من غير إرادته وقيل قالته امرأة يقال لها حذام لما رأت القطا طار ليلا قالت :

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ... فلو ترك القطا ليلا لنام

فلم يلتفتوا إلى قولها وأخلدوا إلى مضاجعهم فقام فيهم رجل وقال :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فإن القول ما قالت حذام

فنفر القوم وارتحلوا والتجؤا إلى واد قريب منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم يضرب هذا البيت لمن ظهر منه الصدق وحذام مبنى على الكسر مثل أمس وقالوا بيض القطا يحضنه الأجدل وقد تقدم وقالوا ليس قطا مثل قطى أى ليس الأكابر مثل الأصاغر (الخواص) إذا أحرقت عظام القطا وأخذ من رمادها وأغلى بالزيت الحار وطلى به رأس الأقرع وموضع داء الثعلب أنبت الشعر وقال ابن زهر أنه جربه ولحمها عسر الهضم ردىء الغذاء وإذا أخذ رأسها ويبس وصر فى خرقة كتان جديدة وعلق على فخذ امرأة وهى نائمة أخبرت بجميع ما فى نفسها وبما فعلته فإن خلطت فى الكلام فارم به عنها لئلا تتوسوس وإذا شق بطن قطاتين ذكر وأنثى وطبخ بطنهما وأخذ دسمهما وجعل فى قارورة ودهن به إنسان وهو لا يعلم أحب الداهن حبا شديدا (خاتمة) روى ابن حبان وغيره من حديث أبى ذر رضى الله تعالى عنه وابن ماجه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله تعالى له فى الجنة بيتا وفى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة. مثل مفحص القطاة بفتح الميم موضعها الذى تجثم فيه وتبيض كأنها تفحص عنه التراب أى تكشفه والفحص البحث والكشف وخصصت القطاة بهذا لأنها لا تبيض فى شجر ولا على رأس جبل إنما

آثار نزول الماء الذى كشبه ذباب يطير بين عينيه أو مثل دخان ويسعط صاحب اللقوة بقدر حبة تنفعه نفعا جيدا قال ابن سينا مرارة الجوارح كلها تنفع من ظلمة البصر اكتحالا عظمها يحرق ويذر على الموضع المحرق ينفعه نفعا بينا مخلبها يعلق على شجرة لا يصيبها شىء من الطيور ولا يصيبها ضرر من الطير ألبتة (باشق) طائر حسن الصورة أصغر الجوارح جثة يصطاد العصافير وما فى حجمها دماغه ينفع الخفقان العارض من السوداء إذا سقى منه درهم بماء ورد مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا (ببغاء) يقال له بالفارسية طوطو طير حسن اللون جدا والشكل أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض له منقار عريض ولسان كذلك يسمع كلام الناس ويعيده ولا يدرى معناه ويأتى بحروف مستقيمة وإذا أرادوا تعليمها أخذوا مرآة فى قفصها فإنها ترى صورة نفسها فيها ويتكلم أحد خلف المرآة فإنها إذا سمعت أعادت لأنها تريد أن تأتى بما أتى به مثلها فتتعلم سريعا ومن عجائبها أنها لا تشرب الماء أبدا فإنها

تجعل مجثمها على بسيط الارض دون سائر الطيور فلذلك شبه به المسجد ولانها توصف بالصدق كما تقدم فكانه أشار بذلك إلى الإخلاص فى بنائه كما قال سيدى الشيخ العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى خالص العبودية لاندماج فى طى الاحكام من غير شهوة ولا إرادة وهذا شأن هذا الطائر وقيل إنما شبه بذلك لان أخوصها يشبه محراب المسجد فى استدارته وتكوينه وقيل خرج ذلك مخرج الترغيب بالقليل عن الكثير كما خرج مخرج التحذير بالقليل عن الكثير قوله ﷺ لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده ولان الشارع يضرب المثل فى الشىء بما لا يكاد يقع كقوله ﷺ ولو سرقت فاطمة بنت محمد وهى رضوان الله عليها لا يتوهم منها سرقة وكقوله ﷺ واسمعوا وأطيعوا ولو عبدا حبشيا يعنى فأطيعوه وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال الأئمة من قريش وقيل المراد طاعة من ولاه الإمام عليكم وإن كان عبدا حبشيا (التعبير) القطا فى المنام يدل على الصدق والفصاحة والألفة والانس وربما دلت القطاة على امرأة معجبة بنفسها وهى ذات جمال غير ألفة والله تعالى أعلم ﴿القطا﴾ بتشديد الطاء قال القزوينى سمكة عظيمة ذكروا أن عظم ضلعها يتخذ منه قنطرة يعبر الناس عليها وشحمه إذا طلى به البرص يزول ﴿القطامى﴾ الصقر تضم قافه وتفتح وهو من أعظم الطيور التى يصاد بها وهو عزيز الوجود ﴿قطرب﴾ طائر يجول الليل كله لا ينام وقالوا أجول من قطرب وأسهر من قطرب وقطرب لقب محمد بن المستنير النحوى صاحب المثلث وغيره كان من أهل العربية وكان حريصا على الاشتغال والتعلم فكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة فقال له يوما ما أنت إلا قطرب ليل فبقى عليه هذا اللقب توفى سنة ست ومائتين والقطرب والقطروب قال ابن سيده إنه الذكر من السعالى وقيل هما صغار الجن وقيل القطارب صغار الكلاب واحدها قطرب والقطرب دويبة لا تستريح نهارها سعيا وقال الإمام محمد بن ظفر القطرب حيوان يكون بالصعيد من أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس فربما صده عن نفسه إذا كان شجاعا وإلا لم ينته حتى ينكحه فإذا نكحه هلك وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا أمنكوح أم مروع فإن قال منكوح أيسوا من حياته وإن قال مروع عالجوه قال وقد رأيت أهل مصر يلهجون بذكره انتهى * والقطرب الفأر والذئب الأمعط والسفيه ونوع من المالیخولیا وفى الحديث لا يلقين أحدكم جيفة ليل قطرب نهار وهذا من كلام ابن مسعود رضى الله تعالى عنه رواه عنه آدم ابن أبى إياس العسقلانى فى كتاب الثواب موقوفا عليه وقيل مرفوعا وقالوا فى معناه إن القطرب لا يستريح فى النهار والمراد لا ينام أحدكم الليل كله كأنه جيفة ثم يكون بالنهار كأنه قطرب لكثرة جولانه وطوفانه فى أمر دنياه فإذا أمسى كان كالا تعبا فينام ليله كله حتى يصبح كالجيفة لا يتحرك ﴿القشعبان﴾ كمهرجان دويبة كالخنفساء قاله فى العباب ﴿القعود﴾ من الإبل ما اتخذه الراعى للركوب وحمل الزاد والجمع أقعدة وقعد وقعدان وقعائد وقيل القعود القلوص وقيل البكر قبل أن يثنى ثم هو جمل والقعود الفصيل ﴿القعيد﴾ بفتح القاف الجراد الذى لم يستو جناحاه والقعيد من الوحش الذى يأتيك من ورائك وهو خلاف النطيح ﴿القعقع﴾ كقنفذ طائر أبلق ضخم من طير الماء طويل المنقار قاله الجوهرى رحمه الله تعالى زاد ابن سيده وفيه بياض وسواد ﴿القلو﴾ بالكسر الحمار الخفيف فى السير ﴿القلقانى﴾ طائر كالفاختة قاله الجوهرى وغيره ﴿القلوص﴾ من النوق الشابة وهى بمنزلة الجارية من النساء وجمعها قلص وقلائص مثل قدوم وقدم وقدائم قال الراجز :

فى الكلام مرارتها تثقل اللسان أكلا دمها يجفف ويسحق وينثر بين صديقين تظهر بينهما العداوة وذرقها يخلط بماء الحصرم ينفع من الظلمة والرمد اكتحالا (بلبل) يقال له بالفارسية هزارستان طائر صغير الجثة سريع الحركة فصيح اللسان كثير الالحان يسكن البساتين وله مغنى ويوجد أيام الورد يقولون إنه يحب الورد فإذا رأى من يقطفه يكثر صياحه ولا يصبر عن الماء ساعة لفرط حرارته ولا يتراوح إلا فى البساتين والريح يعصف به من صغره وهو يعلم ذلك فإذا كان يوم الريح لم يخرج أصلا لحمه مع عين السرطان يشد فى جلد الإبل على ذراع إنسان لا يغلبه النوم ما دام معه ﴿بوم﴾ طائر معروف لا يبرز بالنهار لضعف بصره ويحب الوحدة وتتشاءم الناس به والحيات والأفاعى تهرب من صوته وتصطاد السنانير الضعاف وتعادى الغراب وهو ذليل بالنهار أما بالليل فلا يقدر عليه شىء من الطيور والطير تعرف ذلك منه فإذا كان النهار تجتمع عليه الطير وتنتف ريشه ولهذا ينصب الصياد فى الشبكة البومة

متى تقول القلص الرواسما * يحملن أم قاسم وقاسما

نصب القلص كما ينصب بالظن وهى لغة سليم ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

أما الرحيل فدون بعد غد * فمتى تقول الدار تجمعنا

وقال العدوى القلوص أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثنى فإذا أثنت فهى ناقة وقد تقدم فى باب العين المهملة فى الكلام على العير قول سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

روى ابن المبارك فى الزهد والرقائق عن القاسم مولى معاوية قال أقبل أعرابى إلى النبى ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا إلى النبى ﷺ ليسأله نفر به القلوص وجعل أصحاب النبى ﷺ يضحكون ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله إن الأعرابى قتله قلوصه حين صرعه فقال صلى الله عليه وسلم نعم وأفواهكم ملأى من دمه كذا رواه ابن المبارك مرسلا وهو فى الإحياء فى الآفة العاشرة من آفات اللسان * وفى سنن أبى داود عن إسحق بن عبد الله ابن الحرث مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم اشترى ببضعة وعشرين قلوصا حلة فأهداها إلى ذى يزن * وفى كامل بن عدى فى ترجمة عمارة بن زاذان الصيدلانى عن ثابت عن أنس بن مالك أن ذا يزن أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم حلة قومت بعشرين بعيرا فلبسها صلى الله عليه وسلم ثم كساها عمر رضى الله تعالى عنه ثم قال إياك أن تخدع عنها وروى الحاكم عن أبى الزبير عن جابر قال استأجرت خديجة رضى الله تعالى عنها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جرش كل سفرة بقلوص ثم قال صحيح الإسناد والمعروف من ذلك ما فى طبقات ابن سعد قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة قال له أبو طالب أنا رجل لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالا من قومك فى عيرها فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك وبلغ ذلك خديجة فأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم وقالت أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك وفى رواية أن أبا طالب أتاها فقال لها هل لك أن تستأجرى محمدا فقد بلغنا أنك استأجرت فلانا ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع بكرات فقالت خديجة رضى الله عنها لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب فقال أبو طالب هذا رزق ساقه الله إليك فخرج ﷺ مع غلامها ميسرة وجعل عمومته يوصون به أهل العير حتى قدموا بصرى من الشام فنزلا فى ظل شجرة فقال نسطور الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى قال سهيل يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبى لبعد العهد بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قبل ذلك والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل إلا أن تصح رواية من قال فى هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام فتكون الشجرة على هذا مخصوصة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر أبو عمر بن عبد البر أن نسطورا رآه وقد أظلته غمامة فقال هذا نبى وهو آخر الأنبياء ثم باع رسول الله ﷺ سلعته فوقع بينه وبين رجل تلاح فقال احلف باللات والعزى فقال رسول الله ﷺ ما حلفت بهما قط وإنى لأمر بهما فأعرض عنهما فقال الرجل القول قولك وقال ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلان رسول الله ﷺ من الشمس وكان الله تعالى قد ألقى عليه المحبة من ميسرة رضى الله عنه فكان كأنه عبده باعوا تجارتهم وربحوا ضعف ما كانوا يربحون فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران

يكتحل بمرارته تنفع من ظلمة العين زعموا أن إحدى عينيه تنام والأخرى تسهر وسبيل معرفتها أن الراسبة فى الماء تنوم وتجعل تحت وسادة من أردت فإنه لا يستيقظ ما دامت تحت وسادته والطافية تسهر فالتى تسهر تجعل تحت فص الخاتم من تختم به لا يغلبه النوم وعيناه تخلط بالمسك ويستصحبه فكل من شم رائحته يحبه محبة شديدة قلبه يطعم صاحب القولنج واللقوة يزيلهما وليكن مشويا مرارته تخلط برماد خشب البلوط يأكله من فى مثانته حصاة يفتتها وتخلط برماد خشب الطرفاء يأكله صاحب البول فى الفراش يزول عنه ذلك كبده سم قاتل يورث القولنج ولا دواء له والعياذ بالله لحمه يورث الغثيان ويجفف ويجعل فى طعام ويطعم جماعة تقع بينهم الخصومة دمه يلطخ به طريا وجه الملووق يزول عنه ذلك قانصته تعمل عمل كبده عظمه يدخن به بين ندمان الشراب يعربد بعضهم على بعض قالوا إنها تبيض بيضتين إحداهما منبتة للشعر والأخرى مزيلة ومن أراد أن يعرف ذلك فليغسلها بالماء ويعصرها

 فالمنبتة تميل إلى السواد والمزيلة إلى الصفرة (تدرج) طائر يقال له بالفارسية مدوريغرد فى

تقدم رسول الله ﷺ وأخبر خديجة رضى الله تعالى عنها بالربح ثم قدم ميسرة رضى الله عنها فأخبرها بذلك وبما شاهده من رسول الله ﷺ وبما قاله الراهب فأضعفت لرسول الله ﷺ ماسمت له * وقد تقدم للقلوص ذكر فى لفظ الفلو فى قوله ﷺ إن الله يربى الصدقة للمتصدق كما يربى أحدكم فلوه أو قلوصه والقلوص أيضا الأنثى من النعام ﴿القليب﴾ كالسكين الذئب وكذلك القلوب كالخنوص قال الشاعر :

أيا أمنا أبكى على أم واهب أكيلة قلوب بإحدى المذانب

﴿القمرى﴾ طائر مشهور كنيته أبو زكرى وأبو طلحة وهو حسن الصوت والأنثى قمرية والذكر ساق حر والجمع قمارى غير مصروف قال ابن السمعانى فى الأنساب القمرة بلدة تشبه الجص لبياضها وأظنها بمصر منها الحجاج بن سليمان بن أفلح القمرى مصرى روى عن مالك ابن أنس والليث بن سعد وغيرهما مات فجأة سنة ثمان وتسعين ومائة وروى عنه محمد بن سلمة المرادى وغيره قال والقمرى طائر منسوب إلى هذه البلدة هكذا ذكره صاحب المجمل وقال ابن سيده القمرى طائر صغير من الحمام والأنثى قمرية وجمعها قمارى وقمر انتهى وكان عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما لما طاق زوجته عاتكة بنت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل ينشد :

أعاتك لا أنساك ماذر شارق وما ناح قمرى الحمام المطوق
ولم أر مثلى طاق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم يطاق
أعاتك قلبى كل يوم وليلة إليك بما تخفى النفوس معلق
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياة ومنطق

فرق له أبوه وأمره أن يراجعها والقصة فى ذلك حسنة طويلة جدا مذكورة فى الاستيعاب والتمهيد وغيرهما * وقال القزوينى إذا ماتت ذكور القمارى لم تتزاوج إناثها بعدها وتنوح عليها إلى أن تموت ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القمارى وذكر أن الهوام تهرب من صوت القمارى * روى المظفر بن السمعانى عن والده قال أنشدنا سعيد بن المبارك النحوى لنفسه :

أرى الفضل مناح التأخر أهله وجهل الفتى يسعى له فى التقدم
كذاك أرى الخفاش ينجيه قبحه ويحتبس القمرى حسن الترنم

﴿فائدة﴾ كان الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه جالسا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه فجاء رجل فقال لمالك إنى رجل أبيع القمارى وإنى بعت فى يومى هذا قمريا فرده على المشترى وقال قمريك لا يصيح فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح فقال له الإمام مالك طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة فقال لذلك الرجل أيما أكثر صياح قمريك أم سكوته فقال لا بل صياحه فقال لا طلاق عليك فعلم بذلك الإمام مالك فقال ياغلام من أين لك هذا فقال لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت يارسول إن أباجهم ومعاوية خطبانى فقال ﷺ أما معاوية فصعلوك لامال له وأما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وقد علم رسول الله ﷺ أن أباجهم كان يأكل وينام ويستريح وقد قال ﷺ لا يضع عصاه على المجاز والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته

البساتين بألحان طيبة يسمن عند صفاء الهواء وهبوب الشمال ويهزل عند كدورتها وهبوب الجنوب ووقت البيض يتخذ دائرة من التراب اللين ويضع البيض فيها لئلا تتعرض له الآفات وإذا كان وقت الزلزلة تجتمع التداريج وتصيح قبل ذلك بساعة ثم تقع الزلزلة نعوذ بالله من ذلك (تبوط) طائر يقال له بالفارسية كسوا تتخذ من لحاء الأشجار شبه الليف وتتخذ منه كهيئة القفة ويفتل خيطا تشد القفة به وتدليها من بعض الأغصان ثم تبيض فيها (فصل فى خواص أجزائه) يذبح بسكين من الشبه ويسقى لمن يعربد فى سكره فإنه يتأدب ولا يرجع إلى ذلك مرارته تطعم الصبى بالسكر يحسن خلقه عظمه تعلق على الصبى وقت زيادة نور القمر يبقى محبوبا إلى الناس ولو كان كريه الملقى (حبارى) طائر يقال له بالفارسية حور قالوا ما فى الطيور أشد بلها منها لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها وفى المثل كل شىء يحب ولده حتى الحبارى وإذا وقع ذرقه على شىء من الطيور يعمل عمل الدبق والعرب تقول الحبارى سلاحه سلاحه لأنها إذا قصدها الصقر لا تزال تعلو وتنزل مع الصقر حتى تجد فرصة

كصياحه دائماً فتعجب الإمام مالك رضي الله تعالى عنه من احتجاجه وقال له أفت فقد آن لك أن تفتى فأفتى من ذلك السن ﴿غريبة﴾ ذكر ابن خلكان وابن الأثير فى تاريخيهما أن بعض الملوك بقلاع الهند أهدى للسلطان محمود بن سبكتكين هدايا كثيرة من جملتها طائر على هيئة القمرى من خاصيته أنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء وتحجر فإذا حك ووضع على الجراحات الواسعة يختمها ذكر ذلك ابن الأثير فى حوادث سنة أربع وعشرين وأربعمائة وذكره ابن خلكان فى ترجمة السلطان المذكور ثم ذكر ابن خلكان فى ترجمته عن إمام الحرمين عبد الملك بن الشيخ أبى محمد عبد الله الجوينى أن السلطان المذكور كان حنفى المذهب وكان مولعاً بعلم الحديث وكان يسمع عنده الحديث وكان يسأل عن معناه فيجد أكثره موافقا لمذهب الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فجمع فقهاء المذهبين والتمس منهما الكلام فى ترجيح أحد المذهبين فوقع الاتفاق على أن يصلى بين يديه ركعتان على مذهب الإمام الشافعى ثم على مذهب الإمام أبى حنيفة ركعتان فينظر السلطان إلى ذلك ويختار الأحسن فصلى القفال المروزى بطهارة سابغة وشرائط معتبرة من الطهارة والسترة واستقبال القبلة وأتى بالأركان والهيئات والسنن والأبعاض والآداب على وجه الكمال وكانت صلاة لا يجوز الشافعى دونها ثم صلى ركعتين على ما يجوز أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه فلبس جلد كلب كان مدبوغا ولطخ بعضه بالنجاسة وتوضأ بنبيذ التمر وكان ذلك فى صميم الصيف فاجتمع عليه الذباب والبعوض وكان وضوءه منكسا منعكسا ثم استقبل القبلة وأحرم بالصلاة من غير نية فى الوضوء وكبر بالفارسية ثم قرأ بها دوبرك سبز ثم نقر كنقرات الديك من غير فصل بينها ومن غير طمأنينة وتشهد وضرط فى آخرها وخرج من غير نية السلام وقال أيها السلطان هذه صلاة أبى حنيفة فقال السلطان لو لم تكن هذه صلاة أبى حنيفة لقتلتك لأن مثل هذه الصلاة لا يجوزها ذو دين فأنكرت الحنفية أن تكون هذه الصلاة جائزة عند أبى حنيفة فطلب القفال كتب أبى حنيفة فأمر السلطان بإحضارها وأمر نصرانيا أن يقرأ كتب المذهبين جميعاً فوجدت الصلاة التى صلاها القفال جائزة عند أبى حنيفة فأعرض السلطان عن مذهب أبى حنيفة وتمسك بمذهب الشافعى رضى الله عنهما وتوفى السلطان بغزة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وتفسير ذوبرك سبز ورقتان خضراوتان وهو معنى قوله تعالى مدهامتان ﴿قلت﴾ وقد ذكر أنه أتى بالسنن والأبعاض والآداب والهيئات فقوله لا يجوز الشافعى دونها غير مستقيم والمشهور أنه أتى بما لا تصح الصلاة إلا به (وحكمه) حل الأكل بالإجماع كالحمام لأنه نوع منه كما تقدم (التعبير) القمرية فى المنام امرأة دينة وقيل القمرى رجل قارئ لقصائد الشعر طيب الحنجرة وقالت اليهود من رأى قمريا أو بلبلا أو ما أشبه ذلك نال خيراً وإن كان له مسافر قدم عليه وإن كان فى غم فرج الله تعالى عنه وإن كانت له حاجة بعيدة قربت ومن رأى هذه الأشياء فى زمن الربيع قضيت حاجته وإن رآها فى غير زمن الربيع تأخرت حاجته إلى زمن الربيع وتدل رؤيتها للحامل على وضع ذكر والله تعالى أعلم ﴿القمعة﴾ بالتحريك ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر يقال الحمار يقمع أى يحرك رأسه وقال الجاحظ هو ضرب من ذباب الكلاب قال فى الكفاية القمع ذباب أزرق عظيم ﴿القمعطط والقمعوطة﴾ دويبة حكاه ابن سيده ﴿القمل﴾ معروف واحدته قملة ويقال لها أيضا قمال قال ابن سيده والقمل جمع قملة وقد قمل رأسه بالكسر قملا وكنية القملة أم عقبة وأم طلحة ويقال للذكر أبو عقبة والجمع بنات عقبة وبنات الدروز والدروز الخياطة سميت بذلك لملازمتها وإياها وقملة الزرع دويبة تطير فترميه بذرقها فيبقى الصقر مقيدا مثل المكتوف فعند ذلك تجتمع عليه الحبارات وتنتف ريشه وفى ذلك هلاك الصقر والحبارى إذا حبس وحبس معه شىء من الطير ونتف ريش صاحبه قبله يموت كمدا ويقال فى المثل مات كمد الحبارى

(فصل فى خواص أجزائه)

داخل قانصته حجر يجفف ويسحق مع الملح الأندرانى والخبز المحرق أجزاء سواء يزيل بياض العين اكتحالا قال ابن سينا بيض الحبارى خضاب جيد فيما يقال فليجرب بصوفة بيضاء زبله نافع للقوابى (حدأة) طائر يقال له بالفارسية زغق وهو خسيس يغلبه أكثر الطيور قيل إنه ذكر فى سنة وأنثى فى سنة والغراب يسرق بيض الحدأة ويترك مكانه بيضه فالحدأة تحضنها فإذا فرخت فالحدأة الذكر تعجب من ذلك ولا يزال يزغق ويضرب الأنثى حتى يقتلها وإذا مرض يأكل شيئا من ريشها وإذا رأت الحدأة شيئا أحمر تحسبه لحما تسلبه قال صاحب الفلاحة الحدأة والعقاب يتبدلان فيصير العقاب حدأة والحدأة عقابا

(فصل فى خواص أجزائه) مرارته إن جففت وسحقت وذرت فى جونة الحواء ماتت الحيات التى

كالجراد فى خلقة الحلم وجمعها قمل قاله الجوهرى والقمل المعروف يتولد من العرق والوسخ إذا أصاب ثوبا أو بدنا أو ريشا أو شعرا حتى يصير المكان عفنا وقال الجاحظ ربما كان الإنسان قمل الطباع وإن تنظف وتعطر وبدل الثياب كما عرض لعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه حتى استأذنا رسول الله ﷺ فى لبس الحرير فأذن لهما فيه ولولا أنهما كانا فى حد الضرورة لما أذن لهما فيه مع ما قد حاء فى ذلك من التشديد فلما كان فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه رأى على بعض بنى المغيرة من أخواله قميص حرير فعلاه بالدرة فقال المغيرى أوليس عبد الرحمن بن عوف لبس الحرير قال عمر رضى الله تعالى عنه وأنت مثل عبد الرحمن بن عوف لا أم لك قال ومن طبع القمل أنه يكون فى شعر الرأس الأحمر أحمر وفى الشعر الأسود أسود وفى الشعر الأبيض أبيض ومتى تغير الشعر تغير إلى لونه قال وهو من الحيوان الذى إناثه أكبر من ذكوره وقيل إن ذكوره الصيبان وقيل الصيبان بيضه كما تقدم فى باب الصاد المهملة روى الحاكم فى أوائل المستدرك من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أنه قال يارسول الله من أشد الناس بلاء قال صلى الله عليه وسلم الأنبياء قال ثم من قال عليه الصلاة والسلام العلماء قال ثم من قال عليه الصلاة والسلام الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى لا يجد إلا العباءة يلبسها ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء ثم قال صحيح الإسناد على شرط مسلم * والقمل يسرع إلى الدجاج والحمام ويعرض للقردة * وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل وتسمى بالفارسية دره وهى إذا عضت قتلت وهى أعظم من القمل وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه (فائدة) اختلف العلماء فى القمل المرسل على بنى إسرائيل فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى رضى الله تعالى عنهم هو الجراد الطيار الذى له أجنحة وقيل الدبا وهو الجراد الصغار الذى لا أجنحة لها وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه بنات الجراد وقال أبو عبيد هو الحمنان وهو ضرب من القراد وقال أبو زيد البراغيث وقال الحسن وسعيد بن جبير دواب سود صغار وقال عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه هو القمل المعروف بإسكان الميم * روى أن موسى عليه الصلاة والسلام مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فضربه بعصاه فانتشر كله قملا فى مصر فتتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكله ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلئ قملا فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من ذلك القمل فإنه أخذ بشعورهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم عيونهم وجلودهم كأنه الجدرى فمنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا إلى موسى عليه السلام إنا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا لهم موسى عليه السلام فرفع الله القمل عنهم بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت والقمل هو أحد الآيات الخمس قال الله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يتبع بعضها بعضا وتفصيلها أن كل عذاب يمتد أسبوعا وبين كل عذابين شهر قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليهم الآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات فلما أتاهم موسى بالآيات الأربع اليد والعصا والسنين ونقص الثمرات أبوا أن يؤمنوا وأصروا على كفرهم فدعا عليهم

وقع عليها ويكتحل بها من لدغة العقرب من العين التى من جانب اللدغة ينفعه دمه ينفع من السموم القاتلة شربا عظمه يحرق ويسحق ويضمد به الدماميل ينضجها وكذلك الجراحات (حمام) هو الطير المشهور الهادى إلى أوطانه من المسافة البعيدة وهو أشد الطيور ذكاء فإذا أرسل من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ويكون صعوده مدوراً كما أخذ المنارة فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده فعند ذلك يهبط اليها فى أدنى زمان وربما تغيمت السماء فيصير الغيم حائلا بينه وبين الأرض فيقع فى بلاد شاسعة أو يصيده شىء من الجوارح وترى عجبا بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الناس من القبلة والمعانقة وغيرها ورأيت حمامة تسجد لذكرها حال طلبه وحمامة رأيتها لا تسجد إلا مع شدة الطلب ورأيت ذكرا له أنثيان يحضن بيض هذه وهذه وأنثيين يتساحقان كسحاق النساء يبيضان أربع بيضات ولا يفقسان ومن العجب أن الحمام الذكر يحس بما أودع رحم الأنثى فعند ذلك يهتم بعمل الأخوصة فيتخذانها على قدر بدنهما فإذا شخصا لتلك الأخوصة جوفاها

موسى عليه الصلاة والسلام فقال رب إن عبدك فرعون علا فى الأرض وبغا وعتا وإن قومه قد نقضوا عهدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل الله عليهم السماء وكانت بيوت بنى إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة ومختلطة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل من الماء قطرة وركد الماء على أراضيهم لا يقدرون على حرث ولا غيره من الأعمال أسبوعا من السبت إلى السبت وقال مجاهد وعطاء رضى الله تعالى عنهما الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اليمن وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى وهو أول ما عذب به فبقى فى الأرض قال نحاة الكوفة الطوفان مصدر لا يجمع كالرجحان والنقصان وقال أهل البصرة هو جمع واحده طوفانة فقالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فلئن كشف عنا هذا البلاء لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فدعا به فرفع عنهم الطوفان وأنبت لهم فى تلك السنة شيئا لم ينبته لهم قبل ذلك من الكلأ والزرع والثمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا وخصبا فلم يؤمنوا وأقاموا شهرا فى عافية فبعث الله تعالى عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق الشجر حتى أكل الأبواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والأمتعة ومسامير الأبواب من الحديد حتى وقعت دورهم وابتلوا بالجوع فكانوا لا يشبعون ولم يصب بنى إسرائيل من ذلك شىء فعجزوا وضجروا إلى موسى عليه السلام وسألوه رفع ذلك عنهم فدعا لهم فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام أسبوعا من السبت إلى السبت روى أن موسى عليه السلام برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا مصرين على كفرهم شهرا فى عافية ثم بعث الله تعالى عليهم القمل وقد تقدم ذكره فعجزوا وضجروا وسألوا رفع ذلك عنهم وقالوا إنا نتوب فدعا موسى عليه الصلاة والسلام ربه أن يرفع ذلك القمل فرفع الله تعالى عنهم القمل بعد ما أقام عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت فنكثوا وعادوا إلى أخبث أعمالهم فأقاموا شهرا فى عافية فبعث الله عليهم الضفادع فامتلأت منها بيوتهم وأفنيتهم وكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم وأطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف أحد منهم طعاما ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس فى الضفادع إلى ذقنه ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع فى فيه وكانت تلقى نفسها فى القدر وهى تغلى فتفسد طعامهم وتطفىء نيرانهم ولا يعجنون عجينا إلا انشدخت فيه وإذا اضطجع أحدهم تركبه الضفادع حتى تكون عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الآخر فلقوا منها أذى شديدا فضجوا وصرخوا وصاحوا وسألوا موسى عليه السلام فقالوا ادع لنا ربك يكشفها عنا فدعا ربه فرفع الله تعالى عنهم الضفادع بعد ما أقامت عليهم أسبوعا من السبت إلى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم نقضوا العهود وعادوا لكفرهم فأرسل الله تعالى عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم دما فما يستقون من الآبار إلا دما عبيطا أحمر فشكوا إلى فرعون فقالوا ليس لنا شراب فقال إنه قد سحركم وكان فرعون يجمع بين القبطى والإسرائيلى على الإناء الواحد فيكون ما يلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما حتى كانت المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود فى الإناء دما حتى كانت تقول اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فمى فتأخذ فى فيها ماء فإذا مجته فى فيها صار دما وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها فى فيه ملحا أجاجا فمكثوا كذلك أسبوعا من

وأحدث له رائحة أخرى مستحدثة من طبيعة أبدانهما ويقلبان البيض فى أيام الحضن وساعاتها وأكثرها على الأنثى كالمرأة التى تتكفل بالحضانة فإذا صارت فراخا فأكثر الزق على الذكر كالرجل الذى يتكفل بالنفقة وإذا خرج الفرخ نفخا فى حلقه حتى يتسع ممر الغذاء لعلمهما بأن آلات ممر غذاء الفرخ لا تحتمل الطعام فيزقانه أولا باللعاب المختلط وبالطعام مكان اللبن ويعلمان أن حوصلته تحتاج إلى دبغ فيأكلان سوارح الحيطان قالوا من أراد لونا من الحمام كأسود الرأس أو الذنب أو مثل ذلك فليتخذ حماما من الخرق على ذلك اللون ويتركها عند مسقى الحمام فإن كان حمامة وقعت عينها عليها حالة التزاوج يأتى فراخها على ذلك اللون وحمام البر إذا مرض يأكل الجراد يزول مرضه والمتروك الذى يقال له اليمامة يأكل أطراف القصبة يزول مرضه ومن ذكاء الحمام أن جواز لها إذا رأت النسر لا تخاف وإذا رأت العقاب خافت وكذلك تفرق بين الغراب والصقر وإذا رأت الشاهين رأت السم الناقع كما أن الشاة لا تفزع من الفيل

والجاموس وتفزع من الذئب قال الجاحظ الحمام أسرع طيرانا من سباع الطير إلا أنه إذا رأى الجوارح يعتريه ما يعترى الشاة عند رؤية الذئب والفأرة إذا رأت السنور ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ عينه من أكلها يصيبه الغشى مرارة الحمامة البيضاء تزيل الغشاوة والظلمة من العين اكتحالا دمه يطلى به الكلف يقلعه دم الجوازل يطلى به الجراحة يبرئها سريعا ويطلى به الموضع الذى أصابه صدمة أو ضربة تصلحه ويزيل الزرقة من آثار الضربة والصدمة وينفع من الغشاء اكتحالا لحمه من داوم على أكله يدفع عنه البلادة ويورث الذكاء عظمه يحرق ويذر على الجراحة تلتئم شقها ويصلح بإذن الله تعالى ذرقه تحمله المرأة التى أضربها الطلق يسهل ولادتها ويقلع الخشكريشات والنار الفارسية إذا طلى به وذرق الحمام الأحمر يفتح أثر البول ويفتت الحصاة والدمل ويطرح ذرق الحمام فى أدوية الحقنة يفتح القولنج رجل الحمام والاصطرك وحب النيل أجزاء سواء يسحق وتخلط بدهن الجوز ويطلى به البرص يغير لونه (خطاف) طائر لا يزال ينتقل من الضروب إلى الحروم ويتبع الربيع فإذا عرف

السبت إلى السبت لا يشربون إلا الدم وقال زيد بن أسلم الدم الذى سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى عليه السلام وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل فدعا لهم فرفع عنهم الدم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز وهو ما ذكره الله من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال ابن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون ألفا فى يوم واحد * روينا عن عامر بن سعد بن أبى وقاص أنه سمع أباه يسأل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما أسمعت رسول الله ﷺ يقول فى الطاعون شيئا فقال أسامة سمعت رسول الله ﷺ يقول الطاعون رجز أرسل على بنى إسرائيل أو على من قبلكم فإذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فسألوا موسى عليه السلام فدعا به فكشفه عنهم فتمادوا فى كفرهم وطغيانهم إلى أن أغرق الله تعالى فرعون وملأه فى اليم وقد تقدم ذكر غرقه فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحصان * قال سعيد بن جبير ومحمد ابن المنكدر كان ملك فرعون أربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها ولو حصل له فى تلك المدة جوع يوم أو حمى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط * وقد ظفرت بهذه القصة مختصرة فأوردتها عقب هذا لتحصل الفائدة وهو أن موسى عليه السلام مشى بعصاه إلى كثيب أعفر مهيل فضربه فانتشر كله قملا فى مصر ثم إنهم قالوا ادع لنا ربك فى كشف هذا عنا فدعا فكشف عنهم فرجعوا إلى طغيانهم فبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل فى فرشهم وبين ثيابهم وإذا هم الرجل أن يتكلم دخلت الضفادع فى فيه وتلقى نفسها فى القدر وهى تغلى فقالوا ادع لنا ربك يكشفها فكشف عنهم فرجعوا إلى كفرهم فبعث الله تعالى عليهم الدم فرجع ماؤهم الذى كانوا يشربونه دما فكان الرجل منهم إذا استقى من البئر وارتفع إليه الدلو عاد دما وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف ﴿فائدة أخرى﴾ نهى النبى ﷺ أن تقصع القملة بالنواة أى تقتل والقصع الدلك بالظفر وإنما خص النوى لأنهم كانوا يأكلونه عند الضرورة وقيل لأن النواة كانت مخلوقة من فضلة طينة آدم عليه الصلاة والسلام وفى الحديث أكرموا النخلة فإنها عمتكم وفى حديث آخر نعمت العمة لكم النخلة وقيل لأن النوى قوت الدواب وقال الجوهرى فى الحديث أنه نهى عن قصع الرطبة وهو عصرها لتقشر (الحكم) يحرم أكل القمل بالإجماع وإذا ظهر على بدن المحرم أو ثيابه لم يكره له تنحيته فإن قتله لم يلزمه شىء لكن يكره أن يفلى رأسه أو لحيته فإن فعل وأخرج منها قملة فقتلها تصدق ولو بلقمة قال الأكثرون هذا التصدق مستحب وقيل واجب لما فيه من إزالة الأذى عن الرأس واللحية وليس هذا التصدق فداء للقمل حتى يدل ذلك على حل الأكل وإنما التصدق فى مقابلة الترفه الحاصل للمحرم وأفاد الترمذى الحكيم أنه إذا وجد الجالس على الخلاء قملة لا يقتلها بل يدفنها فقد روى أنه من قتل قملة وهو على رأس خلائه بات معه فى شعاره شيطان فينسيه ذكر الله أربعين صباحا وقيل من قتل قملة على رأس خلائه لن يكفى الهم ما عاش وفى فتاوى قاضى خان لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها ﴿فرع﴾ يجوز لبس الثوب الحرير لدفع القمل لأنه لا يقمل بالخاصية ولذلك رخص النبى ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله تعالى عنهما فى لبسه لذلك كما تقدم رواه الشيخان والأصح أنه لا يختص بالسفر وفى وجه اختاره الشيخ أبو محمد الجوينى وابن الصلاح يختص به لأن الرواية مقيدة بذلك وقال مالك لا يجوز لبسه مطلقا لأن وقائع الأحوال عنده لا تعم وهو وجه بعيد عندنا ﴿فرع﴾ إذا رأى المصلى فى ثوبه قملة أو برغوثا قال الشيخ أبو حامد الأولى أن يتغافل عنها فإن ألقاها بيده أو أمسكها حتى يفرغ فلا بأس فإن قتلها فى الصلاة عفى عن دمها

دون جلدها وأن قتلها وتعلق جلدها بظفره أو بثوبه بطلت صلاته قال ولا بأس بقتلها فى الصلاة كما لا بأس بقتل الحية والعقرب فإن ألقى القملة بيده فلا بأس قال القمولى وينبغى أن يخص جواز إلقائها بغير المسجد والذى قاله صحيح متعين لقوله ﷺ إذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليصرها فى ثوبه حتى يخرج من المسجد رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح وفى المسند أيضا عن شيخ من أهل مكة من قريش قال وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها ليطرحها فى المسجد فقال له رسول الله ﷺ لا تفعل ردها فى ثوبك حتى تخرج من المسجد وإسناده أيضا صحيح وقال البيهقى أنه مرسل حسن ثم روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه رأى قملة على ثوب رجل فى المسجد فأخذها فدفنها فى الحصا ثم قال ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا قال ويذكر نحو هذا عن مجاهد وعن ابن المسيب أنه يدفنها كالنخامة قال وروينا عن مالك ابن عامر أنه قال رأيت معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه يقتل البراغيث والقمل فى الصلاة فى رواية رأيت معاذا يقتل القمل فى الصلاة ولكن لا يعبث * وروى البزار والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ قال إذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليدفنها وقال أبو عمر ابن عبد البر فى التمهيد وأما القملة والبرغوث فأكثر أصحابنا يقولون لا يؤكل طعام مات فيه شىء منهما لأنهما نجسان وهما من الحيوان الذى عيشه من دم حيوان لا عيش لهما غير الدم ولهما دم فهما نجسان وكان سليمان ابن سالم الكندى من أهل أفريقية يقول إن ماتت القملة فى ماء طرح ولا يشرب وإن وقعت فى دقيق ولم تخرج فى الغربال لم يؤكل الخبز وإن ماتت فى شىء جامد طرحت وما حولها كالفأرة وقال غيره من أصحابنا وغيرهم إن القملة كالذباب سواء وقال فى التمهيد أيضا ذكر نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن أن النبى ﷺ كان يقتل القمل فى الصلاة أو قتل القمل فى الصلاة قال نعيم هذا أول حديث سمعته من ابن المبارك ( الأمثال ) قالت العرب غل قمل يضرب للمرأة السيئة الخلق قال ابن سيده فى الحديث النساء غل قمل يقذفها الله فى عنق من يشاء ثم لا يخرجها إلا هو وهذا بعض أثره وفى الفائق فى آخر باب الهاء مع الباء أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال النساء ثلاث هينة لينة عفيفة مسلمة تعين أهلها على العيش ولا تعين العيش على أهلها وأخرى وعاء للولد وأخرى غل قمل يضعه الله فى عنق من يشاء ويكفه عمن يشاء والرجال ثلاثة رجل ذو رأى وعقل ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأى فاستشاره ورجل حائر بائر لا يأتمر رشيدا ولا يطيع مرشدا وقال الأصمعى كانوا يغلون الأسير بالقد وعليه الوبر فإذا طال الغل عليه قمل فيلقى منه جهدا يضرب لكل من يلقى فى شدة قال وهذا هو السبب فى قول حاتم الطائى: لو غير ذات سوار لطمتنى وذلك أنه مر ببلاد نميرة فى بعض الأشهر الحرم فناداه أسيرلهم يا أباسفانة أكلنى الأسار والقمل فقال ويحك أسأت إذ نوهت باسمى فى غير بلادقومى فساوم القوم به ثم قال أطلقوه واجعلوا يدى فى الغل مكانه ففعلوا فجاءته امرأة ببعير لتفديه فقام فنحره فلطمته فقال لو غير ذات سوار لطمتنى يعنى أنى لا أقتص من النساء فعرف ففدى نفسه (الخواص) قال الجاحظ القمل يعترى ثياب غير المجذومين قال ابن الجوزى والحكمة فى غير ذلك أنه لما تولع الجذام بأطرافهم صعب عليهم الحك فمنع الله عنهم ذلك لطفا بهم كما أنه منع عن الأخرس السمع لطفا به وإذا ألقيت القملة وهى حية أورثت النسيان كذا رواه ابن عدى فى كامله فى ترجمة أبى عبد الله الحكم بن عبد الله الأيلى أنه روى بإسناد صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ست

إلى وكره القديم ويتخذ الوكر من الطين المخلوط بالشعر ليبقى بعضه على بعضه ويقوى كطين الحكمة ومن العجائب أن يعمل بعضه ويتركه حتى يجف ثم يعمل البعض الآخر فلو عملت البيت كله دفعة واحدة لتثاقلت وسقطت وإذا أردت اتخاذ الوكر عاونتها الخطاطيف فإذا فرغت تأتى بالماء فى أفواهها وتسوى به باطن الوكر وتملسه وتزيل خشونته وتضع السذاب فى أوكارها لدفع الحيات والبعوض والذباب ومن المشهور أن عش الخطاف يحل فى الماء ويسقى صاحبة الطلق تضع بسهولة

(فصل فى خواص أجزائه)

ريش رأسه يجعل تحت وسادة إنسان لا ينام مادام تحت رأسه دماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالا ولو خلط بدهن ورد ودهن به الإنسان رأسه لا يتولد فيه القمل عينه تشد فى خرقة وتعلق فى سرير كل من نام عليه سهر قلبه يجفف ويسحق ويسقى فى شىء من الأنبذة يعين على الجماع معاونة عظيمة لحمه يحد البصر جداد مه يسقى للمرأة تذهب شهوتها بحيث لا تريد الرجال ألبتة ذرقه ينضج

الدماميل إذا ضمد به (خفاش) طائر مشهور

خصال تورث النسيان أكل سؤر الفأر والقاء القملة وهى حية والبول فى الماء الراكد وقطع القطار ومضغ العلك وأكل التفاح الحامض وبضد ذلك اللبان الذكر وأشار إلى ذلك الجاحظ بقوله وفى الحديث أن أكل التفاح الحامض وسؤر الفأر ونبذ القملة يورث النسيان قال وفى حديث آخر إن الذى يلقى القملة لا يكفى الهم وقيل إن قراءة ألواح القبور والمشى بين المرأتين والنظر إلى المصلوب وأكل الكزبرة الخضراء وأكل الخبز الحار يورث النسيان وأكل الحلوى وشرب العسل وأكل الخبز البارد يورث الذكاء والعامة تزعم أن لبس النعال السود يورث النسيان وإذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل بذكر أم بأنثى فخذ قملة واحلب عليها من لبنها فى كف إنسان فإن خرجت القملة من اللبن فهى حامل بجارية وإن لم تخرج فهى حامل بذكر وإن احتبس على إنسان بوله فخذ قملة من قمل بدنه واجعلها فى إحليله فأنه يبول من وقته وإن غسلت المرأة أصول شعرها بماء الساق منع القمل ودهن القرطم إذا دهن به إنسان مات قمله وإن غسل البدن بخل وماء البحر قتل القمل وإذا مسح الرأس والبدن بزنبق مقتول بدهن سمسم منع القمل من الرأس والثياب (التعبير) القمل فى المنام على وجوه فإذا كان فى قميص جديد فإنه مال وهو للسلطان جند وأعوان وللوالى زيادة فى ماله ومن رأى القمل فى ثوب خلق فهو دين يخشى زيادته والقمل على الأرض قوم ضعاف فإن دب إلى جانب إنسان فإنه يخالطهم ومن رأى القمل وكرهه فإنه يرى أعداء ولا يقدرون له على مضرة ومن رأى أنه قرصه القمل فإن قوما ضعفاء يرمونه بكلام ومن حكه القمل فلابد أن يطالب بدين والقملة تعبر بامرأة لأن ابن سيرين أتاه رجل فقال رأيت كأن إنسانا أخذ من كمى قملة فألقاه فقال ابن سيرين تطلق زوجتك على يده فكان كذلك ومن رأى قملة طارت من صدره فإن أجيره أو غلامه أو ولده قد هرب والقمل الكثير مرض أو حبس لأنه أكثر ما تحدث على هؤلاء القوم وربما دلت رؤية القمل على العيال وتعبر رؤية القمل للملك بجيشه وأعوانه وللوزير بشرطه وللقاضى بالموصلين إليه ومن رأى أنه رمى قملة فإنه مخالف لسنة من السنن لأن النبى ﷺ نهى عن رمى القمل ومن أكل قملة فإنه يغتاب إنسانا فإن وجد لها دما فإنه يغتاب رجلا ذا مال والقمل يعبر بأقوام يمشون بالنميمة بين الأقرباء وقتل القمل فى المنام قهر الأعداء وقال جاماست من التقط القمل فإنه يكذب عليه كذب فاحش والله أعلم ﴿ القمقام ﴾ صغار القردان وضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر الواحدة قمقامة وتسميه العامة الطبوع وقد تقدم (الأمثال) قالت العرب * قمقامة حكت بجنب البازل * البازل من الإبل ما دخل فى السنة التاسعة كما تقدم وهو أقواها يضرب للضعيف الذليل يحتك بالقوى العزيز (قندر) قال القزوينى هو حيوان برى بحرى يكون فى الأنهار العظام يتخذ فى البر إلى جانب البحر بيتا له بابان يأكل لحم السمك وخصيته تسمى الجندبادستر وقد تقدم فى باب الجيم الكلام على ذلك (القندس) قال ابن دحية أنه كلب الماء وفسر به حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الجماعة غير النسائى أن النبى ﷺ قال تقاتلون بين يدى الساعة قوما نعالهم الشعر وفى رواية يلبسون الشعر ويمشون فى الشعر وجوههم كالمجان المطرقة حمر الوجوه صغار الأعين ذلف الأنوف قال ابن دحية قوله يلبسون الشعر إشارة إلى الشراييش التى يدار عليها بالقندس والقندس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز وذوات الصوف الضأن وذوات الوبر الإبل انتهى

بصره ضعيف يسوءه شعاع الشمس لا يخرج إلا بين الضياء والظلام يشبه الفأر جناحه جلدة رقيقة وله أسنان وللأنثى ثدى كما للفأر يرضع ولده وإنما طالب بنو إسرائيل عيسى صلوات الله عليه بخلق الخفاش لأنه أتم الطير خلقة لأن له آذانا وأسنانا وثديا فاتخذ من الطين كما أخبر الله تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى يقصد الذباب والبق والبعوض وأمثالها وربما تأخذ ولدها فى فمها وتطير وترضع ولدها وتأكل الرمان على الشجرة وتتركه قشرا مجوفا وتهرب من ورق الدلب إذا ترك فى مكانها وإذا علقت خفاشة فى شجرة من قرية جاوز الجراد عنها ﴿ فصل ﴾ فى خواص أجزائه رأسه يترك فى برج الحمام يألف إليها وإذا ترك تحت وسادة إنسان لا ينام دماغه قال ابن سينا ينفع من نزول الماء أكتحالا قلبه يعلق على من هاجت به شهوة الوقاع يسكن دمه يزيل الغشاء أكتحالا ويطلى به الإبط والعانة بعد النتف فإنه لا يرجع ينبت الشعر بعد ذلك ذرقه يزيل الظفرة وبياض العين أكتحالا ويلقى فى جحر النمل تهرب كلها ويطلى العضو الذى أريد إزالة شعره

وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الكاف حكم الكلب المائي وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بحثنا عن القندس فلم يتبين لنا أنه مأكول أو غيره فينبغي أن يتورع عن الصلاة فيه ولنا وجهان فيما أشكل من الحيوان فلم يعلم أنه مأكول أو غيره ﴿القنعاب﴾ كسنجاب العظيم من الوعول السمين ﴿القنفذ﴾ بالذال المعجمة وبضم الفاء وفتحها البري منه كنيته أبو سفيان وأبو الشوك والأنثى أم دلدل والجمع القنافذ ويقال لها العساعس لكثرة ترددها بالليل ويقال للقنفذ أنقد وهو صنفان قنفذ يكون بأرض مصر قدر الفار ودلدل يكون بأرض الشام والعراق في قدر الكلب القلطي والفرق بينهما كالفرق بين الجرذ والفأر قالوا إن القنفذ إذا جاع يصعد الكرم منكسا فيقطع العناقيد ويرمي بها ثم ينزل فيأكل منها ما أطاق فإن كان له فراخ تمرغ في الباقي ليشتبك في شوكه ويذهب به إلى أولاده وهو لا يظهر إلا ليلا قال الشاعر :

قنافذ هداجون حول بيوتهم * بما كان إياهم عطية عودا

وهو مولع بأكل الأفاعي ولا يتألم لها وإذا لدغته الحية أكل السعتر البري فيبرأ وله خمسة أسنان في فيه والبرية منها تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق ببطن الأنثى * وروى الطبراني في معجمه الكبير والحافظ بن منير الحلبي وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال كانت ليلة شديدة الظلمة والمطر فقلت لو أني اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله ﷺ ففعلت فلما رآني قال ﷺ قتادة قلت لبيك يا رسول الله ثم قلت علمت أن شاهد الصلاة هذه الليلة قليل فأحببت أن أشهدها معك فقال رسول الله ﷺ إذا انصرفت فائتني فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه فأعطاني عرجونا كان في يده وقال هذا يضيء أمامك عشرا ومن خلفك عشرا ثم قال ﷺ إن الشيطان قد خلفك في أهلك فاذهب بهذا العرجون فاستضئ به حتى تأتي بيتك فتجده في زاوية البيت فاضربه بالعرجون قال فخرجت من المسجد فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به وأتيت أهلي فوجدتهم قد رقدوا فنظرت إلى الزاوية فإذا فيها قنفذ فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج ورواه الإمام أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح ﴿فائدة﴾ روى البيهقي في أواخر دلائل النبوة عن أبي دجانة واسمه سماك ابن خرشة قال شكوت إلى النبي ﷺ أني نمت في فراشي فسمعت صريرا كصرير الرحى ودويا كدوي النحل ولمعا كلمع البرق فرفعت رأسي فإذا أنا بطل أسود يعلو ويطول في صحن داري فسست جلده فإذا هو بجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار فقال صلى الله عليه وسلم عامر دارك يا أبا دجانة ثم طلب صلى الله عليه وسلم دواة وقرطاسا وأمر عليا رضي الله تعالى عنه أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول رب العالمين إلى من يطرق الدار من العمار والزوار إلا طارق يطرق بخير أما بعد فإن لنا ولكم في الحق سعة فإن كنت عاشقا مولعا أو فاجرا مقتحما فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ورسلنا يكتبون ما تمكرون اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أن مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون حم لا ينصرون حم عسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال أبو دجانة رضي الله عنه فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبت ليلتي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات فبحق

(دراج) طير مبارك كثير النتاج محدب الظهر مبشر بالربيع ويؤكل لحمها وتحسى مرقتها فإنها تزيد في الباه وتقوي الشهوة والمداومة على أكل لحمه يزيد في الدماغ والفهم قاله ابن سينا وهو القائل بالشكر تدوم النعم وصوته على وزن هذه الكلمات وتطيب نفسه في الهواء الصافي وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى لا يقدر على الطيران وذكر الجاحظ أن الدراج من الطيور التي لا تسافد في البيوت وإنما تسافد في البساتين وذكر بعض البازدارية أنه أرسل بازا على دراج فألقى الدراج نفسه على شوك كان هناك وأخذ من الشوك أصلين في رجليه واستلقى على قفاه وتستر بذلك عن الباز فعجز الباز عنه قال ابن سينا يزيد في مادة المني

(ديك) أكثر الطيور شهوة وعجبا بنفسه يبشر بطلوع الفجر ومن العجائب معرفته ساعات الليل فإن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة يقسط أصواته عليها كما كان يقسطها والليل تسع ساعات وذلك بإلهام من الله تعالى وزعموا أن من أيقظه الديك فقام لا يبقى معه شيء من ثقل

صاحبك إلا ما رفعت عنا هذه الكلمات فلا عود لنا فى دارك ولا فى جوارك ولا فى موضع يكون فيه هذا الكتاب قال أبو دجانة فقلت والله لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله ﷺ قال أبو دجانة فلقد طالت علىّ ليلتى بما سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجن ليلتى وما قلت لهم فقال رسول الله ﷺ يا أبا دجانة ارفع عن القوم فوالذى بعثنى بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة قال البيهقى وقد ورد فى حرز أبى دجانة رضى الله عنه حديث طويل غير هذا موضوع لا تحل روايته وهذا الذى رواه البيهقى رواه الديلمى الحافظ فى كتاب الإنابة والقرطبى فى كتاب التذكار فى أفضل الأذكار (الحكم) قال الشافعى يحل أكل القنفذ لأن العرب تستطيبه وقد أفتى ابن عمر بإباحته وقال أبو حنيفة والإمام أحمد لا يحل لما روى أبو داود وحده أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما سئل عنه فقرأ قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرما الآية فقال شيخ عنده سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول ذكر القنفذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خبيث من الخبائث فقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما إن كان قد قال رسول الله ﷺ هذا فهو كما قال ﴿قلت﴾ والجواب أن رواته مجهولون قال البيهقى ولم يروه إلا من وجه واحد ضعيف لا يجوز الاحتجاج به وما روى عن سعيد بن جبير أنه قال جاءت أم حفيد رضى الله تعالى عنها إلى رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه فنحاه رسول الله ﷺ ولم يأكله فهو مرسل وقد روى مسندا وليس فيه ذكر القنفذ وقيل أراد أنه خبيث الفعل دون اللحم لما فيه من إخفاء رأسه عند التعرض لذبحه وإبداء شوكه عند أخذه وسئل مالك عنه فقال لا أدرى وقال القفال إن صح الخبر فهو حرام وإلا رجعنا إلى العرب هل تستطيبه أم لا وقال الرافعى يقال إن له كرشا ككرش الشاة (الأمثال) قالوا أسرى من قنفذ وقالوا ذهبوا إسراء قنفذ يعنى ذهبوا ليلا لأن القنفذ يسرى فى الليل كثيرا وقد تقدم هذا فى باب الهمزة فى لفظ أنقد (الخواص) مرارة البرى منه إذا طلى بها موضع الشعر المنتوف لا ينبت فيه شعر أبدا وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين وإذا خلطت بشىء من الكبريت وطلى بها البهق أزالته وإن شرب من مرارته نفع من الجذام والسل والزحير وإن خلطت بدهن ورد وقطر فى أذن من به صمم قديم أبرأه إذا داوم عليه أياما ولحمه إذا أكل نفع من السل والجذام والبرص والتشنج ووجع الكلى وإن مسح بشحمه ودمه وبرائنه المعقود عن النساء حله وطحاله يسقى لمن به وجع الطحال بشراب العسل فإنه يبرئه وكليته تجفف ويسقى منها وزن درهم مسحوقا بماء الحمص الأسود من به عسر البول فيبرئه سريعا وإن قتل قنفذ وقطع رأسه بسيف لم يقتل به إنسان وعلق على المجنون والمصروع والمختل أبرأه وإن قطع طرف رجله اليمنى وهو حى وعلقت على صاحب الحمى الحارة والباردة من غير أن يعلم ما هو مربوطا فى خرقة كتان أبرأه وعينه اليمنى تغلى بشيرج وتجعل فى إناء نحاس فمن اكتحل به لم يخف عليه شىء فى الليل بل يراه كأنه نهار وشطار العيارين يفعلون ذلك وعينه اليسرى تغلى بزيت وترفع فى قارورة فإذا أردت أن تنوم إنسانا فخذ منه بطرف الميل وادنه إلى أنفه فإنه ينام من ساعته وأظفار يده اليمنى يبخر بها المحموم فتذهب حماه وطحاله إذا شوى وأكله من به وجع الطحال أبرأه والأول أسرع وهو ما تقدم ومرارته تعجن بسمن عتيق وتتحمل بها المرأة فى قبلها فإنها تلقى ما فى جوفها ودمه يطلى به على عضة الكلب يسكن ألمها ولحمه المملح ينفع من داء الفيل والجذام وهو جيد لمن يبول فى فراشه وجميع أصناف القنافذ بيضها أصفر جدا لا يؤكل وإذا أخذ بول القنفذ

النوم والأسد يهرب من الديك الأبيض والمهارش خيرها وعلامة ذلك حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة المخالب ورفع الصوت والديك يحب للدجاج محبة شديدة ويؤثر الدجاج على نفسه وربما يأخذ الحب بمنقاره ويرميه إلى الدجاجة ويهارش عليها وهذا كله فى زمن شبابه وكثرة نشاطه وأما إذا هرم فتكون همته مقتصرة على نفسه وإذا جاء للدجاج عدو دفعه الديك عن الدجاج وبالليل يجتمع الدجاج فى موضع حريز ويقف الديك على بابه يحرسها والديك يبيض بيضة فى عمره صغيرة تسمى بيضة العقد وزعموا أن من ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب فى ماله وأهله وأن الشيطان لا يدخل بيتا فيه ديك أبيض أفرق ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ عرفه يجفف ويسحق ويسقى من يبول فى فراشه يزول عنه ذلك وعرف الديك الأبيض أو الأحمر يبخر به المجنون ينفعه نفعا بينا مرارته تنفع من الغشاوة وظلمة البصر اكتحالا قال بليناس مرارة الديك الأبيض تخلط بمرق صاف وتؤكل على الريق يذهب النسيان ويذكر ما كان نسيه وقال بعضهم مرارة الديك تجعل فى إناء من الفضة ويداوم على الاكتحال بها

وسقى بشراب لمن أعياه مرضه ثلاثة أيام أبرأه وإن علق قلبه على من به حمى الربع أبرأه وإذا طلى المجذوم بشحمه نفعه (وأما رؤيته فى المنام) فإنه يدل على المكر والخداع والتجسس والاحتقار والشر وضيق القلب وسرعة الغضب وقلة الرحمة وربما يدل على فتنة يشهر فيها السلاح والله تعالى أعلم ﴿القنفذ البحرى﴾ قال القزوينى مقدمه يشبه مقدم القنفذ البرى ومؤخره يشبه السمك طيب اللحم جدا قال ابن زهر ويعالج به عسر البول وريشه لين يشبه الشعر ﴿القنفشة﴾ دويبة معروفة عند أهل البادية حكاه ابن سيده ﴿القهى﴾ بالفتح اليعقوب وقيل العنكبوت ﴿القهيبة﴾ طائر يكون بتهامة فيه بياض وخضرة وهو نوع من الحجل قاله ابن سيده أيضا ﴿القواقر﴾ الضفادع وقد تقدم مافيها فى باب الضاد المعجمة ﴿القواع﴾ بضم القاف الذكر من الأرانب ﴿القوب﴾ الفرخ ومنه قولهم فى المثل تخلصت قائبة من قوب فالقائبة قشر البيضة قال الكميت :

لهن وللمشيب ومن علاها من الأمثال قائبة وقوب

وقال أعرابى من بنى أسد لناجر استخفره إذا بلغت بك مكان كذا وكذا فبرئت قائبة من قوب أى أنا برىء من خفارتك ﴿قوبع﴾ بضم القاف وفتح الباء الموحدة طائر أسود أبيض الذنب يكثر تحريك ذنبه تقدم فى آخر باب العين المهملة ﴿القوثع﴾ بفتح الثاء المثلثة الظليم وقد تقدم فى باب الظاء المعجمة ﴿القوق﴾ بالضم طائر مائى طويل العنق قاله فى العباب ﴿قوقيس﴾ قال القزوينى إنه طائر بأرض الهند من شأنه أنه عند التزاوج يجمع حطبا كثيرا فى عشه ولا يزال الذكر منه يحك منقاره بمنقار الأنثى حتى تأجج النار من حكهما فى ذلك الحطب وتشتعل ويحترقان فيها فإذا سقط المطر على ذلك الرماد تولد منه دود ثم تنبت له أجنحة ثم يصير طيرا ثم يفعل كفعل الأول من الحك والاحتراق ﴿قوق﴾ بضم القاف الأولى وكسر الثانية صنف من السمك عجيب جدا على رأسه شوكة قوية يضرب بها حكى الملاحون أن هذه السمكة إذا جاعت رمت نفسها إلى شىء من الحيوان فيبتلعها ثم أنها تضرب بشوكتها أحشاءه حتى تهلكه وربما تخرج من شق بطنه تتغذى منه هى وغيرها وإذا قصدها قاصد فى الماء فإنها تضربه بالشوكة فيهلك ولعلها تضرب السفينة بالشوكة فتخرقها وتغرق أهلها وتأكل منهم والملاحون يعرفون ذلك فيجعلون على السفينة جلد تلك السمكة فإن شوكتها لا تعمل فيه كذا قاله القزوينى ﴿قيد الأوابد﴾ الفرس الجواد قيل له ذلك لأنه يمنع الوحش الفوات لسرعته والأوابد الوحوش قال امرؤ القيس * بمنجرد قيد الأوابد هيكل ﴿قيق﴾ بكسر أوله طائر على قدر اليمامة وأهل الشام يسمونه أبا زريق وهو ألوف للناس فيه قبول للتعلم وسرعة إدراك لما يعلم وقد تقدم فى باب الزاى ﴿أم قشعم﴾ بفتح القاف النسر والعنكبوت والضبع واللبوة والمنية والداهية والحرب والدنيا أيضا قال زهير :

فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم

قيل أراد أحد هذه الأشياء وقال آخر :

نخر صريعا لليدين وللفم إلى حيث ألقت رحلها أم قشعم

﴿أبو قير﴾ طائر معروف قاله ابن الأثير وغيره وقد تقدم ﴿أم قيس﴾ هى بقرة بنى إسرائيل وقد تقدم ذكرها فى باب الياء وفى باب العين المهملة فى العجل

فإنه يزيل بياض العين عظم جناحه يشد على صاحب الحمى الورد تذهب عنه ويشده الفارس على وسطه لا يتعب من السوق دمه ينفع من بياض العين اكتحالا ويخلط دمه بالعسل ويعرض على النار فإنه يقوى الباه واللذة طلاء على القضيب ودمه الذى يخرج من المهارشة إن جعل فى طعام وأكله قوم يقع بينهم الخصومة لحمه يأكله العقاب على جوعه يسقط ويؤخذ من لحم الديك ويجفف ويسحق مع العفص والسماق بالسوية ويتخذ حبوبا على مثال الحمص ويسقى المبطون يبرأ فى الحال ويوجد فى بطن الديك أحجار منها على لون السماء ومنها على لون البلور فإذا علق منها على المجنون يبرأ ويعلق على غير المجنون تزيد شهوته خصية الديك تعلق على الديك المهارش لا يغلبه ديك فى المهارشة (دجاجة) أعجب مافيها أنها إذا تشبهت بالديك فى الصياح والمهارشة ينبت لها شوكة كشوكة الديك وربما باضت من لعبها فى التراب ومن الريح الجنوب من غير

ركوب الديك لكن لا تفرخ تلك البيضة ويطيب طعمها وإذا حصل فى ظهرها بيض كثير من هذا السبب وركبها الديك ولو مرت واحدة صلحت كلها وإذا حضنت الدجاجة وسمعت صوت الرعد يفسد بيضها وكذلك عند هبوب ريح الجنوب يكون فسادها أقوى والدجاجة إذا سمنت لا تبيض قال الجاحظ إذا كبرت الدجاجة قل بيضها كما ترى من أمر النخل إذا تزاحمت لا تحمل

﴿ فصل فى خواص أجزائها ﴾ تطبخ الدجاجة البيضاء بعشر بصلات وكف سمسم مقشر حتى تنهرى ويؤكل لحمها ويحتسى مرقها فإنه يزيد فى الباه ويقوى الشهوة والمداومة على أكل لحم الدجاج يورث البواسير والنقرس شحمه يتخذ طلاء يذهب الكلف الأحمر من الوجه وينفع من الشقاق فى القدم العارض من البرد ومرارتها تمنع من نزول الماء اكتحالا قانصتها قال بليناس تشوى تطعم من يبول فى الفراش يذهب عنه ذلك بيضها يؤخذ منه ثلاث حبات وينقع فى خل ثلاثة أيام ثم يترك فى الشمس ليجف ويطلى به البهق يذهب به والنيمرشت يعمل فى تكثير مادة المنى وزيادة الشهوة فعلا عجيبا والبيض يترك

﴿ باب الكاف ﴾

﴿ الكاسر ﴾ العقاب يقال له كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا إذا ضم جناحيه يريد الوقوع وعقاب كاسر قال الشاعر :

كأنه بعد كلال الزاجر * ومسحه مر عقاب كاسر

ويعدى فيقال كسر جناحيه قاله ابن سيده ﴿ كاسر العظام ﴾ المكلفة وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الميم ﴿ الكبش ﴾ فحل الضأن فى أى سن كان وقيل إذا أثنى وقيل إذا أربع والجمع أكبش وكباش * روى الجماعة عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال ضحى النبى ﷺ بكبشين أملحين أقرنين فسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما * وروى أبو داود وابن ماجه عن جابر رضى الله تعالى عنه قال ذبح النبى ﷺ يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوأين فلما وجههما قال ﷺ إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا إلى قوله وأنا من المسلمين اللهم منك وإليك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح قال الحاكم صحيح على شرط مسلم * قوله أملحين الأملح الذى بياضه أكثر من سواده وقيل هو النقى البياض وفى الحديث الآخر فى صحيح مسلم يطأ فى سواد ويبرك فى سواد وينظر فى سواد ومعناه أن قوائمه وبطنه وما حول عينيه أسود ونقل عن أصحاب الحديث أن معنى كونه ينظر فى سواد ويبرك فى سواد ويطأ فى سواد أن ذلك يكون فى ظل نفسه لسمنه * وروى ابن سعد فى طبقاته أن النبى ﷺ أهدى له ترس فى تمثال كبش فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال وفى رواية أنه كان له ﷺ ترس فيه تمثال كبش وفى رواية تمثال عقاب فكره النبى ﷺ مكانه فأصبح وقد أذهبه الله تعالى * وفى سنن أبى داود وابن ماجه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ويلبسون للناس صوف الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تدع الحكيم حيران * وروى البيهقى فى الشعب عن عمر رضى الله تعالى عنه قال نظر النبى ﷺ إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال ﷺ انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة اشتريت بمائتى درهم فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون انتهى * وفى الصحيحين عن خباب بن الأرت قال هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله عز وجل فوقع أجرنا على الله فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد فلم نجد له ما نكفيه به إلا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه وإذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطى رأسه وأن نجعل على رجليه من الإذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يجتنيها وهو إشارة إلى ما فتح الله عليهم من الدنيا بعد وفاة رسول ﷺ * والكبش وهو الذبح العظيم الذى فدى الله به اسماعيل عليه الصلاة والسلام وإنما سمى عظيما لأنه رعى فى الجنة أربعين عاما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال وهو الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه قال ولو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة ولذبح الناس أبناءهم واستشهد أبو حنيفه رحمه الله تعالى بهذه القصة على أن من نذر ذبح ولده يلزمه ذبح شاة ومنع الجمهور ذلك لقوله ﷺ

لا نذر فى معصية الله ولا نذر لابن آدم فيما لا يملك * وقد اختلف العلماء فى الذبيح هل هو اسماعيل أو إسحق عليهما الصلاة والسلام فذهب قوم إلى أنه إسحق منهم عمر وعلى وابن مسعود والعباس وكعب وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء والزهرى والسدى قالوا كانت هذه القصة بالشام * وروى عن سعيد بن جبير أنه قال أرى ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة حتى أتى به المنحر فى منى فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة طويت لهما الأودية والجبال واحتجوا أيضا بقوله تبارك وتعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك قالوا وليس فى القرآن أنه بشر بولد سوى ما قال فى سورة هود فبشرناها بإسحق ومن ذهب إلى أنه إسحق شيخ التفسير محمد بن جرير الطبرى رحمة الله عليه وروى عن مالك * وقالت فرقة الذبيح إسماعيل واحتجوا بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحق بعد الفراغ من قصة الذبيح فقال فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب فكيف يأمره بذبح إسحق وقد وعده بنافلة منه قال محمد بن كعب القرظى سأل عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه رجلا من علماء يهود وكان قد أسلم وحسن إسلامه أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم يا معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى أمر الله تعالى بذبحه ويزعمون أنه إسحق أبوهم ومن الدليل عليه أن قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى اسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج قال الشعبى رحمه الله رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى نفسى بيده لقد كان أول الإسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة قد وخش يعنى قد يبس وقال الأصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحق كان أو إسماعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عقلك منى كان إسحق بمكة وإنما كان إسماعيل بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه وقال محمد بن إسحق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام ويقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر فى المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى فى ليلة التروية كأن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى نفسه - أى فكر - أم من الله هذا أم من الشيطان فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مارأى فى المنام ثانيا فلما أصبح عرف أنه من الله تعالى فمن ثم سمى يوم عرفة فهم بنحر ابنه ففداه الله تعالى بالكبش * وروى البيهقى فى البعث والنشور من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لما فدى إسحق بالكبش قال الله عز وجل إن لك دعوة مستجابة فقال له إبراهيم تعجل دعوتك لا يدخل الشيطان فيها شيئا قال إسحق اللهم من لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئا فاغفر له * وكنية جماعة من الصحابيات رضى الله تعالى عنهن أم كبشة منهن أم كبشة بنت معديكرب عمة الأشعث بن قيس روى الدارقطنى عن معاوية بن حديج بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مفتوحة وبالجيم فى آخره أن أم كبشة هذه سألت النبى ﷺ أنها آلت أن تطوف بالبيت الحرام حبوا فقال لها رسول الله ﷺ طوفى على رجليك سبعين سبعا عن يديك وسبعا عن رجليك قلت والحكم المذكور غريب لم أر من صرح به من الفقهاء فلذلك ذكرته هنا وإن لم يكن له تعلق بالكتاب ثم رأيته بعد ذلك فى آخر باب النذر من المحرر لمجد الدين بن تيمية من الحنابلة فقال ومن نذر أن يطوف على أربع لزمه

شديدا وعظم جناحها اليسرى يفعل مثل ذلك فى البغضة ذرقها إن احتملته المرأة ألقت جنينها (زاغ) هو الأسود الكبير قالوا إنه يعيش أكثر من ألف سنة قال الجاحظ سائر الطيور تطرد أولادها ولا تعرفها إلا الغراب فإنها لا تبرح تتفقد أولادها والغراب نفسه يحرق ويسحق بالزيت وتطلى به الموضع الذى تريد أن ينبت فيه الشعر ينبت ﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ لسانه يجفف ويأكله العطشان يزول عطشه ولو فى وسط تموز قلبه يجفف ويسحق ويذاب بالماء ويشربه الإنسان لا يعطش فى سفره فإن الغراب لا يشرب الماء فى تموز وقال بعضهم لو أخذه الإنسان معه زال عطشه ومرارته تخلط بمرارة الديك ويكتحل بها تذهب ظلمة العين ويسود الشعر إذا طلى به سوادا عجيبا شحمه وحوصلته تمنع من نزول الماء أكلا عند مباديه قال بلیناس إذا أخذت شحم الغراب مع دهن الورد ودهنت به وجهك ودخلت على السلطان قضى حوائجك دمه يجفف ويذر على البواسير يصلحها بيضها إذا شربه من به الزرنيخ أو النورة يدفع غائلتها وإذا أكلها إنسان ثم استعمل الزرنيخ أو النورة

أن يطوف طوافين نص عليه يعنى الإمام أحمد ثم رأيته فى تاريخ مكة لأبى الوليد الأزرقى مرويا من حديث عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سئل عن امرأة نذرت أن تطوف على أربع قال تطوف عن يديها سبعا وعن رجليها سبعا ﴿فائدة﴾ روى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جىء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر » وفى رواية الترمذى فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع فيذبح فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار بالحياة والبقاء لماتوا ترحا وإنما جىء بالموت على هيئة كبش لما جاء أن ملك الموت عليه السلام أتى آدم عليه الصلاة والسلام فى صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعمائة جناح * قال ابن عباس والكلبى ومقاتل فى قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة خلقهما جسمين جعل الموت فى هيئة كبش أملح لا يمر على شىء ولا يجد ريحه شىء إلا مات والحياة على هيئة فرس أنثى بلقاء وهى التى كان جبريل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر على شىء ولا تطأ شيئا ولا يجد ريحها شىء إلا حيى وهى التى أخذ السامرى من ترابها فألقاه على العجل انتهى وهذه هى الحكمة فى فداء الذبيح بكبش ليكون فدى من الموت بشكل الموت ولما سر بذبحه سر أهل الجنة أيضا بذبحه منة عليهم ونقل القرطبى عن كتاب خلع النعلين أن الذابح للكبش بين الجنة والنار يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام بين يدى رسول الله ﷺ إذ فى اسمه إشارة إلى الحياة الأبدية وذكر صاحب كتاب الفردوس أن الذى يذبحه جبريل عليه السلام ﴿فائدة أخرى﴾ قال ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وسعيد بن جبير والضحاك والحسن رضى الله تعالى عنهم فى قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم إن الذى يكبر فى صدورهم الموت قال السهيلى وهو تفسير يحتاج إلى تفسير قال وقال بعض المتأخرين إن الموت الذى يستعظمونه سيفنى حين يذبح بين الجنة والنار فكذلك أنتم تفنون ورأيت فى الحلية لأبى نعيم فى ترجمة وهب بن منبه أنه قال إن لله تعالى فى السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم ﴿فائدة أخرى﴾ قال البونى فى اللمعة النورانية من السر البديع إذا كان الإنسان يخاف على نفسه من قتل أو عذاب أو غيره فليذبح كبشا سمينا سليما من العيوب كما فى الأضحية يذبحه فى موضع خال ذبحا سريعا موجها إلى القبلة ويقول عند الذبح اللهم هذا لك ومنك اللهم إنه فدائى فتقبله منى ويحفر لدمه حفرة ويردمها بالتراب حتى لا يطأ أحد على دمه ويبضعه ستين جزءا الجلد جزء والرأس جزء والبطن جزءا إلى أن يأتى على الستين جزءا ولا يأكل منه شيئا لا هو ولا من تجب عليه نفقته ويفرقه على الفقراء والمساكين فإنه يكون فداء له ولا يناله مكروه من جهة الأمر الذى يخشاه وهو متفق عليه مجرب معمول به والله تعالى المحسن لعبيده المنعم عليهم قال وإن كان يخاف من أمر دون ذلك فليطعم ستين مسكينا من أفضل الطعام ويشبعهم ويقول اللهم إنى أستكفى الأمر الذى أخافه بهم هؤلاء وأسألك بأنفسهم وأرواحهم وعزائمهم أن تخلصنى مما أخاف وأحذر فإنه يفرج عنه وهذا أيضا متفق عليه معمول به مستفيض عند أهل

الطريقة (وحكم الكبش) تقدم ومنه أنه تحرم المناطحة بالكباش لما روى أبو داود والترمذى من حديث مجاهد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم والتحريش الإغراء وتهييج بعضها على بعض كما يفعل بين الكباش والديوك وغيرها وفى الكامل فى ترجمة غالب بن عبد الله الجزرى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال إن الله تعالى لعن من يحرش بين البهائم قال الحليمى وهو حرام ممنوع منه لا يؤذن لأحد فيه لأن كل واحد من المتهارشين يؤلم صاحبه ويجرحه ولو أراد المحرش أن يفعل ذلك بيده ما حل له وعن الإمام أحمد فى ذلك روايتان التحريم والكراهة (الأمثال) قالوا * عند النطاح يظهر الكبش الأجم * وهو الذى لا قرن له يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعده له وكان الحسن يقول يا ابن آدم السكين تحد والتنور يسجر والكبش يعتلف * وروى السهيلى وغيره أن عبد الله بن الزبير لما ولد قال النبى ﷺ هو هو فلما سمعت بذلك أمه أسماء بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما أمسكت عن إرضاعه فقال لها النبى ﷺ أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليمنعن البيت أو ليقتلن دونه * ومما قيل فى ليالى صفين :

الليل داج والكباش تنتطح * نطاح أسد ما أراها تصطلح

فمن يقاتل فى وغاها ما نجا * ومن نجا برأسه فقد ربح

(الخواص) خصية الكبش تشوى وتطعم لمن يبول فى الفراش يبرأ من ذلك إذا داوم عليه وإن تعسر على المرأة الولادة فليؤخذ شحم كبش وشحم بقر وماء الكراث وتخاط جميعا وتتحمل به المرأة فإنها تلد بسهولة وكليته إذا نزعت بعروقها وجففت فى الشمس وأذيبت بدهن الزئبق وطلى به مكان نبت فيه الشعر ومرارته إذا طلى بها الثديان انقطع اللبن * روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ كان يصف من عرق النسا ألية كبش عربى أسود ليس بالعظيم ولا بالصغير تجزأ ثلاثة أجزاء فيذاب ويشرب منه كل يوم جزء ورواه الحاكم وابن ماجه ولفظهما أن النبى ﷺ قال شفاء عرق النسا أن يؤخذ ألية كبش فتذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ثم تشرب على الريق ثلاثة أيام فكل يوم جزء قال عبد اللطيف البغدادى هذه المعالجة تصلح الأعراب الذين يعرض لهم هذا المرض من يبس (التعبير) الكبش فى الرؤيا رجل شريف القدر لأنه أشرف الدواب بعد ابن آدم لأنه كان فداء لإسماعيل عليه السلام ومن رأى كبشا ينطح فرج امرأة فإنها تأخذ بالمقراض ما على فرجها من الشعر ومن رأى أنه أخذ ألية كبش أخذ مال رجل شريف القدر أو يتزوج بابنته لأن ألية الكبش مال الرجل ومن يتبعه من عقبه ومن ذبح كبشا الغير الأكل فإنه يقتل رجلا عظيما وإن ذبحه للأكل نجا من هم على يد رجل عظيم القدر وإن كان مريضا فإنه يبرأ من مرضه وقال أرطاميدورس الكبش يدل على رجل رئيس لتقدمه على الغنم وهو دليل خير لمن يركبه إذا كان الموضع مرتفعا والكبش الأجم والمعزول ورجل ذليل أو خصى ومن نكح كبشا فرق بينه وبين ماله رجل عظيم ومن ركب كبشا فى مكان مستو من الأرض وكان من الأوباش الخداعين الذين يحبون الفتن والكلام فإنه يصلب لأن هذا الحيوان من حيوان عطارد ومن حمل كبشا على ظهره فإنه يتقلد مؤنة رجل ضخم ومن رأى نعجته صارت كبشا فإن زوجته لا تحمل فإن لم تكن له زوجة نال قوة ونصرة على عدوه وكبش الإنسان سلطانه وأميره وقد يكون كبشه كيسه فإذا حدث فيه شىء فانسبه إلى الكيس * أتى شخص إلى ابن سيرين رحمه الله تعالى فقال

ويصلحها ذرقه يخلط بالخل ويطلى به موضع طحال المطحول ينفعه ويضمد به حلق صاحب البحة يزيلها (زرزور) طائر يقال له بالفارسية سار يتبع الربيع وطيب الهواء ويأتينا من بلاد الهند ويقع منها فى البحر شىء كثير تذهب الأمواج بها إلى السواحل وسكان السواحل تجمعها وتحرقها مكان الحطب قال أبقراط يؤخذ من فراخ الزرزور وتطلى الزعفران وتترك مكانها فإذا رجعت إليها أمهاتها تحسبها أنها مريضة فتأتى بحصى أصفر اللون لمعالجتها فتسحق تلك الحصاة وتعطى صاحب اليرقان فى الحال يبرأ لحمه يزيد فى ضوء البصر أكلا ويجفف ويسحق ويسقى صاحب الخناق على الريق ينفتح فى الحال رماده يذر على الجراحات يصلحها قال ابن سينا ذرق الزرزور المعتلف بالأرز نافع من القوابى (زمج) طائر يقال له بالفارسية زمك مرارته تجعل فى الأكحال تنفع من غشاوة العين وظلمة البصر وذكر أنه مجرب والله أعلم (سمانى) طائر صغير وهو السلوى الذى كان ينزل على بنى إسرائيل فى التيه ومن عجيب شأنه أنه يسكت

رأيت كبشين يتناطحان على فرج امرأتى فقال له إن امرأتك قد أخذت بالمقراض شعر فرجها لتعذر الموسى ومن ضحى بكبشين فإنه ينجو من جميع الهموم وإن كان مسجونا خرج من السجن وإن كان فى حرب سلم وإن كان عليه دين قضى وإن كان مريضا شفى ومن رأى كبشين يتناطحان فإنهما ملكان يقتتلان فأيهما هزم صاحبه فهو الغالب وتنسب السود من الكباش إلى العرب والبيض إلى العجم وإن تساويا فى الألوان فانظر إلى الجهة التى كان الثابت فيها كان أهلها منصورين ومهما أخذ الإنسان من أصوافها أو قرونها فهو مال يناله وقس على هذا والله تعالى أعلم ﴿الكبعة﴾ بفتح الكاف وإسكان الباء الموحدة دابة من دواب البحر قاله ابن سيده ﴿الكتفان﴾ بضم الكاف وإسكان التاء المثناة فوق وبعدها فاء الجراد أول ما يطير الواحدة كتفانة ويقال هو الجراد بعد الغوغاء أوله السرو ثم الدبى ثم الغوغاء ثم الكتفان ﴿الكتع﴾ كرطب أردأ ولد الثعلب والجمع كتعان بكسر الكاف ﴿الكدر﴾ بضم الكاف وإسكان الدال المهملة طير فى ألوانها كدرة (روى) ابن هشام وغيره أن النبى ﷺ غزا قرقرة الكدر فى النصف من المحرم على رأس ثلاثة عشر شهرا من مهاجرته ﷺ وهى ناحية بأرض سليم على ثمانية برد من المدينة وحمل لواءه ﷺ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فأخذ ﷺ نعمهم وقسم غنائمهم وهى خمسمائة بعير فأخرج ﷺ خمسة وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل واحد منهم بعيران وكانوا مائتى رجل وصار يسار رضى الله تعالى عنه فى سهم النبى ﷺ فأعتقه حين رآه يصلى وغاب ﷺ من المدينة خمس عشرة ليلة وقرقرة بفتح القافين أرض ملساء وقال البكرى هى بضم القاف وإسكان الراء وبعدهما مثلهما والمعروف فى ضبطهما الفتح ﴿الكركر﴾ كجعفر طائر ببحر الصين يطير تحت طائر يقال له خرشنة يتوقع ذرقه لأن غذاؤه منه وخرشنة طائر أكبر من الحمام وهو لا يذرق إلا وهو طائر كذا ذكره القزوينى ﴿الكركند﴾ رأيت بخط إسمعيل بن محمد الأمير ما مثاله روى أنه فى جزائر الصين والهند الكركند حيوان طوله مائة ذراع فأكثر من ذلك له ثلاثة قرون قرن بين عينيه وقرنان على أذنيه يطعن الفيل فيؤخذه فى قرنه ويبقى بين عينيه مدة ويبقى ولد الكركند فى بطن أمه أربع سنين وإذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى الشجر مما يصل إليه وإذا تم أربع سنين وقع من بطن أمه وفر كالبرق حتى لا تدركه فتلحسه بلسانها لأن لسانها فيه شوك كبير غليظ إذا لحسته أزالت لحمه عن عظمه فى لحظة واحدة وملوك الصين إذا عذبوا أحدا سلموه إلى الكركند يلحسه فيبقى عظاما ليس عليه من اللحم شىء انتهى . وسماه الجاحظ الكركدن ويسمى الحمار الهندى ويسمى الحريش كما تقدم وهو عدو الفيل ومعادنه بلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس ويقال أنه متولد بين الفرس والفيل وله قرن واحد عظيم فى رأسه لا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه وهذا القرن مصمت قوى الأصل حاد الرأس يقاتل به الفيل فلا يفيد معه ناباه وإذا نشر قرنه طولا تخرج منه الصور المختلفة بياض فى سواد كالطاوس والغزال وأنواع الطير والشجر وصور بنى آدم وغير ذلك من عجائب النقوش يتخذون منه صفائح على سرر الملوك ومناطقهم ويتغالون فى أثمانها وزعم أهل الهند أن الكركند إذا كان بأرض لم يدع شيئا من الحيوانات إلا ما كان بينه وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له

طول الليل زمن الشتاء فإذا ابتلاج الصبح يتغذى بالبيش والبيش سم قاتل (سقر) طائر من جوارح الطير فى حجم الشاهين إلا أن رجليه غليظتان جدا ولا يعيش إلا بالبلاد الباردة ويوجد ببلاد الترك إذا أرسل إلى الصيد أشرف عليها ويطير حولها على شكل دائرة فإذا رجع إلى المكان الذى ابتدأ منه يبقى الطير جميعا فى وسط الدائرة لا يخرج منها واحد ولو كانت ألفا والجارح يقف عليها وينزل يسيرا يسيرا وينزل الطير بنزوله حتى يلتصق بالتراب فيأخذها البازدارية فلا يفلت منها شىء أصلا (شاهين) طير من جوارح الطير عدو الحمام إذا رآه الحمام يعتريه ما يعترى الشاة من الذئب والفأر من الهرة والحمام أسرع طيرانا منه إلا أنه إذا رآه يضعف عن الطيران خوفا وإذا رأته السلحفاة تتقنع وتعطيه ظهرها ولا يعمل منقار الشاهين فيها فيحملها الشاهين ويصعد بها نحو السماء ويرميها على حجر صلد لتنكسر فيأكلها وإذا مرض الشاهين أكل الدراريج يزيل مرضه (شفنين) طائر معروف لا يزاوج إلا أنثاه فإن هلكت لا يزاوج غيرها وكذلك الأنثى قاله الجاحظ

وهربا منه ويزعمون أنه ربما نطح الفيل فرفعه على قرنه ويقال إن الأنثى من هذا النوع تحمل كأنثى الفيل ثلاث سنين أو سبع سنين ويخرج ولدها نابت الأسنان والقرون قوى الحوافر وقيل إذا قاربت الأنثى أن تضع يخرج الولد رأسه منها فيرعى أطراف الشجر ثم يرجع وقد أنكر الجاحظ هذا وليس فى الحيوان ذو قرن مشقوق الطرف غيره وهو يجتر كالبقر والغنم والإبل ويأكل الحشيش لكنه شديد العداوة للإنسان إذا شم رائحته أو سمع صوته طلبه فإذا أدركه قتله ولا يأكل منه شيئا ويقال للأنثى كركندة قال الزمخشرى (وأما حكمه) فلم أر أحدا تعرض له مع التتبع الشديد والسؤال العديد والظاهر حله لأكله الشجر ولكونه يجتر ولا يمنع من ذلك كونه يعادى الإنسان فالضبع يعاديه ويؤكل فإن ثبت أنه متولد من الفرس والفيل حرم وهو بعيد

(الخواص) على رأس قرنه شعبة مخالفة لانحناء القرن وهى لها خواص عجيبة وعلامة صحتها أن يرى منها شكل فارس ولا توجد تلك الشعبة إلا عند ملوك الهند ومن خواصها حل كل عقد فلو أخذها صاحب القولنج بيده شفى فى الحال والمرأة التى ضربها الطلق إن أمسكتها بيدها تلدفى الحال وإن سحق منها شىء يسير وسقى المصروع أفاق وحاملها يأمن من عين السوء ولا يكبو به الفرس وإذا تركت فى الماء الحار عاد باردا وعينه اليمنى تعلق على الإنسان تزول عنه الآلام كلها ولا يقربه الجن ولا الحيات واليسرى تنفع من النافض والحمى ويتخذ من جلده التجافيف فلا تعمل فيها السيوف ﴿خاتمة﴾ قال أبو عمر بن عبد البر فى كتاب الأمم أشرف حلى أهل الصين من قرن الكركند فإن قرونها متى قطعت ظهر منها سور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ قيمة المنطقة منها أربعة آلاف مثقال ذهبا والذهب عندهم هين عليهم حتى يتخذوا منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم قال وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس الأنوف يبيحون الزنا ولا ينكرون شيئا منه ويورثون الأنثى أكثر من الذكر ولهم عيد عند نزول الشمس الحمل يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام وإقليمهم واسع فيه نحو ثلثمائة مدينة وفيه عجائب كثيرة قال والأصل فى ذلك إن عامور بن يافث بن نوح عليه السلام نزلها وابتنى بها المدائن هو وأولاده وعملوا فيها العجائب وكانت مدة ملك عامور ثلثمائة سنة ثم ملك بعده ابنه صاين بن عامور مائتى سنة وبه سميت الصين فجعل حينئذ تمثالا من ذهب على صورة أبيه على سرير من ذهب وعكف هو وقومه على عبادته وفعلوا بجميع ملوكهم ذلك وهم على دين الصابئين قال ووراء الصين أمم عراة منهم أمة يلتحفون بشعورهم وأمم لا شعر لهم وأمم حمر الوجوه شقر الشعور وأمم إذا طلعت الشمس هربوا إلى مغارات يأوون اليها إلى أن تغرب الشمس وأكثر ما يأكلون نباتا يشبه الكمأة وسمك البحر ثم ذكر بعد هؤلاء يأجوج ومأجوج قال وأجمعوا على أنهم من ولد يافث بن نوح ثم ختم الكتاب بأن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال صلى الله عليه وسلم مررت بهم ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا (وأما تعبير رؤيته فى المنام) فإنه ملك عظيم جائر وقيل إن رؤيته تدل على الحرب والمخادعة مع حقارته وعجمته ودناءة أصله وربما كان مسلطا بماله وولده ﴿الكركى﴾ طائر كبير معروف والجمع الكراكى وكنيته أبو عريان وأبو عينا وأبو العيزار وأبو نعيم وأبو الهيصم وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق وهو أغبر طويل الساقين والأنثى منه لا تقعد للذكر عند السفاد وسفاده سريع كالعصفور وهو من الحيوان الذى لا يصلح إلا برئيس لأن فى طبعه الحذر والتحارس فى النوبة والذى يحرس يهتف بصوت خفى كأنه ينذر بأنه حارس فإذا قضى نوبته قام الذى كان نائما

شحمه يذاب بالشيرج ويقطر فى الأذن يذهب طرشها وإذا اكتحل به يذهب الرمد وجراحات العين والعشاء ذرقه يسحق ويذاب بدهن الورد وتحتمله المرأة على صوفة ينفعها من أوجاع الرحم (شقراق) طائر يقال له بالفارسية كاسكينة أخضر اللون أحمر المنقار وقد يكون أصفر عدو النحل يأكل منها ويقتل مالا يأكله. مرارته ذكر صاحب المثل أن الذهب إذا كان ناقص العيار يذاب ويفرغ فى مرارة الشقراق فإنه يحمر ويزيد عياره كما لو فرغت فى مرارة الثعلب ينقص عياره ويظهر نقصانه (صاف) طائر لا ينام شيئا من الليل أصلا فإذا أظلم الليل يتدلى من شجرة ويقبض على شىء من أعوادها برجليه متنكسا ولا يزال يصيح حتى يشرق الصبح قالوا إنه يخاف من وقوع السماء عليه (صقر) هو الجارح المعروف الذى يقال له بالفارسية جزع وصيده أعجب من جميع الجوارح وهو أنه إذا أرسل الصقران إلى ظبى نزل أحدهما على رأسه يضرب عينيه بجناحيه ثم يعلو وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك هكذا يشغلانه عن المشى حتى يدركه من يبطش به ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب

يحرس مكانه حتى يقضى كل ما يلزمه من الحراسة ولها مشات ومصايف ومنها ما يلزم موضعا واحدا ومنها ما يسافر بعيدا وفى طبعه التناصر ولا تطير الجماعة منه متفرقة بل صفا واحدا يقدمها واحد منها كالرئيس لها وهى تتبعه يكون ذلك حينا ثم يخلفه آخر منها مقدما حتى يصير الذى كان مقدما مؤخرا وفى طبعه أن أبويه إذا كبرا عالهما وقد مدح هذا الخلق أبو الفتح كشاجم حيث يقول مخاطبا لولده:

اتخذ فى خلة الكراكى * أتخذ فيك خلة الوطواط

أنا إن لم تبرنى فى عناء * فبرى ترجو جواز الصراط

ومعنى قوله خلة الوطواط أنه يبر ولده فلا يتركه بمضيعة بل يحمله معه حيثما توجه وقد كذب المحدثون جميع بن عمير التيمى فى قوله إن الكراكى تفرخ فى السماء ولا تقع فراخها وله فى السنن الأربعة ثلاثة أحاديث وحسن له الترمذى لكنه من عتق الشيعة قال القزوينى والكراكى لا يمشى على الأرض إلا بإحدى رجليه ويعلق الأخرى وإن وضعها وضعها وضعا خفيفا مخافة أن تخسف به الأرض وسيأتى إن شاء الله تعالى فى مالك الحزين طرف من هذا ولملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لا يدرك حده وإنفاق مال لا يستطيع حصره وعده فلذلك علت مملكتهم على كثير من الممالك ولن يهلك على الله إلا هالك أو متهالك وفى مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس وأبى موسى أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه كان نقش خاتمه كركى له رأسان قال ابن بطال وهذا إن كان صحيحا فلا حجة فيه لإباحة ذلك لترك الناس العمل به ولنهيه ﷺ عن التصوير ﴿فائدة﴾ ذكر السهيلى عن رواية ابن إسحق أن النبى ﷺ لما كان فى بنى سعد نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر فى فيه بمنقاره ثلجا أو بردا أو نحو هذا قال وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه * وفى أوائل المجالسة للدينورى أنه أقبل عليه ﷺ طيران أبيضان كأنهما نسران إلى آخره * وفى المستدرك فأقبل عليه ﷺ طيران أبيضان كأنهما نسران وذكر الحديث بطوله * وروى ابن أبى الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبى وبم علمت حتى استيقنت قال ﷺ ياأبا ذر أتانى ملكان فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل فوزنتى برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزننى بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزننى فرجحتهم ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فأخرج قلبى فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ووليا عنى فكأنى أعاين الأمر معاينة اه ﴿قلت﴾ وفى هذا الحديث من الفوائد أن خاتم النبوة لم يكن قبل ذلك واختلف العلماء فى صفته على عشرين قولا حكاها الحافظ قطب الدين ففى سيرة ابن هشام أنه كأثر المحجمة القابضة على اللحم وفى الحديث أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود * وروى أنه كان كالتفاحة وكزر الحجلة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله وقد تقدم فى باب الحاء المهملة ماوقع فيه للترمذى * وروى أنه كان كبيضة الحمامة * وروى الحاكم الترمذى فى

عنه مع زيادة قوته وجثته (طاوس) أحسن الطيور جمالا وحسنا وأروقها لونا ولله تعالى فى خلقه حكمة فى اختلاف ألوانها فترى فى وسط كل ريشة دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرهما من الألوان التى يلائم بعضها بعضا ينشأ من تركيبها زيادة حسن فإن الذهب إذا جعلته على الحمرة أو الصفرة أو البياض لا تجد مثل حسنها على الزرقة والخضرة والكحلية فانظر إلى قدرة الصانع كيف خلق فى بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة ثم إن الذهب الذى يولدها فى الحجر لا يخرج إلا بالحيلة الشديدة ولا يصلح للتزويق إلا بعد أن يعمل عليها صناع كثيرة مختلفو الصناعات وكيف خلق الله فى البيضة خاصية يتبين منها لون الذهب فسبحانه ما أعظم شأنه وأوضح برهانه قالوا عمر الطاوس خمس وعشرون سنة وفى هذه المدة يتلون بألوان كثيرة وفى كل سنة يلقى بريشه وقت الخريف وإذا بدت الأشجار بالأوراق يكتسى الطاوس أيضا بريشه قال ابن سينا من أراد أن يظفر بإبعاد الهوام يقتنى طاوسا فى مكانه

المناقب عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال هذا سيد الخلق أجمعين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ قريش ما أعلمك بهذا فقال إنكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا لله تعالى وسلم على رسول الله ﷺ ولا يفعل ذلك إلا لنبى وإنى لأعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به لم يجده وكان ﷺ فى رعية الإبل فقال أرسلوا إليه فأرسلوا إليه فأقبل ﷺ وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال فىء الشجرة عليه قال فبينما هو قائم عليهم يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا فاستقبلهم وقال ما جاء بكم قالوا إن هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا وقد بعث إليه أناس وإنا قد أخبرنا يقيناً أنه فى طريقك هذا فقال هل خلفتم أحداً هو خير منكم قالوا لا وإنما اخترنا طريقك هذا لأجلك قال أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس أن يرده قالوا لا قال فبايعوه فبايعوه وأقاموا معه ثم قال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر وبلالا رضى الله تعالى عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب اهـ ورجال سنده جميعهم مخرج لهم فى الصحيح قال الحافظ الدمياطى فى هذا الحديث وهمان الأول قوله فبايعوه وأقاموا معه والثانى قوله وبعث معه أبو بكر وبلالا ولم يكونا معه ولم يكن بلال أسلم ولا ملكه أبو بكر بعد بل كان أبو بكر حينئذ لم يبلغ عشرين سنة ولم يملك بلالا إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاما قال السهيلى والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه ﷺ لما ملئ قلبه حكمة ويقينا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا وأما وضعه أسفل من غضروف الكتف فلأنه ﷺ معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم لما روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلا سأل ربه سنة أن يريه موضع الشيطان منه فأرى جسدا كالبلور يرى داخله من خارجه والشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه يحاذى قلبه له خرطوم نحو طوم البعوضة قد أدخله إلى قلبه يوسوس له فإذا ذكر الله العبد خنس وقد تقدم هذا فى باب الضاد المعجمة فى الضفدع منقولا عن الزمخشرى ﴿قلت﴾ وانشقاق الصدر حصل له ﷺ مرتين إحداهما فى صغره وهى هذه والأخرى فى كبره ليلة الإسراء ففى الصحيحين من حديث أنس وأبى ذر أنه ﷺ قال فرج عنى سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه * وقال أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أنه ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال بينا أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر بين النائم واليقظان إذ نزل علىّ رجلان فأتيت بطشت من ذهب مملوء حكمة وإيمانا فشق صدرى من النحر إلى مراق البطن واستخرج قلبى فغسل ثم حشى ثم أعيد وقال سعيد بن هشام ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق فركبته الحديث بطوله وقال قوم عرج به ﷺ من دار أم هانئ أخت على بن أبى طالب رضى الله عنهما (الحكم) يحل أكله بلا خلاف وما أوهمه كلام العبادى من جريان خلاف طير

مخه بالسذاب والعسل ينفع من القولنج وأوجاع المعدة دمه من سقى منه يجن مرارته يشرب منها وزن دانق بالسكنجبين نافع للبطون ويذهب بثقل اللسان لحمه يزيد فى الباه وينفع من وجع الركبتين شحمه يطلى به العضو المبرود يصلحه عظمه من أخذه معه يأمن من العين السوء مخلبه يشد على فخذ صاحبة الطلق تضع فى الحال وكذلك لو دخن تحت ذيلها (طهوج) لحمه يعقد البطن ويزيد فى الباه (عصفور) قالوا الطير ضربان أحدهما بهائم الطيور وهى التى تلقط الحب والآخر سباع الطيور وهى التى تتغذى باللحم والعصفور يشبههما جميعا لأنه ليس بذى مخلب ويلقط الحب وكذلك يأكل اللحم ويصطاد الجراد والصرصر ويتخذ وكره فى العمران تحت السقوف خوفا من الجوارح ولو خلت مدينة عن أهلها ذهب العصافير عنها فإن عاد أهلها عادت وبينها وبين الحية عداوة إذا قصدت الحية وكرها اجتمعت العصافير ورفعت شقاشقها ولا تبقى عصفورة سمعت صاحبتها إلا جاءت إليها وصاحت معها وربما تقرض الحية بمنقارها فتجرحها فيجتمع النمل عليها فتكون سبباً لهلاك

الحية وإذا نهقت الحمير فسد بيض العصافير وليس شيء من الحيوانات أكثر سفادا من العصفور فلهذا قالوا عمره قصير ﴿ فصل فى خواص أجزائه ﴾ دمه يخلط بدقيق العدس ويتخذ بنادق ويطلى به القضيب ولا يضع قدمه على الأرض فإنه يرى شيئا عجيبا من إفراط اللذة وكثرة الشهوة لحمه يهيج الباه ويكثر الرياح بيضها من يتحسى به يكثر جماعه ويدفن تحت الزبل ثلاثة أيام ثم يخرجه ويطلى به الناصور ينفعه نفعا بينا ذرقه يكتحل به يزيل الغشاوة وإن شرب به الإنسان فى النبيذ يخرج كالميت (عقاب) من صغار جوارح الطير يصيد الطير وصغار الحيوان كالأرنب والثعلب ويأكل من كل حيوان كبده لأن الكبد ينفعه من أمراضه قال الجاحظ لمخلب العقاب خاصية فى تقطيع الذئب فينقض على الذئب فيقده نصفين ويتبع العساكر لطعمه من لحوم القتلى قال أصحاب القنص إن العقاب لا يروع الصيد ولا يعانى ذلك بل يكون على المرقب الأعلى فإذا رأى شيئا من الجوارح قنص صيدا انقض عليه فالجارح ينجو بنفسه ويترك الصيد للعقاب ولا يفرخ إلا بيضتين والزيادة لماء الأبيض فيه شاذ مردود وقال الأصحاب ما كان من الطيور المأكولة أكبر من الحمام كالبط والكركى إذا قتلها المحرم أو قتلت فى الحرم فيه قولان أحدهما إيجاب الشاة إلحاقا بالحمام من باب أولى لأنه أكبر شكلا من الحمام ويشهد له قول عطاء فى عظام الطير شاة كالكركى والحبارى والأوز والقول الثانى اعتبار القيمة وهو القياس فإن الشاة فى الحمام لاتباع النقل ويشهد له قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما كان سوى حمام الحرم فيه ثمنه إذا أصابه المحرم (الأمثال) قالوا فلان أحرص من الكركى لأنه يقوم الليل كله على إحدى رجليه كما تقدم ومن أحسن ما يحكى عن الإمام الزاهد القدوة أبى سليمان الدارانى أنه قال اختلفت إلى مجلس قاص فتكلم فأحسن فى كلامه فأثر كلامه فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شيء فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقى فى قلبى أثر كلامه فى الطريق ثم زال ثم عدت ثالثا فبقى فى قلبى أثر كلامه حتى رجعت إلى منزلى فلزمت الطريق فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى فقال عصفورا اصطاد كركيا أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركى أبا سليمان (الخواص) لحم الكركى بارد يابس لا دسم له أجوده صيد البازى ينفع أصحاب الكد لكنه سيء الهضم ويدفع ضرره إنضاجه بالأبازير الحارة وهو يولد دما غليظا ويوافق أصحاب الأمزجة الحارة لا سيما الشباب وأجود أكله فى الشتاء ويختار أن يتحلى بعده بالحلوى العسلية فإنها مما يسهل خروجه ويجب أن لا يؤكل إلا بعد يوم أو يومين وتشد فى أرجلها الحجارة وتعلق ليرخص لحمها وتنضج فى طبخها وتستمرئ عند أكلها وكذلك يفعل فيما لحمه كذلك غليظ عسر الاستمراء لاسيما إناثها ومرارته تنفع من القرع وإذا خلطت مع دماغه بزبق وسعط بها الذى ينسى فإنه يذكر ما ينساه ومن أحب أن لا ينبت فى بدنه شيء من الشعر فليأخذ جزءا من الذراريح ومثله مخ كركى ويدفهما جميعا ويطلى بهما أى موضع اختاره من بدنه فإنه لا يطلع فيه شعر (التعبير) الكركى فى المنام تدل رؤيته على رجل مسكين غريب ومن رأى كأنه راكب كركيا فإنه يفتقر ومن رأى أنه ملك كثيرا منها أو وهب له فإنه ينال رياسة ومالا ولحم الكركى لمن أراد المشاركة أو الزواج دليل خير لأنها لا تفترق فى طيرانها وقيل إن من رأى أنه أخذ كركيا صاهر قوما سيئة أخلاقهم وقالت النصارى والروم من رأى كركيا سافر سفرا بعيدا وإن رآه مسافرا رجع إلى بلده وقال ارطاميدورس الكركى فى الشتاء تدل رؤيتها على اللصوص وقطاع الطريق وهى دليل خير لمن أراد الأولاد لأنها تعين آباءها عند الكبر والله أعلم

﴿ الكروان ﴾ بفتح الكاف والراء المهملة طائر يشبه البط لا ينام الليل سمى بضده من الكرى والأنثى كروانة وجمع كروان كروان بكسر الكاف كورشان وورشان على غير قياس قال بكر بن سوادة فى خالد بن صفوان :

عليم بتنزيل الكتاب ملقن ذكور بما أسداه أول أولا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله كأنهم الكروان عاين أجدلا

وقال طرفة فى أبياته التى كانت سبب قتله :

لنا يوم وللكروان يوم * تطير البائسات ولا نطير * فأما يومهن فيوم سوء تطاردهن بالحرب الصقور * وأما يومنا فنظل ركبا * وقوفا ما نحل ولا نسير

فكتب له عمرو بن هند وللمتلمس كتابين إلى عامله المكعبر بقتلهما فقتل طرفة وسلم المتلمس لما قرئت عليه الصحيفة والقصة فى ذلك مشهورة وتقدمت الإشارة إليها فى القبرة ووقع ذكر هذه الصحيفة فى سنن أبى داود فى آخر كتاب الزكاة وذلك أن عيينة بن حصن الفزارى

والأقرع بن جابس التميمى قدما على النبى ﷺ فسألاه فأمر لهما عليه الصلاة والسلام بما سألاه وأملى عليه الصلاة والسلام معاوية رضى الله تعالى عنه فكتب لهما بما سألاه فأما الأقرع فأخذ كتابه فلفه فى عمامته وانطلق إلى قومه وأما عيينة فأخذ كتابه وأتى به النبى ﷺ فقال يا محمد أترانى حاملا إلى قومى كتابا لا أدرى ما فيه كصحيفة المتلمس فقال ﷺ من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار وقالوا يا رسول الله وما الذى يغنيه قال ﷺ قدر ما يغديه أو يعشيه اه (وحكمه) حل الأكل بالإجماع (الأمثال) قالوا أجبن من كروان لأنه إذا قيل له أطرق كرا إن النعام فى القرى التصق بالأرض فيلقى عليه ثوب فيصاد وهذا المثل يضرب للمعجب بنفسه قال الشاعر:

أمير أبى موسى يرى الناس حوله كأنهم الكروان أبصر بازيا

وقالوا فيه:

شهدت بأن الخبز باللحم طيب وأن الحبارى خالة الكروان

يضرب عند الشىء يتمنى ولا يقدر عليه (الخواص) قال القزوينى إن لحمه وشحمه يحركان الباه تحريكا عجيبا ﴿الكسعوم﴾ كالقوم الحمار لغة حميرية والميم زائدة فيه وكسع حى من حمير باليمن رماة ومنه قولهم ندمت ندامة الكسعى وهو رجل من كسع اسمه مجاور بن قيس رأى نبعة فرباها حتى اتخذ منها قوسا فرمى الوحش عنها ليلا فأصاب وظن أنه أخطأ فكسر القوس فلما أصبح رأى ما أصمى من الصيد فندم قال الشاعر:

ندمت ندامة الكسعى لما رأت عيناه ما صنعت يداه

روى الطبرانى وغيره من حديث عبد الرحمن بن سمرة أن النبى ﷺ قال لا زكاة فى الكسعة والجبهة والنخة فسره أبو عبيد وغيره بأن الكسعة الحمير والجبهة الخيل والنخة العبيد وقال الكسائى إنما هو النخة بضم النون وهى البقر العوامل ﴿الكعيت﴾ البلبل جاء مصغرا كما تقدم وجمعه كعتان ﴿عجيبة﴾ ذكر الأزرقى فى تاريخ مكة أن طائرا أصغر من الكعيت لونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما له عنق طويل دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر أقبل يوم السبت يوم سبع وعشرين من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائتين حين طلعت الشمس والناس إذ ذاك فى الطواف كثير من الحاج وغيرهم وعبر من ناحية أجياد حتى وقع فى المسجد الحرام قريبا من زمزم مقابل الحجر الأسود فمكث ساعة طويلة ثم طار حتى صدم الكعبة فى نحو وسطها بين الركن اليمانى والحجر الأسود وهو إلى الحجر الأسود أقرب ثم وقع على منكب رجل فى الطواف عند الحجر الأسود من الحاج من أهل خراسان محرم فلبى وهو على منكبه الأيمن فطاف به الرجل أسابيع والناس يدنون منه وينظرون إليه وهو ساكن غير مستوحش منهم والرجل الذى هو عليه يمشى فى الطواف فى وسط الناس وهم ينظرون إليه ويتعجبون وعينا الرجل تدمعان على خديه ولحيته قال عبد الله بن ربيعة رأيته على منكبه الأيمن والناس يدنون منه وينظرون إليه فلا ينقل منهم ولا يطير فطفت أسابيع ثلاثة كل ذلك أحرج من الطواف فأركع خلف المقام ثم أعود وهو على منكب الرجل قال ثم جاء إنسان من أهل الطواف فوضع يده عليه فلم يطر وطاف به بعد ذلك ثم طار هو من قبل نفسه حتى وقع على يمين المقام ومكث ساعة طويلة وهو يمد عنقه ويقبضها إلى جناحه والناس ينظرون إليه فأقبل فتى من الحجة فضرب بيده فيه فأخذه ليريه رجلا منهم يرميها لأنها أكولة لا يتفرغ للأولاد الكثيرة لقساوة قلبها وسوء خلقها وإذا هرمت وعجزت عن الطيران تراعيها أفراخها وإذا أظلم ضوء عينها من الهرم تصعد نحو الهواء إلى أن يخرق بريشها ثم تنزل فتغوص فى شىء من عيون الماء فيذهب هرمها وتعود إليها قوتها وهو طويل العمر بعيد التسافر يتغدى بالعراق ويتعشى باليمن والعرب تقول فلان أحزم من فرخ العقاب لأن العقاب وسائر فراخ الطير تتخذ أوكارها فى عروض الجبل وربما كان الجبل أملس بحيث لو تحرك الفرخ من مجثمه لهوى من رأس الجبل إلى حضيضه والفرخ يعرف ذلك مع صغره وقلة تجربته لا يتحرك أصلا ولو وضع شىء من أفراخ الأهليات كالدجاج والحجر والقطا فى أوكار الوحشيات لنافت فى الحال وسقط عنها وأعجب من هذا أن الفرخ لا يطير حتى تستوى قصبة ريشه فسبحان من ألهم كل حيوان مصالح نفسه ومفاسده

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾

مرارته تنفع من ظلمة العين اكتحالا ويطلى به ثدى النساء اللاتى انعقد اللبن فى ثديهن فإن ألمها يسكن فى الحال ويفتحها ويكثر لبنها دمه يجفف ويخلط

كان أيضا نافعا شحمه يذاب بالزيت ويطلى به رجل المنقرس يزول ألمها وكذلك وجع المفاصل شحمه يخلط بالصبر والعسل ويجعل على الناصور مرتين أو ثلاثا يصلحه ( عقعق ) طائر معروف كثير الخيانة يسلب الأشياء النفيسة من الحلى والجواهر ويرميها موضعا آخر ولا يتخذ العش إلا في ظلمة أو تحت سقف ويأتى بورق الدلب يتركها في عشه كيلا يقصد الخفاش بيضه وكثيرا ما تنسى عشها أفراخها فما لها ذكاء كما لغيرها من الطيور

( فصل في خواص أحزائه ) دماغه يخلط بالغالية ويسعط بها صاحب اللقوة والفالج يذهب ما به من الأذى دمه يجفف ويخلط بماء الورد ويسقى إنسانا يبقى ثرثارا مكثارا وطريه يطلى به الموضع الذى فيه نصل أو شوكة يخرجها بالسهولة شحمه يطعم لصبي بالسكر يكون فصيحا حافظا ريشه يحرق ويذر في جحر النمل تهرب كلها بحيث لا يبقى منها شيء مخ رأسها يكتحل به بعد الخروج من الحمام مرتين أو ثلاثة يزيل بياض العين بالكلية

كان يركع خلف المقام فصاح الطير في يده أشد صياح بصوت لا يشبهه أصوات الطيور ففزع منه وأرسله من يده فطار حتى أتى بين يدى دار الندوة خارجا من الظلال قريبا من الأسطوانة الحمراء واجتمع الناس ينظرون إليه وهو مستأنس في ذلك كله غير مستوحش من الناس ثم طار من قبل نفسه فخرج من باب المسجد الذى بين دار الندوة ودار العجلة نحو قيقعان وقد تقدم في باب الهمزة في الأيم ما ذكره الأزرقى مما يشبه هذا ﴿ الكركم ﴾ طائر بأرض طبرستان حسن موشى حسن العينين جدا سمى باسم صياحه الذى يصيحه وربما اصطاد العصافير وصغار الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها لكن لا في جميع السنة بل في فصل الربيع فإذا صاح اجتمعت عليه العصافير وصغار الطير مما يكون في الآجام والمياه وغيرها فتزقه من أول النهار فإذا كان آخر النهار أخذ واحدا منها فأكله فذلك فعله في كل يوم إلى أن ينقضى فصل الربيع فإذا انقضى انعكست عليه فلا تزال تجتمع عليه وتطرده وتضربه وهو يهرب منها ولا يسمع به صوت إلى فصل الربيع الآخر وذكر على بن زيد الطبرى صاحب فردوس الحكمة أن هذا الطائر لا يكاد يرى قدماه على الأرض بل يطأ على إحدى رجليه على البدن وذكر الجاحظ أن الكركم من عجائب الدنيا وأنه لا يطأ على الأرض بقدميه جميعا خشية أن تنخسف من تحته كما تقدم في الكركى ومثل هذا يأتى إن شاء الله تعالى في مالك الحزين والنحام

﴿ الكلب ﴾ حيوان معروف وربما وصف به فقيل للرجل كلب وللمرأة كلبة والجمع أكلب وكلاب وكليب مثل أعبد وعباد وعبيد وهو جمع عزيز والأكالب جمع أكلب قال ابن سيده وقد قالوا في جمع كلب كلابات قال الشاعر :

أحب كلب في كلابات الناس * إلى نهجا كلب أم عباس

وكلاب اسم رجل من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم وهو كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكلاب إما منقول من المصدر الذى هو في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا وأما جمع كلب وسموه بذلك طلبا للكثرة كما سموا سباع وأنمار قيل لأبى الدقيش الأعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسنها نحو مرزوق ورباح فقال إنما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا وكأنهم قصدوا بذلك التفاؤل بمكالبة العدو وقهره والكلبة أنثى الكلاب وجميعها كلبات ولا تكسر * والكلب حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء وهو لا سبع ولا بهيمة حتى كأنه من الخلق المركب لأنه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس ولو تم له طباع البهيمية ما أكل لحم الحيوان . لكن في إطلاق البهيمة عليه * روى مسلم أن النبي ﷺ قال بينما امرأة تمشى بفلاة من الأرض اشتد عليها العطش فنزلت بئرا فشربت ثم صعدت فوجدت كلبا يأكل الثرى من العطش فقالت لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذى بلغ بى ثم نزلت البئر فملأت خفها وأمسكته بفيها ثم صعدت فسقته فشكر الله لها ذلك وغفر لها قالوا يا رسول الله أولنا في البهائم أجر قال نعم في كل كبد رطبة أجر * وهو نوعان أهلى وسلوقى نسبة إلى سلوق وهى مدينة باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية وكلا النوعين في الطبع سواء وفي طبعه الاحتلام وتحيض أنائه وتحمل الأنثى ستين يوما ومنها ما يقل عن ذلك وتضع جراها عميا فلا تفتح عيونها إلا بعد اثنى عشر يوما والذكور تهيج قبل الإناث وهى تنزو إذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك وإذا سفد الكلبة كلاب مختلفة الألوان أدت

إلى كل كلب شبهه وفى الكلب من اقتفاء الآثر وشم الرائحة ماليس لغيره من الحيوانات والجيفة أحب إليه من اللحم الغريض ويأكل العذرة ويرجع فى قيئه ويينه وبين الضبع عداوة شديدة وذلك أنه إذا كان فى مكان عال أو موضع مرتفع ووطئت الضبع ظله فى القمر رمى بنفسه عليها مخذولا فتأخذه فتأكله إذا دهن كلب بشحمها جن واختلط وإذا حمل الإنسان لسان ضبع لم تنبح عليه الكلاب ومن طبعه أنه يحرس ربه ويحمى حرمه شاهدا وغائبا إذا كراوغافلا نائما ويقظان وهو أيقظ الحيوان عينا فى وقت حاجته إلى النوم وإنما غالب نومه نهارا عند الاستغناء عن الحراسة وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق وإذا نام كسر أجفان عينيه ولا يطبقها وذلك لخفة نومه وسبب خفته أن دماغه بارد بالنسبة إلى دماغ الإنسان * ومن عجيب طباعه أنه يكرم الجلة من الناس وأهل الوجاهة ولا ينبح أحدا منهم وربما حاد عن طريقه وينبح الأسود من الناس والدنس الثياب والضعيف الحال ومن طباعه البصبصة والتردى والتودد والتألف بحيث إذا دعى بعد الضرب والطرد رجع وإذا لاعبه ربه عضه العض الذى لا يؤلم وأضراسه لو أنشبها فى الحجر لنشبت ويقبل التأديب والتلقين والتعليم حتى لو وضعت على رأسه مسرجة وطرح له ما كول لم يلتفت اليه مادام على تلك الحالة فإذا أخذت المسرجة من رأسه وثب إلى ما كوله وتعرض له أمراض سوداوية فى زمن مخصوص ويعرض له الكلب بفتح اللام وهو داء يشبه الجنون وعلامة ذلك أن تحمر عيناه وتعلوهما غشاوة وتسترخى أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه ويطأطئ رأسه ويتحدب ظهره ويتعوج صلبه إلى جانب ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشى خائفا مغموما كأنه سكران ويجوع فلا يأكل ويعطش فلا يشرب وربما رأى الماء فيفزع منه وربما يموت منه خوفا وإذا لاح له شبح حمل عليه من غير نبح والكلاب تهرب منه فإن دنا منها غفلة بصبصت له وخضعت وخشعت بين يديه فإذا عقر هذا الكلب إنسانا عرض له أمراض رديئة منها أن يمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشا ولا يزال يستقى حتى إذا سقى الماء لم يشربه فإذا استحكمت هذه العلة به فقعد للبول خرج منه شىء على هيئة الكلاب الصغار قال صاحب الموجز فى الطب الكلب حالة كالجذام تعرض للكلب والذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب ثم ذكر غالب ماتقدم وقال غيره الكلب جنون يصيب الكلاب فتموت وتقتل كل شىء عضته إلا الإنسان فإنه قد يعالج فيسلم قال وداء الكلب يعرض للحمار ويقع فى الإبل أيضا فيقال كلبت الإبل تكلب كلبا وأكلب القوم إذا وقع فى إبلهم ويقال كلب الكلب واستكلب إذا ضرى وتعود أكل الناس انتهى * وذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن بقرية من أعمال حلب بئرا يقال له بئر الكلب إذا شرب منها من عضه الكلب الكلب برئ وهى مشهورة قال وقد أخبرنى بعض أهل القرية أن المكلوب إذا لم يجاوز أربعين يوما وشرب منها برئ أما إذا جاوز الأربعين فإنه يموت ولو شرب منها وذكر أنه شاهد ثلاثة أنفس مكلوبين شربوا منها فسلم اثنان وكانا لم يبلغا الأربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الأربعين وهذه البئر يشرب منها أهل الضيعة * وأما السلوقى فمن طباعه أنه إذا عاين الظباء قريبة منه أو بعيدة عرف المقبل من المدبر ومشى الذكر من مشى الأنثى ويعرف الميت من الناس والمتماوت حتى أن الروم لا تدفن ميتا حتى تعرضه على الكلاب فيظهر لهم من شمها إياه علامة تستدل بها على حياته أو موته ويقال إن هذا لا يوجد إلا فى نوع منها يقال له القلطى وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصينى وإناث السلوقى أسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس كما تقدم والسود من الكلاب أقل صبرا من غيرها * وفى

(عنقاء)

أعظم الطيور جثة وأكبرها خلقة تخطف الفيل كما تخطف الحدأة الفأر. كان فى قديم الزمان يختطف من بيوت الناس فتأذوا منه من جناياته إلى أن سلب يوما عروسا مجلوة فدعا عليه حنظلة النبى ﷺ فذهب الله به إلى بعض جزائر البحر المحيط تحت خط الاستواء وهى جزيرة لا يصل اليها الناس وفيها حيوانات كثيرة كالفيل والكركند والجاموس والنمر والسباع وجوارح الطير والعنقاء لا تصيد منها لأنهم تحت طاعتها وإذا أتى بشىء من الصيد يأكل منه والباقى تأكل منه الحيوانات التى تحت طاعتها ولا تصيد إلا فيلا أو سمكا عظيما أو تنينا فإذا فرغ منه يخلى البقية لها ويصعد إلى موضعه ويتفرج على أكلها وعند طيرانه يسمع من ريشه صوت كهجوم السيل أو صوت الأشجار عند هبوب الريح (وحكى) عن بعض التجار قال ضللنا الطريق فى البحر المحيط وتحيرنا فإذا نحن بسواد عظيم كغيم مظلم فذكر الملاحون أنه العنقاء فتبعناه حتى دخلنا تحت ذلك السواد ثم فتحنا اللسان بالدعاء له فلا يزال يمشى بنا حتى وجدنا الطريق ثم غاب عنا وذكروا

كتاب فضل الكتاب على كثير ممن لبس الثياب لمحمد بن خلف المرزبان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه قال رأى رسول الله ﷺ رجلا قتيلا فقال ﷺ ما شأنه قالوا إنه وثب على غنم بنى زهرة فأخذ منها شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال ﷺ قتل نفسه أضاع ديته وعصى ربه وخان أخاه وكان الكلب خيرا منه * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كلب أمين خير من صاحب خؤون قال وكان للحرث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج فى بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحرث إلى منزله وجدهما قتيلين فعرف الأمر فأنشأ يقول :

وما زال يرعى ذمتى ويحوطنى ... ويحفظ عرسى والخليل يخون

فياعجبا للخـــل يهتك حرمتى ... ويا عجبا للكلب كيف يصون

وذكر الإمام أبو الفرج بن الجوزى فى بعض مصنفاته أن رجلا خرج فى بعض أسفاره فمر على قبة مبنية أحسن بناء بالقرب من ضيعة هناك وعليها مكتوب من أحب أن يعلم سبب بنائها فليدخل القرية فدخل القرية وسأل أهلها عن سبب بناء القبة فلم يجد عند أحد خبرا من ذلك إلى أن دل على رجل قد بلغ من العمر مائتى سنة فسأله فأخبره عن أبيه أنه حدثه أن ملكا كان بتلك الأرض وكان له كلب لا يفارقه فى سفر ولا حضر ولا نوم ولا يقظة وكانت له جارية خرساء مقعدة فخرج ذات يوم إلى بعض متنزهاته وأمر بربط الكلب لئلا يذهب معه وأمر طباخه أن يصنع له طعاما من اللبن كان يهواه وأن الطباخ صنعه وجاء به فوضعه عند الجارية والكلب وتركه مكشوفا وذهب فأقبلت حية عظيمة إلى الإناء فشربت من ذلك الطعام وردته وذهبت ثم أقبل الملك من متنزهه وأمر بالطعام فوضع بين يديه فجعلت الجارية تصفق بيديها وتشير إلى الملك أن لا يأكله فلم يعلم أحد ما تريد فوضع الملك يده فى الصحفة وجعل الكلب يعوى ويصيح ويجذب نفسه من السلسلة حتى كاد أن يقتل نفسه فتعجب الملك من ذلك وأمر بإطلاقه فأطلق فغدا إلى الملك وقد رفع يده باللقمة إلى فيه فوثب الكلب وضربه على يده فأطار اللقمة منها فغضب الملك وأخذ خنجراً كان بجنبه وهم أن يضرب به الكلب فأدخل الكلب رأسه فى الإناء وولغ فى ذلك الطعام فانقلب على جنبه وقد تناثر لحمه فعجب الملك ثم التفت إلى الجارية فأشارت إليه بما كان من أمر الحية ففهم الملك الأمر وأمر بإراقة الطعام وتأديب الطباخ على كونه ترك الإناء مكشوفا وأمر بدفن الكلب وببناء القبة عليه وبتلك الكتابة التى رأيتها قال وهى من أغرب ما يحكى * وفى كتاب النشوان عن أبى عثمان المدينى أنه قال كان فى بغداد رجل يلعب بالكلاب فخرج يوما فى حاجة وتبعه كلب كان يختصه من كلابه فرده فلم يرجع فتركه ومشى حتى انتهى إلى قوم كان بينه وبينهم عداوة فصادفوه بغير عدة فقبضوا عليه والكلب يراهم فأدخلوه الدار ودخل الكلب معهم فقتلوا الرجل وألقوه فى بئر وطموا رأس البئر وضربوا الكلب فأخرجوه وطردوه فخرج يسعى إلى بيت صاحبه فعوى فلم يعبئوا به وافتقدت أم الرجل ابنها وعلمت أنه قد تلف فأقامت عليه المأتم وطردت الكلاب عن بابها فلزم ذلك الكلب الباب ولم ينطرد فاجتاز يوما بعض قتلة صاحبه بالباب والكلب رابض فلما رآه وثب عليه فخمش ساقه ونهشه وتعلق به واجتهد المجتازون فى تخليصه منه فلم يمكنهم وارتفعت للناس ضجة عظيمة وجاء حارس الدرب وقال لم يتعلق هذا الكلب بالرجل

أن عمر العنقاء ألف وسبعمائة سنة ويتزاوج إذا أتى عليه خمسمائة سنة فإذا حان وقت بيضها يظهر بها ألم شديد فيأتى الذكر بماء البحر فى منقاره ويحقنها به فتخرج البيضة عنها فيحضن الذكر والأنثى تمشى وتصيد ويفرخ البيض بمائة وخمسة وعشرين سنة فإذا كبر الفرخ فإن كان أنثى فالعنقاء الأنثى تجمع حطبا كثيرا والذكر يوقد بمنقاره نارا ويضرم ذلك الحطب والأنثى تدخل تلك النار وتحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وإن كان الفرخ ذكرا فالعنقاء الذكر يفعل مثل ذلك ويبقى الفرخ زوج الأنثى وقد ذكروا فى العنقاء عجيبة أعجب مما ذكرنا لكنها لم تكن مستندة إلى قائل يعتمد فاعتمدنا على هذا القدر (غراب) طائر كثير الأسفار بعيد التطواف أول ما يطير يسرع فى الطيران بعد انبلاج الفجر يحب الجوز يجمع منه كثيرا فيدفن للذخيرة ويجتمع على كل الحيوانات الكبار بالبادية كالجمل والفرس وكذا الآدمى ويقصد قلع عينها ولا يمتنع بالدفع والضرب لشدة جوعه وينقر ظهر السلحفاة فيأكلها والبعير إذا عقر وحدث فى ظهره لحم ميت فلا

إلا وله معه قصة ولعله هو الذى جرحه وسمعت أم القتيل الكلام فخرجت فحين رأت الكلب متعلقا بالرجل تأملت فى الرجل فتذكرت أنه كان من أعداء ابنها وممن يتطلبه فوقع فى نفسها أنه قاتل ابنها فتعلقت به فرفعوهما إلى أمير المؤمنين الراضى بالله فادعت عليه القتل فأمر بحبسه بعد أن ضربه فلم يقر فلزم الكلب باب الحبس فلما كان بعد أيام أمر الراضى بإطلاقه فلما خرج من باب الحبس تعلق به الكلب كما فعل أولا فتعجب الناس من ذلك وجهدوا على خلاصه منه فلم يقدروا على ذلك إلا بعد جهد جهيد فأخبر الراضى بذلك فأمر بعض غلمانه أن يطلق الرجل ويرسل الكلب خلفه ويتبعه فإذا دخل الرجل داره بادره وأدخل الكلب معه فهما رأى الكلب يعمل بعلمه بذلك ففعل ما أمره به فلما دخل الرجل داره بادره غلام الخليفة ودخل وأدخل الكلب معه ففتش البيت فلم ير أثرا ولا خبرا وأقبل الكلب ينبح ويبحث عن موضع البئر التى طرح فيها القتيل فتعجب الغلام من ذلك وأخبر الراضى بأمر الكلب فأمر بنبش البئر فنبشوها فوجدوا الرجل قتيلا فأخذوا صاحب الدار إلى بين يدى الراضى فأمر بضربه فأقر على نفسه وعلى جماعته بالقتل فقتل وطلب الباقون فهربوا * وفى عجائب المخلوقات أن شخصا قتل شخصا بأصبهان وألقاه فى بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتى كل يوم إلى رأس البئر وينحى التراب عنه ويشير إليها وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر ذلك منه حفروا البئر فوجدوا القتيل بها ثم أخذوا الرجل وقرروه فأقر فقتلوه به * وفى الإحياء عن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا باب الجهاد وإذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال فقعدنا فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد ومعه نحو من عشرين كلبا فجاء إلى تلك الميتة وقعدنا حية ووقعت الكلاب فى الميتة فما زالت تأكل إلى أن شبعت وذلك الكلب قاعد ينظر إلى الميتة حتى أكلت وبقيت العظام فلما رجعت الكلاب إلى البلد قام ذلك الكلب إلى العظام فأكل ما بقى عليها من اللحم ثم انصرف * وفى الشعب للبيهقى وغيرها عن الفقيه منصور اليمنى الشافعى الضرير وله مصنفات فى المذهب وشعر حسن أنه كان ينشد لنفسه :

الكلب أحسن عشرة * وهو النهاية فى الخساسة * ممن ينازع فى الريا * سة قبل إبان الرياسه

ثم قال البيهقى وكان الشيخ الإمام القاضى أبو الطيب الطبرى يقول من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه وقال شعيب بن حرب من رضى أن يكون ذنبا أبى الله إلا أن يجعله رأسا ومن محاسن شعر الفقيه منصور اليمنى المتقدم ذكره ووفاته فى سنة ست وخمسين وثلثمائة قوله :

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله
من كان يخلق مايقو * ل فحيلتى فيه قليله

ولقد أجاد على بن عبد الواحد البغدادى المعروف بصريع الأدلاء فى قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

وهذا البيت آخر قصيدة له فى المجون ذكر فيها من صنعة الغزل فنونا ولو لم يكن له سواه لكفاه وهى طويلة طنانة عجز فحول الشعراء أن يزيدوا فيها بيتا واحدا وتوفى فى رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة فجأة بشرقة لحقته عند الشريف البطحاوى * وذكر ابن خلكان أن الحسين بن أحمد المعروف بابن الحجاج الشاعر المشهور لما حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن عند رجلى الإمام موسى بن

بد من أخذ اللحم الميت من ظهره فيرسلونه إلى الصحراء ليجتمع عليه الغربان وتقلع اللحم الميت من ظهره وإذا تفرخ بيضها يكون الفرخ أبيض بلا ريش فتفزع الأم منه وتتركه فيبعث الله تعالى إليه ذبابا كثيرا فيأكل الفرخ منها حتى ينبت ريشه ويسود قال مكحول من دعاء داود النبى عليه الصلاة والسلام يارازق الغراب فى عشه والفرخ إذا اسود عادت إليه أمه وحينئذ يغيب عنه الذباب والبق قال خلف الأحمر رأيت فرخ الغراب فلم أر صورة أقبح منه ولا أقذر ولا أنتن رأيت رأسا كبيرا ومنقارا طويلا وذلك مع صغر البدن وقصر الجناح وهو أمرط منتن الريح والغراب إذا مرض يأكل رجيع الإنسان يهدأ ومن الغربان من يأتى بألفاظ فصيحة أفصح من الببغاء

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ قال بليناس الغراب يجفف ويسحق ويسقى الإنسان لا يعطش ولو فى تموز مرارته تسقى لإنسان فى النبيذ يسكر بالقدح الواحد طحاله إذا علق على إنسان هاج به العشق رأس الأبقع

 ينضج ويأكله من به صداع عتيق يزول عنه دمه يخلط بشىء من النورة ويطرح فى النبيذ

ويشربها إنسان يبغضها ولا يرجع إليها ذرقه يلف فى شىء من العهن ويدفع إلى صاحب السعال ينقطع سعاله (غرنيق) طائر من طيور الماء قال صاحب المنطق إن الغرنيق من الطيور القواطع وأنها إذا أحست بتغير الزمان عزمت على الرجوع إلى بلادها فعند ذلك تتخذ قائدا أو حارسا ثم تنهض معا فإذا طارت ترتفع فى الهواء جدا كيلا يعرض لها شىء من سباع الطير وإذا رأت غيما أو غشيها الليل أو سقطت للطعم أمسكت عن الصياح كيلا يحس بها العدو وإذا أرادت النوم أدخل كل واحد رأسه تحت جناحه لعلمها أن الجناح أحمل للصدمة من الرأس لما فيه من العين التى هى أشرف الأعضاء والدماغ الذى هو ملاك البدن ونام كل واحد منهما قائما على إحدى رجليه حتى لا يكون نومها ثقيلا وأما قائدها وحارسها فلا ينام شيئا ولا يدخل رأسه تحت جناحه ولا يزال ينظر من جميع الجوانب فإن أحس بأحد صاح بأعلى صوته وأخبر أصحابه بالعدو وأما ذرقه فيسحق بالماء ويفتل فتائل ويجعل فتيلة فى الأنف ينفع من كل قرحة تكون فى الخيشوم

جعفر أحد الأئمة الاثنى عشر رضى الله عنهم على رأى الإمامية وأن يكتب على قبره وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال وابن الحجاج ذو خلاعة ومجون قيل إنه دعى إلى دعوة وتأخر الطعام عنه فقال :

ياذاهبا فى داره جائيا * من غير معنى بل ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

ودعوة الطعام بفتح الدال وأما قول قطرب فى مثلثته فقلت عندى دعوة بضم الدال فردود عليه انتهى ﴿فائدة﴾ ذكر ابن عبد البر فى كتابه بهجة المجالس وأنس المجالس أنه قيل لجعفر الصادق رضى الله عنه وهو أحد الأئمة الاثنى عشر كم تتأخر الرؤيا فقال خمسين سنة لأن النبى صلى الله عليه وسلم رأى كأن كلبا أبقع ولغ فى دمه فأوّله بأن رجلا يقتل الحسين ابن بنته رضى الله تعالى عنه فكان الشمر بن ذى الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص فتأخرت الرؤيا بعده خمسين سنة كما تقدم فى باب الهمزة فى الإوز * وفى هذا الكتاب أشياء تصلح للمذاكرة * منها أن النبى ﷺ رأى فى منامه أنه دخل الجنة فرأى فيها عذقا مدلى فأعجبه فقال لمن هذا فقيل هذا لأبى جهل فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ما لأبى جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا فإنه لا يدخلها إلا نفس مؤمنة فلما أتاه عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه مسلما فرح به وقام إليه وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه * ومنها أن بعض الشاميين كان عاملا لعمر رضى الله تعالى عنه فقال له ياأمير المؤمنين رأيت كأن الشمس والقمر اقتتلا ومع كل واحد منهما فرقة من النجوم فقال له مع أيهما كنت فقال مع القمر قال مع الآية الممحوة لا عملت لى عملا أبدا فعزله وقتل ذلك الرجل مع معاوية رضى الله تعالى عنه بصفين * ومنها أن عائشة رضى الله تعالى عنها رأت ثلاثة أقمار سقطن فى حجرها فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه إن صدقت رؤياك فإنه يدفن فى بيتك ثلاثة من خيار أهل الأرض فلما دفن صلى الله عليه وسلم فى بيتها قال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه هذا أحد أقمارك وهو خيرها وفيه أشياء كثيرة وكان الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى إمام عصره فى الحديث والأثر وهو أحد نقلة المذاهب وتوفى هو والإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادى الشافعى حافظ المشرق فى سنة ثلاث وستين وأربعمائة ومما ينشد للشافعى رحمه الله تعالى :

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة * وليتنا لا نرى ممن نرى أحدا
إن الكلاب لتهدا فى مرابضها * والناس ليس بهاد شرهم أبدا

وفى الميزان للذهبى فى ترجمة أحمد بن زرارة المدنى بسند مظلم عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ قال كيف أنتم إذا كان زمن يكون الأمير فيه كالأسد والحاكم فيه كالذئب إلا معط والتاجر فيه كالكلاب الهرار والمؤمن بينهم كالشاة الوالهاء بين الغنم ليس لها مأوى فكيف حال شاة بين أسد وذئب وكلاب * وفى آمالى أبو بكر القطيعى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ فمر بنا كلب فما بلغت يده رجله حتى مات فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال من الداعى على هذا الكلب آنفا فقال رجل من القوم أنا يارسول الله فقال ماقلت قال قلت اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام اكفنى هذا الكلب بما شئت فقال النبى ﷺ لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى والحديث فى السنن الأربعة وفى مسند الإمام أحمد وكتابى الحاكم وابن حبان بغير قصة الكلب

وأفاد الطبرانى من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن هذه الصلاة كانت صلاة العصر يوم الجمعة وأن الرجل المذكور الداعى على هذا الكلب سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياسعد لقد دعوت فى يوم وساعة بكلمات لو دعوت بهن على من فى السموات والأرض استجيب لك فابشر ياسعد * وروى الإمام أحمد فى الزهد عن جعفر بن سليمان قال رأيت مع مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه كلبا فقلت ما تصنع بهذا ياأبا يحيى فقال هذا خير من جليس السوء * وفى مناقب الإمام أحمد أنه بلغه أن رجلا من وراء النهر عنده أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد إليه فوجد شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب فوجد الإمام فى نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد وقال له كأنك وجدت فى نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال نعم فقال الشيخ حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فيقطع الله رجائى منه يوم القيامة فقال الإمام أحمد هذا الحديث يكفينى ثم رجع * ويقرب من هذا ما فى رسالة القشيرى فى باب الجود والسخاء أن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما خرج إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام أسود يعمل فيها إذ أتى الغلام بغدائه وهى ثلاثة أقراص فرمى بقرص منها إلى كلب كان هناك فأكله ثم رمى إليه الثانى فأكله والثالث فأكله وعبد الله بن جعفر ينظر فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت هذا الكلب فقال إن هذه الأرض ليست بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده فقال له عبد الله فما أنت صانع اليوم قال أطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر لأصحابه ألام على السخاء وهذا أسخى منى ثم إنه اشترى الغلام وأعتقه واشترى الحائط وما فيه ووهب ذلك له * وتقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمار أن الحاكم روى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنها ترى ما لا ترون وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله يبث فى الليل من خلقه ما شاء ﴿غريبة﴾ فى كتاب البشر بخير البشر عن مالك ابن نفيع أنه قال ند بعير لى فركبت نجيبة لى وطلبته حتى ظفرت به فأخذته وانكفأت راجعا إلى أهلى فأسريت ليلتى حتى كدت أصبح فأنخت النجيبة والبعير وعقلتهما واضطجعت فى ذراكثيب رمل فلما كلتنى الوسن سمعت هاتفا يقول يامالك يامالك يامالك لو فحصت عن مبرك القعود البارك لسرك ماهنالك قال فثرت وأثرت البعير عن مبركه وحفرت فعثرت على صنم فى صورة امرأة من صفاة صفراء كالورس مجلوا كالمرآة فأخرجته ومسحته بثوبى ونصبته قائما فما تمالكت أن خررت له ساجدا ثم قمت فنحرت البعير له ورششته بدمه وسميته غلابا ثم حملته على النجيبة وأتيت به أهلى فحسدنى عليه كثير من قومى وسألونى نصبه لهم ليعبدوه معى فأبيت عليهم وانفردت لعبادته وجعلت على نفسى كل يوم عتيرة وكانت لى ثلة من الضأن فأتيت على آخرها فأصبحت يوما وليس لى ما أعتره وكرهت الإخلال بنذرى فأتيته فشكوت إليه ذلك فإذا هاتف من جوفه يقول يامال يامال لاتأس على مال سر إلى طوى الأرقم فخذ الكلب الأسحم الوالغ فى الدم ثم صد به تغنم قال مالك فخرجت من فورى إلى طوى الأرقم فإذا كلب أسحم هائل المنظر قد وثب على قرهب يعنى ثورا وحشيا فصرعه وأنا أنظر إليه ثم بقر بطنه وجعل

ما هى خوار يوجد بالبصرة على طرف الأنهار يغوص فى الماء معكوسا بقوة شديدة ويلبث تحت الماء إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه ويصعد به والعجب للبثه تحت الماء والماء لا يغلبه مع خفة بدنه (وحكى) بعضهم قال رأيت غواصا غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب وأخذ الغراب السمكة منه فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة وقربها من الغراب فأخذ الغراب السمكة واشتغل بها فوثب الغواص وأخذ برجل الغراب وغاص به ووقف به تحت الماء حتى أغرق الغراب وخرج سالما قالوا دمه يجفف ويسحق مع شعر الإنسان فإنه لا يصبر عن هذا الطالب وكذلك عظمه يفعل به مثل هذا (فاختة) طائر معروف يتبرك به الناس زعموا أن الحيات تهرب من صوته (وحكى) أن الحيات استولت على أرض فكثرت حياتها فشكوا إلى بعض الحكماء فأمرهم بنقل الفواخت إليهم ففعلوا ذلك فانقطعت الحيات عنهم دمه مع دم الحمام والزفت والقطران أجزاء سواء يتخذ دخنة لاينام من شمه ألبتة (قبج)

طائر يقال له بالفارسية كبك يسكن الجبال إذا قصده

بلغ فى دمه فتهيبته ثم تجاسرت فتقدمت عليه وهو مقبل على عقيرته لم يلتفت إلىّ فشددت فى عنقه حبلا ثم جذبته فتبعنى فأتيت راحلتى فأثرتها وقدتها إلى القرهب وأنختها فجززته وحملته عليها ثم قدتها وسرت قاصدا إلى الحى والكلب يلوذ بى فعنت لى ظبية فجعل الكلب يثب ويجاذبنى الحبل فترددت فى إرساله ثم أرسلته فمر كالسهم حتى اختطفها فأتيته فجاذبته إياها فأرسلها من يديه فاستقربى السرور وأتيت أهلى فعقرت الظبية لغلاب ووزعت لحم القرهب وبت بخير ليلة ثم باكرت به الصيد فلم يفته حمار ولا ماطله ثور ولا اعتصم منه وعل ولا أعجزه ظبى فتضاعف سرورى به وبالغت فى إكرامه وسميته سحاما فلبثت كذلك ماشاء الله فإنى لذات يوم أصيد به إذ بصرت بنعامة على أدحيها وهى قريبة منى فأرسلته عليها فأجفلت أمامه وأتبعتها على فرس جواد فلما كاد الكلب أن يثب عليها انقضت عليه عقاب من الجو فكر راجعا نحوى فصحت به فما كذب وأمسكت الفرس فجاء سحام حتى دخل بين قوائمها ونزلت العقاب أمامى على شجرة وقالت سحام قال الكلب لبيك قالت هلكت الأصنام وظهر الإسلام فأسلم تنج بسلام وإلا فليست بدار مقام ثم طارت العقاب وتبصرت سحاما فلم أره وكان آخر عهدى به * وقوله طوى أرقم الطوى بثرمطوية بالحجارة والأسحم الأسود وبه سمى الكلب سحاما فهو فعال من ذلك وقوله بنعامة على أدحيها أى الموضع الذى فيه بيضها وقوله ما كذب أى ما توقف ولا انثنى ﴿فائدة﴾ روى الحاكم فى المستدرك عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت قدمت امرأة من أهل دومة الجندل علىّ تبتغى رسول الله ﷺ بعد موته بيسير تسأله عن شىء دخلت فيه من أمر السحر لم تعلم به قالت فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله ﷺ حتى إنى لأرحمها من كثرة بكائها وهى تقول إنى أخاف أن أكون قد هلكت فسألتها عن قصتها فقالت لى كان لى زوج فدغاب عنى فدخلت علىّ عجوز فشكوت لها حالى فقالت إن فعلت ما آمرك به فإنه يأتيك بعلك فقلت إنى أفعل فلما كان الليل جاءتنى بكلبين أسودين فركبت أحدهما وتركت الآخر فلم يكن بأسرع حتى وقفنا ببابل فإذا أنا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما حاجتك وماجاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفرى وارجعى فأبيت وقلت لا أرجع قالا فاذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت إليه فافشعر جلدى ففزعت منه ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا لى فعلت قلت نعم قالا هل رأيت شيئا قلت لم أر شيئا فقالا لم تفعلى ارجعى إلى بلادك لا تكفرى فأبيت فقالا اذهبى إلى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت إليه فافشعر جلدى وخفت ثم رجعت إليهما فقالا لى ما رأيت إلى أن قالت فذهبت فى الثالثة فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء فأتيتهما فأخبرتهما فقالا صدقت ذاك إيمانك خرج منك اذهبى فقلت للمرأة والله ما علمت شيئا ولا قالا لى شيئا فقالت لى بلى لن تريدى شيئا إلا كان خذى هذا القمح فابذريه فأخذته فبذرته وقلت له اطلع فطلع ثم قلت استحصد فاستحصد ثم قلت انطحن فانطحن ثم قلت انخبز فانخبز فلما رأيت أنى لا أقول شيئا إلا كان سقط فى يدى فندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا فسألت أصحاب رسول الله ﷺ فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا لها لو كان أبواك حيين أو أحدهما لكانا يكفيانك ثم قال الحاكم حديث صحيح انتهى قال هشام ابن عروة وهو راوى الحديث عن أبيه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنهم كانوا أى الصحابة

الصياد يخبئ رأسه تحت الثلج ويحسب أن الصياد لا يراه كما أنه لا يرى الصياد ذكورها شديدة الغيرة على إناثها فإذا اجتمع ذكران على أنثى تهارشا فإذا انهزم أحدهما يتبع الأنثى الآخر الغالب ومن أعجب أمرها أن الذكر إذا صاح وحمل الهواء صوته إلى الأنثى يتولد البيض منه كما أن النخلة إذا حملت الريح إليها رائحة الذكر تحمل من رائحة كافور الفحال إذا كانت تحت الريح وتبيض خمس عشرة بيضة وتجعلها فى موضعين أحدهما للذكر والآخر للأنثى وكلاهما يحضنان وإذا قصده الصياد يريه كأنه ضعيف عن الطيران فالصياد يعدو خلفه ويشتغل به عن فراخه فإذا طارت الفراخ بطير القبج أيضا ويرجع الصياد خائبا منه والقبج من الطيور التى لا تساقد إلا فى الجبال ويترك فى عشه رؤس القصب لدفع الأعداء ويحب الغناء والأصوات الطيبة وربما وقعت حتما عند سماعها ذلك شوقا فيأخذها الصياد

﴿فصل فى خواص أجزائه﴾ مرارته يسعط بها فى كل هلال يجود ذهنه ويحد بصره وإذا اكتحل بها تنفع

رضى الله عنهم أهل ورع وخشية لله وبعد من التكلف والجراءة على الله فلذلك أمسكوا عن الفتيا لها ولو جاءتنا اليوم لوجدت الأمر بخلاف ذلك قال بعض الحنابلة قلت فقد بان بهذا أن السحر والإيمان لا يجتمعان فى قلب ولا يصير ساحرا وفى قلبه إيمان فاعتبر بحال هذه المرأة المسكينة كيف ألقاها الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء فى ورطة هلكة لا تجبر مصيبتها وهذا دأب المعاصى تنكس الرءوس وتوجب الحبوس وتضاعف البؤوس ولقد أحسن القائل حيث قال :

إذا ما دعتك النفس يوما لحاجة * وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فإنما * هواها عدو والخلاف صديق

﴿تذنيب﴾ للسحر حقيقة وتأثير وقيل لا والصحيح أن الصواب الأول دل عليه ظاهر القرآن والسنة قال المازرى اختلف العلماء فى القدر الذى يقع به السحر ولهم فيه اضطراب فقال بعضهم لا يزيد تأثيره على قدر التفريق بين المرء وزوجه لأن الله تعالى إنما ذكر ذلك تعظيما لما يكون عنده وتهويلا له فى حقنا فلو وقع به أعظم منه لذكره لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلا بأعلى أحوال المذكور ومذهب الأشعريين أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك قال وهذا هو الأصح لأنه لا فاعل إلا الله تعالى وما وقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى ولا تفترق الأفعال فى غير ذلك وليس بعضها أولى من بعض ولو ورد الشرع بقصوره عن مرتبة لوجب المصير اليه ولكن لا يوجد شرع قاطع بوجوب الاقتصار على ما قال القائل الأول وذكر التفرقة بين الزوجين فى الآية ليس بنص فى منع الزيادة وإنما النظر فى أنه ظاهر أم لا * فإن قيل إذا جوزت الأشعرية خرق العادة على يد الساحر فبماذا يتميز عن النبى فالجواب أن العادة تنخرق على يد النبى والولى والساحر لكن النبى يتحدى الخلق بها ويستعجزهم عن الإتيان بمثلها ويخبر عن الله تعالى بخرق العادة بها لتصديقه فلو كان كاذبا لم تنخرق على يديه ولو خرقها الله على يد كاذب لخرقها الله على يد المعارضين للأنبياء وأما الولى والساحر فلا يتحديان الخلق ولا يستدلان على نبوة ولو ادعيا شيئا من ذلك لم تنخرق العادة لهما وأما الفرق بين الولى والساحر فمن وجهين «أحدهما» وهو المشهور إجماع المسلمين على أن السحر لا يظهر إلا على يد فاسق والكرامة لا تظهر إلا على يد ولى ولا تظهر على يد فاسق وبهذا جزم إمام الحرمين وأبو سعيد المتولى وغيرهما «والثانى» أن السحر يكون ناشئا بفعل ومزج ومعاناة وعلاج والكرامة لا تفتقر إلى ذلك وفى كثير من الأوقات يقع ذلك اتفاقا من غير أن يستدعيه أن يشعر به والله تعالى أعلم * وأما ما يتعلق بالمسألة من فروع الفقه فتعلم السحر وتعليمه حرام على الصحيح والصواب عدم جواز تعليمه لكل أحد يريد تعلمه وقال القاضى حسين وإبراهيم المروزى إن كان فى تعليمه ترك طاعة الله عز وجل لا يجوز وإن لم يكن فإن قصد بتعلم دفع ضرر سحر الإنسان عن نفسه جاز وإن قصد تعلمه ليسحر الناس لم يجز انتهى والخلاف فيما إذا كان لا يتوقف على اعتقاد كفر أو مباشرة محظور كترك صلاة وغيرها أما إذا توقف على ذلك فتعلمه حرام بالإجماع والسحر من الكبائر * ومذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد أن الساحر يكفر لقوله تعالى وما كفر سليمان لأنهم إنما نسبوا سليمان عليه السلام إلى السحر لا إلى الكفر ولقوله تعالى حكاية عن الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر ومذهب الشافعى أنه لا يكفر إلا أن يكون فيه قول أو فعل يقتضى الكفر قال الرافعى من اعتقد إباحته فهو كافر وقال ابن الصباغ إن اعتقد التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تجيب إلى ما يقترح منها فهو كافر وعن القفال من قال أنا أفعل السحر بقدرتى دون قدرة الله تعالى فهو كافر فلو تاب الساحر قبل توبته عند الشافعى رحمه الله وقال مالك رحمه الله السحر زندقة فإن قال أنا أحسن السحر قتل ولا تقبل توبته كالا تقبل توبة الزنديق وعن أبى حنيفة رحمه الله مثله وعن الإمام أحمد رحمه الله

من ابتداء نزول الماء كبده يشوى ويطعم للصبى يأمن من الصرع دمه يكتحل به يأمن من جراحات العين والغشى لحمه ينفع من الاستسقاء يزيد فى الباه

(قنبرة) طائر معروف ويقال له بالفارسية جلوداويحب الأصوات المطربة والنغمات اللذيذة على رأسه قنزعة شبيهة بما للطاوس وهو شديد الاحتياط إذا وقع على شىء لا يزال ينظر يمينا وشمالا ووراء ومع ذلك هى كثيرة الوقوع فى الفخ تتخذ عشا عجيبا يعمد إلى ثلاثة أعواد على شجرة شكل سفانجة معكوسة ويأتى بنوع من الحشيش فى غاية من اللطافة وينسج من تلك الأعواد سليلة لطيفة عجيبة التأليف لا يقدر البشر أن يأتى بمثلها ثم تضع بيضها فيها والسليلة تكون مستترة بأوراق الشجرة حتى لا تراها الجوارح لحمها يؤكل مشويا ينفع من القولنج نفعا بينا

(قطا) طائر معروف يتيمن بصوته يقال فلان أصدق من القطا تبيض فى البرارى وتغيب عنها أياما وتعود اليها يقال فلان أهدى من القطا ولا ينام الليل ويأتى الجادة ليكون عنده

روايتان كالمذهبين وقال أبو حنيفة رضى الله عنه إن المرأة الساحرة تحبس ولا تقتل وأما الساحر الذمى فلا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل لنقضه العهد وقال أبو حنيفة رضى الله عنه يقتل مطلقا ويقال للرجل المسحور مطبوب يقال طب الرجل إذا سحر فكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم عن اللديغ قال ابن الأنبارى الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء طب وللسحر طب وهو من أعظم الأدواء ورجل طبيب أى حاذق سمى طبيبا لحذقه وفطنته والله تعالى أعلم ﴿فائدة أدبية﴾ دخل أبو العلاء المعرى يوما على الشريف المرتضى فعثر برجل فقال له الرجل من هذا الكلب فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما فقربه المرتضى واختبره فوجده علامة ثم جرى ذكر المتنبى يوما فتنقصه الشريف المرتضى وذكر معايبه فقال المعرى لو لم يكن للمتنبى من الشعر إلا قوله *لك يا منازل فى القلوب منازل * لكفاه فضلا وشرفا فغضب الشريف المرتضى وأمر بسحبه برجله وإخراجه من المسجد ثم قال لمن يحضر مجلسه تدرون أى شىء أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة وللمتنبى أجود منها ولم يذكره قالوا لا قال إنما أراد أن يذمنى بقوله فيها :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

وسئل شيخ الإسلام تقى الدين بن دقيق العيد عن أبى العلاء المعرى فقال هو فى حيرة وهذا أحسن ماقيل فيه ﴿فائدة أخرى﴾ قال أبو نواس بن هانىء فى طريدته :

أتعب كلبا أهله فى كده ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رفده
يظل مولاه له كعبده ... يبيت أدنى صاحب من فهده
إذا عرى جلله ببرده ... ذا غرة محجلا بزنده
يلذ منه العين حسن قده ... ياحسن شدقيه وطول خده

قيل دخل أبو بكر الخالدى على الخليفة فأنشده قصيدة امتدحه بها فأجازه وكان بين يديه صحن يشم أزرق فلمحه أبو بكر فأعطاه الخليفة إياه فخرج من عنده وهو مسرور فمر على أبى الفتح بن خالويه فهناه أبو الفتح بذلك فلما أصبح جاء إلى الخدمة فقال له الخليفة كيف حالك وكيف كان مبيتك قال بخير ودعا له وقال بتنا ندعو لمولانا أمير المؤمنين وبت أتفنن فى الصحن وأتملى بحسنه فأضفته إلى صدقات مولانا ورفده وكل خير عندنا من عنده فتنمر أمير المؤمنين واستشاط غضبا وزجره فخرج من عنده حزينا كئيبا فمر على ابن خالويه فسأله عن السبب وما الخبر فأخبره بما قال فقال له أبو الفتح أوقلتها فقال نعم فقال أين أنت أتجعل أمير المؤمنين كلبا أين ذهب عقلك أو ماسمعت قول أبى نواس فى طريدته :

فكل خير عندهم من عنده ... وكل رفد نالهم من رفده

فكاد الخالدى أن يموت فزعا ثم قال عرفنى كيف المخلص قال تمارض مدة ثم أظهر أنك شفيت ثم تأتى أمير المؤمنين فإذا سألك عن سبب مرضك فقل له طالعت طريدة أبى نواس فلما فعل ذلك رضى عنه أمير المؤمنين ﴿فائدة أخرى﴾ اختلفوا فى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب وروى عن بن جرير أنه قال كان أسدا ويسمى الأسد كلبا لأن النبى صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى لهب أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فأكله الأسد وقال ابن عباس رضى

من المارين خبر ولها أخوصة عجيبة فى وسط الحشيش مثل بها النبى ﷺ فى وهنها حيث قال من بنى مسجدا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة

(فصل فى خواص أجزائه) دمه يطلى به البدن ينفع داء الثعلب لحمه ينفع من الاستسقاء وسدة الكبد عظمه يحرق ويخلط بالزيت ويطلى به الموضع الذى أريد نبات الشعر عليه ينبت شعرا كثيرا أحشاؤه يطلى به العظم المنخلع يرجع إلى مكانه ومرارته يكتحل بها تنفع من جراحات العين والغشاء

(قمرى) طائر مشهور يتغنى بصوته ذكروا أن إناث القمارى إذا مات زوجها لا تزاوج غيره وتنوح عليه إلى أن تموت ومن العجب أن بيض القمارى يجعل تحت الفواخت وبيض

الله تعالى عنهما كان كلبا أغبر وفى رواية عنه أحمر واسمه قطمير وقال مقاتل كان أصفر وقال القرطبي صفرته تضرب إلى الحمرة وقال الكلبي كان خلنجي اللون وقيل كان لونه لون السماء وقيل كان أبلق أبيض وأسود وأحمر وقال على بن أبي طالب كرم الله وجهه اسمه ريان وقال الأوزاعي مشير وقال سعيد الحمال حران وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب الأحبار صيها وقال وهب نقيا وقصة الإمام مالك فى ذلك مشهورة معروفة وقال فرقة كان رجلا طباخا لهم حكاه الطبرى وقال فرقة كان أحدهم وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم فسمى باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع من الناس كما سمى النجم التابع للجوزاء كلبا لأنه منها كالكلب من الإنسان وهذا القول يضعفه بسط الذراعين فإنه فى العرف من صفة الكلب وحكى أبو عمر والمطرزى فى كتاب اليواقيت وغيره أن جعفر بن محمد الصادق قرأ كالبهم فيحتمل أنه يريد هذا الرجل* وقال خالد بن معدان ليس فى الجنة من الدواب سوى كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وقد تقدم فى أوائل باب السين المهملة فى السبع الكلام على قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم ويزيد هنا أن قوله تعالى قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل أن المثبت فى حق قوله تعالى الأعلمية وفى حق القليل العالمية فلا تعارض بينهما قال ابن عطية المفسر حدثنى أبى أنه سمع أبا الفضل بن الجوهرى فى سنة تسع وستين وأربعمائة يقول إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم كلب أحب أهل فضل وصحبهم فذكره الله فى القرآن معهم وأما الوصيد فاختلف المفسرون فيه فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الوصيد فناء الكهف وهو قول مجاهد رضى الله تعالى عنه وقال سعيد بن جبير الوصيد التراب وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أيضا وقال السدى الباب وهو رواية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وأنشد فى ذلك:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها  على ومعروفى بها غير منكر

أى بابها وقال عطاء الوصيد عتبة الباب وقال العتبى هو البناء الذى من فوقه ومن تحته مأخوذ من قولهم أوصدت الباب وآصدته أى أغلقته وأطبقته لو اطلعت عليهم يا محمد لوليت منهم فرارا أى هربا ولملئت منهم رعبا لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم واصل منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وقيل إنما ذلك من وحشة المكان الذى هم فيه وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فررنا بالكهف الذى فيه أصحاب أهل الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقلت له ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم ثم بعث ناسا لينظروا فقال اذهبوا فادخلو الكهف فذهبوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم وذكر الثعلبى وغيره أن النبى ﷺ سأل الله أن يريه إياهم فقال تعالى إنك لن تراهم ولكن ابعث إليهم أربعة من كبار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقل ﷺ لجبريل كيف أبعث إليهم فقال له جبريل عليه السلام أبسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الطرف الثانى عمر وعلى الطرف الثالث عثمان وعلى الطرف الرابع عليا ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان فإن الله يأمرها أن تطيعك ففعل ذلك ﷺ فحملتهم الريح إلى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل عليهم الكلب فلما رآهم حرك رأسه وبصبص إليهم وأومأ إليهم برأسه أن ادخلوا فدخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله إلى الفتية أرواحهم فقاموا بأجمعهم

الفواخت تحت القهارى كلاهما يفقسان قهارى كافورية مطوقة وذكروا أن الهوام تهرب من صوت القهارى والله الموفق

(قوقيس) طائر بأرض الهند قال صاحب تحفة الغرائب عند التزاوج يجمع حطبا كثيرا للعش ولا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الأنثى حتى تتأجج النار من حكهما فى ذلك الحطب وتشتعل ويحرقان منها فإذا سقط المطر على رمادهما يتولد منه الدود ثم ينبت جناحها ويصير طيرا كالأصل وتفعل فعل الأصل

(كركى) طائر معروف يقال له بالفارسية كنك له اجتماع فى الطيران لا يفارق بعضها بعضا وله مقدم تتبعه الجماعة وذلك بالنوبة ولها حراس بالليل تدور حول الكركى فإذا أحس بعدو زعق ونبه أصحابه والحراسة أيضا

فقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا معشر الفتية إن النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما أبلغتم وقبلوا دينه ثم قالوا اقرؤا على محمد صلى الله عليه وسلم منا السلام وأخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال إن المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله ويردون عليه السلام ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة ثم ردتهم الريح فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فأخبروه الخبر فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اللهم لا تفرق بيني وبين أصحابي وأنصاري واغفر لمن أحبني وأحب أهل بيتي وخاصتي واختلف في سبب مصيرهم إلى الكهف فقال محمد بن إسحق مرح أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وأطعنتهم الجن حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكانت فيهم بقايا على دين المسيح يعبدون الله وكان ملكهم اسمه دقيانوس وكان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فهرب منه أهل الإيمان وكان حين قدمها أمر أن يجمع له أهل الإيمان فمن وقع به خيره بين القتل وعبادة الأصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى فيقتل ثم أمر بأجسادهم أن تعلق على سور المدينة وعلى كل باب فخزن هؤلاء الفتية وأقبلوا على الصلاة والصيام والتسبيح والدعاء وكانوا ثمانية من أشراف القوم فعثر عليهم الملك فقال لهم اختاروا إما أن تعبدوا آلهتنا وإما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وهو أكبرهم إن لنا إلها هو ملك السموات والأرض وهو أعظم وأجل من كل شيء وهو المعبود فلن ندعو من دونه إلها فقال الملك ما يمنعني أن أعجل لكم العقوبة إلا أنكم شباب وأحب أن أجعل لكم أجلا لعلكم تتذكرون فيه وتراجعون عقولكم فأخذوا من بيوتهم نفقة وخرجوا إلى الكهف يعبدون الله فأتبعهم كلب كان لهم وقال كعب بل مروا بكلب فنبح بهم فطردوه فعاد فطردوه مرارا وهو يعود فقام الكلب على رجليه ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي ونطق فقال لا تخافوا مني فإني أحب أحباء الله فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هربوا ليلا وكانوا سبعة فروا براع معه كلب فأتبعهم على دينهم فجعلوا يعبدون الله في الكهف وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له يمليخا فكان يبتاع لهم طعامهم من المدينة وكان من أجملهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة لبس ثياب المساكين واشترى طعامهم وتجسس لهم الأخبار فلبثوا كذلك زمانا ثم أخبرهم يمليخا أن الملك يتطلبهم ففزعوا لذلك وحزنوا فبينما هم كذلك عند غروب الشمس يتحدثون ويتدارسون إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فسمع الملك أنهم في خبل فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم حتى يموتوا جوعا وعطشا وهو يظنهم أيقاظا أراد الله بذلك أن يكرمهم وأن يجعلهم آية لخلقه وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم والملائكة تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ثم عمد رجلان مؤمنان كانا في بيت الملك فكتبا شأن الفتية وأسماءهم وأنسابهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان وقال عبيد ابن عمير كان أصحاب الكهف فتية مطوقين مصورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيد فخرجوا في عيد لهم وأخرجوا آلهتهم التي كانوا يعبدونها فقذف الله في قلوبهم الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة ثم خرج آخر فرآه فظن أن يكون على مثل أمره وجاء من غير أن يظهر له ذلك ثم خرج

بالنوبة فإذا انتهت نوبته يقيم غيره مكانه والحارس يقوم على إحدى رجليه حتى لا يغلبه النوم قال الجاحظ لا يضع رجليه مخافة أن تخسف به الأرض وإذا مشى على وجه الأرض يمشي رويدا خائفا

﴿فصل في خاصية أجزائه﴾ عينه تسحق ويكتحل بها إنسان لا ينام مرارته تنفع اكتحالا من نزول الماء لحمه مع شحمه يطبخان جميعا ويقطر مرقها في أذن من به طرش ينفعه مخه يذاب بخل العنصل ويسقى من به وجع الطحال في الحمام ينفعه قانصته تجفف وتسحق ويسقى درهمان منها لمن به وجع الكليتين والمثانة بماء الحمص ينفعه (كروان) شحمه ولحمه يحرك شهوة الباه تحريكا شديدا (اللقلق) طائر معروف يأكل الحيات لا يزال يتبع الربيع وله وكران أحدهما بالحروم والآخر بالصرود ويتحول من أحدهما إلى

الآخرون واحدا بعد واحد حتى اجتمعوا تحت الشجرة فقال بعضهم لبعض ماجمعكم ههنا ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفش كل واحد منهما أمره إلى صاحبه فخرج فتيان فذكر كل واحد منهما لصاحبه أمره فأقبلا مستبشرين قد اتفقا على أمر واحد ثم فعلوا جميعا كذلك فإذا هم جميعا على الإيمان فقال بعضهم لبعض ائووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلبهم فناموا ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلما لم يجدوهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا فى سنة كذا فى مملكة فلان ابن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن وقال السدى لما خرجوا مروا براع معه كلب فقال الراعى إنى أتبعكم على أن أعبد الله معكم قالوا سر فسار معهم وتبعهم الكلب فقالوا ياراعى هذ الكلب ينبح علينا وينبه بنا فما لنا به من حاجة فطردوه فأبى إلا أن يلحق بهم فرجموه فرفع يديه كالداعى وأنطقه الله تعالى فقال ياقوم لم تطردوننى لم تضربوننى لم ترجمونى فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى * وقال محمد الباقر كان أصحاب الكهف صيارفة واسم الكهف حيوم والقصة طويلة مشهورة فى كتاب التفاسير والقصص مطولا ومختصرا وقد وقفت على جمل ذلك * فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو إسحق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابورى الثعلبى فى كتابه الكشف والبيان فى تفسير القرآن وربما يتكرر شىء مما تقدم فيما آتى به قال: قوله تعالى «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا» يعنى ليسوا من أعجب آياتنا فإن فيم خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف هو الغار فى الجبل واختلفوا فى الرقيم فقال وهب حدثنى النعمان بن بشير الأنصارى أنه سمع رسول الله ﷺ يذكر الرقيم قال إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهليهم فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء فأووا إلى كهف فانحطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف فأوصد عليهم فقال قائل منهم اذكروا أيكم عمل عملا حسنا لعل الله برحمته أن يرحمنا فقال رجل منهم إنى قد عملت حسنة مرة كان لى أجراء يعملون عملا لى استأجرت كل رجل منهم فى نهاره بأجرة معلومة فجاءنى رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أجرة أصحابه فعمل فى بقية نهاره كما عمل رجل منهم فى نهاره كله فرأيت على من الذمام أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه لما رأيت من جهده فى عمله فقال رجل منهم أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل إلا وسط النهار فقلت يا عبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك وإنما هو مالى أحكم فيه بما شئت فغضب وترك أجره فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ثم مرت بى بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر فبلغت ما شاء الله فمر بى بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه فقال لى إن لى عندك حقا فذكرنيه حتى عرفت قلت له إياك أبغى وهذا حقك وعرضتها عليه جميعا فقال ياعبد الله لا تسخر بى إن لم تصدق على فأعطنى حتى قلت والله ما أسخر بك إنها لحقك مالى فيها شىء فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك لوجهك فأفرج عنا الحجر فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل وأصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا فقلت لها والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت ثم رجعت فذكرتنى بالله عز وجل والله مطلع عليها فأبيت عليها وقلت لها والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت وذكرت لزوجها فقال لها أعطيه نفسك وأغيثى عيالك فرجعت إلى ونشدتنى بالله فأبيت عليها وقلت لها والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها ما شأنك فقالت

الآخر ولا يأخذ الوكر إلا فى مكان عال كمنارة أو شجرة فيأتى بالأعواد والحشيش ويركب بعضها فى بعض تركيبا عجيبا كالبناء فإذا أراد الإنسان أن يخربها بالمعول يصعب عليه قال ابن سينا من ذكاء هذا الطير أنه إذا أحس بتغير الهواء وقت حدوث الوباء تترك عشها فى أوائل التغير وتهرب من تلك الديار وربما تركت بيضها أيضا وقال أيضا بيض اللقلق خضاب جيد ( مالك الحزين ) طائر طويل الرقبة والرجلين يقال له بالفارسية لوهماز وقال الجاحظ من عجائب الدنيا أمر مالك الحزين فإنه لا يزال يقعد بسوق المياه وإذا انحرفت يحزن عليها ولا يشرب خوفا أن تقل فيعطش فيموت عطشا (مكاء) طائر من طيور البادية يتخذ أخوصة عجيبة من العوسج ويبيض فيها ورأى بعض الأعراب مكاء بالشام سائرا فحن إلى وطنه وقال:

فدى لك يا مكاء مالك ههنا
عمارة أخوص فكيف تبيض
وبينها وبين الحية معاداة
لأن الحية تأكل بيضها

إنى أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء وتركتها وأعطيتها مايحق على بما كشفتها اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر فانصدع حتى عرفوا وتبين لهم وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان شيخان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم والدى وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمى فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة ومضيت إلى أبوى فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فما برحت جالسا ومحلبى على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا قال النعمان بن بشير لكأنى أسمع من رسول الله ﷺ يقول قال الجبل طاق طاق ففرج الله عنهم فخرجوا * وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الرقيم واد بين عمان وأيلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف * وقال كعب هى قريتهم وهو على هذا التأويل من رقمة الوادى وهو موضع الماء منه تقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة والضفتان جانبا الوادى * وقال سعيد بن جبير الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وهو على هذا التأويل بمعنى المرقوم أى الكتاب المرقوم والرقم الخط والعلامة والرقم الكتابة * ثم ذكر صفتهم فقال تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف أى رجعوا وصاروا إليه * واختلفوا فى سبب مصيرهم إلى الكهف فقال محمد بن إسحق مرح أهل الإنجيل وكثرت الخطايا فيهم وعظمت الذنوب وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام متمسكين بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك ملك من ملوكهم من الروم يقال له دقيانوس كان قد عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فكان لا يترك فيها أحدا مؤمنا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل وجه وكان دقيانوس قد أمر حين قدمها أن يتتبع أهل الإيمان فى أماكنهم فيجمعوا له واتخذ شرطة من الكفار من أهلها فجعلوا يتتبعون أهل الإيمان فى أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وعبادة الأصنام والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله تعالى فيقتل فلما رأى أهل ذلك البلد الشدة فى الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقطعون ويعلق ما قطع من أجسادهم على سور المدينة ونواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الإيمان منهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه فقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فصلوا وصاموا واشتغلوا بالتسبيح والدعاء لله تعالى وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية فتفرقوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع البلاء والغم عن عبادك الذين آمنوا بك حتى يعلنوا عبادتهم إياك فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرطة وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجدا على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ماخلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم فرفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا لجمع الجمع وهؤلاء الفتية من

وفراخها وحدث هشام ابن سالم أن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها وهمت تريده ألقى فى فيها حسكة فأخذت بحلق الحية وماتت (نسر) هو سيد الطيور وله قوة على الطيران حتى قيل إنه يقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد وجثته عظيمة حتى قيل إنه يحمل أولاد الأفيلة وله قوة حارة حتى قيل يشم رائحة الجيفة من مسيرة أربعمائة فرسخ فإذا سقط تباعد الطير هيبة له حتى يفرغ من الأكل قيل إنه لا يأكل حتى يضعف عن الحركة حتى لو أن أضعف الناس إذا أراد مسكه فى هذه الحالة مسكه وإذا باض أتى بورق الدلب كما فى الأصل وهو لا يحضن البيض وإنما يبيض فى الأماكن العالية ويلقيه فى الشمس فتكون حرارتها بمنزلة الحضن ومن طبعه أنه لو شم رائحة الطيب مات لوقته وعنده الحزن على فراق إلفه حتى قيل إنه ليموت أسفا وكمدا ويقال للأنثى منه أم قشعم وفى الحديث أتانى جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن لكل شىء سيدا وآدم سيد البشر وسيد ولده أنت

أهل بيتك يسخرون بك ويعصون أمرك فلما سمع ذلك منهم أتى بهم وأعينهم تفيض من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى تعبد فى الأرض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم فاختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا كما يذبح الناس وإما أن أقتلكم فقال مكسلمينا وكان أكبرهم إن لنا إلها ملأت السموات والأرض عظمته ان ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ولن نقر بهذا الذى تدعو إليه أبدا ولكنا نعبد الله ربنا له الحمد والشكر والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت وعبادتها فلن نعبدها أبدا اصنع ما بدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ما قال له فلما قالوا ذلك أمر فنزع منهم الملبوس الذى كان عليهم من لبوس عظمائهم وقال إن فعلتم ما فعلتم فإنى سأؤخركم وأفرغ لكم وأنجزكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعنى أن أعجل ذلك لكم إلا إنى أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تتذاكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من مذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما علم الفتية أن دقيانوس خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ثم يتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال منجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف الذى فى الجبل فلبثوا فيه وقال كعب الأحبار مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا جانبى فأنا أحب أحباب الله فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هربوا ليلا من دقيانوس بن حلانوس حين دعاهم إلى عبادة الأصنام وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم فخرجوا من البلد فأووا إلى الكهف وهو قريب من البلدة فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تمليخا فكان على طعامهم يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم فكان تمليخا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويلبس ثيابا كثياب المساكين الذين يطعمون فيها ثم يأخذ ورقة ثم ينطلق إلى المدينة فيشترى لهم طعاما وشرابا ويسمع ويتجسس لهم الخبر هل ذكر أصحابه بشىء أم لا ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا كذلك ما لبثوا ثم قدم دقيانوس الجبار المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع لذلك أهل الإيمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى لأصحابه الطعام والشراب فرجع لأصحابه وهو يبكى ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار دقيانوس قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة ثم إن تمليخا قال لهم يا إخوتاه ارفعوا رؤسكم واطعموا من رزق الله وتوكلوا عليه فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وخوفا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض أصحابه قد ساءنى هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا بى

وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبشة بلال وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام الجمعة وسيد الكلام العربى القرآن وسيد القرآن سورة البقرة والنسر طائر يقال له بالفارسية كركس يأكل الجيف حتى لا يقدر على الطيران قالوا يعيش ألف سنة وأكثر ما يأتى بورق الدلب يتركه فى عشه لئلا يأكل الخفاش بيضها قال جالينوس قولوا لنا من علم النسر إذا خاف على بيضها من الخفاش يفرش عشه بورق الدلب حتى لا يقربه الخفاش وهذا شىء يعرفه أكثر الأطباء وإذا حان أوان بيضها فالنسر الذكر يمشى إلى بلاد الهند ويأتى بحجر يوجد فى بعض جبال فى الهند ويتركه تحت الأنثى ليخفف عليها الألم وإذا مرض يأكل من لحم الناس وإذا أظلم ضوء عينيه يمسحها بمرارة الناس ولا طاقة له على شىء من الطيب وحيانها من النتن والنسر يتبع العساكر لطعمه من لحم القتلى

( فصل فى خواص أجزائه )

مرارته تقطر فى الأذن

غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى وما كنت لأجهل عليهم ولا على واحد منهم إن تابوا وعبدوا إلهى فقالوا له عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلتهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فسأل عنهم ثم قال أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا له أما نحن فلن نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة ذهبوا بأموالنا فأهلكوها بأسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا إلى جبل يقال له منحلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل ما يدرى ما يفعل بالفتنة فألقى الله فى نفس دقيانوس أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله أن يذكرهم ويجعلهم آية ويستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ويدعوهم كما هم فى الكهف يموتون عطشا وجوعا وليكن كهفهم الذى اختاروا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما كان اسم أحدهما مندروس والآخر دوماس ائتمرا أن يكتبا أسماء الفتية وأنسابهم وخبرهم فى لوح رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ثم يجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب ففعلا ثم بنيا عليهم فبقى دقيانوس ما بقى ثم مات وقومه وقرون بعد ذلك كثيرة وخلفاء الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيدلهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى يعبدونها من دون الله وقد قذف الله فى قلوب الفتية الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن أخيه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم على بعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر له ذلك فجلس إليه ثم خرج الآخرون فجاؤا وجلسوا إليهما واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وقال آخر ما حملكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منهما لصاحبه أمره فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا مستبشرين إلى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد فإذا هم جميعا على أمر واحد وهو الإيمان وإذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا وفقدهم الملك وقومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم فى لوح من رصاص فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن من بعد قرن * وقال وهب بن منبه جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له إن على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد له فكره أن يدخلها وأتى حماما قريبا من تلك المدينة فكان فيه وكان يؤاجر نفسه من الحمامى فى حمامه ويعمل فيه ورأى الحمامى فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وعلقه فتية من أهل

يذهب الطرش العتيق ويكتحل بها سبعا ينفع ظلمة العين والغشاء ويمنع من نزول الماء شحمه يخلط بالعسل ويكتحل به للرمد يبرأ لحمه يطبخ ويخلط بالورس والملح والكمون والعسل ويسقى للسع الهوام شحمه يذاب ويقطر فى الأذن أياما متوالية وليالى يزيل الطرش ( نعامة ) حيوان مركب من خلقة الطير والجمل يقال لها بالفارسية استروع أخذ من البعير العنق والوظيف والنسيم ومن الطير المنقار والجناح والريش وهو صحيح حاسة الشم والسمع يأكل الحصاة وتذوب فى قانصته حتى يصير كالماء لخاصية خلقها الله تعالى فيه كما إنا نرى جوف الكلب يذيب العظام دون النوى وأيضا تبلع الجمر ولا يضرها وتحمى صنجة مائة درهم من الحديد حتى تحمر وترمى إلى النعامة فتبلعها وتستمرئها وإذا باضت تدفن البيضة تحت التراب لئلا يقع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها وإذا عدت النعامة أرخت جناحها إلى رجليها فلا يسبقها شىء من الحيوانات ومن العجب أنها إذا استقبلت الريح كان عدوها أشد مما

المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بالله وصدقوه وكانوا على مثل حاله من حسن الهيئة وكان شرط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بيني وبينه أحد ولا بين الصلاة وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحمامي وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيا وذهب ثم رجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخلاه جميعا فاتا معا في الحمام فأتى الملك فقيل له صاحب الحمام قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا على صاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم فذكروا له أنهم التمسوا فانطلق معهم وكان معه كلب حتى آواهم الليل إلى كهف فقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبهم فتبعوهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد الرجل منهم دخوله أرعب فلم يطق أحد منهم أن يدخله فقال قائل من أصحاب الملك أليس لو كنت تقدر عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا وعطشا ففعل ذلك قال وهب فمكثوا بعد ما سد عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال في نفسه لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت فيه غنمي من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتحه ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا * قال محمد بن إسحق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تاودوسيوس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه وكانوا أحزابا فمنهم من يؤمن بالله تعالى ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح وشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فأما الجسد فتأكله الأرض ونسوا ما في الكتاب فجعل تاودوسيوس يرسل إلى كل من يظن فيه خيرا وأنه معه على الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يحولون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح تاودوسيوس دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ليلا ونهارا يتضرع إلى الله ويبكي مما يرى فيه الناس ويقول أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث إليهم من يبين لهم ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية تبين لهم وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يستجيب لعبده الصالح تاودوسيوس وأن يتم نعمته عليه وأن لا ينزع عنه ملكه ولا الإيمان الذي أعطاه وأن يعبد الله ولا يشرك به شيئا وأن يجمع من كان ببلده من المؤمنين فألقى الله عز وجل في نفس رجل من أهل ذلك الجيل الذي به أهل الكهف أن يبني فيه حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الأحجار ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى فرغ ما على فم الكهف وفتح عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم من يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف قائما فلما نزعت الحجارة وفتح عليهم باب الكهف أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مستبشرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في أبشارهم ولا ألوانهم شيء يكرهونه إنما هم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس الجبار في طلبهم فلما قضوا

إذا استدبرتها وسئل أبو عبيدة عن ذلك فقال إذا عدا كان بين الوثب والحفز والطيران كالريح إذا عصفت من خلفه وإذا استقبلها وضع عنقه على ظهره ثم خرق الريح لا يخاف أن يكبه على وجهه وإذا دخل الصيف وابتدأ البسر بالحمرة ابتدأ لون النعامة بالحمرة أيضا ولا يزالان يزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة البسر ولاخ لعظمها فإذا أصاب إحدى رجليها آفة وقفت لا تقوم على الأخرى وإذا باضت تبيض عشرين بيضة أو أكثر فتجعلها ثلاثة أقسام تدفن ثلثها في التراب وتترك ثلثها في الشمس وتحضن ثلثها فإذا خرجت أفراخها كسرت ما كان في الشمس وغذتها بما فيها من الرطوبات التي ذوبتها الشمس ورفقتها فإذا اشتدت فراريجها أو قويت أخرجت المدفون وفتحت لها ثقبا فيجتمع عليها الذباب والبق والنمل وغيرها من الهوام فتأكلها فراريجها إلى أن تقوى فتعدت وترعت فانظر إلى هذه التربية العجيبة من غير تعليم من أستاذ ولا آباء فسبحانه من حكيم ما أعظم شأنه

صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم ائتنا يا أخي بالذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون أمس وقد خيل إليهم أنهم ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا افتقدتم والتمستم بالمدينة وهو يريد أن يأتي بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم غداتم قال تمليخا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها اليوم وما الذي نذكر به عند دقيانوس وتلطف ولا تشعر بنا أحدا وابتع لنا طعاما وائتنا به فإنه قد نالنا الجوع وزدنا على الطعام الذي تجيئنا به العادة فإنه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل وخرج ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر فلم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق تخوفا من أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولم يشعر بالعبد الصالح وأن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع رأسه فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ممن يعرفه ثم ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن يعرفهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب منهم ومن نفسه ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب منه ومن نفسه ويقول يا ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها فأما اليوم فإنها ظاهرة لعلي حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا كثيرين يحلفون بالله ثم بعيسى بن مريم فزاده عجبا ورأى كأنه حيران فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس على وجه الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قتل وأما الغداة فاسمع كل إنسان يذكر أمر عيسى بن مريم ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست المدينة التي أعرفها أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم والله ما أعلم مدينة أقرب من مدينتنا ثم قام كالحيران لا يتوجه وجها ثم لقي فتى من أهل المدينة فقال يا فتى ما اسم هذه المدينة فقال أفسوس فقال في نفسه لعلي بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع إلى الخروج منها قبل أن أخرج منها ويصيبني سوء فأهلك (هذا الذي حدث به تمليخا أصحابه حين تبين له حالهم) ثم أنه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس بي فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال يا عبد الله يعني بهذا الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها وعجب منها ثم طرحها إلى رجل من أصحابه فنظر إليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل وهم يعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون من أجله ويقول بعضهم إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيئا في الأرض منذ زمان ودهر طويل لما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وحزن حزنا عظيما وجعل يرتعد ويظن أنهم فطنوا به وعرفوه وإنما يريدون أن يحملوه إلى ملكهم دقيانوس وجعل أناس

(فصل في خواص أجزائه)

مرارتها تنفع من ظلمة العين اكتحالا لحمه يزيل الرياح الكريهة إذا داوم على أكله ويدفع الشآليل والحكة شحمه يطلى به الأورام يردعها قشر بيضه يلقى في القدر ينضج سريعا

(هدهد) طير نتن الرائحة عن النبي ﷺ لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام على قرب الماء وبعده وأحب أن يعبد الله ولا يشرك به شيئا في أقطار الأرض وحكى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد أن تكون في ضيافتي قال أنا وحدي قال لا بل العسكر كله في جزيرة كذا وكذا في يوم كذا فحضر سليمان عليه السلام بجنوده هناك فصاد الهدهد جرادة خنقها ورماها في البحر وقال كلوا يا نبي الله من فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا والهدهد يلطخ عشه برجيع الإنسان فيحتمل أن يكون نتنه من ذلك وتراه في الربيع فاتحا فاه يخرج الذباب من حلقه ويطير وكل مكان به الهدهد لا يوجد به الأرضة وإذا مرض الهدهد يأكل

آخرون يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق اقضوا حاجتي فقد أخذتم ورقي وإلا أمسكوا طعامكم فلا حاجة لي فيه فقالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت ترى أن تخفيه منا فانطلق معنا وشاركنا فيه يخفف عليك ما وجدت فإنك إن لم تفعل نأت بك السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم عجب في نفسه وقال قد وقعت في كل شيء أحذر منه ثم قالوا يا فتى والله إنك لا تستطيع أن تكتم شيئا وجدته ولا تظن في نفسك أن ستخفي علينا فجعل تمليخا لا يدري ما يقول وما يرجع إليهم وفرق حتى ما يحير إليهم جوابا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به كل من فيها فقيل أخذ رجل عنده كنوز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم مع ما سمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت ولم يتكلم ولو قال إنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وأن حسبه في أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه من بعض أهله إما أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس والآخر اسطفوس فلما انطلق به إليهما ظن تمليخا إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار ملكهم الذي هرب من امنه فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون به كما يسخرون من المجنون والحيران وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل تمليخا يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت وأين يذهب بي فلو أنهم يعلمون فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فإنا كنا توافقنا لنكونن معا لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئا ولا نعبد الطواغيت من دون الله عز وجل فرق بيني وبينهم فلم أرهم ولم يروني وقد كنا توافقنا أن لا نفترق في حياة ولا موت أبدا يا ليت شعري ما هو فاعل بي أقاتلي أم لا «هذا ما حدث به تمليخا أصحابه عن نفسه حين رجع إليهم» ثم انتهى به إلى الرجلين الصالحين ارموس واصطفوس فلما رأى تمليخا أنه لم يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ ارموس واصطفوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما أين الكنز الذي وجدته يا فتى فهذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزا فقال له تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكني والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تمليخا أما ما أرى فإني كنت أرى أني من أهل هذه المدينة فقالوا له من أبوك ومن يعرفك بها فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تخبر بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير أنه نكس رأسه إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا الرجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق نفسه عمدا لكي يفلت منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا شديدا أتظن أنا نرسلك ونصدقك أن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط كما ترى وحولك سراة أهل المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وإني لأظنني سآمر بك فتضرب وتعذب عذابا

العقاب الجبلية يزول مرضه (فصل في خواص أجزائه) قنزعته تعلق على من به وجع الرأس يبرأ قال بليناس إذا أخذت عينه وجففتها وجعلتها في دهن ودهنت به وجهك لم يرك أحد إلا أحبك وتجعل عينه تحت رأس إنسان يغلب عليه السهر مادامت تحت رأسه وإذا شددتها على أحد يذكر جميع ما نسيه ويعلق في رقبة صاحب الجذام ينفعه نفعا بينا لسانه يأخذه الإنسان معه لا يظفر به عدو ألبتة مادام اللسان معه ولو علق على إنسان مع عينه يدفع عنه غلبة النسيان وإذا سقي إنسانا زاد في علمه وفهمه وذكائه قلبه يعلق على إنسان يزيد في قوة الباه ولو شوي ودق مع السكر وجعل فوق رغيف وأطعمه شخصين يتحابان بحيث لا يصبر أحدهما عن الآخر مرارته يسعط بها صاحب اللقوة ثلاثة أيام ويقعد في مكان مظلم ينفعه نفعا بينا جناحه اليمنى يجعل تحت رأس النائم يثقل نومه ولو ضمت إليه سنا قلعت من الألم يطول نومه ولو دخن بجناح الهدهد في برج ينفر عنه الحمام ولو وضع على أذنه

شديدا ثم أوثقك حتى تقر بهذا الكنز الذى وجدت فلما قال له ذلك قال له تمليخا أنبئونى عن شىء أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم ما عندى قالوا سل لا نكتمك شيئا قال فما فعل الملك دقيانوس فقالوا له ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن إلا ملكا قد هلك منذ زمان ودهر طويل وقد هلكت بعده قرون كثيرة فقال لهم تمليخا فوالله ما يصدقنى أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية الملك وأنه أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لأشترى لأصحابى طعاما وأتجسس لهم الأخبار فإذا أنا كما ترون فانطلقوا معى إلى الكهف الذى فى جبل منحلوس أريكم أصحابى فلما سمع أرموس واصطفوس ما يقول تمليخا قال ياقوم لعل هذه آية من آيات الله عز وجل جعلها الله لكم على يدى هذا الفتى فانطلقوا بنا معه يرينا أصحابه كما قال فانطلق معه أرموس واصطفوس وانطلق معهما أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم * ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذى كان يأتيهم فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب إلى ملكهم دقيانوس الذى هربوا منه فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وقالوا انطلقوا بنا إلى أخينا تمليخا فإنه الآن بين يدى الجبار دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهرانى الكهف فلم يروا إلا ارموس وأصحابه وقوما وقوفا على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم المسئلة فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا ارموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ودعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أن مكسلمينا واملیخا (أو تمليخا) ومرطوكش ونوالس وسانيوس وبطنيوس وكشفوطط كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا فى هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بهذا الكهف فسد عليهم بالحجارة وأنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله عز وجل الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمده وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيه ووجوههم مشرقة لم تبل ثيابهم فخر ارموس وأصحابه سجدا لله تعالى وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس الجبار ثم أن ارموس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تاودوسيوس أن عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى جعلها الله آية على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون ذلك نورا وضياء وتصديقا بالبعث فاعجل على فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام من السدة التى كان عليها ورجع إليه عقله وذهب عنه همه ورجع إلى الله تعالى وقال أحمد الله رب العالمين رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى كنت جعلته لآبائى وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما أنبئ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف وأتوه فلما رأى الفتية تاودوسيوس فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم وقام تاودوسيوس

ريشة من الهدهد وخاصم تكون الغلبة له لحمه يقدد فى الظل ويسحق ويخلط بالدقيق ويتخذ منه خبيصا ويطعم لمن أراد فإنه يحبه محبة عظيمة عظمه يدخن به البيت يموت من دخانه الأرضة والنمل والعقرب وأشباهها ولا ترى الهوام فى ذلك الموضع إلى مدة مديدة أظافيره تحرق وتدق وتسقى للمرأة فإنها تحبل إذا باشرها زوجها بإذن الله تعالى (وطواط) طائر يقال له بالفارسية بالواية قال بلیناس إن غرق الوطواط فى ماء ومات فمن شرب من ذلك الماء لم ينم ألبتة وإن أخذ وطواط وعلق فى عنقه شعر إنسان وأرسل حتى يطير لا ينام ذلك الإنسان حتى يموت ذلك الوطواط أو يؤخذ الشعر من عنقه

(فصل فى خواص أجزائه) رأسه تجعل فى حشو مخدة فمن وضع رأسه عليها نام دماغه يكتحل به مع العسل ينفع من نزول الماء ويطبخ بدهن وردويدهن به عرق النساء يسكن وجعه (يراعة) طائر صغير إن طار فى النهار كان كبعض الطيور وإن كان فى الليل فكأنه شهاب ثاقب أو مصباح طائر

قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قال الفتية لناودوسيوس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام حفظك الله ومدملكك ونعيذك بالله من شر الجن والإنس فبينما الملك قائم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل واحد نابوت من ذهب فلما أمسوا ونام أتوه فى المنام وقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبهم والله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يطلع عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة * وقيل إنهم لما أتوا باب الكهف قال لهم تمليخا دعونى حتى أدخل على أصحابى فأبشرهم فإنهم إن رأوكم معى أرعبتموهم فدخل فبشرهم وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم فلم يهتدوا إليهم فهذا حديث أصحاب أهل الكهف ويقال إن النبى ﷺ سأل ربه أن يريه إياهم فقال تعالى إنك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال رسول ﷺ لجبريل كيف أبعث إليهم فقال ابسط كساءك واجلس على طرف من أطرافه أبا بكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث عليا وعلى الرابع أباذر ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليه السلام فإن الله تعالى أمرها أن تطيعك ففعل النبى ﷺ ما أمر به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجرا فقام الكلب فنبح عليهم حين أبصر الضوء وهرو حمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم ثم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دين الإسلام وقالوا اقرئوا محمدا منا السلام ثم أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى ويقال إن المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون إلى يوم القيامة * وقد رأيت فى كتاب الشفاء للإمام أبى الربيع سليمان بن سبع ما نصه روى أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة ويكون حواريوه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه لأنهم لم يحجوا انتهى ما نقله ابن السبع * ثم نرجع إلى سياق الثعلبى قال ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح فهبط جبريل على النبى ﷺ وأخبره بما كان منهم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال ﷺ كيف وجدتموهم وما الذى أجابوا فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم فسلمنا عليهم فقاموا بأجمعهم فردوا علينا السلام وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا أنك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك إليهم وهم يقرئونك السلام فقال رسول الله ﷺ اللهم لا تفرق بينى وبين أصهارى وأحبابى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأحب أصحابى فذلك قوله تعالى إذ أوى الفتية إلى الكهف أى صار يضم الفتية قال الثعلبى كان أصحاب الكهف صيارفة * قوله عز وجل إلى الكهف هو غار بجبل منحلوس وقيل بناحيوس واسم الكهف حرم وقيل خدم * قوله تعالى فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا أى يسر لنا ما نلتمس من رضاك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رشدا أى مخرجا من الغار فى سلامة وقيل صوابا * قوله تعالى فضربنا على آذانهم فى الكهف وهذا من فصاحات القرآن التى أقرت العرب بالقصور عن الإتيان

﴿ النوع السابع من الحيوانات الهوام والحشرات ﴾

هذا النوع لا يمكن ضبط أصنافه لكثرته قال بعض المفسرين من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون فليوقد نارا فى وسط غيضة بالليل وينظر ما يغشى تلك النار من الحشرات فإنه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئا من ذلك على أن الخلق الذى يغشى ناره مختلف باختلاف مواضع الغياض والجبال والسهول والبرارى فإن فى كل بقعة من هذه البقاع ألوانا من المخلوقات مخالفة لما فى البقعة الأخرى ومن الناس من يقول أى فائدة فى هذه الهوام مع كثرة ضررها ولم يدر أن الله تعالى يراعى المصالح الكلية كإرسال المطر فإن فيه مصالح البلاد والعباد وإن كان فيه خراب بيت العجوز فهكذا خلق هذه الحشرات من المواد الفاسدة والعفونات الكامنة لتصفو لحومها ولا يعرض لها الفساد الذى هو سبب الوباء وهلاك الحيوان والنبات وإن كان يتضمن لسع الذباب والبق والذى

بمثله ومعناه أنمناهم وألقينا وسلطنا عليهم النوم كما يقال ضرب الله فلانا بالفالج أى ابتلاه به وأرسله عليه وقيل معناه حجبناهم عن السمع وسددنا نفوذ الصوت إلى مسامعهم وهذا وصف الأموات والنيام وقال قطرب هو قول العرب ضرب الأمير على يد الرعية إذا منعهم من العبث والفساد وضرب السيد على يد عبده المأذون له فى التجارة إذا منعه من التصرف وقال الأسود بن يعفر وكان ضريرا فى ذلك .

ومن الحوادث لا أبالى أننى * ضربت على الأرض بالأسداد

* قوله عز وجل سنين عددا أى معدودة وهى نعت السنين والعدد المصدر والعدد الاسم المعدود كالنقض والنقض والقص والقصص والخبط والخبط وقال أبو عبيدة هو نصب على المصدر * قوله تعالى ثم بعثناهم يعنى من بعد موتهم لنعلم أىّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا وذلك حين تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك والمسلمون الآخرون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف فى قدر مدة لبثهم فى الكهف فقال المسلمون الأولون لبثوا فى الكهف ثلثمائة سنين وتسع سنين وقال المسلمون الآخرون بل لبثوا كذا وكذا فقال الأولون الله أعلم بما لبثوا فذلك قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم أىّ الحزبين أى أىّ الفريقين أحصى أى أضبط وأحفظ لما لبثوا أى مكثوا فى كهفهم نياما أمدا غاية وقال مجاهد عددا وفى نصبه وجهان أحدهما على التفسير والثانى مفعول لبثوا * قوله عز وجل نحن نقص عليك أى نقرأ وننزل عليك نبأهم بالحق أى خبر أصحاب الكهف إنهم فتية أى شباب وأحداث آمنوا بربهم حكم الله لهم بالفتوة حين آمنوا بلا واسطة لذلك قال أهل اللسان رأس الفتوة الإيمان وقال الجنيد الفتوة بذل الندى وكف الأذى وترك الشكوى وقيل الفتوة شيئان اجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل الفتى من لا يدعى قبل الفعل ولا يذكى نفسه بعد الفعل وقيل ليس الفتى من يصبر على السياط إنما الفتى من يجوز على الصراط وليس الفتى من يصبر على السكين إنما الفتى من يطعم المسكين * قوله تعالى وزدناهم هدى أى إيمانا وبصيرة وإيقانا وربطنا أى شددنا على قلوبهم بالصبر وألهمناهم ذلك وقويناهم بنور الإيمان حين صبروا على هجران دار قومهم وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف إذ قاموا بين يدى دقيانوس فقالوا حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها أى لا نعبد من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططا قال ابن عباس ومقاتل رضى الله تعالى عنهم جورا وقال قتادة رحمه الله تعالى كذبا وأصل الشطط والإشطاط مجاوزة القدر والإفراط هؤلاء قومنا يعنى أهل بلدهم اتخذوا أى عبدوا من دونه آلهة يعنى من دون الله الأصنام يعبدونها لولا هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين أى حجة واضحة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يزعم أن له شريكا وولدا ثم قال بعضهم لبعض وإذ اعتزلتموهم يعنى قومهم وما يعبدون إلا الله أى واعتزلتم أصنامهم التى يعبدونها من دون الله وكذلك هو فى مصحف عبدالله وما يعبدون من دون الله * فأووا إلى الكهف أى صيروا إليه ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا أى رزقا رغدا والمرفق ما يرتفق به الإنسان وفيه لغتان مرفق بفتح الميم وكسر الفاء وهى قراءة أهل المدينة والشأم وعاصم فى بعض الروايات ومرفق بكسر الميم وفتح الفاء وهى قراءة الباقين * قوله تعالى وترى الشمس إذا طلعت أى وترى يا محمد الشمس إذا طلعت تزاور أى تتزاور قرأ أهل الكوفة بالتخفيف على حذف إحدى التاءين وقرأ أهل الشأم ويعقوب تزورّ على وزن

يحقق ذلك أنا نرى الذباب والديدان والخنافس فى دكان القصاب والدباس أكثر ما يرى فى دكان البزار والحداد فاقتضت الحكمة الإلهية صرف العفونات إليها ليصفو الهواء منها وتسلم من الوباء ثم جعل صغارها ما كولا لكبارها وأما امتلاء وجه الأرض منها فليس فى ملكوته ذرة إلا وفيها من الحكمة ما لا يحصى وأعجب من هذا أن كل ما جعل سبباً لهلاك حيوان جعل لحمه سببا لدفع ذلك السم فإن الأطباء الأقدمين جعلوا فى لحم الحية قوة تقاوم سمها فأدخلوا لحمها فى الترياق والتجربة تشهد على أن من لدغته العقرب يلطخ على الموضع برطوبة العقرب يسكن ألمها فى الحال ثم إن هذا النوع من الحيوانات يختلف حالها عند الشتاء فمنها ما يموت من برد الهواء كالديدان والبق والبراغيث ومنها ما يكمن فى الشتاء ولا يأكل شيئا كالحيات والعقارب ومنها ما يدخر ما يكفيه لشتائها كالنحل والنمل فإنها لا تعيش بلا طعم ولنذكر بعضها مرتبا على حروف المعجم إن شاء الله والله الموفق للصواب

تحمر وكلها بمعنى واحد أى تميل وتعدل عن كهفهم ذات اليمين أى جانب اليمين وإذا غربت تقرضهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تدعهم وقال مقاتل بن حيان تجاوزهم وأصل القرض القطع ذات الشمال وهم فى فجوة منه أى متسع من الكهف وجمعها فجوات وأجاء وفجاء أخبرنا الله بحفظه إياهم فى مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع للرقاد فأعلمنا أنه يراهم فى فضاء من الكهف مستقبلا بنات نعش تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية فلا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها وتغير من ألوانهم وتبلى ثيابهم وأنهم فى متسع منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وتنفى عنهم كربة الغاز وغمومه ذلك ماذكرنا من أمر الفتنة من آيات الله أى من عجائب صنع الله ودلالات قدرته * قوله عز وجل من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا لأن التوفيق والخذلان بيد الله عز وجل وتحسبهم يامحمد أيقاظا منتبهين جمع يقظ ويقظ مثل قولك رجل نجد ونجد للشجاع وجمعه أنجاد وهم رقود يعنى نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود ونقلبهم بالتخفيف والتشديد ذات اليمين وذات الشمال مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا يقلبون فى السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم ويقال إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم وقال أبو هريرة كان لهم فى السنة تقليبتان وكلبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان أحمر وقال مقاتل كان أصفر وقال القرطبى من شدة صفرته يضرب إلى الحمرة وقال الكلبى لونه كالخلنج وقيل لون الحجر وقيل لون السماء وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان اسمه ريان وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قطمير وقال الأوزاعى مشير وقال سعيد الحمال حران وقال عبد الله بن كثير أن اسم كلبهم قطمور وقال السدى اسمه تون وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب صيهان وقال وهب اسمه نقيا وقيل قطفير وقال قطيفير * وقال عروة مما أخذ على العقرب أن لا يضر بأحد فى ليل ولا نهار قال سلام على نوح قال ومما أخذ على الكلب أن لا يضر بأحد ممن حمل عليه إذا قال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وقرأ جعفر الصادق وكالبهم يعنى صاحب الكلب باسط ذراعيه بالوصيد وقال مجاهد والضحاك الوصيد فناء الكهف وهى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير الوصيد الصعيد وهو التراب وهى رواية عطية العوفى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها وقال السدى الوصيد الباب وهى رواية عكرمة عن ابن عباس وانشد قول الشاعر :

بأرض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

أى بابها وقال عطاء الوصيد عتبة الباب وقال العتبى الوصيد البناء وأصله من العرب أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته * قوله تعالى لو اطلعت عليهم يامحمد لوليت منهم فرارا لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة حتى لا يصل إليهم واصل ولا تلمسهم يد لامس حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم لإرادة الله عز وجل أن يجعلهم آية وعبرة لمن شاء من خلقه ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها ولملئت منهم رعبا أى خوفا وقرأ أهل الكوفة لملئت بالتشديد قيل إنما قال ذلك لوحشة المكان الذى هم فيه وقال الكلبى وغيره لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذى يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل إن الله منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه غزا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمروا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن

﴿ حرف الألف ﴾

(أرضة) دودة بيضاء صغيرة تبنى على نفسها أرجا شبه دهليز خوفا من عدوها كالنمل وغيره وإذا أتت عليها سنة ينبت لها جناحان طويلان تطير بهما وهى التى دلت الشياطين على موت سليمان عليه السلام وإذا خرب أرجها اجتمعت كلها على إعادتها ولها مشفران حادان تثقب بهما الحجارة والآجر والنمل عدوها وهى أصغر من الأرضة جثة فيأتى من خلفها ويحملها ويمشى بها إلى جحره وإذا أتاها مستقبلا لها لا يغلبها لأنها تقاومها قال صاحب المنطق أفسدت الأرضة على كثير من أهل القرى منازلهم وأكلت كل مالهم إلى أن سلط الله تعالى عليها النمل فأتت على آخرها

(أفعى) حية قصيرة الذنب من أخبث الحيات عيناها طولانية مخالفة لصور سائر الحيوانات وحدقتها بارزة كالجراد إذا فقئت عينها تعوض ولا تغمض عينها ألبتة قالوا تختفى فى التراب أربعة أشهر البرد ثم تخرج وقد أظلمت عيناها تطلب شيئا من الرازيانج وتحك عينها به يرجع إليها ضوؤها ولو قطعت ذنبها يرجع إليها كما

فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك قال الله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم عليهم فبعث ناسا فقال اذهبوا فادخلوا الكهف فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم * قوله عز وجل وكذلك بعثناهم يعنى كما أنمناهم فى الكهف ومنعنا من الوصول إليهم وحفظنا أجسامهم من البلى على طول الزمان وثيابهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا فكذلك بعثناهم من النومة التى تشبه الموت ليتساءلوا بينهم أى ليتحدثوا ويسأل بعضهم بعضا فقال قائل منهم يعنى رئيسهم مكسلمينا كم البثتم فى نومكم وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول نومهم ويقال إنهم راعهم ما فاتهم من الصلاة فقال ذلك قالوا لبثنا يوم أو بعض يوم لأنهم دخلوا الكهف غدوة فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم توقيا من الكذب وكان قد بقيت من الشمس بقية ويقال كان بعد زوال الشمس فلما نظروا إلى أظفارهم وأبشارهم تيقنوا أن لبثهم كان أكثر من يوم فقالوا ربكم أعلم بما لبثتم ويقال إن رئيسهم لما سمع الاختلاف بينهم قال ذلك فابعثوا أحدكم يعنى تمليخا بورقكم هذه إلى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة والدليل عليه أن عرجة بن سعد أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق وفيه لغات بورقكم ساكنة الراء وهى قراءة أبى عمرو وحمزة وخلف وأبى بكر وبورقكم بكسر الراء وادغام القاف وهى قراءة بعض وبورقكم بفتح الواو وكسر الداء وهى قراء أكثر القراء وورق وورق مثل كبد وكبد وكلم وكلم والمدينة أفسوس وقيل طرسوس ويقال ارسوس كان اسمها فى الجاهلية افسوس فلما جاء الإسلام سموها طرسوس فلينظر أيها أزكى طعاما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه أحل ذبيحة لأن عامتهم كانوا مجوسا ومنهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم وقال الضحاك أطيب وقال مقاتل وابن حبان أجود وقال ابن شهاب أرخص وقال قتادة أخير وقال عكرمة أفضل وأكثر وأصل الزكاة الزيادة والنماء قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة  كذا السبع أزكى من ثلاث وأطيب

فليأتكم برزق منه أى قوت وطعام وليتلطف أى وليرفق فى الشراء وفى طريقة دخوله المدينة ولا يشعرن ولا يعلمن بكم أحدا من الناس إنهم إن يظهروا عليكم فيعلموا بمكانكم يرجموكم قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول ويقال يقتلوكم ويقال كان من عادتهم القتل بالرجم وهو من أخبث القتل ويقال يضربوكم أو يعيدوكم فى ملتهم أى دينهم الكفر ولن تفلحوا إذا أبدا إن عدتم إليهم * قوله عز وجل وكذلك أعثرنا عليهم أى اطلعنا عليهم يقال عثرت على الشىء اطلعت عليه وأعثرت غيرى وأطلعته عليه ليعلموا أن وعد الله حق يعنى قوم تاودسيوس وأن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يتنازعون فى البنيان والمسجد فقال المسلمون نبنى عليهم مسجدا لأنهم على ديننا وقال المشركون نبنى عليهم بنيانا لأنهم من أهل نسبنا وقال عكرمة يتنازعون فى الأرواح والأجساد فقال المسلمون البعث للأجساد والأرواح وقال المشركون البعث للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى من رقادهم وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح وقيل يتنازعون فى عددهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم تاودوسيوس الملك وأصحابه لنتخذن عليهم مسجدا * قوله عز وجل سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم وذلك أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم

نبت ولو قلع نابها رجع إليها أعدى عدو للإنسان والبقر الوحشى يأكلها أكلا ذريعا (وحكى) أنها نهشت ناقة فى مشفرها ولها فصيل يرضعها فمات الفصيل فى الحال قيل موت أمه وإذا مرضت أكلت ورق الزيتون (فصل فى خواص أجزائها) دمها يكتحل به يحد البصر ويمنع الغشاء شحمها يذاب يمنع من نزول الماء اكتحالا وينتف شعر الإبط ويطلى بشحم الأفعى لا يرجع ينبت قلبها يجفف ويشد على إنسان لا يؤثر فيه السحر ويذهب حمى الربع لحمه قال أبقراط من أكله أمن من الأمراض الصعبة ويقوى الأعصاب ويبطئ الشيب حكى عمر ابن يحيى العلوى قال كنا فى طريق مكة فأصاب رجل منا الاستسقاء والعياذ بالله فسلب العرب قطارا فيه ذلك الرجل والعليل ورجعنا بعد الحج إلى الكوفة فإذا هو بالكوفة معافى فسألته عن حاله فقال إن الأعراب لما سلبوا القطار ساقوه إلى مسكنهم وكان على فراسخ فطرحونى فى أواخر بيوتهم وكنت أتمنى الموت إلى أن رأيتهم يوما قد

فجرى ذكر أهل الكهف فقال السيد كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وكان السيد يعقوبيا وقال العاقب كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وصدقهم بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب أى قذفا بالظن من غير يقين كقول الشاعر * وأجعل قول الحق قولا مرجما * ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم هذه واو الثامنة وذلك أن العرب تقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لأن العقد عندهم كان سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقوله تعالى لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ثيبات وأبكارا وقال بعضهم هذه واو الحكم والتحقيق فإن الله حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حكى أن ثامنهم كلبهم والثامن لا يكون إلا بعد السبع فهذا تحقيق قول المسلمين قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل قال مجاهد وقتادة قليل من الناس وقال عطاء وقتادة أيضا يعنى بالقليل أهل الكتاب وقال ابن عباس فى قوله ما يعلمهم إلا قليل قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبنيونس وساربونس ودوانوانس وكند سلططنوس وهو الراعى والكلب اسمه قطمير كلب أمر فوق القاطى ودون الكردى والقاطى كلب صينى قال محمد بن المسيب وما بقى بنيسابور محدث إلا كتب عنى هذا الحديث إلا من لم يقدر له وكتبه على أبو عمرو الجرى زاد الإمام أبو الحسن فى روايته فقال قلت وصدق ابن المسيب فقد رأيت فى تفسير أبى عمرو الجرى هذا الحديث مرويا عن ابن المسيب ثم قال أعنى الإمام أبا الحسن بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال إن الله عز وجل عدهم حتى انتهى إلى السبعة وأنا من القليل الذين يعلمونهم هم سبعة يعنى أصحاب الكهف * قال الثعلبى قوله تعالى فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا وهو ما نص عليه فى كتابه العزيز من خبرهم يقول تعالى حسبك ما قصصت عليك فلا تمار فيهم ولا تستفت فيهم منهم أحدا من أهل الكتاب * وقوله تعالى ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعنى إن عزمت على أن تفعل غدا شيئا أو تحلف على شىء أنت فاعله غدا فقل إن شاء الله فإن نسيت الاستثناء ثم ذكرته فقله ولو بعد سنة وهذا تأديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن المسائل الثلاثة أهل الكهف والروح وذوى القرنين فوعدهم أن يجيبهم عنهم غدا ولم يقل إن شاء الله ولم يستثن روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتم إيمان العبد حتى يستثنى فى كل كلامه * قوله عز وجل واذكر ربك إذا نسيت قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية والحسن رضى الله تعالى عنهم معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثن وقال عكرمة رضى الله تعالى عنه معناه واذكر ربك إذا غضبت فقد روى وهب بن منبه قال مكتوب فى الإنجيل يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق وإذا ظلمت فلا تنتصر فإن نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك وقال الضحاك والسدى هذا فى الصلاة لقوله ﷺ من نسى صلاة أو نام عنها فليصلها متى ذكرها وقال أهل الإشارة معناه اذكر ربك إذا نسيت غيره ويؤيده قول ذى النون المصرى رحمه الله تعالى من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكره كل شىء فإذا نسى فى جنب ذكره كل شىء حفظ الله له كل شىء وكان له عوضا من كل شىء وقيل معناه واذكر ربك إذا تركت ذكره والنسيان هو الترك * قوله عز وجل وقل عسى

أخرجوا أفعى صادوها فقطعوا رأسها وذنبها وشووها وكانوا يأكلون منها فقلت فى نفسى هؤلاء قد اعتادوا أكل هذا فلا يضرهم فلعلى أنا إن أكلت منه مت فاسترحت فاستطعمتهم فرمى إلى بعضهم واحدة وزنها أرطال فأكلتها فأخذنى نوم ثقيل فانتبهت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت طبيعتى فقمت فى يومى وليلتى أكثر من مائة مرة فتقطعت قوتى وقلت هذا طريق الموت وأقبلت أتشهد وأدعو الله المغفرة إلى أن أصبحت فوجدت بطنى قد ضمرت وانقطع الألم فطلبت منهم مأكولا فأطعمونى وأقمت عندهم إلى أن وثقت من نفسى ثم أخذت الطريق مع بعضهم وأتيت الكوفة ولحمها أيضا ينفع من الجذام والله الشافى (وحكى) بعضهم قال فتحت بستوقة خضراء فيها شراب وهى مطينة الرأس فلما فتحت رأسها رأيت فيها أفعى قد تهرى لحمها وكان ثم مجذوم يتمنى الموت لشدة ما به فحملت تلك البستوقة إليه ليتخلص من الألم فلما شربها انتفخ انتفاخا عظيما وبقى على ذلك أياما ثم انسلخ من جلده الخارج

أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا أن يثبتنى على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل معناه لعل الله يهدينى فيرشدنى لأقرب مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون إن هو شاء وقيل إن الله أمره أن يذكره إذا نسى شيئا ويسأله أن يذكره فيذكره ويهديه لما هو خير له من تذكره ما نسيه ويقال إن هؤلاء القوم لما سألوه عن قصة أصحاب أهل الكهف على وجه العناد أمره الله أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج والبيان على صحة نبوته وما دعاهم إليه من الحق زيادة على ما سألوه ثم إن الله تعالى فعل ذلك به حيث أتاه من علم غيوب المسلمين وخبرهم ما كان أوضح الحجج وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقال بعضهم هذا شىء أمر ﷺ أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد ما نسيه فإذا نسى الإنسان إن شاء الله فتوبته من ذلك وكفارته أن يقول عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا * وقوله تعالى ولبثوا يعنى أصحاب الكهف فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قال بعضهم هذا خبر عن أهل الكتاب إنهم قالوا ذلك وقالوا لو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه مفهوم فقد أعلم الله خلقه قدر لبثهم وهذا القول قول قتادة يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود فقالوا لبثوا فى كهفهم وقال مطر الوراق فى هذه الآية هذا شىء قالته اليهود فرد الله عليهم فقال قل الله أعلم بما لبثوا وقال آخرون هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم فى الكهف وقالوا معنى قوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا إن أهل الكتاب على عهد رسول الله ﷺ قال إن للفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم ذلك قال ﷺ الله أعلم بما لبثوا بعد أن قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله وغير من أعلمه الله ذلك وقال الكلبى قالت النصارى أهل نجران أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أى يعلم ما غاب فيهما من العباد واختلفوا فى قوله عز وجل ثلثمائة سنين فقرأ أهل الكوفة بغير تنوين بمعنى فلبثوا فى كهفهم سنين ثلثمائة وقال الضحاك ومقاتل نزلت ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة فقالوا أياما أو أشهرا أو سنين فلذلك قال سنين ولم يقل سنة انتهى ما ساقه الإمام أبو اسحق محمد بن أحمد الثعلبى من قصة أصحاب الكهف وقد ذكرها الحافظ أبو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى فى تاريخه الكبير وفيها زيادة فوائد فلنأت بها * قال ومما كان فى أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم قال وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم كما وصفهم الله به فى تنزيله فقال لنبيه محمد ﷺ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم هو الكتاب الذى كان القوم الذين منهم كان الفتية كتبوه فى لوح بذكر خبرهم وقصصهم ثم جعلوه على باب الكهف الذى أووا إليه أو نقروه فى الجبل الذى أووا إليه أو كتبوه فى لوح وجعلوه فى صندوق خلفوه عندهم إذ أوى الفتية إلى الكهف وكان عدد الفتية فيما ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سبعة وثامنهم كلبهم قال قتادة ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول أنا من ذلك القليل الذى استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وكان اسم أحدهم تمليخا وهو الذى كان يلى شراء الطعام لهم الذى ذكر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا اذهبوا من رقدتهم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه قال مجاهد فى قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه اسمه تمليخا وأما ابن اسحق فإنه قال اسمه يمليخا وكان ابن اسحق يقول عدد الفتية ثمانية فعلى قوله كان

وظهر الجلد الداخل الأحمر وصلب وعاش بعد ذلك زمانا طويلا طبيخ الأفعى قال بليناس نافع من الجذام ومن ظلمة البصر وهيجان شهوة الجماع فإن طبخ بالزيت وطلى به موضع من البدن لا ينبت الشعر فيه وهو أنفع شىء للسع الأفاعى والحيات جلدها مع رأسها يعلق على الحبلى تأمن من إسقاط الجنين قال ابن سينا جلدها محرقا دواء جيد لداء الثعلب وقال تشق الأفعى وتوضع على نهش نفسه يسكن وجعه وذكروا أن من أخذ خيطا انجوانيا أو أرعوانيا وشد به حلق أفعى لتختنق ثم شد ذلك الخيط على صاحب الخناق ينفتح فى الحال بأذن الله تعالى (برغوث) هو أسود أحدب ضامر إذا وقع نظر الإنسان عليه أو أحس به فيثب تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال حتى يغيب عن نظر الإنسان قال الجاحظ إنها تبيض وتفرخ قالوا عمره خمسة أيام وزعموا أن البراغيث من الخلق الذى يعرض له الطيران فيصير بقا كما يعرض للدعاميص الطيران فتصير فراشا وذكروا أن البراغيث تأكل القمل

تاسعهم كلبهم وأنه كان يسميهم فيقول كان أحدهم وهو أكبرهم والذى كلم الملك عن سائرهم مكسلمينا والآخر مجسلمينا والثالث يمليخا والرابع مرطوس والخامس كفشطيوس والسادس ينيونس والسابع ميموس والثامن بطنيوس والتاسع طالوس وكانوا أحداثا وعن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم فهداهم الله للإسلام وكانت شريعتهم شريعة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فى قول جماعة من سلف علمائنا وعن عمرو يعنى ابن قيس الملائى فى قوله تعالى إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قال كانت الفتية على دين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكان ملكهم كافرا وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح وأن المسيح أخبر قومه خبرهم وأن الله عز وجل بعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح عليه السلام فى الفترة التى بينه وبين محمد ﷺ والله أعلم أى ذلك كان فأما الذى عليه علماء الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح وأما أنه كان فى أيام ملوك الطوائف فإن ذلك لا يرفعه رافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة وكان لهم فى ذلك الزمن ملك يقال له دقيانوس يعبد الأصنام فيما ذكر فبلغه عن الفتية خلافهم إياه فى دينه فطلبهم فهربوا منه بدينهم حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له منحلوس وكان سبب إيمانهم وخلافهم لقومهم ما ذكر عن وهب ابن منبه أنه قال جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له إن على بابها صنما لا يدخل أحد إلا يسجد له فكره أن يدخلها فأتى حماما كان قريبا من تلك المدينة فكان يعمل فيه يؤاجر نفسه من صاحب الحمام فرأى الرجل فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يعرض عليه الإسلام وجعل يسترسل إليه وعلقه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا بما يقوله وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشترط على صاحب الحمام أن الليل لا يحول بينى وبينه أحد ولا بين الصلاة إذا حضرت فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيره الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل معك هذه التى هى كذا وكذا فاستحيا وذهب فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت إليه حتى دخل ودخلت معه المرأة فماتا فى الحمام جميعا فأتى الملك فقيل له إن صاحب الحمام قد قتل ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب كل من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل أمرهم فذكروا له أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه الكلب حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله فيرون رأيكم فضرب على آذانهم فخرج الملك فى أصحابه يتبعونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فكلما أراد رجل أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتون عطشا وجوعا ففعل فغبر بعد ما بنى عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح فأدخل فيه غنمه ورد الله تعالى إليهم أرواحهم فى أجسادهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاما فلما أتى باب مدينتهم لم ير شيئا ينكره حتى دخل على رجل فقال له بعنى بهذه الدراهم طعاما فقال ومن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى أمس فآوانا الليل حتى أصبحوا فأرسلونى فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأتى لك بها فرفعه إلى الملك وكان ملكا صالحا فقال من أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لى أمس حتى أدركنا الليل فى كهف كذا وكذا

الذى يكون فى الثياب ويموت من رائحة ورق الدفلى والله أعلم

(بعوض) حيوان فى غاية الصغر على صورة الفيل وكل عضو خلق للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين فسبحان من قسم له الأعضاء الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كما للحيوان الكبير فانظر إلى صغر جسمه فإن الطرف يدركها بالشدة لصغره ثم إلى رأسه لأن رأسه لم تكن من جسمه وفيه القوة الباصرة والسامعة ثم إلى دماغه وانظر كم يكون دماغه من رأسه فإن فيها القوة الباطنة الخمسة لأن فيها الحس المشترك لأنها ترى الحيوانات فتمشى إليها وفيها الخيال لأنها إذا وقعت على الحيوان تغمس خرطومها وإذا وقعت على الحائط

فلما أصبحوا أمروني أن أشترى لهم طعاما قال وأين أصحابك قال فى الكهف فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعونى أدخل إلى أصحابى قبلكم فلما رأوه ودنا منهم ضرب الله على آذانه وآذانهم فجعلوا كلما دخل رجل أرعب فلم يقدروا أن يدخلوا إليهم فبنوا عنده كنيسة واتخذوها مسجدا يصلون فيه وعن قتادة عن عكرمة قال كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام فتعوذوا بدينهم واعتالوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف فضرب الله على صماخهم فلبثوا دهرا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلما واختلفوا فى الروح والجسد فقال قائل تبعث الروح والجسد جميعا وقال قائل تبعث الروح لا غير فأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئا فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله تعالى فقال أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم ما يبين لهم فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطريق ويرى الإيمان بالمدينة ظاهر فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلا يشترى منه الطعام فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها قال حسبت أنه قال كأنها أخفاف الربع يعنى الإبل الصغار فقال الفتى أليس ملككم فلانا قال لا بل ملكنا فلان فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك فسأله الملك فأخبره الفتى خبر أصحابه فبعث الملك فى الناس فجمعهم فقال إنكم قد اختلفتم فى الروح والجسد وإن الله قد بعث لكم آية فهذا الرجل من قوم فلان يعنى ملكهم الذى مضى فقال الفتى انطلقوا معى إلى أصحابى فركب الملك وركب معه الناس فلما انتهى إلى الكهف قال الفتى دعونى أدخل إلى أصحابى فلما أبصرهم ضرب على آذانه وآذانهم فلما استبطؤه دخل الملك ودخل معه الناس فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئا غير أنها لا أرواح فيها فقال الملك هذه آية بعثها الله لكم قال قتادة وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فمروا بالكهف فإذا فيه عظام فقال رجل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة وقال وهب والسدى وغيرهما وأسماؤهم مكسلمينا وهو أكبرهم ورئيسهم وأمليخا وهو أجملهم وأعبدهم وأنشطهم ومرطونس ويوناس وساربنوس وبطنيوس وكندسلطنوس وكلبهم قطمير يكتب ذلك للنوم ولبكاء الأطفال * ومما يكتب لنوم الصبيان وبكائهم أعوذ بكلمات الله التامات التى نام بها أصحاب الكهف والرقيم الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى اللهم ألق النوم والسكينة على حامل هذا الكتاب بألف لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ﴿فائدة أخرى﴾ وقد تقدمت قبل ذلك وهى عن عمرو بن دينار أنه قال مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحدا فى ليل أو نهار أن يصلى على نوح عليه السلام ومما أخذ على الكلب أن لا يضر أحدا حمل عليه فى ليل أو نهار إذا قرأ وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد إلى هنا انتهى ما تقدم وقال القرطبى فى كتاب التذكار فى أفضل الأذكار بلغنا عمن تقدم أن فى سورة الرحمن آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الإنسان وهى قوله تعالى يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فإنه لا يؤذيه بإذن الله تعالى وفى تاريخ الإسلام للذهبى فى سنة ثلثمائة أن ممشاد الدينورى رحمه الله تعالى خرج من داره فنبحه كلب فقال لا إله إلا الله فمات الكلب مكانه (الحكم) يحرم أكل الكلاب بجميع أنواعها إلا ابن آوى فإنه من جنس الكلاب وفيه خلاف سبق فى باب الهمزة وروى ابن عبد البر فى التمهيد عن الشعبى أنه سئل عن

لا تفعل ذلك وفيها الوهم لأنه يفرق بين من يقصدها فتهرب وبين من لا يقصدها فتبقى وفيها الحافظة لأنها تجذب الدم وتهرب فى الحال لعلمها بأنها أوجعت فيأتيها صدمة المتألم وفيها المفكرة لأنها إذا أحست بحركة يد الإنسان تهرب لعلمها أنها مهلكة وإذا سكنت يده عادت إلى مكانها لعلمها أن المنافى ذهب وأن محل الغذاء قد خلا ولها خرطوم أدق شىء يمكن أن يقال ومع دقته مجوف حتى يجرى فيه الدم الرقيق وخلق فى رأس ذلك الخرطوم قوة يضرب بها جلد الفيل والجاموس ينفذ فيهما والفيل والجاموس يهربان من البعوض فى الماء فسبحان من لا يعرف دقائق حكمه

رجل يتداوى بلحم الكلاب فقال لا شفاه الله وعلى مقتنى الكلب المباح اقتناؤه أن يطعمه أو يرسله أو يدفعه لمن يريد الانتفاع به ولا يحل حبسه ليهلك جوعا ﴿فرع﴾ لو كان لإنسان كلب محترم مضطر ومع غيره شاة جاز له مكالبته عليها لإطعامه ويضمنها له ﴿فرع﴾ لو عض كلب كلب شاة فكلبت نحرت ولا يؤكل لحمها قال أبو حيان التوحيدى من أصحابنا فى كتاب الإمتاع إذا كلب الجمل نحر ولا يؤكل لحمه انتهى والظاهر أن ذلك خشية الإيذاء ﴿فرع﴾ لو غصب نجاسة تنفع ككلب معلم وجلد ميتة وسرجين فهل له كسر بابه ونقب جداره إذا لم يصل إليها إلا بذلك الظاهر أنه يجوز له ذلك كالمال لأنها حق ويجوز الدفع عنها كالمال والله أعلم ﴿تنبيه﴾ الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير وبه قال الأوزاعى وأبو حنيفة وأحمد وإسحق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب المأذون فى اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوى والحضرى لعموم الأدلة وفى مذهب مالك رحمه الله تعالى أربعة أقوال طهارته ونجاسته وطهارة سؤر المأذون فى اتخاذه دون غيره وهذه الثلاثة عن مالك والرابع عن عبد الملك بن الماجشون أنه يفرق بين البدوى والحضرى وقال الزهرى ومالك وداود إنه طاهر وإنما يغسل الإناء من ولوغه تعبداً ويحكى هذا عن الحسن البصرى وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى فكلوا مما أمسكن عليكم ولم يذكر غسل موضع إمساكها وبحديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كانت الكلاب تقبل وتدبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك ذكره البخارى فى صحيحه واحتج أصحابنا بحديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه وليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب قالوا ولو لم يكن نجسا لما أمر بإراقته لأنه حينئذ يكون إتلاف مال وأما حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فقال البيهقى أجمع المسلمون على أن بول الكلاب نجس وعلى وجوب الرش من بول الصبى والكلب أولى فكان حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قبل الأمر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفى مكانه فمن تيقنه لزمه غسله ﴿فرع﴾ اختلف الأصحاب فى موضع عض الكلب من الصيد والأصح أنه لا يعفى عنه كما لو أصاب ثوبا أو إناء فلابد من غسله وتعفيره والثانى يعفى عنه والثالث يكفى غسله بالمماسرة والرابع أنه طاهر والخامس يجب تقويره والسادس إن أصاب عرقا نضاخا بالدم حرم أكله والنضاخ الفوار قال الله عز وجل فيهما عينان نضاختان وأحكام التتريب وشروطه مبسوطة فى كتب الفقه روى مسلم عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقطع الصلاة الحمار والمرأة والكلب الأسود قيل لأبى ذر رضى الله تعالى عنه ما بال الكلب الأسود من الكلب الأحمر من الكلب الأصفر قال يا ابن أخى سألت رسول الله ﷺ مثل ما سألتنى فقال الكلب الأسود شيطان فحمله بعض العلماء على ظاهره وقال الشيطان يتصور بصورة الكلب الأسود ولذلك قال ﷺ اقتلوا منها كل أسود بهيم وقيل لما كان الكلب الأسود أشد ضررا من غيره وأشد ترويعا كان المصلى إذا رآه اشتغل عن صلاته فانقطعت عليه لذلك ولذلك تأول الجمهور قوله ﷺ يقطع الصلاة المرأة والحمار بأن ذلك مبالغة فى الخوف على قطعها وإفسادها من الشغل بهذه المذكورات وذلك لأن المرأة تفتن والحمار ينهق والكلب الأسود يروع ويشوش الفكر فلما كانت هذه الأمور آيلة إلى القطع جعلها قاطعة وذهب ابن عباس وعطاء رضى الله تعالى عنهم إلى أن المرأة التى تقطع الصلاة إنما هى الحائض لما تستصحبه من النجاسة واحتج أحمد رحمه الله بحديث الكلب الأسود على أنه لا يجوز صيده ولا يحل لأنه شيطان واختاره

إلا هو * يؤخذ من البعوض ثلاث وشىء من الصمغ ويحبب ويجعل فى كل حبة منه واحدة ويبلعها صاحب حمى الربع يوم النوبة ولا يضع قدمه على الأرض فإنها تزول بإذن الله تعالى

(ثعبان) حيوان عظيم الهيئة ذو شكل هائل ومنظر مهاب قال ابن سينا أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع وأما الكبار فمن ثلاثين ذراعا إلى ما فوق ذلك ويكون له عينان كبيرتان وتحت الفلك الأسفل شعر كالذقن وله أنياب كثيرة وقال قوم إنها تكثر بناحية النوبة والهند والهندية كبيرة جدا ولها وجوه صفر وسود وأفواه شديدة اللسعة وحواجب تغطى عيونها وأعناقها مفلسة قال ابن سينا قد رأينا من هذا القبيل ما على حاجبها ورقبتها شعر غليظ وذكورها أخبث

أبو بكر الصيرفي من أصحابنا وقال الشافعي رحمه الله ومالك وأبو حنيفة وجماهير العلماء رحمه الله تعالى عليهم يحل صيده كغيره وليس المراد بالحديث إخراجه عن جنس الكلاب ولهذا إذا ولغ في إناء أو غيره وجب غسله وتعفيره كولوغ الكلب الأبيض وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مغفل رضي الله تعالى عنه قال أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب ثم قال ﷺ ما بالهم وبال الكلاب ثم رخص ﷺ في كلب الصيد وكلب الغنم فحمل الأصحاب الأمر بقتلها على الكلب الكلب والكلب العقور واختلفوا في قتل مالا ضرر فيه منها فقال القاضي حسين وإمام الحرمين والماوردي في باب بيع الكلاب والنووي في أول البيع من شرحي المهذب ومسلم لايجوز قتلها وقال في باب محرمات الإحرام إنه الأصح وإن الأمر بقتلها منسوخ وعلى الكراهة اقتصر الرافعي في الشرح وتبعه في الروضة وزاد أنها كراهة تنزيه لاتحريم لكن قال الشافعي في الأم في باب الخلاف في ثمن الكلاب واقتلوا الكلاب التي لانفع فيها حيث وجدتموها وهذا هو الراجح في المهمات ولا يجوز اقتناء الكلب الذي لامنفعة فيه وذلك لما في اقتنائها من مفاسد الترويع والعقر للمار ولعل ذلك لمجانبة الملائكة لمحلها ومجانبة الملائكة أمر شديد لما في مخالطتهم من الإلمام إلى الخير والدعاء إليه واختلف الأصحاب في جواز اتخاذ الكلب لحفظ الدرب والدور على وجهين أصحهما الجواز واتفقوا على جواز اتخاذه للزراعة والماشية والصيد لكن يحرم اقتناء كلب الماشية قبل شرائها وكذلك كلب الزرع والصيد لمن لايزرع ولا يصيد فلو خالف واقتنى نقص من أجره كل يوم قيراطان وفي رواية قيراط وكلاهما في الصحيح وحمل ذلك على نوع من الكلاب إذ بعضها أشد أذى من بعض أو لمعنى فيها أو يكون ذلك مختلفا باختلاف المواضع فيكون القيراطان في المدائن ونحوها والقيراط في البوادي أو يكون ذلك في زمنين فذكر القيراط أولا ثم زاد في التغليظ فذكر القيراطين والمراد بالقيراط مقدار معلوم عند الله عز وجل ينقص من أجر عمله واختلفوا في المراد بما نقص منه فقيل مما مضى من عمله وقيل من مستقبله وقيل قيراط من عمل الليل وقيراط من عمل النهار وقيل قيراط من عمل الفرض وقيراط من عمل النفل وأول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام روى القاسم بن سلمة بإسناده عن علقمة عن عبد الله رضي الله تعالى عنه أنه قال أول من اتخذ الكلب للحراسة نوح عليه السلام وذلك أنه قال يارب أمرتني أن أصنع الفلك وأنا في صناعته أصنع أياما فيجيئون في الليل فيفسدون كل ماعملت فمتى يلتئم لي ما أمرتني به فقد طال على أمدي فأوحى الله إليه يانوح اتخذ كلبا يحرسك فاتخذ نوح عليه السلام كلبا وكان يعمل بالنهار وينام فإذا جاء قومه ليفسدوا بالليل عمله نبحهم الكلب فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب لهم فيهربون منه فالتأم له ماأراد قال الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في مناسكه في قوله ﷺ لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس فإن وقع ذلك من جهة غيره ولم يستطع إزالته فليقل اللهم إني أبرأ إليك مما فعله هؤلاء فلا تحرمني ثمرة صحبة ملائكتك وبركتهم ومعونتهم أجمعين وأما قوله ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة فقال العلماء سبب امتناعهم من البيت الذي فيه صورة كونها معصية فاحشة وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى وبعضها في صورة مايعبد من دون الله تعالى وسبب امتناعهم من البيت الذي فيه الكلب كثرة أكله النجاسات ولأن بعض الكلاب يسمى شيطانا كما جاء في الحديث والملائكة ضد الشياطين والقبح رائحة الكلب والملائكة تكره الرائحة الخبيثة ولأنها منهي عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها له وتبركها

من أنانها تبتلع ماتجده من الحيوانات فربما كان في الشيء الذي ابتلعته عظم فيأتي جرم شجرة أو حجر شاهقا فينطوي عليه انطواء شديدا فينكسر ذلك العظم وإذا صار إلى الماء يعيش فيه ويصير مائيا وإذا صار إلى البر صار بريا بعد أن طال مكثه في الماء ويأوي إلى الجبال الشاهقة ليستروح ببرد الهواء من شدة وهج حرارة السم

(فصل في خواص أجزائه)

قلبه إذا أكل يورث الشجاعة وفي بلاد الهند يأكلونه لذلك قيل ومن أكل قلبه تسخر له الحيوانات جلده يشد على العاشق يزول عشقه ومن استصحب منه شيئا سخر له الحيوانات رأسه تدفن في موضع فتتوجه إليه الخيرات (جراد) هو صنفان أحد الصنفين يطير في الهواء ويقال له

عليه فى بيته ودفعها أذى الشياطين والملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة هم ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار وأما الحفظة والموكلون بقبض الأرواح فيدخلون فى كل بيت ولا تفارق الحفظة بنى آدم فى حال من الأحوال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها قال الخطابى وإنما لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة مما يحرم اقتناؤه من الكلاب والصور فأما ما ليس اقتناؤه بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التى تمتهن فى البساط والوسادة وغيرهما فلا يمتنع دخول الملائكة بسببه وأشار القاضى إلى نحو ما قال الخطابى قال النووى والأظهر أنه عام فى كل كلب وكل صورة وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث ولأن الجرو الذى كان فى بيت رسول الله ﷺ تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر فإنه لم يعلم به ومن هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت بسببه فلو كان العذر فى وجود الكلب والصورة لا يمنعهم لم يمتنع جبريل عليه السلام قال الجاحظ روى أن جماعة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ذهبوا إلى بيت رجل من الأنصار ليعودوه فى مرض فهرت فى وجوههم كلاب من دار الأنصارى فقال الصحابة لا تدع هؤلاء من أجر فلان شيئا كل كلب من هؤلاء ينقص من أجره كل يوم قيراطا فدل هذا على أن القيراط يتعدد بتعدد الكلاب وقد سئل الشيخ الإمام تقى الدين السبكى عن ذلك فأجاب بأنه لا يتعدد كما لو ولغت الكلاب فى الإناء فإن الأصح عدم تعدد الغسلات وقد قالوا بتعدد القيراط إذا صلى على جنازة دفعة واحدة وقال الغزالى فى منكرات الشرع من الإحياء من كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس يجب منعه منه وإن كان لا يؤذى إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع ولا يصح بيع جميع الكلاب عندنا خلافا للمالك فإنه أباح بيعها حتى قال سحنون ويحج بثمنها وقال أبو حنيفة يجوز بيع غير العقور والأصح عدم صحة إجارة الكلاب المعلمة لأن اقتناءها لهذه المنافع إنما جوز لأجل الحاجة وما جوز للحاجة لا يجوز أخذ العوض عليه ولأنه لا قيمة لعينه فكذلك منفعته وقال صاحب التلخيص لا تجوز لأنها منفعة مقصودة واختاره الروياني وابن أبى عصرون وبناهما الماوردى على اختلاف أصحابنا فى أن منفعة الكلب هى مملوكة أو مستباحة وفيها وجهان فعلى الأول يجوز إجارته وعلى الثانى لا ومن أحكامه أن من كان فى داره كلب عقور فاستدعى إنسانا فعقره وجب عليه ضمانه على الأصح فى تصحيح النووى وقيل لا قطعا وهو المجزوم به فى أصل الروضة لأن للكلب اختيارا ويمكن دفعه بعصا وغيرها هذا إذا لم يعلم الداخل أنه عقور فإن علم ذلك فلا ضمان جزما وكذلك لو كان مربوطا فسار إليه المستدعى جاهلا بحاله فلا ضمان أيضا ومن له كلب عقور ولم يحفظه فقتل إنسانا فى ليل أو نهار ضمنه لتفريطه وفى معناه الهرة المملوكة التى تأكل الطيور كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء وقيل لا ضمان فيها لأن العادة لم تجر بربطها ﴿فرع﴾ لو سرق قلادة من عنق كلب أو سرقها مع الكلب قطع وحرز الكلب كحرز الدواب وإذا وقع فى الغنيمة كلب ينتفع به للاصطياد أو للماشية والزرع حكى الإمام عن العراقيين أن للإمام أن يسلمه إلى واحد من المسلمين لعلمه بحاجته إليه ولا يحسب عليه واعترض بأن الكلب منتفع به فليكن حق اليد فيه لجميعهم كما لو مات وله كلب لا يستبد به الورثة الموجود فى كتب العراقيين أنه إن أراده بعض الغانمين أو أهل الخمس ولم ينازعه غيره سلم إليه وإن تنازعوا فإن وجدنا كلابا وأمكنت القسمة عددا قسم وإلا أقرع بينهم وهذا هو المذهب وهنا المعتبر قيمتها عند من يرى لها قيمة ويعتبر

الفارس والآخرين ونزوانا ويقال له الراجل فإذا رعت أيام الربيع طلبت أرضا طيبة التربة رخوة ونزلت هناك وحفرت بأذنابها حفرا وباضت فيها كل واحدة مائة بيضة إلا بيضة وطارت وآفتها الطيور والبرد ثم إذا أتت أيام الربيع واعتدل الزمان يفقس ذلك البيض المدفون ويظهر مثل الذباب الصغار على وجه الأرض وأكلت زرعها حتى قويت ثم تنهض إلى أرض أخرى وباضت كما فعلت فى عامها الأول وهكذا دأبها ذلك تقدير العزيز العليم قال صاحب الفلاحة إذا رأيت الجرادة مقبلة نحو القرية فليتوار أهلها عنها بحيث لا يظهر أحد منهم فإذا لم ير الناس جاوزت القرية ولم يقع بها شىء منها وإذا أحرقت شيئا منها فإن البقية تعدل عن

منافعها كما فى الرصية من الروضة ﴿ تتمة ﴾ قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله أى من العلم الذى كان علمكم الله دل على أن للعالم فضيلة ليست للجاهل لأن الكلب إذا علم تحصل له فضيلة على غير المعلم والإنسان إذا كان له علم أولى أن يكون له فضل على غيره كالجاهل لاسيما إذا عمل بما علم كما قال على رضى الله تعالى عنه لكل شىء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه وقال لقمان لابنه واسمه ثاران وقيل أنعم يا بنى لكل قوم كلب فلا تكن كلب قومك وروى الإمام أحمد فى مسنده والبزار والطبرانى من حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضاف رجل رجلا من بنى إسرائيل وفى داره كلبة مجح فقالت الكلبة لا والله لا أنبح ضيف أهلى قال فعوت جراؤها فى بطنها فقيل ما هذا فأوحى الله إلى رجل منهم هذا مثل أمة تكون من بعد يقهر سفهاؤها حلماءها والمجح بالجيم المكسورة قبل الحاء المهملة قيل هى الحامل التى قربت ولادتها وفى صحيح مسلم وسنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بامرأة مجح على باب فسطاط فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعله يريد أن يلم بها فقالوا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف يستخدمه وهو لا يحل له (الأمثال) قال الله تعالى «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضى الله تعالى عنهم أجمعين هو رجل من الكنعانيين الجبارين اسمه بلعم بن باعوراء وقيل بلعام بن باعر وقال عطية عن ابن عباس أصله من بنى إسرائيل ولكنه كان مع الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة بلقاء وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس والسدى وغيرهما أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشأم أتى قوم بلعم وكانوا كفارا وكان بلعم عنده اسم الله الأعظم وكان مجاب الدعوة فقالوا له إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإنى إن فعلت هذا ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى وكان لا يدعو بشىء حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فأومر بالدعاء عليهم فقيل له فى المنام لا تدع عليهم فقال لهم إنى قد آمرت ربى وإنى نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى أؤامر ربى فآمره فلم يجز إليه بشىء فقال قد آمرت فلم يجز إلىّ بشىء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه ففتن وركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلع منه على عسكر بنى إسرائيل يقال له حسان فما سار عليها غير كثير حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى إذا أذلقها الضرب قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى أذلقها فأذن الله تعالى لها بالكلام فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب ألا ترى الملائكة أمامى يردونى عن وجهى هذا أتذهب إلى نبى الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت على جبل حسان جعل يدعو عليهم بالاسم الأعظم الذى كان عنده فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو إسرائيل فى التيه فقال موسى يارب

القرية إذا شمت قيادها أو تسقط وتموت والجراد الطوال الأرجل تشد على رقبة صاحب الحمى الربع تزول حماه ويدخن بها صاحب البواسير ينفعه وكذلك صاحب عسر البول رماده ينفع من الناصور قال ابن سينا أرجلها تقلع الثآليل فيما يقال (حرباء) هو حيوان أعظم من العظاية يقال لها بالفارسية أقباب برشت يدور مع الشمس ووجهه لها كيفما دارت حتى تغرب ويكون رمادى اللون ثم يصفر وإذا أثرت فيه حرارة الشمس احمر وقيل يختلف لونه باختلاف ساعات النهار كل ساعة لون وإذا رأى من يقصده كبر نفسه وليس فيه شىء من الضرر قال الجاحظ سمعنا ذلك فى الورل ولم نسمعه فى الحرباء ويجعل الحرباء فى وسط الطين وتترك

بأى ذنب أوقعتنا فى التيه قال تعالى بدعاء بلعام قال موسى عليه السلام يارب فكما سمعت دعاءه علينا فاسمع دعائى عليه فدعا موسى عليه أن ينزع الله تعالى منه الاسم الأعظم فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء قاله مقاتل وقال ابن عباس والسدى لما دعا بلعام على موسى وقومه قلب الله لسانه فجعل لا يدعو عليهم بشىء من الشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو بشىء من الخير إلا صرف الله به لسانه إلى بنى إسرائيل فقال له قومه يا بلعم أتدرى ما تصنع إنما تدعو لهم وعلينا فقال هذا مالا أملك هذا شىء قد غلب الله عليه فنسى الاسم الأعظم واندلع لسانه على صدره فقال لهم قد ذهبت منى الآن الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والخديعة والحيلة فسأمكر لكم وأحتال عليهم اجلوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى العسكر يبتعنها فيه ومروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فإنهم إن زنى واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما أتى النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى بنت صور برجل من عظماء بنى إسرائيل يقال له زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام فقال إنى أظنك ستقول هذه حرام على فقال موسى أجل هى حرام عليك لا تقربنها قال فوالله لا أطيعك فى هذا ثم دخل بها قبة فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل فى الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر موسى عليه السلام وكان رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون يحوس بنى إسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة إلى لحييه وكان بكر العيزار فجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون فحسب من هلك من بنى إسرائيل بالطاعون فيما بين أصاب زمرى المرأة إلى أن قتلهما فنحاص فوجد قد هلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذه إياها بذراعه وإسناده إياها إلى لحييه والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكر العيزار ويقال إنه لما انتظمهما بالحربة وخرج بهما كانا فى الحربة كما هما فى حالة الزنا فكان ذلك آية وروى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم أن هذه الآية نزلت فى أمية بن أبى الصلت وكان قد قرأ التوراة والإنجيل وكان يعلم أن الله تعالى يرسل رسولا من العرب فرجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل الله تعالى محمدا ﷺ حسده وكفر به وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم من قتلهم فقيل قتلهم محمد ﷺ لو كان نبيا ما قتل أقرباءه وسيأتى إن شاء الله تعالى له ذكر فى الوعل أيضا وقالت فرقة إنها نزلت فى رجل من بنى إسرائيل كان قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امرأة له منها ولد فقالت أجعل لى منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى إسرائيل فدعا لها فكانت كذلك فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار وقد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التى كانت عليه فدعا الله لها فعادت كما كانت فذهبت فيها

تحت النار ثلاثة أيام بلياليها ثم تشد على رقبة المصروع يزول صرعه

(فصل فى خاصية أجزائها)

جلدها يطاف به خارج القرية والمزرعة ثم يعلق على وسط القرية أو المزرعة فإنها تأمن من آفة البرد والجراد أحشاؤها يجمع فى كوز جديد ويعرض على النار حتى يجف ثم يشد فى خرقة ويعلق على المسحور أو على من ظن أنه مسحور فإنه ينحل بإذن الله تعالى

( حلزون ) دودة فى جوف أنبوبة حجرية تنبت على الصخرة التى فى سواحل البحار وشطوط الأنهار وتلك الدودة تخرج نصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تغتذى بها فإذا أحست برطوبة ولين انبسطت إليها وإذا أحست بخشونة أو

الدعوات كلها والقولان الأولان أظهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافقى أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وقال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى لكل من عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله قال الله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها أى وفقناه للعمل بها فكنا نرفع بذلك منزلته فى الدنيا والآخرة ولكنه أخلد إلى الأرض أى ركن إلى الدنيا وشهواتها ولذاتها قال الزجاج خلد وأخلد واحد وأصله من الخلود وهو الدوام والمقام يقال أخلد فلان بالمكان إذا أقام به والأرض هنا عبارة عن الدنيا لأن ما فيها من العقار والرباع كلها أرض وسائر متاعها مستخرج من الأرض واتبع هواه انقاد إلى ما دعاه إليه الهوى فعوقب فى الدنيا بأنه كان يلهث كما يلهث الكلب فشبه به صورة وهيئة قال القتبى كل شىء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث فى حال التعب وحال الراحة وفى حال الرى وحال العطش فضرب به الله مثلا لمن كذب بآيات الله فقال إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث انتهى . واللهث تنفس بسرعة وتحرك أعضاء الفم معه وامتداد اللسان وخلقة الكلب أنه يلهث على كل حال قال الواحدى وغيره وهذه الآية من أشد الآى على ذوى العلم وذلك أن الله تعالى أخبر أنه آتاه آياته من اسمه الأعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون إلى الدنيا واتباع الهوى تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها ومن الذى يسلم من هاتين الحالتين إلا من عصمه الله تعالى نسأل الله التوفيق والهداية بمنه وكرمه وروى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال الذى يعود فى هبته كالكلب يرجع فى قيئه وفى رواية كمثل الكلب يقىء ثم يعود فى قيئه فيأكله قال عمر رضى الله تعالى عنه حملت على فرس فى سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده فأردت أن أشتريه وظننت أن يبيعه برخص فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تشتره ولو باعكه بدرهم ولا تعد فى صدقتك فإن العائد فى صدقته كالعائد فى قيئه وقال الجاحظ لكل جيفة كلب ولكل قدر طالب ولكل نحو راغب ولكل وسخ حامل ولكل سم جارع ولكل طعام آكل ولكل ساقط لاقط ولكل ثوب لابس ولكل فرج ناكح انتهى وقالت العرب آلف من كلب وأبصر وابخل وأطوع وأفحش وألام وأبول فيجوز أن يراد به البول نفسه ويجوز أن يراد به كثرة الجراء فإن البول فى كلام العرب يكنى به عن الولد وبذلك عبر ابن سيرين رحمة الله تعالى عليه رؤيا عبد الملك بن مروان لما رأى أنه بال فى محراب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مرات فكتب إليه إن صدقت رؤياك فسيقوم من أولادك أربعة فى المحراب ويتقلدون الخلافة بعدك فوليها أربعة خلفاء من صلبه الوليد وسليمان وهشام ويزيد وقالوا سمن كلبك يأكلك وهو قريب من قولهم اتق إساءة من أحسنت إليه وقالوا جوع كلبك يتبعك يضرب فى معاشرة اللئام وقالوا الكلاب على البقر برفعها ونصبها فالنصب على إضمار فعل تقديره خل كلاب الصيد أو دع الكلاب على بقر الوحش لتصطادها والرفع على الابتداء وما بعده خبره ومعنى المثل إذا أمكنتك الفرصة فاغتنمها ويقال معناه خل بين الناس خيرهم وشريرهم واغتنم أنت طريق السلامة وقد سئلت عن قول الأخطل:

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فتمسك البول بخلا أو تجود به * وما تبول لهم إلا بمقدار

والخبز كالعنبر الوردى عندهم * والقمح سبعون إردبا بدينار

فقلت هذا عكس قول شاعر الأنصار حيث يقول :

صلابة انقبضت وغاصت فى جوف تلك الأنبوبة حذرا من المؤذى لجسمها وإذا انسابت جرت بينها أيضا معها قال ابن سينا تطلى الجبهة بالحلزون تمنع انصباب المواد الى العين ( حية ) من أعظم الحيوانات خلقه وأشدها بأسا وأقلها عدوا وأطولها عمرا قالوا ليس من حيوانات البر شىء أعظم من التنين ولا شىء يقتل نهشه أسرع من الحيـــة ولهذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم وقال النبى صلى الله عليه وسلم من قتل حية فله عشر حسنات ولما حرمت الحية آلة الهرب أعطاها الله تعالى سلاحا تدفع به عن نفسها فلأجل ذلك إذا سمع الإنسان بوجودها فى بقعة هرب عنها ولا يقربها ولو لا نابها لاتخذها الناس حبلا ولعبت بها

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

ومن شعر العتابى رحمه الله تعالى :

طاف الخيال بنا ليلا فحيانا أهلا به من مسلم زار عجلانا
ما ضر زائرنا المهدى تحيته فى النوم إذ زارنا لو زار يقظانا
أنى اهتدى وسواد الليل معتكر على تباعد مسراه ومسرانا
إن الأمانى قد خيلن لى سكنا ردت تحيتـــه قلبى كما كانا
حتى إذا هو ولى وانتبهت له هاجت زيارته شوقا وأحزانا

وقال على بن محمد بن نصير فى المعنى بيتا مفردا :

وكان خيالها يشفى سقاما فضلت بالخيال على الخيال

وقالوا أشكر من كلب * حكى محمد بن حرب قال دخلت على العتابى فوجدته جالسا على حصير وبين يديه شراب فى إناء وكلب رابض بالفناء بحياله يشرب كاسا ويولغه أخرى فقلت له ما الذى أردت بما اخترت فقال اسمع إنه يكف عنى أذاه ويكفينى أذى من سواه ويشكر قليلى ويحفظ مبيتى ومقيلى وهو من بين الحيوان خليلى قال ابن حرب فتمنيت والله أن أكون كلبا له لأحوز هذا النعت منه (الخواص) لحمه يعلو شحمه بخلاف لحم الشاة فإن شحمها يعلو لحمها فإذا ارتضعت الشاة من كلبة كان لحمها على صفة لحم الكلاب وفى ذلك قصة شهيرة لربيعة ومضر وأنمار وأياد تقدمت فى باب الهمزة فى الأفعى * قال السهيلى وفى الحديث لا تسبوا ربيعة ومضر فإنهما كانا مؤمنين قال وإنما سمى ربيعة الفرس لأنه أعطى من ميراث أبيه الخيل وأعطى أخوه الذهب فسمى مضر الحمراء ولا تقول العرب إلا ربيعة ومضر ولا يقولون مضر وربيعة أصلا * ومن خواص الكلب العجيبة أنه لا يلغ فى دم مسلم قال القاضى عياض فى الشفاء أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزارى وكان شاعرا ماهرا متفننا فى كثير من العلوم وكان يحضر مجلس القاضى أبى العباس ابن أبى طالب طلبا للمناظرة فضبطت عليه أمور منكرة من الاستهزاء بالله تعالى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقتل ثم صلب منكسا وأنزل وأحرق بالنار ولما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدى استدارت وتحولت عن القبلة وجاء كلب فولغ فى دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله ﷺ فإنه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم وإذا قطع لسان كلب أسود وأخذه إنسان فى يده لم تنبح عليه الكلاب وإن أخذت قرادة من أذن كلب وأمسكها إنسان فى يده خضعت له كلها حتى ذلك الكلب المأخوذة منه وإن علقت أسنانه على صبى خرجت أسنانه من غير تعب وأنيابه إذا علقت على من به عضة الكلب الكلب سكن عنه وجعها وإذا علقت على من به اليرقان الظاهر نفعه وإن حمل إنسان معه ناب الكلب لم تنبحه الكلاب وذكره إذا جفف وعلق على الفخذ هيج الباه ومن كان يلقى من القولنج شدة فليقم كلبا نائما وليبل فى مكانه فإنه يزول عنه من وقته ويموت الكلب ونابه إذا علق على من يتكلم فى نومه سكن ولبن الكلبة إذا طلى به الشعر حلقه وإن شرب بالماء سكن من وقته السعال وبوله إذا طلى به على الثآليل قلعها وقراده إذا نقع فى نبيذ وشربه شارب سكر من وقته وشعر الكلب الأسود البهيم إذا علق على المصروع نفعه ومن كان عنده الصبيان وذكروا أن الحية تتولد من شعر الإنسان إذا وقع فى الماء وأثرت الشمس فيه وأنها يكثر اختلاف أصنافها فى الكبر والصغر والتعرض للإنسان والهرب منه فمنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئها واطئ ومنها ما لا يؤذى إلا إذا وطئ حماها ومنها ما لا يؤذى إلا إذا داس على بيضها وفرخها ومنها ما لا يؤذى إلا إذا أذاها الناس مرة ومنها الأسود الذى يحفر ويكمن حتى يدرك الفرصة ومنها الحفاش وهى دابة تشبه الحية ولها نفخ ورعيد وتقريب وهى أشر هيئة من الأفعى والثعابين وأنها لا تضر ولا تنفع والحيات تقتلها ومنها حية يقال لها الملكية طولها شبر وأكثر وعلى رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذ انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت

عبد آبق وأحب أن لا يأبق فيأخذ جرو كلب صغيرا فيحرقه ثم يسحقه بزيت ويطلى به رأسه فإنه لا يأبق مجرب قاله القزوينى وغيره ولبن الكلبة إذا شرب نفع من السموم القاتلة ويخرج الأجنة والمشيمة ومن اكتحل بلبن كلبة سهر ليله كله وزبله إذا سحق وعجن بماء الكزبرة وطلى به الأورام الحادة نفعها بإذن الله تعالى (التعبير) الكلاب فى الرؤيا عند المسلمين عبيد وفى الحديث أن الكلب من الممسوخ وأوله المعبرون برجل سفيه مجترئ على المعاصى وإذا نبح فهو سفيه مشنع طمع فمن رأى كلبا عضه أو خدشه ناله من عدوه هم بقدر الألم وربما مرض وربما دلت رؤية الكلب على الانكلاب على الدنيا مع عدم الادخار ورؤية كلب أهل الكهف فى المنام تدل على الخوف أو السجن أو الهرب أو الاختفاء ورؤيته فى البلد دليل على تجديد ولاية وربما دل الكلب على الكفر والإياس من رحمة الله تعالى لقوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وكلب الصيد عز ورفعة ورزق وكلب الماشية رجل صالح غيور على الأهل والجار قاله ابن المقرى ومن رأى كلبا مزق ثيابه فإن سفيها يغتابه وإن لم يسمع نباحه فهو عدو وتزول عداوته بشىء يسير والكلب يعبر برجل من الأهل فمن نازعه كلب نازعه رجل من أهله وربما عبر بالمشنع إذا نبح أو بسماع نواح أو بفتح بيت الخلاء والكلبة امرأة دنيئة من قوم معاندين والجرو ولد محبوب فإن كان أبيض فهو مؤمن وإن كان أسود فهو يسود قومه وقيل جرو الكلب لقيط سفيه والكلب الكلب سفيه أيضا ورؤية كلب الراعى تدل على فائدة من ملك أو وال والكلب الذى يصاد به ملك وولاية لمن رآه إذا كان أهلا لذلك أو يصير إليه شىء يستغنى به لقوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين والكلب الصينى يدل على مخالطة قوم من الأعجام غير مسلمين ومن رأى أنه يصيد بالكلاب فإنه يعطى بغيته وينال مناه وقال أرسطاميدورس من رأى كلاب الصيد خارجة فهى دليل خير لطالب الرزق والخدمة وإذا رآها داخلة من الصيد فإنها تدل على البطالة والكلب الحارس فى المنام يدل على صيانة الزوجة والمال وقيل الكلاب فى المنام تدل على قوم أذلة ومن رأى أنه صار كلبا فإن الله تعالى قد آتاه علما فنسيه لقوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها إلى قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الآية وقيل الكلاب تعبر بغلمان الشرطة والكلب عدو ضعيف لتحوله عن جوهر السباع ثم يصير صديقا بعد العداوة لقصة آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وقد تقدم طرف منها فجعل فى التأويل عدوا ثم يرجع صديقا ومن الرؤيا المعبرة أن سيدنا أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رأى كأن كلبة من مكة تهر على الناس فلما دنوا منها استلقت على ظهرها ودرت ثدياها لبنا فأخبر بذلك النبى ﷺ فقال ذهب كلبهم وأقبل درهم وستلقونهم بعد ويسألونكم أرحامهم فإذا لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه فلما قدم المسلمون لفتح مكة قاتل بعضهم وكان ما أخبر النبى ﷺ ومن الرؤيا المعبرة أيضا أن رجلا أتى ابن سيرين فقال رأيت كلبين يقتتلان على فرج زوجتى فقال إنها أخذت المقراض وجزت شعر فرجها والله تعالى أعلم ﴿خاتمة﴾ ومن الفوائد المجربة أن يكتب فى إناء جديد ويمسح بزيت ويسقى للمكلوب فإنه يشفى بإذن الله تعالى وهى هذه الأحرف (ا ب ج ه ا ع ه د باب اللد) ويكتب أيضا للحامل فى إناء جديد ويغسل بماء ويسقى فإنه نافع إن شاء الله تعالى والله أعلم ﴿كلب الماء﴾ تقدم فى القاف أنه القدس وقال فى عجائب المخلوقات كلب الماء معروف وهو حيوان مشهور يداه أطول من رجليه يلطخ بدنه بالطين فيحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه فيقطع أمعاءه ويأكلها ثم يمزق بطنه ويخرج قال ومن

عليه وإن طار طائر فوقها يسقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب وإذا صفرت يموت من صفيرها كل حيوان سمع ذلك بعد ما ينتفخ ويسيل منه الصديد وإن أكل من تلك الجيفة شىء من السباع يموت قال جالينوس إنها حية شقراء على رأسها ثلاث قنازع مثل التاج وهى قليلة الظهور للناس وزعموا أن الحية تعيش ألف سنة وأكثر وكل سنة تسلخ جلدها وكلما انسلخ يظهر على قفاها نقطة فنقط قفاها عدد سنينها وإذا دخل بعضها فى الجحر وبقى بعضها خارجا لا يمكن جذبها إلى خارج ألبتة حتى لو شد البقر فى ذنبها ينقطع ولا تنجذب وتبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها فيجتمع عليها النمل والبق فيفسدها

خواصه أن من كان معه شحم كلب الماء أمن من غائلة التمساح وذكر بعضهم أن جلدا لجند بادستر خصية هذا الحيوان وقد تقدمت صفة ذلك فى باب الجيم (الحكم) سئل الليث بن سعد عن أكل لحم كلب الماء فقال لا بأس به وقد تقدم فى عموم السمك أنها تحمل إلا أربعة ليس هذا منها وقيل لا يؤكل لأن شبهه فى البر لا يؤكل (الخواص) دم كلب الماء يخلط بماء الكمون الكرمانى ويشرب فى الحمام ينفع من تقطير البول وعسره ودماغه ينفع من أظلمة العين اكتحالا ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل وقال ابن سينا أن خصيته تنفع من نهش الحيات وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس يذهب عنه ذلك ويبرأ ﴿الكلثوم﴾ الفيل قاله ابن سيده وقد تقدم حكمه فى باب الفاء ﴿الكلكسة﴾ قال قوم أنه ابن عرس وقال قوم إنه حيوان آخر غير ابن عرس وزبله إذا سحق وديف بالخل وطلى به مواضع النملة الظاهرة نفع نفعا بينا وفى كتاب دمقراطيس أن الكلكسة تبيض من فيها ﴿الكميت﴾ الفرس الشديد الحمرة ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وغرته وذنبه سودا وإن كانت حمرا فهو أشقر والورد فيما بين الكميت والأشقر والجمع وردان والكميت من أسماء الخمر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى وفيه تورية :

وحمراء لما ترشفتها ... جنيت بها اللهو فيما جنيت
ونلت المسرات دون الورى ... لأنى سبقتهم بالكميت

﴿الكندارة﴾ سمكة لها سنا معروفة عند أهل البحر ﴿الكنعبة﴾ الناقة العظيمة وسيأتى إن شاء الله تعالى حكم الناقة فى باب النون ﴿الكنعد والكعند﴾ كجعفر ضرب من السمك قاله الجوهرى وأنشد لجرير : قوم إذا جعلوا فى صيرهم بصلا ... ثم اشتووا كنعداً من مالح جدفوا
﴿الكندش﴾ العقعق قال أبو المغطش الحنفى يصف امرأة :

منيت بزمردة كالعصا ... ألص وأخبث من كندش

ولفظ زمردة فارسى معرب أى امرأة الرجل ﴿الكهف﴾ الجاموس المسن وقد تقدم حكمه فى باب الجيم ﴿الكودن﴾ البرذون البطىء وقال الجوهرى هو البرذون يوكف ويشبه به البليد وقال ابن سيده الكودن البرذون وقيل البغل وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ لم يعط الكودن شيئا وفى رواية أعطاه دون سهم العراب رواه الطبرانى وفى إسناده أبو بلال الأشعرى وهو ضعيف ﴿الكوسج﴾ سمكة فى البحر لها خرطوم كالمنشار تفترس وربما التقمت ابن آدم وقصمته نصفين وهى القرش ويقال لها اللخم أيضا ويقال إنها إذا صيدت بالليل وجدوا فى جوفها شحمة طيبة وإن صيدت نهاراً لم يجدوها وقال القزوينى الكوسج نوع من السمك وهو فى الماء شر من الأسد فى البر يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه كما يقطع السيف الماضى قال ورأيته وهو سمكة مقدار ذراع أو ذراعين وأسنانه كأسنان الناس تنفر منه الحيوانات البحرية وله أوان معين يكثر فيه بدجلة البصرة (وحكمه) عند الإمام أحمد تحريم الأكل وقال أبو حامد من أصحابه لا يؤكل التمساح ولا الكوسج لأنهما يأكلان الناس ولأنه ذو ناب انتهى * ومقتضى مذهبنا أنه حلال ومن ألحقه بالقرش أجرى عليه حكمه الذى تقدم فى باب القاف ﴿الكهول﴾ قال الأزهرى هو بفتح الكاف وضم الهاء العنكبوت ومنه قول عمر ولمعاوية رضى الله تعالى عنهما أتيتك وأمرك كحق الكهول أى ضعيف كبيت العنكبوت وضبطها الخطابى والزمخشرى بغير ذلك لكن قالا إنها العنكبوت أيضا :

ولا يصلح منها إلا القليل
وإن لدغتها العقرب ماتت
إن لم تجد ملحا تنام عليه
وإن وجدت سلمت وقالوا
من الحيات حية إن
ضربت بعصا مات
الضارب ومن عجائب
الحية أنها إذا علمت أنها
مقتولة احترزت على رأسها
وانطوت أشد الانطواء
على الرأس وجعلت بدنها
وقاية للرأس ولا تزال
تفعل ذلك حتى تصيب
الضربة رأسها وذكروا أن
فى تربة الأهواز حية حمراء
دقيقة إذا رأت الإنسان
وثبت عليه كالطير
ولسعته فيموت فى الحال
وذكروا أيضا أن الحية
عند انتصاف النهار
واشتداد الحر وامتناع
الحافى من الأرض
والمنتعل يغور ذنبها فى
الرمل وتنتصب كأنها
عود مركوز أو ثابت

## ﴿ باب اللام ﴾

﴿ لأى ﴾ على وزن لعى هو الثور الوحشى والجمع آلاء على وزن ألعاء مثل جبل وأجبال والأنثى لآة وقال الفارسى يجوز أن تكون ألفه منقلبة عن ياء من اللأى وقال فى المحكم ويجوز أن تكون منقلبة عن واو من اللأو لأن الثور يوصف بالقوة كما قال ابن عقيل :

يمشى بها دب الزناد كأنه ... فتى فارسى من سراويل رامح

وقد تقدم فى باب الباء الموحدة فى ذكر أدم أهل الجنة أن النبى ﷺ قال إدامهم بالام ونون قالوا ما هذا قال ثور وحوت قال السهيلى فى أول الروض فى لؤى اسم جد النبى ﷺ قال ابن الأنبارى إنه تصغير اللأى وهو الثور الوحشى وقال أبو حنيفة اللأى البقرة قال وسمعت أعرابيا يقول بكم لآك هذه ﴿ اللباد ﴾ بضم اللام قاله الزبيدى فى الأبنية اسم طائر يلبد فى الأرض ولا يكاد يطير إلا أن يطار ولبد آخر نسور لقمان وهو ينصرف لأنه ليس بمعدول وخبره يأتى فى باب النون فى النسر إن شاء الله تعالى (الأمثال) قالوا أهرم من لبد قال الشاعر :

إن معاذ بن مسلم رجل ... ليس لميقات عمره أمد
قد شاب رأس الزمان وأكتهل الـ ... ـدهر وأثواب عمره جدد
قل لمعاذ إذا مررت به ... قد ضج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم ... تسحب ذيل الحياة يالبد
مصححا كالظليم ترفل فى ... برديك مثل السعير تتقد
صاحبت نوحا ورضت بغلة ذى الـ ... ـقرنين شيخا لولدك الولد
فارحل ودعنا فإن غايتك الـ ... ـموت وإن شد ركنك الجلد

﴿ اللبؤة ﴾ بضم الباء وبعدها همزة أنثى الأسد واللبأة واللبوة ساكنة الباء غير مهموزة لغتان فيها حكاهما ابن السكيت ويقال لها العرس أيضا * قال عون بن أبى شداد العبدى بلغنى أن الحجاج بن يوسف الثقفى لما ذكر له سعيد بن جبير رحمة الله تعالى عليه بعد قتل عبد الرحمن ابن الأشعث أرسل إليه قائدا من أهل الشام يسمى المتلمس بن الأحوص وكان معه عشرون رجلا من أهل الشام من خاصة أصحابه فبينما هم يطلبون إذ هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه فقال الراكب صفوه لى فوصفوه له فدلهم عليه فانطلقوا فوجده ساجدا يناجى ربه تعالى بأعلى صوته فدنوا منه وسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا له إن الحجاج أرسل إليك فأجبه فقال ولا بد من الإجابة فقالوا لا بد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قام يمشى معهم حتى انتهوا إلى دير الراهب فقال الراهب يامعشر الفرسان أصبتم صاحبكم قالوا نعم فقال لهم اصعدوا الدير فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى سعيد رضى الله عنه أن يدخل الدير فقالوا مانراك إلا تريد الهرب منا فقال لا ولكنى لا أدخل منزل مشرك أبدا فقالوا إنا لا ندعك فإن السباع تقتلك قال سعيد فإن معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حراسا حولى تحرسنى من كل سوء إن شاء الله تعالى قالوا فأنت من الأنبياء قال ما أنا من الأنبياء ولكنى عبد من عباد الله خاطئ مذنب قالوا له فاحلف لنا أنك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسى لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فإنه كره الدخول على فى الصومعة فدخلوا وأوتروا القسى فإذا هم بلبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد بن جبير تحككت به وتمسحت به ثم

فإذا رأى الطائر عودا مركوزا كره الوقوع إلى الأرض من شدة الحر ووقع على رأس الحية على أنها عود فتقبض عليه

(فصل فى خواص أجزائها) نابها يقلع حال حياتها ويشد على صاحب حمى الربع تزول عنه الحمى قال ابن سينا يقوى القوة ويحفظ الحواس والشباب وينفع من الجذام وداء الثعلب وقال محمد بن زكريا ذكر الأوائل أن المستسقى إذا أكل من لحم حية عتيقة لها مئون سنين يبرأ وقال أبقراط لحم الحية أمان من الأمراض الصعبة شحمها يذاب ويطلى به البواسير مع الملح ينفعه نفعا بينا وسلخها يطبخ بالخل ويتمضمض به ينفعه من وجع السن وإذا أحرق فى إناء نحاس وسحق نفع من أوجاع العين كلها ويسود

ربضت قريبا منه وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك دخلت فى قلبه هيبة فلما أصبحوا نزلوا اليه فسأله الراهب عن شرائع دينه وسنن نبيه ﷺ فقرر له سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن إسلامه وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذى وطئه بالليل يصلون عليه ويقولون ياسعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه فرنا بما شئت فقال سعيد امضوا لشأنكم فإنى لا أذبح الخالق ولا راد لقضاء ربى فساروا حتى وصلوا إلى واسط فلما انتهوا إليها قال لهم سعيد رضى الله تعالى عنه يامعشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلى قد قرب وحضر وأن المدة قد انقضت ودنت فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يحثى على من التراب فإذا أصبحتم فالميعاد بينى وبينكم المكان الذى تريدون فقال بعضهم لا نريد أثرا بعد عين وقال بعضهم إنكم قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه وقال بعضهم هو على أدفعه اليكم إن شاء الله تعالى فنظروا إلى سعيد وقد دمعت عيناه واغبر لونه وكان لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه فقالوا بأجمعهم ياخير أهل الأرض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل إليك الويل لنا كيف ابتلينا بك فاعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر فإنه القاضى الأكبر والعادل الذى لا يجوز فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة له ولهم قال كفيله أسألك بالله ياسعيد إلا ما زودتنا من دعائك وكلامك فإنا لن نلقى مثلك أبدا فدعا لهم سعيد رضى الله تعالى عنه ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وأقبل على الصلاة والدعاء والاستعداد للموت ليله كله وهم مختفون الليل كله فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا إليه فبكى وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به إلى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل بين يديه قال له ما اسمك قال سعيد بن جبير فقال بل أنت شقى بن كسير قال سعيد بل أمى كانت أعلم باسمى منك فقال الحجاج شقيت أنت وشقيت أمك فقال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها قال فما قولك فى محمد ﷺ قال نبى الرحمة قال فما قولك فى على أفى الجنة هو أم فى النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أعجب إليك قال أرضاهم لخالقه قال فأيهم أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستو القلوب قال ثم إن الحجاج أمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت وغير ذلك من الجواهر فوضعت بين يدى سعيد فقال سعيد رضى الله تعالى عنه إن كنت جمعت هذا لتفدى به من فزع يوم القيامة فصالح وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت لا خير فى شىء جمع للدنيا إلا ماطاب وزكا ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فضربت بين يدى سعيد فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك ياسعيد فقال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار فقال ياسعيد أى قتلة تريد أن أقتلك بها قال اختر لنفسك ياحجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة قال فتريد أن أعفو عنك قال إن كان العفو من الله فنعم وأما منك أنت فلا فقال اذهبوا به فاقتلوه فلما أخرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده فقال ما أضحكك وقد بلغنى أن لك أربعين سنة لم تضحك قال ضحكت عجبا من جراءتك على الله ومن حلم الله عليك فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه فقال كل نفس ذائقة الموت ثم قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين قال وجهوه لغير

العين الزرقاء وقد اشتهر بين الناس أن من أكل منها فلسا لا يرمد سنة ومن أكل فلسين لا يرمد سنتين وهكذا وإن علق على صاحبة الطلق وضعت فى الحال وجلدها يحرق ويكتحل برماده ينفع من السبل وتقاطر الماء فى العين ويذهب الظلمة وقال جالينوس مرق الحية يقوى البصر بيض الحية يسحق فى الهاون ويطلى به المرض يزول (خراطين) دودة طويلة حمراء تسمى شحمة الأرض توجد فى المواضع الندية تشوى وتؤكل بالخبز تفتت الحصاة من المثانة وتجفف وتعطى صاحب اليرقان تذهب صفرته وتجفف وتسقى باللبن للتى تعسرت ولادتها تضع فى الحال بإذن الله ورمادها يخلط بدهن الورد ويطلى به رأس الأقرع

القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فقال كبوه لوجهه فقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ثم قال اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فذبح على النطع رحمة الله تعالى عليه فكان رأسه يقول بعد قطعه لا إله إلا الله مرارا وذلك فى شعبان سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد تسعا وأربعين سنة وعاش الحجاج بعده خمس عشرة ليلة ولم يسلط على قتل أحد بعده ولما بلغ الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قتل سعيد بن جبير قال اللهم أنت على فاسق ثقيف رقيب والله لو أن أهل المشرق والمغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله تعالى فى النار والله لقدمات وأهل الأرض من المشرق إلى المغرب محتاجون إلى علمه * ونقل أن سعيدا رضى الله تعالى عنه كان يقول وشى بى واش وأنا فى بلد الله الحرام أكله إلى الله يعنى خالد القسرى * وروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغيب ثم يفيق ويقول مالى ولسعيد بن جبير * وقيل إنه كان فى مدة مرضه كلما نام رأى سعيد بن جبير آخذا بثوبه وهو يقول ياعدو الله فيم قتلتنى فيستيقظ مذعورا * وروى أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى رآه بعد موته فى المنام وهو جيفة منتنة وأنه قال له ما فعل الله بك فقال قتلنى الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة * فإن قيل ما الحكمة فى أن الله تعالى قتل الحجاج بكل قتيل قتلة وقتله بسعيد سبعين قتلة وقد قتل من هو أفضل من سعيد وهو عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما لأنه صحابى وسعيد بن جبير تابعى والصحابى أفضل من التابعى * فالجواب أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كان له نظراء فى العلم من الصحابة كابن عمر وأنس بن مالك وغيرهما ولما قتل سعيدا لم يكن له نظير فى العلم فضوعف عليه العذاب بسبب ذلك ويشهد لهذا القول ما تقدم عن الحسن البصرى لا لكونه أفضل من ابن الزبير والله أعلم (التعبير) اللبوة فى المنام بنت ملك فمن رأى أنه جامع لبوة نجا من شدة عظيمة ويعلو شأنه ويظفر بأعدائه فإن رأى ذلك ملك وكان فى حرب فإنه يظفر بمن يحاربه ويملك بلادا كثيرة وقيل إن اللبوة تعبيرها كالسبع والله أعلم ﴿اللجأ﴾ بالجيم نوع من السلاحف يعيش فى البر والبحر ولها حيلة عجيبة وتوصل فى صيد ما تصيده من طائر وغيره وذلك أنها تغوص فى الماء ثم تتمرغ فى التراب ثم تكمن للطير فى موضع شربها فيختفى عليه لونها فتمسكه وتغوص به فى الماء حتى يموت * ويقال إن اللجأة تضع بيضها فى البر وأنها تحضنه بالنظر إليه وقال ارسطاطاليس فى النعوت ما خرج من بيض اللجأة مستقبل البحر صار إلى البحر وما خرج منه مستقبل البر صار إلى البر وكلهن يردن الماء لأنهن من خلق الماء قال وهى تأكل الثعابين واللجأة البحرية لها لسان فى صدرها من أصابته به من الحيوان قتلته وقد تقدم ذكرها فى باب السين (الحكم) صرح بتحريمها وبعدم جواز أكلها البغوى والنووى فى شرح المهذب (الخواص) قال ارسطو كبدها إذا أكل طريا نفع من داء الكبد ولحمها إذا طبخ بخل صفة السكباج وشرب من مرقته من به استسقاء نفعه وأدبل بطنه وهو يشد الفؤاد ويذهب الرياح السوداوية والله أعلم (التعبير) اللجأة فى المنام امرأة عفيفة وسنة مقبلة ذات مال وربما دلت على الوقاية من الأعداء لاتخاذ الناس من ظهرها تجافيف يدفع الإنسان بها عن نفسه ﴿اللحكاء﴾ قال الأزهرى هى بضم اللام وفتح الحاء المهملة والكاف بالألف والمد ويقال له اللحكة على مثال الهمزة واللمزة وحكى ابن قتيبة فى أدب الكاتب الحلكاء بفتح الحاء وإسكان اللام وبالمد وحكى فى المقصور والممدود الحلكاء بضم الحاء وفتح اللام المشددة وبالقصر شحمة الأرض تغوص فى الرمل كما يغوص طير الماء فى الماء وقال غيره

ينبت شعره ويحتك به مع العسل ينفع من الخناق وإذا أخذت هذه الدودة وشددتها فى مقنعة امرأة حملت وهاجت بها شهوة الجماع (خنفساء) هى الدويبة السوداء التى تتولد فى الأرواث ذات الرائحة النتنة تغلى بالزيت ويطلى به محل البواسير يذهبه وإذا كسرت خنفساء نصفين وغمست ميلا فى رطوبتها واكتحل به ينفع من الرمد ويبرأ سريعا ويطبخ بشىء من الأدهان ويقطر فى الأذن يزيل الطرش والبعير إذا أكل خنفساء فى علفه يموت وتوجد الخنفساء فى بطن حية ومنها صنف يقال له الجعل يدور على السرجين إذا ألقيت فى الورد سكنت كأنها ميتة

الحلكة بالحاء وهى فيما ذكروا دويبة كأنها سمكة تكون فى الرمل فإذا أحست بالإنسان دارت فى الرمل وغاصت فيه وقال غير الأزهرى الحلكة بتقديم الحاء على اللام وكذلك الحلكاء على مثال العنقاء وحكى صاحب جامع اللغة فيها القصر أيضا وقال الجوهرى اللحكة أظنها مقلوبة من الحلكة قال ابن الصلاح فى مشكل الوسيط الذى ضبطناه عن الأزهرى صاحب كتاب تهذيب اللغة الموثوق به أنها مقصورة وهى دويبة ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة ويقال لها الحلكة مثل الهمزة انتهى وقال الماوردى فى الحاوى اللحكاء تشبه السمك وهى عريضة من أعلى دقيقة من أسفل وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق اللحكة دويبة شبيهة بالعظاءة زرقاء تبرق وليس لها ذنب طويل كالعظاءة وقوائمها خفيفة وهذا القول أحسن من الذى نقله ابن الصلاح عن تهذيب الأزهرى وقد تقدم فى حرف الحاء الحلكة وقال الصيدلانى والروياني أنها دويبة مثل الأصبع تجرى فى الرمل ثم تغوص فيه وهذا يقوى قول الجوهرى أنها مقلوبة من الحلكة لأنه فسرها بهذا فعلى ما قاله الأزهرى من كونها ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة حسن تشبيه العرب أصابع النساء بها إلا أن الاشتقاق لا يساعده لأن الحلكة فيما يظهر شدة السواد مأخوذ من قولهم أسود حالك ولما كانت زرقاء لشدة سوادها سموها بهذا الاسم والعرب تسميها بنات النقا لأنها تسكن نقيات الرمل (الحكم) لا يحل أكلها لأنها من أنواع الوزغ (اللخم) بضم اللام وإسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش كما تقدم وأنشد ابن سيده لبعض الأدباء:

لصيد اللخم فى البحر * وصيد الأسد فى البر * وقضم الثلج فى القر
ونقل الصخر فى الحر * وإقدام على الموت * وتحويل إلى القبر
لأشهى من طلاب العز * ممن عاش فى الفقر

(وحكمه) حل الأكل فيما يظهر وقد قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير فى كتابه نهاية غريب الحديث ما نصه فى حديث عكرمة رضى الله تعالى عنه اللخم حلال وهو ضرب من سمك البحر يقال اسمه القرش اه وقد تقدم الكلام على القرش فى باب القاف ﴿اللعوس﴾ الذئب سمى بذلك لسرعة أكله ﴿اللعوة﴾ بفتح اللام الكلبة قالت العرب أجوع من لعوة ﴿اللقحة﴾ بالكسر والفتح لغتان مشهورتان والكسر أشهر والجمع لقح بكسر اللام وفتح القاف كبركة وبرك وهى الناقة ذات اللبن وقيل القريبة العهد من النتاج وناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب فلا يتبايعانه حتى تقوم الساعة والرجل يليط حوضه فما يصدر حتى تقوم الساعة وفيه من حديث النواس ابن سمعان فى صفة الدجال ويبارك فى الرسل يعنى اللبن حتى أن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللفحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس * الفئام الجماعة الكثيرة مأخوذ من الكثرة والفخذ بالذال المعجمة الجماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة قال ابن فارس الفخذ هنا بإسكان الخاء المعجمة لا غير بخلاف الفخذ التى هى العضو فإنها تكسر وتسكن وكان للنبى ﷺ عشرون لقحة بالغابة وهى على بريد من المدينة بطريق الشأم كان يراح إليه ﷺ كل ليلة بقربتين عظيمتين من لبن وكان أبو ذر رضى الله تعالى عنه فيها وكان ﷺ يفرقها على نسائه وهى التى استاقها العرنيون

وإن ألقيتها فى الورث عادت إلى حالها (وحكى) أن رجلا رأى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه أحسن شكلها أو طيب رائحتها فابتلاه الله بقرحة حتى عجز الأطباء عنها فترك العلاج فسمع ذات يوم صوت طبيب من الطرقيين ينادى فى الدرب فقال هاتوه حتى ينظر فى أمرى فقالوا له ماذا تصنع برجل طرقى وقد عجز عنك حذاق الأطباء فقال هاتوه نسمع قوله وليس فيه ضرر فلما رأى الطبيب القرحة وسأل عنها فقال على بالخنفساء فضحك الحاضرون من قوله فتذكر العليل القول الذى سبق منه فقال هاتوه ما طلب فإن الرجل على بصيرة فأحرقها وذر رمادها على القرحة فبرأت بإذن الله تعالى فقال

وقتلوا راعيها يسارا ففعل رسول الله ﷺ بهم ما فعل وروى الحاكم عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلا أهدى إلى النبي ﷺ لقحة فأثابه منها ست بكرات فتسخطها فقال ﷺ من يعذرني من فلان أهدى إلى لقحة فأثبته منها ست بكرات فتسخطها لقد هممت أن لا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي أو دوسي ثم قال صحيح الإسناد وروى هو وأحمد والبيهقي عن ضرار بن الأزور رضى الله تعالى عنه قال أهديت إلى النبي ﷺ لقحة فأمرني أن أحلبها فحلبتها فجهدت حلبها فقال ﷺ لا تفعل دع داعي اللبن وروى البزار عن بريرة أن النبي ﷺ أمر بحلاب لقحة رجل فقام رجل فقال له ﷺ ما اسمك فقال مرة فقال ﷺ أقعد فقام آخر فقال له ﷺ ما اسمك فقال يعيش فقال ﷺ له أحلب ورواه مالك عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للقحة تحلب من يحلب هذه فقام رجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال له الرجل مرة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلس ثم قال من يحلب هذه فقام رجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال حرب قال اجلس ثم قال صلى الله عليه وسلم من يحلب هذه فقام رجل فقال له صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يعيش فقال له صلى الله عليه وسلم احلب ثم روى عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال من الحرقة قال أين مسكنك قال بحرة النار قال بأيها قال بذات لظى فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أدرك أهلك فقد احترقوا قال فكان كما قال عمر رضى الله تعالى عنه وفى السيرة أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بدر مر برجلين فسأل عن اسمهما فقال له أحدهما مسلخ والآخر مخذل فعدل عن طريقهما وليس هذا من الطيرة التى نهى صلى الله عليه وسلم بل من باب كراهة الاسم القبيح فقد كان صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أمرائه إذا أبردتم إلى بريدا فأبردوه حسن الاسم حسن الوجه وفى حديث البزار ومالك زيادة رواها ابن وهب وهى فقام عمر فقال لا أدرى أقول أم أسكت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل قال فكيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت فقال صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكنى آثرت الاسم الحسن وروى أبو داود والترمذى والحاكم وقال صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك وما منا إلا من تطير ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل قال الخطابى معناه وما منا إلا يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه فحذفه اختصارا للكلام واعتمادا على فهم السامع قال البخارى كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول هذا ليس من قول النبي صلى الله عليه وسلم وكأنه من كلام ابن مسعود رضى الله عنه قال الإمام عبد الصمد لما رأيت فى أطواق الذهب لجار الله العلامة أبى القاسم محمود الزمخشرى قوله رزق مبسوط ومقدر وشرب صاف ومكدر ورجل يحسو الماء القراح وآخر درت له اللقاح وما أوتى لهذا من عجز ووهن وما أوتى ذاك من فضل وذكاء ذهن لكن تقدير من بيده الملكوت وإليه الكتاب الموقوت ذكرت هذين البيتين :

لم أوت طلب ولا * جد ولا هم شريف لكنه قدر يزو * ل من القوى إلى الضعيف

وما أحسن قول القائل حيث قال :

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ولا يضر مع الإقبال إنفاق

للحاضرين إن الله أراد أن يعرفنى أن أخس الأشياء أعز الأدوية (دودة القز) دويبة إذا شبعت من الرعى طلبت مواضعها من الأشجار والشوك ومدت من لعابها خيوطا رقاقا ونسجت على نفسها كنا مثل الكيس ليكون حرزا لها من الحر والبرد والرياح والأمطار ونامت إلى وقت معلوم كل ذلك بإلهام من الله تعالى وأما كيفية اقتنائها فمن عجائب الدنيا وهى أنهم أول الربيع يأخذون البزر ويشدونها فى خرقة وتجعل تحت ثدى امرأة ليصل إليها حرارة البدن إلى أسبوع ثم ينثر عليها شىء من ورق التوت المقصوص بالمقراض فتتحرك الدودة وتأكل من

﴿اللقوة﴾ العقاب الأنثى واللقوة بالكسر مثله قاله أبو عبيد سميت لقوة لسعة أشداقها وقيل لاعوجاج منقارها واللقوة مرض يميل به الوجه إلى جانب واللقوة الناقة السريعة اللقاح ولقوة لقب الحجاج بن يوسف الثقفى البغدادى المعروف بابن الشاعر روى عنه مسلم وأبو داود ووفاته سنة تسع وخمسين ومائتين ﴿اللقاط﴾ بالتشديد طائر معروف سمى بذلك لأنه يلقط الحب (وحكمه) الحل قال العبادى اللقاط حلال إلا ما استثناه النص قال فى شرح المهذب يعنى به ذا المخلب وفيما قاله نظر لأن المراد به ما يلقط الحب وذو المخلب لم يدخل فى اسم اللقاط حتى يصح استثناؤه منه لكن يحتمل أنه أراد بالمستثنى الغراب الزرعى والاستثناء المنقطع لا تصح إرادته هنا لأن الرافعى رحمه الله قد نقل بعد ذلك عن البوشنجى أن اللقاط حلال بغير استثناء ولعل أبا عاصم أراد بالمستثنى بالنص غراب الزرع والغداف الصغير فإنهما يلقطان الحب ويأكلان الزرع كما قاله الماوردى فى الحاوى وفيهما وجهان أصحهما فى الروضة تحريم الغداف وحل الزرعى وقد تقدم طرف من هذا فى أحكام الغراب لكن كلام الرافعى يقتضى حلهما فمن قال بتحريمهما استثناهما من اللقاط ولم يحمل الأمر الوارد بقتل الغراب على الأبقع وحده بل عليه وعلى غيره ونقل الجاحظ هذا الاحتمال عن صاحب المنطق فقال قال صاحب المنطق الغراب جنس من الأجناس التى أمر بقتلها فى الحل والحرم وهذا صريح فى أن الجميع فواسق وأن قتل جميعها مستحب وقد صرح فى الحاوى باستحباب قتل الغراب الأسود الكبير وألحقه بالأبقع وجعل النهى علة تحريمه ومن قال بحل اللقاط مطلقا لم يستثن شيئا وحمل الأمر بقتل الغراب على الأبقع لأنه قد ورد التقييد فى بعض الروايات بالغراب الأبقع وهذا إنما يستقيم إذا قلنا إن ذكر بعض أفراد العموم تخصيص والصحيح أنه ليس بتخصيص والغراب الأبقع وإن كان يلقط الحب فهو غير وارد على البوشنجى لأن غالب أكله الخبائث بخلاف الزرعى والغداف الصغير والله تعالى أعلم ﴿اللقلق﴾ طائر أعجمى طويل العنق وكنيته عند أهل العراق أبو خديج وعبر عنه الجوهرى بالقاف وهو اسم أعجمى قال وربما قالوا اللغلغ والجمع اللقالق وهو يأكل الحيات وصوته اللقلقة وكذلك كل صوت فيه حركة واضطراب ويوصف بالفطنة والذكاء قال القزوينى فى الأشكال قال الرئيس من ذكاء هذا الطائر أنه يتخذ له عشين يسكن فى كل واحد منهما بعض السنة وأنه إذا أحس بتغير الهواء عند حدوث الوباء ترك عشه وهرب من تلك الديار وربما ترك بيضه أيضا قال ومما يتوصل به إلى طرد الهوام اتخاذ اللقلق فإن الهوام تهرب من مكان هو فيه لفزعها منه وإذا ظهرت قتلها (الحكم) فى حله وجهان أحدهما وبه قال الشيخ أبو محمد يحل كالكركى ورجحه الغزالى والثانى بحرم وصححه البغوى وجزم به العبادى واحتج بأنه يأكل الحيات ويصف فى الطيران وقد قال صلى الله عليه وسلم كل مادف ودع ماصف يقال دف الطائر فى طيرانه إذا حرك جناحيه كأنه يضرب بهما وصف إذا لم يتحرك كما تفعل الجوارح ومنه قوله تعالى «أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات» والأصح فى شرح المهذب والروضة أنه حرام واللقلق من طير الماء وقد تقدم استثناؤه (الخواص) إذا ذبح فرخ من فراخه وطلى به بدن المجذوم نفعه نفعا بينا وإذا أخذ من دماغه وزن دانق ومن أنفحة الأرنب مثله وأذيبا على النار فمن طعم منه باسم آخر هيج روحانية المحبة فى قلبه وقال هرمس من حمل عظم اللقلق معه زال همه وإن كان عاشقا سلا ومن حمل حبة عينه اليمنى لم ينم ومن حمل حبة عينه اليسرى نام ولم يتنبه مالم تحل عنه

ذلك الورق ثم لا تأكل ثلاثة أيام ويقال إنها فى النوبة الأولى ثم ترجع إلى الأكل فتأكل أسبوعا ثم تترك الأكل ثلاثة أيام ويقال إنها فى النوبة الثانية وهكذا فى المرة الأخرى ويقال إنها فى النوبة الثالثة وبعد النوبات يطلق لها العلف لتأكل أكلا كثيرا وتسرع فى عمل الفيلجة فيظهر عند ذلك على جسمها مثل نسج العنكبوت ويزداد شيئا فشيئا فإذا مطر فى هذا الوقت مطر تلين الفيلجة من رطوبة النداوة ويثقبها الدود ويخرج منها وقد نبت له جناحان فتطير ولا يحصل شىء من الإبريسم وإذا فرغت الدود من عمل الفيلجة عرضت على الشمس لتموت الدودة فيها ويحصل من الفيلجة الإبريسم ويترك بيض الفيلجة ليثقبها الدود

ومن حمل عينه ودخل الماء لم يغرق وإن لم يحسن السباحة (التعبير) اللقلق فى المنام يدل على قوم يحبون المشاركة فإذا رآها إنسان مجتمعة فى مكان فإنهم لصوص وقطاع طريق وأعداء محاربة وقيل رؤية اللقلق تدل على تردد ومن رأى اللقالق متفرقة فإنها دليل خير إن كان مسافرا أو أراد السفر لأنها تظهر فى الصيف وتدل رؤياها على قدوم المسافر إلى وطنه والمقيم على سفره والله أعلم ﴿اللهق﴾ الثور الأبيض وقد تقدم ما فى الثور فى باب الثاء المثلثة ﴿اللهم﴾ الثور المسن وقد تقدم والجمع لهوم ﴿اللوب والنوب﴾ الأول بضم اللام والثانى بضم النون جماعة النحل ومنه حديث ريان بن قسور رضى الله تعالى عنه قال رأيت النبى ﷺ وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت يا رسول الله إن معنا لوبا لنا يعنى نحلا كانت فى غيلم لنا فيه طرم وشمع فجاء رجل فضرب ميتين فأنتج حيا وكفنه بالثمام يعنى قدح نارا بالزندين ونحسه يعنى دخنه فطار اللولب هاربا وأدلى مشواره فى الغيلم فاشتار العسل فمضى به فقال رسول الله ﷺ ملعون ملعون من سرق شر وقوم فأضربهم أفلا تبعتم أثره وعرفتم خبره قال قلت يا رسول الله إنه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيرتنا من هذيل فقال رسول الله ﷺ صبرك صبرك ترد نهر الجنة وإن سعته كما بين العقيقة والسحيقة يتسبب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لوب ولا جه نوب انتهى «الغيلم» البئر وأراد بها ههنا الخلية «والطرم» العسل ذكره السهيلى فى مقتل خبيب وأصحابه بعد أحد وذكره أبو عمر بن عبد البر وابن الأثير أبو السعادات ونقلا عن ابن ماكولا أنه قال ذكره عبد الغنى بن سعيد وغيره بإسناد ضعيف ﴿اللوشب﴾ كبكوكب الذئب وقد تقدم ما فى الذئب فى باب الذال المعجمة ﴿اللياء﴾ سمكة فى البحر يتخذ من جلدها الترسة فلا يحيك فيها شىء من السلاح ولا يقطع وفى الحديث أن فلانا أهدى لرسول الله ﷺ بودان لياء مقشى ومنه حديث معاوية رضى الله تعالى عنه أنه دخل عليه وهو يأكل لياء مقشى ﴿الليث﴾ الأسد وجمعه ليوث وهو أيضا ضرب من العناكب يصطاد الذباب وهو أصغر من العنكبوت والليث من الرجال الشجاع وبنو ليث بطن من العرب وبه سمى ليث بن سعد بن عبد الرحمن بن الحرث إمام أهل مصر فى الفقه ولد بقلقشندة وهى قرية فى أسفل مصر سنة أربع وتسعين قال الشافعى الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به وقال عثمان بن صالح كان أهل مصر ينتقصون عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه حتى نشأ فيهم الليث بن سعد فحدثهم بفضائل عثمان رضى الله تعالى عنه فكفوا عن ذلك وكان أهل حمص ينتقصون عليا رضى الله تعالى عنه حتى نشأ فيهم إسماعيل بن عياش فحدثهم بفضائل على رضى الله تعالى عنه فكفوا عن ذلك وحج الليث فقدم المدينة فبعث إليه الإمام مالك بن أنس بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده اليه وكان الليث رحمه الله يستغل فى كل سنة عشرين ألف دينار فينفقها وما وجبت عليه زكاة قط وقالت له امرأة يا أبا الحرث إن لى إبنا عليلا واشتهى عسلا فقال يا غلام اعطها مطرا من عسل والمطر مائة وعشرون رطلا فقيل له فى ذلك فقال سألت على قدر حاجتها ونحن أعطيناها على قدر نعمتنا واشترى قوم منه ثمرة ثم استقالوه فأقالهم وأعطاهم خمسين دينارا وقال إنهم كانوا قد أملوا فيها أملا فأحببت أن أعوضهم عن أملهم وكان رضى الله تعالى عنه حنفى المذهب وولى القضاء بمصر وتوفى بها فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة وقبره فى القرافة الصغرى مشهور وقلقشندة بفتح القاف ولام وقاف وشين معجمة مفتوحة ونون ساكنة ودال مهملة وهاء آخرها بينها وبين مصر مقدار ثلاثة فراسخ كذا قاله ابن خلكان (وحكى) عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال كان بأرض اليمامة رجل من ربيعة يقال له جحدر بن مالك العجلى وكان شاعرا فحلا فاتكا قد أمر على أهل حجر

ويخرج ويبيض وبيضها يحفظ للسنة الآتية فى ظرف نقى من الخرقة أو الزجاج والثياب الإبريسيمية تنفع من الحكة والجرب ولا يتولد القمل لمن يلبسها والله الموفق (ديك الجن) دويبة توجد فى البساتين قال بليناس يلقى فى خمر عتيق حتى يموت ويترك فى نخارة ويشد رأسها ويدفن فى وسط الدار فإنه لا يرى فيها شىء من أرضة أصلا والله الموفق للصواب (ذباب) هى أصناف كثيرة تتولد من العفونة لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق لها يدان يقومان مقام الأجفان فلهذا ترى الذباب على الدوام

وما يليها فبلغ ذلك الحجاج فكتب إلى عامله على اليمامة يوبخه ويلومه على تغلب جحدر فى ولايته ويأمره بالتجرد فى طلبه والبعث به إليه إن ظفر به فلما أتى العامل كتابه دس إليه فتية من قومه ووعدهم أن يوفدهم معهم فمكثوا لذلك أياما حتى إذا أصابوا عنه غرة شدوا عليه فأوثقوه وقدموا به على العامل فبعث به إلى الحجاج فلما جاوزوا بجحدر حجراً أنشأ يقول :

لقدما هاجنى فازددت شوقا ... بكاء حمامتين تغردان
تجاوبتا بلحن أعجمى ... على غصنين من غرب وبان
فقلت لصاحبى وكنت أحزو ... ببعض القول ماذا تحزوان
ففالا الدار جامعة قريبا ... فقلت وأنتما متمنيان
فكان البان أن بانت سليمى ... وفى الغرب اغتراب غيردان
إذا جاوزتما نخلات حجر ... وأندية اليمامة فانعيانى

وقولا جحدر أمسى رهينا ... يعالج وقع مصقول يمانى
كذا المغرور بالدنيا سيردى ... وتهلكه المطامع والأمانى

فلما قدم به على الحجاج قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الأمير قال فما حملك على ما صنعت قال جراءة الجنان وكلب الزمان وجفوة السلطان قال وما الذى بلغ من أمرك فيجرأ جنانك ويكلب زمانك ويجفوك سلطانك قال لو بلانى الأمير لوجدنى من صالح الأعوان وأهم الفرسان وأما جراءة جنانى فإنى لم ألق فارسا قط إلا كنت عليه فى نفسى مقتدراً فقال له الحجاج بن يوسف إنا قاذفون بك فى جب ليث فإن هو قتلك كفانا مؤنتك وإن أنت قتلته خلينا عنك وأحسنا جائزتك قال نعم أصلح الله الأمير قربت المحنة وأعظمت المنة أنت أهل ذلك إذا شئت فأمر به فقيد وحبس وكتب إلى عامله على كسكر يأمره بالبعثة إليه بأسد ضار فبعث إليه بأسد قد أضر بأهل كسكر فى صندوق يجره ثوران فلما قدم به على الحجاج أمر به فأدخل فى جب وسد بابه وجوعه ثلاثة أيام ثم أتى بجحدر وأمكن من سيف قاطع وجلس الحجاج والناس ينظرون إليهما فلما نظر الأسد إلى جحدر وقد أقبل ومعه السف يرسف فى قيوده تهيأ وتمطى فأنشد جحدر يقول :

ليث وليث فى مجال ضنك ... كلاهما ذو أنف وفتك
وسورة فى صولة ومحك
أن يكشف الله قناع الشك ... من ظفرى بحاجتى ودركى
فذاك أحرى منزل بترك

فوثب إليه الأسد وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضرب هامته ففلقها حتى خالط ذباب السيف لهواته وتخضبت ثيابه من دمه فوثب وهو يقول :

ياجمل إنك لو رأيت كريهتى ... فى يوم هيج مسدف وعجاج
وتقدمى لليث أرسف موثقا
كيما أكابده على الإحراج ... جهم كأن جبينه لما بدا
طبق الرحا متعجر الإثباج
يسمو بناظرتين تحسب فيهما ... لما أجالهما شعاع سراج
فكأنما خيطت عليه عباءة
برقاء أو قطع من الديباج ... قرنان مختصران قد مخضتهما
أم المنية غير ذات نتاج
ففلقت هامته فخر كأنه ... أطم تساقط مائل الأبراج
ثم انثنيت وفى ثيابى شاهد
مما جرى من شاخب الأوداج ... أيقنت أنى ذو حفاظ ماجد
من نسل أملاك ذوى أتواج
مما يغار على النساء حفيظة ... إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

فقال له الحجاج يا جحدر إن أحببت المقام معنا فأقم وإن أحببت الانصراف إلى بلادك فانصرف فقال بل أختار صحبة الأمير والكينونة معه ففرض له فى شرف العطاء وأقام ببابه فكان من خواص أصحابه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب الهاء فى الهزبر ما قاله بشر بن أبى عوانة لما قتل الأسد وقد أحسن إبراهيم بن محمد المغربى رحمه الله حيث قال :

يمسح بيديه حدقتيه وله خرطوم يخرجها إذا أراد مص الدم ويدخلها إذا روى ولها بطن وفيها يجرى الصوت كما يجرى فى العصب من النفخ ولا يقدر على المشى إذ ليس له مفصل وخلق رءوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة والذباب يصيد البق فلذلك لا يرى البق إلا فى الليل عند سكون الذباب قال الجاحظ لولا أن الذباب يأكل البق ويطلبها فى زوايا البيت لما كان لأهلها فيها قرار وإذا أصاب الحيوان جراحة وسقط عليها الذباب فيفضى إلى هلاكها إن لم يكن فى موضع يصل إليه فم الحيوان لأن الذباب إذا وقع على الجراحة ونم عليها يتولد من ونيمها الدود والجراحة إذا تولد فيها الدود أهلكت

حملنا من الأيام ما لا نطيقه  كما حمل العظم الكثير العصائبا
وليل رجونا أن يهب عذاره  فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

﴿ الليل ﴾ ولد الكروان قالوا فلان أجبن من ليل وقال ابن فارس فى المجمل يقال إن بعض الطير يسمى ليلا ولا أعرفه وسيأتى إن شاء الله تعالى فى حرف النون أن النهار ولد الحبارى والله أعلم .

﴿ باب الميم ﴾

﴿ مارية ﴾ بتشديد المثناة التحتية القطاة الملساء وبالتخفيف البقرة الوحشية وأما قولهم خذه ولو بقرطى مارية فهى مارية بنت ظالم بن وهب وقيل أم ولد جفنة قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم  قبر ابن مارية الكريم المفضل

يقال إنها أهدت إلى الكعبة قرطيها وعليهما درتان كبيضتى الحمام لم ير الناس مثلهما ولم يدروا قدرهما ولا قيمتهما يضرب فى الشىء الثمين أى لا يفوتنك بأى ثمن يكون وسيأتى إن شاء الله تعالى بعد هذا بأوراق يسيرة فى ترجمة المقوقس ذكر مارية القبطية أم ولد النبى ﷺ وقريبا مابور ﴿ المازور ﴾ طائر مبارك ببحر المغرب يتيامن به أصحاب السفن يبيض عند سكون البحر على السواحل فإذا رأوا بيضه عرفوا أن البحر قد سكن هذا الطائر إذا كانت السفن قريبة من مكان مخوف أو دابة مضرة يأتى فيطير أمام المركب فيصعد وينزل كأنه يخبرهم حتى يدبروا أمرهم والملاحون يعرفونه ذكره فى تحفة الغرائب ﴿ الماشية ﴾ الإبل والبقر والغنم والجمع المواشى سميت ماشية لرعيها وهى تمشى وقيل لكثرة نسلها يقال أمشى الرجل إذا كثرت ماشيته وفيه يقول الشاعر :

وكل فتى وإن أثرى وأمشى  ستخلفه عن الدنيا المنون

روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال لا ترسلوا مواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء وفى سنن أبى داود والترمذى عن الحسن عن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إذا أتى أحدكم على ماشية فإن كان فيها صاحبها فليستأذنه فإن أذن له فليحتلب وليشرب وإن لم يكن فيها أحد فليصوت ثلاثا فإن أجابه أحد فليستأذنه فإن لم يجبه أحد فليحتلب وليشرب ولا يحمل قال الترمذى حسن صحيح والعمل عليه عند بعض أهل العلم وبه قال أحمد وإسحق وقال على بن المدينى سماع الحسن من سمرة صحيح وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال لا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم وأطعمتهم فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه ومن أحكام الماشية أنها إذا أفسدت زرعا لغير مالكها ولم يكن معها فإن كان ذلك بالنهار لم يضمن وإن كان بالليل ضمن لما روى أبو داود وغيره عن حرام بن سعيد ابن محيصة قال إن ناقة للبراء بن عازب رضى الله تعالى عنه دخلت حائط قوم فأفسدت فقضى النبى ﷺ أن على أهل الأموال حفظ أموالهم بالنهار وعلى أهل المواشى ما أصابته مواشيهم بالليل وقد تقدم فى الغنم فرع له تعلق بهذا ﴿ تذنيب ﴾ إذا اشترك أهل الزكاة فى ماشية زكوا زكاة الرجل الواحد فلو كان أحدهم كافرا أو مكاتبا فلا أثر لخلطته وهى تسمى خلطة ملك وخلطة أعيان وخلطة اشتراك وإذا خلطا مجاورة فكذلك الحكم لقوله ﷺ لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة ورواه البخارى ويشترط فى هذه أن لا تتميز فى المشرع

وونيم الذباب على الأبيض أسود وعلى الأسود أبيض ووتيمه ذو لونين كزرق العصفور فيظهر على كل لون ما يخالفه قالوا تؤخذ ذبابة ويفصل رأسها عن بدنها ويدلك بها السع الزنبور يسكن وجعه ويحرق الذباب ويسحق ويخلط بعسل ويطلى به داء الثعلب ينبت الشعر ويجفف الذباب ويسحق مع الكحل ويكتحل به ينفع من وجع العين ويزيد فى الضوء وينبت شعر الأهداب والذباب يشوى ويؤكل يفتت حصاة المثانة وقال ﷺ إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر دواء ويدق الذباب فى اللبن ويطلى به لدغ العقرب يزول وجعه

والمسرح والمراح وهو موضع الحلب بفتح اللام وكذا الراعى والفحل على الصحيح ولا تشترط النية على الصحيح لأن خفة المؤنه واتحاد المرافق لا يختلف بالقصد وعدمه والله تعالى أعلم ﴿مالك الحزين﴾ قال الجوهرى إنه من طير الماء وقال ابن برى فى حواشيه أنه الباشون قال وهو طائر طويل العنق والرجلين انتهى. قال الجاحظ من أعاجيب الدنيا أمر مالك الحزين لأنه لا يزال يقعد بقرب المياه ومواضع نبعها من الأنهار وغيرها فإذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزينا كئيبا وربما ترك الشراب حتى يموت عطشا خوفا من زيادة نقصها بشر به منها قال وقريب من هذا دودة تضىء بالليل كضوء الشمع وتطير بالنهار فيرى لها أجنحة وهى خضراء ملساء غذاؤها التراب لم تشبع منه قط خوفا أن يفنى تراب الأرض فتهلك جوعا قال وفيها خواص كثيرة ومنافع واسعة وهذا الطائر لما كان يقعد عند المياه التى انقطعت عن الجرى وصارت مخزونه سمى مالكا ولما كان يحزن على ذهابها سمى بالحزين وهو عطف بيان لمالك كما يقال أبو حفص عمرو قال التوحيدى فى كتاب الامتناع والمؤانسة مالك الحزين ينشل من الماء فيأكلها وهى طعامه وهو لا يحسن السباحة فإن أخطأه الانتشال وجاع طرح نفسه على شاطئ البحر وفى بعض ضحضاحاته فإذا اجتمع إليه السمك الصغار أسرع إلى خطف ما استطاع منها ولا يحتاج إلى تزاوج ولا سفاد (وحكمه) حل الأكل (ومن خواصه) أن لحمه غليظ بارد يولد إدمان أكله البواسير وقد تقدم فى خطبة الكتاب أن ضبط هذا كان من جملة الأسباب الباعثة على تأليفه خوفا من تصحيف لفظه وتحريفه والله تعالى الموفق ﴿المنردية﴾ هى التى وقعت فى بئر أو من مكان عال فماتت ولا فرق بين أن تقع بنفسها أو بسبب آخر فإنها مترديه (وحكمها) تحريم الأكل بالإجماع ﴿المجثمة﴾ بفتح الجيم وتشديد الثاء المثلثة هى التى تلقى على الأرض مربوطة وتترك حتى تموت قال القزوينى الجثوم للطير والناس بمنزلة البروك للبعير ومنه قوله تعالى جاثمين أى بعضهم على بعض وجاثمين باركين على الركب أيضا روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن الجلالة وعن المجثمة وعن الخطفة ﴿المثا﴾ الفراش وقد تقدم ما فيه فى باب الفاء ﴿المربح﴾ طائر من طير الماء قبيح الهيئة قاله ابن سيده ﴿المرء﴾ الرجل تقول هذا مرء صالح ورأيت مرأ صالحا ومررت بمرء صالح ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول المرؤن وربما سموا الذئب مرأ وذكر يونس أن قول الشاعر:

وأنت امرؤ تعدو على كل غرة فتخطئ فيها تارة وتصيب

يعنى به الذئب والله تعالى أعلم ﴿المرزم﴾ من طير الماء طويل الرجلين والعنق أعوج المنقار فى أطراف جناحيه سواد أكثر أكله السمك (وحكمه) حل الأكل ﴿المرعة﴾ بضم الميم وفتح الراء والعين المهملتين كالهمزة طائر حسن اللون طيب الطعم على قدر السمانى وجمعها مرع بضم الميم وفتح الراء قاله ثعلب وابن السكيت وهى تشبه الدراجة (وحكمها) حل الأكل (الخواص) قال ابن زاهر إذا شق جوفها ووضع على الشوك والنصل الغائص فى اللحم أخرجه من غير مشقة ﴿مسهر﴾ قال هرمس إنه طائر لا ينام الليل كله وهو فى النهار يطلب معاشه وله فى الليل صوت حسن يكرره ويرجعه يلتذ به كل من يسمعه ولا يشتهى النوم سامعه من لذة سماعه (ومن خواصه) أنه إذا جفف دماغه فى ظل وأخذ منه وزن درهم وسعط به إنسان مع دهن اللوز لا ينام أصلا ويصيبه من الكرب أمر عظيم حتى يظنه من يراه أنه شارب خمر

ومنها صنف يقال له ذباب الحمر كبير جدا لا يقع إلا على الحمير وصنف آخر يقال له ذباب الكلاب لا يقع إلا على الكلاب وصنف آخر يقال له ذباب الأسد لا يقع إلا على الأسد وإذا رأت بالأسد دما أو خدشا لا تنقلع عنه حتى تهلكه كما ذكرنا فى الذرع مع الحية فإنه يهلكه ﴿الدرحرج﴾ هى دويبة مبرقشة بحمرة وسواد يقال إنها سم من أكلها تقرحت مثانته ويسد بوله ويظلم بصره ويتورم القضيب والعانة ويعرض مع ذلك أخلاط فى العقل قال ابن سينا من سقى منها يجد فى فمه رائحة القطران والزفت والدراريج تموت من الرائحة الطيبة والتى هى شديدة الحمرة تشد على صاحب

ومن أمسك رأس هذا الطائر فى يده أو علقه عليه أذهب الوحشة والوسواس عنه وأورثه من الطرب ما يخرجه إلى حد الرعانة ﴿ المطية ﴾ الناقة التى يركب مطاها أى ظهرها وجمعها مطايا ومطى وقال الجوهرى المطى واحد وجمع يذكر ويؤنث والمطايا فعالى وأصله فعائل إلا أنه فعل به مافعل بخطايا قال أبو العميثل المطية تذكر وتؤنث ولما رأى الشيخ أبو الفضل الجوهرى مدينة النبى ﷺ أنشد يقول :

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطى بنا بلغن محمداً ... فظهورهن على الرجال حرام
قد زورتنا خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

الذمام بالذال المعجمة الحرمة وقال السهيلى فى غزوة مؤتة * وإذا المطى بنا بلغن محمدا * هو من شعر أبى نواس قال وقد أحسن فى ذلك وقد أساء الشماخ حيث قال :

إذا بلغتنى وحملت رحلى ... عرابة فاشرقى بدم الوتين

وعرابة هذا رجل من الأنصار وكان من الأجواد قال عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما رأيت رجلا طائفا بالبيت الحرام حاملا أمه على ظهره وهو يقول :

إنى لها مطية لا تذعر ... إذا الركاب نفرت لا تنفر
ما حملت وأرضعتنى أكثر ... الله ربى ذو الجلال أكبر

وذكر ابن خلكان وغيره أن أمدح بيت قالته العرب قول جرير لعبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح

وأهجى بيت قالته العرب قول الأخطل يهجو جريراً :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولى على النار

وأحكم بيت قالته العرب قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأحمق بيت قالته العرب قول القائل وهو الأعشى أبو محجن الثقفى :

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها
ولا تدفننى فى الفلاة فإننى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

وروى فى حديث معاوية رضى الله تعالى عنه أنه قال لابن أبى محجن الثقفى أبوك الذى يقول إذا مت فادفنى البيتين فقال أبى الذى يقول :

وقد أجود وما مالى بذى قنع ... وأكتم السر فيه ضربة العنق

وأغزل بيت قالته العرب قول جرير :

إن العيون التى فى طرفها حور ... قتلننا ثم لم تحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

﴿ فائدة ﴾ روى الطبرانى فى الدعوات من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لاتسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الجنة وبها ينجو من النار وقال على رضى الله تعالى عنه لا تسبوا الدنيا ففيها تصلون وفيها تصومون وفيها تعملون * فإن قيل كيف يجمع بين هذا وبين قوله ﷺ الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما فالجواب ماقاله شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فى آخر الفتاوى الوصلية إن الدنيا التى لعنت هى المحرمة التى أخذت بغير حقها أو صرفت إلى غير مستحقها وقد تقدم فى

حمى الربع ثلاث مرات يوم التوبة تزول حماه والتى يوجد منها فى المقبرة يطلى بها الكلف تزيله والتى توجد فى وسط الورد تلق فى زيت وتترك حتى تتلاشى ويطلى بها المناجل التى يقطع بها الكروم فإنها لا يصيبها دودة ولا دابة مضرة قال ابن سينا الدراريج دواء للجرب والقوابى ويقلع الثآليل ويزيل البهق والبرص طلاء بالخل ويطلى بالخردل ينبت الشعر ويطلى به على السرطان يحلله (رتيلاء) قال ابن سينا هى دويبة تشبه العنكبوت التى يسمى الفهد وهو صياد الذباب وأصنافها كثيرة وشرها المصرية وهى ذات رأس وبطن كبيرين وقالوا يعرض لمن لسعته وجع شديد وصفرة لون وربما

باب الباء الموحدة فى ذكر البعوض ما قاله الشيخ أبو العباس القرطبى فى ذلك وهو حسن فراجعه * وفى الحديث «بئس مطية الرجل: زعموا» شبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله زعموا كذا وكذا بالمطية التى يتوصل بها إلى الحاجة وإنما يقال زعموا فى حديث لا سند له ولا ثبت فيه وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ فذم من الحديث ما هذا سبيله وفى الكشاف وغيره أن النبى ﷺ قال «زعموا: مطية الكذب» وقال ابن عمر وشريح لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا قال ابن عطية ولا يوجد زعم مستعملة فى فصيح الكلام إلا عبارة عن الكذب أو قول انفرد به قائله وتبقى عهدته على الزاعم ففى ذلك ما ينحو إلى تضعيف الزعم وقول سيبويه زعم الخليل كذا إنما يجىء فيما تفرد الخليل به ﴿تتمة﴾ قال شيخ الإسلام النووى روينا بالإسناد الصحيح فى جامع الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة قال الترمذى حديث حسن قال وقد روى عن سفيان بن عيينة أنه قال هو مالك بن أنس انتهى والحديث المذكور رواه النسائى والحاكم فى أوائل المستدرك من حديث ابن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن تضربوا أكباد الإبل فلا تجدوا عالما أعلم من عالم المدينة ثم قال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ﴿قلت﴾ إنما لم يخرجه مسلم لأنه سأل البخارى عنه فقال له علة وهى أن أبا الزبير لم يسمع من أبى صالح ولما روى النسائى فى السنن الكبرى هذا الحديث من رواية بن عيينة عن ابن جريج عن أبى الزناد عن أبى هريرة عقبه بقوله هذا خطأ والصواب عن أبى الزبير عن أبى صالح عن أبى هريرة وقيل عالم المدينة عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العمرى المدنى الزاهد روى عنه ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما وكان من أزهد أهل زمانه وأشدهم تخليا للعبادة وروى أن الرشيد قال والله إنى أريد الحج كل سنة ما يمنعنى من ذلك إلا رجل من ولد عمر رضى الله عنه يسمعنى ما أكره يعنى العمرى توفى العمرى سنة أربع وثمانين ومائة بعد مالك بنحو ست سنين وهو ابن ست وستين سنة قال عمر بن شبة حدثنا أبو يحيى الزهرى قال قال عبد الله ابن عبد العزيز العمرى عند موته بنعمة ربى أحدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمى لا يمنعنى من أخذها إلا أن أزيل قدمى عنها ما أزالتها وكتب العمرى إلى مالك وابن أبى ذئب وابن دينار وغيرهم يكتب أغلظ لهم فيها فجاوبه مالك جواب ففيه قال ابن عبد البر فى التمهيد كتب العمرى العابد إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل ويرغبه به عن الاجتماع عليه فى العلم فكتب إليه مالك إن الله عز وجل قسم الأعمال كما قسم الأرزاق فرب رجل فتح له فى الصلاة ولم يفتح له فى الصوم وآخر فتح له فى الصدقة ولم يفتح له فى الصيام وآخر فتح له فى الجهاد ولم يفتح له فى الصلاة ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فتح الله لى فيه من ذلك وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم الله له والسلام وفى الإحياء. فى الباب السادس من أبواب العلم يحكى أن يحيى بن يزيد النوفلى كتب إلى مالك بن أنس بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد فى الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغنى أنك تلبس الرقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطاء وتجعل على بابك حجابا وقد جلست بمجلس العلم وضربت إليك آباط المطى وارتحل إليك الناس فاتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه إلا الله والسلام * فكتب إليه مالك بن أنس بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام عليك أما بعد فقد

يعرض للملسوع توتر القضيب والنعوظ وقذف المنى من غير إرادة وأما المصرية فإنه يعرض للمسوعها صداع شديد وسبات ويعقبها الموت الوحى وذكر الأطباء أن دواء لسعتها رجيع الإنسان وقد لسعت الرتيلاء الجلال الريحانى صاحب أذربيجان فخافوا عليه الهلاك فأمر أزبك بن محمد وكان طبيباً عظيم المنظر أن يسقى رجيع الإنسان فقال الجلال إن كان ولا بد فهاتوا رجيع أيبك الأنابيلى وكان مملوكا مثل القمر فسقى منه وعوفى وعاش بعد ذلك مدة طويلة (زنبور) يشبه النحل فى أكثر حالاته وإذا جاء الشتاء يدخل بيته ولا يخرج حتى يعتدل الهواء ويصيد الذباب وإذا تعرض أحد

وصل إلىّ كتابك فوقع منى موقع النصيحة من المشفق أمتعك الله بالتقوى وجزاك وخولك بالنصيحة خيرا أسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وأما ماذكرت من أنى آكل الرقاق وألبس الرقاق وأجلس على الوطاء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى وقد قال سبحانه « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » وإنى لا علم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه فلا تدعنا من كتابك فإنا ليس ندعك من كتابنا والسلام * وفيه أيضا وروى أن الرشيد أعطاه ثلاثة آلاف دينار فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص إلى العراق قال لمالك ينبغى أن تخرج معنا فإنى عزمت أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل فإن أصحاب محمد ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند أهل كل مصر علم وقد قال ﷺ اختلاف أمتى رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال ﷺ المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال ﷺ المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعنى إنما تكلفنى الخروج معك ومفارقة المدينة بما اصطنعته لدىّ فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ وهذا يدل على زهده فى الدنيا رحمه الله تعالى * وفيه أيضا أن الشافعى رحمه الله قال شهدت مالكا رحمه الله وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى وهذا يدل على أنه كان يريد بعلمه وجه الله تعالى فإن من يريد غير وجه الله بعلمه لا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ولذلك قال الشافعى إذا ذكر العلماء فمالك البحر وما أحد أمن علىّ من مالك * وقيل إن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من سأله فروى عن ملأ من الناس ليس على مكره طلاق فضربه بالسياط فانظر كيف اختار ضرب السياط ولم يترك رواية الحديث * وفى الحلية أن الشافعى رحمه الله قال قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة عجبا فقلت لها وما هو قالت رأيت كأن قائلا يقول لى مات الليلة أعلم أهل الأرض قال الشافعى فحسبنا ذلك فإذا هى ليلة مات مالك بن أنس رحمه الله تعالى * وقال عبد الرحمن بن مهدى لا أقدم على مالك أحدا * وكان مالك يقول إذا لم يكن للإنسان فى نفسه خير لم يكن للناس فيه خير * وفى الحلية أيضا قال مالك ما بت ليلة إلا رأيت فيها رسول الله ﷺ انتهى * وكان مالك رحمه الله إماما عالما عابدا زاهدا ورعا عارفا بالله تعالى وكان مبالغا فى تعظيم علم الدين لا سيما حديث رسول الله ﷺ فإنه كان إذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال إنى أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وكان يقول العلم نور يجعله الله حيث شاء وليس هو بكثرة الرواية وقد مدحه بعض العلماء فقال :

يدع الكلام فلا يراجع هيبة * والسائلون نواكس الأذقان
سيما الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

توفى الإمام مالك رحمه الله تعالى فى سنة تسع وسبعين ومائة ﴿المعراج﴾ دابة عظيمة عجيبة مثل الأرنب صفراء اللون على رأسها قرن واحد أسود لم ير هاشىء من السباع والدواب إلا هرب ذكرها القزوينى فى جوائز البحار ﴿المعز﴾ بفتح الميم والعين المهملة وتسكينها لغتان نوع من الغنم خلاف الضأن وهى ذوات الشعور والأذناب القصار وهو اسم جنس وكذلك المعيز والأمعوز والمعزى وواحد المعز ماعز مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر والأنثى ماعزة والجمع مواعز وأمعز القوم

لبيتها تقوم كلها عليه وتلسعه ولا تكاد تتعرض لمن لا يقصدها فإذا ألقى فى الدهن يبقى كالميت فإذا رش عليه الخل يتحرك قالوا للشىء الذى يتخذ الزنابير منه بيوتها كالكاغد لم تعرف أى شىء هو ومن أى شىء أخذته فإذا أحست بمجىء الشتاء ذهبت إلى المواضع الدفئة وتنام فيها طول الشتاء كالميت ولا تجمع القوت للشتاء بخلاف النحل فإذا جاء الربيع وقد صارت من مقاساة البرد وعدم الغذاء كالخشب اليابس نفخ الله فى تلك الجثث الحياة فعاشت وخرجت وبنت البيوت وباضت وأخرجت أفراخها مثل العام الأول وذلك دأبها أبدا بتقدير العزيز العليم

كثرت معزاهم وكنيتها أم السخال وفى حديث على رضى الله عنه وأنتم تنفرون منه نفور المعزى من وعوعة الأسد أى صوته ووعوعة الناس ضجتهم * وروى البزار وابن قانع أن النبى ﷺ قال أحسنوا إلى المعزى وأميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة * وفى الحديث استوصوا بالمعزى خيرا فإنه مال رقيق وأنقوا عطنه أى نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغير ذلك وهى مع ذلك موصوفة بالحمق وتفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من ألية المعز زاد فى شحمه ولذلك قالوا ألية المعز فى بطنه ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقا غزر صوفه ولما خلق جلد المعز ثخينا قلل شعره فسبحان اللطيف الخبير (الخواص) لحمه يورث الهم والنسيان ويولد البلغم ويحرك السوداء لكنه نافع جدا لمن به الدماميل وقرن المعز الأبيض يسحق ويشد فى خرقة ويجعل تحت رأس النائم فإنه لا ينتبه ما دام تحت رأسه ومرارة التيس تخلط بمرارة البقر وتلطخ بها فتيلة وتجعل فى الأذن تزيل الطرش وتمنع نزول الماء وإذا اكتحل بمرارة التيس بعد نتف الشعر الذى فى باطن الجفن منع من أنباته ويمنع أيضا من الغشاوة اكتحالا ومن العشا ويقلع اللحمة الزائدة التى يقال لها التونة وينفع طلاء من الورم الذى يقال له داء الفيل وأكل مخه يورث الهم والنسيان ويحرك السوداء قال الرئيس ابن سينا بعر المعزى يحلل الخنازير بقوة فيه وإذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الفرج ويقطع النزيف ﴿ابن مقرض﴾ بضم الميم وكسر الراء وبالضاد المعجمة دويبة كحلاء اللون طويلة الظهر ذات قوائم أربع أصغر من الفأر تقتل الحمام وتقرض الثياب ولذلك قالوا ابن مقرض (الحكم) حكى الرافعى فى حله الوجهين فى ابن عرس وقال إنه الدلق قال فى المهمات الصحيح على ما يقتضيه كلام الرافعى الحل وقد وقعت المسألة فى الحاوى الصغير على الصواب فأباح ابن مقرض وحرم ابن عرس وقد تقدم فى باب الدال المهملة الكلام على الدلق مستوفى والله الموفق ﴿المقوقس﴾ طائر معروف مطوق سواد فى البياض كالحمام وهو لقب لجريج بن مينا القبطى ملك مصر وكان من قبل هرقل ويقال إن هرقل عزله لما رأى ميله إلى الإسلام وأهدى لرسول الله ﷺ فرسا يقال له لزاز وبغلته الدلدل وحمارا وغلاما خصيا اسمه مابور وقد ذكره ابن منده وأبو نعيم فى أصحاب رسول الله ﷺ غلطا فى ذلك فإنه لم يسلم ومات على نصرانيته ومنه فتح المسلمون مصر فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومابور المذكور كان ابن عم مارية القبطية وكان يأوى إليها فقال الناس علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبى ﷺ فبعث عليا ليقتله فقال يارسول الله أقتله أم أرى رأيى فيه فقال ﷺ بل ترى رأيك فيه فلما رأى الخصى عليا ورأى السيف فى يده تكشف فإذا هو مجبوب ممسوح فرجع على إلى النبى ﷺ وأخبره بذلك فقال ﷺ إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وروى مسلم فى آخر باب التوبة بعد حديث الإفك عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رجلا كان متهما بأم ولد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلى اذهب فاضرب عنقه فأتاه على فإذا هو على ركى يتبرد فيها فقال له على أخرج فناوله يده فأخرجه فإذا هو مجبوب ليس له ذكر فكف على عنه ثم أتى النبى ﷺ فقال يارسول الله إنه لمجبوب والذى رواه الطبرانى فى هذه القصة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ دخل على مارية القبطية أم ولده إبراهيم وهى حامل به فوجد عندها نسيبا لها كان قد قدم معها من مصر فأسلم وحسن إسلامه وكان يدخل عليها وأنه رضى من مكانه من أم ولد رسول الله ﷺ أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق لنفسه قليلا ولا كثيرا فدخل رسول الله

(سام أبرص) هو الوزغ الصغير الرأس الطويل الذنب قال يحيى ابن يعمر لأن أقتل مائة وزغة أحب إلى من أن أعتق مائة رقبة وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء زعموا أنها تشرب من المياه وتمج فى الإناء فينال الإنسان من ذلك مكروه عظيم قالوا إنها تشد على من به حمى الربع يبرأ وإن شدت على امرأة لا تحبل ويقتل سام أبرص ويلقى فى جحر الحيات تهرب جميعها وسام أبرص إذا تمكن من الملح تمرغ فيه فيصير مادة لتولد البرص ولا يدخل بيتنا فيه الزعفران ويسحق ويجعل على موضع النصل والشوك يخرجهما ويدق ويضمد به الثآليل

يوما على أم ولده إبراهيم فوجد قريبها عندها فوقع فى نفسه من ذلك شىء كما يقع فى أنفس الناس فرجع متغير اللون فلقى عمر رضى الله تعالى عنه فأخبره بما وقع فى نفسه من قريب أم إبراهيم فأخذ عمر رضى الله تعالى عنه السيف وأقبل يسعى حتى دخل على مارية فوجد قريبها ذلك عندها فأهوى إليه بالسيف ليقتله فلما رأى ذلك منه كشف عن نفسه فلما رأى ذلك عمر رضى الله تعالى عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك يا عمر أن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع فى نفسى وبشرنى أن فى بطنها غلاما منى وأنه أشبه الخلق بى وأمرنى أن أسميه إبراهيم وكنانى بأبى إبراهيم ولولا أنى أكره أن أحول كنيتى التى عرفت بها لتكنيت بأبى إبراهيم كما كنانى جبريل ثم مات الخصى فى زمن عمر فجمع الناس لشهود جنازته وصلى عليه عمر ودفن بالبقيع وأهدى المقوقس أيضا للنبى ﷺ قدحا من قوارير كان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وثيابا من قباطى مصر ومطرفا من مطرفاتهم وطرفا من طرفهم وألف مثقال ذهبا وعسلا من عسل بنها فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم العسل ودعا فى عسلها بالبركة ووصلت الهدايا إلى النبى صلى الله عليه وسلم سنة سبع وقيل سنة ثمان وهلك المقوقس فى ولاية عمرو بن العاص ودفن فى كنيسة أبى يحنس على نصرانيته وكان الرسول إليه من قبل النبى صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبى بلتعة رضى الله تعالى عنه الذى شهد الله له بالإيمان وكان حاطب عاقلا لبيبا حازما لا يخدع باع بعض أصحابه بيعة غبن فيها لغيبة حاطب فقال صفقة لم يحضرها حاطب فضرب ذلك مثلا فى شراء كل صفقة ربح بائعها قال حاطب لما بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس جئته بكتاب رسول الله ﷺ فأنزلنى فى منزله وأقمت عنده ليالى ثم بعث إلى وقد جمع بطارقته فقال إنى سأكلمك بكلام أحب أن تفهمه منى قال فقلت هلم فقال أخبرنى عن صاحبك أليس هو نبيا قال قلت بلى قال هو رسول الله قلت بلى هو رسول الله ﷺ قال فما باله حيث كان هكذا لم يدع على قومه لما أخرجوه من بلده إلى غيرها فقلت له فعيسى بن مريم أتشهد أنه رسول الله قال كذا قلت فما باله حيث أخذه قومه وأرادوا صلبه لم يدع عليهم بأن يهلكهم الله بل رفعه الله إليه فى سماء الدنيا قال أحسنت أنت حكيم من حكيم ﴿المكاء﴾ بضم الميم وبالمد والتشديد طائر يصوت فى الرياض يسمى مكاء لأنه يمكو أى يصفر كثيرا ووزنه فعال تخطاف والأصوات فى الأكثر تأتى عن فعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والرغاء والنباح والخوار ونحوه وجمعه المكاكى وهذا الطائر يصفر ويصوت كثيرا قال البلوى فى تفسير المكاء الصغير وهو اللغة اسم طائر أبيض يكون بالحجاز له صفير وقال ابن السكيت فى إصلاح المنطق يقال مكا الطائر ومكا الرجل يمكو مكوا إذا جمع يديه وصفر فيهما وكأنهم اشتقوا له هذا الاسم من الصياح وجمعه المكاكى والمكاء الصفير قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية أى صفيرا وتصفيقا وقال ابن قتيبة المكاء الصفير أى بالتخفيف والمكاء بالتشديد طائر يصفر فى الرياض ويمكو أى يصفر قال الشاعر :

إذا غرد المكاء فى غير روضه ٭ فويل لأهل الشاء والحمرات

قال البطليوسى فى الشرح إن المكاء إنما يألف الرياض فاذا غرد فى غير روضة فانما يكون ذلك لإفراط الجدب وعدم النبات وعند ذلك يهلك الشاء والحمير فالويل لمن لم يكن له مال غيرهما والحمرات فى البيت جمع حمر بضم الميم وحمر جمع حمار بمنزلة كتاب وكتب ويجوز أن يكون جمع حمير كقضيب وقضب وقولهم حمير ليس بجمع ولكنه اسم للجمع بمنزلة العبيد والكثيب

المسماوية يقلعها ويجفف ويسحق ويخلط بالزيت ينبت الشعر على القرع

(فصل فى خاصية أجزائه)

دمه عجيب فى فتق الصبيان ويطلى به لداء الثعلب والقرع ينبت الشعر كبده يسكن وجع الرأس شحمه يوضع على لسع العقرب ينفع نفعا بينا جلده يوضع على موضع الفتق يذهب

(سلحفاة) يقال لها بالفارسية كشف وهو حيوان برى بحرى قالوا إذا خيف على زرع أو بستان من البرد تؤخذ سلحفاة وتلقى على ظهرها بحيث تبقى رجلاها شائلة نحو السماء فإن البرد لا يضر بذلك الموضع وتؤخذ سلحفاة كبيرة برية ويخرج حشوها ويجعل الصبر فى جوفها مكان الحشو

قال ابن عطية والذى مربى من أمر العرب فى غير ما ديوان أن المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الإسلام على جهة التقرب به والتشرع قال ورأيت عن بعض أقوياء العرب أنه كان يمكو على الصفا فيسمع من حراء وبينها أربعة أميال انتهى وكذلك كان مخرمة بن قيس بن عمر صاف يصفر عند البيت فيسمع من حراء وكان قبل مولد النبى ﷺ عام الفيل وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون ، قال القزوينى المكاء من طير البادية يتخذ أخوصا عجيبا وبينه وبين الحية عداوة فإن الحية تأكل بيضه وفراخه وحدث هشام بن سالم أن حية أكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر أى يرفرف على رأسها ويدنو منها حتى إذا فتحت فاها ألقى فى فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت ﴿المكلفة﴾ طائر قال الجاحظ لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتلقى واحداً منها فيأخذه هذا الطائر الذى يتكلف به قيل له المكلفة ويسمى بكاسر العظام فيربيه كما تقدم اه واختلفوا فى سبب فعل العقاب ذلك فقال بعضهم لأنها لا تحضن إلا بيضتين وقال بعضهم بل تحضن الثلاثة لكنها ترمى بفرخ من فراخها استثقالا للكسب على الثلاثة وقال الآخرون ليس كذلك إلا لما يعتريها من الضعف عن الصيد كما يعترى النفساء من الوهن وقيل لأنها سيئة الخلق كما تقدم ولا يستعان على تربية الولد إلا بالصبر وقيل لأنها كثيرة الشره وإذا لم تكن أم الفراخ تؤثر أولادها على نفسها ضاعت أولادها قال هؤلاء والفرخ الذى ترمى به العقاب من الثلاثة يحضنه طائر يقال له المكلفة ويسمونه كاسر العظام أيضا فيربيه كما تقدم والله تعالى أعلم ﴿الملكة﴾ كالسمكة حية طولها شبر أو أكثر على رأسها خطوط بيض تشبه التاج فإذا انسابت على الأرض أحرقت كل شىء مرت عليه وإن طار طائر فوقها سقط عليها وإذا بدت تنساب هرب من بين يديها جميع الدواب ومن أكل تلك الحية من السباع أو غيرها مات وهى قليلة الظهور للناس (ومن خواصها الغريبة) أن من قتلها فقد حاسة الشم فى الحال ولا يمكن بعد ذلك علاجه ﴿المنارة﴾ سمكة تخرج من البحر على شكل المنارة فترمى بنفسها على السفينة فتكسرها وتغرق أهلها فإذا أحس الناس بها ضربوا بالطسوس والبوقات لتبعد عنهم وهى محنة عظيمة فى البحر قاله أبو حامد الأندلسى ﴿المنخنقة﴾ هى البهيمة المأكولة تنخنق بحبل حتى تموت وكانت العرب تفعله حرصا على الدم لأن العرب كانوا يأكلون الدم ويسمونه الفصيد ويقولون إن اللحم دم جامد فحرم الله تعالى المنخنقة لما ينحبس فيها من الدم قال الرافعى ويستثنى من المنخنقة الجنين فإنه مات بقطع النفس عنه وهو حلال ﴿فرع﴾ لو ذبح بهيمة وقطع أوداجها ثم خنقها ومنع خروج الدم حتى ماتت بقطع النفس فيحتمل حلها لأنها لما قطعت أوداجها حصلت الذكاة الشرعية ولا أثر لحبس الدم كما لا أثر له فى مصيد الجوارح إذا مات الصيد بالمثقل ولم تدرك ذكاته أو رماه بسهم فمات فإنه حلال وإن انحبس فيه الدم ويحتمل التحريم وهو ما أجاب به شيخنا الإسنوى رحمه الله تعالى لأن الحكمة فى الذكاة خروج الدم ولم يوجد فأشبهت المنخنقة وبالقياس على ما لو خنقها أو لا ثم أسرع فقطع الأوداج والحياة مستقرة ثم ماتت بقطع النفس والفرق بين هذا وبين مصيد الجوارح أن الذبح هناك غير مقدور عليه فانتفت حكمته لعدم القدرة عليه والقدرة ههنا موجودة فافترق البابان ولأنا لو قلنا بحلها لم يكن لتحريم الخلق معنى لأنه يمكن التوصل إليه بهذا الطريق والله أعلم ﴿المنشار﴾ سمكة فى بحر الزنج كالجبل العظيم من رأسها إلى ذنبها مثل أسنان المنشار من عظام سود كالآبنوس كل سن منها كالذراعين وعند رأسها

وعلقت على المصروع يزول صرعه (فصل فى خاصية جزائه) زعموا أن كل عضو يتألم من الإنسان يشد عليه مثل ذلك العضو من السلحفاة يسكن ألمه مرارتها يسعط بها صاحب الصرع ينفعه ويستعمل لطوخا للخناق ومنها ما ينفع من الصرع نشوقا وهو جيد لهش الهوام وإذا جعلت غطاء للقدر لا يغلى ولو أوقدت تحتها حطبا كثيرا رجلها تشد على صاحب النقرس يزول وجعه اليمين على اليمين واليسرى على اليسرى بيضها نافع لسعال الصبيان والصرع أيضا (صرصر) هو بنت وردان قال ابن سينا إنه مع قردمانا نافع من البواسير والنافض وسموم الهوام يحرق ويسحق

عظمان طويلان كل عظم مقدار عشرة اذرع تضرب بالعظمين ماء البحر يمينا وشمالا فيسمع له صوت هائل ويخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء ثم يعود إلى المركب رشاشه كالمطر وإذا دخلت تحت سفينة كسرتها فإذا رآها أهل السفن ضجوا إلى الله تعالى حتى يدفعها عنهم كذا ذكره فى عجائب المخلوقات وهى داخلة فى عموم السمك والله أعلم ﴿الموقوذة﴾ قال الزجاج هى التى تقتل ضربا يقال وقذتها أقذها وقذا وأوقذتها أوقذها إيقاذا إذا أثخنتها ضربا انتهى قال الفرزدق يهجو جريرا :

كم عمة لك ياجرير وخالة * فدعاء قد حلبت على عشارى
سعارة تقذ الفصيل برجلها * فطارة لفوادم الأبكار

قوله فدعاء هى التى أصابها الفدع وهو ورم فى القدم والعشار النوق واحدها عشراء وهى التى مضى عليها تسعة أشهر وطعنت فى العاشر وهى حامل وقوله تقذ الفصيل أى تضربه إذا دنا منها عند الحلب وفطارة مأخوذ من الفطر وهو الحلب بأطراف الأصابع فإن كان بجميع الأصابع فهو الصب وهو إنما يكون فى الكبار من النوق وأما الصغار من النوق فإنما تحلب بأطراف الأصابع لصغر ضروعها وفى معنى الموقوذة مايرمى من الطير بالسهام التى لا نصل لها أو بحجر ونحوه فتموت وقد سئل بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن الطير يموت بالبندقة فقال هو وقيذ ﴿قلت﴾ الظاهر عدم جواز رمى الطير بالبندق إذا علم أنه يقتل غالبا وكذلك الطومار والحجر لانه من باب إتلاف الحيوان لغير منفعة والله تعالى أعلم ﴿الموق﴾ بالضم نمل له أجنحة وسيأتى إن شاء الله تعالى مافى النمل فى باب النون ﴿المول﴾ العنكبوت الواحدة مولة وأنشدوا

حاملة ذلول لا يحموله * ملأى من الماء كعين المولة

﴿المها﴾ بالفتح جمع مهاة وهى البقرة الوحشية والجمع مهوات وقيل المها نوع من البقر الوحشى إذا حملت الأنثى من المها هربت من البقر ومن طبعها الشبق والذكر لفرط شهوته يركب ذكرا آخر وهى أشبه شىء بالمعز الاهلية وقرونها صلاب جدا وبها يضرب المثل فى سمن المرأة وجمالها قال الشاعر

خليلى إن قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها
سها وهو مشغول لعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السهاسها
بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * إذا برزت لم تبق يوما بها بها
لها مقلة نجلاء كحلاء خلقة * كأن أباها الظبى أو أمها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

﴿فائدة﴾ روى الطبرانى فى معجمه الكبير بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبى قبيس كأنه مهاة بيضاء فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد ابراهيم ﷺ وروى فى الأوسط والكبير أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال الحجر الأسود من حجارة الجنة ومافى الأرض من الجنة غيره وكان أبيض كالمهاة ولولا مامسه من رجس الجاهلية مامسه ذو عاهة إلا برئ وفى إسناده محمد بن أبى ليلى وفيه كلام وروى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يطوف بالبيت إذ هو برجل يطوف وعلى عنقه مثل المهاة يعنى حسنا وجمالا وهو يقول :

عدت لهذى جملا ذلولا * موطأ أتبع السهولا

ويضاف إلى الأثمد ويكتحل به يحد البصر ومع مرارة البقر ينفع من ظلمة العين اكتحالا (صناجة) حيوان لا يقبل وصفه كثير مالم يره قالوا ليس شىء من حيوانات الأرض أكبر من صناجة قالوا يوجد بأرض التبت يتخذ بيتا لنفسه قرب فرسخ (ومن خواصه) أن نظره إذا وقع على حيوان مات ذلك الحيوان وإذا وقع نظر شىء من الحيوان عليه تموت الصناجة أيضا ثم إن الحيوانات عرفت ذلك فى تلك البلاد فتعرض نفسها على الصناجة غامضة عينها ليقع نظر الصناجة عليها فتموت فتبقى طعمة للحيوانات زمنا طويلا والله أعلم (ضب) يقال له بالفارسية سوسمار وهو حيوان كيس إلا أنه كثير

أعدها بالكف أن تميلا أحذر أن تسقط أو تزولا
أرجو بذاك نائلا جزيلا

فقال له عمر رضى الله تعالى عنه يا عبد الله من هذه التى وهبت لها حجك قال امرأتى ياأمير المؤمنين وأنها لحمقاء مرغامة أكول قمامة لا تبقى لها خامة فقال رضى الله تعالى عنه مالك لاتطلقها قال ياأمير المؤمنين إنها لحسناء لاتفرك وأم صبيان لاتترك قال فشأنك بها (وحكى) الإمام أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء قال قعد رجل على جسر بغداد فأقبلت امرأة من جهة الرصافة إلى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وماوقفا ومرا مشرقا ومغربا قال فتبعت المرأة وقلت لها إن لم تقولى لى ما قلتما فضحتك فقالت أراد قول على بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدرى ولاأدرى

وأردت أنا قول أبى العلاء المعرى :

فيادارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركنها وانصرفت * وقد تقدم حكمها وأمثالها فى باب الباء الموحدة فى الكلام على البقر الوحشى (الخواص) مخها يطعم لصاحب القولنج ينفعه نفعا بينا ومن استصحب معه شعبة من قرن المهاة نفرت منه السباع وإذا بخر بقرنه أو جلده فى بيت نفرت منه الحيات ورماد قرنه يذر على اللسن المتأكلة يسكن وجعها وشعره إذا بخر به البيت هرب منه الفأر والخنافس وإذا أحرق قرنه وجعل فى طعام صاحب الحمى الربع فإنها تزول عنه بإذن الله تعالى وإذا شرب فى شىء من الأشربة زادفى الباه وقوى العصب وزاد فى الإنعاظ وإذا نفخ فى أنف الراعف قطع دمه وإذا أحرق قرناه حتى يصيرا رمادا وديفا بخل وطلى به موضع البرص مستقبل الشمس فإنه يزول بإذن الله تعالى وإذا استف منه مقدار مثقال فإنه لايخاصم أحدا إلا غلبه (التعبير) المهاة فى الرؤيا رجل رئيس كثير العبادة معتزل عن الناس ومن رأى عين المهاة نال رياسة أو امرأة سمينة جميلة قصيرة العمر ومن رأى رأسه تحول كرأس مهاة نال رياسة وغنيمة وولاية على ناس غرماء ومن رأى كأنه مهاة فإنه يعتزل الجماعة ويدخل فى بدعة والله الموفق (المهر) ولد الفرس والجمع أمهار ومهار ومهارة والأنثى مهرة بالضم والجمع مهر ومهرات قال الربيع بن زياد العبسى:

ومجنبات ما يذقن عذوفا يقذفن بالمهرات والأمهار

وقد أحسن مهيار الديلمى فى وصف المهرة حيث قال:

قال لى العاذل تسلو قلت مه إن أسباب هواها محكمه
مهرة تسمع فى السرج لها تحت من يعلو عليها حمحمه

وقيل لبعض الحكماء أىّ المال أشرف قال فرس يتبعها فرس فى بطنها فرس وقال الجوهرى فى الحديث خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة أى كثيرة النتاج والنسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة ومعنى الكلام خير المال نتاج أو زرع وملخص هذا أن الجوهرى رحمه الله جعله فى موضع حديثا وفى موضع من كلام الناس كذا قاله الإمام الحافظ شرف الدين الدمياطى فى كتاب الخيل فى آخر الباب الأول ﴿قلت﴾ وهذا عجيب من الجوهرى مع سعة حفظه وغزارة علمه والصواب أنه حديث رواه أحمد والطبرانى والله أعلم ﴿إشارة﴾ كان أبو عبد الله محمد بن حسان اليسرى من الأولياء ذوى الكرامات الظاهرة والأحوال

النسيان ومن كيسه أنه لايتخذ البيت إلا فى موضع صلب لئلا ينهال عليه من حوافر الدواب ولما علم أنه ينسى لم يتخذ البيت إلا عند أكمة أو صخرة عظيمة أو شجرة يستدل بها على بيته إذا غاب وتباعد عنه وإذا أرادت أن تبيض حفرت فى الأرض حفرة وترمى فيها ثمانين بيضة وتدفنها فى التراب وبيضها مثل بيض الحمام وتدعها أربعين يوما ثم يأتى والحسول قد خرجت منها يتعادون فيأكل منها ما قدر عليه وإذا لسعتها العقرب أكلت من حشيشة تسمى آذان الفار يزول عنها اللسع وإذا جاعت تتعرض للنسيم وتعيش به ويكون ذلك غذاءها قال إذا خرج ضب من بين رجلى الإنسان لايقدر على مباشرة النساء وقيل ينتفخ ذلك الإنسان

الباهرة وأنه خرج للغزاة فبينما هو فى فلاة من الأرض إذ مات مهره الذى كان يركبه فقال اللهم أعرنا إياه فقام المهر حيا بإذن الله تعالى فلما وصل إلى بسر أخذ السرج عنه فسقط ميتا وكان رحمه الله إذا كان شهر رمضان دخل بيتا وقال لامرأته طينى على الباب وألقى إلى كل ليلة رغيفا من الكوة فإذا كان يوم العيد فتحت الباب ودخلت فتجد الثلاثين رغيفا فى زاوية البيت فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام رضى الله تعالى عنه وفى الأنساب لابن السمعانى أن أبا عبد الله المذكور منسوب إلى بصرى قرية من قرى الشام فأبدلت الصاد سينا على قياس قولهم فى السويق الصويق والسراط الصراط انتهى وقال الأثير هذا كله خطأ فى النقل والنحو أما النقل فإنه منسوب إلى بسر قرية معروفة وأما النحو فابدال الصاد سينا ليس على إطلاقه إنما ذلك مع حروف معلومة وقد ذكره الحافظ أبو القاسم بن عطاء الدمشقى فى تاريخ دمشق وقال إنه من قرية بسر وهذا هو الصواب والله تعالى أعلم ﴿قلت﴾ والحروف التى تبدل معها السين صادا هى الحاء والطاء والعين والقاف بشرط أن تكون السين متقدمة وأحد هذه الحروف متأخرا والله تعالى أعلم ﴿ملاعب ظله﴾ القرلى المتقدم ذكره فى باب القاف وربما قيل له خاطف ظله قال الكميت :

وريطة فتيان تخاطف ظله جعلت لهم منها خباء ممددا

كذا قاله الجوهرى قال قال ابن سلمة هو طائر يقال له الرفراف إذا رأى ظله فى الماء أقبل إليه ليخطفه ﴿أبو مزينة﴾ سمك فى البحر على صورة الرجال يقال إنهم يظهرون بالإسكندية والبرلس ورشيد على صورة بنى آدم بجلود لزجة وأجساد متشاكلة لهم بكاء وعويل إذا وقعت فى أيدى الناس وذلك أنهم ربما برزوا من البحر إلى البر يتمشون فيقع بهم الصيادون فإذا بكوا رحموهم وأطلقوهم كذا ذكره القزوينى ﴿ابنة المطر﴾ قال فى المرصع إنها دويبة حمراء تظهر عقب المطر فإذا نضب الثرى عنها ماتت ﴿أبو المليح﴾ الصقر وحكمه تقدم فى باب الصاد المهملة ﴿ابن ماء﴾ قال فى المرصع أنه نوع من طير الماء ويجمع على نبات ماء فإذا عرفته قلت ابن الماء بخلاف ابن عرس وابن آوى لأنه لا يقع على أنواع من طير الماء ويطلق على كل ما يألف الماء من أجناس الطير وذلك يدل كل واحد منها على جنس مخصوص والله أعلم

## ﴿باب النون﴾

﴿الناب﴾ المسنة من النوق والجمع النيب وفى المثل لا أفعل ذلك ما حنت النيب سميت بذلك لطول نابها ولا يقال للجمل ناب وناب القوم سيدهم قال الجوهرى ﴿الناس﴾ جمع إنسان قال الجوهرى والناس قد يكون من الإنس والجن وقال كثير من المفسرين فى قوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس معناه أعجب من خلق المسيح الدجال ولم يذكر المسيح الدجال فى القرآن إلا فى هذه الآية على هذا القول وقيل ذكر فى قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك والمشهور أنه طلوع الشمس من مغربها ﴿فرع﴾ حلف لا يكلم الناس حنث إذا كلم واحدا كما لو قال لا آكل الخبز فإنه يحنث بما أكل منه ولو حلف لا يكلم ناسا حمل على ثلاثة كذا صرح بها الشيخان وفاقا لابن الصباغ وغيره وقال الماوردى والرويانى إذا حلف على معدود فى نفى أو إثبات كالنساء والمساكين فإن كانت يمينه على الإثبات كقوله لأكلمن الناس ولأتصدقن على المساكين لم يبر إلا بثلاثة اعتبارا بأقل الجمع وإن كانت يمينه على النفى

﴿فصل فى خاصية أجزائه﴾ إذا سقى إنسان عينه بماء السذاب يقطع عنه مادة المنى وينقصه قلبه من أكله يذهب عنه الحزن والخفقان طحاله من أكله يمنع عنه وجع الطحال ويأمن منه أبدا دمه يطلى به الكلف مع البورق يزيله ويصفى لون الوجه لحمه ينفع من الأمراض المزمنة مقليا ويزيد فى ضوء البصر ويقوى البدن ويعين على الباه شحمه يذاب ويطلى به القضيب يقوى شهوة الباه ومن أكل منه لا يعطش زمانا طويلا خصيته من استصحبها تحبه الخدم محبة شديدة كعبه يشد على وجه الفرس لا يسبقه شىء من الخيل عند المسابقة جلده يتخذ على نصاب سيف

كقوله لا أكلم الناس حنث بالواحد اعتبارا بأقل العدد وهو واحد والفرق أن نفى الجمع ممكن وإثبات الجمع متعذر فاعتبر أقل الجمع فى الإثبات وأقل العدد فى النفى والله تعالى أعلم ﴿الناضح﴾ البعير الذى يستقى عليه سمى بذلك لأنه ينضح الماء أى يصبه والأنثى ناضحة وسانية والجمع نواضح روى مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أو عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه شك الأعمش قال لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال صلى الله عليه وسلم افعلوا فقال عمر رضى الله تعالى عنه يارسول الله إن فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل فى ذلك غنى فقال ﷺ نعم فدعا صلى الله عليه وسلم بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة ويجىء الآخر بكف تمر ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع شىء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا فى أوعيتكم فأخذوا فى أوعيتهم حتى ماتركوا فى العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وروى الحافظ أبو نعيم من طريق غيلان بن سلمة الثقفى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره فرأينا منه عجبا جاء رجل فقال يارسول الله إنه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فمنعانى أنفسهما وحائطى وما فيه ولا أقدر على الدنو منهما فنهض رسول الله ﷺ وأصحابه حتى أتى الحائط فقال لصاحبه افتح الباب فقال إن أمرهما عظيم فقال صلى الله عليه وسلم افتح الباب فلما حرك الباب أقبلا ولهما جلبة فلما انفرج الباب نظرا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبركا ثم سجدا فأخذ رسول الله ﷺ برؤسهما ثم دفعهما إلى صاحبهما وقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم تسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا فى السجود لك فقال صلى الله عليه وسلم إن السجود ليس إلا للحى الذى لا يموت ولو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وروى الحافظ أبو نعيم الأصبهانى وأبو بكر البيهقى من حديث يعلى بن مرة قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مررنا بناضح يستقى عليه فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه وخطامه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أين صاحب هذا فجاءه فقال ﷺ بعنيه فقال بل نهبه لك وأنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره فقال ﷺ إنه شكا إلىّ كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه وذكر نحوه الحاكم فى المستدرك من طريق يعلى وقال صحيح ولم يخرجاه وفى رواية أنه جاء وعيناه تذرفان وفى رواية أنه سجد للنبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية أنه ﷺ قال أتدرون مايقول زعم أنه خدم مواليه أربعين سنة وفى رواية عشرين سنة حتى كبر فنقصوا من علفه وزادوا فى عمله حتى إذا كان لهم غرض أرادوا أن ينحروه غدا وفى رواية يعلى فى طريق مكة وفى رواية أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لأصحابه لا تنحروه وأحسنوا إليه حتى يأتى أجله ﴿الناقة﴾ الأنثى من الإبل قال الجوهرى الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لأنها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع إلا على ذلك وقد جمعت فى القلة على أنوق ثم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاها يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق ثم جمعوها على أيانق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار إلا أن الواو صارت ياء لكسرة ماقبلها وأنشد أبو زيد للفلاح بن حزن

يشجع صاحبه ويتخذ ظرفا للعسل من لعق منه تهيج شهوته ويورث إنعاظا شديدا بعره ينفع من البرص والكلف والحزازة طلاء ومن بياض العين اكتحالا ومن نزول الماء أيضا والأعراب يداوون به وجع الظهر (ظربان) دويبة كالهرة منتنة الريح ليس فى الدنيا نتن أشد من نتنها لو شمت الإبل رائحتها فى منامها شردت ونفرت بحيث يصعب جمعها ولو فست على ثوب لا يزول عنه الرائحة إلى أن يبلى ولو غسل خمسين مرة وهو عدو الضب قال الجاحظ إذا أراد الظربان أكل الضب وحسولها يدخل جحر الضب مستدبرا ويلتمس أضيق موضع فيه حتى يحول بينها

أبعدكن الله من نياق * إن لم تنجين من الوثاق

وبعير منوق أى مذلل مروض وناقة منوقة اه وكنية الناقة أم بو وأم حائل وأم حوار وأم السقب وأم مسعود ويقال لها بنت الفحل وبنت الفلاة وبنت النجائب روى الإمام أحمد ورجاله رجال الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان النبى ﷺ يسير فى سفر فلعن رجل ناقة فقال ﷺ أين صاحب هذه الناقة فقال الرجل أنا فقال ﷺ أخرها فقد أجبت فيها * وروى مسلم وأبو داود والنسائى عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه قال بينما النبى ﷺ فى بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فلعنتها فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة قال عمران فكأنى أراها الآن ورقاء تمشى فى الناس مايعرض لها أحد وفى رواية لاتصحبنا ناقة عليها لعنة الله قال ابن حبان إنما أمر ﷺ بإرسالها لأنه عليه الصلاة والسلام تحقق إجابة الدعوة فيها فتى علم استجابة الدعاء من لا عن ما أمرناه بإرسال دابته ولا سبيل إلى علم هذا لانقطاع الوحى فلا يجوز استعمال هذا الفعل لأحد أبدا وقيل إنما قال ﷺ هذا زجرا لها ولغيرها وقد كان سبق نهيها ونهى غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة والمراد النهى عن مصاحبته لتلك الناقة فى الطريق وأما بيعها وذبحها وركوبها فى غير تلك الطريق وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا فهى باقية على الجواز لأن النهى إنما ورد فى المصاحبة فيبقى الباقى كما كان والورقاء بالمد التى يخالط بياضها سواد والذكر أورق وقد ورد فى النهى عن اللعن أحاديث منها ماروى مسلم فى صحيحه عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وفيه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا وفى رواية الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذى * وفى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها فتهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن فإن كان أهلا لذلك نزلت عليه وإلا رجعت إلى قائلها * وفى شعب البيهقى أن عبد الله بن أبى الهذيل كان إذا لعن شاة لم يشرب من لبنها وإذا لعن دجاجة لم يأكل من بيضها ﴿فائدة﴾ وأما قوله تعالى « ناقة الله » فهو إضافة خلق إلى خالق تشريفا وتخصيصا قيل إن صالحا عليه الصلاة والسلام أتى بالناقة من قبل نفسه وقال الجمهور بل سألوه أن يدعو ربه أن يخرج لهم آية من صخرة يقال لها الكاثبة ناقة عشراء فدعا الله فانشقت عن ناقة عظيمة يروى أنها كانت حاملا فولدت وهم ينظرون إليها سقبا قدرها فعقرها قدار بن سالف وهو أشقى الأولين تعاطى فعقر أى قال على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه فضربها روى أن سيد ثمود جندع بن عمرو قال ياصالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء فصلى صالح ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت فانصدعت عن ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها عظما إلا الله تعالى وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثالها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه فقال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فإذا كان يوم شربها وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر

وبين النسيم ثم يفسو عليه فلا يتجاوز ثلاث فسوات حتى يغشى على الضب فيأكلها بحسو لها (عقرب) أخبث الهوام العقارب بلدغ كل شىء يلقاه عينها على بطنها وولدها يخرج من ظهرها فإذا ولدت ماتت وإذا لسعت هربت ولا تقف والعقرب إذا خرجت من بيتها أول الليل ولها نشاط أى شىء لقيته ضربته قال بعضهم لقيت العقرب فقمتها فضربته بإبرتها فسال منه الماء والعقرب إذا لقيت الحية لدغتها والحية تسعى فى طلبها فإن وجدتها أكلتها تبرأ وإن لم تجدها تموت الحية والعقرب إذا لدغت يمسح مكان لدغها برطوبتها يسكن ألمها فى الحال وتجعل العقرب فى خمارة مسدودة الرأس

الناقة لا ترفع رأسها حتى تشرب كل ما فيها فلا يدع فيها قطرة ثم ترفع رأسها فتتفجج لهم فيحلبون منها ما شاؤا من لبن فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذى وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث جاءت فإذا كان يومهم فيشربون من الماء ما شاؤا ويدخرون ما شاؤا فهم من ذلك فى بر ودعة وكانت الناقة تصيف إذ كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى إلى بطن الوادى فى حره وجدبه وتشتوا إذا كان الشتاء ببطن الوادى فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فعقرها قدار بن سالف وهو أشقى الأولين وكان أحمر أزرق قصيرا ملتزق الخلق واسم أمه قديرة روى أنه ولد على فراش سالف ولم يكن من ظهره فدعته امرأة يقال لها عنيزة كانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من إبل وبقر وغنم وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه فقالت له أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة فانطلق قدار فكمن لها فى أصل شجرة على طريقها فلما مرت به شد عليها بالسيف فعقرها فذلك قوله تعالى فتعاطى فعقر أى قام على أطراف أصابع رجليه ثم رفع يديه فضربها فجرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقبها فانطلق السقب حتى أتى جبلا منيعا يقال له صنو وأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون إليه ويقولون له يا نبى الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول فى السماء حتى ما يناله الطير * وقدار بضم القاف ثم دال مهملة مخففة ثم ألف ثم راء مهملة هكذا ذكره جميع أهل التواريخ وغيرهم ووقع فى المهذب فى باب الهدنة أن اسمه العيزار بن سالف وهو وهم بلا خلاف وكان عقر الناقة يوم الأربعاء فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وكان عليه الصلاة والسلام قد أخبرهم بذلك وخرج هاربا منهم فشغلهم عنه ما نزل بهم من عذاب الله فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا يوم الجمعة إذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدماء فلما أمسوا وصاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل فلما أصبحوا يوم السبت إذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى الأجل وحضركم العذاب فلما كان يوم الأحد لما اشتد الضحى أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شىء له صوت يصوت به فى الأرض فقطعت قلوبهم فى صدورهم فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وكان الذى آمن بصالح عليه الصلاة والسلام من ثمود أربعة آلاف فخرج بهم صالح إلى حضرموت فلما حضرها صالح مات فسميت حضرموت ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حضور كذا قاله محمد بن إسحق ووهب وجماعة وقال قوم من أهل العلم توفى صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام فى قومه عشرين سنة وروى أحمد والطبرانى والبزار بإسناد صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا تسألوا نبيكم الآيات فإن قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لكم آية فبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروا الناقة فقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام أو قيل لهم أن العذاب يأتيكم إلى ثلاثة أيام ثم جاءتهم الصيحة فأهلكت من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله تعالى فمنعه من عذاب الله عز وجل قالوا يا رسول الله من هو قال أبو رغال قيل ومن أبو رغال قال حد ثقيف وفى رواية فلما خرج أصابه

وتترك فى تنور مسجر حتى تصير رمادا ويسقى من ذلك من به حصاة المثانة تفتتها والعقرب إذا لسعت صاحب الحمى العقيقة تقلع عنه الحمى وإذا لدغت المعلوج يزول عنه الفالج وإذا حرقت عقرب ودخن بها البيت لم يبق فى البيت عقرب إلا هلك أو هرب ويشق بطنها ويوضع على موضع اللسعة فإنه ينفع فى الحال وإذا أخذت عقربا كبيرا أسود وجففتها وعجنتها بالخل وطلى به البرص أزاله ورماده يذاب بدهن ويطلى به ينبت الشعر (عنكبوت) ﴿فائدة﴾ نسج العنكبوت على ثلاثة مواضع على غار النبى صلى الله عليه وسلم وعلى غار عبد الله لما بعثه

ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم ﷺ قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا ذلك الغصن * وروى الطبراني عن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشقى الناس ثلاثة عاقر ناقة ثمود وابن آدم الأول الذي قتل أخاه ما سفك على الأرض دم إلا لحقه منه إثم لأنه أول من سن القتل وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجبنا منها واستقينا فأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت ترد الناقة وفي رواية جابر أنه ﷺ قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم مثل ما أصابهم * وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله تعالى فقال له ﷺ لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة مخطومة * وروى أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم عن أبي بن كعب قال بعثني رسول الله ﷺ عاملا فمررت برجل فلما جمع لي ماله لم أجد عليه فيه إلا ابنة مخاض فقلت له أد ابنة مخاض فإنها صدقتك فقال ذاك ما لا لبن فيه ولا ظهر ولكن هذه ناقة فتية سمينة فخذها فامتنع أبي بن كعب وترافعا إلى رسول الله ﷺ فقال له ذاك الذي عليك فإن تطوعت بخير أجرك الله فيه وقبلناه منك قال هاهي يا رسول الله قد جئتك بها فخذها فأمره رسول الله ﷺ بقبضها ودعا له في ماله بالبركة * وفي كامل بن عدي وسنن البيهقي وشعب الإيمان عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال إن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل أم أعقلها وأتوكل فقال ﷺ بل أعقلها وتوكل . وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال إن رجلا ادعى عليه عند النبي ﷺ بسرقة ناقة فقال ما سرقتها فقال ﷺ احلف فقال والله الذي لا إله إلا هو ما سرقتها فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال إنه سرقها ولكن غفر الله له كذبه بصدقه بلا إله إلا هو فقال له النبي ﷺ أخذتها فردها إليه فردها إليه وفي رواية قال له النبي ﷺ إن الله غفر لك كذبك بصدقك بلا إله إلا الله . وروى الحاكم عن النعمان بن سعد قال كنا جلوسا عند علي رضي الله تعالى عنه فقرأ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا فقال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يساقون سوقا ولكن يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثلها رحالها الذهب وأزمتها الزبرجد فيقعدون عليها فيقرعوا باب الجنة ثم قال صحيح الإسناد . وروى الحاكم أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ دخل أعرابي جهوري الصوت بدوي على ناقة حمراء فأناخها بباب المسجد ودخل فسلم على النبي ﷺ ثم قعد فلما قضى نحبه قالوا يا رسول الله إن الناقة التي تحت الأعرابي سرقة قال ﷺ ثم بينة قالوا نعم يا رسول الله فقال ﷺ يا علي خذ حق الله من الأعرابي إن قامت عليه البينة وإن لم تقم فرده إلي فأطرق الأعرابي ساعة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قم يا أعرابي لأمر الله وإلا فأدل بحجتك فقالت الناقة من خلف الباب والذي بعثك بالحق والكرامة يا رسول الله إن هذا ما سرقني وما ملكني أحد سواه فقال النبي ﷺ يا أعرابي

النبي ﷺ لخالد الهمداني فقتله وحمل رأسه ودخل في غار خوفا من أهله ونسخ على زيد بن زين العابدين ابن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين لما صلب عريانا وقيل إنها نسجت مرتين على نبيين على داود حين كان يطلبه جالوت وعلى النبي ﷺ في الغار والعنكبوت أصنافه كثيرة لكل صنف فعل عجيب منها الطويلة الأرجل فإنها لما عرفت ضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد أعدت للصيد مصايد وحبالا من الخيوط فعمدت إلى فرجة بين حائطين متقاربتين وتلقى لعابها الذي هو خيطها ليلصق به ثم يعدو إلى الجانب

بالذى اعطفها بعدرك ما الذى قلت قال قلت اللهم إنك لست برب استحدثناك ولا معك إله أعانك على خلقنا ولا معك رب فنشك فى ربوبيتك أنت ربنا كما تقول وفوق ما يقول القائلون أسألك أن تصلى على محمد وأن ترينى براءتى فقال له النبى ﷺ والذى بعثنى بالكرامة يا أعرابى لقد رأيت الملائكة يبتدرون أفواه الأزقة يكتبون مقالتك فأكثر الصلاة على ثم قال الحاكم رواته ثقات لكن فيهم يحيى بن عبد الله المصرى لست أعرفه بعدالة ولا جرح وقد تقدم فى البعير حديث رواه الطبرانى قريب من هذا * وفى المستدرك أيضا فى ترجمة صهيب رضى الله عنه عن كعب الأحبار عن صهيب بن سنان قال كان النبى ﷺ يدعو اللهم إنك لست بإله استحدثناه ولا برب ابتدعناه ولا كان لنا قبلك من إله نلجأ إليه ونذرك ولا أعانك على خلقنا أحد فنشركه معك تباركت وتعاليت قال كعب الأحبار كان نبى الله ﷺ يدعو به ثم قال صحيح الإسناد * وفى المستدرك أيضا من حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ نزل بأعرابى فأكرمه فقال له النبى ﷺ يا أعرابى سل حاجتك فقال يا نبى الله ناقة نرحلها وأعنزا يحلبها أهلى فقال ﷺ اعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل قالوا يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل قال ﷺ إن بنى إسرائيل خرجوا من مصر فضلوا الطريق وأظلم عليهم فقالوا ما هذا قال علماؤهم إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج حتى ننقل عظامه معنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى إسرائيل فبعث إليها فأتته فقال دلينى على قبر يوسف قالت وتعطينى ما أسألك فقال وما سؤالك قالت أكون معك فى الجنة فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه أن أعطها حكمها ففعل ورواه الطبرانى وأبو يعلى الموصلى بنحوه * وفى رواية فى غير المستدرك أنها كانت مقعدة عمياء وأنها قالت لموسى لا أخبرك عن موضع قبره حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وبصرى وشبابى وأكون معك فى الجنة فأوحى الله إليه أعطيها ما سألتك فإن ما تعطى على ففعل فانطلقت بهم إلى مستنقع ماء فاستخرجته من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما فكوا تابوته طلع القمر وأضاءت الطريق مثل النهار فاهتدوا وحملوه معهم إلى الشام فدفنه موسى عليه السلام عند آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم وعاش يوسف بعد أبيه يعقوب ثلاثا وعشرين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة * وفى المستدرك وغيره عن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول من قاتل فى سبيل الله قدر فواق ناقة وجبت له الجنة * وفواق الناقة ما بين الحلبتين من الراحة وتضم فاؤه وتفتح * وفى الحديث أيضا عيادة المريض قدر فواق الناقة وفى أخبار معن بن زائدة الشيبانى أن رجلا قال له احملنى أيها الأمير فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال لو علمت أن الله خلق مركوبا يحمل عليه غير هذا لحملتك عليه وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمنا شيئا آخر يتخذ من الخز غير هذا لأعطيناك إياه قال بعضهم رحم الله معنا لو كان يعلم أن الغلام يركب لأمر له به ولكنه كان عربيا محضا لم يتدنس بقاذورات العجم وذكر ابن خلكان فى ترجمته أنه جلس يوما فرأى راكبا فقال ما أحسب هذا يريد غيرى فلما وصل أنشد قائلا :

أصلحك الله قل ما بيدى * فما أطيق العيال إذ كثروا

الآخر ويحكم الخيط فى الطرف الآخر وهكذا ثانيا وثالثا وهذا هو السدى ثم يحكم لحمته حتى يتم النسج وكل ذلك على تناسب هندسى حتى يصح النسج ثم يقعد فى زاوية مترصدا وقوع الصيد فيها فإذا وقع فيها شىء من الذباب أو البق بادر إلى أخذه ومنها صنف آخر قصار الأرجل يسمى الفهد فإنه يصيد الذباب على شبه صيد الفهد وذلك أنه يكمن فى زاوية فإذا طارت ذبابة بقربه وثب إليها وربما مد خيطا من السقف وعلق نفسه فيه منكسا فإذا طارت ذباب بقربه رمى بنفسه إليه وأخذه ومنها صنف آخر يقال له الليت وله ست عيون فإذا رأى الذبابة لطئ بالأرض ثم وثب ولم تخطئ وثبته وهو آفة الذباب

ألح دهـــر رمى بكلكله فأرسلوني إليك وانتظروا

فقال يا فلان ناقتي الفلانية وألف دينار فدفعهما إليه وهو لا يعرفه ومحاسن معن كثيرة وتولى الولايات العظيمة وتولى في آخر عمره سجستان فبينما هو ذات يوم في داره والصناع يعملون بين يديه اندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه وهو يحتجم وهربوا فتبعهم ابن أخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم عن آخرهم وكان قتله في سنة إحدى أو اثنتين أو ثمان وخمسين ومائة رحمه الله ورثاه الشعراء بمراث كثيرة فمن المراثي النادرة أبيات الحسن بن مطر الأزدي وهي في الحماسة منها :

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
فياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
وياقبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مربعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

(وحكمها) كالإبل (الأمثال) قالوا لا ناقة فيها ولا جمل وأصل المثل للحرث بن عبادة وقيل أول من قاله صدوف بنت حليس العذرية وخبرها مشهور في الأمثال ومما أنشد في ذلك قول الراعي:

وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل

وقال الطغرائي في لاميته :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

يضرب عند التبرى من الظلم أو الإساءة وأطال فيه أصحاب الأمثال وقالوا استنوق الجمل أي صار ناقة يضرب للرجل يكون في حديث أو صفة شيء ثم يخلطه بغيره وينتقل منه إليه قال الجوهري وأصله ان طرفة بن العبد كان عند بعض الملوك والمسيب بن عبس ينشد شعرا في وصف جمل ثم حوله إلى نعت ناقة فقال طرفة قد استنوق الجمل (وخواصها) كالإبل أيضا (التعبير) الناقة في الرؤيا امرأة فإن كانت من البخت فهي عجمية وإن كانت غير بختية فهي امرأة عربية فمن رأى كأنه حلب ناقة تزوج امرأة صالحة ومن كان متزوجا وحلب ناقة رزق ولدا ذكرا وربما رزق بنتا ومن رأى ناقة ومعها فصيلها فإنه يدل على ظهور آية وفتنة عامة وقال ابن سيرين الناقة المحدوجة سفر في بر ومن ركب ناقة مهرية في منامه سافر وقطع عليه الطريق ومن حلب النوق في منامه فإنه يلي ولاية يجمع فيها الزكاة ومن الرؤيا المعبرة ان ابن سيرين رحمه الله تعالى أتاه رجل فقال له رأيت رجلا يحلب من النوق البخت لبنا ثم حلبها دما فقال ابن سيرين هذا رجل يتولى على الأعاجم ويجبيهم الزكاة وهي اللبن ثم يظلمهم ويأخذ أموالهم غصبا وهو الدم فكان كذلك ولحم النوق يدل على وفاء النذر لقول الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه وهو لحم الجزور وقيل لحم الجزور في الرؤيا مصيبة وقيل مرض وقيل رزق لقول الله تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم ومن عقر ناقة في منامه ندم على أمر فعله وناله منه مصيبة لقول الله تعالى فعقروها فأصبحوا نادمين وقيل ركوب الناقة نكاح امرأة فإن ركبها مقلوبا أتى امرأة في دبرها ومن رأى ناقة صارت بغلة أو بعيرا فإن زوجته لا تحمل أبدا ومن ماتت ناقته ماتت امرأته

ومنها صنف يقال له الرتيلا إذا مشى على الإنسان يموت الإنسان من لعابه وقد مر ذكره يسمى عقرب الثعبان لأنه يقتل الثعبان ومنها صنف دقيق الصنعة يهيئ نسجه ويصعد بيته فإذا وقعت في مصيدته ذبابة يضرب فيها فتمشي إليها وتمص رطوبتها والذباب يطن من الألم إلى أن يموت ويحملها إلى خزانته للذخيرة وأكثر ما يقع في مصيدته في غيبوبة الشمس وزعم بعضهم أن العناكب الإناث هي العوامل والذكور لا تعمل شيئا ومنهم من قال إن السدى من الإناث واللحمة من الذكور لأن اللحمة أقوى من السدى وهما كالشريكين في

أو يطل سفره وربما دلت الناقة على امرأة كثيرة الخصام لكثرة رغائها ومن رأى ناقة دخلت مدينة فإنها فتنة لقول الله تعالى إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فإذا عقرت ناقة فى مدينة أصاب أهلها نكبة والله أعلم ﴿الناموس﴾ البعوض وقد تقدم فى باب الباء الموحدة وقال أبو حامد الأندلسى الناموس دويبة تلسع الناس وقال الجوهرى وناموس الرجل صاحب سره الذى يطلعه على باطن أمره ويخصه بما يستره عن غيره قال الزبيدى وهو مشتق من نمس بالكلام إذا أخفاه يقال نمس الصائد إذا اختفى فى الدريئة انتهى وأهل الكتاب يسمون جبريل عليه السلام الناموس الأكبر لأنه يخفى الكلام حين يلقيه إلى الرسل عن الحاضرين وفى الحديث أن ورقة بن نوفل قال لخديجة رضى الله تعالى عنها وهو ابن عمها وكان نصرانيا لئن كان ما تقولين حقا إنه ليأتيه الناموس الذى كان يأتى موسى وقد تقدم هذا فى باب الفاء فى الفاعوس وتقدم فى الفاعوس الكلام على لفظ الناموس وما جاء على وزن فاعول ولام الفعل منه سين ﴿الناهض﴾ فرخ العقاب وقد تقدم ما فى العقاب فى باب العين المهملة ﴿النباج﴾ كرمان الهدهد الكثير القرقرة وسيأتى ما فيه فى باب الهاء ﴿النبر﴾ بالكسر دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه إذا دبت على البعير تورم مدبها والجمع نبار وأنبار قال الراجز شبيب بن البرصاء :

كأنها من بدن وإيقار * دبت عليها ذربات الأنبار

ويروى عربات الأنبار والأنبار أيضا ضرب من السماع قاله ابن سيده قال البطليوسى فى الشرح ويروى هذا البيت بالفاء وهو أفعال من الشىء الوافر ويروى بالقاف يريد أنها أوقرت بالشحوم ومعنى الرواية الأولى أن هذه من سمنها ووفورها دبت عليها الأنبار فلسعتها وقوله ذربات فى معناها وجهان أحدهما أنها الحديدة اللسع مأخوذة من قولهم سكين ذرب ومذرب أى حادة والثانى أنها مسمومة يقال ذربت السهم إذا سقيته السم ويقال للسم الذرب انتهى ﴿النجيب﴾ من الإبل والخيل ومن الرجال الكريم والجمع نجباء وأنجاب والنجائب جمع نجيبة روى أبو داود عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال ابن عمر رضى الله تعالى عنه أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل انحرها وكذلك رواه الإمام أحمد والبخارى فى تاريخه وفى المثل أنجبت المرأة إذا ولدت النجباء والمنتجب المختار من كل شىء * روى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال لقد حج الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما خمساً وعشرين حجة ماشيا وأن النجائب لتقاد بين يديه * وفى الحلية سئل محمد بن على بن الحسين المعروف بالباقر أحد الأئمة الاثنى عشر على رأى الإمامية عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى فقال أما علمت أن لكل قوم نجيبة وأن نجيبة بنى أمية عمر بن عبد العزيز وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده وروى الإمام أحمد والبزار والطبرانى وابن عدى وغيرهم باختصار عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لم يكن نبىّ إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء ووزراء وإنى أعطيت أربعة عشر حمزة وجعفر وعلىّ وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد وعمار وسليمان وبلال * وفى بعض طرق الطبرانى مصعب بن عمير وفيه كثير الشواء وهو من صغار التابعين وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات * وفى الحديث إن الله يحب التاجر النجيب أى الفاضل الكريم

العمل أو هما كالأستاذ مع تلميذه قالوا وإذا شددت عنكبوتا فى خرقة سوداء وعلقته على صاحب الحمى تزول عنه وزعموا أنه مجرب قال بليناس يسحق العنكبوت ويسقى فى شىء من الأشربة لصاحب الحمى البلغمية تزول من ساعتها مجرب رجل العنكبوت تشد على من يحم بالليل تذهب عنه نسجه يوضع على الموضع الذى يسيل منه الدم يقطعه وإن خر به طرد البق من البيت (فأر) حيوان كثير الفساد كثير الحيلة من الفواسق الخمس أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها فى الحل والحرم وربما جذب الفتيلة من السراج ويحرق بذلك الدور بما فيها من الحيوان

السخى وقال ابن مسعود سورة الأنعام من نجائب القرآن أى من أفاضل سوره ﴿ النحام ﴾ طائر على خلقة الأوز واحدته نحامة يكون آحادا وأزواجا فى الطيران وإذا أراد المبيت اجتمع رفوفا فذكوره تنام وإناثه لاتنام وتعد لها مبايت فإذا نفرت من واحد ذهبت إلى آخر ويقال إن الأنثى تبيض من زق الذكر من غير سفاد فإذا باضت نفرت وبقى الذكر عند البيض يذرق عليه فيقوم الذرق مقام الحضن فإذا تمت مدته خرجت الفراخ لاحراك بها فتأتى الأنثى فتنفخ فى مناقيرها حتى تجرى الريح فيها روحا ثم يتعاون الذكر والأنثى على التربية وفى الذكر غلظ طبع وقلة وفاء فإنه إذا رأى فراخه قد قويت على الطعم ضربها وطردها فتذهب الأم معها فلا تقرب الذكر إلا وقت السفاد ( الحكم ) يحل أكله لأنه من الطيبات ولأن النبى ﷺ أكله روى ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد فى ترجمة سهل ابن عبيد بن سورة الخراسانى الأصبهانى أنه حدث عن إسمعيل بن هرون عن الصعق بن حزن عن مطر الوراق قال أهدى للنبى ﷺ طير يقال له النحام فأكله واستطابه وقال اللهم أدخل إلى أحب خلقك إليك وأنس رضى الله تعالى عنه بالباب فجاء على رضى الله تعالى عنه فقال يا أنس استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه على حاجة فدفع صدره ودخل فقال رضى الله عنه يوشك أن يحال بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال اللهم وال من والاه وفى الكامل لابن عدى فى ترجمة جعفر بن سليمان الضبعى أن الطير المشوى كان حجلا وفيه فى ترجمة جعفر بن ميمون أنه كان حبارى وفى المستدرك أن التى أهدته للنبى صلى الله عليه وسلم أم أيمن رضى الله تعالى عنها ﴿ قلت ﴾ حديث الطير خرجه الترمذى وقال غريب والبغوى فى حسان المصابيح وخرجه الحربى وزاد بعد قوله أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم طير وكان مما يعجبه أكله وزاد بعد قوله فجاء على بن أبى طالب فقال استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما عليه إذن ولكن أحب أن يكون رجلا من الأنصار ورواه الطبرانى وأبو يعلى والبزار من عدة طرق كلها ضعيفة وخرجه عمر بن شاهين ولم يذكر زيادة الحربى وقال بعد قوله فجاء على فرددته ثم جاء فرددته فدخل فى الثالثة أو فى الرابعة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حبسك عنى أو ما أبطأك عنى يا على قال جئت فردنى أنس ثم جئت فردنى أنس فقال صلى الله عليه وسلم يا أنس ما حملك على ما صنعت قال رجوت أن يكون رجلا من الأنصار فقال صلى الله عليه وسلم يا أنس أو فى الأنصار خير من على أو أفضل من على وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال أهدت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمتهما إليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك وإلى رسولك ثم ذكر معنى الحديث قال الحاكم وقد رواه عن أنس جماعة أكثر من ثلاثين نفسا ثم صحت الرواية عن على وأبى سعيد وسفينة وهو من الأحاديث المستدركة على المستدرك قال الذهبى فى تلخيصه لقد كنت زمنا طويلا أظن أن حديث الطير لم يجسر الحاكم أن يودعه فى مستدركه فلما علقت هذا الكتاب رأيت الهول من الموضوعات التى فيه والله أعلم ﴿ النحل ﴾ ذباب العسل وقد تقدم فى باب الذال المعجمة فى لفظ الذباب أن النبى ﷺ قال فى تفسير سورة النساء الذباب كله فى النار إلا النحل وواحدة النحل نحلة كنخل ونخلة وقرأ يحيى بن وثاب وأوحى ربك إلى النحل بفتح الحاء والجمهور بالإسكان قال الزجاج سميت نحلا لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذى يخرج منها إذ النحلة العطية وكفاها شرفا قول الله تعالى وأوحى ربك إلى النحل فأوحى سبحانه إليها وأثنى عليها فعلمت مساقط الأنواء

والأموال ويقرض دفاتر الحساب والعلوم والوثائق والصكاك فتفوت حقوق الناس وتقرض الثياب النفيسة والجراب والزق فيسيل ما فيها ويأكل المائعات ويرمى فيها بعره حتى يفسد على الناس وربما وقعت فى بئر فماتت فيها فتحوج الناس إلى مشقة عظيمة وإذا خدش الإنسان نمر أو سبع يطلب الفأر فإن كان من النمر يذر عليه التراب وإن كان من الكلب يبول عليه فإن ذلك الإنسان يموت عاجلا وذهب بعضهم إلى أن الفأرة عدمت قوة الحافظة لأنها تخرج من بيتها ترى السنور فترجع ثم تخرج عقبها ولم يبق معها علم أن السنور على باب بيتها وقال بعضهم كيف يصح أن يقال لا حافظة لها مع لطائف

من وراء البيداء فتقع هناك على كل حرارة عبقة وزهرة أنقة ثم تصدر عنها بما تحفظه رضابا وتلقطه شرابا . قال القزوينى فى عجائب المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة إذ فيه أوحى الله إلى النحل صنعة العسل فبين سبحانه أن فى النحل أعظم اعتبار وهو حيوان فهيم ذو كيس وشجاعة ونظر فى العواقب ومعرفة بفصول السنة وأوقات المطر وتدبير المرتع والمطعم والطاعة لكبيره والاستكانة لأميره وقائده وبديع الصنعة وعجيب الفطرة . قال أرسطو النحل تسعة أصناف منها ستة يأوى بعضها إلى بعض قال وغذاؤها من الفضول الحلوة والرطوبات التى يرشح بها الزهرة والورق ويجمع ذلك كله ويدخره وهو العسل وأوعيته ويجمع مع ذلك رطوبات دسمة يتخذ منها بيوت العسل وهذه الدسومات هى الشمع وهو يلقطها بخرطومه ويحملها على فخذيه وينقلها من فخذه إلى صلبه هكذا قال والقرآن يدل على أنها ترعى الزهر فيستحيل فى جوفها عسلا وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير المقنطرة قال الله تعالى ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وقوله من كل الثمرات المراد به بعضها نظيره قوله تعالى وأوتيت من كل شىء يريد البعض واختلاف الألوان فى العسل بحسب اختلاف النحل والمرعى وقد يختلف طعمه لاختلاف المرعى ومن هذا المعنى قول زينب رضى الله تعالى عنها للنبى صلى الله عليه وسلم جرست نحلة العرفط حين شبهت رائحته برائحة المغافير والحديث مشهور فى الصحيحين وغيرهما * ومن شأنه فى تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعا نقيا بنى فيه بيوتا من الشمع أولا ثم بنى البيوت التى تأوى فيها الملوك ثم بيوت الذكور التى لا تعمل شيئا والذكور أصغر جرما من الإناث وهى تكثر المادة داخل الخلية وإن طارت فهى تخرج بأجمعها وترتفع فى الهواء ثم تعود إلى الخلية والنحل تعمل الشمع أولا ثم تلقى البزر لأنه لها بمنزلة العش للطير فإذا ألفته قعدت عليه وحضنته كما يحضن الطير فيكون من ذلك البزر دود أبيض ثم ينهض الدود وتغذى نفسها ثم تطير وهى لا تقعد على أزهار مختلفة بل على زهر واحد وتملأ بعض البيوت عسلا وبعضها فراخا ومن عادتها أنها إذا رأت فسادا من ملك إما أن تعزله وإما أن تقتله وأكثر ما تقتل خارج الخلية والملوك لا تخرج إلا مع جميع النحل فإذا عجز الملك عن الطيران حملته وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك فى آخر الكتاب فى لفظ اليعسوب ومن خصائص الملك أنه ليس له حمة يلسع بها وأفضل ملوكها الشقر وأسوؤها الرقط بسواد والنحل تجتمع فتقسم الأعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقى الماء وبعضها يبنى البيوت وبيوتها من أعجب الأشياء لأنها مبنية على الشكل المسدس الذى لا ينحرف كأنه استنبط بقياس هندسى ثم هو فى دائرة مسدسة لا يوجد فيها اختلاف فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة وذلك لأن الأشكال من الثلاث إلى العشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل وجاءت بينها فروج إلا الشكل المسدس فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل كأنه قطعة واحدة وكل هذا بغير مقياس منها ولا آلة ولا بركار بل ذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها كما قال وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون الآية فتأمل كمال طاعتها وحسن امتثالها لأمر ربها كيف اتخذت بيوتا فى هذه الأمكنة الثلاثة الجبال والشجر وبيوت الناس حتى يعرشون أى حيث يبنون العروش فلا ترى للنحل بيتا فى غير هذه الأمكنة الثلاثة ألبتة وتأمل كيف كانت أكثر بيوتها فى الجبال وهى المتقدمة فى الآية ثم الأشجار وهى دون ذلك ثم فيما يعرش الناس وهى أقل بيوتها فانظر كيف أداها حسن الامتثال

حيلها وسدة اهتمامها بأمر المعيشة وادخارها ليوم الحاجة وعلما بأن الغلال لا تترك فى الآبار فتأخذ منها ما تقدر عليه لوقت عجزها عن الكسب ومن لطائف حيلها أن الدهن إذا كان فى قارورة ضيقة الرأس تجعل ذنبها فيها وتلطخه بالدهن حتى تلحس جميع ما فيها ومنها أن الدهن إذا كان فى القارورة إلى نصفها ترمى فيها الحصاة حتى يخرج إلى رأسها وتشربه ومنها إذا أرادت أخذ البيضة تحضن البيضة وتمسكها أربعتها وتأخذ فارة أخرى بذنبها تجذبها إلى البيت ومنها إذا أرادت أخذ الحوز تأخذها فارة وتجعلها على ظهر أخرى وتلف عليها

إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهى تتخذها أولا فإذا استقرها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولا ثم الأكل بعد ذلك وقال فى الإحياء انظر إلى النحل كيف أوحى الله إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها فى تناولها الأزهار والأنوار واحترازها من النجاسات والأقذار وطاعتها لواحد من جملتها وهو أكبرها شخصا وهو أميرها ثم ما سخر الله لأميرها من العدل والإنصاف بينها حتى أنه ليقتل منها على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة لقضيت من ذلك العجب إن كنت بصيرا فى نفسك وفارغا من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك فى معاداة أقرانك وموالاة إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنيانها بيتا من الشمع واختيارها من جميع الأشكال الشكل المسدس فلا تبنى بيتها مستديرا ولا مربعا ولا مخمسا بل مسدسا لخاصية فى الشكل المسدس يقصر فهم المهندس عن درك ذلك وهو أن أوسع الأشكال وأحواها المستدير وما يقرب منه فإن المربع تخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تبقى الزوايا فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل فى الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ذلك لطفا به وعناية بوجوده فيما هو محتاج إليه لينا عيشه فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه * وفى طبعه أنه يهرب بعضه من بعض يقاتل بعضه بعضا فى الخلايا ويلسع من دنا من الخلية وربما هلك الملسوع وإذا هلك شىء منها داخل الخلايا أخرجته الأحياء إلى خارج وفى طبعه أيضا النظافة فلذلك يخرج رجيعه من الخلية لأنه منتن الريح وهو يعمل زمانى الربيع والخريف والذى يعمله فى الربيع أجود والصغير أعمل من الكبير وهو يشرب من الماء ما كان صافيا عذبا يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه وإذا قل العسل فى الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفا على نفسه من نفاده لأنه إذا نفد أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكور وربما قتلت ما كان منها هناك * قال حكيم من اليونان للامذته كونوا كالنحل فى الخلايا قالوا وكيف النحل فى الخلايا قال إنها لا تترك عندها بطالا إلا نفته وأبعدته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل ويعلم النشيط الكسل والنحل يسلخ جلده كالحيات وتوافقه الأصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس ودواؤه أن يطرح له فى كل خلية كف ملح وأن يفتح فى كل شهر مرة ويدخن باختناء البقر وفى طبعه أنه متى طار من الخلية يرعى ثم يعود فتعود كل نحلة إلى مكانها لا تخطئه وأهل مصر يحولون الخلايا فى السفن ويسافرون بها إلى مواضع الزهر والشجر فإذا اجتمع فى المرعى فتحت أبواب الخلايا فيخرج النحل منها ويرعى يومه أجمع فإذا أمسى عاد إلى السفينة وأخذت كل نحلة منها مكانها من الخلية لا تتغير عنه * روى الإمام أحمد والحاكم والترمذى والنسائى من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى سمع عنده دوى كدوى النحل فنزل عليه ﷺ يوما فمكثنا ساعة ثم سرى عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وأرضنا وارض عنا ثم قال ﷺ لقد أنزل الله على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون

ذنبها وتحفظها بالذنب وتمشى بها إلى بيتها ومنها أن إحداها إذا وقعت فى ظرف فيه ماء لا تقدر على الخروج منه فتأتى الأخرى وتمسك بيدها طرف الإناء وترسل ذنبها إليها حتى تتعلق بها وتخرج ولم تر قتالا بين بهيمتين ولا سبعين أشد مما يجرى بين جرذين إذا ربط أحدهما فى طرف خيط والآخر فى الطرف الآخر فعند ذلك يظهر لهما الخدش واللغط فإذا انحل الخيط ولى كل واحد منهما عن صاحبه ومنها صنف يقال له العربى يحب الدراهم والدنانير ويلعب بها وكثيرا ما يخرجها واحدا واحدا ويتمرغ عليها ويعيدها واحدا واحدا (وحكى) بعضهم أنه كان فى بيته فأرة لقى منه التباريح قال فنصبت لها مصيدة

الآيات ثم قال صحيح الإسناد قال النحال معنى أقامهن عمل بهن ولم يخالف ما فيهن كما يقال فلان يقوم بعمله وروى البيهقي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعا لما خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون * وروى ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف قال حدثني يحيى بن سعيد عن موسى بن أبي عيسى الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم والدوي صوت ليس بالعالي * وفي حديث الإيمان يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقوله * وفي المستدرك عن أبي سبرة الهذلي قال قال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما لحدثني حديثا عن رسول الله ﷺ فهمته وكتبته بيدي بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما حدث به عبد الله بن عمرو عن محمد رسول الله ﷺ إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش ولا سوء الجوار ولا قطيعة الرحم ثم قال ﷺ إنما مثل المؤمن كمثل النحلة وقعت فأكلت طيبا ثم سقطت ولم تفسد ولم تكسر ومثل المؤمن كمثل القطعة الذهب الأحمر أدخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص فذلك مثل المؤمن ثم قال صحيح الإسناد * وفي المعجم الأوسط للطبراني بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ مثل بلال كمثل النحلة غدت تأكل من الحلو والمر ثم هو حلو كله * وروى الإمام أحمد وابن أبي شيبة والطبراني أن النبي ﷺ قال المؤمن كالنحلة تأكل طيبا وتضع طيبا وقعت فلم تكسر ولم تفسد وفي شعب البيهقي عن مجاهد قال صاحبت عمر رضي الله تعالى عنه من مكة إلى المدينة فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث إن مثل المؤمن كمثل النحلة إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النحلة كل شأنها منافع قال ابن الأثير وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وخفارته ومنفعته وقنوعه وسعيه في النهار وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله فإنه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لأميره وإن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تفتر به عن عمله منها ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السعة ونار الهوى انتهى * وفي مسند الدارمي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال كونوا في الناس كالنحلة في الطير إنه ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها ولو تعلم الطير ما في أجوافها من البركة ما فعلت ذلك بها خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب * وفيه أيضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله ﷺ في التوراة فقال كعب نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طيبة ويكون ملكه بالشام ليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله في كل سراء وضراء يوضئون أطرافهم ويأتزرون في أوساطهم يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم دويهم في مساجدهم كدوي النحل يسمع مناديهم في جو السماء ﴿غريبة﴾ ذكر ابن خلكان في ترجمة عبد المؤمن بن علي ملك الغرب أن أباه كان يعمل الطين فخارا وأنه كان في صغره نائما في دار أبيه وأبوه يعمل في الطين فسمع أبوه

فوقعت فيها فانتظرت سنورا يصطادها فاستبطأ زوجها رجوعها فخرج خلفها في طلبها فرآها في المصيدة فعاد وأتى بدينار وتركه عند المصيدة ثم تأخر وانتظر ساعة ثم ذهب وأتى بآخر وتأخر وهكذا كلما أتى بدينار لبث زمانا يطمع أني آخذ الدنانير وأخلصها له فلما رآني لم أخلصها أتى بآخر حتى أتى في المرة الأخيرة بخرقة فعلمت أنه أخرج جميع ما كان عنده من الدنانير فخلصتها وأخذت الدنانير ومنها صنف يقال له اليربوع وهو الفأر البري صاحب النافقاء والقاصعاء يحفر جحرا ذا عطفات كثيرة يمينا وشمالا وصعودا ونزولا يخفي مكانها فإن دخل عليها ابن عرس أو ضب أو ظربان لا يظفر

دويا فى السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فاجتمعت كلها على ولده وهو نائم فغطته وأقامت عليه مدة ثم ارتفعت عنه وما تألم منها وكان بالقرب منهم رجل يعرف الزجر فأخبره أبوه بذلك فقال يوشك أن يجتمع على ولدك جميع أهل المغرب فكان كذلك وكان من أمر ولده ما اشتهر من ملك المغرب الأعلى والأدنى ومات عبد المؤمن فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقد تقدمت الإشارة إلى ذكر موته فى باب الجيم فى الجفرة وجمهور الناس على أن العسل يخرج من أفواه النحل وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه فيها رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير الفم كذا نقله عنه ابن عطية والمعروف عنه أنه قال إنما الدنيا ستة أشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فأشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وأشرف المشروب الماء ويستوى فيه البر والفاجر وأشرف الملبوس الحرير وهو نسج دودة وأشرف المركوب الفرس وعليه تقتل الرجال وأشرف المشموم المسك وهو دم حيوان وأشرف المنكوح المرأة وهو مبال فى مبال والمحقق أن العسل يخرج من بطونها لكن ولا يدرى أمن فمها أو من غيره لكن لا يتم صلاحه إلا بحمى أنفاسها فقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع فأبت أن تعمل حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين كذا قاله الغزنوى وغيره * وروينا فى تفسير الكواشى الأوسط أن العسل ينزل من السماء فيثبت فى أماكن من الأرض فيأتى النحل فيشربه ثم يأتى الخلية فيلقيه فى الشمع المهيأ للعسل فى الخلية لا كما يتوهمه بعض الناس من أن العسل من فضلات الغذاء وأنه قد استحال فى المعدة عسلا هذه عبارته والله أعلم ﴿لطيفة﴾ اعلم أن الله تعالى جمع فى النحلة السم والعسل دليلا على كمال قدرته وأخرج منها العسل ممزوجا بالشمع وكذلك عمل المؤمن ممزوجا بالخوف والرجاء وفى العسل ثلاثة أشياء الشفاء والحلاوة واللين وكذلك المؤمن قال الله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ويخرج من الشاب خلاف ما يخرج من الكهل والشيخ وكذلك حال المقتصد والسابق وأمرها الله تعالى بأكل الحلال حتى صار لعابها شفاء ودواء وكل الذباب فى النار إلا النحل ودواء الأطباء مر ودواء الله حلو وهو العسل وهى تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلوا ولا يغيرها اختلاف مأكلها والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه وقوله تعالى فيه شفاء للناس لا يقتضى العموم لكل علة وفى كل إنسان لأنه نكرة فى سياق الإثبات بل هو خبر عن أنه يشفى كما يشفى غيره من الأدوية فى حال دون حال * وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان لا يشكو شيئا إلا تداوى بالعسل حتى كان يدهن به الدمل والقرحة والقرصة ويقرأ هذه الآيات وهذا يقتضى أنه كان يحمله على العموم * وروى ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل * وروى ابن ماجه أيضا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال من لعق من العسل ثلاث غدوات من كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء * وحكى النقاش عن أبى وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم * وروى أيضا عن عوف بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه مرض فقال ائتونى بماء فإن الله تعالى يقول وأنزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ائتونى بعسل وقرأ الآية ثم قال ائتونى بزيت فإنه من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفى * وروى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أخى استطلق بطنه فقال عليه الصلاة والسلام اسقه

بها لكثرة عطفاتها واعوجاجها وبجحرها أبواب كثيرة وللبرابيع رئيس يخرج من البيت أولا ويرى الفضاء فإن لم يكن عدو صاح حتى يخرج الفأر كلها وإن رأى عدوا عاد وأخبر الباقين حتى لا يخرج شىء منها وإن لم يكن عدو خرج الرئيس وصعد موضعا عاليا كالديوان والفأر تخرج بعده تذهب يمينا وشمالا تطلب القوت فما حصل لها تأتى منه بنصيب للرئيس وإذا رأى الرئيس عدو صاح برفع صوته حتى يرجع الفأر إلى بيوتها فإن غفل الرئيس حتى أتى العدو وأخذ منها شيئا بغتة اجتمعت الفأر كلها على الرئيس وأكلته ومنها صنف يقال له الخلد خلقه الله تعالى أكمه يكون فى البرارى حاسة سمعها

عسلا فسقاه ثم جاءه فقال يارسول الله إنى قد سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال عليه الصلاة والسلام اسقه عسلا ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال ﷺ اسقه عسلا قال قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال عليه الصلاة والسلام صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرئ

﴿فائدة﴾ قد اعترض فى هذا الحديث وفى قوله ﷺ عليكم بهذا العود الهندى يعنى الكست فإن فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب وقوله ﷺ الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء وقوله صلى الله عليه وسلم إن فى الحبة السوداء الشفاء من كل داء إلا السام يعنى الموت وقوله ﷺ الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين من فى قلبه مرض من الملحدة فقال الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ويجمعون أيضا على أن استعمال المحموم الماء البارد مخاطرة وقرب من الهلاك لأنه يجمع المسام ويحقن البخار المتحلل ويعكس الحرارة إلى داخل الجسم فيكون سببا للتلف وينكرون أيضا مداواة ذات الجنب بالقسط مع مافيه من الحرارة الشديدة ويرون ذلك خطرا وهذا الذى قال المعترض الملحد جهالة بينة وهو فيها كما قال الله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ونحن نشرح الأحاديث المذكورة فى هذا الموضع ونذكر ماقاله الأطباء فى ذلك ليظهر جهل هذا المعترض * اعلم أن علم الطب من أكثر العلوم احتياجا إلى التفصيل حتى أن المريض يكون الشىء الواحد دواء له فى ساعة ثم يصير داء له فى الساعة التى تليها بعارض يعرض له من غضب يحمى مزاجه فيتغير علاجه أو هواء يتغير أو غير ذلك مما لايحصى كثرة فإذا وجد الشفاء بشىء فى حالة ما لشخص مالم يلزم منه الشفاء به فى سائر الأحوال ولجميع الأشخاص. والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتدبير المألوف وقوة الطباع فإذا عرفت هذا فاعلم أن الإسهال يحصل من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والهيضات وقد أجمع الأطباء فى مثل هذا على أن علاجه أن تترك الطبيعة وفعلها فإن احتاجت إلى معين على الإسهال أعينت مادامت القوة باقية وأما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل أن يكون هذا الإسهال لهذا الشخص المذكور فى الحديث كان من امتلاء أو من هيضة فدواؤه ترك الإسهال على ماهو عليه أو تقويته فأمره ﷺ أن يسقيه عسلا فزاده إسهالا فزاده عسلا إلى أن فنيت المادة فوقف الإسهال أو يكون الخلط الذى به كان يوافقه شراب العسل فثبت بما ذكرناه أن العسل جار على صناعة الطب وأن المعترض عليه ملحد جاهل بصناعة الطب ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الأطباء بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم فلو وجدنا المشاهدة تصدق دعواهم لتأولنا كلامه ﷺ حينئذ وخرجناه على مايصح وقد ذكرنا هذا الجواب وما بعده عدة للحاجة إن اعتضدوا بمشاهدة وليظهر جهل المعترض وأنه لايحسن الصناعة التى اعترض بها وانتسب إليها وكذلك القول فى الماء البارد للمحموم فإن المعترض تقول على النبى ﷺ مالم يقل فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقل أكثر من قوله أطفئوها بالماء ولم يبين صفته وحاله والأطباء يسلمون أن الحمى الصفراوية يدبر صاحبها بسقى الماء البارد الشديد البرودة ويسقونه الثلج ويغسلون أطرافه بالماء البارد فلا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم أراد هذا النوع من الحمى وأما إنكاره الشفاء من ذات الجنب بالقسط فباطل أيضا فقد قال بعض الأطباء إن ذات الجنب إذا حدثت من البلغم كان القسط من علاجها وقد ذكر جالينوس وغيره من حذاق الأطباء أنه ينفع من وجع

شديدة إذا أحست بشىء عادت إلى بيتها وذكروا أن الخلد الأنثى إذا حبلت يموت الذكر وإذا أرادوا صيدها تركوا على باب بيتها شيئا من البصل فإنها تخرج لرائحته فيأخذها الصياد ومنها صنف يقال لها فأرة المسك توجد بأرض تبت فى موضع يقال له الدفرسرة هذه الفأرة لها مسك كالغزلان فالصياد إذا صادها يشد صرتها حتى يجتمع فيها الدم وذلك خير من مسك الغزال حتى قالوا يسوى عشرة من أمثالها لما فيها من طيب الرائحة وحدتها ومنها صنف يقال له ذات النطاق وهى فأرة مشهورة منقطة ببياض أعلاها أسود شبهوها بالمرأة ذات النطاق وهى التى تلبس

الصدر وقال بعض قدماء الأطباء إنه يستعمل حيث يحتاج إلى إسخان عضو من الأعضاء وحيث يحتاج إلى جذب خلط من باطن البدن إلى ظاهره وهكذا قال الرئيس بن سينا وغيره من فحول الأطباء وهذا يبطل ما زعمه هذا المعترض الملحد وأما قوله ﷺ فيه سبعة أشفية فقد أطبق الأطباء فى كتبهم على أنه يدر الطمث والبول وينفع من السموم ويحرك شهوة الجماع ويقتل الدود وحب القرع الذى فى الأمعاء إذا شرب بعسل ويذهب الكلف إذا طلى عليه وينفع من برودة المعدة والكبد ومن الحمى الورد والربع وغير ذلك وهو صنفان بحرى وهندى فالبحرى هو القسط الأبيض وقيل هو أكثر من صنفين ونص بعضهم على أن البحرى أفضل من الهندى وأقل حرارة منه وقيل هما حاران يابسان فى الدرجة الثالثة والهندى أشد حرارة منه فيها وقال الرئيس بن سينا القسط حار فى الثالثة يابس فى الثانية وقد اتفق الأطباء على هذه المنافع التى ذكرناها فى القسط وهو العود الهندى المذكور فى الحديث فصار ممدوحا شرعا وطبا وإنما عددنا منافع القسط من كتب الأطباء لأنه ﷺ ذكر منها عددا مجملا * وأما قوله ﷺ فى الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام فيحمل أيضا على العلل الباردة على نحو ما سبق فى القسط وهو ﷺ قد يصف بحسب ما شاهده من غالب حال أصحابه قال الإمام المازرى وقال شيخ الإسلام محيى الدين النووى وذكر القاضى عياض كلام المازرى الذى قدمناه ثم قال وذكر الأطباء فى منفعة الحبة السوداء التى هى الشونيز أشياء كثيرة وخواص عجيبة يصدقها قوله ﷺ فذكر جالينوس أنها تحلل النفخ وتقتل ديدان البطن إذا أكلت أو وضعت على البطن وتنفع الزكام إذا قليت وصرّت فى خرقة وشمت وتزيل العلة التى ينقش منها الجلد وتقطع الشآليل المعلقة والمنكسة والخيلان وتدر الطمث المنحبس إذا كان احتباسه من أخلاط غليظة لزجة وتنفع الصداع إذا طلى بها الجبين وتقطع البثور والجرب وتدر البول واللبن وتحلل الأورام البلغمية إذا تضمد بها مع خل وتنفع من الماء العارض فى العين إذا سقط بها مسحوقة بدهن وهى تنفع من انصباب المواد أيضا ويتمضمض بها من وجع الأسنان وتنفع من نهش الرتيلاء وإذا بخر بها طردت الهوام قال القاضى وذكر جالينوس أن من خاصيتها إذهاب حمى البلغم والسوداء وتقتل حب القرع وإذا علق الشونيز فى عنق المزكوم ينفعه وينفع من حمى الربع قال ولا تبعد منفعته من أدوية حارة لخواص فيها فقد نجد ذلك فى أدوية كثيرة فيكون الشونيز منها لعموم الحديث ويكون استعماله أحيانا منفردا وأحيانا مركبا * وأما قوله ﷺ فى الكمأة وهى بفتح الكاف وإسكان الميم وبعدها همزة مفتوحة وماؤها شفاء للعين قيل هو نفس الماء مجردا وقيل معناه أن يخلط ماؤها بدواء يعالج به العين وقيل إن كان لتبريد ما فى العين من حرارة فماؤها مجردا شفاء وإن كان لغير ذلك فيركب مع غيره قال الإمام النووى والصحيح بل الصواب أن ماؤها مجردا شفاء للعين مطلقا فيعصر ماؤها ويجعل فى العين منه قال وقد رأيت أنا وغيرى فى زماننا من كان أعمى وذهب بصره حقيقة فكحل عينيه بماء الكمأة مجردا فبرئ وعاد بصره إليه وهو الشيخ العدل الإمام الكمال الدمشقى صاحب فقه ورواية للحديث وكان استعماله ماء الكمأة اعتقادا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وتبركا به فشفاه الله لذلك * ففى هذا الحديث والأحاديث المتقدمة بيان لما حواه النبى صلى الله عليه وسلم من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب فى الجملة واستحبابه لما ذكر فى الأحاديث الصحيحة من الحجامة وشرب الأدوية والسعوط وقطع العروق والرقى وغير ذلك من الأدوية ولا خفاء أن لله تعالى فى مخلوقاته حكما وأسرارا ولم يخلق جل جلاله داء إلا وخلق له دواء علمه من علمه وجهله

قميصين ملونين وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل ومنها صنف يسمى فأرة البيش قال بعضهم إنها دويبة تشبه الفأرة وليست تسكن إلا منابت البيش تأكل منه وتتغذى به والبيش سم قاتل منه شىء يسير وهو حشيش ينبت بأرض الهند ومنها صنف يقال له اليربوع * وهو الفأر البرى صاحب الفاصعاء والنافقاء يحفر جحرا فيه عطفات كثيرة ويحفرها إلى أسفل مستقيمة ثم يذهب يمينا وشمالا وصعودا ونزولا يخفى مكانه فيه بسبب اعوجاجه وعطفاته فإذا قصده شىء من أعدائه كابن عرس أو ضب أو ظربان لا يظفر به لأنه متى أحس بالشر من جهة

(*) قوله فى الهامش (ومنها صنف يقال له اليربوع) الخ تكرار مع ما تقدم قريبا ولعله من أول ناسخ من المسودة اه

من جهله والله أعلم * وذهبت طائفة إلى أن هذه الآيه وأوحى ربك إلى النحل إنما يراد بها أهل البيت من بنى هاشم وأنهم النحل وأن الشراب هو القرآن وقد ذكر بعضهم هذا فى مجلس أبى جعفر المنصور فقال له رجل جعل الله طعامه وشرابه مما يخرج من بطون بنى هاشم فأضحك الحاضرين وأبهت القائل ﴿فائدة أخرى﴾ اعلم أن للعسل أسماء كثيرة منها السنوت كسفود وسنور وفى الحديث عليكم بالسنى والسنوت ومنها السلوى لأنه يسلى عن كل حلو قال خالد بن زهير الهذلى وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى إذا ما نشورها

ومن أسمائه الحافظ والأمين لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبدا واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر * روى أصحاب الكتب الستة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ كان يحب الحلواء ويشرب العسل قال العلماء المراد بالحلواء هنا كل حلو وذكر العسل بعدها تنبيها على شرفه ومرتبته ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام والحلواء بالمد وفيه جواز أكل لذيذ الأطعمة والطيبات من الرزق وأن ذلك لا ينافى الزهد والمراقبة لاسيما إذا حصل ذلك اتفاقا وفى تاريخ أصبهان فى ترجمة أحمد بن الحسن عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال أول نعمة ترفع من الأرض العسل وكان مالك بن الحرث بن عبد يغوث النخعى الكوفى المعروف بالأشتر من شيعة أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه وكان تابعيا رئيس قومه وله بلاء حسن فى وقعه اليرموك وذهبت عينه يومئذ وكان فيمن شهد حصار عثمان رضى الله تعالى عنه وشهد وقعة الجمل وصفين وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا رآه صرف نظره عنه وقال كفى أمة محمد ﷺ شره ولاه على رضى الله تعالى عنه مصر بعد قيس بن سعد بن عبادة بن دليم فلما وصل إلى القلزم شرب شربة عسل فمات فلما بلغ ذلك عليا رضى الله تعالى عنه قال لليدين وللفم وقال عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه حين بلغه ذلك إن لله جنودا من العسل وقيل إن الذى قال ذلك معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما وهو الذى سمه وقيل إن الذى سمه كان عبدا لعثمان رضى الله تعالى عنه وكانت وفاته فى شهر رجب سنة سبع وثلاثين روى له النسائى حديثين وفى أخبار الحجاج بن يوسف أنه كتب إلى عامله بفارس أرسل إلى من عسل خلار من النحل ومن الأبكار الدستفشار الذى لم تمسه النار يريد بالأبكار فراخ النحل لأن عسلها أطيب وأصفى وخلار موضع بفارس مشهور بجودة العسل والدستفشار كلمة فارسية معناها ما عصرته الأيدى (الحكم) كره مجاهد قتل النحل ويحرم أكلها على الأصح وإن كان عسلها حلالا كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام وأباح بعض السلف أكلها كالجرادة وهو وجه ضعيف فى المذهب ويحرم قتلها والدليل على الحرمة نهى النبى ﷺ عن قتلها وفى الإبانة فى كتاب الحج يكره قتلها وما ذكره الفورانى فى الإبانة من الكراهة وذكره غيره من التحريم مفرع على منع الأكل فإن أبحناه جاز قتله كالجراد وكان القياس جواز قتل النحل لأنه من ذوات الإبر وما فيه من المنفعة يعارض بالضرر لأنه يصول ويلدغ الآدمى وغيره وقد ذكر الرافعى فى كتاب الحج أنه يجوز قتل الصقر والبازى من الجوارح ونحوها كما تقدم فى الكلام عليها فى أماكنها وعلله بأن المنفعة فيها معارضة بالمضرة وهو اصطيادها طيور الناس فجعلوا المضرة التى فيها مبيحة لقتلها ولم يجعلوا المنفعة التى فيها عاصمة من القتل إلا أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النحل كما تقدم ولا شىء فى قوله صلى الله عليه وسلم إلا طاعة الله بالتسليم لأمره صلى الله عليه وسلم وأما بيع

ذهب إلى خلاف تلك الجهة ولجحره أبواب وللبرابيع رئيس إذا أرادت البرابيع الخروج من أجحرتها خرج الرئيس أولا وانظر فإن لم ير عدوا رفع صوته ليخرج الفأر وإن رأى عدوا رجع إلى جحره ومنعها من الخروج وإذا خرج يصعد موضعا عاليا كالديوان والبرابيع تسعى يمينا وشمالا لا تطلب القوت فما وقع بيديه من الحب وغيره يأتى بنصيب منها للرئيس وإذا رأى الرئيس عدوا رفع صوته حتى يرجع كل واحد إلى بيته فإن غفل الرئيس عن العدو حتى أتاه العدو بغتة وأخذ من البرابيع شيئا هربت البقية وعادت إلى أماكنها

النحل وهو فى الكوارة فصحيح إن رؤى جميعه وإلا فهو بيع غائب فإن باعها وهى طائرة ففى التتمة يصح وفى التهذيب عكسه وصورة المسألة أن تكون الأم فى الكوارة كما قاله ابن الرفعة وإلا صح من الوجهين الصحة والفرق بينها وبين باقى الطير من وجهين أحدهما أنها لا تقصد بالجوارح بخلاف غيرها والثانى أنها لا تأكل فى الغالب والعادة الإمامة رعاه فلو توقف فى صحة البيع على حبسها لربما أضربها أو تعذر بسببه بيعها بخلاف غيرها من الطيور وقال أبو حنيفة لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات واحتج أصحابنا بأنه حيوان طاهر منتفع به فجاز بيعه كالشاة والحمام بخلاف الزنبور والحشرات فإنه لا منفعة فيها كدود القز ويبقى لها فى الكوارة شيئا من العسل فإن كان الاشتيار فى الشتاء وتعذر الخروج يكون المبقى أحسن فإن أغنى عن العسل غيره لم يتعين إبقاء العسل وقد قيل تشوى دجاجة وتعلق على باب الكوارة لتأكل منها (الأمثال) قالوا أنحل من نحلة مأخوذ من النحول وهو الهزال وقالوا أهدى من نحلة وقالوا كلام كالعسل وفعل كالأسل وهى الرماح يضرب فى اختلاف القول والفعل (الخواص) العسل حار يابس جيده الشهد وهو مدر للبول مسهل بهيج القيء وهو معطش ويستحيل إلى الصفراء يولد دما حارا فإن طبخ بالماء ونزعت رغوته ذهبت حدته وقلت حلاوته ونفعه وكثر غذاؤه وإدراره للبول وإطلاقه وأجوده الخريفى الصادق الحلاوة والكثير الربيعى المائل إلى الحمرة ويدفع مضرته التفاح المزوكل ما أسرع إليه الفساد من لحم وغيره إذا وضع فى العسل طالت مدة مقامه وإذا خلط العسل الذى لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشىء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء فى العين والتلطخ به يقتل القمل والصئبان ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب والمطبوخ منه نافع من السموم ومن خاصية الشمع أن من استصحبه وقبل أكله أورثه الغم لكن لا يصيبه الاحتلام (التعبير) النحل فى الرؤيا خصب وغنى لمن قناه مع خطر ومن رأى كوارة نحل واستخرج منها عسلا نال مالا حلالا فإن أخذ العسل كله ولم يترك للنحل شيئا فإنه يجور على قوم فإن ترك للنحل شيئا فإنه يعدل إن كان واليا أو طالب حق ومن رأى النحل يقع على رأسه نال ولاية ورياسة وإن رأى ذلك ملك نال ملكا وكذلك إذا حل بيده والنحل للفلاحين دليل خير وأما الجندى وغير الفلاحين فدليل مخاصمة وذلك لصوته ولدغه والنحل يدل على عسكر لأنه يتبع أميره كما يتبع العسكر أميره ومن قتل فى منامه نحلا فهو عدو ولا يحمد قتل النحل للفلاح لأنه رزقه ومعاشه والنحل يدل على العلماء وأصحاب التصنيف وربما دل على الكدو والكسب والجباية وأما العسل فإنه فى المنام مال حلال بلا تعب وهو شفاء من المرض لقوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ومن رأى أنه يطعم الناس العسل فإنه يسمعهم الكلام الحسن والقرآن بلحن طيب ومن رأى كأنه يلعق عسلا فإنه يتزوج لقوله ﷺ لامرأة رفاعة رضى الله عنهما حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وأكل العسل عناق حبيب وتقبيله وأما الشهد فإنه ميراث من حلال أو مال من شركة وقال ابن سيرين الشهد رزق حلال لأن النار لا تمسه ومن رأى بين يديه شهدا موضوعا فإن عنده علما غزيرا والناس يريدون سماعه منه والشهد إذا كان وحده فهو مال من غنيمة فإن كان فى وعاء فهو رجل صاحب علم ومال حلال وهو للزاهد الغنى مال وبر ودين ومن رأى كأنه يأكل الشهد وفوقه العسل فإنه ينكح أمة والله تعالى أعلم ﴿النحوص﴾ بفتح النون وضم الحاء والصاد المهملتين الآنان الحائل والجمع نحص ونحاص ﴿النسر﴾ طائر معروف وجمعه فى القلة أنسر وفى الكثرة نسور وكنيته أبو الأبرد وأبو الأصبغ وأبو مالك وأبو المنهال وأبو يحيى والأنثى يقال لها أم قشعم وسمى نسرا لأنه ينسر الشىء

سالمة ثم اجتمعت على عزل رئيسها وإهلاكه ونصبت رئيسا غيره ومنها صنف يقال له سمندل يشبه الفأر وليس بفأر يوجد ببلاد غور تدخل النار ولا تحترق ثم تخرج من النار وقد ذهب وسخها وصفالونها وزاد بريقها ولا يتأذى شعرها ولا جلدها ولا لحمها من النار فسبحان من لا يعرف دقائق حكمته ولطائف صنعه إلا هو والملوك يتخذون من جلودها منديل الغمر لأنه فى غاية النعومة يمسحون به أيديهم

ويبتلعه وهو عريف الطير ويقول فى صياحه ابن آدم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك كذا قاله الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما ﴿قلت﴾ وفى هذا مناسبة لما خص النسر من طول العمر يقال إنه من أطول الطير عمراً وأنه يعمر ألف سنة وقصة لبد تأتى إن شاء الله تعالى فى الأمثال والنسر ذو منسر وليس بذى مخلب وإنما له أظفار حداد كالمخالب والبازى والنسر يسفدان كما يسفد الديك وزعم قوم أن الأنثى من هذا النوع تبيض من نظر الذكر وهى لا تحضن وإنما تبيض فى الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حر الشمس للبيض مقام الحضن وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعمائة فرسخ وكذلك حاسة شمه فى النهاية لكنه إذا شم الطيب مات لوقته وهو أشد الطير طيرانا وأقواها جناحا حتى أنه ليطير ما بين المشرق والمغرب فى يوم واحد وإذا وقع على جيفة وعليها عقبان تأخرت ولم تأكل ما دام يأكل منها وكل الجوارح تخافه وهو شره نهم رغيب إذا وقع على جيفة وامتلأ منها لم يستطع الطيران حتى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة بعد طبقة فى الهواء حتى يدخل تحت الريح وربما صاده الضعيف من الناس فى هذه الحالة والأنثى منه تخاف على بيضها وفراخها من الخفاش فتفرش فى وكرها ورق الدلب لينفر منه وهو من أشد الطير حزنا على فراق إلفه فإذا فارق أحدهما الآخر مات حزنا وكمدا ومن غريب ما ألهم أنه إذا حملت أنثاه ذهب إلى الهند فأخذ هناك حجرا كهيئة الجوزة إذا حرك سمع له حس حجر آخر متحرك كصوت الجرس فإذا جعله عليها أو تحتها أذهب عنها العسر وهذا بعينه قاله القزوينى فى العقاب وقد تقدم فى باب العين وليس فى سباع الطير أكبر جثة منه ويقال للنسر أيضا أبو الطير قال الشاعر :

فلا وأبى الطير المربة فى الضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

والنسر سيد الطير روى اليافعى فى كتاب نفحات الأزهاز ولمحات الأنوار عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال سمعت حبيبى رسول الله ﷺ يقوله هبط على جبريل فقال يا محمد إن لكل شىء سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الشجر السدر وسيد الطير النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وروى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال يارب أخبرنى بأكرم خلقك عليك فقال جل وعلا الذى يسرع إلى هواى إسراع النسر إلى هواه والحديث يأتى إن شاء الله تعالى بتمامه فى النمر وفى شعب الإيمان للبيهقى عن على بن هرون العبدى قال سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول حق الشكر أن لا يعصى الله فيما أنعم ومن كان لسانه رطبا بذكر الله تعالى دخل الجنة وهو يضحك وقال إن لله عبادا يأوون إلى ذكر الله كما يأوى النسر إلى وكره ﴿وفى الحلية فى ترجمة وهب بن منبه وغيرها عن وهب بن منبه قال إن بختنصر مسخ أسدا فكان ملك السباع ثم مسخ نسرا فكان ملك الطير ثم مسخ ثورا فكان ملك الدواب وكان مسخه سبع سنين وقلبه فى ذلك كله قلب إنسان وهو فى ذلك كله يعقل عقل الإنسان وكان ملكه قائما ثم رده الله إلى بشريته ورد عليه روحه فدعا إلى توحيد الله وقال كل إله باطل إلا الله إله السماء فقيل لوهب أمات مسلما فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فيه فقال بعضهم آمن قبل أن يموت وقال بعضهم قتل الأنبياء وخرب بيت الله المقدس وأحرق كتبه فغضب الله عليه فلم يقبل منه التوبة انتهى قال السدى إن بختنصر لما رجع إلى صورته ورد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه من أكرم الناس عليه

فإذ توسخ يلقونه فى النار ليذهب وسخه ويخرج نظيفا وذكروا أن من أخذ جرذا وقطع ذنبه وأخصاه ثم أطلقه يأكل الجرذان والفيران أكلا ذريعا لا يغلبه شىء حتى الهرة وابن عرس وتحدث فيه شجاعة وجراءة وإقدام وأصحاب الأنانير والبيادر عرفوا ذلك فيأخذونه ويقطعون ذنبه ويسيبونه فلا يترك جرذاً ولا فأرا ومن شق فأرة وجعلها على موضع النصل أو الشوك يخرجه وتحرق الفأرة وتسحق وتخلط بالدهن

فحسدتهم المجوس وقالوا لبختنصر إن دانيال إذا شرب لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاما فأكلوا وشربوا وقال للبواب انظر أول من يخرج للبول فاضربه بالطبر فإن قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني بقتلك فكان أول من قام للبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه فقال أنا بختنصر فقال البواب كذبت بختنصر أمرني بقتلك ثم ضربه فقتله هكذا قال أصحاب المبتدا وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال إن نمرود الجبار لما حاجّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ربه قال إن كان ما يقوله إبراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا فجعل له بابا من أعلاه وبابا من أسفله وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بأرجل النسور وخلاها فطارت وصعدت طمعاً في اللحم حتى مضى يوم وأبعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر فقال إن السماء كهيئتها ثم قال له افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها ففعل وقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النسور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح البابين وانظر ففتح الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودي أيها الطاغية إلى أين تريد وقال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل قوسا ونشابا فرمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها من بحر في الهواء وقيل بدم طائر أصابه السهم فقال كفيت إله السماء قال ثم إن النمرود أمر صاحبه أن يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال هفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه قد حدث حادث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » قرأ ابن مسعود رضي الله عنه إن كاد بالدال المهملة وقرأ العامة بالنون وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الأولى ورفع الثانية وقرأ العامة بكسر اللام الأولى ونصب الثانية قال الجوهري نسر صنم لذي الكلاع بأرض حمير وكان يغوث لمذحج ويعوق لهمدان من أصنام قوم نوح عليه السلام قال الله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا انتهى وإلى هذا أشار العباس رضي الله تعالى عنه عم النبي ﷺ لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك فقال يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك فقال له رسول الله ﷺ قل لا يفضض الله فاك فأنشد العباس رضي الله تعالى عنه يقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم * إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندق عليا تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر * ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو * ر وسبل الرشاد نخترق

﴿ تتمة ﴾ روى الدارقطني عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

ويطلى به موضع الصلع ينبت الشعر ( فصل في خواص أجزائه ) رأسه يشد في خرقة كتان على رأس المتألم يسكن وجعه وينفع من الصرع عينه تشد على قلنسوة إنسان يسهل عليه المشي وإذا دخل على أحد يغفل عنه أكثرهم وإذا علقت على من به حمى الربع أبرأته مرارة السمندل تسقى لمن به جذام يزول عنه دمه يطلى به القضيب يقوى على الباه تقوية عظيمة دم الفأر

لما عرج بى إلى السماء الدنيا دخلت جنة عدن فوقعت فى يدى تفاحة فلما وضعتها فى يدى انقلبت حوراء عيناء مرضية أشفار عينها كمقادم النسور فقلت لها لمن أنت فقالت للخليفة من بعدك (الحكم) يحرم أكله لاستخبائه وأكله الجيف (الأمثال) قالوا أعمر من نسر وقالوا أتى الأبد على لبد وهذا اللبد الذى هو آخر نسور لقمان بن عاد وكان لقمان بن عاد الأصغر قد سيره قومه وهم عاد الذين ذكرهم الله فى كتابه العزيز إلى الحرم يستسقى لهم ومعه رهط من قومه فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهارهم فأقاموا عنده شهراً وكان مسيرهم شهرا فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه فقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعراً لا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال شعرا يؤنبهم فيه ويذكرهم الأمر الذى وفدوا لأجله فلما غنتهم الجرادتان شعره قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه الصلاة والسلام سرا إنكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال شعراً يذكر فيه إسلامه فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا إلى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم قبل أن يدعوا الله بشىء مما خرجوا له فلما انتهى إليهم قام يدعو الله ووفد عاد يدعون فقال اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل سؤلنا مع سؤله فقال قيل يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإنا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحائب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمدا لا يبقى من آل عاد أحدا وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل « بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم » الآية وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ما ذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع من عاد أحدا إلا أهلكته واعتزل هود ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما يلين عليهم ويلذ الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن فتحملهم بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا عن آخرهم فلما هلكت عاد خير لقمان بين أن يعيش عمر سبع بقرات سمر من أظب عفر فى جبل وعر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف من بعده نسر وكان قد سأل الله تعالى طول العمر فاختار النسور فكان يأخذ الفرخ حين خروجه من البيضة فيربيه فيعيش ثمانين سنة هكذا حتى هلك منها ستة فسمى السابع لبدا فلما كبر وهرم وعجز عن الطيران كان يقول له لقمان انهض لبد فلما هلك لبد مات لقمان وروى

ينتف الشعر الذى على الأجفان ويطلى بهذا الدم لا يرجع ينبت شحمه يذاب ويخلط بدهن الورد ويطلى به الكلف يزيله لحمه إذا شوى وأطعم لصبى انقطع سيلان اللعاب من فمه خصيته تشد على المرأة لا تحبل ما دامت معها ذنبه يشد على المصروع يزيله جلد الفأر يحشى بالتبن ويعلق فى البيت يهرب الفأر عنه بعره يحل بالزيت ويطلى به الرأس يذهب بداء الثعلب ويتخذ من بعر الفأر والحنظل والبورق والسكر الأحمر أشياء يحتمله صاحب القولنج ينفتح فى الحال

أن الله تعالى أمر الريح فهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمل وأرسل الله طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه ولم تخرج ريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ فإنها عتت عن الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفى الحديث أنها خرجت على قدر خرم الخاتم وروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال إن قبر نبى الله هود عليه الصلاة والسلام بحضرموت فى كثيب أحمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم أقبر تسعة وتسعون نبيا منهم هود وشعيب وصالح وإسماعيل صلى الله عليهم وسلم وقد ذكرت العرب لبدا فى أشعارها كثيرا فمن ذلك قول النابغة الذبيانى :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقد تقدم ما قاله الشاعر فى ذكر لبد فى باب اللام (الخواص) إذا جعل قلب النسر فى جلد ذئب وعلق على إنسان كان محبوبا مهابا مقضى الحاجة عند السلطان وغيره ولا يضره سبع أبدا وإن عسر وضع امرأة فوضع تحتها ريشة من ريشه أسرعت الولادة وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وعلق على من يخدم الملوك والسلاطين أمن غضبهم وكان محبوبا عندهم وعظم فخذه الأيسر إن علق على من به سبح قديم نفعه وأبرأه وعقب ساقه إن علق على من به النقرس أبرأه الأيمن للأيمن والأيسر للأيسر وإن دخن بريشة من ريشه فى بيت فيه هوام طردها ولم يبق فيه شىء منها وكبده إذا شويت واحترقت وشربت نفعت للباه منفعة عظيمة وإن أخذ بيضه وضرب بعضه ببعض حتى يختلط ويمسح به الإحليل ثلاثة أيام قوى قوة عجيبة ومرارته تنفع من الماء النازل فى العين إذا اكتحل بها سبع مرات بماء بارد وطلى بها حول العين وإن علق فكه الأعلى على عنق إنسان فى خرقة لم يقر به شىء من الهوام (التعبير) النسر فى المنام ملك فمن رأى نسرا نازعه فإن سلطانا يغضب عليه ويوكل ظالما لأن سليمان عليه الصلاة والسلام وكل النسر على الطير فكانت تخافه ومن ملك نسرا مطاعا أصاب ملكا عظيما ومن ملك نسرا فطار به وهو لا يخافه فإنه يعلو أمره ويصير جبارا عنيدا لما تقدم عن النمرود ومن أصاب فرخ نسر ولده ولد يكون عظيما هاديا فإن رأى ذلك نهارا فإنه يمرض فإن خدشه ذلك الفرخ طال مرضه ورؤية النسر المذبوح تدل على موت ملك من الملوك ومن رأى النسر من النساء الحوامل فإنها ترى المراضع والدايات وقالت اليهود النسر يفسر بالأنبياء والصالحين لأن فى التوراة شبه الصالحين بالنسر الذى يعرف وطنه ويرفرف على فراخه ويزقها وقال إبراهيم الكرمانى النسر يعبر بأكبر الملوك لأن الله تعالى خلق ملكا على صورته وهو موكل بأرزاق الطير وقال ما جاست من رأى نسرا أو سمع صياحه خاصم إنسانا وقال ابن المقرى من ملك نسرا أو تحكم عليه نال عزا وسلطانا ونصرة على أعدائه وعاش عمرا طويلا فإن كان الرائى من أهل الجد والاجتهاد انقطع عن الناس واعتزلهم وعاش منفردا لا يأوى إلى أحد وإن كان ملكا انتصر على أعدائه وربما صالحهم وأمن شرهم ومكايدهم وانتفع بما عندهم من السلاح والمال وإن كان من عوام الناس نال منزلة تليق به أو مالا وانتصر على أعدائه وربما دلت رؤية النسر على البدعة والضلالة عن الهدى نعوذ بالله من ذلك لقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ورؤية المؤنث منها نساء خواطئ والصغار أولادزنا وكذلك العقاب قال وربما دلت رؤيتها على الموت لاقتناصها الأرواح وأكلها الميتة والجيفة وربما دل النسر على الغيرة على العيال والله تعالى أعلم ﴿النساف﴾ بفتح النون وتشديد السين طائر له منقار كبير قاله ابن سيده ﴿النسناس﴾ قال فى المحكم هو خلق فى صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم وقال

بعر الفأر مع العسل يطلى به على الظفرة التى فى عين الفرس تزول بالكلية ويسقى الصبى الذى فى مثانته حصاة يفتتها ويسقى صاحب عسر البول يطلق وإذا اكتحل ببعر الفأر نفع من بياض العين سؤر الفأر يورث النسيان كما قال ﷺ خمس تورث النسيان وعد منها سؤر الفأر والله أعلم (فراش) هو الحيوان الذى يتهافت على السراج

فى الصحاح هو جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة انتهى وقال المسعودى فى مروج الذهب إنه حيوان كالإنسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالإنسان قتله وفى كتاب القزوينى قال فى الأشكال إنه أمة من الأمم لكل واحد منهم نصف بدن ونصف رأس ويد ورجل كأنه إنسان شق نصفين يقفز على رجل واحدة قفزا شديدا ويعدو عدوا شديدا منكرا ويوجد فى جزائر بحر الصين * وفى المجالسة للدينورى عن ابن قتيبة عن عبد الرحمن ابن عبد الله أنه قال قال ابن اسحق النسناس خلق باليمن لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها وأهل اليمن يصطادونهم فخرج قوم لصيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحدا منهم فعقروه وتوارى اثنان فى الشجر فذبح الذى عقر فقال أحدهم لصاحبه إنه لسمين فقال أحدهم الاثنين إنه كان يأكل الضرو فأخذوه فذبحوه فقال الذى ذبحه ما أنفع الصمت فقال الثالث فأنا الصميت فأخذوه فذبحوه قال ابن سيده الضرو البطم وهو شجر الحبة الخضراء كذا يسميه أهل اليمن وقال الميدانى فى باب الهمزة من الأمثال قال أبو الدقيس إن الناس كانوا يأكلون النسناس وهم قوم لكل منهم يد ورجل ونصف رأس ونصف بدن يقال إنهم من نسل إرم بن سام أخى عاد وثمود ليست لهم عقول يعيشون فى الآجام على ساحل بحر الهند والعرب يصطادونهم ويأكلونهم وهم يتكلمون بالعربية ويتناسلون ويتسمون بأسماء العرب ويقولون الأشعار وفى تاريخ صنعاء أن رجلا تاجرا سافر إلى بلادهم فرآهم يثبون على رجل واحدة ويصعدون الشجر ويفرون من الكلاب خوفا أن تأخذهم وسمع واحد منهم يقول :

فررت من خوف الشراة شدا ... إذ لم أجد من الفرار بدا
قد كنت قدما فى زمانى جلدا ... فها أنا اليوم ضعيف جدا

وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ذهب الناس وبقى النسناس قيل ما النسناس قال الذين يتشبهون بالناس وليسوا بالناس وفى المجالسة للدينورى من كلام الحسن البصرى أنه قال ذهب الناس وبقى النسناس لو تكاشفتم ما تدافنتم وهو فى الفائق ونهاية ابن الأثير وغريب الهروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وقيل النسناس بأجوج ومأجوج وقيل خلق على صورة الناس أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم ومنه الحديث أن حيا من عاد عصوا نبيهم فمسخهم الله نسناسا لكل واحد منهم يد ورجل من شق واحد ينقرون كما ينقر الطير ويرعون كما ترعى البهائم ونونها الأولى مكسورة وقد تفتح وروى أحمد فى الزهد عن مطرف بن عبد الله أنه قال عقول الناس على قدر زمانهم وقال هم الناس والنسناس وأناس غمسوا فى ماء الناس قال الكريمى سمعت أبا نعيم يقول كثيرا ما يعجبنى قول عائشة رضى الله تعالى عنها * ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * لكن أبا نعيم يقول :

ذهب الناس فاستلقوا وصاروا ... خلفا فى أراذل النسناس
فى أناس نعدهم عن عديد ... فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغى النيل منهم ... بدرونى قبل السؤال بياس
وبلونى حتى تمنيت أنى ... منهم قد أقلت رأسا براس

(الحكم) قال القاضى أبو الطيب والشيخ أبو حامد لا يحل أكل النسناس لأنه على خلقه الناس ولذلك قال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه وأما هذا الحيوان الذى تسميه

ويحترق زعموا أنها دعموص فى أول أمرها فإذا نبتت أجنحتها صارت فراشا والدعموص هو العلق الصغير وقال آخرون إنها دودة حمراء توجد فى البقل يقال لها اليرسوع تنسلخ فتصير فراشا وسبب وقوعها على النار ما ذكر بعضهم أن بصرها ضعيف فإذا رأت السراج تظن أنها فى بيت مظلم وأن السراج كوة فى البيت المظلم إلى الموضع المضىء فلا تزال تطلب الضوء وترمى نفسها إلى الكوة فإذا جاوزتها ورأت

العامة بالنسناس فهو نوع من القردة لا يعيش فى الماء فينبغى تحريم أكله لأنه يشبه القردة فى الخلقة والخلق والذكاء والفطنة وأما الحيوان البحرى منه ففى حكمه وحل أكله وجهان أحدهما يحل كغيره من السمك واختاره الرويانى وغيره والثانى يحرم كما تقدم وبه قال الشيخ أبو حامد والقاضى أبو الطيب وهو عندهما مستثنى مما عدا السمك مما لا يعيش إلا فى الماء وترتيب الخلاف فيه أنا إذا قلنا بتحريم ما عدا الحوت حرم النسناس وإن قلنا بإباحته ففى النسناس وجهان أحدهما التحريم كالضفدع والسرطان والتمساح والثانى الحل ككلب الماء وإنسانه وهذا هو الأقرب إلى نص الشافعى ويشهد له قول صاحب المحكم وقول كراع فى البحر المتقدم والنسناس فيما يقال دابة فى عداد الوحش تصاد وتؤكل وهو على شكل الإنسان بعين واحدة ورجل واحدة ويد واحدة يتكلم كالإنسان انتهى فأفاد قوله أنها تصاد وتؤكل أنها مستطابة وقد تقدم عن الدينورى عن أبى إسحق أن النسناس يصاد ويؤكل وقاله الميدانى أيضا كما تقدم (التعبير) هو فى الرؤيا رجل قليل العقل يهلك نفسه ويفعل فعلا يسقط من أعين الناس والله أعلم ﴿النسنوس﴾ طائر يأوى الجبال له هامة كبيرة ﴿النضو﴾ بالكسر البعير المهزول والناقة نضوة والجمع فيهما أنضاء وقد أنضتها الأسفار فهى منضاة وأنضى فلان بعيره أى أهزله وقد أحسن الوزير مؤيد الدين أبو إسمعيل الحسين بن على الطغرائى صاحب لامية العجم وكان من أفراد الدهر وحامل لواء النظم والنثر فى قوله :

يقتلن أنضاء حب لاحواك به ... وينحرون كرام الخيل والإبل

وأحسن الشارح لكلام الشيخ صلاح الدين الصفدى فى ذكره العددين المتحابين هنا وهما المائتان والعشرون فإنه عدد زائد أجزاؤه أكثر منه لأنها إذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه لأنها إذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر بيان ذلك أن العدد التام هو الذى إذا جمعت أجزاؤه كانت مثله وهو الستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة النصف وهو ثلاثة والثلث هو اثنان والسدس وهو واحد والعدد الناقص ما إذا جمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت أقل منه كالثمانية فإن أجزاءها النصف والربع والثمن وهى سبعة والعدد الزائد ما إذا جمعت أجزاؤه زادت عليه كالاثنى عشرة فمجموع أجزائها ستة عشرة وهى تزيد على الأصل والمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربع وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو أحد عشر وجزء من أحد عشر وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين وهو عشرة وجزء من أربع وأربعين وهو خمسة وجزء من خمسة وخمسين وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة وهو اثنان وجزء من مائتين وعشرين وهو واحد وجملة ذلك مائتان وأربعة وثمانون والمائتان والأربعة والثمانون ليس لها إلا نصف وهو مائة واثنان وأربعون وربع وهو أحد وسبعون وجزء من أحد وسبعين وهو أربعة وجزء من مائة واثنين وأربعين هو اثنان وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد وجملة ذلك من الأجزاء الصحيحة مائتان وعشرون فقد ظهر بهذا المثل تحاب العددين وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة فى المحبة إذا جعل العدد الأقل والعدد الأكثر فى شىء من المأكول وأطعم لمن يريد محبته ويجمع هذين العددين قولك «فردكر» قال الشارح وكنت بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم رأيت إثباتها فيه

الظلام ظنت أنها لم تصب الكوة فتعود إليها مرة ثانية فتفعل ذلك إلى أن تحترق * حدث خفيف السمر قندى صاحب المعتضد بالله أمير المؤمنين أنه كثر الفراش على الشمع المسرج بين يدى الخليفة فى بعض الليالى فجمعناه فكان مكوكا ثم ميزناه فكان اثنين وسبعين شكلا (فسافس) قال الشيخ الرئيس هو حيوان كالقراد يكون فى الأسرة شديد النتن جدا يشبه أن يكون المعروف عندنا

والله أعلم ﴿النعاب﴾ فى فتاوى ابن الصلاح أنه اللقلق (وحكمه) تحريم الأكل على الأصح كما تقدم والمعروف أنه الغراب يقال نعب الغراب وغيره ينعب نعبا ونعيبا ونعابا وتنعابا ونعبانا إذا صوت وقيل إذا مد عنقه وحرك رأسه وصوت وفى المجالسة للدينورى فى أوائل الجزء العاشر عن الأحوص بن حكيم قال كان من دعاء داود عليه الصلاة والسلام يارازق النعاب فى عشه قال وذلك أن الغراب إذا فقس عن فراخه خرجت بيضا فإذا رآها كذلك نفر عنها فتفتح أفواهها فيرسل الله تبارك وتعالى لها ذبابا يدخل فى أجوافها فيكون ذلك غذاء لها حتى تسود فإذا اسودت عاد الغراب فغذاها ويرفع الله تعالى الذباب عنها وكذلك ذكره صاحب كتاب الحجة لبيان المحجة وغيره عن مجاهد وغيره وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى لفظ الحمار الوحشى أن الحريرى أشار إلى ذلك فى المقامة الثالثة عشر بقوله:

يا رازق النعاب فى عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقى رحيض

والذى رويناه فى كتاب الترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال كان من دعاء داود عليه السلام اللهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسى ومن أهلى ومن الماء البارد قال وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عليه السلام يقول كان أعبد البشر قال الترمذى هذا حديث حسن وروينا فى كتاب حلية الأولياء عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال: قال داود عليه السلام إلهى كن لابن سليمان كما كنت لى فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ياداود قل لابنك سليمان يكن لى كما كنت لى حتى أكون له كما كنت لك وهذا الدعاء الذى رواه الترمذى عن داود عليه السلام روى أيضا نحوه عن نبينا ﷺ من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انتفل إلينا فقال أما إنى سأحدثكم ماحبسنى عنكم الغداة إنى قمت من الليل فتوضأت وصليت ماقدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فإذا أنا بربى تعالى فى أحسن صورة فقال يامحمد فقلت لبيك ربى قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت رب لا أدرى قال تعالى فى الكفارات والدرجات وفى رواية قلت فى الكفارات والدرجات قال فما هن قلت مشى الأقدام إلى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء على المكروهات قال ثم فيم قلت فى إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك فقال رسول الله ﷺ إنها حق فادرسوها ثم تعلموها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ﴿النعام﴾ معروف يذكر ويؤنث وهو اسم جنس مثل حمام وحمامة وجراد وجرادة وتجمع النعامة على نعامات ويقال لها أم البيض وأم ثلاثين وجماعتها بنات الهيق والظليم ذكرها قال الجاحظ والفرس يسمونها اشتر مرغ وتأويله بعير وطائر قال الشاعر:

ومثل نعامة تدعى بعيرا ... تعاصينا إذا ما قيل طيرى
فإن قيل احملى قالت فإنى ... من الطير المرفه فى الوكور

قال ويقال لقدم البعير خف والجمع خفاف ومنسم والجمع مناسم وكذلك يقال فى النعامة ويقال

بالبق قال إذا شرب بالخل أخرج العلق المتشبث فى الحلق وإذا شمت المرأة منه نفع من اختناق الرحم وإذا سحقت وجعلت فى ثقب الإحليل نفعت من عسر البول وإذا أخذت منها سبعا وجعلتها فى باقلاء وابتلعت قبل نوبة حمى الربع نفعت وإن ابتلعت من غير باقلاء نفعت من لسع جميع الهوام (قمل) يتولد من العرق والوسخ فى بدن الإنسان إذا علاه ثوب أو شعر لأن العرق يتعفن من

لأنثى النعام قلوص كما يقال ذلك فى الإبل وإنما قالوا ذلك لما رأوا فيها من شبه الإبل قال وتزعم الأعراب أن النعامة ذهبت تطلب قرنين فقطعوا أذنيها فلذلك سميت بالظليم انتهى وكأنهم إنما سموها ظليما لأنهم ظلموها حين قطعوا أذنيها ولم يعطوها ما طلبت وهذا بناء على اعتقادهم الفاسد والنعامة صمعاء يقال خرج السهم متصمعا إذا ابتلت قذذه من الدم ويقال أتانا بثريدة متصمعة إذا دققها وحدد رأسها وصومعة الراهب منه لأنها دقيقة من أعلى الرأس ورجل أصمع القلب إذا كان حديدا ماضيا ويقال للرجل أيضا إذا كان قصير الأذنين لاصقتين بالرأس أصمع والمرأة صمعاء وبنو أصمع قبيلة من العرب منهم الأصمعى واسمه عبد الملك بن قريب وهو صاحب لغة ونحو وشعر ونوادر فمن نوادره أنه قال مررت فى بعض سكك الكوفة فإذا برجل قد خرج من حش على كتفه جرة وهو يقول :

وأكرم نفسى أننى إن أهنتها ... وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له أتكرمها بمثل هذا قال نعم وأستغنى عن سفلة مثلك إذا سألته قال صنع الله بك وترك فقلت تراه عرفنى فأسرعت فصاح بى يا أصمعى فالتفت فقال :

لنقل الصخر من قلل الجبال ... أحب إلى من منن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار ... وكل العار فى ذل السؤال

وقال الأصمعى سألت أعرابية عن ولد لها كنت أعرفه فقالت مات وأنسى المصائب ثم قالت :

وكنت أخاف الدهر ما كان آمنا ... فلما تولى مات خوفى من الدهر

وقال قلت لرجل من الأعراب أعرفه بالكذب أصدقت قط فقال لولا أنى أصدق فى هذا القلت لا وقال الأصمعى للكسائى وهما عند الرشيد ما معنى قول الراعى :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما ... ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال الكسائى كان محرما بالحج فقال الأصمعى فما أراد عدى بن زيد بقوله :

قتلوا كسرى بليل محرما ... فمضى فلم يمتع بكفن

فهل كان محرما بالحج وأى إحرام لكسرى فقال الرشيد للكسائى ياعلى إذا جاء الشعر فإياك والأصمعى وروى أن الرشيد قال للأصمعى ما أحسن ما مر بك فى تقويم اللسان قال أوصى رجل بعض بنيه فقال يابنى أصلحوا من ألسنتكم فإن الرجل تنوبه النائبة فيتجمل فيها فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه ولا يجد من يعيره لسانه وأنشد فى ذلك :

وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن اللسان

كفى بالمرء عيبا أن تراه ... له وجه وليس له لسان

ويروى عن الأصمعى أنه قال وجدنى أبو عمرو بن العلاء مارا فى بعض أزقة البصرة فقال إلى أين يا أصمعى فقلت لزيارة بعض إخوانى فقال يا أصمعى إن كان لفائدة أو عائدة وإلا فلا وقد أنشدنى فى ذلك يوسف الحلبى :

يا أيها الإخوان أوصيكم ... وصية الوالد والوالده ... لا تنقلوا الأقدام إلا إلى

من لكم عنده فائده ... إما لعلم تستفيدونه ... أو لكريم عنده مائده

وكان من كلام الأصمعى خير العلم ما أطفأت به الحريق وأخرجت به الغريق وكان يقول أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة فيها ما عدد أبياتها المائة والمائتان * ومن عجيب ما يحكى

دفاء الثوب أو الشعر فيتولد منه القمل ثم القمل يبيض ويبيضه الصئبان فإذا باضت التصقت بيضتها بالموضع إلصاقا لا يمكن إزالتها إلا بالشدة ويتولد فى الشعر الأسود قمل أسود وفى الشعر الأبيض قمل أبيض وفى الشعر الأحمر قمل أحمر وفى الأشمط شىء أسود وشىء أبيض وإذا تولد فى شعر رأس الإنسان يصفر لونه قالوا من أراد أن يعلم ما فى بطن الحامل غلام أو جارية يحلب شيئا من لبنها على الكف ويلقى

قال أبو العيناء كنا فى جنازة الاصمعى فحدثنى ابو قلابة الشاعر وأنشدنى لنفسه :

لعن الله أعظما حملوها * نحو دار البلى على خشبات
أعظما تبغض النبى وأهل الـــبيت والطيبين والطيبات

قال ثم حدثنى أبو العالية الشاعر وأنشدنى لنفسه أيضا :

لادر درّ نبات الأرض إذ فجعت * بالأصمعى لقد أبقت لنا أسفا
عش مابدالك فى الدنيا فلست ترى * فى الناس منه ولا من علمه خلفا

وكانت وفاة الأصمعى فى سنة ست عشرة ومائتين بالبصرة * والنعام عند المتكلمين على طبائع الحيوان ليست بطائر وإن كانت تبيض ولها جناح وريش ويجعلون الخفاش طيرا وإن كان يحبل ويلد وله أذنان بارزتان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى وهم يسمون الدجاجة طيرا وإن كانت لاتطير وظن بعض الناس أن النعامة متولدة من جمل وطائر وهذا لايصح ومن أعاجيبها أنها تضع بيضها طولا بحيث لو مد عليها خيط لاشتمل على قدر بيضها ولم تجد لشىء منه خروجا عن الآخر ثم إنها تعطى كل بيضة منه نصيبها من الحضن إذ كان كل بدنها لايشتمل على عدد بيضها وهى تخرج لعدم الطعم فإن وجدت بيض نعامة أخرى تحضنه وتنسى بيضها ولعلها أن تصاد فلا ترجع إليه ولهذا توصف بالحمق ويضرب بها المثل فى ذلك قال ابن هرمة :

فإنى وتركى ندى الأكرمين * وقدحى بكفى زنادا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء * وملبسة بيض أخرى جناحا

ويقال إنها تقسم بيضها أثلاثا فمنه ماتحضنه ومنه ماتجعل صفاره غذاء ومنه ماتفتحه وتجعله فى الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود فتتغذى بها فراخها إذا خرجت قال فى الكفاية يقال عار الظليم إذا صاح والزمار صياح الأنثى وقال ابن قتيبة يقال عريعر للذكر والأنثى زمر زمارا انتهى وقد سمى الحريرى فى المقامات النعامة باسم صوتها فقال ماتقول فيمن أتلف زمارة فى الحرم قال عليه بدنة من النعم روى عن كعب الأحبار قال لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام جاءه ميكائيل بشىء من حب الحنطة وقال هذا رزقك ورزق أولادك من بعدك قم فاحرث الأرض وابذر الحب قال ولم يزل الحب من عهد آدم عليه السلام إلى زمن إدريس عليه السلام كبيضة النعامة فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة وكان فى زمن العزيز على قدر الحمصة والنعام من الحيوان الذى يزاوج ويعاقب الذكر والأنثى فى الحضن وكل ذى رجلين إذا انكسرت له إحداهما استعان بالأخرى فى نهوضه وحركته ماخلا النعامة فإنها تبقى فى مكانها جاثمة حتى تهلك جوعا قال الشاعر :

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد * على أختها نهضا ولا باستها حبو

وليس للنعام حاسة السمع ولكن له شم بليغ فهو يدرك بأنفه ما يحتاج فيه الى السمع فربما شم رائحة القناص من بعد ولذلك تقول العرب هو أشم من نعامة كما تقول هو أشم من ذرة قال ابن خالويه فى كتاب ليس فى الدنيا حيوان لايسمع ولايشرب الماء أبدا إلا النعام ولامخ له ومتى دميت رجل واحدة لم ينتفع بالباقية والضب أيضا لايشرب ولكنه يسمع ومن حمقها أنها إذا أدركها القناص أدخلت رأسها فى كثيب رمل تقدر أنها قد استخفت منه وهى قوية الصبر على ترك الماء وأشد مايكون عدوها إذا استقبلت الريح وكلما اشتد عصوفها كانت أشد عدوا

فيه قملة فإن لم تقدر على الخروج ففى بطنها غلام وإن قدرت على الخروج ففى بطنها جارية لأن لبن الغلام غليظ ولبن الجارية رقيق لايمنع القمل من الخروج (قنفذ) الحيوان الذى يقال له بالفارسية خاربشت سلاحه على ظهره وهو الشوك الذى عليه ويتقنع بحيث لايبين من أطرافه شىء ويستطيب الهواء ويتخذ لمسكنه بابين أحدهما مستقبل الشمال والآخر مستقبل الجنوب

وتبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فتذيبه وتميعه كالماء قال الجاحظ من زعم أن جوف النعام إنما يذيب الحجارة لفرط الحرارة فقد أخطأ ولكن لا بد مع الحرارة من غرائز أخرى بدليل أن القدر يوقد عليها الأيام ولا تذيب الحجارة وكما أن جوف الكلب والذئب يذيبان العظم ولا يذيبان نوى التمر وكما أن الإبل تأكل الشوك وتقتصر عليه وإن كان شديداً كالسمر وهو شجر أم غيلان وتلقيه روثاً وإذا أكلت الشعير ألقته صحيحا انتهى وإذا رأت النعامة فى أذن صغير لؤلؤة أو حلقة اختطفتها وتبتلع الجمر فيكون جوفها هو العامل فى إطفائه ولا يكون الجمر عاملا فى إحراقه وفى ذلك أعجوبتان أحداهما التغذى بما لا يتغذى به والثانية الاستمراء والهضم وهذا غير منكر لأن السمندل يبيض ويفرخ فى النار كما تقدم وأما قول الحريرى فى المقامة السادسة فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة فأبو نعامة هو قطرى بن الفجاءة واسمه جعونة بن مازن المازنى الخارجى خرج زمن مصعب بن الزبير فبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وكان كلما سير إليه الحجاج جيشا يستظهر قطرى عليه ويروى أن شخصا قال للحجاج أيها الأمير فقال الحجاج إنما الأمير قطرى بن الفجاءة الذى إذا ركب ركب لركوبه عشرون ألفا لا يسألونه أين يريد وكان قطرى مقداما لا يهاب الموت وفى ذلك يقول مخاطبا لنفسه وهى من أبيات الحماسة :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ويحك لا تراعى
لأنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذى لك لم تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز * فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى * وداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم * وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة * إذا ما عد من سقط المتاع

وهذه الأبيات تشجع أجبن خلق الله تعالى ثم توجه إلى قطرى سفيان بن الأبرد الكلبى فظهر على قطرى وقتله ولا عقب لقطرى وإنما قيل لأبيه الفجاءة لأنه كان باليمن فقدم على أهله فجاءة فسمى بها كذا قاله ابن خلكان وغيره (الحكم) يحل أكل النعام بالإجماع لأنه من الطيبات ولأن الصحابة رضى الله تعالى عنهم قضوا فيه إذا قتله المحرم أو فى الحرم ببدنة روى ذلك عن عثمان وعلى وابن عباس وزيد بن ثابت ومعاوية رضى الله عنهم رواه الشافعى والبيهقى ثم قال الشافعى هذا غير ثابت عند أهل العلم بالحديث وهو قول الأكثر ممن لقيت وإنما قلنا فى النعامة بدنة بالقياس لا بهذا واختلفوا فى بيض النعام إذا أتلفه المحرم أو فى الحرم فقال عمر وابن مسعود والشعبى والنخعى والزهرى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى تجب فيه القيمة وقال أبو عبيدة وأبو موسى الأشعرى يجب فيه صيام يوم أو إطعام مسكين وقال مالك يجب فيه عشر ثمن البدنة كما فى جنين الحرة غرة من عبد أو أمة قيمة عشر دية الأم دليلنا أنه جزء من الصيد لا مثل له من النعم فوجبت قيمته كسائر المتلفات التى لا مثل لها وأما حديث أبى المهزم الذى رواه ابن ماجه والدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال فى بيض النعامة يصيبه المحرم ثمنه فهو ضعيف باتفاق المحدثين وبالغوا فى تضعيفه حتى قال شعبة أعطوه فلسا يحدثكم سبعين حديثا وقد تقدم ذكر

ويعادى الحية فإن ظفر بقفاها قتلها بأسهل طريق وإن ظفر بذنبها عض ذنبها ويتقنع ويعطى الحية ظهره ويمضغ ذنبها والحية تضرب نفسها على شوكه حتى تهلك ويصعد الكرم ويرمى حبات العناقيد إلى الأرض ثم ينزل ويتمرغ ليدخل شوكه فى الحبات فيحملها ويذهب بها إلى أولاده ومنها صنف يقال له الدلدل هو أكبر جسما من القنفذ وأطول جسما

أبى المهزم فى الجراد أيضا لكن فى مراسيل ابى داود من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ حكم فى بيض النعام فى كل بيضة صيام يوم ثم قال أبو داود أسند هذا الحديث والصحيح إرساله واستدل له فى المهذب بأنه خارج من الصيد يخلق منه مثله فضمن بالجزاء كالفرخ فإن كسر بيضا لم يحل له أكله بلا خلاف وفى تحريمه على الحلال طريقان أصحهما أنه لا يحرم لأنه لا روح فيه ولا يحتاج إلى ذكاة فإن كسر بيضا مذرا لم يضمنه من غير النعامة لأنه لا قيمة له ويضمنه من النعامة لأن لقشره قيمة وقال الشافعى لا أكره لمن يعلم من نفسه فى الحرب بلاء أن يعلم والمراد بالاعلام أن يجعل فى صدره ريش نعام كما فعله حمزة رضى الله تعالى عنه يوم بدر فإنه غرز ريش النعام فى صدره * فى كتاب مناقب الشافعى للحاكم أبى عبد الله بإسناده عن محمد بن إسحق عن المزنى قال سئل الشافعى عن نعامة ابتلعت جوهرة لرجل آخر فقال لست آمره بشىء ولكن إن كان صاحب الجوهرة كيسا عدا على النعامة فذبحها واستخرج جوهرته ثم ضمن لصاحب النعامة ما بين قيمتها حية ومذبوحة (الأمثال) قالوا * مثل النعامة لا طير ولا جمل * يضرب لمن لم يحكم له بخير ولا شر وقالوا أروى من النعامة لأنها لا تشرب الماء فإن رأته شربته عبثا وقالوا ركب جناح نعامة يضرب لمن جد فى أمر كاهزام أو غيره وقد تقدم فى باب السين قول الشماخ فى أبياته التى رثى بها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين رضى الله تعالى عنهن مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلة قد رفع عقيرته فقال :

جزى الله خيرا من إمام وباركت ... يد الله فى ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم مادرت بعدها ... بوائق فى أكمامها لم تفتق

فلم يدر ذلك الراكب من هو وكنا نتحدث بأنه من الجن فرجع عمر رضى الله تعالى عنه من تلك الحجة فطعن فمات وقالوا تكلم فلان فجمع بين الأروى والنعامة إذا تكلم بكلمتين مختلفتين لأن الأروى يسكن الجبال والنعامة تسكن الفيافى فلا يجتمعان وقالوا أحمق من نعامة وأجبن من نعامة وذلك أنها إذا خافت شيئا لا ترجع إليه بعد ذلك أبدا (الخواص) مرارته سم ساعة ومخ عظامه يورث آكله السل وذرقه إذا أحرق وسحق وطلى به على السعفة أبرأها من وقته وقشر بيض النعام إذا طرح فى الخل بعد ما يخرج جميع ما فيه تحرك فى الخل وزال من موضعه إلى موضع آخر وإذا عمل من الحديد الذى يأكله النعام ويخرج منه سكين أو سيف لم يكل أبدا ولم يقم له شىء (التعبير) النعامة فى المنام امرأة بدوية وقيل النعامة نعمة فمن ركب نعامة فى منامه فإنه يركب خيل البريد وقيل من ركب نعامة فإنه ينكح خصيا والنعامة تدل على الأصم لأنها لا تسمع وقيل تدل على النعى لأنه مشتق من اسمها وربما دلت على النعمة والنعامتان على نعمتين والثلاث نعامات على نعى الرائى وموته للاشتقاق والله أعلم ﴿ النعثل ﴾ كجعفر الذكر من الضباع وكان أعداء عثمان رضى الله تعالى عنه يسمونه نعثلا ﴿ النعجة ﴾ الأنثى من الشاة والجمع نعاج ونعجات قال الشاعر :

من كان ذا بت فهذا بتى ... مقيظ مصيف مشتى

نسبته إلى القنفذ كنسبة الجاموس إلى البقر قالوا أى موضع أراد أن يرمى إليه شوكة من شوكه يرميه كرمى النشاب ولا يخطئ شيئا فتمر الشوكة كمر السهم المسدد وتثبت فيه ( فصل فى خواص أجزائه ) عينه اليسرى تقلى بالزيت وتؤخذ بطرف الميل وتصب فى أذن الأطرش يزول طرشه مرارته ينتف الشعر ثم يطلى موضعه بها فإن الشعر عليه لا ينبت أبدا

al-Dåmiri, Muhammad ibn Musa,
1344(Ea) -1405

Hayat al-hayawan al-kubra.
Cairo, Matba'at al-Istiqamah,
1954
2 v. ill.

GL Las 189/ed at
893.7D18
P1

MDC

see

Malaŵi Development Corporation.

## Library of Congress Reference

Users of depository catalogs should note that references may be to Library of Congress secondary entries which do not appear as headings in depository catalogs.

**al-Damīrī, Muḥammad ibn Mūsá,** 1344 (ca.)–1405.
حياة الحيوان الكبرى، لكمال الدين الدميري. وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، لزكريا بن محمد ابن محمود القزويني. [بيروت؟] دار القاموس الحديث، يطلب من مكتبة البيان، بيروت [1970؟]

2 v. 30 cm.

Reprint of the ed. published in Cairo, 1309 A. H.

1. Zoology—Pre-Linnean works. 2. Science, Medieval. I. al-Qazwīnī, Zakarīyā ibn Muḥammad, d. 1283 or 4. 'Ajā'ib al-makhlūqāt. 1970? II. Title.

Title romanized: Ḥayāt al-ḥayawān al-kubrá.

QL41.D3 1970 70–271608

Library of Congress 71 [3] NE

اتخذته من نعجات ست * سود نعاج من نعاج الدست

والدست الصحراء وكنيتها أم الأموال وأم فروة وتطلق على الأنثى من الظباء والبقر الوحشية روى أحمد بن صالح السهمي عن ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال مرت بالنبي ﷺ نعجة فقال هذه التي بورك فيها وفي خروفها لكنه حديث منكر جدا وربما كنى بالنعجة عن المرأة قال الله تعالى « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة » قرأ الحسن نعجة بكسر النون قال في التمهيد سئل المبرد عن قول الله تعالى « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة » وهم الملائكة والملائكة لا أزواج لهم فقال نحن طول الزمان نفعل مثل هذا نقول ضرب زيد عمرا وإنما هذا تقدير كان المعنى إذا وقع هكذا فكيف الحكم فيه ومثله قول عدي بن زيد للنعمان أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك فقال وما تقول :

رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذاك الدهر حال بعد حال

وقول آخر :

شكا إلي جملي طول السرى * صبرا جميلا فكلانا مبتلى

قال الزمخشري فإن قلت ما وجه قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ولي نعجة أنثى قلت يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الأنوثة وفتورها وذلك أزيد وأصلح في تكسرها وتثنيها ألا ترى إلى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله * تمشي رويدا وتكاد تنعسف * وفي مسند أبي محمد الدارمي في باب سخاء النبي صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن أبي بكر عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فنفحني نفحة بسوط كان في يده وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي دائما أقول أوجعت رسول الله ﷺ وبت بليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا إذا برجل يقول أين فلان قال فقلت والله هذا الذي كان مني بالأمس قال فانطلقت وأنا متخوف فقال لي رسول الله ﷺ إنك وطئت بنعلك على رجلي بالأمس فأوجعتني فنفحتك نفحة بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها (الأمثال) قالوا أعجل من نعجة إلى حوض وأحمق من نعجة على حوض لأنها إذا رأت الماء أكبت عليه تشرب فلا تنثني عنه إلا أن تزجر أو تطرد (الخواص) قرن النعجة إذا أخذ وقري عليه ثلاث مرات يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ووضع تحت رأس امرأة نائمة من غير أن تعلم وسئلت عن شيء أخبرت به ولا تكاد تكتم شيئا مما تعلم ومرارتها إذا أحرقت وخلطت بزيت وطلي بها الحواجب كثرت شعرها وسودته وابن النعاج إذا كتب به على قرطاس فلا تظهر عليه فإذا طرح في الماء ظهرت عليه كتابة بيضاء وإن تحملت امرأة بصوف نعجة قطعت الحبل وقد تقدم (التعبير) النعجة في المنام امرأة شريفة غنية إذا كانت سمينة لأنه قد كني عن النساء بالنعاج كما تقدم ومن أكل لحم نعجة ورث امرأة وصوفها ولبنها مال ومن رأى نعجة دخلت منزله نال خصبا في تلك السنة والنعجة الحامل خصب ومال يرتجى ومن صارت نعجته كبشا فإن زوجته لا تحمل أبدا وقس على هذا في جميع الإناث والنعاج الكثيرة نساء صالحات وربما دلت رؤيتهن على الهموم والأفكار وفقد الأزواج وزوال المنصب لقوله تعالى إن هذا أخي له تسع

وتخلط هذه المرارة بشيء من الكبريت ويطلى به البهق يزيله وطحاله يشوى ويطعم المطحول فإنه على قدر ما يطعم منه يخف طحاله كليته تجفف وتسحق ويسقى منها قدر درهم بماء الحمص الأسود المغلي المصفى فإنه ينفع لعسر البول دمه يطلى به عضة الكلب الكلب فإنه يسكن ألمه ويأمن صاحبه من الموت لحمه قال الشيخ الرئيس المصلح منه ينفع من داء الفيل والجذام وهو جيد لمن يبول في

وتسعون نعجة ولى نعجة واحد الآية ﴿ النعبول ﴾ بضم النون طائر قاله ابن دريد وغيره ﴿ النعرة ﴾ مثال الهمزة ذباب ضخم أزرق العين له إبرة فى طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة سميت نعرة بضم النون وفتح العين المهملة لنعيرها وهو صوتها قال ابن مقبل :

ترى النعرات الخضر حول لبانه أحاد ومثنى أضعفتها صواهله

وربما دخلت فى أذن الحمار فركب رأسه ولا يرده شىء تقول منه نعر الحمار بالكسر ينعر نعرا فهو نعر (الحكم) يحرم أكله (الأمثال) قالوا فلان فى أنفه أو أذنه نعرة يضرب للجامح الذى لا يستقر على شىء ﴿ النعم ﴾ عند اللغويين الإبل والشاء يذكر ويؤنث قال الله تعالى نسقيكم مما فى بطونها وقال تعالى فى موضع آخر مما فى بطونه والجمع أنعام وجمع الجمع أناعيم وعند الفقهاء النعم يشمل الإبل والبقر والغنم وقال ابن الأعرابى النعم الإبل خاصة والأنعام الإبل والبقر والغنم (وحكى) القشيرى فى تفسير قوله تعالى أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون أنها الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير فهم لها مالكون أى ضابطون مطيعون كما قال الشاعر :

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا

أى لا أضبطه وقوله تعالى والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام قال ثعلب معناه لا يذكرون الله على طعامهم ولا يسمعون كما أن الأنعام لا تفعل ذلك * روى الشيخان وغيرهما من حديث سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله تعالى عنه لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وهذا يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث أنه إذا اهتدى به رجل واحد لا يعلم العلم كان ذلك خيرا له من حمر النعم وهى خيارها وأشرفها عند أهلها فما الظن بمن يهتدى به كل يوم طوائف من الناس * والنعم كثيرة الفائدة سهلة الانقياد ليس لها شراسة الدواب ولا نفرة السباع ولشدة حاجة الناس إليها لم يخلق الله سبحانه وتعالى لها سلاحا شديدا كأنياب السباع وبرائنها وأنياب الحشرات وإبرها وجعل من شأنها الثبات والصبر على التعب والجوع والعطش وخلقها ذلولا تقاد بالأيدى كما قال تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون وجعل الله تعالى قرنها سلاحا لها لتأمن به الأعداء ولما كان مأكلها الحشيش اقتضت الحكمة الإلهية أن جعل لها أفواها واسعة وأسنانا حدادا وأضراسا صلابا لتطحن بها الحب والنوى ﴿ فائدة ﴾ جعل الله تعالى الأنعام رفقا بالعباد ونعمة عددها عليهم ومنفعة بالغة قال الله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون فكان أهل الجاهلية يقطعون طريق الانتفاع ويذهبون نعمة الله فيها ويزيلون المنفعة والمصلحة التى للعباد فيها بفعلهم الخبيث قال الله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام فلفظ جعل فى الآية لا يتجه أن يكون بمعنى خلق لأن الله تعالى خلق هذه الأشياء كلها ولا بمعنى صير لعدم المفعول الثانى وإنما هو بمعنى ماسن ولا شرع ولذلك تعدت إلى مفعول واحد * والبحيرة هى الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها أى شقوها وحرموا ركوبها والحمل عليها ولم يجزوا وبرها وتركوها تأكل حيث شاءت لا تطرد عن ماء ولا كلأ ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرا نحروه فأكله الرجال والنساء وإن كان أنثى بحروا أذنها أى شقوها وتركوها وحرموا على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها للرجال خاصة فإذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابعت اثنتى عشرة إناثا

الفراش من الصبيان وينفع من نهش الهوام كلها ومن البرص والسل والتشنج والرياح كلها جلده يحرق ويخلط بالزفت ينفع من داء الثعلب خصيته إن كانت الدلدل يؤخذ نضيجها وتخلط بالعسل الشهد وتؤكل فإنها تزيد فى الباه وتعين عليه وظفره من يده اليمنى يدخن به تحت ذيل صاحب حمى الربع تزول حماه ورماد القنفذ إذا أحرق كما هو يحشى به الناصور فإنه يبرأ

سيبت فلم تركب ظهورها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى بحر أذنيها أى شق ثم خلى سبيلها مع أمها فى الإبل فلم تركب ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها فهى البحيرة بنت السائبة والبحر الشق قيل ومنه سمى البحر بحرا لشقه الأرض والبحيرة فعيلة بمعنى مفعولة * والسائبة الناقة التى سيبت وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية إذا مرض أو غاب قريبه نذر فقال إن شفانى الله أو شفى مريضى أو رد غائبى فناقتى هذه سائبة ثم يسيبها كالبحيرة فلا تحبس عن رعى ولا ماء ولا يركبها أحد وقال علقمة هى العبد يسيب أى لا ولاء عليه ولا عقل ولا ميراث وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما الولاء لمن أعتق وقال سعيد بن المسيب السائبة الناقة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شىء والبحيرة الناقة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس وقيل السائبة الناقة إذا ولدت اثنى عشرة أنثى سيبت والسائبة فاعلة بمعنى مفعولة كقولهم ماء دافق أى مدفوق وعيشة راضية أى مرضية روى * محمد بن إسحق عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ لأكثم بن الجون الخزاعى رضى الله تعالى عنه يا أكثم رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك ولقد رأيته فى النار يؤذى أهل النار بريح قصبه قال أكثم أيضرنى شبهه يا رسول الله قال لا إنك مؤمن وهو كافر وعمرو بن لحى هو أول من غير دين اسمعيل عليه الصلاة والسلام ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحام * والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت ثلاثة بطون أو خمسة وقيل سبعة فإن كان آخرها جديا ذبحوه لبيت الآلهة وأكل منه الرجال والنساء وإن كان عناقا استحيوها فإن كان جديا وعناقا استحيوا الذكر من أجل الأنثى وقالوا هذه العناق وصلت أخاها فلم يذبحوه وكان لبن الأنثى حراما على النساء فإن مات منها شىء أكله الرجال والنساء جميعا * والحام هو الفحل من الإبل إذا قرح من صلبه عشرة أبطن وقيل إذا ضرب عشر سنين وقيل إذا ولد من ولد ولده وقيل إذا ركب من ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شىء ولا يمنع من كلأ ولا ماء فإذا مات أكله الرجال والنساء فأعلم الله تعالى أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئا بقوله عز وجل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وإنما هذه كلها من أفعال الجاهلية التى نهى الله عنها ﴿النغر﴾ بضم النون وفتح الغين المعجمة قال الجوهرى إنه طير كالعصافير حمر المناقير والجمع نغران كصرد وصردان قال الخطابى أنشدنى أبو عمرو فقال :

يحملن أوعية السلاح كأنما * يحملنه بأكارع النغران

ومؤنثه نغرة كهمزة وأهل المدينة يسمونه البلبل وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لى أخ لأمى فطيم يقال له عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير وعمير تصغير عمر أو عمرو والفطيم بمعنى المفطوم قال شيخ الإسلام النووى رحمه الله تعالى فى الحديث فوائد كثيرة منها جواز تكنية من لم يولد له وتكنية الطفل وأنه ليس كذبا وفى الحديث بادروا بكنى أولادكم لا تسبق إليها ألقاب السوء وفيه جواز المزاح فيما ليس بإثم وجواز تصغير بعض المسميات وجواز التسجيع فى الكلام الحسن بلا كلفة وملاطفة الصبيان وتأنيسهم وبيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وزيارة أهل الفضل لأن أم سليم والدة أبى عمير وأنس رضى الله تعالى عنهما هى من محارمه ﷺ واستدل به

( نبر )

دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وينتفخ وربما يكون ذلك سبب هلاكه ولما أراد الشاعر أن يذكر مسمن إبله قال :

حمر تحقنت النجيد كأنما * بجلودهن مدارج الأنبار

(نحل) حيوان ذو هيئة ظريفة وخلقة لطيفة وبنية نحيفة وسط بدنه مربع مكعب ومؤخره مخروط ورأسه مدور مبسوط وركب فى وسط بدنه أربعة أرجل ويدين متناسبة المقادير كأضلاع الشكل المسدس فى الدائرة وقد جعل فى هذا النوع الملك

بعض المالكية على جواز الصيد من حرم المدينة ولا دلالة فيه لذلك لأنه ليس فى الحديث أنه من حرم المدينة بل نقول إنه صيد من الحل وأدخل الحرم ويجوز للحلال أن يفعل ذلك ولا يجوز له أن يصيد من الحرم فيفرق بين ابتداء صيده وبين استصحاب إمساكه وقد صحت أحاديث كثيرة عن النبى ﷺ فى تحريم صيد حرم المدينة فلا يجوز تركها بمثل هذا الاحتمال ومعارضتها به وفى الحديث أيضا دليل على جواز لعب الصغير بالطير الصغير قال العلامة أبو العباس القرطبى لكن الذى أجاز العلماء أن يمسك له وأن يلهو بحبسه وأما تعذيبه والعبث به فلا يجوز لأن النبى ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان إلا لمأكله وقال غيره معنى قوله يلعب به يتلهى بحبسه وإمساكه وفيه دليل على جواز حبس الطير فى القفص والتلهى به لهذا الغرض وغيره ومنع ابن عقيل الحنبلى من ذلك وجعله سفها وتعذيبا لقول أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه تجىء العصافير يوم القيامة تتعلق بالعبد الذى كان يحبسها فى القفص عن طلب أرزاقها وتقول يارب هذا عذبنى فى الدنيا والجواب أن هذا فيمن منعها المأكول والمشروب وقد سئل القفال عن ذلك فقال إذا كفاها المؤنة جاز بل فى الحديث دليل على جواز قصها للعب الصبيان بها وكان بعض الصحابة يكره ذلك ورأيت لأبى العباس أحمد ابن القاص مصنفا حسنا على هذا الحديث وذكر فيه أن أباحنيفة سمع صوت امرأة يضربها بعلها وهى تصيح فقال صدقة مقبولة وحسنة مكتوبة فقال له رجل من أصحابه كيف ذاك يا أستاذ فقال لقوله ﷺ أدب الجاهل صدقة عليه وأنا أعرفها جاهلة (وحكمه) حل الأكل لأنه من جنس العصافير ﴿النغض﴾ بكسر النون وفتحها الظليم سمى بذلك لأنه يحرك رأسه قال الله تعالى فسينغضون إليك رءوسهم أى يحركونها استهزاء قال الشاعر:

أنغض نحوى رأسه وأقنعا * كأنه يطلب شيئا أنفعا

﴿النغف﴾ بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة قاله الأصمعى وقال أبو عبيدة هو أيضا الدود الأبيض يكون فى النوى وما سوى ذلك من الدود فليس بنغف وقيل هو دود طوال سود وخضر وغبر يقطع الحرث فى بطون الأرض روى مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله تعالى يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة قوله فرسى معناه قتلى الواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها إذا قتلها وروى البيهقى فى الأسماء والصفات فى باب ماذكر فيه الكف عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام نفضه نفض المزود فخرج منه مثل النغف فقبض قبضتين فقال جل وعلا لما فى اليمين هذه إلى الجنة ولا أبالى ولما فى الأخرى هذه إلى النار ولا أبالى ثم قال هذا موقوف وروى بعده بأسطر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال إن أخذ الميثاق على بنى آدم كان بأرض عرفات ﴿النفار﴾ بالفاء كنجار العصفور سمى بذلك لنفوره ﴿النقاز﴾ بالقاف والزاى طائر من صغار العصافير كأنه مشتق من النقز وهو الوثب ﴿النقاقة﴾ الضفدع والنقيق صوتها قالوا أعطش من النقاقة وذلك أنها إذا فارقت الماء ماتت ﴿النقد﴾ بفتح النون والقاف صغار الغنم واحدتها نقدة وجمعها نقاد وقال الجوهرى النقد بالتحريك جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه تكون بالبحرين الواحدة نقدة (الأمثال) قالوا أذل من النقد قال الأصمعى أجود الصوف صوف النقد قال الكذاب الحرمازى.

المطاع يقال له اليعسوب يتوارث الملك عن آبائه وأجداده فإن اليعاسيب لا تلد إلا اليعاسيب ومن العجب أن اليعسوب لا يخرج من الكور لأنه إن خرج خرج معه جميع النحل فيقف العمل وإن هلك اليعسوب وقفت النحل لا تعمل شيئا فتهلك عاجلا واليعسوب أكبر جثة يكون بقدر نحلتين وهو يأمرهم بالعمل يرتب على كل أحد ما يليق به يأمر بعضها ببناء البيت ويأمر بعضها بعمل العسل ومن لا يحسن العمل يخرجها من

ففيم باشر تميم محتدا * لو كنتم شاء لكنتم نقدا
أو كنتم ماء لكنتم زبدا * أو كنتم صوفا لكنتم قردا

﴿النكل﴾ الفرس القوى المجرب وفى الحديث إن الله تعالى يحب النكل على النكل بالتحريك يعنى الرجل القوى المجرب على الفرس القوى المجرب وهو كقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر إن الله يحب الرجل القوى المبدئ المعيد على الفرس القوى المبدئ المعيد وقد تقدم ذكر هذا الحديث فى باب الفاء فى الفرس ﴿النمر﴾ بفتح النون وكسر الميم ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها كنظائره ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلا أنه أصغر منه وهو منقط الجلد نقطا سودا وبيضاء وهو أخبث من الأسد لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يقتل نفسه والجمع أنمار وأنمر ونمور ونمار والأنثى نمرة وكنيته أبو الأبرد وأبو الأسود وأبو جعدة وأبو جهل وأبو خطاف وأبو الصعب وأبو رقاش وأبو سهل وأبو عمرو وأبو المرسال والأنثى أم الأبرد وأم رقاش قال الأصمعى يقال تنمر فلان أى تنكر وتغير لأن النمر لا تلقاه أبدا إلا منكرا غضبان قال عمرو بن معديكرب :

قوم إذا لبسوا الحديد تنمروا حلقا وقدا

يريد تشبهوا بالنمر لاختلاف ألوان القد والحديد ومزاج النمر كمزاج السبع وهو صنفان صنف عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس وكله ذا قهر وقوة وسطوات صادقة ووثبات شديدة وهو أعدى عدو للحيوانات لا تروعه سطوة أحد وهو معجب بنفسه فإذا شبع نام ثلاثة أيام ورائحة فيه طيبة بخلاف السبع وإذا مرض وأكل الفأر زال مرضه * وذكر الجاحظ أن النمر يحب شرب الخمر فإذا وضع له فى مكان شربه حتى يسكر فعند ذلك يصاد * وزعم قوم أن النمرة لا تضع ولدها إلا مطوقا بحية وهى تعيش وتنهش إلا أنها لا تقتل ومنزلته من السباع فى الرتبة الثانية من الأسد وهو ضعيف الحزم شديد الحرص يقظان الحراك وفى طبعه عداوة الأسد والظفر بينهما سجال وهو نهوش خطوف بعيد الوثبة فربما وثب أربعين ذراعا صعودا ومتى لم يصعد لم يأكل شيئا ولا يأكل من صيد غيره وينزه نفسه عن أكل الجيف . روى الطبرانى فى معجمه الأوسط عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال إن موسى عليه السلام قال يارب أخبرنى بأكرم خلقك عليك فقال الذى يسرع إلى هواى إسراع النسر إلى هواه والذى يألف عبادى الصالحين كما يألف الصبى الناس والذى يغضب إذا انتهكت محارمى كغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لا يبالى أقل الناس أم كثروا وفى إسناده محمد بن عبدالله بن يحيى بن عروة وهو متروك وقد تقدم فى النسر الإشارة إلى بعضه (الحكم) يحرم أكله لأنه سبع ضار . روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد نمر وفى رواية وقعة قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى الفتاوى جلد النمر نجس كله قبل الدباغ سواء كان مذكى أم لا فيمتنع استعماله امتناع نجس العين ومعنى هذا أنه يحرم استعماله قطعا فيما يجب فيه مجانبة النجاسة من صلاة وغيرها وهل يحرم على الإطلاق فيه وجهان وأما بعد الدباغ فنفس الجلد طاهر والشعر الذى عليه نجس تبعا لأصله ولأجل أنه غالب ما يستعمل منه ورد الحديث بالنهى عنه مطلقا وفى حديث آخر لا تركبوا النمور وفى حديث آخر أنه ﷺ نهى عن جلود السباع أن تفترش ولا شك أن النمر من السباع فهذه الأحاديث قوية معتمدة والتأويل المتطرق إليها غير قوى وإذا وجد الموفق مثل هذا عن رسول الله ﷺ فى

الكور ولا يخليها فى وسط النحل وينصب بوابا على باب الخلية ليمنع دخول ماوقع على شىء من القاذورات (وأما) اتخاذ بيوتها مسدسة فمن أعجب الأشياء والغرض من المسدسات المتساوية الأضلاع الخاصية يقصر فهم المهندس عن إدراكها ولا توجد تلك الخاصية فى المربع ولا فى المخمس ولا فى المستدير وهى أن أوسع الأشكال وأجودها المستدير وما يقرب منه أما المربع فيخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا

مثل هذا المضطرب فهو ضالته ومستروحه لا يرى عنه معدلا (الامثال) قالوا شمر واتزر والبس جلد النمر يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد وقالوا لبس فلان لفلان جلد النمر يضرب فى العداوة وكشفها (الخواص) إذا دفن رأسه فى موضع اجتمع فيه من الفأر شىء كثير ومرارته يكتحل بها تزيد فى ضوء البصر وتمنع نزول الماء فى العين وهى سم قاتل إن سقى منها أحدا دانقا لا يتخلص منها إلا أن يشاء الله تعالى ودماغه إذا أنتن لا يشم أحد من الناس رائحته إلا مات هكذا حكاه ارسطاطاليس فى كتاب طبائع الحيوان وقيل إن النمر يهرب من جمجمة الإنسان وشعره إذا بخر به البيت هربت العقارب منه وشحمه إذا أذيب وجعل فى الجراحات العتيقة نظفها وأبرأها ولحمه من أكل منه خمسة دراهم لا يضره سم الحيات والافاعى وقال القزوينى إن جميع أجزائه تفعل فعل السم القاتل وخاصة مرارته وهذا هو الصواب وقضيبه يطبخ ويشرب من مرقته ينفع من تقطير البول وأوجاع المثانة وجلده إذا أدمن الجلوس عليه بلا حائل صاحب البواسير نفعه ومن حمل معه شيئا من جلده يصير مهابا عند الناس ويده وبراثنه إذا دفنت فى موضع لا يعيش فيه فأر وإذا نهش النمر إنسانا طلبه الفأر ليبول عليه فإن فعل ذلك مات وينبغى أن يحترس من ذلك ويصان قاله صاحب عين الخواص وقال بعضهم من مسح جلده بشحم الضبع ودخل على النمر فر النمر منه (التعبير) النمر فى المنام سلطان جائر أو عدو مجاهر شديد الشوكة فمن قتله قتل عدوا بهذه الصفة ومن أكل من لحمه نال مالا وشرفا ومن ركبه نال سلطانا عظيما فإن رأى النمر ركبه ناله ضرر من سلطان أو أو عدو ومن نكح نمرة تسلط على امرأة من قوم ظلمة ومن رأى نمرا فى داره هجم على داره رجل فاسق ومن رأى أنه صاد نمرا أو فهدا نال منفعة بقدر ضرر غصبه وقال ارطاميدورس النمر يدل على رجل ويدل على امرأة وذلك بسبب تغير لونه وهو ذو مكر وخديعة وربما دل على مرض ووجع العينين ولبنه عداوة تضر شاربه والله تعالى أعلم ﴿النمس﴾ بنون مشددة مكسورة وبالسين المهملة فى آخره دويبة عريضة كأنها قطعة قديد تكون بأرض مصر يتخذها الناظور إذا اشتد خوفه من الثعابين لأن هذه الدويبة تقتل الثعبان وتأكله قاله الجوهرى وقال قوم هو حيوان قصير اليدين والرجلين وفى ذنبه طول يصيد الفأر والحيات ويأكلها وقال المفضل بن سلمة هو الظربان وقال الجاحظ يزعمون أن بمصر دويبة يقال لها النمس تنقبض وتنطوى إلى أن تصير كالفأر فإذا انطوى عليها الثعبان فرت ونفخت وانتفخت فيتقطع الثعبان وقال ابن قتيبة النمس ابن عرس وتسميته نمسا يحتمل أن يكون مأخوذا من قولهم نمس بالكلام أى أخفاه ونمس الصائد إذا اختفى فى الدريئة ولأنه لما كان يتماوت وتسكن أطرافه حتى تعضه الحية فيأكلها أشبه الصائد فى اختفائه فى الدريئة (وحكمه) تحريم الأكل لاستخبائه والرافعى فى كتاب الحج قال إن النمس أنواع وبهذا يجمع بين هذه الأقوال المتباينة (الخواص) إذا بخر برج الحمام بذنب النمس هرب الحمام منه ومرارته تداف ببياض البيض ويضمد بها العين فتلقط الحرارة وتقطع الدمعة ودمه يسعط منه المجنون وزن قيراط مع لبن امرأة ويبخر به يفيق وذكره يطبخ ويشرب من مرقته من كان به تقطير البول ووجع المثانة يبرئه وعينه اليمنى إذا علقت فى خرقة كتان على صاحب حمى الربع أبرأته وإن علقت عليه اليسرى عادت إليه ودماغه إذا هرس بماء الفجل ودهن ورد ودهن به إنسان جرب ومرض مكانه من وقته وحله أن يسحق خرؤه بدهن الزئبق ويطلى به. خرؤه إن غرق فى ماء وسقى منه إنسان خاف الليل والنهار ويرى كأن الشياطين فى طلبه (التعبير) النمس فى الرؤيا

فتبقى خالية ولو بناها مستديرة لبقى خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لا تجتمع متراصة ولا شكل من الأشكال ذوات الزوايا يقرب فى الاحتواء من المستدير ثم يتراص الجملة منه بحيث لا تبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس فانظر كيف ألهمها الله تعالى ذلك وجعل لها اتخاذ هذه الأشكال المتساوية الأضلاع بحيث لا يزيد ضلع على ضلع ولا ينقص ويعجز عن هذا التساوى المهندس الحاذق بالفرجا والمسطرة فتعمل النحل فى فصلين فى الربيع

يدل على الزنا لأنه يسرق الدجاج والجماعة منه فى التعبير نساء فمن نازع نمسا أو رآه فى منزله فإنه ينازع إنسانا أزانيا والله أعلم ﴿النمل﴾ معروف الواحدة نملة والجمع نمال وأرض نملة ذات نمل وطعام منمول إذا أصابه النمل والنملة بالضم النميمة يقال رجل نمل أى تمام وما أحسن قول الأول :

اقنع بما تلقى بلا بلغه * فليس ينسى ربنا النمله
إن أقبل الدهر فقم قائما * وإن تولى مدبرا نم له

وكنيته أبو مشغول والنملة أم توبة وأم مازن وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها والنمل لا يتزاوج ولا يتناكح إنما يسقط منه شىء حقير فى الأرض فينمو حتى يصير بيظا حتى يتكون منه والبيض كله بالضاد المعجمة الساقطة إلا بيظ النمل فإنه بالظاء المشالة والنمل عظيم الحيلة فى طلب لرزق فإذا وجد شيئا أنذر الباقين ليأتوا إليه ويقال إنما يفعل ذلك منهار وسأوها ومن طبعه أنه يحتكر قوته من زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل ما أنه إذا احتكر ما يخاف إنباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فإنه يقسمها أرباعا لما ألهم من أن كل نصف منها ينبت وإذا خاف العفن على الحب أخرجه إلى ظاهر الأرض ونشره وأكثر ما يفعل ذلك ليلا فى ضوء القمر ويقال إن حياته ليست من قبل ما يأكله ولا قوامه وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وإنما قوته إذا قطع الحب فى استنشاق ريحه فقط وذلك يكفيه وقد تقدم فى العقعق والفأر عن سفيان ابن عيينة أنه قال ليس شىء يحتال لقوته الا الإنسان والعقعق والنمل والفأر وبه جزم فى الإحياء فى كتاب التوكل وعن بعضهم أن البلبل يحتكر الطعام ويقال إن للعقعق مخابى إلا أنه ينساها والنمل شديد الشم ومن أسباب هلاكه نبات أجنحته فإذا صار النمل كذلك أخصبت العصافير لأنها تصيدها فى حال طيرها وقد أشار إلى ذلك أبو العتاهية بقوله :

وإذا استوت للنمل أجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

وكان الرشيد كثيرا ما ينشد ذلك عن نكبة البرامكة وقد تقدمت الإشارة اليها فى باب العين المهملة فى لفظ العقاب وهو يحفر قريته بقوائمه وهى ست فإذا حفرها جعل فيها تعاريج لئلا يجرى إليها ماء المطر وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك وإنما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلل * قال البيهقى فى الشعب وكان عدى بن حاتم الطائى يفت الخبز للنمل ويقول إنهن جارات ولهن علينا حق الجوار وسيأتى إن شاء الله تعالى فى الوحش عن الفتح بن سخرب الزاهد أنه كان يفت الخبز لهن فى كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله وليس فى الحيوان ما يحمل ضعف بدنه مرارا غيره على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف حتى أنه يتكلف لحمل نوى التمر وهو لا ينتفع به وإنما يحمله على حمله الحرص والشره ويجمع غذاء سنين لو عاش ولا يكون عمره أكثر من سنة ومن عجائبه اتخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات معلقة يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء ومنه ما يسمى الذر الفارسى وهو من النمل بمنزلة الزنابير من النحل ومنه أيضا ما يسمى بنمل الأسد سمى بذلك لأن مقدمه يشبه وجه الأسد ومؤخره يشبه النمل ﴿فائدة﴾ فى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها وأمر بها فأحرقت بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة قال أبو عبد الله الترمذى فى نوادر الأصول لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرىء بغير البرىء وقال القرطبى هذا النبى هو موسى بن عمران

والخريف فتأخذ بالأيدى والأرجل من ورق الأشجار وزهر الثمار والرطوبات الدهنية التى تبنى بها بيوتا ولها شفران حادان تجمع بهما من ثمرة الأشجار رطوبات (لطيفة) عجزت عقول الأكثرين عن معرفتها على طبائع وخلق فى جوفها قوة طابخة تصير تلك الرطوبات عسلا حلوا لذيذا غذاء لها ولأولادها وما فضل عن غذائها تجعله مخزونا فى بعض البيوت وتغطى رأسها بغطاء رقيق من الشمع حتى يكون الشمع محيطا به من جميع جوانبه كانه رأس البرنية مسدود

عليه السلام وأنه قال يارب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع فكأنه جل وعلا أحب أن يريه ذلك من عنده فسلط عليه الحر حتى التجأ إلى شجرة مستروحا إلى ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد لذة النوم لدغته نملة فدلكهن بقدمه فأهلكهن وأحرق مسكنهن فأراه الله تعالى الآية فى ذلك عبرة لما لدغته نملة كيف أصيب الباقون بعقوبتها يريد الله تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع وسوأ ونقمة وعذابا على العاصى وعلى هذا ليس فى الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر فى قتل النمل فإن من آذاك حل لك دفعه عن نفسك ولا أحد من خلق الله أعظم حرمة من المؤمن وقد أبيح لك دفعه عنك بضرب أو قتل على ماله من المقدار فكيف بالهوام والدواب التى قد سخرت للمؤمن وسلط عليها وسلطت عليه فإذا آذته أبيح له قتلها وقوله فهلا نملة واحدة دليل على أن الذى يؤذى يقتل وكل قتل كان لنفع أو دفع ضر فلا بأس به عند العلماء ولم يخص تلك النملة التى لدغته من غيرها لأنه ليس المراد القصاص لأنه لو أراده لقال فهلا نملتك التى لدغتك ولكن قال فهلا نملة فكان نملة تعم البرىء والجانى وذلك ليعلم أنه أراد تنبيهه لمسئلة ربه تعالى فى عذاب أهل قرية فيهم المطيع والعاصى وقد قيل إن فى شرع هذا النبى عليه السلام كانت العقوبة للحيوان بالتحريق جائزة فلذلك إنما عاتبه الله تعالى فى إحراق الكثير لا فى أصل الإحراق ألا ترى قوله فهلا نملة واحدة وهو بخلاف شرعنا فإن النبى ﷺ نهى عن تعذيب الحيوان بالنار وقال لا يعذب بالنار إلا الله تعالى فلا يجوز إحراق الحيوان بالنار إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالإحراق فلوارثه الاقتصاص بالإحراق للجانى وأما قتل النمل فمذهبنا لا يجوز لحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط الشيخين والمراد النمل الكبير السليمانى كما قاله الخطابى والبغوى فى شرح السنة وأما النمل الصغير المسمى بالذر فقتله جائز وكره مالك رحمه الله قتل النمل إلا أن يضر ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل وأطلق بن أبى زيد جواز قتل النمل إذا آذت وقيل إنما عاتب الله هذا النبى عليه السلام لانتقامه بنفسه بإهلاك جمع آذاه واحد منهم وكان الأولى به الصبر والصفح لكن وقع للنبى عليه السلام أن هذا النوع مؤذ لبنى آدم وحرمة بنى آدم أعظم من حرمة غيره من الحيوان فلو انفرد له هذا النظر ولم ينضم إليه التشفى الطبيعى لم يعاتب فعوتب على التشفى بذلك والله أعلم * وروى الدارقطنى والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام كان يبصر دبيب النمل على الصفا فى الليلة المظلمة من مسيرة عشرة فراسخ * وروى الترمذى الحكيم فى نوادره عن معقل بن يسار قال: قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه وشهد به على رسول الله ﷺ قال ذكر رسول الله ﷺ الشرك فقال هو فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شىء إذا فعلته أذهب الله عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما تعلم ولا أعلم يقولها ثلاث مرات * وروى أيضا عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلمى الناس الخير قال الترمذى حديث حسن صحيح * وسمعت أبا عثمان الحسين ابن حريث الخزاعى يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول عالم عامل معلم يدعى

بالقراطيس وتدخر ذلك لوقت الشتاء وتبيض فى بعض البيوت وتحضن وتفرخ وتأوى إلى بعض بيوتها وتنام فيها أيام الصيف والشتاء ويوم المطر والريح والبرد وتتقوت من ذلك العسل المخزون هى وأولادها يوما فيوما لا إسرافا ولا تقتيرا إلى أن تنقضى أيام الشتاء ثم تأتى أيام الربيع ويطيب الزمان ويخرج النور والزهر فترعى منه وتفعل كما فعلت عام الأول ولم يزل هذا دأبها بإلهام من الله تعالى كما قال وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا

كثيرا فى ملكوت السموات وروى أن النملة التى خاطبت سليمان عليه الصلاة والسلام أهدت إليه نبقة فوضعتها فى كفه وقالت :

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره ... لقصر عنه البحر حين يسائله
ولكننا نهدى إلى من نحبه ... فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقال سليمان عليه السلام بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله توكلا على الله تعالى * روى أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له فقال يا أمير المؤمنين إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة ليستمع منها وما أنا عند الله بأحقر من نملة وما أنت عند الله بأعظم من سليمان فقال له المأمون صدقت ووقف له وسمع له وقضى حاجته * ومن شعر الإمام تاج الدين اليمنى فى منزل نمل قوله :

مالى أرى منزل المولى الأديب به ... نملا تجمع فى أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزلنا ... فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

﴿فائدة أخرى﴾ قال الإمام العلامة فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم الآية وادى النمل بالشام كثير النمل * فإن قيل لم أتى بعلى . قلت لوجهين أحدهما أن أتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء الثانى أنه يراد به قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشىء إذا بلغ آخره فتكلمت النملة بذلك وهذا غير مستبعد فإن حصول العلم والنطق لها ممكن فى نفسه والله سبحانه قادر على كل الممكنات ( وحكى ) عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو يومئذ غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له كيف عرفت ذلك فقال من قوله تعالى قالت ولو كانت ذكرا لقال قال نملة لأن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى قال ورأيت فى بعض الكتب أن تلك النملة إنما أمرت رعيتها بالدخول فى مساكنها لئلا ترى النعم التى أوتيها سليمان وجنوده فتقع فى كفران نعمة الله عليها وفى هذا تنبيه على أن مجالسة أرباب الدنيا محظورة يروى أن سليمان قال لها لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليها منى ظلما قالت لا ولكنى خشيت أن يفتتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالى * قال الثعلبى وغيره إنها كانت مثل الذئب فى العظم وكانت عرجاء ذات جناحين * وذكر عن مقاتل أن سليمان عليه السلام سمع كلامها من ثلاثة أميال * وقال بعض أهل التذكير إنها تكلمت بعشرة أنواع من البديع قولها يانادت أيها نبهت النمل سمت ادخلوا أمرت مساكنكم نعتت لا يحطمنكم حذرت سليمان خصت وجنوده عمت وهم أشارت لا يشعرون اعتذرت والمشهور أنه النمل الصغار واختلف فى اسمها فقيل كان اسمها طاخية وقيل كان اسمها حرمى قيل كان نمل الوادى كالذئاب وقيل كالبخاتى * قال السهيلى فى التعريف والإعلام ولا أدرى كيف يتصور النملة اسم علم والنمل لا يسمى بعضه بعضا ولا الآدمى يمكنه تسمية واحدة منها باسم علم لأنه لا يتميز للآدميين بعضه من بعض ولا هم أيضا واقعون تحت ملك بنى آدم كالخيل والكلاب

ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس فسبحان من جعل فضائل غذائها سببا لشفاء الأبدان وجعل وسخ غذائها ضياء فى ظلم الليالى ومن العجب أن الخلية إذا دخن عليها لأخذ العسل أحست النحل بذلك وبادرت إلى أكل العسل تأكله أكلا ذريعا وحكى بعضهم أن خلية من خلايا العسل مرض نحلها فجاء نحل خلية أخرى يقاتلها على العسل الذى فى بيوتها

ونحوهما لأن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب * فإن قلت إن العلمية موجودة فى الأجناس كثعالة وأسامة وجعار فى الضبع ونحو هذا كثير فالجواب أن هذا ليس من أمر النمل لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل وثعالة ونحوه مختص بواحد من الجنس بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك فإن صح ما قالوا وله وجه فهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم فى التوراة أو فى الزبور أو فى بعض الصحف أو سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به جميع الأنبياء قبل سليمان أو بعده وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها ومعنى قولنا وإيمانها أنها قالت للنمل وهم لا يشعرون وهو التفاتة مؤمن أى أن سليمان عليه السلام من عدله وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا وهم لا يشعرون وقد قيل إنما كانت تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة منها ولذلك أكد التبسم بقوله ضاحكا إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ألا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ وتبسم تبسم الضحك وتبسم الضحك إنما هو من سرور ولا يسر نبى بأمر دنيا وإنما يسر بما كان من أمر الدين فقولها وهم لا يشعرون إشارة إلى الدين والعدل انتهى ﴿فائدة أخرى﴾ روى أبو داود والحاكم وصححه أن النبى ﷺ قال للشفاء بنت عبد الله على حفصة رقية النمل كما علمتيها الكتابة * وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ أرخص فى الرقية من النمل والنملة قروح تخرج فى الجنب من البدن ورقيتها شىء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه أنه كلام لا يضر ولا ينفع وهو أن يقال العروس تحتفل وتختضب وتكتحل وكل شىء تفتعل غير أن لا تعصى الرجل أراد النبى ﷺ بهذا المقال تأنيب حفصة لأنه ألفى اليها سرا فأفشته فكان هذا من لغو الكلام ومزاحه كقوله ﷺ للعجوز لا تدخل الجنة عجوز * ورأيت فى بعض الكتب بخط بعض الأئمة الحفاظ أن رقية النملة أن يصوم راقيها ثلاثة أيام متوالية ثم يرقيها بكرة كل يوم من الثلاثة عند طلوع الشمس فيقول اقسطرى وانبرجى فقد نوه بنوه بربطش ديبقت اشف أيها الجرب بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ويكون فى أصبعه زيت طيب يمسح به عليها ويتفل على الموضع عقب الرقية قبل المسح بالزيت فافهم * روى الدارقطنى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لا تقتلوا النملة فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول اللهم إنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا وتطعمنا به ثمرا فقال سليمان لقومه ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بغيركم ﴿فوائد﴾ قال الخلال أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبى قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثنا أبو عبد الله الكواز قال حدثتنى حبيبة مولاة الأحنف ابن قيس أن الأحنف بن قيس رآها تقتل نملة فقال لا تقتليها ثم دعا بكرسى فجلس عليه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال إنى أحرج عليكن إلا خرجتن من دارى فاخرجن فإنى أكره أن تقتلن فى دارى قال فخرجن فما رؤى فيهن منهن بعد ذلك اليوم واحدة قال عبد الله بن الإمام أحمد رأيت أبى فعل ذلك حرج على النمل وأكثر على أنه جلس على كرسى كان يجلس عليه لوضوء الصلاة ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك نمل كبار سود فلم أر هن بعد ذلك * ورأيت بخط بعض المشايخ لإذهاب النمل أن يكتب فى إناء نظيف هذه الأسماء وتغسل بماء وترش فى بيت فإنه يذهب ولا يطلع وهو الحمد لله بأهيا شراهيا سأريكم بأهيا شراهيا ورأيت أيضا فى بعض المصنفات أن يكتب على أربع شقف نيئات وتجعل فى أربع أركان المكان الذى فيه النمل فإن النمل يرحل

يريد إخراجها من الخلية ليستولى على عسلها فأقبل قيم الخلايا يعاون النحل المريض فكان يلسعه النحل الغريب دون المريض كأنها عرفت أنه يدافع عنها أما العسل فإنه رطوبة فى أعماق الأنوار ولطيف الثمار يشفها النحل يتغذى ببعضها ويدخر بعضها لأيام الشتاء وقت لا يجد الغذاء خارجا وقالوا إن العسل الأبيض عمل شبانها والأصفر عمل كهولها والأحمر عمل شيابها وهو شفاء للناس على ما قال تعالى فالمحرور المزاج يتخذه مع غيره لدفع الحرارة

وربما مات وهو وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا لاتسكنوا فى منزلنا فتفسدوا والله لايصلح عمل المفسدين ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا كذلك يموت النمل من هذا المكان ويذهب بقدرة الله * ومما جرب أيضا فوجدناه نافعا أن يكتب على لوح ماعز ويوضع على قرية النمل فإنه يرحل وهو ق و ل ه ا ل ح ق و ل ه ا ل م ل ك الله الله الله ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون اهياشراهيا أدونائى أصباؤت آل شدائى ارحل أيها النمل من هذا المكان بحق هذه الأسماء وبألف لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ف ق ج م م خ م ت * ومن المجربات أيضا أنك إذا كان لك حلواء أوعسل أوسكر أوماهو شبهته بذلك وكان فى إناء ومررت بيديك على شفته وقلت هذا لوكيل القاضى أوهذا لرسول القاضى أوهذا لغلام القاضى فإن النمل لايقربه وقد فعل ذلك مراراً وشوهد فلا يصل الذر اليه (الحكم) يكره أكل ماحملته النمل بفيها وقوائمها لماروى الحافظ أبو نعيم فى الطب النبوى عن صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ نهى أن يؤكل ماحملت النمل بفيها وقوائمها ويحرم أكل النمل لورود النهى عن قتله وقد تقدم ونقل الرافعى فى البيع وجها عن أبى الحسن العبادى أنه يجوز بيع النمل بعسكر مكرم لأنه يعالج به السكر وبنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة وعسكر مكرم قرية من قرى الأهواز والسكر بفتح السين والكاف ومراده بالعقارب الطيارة الجراد (الأمثال) قالوا ماعسى أن يبلغ عض النمل بضرب لمن لايبالى بوعيده وقالوا أحرص من نملة وأروى من نملة لأنها تكون فى القلوات فلا تشرب ماء وقالوا أضعف وأكثر وأقوى من النمل * وحكى أن رجلا قال لبعض الملوك جعل الله قوتك مثل قوة النمل فأنكر عليه فقال ليس من الحيوان مايحمل ماهو أكبر منه إلا النملة وقد أهلك الله بالنمل أمة من الأمم وهى جرهم * وفى سيرة بن هشام فى غزوة حنين عن جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه أنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل النجاد الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا هو نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة ولم تكن إلا هزيمة القوم (الخواص) يقظ النمل - وهو بالظاء المشالة كما تقدم - إذا أخذ وسحق وطلى به موضع إنبات الشعر فيه وإذا نثر بيقظه بين قوم تفرقوا شذر مذر ومن سقى منه وزن درهم لم يملك أسفله بل يغلبه الحبق أى الضراط وإن سدت قريته بأخثاء البقر لم يفتحها بل يهرب من مكانه وكذلك يفعل روث الفط وإذا سد جحر النمل بحجر المغناطيس مات وإذا دقت لكراويا وجعلت فى جحر النمل منعتهن الخروج وكذلك الكمون وإذا صب ماء السذاب فى قرية النمل قتله وإذا رش به بيت هربت البراغيث منه وكذلك يفعل ماء السماق فى البراغيث وإذا قطر شىء من القطران فى قرية النمل متن والكبريت إذا دق ونثر فى قريتها هلكت وإن علقت خرقة امرأة حائض حول شىء لم يقربه النمل وإذا أخذت سبع نملات طوال وتركتها فى قارورة مملوء بدهن الزيبق وسددت رأسها ودفنتها فى زبل يوما وليلة ثم أخرجتها وصفيت الدهن عنها ثم مسحت به الإحليل وما فوقه هيج الباه وأكثر العمل وقوى الإنعاظ مجرب (التعبير) النمل فى الرؤيا يعبر بناس ضعفاء أصحاب حرص والنمل يعبر أيضا بالجند والأهل ويعبر بالحياة فمن رأى النمل دخل قرية أو مدينة فإنه جند يدخلها ومن سمع كلام النمل نال خصبا وخيرا ومن رأى النمل دخل منزله ومعه أحمال

كالسكنجبين والمبرود المزاج يتخذه وحده لدفع البرد (ومن خواص) العسل أن كل شىء يتسارع الفساد إليه إذا تركته فيه يبقى بحاله ولا يتعفن ولا يؤثر فيه الفساد ويؤخذ العسل الذى لم يصبه ماء ولا دخان ويخلط بشىء من المسك يمنع من نزول الماء اكتحالا والتلطخ به يقتل القمل والصئبان ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب والمطبوخ منه نافع للسموم القتالة ومن العسل صنف حريف قالوا إنه سم وشمه يذهب العقل كيف أكله وأما الشمع فإنه حدرات

ثقيلة فإن الخصب والخير يدخل داره ومن رأى النمل على فراشه كثرت أولاده ومن رأى النمل خرج من داره نقص عدد أهله ومن رأى النمل يطير من مكان وفيه مريض فإن المريض يهلك أو يسافر من ذلك المكان قوم ويلقون شدة والنمل يدل على خصب ورزق لأنه لا يكون إلا فى مكان فيه الرزق وإذا رأى المريض كأن النمل يدب على جسده فإنه يموت لأن النمل حيوان أرضى باردو قال جاماست من رأى النمل يخرج من مكانه نالهم والله تعالى أعلم ﴿النهار﴾ ولد الحبارى قالت العرب أحمق من نهار قال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب قد اختلف اللغويون فى النهار فقال قوم هو فرخ القطاة وقال قوم إنه ذكر البوم والأنثى صيف وقيل إنه ذكر الحبارى والأنثى ليل وقيل إنه فرخ الحبارى قال الشاعر :

ونهار رأيت منتصف الليـــل وليل رأيت وسط النهار انتهى

وهذا القول هو الصواب والله أعلم ﴿النهاس﴾ بتشديد النون الأولى وبالسين فى آخره الأسد ﴿النهس﴾ طائر يشبه الصرد إلا أنه غير ملمع يديم تحريك ذنبه ويصيد العصافير وجمعه نهسان كصرد وصردان وقال ابن سيده النهس ضرب من الصرد وسمى بذلك لأنه ينهس اللحم والنهس أصله أكل اللحم بطرف الأسنان والنهش بالشين المعجمة أكله بجميعها والطير إذا أكل اللحم إنما يأكله بطرف منقاره فلذلك سمى نهسا * وفى مسند أحمد ومعجم الطبرانى أن زيد بن ثابت قال رأيت شرحبيل بن سعد وقد صاد نهساً بالأسواق فأخذه من يده وأرسله والأسواق اسم موضع بحرم المدينة الذى حرمه رسول الله ﷺ وقد تقدم ذكره فى الدبسى وإنما أرسله لأن صيد المدينة حرام كمكة (الحكم) قال الشافعى النهس حرام كالسباع التى تنهس اللحم ﴿النام﴾ بضم النون طائر قاله السهيلى فى إسلام عمر رضى الله تعالى عنه وقال الجوهرى هو ضرب من الطير .

﴿النهسر﴾ كجعفر الذئب وقيل ولد الأرنب وقيل الضبع ﴿النهشل﴾ الذئب والصقر أيضا وقد تقدم كل منهما فى بابه ﴿النواح﴾ طائر كالقمرى وحاله حاله إلا أنه أحر منه مزاجا وأدمث صوتا ولقد كاد أن يكون للأطيار الدمثة الشجية الأصوات ملكا وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجاها صوتا وأطيبها نغما وجميعها تهوى استماع صوته وهو يطرب لغناء نفسه ﴿النوب﴾ بضم النون النحل لا واحد له من لفظه وقيل واحدها نائب قال أبو عبيدة سميت نوبا لأنها تضرب إلى السواد وقال أبو عبيدة سميت به لأنها ترعى ثم تنوب إلى موضعها قال أبو ذؤيب :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عواسل

أى لم يخف ولم يبال فاستعمل الرجاء بمعنى الخوف ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أى لا تخافون عظمة الله وقوله تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا » الآية أى لا يخافون قال ابن عطية والذى يظهر لى أن الرجاء فى الآية وفى البيت على بابه لأن خوف لقاء الله مقترن أيضا برجائه فإذا نفى سبحانه الرجاء عن أحد فإنما أخبر عنه بأنه يكذب بالبعث لنفى الخوف والرجاء انتهى ﴿النورس﴾ طير الماء الأبيض وهو زمج الماء وقد تقدم فى باب الزاى ﴿النوص﴾ بفتح النون الحمار الوحشى ﴿النون﴾ الحوت وجمعه نينان وأنوان كما قالوا حوت وحيتان وأحوات وقد تقدم فى أول الكتاب فى باب الباء الموحدة فى لفظ بالام مارواه مسلم والنسائى عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال إن النبى ﷺ سأله بعض اليهود عن تحفة أهل

بيوت النحل التى تبيض وتفرخ فيها وتجعلها خزانة للعسل وأما الموم فإنه وسخ كور النحل من خاصيته جذب السلاء والشوك وزعموا أن من استصحب الموم يورثه الغم ولا يحتلم (نمل) حيوان حريص على جمع الغذاء ولغاية حرصه يحمل ما يكون أثقل منه ويعاون بعضها بعضا على الجذب ويجمع من الغذاء ما يكفيه سنين لو عاش ولكن عمره لا يكون أكثر من سنة قال النسابة البكرى للنمل جدان فارز وعقفان ففارز جد السود وعقفان جـــد الحمر ومن عجائبه اتخـــاذ القرية تحت

الجنة فقال زيادة كبد الحوت وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول سبحان من يعلم اختلاف النينان فى البحار الغامرات وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال أول شىء خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال وما أكتب قال القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى يوم الساعة وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء فتفتقت منه السموات ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه فالأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض * وقال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذى على ظهره الأرض كلها فوسوس إليه وقال أتدرى ما على ظهرك يا لوتياء من الأمم والدواب والشجر والجبال وغير ذلك فلو نفضتهم فألقيتهم عن ظهرك أجمع لاسترحت فهم لوتياء أن يفعل ذلك فبعث الله إليه دابة فدخلت منخره ووصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن الله لها فخرجت قال كعب فوالذى نفسى بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشىء من ذلك عادت إليه كما كانت * وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه اسم الحوت بهموت قال الراجز :

مالى أراكم كلكم سكوتا * والله ربى خالق بهموتا

وفى مسند الدارمى عن مكحول قال قال رسول الله ﷺ فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم تلا هذه الآية « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ثم قال إن الله وملائكته وأهل سمواته وأرضه والنون فى البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير * وفى شعب البيهقى عن خولة بنت قيس امرأة حمزة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا إن النبى ﷺ قال من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة فى الجنة ولا غريم يلوى غريمه وهو قادر إلا كتب الله عليه فى كل يوم إثما * وروى أبو بكر البزار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ من مشى إلى غريمه لحقه صلت عليه دواب الأرض ونون الماء وينبت له بكل خطوة شجرة فى الجنة وذنب يغفر * وروى الدينورى فى المجالسة فى أول الجزء السادس عن الأوزاعى رحمه الله أنه قال كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج إلى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة عن الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت به بغلته فى الأرض فلم يبق منها إلا أذناها وذنبها * وفيها أيضا فى أول الجزء العشرين عن زيد بن أسلم قال جلس إلى رجل قد ذهبت يمينه من عضده فجعل يبكى ويقول من رآنى فلا يظلمن أحدا فقلت له ما حالك قال بينا أنا أسير على شط البحر إذ مررت بنبطى قد اصطاد سبعة أنوان فقلت أعطنى نونا فأبى فأخذت منه نونا وهو كاره فانقلب إلى النون وهو حى فعض إبهامى عضة يسيرة فلم أجد لها ألما فانطلقت به إلى أهلى فصنعوه وأكلنا فوقعت الأكلة فى إبهامى فاتفق الأطباء على أن أقطعها فقطعتها ثم عالجتها حتى قلت قد برئت فوقعت الأكلة فى كفى ثم فى ساعدى ثم فى عضدى فمن رآنى فلا يظلمن أحدا وذو النون لقب نبى الله يونس بن متى عليه الصلاة والسلام لأنه ابتلعه الحوت فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * روى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص المجاب الدعوة رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول إنى لأعلم كلمة ما قالها مكروب إلا فرج الله كربه عنه ولا دعا بها عبد مسلم إلا استجيب له دعوة أخى يونس « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » * وجمعت الظلمات لشدة تكاثفها عليه فإنها ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر قيل وظلمة حوت التقم الحوت الأول * واختلفوا فى

الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف طبقات منعطفات يملؤها حبوبا وذخائر للشتاء وتجعل بعض بيوتها منخفضا لينصب إليها الماء وبعضها مرتفعا عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تقتلوا النمل فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن فضلك اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا ينبت لنا شجرا وتطعمنا منه ثمرا

مدة مكثه فى بطنه فقيل سبع ساعات وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعة عشر يوما وقال السهيلى أقام فى بطنه أربعين يوما يتردد به فى ماء الدجلة ونقل الإمام أحمد فى كتاب الزهد أن رجلا قال للشعبى مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما فقال للشعبى ما مكث إلا أقل من يوم التقمه ضحى فلما كان بعد العصر وقاربت الشمس الغروب تشاءب الحوت فرأى يونس ضوء الشمس فقال لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين قال فنبذه وصار كأنه فرخ فقال رجل للشعبى أتنكر قدرة الله قال ما أنكر قدرة الله ولو أراد الله تعالى أن يجعل فى بطنه سوقا لفعل * وروى البزار بإسناد جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول لما أراد الله تعالى حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن لا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به إلى مسكنه فى البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة فقال تعالى ذاك عبدى يونس حبسته فى بطن الحوت فى بطن البحر فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح قال عز وجل نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الله تعالى الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وروى أن الحوت مشى به فى البحار كلها حتى ألقاه فى نصيبين من ناحية الموصل فنبذه الله تعالى فى عراء وهى الأرض الفيحاء التى لا شجر فيها ولا معلم وهو سقيم كالطفل المنفوس مضغة لحم إلا أنه لم ينقص من خلقه شىء فأنبته الله فى ظل اليقطينة بلبن أروية تغاديه وتراوحه وقيل بل كان يتغذى من اليقطينة فيجد منها ألوان الطعام وأنواع شهواته * والحكمة فى إنبات الله اليقطينة عليه أن من خاصة اليقطين أن لا يقربه الذباب ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضا فأقام عليه الصلاة والسلام تحتها إلى أن صح جسده لأن ورق القرع أنفع شىء لمن يسلخ جلده عن جسده كيونس عليه السلام * وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يوما نائما فأيبس الله تعالى تلك اليقطينة وقيل أرسل الله تعالى عليها الأرضة فقطعت عروقها فانتبه يونس عليه السلام فوجد حر الشمس فعز عليه شأنها وجزع فأوحى الله تعالى إليه يا يونس جزعت ليبس يقطينة ولم تجزع لهلاك مائة ألف أو يزيدون تابوا فتيب عليهم وما أحسن قول الجوهرى صاحب الصحاح

فها أنا يونس فى بطن حوت ... بنيسابور فى ظل الغمام
فبيتى والفؤاد ويوم دجن ... ظلام فى ظلام فى ظلام

وقول الآخر مغيث أيوب والكافى لذى النون ... ينيلنى فرجا بالكاف والنون

وقول آخر فى المعنى:

ربما عالج القوافى رجال ... فى القوافى فتلتوى وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين ... وعصتهم نون ونون ونون

قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب معنى قوله عين وعين وعين يعنى به نحو يد وغد ودد لأنها عينات مطاوعات فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة لأن وزن يدفع ووزن غدفع ووزن ددفع وقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت يسمى نونا والدواة تسمى نونا والنون الذى هو الحرف وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر ﴿فائدة﴾ روى الدينورى فى المجالسة وأبو عمر بن عبد البر فى التمهيد عن أبى العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا

فقال سليمان عليه السلام لقومه ارجعوا فقد سقيتم بغيركم ومن عجائبه أنه مع لطافة جسمه وشخصه وخفة وزنه له شم ليس لشىء من الحيوان مثل ذلك فإذا وقع شىء من يد الإنسان فى موضع لا يرى فيه شىء من النمل فلا يلبث أن يقبل النمل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشىء وإذا وجدت واحدة شيئا لا تقدر على حمله أخذت منه قدر ما تقدر عليه وأخبرت الباقين فتجتمع عليه جماعة يجرونه بجد وعناء وإذا جمعت الحب فى بيتها خافت أن ينبت فتقطع كل حبة

هشيم عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كتب صاحب الروم إلى معاوية رضى الله تعالى عنه يسأل عن أفضل الكلام ما هو وعن الثانى والثالث والرابع والخامس وكتب إليه يسأله عن أكرم الخلق على الله وعن أكرم الإماء على الله وعن أربعة من الخلق فيهم الروح لم يرتكضوا فى رحم ويسأله عن قبر مشى بصاحبه وعن المجرة وعن القوس وعن مكان طلعت فيه الشمس لم تطلع عليه قبل ذلك ولم تطلع عليه بعده فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله تعالى وما علمنى بما ههنا فقيل له اكتب إلى ابن عباس فكتب إليه بذلك فكتب إليه ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إن أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الإخلاص لا يقبل عمل إلا بها والتى تليها سبحان الله وبحمده صلاة الخلق والتى تليها الحمد لله كلمة الشكر والتى تليها الله أكبر والخامس لاحول ولا قوة إلا بالله وأما أكرم الخلق على الله عز وجل فآدم عليه السلام خلقه الله بيده وعلمه الأسماء كلها وأما أكرم إمائه عليه فهى مريم التى أحصنت فرجها فنفخ فيه من روحه وأما الأربعة الذين لم يرتكضوا فى الرحم فآدم وحواء وناقة صالح والكبش الذى فدى به إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل عصا موسى عليه الصلاة والسلام حين ألقاها فصارت ثعبانا مبينا وأما القبر الذى سار بصاحبه فهو الحوت حين التقم يونس وأما المجرة فباب السماء وأما القوس فإنه أمان لأهل الأرض من الغرق بعد قوم نوح وأما المكان الذى طلعت عليه الشمس ولم تطلع عليه قبله ولا بعده فهو المكان الذى انفلق فى البحر لبنى إسرائيل فلما قدم عليه الكتاب أرسل به إلى صاحب الروم فقال لقد علمت أن معاوية لم يكن له بهذا علم وما أصاب هذا إلا رجل من بيت النبوة .

## ﴿ باب الهاء ﴾

﴿ الهالع ﴾ النعام السريع فى مضيه والأنثى هالعة ﴿ الهامة ﴾ بتخفيف الميم على المشهور طير الليل وهو الصدى والجمع هام وهامات قال ذو الرمة :

قد أعسف النازح المجهول معسفه ... فى ظل أخضر يدعو هامة البوم

وقد تقدم أن الذكر من البوم يختص باسم الصدى والصيدح وتقدم أن هذه الأسماء تقع على طير الليل بطريق الاشتراك وتسمية هذه الطيور بالصدى والصودى لما تعتقده الأعراب من كونه عطشان لايزال يقول اسقونى والصدى العطش والصادى العطشان ويقال رجل صديان وامرأة صديا والصدى أيضا يرجع من الصوت إذا خرج ووجد مايحبسه من حجر ونحوه العرب تقول أصم الله صداه إذا دعوا على شخص بالخرس والمعنى لاجعل الله له صدى يرجع إليه بصوته وقد تقدم ذلك ويقع الصدى أيضا على الدماغ لكونه متصورا بصورة الصدى ولهذا سمى الدماغ هامة لانه يشبه رأس الصدى لان الصدى لما كان كبير الرأس واسع العين وفيه شبه برأس ابن آدم سموا الرأس هامة باسمه والهامة هو الصدى وتسميته بالهامة يحتمل أن تكون للمعنى الذى لأجله سمى صدى وهو العطش ويجوز أن يراعى الاشتقاق على أن يكون قد اشتق من الهيام بضم الهاء وهو داء يصيب الإبل فتشرب ولا تروى ومنه قوله تعالى فشاربون شرب الهيم وهو جمع أهيم كأحمر والهيم الإبل التى أصابها الهيام يقال جمل أهيم وناقة هيماء وإبل هيم قال الشاعر :

بى اليأس أو داء الهيام أصابنى ... فإياك عنى لا يكن بك ما بيا

قطعتين لتذهب عنها قوة النبت وتقطع حبة الكزبرة أربع قطع لان نصفها ينبت وإذا كان عدسا أو شعيرا أو باقلاء تقشرها ولا تكسرها فإن بالتقشير يذهب عنها قوة النبت ثم تأتى بقطاعها وتبسطها فى الشمس حتى تزول عنها النداوة فلا يتعفن وإذا أحست بالغيم ردتها إلى مكانها خوفا من المطر وإذا ابتل شىء منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لنزول عنه النداوة ومن عجائبه أنه لايتعرض لجعل ولا جرادة ولا صرصر ولا عقرب ما لم يكن به عقر أو قطع يد أو رجل فإن أصابه شىء منها وثبت

وقال لبيد :

أجزت على معارفها بشعب وأطلاح عن المهرى هيم

وقيل الهيم الأرض السهلة ذات الرمل ويحتمل أنه إنما سمى هامة باسم رأسه تشبيها بهامة الإنسان وهى رأسه قال الشاعر :

ونضرب بالسيوف رؤس قوم أزلنا هامهن عن الصدور

وعلى هذا يكون النجوز حاصلا من الجانبين وهذا قد وجد فى كلام بعضهم الإيماء إليه وسمى بعضهم الهامة بالمصاص لأنه ينزل إلى الحمام فيمص دمها وإنما سموا بعض هذه الطيور بومة لأنها تصيح بهذا الحرف وبعضها يصيح بقاف وواو وقاف فيسمونها قوقة وأم قويق وكل هذا من جنس الهوام * روى مسلم وغيره عن جابر رضى الله تعالى عنه قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا صفرة ولا هامة وفيه تأويلان أحدهما أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهى هذا الطائر المعروف من طير الليل كما تقدم وقيل هو البومة كانت إذا سقطت على دار أحدهم قال نعت إليه نفسه أو بعض أهله وهذا تفسير الإمام مالك ابن أنس رحمه الله والثانى أن العرب كانت تعتقد أن روح القتيل الذى لم يؤخذ بثأره تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول اسقونى اسقونى من دم قاتلى فإذا أخذ بثأره طارت قال لبيد :

فليس الناس بعدك فى نفير وما هم غير أصداء وهام

وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة ويسمونها الصدى وهذا تفسير أكثر العلماء وهو المشهور ويجوز أن يكون المراد النوعين وأنه عليه الصلاة والسلام نهى عنهما جميعا * روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنت عند كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال كعب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شىء قرأته فى كتب الأنبياء عليهم السلام إن هامة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام ياهامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبى الله أن آدم أخرج من الجنة بسببه قال فكيف لا تشربين الماء قالت يانبى الله لأنه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لاأشربه قال لها سليمان كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لأن الخراب ميراث الله فأنا أسكن ميراث الله قال الله تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين إذا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور إذا مررت عليها قالت أقول ويل لبنى آدم كيف يناموا وأمامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام فمالك لاتخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لأنفسهم قال فأخبرينى ماتقولين فى صياحك قالت أقول تزودوا ياغافلين وتهيئوا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان عليه السلام ليس فى الطيور طير أنصح لابن آدم ولا أشفق عليه من الهامة ومافى قلوب الجهال أبغض منها ﴿فرع﴾ فى فتاوى قاضى خان إذا صاحت الهامة فقال أحد يموت رجل فقال بعضهم يكون ذلك كفرا إنما يقال هذا على جهة التفاؤل انتهى وهو قريب مما تقدم فى العقعق * والهوام حشرات الأرض وروى بن حبان وأبو داود الطيالسى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن هذه

عليه وهو حى ولا يفارقه حتى يقتله وهكذا تفعل بالحيات والثعابين إذا أصابها خدش أو جراحة وإذا أحرق النمل يموت من دخانها الباقى أو تهرب وعند هلاكها ينبت لها جناحان لأن العصافير يصطادها ومن سقى من بيظ النمل نصف درهم لا يملك أسفله ويغلبه الضراط وإذا طلى البدن بمسحوقه مخلوطا بالماء لا ينبت الشعر وإذا نثرت بيظ النمل بين قوم تفرقوا شذر مذر ( ورل ) هو الحيوان العظيم من أشكال الوزغ وسام أبرص الطويل الذنب

الهوام من الجن فإذا رأى أحدكم شيئا منها فليحرج عليه ثلاث مرات قال فى النهاية هو أن يقول لها أنت فى حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالتتبع والضرب والقتل * روى البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال إن النبى ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين يقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول ﷺ كان أبو كما إبراهيم عليه السلام يعوذ بها إسماعيل وإسحق عليهما الصلاة والسلام قال الخطابى الهامة إحدى الهوام ذوات السموم كالحية والعقرب ونحوهما * فإن قيل فى هذا الحديث دليل على أن للهامة حقيقة فالجواب أن الهامة هنا بالتشديد وتلك بالتخفيف كما تقدم والمراد هنا هوام الأرض من الحيات والعقارب ونحوهما كما قال الخطابى أو المراد كل ما يهم بالأذى وهو اسم فاعل من هم يهم فهو هامة كما به ﷺ قال أعيذكما من شر كل نسمة هامة بالأذى وقوله عليه الصلاة والسلام ومن كل عين لامة معناه ذات لمم قال الخطابى وكان أحمد بن حنبل رحمة الله يستدل بقوله بكلمات الله التامة على أن القرآن غير مخلوق ويقول إن رسول الله ﷺ لا يستعيذ بمخلوق وما من كلام مخلوق إلا وفيه نقص فالموصوف منه بالتمام هو غير مخلوق وهو كلام الله تعالى * وفى الصحيحين وغيرهما عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه قال فىّ أنزلت هذه الآية فما كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه أتيت النبى ﷺ فقال ادنه فدنوت ثم قال ادنه فدنوت فقال ﷺ أيؤذيك هوامك قال ابن عوف اظنه قال نعم فأمرنى بفدية من صيام أو صدقة أو نسك ما تيسر * وروى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن لله مائة رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون ويتراحمون وبها تعطف الوحوش على أولادها وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة وسيأتى هذا فى باب الواو فى لفظ الوحش إن شاء الله تعالى * وفى الإحياء فى فضل الجمعة يقال إن الطير والهوام يلتقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وهو كذلك فى قوت القلوب أيضا * وفى كتاب فردوس الحكمة آية فى كتاب الله من قرأها يأمن من الهوام « إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » وقد تقدم نظير هذا فى باب الباء الموحدة فى البراغيث من رواية ابن أبى الدنيا فى كتاب التوكل أن عامل أفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه يشكو إليه الهوام والعقارب فكتب إليه وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا الآية * وفى كتاب النصائح أن بعض السياحين كان مقداما على كل هول يخافه المسافرون غير متحفظ من الهوام والسباع فتعجب منه قوم وخوفوه الغرر بنفسه فقال إنى على بصيرة من أمرى وذلك أنى سافرت تاجرا مع رفقة فكان سراق الأعراب يطوفون بنا كل ليلة وكنت أشد أصحابى ذكرا وأطولهم سهرا وكنت قد اكتريت معى رجل من الأعرب أعرفه بالصلاح والدين فلما رآنى على هذه الحالة قال صل على محمد ﷺ مائة مرة ونم آمنا ففعلت ذلك ونمت فإذا رجل يوقظنى فارتعت وقلت من أنت فقال اصطنعنى واستتبنى قلت مالك قال هذه يدى قد احتبسها متاعك وإذا هو قد شق عدلا كنت نائما عليه وأدخل يده لاستخراج الثياب منه فلم يستطع إخراج يده فأيقظت المكارى وأخبرته وسألته أن يدعو له فقال أنت أولى بالدعاء فإنه من أجلك أصيب فدعوت وأمن فأطلق عن الرجل فلا أنسى اسوداد يده من اختناق الدم فيها وفيه

الصغير الرأس وهو سريع السير خفيف الحركة عدو للضب والحية يدخل بيتها ويأكلها وليس شىء أقوى على قتل الحيات منه ولا يحتفر لنفسه بيتا بل يغتصب من كل حيوان بيته لأنه أى بيت دخله هرب ساكنه ويغتصب بيت الحية من الحية كما تغتصب الحية بيت سائر الأجناس الأخر (فصل فى خواص أجزائه) لحمه وشحمه يسمن طبقات النساء وفيه قوة جذب للسلا والشوك جلده يحرق ويخلط رماده بدردى

أيضا أنه صلوات الله وسلامه عليه قال من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف نقول قال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك وحبيبك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم * روى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لما أتى إلى غار ثور مع النبي صلى الله عليه وسلم سبق إلى دخوله فانبطح فيه وألقى نفسه فقال له النبي ﷺ لم فعلت هذا قال لأن هذه الغيران يكون فيها الهوام المؤذية فأحببت إن كان فيها شيء أن أقيك بنفسي وقيل كان عليه رضى الله تعالى عنه برد ثمين فمزقه وحشا به الأجحرة فبقى جحران فسدهما بعقبيه (والهامة) فى الرؤيا امرأة قوادة أوزانية (وحكمها) تحريم الأكل (الهبع) الفصيل الذى نتج فى آخر النتاج يقال ماله هبع ولا ربع والأنثى هبعة والجمع هبعات (الهبلع) الكلب السلوقى قاله ابن سيده قد تقدم ما فى الكلب فى باب الكاف (الهجاة) الضفدع قالها بن سيده أيضا والمعروف الهاجة (الهجرس) ولد الثعلب والجمع هجارس وقيل هو ولد الدب وقال أبو زيد هو القرد وفى الحديث أن عيينة بن حصن الفزارى مد رجله بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه يا عين الهجرس أتمد رجلك بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى الاستيعاب فى ترجمة أسيد بن حضير قال جاء عامر بن الطفيل وأربد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصيبا من تمر المدينة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عامر بن الطفيل لأملأنها عليك خيلا جردا ورجالا مردا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى شر عامر بن الطفيل فأخذ أسيد بن حضير الرمح وجعل يقرع رؤسهما ويقول أخرجا أيها الهجرسان فقال عامر من أنت قال أنا أسيد بن حضير فقال أبوك خير منك فقال بل أنا خير منك ومن أبى مات أبى وهو كافر فقيل للأصمعى ما الهجرس قال الثعلب فلما رجع عامر وأربد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا ببعض الطريق أرسل الله على أربد صاعقة فأحرقته وأحرقت بعيره وبعث الله على عامر الطاعون فى عنقه فقتله فى بيت امرأة سلولية من بنى سلول فجعل يقول يابنى عامر غدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية وذكر سيبويه قول عامر غدة كغدة البعير وموتا فى بيت سلولية فى باب ما ينصب على إضمار الفعل المتروك كأنه قال أغد غدة قلت ومن الأوهام أن المستغفرى ذكر فى كتابه معرفة الصحابة عامر بن الطفيل وقال إنه أسلم وسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يعلمه كلمات يعيش بهن فقال صلى الله عليه وسلم يا عامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحى من الله حق الحياء وإذا أسأت فأحسن فإن الحسنات يذهبن السيآت انتهى والصواب أن عامر بن الطفيل لم يؤمن بالله طرفة عين ولم يختلف أحد من أهل النقل فى ذلك وأما أربد المذكور فهو أخو لبيد الشاعر الذى عاش فى الإسلام ستين سنة لم يقل فيها شعرا سأله عمر رضى الله تعالى عنه عن تركه الشعر فقال ما كنت لأقول شعرا بعد أن علمنى الله البقرة وآل عمران فزاد عمر فى عطائه خمسمائة درهم من أجل هذا القول فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة فلما كان زمن معاوية أراد أن ينقصه الخمسمائة فقال له ما بال العلاوة فوق الفودين فقال له لبيد رضى الله تعالى عنه آن أن أموت ويصير لك العلاوة والفودان فرق له معاوية وتركها له ومات لبيد بعد ذلك بأيام قليلة وقد قيل إنه قال فى الإسلام بيتا واحدا وهو :

الحمد لله الذى لم يأتنى أجلى * حتى لبست من الإسلام سربالا

وقيل قال : ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

الزيت ويطلى به العضو الخدر يذهب عنه ذلك زبله ينفع من الكلف والنمش ويكتحل به ينفع من بياض العين ويقلع الشآليل والله الموفق للصواب بمنه وكرمه (خاتمة) فى حيوانات عجيبة الأشكال وهى حيوانات يخالف أشكالها أشكال الحيوانات المعهودة أذكر بعضها فى أقسام ثلاثة (القسم الأول) أمم غريبة الأشكال خلقها الله تعالى فى أكناف الأرض وجزائر البحار منها يأجوج ومأجوج وهم أمم لا يحصيهم إلا الله

(الامثال) قالوا أسفد من هجرس وأغلم وأنزى ﴿الهجرع﴾ الكلب السلوقى الخفيف قاله ابن سيده ﴿الهجين﴾ من الخيل والناس الذى أبوه عربى وأمه غير عربية والهجان من الإبل البيض يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال بعير هجان وناقة هجان وإبل هجان وامرأة هجان أى كريمة ﴿الهدهد﴾ بضم الهاءين وإسكان الدال المهملة بينهما طائر معروف ذو خطوط وألوان كثيرة وكنيته أبو الاخبار وأبو ثمامة وأبو الربيع وأبو روح وأبو سجاد وأبو عباد ويقال له الهداهد قال الراعى * كهداهد كسر الرماة جناحه * والجمع الهداهد بالفتح وهو طير منتن الريح طبعا لأنه يبنى أخوصه بالزبل وهذا عام فى جميع جنسه ويذكر عنه أنه يرى الماء فى باطن الأرض كما يراه الإنسان فى باطن الزجاجة وزعموا أنه كان دليل سليمان على الماء ولهذا السبب تفقده لما فقده وكان سبب غيبة الهدهد عن سليمان عليه الصلاة والسلام أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطير والوحش ما بلغ من عسكره مائة فرسخ فحملهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وكان ينحر كل يوم طول مقامه بمكة خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وأنه قال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا مكان يخرج منه نبى عربى من صفته كذا وكذا ويعطى النصر على من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده فى الحق سواء لا تأخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يانبى الله قال بدين الحنيفية وطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا فكم بيننا وبين خروجه يانبى الله قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل وأقام سليمان عليه السلام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول فيها ليصلى ويتغذى فلما نزل قال الهدهد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء فنظر إلى طول الدنيا وعرضها و يمينا وشمالا فرأى بستانا لبلقيس فمال إلى الخضرة فوقع فيه فإذا هو بهدهد من هداهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور فقال هدهد اليمن ليعفور من أين أقبلت وأين تريد قال أقبلت من الشأم مع صاحبى سليمان بن داود عليهما السلام فقال ومن سليمان قال ملك الجن والإنس والشياطين والطير والوحش والريح وذكر له من عظمة ملك سليمان وماسخر الله له من كل شىء فمن أين أنت فقال له الهدهد الآخر أنا من هذه البلاد ووصف له ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل ثم قال فهل أنت منطلق معى حتى تنظر إلى ملكها فقال أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد الثانى إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فمضى معه ونظر إلى ملك بلقيس وما رجع إلى سليمان إلا بعد العصر وكان سليمان قد نزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا له خبرا فتفقد الطير ففقد الهدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فلم يجد عنده علمه فغضب سليمان عليه السلام عند ذلك وقال لأعذبنه عذابا شديدا الآية ثم دعا بالعقاب وهو سيد الطير فقال على بالهدهد الساعة فارتفع فى الهواء فنظر إلى الدنيا كالقصعة فى يد الرجل ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمين فانقض عليه العقاب يريده فناشده الله وقال أسألك بحق الذى قواك وأقدرك على إلا ما رحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه ثم قال له ويلك ثكلتك أمك إن نبى الله قد حلف ليعذبنك أو يذبحنك فقال الهدهد أو ما استثنى نبى الله قال بلى قال أو ليأتينى بسلطان مبين قال الهدهد قد نجوت إذا ثم

تعالى طول أحدهم نصف قامة رجل ولهم أنياب كالسباع ومخاليب مكان الأظفار وهلب عليه شعر (ومنها) منسك وهم فى جهة المشرق بقرب يأجوج ومأجوج لهم آذان مثل آذان الفيلة كل أذن مثل كساء يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى (ومنها) أمة فى بعض الجبال بقرب سد الاسكندر قصار القدود عراض الوجوه سود الجلود فيها نقط بيض وصفر طول كل واحد خمسة أشبار يتوحشون من الخلائق

طار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان عليه السلام فلما قرب منه الهدهد أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا فأخذ سليمان رأسه فمده إليه وقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدى الله عز وجل فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله عن سبب غيبته فأخبره بأمر بلقيس وقد تقدمت الإشارة إلى طرف من قصتها فى باب الدال والعين المهملتين فى الكلام على الدود والعفريت قال الزمخشرى وكان السبب فى تخلفه وغيبته عن سليمان عليه السلام أنه حين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شىء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد تحت كل قائد مائة ألف فذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر فدعا سليمان عليه السلام عريف الطير وهو النسر فلم يجد عنده عليه فقال لسيد الطير وهو العقاب علىّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الذى قواك وأقدرك علىّ إلا ما رحمتنى فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبىّ الله حلف ليعذبنك قال أو ما استثنى قالت بلى قال أو ليأتينى بسلطان مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعاً له فلما دنا منه أخذ رأسه فمده إليه فقال يا نبىّ الله اذكر وقوفك بين يدى الله فارتعد سليمان وعفى عنه ثم سأله وأما قوله لأعذبنه فتعذيبه بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان عليه السلام للطير أن ينتف ريشه وذنبه ويلقيه فى الشمس ممطا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض وهو أظهر الأقاويل وقيل إنه يطلى بالقطران ويشمس وقيل إن يلق للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل إلزامه صحبة الأضداد وعن بعضهم أنه قال أضيق السجون صحبة الأضداد وقيل حبسه مع غير جنسه وقيل إلزامه خدمة أقرانه وقيل تزويجه عجوزا * فإن قلت من أين أحل له تعذيب الهدهد قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع (وحكى) القزوينى أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد أن تكون فى ضيافتى قال أنا وحدى قال بل أنت وأهل عسكرك فى جزيرة كذا فى يوم كذا فحضر سليمان عليه السلام بجنوده فطار الهدهد فاصطاد جرادة فخنقها ورمى بها فى البحر وقال كلوا يا نبى الله من فانه اللحم نالته المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا وفى ذلك قيل :

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة * أهدت له من جراد كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * إن الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته * لكان يهدى لك الدنيا وما فيها

قال عكرمة إنما صرف سليمان عليه السلام عن ذبح الهدهد لأنه كان بارا بأبويه ينقل الطعام إليهما فيزقهما فى حال كبرهما * قال الجاحظ وهو وفاء حفوظ ودود وذلك أنه إذا غابت أنثاه لم يأكل ولم يشرب ولم يشتغل بطلب طعم ولا غيره ولا يقطع الصياح حتى تعود إليه فإن حدث حادث أعدمه إياها لم يسفد بعدها أنثى أبداً ولم يزل صائحا عليها ما عاش ولم يشبع بعدها أبدا بطعم بل ينال منه ما يمسك رمقه إلى أن يشرف على الموت فعند ذلك ينال منه يسيرا * وفى الكامل وشعب الإيمان للبيهقى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال سليمان عليه السلام مع ما خوله الله من الملك وأعطاه كيف عنى بالهدهد مع صغره فقال له ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إنه احتاج إلى الماء والهدهد كانت الأرض له كالزجاج كما تقدم فقال ابن الأزرق لابن عباس قف يا وقاف كيف يبصر الماء من تحت الأرض ولا يرى الفخ إذا غطى

ويتسلقون الأشجار (ومنها) أمة بجزيرة الزنج على صورة الإنسان يتكلمون بكلام لا يفهم ويأكلون ويشربون كالإنسان ولهم أجنحة يطيرون بها وهم بيض وسود وخضر (ومنها) أمة بجزيرة الرامنى عراة لا يفهم كلامهم شبيهة بالصغير طول أحدهم أربعة أشبار ولهم شعور وزغب أحمر (ومنها) أمة فى بعض جزائر الزنج قاماتهم قدر ذراع وأكثرهم عور وعورهم لمحاربة الغرانيق تأتيهم وتحاربهم كل سنة فتقتل

له بقدر أصبع من تراب فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إذا نزل القضاء عمى البصر وأنشدوا فى ذلك لأبى عمرو الزاهد :

إذا أراد الله أمرا بأمرئ ... وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما ... يأتى به محتوم أسباب القدر
غطى عليه سمعه وعقله ... وسله من ذهنه سل الشعر
حتى إذا أنفذ فيه حكمه ... رد عليه عقله ليعتبر

ونافع ابن الأزرق هو رأس فرقة من الخوارج يقال لها الأزراقة يكفرون على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إذ حكم وهو قبل التحكيم عندهم إمام عدل ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرا ويرون قتل الأطفال ولا يقيمون الحدود على من قذف محصنا ويقيمونها على من قذف المحصنات وغير ذلك من الأقوال * وأنشد أبو الشيص فى صفة الهدهد :

لا تأمنن على سرى وسركم ... غيرى وغيرك أوطى القراطيس
أو طائر سوف أجليه وأنعته ... ما زال صاحب تنقير وتدريس
سود براثنه ميل ذوائبه ... صفر حمالقه فى الحسن مغموس

البراثن بالباء الموحدة وبالثاء المثلثة وبالنون فى آخره أظفاره والذوائب ريشه والحمالق الأجفان * قال أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أبى الطيب صاحب دمية القصر وهى ذيل يتيمة الدهر قتل سنة سبعة وستين وأربعمائة :

لا تنكرى يا عز إن زل الفتى ... ذو الأصل واستعلى خسيس المحتد
إن البزاة رءوسهن عواطل ... والتاج معقود برأس الهدهد

قيل إن الإمام الحافظ أبا قلابة واسمه عبد الملك بن محمد الرقاشى رأت أمه وهى حامل به كأنها ولدت هدهدا فقيل لها إن صدقت رؤياك فإنك تلدين ولدا ذكرا كثير الصلاة فولدته فلما كبر كان يصلى كل يوم أربعمائة ركعة وحدث من حفظه ستين ألف حديث ومات سنة ست وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (الحكم) الأصح تحريم أكله لنهى النبى ﷺ عن أكله لأنه منتن الريح ويقتات الدود وقيل يحل أكله لأنه يحكى عن الشافعى وجوب الفدية فيه وعنده لا يفدى إلا المأكول (الأمثال) قال أسجد من هدهد يضرب لمن يرمى بالأبنة وقالوا أبصر من هدهد لما تقدم من رؤيته الماء تحت الأرض (الخواص) إذا بخر البيت بريشة من ريشه طرد الهوام عنه وعينه إذا علقت على صاحب النسيان ذكر ما نسيه وكذلك يفعل قلبه إذا شوى وأكل مع سذاب وهو نافع للحفظ والذكاء ولا ينسى شيئا وهو أنفع من حب الفهم وأسلم ومن أخذ عشرة هداهد ونزع ريشها وتركها فى دار أو دكان خرب ذلك المكان ولم يعمر أبدا ومن أخذ مصران الهدهد وعلقه على من به النزيف نفعه ومن أخذ منقاره وهو ميت وخرز عليه جلدة لم يتلف له شىء ما دام عليه وإن دخل به على سلطان رحب به وأكرمه وقضى حوائجه ومن أخذ تراب عش الهدهد وتركه فى سجن خرج من فيه من وقته وإن أخذ من مخاليب رجليه مخلبا واحدا وعلقه على صبى أو غيره لم يلحقه عين ولا يزال فى عافية ما دام معلقا عليه ومن أخذ ذنبه وشيئا من دمه وعلقه على شجرة لم تحمل أبدا وإن علق على دجاجة بياضة لم تبض وإن علق على من به نزف الدم سكن عنه ومن أخذ لسانه وألقاه فى شىء من دهن السمسم وجعله تحت لسانه وسأل إنسانا حاجة قضاها له وإذا حمل ريشه إنسان وخاصم غلب خصمه وقضيت حاجته وظفر بما يريد ولحمه إذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ودماغ الهدهد إذا أخرج وعمل فى

منهم ما شاء الله (ومنها) أمة فى بعض جزائر البحر وجوههم كوجوه الكلاب وسائر بدنهم كبدن الناس يتقوتون بثمار أشجار تلك الجزيرة فإن وجدوا شيئا من الحيوانات أكلوه (ومنها) أمة فى هذه الجزيرة على صورة الناس كأحسن ما يكون ولا عظم فى أرجلهم فيزحفون زحفا فإذا وجدوا إنسانا ماشيا قفزوا على رقبته ولوى من على الرقبة رجليه على ذلك الماشى فإذا عالجه طرحه وخمشه فى وجهه وسخره كما يسخر أحدنا بته

دقيق وعجن منه قرصة وجففت فى الظل وأطعمت الإنسان ويقول المطعم أطعمتك يا فلان بن فلان هدهدا وجعلتك تسمع قولى وتطيعنى وتشهد لى كما شهد الهدهد لسليمان عليه السلام فإن المطعوم يحب المطعم حبا شديدا وإن أخذت قشرته وشددتها على عضدك الأيسر وأخذت منقاره ولسانه وكتبت هذه الأسماء فى رق ظبى وجعلتها فيه وشددته بخيط صوف كحلى أو أسود أو أحمر ودفنته تحت باب من تريد موضع دخوله وخروجه فإنك تبلغ ما تريده منه من المحبة والعطف والقبول وهى هذه الأسماء التى تكتبها فطيطم مارنورمانيل وصعانيل * ودم الهدهد إذا أخذ فى صدفة وقطر فى عين يطلع فيها الشعر أزاله وإذا ذبحت هدهدا وأخذت دماغه وجففته وسحقته ببعض من المصطكى ودققت معه إحدى وعشرين ورقة آس وخلطته وأشممته لمن تريد فإنه يحبك وعينه اليمنى إذا علقتها عليك فى خرقة جديدة وشددتها على عضدك الأيمن ودخلت على من شئت فإنه لا يراك أحد إلا أحبك وإذا أردت سواد الشعر فخذ مصران الهدهد وجففه ثم اسحقه بدهن سمسم وادهن به رأس من تريد أو لحيته ثلاثة أيام فإن شعره يسود سوادا عظيما ودمه وهو حار إذا قطر على البياض العارض فى العين أذهبه وإن بخر بمخه برج الحمام لم يقربه شىء يؤذيه وإن علق هدهد مذبوح بجملته فى بيت أمن أهله من السحر ومن علق عليه لحيه الأسفل أحبه الناس وإن بخر المجنون بعرفه أبرأه ولحمه إذا بخر به معقود عن الباه أو مسحور أبرأه وقال جابر رحمه الله إن قلب الهدهد إذا شوى وأكل مع سذاب فإنه ينفع للحفظ جدا ومصران الهدهد إذا علق على من به نزف الدم انقطع عنها وإن أخذت ثلاث ريشات من الجناح الأيسر من الهدهد وكنس بها باب دار ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس ويقول الكانس كما انقطع هذا التراب من هذا المكان كذلك ينقطع فلان بن فلانة من هذا المكان فإنه يخرج منه ولا يعود إليه أبدا وإن أحرقت جناحه الأيسر ونثرت رماده على طريق من تريد فإنه إذا وطئه أحبك حبا شديدا ومنقار الهدهد وريشة من جناحه الأيمن إذا خرز فى جلد وعلقت ذلك عليك باسم من تريد واسم أمه أحبك حبا شديدا وأطول ريشة فى جناحه الأيسر قبول (التعبير) الهدهد فى المنام رجل عالم غنى يثنى عليه بالقبيح لنتن ريحه فمن رآه نال عزا ومالا فإن كلمه فإنه يأتيه خير من قبل السلطان لقوله تعالى وجئتك من سبأ بنبأ يقين وقال ابن سيرين من رأى هدهدا قدم له مسافر وقيل الهدهد رجل حاسب صاحب دهاء يخبر السلطان بما يحدث من الأمور لأنه أخبر سليمان عليه السلام بأمر بلقيس وكان صادقا فى قوله وربما كانت رؤيته أمانا للخائف وقال ابن المقرى أن رؤيته تدل على هدم الدار العامرة أو الشىء العامر مأخوذ من اسمه هدهد وربما دلت على الرسول الصادق والقرب من الملوك والجاسوس أو الرجل العالم الكثير الجدال وربما دل على النجاة من الشدائد والعذاب وربما دل على المعرفة بالله تعالى وربما شرعه من الدين والصلاة وإن رآه ظمآن اهتدى إلى الماء والله تعالى أعلم ﴿الهدى﴾ هو ما يهدى إلى الحرم من النعم والهدى أيضا مثله وقرئ حتى يبلغ الهدى محله بالتخفيف والتشديد وهما لغتان الواحدة هدية وهدية * وكان الهدى الذى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديبية ونحره مائة بدنة وقال المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم سبعين بدنة والناس سبعمائة فكانت البدنة عن عشرة وهذا غريب * وعن مصعب ابن ثابت قال والله لقد بلغنى أن حكيم بن حزام رضى الله تعالى عنه حضر يوم عرفة ومعه مائة رقبة ومائة بدنة ومائة بقرة ومائة شاة فقال هذا كله لله تعالى فأعتق الرقاب وأمر بتلك فنحرت رواه الطبرانى مرسلا * وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت أهدى النبى صلى الله عليه وسلم

(ومنها) أمة فى بعض الجزائر لها أجنحة وخراطيم دقيقة وشعور يمشى على رجلين وعلى أربعة ويطير أيضا قيل إنهم صنف من الجن (ومنها) أمة طوال القدود زرق العيون ذوات أجنحة خفاف النهضة رؤسهم كرؤس الخيل وأبدانهم كأبدان الناس (ومنها) أمة لها رأسان وثمانى أرجل رأس وأربع نحو الأرض ورأس وأربع نحو الهواء (ومنها) أمة على صورة النساء لها شعور وثدى

مرة غنما وفيه استحباب تقليد الغنم وقال مالك وأبو حنيفة لا يستحب بل خصا التقليد بالإبل والبقر ﴿فرع﴾ اتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا فللمهدى أن يأكل منه وكذلك أضحية التطوع لما روى جابر أنه صلى الله عليه وسلم أهدى فى حجة الوداع مائة بدنة نحر رسول الله ﷺ منها بيده ثلاثا وستين وأمر عليا فنحر ما بقى منها ثم أمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة بضعة فتجعل فى قدر فأكلا من لحمها وحسيا من مرقها * واختلفوا فى الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والواجب بإفساد الحج وفواته وجزاء الصيد فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعى وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما عداهما وبه قال الإمام أحمد وإسحق وقال مالك يأكل من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وقال أصحاب الرأى يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من كل واجب سواهما والله تعالى أعلم ﴿الهديل﴾ ذكر الحمام قد تقدم ما فى الحمام فى باب الحاء المهملة قال جران العود :

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها ... من البغى شريب يغرد منزف

والهديل صوت الحمام يقال هدل القمرى يهدل هديلا والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فصاده جارح من الطير فليس من حمامة إلا وتبكى عليه إلى يوم القيامة قال نصيب :

فقلت أتبكى ذات طوق تذكرت ... هديلا وقد أودى وما كان تبع

يقول لم يخلق تبع بعد ﴿الهرماس﴾ بكسر الهاء من أسماء الأسد وقيل هو الشديد من السباع والهرماس ابن زياد الباهلى من الصحابة سكن البصرة وطال عمره وروى عن النبى ﷺ حديثين أحدهما عند أبى داود والآخر رواه النسائى والهرميس بكسر الهاء أيضا الكركدن عند ابن سيده قال وهو أكبر من الفيل قال الشاعر * والفيل لا يبقى على الهرميس ﴿الهر﴾ السنور والجمع هررة كقرد وقردة والأنثى هرة وتقدمت فى خواص الأسد فى الكلام على الفأرة أن الهرة خلقت من عطسة الأسد روى الإمام أحمد والبزار ورجال الإمام أحمد ثقات من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ رأى رجلا يشرب قائما فقال ﷺ قه أيسرك أن يشرب معك الهر قال لا قال فقد شرب معك الشيطان وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة محمد بن عمر الحنبلى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كنت جالسا عند عائشة رضى الله تعالى عنها أبشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرنى القريب والبعيد حتى هجرتنى الهرة وما عرض علىّ طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا جائعة فرأيت الليلة فى منامى فنى فقال مالك حزينة فقلت مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه الكلمات يفرّج عنك فقلت وما هى فقال قولى دعاء الفرج يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا أعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولى من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قالت فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله براءتى وجاء فى الفرج وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال إن الشيطان عرض للنبى ﷺ فى صلاته قال عبد الرزاق فى صورة هر قال

لا خل فيهن يلقحن من الريح ويلدن أمثالهن ولهن أصوات مطربة يجتمعن عليهن الحيوانات لطيب أصواتهن (ومنها) أمة رءوسها رءوس الناس وأبدانها أبدان الحيات (ومنها) أمة فى بعض جزائر الصين لا رأس لأبدانهم وأفواههم وعيونهم على صدورهم وسمعت أن واحدا من هذه الأمة جاء رسولا إلى عظيم التتار (ومنها) أمة لها وجوه كوجـــه الإنسان وظهورهم كظهر السلحفاة وعلى رءوسهم قرون

ﷺ فشد على يقطع على صلاتى فأمكننى الله منه فذعته أى خفته ولقد هممت أن أوثقه فى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخى سليمان رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحدمن بعدى فرده الله خاسئا وروى ابن أبى خيثمة عن ميمونة بنت سعيد مولاة رسول الله ﷺ وهوفى الاستيعاب عن سليمان الفارسى خادم رسول الله ﷺ أن النبى ﷺ أوصى بالهر وقال إن امرأة عذبت فى هرة ربطتها الحديث وهو فى الصحيحين وفى الزهد للإمام أحمد رأيتها فى النار وهى تنهش قبلها ودبرها والمرأة المعذبة كانت كافرة كما رواه البزار فى مسنده والحافظ أبو نعيم فى تاريخ أصبهان ورواه البيهقى فى البعث والنسور عن عائشة رضى الله تعالى عنها فاستحقت التعذيب بكفرها وظلمها وقال القاضى عياض فى شرح مسلم يحتمل أن تكون كافرة ونفى النووى هذا الاحتمال وكأنهما لم يطلعا على نقل فى ذلك وفى مسند أبى داود الطيالسى من حديث الشعبى عن علقمة قال كنا عند عائشة رضى الله تعالى عنها ومعنا أبو هريرة فقالت يا أبا هريرة أنت الذى تحدث عن رسول الله ﷺ أن امرأة عذبت بالنار من أجل هرة قال أبو هريرة نعم سمعته من رسول الله ﷺ فقالت عائشة المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه من أجل هرة إنما كانت المرأة مع ذلك كافرة يا أبا هريرة إذا حدثت عن رسول الله ﷺ فانظر كيف تحدث وقد تقدم فى الفرس ما أنكرته عائشة على أبى هريرة وروى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى أنه رآه فى النوم بعد موته فقال له مافعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وقال يا أبا بكر أتدرى بما ذا غفرت لك فقلت بصالح عملى فقال لا قلت بإخلاصى فى عبوديتى قال لا قلت بحجى وصومى وصلاتى قال لا لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتى إلى الصالحين وإدامة أسفارى فى طلب العلوم فقال لا فقلت يا رب هذه المنجيات التى كنت أعقد عليها خنصرى وظنى أنك بها تعفو عنى وترحمنى فقال كل هذه لم أغفر لك بها فقلت إلهى فبماذا قال أتذكر حين كنت تمشى فى دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى من جدار إلى جدار من شدة البرد والثلج فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فروكان عليك وقاية لها من ألم البرد فقلت نعم فقال برحمتك لتلك الهرة رحمتك وأبو بكر الشبلى اسمه دلف بن جحدر وقيل جعفر بن يوسف الخراسانى كان سيدا عالما صالحا محدثا مالكى المذهب صحب الجنيد رضى الله تعالى عنه وكان فى ابتداء أمره واليا على دنباوند فتاب فى مجلس خير النساج وكانت له خطفات وسكرات وغرقات توجب تلك الغرقات شطحات فقام عذره فيها ودخل على الجنيد يوما فوقف بين يديه وصفق وأنشد يقول :

عودونى الوصال والوصل عذب ورمونى بالصد والصد صعب
زعموا حين أزمعوا أن ذنبى فرط حبى لهم وما ذاك ذنب
لا وحق الخضوع عند التلاقى ما جزا من يحب ألا يحب

فأجابه الجنيد رحمه الله تعالى :

وتمنيت أن أراك فلما رأيتكا غلبت دهشة السرور فلم أملك البكا

ومن شعر الشبلى رحمه الله تعالى :

مضت الشبيبة والحبيبة فانبرى دمعان فى الأجفان يزدحمان
ما أنصفتنى الحادثات رمينى بمودعين وليس لى قلبان

طوال (ومنها) أمة يقال لها النسناس لأحدهم نصف رأس ونصف بدن ويد ورجل واحدة كأنه إنسان قد نصفين يقفز قفزا شديدا وأنه يوجد فى غياض أرض اليمن وهو ناطق والله الموفق ﴿ القسم الثانى فى الحيوانات المركبة التى تتولد من حيوانين مختلفى النوع ﴾ ولذا يكون شكلا عجيبا بين هذا وذاك فاعتبر حال البغل فإنه ما من عضو منه إلا وهو دائر بين عضو الفرس وعضو الحمار فإذا كان الذكر حماراً كان

توفى الشبلى رحمه الله فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وله سبع وثمانون سنة وفى كامل بن عدى فى ترجمة أبى يوسف صاحب أبى حنيفة أنه روى عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت كان النبى ﷺ تمر به الهرة فيصغى لها الإناء فتشرب ثم يتوضأ بفضلها قال وكان أبو يوسف يقول من طلب غرائب الحديث كذب ومن طلب المال بالكيمياء افتقر ومن طلب الدين بالكلام تزندق وفى آخر كتاب مناقب الشافعى رضى الله تعالى عنه للحاكم أبى عبد الله بإسناده إلى محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعى يقول اختصم رجلان إلى بعض القضاة فى هرة ادعى كل منهما أنها له وأن عنده أولادها فحكم القاضى أن توسط بين داريهما ثم ترسل فأى دار دخلت فهى لصاحبه قال الشافعى فانجفل الناس وانجفلت معهم فلم تدخل الهرة دار واحد منهما قال الشافعى فبطل قضاؤه ﴿غريبة﴾ ذكر أن مروان الجعدى المنبوذ بالحمار آخر خلفاء بنى أمية لما ظهر السفاح بالكوفة وبويع بالخلافة وجهز العساكر إليه فانهزم منهم حتى وصل إلى صوير وهى قرية عند الفيوم قال ما اسم هذه القرية قيل أبو صوير قال فإلى الله المصير ثم دخل الكنيسة التى بها فبلغه أن خادما له نم عليه فأمر به فقطع رأسه وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت هرة فأكلته ثم بعد أيام هجم على الكنيسة التى كان نازلا بها عامر بن اسماعيل فخرج مروان من باب الكنيسة وفى يده سيف وقد أحاطت به الجنود وخفقت حوله الطبول فتمثل ببيت الحجاج بن حكيم السلمى وهو:

متقلدين صفائحاً هندية * يتركن من ضربوا كأن لم يولد

ثم قاتل حتى قتل فأمر عامر برأسه فقطع فى ذلك المكان وسل لسانه وألقى على الأرض فجاءت تلك الهرة بعينها فخطفته فأكلته فقال عامر لو لم يكن فى الدنيا عجب إلا هذا لكان كافيا لسان مروان فى فم هرة وقال فى ذلك شاعرهم:

قد يسر الله مصرا عنوة لكم * وأهلك الكافر الجبار إذ ظلما
فلاك مقوله هر يجرجره * وكان ربك من ذى الظلم منتقما

ودخل عامر بعد قتله الكنيسة فقعد على فرش مروان وكان مروان حين الهجوم على الكنيسة يتعشى فلما سمع الوجبة وثب عن عشائه فأكل عامر ذلك الطعام ودعا بابنة لمروان وكانت أسن بناته فقالت ياعامر إن دهرا أنزل مروان عن فرشه وأقعدك عليه حتى تعشيت بعشائه واستصبحت بمصباحه ونادمت ابنته لقد بلغ فى موعظتك وأجمل فى إيقاظك فاستحيا عامر وصرفها وكان قتل مروان فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة (الحكم) يحرم أكل الهر على الصحيح والثانى وبه قال الليث بن سعد يحل أكله واختاره أبو الحسن البوشنجى وهو من أئمة أصحابنا وهو حيوان طاهر لما روى الإمام أحمد والدارقطنى والحاكم والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا إلى دار قوم فأجاب ودعى إلى دار آخرين فلم يجب فقيل له فى ذلك فقال إن فى دار فلان كلباً فقيل له وإن فى دار فلان هرة فقال ﷺ الهرة ليست بنجسة إنما هى من الطوافين عليكم والطوافات قال الإمام النووى فى شرح المهذب وبيع الهرة الأهلية جائز بلا خلاف عندنا إلا ما حكاه البغوى فى شرح مختصر المزنى عن ابن القاص أنه قال لا يجوز وهذا شاذ باطل مردود والمشهور جوازه وبه قال جماهير العلماء قال ابن المنذر أجمعت الأمة على جواز اتخاذها ورخص فى بيعها ابن عباس والحسن وابن سيرين والحكم وحماد ومالك والثورى والشافعى وإسحق وأبو حنيفة وسائر أصحاب

بالفرس أشبه وإن كان الذكر فرسا كان بالحمار أشبه (ومنها) المتولد بين الضبعان والناقة والبقر الوحشية وهو الزرافة فإنه متولد بين هذه الثلاثة وقد جرى ذكرها فى ذكر الحيوانات فلا نعيده (ومنها) المتولد من الخيل وبقر الوحش وقد رأيته وكان بغلة فى غاية الحسن (وحكى) أنه كان لكسرى ازدشير حصان اسمه أجدر توحش ولحق بالغابات وضرب فيها فأتت بنوع من الحمير يقال له

الرأى وكرهت طائفة بيعها منهم أبو هريرة وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد وقال ابن المنذر إن ثبت عن النبي ﷺ النهى عن بيعه فبيعه باطل وإلا فجائز احتج من منعه بحديث ابن الزبير قال سألت جابراً رضى الله تعالى عنه عن ثمن الكلب والسنور فقال نهى النبي ﷺ عن ذلك رواه مسلم وفى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الهر واحتج أصحابنا بأنه طاهر منتفع به ووجد فيه جميع شروط البيع فجاز بيعه كالحمار والبغل والجواب عن الحديثين من وجهين أحدهما جواب أبى العباس بن القاص والخطابى والقفال وغيرهم أن المراد الهرة الوحشية فلا يصح بيعها لعدم الانتفاع بها إلا على الوجه الضعيف القائل بجواز أكلها والثانى أن المراد نهى تنزيه فهذان الجوابان هما المعتمدان وأما ماذكره الخطابى وابن عبد البر أن الحديث ضعيف فغلط منهما لأن الحديث فى صحيح مسلم بإسناد صحيح كما تقدم بيانه فى باب السين المهملة وفى السنن الأربعة من حديث كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت بعض ولد أبى قتادة أن أبا قتادة رضى الله تعالى عنه دخل فسكبت له وضوءا فجاءت هرة فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت قالت كبشة فرآنى أنظر إليه فقال أتعجبين يا ابنة أخى فقلت نعم فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات والطوافون الخدم والطوافات الخادمات جعلها بمنزلة المماليك فى قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون ومنه قول إبراهيم النخعى إنما الهرة كبعض أهل البيت كذا نقله الزمخشرى وفى المستدرك وسنن ابن ماجه وكامل بن عدى عن عبد الرحمن ابن أبى الزناد عن أبيه عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الهرة لاتقطع الصلاة إنما هى من متاع البيت ﴿فرع﴾ إذا كان للإنسان هرة تأخذ الطيور وتقلب القدور فأفلتت وأتلفت فهل على صاحبها ضمان ما أتلفت وجهان أصحهما نعم سواء أتلفت ليلا أو نهارا لأن مثل هذه الهرة ينبغى أن تربط ويكف شرها وكذا الحكم فى كل حيوان يولع بالتعدى أما إذا لم يعهد منها ذلك فالأصح لاضمان لأن العادة جرت بحفظ الطعام عنها لا بربطها وأطلق إمام الحرمين فى ضمان ما تتلفه الهرة أربعة أوجه أحدها يضمن والثانى لا والثالث يضمن ليلا لانهارا والرابع عكسه لأن الأشياء تحفظ عنها ليلا وإذا أخذت الهرة حمامة أو غيرها وهى حية جاز قتل أذنها وضرب فمها لترسلها فإذا قصدت الحمام فأهلكت بالدفع فلاضمان فإذا كانت الهرة ضارية بالإفساد فقتلها إنسان فى حال إفسادها دفعاً جاز ولا ضمان عليه كقتل الصائل دفعا وينبغى تقييد ذلك بما إذا لم تكن حاملا لأن فى قتل الحامل قتل أولادها ولم يتحقق منهم جناية وأما قتلها فى غير حالة الإفساد ففيه وجهان أصحهما عدم الجواز ويضمنها وقال القاضى حسين يجوز قتلها ولا ضمان عليه فيها وتلحق بالفواسق الخمس فيجوز قتلها ولا يختص بحال ظهور الشر وسؤرها طاهر لطهارة عينها ولا يكره فلو تنجس فمها ثم ولغت فى ماء قليل فثلاثة أوجه الأصح أنها إن غابت واحتمل ولوغها فى ماء يطهر فمها ثم ولغت لم تنجسه والثانى تنجسه مطلقا والثالث عكسه وغير الماء من المائعات كالماء (الأمثال) قالوا أبرّ من هرة أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم قال الشاعر:

أما ترى الدهر وهذا الورى * كهرة تأكل أولادها

الأجدرية (ومنها) المتولد من الإبل الفالج والعراب وتسمى البختى وهو أحسن أنواع الإبل صورة والفالج هو الذى له سنامان (ومنها) المتولد من الإنسان والدب حدثنى من رآه أن جميع أعضائه كأعضاء الإنسان إلا أنه يكون عليه شعر كما يكون على الدب ويكون ناطقا (ومنها) المتولد بين الذئب والضبع وهو شكل عجيب جدا إن كان الذكر ضبعا يقال له السمع وإن كان الذكر ذئبا يقال له العسبارة (ومنها) المتولد

وقالوا فلان لا يعرف هرّ من برّ قال ابن سيده يعني لا يعرف الهر من الفار وقال الزمخشري لا يعرف من يكرهه ممن يبره وما أحسن قول أحمد بن فارس صاحب المجمل في اللغة وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة وثلثمائة :

إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا * عسى يوما يكون لها انفراج

نديمي هرتي وأنيس نفسي * دفاتر لي ومعشوقي السراج

قال شيخنا اليافعي رحمه الله تعالى أخبرني بعض الصالحين من أهل اليمن أن هرة كانت تأتي الشيخ العارف الأهدل بالدال المهملة فيطعمها من عشائه وكان اسمها اللؤلؤة فضربها خادم الشيخ ذات ليلة فماتت فرمى بها الخادم في خرابة لئلا يعلم الشيخ ذلك فلما جاء الشيخ سكت عنه ليلتين أو ثلاثا ثم قال أين لؤلؤة فقال ما أدري فقال الشيخ ما تدري ثم ناداها لؤلؤة لؤلؤة فجاءت تجري إليه فأطعمها على العادة والخواص تقدمت في باب السين في لفظ السنور ﴿ تتمة ﴾ قال الصاحب بن عباد أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي العلاف البغدادي المقرئ الأديب قصيدة والده في الهر الذي كنى به عن ابن المعتز حين قتله المقتدر فخشي من المقتدر ونسبها إلى الهر وعرض به في أبيات منها وقيل إنما كنى بالهر عن المحسن بن الوزير أبي الحسن علي بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه وقيل كان له هر يأنس به فكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها فأمسكه أربابها فذبحوه فرثاه بقصيدة وقال ابن خلكان وهي من أحسن الشعر وأبدعه وعددها خمسة وستون بيتا وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأتي بمحاسنها وفيها أبيات مشتملة على حكم فنأتي بها وأولها :

يا هرّ فارقتنا ولم تعد * وكنت عندي بمنزلة الولد — فكيف ننفك عن هواك وقد

كنت لنا عدة من العدد * تطرد عنا الأذى وتحرسنا — بالغيب من حية ومن جرد

وتخرج الفار من مكامنها * ما بين مفتوحها إلى السدد — يلقاك في البيت منهمو مدد

وأنت تلقاهمو بلا مدد * لا عدد كان منك منفلتا — منهم ولا واحد من العدد

لا ترهب السيف عند هاجرة * ولا تهاب الشتاء في الجمد — وكان يجري ولا سداد لهم

أمرك في بيتنا على سدد * حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا — ولم تكن للأذى بمعتقد

وحمت حول الردى لظلمهم * ومن يحم حول حوضه يرد — وكان قلبي عليك مرتعدا

وأنت تنساب غير مرتعد * تدخل برج الحمام منتشدا — وتبلع الفرخ غير منتشد

وتطرح الريش في الطريق لهم * وتبلع اللحم بلع مزدرد — أطعمك الغيّ لحمها فرأى

قتلك أربابها من الرشد * حتى إذا داوموك واجتهدوا — وساعد النصر كيد مجتهد

كادوك دهرا فما وقعت وكم * أفلتّ من كيدهم ولم تكد — فحين أخفرت وانهمكت وكا

شفت وأسرفت غير مقتصد * صادوك غيظا عليك وانتقموا — منك وزادوا ومن يصد يصد

ثم شفوا بالحديد أنفسهم * منك ولم يرعووا على أحد

(ومنها) فلم تزل للحمام مرتصدا * حتى سقيت الحمام بالرصد

لم يرحموا صوتك الضعيف كما * لم ترث منها لصوتها الغرد — أذاقك الموت ربهن كما

أذقت أفراخه يدا بيد * كأنّ حبلا حوى بجودته — جيدك للخلق كان من مسد

كأنّ عيني تراك مضطربا * فيه وفي فيك رغوة الزبد — وقد طلبت الخلاص منه فلم

تقدر على حيلة ولم تجد * فما سمعنا بمثل موتك إذ — مت ولا مثل عيشك النكد

فجدت بالنفس والبخيل بها * أنت ومن لم يجد بها يجد — عشت حريصا يقوده طمع

بين الكلب والذئب يقال له الديسم قيل إن الكلاب يسفدها الذئاب بأرض سلوقة باليمن فيتولد منها الكلاب السلوقية (ومنها) المتولد من الحمام والورشان وهو أيضا شكل عجيب يقال له الراعي والله أعلم

﴿ القسم الثالث في حيوانات عجيبة الصور ﴾ زعم الأطباء أنه إذا تولد من الحيوانات شكل غريب يكون ذلك مقتضى مزاج غريب لا يحدث إلا نادراً وزعم المنجمون أنه مقتضى مزاج غريب منها ما روى

ومت ذا قاتل بلا قود يا من لذيذ الفراخ أوقعه ويحك هلا قنعت بالعدد
ألم تخف وثبة الزمان كما وثبت فى البرج وثبة الأسد عاقبة الظلم لا تنام وإن
تأخرت مدة من المدد أردت أن تأكل الفراخ ولا يأكلك الدهر أكل مضطهد
هذا بعيد من القياس وما أعزه فى الدنو والبعد لا بارك الله فى الطعام إذا
كان هلاك النفوس فى المعد كم دخلت لقمة حشاشره فأخرجت روحه من الجسد
ما كان أغناك عن تسورك الـــبرج ولو كان جنة الخلد (ومنها)
قد كنت فى نعمة وفى دعة من العزيز المهيمن الصمد تأكل من فأر بيتنا رغدا
وأين بالشاكرين للرغـد وكنت بددت شملهم زمنا فاجتمعوا بعد ذلك البدد
فلم يبقوا لنا على سبد فى جوف أبياتها ولا لبد وفرغوا قعرها وما تركوا
ما علقتـه يد على وتد وفتتوا الخبز فى السلال وكم تفتتت للعيال من كبـد
ومزقوا من ثيابنا جددا فكلنا فى المصائب الجدد

وكان ابن العلاف ينادر المعتضد بالله فبات ليلة فى دار المعتضد مع جماعة من ندمائه فجاء خادم ليلا فقال إن أمير المؤمنين يقول لكم أرقت الليلة فقلت :

ولما انتبهنا للخيال الذى سرى إذ الدار قفر والمزار بعيد

وقد ارتج على تمامه فمن أجازه بما يوافق غرضى أجزته فارتج على الجماعة وكانوا كلهم أفاضل فقال ابن العلاف :

فقلت لعينى عاودى النوم واهجعى لعـــل خيالا طارقا سيعود

فعاد الخادم إلى المعتضد ثم رجع إلى ابن العلاف وقال يقول أمير المؤمنين قد أحسنت وأمرلك بجائزة سنية كانت وفاة ابن العلاف سنة ثمانى عشرة وثلثمائة وعمره مائة سنة (التعبير) الهر فى الرؤيا خادم حافظ فإن خطف شيئا فهو لص الدار وخدشه وعضه خيانة الخادم وقال ابن سيرين عض الهر مرض سنة وكذلك خدشه والهر إذا لم يكن يأمو (١) فهو سنة فيها راحة لمن رآه والهر الوحشى سنة فيها تعب ونصب ومن باع هرة فإنه ينفق ماله وقالت اليهود الهر يعبر بالغمازين واللصوص لأن فيها المنفعة والمضرة وقال أرطاميدورس الهر فى المنام امرأة خداعة صخابة وعض الهر مرض فى تلك السنة ومن الرؤيا المعبرة أن ابن سيرين أتته امرأة فقالت رأيت كأن سنورا أدخل رأسه فى بطن زوجى فأخذ منه قطعة فقال ابن سيرين قد سرق لزوجك ثلثمائة درهم وستة عشر درهما قالت صدقت فمن أين لك هذا قال من هجاء حروفه فى حساب الجمل فالسين ستون والنون خمسون والواو ستة والراء مائتان فصار المبلغ ثلثمائة وستة عشر درهما فاتهموا عبدا كان فى جوارهم فضربوه فأقر بالمال ومن رأى كأنه أكل لحم سنور فإنه يتعلم السحر والله تعالى أعلم ﴿ الهرنصانة ﴾ بالكسر دودة تسمى السرفة وقد تقدمت فى باب المهملة ﴿ هرثمة ﴾ من أسماء الأسد حكاه ابن سيده وغيره ﴿ الهرهير ﴾ نوع من السمك وقال المبرد إنه مركب من السلحفاة ومن أسود سالخ قال وهو من أخبث الحيات ينام ستة أشهر ثم لا يسلم سليمه انتهى والظاهر أنه مشترك بين الحية والسمك ﴿ الهرزون والهرزان ﴾ الظليم وقد تقدم فى باب الظاء ﴿ الهزار ﴾ بفتح الهاء العندليب وقد تقدم فى باب الصاد المهملة فى الكلام على الصعوة قول الشاعر :

الصعو يرتع فى الرياض وإنما حبس الهزار لأنه يترنم

عن وهب بن منبه فى عوج ابن عنق أنه كان من أحسن الناس وأجلهم وكان لا يوصف طوله وعظمه وعمره الله تعالى عمرا طويلا حتى أدرك زمان موسى عليه الصلاة والسلام وكان قد أدرك نوحا عليه الصلاة والسلام أيضا قبل ذلك وسأل نوحا أن يحمله فى السفينة فقال له من يحملك اغرب ياعدو الله عنى فكان ماء الطوفان إلى وسطه وكان جبارا فى خلقته وأفعاله

(١) قوله «يأمو» أى يصيح كما فى القاموس

﴿ الهزبر ﴾ بكسر الهاء وفتح الزاى وإسكان الباء الموحدة وبالراء المهملة فى آخره الأسد كذا حكاه الجوهرى وقال غيره إنه حيوان على شكل السنور الوحشى وفى قده إلا أن لونه يخالف لونه وهو من ذوات الأنياب ويوجد فى بلاد الحبشة كثيرا لكن يؤيد ما حكاه الجوهرى ما قاله بشر بن أبى عوانة لما قتل الأسد :

أفاطم لو شهدت ببطن خبت ... وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا ... إذاً لرأيت ليثا رام ليثا
هزبرا أغلبا لاقى هزبرا ... تبهنس إذا تقاعس عنه مهرى ... فقلت له عقرت اليوم مهرا
أنل قدمى ظهر الأرض إنى ... وجدت الأرض أثبت منك ظهرا ... وقلت له وقد أبدى نصالا
محددة ولحظا مكفهرا ... يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا
وفى يمناى ماضى العزم أبغى ... بضربه قراع الموت أثرا ... فأنت تروم للأشبال قوتا
ومطلبى لبنت العم مهرا ... فلما ظن أن النصح غش ... وخال مقالتى زورا وهجرا
مشى ومشيت من أسدين راما ... مراما كان إذ طلباه وعرا ... هززت له الحسام فخلت أنى
سللت به لدى الظلماء فجرا ... وجدت بضربة جاءته شفعا ... بساعد ماجد تركته وترا
فخر مجندلا فحسبت أنى ... هدمت له بناء مشمخرا ... وقلت له يعز على أنى
قتلت مناسبى جلدا وقهرا ... ولكن رمت شيئا لم يرمه ... سواك فلم تطق ياليث صبرا

فلا تجزع فقد لاقيت حرا ... يحاذر أن يعاب فمت حرا

يسير فى الأرض برا وبحرا ويفسد ماشاء ولما حصل بنو إسرائيل بأرض التيه أطلع عليهم ووقف مشرفا على عسكرهم حتى عرف طوله وعرضه فمضى إلى أعظم جبل بقربهم ونقر منه دومة على قدرهم ثم احتملها على رأسه يريد أن يطبقها على بنى إسرائيل ليهلكوا جميعا فبعث الله طيرا فى منقاره حجر فوضعه على الحجر الذى على رقبة عوج فنقب وسطه فنزل فى عنق عوج

وأبو الهزبر الملك المؤيد صاحب اليمن داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر كانت دولته بضعا وعشرين سنة وكان عالما فاضلا شجاعا وكان عنده من الكتب نحو مائة ألف مجلد وكان يحفظ التنبيه وغيره وأبوه الملك المظفر وولده الملك المجاهد كانا فى العلم أرفع منه درجة وأذكى قريحة وأشهر فضلا تغمدهم الله برحمته .

﴿ الهرعة ﴾ القملة قيل مكتوب على عرش بلقيس :

ستأتى سنون هى المعضلات ... يراع من الهرعة الأجدل
وفيها يهين الصغير الكبير ... وذو العلم يسكته الأجهل

﴿ الهف ﴾ جنس من السمك صغار وهو الحسام المتقدم ذكره فى باب الحاء المهملة ﴿ الهقل ﴾ بكسر الهاء الفتى من النعام وبه لقب محمد بن زياد الهقل الدمشقى كاتب الأوزاعى وكان يسكن بيروت فغلب عليه هذا اللقب قال ابن معين ما كان بالشأم أوثق منه وكان أعلم الناس بمحاسن الأوزاعى وفتياه توفى سنة تسع وسبعين وروى له الجماعة سوى البخارى وفى المثل قالوا أشم من هقل ﴿ الهقلس ﴾ كعملس الذئب وقد تقدم الكلام على الذئب فى باب الذال المعجمة مستوفى قال الكميت :

ونسمع أصوات الفراعل حوله ... يعاوين أولاد الذئاب الهقالسا

يعنى حول الماء الذى ورده ﴿ الهمج ﴾ جمع همجة وهو ذباب صغار كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها اشتقوا من اسمه ما يؤكد به فقالوا همج هامج كقولهم ليل لائل وصيف صائف ووتد واتد ويوم أيوم وجاهلية جهلاء ويقال الرعاع من الناس الحمق إنما هم الهمج

قال على رضى الله تعالى عنه سبحان من أدج قوائم الذرة والهمجة وقال لكميل بن زياد يا كميل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق والربانى الراسخ فى العلم العامل بعلمه وقال صاحب قوت القلوب فى تفسير قول على كرم الله وجهه هذا الهمج الفراش الذى يتهافت فى النار لجهله واحدته همجة والرعاع الخفيف الطياش الذى لا عقل له يستفزه الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه العجب ويستطيله الكبر قال ثم بكى على وقال هكذا يموت العلم بموت حامله انتهى كلامه ﴿ الهمع ﴾ بفتح الهاء والميم الصغير من الظباء خاصة ﴿ الهمل ﴾ بالتحريك الإبل بلا راع مثل النفش إلا أن النفش لا يكون إلا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا ويقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل وتركتها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا ونهارا بلا راع وفى المثل اختلط المرعى بالهمل والمرعى الذى له راع قاله الجوهرى وما أحسن ما صنع الطغرائى فى ختمه لاميته بقوله :

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها ... فهل سمعت بظل غير منتقل

قد رشحوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أشار به إلى قوله تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى أى معطلا لا يؤمر ولا ينهى يقال أسديت حاجتى أى ضيعتها وإبل سدى أى ترعى حيث شاءت بلا راع كذا فسره الثعلبى وغيره ﴿ الهملع ﴾ بالتحريك مع تشديد اللام الذئب قال الشاعر * والشاء لا تمشى مع الهملع * أى لا تنمو مع رؤية الذئب والمشاء هو نماء المال وزيادته يقال مشى الرجل وأمشى إذا نما ماله وكثرت ماشيته وقيل فى قوله تعالى «أن امشوا واصبروا على آلهتكم» إنه من المشاء لا من المشى قاله السهيلى قبل خروج النبى ﷺ إلى الطائف وأفاده بعده بسيطرين أن النبى ﷺ قال لخديجة رضى الله تعالى عنها إن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت بالرفاء والبنين وذكر أيضا فى الحديث أن النبى ﷺ أطعم خديجة رضى الله تعالى عنها من عنب الجنة ﴿ الهمهم ﴾ الأسد قاله ابن سيده وقد تقدم ما فى الأسد ﴿ الهنبر ﴾ مثل الخنصر ولد الضبع قال أبو زيد من أسماء الضبع أم هنبر فى لغة بنى فزارة قال الشاعر القتال الكلابى :

يا قاتل الله صبيانا تجىء بهم ... أم الهنيبر من زند لها وارى

وقال أبو عمرو الهنبر الجحش ومنه قيل للأتان أم الهنبر (وقالوا فى المثل) أحمق من أم الهنبر ﴿ الهودع ﴾ بفتح الهاء والدال المهملة وبالعين المهملة فى آخره النعامة وقد تقدم ما فيها ﴿ الهوذة ﴾ بفتح الهاء وسكون الواو وبعدها ذال معجمة ضرب من الطير وقال قطرب هى القطاة والجمع هوذ وبذلك سمى هوذة بن على الحنفى الذى أرسل إليه النبى ﷺ سليط بن عمرو العامرى فأكرمه وأنزله وكتب إلى النبى ﷺ ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومى وشاعرهم فاجعل لى بعض الأمر فأبى النبى ﷺ ولما قدم سليط على هوذة ومعه كتاب النبى ﷺ وكان فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك فلما قرأ الكتاب أنزله وحياه ورده ردا دون رد وأجاز سليط ابن عمرو بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر وكتب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ما تقدم فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من فتح مكة جاءه جبريل فأخبره أنه قد مات

فأخبر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام بذلك فخرج إليه بعصاة وضربه بها فقتله (ومنها) ما حدثنى بعض الفقهاء بالموصل أنه شاهد فى الأكراد وهو جيل يسكنون بعض جبال الموصل فى زماننا إنسانا طوله تسعة أذرع وهو بعد صبى ما بلغ الحلم وكان يأخذ بيد الرجل القوى فيرميه خلفه وأراد صاحب الموصل أن يستخدمه فذكروا له أن فى عقله خبلا

على نصرانية والله تعالى أعلم ﴿ الهوزن ﴾ بفتح الهاء وإسكان الواو وفتح الزاى طائر قاله ابن سيده وبإبدال الواو ياء من أعراب فارس وهو القائل فيما حكى الله عنه قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم، فى قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ورميه فى النار وهو الذى جاء فيه الحديث الذى انفرد به مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال بينا رجل يمشى قد أعجبته جمته وبرداه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة ﴿ الهلابع ﴾ بضم الهاء الذئب من قولهم رجل هلابع أى حريص على الأكل ﴿ الهلال ﴾ بكسر الهاء الحية مطلقا وقيل الذكر من الحيات والهلال أيضا الجمل الذى جرب حتى أداه ذلك إلى الهزال والهلال الهلال المعروف ﴿ الهيثم ﴾ بفتح الهاء فرخ الحبارى ومنه سمى الرجل هيثما وقال الجوهرى إنه فرخ العقاب وقيل فرخ النسر أيضا قاله فى كفاية المتحفظ ﴿ الهيجانة ﴾ الذر وقد تقدم لفظ الذر فى باب الذال المعجمة ﴿ الهيطل ﴾ الثعلب وقد تقدم لفظ الثعلب فى باب الثاء المثلثة ﴿ الهيعرة ﴾ الغول والمرأة الفاجرة والخفة والطيش ﴿ الهيق ﴾ بفتح الهاء وسكون الياء المثناه تحت قبل القاف ذكر النعام وكذلك الهيقم والميم زائدة قال الراجز :

* أشم من هيق وأهدى من جمل * وقال آخر وهو يشم كاشتمام الهيق ﴿ الهيكل ﴾ بفتح الهاء الفرس الطويل الضخم ﴿ أبو هرون ﴾ طير فى حنجرته أصوات شجية تفوق النوائح وتروق فوق كل مغن لا يسكت بالليل ألبتة يصيح إلى وقت الصباح ويجتمع عليه الطير لالتذاذها بسماع صوته وربما يمر به العاشق فلا يستطيع المرور بل يقعد ويبكى على صوته الشجى والله أعلم .

## ﴿ باب الواو ﴾

﴿ الوازع ﴾ الكلب لأنه يزع الذئب عن الغنم أى يطرده وقد تقدم ما فيه فى باب الكاف ﴿ الواق واق ﴾ تقدم فى باب السين المهملة فى الكلام على السعلاة عن الجاحظ أنه نتاج ما بين بعض النبات وبعض الحيوان والله تعالى أعلم ﴿ الواقى ﴾ كالقاضى الصرد ويقال له الواق بكسر القاف سمى بذلك لحكاية صوته وأنشد ابن قتيبة لبعض الشعراء وهو المرقش السدوسى :

ولقد عدوت وكنت لا ... أعدو على واق وحاتم
فإذا الأشائم كالأيا ... من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا ... شر على أحد بدائم
لا يمنعنك من بغا ... ء الخير تعقاد التمائم
قد خط ذلك فى السطو ... ر الأوليات القدائم

الواقى الصرد والحاتم الغراب وقال خيثم بن عدى :

وليس بهياب إذا شد رحله ... يقول عدانى اليوم واق وحاتم
ولكنه يمضى على ذاك مقدما ... إذا صد عن تلك الهناة الخثارم

يعنى بالخثارم العاجز الضعيف الرأى المتطير والواق أيضا طير من طير الماء أبيض ينطق بهذه الحروف (وفى حله) الخلاف فى طير الماء الأبيض وقد تقدم أن الأصح حلها إلا اللقلق

لا يصلح لذلك (ومنها) ما ذكره أبو سعيد الشيراجى عن بعض الكتاب أنه قال دخلت على يحيى بن أكثم القاضى وإلى جانبه قمطر فيه طائر على صورة الزاغ برأس كرأس الإنسان وعلى صدره وظهره سلعتان فقلت ما هذا أصلحك الله فقال لى سله عنه فقلت ما أنت فانتهض وأنشد بلسان فصيح وجعل يقول أنا الزاغ أبو عجوه أنا ابن الليث واللبوه

كما قاله الرافعى ﴿الوبر﴾ بفتح الواو وتسكين الباء الموحدة دويبة أصغر من السنور رطحلاء اللون لاذنب لها تقيم فى البيوت وجمعها وبر ووبارة والأنثى وبرة وقول الجوهرى لاذنب لها أى لاذنب طويل والا فالوبر له ذنب قصير جدا والناس يسمون الوبر بغنم بنى إسرائيل ويزعمون أنها مسخت لأن ذنبها مع صغره يشبه ألية الخروف وهو قول شاذ لا يلتفت إليه ولا يعول عليه ﴿فائدة﴾ روى البخارى فى كتاب الجهاد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحوها فقلت يارسول الله أسهم لى فقال بعض بنى سعيد بن العاص لا تسهم له يارسول الله فقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه هذا قاتل ابن قوقل فقال ابن سعيد بن العاص وأعجب الوبر تدلى علينا من قدوم ضان ينعى على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدى ولم يهنى على يديه قال فلا أدرى أسهم له أم لم يسهم له وابن سعيد المذكور هو أبان كما سيأتى إن شاء الله تعالى قال بعض شراح البخارى الوبر دويبة يقال إنها تشبه السنور وأحسب أنها تؤكل وضان اسم جبل ويروى ضال باللام وقوله ينعى معناه يعيب يقال نعيت على فلان فعله إذا عبته عليه وخرجه البخارى أيضا فى غزوة خيبر فقال إن أبان بن سعيد أقبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال أبو هريرة يارسول الله هذا قاتل ابن قوقل فقال أبان لأبى هريرة وأعجبيا لك وبر تردى من قدوم ضان ينعى على امرأ أكرمه الله تعالى بيدى ومنعه أن يهينى بيده قال بعض الشارحين قدوم جبل لدوس وهى قبيلة أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال البكرى فى معجمه هكذا رواه الناس عن البخارى قدوم ضان بالنون إلا الهمدانى فإنه رواه من قدوم ضال باللام وهو الصواب إن شاء الله تعالى والضال السدر البرى وأما إضافة هذه النسبة إلى الضأن فلا أعلم لها معنى وكذلك قال شيخ الإسلام الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد فى شرح الإلمام وقال ابن الأثير فى النهاية والوبر دويبة على قدر السنور وجمعها وبر ووبار وإنما شبهه بالوبر تحقيرا له ورواه بعضهم بفتح الباء من وبر الإبل تحقيرا له أيضا والصحيح الأول وابن قوقل بقافين مفتوحتين اسمه النعمان رجل مسلم قتله أبان بن سعيد فى حال كفره وكان إسلام أبان بين الحديبية وخيبر وهو الذى أجار عثمان رضى الله تعالى عنه يوم الحديبية حين بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة (وحكمه) حل الأكل لأنه يفدى فى الإحرام والحرم وهو كالأرنب يعتلف النبات والبقول وقال الماوردى والرويانى أنه حيوان فى عظم الجرذ إلا أنه أنبل منه وأكبر والعرب تأكله وقيل هو دويبة سوداء على قدر الأرنب وأكبر من ابن عرس وعبارة الرافعى قريبة من ذلك وقال مالك لا بأس بأكله وبه قال عطاء ومجاهد وطاوس وعمرو ابن دينار وابن المنذر وأبو يوسف وكرهه الحكم وابن سيرين وحماد وأبو حنيفة والقاضى من الحنابلة وقال ابن عبد البر لا أحفظ فى الوبر شيئا عن أبى حنيفة وهو عندى مثل الأرنب لا بأس بأكله لأنه يقتات البقول والنبات والله أعلم ﴿الوج﴾ كوج الطائف القطا والنعام وقد تقدم ما فيهما فى بابيهما القاف والنون ﴿الوحوة﴾ بفتح الواو والحاء والراء دويبة حمراء تلزق بالأرض كالعظاء والجمع وحر قاله الجوهرى وقال غيره هى بفتح الحاء وسكونها وهى وزغة شبيهة بسام أبرص تلصق بالأرض أو ضرب من العظاء لا تطأ طعاما ولا شرابا إلا شمته وهى على شكل سام أبرص روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدور لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله لا تحقرن جارة لجارتها إلى آخره رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضا بزيادة يانساء المسلمات ووحر الصدر غشه ووساوسه وقيل

أحب الراح والريحا
ن والنشوة والقهوه
ولى أشياء تستظـ
ـرف يوم العرس والدعوه
فمنها سلعة فى الظهـ
ـر لا تسترها الفروه
وأما السلعة الأخرى
فلو كانت لها عروه
لما شك جميع النا
س فيها أنها ركوه
ثم صاح ومد صوته زاغ زاغ
وانطرح فى القمطر فقلت
أيها القاضى هو عاشق قال
هذا ما ترى لا علم لى به حمل
إلى أمير المؤمنين مع كتاب
مختوم فيه ذكر حاله

الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل أشد الغضب وقيل الغل اللاصق به كما تلصق الوحرة بالأرض وكذلك رواه البخارى فى كتاب الأدب والبيهقى من حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بإسناد جيد أن النبى ﷺ قال تهادوا تحابوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل الصدور وفى حديث الملاعنة إن جاءت به أحمر قصيرا مثل الوحرة فقد كذب عليها وفى الحديث من أحب أن يذهب كثيراً من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر ﴿الوحش﴾ كل شىء من دواب البر مما لا يستأنس والجمع وحوش يقال حمار وحش وثور وحش وكل شىء لا يستأنس من الناس فهو وحش وقد تقدم فى أول الباب الذى قبله الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن لله عز وجل مائة رحمة قسم منها رحمة بين جميع الخلائق فبها يتراحمون وبها يتعاطفون وبها تعطف الوحش على أولادها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وإنما خص النبى ﷺ الوحش بالذكر لنفورها وعدم استئناسها وروى أن النبى ﷺ قال يقول الله سبحانه وتعالى ابن آدم وعزتى وجلالى لئن رضيت بما قسمت لك أرحتك وأنت محمود وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش ثم لا يكون لك إلا ما قسمت لك وأنت مذموم وروى الترمذى من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه مرفوعا من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله له (وفى الإحياء) أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد وقال أبو القاسم الأصبهانى فى الترغيب والترهيب قال قيس بن عبادة بلغنى أن الوحش كانت تصوم عاشوراء وقال الفتح بن سخرب وكان من الزهاد كنت أفتت للنمل خبزا فى كل يوم فإذا كان يوم عاشوراء لم تأكله ﴿تتمة مشتملة على فوائد حسنة﴾ قال شيخ الإسلام محيى الدين النووى فى الأذكار فى باب أذكار المسافر عند إرادة الخروج من بيته يستحب له عند إرادته الخروج من بيته أن يصلى ركعتين لحديث المقطم بن المقدام الصحابى أن رسول الله ﷺ قال ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبرانى قال بعض أصحابنا يستحب أن يقرأ فى الأولى منهما بعد الفاتحة قل أعوذ برب الفلق وفى الثانية قل أعوذ برب الناس وإذا سلم قرأ آية الكرسى فقد جاء أن من قرأ آية الكرسى قبل خروجه من منزله لم يصبه شىء يكرهه حتى يرجع ويستحب أن يقرأ سورة لإيلاف قريش فقد قال السيد الجليل أبو الحسن القزوينى الفقيه الشافعى صاحب الكرامات الظاهرة والأحوال الباهرة والمعارف المتظاهرة أنه أمان من كل سوء وقال أبو طاهر بن جحشويه أردت سفرا وكنت خائفا منه فدخلت على القزوينى أسأله الدعاء فقال لى ابتداء من قبل نفسه من أراد سفرا ففزع من عدو أو وحش فليقرأ لإيلاف قريش فإنها أمان من كل سوء فقرأتها فلم يعرض لى عارض حتى الآن انتهى. قوله المقطم الصحابى وهم فإنه لا يعرف فى الصحابة من اسمه المقطم والحديث المذكور مرسل فإن راويه إنما هو المقطم بن المقدام الصنعانى رواه الطبرانى فى كتاب المناسك وقد وقع هذا الاسم فى الأذكار مصحفا كما ترى صحف الصنعانى فجعله الصحابى وربما ظن أن ذلك تصحيف من النساخ حتى وجد كذلك بخط الشيخ محيى الدين النووى هكذا أفادنا هذه الفائدة شيخنا الحافظ العلامة زين الدين بن عبد الرحيم العراقى رحمه الله وأحسن إليه قال والصنعانى المذكور نسبة إلى صنعاء الشام لا إلى صنعاء اليمن ﴿تتمة أخرى﴾ قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت أى جمعت وقوله تعالى وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء

(ومنها) ما روى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه قال دخلت بلدة من بلاد اليمن فرأيت فيها إنسانا من وسطه إلى أسفله بدن امرأة ومن وسطه إلى فوقه بدنان مفترقان بأربع أيد ورأسين ووجهين وهما متقابلان ويأكلان ويشربان ويغضبان ويصطلحان ثم غبت عنهما سنين ورجعت فقيل لى أحسن الله عزاءك فى أحد الجسدين فتوفى وربط من أسفله بحبل وشد وترك

ثم إلى ربهم يحشرون اختلف العلماء فى حشر البهائم والوحش والطير فقال عكرمة حشرها موتها وقال أبى بن كعب حشرت أى اختلطت وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حشر كل شىء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوفيان يوم القيامة وقال الجمهور الجميع تحشر وتبعث حتى الذباب ويقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقول الله تعالى كونى ترابا فعند ذلك يتمنى الكافر أن يكون ترابا فذلك قوله عز وجل حكاية عن الكافر يا ليتنى كنت ترابا قاله أبو هريرة وعمرو ابن العاص وعبد الله بن عمر وابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى إحدى الروايات والحسن البصرى ومقاتل وغيرهم ورأيت فى بعض التفاسير أن المراد بالكافر هنا إبليس لعنه الله وذلك أنه عاب آدم عليه السلام كونه خلق من تراب وافتخر عليه كونه خلق من نار فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أن يكون ترابا كالبهائم والوحش والطير قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه فيقول التراب للكافر لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى ثم يحول ذلك التراب فى وجوه الكفار فذلك قوله تعالى ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أى ظلمة وكآبة وكسوف وسواد ۞ فإن قيل ما الفرق بين الغبرة والقترة قيل إن القترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء والغبرة ما كان أسفل فى الأرض قاله ابن زيد (روى الجماعة) من حديث رافع بن خديج قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فتقدمنا بعير فرماه رجل بسهم فقال صلى الله عليه وسلم إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا ﴿تتمة أخرى﴾ قال الشيخ قطب الدين القسطلانى مما حفظت من دعاء والدتى أم محمد آمنة ووفاتها فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة وهو ينفع للوقاية من الأعداء وممن يخاف شره اللهم بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائى احتجبت وبسطوة الجبروت ممن يكيدنى استترت وبطول حول شديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديموم قيوم دوام أبديتك من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم تخلصت يا حامل العرش عن حملة العرش يا شديد البطش يا حابس الوحش احبس عنى من ظلمنى واغلب من غلبنى كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز اهـ وقد فكرت فى معنى قولها يا حابس الوحش فظهر لى فيه أنها أرادت قوله ﷺ فى قصة الحديبية حبسها حابس الفيل والقصة فى ذلك مشهورة وقد تقدمت وقال الشيخ قطب الدين أيضا ومما حفظته من دعاء والدتى وهو من الأدعية التى تنفع فى الحجب من الأعداء اللهم إنى أسألك بسر الذات وبذات السر هو أنت وأنت هو لا إله إلا أنت احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم من أسماء الله من عدوى وعدو الله ومن شر كل خلق الله بمائة ألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله ختمت على نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى وجميع ما أعطانى ربى بخاتم الله القدوس المنيع الذى ختم به أقطار السموات والأرض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴿ومما﴾ جرب فى الحجب عن الأعداء أيضا ويمنع من شر كل سلطان وشيطان وسبع وهامة أن يقول سبع مرات عند طلوع الشمس أشرق نور الله وظهر كلام الله وأثبت أمر الله ونفذ حكم الله استعنت بالله وتوكلت على الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله تحصنت بحفى لطف الله وبلطيف صنع الله وبجميل ستر الله وبعظيم ذكر الله وبقوة سلطان الله دخلت فى كنف الله واستجرت برسول الله ﷺ برئت من حولى وقوتى واستعنت بحول الله وقوته اللهم استرنى فى نفسى ودينى وأهلى ومالى وولدى بسترك الذى سترت به ذاتك فلا عين تراك ولا يد تصل إليك يا رب العالمين

حتى ذبل ثم قطع فعهدى بالجسد الآخر فى السوق ذاهبا وجائيا (ومنها) دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة أرجل فسبحان القادر على ما يشاء (وليكن) هذا آخر الكلام فى عجائب المخلوقات والحيوان والله تعالى أعلم وأسأله سبحانه أن يجعل عاقبته إلى خير بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

أحجبني عن القوم الظالمين بقدرتك ياقوى يامتين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين ﴿الودع﴾ واحدته ودعة وهو حيوان فى جوف البحر إذا قذف إلى البرمات وله بريق ولون حسن وتصلب كصلابة الحجر فيثقب ويؤخذ منه القلائد يتحلى بها النساء والصبيان وفى داله الفتح والسكون قال الشاعر :

إن الرواة بلا فهم لما حفظوا * مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

واسمها مشتق من ودعته أى تركته لأن البحر ينضب عنها ويدعها فهى ودع بالتحريك وإذا قلت الودع بالتسكين فهو من باب ماسمى بالمصدر ﴿الوراء﴾ ولد البقرة وقد تقدم ما فى البقرة فى باب الباء الموحدة ﴿الورد﴾ الأسد قيل له ذلك تشبيها بلون الورد الذى يشم ولذلك قيل للفرس ورد وهو بين الكميت الأشقر والأنثى وردة والجمع ورد بالضم مثل جون وجون ومن الأحاديث الموضوعة ماذكره بن عدى وغيره فى ترجمة الحسن بن على بن زكريا بن صالح العدوى البصرى الملقب بالذئب عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال ليلة أسرى بى إلى السماء سقط إلى الأرض من عرقى فنبت منه الورد فمن أراد أن يشم رائحتى فليشم الورد ﴿الوردانى﴾ بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام وله غرابة لون وظرافة قد قاله الجاحظ ﴿الورشان﴾ بالشين المعجمة هو ساق حر المتقدم فى باب السين المهملة وهو ذكر القمارى والجمع وراشين ويجمع أيضا على ورشان بكسر الراء كسكران جمع للطائر وقيل إنه طائر يتولد بين الفاختة والحمامة وبعضهم يسميه الورشين وفى ذلك يقول ابن عنين ملغزا :

يا علماء القريض إنى * أعجزنى فى القريض كشف

فخبرونى عن اسم طير * النصف ظرف والنصف حرف

وكنيته أبو الأخضر وأبو عمران وأبو النائحة وهو أصناف منها النوبى وهو أسود حجازى إلا أنه أشجى صوتا منه ومزاجه بارد رطب بالنسبة إلى مزاج الحجازيات وصوته بين أصواتها كصوت العود بين الملاهى والورشان يوصف بالحنو على أولاده حتى أنه ربما قتل نفسه إذا رآها فى يد القانص قال عطاء إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وهذه لام العاقبة مجازا قال الشاعر:

له ملك ينادى كل يوم * لدوا للموت وابنوا للخراب

حكى القشيرى فى رسالته فى باب كرامات الأولياء أن عتبة الغلام كان يقعد فيقول ياورشان إن كنت أطوع لله منى فتعال فاقعد على كفى فيجىء الورشان فيقعد على كفه (وحكمه) حل الأكل لأنه من الطيبات ﴿تتمة﴾ كان عثمان بن سعيد أبو سعد المقرى المصرى المعروف بورش قصيرا سمينا أشقر أزرق العينين شديد البياض حسن الصوت بالقراءة ولذلك لقبه شيخه نافع بالورشان فكان يقول له اقرأ ياورشان افعل ياورشان وكان لا يكرهه ويعجبه ويقول أستاذى نافع سمانى به فغلب عليه ثم حذف بعض الاسم فقيل له ورش قال ورش خرجت من مصر لأقرأ على نافع فلما دخلت المدينة فإذا به لا يطيق أحد القراءة عليه لكثرة الطلبة وكان لا يقرئ أحداً إلا ثلاثين آية قال فتوسلت إليه ببعض أصحابه فجئت إليه معه فقال هذا رجل جاء من مصر ليقرأ عليك خاصة لم يجئ تاجراً ولا حاجا فقال له نافع أنت ترى ما ألقى من أبناء المهاجرين والأنصار فقال أريد أن تحتال له فى وقت فقال لى نافع ياأخى يمكنك أن تبيت فى المسجد قلت نعم فبت فيه فلما كان الفجر جاء نافع فقال ما فعل الغريب فقلت نعم ها أنذا يرحمك الله فقال اقرأ فقرأت وكنت حسن الصوت بالقراءة فاستفتحت أقرأ فملأ صوتى مسجد رسول الله ﷺ فلما

(ولنذكر صور الملائكة وملابسهم وألوانهم) عما ورد من مؤلف الكتاب يحيى بن زكريا القزوينى رحمه الله تعالى (الأول) حملة العرش صلوات الله عليهم أربعة صور آدمى وبقر ونسر وأسد فالآدمى ملبوسه جبة خضراء وفوق الجبة الخضراء جبة حمراء قصيرة وبسراويل من الذهب ومشد فى وسطه وردى اللون وبجناحين واصلين إلى رجليه وذؤابتين

انتهيت إلى رأس الثلاثين آية أشار إلى أن اسكت فسكت فقام إليه شاب من الحلقة فقال يا معلم الخير نحن معك بالمدينة وهذا هاجر إليك ليقرأ عليك وقد وهبته من نوبتي عشر آيات وأنا أقتصر على عشرين فقال اقرأ فقرأ ثم قام فتى آخر فقال كقول صاحبه فقرأت عشر آيات وقعدت حتى إذا لم يبق أحد ممن له قراءة قال لي اقرأ فقرأت خمسين آية حتى قرأت عليه ختمات قبل أن أخرج من المدينة وتوفي ورش بمصر سنة سبع وتسعين ومائة ومولده سنة عشرين ومائة (الأمثال) قالوا بعلة الورشان يأكل رطب المشان بالإضافة ولا تقل الرطب المشان وهو نوع من التمر والمشان ضرب من الرطب والسبب في ذلك أن قوما استحفظوا عبدا لهم ورطب نخلهم فكان يأكله فإذا عوتب على سوء الأثر فيه يقول أكله الورشان فقيل ذلك يضرب لمن يظهر شيئا والمراد منه شيء آخر (الخواص) دمه يقطر في العين التي أصابتها طرفة أو ضربة فيحلل دمها المجتمع وكذلك يفعل دم الحمام أيضا وقال هرمس من داوم على أكل بيضه زاد جماعه وأورثه العشق (التعبير) الورشان رجل غريب مهين ويدل على أخبار ورسل لأنه أخبر نوحا عليه الصلاة والسلام بنقص الماء لما كان في السفينة وقيل الورشان امرأة صدوق والله أعلم

﴿الورقاء﴾ الحمامة التي يضرب لونها إلى خضرة والورقة سواد في غبرة ومنه قيل للرماد أورق وللذئبة ورقاء والجمع ورق كأحمر وحمر وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل من بني فزارة إلى رسول الله ﷺ فقال ان امرأتي ولدت غلاما أسود فقال له النبي ﷺ هل لك من إبل قال نعم قال فما ألوانها قال حمر قال فهل فيها من أورق قال إن فيها لورقاء قال فأنى أتاها ذلك قال عسى أن يكون نزعه عرق قال هو ذاك قال السهيلي في قصة سواد بن قارب ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها ورقاء أمر بوأدها وكانوا يفدون من البنات ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تدفن الصبية وخلها في البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف فعاد إلى أبيها وأخبره بما سمع فقال إن لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما يا بني زهرة إن فيكم نذيرة تلد نذيرا فأعرضوا على بناتكم فعرضوا عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا ظهر عليها بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة وستلد نذيرا وهو خبر طويل ذكر الزبير بن بكار منه يسيرا وقال الغزالي في الإحياء روى أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوة فجرت بينهم مسئلة في العلم وأبو حسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم :

رب ورقاء هتوف في الضحى ... ذات شجو هتفت في فنن
ذكرت إلفا وخدنا صالحا ... فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها ... وبكاها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ... ولقد أشكو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها ... وهي أيضا بالجوى تعرفني

قال فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وإن كان العلم حقا * وقد شبه بها الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا النفس حيث قال :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع

شعر أسود إلى جناحيه ولجناحيه ثلاثة ألوان كل واحد منها أزرق وأحمر وأصفر وعمامته بيضاء مرصعة بالذهب وله ذؤابة منها من قفاه إلى رأس جناحه وزيق جبهته الحمراء مرصع بالذهب وصورته أبيض اللون يميل إلى الحمرة ورجل من رجليه على رقبة الأسد والأخرى على ذنبه والله أعلم بصحته (وأما) البقر فهو كبقر الدنيا إلا أنه أزرق اللون

وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما ألفت فلما واصلت ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهودا بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت بين المعالم والطلول الخضع
تبكى وقد نسيت عهودا بالحمى بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمة بكل خفية فى العالمين خرقها لم يرقع
فهبوطها إذ كان ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
فلأى شىء أهبطت من شاهق سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمه طويت عن الفطن اللبيب الأروع
أو عاقها الشرك الكثيف وصدها قفص عن الأوج الفسيح الأرفع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

تميل زرقته إلى الغبرة شيئا يسيرا وظهره أسود ومن بين قرنيه إلى إحدى أذنيه نقطة سوداء ورقبته من بين يديه وهو الزور إلى تحت حنكه أسود من أسفل لا كل رقبته ويد من يديه مطوية والأخرى مستقيمة كالذى يريد النهوض وقرناه خضر فى غاية الطول والحسن وذنبه طويل معكوف ثلاث طيات فوق ظهره ونازل

وكان الرئيس أبو على نادرة عصره وعلامة دهره وهو أحد فلاسفة المسلمين وله وصايا فى الطب كثيرة نظما ونثرا فمن المنسوب إليه من ذلك :

اسمع بنى وصيتى واعمل بها فالطب معقود بنص كلامى
لا تشربن عقيب أكل عاجلا فتقود نفسك للأذى بزمام
واجعل غذاءك كل يوم مرة واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يراق فى الأرحام

وينسب إليه أيضا :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها وسرحت طرفا بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

قال الشيخ كمال الدين بن يوسف أن مخدومه سخط عليه فاعتقله ومات فى السجن سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ﴿الورل﴾ بفتح الواو والراء المهملة وباللام فى آخره دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه والجمع أورال وورلان والأنثى ورلة كذا قاله ابن سيده وقال القزوينى إنه العظيم من الوزغ وسام أبرص طويل الذنب سريع السير خفيف الحركة وقال عبد اللطيف البغدادى الورل والضب والحرباء وشحمة الأرض والوزغ كلها متناسبة فى الخلق فأما الورل وهو الحرذون فليس فى الحيوان أكثر سفادا منه وبينه وبين الضب عداوة فيغلب الورل الضب ويقتله لكنه لا يأكله كما يفعل بالحية وهو لا يتخذ بيتا لنفسه ولا يحفر له جحرا بل يخرج الضب من جحره صاغرا ويستولى عليه وإن كان أقوى براثن منه لكن الظلم يمنعه من الحفر ولهذا يضرب بالورل المثل فى الظلم ويكنى فى ظلمه أن يغصب الحية جحرها ويبلعها وربما قتل فوجد فى جوفها الحية العظيمة وهو لا يبتلعها حتى يشدخ رأسها ويقال إنه يقاتل الضب والجاحظ يقول إن الحرذون غير الورل ووصفه بأنه دابة تكون غالبا بناحية مصر مليحة موشاة بألوان كثيرة ولها كف ككف الإنسان مقسومة أصابعها إلى الأنامل وهو يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه وهو أظلم ظالم ﴿فائدة﴾ قال أهل اللغة لا تلتقى الراء مع اللام إلا فى أربع كلمات الورل وهو هذا الحيوان

المذكور وأول اسم جبل وغرلة وهى القلعة وجرل وهو ضرب من الحجارة (الحكم) مقتضى ما تقدم من أكله الحيات أنه يحرم وهذا هو الظاهر من قول الأقدمين ورجح الرافعى أنه يرجع فيه إلى استطابة العرب وعدمها لقوله تعالى « يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات » وليس المراد الحلال وإن كان قد ورد الطيب بمعنى الحلال فإن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة والعرب أولى باعتبار ذلك لأن الدين عربى والنبى ﷺ عربى وإنما يرجع فى ذلك إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف البوادى الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات وحالتى الخصب والرفاهية دون حالتى الجدب والشدة وقال بعضهم المعتبر هنا العرب الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ لأن الخطاب كان لهم وقال ابن عبد البر فى التمهيد ذكر عبد الرزاق قال أخبرنى رجل من ولد سعيد بن المسيب قال أخبرنى يحيى بن سعيد قال كنت عند سعيد بن المسيب فجاءه رجل من غطفان فسأله عن الورل فقال لا بأس به وإن كان معكم منه شىء فاطعمونا منه قال عبد الرزاق والورل يشبه الضب اه وقد ذكر فى كتاب رفع التمويه فيما يرد على التنبيه ما حاصله أنه فرخ التمساح وقال لأن التمساح يبيض فى البر فإذا خرجت فراخه نزل بعضها فى البحر وبقى بعضها فى البر فما نزل إلى البحر صار تمساحا وما بقى فى البر صار ورلا قال فعلى هذا يكون فى حله الوجهان كما فى التمساح اه وهذا الذى قاله لا أعتقد صحته وذلك لأن الورل ليس على صفات التمساح لأن جلده يخالف جلده فى النعومة وأيضا فإنه لو كان من التمساح لأخذ فى الكبر حتى يصير فى حجمه والورل فى المقدار لا يزيد على ذراع ونصف أو ذراعين والتمساح يبلغ عشرة أذرع وأكثر ﴿تنبيه مهم﴾ اعلم أنه تقدم فى هذا الكتاب حيوانات لم تتعرض الأصحاب لها بالحل ولا بالحرمة وذلك نحو البلنصى والديل والقرعبلان والقرز والقنفشة والورل وغير ذلك إلا أنهم أعطوا قواعد كلية عامة وقواعد خاصة وذلك لما أيسوا من الطمع فى حصر أنواع الحيوانات فمن قواعدهم الخاصة تحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير وكل ما يقتات من النجاسات والخبائث وكل ما نهى عن قتله أو أمر بقتله أو تولد بين مأكول وغيره وكل نهاش والحشرات بأسرها إلا الضب واليربوع والقنفذ وابن عرس والدلدل ومن قواعدهم الخاصة أيضا تحليل كل ذات طوق ولقاط وطيور الماء كلها إلا اللقلق كما تقدم ومن هذه القواعد يؤخذ تحريم الورل لأنه من الحشرات ولم يستثنوه وكذا غيره من الحشرات كالخلد والوبارب وفأرة البيش والإبل ومما يدل على منع أكل الورل قول الجاحظ وغيره أن الورل يقوى على الحيات ويأكلها أكلا ذريعا ويخرجها من جحرها ويسكن فيه قال وبراثن الورل أقوى من براثن الضب إلا أن الورل يخرج الحية من جحرها ولا يحفر خوفا منه على براثنه ثم المعنى بقولهم ما أمر بقتله لمعنى فيه كالفواسق الخمس أما ما أمر بقتله لمعنى فى غيره فلا يحرم ومن ذلك الدابة المأكولة إذا وطئت فإنه يجب ذبحها ولا يحرم أكلها على الصحيح وإن ورد الأمر بقتلها لأن ذلك ليس لمعنى فيها بل هو فى غيرها وهو تعبير الزانى وتذكره الفاحشة برؤيتها وقد أمر عمر رضى الله تعالى عنه بقتل الديكة لأنهم كانوا يتهارشون بها وأمر بقتل الحمام لأنهم كانوا يلعبون بها ويؤذون الناس بصعودهم الأسطحة والرمى بالأحجار وقولهم ما نهى عن قتله فحرام يعنون به ما نهى عن قتله إكراما له قال الخطابى نهى النبى ﷺ عن قتل الهدهد كرامة لأنه أطاع نبيا لا أنه حرام نقله عنه العبادى وقضيته ترجيح وجه القائل بحل الصرد لأن النهى عن قتله لأمر خارج عنه لا لمعنى فيه ولما كانت هذه القواعد غير عامة لجمع الحيوان ذكر الأصحاب قاعدة عامة وهى الاستطابة والاستخباث وعليها مدار الباب قال الرافعى من الأصول المرجوع إليها فى التحريم والتحليل الاستطابة والاستخباث ورآه الشافعى والأصل العظيم المعتمد فيه قوله تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وليس

من فوق ظهره إلى طرفه إلى بين فخذيه ويده المستقيمة فوق رقبة الأسد لكن ماهى واصلة إلى رقبته ورجلاه فوق ظهر النسر لكن مرتفعة عنه لا ملاصقة والله أعلم بصحته وأما النسر فهو لا أحمر اللون ولا أسود اللون لكنه أسود يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا ورؤس أجنحته من الذهب وصدره أيضا ومنقاره أزرق والله أعلم بصحته (وأما) الأسد

المراد بالطيب هنا الحلال وإن كان قد يرد الطيب بمعنى الحلال لأن الحمل عليه يخرج الآية عن الإفادة قال الأئمة ويبعد الرجوع إلى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبونه ويستخبيونه لأن ذلك يوجب اختلاف الأحكام فى الحال والحرام وذلك يخالف موضوع الشرع فى حمل الناس على شرع واحد ورأوا العرب أولى الأمم بأن يؤخذ باستطابتهم واستخباثهم لأنهم المخاطبون أولا والدين عربى والنبى ﷺ عربى وإنما يرجع إلى سكان البلاد والقرى دون أجلاف سكان البوادى الذين يأكلون مادب ودرج من غير تمييز مع اعتبار حالة اليسار والثروة دون المحتاجين وأصحاب الضرورات وحالتى الخصب والرفاهية دون حالتى الجدب والشدة وقال بعضهم المعتبر الرجوع إلى عادة العرب الذين كانوا فى عهد سيدنا رسول الله ﷺ لأن الخطاب كان لهم ويشبه أن يقال يرجع فى كل زمان إلى العرب الموجودين فيه ويدل لهذا التوجيه ما تقدم فى باب العين المهملة فى لفظ العضارى عن أبى عاصم العبادى أنه حكى عن الأستاذ أبى طاهر الزيادى أنه قال كنا نرى العضارى حراما ونفتى بتحريمه حتى ورد علينا الأستاذ أبو الحسن الماسرجينى فقال إنه حلال فبعثنا منه جرابا إلى البادية وسألنا العرب عنه فقالوا هذا هو الجراد المبارك فرجعوا إلى قول العرب فيه وإذا اختلف المرجوع إليهم فاستطابته طائفة واستخبثته طائفة اتبعنا الأكثرين فإن استوت الطائفتان قال الماوردى فى الحاوى وأبو الحسن العبادى أنه يتبع قريش لأنهم قطب العرب وفيهم النبوة فإن اختلف قريش أو لم يحكموا بشىء اعتبر أقرب الحيوانات شبها به والشبه يكون تارة فى الصورة وتارة فى الطبع من السلامة والعدوان وأخرى فى طعم اللحم فإن تساوى الشبه أو لم يوجد ما يشبهه ففيه وجهان انتهى زاد فى الحاوى هما من اختلاف أصحابنا فى أصول الأشياء قبل ورود الشرع هل هى على الإباحة أو الحظر . أحد الوجهين أنها على الإباحة حتى يرد الشرع بالحظر انتهى قال أبو العباس إذا وجد حيوان لا يعرف حاله عرض على العرب فإن سموه باسم ما يحل حل وإن سموه باسم ما يحرم حرم وإن لم يكن له اسم عندهم اعتبر بأقرب الأشياء شبها من الذى يحل أو يحرم وعلى هذا نص الشافعى رحمه الله تعالى وقال الرافعى وفى استصحاب حكم ما ثبت تحريمه فى شرع من قبلنا قولان أحدهما نعم أخذا بما كان إلى أن يظهر ناسخ والثانى لا بل اعتمادا ظاهر الآية المقتضية للحل أولى والخلاف على ما ذكر الموفق ابن طاهر رحمه الله تعالى مبنى على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه اختلاف أصولى والأوفق لسياق كلام الأصحاب أنه لا يستصحب حكم شرع من قبلنا وعلى هذا فلا تفريع وعلى القول بالاستصحاب فذلك إذا ثبت بالكتاب أو السنة أنه كان حراما فى شرع من قبلنا أو شهد به إثنان أسلما منهم ممن يعرف التبديل ولا يعتمد فيه قول أهل الكتاب انتهى كلام الرافعى قال فى الحاوى ولو كان الحيوان ببلاد العجم اعتبر حكمه فى أقرب بلاد العرب عند من جمع الأوصاف المعتبرة فإن اختلفوا فيه اعتبر حكمه فى أقرب بلاد الشرائع للإسلام وهى الصررانية فإن اختلفوا فيه فعلى ما ذكرناه من الوجهين يعنى فى الأشياء قبل ورود الشرع انتهى ﴿قلت﴾ ولا بد من التنبيه هنا على أمرين * أحدهما أنا إذا قلنا باستصحاب شرع من قبلنا كما هو اختيار ابن الحاجب وغيره من الأصوليين فله شرطان أحدهما ألا يختلف فى تحريمه وتحليله شريعتان فإن اختلفتا بأن كان حراما فى شريعة إبراهيم عليه السلام وحلالا فى شريعة غيره فيحتمل أن نأخذ بالشريعة المتأخرة ويحتمل التخيير إن لم نقل بأن الثانية ناسخة للأولى فإن ثبت كون الثانية ناسخة للأولى وجهل كونه حراما فى الشريعة السابقة أو اللاحقة وقف ويحتمل الرجوع إلى الإباحة الأصلية فيأتى الوجهان السابقان * الأمر الثانى أن يكون التحريم

فهو أصفر اللون يميل إلى الحمرة شيئا يسيرا وفاه مفتوح وخشمه عند منقار النسر والله أعلم بصحته والنسر والأسد وقوفهما على غاية الوقوف وغاية الاعتدال والله أعلم بصحته ﴿الباب الثانى﴾ صورة الملك الذى يقوم صفا والملائكة صفا ويسمى الروح عظيم جدا ما يعلم كبر بدنه إلا الذى خلقه وهو أبيض اللون يميل إلى الحمرة وملبوسه أحمر وفوق

أو التحليل ثابتا قبل تحريفهم وتبديلهم فإن استحلوا أو حرموا بعد النسخ فلا عبرة به والله أعلم (الأمثال) قالوا أجبر من ورل وأسرع من تلمظ الورل وهو الأكل بطرف اللسان وكذلك يأكل الورل وقالوا أشرد وأضل وأظلم من ورل (الخواص) شعره إذا شد على عضد امرأة لم تحمل مادام ذلك عليها ولحمه وشحمه يسمن النساء وفيه قوة جذب الشوك من البدن وجلده يحرق ويخلط رماده بدردى الزيت ويطلى به العضو والخدر يذهب خدره وزبله ينفع من الكلف والنمش طلاء (التعبير) الورل في المنام يدل على عدو خسيس الهمة ذي مهانة وقصور حجة والله تعالى أعلم ﴿الوزغة﴾ بفتح الواو والزاي والغين المعجمة دويبة معروفة وهي وسام أبرص جنس فسام أبرص كباره واتفقوا على أن الوزغ من الحشرات المؤذيات وجمع الوزغة وزغ وأوزاغ ووزغان وأزغان على البدل حكاه ابن سيده * روى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن شريك رضي الله تعالى عنها أنها استأمرت النبي ﷺ في قتل الوزغان فأمرها بذلك وفي الصحيحين أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقا وقال كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده * وفي الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال إن النبي ﷺ قال من قتل وزغة من أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الأولى ومن قتلها في الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الثانية وفيه أيضا أن من قتلها في الأولى فله مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال اقتلوا الوزغة ولو في جوف الكعبة لكن في إسناده عمر بن قيس المكي وهو ضعيف وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها لما أحرق بيت المقدس وكانت الأوزاغ تنفخه * وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه كان في بيتها رمح موضوع فقيل لها ما تصنعين بهذا فقالت أقتل به الوزغ فإن النبي ﷺ أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا أطفأت عنه النار غير الوزغ فإنه ينفخ عليه النار فأمر ﷺ بقتله وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده وفي تاريخ ابن النجار في ترجمة عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم الفقيه الشافعي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول من قتل وزغة محا الله عنه سبع خطيئات * وفي الكامل في ترجمة وهب بن حفص عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي ﷺ قال من قتل وزغة فكأنما قتل شيطانا وروى الحاكم في كتاب الفتن والملاحم من المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فأدخل عليه مروان ابن الحكم فقال هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون ثم قال صحيح الإسناد * وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر فقال عبد الرحمن بن أبي بكر سنة هرقل وقيصر فقال لمروان أنت الذي أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أف لكما فبلغ ذلك عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت كذب والله ما هو به ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله تعالى عنه وكانت له صحبة قال إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال صلى الله عليه وسلم ائذنوا له لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويضيعون في الآخرة ذووا مكر وخديعة يعطون في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق * قال ابن

الأحمر نمتانة وتاج وردي وخارج يديه منها وسروالة أخضر وليس لرجليه نعل بل حاف وله جناحان إلى أصل ساقه أطرافهما وكل واحد منهما به من الألوان أحمر وأصفر وأخضر ووردي وعلى رأسه عمامة عظيمة بيضاء مرصعة بالذهب وبوسط العمامة من أعلى كتابة بالسواد ليس يعرفها إلا الذي صورها وله أيضا غرزة من قفاه وله قصيبتا شعر أسود كالحبر وفي أطراف أجنحته نقص شيئا يسيرا

ظفر وكان الحكم بن أبى العاص يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل * وأما تسمية الوزغ فويسقا فنظيره الفواسق الخمس التى تقتل فى الحل والحرم وأصل الفسق الخروج وهذه المذكورات خرجت عن خلق معظم الحشرات ونحوها بزيادة الضرر والأذى * وأما تقييد الحسنات فى الضربة الأولى بمائة وفى الثانية بسبعين كما فى بعض الروايات فجوابه أنه كقوله فى صلاة الجماعة بسبع وعشرين وبخمس وعشرين وأن مفهوم العدد لا يعمل به فذكر السبعين لا يمنع المائة فلا تعارض بينهما أو لعله ﷺ أخبر أولا بالسبعين ثم تصدق الله تعالى بالزيادة علينا فأعلم به ﷺ حين أوحى الله إليه بعد ذلك أو أنه يختلف باختلاف قاتلى الوزغ بحسب نياتهم وإخلاصهم وكمال أحوالهم ونقصها فتكون المائة للأكمل منهم والسبعون لغيره قال يحيى بن يعمر لأن أقتل مائة وزغة أحب إلىّ من أن أعتق مائة رقبة وإنما قال ذلك لأنها دابة سوء زعموا أنها تسقى من الحيات وتمج فى الإناء فينال الإنسان المكروه العظيم بسبب ذلك * وسبب كثرة الحسنات فى المبادرة أن تكرر الضربات فى القتل يدل على عدم الاهتمام بأمر صاحب الشرع إذ لو قوى عزمه واشتدت حميته لقتلها فى المرة الأولى لأنه حيوان لطيف لا يحتاج إلى كثرة مؤنة فى الضرب فحيث لم يقتلها فى المرة الأولى دل ذلك على ضعف عزمه فلذلك نقص أجره من المائة إلى السبعين وعلل عز الدين بن عبد السلام كثرة الحسنات فى الأولى بأنه إحسان فى القتل فيدخل تحت قوله ﷺ إذا قتلتم فأحسنوا القتلة أو أنه مبادرة إلى الخير فيدخل تحت قوله تعالى « فاستبقوا الخيرات » قال وعلى كلا المعنيين فالحية والعقرب أولى بذلك لعظم مفسدتهما وذكر أصحاب الآثار أن الوزغ أصم قالوا والسبب فى صممه ما تقدم من نفخه النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فصم لأجل ذلك وبرص ومن طبعه أنه لا يدخل بيتا فيه رائحة الزعفران وتألفه الحيات كما تألف العقارب الخنافس وهو يلقح بفيه ويبيض كما تبيض الحيات ويقيم فى جحره زمن الشتاء أربعة أشهر لا يطعم شيئا * وقد تقدم فى حرف السين المهملة ما يتعلق بأحكامها وخواصها * وقد أحسن فى وصف الوزغة وغيرها الأديب الشاعر كمال الدين على بن محمد بن المبارك الشهير بابن الأعمى صاحب المقامة البحرية ووفاته فى المحرم سنة اثنتين وتسعين وستمائة وكان والده خطيب بيت المقدس حيث قال يذم دار سكناه :

دار سكنت بها أقل صفاتها ... أن تكثر الحشرات فى حجراتها
الخير عنها نازح متباعد ... والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته ... كم أعدم الأجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى ... غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه ... قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين ... الشمس ما طربى سوى غنائها
أين الصوارم والقنا من فتكها ... فينا وأين الأسد من وثباتها
وبها من الخطاف ما هو معجز ... أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بمرها ومجيئها ... وتصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة ... نزع الطهاة بنضجها شوكاتها
فاقت على سمر القنا فى لونها ... وسماتها وسياتها وصفاتها

عنها وزيق نمتانته من الذهب وبرأس كل قصبة من تحت أذنه كالعين مكتوبة من الذهب وله عينان وجناحان سود تبارك وتعالى من خلقها وهو أعلم بذلك ﴿الباب الثالث﴾ إسرافيل لونه كلون من قبله فى الباب الثانى لكنه أطول وجهها وعيناه كعينه وملبوسه أخضر ومن فوق الأخضر نمتانة حمراء وله أربعة أجنحة مضى ذكرها قبل فلا

وبها من الجرذان ماقد قصرت عنه العتاق الجرد فى حملاتها
فترى أبا غزوان منها هاربا وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها
وبها خنافس كالطنافس أفرشت فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها أردى الكماة الصيد عن صهواتها
وبنات وردان وأشكال لها مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم مترا كم متحارب متراكب فى الأرض مثل نباتها
وبها قراد لاانمال لجرحها لايفعل المشراط مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها حجامة لبدت على كأساتها
وبها من النمل السليمانى ما قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لايدخلون مساكنا بل يحطمو ن جلودنا فالعفو من سطواتها
ماراعنى شىء سوى وزغاتها فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها ورق الحمام سجعن فى سحراتها
وبها زنابير تظن عقاربا لابرء للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالأقارب رتعا فينا حمانا الله لدغ حماتها
وكأنما حيطانها كغرابل أطلعن أرؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل إلى النجاة ولا نجا ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفساتها والمكر فى لفتاتها والموت فى لسعاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها والأرض قد نسجت ببراقاتها
فلقد رأينا فى الشتاء سماءها والصيف لاتنفك من صعقاتها
فضجيجها كالرعد فى جنباتها وترابها كالوبل من حسياتها
والبوم عاكفة على أرجائها والآل يلمع فى ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها وجهنم تعزى إلى لفحاتها
قد رممت من قبل يلقى آدم مع أمنا حواء فى عرفاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها ورأيت مسطورا على عتباتها
لاتقربوا منها وخافوها ولا تلقوا بأيديكم إلى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها يارب نج الناس من آفاتها
قالوا إذا ندب الغراب منازلا يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق كذب الرواة فأين صدق رواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها فيها وتنذر باختلاف لغاتها
صبرا لعل الله يعقب راحة للنفس إذ غلبت على شهواتها
كم بت فيها مفردا والعين شو قا للصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا ففى أخرای هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا ياجامع الأرواح بعد شتاتها

(والوزغ فى الرؤيا) رجل معتزلى يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف حامل الذكر وكذلك العظاء

نعيده لكن الرابع منها الثم به من تحت حنكه والصور قابضه بيديه ورأسه بفمه وعمامته كما للملك الذى يقوم صفا لكن غرزته من قبل وجهه وله قصيبة واحدة من قفاه واصلة إلى طرف جناحه الذى الثم به وبرأس القصيبة كالعين مكتوبة بالذهب وهو رافع رأسه بالصور إلى ربه والله أعلم بذلك

﴿الباب الرابع﴾

جبرائيل صلوات الله عليه

وربما دل الوزغ على العدو المجاهر بالشر والكلام السوء والتنقل من الأمكنة ﴿الوصع﴾ بفتح الواو والصاد المهملة وبالعين المهملة فى آخره الصعوة وقد تقدم الكلام عليها فى باب الصاد المهملة وقيل هو طائر أصغر من العصفور * وفى الحديث أن إسرافيل عليه الصلاة والسلام له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وأن العرش على منكب إسرافيل وأنه ليتضاءل الأحيان من عظمة الله تعالى حتى يصير مثل الوصع يروى بفتح الصاد المهملة وسكونها وقال ابن الأثير إنه أصغر من العصفور والجمع وصعان * وفى أول التعريف والاعلام للسهيلى أن أول من سجد من الملائكة لآدم إسرافيل عليه الصلاة والسلام ولذلك جوزى بولاية اللوح المحفوظ قاله محمد بن الحسن النقاش ﴿الوطواط﴾ الخفاش وقد تقدم ما فيه فى باب الخاء المعجمة * وروى الحافظ بن عساكر فى تاريخه بسنده إلى حماد بن محمد أنه قال كتب رجل إلى ابن عباس يسأله عن شىء ليس له لحم ولا دم تكلم وعن شىء ليس له لحم ولا دم سعى وعن شىء ليس له لحم ولا دم تنفس وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا وأجابا وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها وعن موسى عليه السلام كم أرضعته أمه قبل أن تلقيه فى اليم وفى أى بحر وفى أى يوم ألقته وكم كان طول آدم عليه السلام وكم عاش ومن كان وصيه وعن طير لا يبيض ويحيض فقال الأول النار قالت هل من مزيد والثانى عصا موسى عليه السلام والثالث الصبح والرابع السماء والأرض قالتا أتينا طائعين والخامس الغراب الذى بعثه الله إلى ابن آدم والسادس البقرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن وأرضعت موسى أمه قبل أن تلقيه فى اليم ثلاثة أشهر وألقته فى بحر القلزم وكان ذلك يوم الجمعة وكان طول آدم عليه السلام ستين ذراعا وعاش ألف سنة إلا ستين سنة وكان وصيه شيث والطير الوطواط الذى نفخ فيه عيسى عليه السلام فكان طائرا بإذن الله عز وجل (وحكمه) تحريم الأكل للنهى عن قتله كما تقدم فى باب الخاء المعجمة (الأمثال) قالوا أبصر من الوطواط بالليل أى أعرف ويسمون الجبان وطواطا (التعبير) الوطواط تدل رؤيته على الغى والضلالة عن الحق وربما دلت رؤيته على ولد الزنا لأنه من الطير وليس بطائر وهو يرضع كما يرضع الآدمى وربما دلت رؤيته على زوال النعم والبعد من المألوفات لأنه من الممسوخين وهذا بعيد وربما دلت رؤيته على إقامة الحجة والبينة لقوله تعالى وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها الآية وهذا أظهر الأقاويل عندى والله أعلم ﴿الوعوع﴾ ويقال له أيضا الوع ابن آوى وقد تقدم الكلام عليه فى أواخر باب الهمزة ﴿الوعل﴾ بفتح الواو وكسر العين المهملة الأروى المتقدم فى باب الهمزة وهو التيس الجبلى والأنثى تسمى أروية وهذه شاة الوحش والجمع أوعال ووعول * وذكر ابن عدى فى كامله فى ترجمة محمد بن إسمعيل بن طريح أنه قال حدثنى أبى عن جدى أنه حضر أمية بن أبى الصلت حين حضرته الوفاة فأغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه فنظر حيال باب البيت وقال لبيكما لبيكما ها أنا ذا لديكما لا عشيرتى تحمينى ولا مالى يفدينى ثم أغمى عليه ثم أفاق فرفع رأسه وقال :

كل حى وإن تطاول دهرا ... آيل أمره إلى أن يزولا
ليتنى كنت قبل ماقد بدالى ... فى رؤس الجبال أرعى الوعولا

ثم فاضت نفسه * وعن شهر بن حوشب قال لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه يا أبتاه إنك كنت تقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلا عاقلا لبيبا عند نزول الموت به حتى يصف لى ما يجد وأنت ذلك الرجل فصف لى الموت فقال يا بنى والله كأن السماء قد أطبقت على الأرض

أبيض الوجه يميل إلى الحمرة بشىء يسير وله قصيبتان إلى أطراف أجنحته من كل جانب واحدة وهو ليس له نعال برجليه وملبوسه لا يوصف من كثرة ألوانه وحسن صنعته وعلى رأسه عمامة بيضاء كالملك الذى يقوم صفا ولها من الوجه طرف ومن القفا طرف وعينان وجناحان كما للملك الذى يقوم صفا تبارك الله أحسن الخالقين ما أحسن خلقته والله أعلم بذلك

وكأن جنبي فى تخت وكأنى أتنفس من سم إبرة وكأن غصن شوك يجذب من قدمى إلى هامتى ثم أنشأ يقول :

ليتنى كنت قبل ما قد بدا لى ... فى رءوس الجبال أرعى الوعولا

( ومن غريب ما اتفق ) أن عبد الملك بن مروان لما احتضر وكان قصره يشرف على بردى فنظر إلى غسال يغسل الثياب فقال ليتنى كنت مثل هذا الغسال أكتسب ما أعيش به يوما بيوم ولم أل الخلافة وتمثل بقول أمية بن أبى الصلت * كل حى وإن تطاول دهرا * البيتين المتقدم ذكرهما فاتفق له كما اتفق لأمية من الموت عقب ذلك فلما بلغ ذلك أبا حازم قال الحمد لله الذى جعلهم فى وقت الموت يتمنون ما نحن فيه ولم يجعلنا نتمنى ما هم فيه وفى الاستيعاب فى ترجمة الفارعة بنت أبى الصلت أخت أمية بن أبى الصلت أنها قدمت على النبى ﷺ بعد فتحه للطائف وكانت ذات لب وعفاف وجمال وكان ﷺ يعجب بها فقال لها ﷺ يوما هل تحفظين من شعر أخيك شيئا فأخبرته خبره وما رأت منه وقصت قصته فى شق جوفه وإخراج قلبه ثم عوده إلى مكانه وهو قائم وأنشدت له من شعره الذى أوله :

باتت همومى تسرى طوارقها ... أكف عينى والدمع سابقها

نحو ثلاثة عشر بيتا منها قوله :

ما أرغب النفس فى الحياة وإن ... تحيا طويلا فالموت لاحقها
يوشك من فر من منيته ... يوما على غـــرة يوافقها
من لم يمت غبطة يمت هرما ... للموت كأس والمرء ذائقها

ثم قالت وأنه قال عند وفاته :

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأى عبـد لك ما ألما

ثم قال * كل حى وإن تطاول دهرا * البيتين ثم مات فقال ﷺ إن مثل أخيك كمثل الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * وفى طباع الوعل أنه يأوى إلى الأماكن الوعرة الخشنة ولا يزال مجتمعا فإذا كان وقت الولادة تفرق وإذا اجتمع فى ضرع أنثى لبن امتصته والذكر إذا ضعف عن النزو إن أكل البلوط فتقوى شهوته وإذا لم يجد الأنثى انتزع المنى بالامتصاص بفيه وذلك إذا جدبه الشبق وفى طبعه أنه إذا أصابه جرح طلب الخضرة التى فى الحجارة فيمتصها ويجعلها على الجرح فيبرأ وإذا أحس بالقناص وهو فى مكان مرتفع استلقى على ظهره ثم يزج نفسه فينحدر ويكون قرناه وهما فى رأسه إلى عجزه يقيانه ما يخشى من الحجارة ويسرعان به لملوستهما على الصفا * وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال عن المدينة لو رأيت الوعول تجرش ما بينها ما هجتها أراد لو رأيتها ترعى كلأها ما هجتها لأن النبى ﷺ حرم صيدها * وفى الترغيب والترهيب وغريب أبى عبيدة وغيره من حديث أبى هريرة أيضا أن النبى ﷺ قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا يا رسول الله ما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم وبعضه فى الصحيح وإنما شبههم بالوعول وضرب بها المثل لأنها تأوى رءوس الجبال والله تعالى أعلم وروى * الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال كنا جلوسا بالبطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فنظر إليها فقال ﷺ أتدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب قال ﷺ وهو المزن والعنان ثم قال عليه الصلاة والسلام أتدرون كم بعد ما بين السماء والأرض قلنا لا قال ﷺ إما واحدة وإما اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة

( الباب الخامس )

ميكائيل صلوات الله عليه ولونه كلون جبرائيل .لبوسه أحمر وفوق الأحمر أزرق ونمتانته منقشة بنقش كالتاج وردى وهو متكىء وجهه على كتفه الأيسر وعيناه وجناحاه وذوائبه كما للملك الذى يقوم صفا وعمامته كعمامته لكن غرزته من قبل وجهه والظاهر من أجنحته أخضر ووردى وأبيض وأحمر والخفى لا يعلمه إلا الله وعلى كتفه الأيمن

والسماء فوقها كذلك حتى عد عليه الصلاة والسلام سبع سموات وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء وفوق البحر ثمانية أوعال ما بين أظلافها وركبها كما بين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش من أسفله إلى أعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء قال الترمذى هذا حديث حسن غريب قال الحافظ الذهبى وهو كما قال الترمذى حسن غريب وقد أخرجه الحافظ الضياء أيضا فى كتاب المختار له ورواه الحاكم فى المستدرك عن سماك بن حرب وقرأ إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وفى التمهيد لابن عبد البر عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال حملة العرش أحدهم على صورة إنسان والثانى على صورة ثور والثالث على صورة نسر والرابع على صورة أسد وفى تفسير الثعلبى أن النبى ﷺ قال هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله بأربعة آخرين * وفى سنن أبى داود من حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام (وحكمه) الحل بالإجماع قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الوعل إذا قتله المحرم أو قتل فى الحرم شاة وذكر القزوينى فى الأشكال عن ابن الفقيه أنه قال رأيت بجزيرة رانج حيوانات غريبة الأشكال من ذلك وعول كالتيوس الجبلية ألوانها حمرة منقطة ببياض ولحمها حامض انتهى فإن صح هذا القول فالذى يظهر الحل إلحاقا بمائله من المأكول عملا بالمشاكلة الصورية والله تعالى أعلم (الأمثال) قالوا أزهى من وعل وأحمق من ناطح الصخرة أى الوعل وأنشدوا قول الأعشى :

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أراد كوعل ناطح فحذف الموصوف وأبقى الصفة (وخواصه) تقدمت فى باب الهمزة فى لفظ الأروى لكن منها أيضا أن مخه جيد للمرأة التى بها نزف الدم تتحمل به فى صوفة ولحمه وشحمه يسحقان ويلقى عليهما صبر وسعد وقرنفل وزعفران وعسل يخلط الجميع ويسقى منه وزن مثقال بماء الكرفس لمن به حصاة فى مثانته يبرأ بإذن الله تعالى ﴿الوقواق﴾ كقطفاط طائر حكاه ابن سيده ولعله القاق المتقدم فى باب القاف

﴿بنات وردان﴾ بفتح الواو وتسمى فالية الأفاعى وهى دويبة تتولد فى الأماكن الندية وأكثر ما تكون فى الحمامات والسقايات ومنها الأسود والأحمر والأبيض والأصهب وإذا تكونت تسافدت وباضت بيضا مستطيلا وهى تألف الحشوش واحدها حش بفتح الحاء المهملة وضمها قال الجاحظ أصل الحش القطعة من النخل وهى الحشان بكسر الحاء المهملة وتشديد الشين وذلك أن أهل المدينة كانوا إذا أراد أحدهم قضاء الحاجة دخل النخل فكنوا عن مكان الخراء بالحش كما كنوا عنه بالخلاء وقال لمن يذهب إلى الخراء ذهب إلى البراز وذهب إلى المستراح وإلى الحش والخلاء والمخرج والمتوضأ والمذهب والغائط وقضاء الحاجة وقالوا ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط كل ذلك هربا من أن يقولوا ذهب إلى الخراء وقد وصف بعض الشعراء بنات وردان حيث قال :

بنات وردان جنس ليس ينعته خلق كنعتى فى وصفى وتشبيهى
كمثل أنصاف بسر أحمر تركت من بعد تشقيقه أقفاعه فيه

(وحكمها) تحريم الأكل لاستقذارها ولا يصح بيعها كسائر الحشرات التى لا ينتفع بها لكنها إذا وقعت فى الماء الطهور لا تنجسه ويعفى عن ذلك وكذا كل ما ليست له نفس سائلة أى دم يسيل

تحت صليف أذنه بأصل قصيبته عين مكتوبة ومنحدرة على صدره إلى إبطه الأيسر بالذهب والله أعلم بذلك

﴿الباب السادس﴾

عزرائيل صلوات الله عليه لونه أبيض لكن يضرب إلى السمرة شيئا يسيرا وملبوسه وردى مخطط بأحمر وفوق هذا الملبوس نمتانة خضراء تميل للدكونة شيئا يسيرا وشد وسطه أحمر وعمامته كما للملك الذى

عند قتله وقد تقدم فى الذباب هذا الحكم ﴿فرع﴾ قال الأصحاب مالا يظهر فيه منفعة ولا مضرة كبنات وردان والخنافس والجعلان والدود والسرطان والرحم والنعامة والعصافير والذباب يكره قتله ولا يحرم وعد الرافعى رحمه الله منه الكلب غير العقور قال ولا يجوز قتل النمل والنحل والخطاف والضفدع وقد تقدم شىء من هذا الحكم فى أماكنه (الخواص) قال ارسطاطاليس إذا طبخت بنات وردان بزيت وقطر منه فى الأذن الوجعة سكن ألمها وتبرأ من ذلك وينفع هذا الزيت من القروح التى فى الساقين وفى جميع الأعضاء والله تعالى أعلم .

﴿ باب الياء ﴾

﴿ يأجوج ومأجوج ﴾ يهمزان ولا يهمزان لغتان قرئ بهما فمن همزهما جعلهما مشتقين من أجة الحر وهى شدته وقوته ومنه أجيج النار وهو توقدها وحرارتها والتقدير فى يأجوج يفعول وفى مأجوج مفعول إذا ترك همزهما قاله الأزهرى ويحتمل أن يكونا مفعولين إنما لم يصرفا للتعريف والتأنيث لأنهما اسما القبيلتين والأكثرون على أنهما اسمان أعجميان غير مشتقين ولذلك لا يهمزان ولا يصرفان للعجمة والتعريف قال سعيد الأخفش يأجوج من يج ومأجوج من مج وقال قطرب من لم يهمز فيأجوج فاعول مثل داود وجالوت ويكون من يج (١) ومأجوج فاعول من مج والأسماء الأعجمية مثلها لا تهمز نحو هاروت وماروت وجالوت وطالوت وقارون قال ويجوز أن يكون الأصل الهمز فخففا إذا لم يهمزا كسائر ما يهمز وإن كانا أعجميين فإن العرب تلفظ بألفاظ مختلفة ويجوز أن يكونا من الأجة وهى الاختلاط كما قال تعالى فى صفتهم وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض جاء فى تفسيره أى مختلطين ولعل يج الذى ذكره الأخفش وقطرب مخفف الهمز من أج وإلا فإن يج لا يعرف فى كلام العرب لعزة مخرج الجيم والياء والحاصل أنه يجوز همزهما وتركه كما تقدم وبهما قرئ فى السبع والأكثرون على ترك الهمز كما تقدم وسموا بذلك لكثرتهم وشدتهم وقيل من الأجاج وهو الماء الشديد الملوحة قال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح عليه الصلاة والسلام وقال الضحاك هم من الترك وقال كعب الأحبار احتلم آدم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك ﴿قلت﴾ وفيه نظر لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يحتلمون * وروى الطبرانى من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال يأجوج أمة لها أربعمائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف فارس من ولده صنف منهم كالأرز طولهم مائة وعشرون ذراعا وصنف منهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ويمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وقال وهب بن منبه يأجوج ومأجوج يأكلون الحشيش والشجر والخشب وما ظفروا به من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس * وقال على رضى الله تعالى عنه يأجوج ومأجوج صنف منهم فى طول الشبر وصنف منهم مفرط الطول لهم مخالب الطير وأنياب كأنياب السباع وتداعى الحمام وتساقد البهائم وعواء الذئب وشعورهم تقيهم الحر والبرد ولهم آذان عظام إحداها وبرة يشتون فيها والأخرى جلدة يصيفون فيها يحفرون السد الذى بناه ذو القرنين حتى إذا كادوا ينقبونه يعيده الله كما كان حتى يقولوا ننقبه غدا إن شاء الله فينقبونه ويخرجون وتتحصن الناس منهم بالحصون فيرمون إلى السماء فيرد إليهم السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنغف فى رقابهم والنغف هو الدود كما تقدم ﴿فائدة﴾ سئل شيخ الإسلام محيى الدين النووى رحمه الله تعالى

يقوم صفا لكن أصغر شيئا يسيرا سرواله أزرق وأجنحته جناحان على ما رأينا فى الكتاب وألوانها أحمر وأصفر وأزرق وأبيض وله قصيبتان شعر اليمنى أسود نازلة على كتفه الأيمن وخارجة من خارج جناحه إلى طرفه باعوجاج والأخرى على الأيسر من داخل جناحه تقصر شيئا يسيرا عنه وبيده رمح برأسه خمس أسنة وهو جالس به كجلوس القواس الذى يرمى النشاب هون الله علينا

(١) قوله ويكون من يج أى فتكون ألفه زائدة وكذلك ألف مأجوج كذا فى القاموس اه

عن يأجوج ومأجوج هل هم من ولد آدم وحواء وكم يعيش كل واحد منهم فأجاب أنهم أولاد حواء وآدم عند أكثر العلماء وقيل إنهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون إخوتنا من الأب ولم يثبت فى قدر أعمارهم شىء انتهى وقد تقدم فى الكركند ما نقله الحافظ أبو عمر بن عبد البر من الإجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وأن النبى ﷺ سئل عن يأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك فقال صلى الله عليه وسلم جزت عليهم ليلة أسرى بى فدعوتهم فلم يجيبوا * وروى الشيخان والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول عز وجل أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم رجل الحديث قال العلماء إنما خص آدم عليه السلام بالذكر لأنه أب للجميع * وروى الجماعة إلا أبا داود من حديث زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها أنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه الشريف يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتى تليها قالت فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث أشار صلى الله عليه وسلم بذلك إلى أن الذى فتحوا من السد قليل وهم مع ذلك لا يلهمهم الله أن يقولوا غدا نفتحه إن شاء الله تعالى فإذا قالوها خرجوا وقوله صلى الله عليه وسلم ويل للعرب كلمة تقولها العرب لكل من وقع فى هلكة وفى مسند الإمام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل واد فى جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال الويل الشر وقوله صلى الله وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الردم هو الحاجز الحصين المتراكم الذى جعل بعضه فوق بعض والمراد به الردم الذى عمله الإسكندر بين الصدفين وهما الجبلان وقوله فى هذا الحديث إن زينب رضى الله تعالى عنها قالت أنهلك هو بكسر اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكى فتحها وهو ضعيف أو فاسد قاله النووى رحمه الله وقوله ﷺ نعم لأن ما استفهم عنه بإثبات كان جوابه نعم وما استفهم عنه بنفى كان جوابه بلى ولذلك كانت بلى فى جواب ألست بربكم ونعم فى جواب هل وجدتم فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لزينب رضى الله تعالى عنها نعم حين قالت أنهلك وفينا الصالحون وقوله صلى الله عليه وسلم إذا كثر الخبث هو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وفسر الجمهور بالفسوق والفجور وقيل المراد به الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا والظاهر أن المراد به المعاصى مطلقا ومعناه أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون والله تعالى أعلم * وروى البزار من حديث يوسف بن مريم الحنفى قال بينما أنا قاعد مع أبى بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه ثم قال أما تعرفنى فقال أبو بكرة ومن أنت قال تعلم رجلا أتى النبى ﷺ فأخبره أنه رأى الردم فقال له أبو بكرة أنت هو قال نعم فقال اجلس فحدثنا قال رضى الله تعالى عنه انطلقت إلى أرض ليس لأهلها إلا الحديد يعملونه فدخلت بيتا فاستلقيت فيه على ظهرى وجعلت رجلى على جداره فلما كان عند غروب الشمس سمعت صوتا لم أسمع مثله فرعبت فقال رب البيت لا تذعرن فإن هذا لا يضرك هذا صوت قوم ينصرفون هذه الساعة من عند هذا السد أفيسرك أن تراه قلت نعم قال

وعلى أمة سيدنا محمد جميعا غصص الموت والله أعلم

﴿الباب السابع﴾

ملائكة السماء الدنيا على صورة البقر ألوانها أسود وأبيض وقرونه زرق وطرف ذيله أسود وجميع محاركه سود والباقى أبيض والله أعلم.

﴿الباب الثامن﴾

ملائكة السماء الثانية على صورة العقاب أسود اللون ليس بحالك السواد ورجلاه ومنقاره زرق وصدره ورؤس أجنحته ذهب والله أعلم

فغدوت إليه فإذا لبنه من حديد كل واحدة مثل الصخرة وإذا هو كأنه البرد المحبرة وإذا المسامير مثل الجذوع فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال صفه لى فقلت كأنه البرد المحبرة فقال صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى رجل قد أتى الردم فلينظر إلى هذا فقال أبو بكر صدق انتهى وهذا الردم هو الذى بناه الاسكندر على يأجوج ومأجوج كما تقدم وذلك أنه لما بلغ الجبلين وجد من دونهما قوما كما قال الله تعالى لا يكادون يفقهون قولا بفتح الياء والقاف أو يفقهون بضم الياء وكسر القاف على اختلاف القراءتين فعلى الأولى لا يفقهون عن أحد لغته ولا يعرفون غير لغتهم وعلى الثانية لا يفهم لغتهم غيرهم فشكوا إليه إفساد يأجوج ومأجوج فى الأرض وذلك أنهم كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء المساكين فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وقيل إنهم كانوا يلوطون وقيل إنهم كانوا يأكلون الناس فقالوا له نحن نجعل لك خرجا أى جعلا من أموالنا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فرد عليهم جعلهم وطلب منهم المعونة بالعمل بأبدانهم ثم انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فأمر بحفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخر وطبقه بالنحاس المذاب فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض وقيل إنه حشا ما بين الصدفين قطع الحديد ونسج بين طبقات الحديد الحطب والفحم ووضع المنافيخ فلما حمى الحديد أفرغ عليه النحاس المذاب فاختلط والتصق بعضه ببعض حتى صار جبلا صلدا من حديد وقطر وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلم يطيقوا الظهور عليه لملاسته ولا قدروا على نقبه لشدته وتماسكه ومن وراء السد البحر فهم بين السد والبحر محصورون وهم يمطرون التنانين فى أيام الربيع كما يمطرنا الغيث لحينه فيأكلونها إلى مثله من القابل وتعمهم على كثرتهم والله تعالى أعلم ﴿اليامور﴾ قال ابن سيده هو جنس من الأوعال أو شبيه به له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه وقال غيره إنه الذكر من الأيل له قرنان كالمنشارين أكثر أحواله تشبه أحوال البقر الوحشى يأوى إلى المواضع التى التفت أشجارها وإذا شرب الماء ظهر به نشاط فيعدو ويلعب بين الأشجار وربما ينشب قرناه فى شعب الأشجار فلا يقدر على خلاصهما فيصيح والناس إذا سمعوا صياحه ذهبوا إليه وصادوه وقد تقدم ما فيه * وهو حلال كالأيل ومن خواص جلده أنه إذا جلس عليه صاحب البواسير زالت عنه ﴿اليؤيؤ﴾ طائر كنيته أبو رياح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق وقد تقدم الكلام عليه فى باب الصاد المهملة فى لفظ الصقر والجمع اليآيئ وكذا جاء فى الشعر قال أبو نواس فى طريدته :

حفظ المهيمن يؤيؤى ورعاه * ما فى اليآيئ يؤيؤ شرواه

كذا استدل به الجوهرى واعترض عليه بأنه مولد * وكان محمد بن زياد الزيادى يلقب باليؤيؤ وهو من أئمة أهل البصرة روى عن حماد بن زيد وغيره وروى له ابن ماجه والبخارى كالمقرون بغيره توفى فى حدود سنة خمسين ومائتين وضعفه ابن منده وذكره ابن حيان فى الثقات وقال كان يؤيؤ الحديث * وهذا بناء غريب لم يحفظ منه إلا خمسة اليؤيؤ والجؤجؤ وهو صدر السفينة والطائر واليؤيؤ وهو الأصل يقال فلان يؤيؤ الكرم أى أصله والدؤدؤ لية خمس وست وسبع وعشرين واللؤلؤ وفيه أربع لغات قرئ بهن فى السبع لؤلؤ بهمزتين ولولو بغير همز وبهمز أوله دون ثانيه وعكسه (وحكمه) تحريم الأكل كما تقدم (الخواص) دماغه يجفف ويسحق مع السكر الطبرزدى ويخلط معه بعر الضب

﴿الباب التاسع﴾

ملائكة السماء الثالثة على صورة النسر وردى اللون أطراف ريشه أسود لكن ورديته تميل إلى السواد شيئا يسيرا صدره وصدر أجنحته ذهب منقط ريشها بسواد ومنقاره ورجلاه زرق والله أعلم بذلك

﴿الباب العاشر﴾

ملائكة السماء الرابعة على صورة الخيل زرق الألوان وصفتها مثل الفرس الذى إذا أراد النهوض رفع يده ووضع الأخرى فى الأرض والله أعلم بذلك

ويكتحل به يزيل البياض الذى فى العين بإذن الله تعالى ومرارته تداف بماء الشهدا ج ويسعط بها من به الصداع ينفعه نفعا بينا إن شاء الله تعالى ﴿اليحبور﴾ ولد الحبارى وقد تقدم ما فى باب الحاء المهملة ﴿اليحمور﴾ دابة وحشية نافرة لها قرنان طويلان كأنهما منشاران ينشر بهما الشجر فإذا عطش وورد الفرات يجد الشجر ملتفة فينشرها بهما وقيل إنه اليامور نفسه وقرونه كقرون الإبل يلقيها فى كل سنة وهى صامتة لا تجويف فيها ولونه إلى الحمرة وهو أسرع من الأيل وقال الجوهرى اليحمور حمار الوحش (وحكمه) الحل كيف كان (الخواص) دهنه ينفع من الاسترخاء الحاصل فى أحد شقى الإنسان إذا استعمل مع دهن البلسان ﴿فائدة﴾ فى كتاب العرائس للإمام العلامة أبو الفرج ابن الجوزى قال إن بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافق شخصا فى الطريق فلما كان قريبا من المدينة التى قصدها قال له ذلك الشخص قد صار لى عليك حق وذمام وأنا رجل من الجان ولى اليك حاجة فقال وما هى قال إذا أتيت إلى مكان كذا وكذا فإنك تجد فيه دجاجا بينها ديك فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتى إليك فقال له يا أخى وأنا أسألك حاجة قال وما هى قال إذا كان الشيطان ماردا لا تعمل فيه العزائم وألح بالآدمى مناما دواؤه قال دواؤه أن يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد يحمور ويشد به إبهاما المصاب من يديه شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السذاب البرى فيقطر فى أنفه الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فإن الماسك به يموت ولا يعود إليه أحد بعده قال فلما دخلت المدينة أتيت ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألها بيعه فأبت فاشتريته منها بأضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لى من بعيد وقال لى بالإشارة اذبحه فذبحته فعند ذلك خرج على رجال ونساء فجعلوا يضربونى ويقولون ياساحر فقلت لست بساحر فقالوا إنك منذ ذبحت الديك أصيبت عندنا شابة بجنى وأنه منذ مسكها لم يفارقها فطلبت منهم وترا قدر شبر من جلد يحمور وشيئا من دهن السذاب البرى فأتوا بهما فشددت إبهامى يدى الشابة شدا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح وقال أنا علتك على نفسى ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الأيسر ثلاثا فخرميتا من وقته وساعته وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان انتهى (اليحموم) طائر حسن اللون يشبه لون الحبرة الموشاة وهو كثير بنخلة من أرض الحجاز وأظنه من نوع اليعاقيب والحجل (وحكمه) حل الأكل لأنه مستطاب واليحموم أيضا اسم فرس النعمان بن المنذر واليحموم أيضا الدخان الأسود وقيل المراد بقوله تعالى وظل من يحموم تقول العرب أسود يحموم إذا كان شديد السواد وقيل اليحموم جبل فى جهنم يستظل به أهل النار لا بارد ولا كريم أى لا بارد الثرى ولا كريم المنظر وقيل اليحموم اسم من أسماء النار وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل شىء فيها أسود نعوذ بالله من شرها ﴿اليراعة﴾ طائر صغير إذا طار بالنهار كان كبعض الطير وإذا طار بالليل كان كأنه شهاب ثاقب أو مصباح طيار وقال أبو عبيدة اليراع الهمج بين البعوض والذباب يركب الوجه ولا يلدغ واليراعة أيضا النعامة (الأمثال) قالوا أخف من يراعة فيجوز أن يراد به الطائر الذى يطير بالليل وأن يراد به القصبة والجمع يرع فيهما ﴿اليربوع﴾ بفتح الياء المثناة تحت ويسمى الدرص بفتح الدال وكسرها وإسكان الراء المهملتين وبالصاد المهملة آخره وذا الرميح كما تقدم فى آخر باب الراء المهملة حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جدا وله ذنب كذنب الجرذ لا يرفعه صعدا فى طرفه شبه النوارة لونه كلون الغزال قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان إن كل دابة حشاها الله خبثا فهى قصيرة اليدين لأنها إذا خافت شيئا لاذت بالصعود فلا يلحقها شىء وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها له مقام الماء وهو يؤثر النسيم ويكره البحار أبدا يتخذ جحره فى نشز من الأرض ثم يحفر بيته فى مهب الرياح الأربع

﴿الباب الحادى عشر﴾ ملائكة السماء الخامسة على صورة الحور العين ملبوسها جميع الألوان الحسنة وجوهها بيض وحمر ولها عينان وجناحان وقصيبتان كالحبر الأسود ونعالها سود وأجنحتها كل جناح ثلاثة ألوان أحمر وأزرق وذهبى قصيباتها طوال إلى الرجلين بل أزيد والله أعلم وعلى رؤسها معاصب بيض مرصعة بالذهب سبحان الخالق على ما خلق وهو الذى خلقهم وهو أعلم بهم

﴿الباب الثانى عشر﴾ ملائكة السماء السادسة على صورة الولدان ملبوسهم أحمر وردى اللون وتحت ذلك نوع آخر أزرق وقصيبته واحدة وعمامته بيضاء وله جناحان لونهما أخضر ورؤسها ذهب وله محازم ونعال فالمشد وردى

ويتخذ فيه كوى وتسمى النافقاء والقاصعاء والرهطاء فإذا طلب من إحدى هذه الكوى نافق أى خرج من النافقاء وإن طلب من النافقاء خرج من القاصعاء وظاهر بيته تراب وباطنه حفر وكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر * قال الجاحظ وغيره اسم المنافق لم يكن فى الجاهلية لمن أسر الكفر وأظهر الإيمان ولكن البارى جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل من نافقاء اليربوع لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان وورى بشىء عن شىء ودخل فى باب الخديعة وأوهم الغير خلاف ما هو عليه أشبه فى ذلك اليربوع انتهى * وفى طبعه أنه يطأ فى الأرض اللينة حتى لا يعرف أثر وطئه كما يفعل الأرنب وهو يجتر ويبعر وله كرش وأسنان وأضراس فى الفك الأعلى والأسفل قال الجاحظ والقزوينى اليربوع من نوع الفأر زاد القزوينى وهو من الحيوان الذى له رئيس مطاع ينقاد إليه وإذا كان فيها يكون من بينها فى مكان مشرف أو على صخرة ينظر إلى الطريق من كل ناحية فإن رأى ما يخافه عليها صر بأسنانه وصوت فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها فإن قصر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئاً اجتمعت على الرئيس فقتلته وولت غيره وهى إذا خرجت لطلب المعاش خرج الرئيس أولا يتشوف فإن لم ير شيئا يخافه صر بأسنانه وصوت إليها فتخرج والواو والياء فى اليربوع زائدتان فكان ينبغى أن يكتب فى باب الراء المهملة لكنه قد يخفى على بعض الناس فكتب هنا (الحكم) يحل أكله لأن العرب تستطيبه وتحله قاله عطاء وأحمد وابن المنذر وأبو ثور وقال أبو حنيفة لا يؤكل لأنه من الحشرات دليلنا أن الصحابة رضى الله عنهم أوجبوا فيه جفرة إذا قتله أو أصابه المحرم وأن الأصل الإباحة إلا ما خص بالتحريم (الأمثال) قالوا أضل من ولد اليربوع وقالوا كالمشترى القاصعاء باليربوع يضرب للذى يدع العين ويتبع الأثر لأن القاصعاء جحر اليربوع الذى يقصع فيه أى يدخل والجمع قواصع (الخواص) دم اليربوع يؤخذ فيطلى على الشعر الذى ينبت فى الجفن بعد أن ينتف يذهب بإذن الله تعالى (التعبير) اليربوع فى الرؤيا يدل على رجل حلاف كذاب فمن نازعه نازع إنسانا كذلك ﴿اليرقان﴾ هو دود يكون فى الزرع ثم ينسلخ فيكون فراشا يقال زرع ميروق قاله ابن سيده ﴿اليسف﴾ الذباب وقد تقدم فى باب الذال المعجمة مستوفى ﴿اليعر﴾ بفتح الياء المثناة تحت وبالعين المهملة الجدى يشد عند زبية الأسد وعند مأوى الذئب ويغطى رأسه فإذا سمع الضبع صوته جاء فى طلبه فوقع فى الزبية ومنه قولهم فلان أذل من اليعر واليعر أيضا دابة تكون بخراسان تسمن على الكدو قيل هى بالغين المعجمة (قالوا فى أمثالهم) أسمن من يغر ذكره حمزة وغيره ﴿اليعفور﴾ الخشف وولد البقرة الوحشية أيضا وقال بعضهم اليعافير تيوس الظباء قال بشر بن أبى حازم :

وبلدة ليس بها أنيس * إلا اليعافير وإلا العيس

وفى حديث سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ خرج على حماره يعفور ليعوده قيل سمى يعفور للونه وهى العفرة كما قيل فى أخضر يخضور وقيل سمى به تشبيها فى عدوه ليعفور وهو الظبى والله تعالى أعلم ﴿اليعقوب﴾ ذكر الحجل قال الجواليقى وهو عربى صحيح وأما يعقوب اسم نبى الله ﷺ فهو أعجمى كيوسف ويونس واليسع وقال الجوهرى يعقوب اسم رجل لا ينصرف فى المعرفة للعجمة والتعريف واليعقوب ذكر الحجل مصروف لأنه عربى لم يغير إن كان مزيدا فى أوله فليس على وزن الفعل ويوصف اليعقوب بكثرة عدوه وشدته قال الشاعر * عادية تصردونه اليعقوبت * والجمع اليعاقيب قال الشاعر :

أودى الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب

ويروى أيضا : أودى الشباب حميدا ذو التعان جيب * أودى وذلك شأو غير مطلوب

ولى حثيثا وهذا الشيب يطلبه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

اللون يميل إلى السواد شيئا يسيراً والنعل أسود والله أعلم بذلك

﴿الباب الثالث عشر﴾

ملائكة السماء السابعة على صورة بنى آدم وملبوسهم أصفر وفوق الأصفر كالنمتانة وردى تميل إلى الحمرة والدكنة وقصائب سود غاية السواد وجناحان كل جناح لونان أحمر وأزرق وعمامة بيضاء والله أعلم بذلك وأجنحتها على أكتافها سبحان الذى خلقهم ما أعظم سلطانه وأوضح برهانه وشداد أوساطها أزرق

يروى ركض بالرفع والنصب فمن رفعه جعله فاعل يدركه وأراد به أن هذا الطائر على سرعة طيرانه لا يدرك الشباب إذا ولى فكيف يدركه غيره ومن نصبه نصبه بفعل مضمر تقديره ولى يركض ركض اليعاقيب وجعله من جملة صفة الشباب وجعل فاعل يدرك ضمير الشيب المستتر فيه ويصير فى البيت تقديم وتأخير وتقديره ولى الشباب حثيثاً يركض ركض اليعاقيب وهذا الشيب يطلبه لو كان يدركه والمراد باليعاقيب ذكور القبج وقال بعضهم إنه هو العقاب والمشهور الأول واليعقوب والقبج والحجل راجع إلى نوع واحد ووصفه أبو على بن رشيق بأبيات منها :

ما أغربت فى زيها * إلا يعاقيب الحجل جاءتك مثقلة الترا * ئب بالحلى وبالحلل
صفر العيون كأنها * باتت بتبر تكتحل وتخالها قد وكلت * بالنوت والصوت الزجل
وكأنما باتت أصا * بعها بحناء تعل من يستحل لصيدها * فأنا امرؤ لا أستحل

(ومن حكمه) أنه يجب الجزاء بقتل المتولد بين اليعقوب والدجاج قاله الرافعى فى الحج وهذا يرد قول من قال إن المراد فى البيتين الأولين هو العقاب فإن التناسل لا يقع بين الدجاج والعقاب وإنما يقع التناسل بين حيوانين بينهما تشاكل وتقارب فى الخلق كالحمار الوحشى والأهلى والظبى والشاة فإذا عرف هذا فالمراد الدجاج البرى وهو فى الشكل واللون قريب من الدجاج الإنسى ﴿اليعملة﴾ الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والجمع يعملات ومنه قول عبد الله بن رواحة لزيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما :

يا زيد زيد اليعملات الذبل تطاول الليل هديت فانزل

وقيل بل قال ذلك فى غزوة مؤتة لزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه ﴿اليمام﴾ قال الأصمعى هو الحمام الوحشى الواحدة يمامة وقال الكسائى هى التى تألف البيوت واليمامة اسم جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام قال الجاحظ إنها كانت من بنات لقمان بن عاد وأن اسمها عنز وكانت هى زرقاء وكانت الزباء زرقاء وكانت البسوس زرقاء وهى أول من اكتحل بالإثمد من العرب وهى التى ذكرها النابغة فى قوله :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الثمد

وقد تقدم فى حرف الحاء ﴿فائدة﴾ قال فى ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار النساء اللاتى يضرب بهن المثل خمس وهى زرقاء اليمامة والبسوس ودغة وظلمة وأم قرفة * أما الزرقاء فيقال أبصر من زرقاء اليمامة وهى امرأة من بنى نمير كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء فى الليل وتنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام وكانت تنذر قومها بالجيوش إذا غزتهم فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له فاحتال عليها بعض من غزاهم فأمر أصحابه فقطعوا شجراً وأمسكوها بأيديهم أمام معسكره فنظرت الزرقاء فقالت إنى أرى الشجر قد أقبلت إليكم فقال لها قومها قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك كيف تأتى الشجر قالت هو ما أقول لكم فكذبوها فصبحتهم الخيل وأغاروا عليهم وقتلوا الزرقاء وقوروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت فى الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به * وأما البسوس فيقال أشأم من البسوس وهى خالة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ولها كانت الناقة التى قتل من أجلها كليب بن وائل وبها ثارت حرب بكر وتغلب التى يقال لها حرب البسوس * وأما دغة فيقال أحمق من دغة وهى امرأة من بنى عجل تزوجت من بنى العنبر * وأما ظلمة فيقال أزنى من ظلمة وهى امرأة من هذيل زنت أربعين سنة وقادت أربعين عاماً فلما عجزت عن الزنا والقيادة اتخذت تيسا وعنزا فكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين ذلك قالت لأسمع أنفاس الجماع بينهما * وأما أم قرفة فيقال أمنع من أم قرفة وهى امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزارى وكانت تعلق فى بيتها خمسين سيفا كل سيف منها

﴿الباب الرابع عشر الحفظة﴾ وهم الكرام الكاتبون كل واحد منهم بيده دفتر وبالأخرى قلم وهو على كتف الإنسان وجوههم بيض تميل إلى الحمرة وملبوسهم أزرق ولكل واحد منهم قصيبة شعر من ورائه لا غير وعمامة بيضاء ونعلان

لذى محرم لها * وقد سئل ابن سيرين عن النساء فقال مفاتيح أبواب الفتن ومخازن الحزن إن أحسنت المرأة إليك منت عليك تفشى سرك وتهمل أمرك وتميل إلى غيرك وقيل النساء ريحان بالليل شوك بالنهار وقيل لبعض الحكماء مات عدوك فقال وددت أنكم فلتم تزوج وقيل العجز فى ثلاث خصال قلة اكتراثه فى مصلحته وقله مخالفته لشهوته وقبوله من امرأته فيما لا يعلمه وقال بعض الحكماء لا تأمن قارئا على صحيفة ولا شابا على امرأة وقال غيره لا مصيبة أعظم من الجهل ولا شر أشر من النساء انتهى (الحكم) يحل أكل اليمام وبيضه بالاتفاق وقد تقدم فى باب الحاء المهملة فى الحمام (الأمثال) قالوا كن مع الناس يمامة يعنى أرفق بهم ولا تنفرهم (وخواصه وتعبيره) كالحمام ﴿اليهودى﴾ حوت فى البحر وقد تقدم الكلام عليه فى باب الشين المعجمة ﴿اليوصى﴾ بفتح الياء والواو وكسر الصاد المهملة المشددة طائر بالعراق أطول جناحا من الباشق وأخبث صيدا وهو الحر (وحكمه) الحرمة كما تقدم فى باب الحاء المهملة ﴿اليعسوب﴾ اسم مشترك يقع على طائر نحو الجرادة له أربعة أجنحة لا يقبض له جناحا أبدا ولا يرى أبدا يمشى إنما يرى واقفا على رأس عود أو طائرا وقال الجوهرى هو أطول من الجرادة لا يضم جناحه إذا وقع شبهت به الخيل المضمرة قال بشير:

أبو ظبية شعث تطيف بشخصه ... كوالح أمثال اليعاسيب ضمرا

ثم قال والياء فيه زائدة لأنه ليس فى الكلام فعلول غير صعفوق * وذكر ابن خلكان فى ترجمة الحسن بن عبد الله العسكرى قال مرض صخر بن عمرو بن الشريد وطال مرضه وكانت أمه وزوجته سليمى يمرضانه فسئلت زوجته يوما عن حاله وكانت قد ضجرت منه فقالت لا هو حى فيرجى ولا ميت فيبكى فسمعها صخر فأنشد قائلا:

أرى أم صخر لا تمل عيادتى ... وملت سليمى مضجعى ومكانى
وما كنت أخشى أن أكون جنازة ... عليك ومن يغتر بالحدثان
لعمرى لقد نبهت من كان نائما ... وأسمعت من كانت له أذنان
وأى امرئ ساوى بأم حليلة ... فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان
فللموت خير من حياة كأنها ... معرس يعسوب برأس سنان

وفى حديث مصعب لولا ظمأ الهوا جرما باليت أن أكون يعسوبا قال ابن الأثير المراد ههنا فراشة مخضرة تطير فى الربيع وقيل هو طائر أعظم من الجرادة ولو قيل إنه النحل لجاز واليعسوب اسم فرس للنبى ﷺ وأخرى للزبير رضى الله تعالى عنه وقيل إنها إحدى الأفراس الثلاثة التى كانت للمسلمين يوم بدر على اختلاف فيه واليعسوب يطلق على الغرة المستطيلة فى وجه الفرس وعلى دائرة عند مربض الفرس وعلى ضرب من الحجلان حكاه الدمياطى فى كتاب الخيل والمربض بكسر الميم وبالضاد المعجمة مكان الفرس وفى الحديث صلوا فى مرابض الغنم ولا تصلوا فى أعطان الإبل والمرابض المبارك وربض الأسد أى رقد وقال الجاحظ اليعاسيب هى كبار الذباب انتهى واليعسوب ملك النحل وأميرها الذى لا يتم لها رواح ولا إياب ولا عمل ولا مرعى إلا به فهى مؤتمرة بأمره سامعة له مطيعة وله عليها تكليف وأمر ونهى وهى منقادة لأمره متبعة لرأيه يدبرها كما يدبر الملك أمر رعيته حتى أنها إذا أوت إلى بيوتها وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزاحم أخرى ولا تتقدم عليها فى العبور بل تعبر بيوتها واحدة بعد واحدة تزاحم ولا تصادم ولا تراكم كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوزه إلا واحد بعد واحد وأعجب من ذلك أن أميرين منهما لا يجتمعان فى بيت ولا يتأمران على جمع واحد بل إذا اجتمع منها جندان وأميران قتلوا أحد الأميرين وقطعوه

برجليها سود وأجنحتها كل جناح لونان أعلى الجناح ذهب مخطط بشىء من السواد شيئا يسيرا وباقى الجناح أحمر وخطط بيض فى وسطه وكل منهم واضع رأس قلمه بدفتره ينتظر الحسنات والسيئات والله أعلم

واتفقوا على الامير الواحد من غير معاداة منهم ولا أذى من بعضهم لبعض بل يصيرون يدا واحدة *
روى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إبليس واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اللهم إنى أعوذ بك من إبليس وجنوده فإنه إذا قالها لم تضره ومن لفظ اليعسوب قيل للسيد يعسوب قومه وقال على رضى الله تعالى عنه لما رأى عبد الرحمن ابن عتاب بن أسيد مقتولا يوم الجمل هذا يعسوب قريش ثم قال جدعت أنفى وشفيت نفسى وكان عبد الرحمن يقاتل ذلك اليوم ويقول :

أنا ابن عتاب بسيف ولول * والموت دون الجمل المجلل

وقاتل قتالا شديدا فى ذلك اليوم وقطعت يده يومئذ وكان فيها خاتم فاختطفها نسر فطرحها باليمامة فعرفت بخاتمه فصلوا عليه وبالجملة فقد اتفقوا على أن يده احتملها طائر فى وقعة الجمل فألقاها بالحجاز فصلوا عليها ودفنوها واختلفوا فى الطائر ما هو وفى أى مكان ألقاها فقيل حملها نسر وألقاها باليمامة فى ذلك اليوم كما تقدم وقال ابن قتيبة حملتها عقاب فألقتها فى ذلك اليوم باليمامة وقال الحافظ أبو موسى وغيره ألقاها بالمدينة وقال الشيخ فى شرح المهذب ألقاها بمكة * وفى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان الطويل أن الدجال تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل أى تظهر له وتجتمع عنده كما تجتمع النحل على يعسوبها * ولما مات أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه على باب البيت الذى هو مسجى فيه فقال كنت والله يعسوبا للمؤمنين وكنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف فمثله على كرم الله وجهه باليعسوب فى سبقه للإسلام غيره لأن اليعسوب يتقدم النحل إذا طارت فتتبعه والعواصف الريح المهلكة فى البر والقواصف الريح المهلكة فى البحر قال الله تعالى ونسليمان الريح عاصفة وقال الله تعالى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم * وفى كامل ابن عدى فى ترجمة عبد الله بن واقد الواقفى وفى ترجمة عيسى بن عبد الله ابن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله تعالى عنه أنت يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار وفى رواية يعسوب الظلمة وفى رواية يعسوب المنافقين أى يلوذ بك المؤمنون ويلوذ الكفار والظلمة والمنافقون بالمال كما تلوذ النحل بيعسوبها ومن هنا قيل لأمير المؤمنين على كرم الله وجهه أمير النحل * وهذا ما انتهى إليه الغرض مما يحصل به فى هذا الشأن الاكتفاء وختم بملك النحل الذى استخرج الله من لعابه الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء والآخر شفاء وابتدئ بملك الوحش الذى منه الشجاعة تقتنى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى ورضى الله عن آله وعترته وصحبه أهل الفضل والوفا وحسبنا الله وكفى

(قال مؤلفه) الفقير إلى رحمة الله تعالى وكان الفراغ من مسودته فى شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ووجبا للفوز فى دار النعيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿تم بعون الله تعالى الجزء الثانى وبه تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا﴾

﴿الباب الخامس عشر﴾ هاروت وماروت فى بابل صفر الأجساد عراة لكل منهما بنيان إلى ركبته أزرق اللون مشدودان بالحديد من أصول سافيهما رؤسهما إلى تحت وأرجلهما إلى فوق والله أعلم

صحيفة

٢ ( باب الزاى) ٤ الزاغ
٤ الزاقى ٤ الزامور
٤ الزبابة ٤ الزبزب
٥ الزخارف ٥ الزرزور
٥ الزرق ٥ الزرافة
٧ الزرباب
٧ الزغبة ٧ الزغلول
٧ الزغيم ٧ الزقة
٧ الزلال ٨ الزماج
٨ الزمج
٨ زمج الماء ٩ الزنبور
١٠ الزندبيل ١٠ الزهدم
١٠ أبوزريق ١٠ أبوزيدان
١٠ أبوزياد
١٠ (باب السين المهملة )
١١ سابوط ١١ ساق حر
١١ السالخ ١١ سام أبرص
١١ السابح ١٢ السبد
٢٢ السبع
١٦ السبنتى والسبندى
١٦ السبيطر
١٦ السحلة ١٧ السحلية
١٧ السحا ١٧ سحنون
١٨ السخلة ١٩ السرحان
١٩ السرطان ٢٠ السرعوب
٢٠ السرفوت ٢٠ السرفة
٢١ السرمان ٢١ السروة
٢١ السرماح ٢١ السعدابة
٢١ السعلاة ٢١ السفنج
٢٣ السقب ٢٣ السقر
٢٣ السقنقور ٢٤ السلحفاة البرية
٢٥ السلحفاة البحرية
٢٥ السلفان ٢٥ السلق
٢٥ السلك ٢٦ السلكوت

صحيفة

٢٦ السلوى ٢٦ السمان
٢٧ السمحج ٢٧ السمع
٢٨ السمائم ٢٨ السمسم
٢٨ السمسمة ٢٨ السمك
٣٣ السمندل ٣٤ السمور
٣٤ السميطر
٣٤ السمندر والسميدر
٣٤ سناد ٣٤ السنجاب
٣٥ السنداوة ٣٥ السنة
٣٥ السندل ٣٥ السنور
٣٨ السنونو
٣٨ السودانية ٣٨ السوذنيق
٣٨ السوس ٤٠ السبد
٤٠ السيدة ٤٠ سيفنة ابد سيراس
٤٠ ( باب الشين المعجمة )
٤٠ الشادن ٤٠ شادهوار
٤٠ الشارف ٤١ الشاة
٤٨ الشامرك ٤٨ الشاهين
٤٩ الشبب ٤٩ الشبث
٤٩ الشبثان ٤٩ الشبدع
٤٩ الشبربص ٥٠ الشبل
٥٠ الشبوة ٥٠ الشبوط
٥٠ الشجاع ٥١ الشحرور
٥١ شحمة الأرض ٥١ الشذا
٥١ الشران ٥١ الشرشق
٥١ الشرشور ٥١ الشرغ
٥١ الشرنبى ٥١ الشصر
٥٢ الشعراء ٥٣ الشغواء
٥٣ الشفدع ٥٣ الشفنين
٥٤ الشق ٥٦ الشقحطب
٥٦ الشقذان ٥٦ الشقراق
٥٦ الشمسية ٥٦ الشنقب
٥٦ شه ٥٦ الشهام
٥٦ الشهرمان ٥٦ الشوحة

صحيفة

٥٦ الشوف ٥٦ الشوشب
٥٦ الشوط ٥٧ شوط براح
٥٧ الشول ٥٧ شولة
٥٧ الشيخ اليهودى
٥٧ الشيدمان ٥٧ الشيصبان
٥٧ الشيع ٥٧ الشيم
٥٧ الشيهم ٥٨ أبوشبقونة
٥٨ ( باب الصاد المهملة )
٥٨ الصؤابة ٥٨ الصارخ
٥٨ الصافر ٥٩ الصدف
٥٩ الصدى ٦٠ الصراخ
٦٠ صرار الليل ٦١ الصراح
٦١ الصرد ٦٣ الصرصر
٦٣ الصرصران ٦٣ الصعب
٦٣ الصعوة ٦٤ الصفارية
٦٤ الصفر ٦٤ الصفرد
٦٤ الصقر ٦٩ الصل
٦٩ الصلب ٦٩ الصلنباج
٦٩ الصلصل ٦٩ الصناجة
٧٠ الصوار ٧٠ الصومعة
٧٠ الصلبان ٧٠ الصيد
٧٥ الصيدح ٧٥ الصيدن
٧٥ الصيدنانى ٧٥ الصير
٧٦ ( باب الضاد المعجمة )
٧٦ الضأن ٧٧ الضؤضؤ
٧٧ الضب ٨١ الضبع
٨٤ أبوضبة ٨٤ الضرغام
٨٤ الضريس ٨٤ الضغبوس
٨٤ الضفدع ٨٧ الضوع
٨٧ الضيب ٨٧ الضئيلة
٨٧ الضيون
٨٨ ( باب الطاء المهملة )
٨٨ طامر بن طامر
٨٨ الطاوس ٩١ الطائر
٩٥ الطبطاب ٩٥ الطبوع

صحيفة
٩٥ الطرّج ٩٥ الطحن
٩٥ الطرسوح ٩٥ طرغلودس
٩٥ الطرف ٩٥ الطغام
٩٥ الطفل ٩٦ ذو الطفيتين
٩٦ الطلح ٩٦ الطلا
٩٦ الطلى ٩٦ الطمروق
٩٦ الطمل ٩٦ الطنبور
٩٦ الطورانى ٩٦ الطوبالة
٩٦ الطول ٩٦ الطوطى
٩٦ الطير ١٠٠ طير العراقيب
١٠١ طير الماء ١٠١ الطيطوى
١٠٢ الطيهوج
١٠٢ بنت طبق وأم طبق
١٠٢ ( باب الظاء المعجمة )
١٠٢ الظبى ١٠٧ الظربان
١٠٨ الظليم
١٠٩ ( باب العين المهملة )
١٠٩ العاتق ١٠٩ العاتك
١١٠ عتاق الطير ١١٠ العتلة
١١٠ العاضه والعاضهة
١١٠ العاسل ١١٠ العاطوس
١١٠ العافية ١١٠ العائد
١١٠ العبقص والعبقوص
١١٠ العبور ١١٠ العترفان
١١١ العتود ١١١ العثة
١١١ العثمثمة ١١١ العثمان
١١١ العثوثج ١١١ العجروف
١١١ العجل ١١٥ العجمجمة
١١٥ أم عجلان ١١٥ العجوز
١١٥ عدس ١١٥ العذفوط
١١٥ العربج ١١٥ عرار
١١٥ العريض
١١٥ العسجدية ١١٥ العربد
١١٥ العريض والعرياض
١١٥ العرس ١١٥ العريقصة
١١٥ العريقطة والعريقطان

صحيفة
١١٥ العزة ١١٥ العسا
١١٥ العساعس
١١٥ العساس
١١٥ العساهيل ١١٥ العسبار
١١٥ العسبور ١١٦ العسلق
١١٦ العسنج ١١٦ العشراء
١١٦ العصارى ١١٦ العصفور
١٢١ العضل ١٢١ العرفوط
١٢١ العريقطة
١٢١ العضمجة
١٢١ العضرفوط ١٢٢ عرظار
١٢٢ العطاط ١٢٣ العطرف
١٢٢ العظاءة ١٢٢ العفر
١٢٢ العفريت ١٢٦ العفر
١٢٦ العقاب
١٣٥ العقد
١٣٥ العقال ١٣٥ العقرب
١٤٨ العقربان ١٤٨ العقف
١٤٨ العقعق ١٤٩ العقيب
١٤٩ العكاش ١٤٩ العكرشة
١٤٩ العكرمة ١٤٩ العلج
١٤٩ العلل
١٤٩ العلجوم ١٤٩ العلام
١٤٩ العلوش ١٥٠ العلهان
١٥٠ العلس ١٥٠ العلامات
١٥٠ العلهز ١٥٠ العلعل
١٥٠ العلق ١٥٤ العلهب
١٥٤ العمروس ١٥٤ العملس
١٥٤ العميثل ١٥٤ العناق
١٥٦ عناق الأرض
١٥٧ العنبس ١٥٧ العنس
١٥٧ العنبر ١٥٨ العنتر
١٥٩ العندليب ١٥٩ العندل
١٦٢ العنظب ١٦٢ العنظوانة
١٦٢ عنقاء مغرب ومغربة
١٦٤ العنكبوت ١٦٧ العود

صحيفة
١٦٧ العواساء ١٦٧ العوس
١٦٧ العومة ١٦٧ العوهق
١٦٧ العلا ١٦٧ العلام
١٦٧ العيشوم ١٦٧ العير
١٦٩ العير ١٦٩ عير السراة
١٦٩ العيس ١٧٠ العيساء
١٧٠ العيلام ١٧٠ العيتوم
١٧٠ العين ١٧٠ العيهل
١٧٠ عيجلوف ١٧٠ ابن عرس
١٧١ أم عجلان ١٧١ أم عزة
١٧١ أم عويف ١٧١ أم العيزار
١٧٢ ( باب الغين المعجمة )
١٧٢ الغاق ١٧٢ الغداف
١٧٢ الغذى ١٧٢ الغراب
١٨١ الغر ١٨١ الغرنيق
١٨٣ الغرغر ١٨٤ الغرناق
١٨٤ الغزال ١٨٦ الغضارة
١٨٦ الغضب ١٨٦ الغضف
١٨٦ الغضوف ١٨٦ الغضيض
١٨٦ الغطرب ١٨٦ الغطريف
١٨٦ الغطلس ١٨٦ الغطاطا
١٨٦ الغفر ١٨٦ الغماسة
١٨٦ الغنافر ١٨٦ الغنم
١٩٢ الغواص ١٩٢ الغوغاء
١٩٣ الغول ١٩٦ الغيداق
١٩٦ الغيطلة ١٩٦ الغيلم
١٩٦ الغيهب
١٩٦ ( باب الفاء )
١٩٦ الفاختة ١٩٨ الفأر
٢٠٢ الفادر ٢٠٢ الفازر
٢٠٢ الفاشية ٢٠٢ الفاغوس
٢٠٢ الفاطوس ٢٠٢ الفالج
٢٠٢ فالية الأقاعى ٢٠٢ فتاح
٢٠٢ الفتع ٢٠٣ الفحل
٢٠٥ الفدس ٢٠٥ الفرا
٢٠٥ الفراش ٢٠٧ الفرافصة

صحيفة

٢٠٧ الفرخ ٢٠٩ الفرس
٢٢٠ (فصل فى صيغ البراذين)
٢٢١ فرس البحر ٢٢٢ الفرش
٢٢٢ الفرانق ٢٢٢ الفرفر
٢٢٢ الفرفور ٢٢٢ الفرع
٢٢٣ الفرعل ٢٢٣ الفرقد
٢٢٣ الفرنب ٢٢٣ الفوهود
٢٢٣ الفروج
٢٢٣ الفربر والفرار
٢٢٣ فسافس ٢٢٣ الفصيل
٢٢٤ الفلحس ٢٢٤ الفلو
٢٢٥ الفناة ٢٢٥ الفنك
٢٢٥ الفنيق ٢٢٥ الفهد
٢٢٧ الفور ٢٢٧ الفولع
٢٢٧ الفيصور ٢٢٧ الفويسقة
٢٢٧ الفياد ٢٢٧ الفيل
٢٣٦ (فصل فى فضل العقل وزينه وقبح الجهل وشينه)
٢٣٨ الفينة ٢٣٨ أبو فراس
٢٣٨ (باب القاف)
٢٣٨ القادحة ٢٣٨ القارة
٢٣٨ القارية ٢٣٩ القاق
٢٣٩ القاقم ٢٣٩ القانب
٢٣٩ القاوند
٢٣٩ القبج
٢٤٠ القبرة
٢٤٢ القبعة
٢٤٢ القبيط
٢٤٢ القتع
٢٤٢ ابن قترة
٢٤٢ القدان
٢٤٢ القراد
٢٤٣ القرد
٢٤٧ القردوح
٢٤٧ القرش
٢٤٨ القرقس

صحيفة

٢٤٨ القرشام
٢٤٨ القرعبلانة
٢٤٨ القرعوش
٢٤٨ القرقف
٢٤٩ القرقفنة
٢٤٩ القرلى
٢٤٩ القرمل
٢٤٩ القرميد - القرمود
٢٤٩ القرنبى
٢٤٩ القرهب
٢٤٩ القزر
٢٥٠ القرم
٢٥٠ القرة
٢٥٠ القسورة
٢٥١ القشعمان
٢٥١ القشية
٢٥١ القصيرى
٣٥١ القط
٢٥٢ القطا
٢٥٦ القطا
٢٥٦ القطامى
٢٥٦ قطرب
٢٥٦ القشعبان
٢٥٦ القعود
٢٥٦ القعيد
٢٥٦ القعقع
٢٥٦ القلو
٢٥٦ القلقانى
٢٥٦ القلوص
٢٥٨ القليب
٢٥٨ القمرى
٢٥٩ القمعة
٢٥٩ القمعوط
٢٥٩ القمل
٢٦٤ القمقام

صحيفة

٢٦٤ قندر
٢٦٤ القندس
٢٦٥ القنعاب
٢٦٥ القنفذ
٢٦٧ القنفذ البحرى
٢٦٧ القنفشة
٦٧٧ القهى
٢٦٧ القهيبة
٢٦٧ القوافر
٢٦٧ القواع
٢٦٧ القوب
٢٦٧ قوبع
٢٦٧ القوق
٢٦٧ قوقيس
٢٦٧ قوقى
٢٧٦ قيد الأوابد
٢٦٧ قيق
٢٦٧ أم قشعم
٢٦٧ أبو قير
٢٦٧ أم قيس
٢٦٨ (باب الكاف)
٢٦٨ الكاسر
٢٦٨ كاسر العظام
٢٦٨ الكبش
٢٧٢ الكبعة
٣٧٢ الكتفان
٢٧٢ الكتع ٢٧٢ الكدر
٢٧٢ الكركر ٢٧٢ الكركدن
٢٧٣ الكركى
٢٧٦ الكروان
٢٧٧ الكسعوم
٢٧٧ الكعيت
٢٧٨ الككم
٢٧٨ الكلب

صحيفة

٣١٢ كاب الماء
٣١٣ الكثوم
٣١٣ الكلكسة
٣١٣ الكميت ٣١٣ الكندارة
٣١٣ الكنعبة
٣١٣ الكنعدو الكعند
٣١٣ الكندش
٣١٣ الكهف
٣١٣ الكودن
٣١٣ الكوسج
٣١٣ الكهيل
٣١٤ (باب اللام)
٣١٤ لأى
٣١٤ اللباد
٣١٤ اللبؤة
٣١٦ اللجأ
٣١٦ اللحكاء
٣١٧ اللعوس
٣١٧ اللعوة
٣١٧ اللقحة
٣١٩ اللقوة ٣١٩ اللقاط
٣١٩ اللقلق ٣٢٠ اللهق
٣٢٠ اللهم ٣٢٠ اللوب والنوب
٣٢٠ اللوشب ٣٢٠ الليام
٣٢٠ الليث ٣٢٢ الليل
٣٢٢ (باب الميم)
٣٢٢ مارية ٣٢٢ المازور
٣٢٢ الماشية
٣٢٣ مالك الحزين
٣٢٣ المنردية ٣٢٣ المجتمة
٣٢٣ المثا ٣٢٣ المربح
٣٢٣ المرء ٣٢٣ المرزم
٣٢٣ المرعة

صحيفة

٣٢٣ مسهر
٣٢٤ المطية
٣٢٦ المعراج
٣٢٦ المعز
٣٢٧ ابن مقرض
٣٢٧ المقوقس
٣٢٨ المكاء
٣٢٩ المكفة
٣٢٩ الملكة
٣٢٩ المنارة
٣٢٩ المنخنقة
٣٢٩ المنشار
٣٣٠ الموقوذة
٣٣٠ الموق
٣٣٠ المول
٣٣٠ المها
٣٣١ المهر
٣٣٢ ملاعب ظله
٣٣٢ أبو مزينة
٣٣٢ ابنة المطر
٣٣٢ أبو المليح
٣٣٢ ابن ماء
٣٣٢ (باب النون)
٣٣٢ الناب
٣٣٢ الناس
٣٣٣ الناضح
٣٣٣ الناقة
٣٣٩ الناموس
٣٣٩ الناهض
٣٣٩ النباج
٣٣٩ النبر
٣٣٩ النجيب
٣٤٠ النحام
٣٤٠ النحل
٣٤٨ النحوص
٣٤٨ النسر

صحيفة

٣٥٢ النساف
٣٥٢ النسناس
٣٥٤ النسنوس
٣٥٤ النضو
٣٥٥ النعاب
٣٥٥ النعام
٣٥٩ النعثل
٣٥٩ النعجة
٣٦١ النعبول
٢٦١ النعرة
٣٦١ النعم
٣٦٢ النغر
٣٦٣ النغض
٣٦٣ النغف
٣٦٣ النفار
٣٦٣ النقاز
٣٦٣ النقاقة
٣٦٣ النقد
٣٦٤ النكل
٣٦٤ النمر
٣٦٥ النمس
٣٦٦ النمل
٢٧١ النهار
٢٧١ النهاس
٣٧١ النهس
٣٧١ النهام
٣٧١ النهر
٣٧١ النهشل
٣٧١ النواح
٣٧١ النوب
٣٧١ النورس
٣٧١ النوص
٣٧١ النون
٣٧٤ (باب الهاء)
٣٧٤ الهالع
٣٧٤ الهامة

| صحيفة | | صحيفة | | صحيفة | |
|---|---|---|---|---|---|
| ٣٧٧ | الهبع | ٣٨٩ | الهودع | ٣٩٩ | الوزغة |
| ٣٧٧ | الهبلع | ٣٨٩ | الهوذة | ٤٠٢ | الوصع |
| ٣٧٧ | الهجاة | ٣٩٠ | الهوزن | ٤٠٢ | الوطواط |
| ٣٧٧ | الهجرس | ٣٩٠ | الهلابع | ٤٠٢ | الوعوع |
| ٣٧٨ | الهجرع | ٣٩٠ | الهلال | ٤٠٢ | الوعل |
| ٣٧٨ | الهجين | ٣٩٠ | الهيثم | ٤٠٤ | الوقواق |
| ٣٧٨ | الهدهد | ٣٩٠ | الهيجمانة | ٤٠٤ | بنات وردان |
| ٣٨١ | الهدى | ٣٩٠ | الهيطل | ٢٠٥ | (باب الياء) |
| ٣٨٢ | الهديل | ٣٩٠ | الهيعرة | ٢٠٥ | يأجوج وماجوج |
| ٣٨٢ | الهرماس | ٣٩٠ | الهيق | ٤٠٧ | اليامور |
| ٣٨٢ | الهر | ٣٩٠ | الهيكل | ٤٠٧ | اليؤيؤ |
| ٣٨٧ | الهر نصانة | ٣٩٠ | أبو هرون | ٤٠٨ | اليحبور |
| ٣٨٧ | هرثمة | ٣٩٠ | (باب الواو) | ٤٠٨ | اليحمور |
| ٣٨٧ | الهرهير | ٣٩٠ | الوازع | ٤٠٨ | اليراعة |
| ٣٨٧ | الهرزون والهرزان | ٣٩٠ | الواق واق | ٤٠٨ | اليربوع |
| ٣٨٧ | الهزار | ٤٩٠ | الواقى | ٤٠٩ | اليرقان |
| ٨٨ | الهزبر | ٣٩١ | الوبر | ٤٠٩ | اليسف |
| ٣٨٨ | الهرعة | ٣٩١ | الوج | ٤٠٩ | اليعر |
| ٣٨٨ | الهف | ٣٩١ | الوحرة | ٤٠٩ | اليعفور |
| ٣٨٨ | الهفل | ٣٩٢ | الوحش | ٤٠٩ | اليعقوب |
| ٣٨٨ | الهقلس | ٣٩٤ | الودع | ٤١٠ | اليعملة |
| ٣٨٨ | الهمج | ٣٩٤ | الوراء | ٤١١ | اليهودى |
| ٣٨٩ | الهمع | ٣٩٤ | الورد | ٤١٠ | اليمام |
| ٣٨٩ | الهمل | ٣٩٤ | الوردانى | ٤١١ | اليوصى |
| ٣٨٩ | الهملع | ٣٩٤ | الورشان | ٤١١ | اليعسوب |
| ٣٨٩ | الهمهم | ٣٩٥ | الورقاء | | |
| ٣٨٩ | الهنبر | ٣٩٦ | الورل | | |


(تمت)

﴿ فهرست كتاب عجائب المخلوقات الذى على هامش الجزء الثانى من حياة الحيوان ﴾


صحيفة

٢ (النظر الثانى فى النبات)
٢ (القسم الأول فى الشجر)
٤ آبنوس ٤ آس ٥ أترج
٦ اجاص ٦ ازدرخب
٦ أم غيلان ٦ بان ٧ بطم
٧ بلسان ٨ بلوط ٨ تفاح
٩ تنوب ٩ توت ١٠ تين
١١ جميز ١١ جوز ١٢ خسرودار
١٢ خروع ١٢ خلاف
١٣ خوخ ١٣ دارسيشعان
١٣ دردار ١٤ دلب
١٤ دهمشت ١٥ رمان
١٧ زيتون ١٩ سرو
١٩ سفرجل ٢٠ سماق
٢٠ سندروس ٢١ شباب
٢١ شاهبلوط ٢١ صندل
٢٢ صنوبر
٢٢ ضرو ٢٣ طرفاء ٢٣ عرعر
٢٣ عشر ٢٤ عفص
٢٤ عناب ٢٥ غبيرا ٢٥ غرب
٢٥ فاوانيا ٢٥ فستق ٢٦ فلفل
٢٧ فندق ٢٧ فليزهرج
٢٨ قرنفل ٢٨ قصب
٢٩ كافور ٢٩ كرم
٣٢ كمثرى ٣٣ لاغية ٣٣ لبان
٣٤ لوز ٣٤ ليمون ٣٦ مشمش
٣٧ موز ٣٨ نارنج
٣٨ نارجيل ٣٨ نبق ٣٩ نخل
٤١ ورد ٤٢ ياسمين
٤٢ (القسم الثانى من النبات النجوم)
٤٣ آذان الفأر
٤٤ آدريون ٤٤ اذخر ٤٤ أرز
٤٤ اسفاناج ٤٥ اسقيل

صحيفة

٤٥ اشترغاو ٤٥ اشنان
٤٥ أفستين ٤٦ أقحوان
٤٦ اكشوت ٤٦ بابونج
٤٦ باردنجوية ٤٦ بادروج
٤٧ باذنجان
٤٧ باقلا ٤٨ برشاوشان
٤٨ برنجاسف ٤٩ بصل
٤٩ بطيخ ٥١ بنفسج
٥١ بودانش ٥١ بهار ٥١ بيش
٥٢ ترمس ٥٢ ثوم
٥٣ جاورس ٥٣ جرجير
٥٤ جزر ٥٤ حاج ٥٤ حاشا
٥٥ حرف ٥٥ حرشف
٥٥ حرمل ٥٥ حسك ٥٦ حلبة
٥٦ حمص ٥٦ حندقوق
٥٦ حنظل ٥٧ حنطه
٥٨ خبازى ٥٨ خربق
٥٩ خردل ٥٩ خس
٦٠ خشخاش ٦٠ خصى الثعلب
٦١ خصى الكلب ٦١ خطمى
٦١ خيار ٦٢ خيرى ٦٢ دفلى
٦٣ رازيانج ٦٣ ريباس
٦٤ ريحان ٦٥ زعفران
٦٥ سادج ٦٦ سذاب
٦٦ ساق ٦٦ سمسم
٦٧ سنبل ٦٧ سوسن
٦٧ سيسنبر ٦٨ شبت ٦٨ شبرم
٦٨ شجرة مريم ٦٨ شعير
٦٩ شقائق النعمان
٧٠ شلجم ٧٠ شوكران
٧٠ شونيز
٧١ شيح ٧١ شيلم ٧١ صعتر
٧١ طرخون ٧٢ عبيثران
٧٢ عدس ٧٢ عطلم
٧٣ عنب الثعلب
٧٣ فجل ٧٤ عرفج

صحيفة

٧٤ فنحكسب ٧٤ قويح
٧٥ قاتل الذئب
٧٥ قاتل الكلب ٧٥ قتاد
٧٥ قت ٧٥ قثاء ٧٦ قرطم
٧٦ قطن ٧٦ قنابرى
٧٦ قنب ٧٧ قنبيط ٧٧ قيصوم
٧٨ كاوزوان ٧٨ كتان
٧٨ كراث ٧٩ كرسنة
٧٩ كرفس ٧٩ كراويا
٧٩ كزبرة
٨٠ كلواشة ٨٠ كمون
٨٠ كمأة ٨١ لبلاب
٨١ لسان الحمل
٨١ لسان العصافير
٨١ نصف ٨٢ لفاح
٨٢ لوبيا ٨٣ لينوفر
٨٣ ماش ٨٣ مازريون
٨٤ ماهيزهرج ٨٤ مرزنجوش
٨٥ ناردين ٨٥ نانخواه
٨٥ نرجس ٨٦ نسرين
٨٦ نعنع ٨٦ هليون ٨٧ هندبا
٨٧ ورس ٨٨ يقطين
٨٨ (النظر الثالث فى الحيوان)
٩٠ النوع الأول فى حقيقة الإنسان والنظر فيه فى أمور
٩٢ (النظر الثانى فى النفس الناطقة)
٩٧ فصل فى نفوس عجيبة التأثيرات
١٠٠ قيافة الأثر
١٠٦ (النظر الثالث فى تولد الإنسان)
١٠٨ فصل فى وضع الجنين
١٠٩ فصل فى شبب الذكورة والأنوثة

صحيفة

١١٠ فصل فى وضع الحمل
١١١ (النظر الرابع فى تشاريح أعضاء الإنسان
١١١ القسم الأول المتشابهة وهى أنواع
١١١ النوع الأول العظام
١١٢ « الثانى فى الغضروف
١١٣ « الثالث فى العصب
١١٣ « الرابع الرباط
١١٤ « الخامس اللحم
١١٤ « السادس الشحم
١١٥ « السابع الشرايين
١١٥ « الثامن الأوردة
١١٦ « التاسع الترب
١١٦ « العاشر الغشاء
١١٦ « الحادى عشر الجلد
١١٧ « الثانى عشر المخ
١١٧ القسم الثانى من الأعضاء المركبة
١١٧ الأول الرأس
١١٨ فصل فى العين
١٢١ « فى الآذان
١٢٣ « فى الأنف
١٢٤ « فى الشفة
١٢٤ « فى الفم
١٢٥ اللسان
١٢٥ الأسنان
١٢٦ فصل فى اللحيين
١٢٦ فصل فى الشعر
١٢٧ النوع الثانى العنق
١٢٨ « الثالث الصدر
١٢٩ « الرابع اليد
١٣١ فصل فى الظفر

صحيفة

١٣١ النوع الخامس البطن
١٣٢ « السادس الظهر
١٣٤ « السابع الجنب
١٣٤ النوع الثامن الرجل
١٢٥ الضرب الثانى من الأعضاء المركبة
١٣٥ الأعضاء الباطنية
١٣٥ النوع الأول الدماغ
١٣٧ « الثانى الرئة
١٣٩ « الثالث القلب
١٤٠ « الرابع الكبد
١٤١ « الخامس المرارة
١٤١ « السادس الطحال
١٤٢ « السابع المعدة
١٤٣ « المعى
١٤٤ « التاسع الكلية
١٤٥ « العاشر المثانه
١٤٥ « الحادى عشر آلات التوليد
١٤٩ (النظر الخامس فى القوى وهى أنواع)
١٠٥ النوع الأول القوى الظاهرة
١٥١ فصل فى فوائد هذه القوى
١٥٢ النوع الثانى القوى الباطنة
١٥٣ فصل فى الفوائد العجيبة للقوة المصورة
١٥٥ الصنف الثالث القوى المدركة
١٥٦ النوع الثالث القوى المحركة
١٥٦ الضرب الثانى القوى الغضبية
١٥٧ الصنف الثانى القوة الفاعلة
١٥٨ النوع الرابع القوى العقلية

صحيفة

١٥٩ فصل فى تفاوت الناس فى العقل
١٦٤ النظر السادس فى خواص الانسان
١٦٦ فصل فى فوائد أجزائه
١٧٠ النوع الثانى من الحيوان الجن
٢٧١ فصل فى عجائب من مكايد الشيطان
١٧٦ فصل فى ذكر بعض المتشيطنة
١٧٩ فصل فى حكايات عجيبة عن الجن
١٨٩ النوع الثالث من الحيوانات الدواب
١٩٠ فرس ١٩٢ بغل ١٩٣ حمار
١٩٥ حمار الوحش
١٩٦ النوع الرابع من الحيوان النعم
١٩٨ ابل ١٩٩ بقر
٢٠٢ بقر الوحش
٢٠٣ جاموس
٢٠٤ زرافة ٢٠٥ ضأن
٢٠٦ معز
٢٠٩ ظبى
٢١٠ ايل
٢١٢ النوع الخامس من الحيوان السباع
٢١٣ ابن آوى
٢١٤ ابن عرس
٢١٥ أرنب ٢١٧ أسد
٢٢٠ ببر
٢٢١ ثعلب
٢٢٣ حربس

صحيفة

٢٢٥ خنزير
٢٢٦ دب
٢٢٧ دلق
٢٢٨ ذئب
٢٣١ ساد
٢٣١ سنجاب
٢٣٢ سنور
٢٣٣ سنور البر
٢٣٤ سرباس
٢٣٤ ساده وار
٢٣٤ ضبع
٢٣٧ عناق
٢٣٧ فالا ٢٣٧ فهد
٢٣٨ فيل ٢٤١ قرد
٢٤٢ كركند
٢٤٤ كلب
٢٤٩ نمر
٢٥٠ نامور
٢٥٠ النوع السادس من الحيوان الطير
٢٥٢ أبو براقش
٢٥٢ أبو هرون
٢٥٢ أوز ٢٥٣ بازى
٢٥٥ باشق
٢٥٥ ببغا
٢٥٦ بلبل
٢٥٦ بوم
٢٥٧ تدرج ٢٥٨ تبوط
٢٥٨ حبارى ٢٥٩ حدأة
٢٦٠ حمام
٢٦٢ خطاف ٢٦٣ خفاش
٢٦٥ دراج
٢٦٥ ديك

صحيفة

٢٦٧ دجاجة
٢٦٩ رخمة
٢٧٠ زاغ
٢٧١ زرزور ٢٧١ زمج
٢٧١ سمانى
٢٧٢ صقر
٢٧٢ شاهين
٢٧٢ شفنين
٢٧٣ شقراق
٢٧٣ صاف
٢٧٣ صقر
٢٧٤ طاوس
٢٧٥ طهوج
٢٧٥ عصفور
٢٨٦ عقاب
٢٧٨ عقعق ٢٧٨ عنقاء
٢٨٠ غراب
٢٨٢ غرنيق ٢٨٢ غواص
٢٨٣ فاختة
٢٨٣ قبيج ٢٨٥ قنبرة
٢٨٥ قطا
٢٨٦ قمرى
٢٨٧ قوقيس
٢٨٧ كركى
٢٨٨ كروان
٢٨٨ لقلق
٢٨٩ مالك الحزين
٢٨٩ مكاء
٢٩٠ نسر
٢٩٢ نعامة
٢٩٤ هدهد
٢٩٦ وطواط
٢٩٦ يراعة

صحيفة

٢٩٧ النوع السابع من الحيوانات الهوام والحشرات
٢٩٩ حرف الالف
٢٩٩ أرضة ٢٩٩ أفعى
٣٠٢ برغوث ٣٠٣ بعوض
٣٠٥ ثعبان
٣٠٦ جراد ٣٠٨ حرباء
٣٠٩ حلزون ٣١٠ حية
٣١٥ خراطين ٣١٦ خنفساء
٣١٨ دود القز
٣٢٠ ديك الجن ٣٢٠ ذباب
٣٢٣ الدرحرج
٣٢٤ رتيلاء ٣٢٥ زنبور
٣٢٧ سام أبرص
٣٢٨ سلحفاة
٣٢٩ صرصر ٣٣٠ صناجة
٣٣٠ ضب ٣٣١ ظربان
٣٣٤ عقرب ٣٣٥ عنكبوت
٣٣٩ فأر ٣٥٢ فراش
٣٥٤ فسافس ٣٥٥ قمل
٣٥٧ قنفذ ٣٦١ نمر
٣٦٢ نحل ٣٧١ النمل
٣٧٥ ورل
٣٧٧ خاتمة فى حيوانات عجيبة
٧٧ القسم الأول أمم غريبة
٣٨٣ القسم الثانى فى الحيوانات المركبة التى تتولد من حيوانين مختلفى النوع
٣٨٦ القسم الثالث فى حيوانات عجيبة الصور
٣٩٤ صور الملائكة وملابسهم وألوانهم

﴿ تمت ﴾